شرح

العقيدة الطحاوية

للإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي

رحمه الله

(٢٣٩ - ٣٢١ هـ)

الشرح

لفضيلة الشيخ العلامة

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد

نسخة منقحة

محمد إسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، وبعد :

بين يديك أيها القارئ الكريم شرح مبارك نافع للعقيدة الطحاوية مملوء بالفوائد الفريدة والتعليقات النفيسة التي حلت الإشكالات وأوضحت كثير من المسائل الدقيقة ، لفضيلة شيخنا العلامة الهمام /

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد

وقد شرع فضيلته في هذا الشرح المبارك في مسجد حصة السديري بالرياض ، يوم السبت الموافق الثالث عشر من شهر ذي القعدة لعام ألف وأربعمائة وسبعة عشر من الهجرة النبوية المباركة، بعد صلاة العشاء . وانتهى منه حفظه الله يوم السبت الموافق العشرون من شهر ذي القعدة لعام ألف وأربعمائة وعشرون من الهجرة النبوية المباركة .

وقد جاء هذا الشرح المبارك مرتباً ودقيقاً ، حسن العبارة ، مملوء بالمسائل والفوائد ، بطريقة لم يسبق إليها شيخنا الحبيب ، حفظه الله وسلمه من كل سوء . فنسأل الله أن يجزي شيخنا خيراً عن الموحدين ، وأن يجعله إمام هدى ورشاد ، وأن يصلح به العباد ، وأن يبارك له في ذريته ، وأن يرفع درجاته في عليين ، وأن يجعل لي من الخير نصيباً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

السبت

١٤٢٠/١١/٢٠هـ

عادل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الشريط الأول . وجه (أ) ١٤١٧/١١/١٣هـ :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، سبحانه وتعالى وتقدس وتعاظم ربنا، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد اللَّه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً،،، أما بعد:

فهذا الدرس شروع في شرح مختصرٍ في العقيدة مختصر مهم؛ لأن أهل العلم يحبذون إقراءه وشرحه، ويؤكدون على أهمية ما اشتمل عليه من مسائل الاعتقاد بلفظ موجز وبيان حسن، وهذه العقيدة التي نبتدئ شرحها في هذه الدروس هي عقيدة العالم المحدث أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المتوفى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وهي المسماة بالعقيدة الطحاوية نسبة إليه، وهي عقيدةٌ موافقة في جل مباحثها لما يعتقده أهل الحديث والأثر، أهل السنة والجماعة كما سيأتي بيانه -إن شاء اللَّه تعالى- وهذه العقيدة الطحاوية ذكر عدد من أهل العلم أن أتباع المذاهب الأربعة ارتضوها، وذلك لأنها اشتملت على أصول الاعتقاد المتفق عليه بين أهل العلم، وذلك في الإجمال؛ لأن ثم مواضع انتُقدت عليه -كما سيأتي بيانه-.

وأبوجعفر الطحاوي من علماء الحديث المعروفين، ومن الفقهاء المشهورين أيضاً، وكان شافعياً تفقه على المزني -رحمه اللَّه- تلميذ الشافعي ثم انتقل في الفروع من مذهب الشافعية إلى مذهب الحنفية فصار في المذهب حنفي المذهب إلا أنه لا يتعصب لقول أبي حنيفة، ولا يقلده بل صنيع العلماء المحققين، أن يتابعه فيما ظهر فيه الدليل وأن يأخذ بالدليل إذا خالف قول الإمام. وقد جرت مناظرة في ذلك أو جرى حوار في ذلك بين الطحاوي وبين

أحد العلماء في مصر من الحنفية؛ فقال الطحاوي في مسألة بغير قول الإمام أبي حنيفة فذاك قال له ألست من أتباع أبي حنيفة؟ قال بلى ولكني لا أقلده؛ لأنه لا يُقلِد إلا عصبي . يعني متعصباً . فقال الآخر: وغبي أيضاً. أي لا يقلد من أهل العلم إلا متعصب أو غبي فصارت الكلمة مثلاً في مصر تداولها الناس في مقولة هذين العالمين، وذلك يدل على تحري أبي جعفر للحق وعلى ابتغائه له.

وهو في الفروع كما ذكرنا حنفي المذهب، وأما في الأصول ففي الجملة هو على مذهب أهل السنة والجماعة أتباع أهل الحديث والأثر إلا في مسائل تبع فيها مُرجئة الفقهاء، وفي جمل كلامه في هذه العقيدة يوافق معتقد السلف إلا في المواضع التي ذكر فيها مسألة الإيمان في تعريفه، حيث قال: "والإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان"، وقال: "وأهله في أصله سواء"، وهذه من مقالة المرجئة، وقد ذكر هو في صدر عقيدته هذه أن هذا المعتقد الذي كتبه هو اعتقادُ أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، وهذا ظاهر فيما ذكر من مسألة الإيمان....

فنقول هذا الكتاب –كما سيأتي– مشتمل على أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بعبارة حسنة جيدة، وبتقرير لها طيب إلا في مسائل انتقدت عليه، ولهذا كان بعض مشايخنا عافاهم اللَّه وختم لهم برضاه يقول هذه عقيدة الطحاوي ولا يقال هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، إذا أريد الجميع؛ لأنه ثم مسائل خالف فيها معتقد أهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر في الأصول وفي التعبير عن الاعتقاد –كما سيأتي بيانه–، وهذه العقيدة اهتم بها علماؤنا لأجل شرحها العظيم وهو شرح ابن أبي العز الحنفي من تلامذة الحافظ ابن كثير صاحب شرح العقيدة الطحاوية المشهور بينكم. على أن هذه العقيدة لها شروح كثيرة، فالماتُريدية شرحوها بشروح متنوعة ووجهوا الكلام فيها على معتقد أتباع أبي منصور

الماتريدي، ولكن شرح ابن أبي العز وجهها توجيهاً سلفياً متابعاً فيه طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية وطريقة ابن القيم –رحمهما اللَّه تعالى– وأجاد في ذلك بحيث صار هذا الشرح مرجعاً في علم الاعتقاد بعامة، ودافع الشارح عن المصنف الطحاوي في مواضع مما عبر فيه بغير ما ينبغي من التعبير أو فيما قرره في مسألة الإيمان بما هو معروف في موطنه –وسيأتي بحثه إن شاء اللَّه تعالى– عند التعرض لعبارات المصنف.

هذا الكتاب أو هذه الرسالة والنبذة (العقيدة الطحاوي) فيها كما ذكرنا ذكر الاعتقاد بعامة ولكنه أخذ عليه أنه لم يرتبه، ولهذا وقع الكلام على الصفات مفرقاً، ووقع الكلام على القدر مفرقاً ووقع الكلام عن الإيمان مفرقاً، وهكذا في نظائر هذه المسائل فهي كانت شبيهة بالإملاء على ما جاء في قلب المؤلف – رحمه اللَّه– وأجزل له المثوبة دون ترتيب علمي يجمع المسائل بعضها إلى بعض، يجمع النظير إلى نظيره والشبيه إلى شبيهه، ولهذا وقع كلام الشارح على بن علي بن أبي العز الحنفي وقع كذلك تبعاً للأصل غير مرتب، وذكر في أواخر شرحه أنه تمنى أن لو رتب هذا الشرح على ترتيب أركان الإيمان ثم ما يتصل بذلك من الكلام ليكون أبلغ في الانتفاع فيجعل الكلام في الإلهية متتابعاً، والكلام في الصفات متتابعاً، والكلام في الإيمان متتابعاً، وفي القدر متتابعاً وفي النبوات متتابعاً... إلى آخر ذلك، وهذا لو حصل لكان أنفع وأدعى لاستحضار شرح تلك المسائل.

وهذه العقيدة أيضاً على جلالتها ووجازة ألفاظها تحتمل شرحاً طويلاً كما صنع الشارح ابن أبي العز الحنفي وتحتمل شرحاً متوسطاً وتحتمل شرحاً مختصراً، ولما كنا قد شرحنا عدداً من كتب العقيدة في سنيِّنا التي مرت رأيت – والتوفيق بيد اللَّه جل وعلا– أن أجعل الكلام عليها ليس على طريقة الشارح في

الاستطراد في ذكر الشرح وإدخال المسائل بعضها في بعض، ولكن على طريقة مرتبة متعلقة:

أولاً: بألفاظ المصنف.

ثانياً: بالمسائل التي أوردها المصنف.

ثالثاً: بتحقيق القول في أن ما ذكره هو مذهب أهل السنة والجماعة.

رابعاً: في أدلة ما ذكره من المسألة.

خامساً: في ذكر تفريعات تلك المسألة على اعتقاد أهل الحديث والأثر.

سادساً: في ذكر أقوال أهل الفرق المخالفة وأدلتها والرد عليها.

وكما تنظر في هذا التقسيم قد يحتمل تطويلاً كثيراً ويحتمل توسطاً ويحتمل اختصاراً، فأسأل اللَّه جل وعلا أن يوفقني لما ينفعكم وأن ينفعكم بما تسمعونه -إن شاء اللَّه-، وأرجو أن يكون منكم الاجتهاد في متابعة الشرح والتفريع على هذه المسائل من جهة النظر في الشروح وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة -رحمهم اللَّه جميعاً-؛ لأن في بحثك بعد الدرس ومراجعتك للدرس ما يؤكد هذه المسائل ويبينها؛ لأن التطويل والتفصيل قد يُذهب بعضه بعضاً عند المبتدئ والمتوسط، ولكن إذا راجعت وأكدت على نفسك في المراجعة المستمرة الأسبوعية كان في ذلك -إن شاء اللَّه تعالى- الخير الكثير واستحضار لتلك المسائل، اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك فهيئ لنا من أمرنا يسراً ورشداً، اللهم لا يسير إلا ما يسرته اللَّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً أنت تجعل الحزن إن شئت سهلاً، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وسددنا في القول والفهم والعمل إنك على كل شيء قدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

المتن :

الحمد لله رب العالمين: قال العلامة حجة الإسلام أبوجعفر الوراق الطحاوي بمصر -رحمه اللَّه-: هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبداللّه محمد بن الحسن الشيباني - رضوان اللَّه عليهم أجمعين- وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين.

١. نقول في توحيد اللَّه.

الشرح:

هذه المقدمة اشتملت على مسائل:

المسألة الأولى:

أن هذه عقيدة، والعقيدة فعيلة بمعنى مفعول يعني معقوداً عليه، والمسائل منقسمة إلى أخبار وأحكام، كما قال جل وعلا: { **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً** } تمت كلمة اللَّه على هذين القسمين صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي والأخبار يجب تصديقها، فما كان مرجعه إلى التصديق والإيمان به ولا دخل للعمليات به فإنه يسمى عقيدة؛ لأن مرجعه إلى علم القلب فسمي هذا عقيدة؛ لأنه معقود عليه القلب يعني كأنه دخل للقلب فعقد عليه فلا يخرج منه من شدة الاستمساك به ومن شدة الحرص عليه لئلا يخرج أو ينفلت، وهذا اللفظ لفظ العقيدة . كما ذكرت . راجع إلى علم القلب ؛ لأنه هو الذي يعقد الشيء الذي فيه ، وأما العمليات فهذه من الإيمان كما هو معروف لكن موردها عمل الجوارح، ولذلك لم تدخل في العقيدة، وهناك ألفاظ مرادفة للعقيدة في الدلالة على ما ذكرنا، وهي التوحيد، السنة، الشريعة، وأشباه ذلك

فمنها ما يكون مختصاً بالعقيدة كالتوحيد، ومنها ما يكون لها ولغيرها كالسنة والشريعة فإن لفظ الشريعة يشمل العقيدة أيضاً؛ لأن اللَّه جل وعلا بيَّن لنا أن الأنبياء اجتمعوا على شريعة واحدة كما قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ...** ﴾ فهذه شريعة أجمع عليها بين المرسلين والمقصود بها التوحيد والعقيدة الواحدة.

وتأتي الشريعة ويراد منها العمليات كما قال جل وعلا: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾ ، وكما ثبت في الصحيح قول النبي ﷺ ((الأنبياء إخوة لعلات الدين واحد والشرائع شتى)) نخلص من ذلك إلى أن التصانيف في العقيدة قد تكون باسم العقيدة، أو باسم التوحيد، أو باسم السنة أو باسم الشريعة كما هو موجود فعلاً في تصانيف أئمة أهل السنة والجماعة.

المسألة الثانية:

قوله : (أهل السنة والجماعة) هذا اللفظ أُطلق في أواخر القرن الثاني الهجري على أتباع الأثر والمخالفين للفرق المختلفة الذين خرجوا عن طريقة الصحابة والتابعين وأول من استعمله بعض مشايخ البخاري –رحمهم الله تعالى– وجمع بين اللفظين السنة والجماعة؛ لأن هناك من يدّعي اتباع السنة ولكنه لا يكون مع الجماعة وهناك من يدعو إلى الجماعة بلا اتباع سنة فصارت طريقة أهل الحديث والأثر اتباع السلف الصالح مشتملة على شيئين اتباع السنة والجماعة وكل منهما في الحقيقة لازم للآخر، فاتباع السنة هو اتباع الجماعة واتباع الجماعة هو اتباع السنة، وذلك لأن النبي ﷺ صح عنه في الحديث الذي في السنن أنه قال: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاواحدة وهي الجماعة)) فصارت الفرق في النار يعني متوعدة بدخولها في النار، والناجية فرقة واحدة وهي الجماعة، وهم

المتبعون للسنة الممتثلون لقول النبي ﷺ ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ... الحديث))، وإذا أفرد أهل السنة فيطلق هذا اللفظ، ويراد بهم ما يقابل الرافضة والشيعة؛ لأن لفظ أهل السنة يطلق ويراد به ما يخالف التشيع، ويطلق ويراد به أهل الحديث والأثر، ولهذا زادوا على السنة الجماعة مع أن كل منهما ملازم للآخر لأجل أن يكون هناك تحديداً في الإطلاق ويكون المراد بالإطلاق ما يخالف الفرق كلها، الرافضة، والخوارج، والجهمية، والمرجئة، والقدرية، والجبرية "إلى آخر أصول الفرق، وقد ذكرنا لكم في أول شرح الواسطية تفصيل معنى أهل السنة والجماعة، ومعنى الجماعة وجماعة الدين وجماعة الأبدان بما يرجع في ذلك إليه.

المسألة الثالثة:

أن هذه العقيدة التي ذكرها الطحاوي –رحمه الله– بنيت على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن وهؤلاء عند أهل الحديث والأثر وافقوا السنة والجماعة في أكثر المسائل ولكنهم خالفوهم في أصل عظيم من أصول الدين ألا وهو الإيمان، ولهذا أطلق عليهم مرجئة الفقهاء، فهم مرجئة؛ لأن كلامهم في الإيمان كلام المرجئة؛ لأنهم أرجئوا العمل عن مسمى الإيمان وقالوا إن أهله في أصله سواء، وقيل لهم مرجئة الفقهاء؛ لأنهم فقهاء اشتهروا بذلك، فإذن يظهر من هذا التقديم أن هذا المؤلف مبني على كلام أهل السنة والجماعة بعامة وعلى مذهب مرجئة الفقهاء في الإيمان بخاصة، وهذا هو الواقع فعلاً فإن كلامه في الإيمان هو كلام المرجئة.

فإذن قوله: (أهل السنة والجماعة) يُدخِل فيهم المرجئة مرجئة الفقهاء وهذا منه يدل على أن مدلول أهل السنة والجماعة يشمل أهل الحديث والأثر

ويشمل الماتريدية والأشاعرة وهذا باطل، وهذا القول صرّح به بعض الشرّاح من المتقدمين ومن المتأخرين كالسفَّاريني في "لوامع الأنوار" حيث قال اعلم أن أهل السنة والجماعة ثلاث طوائف أهل الحديث والأثر، والأشاعرة، والماتريدية، وهذا باطل لأن أهل السنة والجماعة هم الذين أخذوا بالسنة والجماعة في كل المسائل في كل أصول المسائل وأعظم المسائل التي حصل فيها الاختلاف أولاً هي مسألة الإيمان، ومسائل الأسماء، والأحكام وخالف فيها الخوارج كما هو معلوم، ثم تبع ذلك ظهور المرجئة إلى آخر ما حصل.

فإذن مسألة الإيمان من مسائل الأصول العظيمة فلا يكون من نفي دخول العمل في مسمى الإيمان على طريقة أهل السنة والجماعة اتباع الحديث والأثر، لمخالفة قولهم للنصوص الكثيرة الدالة على أن العمل من الإيمان كما سيأتي تقريره في موضعه –إن شاء الله تعالى–.

المسألة الرابعة:

قوله : (وما يعتقدون من أصول الدين) وهذه الكلمة : (من أصول الدين) يعبر بها عن العقيدة؛ لأن التعبير عن العقيدة صار فيه اشتراك، فيعبر عن العقيدة عند أهل الحديث بما ذكرنا لك من العبارات، العقيدة، السنة، الشريعة، التوحيد، وعبر عنها المخالفين، بعلم الكلام، والذين تركوا الفلسفة وما أصله علماء الكلام في بيان العقيدة إلى ما دل عليه كلام معظميهم كالأشعري والماتريدي عدلوا عن علم الكلام إلى أصول الدين؛ لأن كلمة أصول الدين فيها مخالفة للفظ علم الكلام المذموم وفيها توسط ما بين الألفاظ الشرعية، السنة، العقيدة، التوحيد، الشريعة وما بين قولهم علم الكلام فأتوا بهذا اللفظ الذي هو بين اللفظين، ولهذا نقول هذا اللفظ إن كان دليله ومأخذه هو مأخذ التوحيد والسنة والعقيدة والشريعة فلا بأس باستعماله، ولهذا يستعمله أهل السنة والجماعة ويريدون به المعنى الصحيح وهو أن –أصول

الدين المقصود بها- أصول الإيمان الستة وما يندرج في ذلك من المسائل الأصلية والتبعية، فكلمة أصول الدين إذن كلمة مركبة مضافة لذلك يقولون هي مركب إضافي أضيف فيه الأصل إلى الدين وأصول الدين كلمة معناها العقيدة يريدون بكلمة أصول ما يخالف الفروع وهي العمليات، وإذا كان اللفظ محدثاً أو مصطلحاً عليه فنقول لا مشاحة في الاصطلاح.

إذا كان لم يختص به أهل البدع فاستعمله طائفة من علماء الحديث والسنة ويعنون به ما دلت عليه الألفاظ الشرعية، العقيدة، السنة، التوحيد، الشريعة فإذن (وما يعتقدون به من أصول الدين) يعني المقصود بها أصول الإيمان المعروفة وما يتصل بذلك من مباحث وما خالف فيه أهل السنة، أهل البدعة.

المتن:

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له.

الشرح:

قوله: (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له) ، قوله : (نقول) هذا لأنه لا يكتفى في الاعتقاد باعتقاد القلب بل لابد من قول اللسان، وأعظم قول اللسان وكافيه شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ لأن العقيدة الصحيحة اعتقاد بالجنان وقول باللسان حتى يكون الإيمان صحيحاً، ثم امتثال العمليات في الأمر والنهي .

وقوله: (معتقدين) هذه حال من نقول -يعني أقول حالة كوني معتقداً هذا الكلام عاقداً عليه قلبي غير متردد فيه ولا مرتاب، فمعتقدين ولو تأخرت فهي حال من الضمير في نقول ، وقوله : (بتوفيق الله) هذه استعانة بالله تعالى أن يوفقه في القول الحق في ذلك والتوفيق اختلفت فيه التفسيرات بما سيأتي بيانه -إن شاء الله- مفصلاً في ذكر مسائل القدر؛ فأهل السنة لهم

تفسير للتوفيق وللخذلان، وأهل البدع، كلٌ له مشربه في تفسير التوفيق والخذلان.

قال : (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له) اشتملت هذه الجملة على ذكر التوحيد وعلى تفسيره وكلمة التوحيد هذه مصدر وحّد يوحد توحيداً، يعني جعل الشيء واحداً، وقد جاء في السنة عن النبي ﷺ أنه قال في حديث معاذ ((إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله)) ، وجاء في قول الصحابي –رضي الله عنه– "فأهلّ رسول الله ﷺ بالتوحيد في قوله لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، التلبية المعروفة في أول الحج " فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد، فإذاً كلمة التوحيد جاءت في السنة . فمعنى التوحيد . كما ذكرنا . جعل الشيء واحداً في اللغة. فتوحيد الله معناه أن تجعل الله واحداً فيما وحّد الله نفسه فيه فيما دلت عليه النصوص، والنصوص دلت على أن الله واحد في ربوبيته واحد في ألوهيته واحد في أسمائه وصفاته؛ فالتوحيد إذن في الكتاب والسنة راجع إلى توحيد الإلهية توحيد الربوبية توحيد الأسماء والصفات، وهذا على التقسيم المشهور، وقسمه بعض أهل العلم إلى تقسيم آخر وهو أن التوحيد ينقسم إلى قسمين:

أولاً: توحيد في المعرفة والإثبات.

ثانياً: توحيد في القصد والطلب.

وعنى بقوله في المعرفة والإثبات في معرفة الله جل وعلا بأفعاله وهذا هو الربوبية، والإثبات له فيما أثبت لنفسه وهذا هو الأسماء والصفات، وقولهم توحيد القصد والطلب هو توحيد الإلهية –وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام– الربوبية، والإلهية، الأسماء والصفات، جاء في عبارات المتقدمين من أئمة الحديث والأثر فجاء عند أبي جعفر الطبري في تفسيره وفي غيره من كتبه وفي كلام ابن بطة وكلام ابن منده، وكلام بن عبدالبر وغيرهم من أهل العلم

من أهل الحديث والأثر خلافاً لمن زعم من المبتدعة من أن هذا التقسيم أحدثه ابن تيمية، فهذا التقسيم قديم يعرفه من يطالع كتب أهل العلم التي ذكرنا.

إذا تقرر ذلك فمعنى توحيد الربوبية اعتقاد أن الله واحد في أفعاله سبحانه وتعالى لا شريك له وأفعاله سبحانه وتعالى منها خلقه ورزقه وإحياءه وإماتته وتدبيره للأمر، ونحو ذلك يعني أن توحيد الربوبية راجع إلى إفراد الربوبية التي هي السيادة والتصرف في الملكوت، وكل ما رجع إلى السيادة والتصرف في الملكوت رجع إلى توحيد الربوبية؛ فالإيمان بتوحيد الربوبية معناه أنه إيمان بأن الله وحده لا شريك له هو المتصرف في هذا الملكوت أمراً ونهياً فهو الخالق وحده وهو الرازق وحده، وهو المحيي المميت وحده، وهو النافع الضار وحده وهو القابض الباسط وحده في ملكوته كما قال جل وعلا: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ** ﴾، فأثبت أنهم أقروا بالربوبية وأنكر عليهم أنهم لم يتقوا الشرك به وترك توحيد الإلهية.

<u>وتوحيد الإلهية</u> هو توحيد الله بأفعال العبيد: التوحيد في القصد والطلب بأن يفرد العبد ربه جل وعلا في إثباته وخضوعه ومحبته ورجاءه، وأنواع عباداته من صلاته وزكاته وصيامه ودعائه وذبحه ونذره إلى آخر أفراد العبادة بما هو معلوم في توحيد الإلهية.

<u>وتوحيد الأسماء والصفات:</u> هو جعل الله جل وعلا واحداً لا مثيل له في أسمائه وصفاته،كما قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** ﴾.

إذن قوله نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله، هنا ذكر التوحيد؛ لأن الخلاف قائم فيه، ففي الربوبية قام الخلاف مع الدُهْرية والفلاسفة الذين يقولون إن هذا العالم قديم لم يزل وأنه ليس له خالق بل وجد العالم هكذا باتفاق وغير ذلك من مقالات نفاة الرب، جل وعلا، وكذلك مخالفة للذين جعلوا الله رباً ولكن جعلوا معه شريكاً في الربوبية وهم طوائف وملل مختلفة وفي هذه الأمة دخل في ذلك في قول غلاة المتصوفة الذين يقولون أن لهذا العالم من يتصرف فيه من الأولياء والأقطاب الذين لكل بلد قطب يتصرف فيه فيعطي ويمنع ويرزق ويحيي ويميت .. إلى آخر ما يعتقدون فيه وفي الإلهية وفي الأسماء والصفات ، ثم من خالف كما سيأتي تفصيله.

سؤال: لماذا قدم القول في الاعتقاد في الله جل وعلا؟

الجواب: أنه قدم ذلك لأمرين:

الأول: أن الإيمان بالله تقدم على غيره من أركان الإيمان كما قال جل وعلا ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾ فقدم الإيمان بالله على غيره، وكما قال تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾، وقول الرسول ﷺ في حديث جبريل المعروف ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)).

الأمر الثاني: أن الاعتقاد في الله تعالى هو أصل الإيمان به، وبه يصير المرء مؤمناً الاعتقاد في الله بالوحدانية بما دلت عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،وأن ذلك أول واجب على العبيد وفي هذا مخالفة للذين زعموا أن أول واجب على العبد أن يعرف الله أو أن يستدل على معرفة الله أو ما يسمونه بالنظر للتوحيد أو للمعرفة أو بالقصد إلى النظر فلما كان

أول واجب هو التوحيد قدمه مخالفة لمن قال أن أول واجب هو أن ينظر في الدلائل وفي الملكوت لمن كان أهلاً لذلك.

قال: "إن الله واحد لا شريك له" لفظ واحد هنا من أسماء الله الحسنى،كما قال تعالى: ﴿ **هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ وأيضاً من أسمائه سبحانه الأحد ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ وواحد يعني أنه لا شريك له، ولذلك كانت كلمة لا شريك له هذه مؤكدة تأكيداً بعد تأكيد، قال الحافظ ابن حجر وغيره في قوله "واحد لا شريك له" هذا تأكيد بعد تأكيد لبيان عظم مقام التوحيد وكلمة واحد راجعة عند أهل الاعتقاد وراجعة إلى آحاديته سبحانه، ونقول الصحيح أنه لا فرق بين واحد وأحد، والمتكلمون يفرقون ما بين الواحد والأحد فيرجعون الواحدية للصفات والأحادية للأفعال، لكن الصحيح أن اسم الله جل وعلا الواحد يرجع إلى آحاديته سبحانه في الذات وفي الصفات وفي الأفعال وفي الربوبية والإلهية والأسماء والصفات.

الشريط الأول . وجه (ب) :

وقوله : (وحده لا شريك له) هذا تفسير لواحد وتأكيد، ولهذا دلّ قوله أن الله واحد لا شريك له على أن التوحيد أعظم ما يفسر به نفي الشريك عن الله جل وعلا، نقول في توحيد الله أن الله واحد لا شريك له فالتوحيد يفسر بضده وهو نفي الشرك كما قال الشاعر وبضدها تتبين الأشياء، وقد لا يستقيم معرفة التوحيد بتفاصيله إلا بالإيقان بنفي الشرك بأنواعه، لهذا نقول هنا، قوله لا شريك به هذا، عام يشمل نفي الشريك في الربوبية ونفي الشريك في الإلهية، ونفي الشريك في الأسماء والصفات، والشركة في الربوبية راجعة إلى جعل المخلوق له من صفات الرب جل وعلا في صفات الربوبية يعني أن يجعل للمخلوق تصرفاً إذا جعل للمخلوق تصرفاً في الكون مما يختص به الله جل وعلا، فهذا ادعاء للشريك معه في الربوبية أو أن يعتقد أن الله معه معين

أو ظهير أو وزير وهذا كله منفي، وهذا كله داخل في الاشتراك في الربوبية كما قال تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّـهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ** ﴾ فذكر أنواع الاشتراك في الربوبية، إما شركة مستقلة ﴿ **لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ يعني استقلالاً أو معاونة أو اتخاذ ظهير ووزير لله جل وعلا وهذه المعتقدات موجودة في طوائف من هذه الأمة والإيمان بتوحيد الربوبية ونفي الشركة في الربوبية على درجتين:

الدرجة الأولى: واجبة على كل مكلف ومن لم يأت بها فليس بموحد بل هو مشرك وهو ما ذكرنا من الاعتقاد بأن الله واحد في ربوبيته في أفعاله سبحانه فهو الخالق وحده، وهو الرازق وحده وهو المحيي، المميت وحده، وهو النافع الضار وحده وهو مدبر الأمر وهذه واجبة على كل أحد.

الدرجة الثانية: هي مرتبة للخاصة وأهل العلم وهي شهود آثار الربوبية في خلق الله جل وعلا وهذه بحيث لا يرى غير الله جل وعلا مؤثراً في هذا الملكوت، ولو كان تأثير معلولات عن علل أو تأثير مسببات عن أسباب فإنه يرى ألا مؤثر في الحقيقة ولا خالق إلا الله جل وعلا، وينظر لذلك في الملكوت متفكراً متدبراً وهذه حال الخاصة وهذه مستحبة لأهل العلم ولأهل الإيمان وليست واجبة على كل أحد، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾، وكما وصف الله جل وعلا بعض عباده بالتفكر والنظر والتدبر في خلق الله جل وعلا بل أمر بذلك فقال تعالى: ﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾، وكقوله: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ** ﴾ وقوله جل

وعلا: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ** ﴾ فهذا التفكر في ربوبيته تعالى في خلق الله يدل على توحيده في الربوبية وهو حال الخاصة، كما قال الحسن البصري -رحمه الله تعالى- "عاملنا القلوب بالتفكر فأورثها التذكر فرجعنا بالتذكر على التفكر وحركنا القلوب بهما فإذا القلوب لها أسماع وأبصار".

وهذه عند أهل البدع وأهل الكلام مطلوبة وواجبة لمن كان أهلاً لها فيوجبون النظر ويوجبون التفكر ولا يصح إيمان أحد عند طائفة منهم ممن كان أهلاً للنظر إلا بالنظر فلو مات المتأهل للنظر من غير نظر لم يكن مؤمناً بربوبية الله جل وعلا وإن كانت تجري عليه أحكام أهل الإسلام في الدنيا فإنهم لا يجرون عليه أحكام الإسلام في الآخرة على تفصيل مذهب أهل الكلام في ذلك.

النوع الثاني: أن يعتقد بأن الله لا شريك له في إلهيته سبحانه وتعالى والإلهية معناها العبادة يعني لا شريك له في عبادته كما دلت عليها كلمة التوحيد لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فيعتقد أن الله جل وعلا وحده ليس معه إله يستحق العبادة وأن كل من ادعى فيه الإلهية وأنه يعبد فإنما يعبد بالبغي والظلم والعدوان والتعدي، وكل من أشرك بالله جل وعلا فهو ظالم أبشع الظلم وأكبر الظلم؛ لأن الله سبحانه توعد أهل الشرك بالنار بل أوجب لهم النار بقوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ وكما قال المسيح -عليه السلام- ﴿ **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ بيان هذا التوحيد وما يتصل به كتب توحيد العبادة المعروفة ، ومن أعظمها وأشملها كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى-.

النوع الثالث: من أنواع نفي الشريك المشتمل عليه قوله –لا شريك له– نفي الشريك لله في الأسماء والصفات وذلك بأن يعتقد أن الله جل وعلا لا شريك له في كيفية اتصافه بالصفات يعني لا مماثل له سبحانه وتعالى ولا مشابه له في كيفية اتصافه بالصفات، وأنه سبحانه لا شريك له في المعنى المطلق لصفاته سبحانه ولا لأسمائه ولا مشابهة له في المعنى المطلق لأسمائه وصفاته وأن اشتراك بعض خلقه معه سبحانه في الصفات إنما هو اشتراك في مطلق المعنى وفي أصله لا في المعنى المطلق ولا في كماله ولا في الكيفية فيعتقد أنه لا شريك له في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله سبحانه بل ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ لأجل هذا المعنى العام عطف عليها المصنف في قوله ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره– كما سيأتي تفصيل الكلام على هذه المسائل في ذكر معنى هذه الجمل الثلاث.

إذن هذا إجمال لمعنى التوحيد ونفي الشريك ويأتي تفصيلها مع بيان كل مسألة، توحيد الربوبية وأبحاثه، توحيد الإلهية وأبحاثه، توحيد الأسماء والصفات وأبحاثه.

بقي أن نقول أن في قوله : (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له) إن هذه العبارة (لا شريك له) تفسيرها على طريقة أهل السنة ذكرناها ، وأما أهل البدع فيقولون في تفسير (واحد لا شريك له) عبارات مختلفة تجدونها في التفاسير ويكثر منها أهل البدع فيقولون في تفسير كلمة واحد: يعني واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شريك له، وواحد في أفعاله لا ند له، وفي قولهم في أولها واحد في ذاته لا قسيم له هذه من التعبيرات المحدثة وإن كان يمكن أن تحتمل معنى صحيحاً لكن التوحيد والأحدية تفسر بأحاديته سبحانه في إلهيته وأحديته في ربوبيته وأحاديته في أسمائه وصفاته.

وأهل البدع في التوحيد واختلاف عباراتهم في تعريف التوحيد سببه أنهم نظروا في تعريف التوحيد إلى حال النصارى وأهل الملل ففسروا التوحيد بما يخالف ما عليه بعض الطوائف فقالوا واحد في ذاته لا قسيم له يعني نفياً للأقانيم الثلاثة التي هي صور لله جل وعلا مختلفة كما هو اعتقاد النصارى أو طائفة من النصارى، وكذلك اعتقاد الثنوية الذين يقولون أن ثم إلهين هو إله واحد لكن له أقنومان شيء للخير وشيء للشر، فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، واحد في ربوبيته واحد في ألوهيته وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

وسيأتي –إن شاء الله تعالى– مزيد بيان لقول المخالفين في تفسير الربوبية والإلهية والأسماء والصفات فيما نستقبل –إن شاء الله تعالى–.

نكتفي بهذا القدر ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم لما يحب ويرضى وأن يزيدني وإياكم من العلم النافع والعمل الصالح وأن يختم لنا برضاه، اللهم اغفر لنا جميعاً ووفقنا لعلم يكون حجة لنا وترفع به درجاتنا ونكون فيه من الذين قلت فيهم ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ اللهم فاغفر جماً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأسئلة :

سؤال : قد يفهم من الدرجة الثانية من توحيد الربوبية نفي الأسباب وأثرها؟

الجواب : لا يفهم ذلك؛ لأن المقصود أن يشهد آثار الأسماء والصفات وشهود آثار الأسماء والصفات هذا ليس نفياً للأسباب بل هو جعل الأسباب أسباباً وعدم مجاوزتها لكونها أسباب فيرى أن الفاعل هو الله جل وعلا وأنه سبحانه أجرى الأسباب لجعلها أسباباً وأنتج سبحانه وتعالى عنها مسبباتها وأن

العلل تنتج معلولاتها وأن المؤثرات تنتج الآثار إلى غير ذلك مما هو معلوم من اعتقاد أهل التوحيد.

سؤال : ما تكاد تقرأ كتاباً من كتب السنة كالسنة لعبدالله، واللالكائي والإبانة إلا وتجد فصلاً أو باباً في طعن الأئمة في أبي حنيفة فما هو السبب وما موقفنا من هذه الآثار؟

الجواب : هذا كان في ذلك الزمان؛ لأن أبا حنيفة –رحمه الله تعالى– خالف السنة أو الآثار في مسائل كثيرة جداً ورد عليه أهل السنة والحديث حتى لا يؤخذ بكلامه في ذلك، وتأليف هذه لأجل انتشار مذهب أبي حنيفة في البلاد فكتبوا ذلك تحذيراً من إتباعه فيما أخطأ فيه، لكن لما استقرت المذاهب واستقرت الفرق وصار أبوحنيفة أحد الأئمة الأعلام الذين يشار إليهم والذين يتبعون في مسائل الفقه ترك أهل السنة إيراد ذلك بعد نهاية القرن الخامس واجتمعوا على عدم ذكرها بل عدوه من الأئمة الأعلام، كما عقد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" وذكر منهم أبا حنيفة –رحمه الله تعالى– فأخطأ هو في مسائل وخالف السنة في مسائل وعد من مرجئة الفقهاء.

لكن مما ورد في تلك الكتب من شتمه ولعنه أو سبه أو نحو ذلك هذا تركه أهل السنة فلم يصر من شعار أهل السنة أن يفعل ذلك كما قرره الأئمة في كتبهم وتركوه في مؤلفاتهم بعد نهاية القرن الخامس.

سؤال : بعض أهل العلم يقسم التوحيد إلى أربعة أقسام: توحيد الإلهية، توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الحاكمية، فهل هذا التقسيم صحيح أم لا؟

الجواب : توحيد الحاكمية داخل إما في توحيد الربوبية أو في توحيد الإلهية أو فيهما معاً؛ لأن الله جل وعلا الحكم إليه سبحانه بقوله: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ**

إِلاَّ للَّـهِ ﴾ وقال جل وعلا ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّـهِ ﴾** ونحو ذلك من الآيات وكقوله تعالى: ﴿ **فَالْحُكْمُ للَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾** فالحاكمية من جهة تحاكم الناس هذا فعل العبد وفعل العبد داخل في توحيد الإلهية، لهذا أدخل إمام الدعوة مباحث هذا النوع من التوحيد في كتاب التوحيد فعقد عدة أبواب في بيان هذه المسألة العظيمة المهمة ولهذا نقول أن إفراده بالذكر لا يصح لدخوله في توحيد الإلهية،لكن قد يقسم التوحيد عند طائفة من أهل العلم إلى أربعة أقسام ويجعلون الرابع توحيد المتابعة يعني متابعة النبي ﷺ وهم يقصدون بهذا التقسيم ما دلت عليه الشهادتان، فإذا قالوا توحيد الله جل وعلا جعلوه أربعة أقسام ثلاثة مختصة بالله جل وعلا والرابع هو توحيد المتابعة للنبي ﷺ لئلا يتبع في التشريع غير المصطفى عليه الصلاة والسلام.

الشريط الثاني . وجه (أ) ١٤١٧/١١/٢٠ هـ

المتن :

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق لله : إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء .

الشرح :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً

ودعاءً مسموعاً، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من العلم والعمل يا أرحم الراحمين، أما بعد:

فهذه الجمل الثلاث وهي قوله : (ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره) تفصيل لما يعتقده في توحيد الله جل وعلا، والتوحيد كما ذكرنا منقسم إلى الأقسام الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات، فذكر هذه الأقسام الثلاث في قوله : (ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره) ، فقوله : (ولا شيء مثله) راجع إلى توحيد الأسماء والصفات والأفعال ، وقوله : (ولا شيء يعجزه) راجع إلى أو مثبت لتوحيد الربوبية ، وقوله : (ولا إله غيره) مثبت لتوحيد العبادة والإلهية وقدم –رحمه الله تعالى– ما يدل على توحيد الأسماء والصفات بعد ذكر توحيد الإلهية في قوله : (إن الله واحد لا شريك له) ؛ لأن النزاع كائن في توحيد الإلهية وفي توحيد الأسماء والصفات، فمع أهل الشرك النزاع في توحيد الإلهية وهو الذي كان النزاع فيه ما بين الرسل وبين أقوامهم، ولهذا قدم ما يعتقده بقوله : (إن الله واحد لا شريك له) ؛ لأن هذا هو حقيقة النزاع بين الرسل وأقوامهم ثم قال ولا شيء مثله؛ لأن هذا هو حقيقة النزاع ما بين أهل السنة والجماعة وما بين مخالفهيم من المبتدعة على أصنافهم من المجسمة والمعطلة والنفاة وأشباه هؤلاء وأيضاً قرن بينهما؛ لأن البدع بريد الشرك، فإن ترك تنزيه الله جل وعلا عن مماثلة المخلوقين يؤدي إلى الشرك به جل وعلا.

ولهذا قال من قال من السلف: "المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً" فالتمثيل ثم اقتران بينه وبين الشرك؛ لأن الممثل اتخذ صورة جعلها على صفات معينة فصارت صنماً له، كما أن المشركين عبدوا الأصنام واتخذوها آلهة، وأما قوله : (ولا شيء يعجزه) فهو توحيد الربوبية كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً.

إذاً فترتيب المصنف الطحاوي –رحمه الله تعالى– لهذه الجمل الأربع ترتيب مناسب وهو متنقل بفهم في أمور الاعتقاد، وموقف أهل السنة والجماعة وأهل الإسلام من مخالفيهم والجملة الأولى في هذا اليوم (ولا شيء مثله) والكلام عليها يكون في مسائل:

المسألة الأول: أن قوله : (ولا شيء مثله) مأخوذ من قوله جل وعلا ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ ومن قوله جل وعلا ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ ومن قوله جل وعلا ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** ﴾ ومن قوله سبحانه ﴿ **فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ وأشباه هذه الأدلة التي تدل على أن الله سبحانه لا يماثله شيء من مخلوقاته.

المسألة الثانية: أن قوله (لا شيء مثله) راجع لنفي المماثلة وهذا هو الذي جاء في الكتاب والسنة أن ينفي عن الله جل وعلا أن يماثل أحداً أو شيئاً من خلقه وكذلك ينفي عن المخلوق أن يكون مماثلاً لله جل وعلا وإذا كان كذلك فالمماثلة أو التمثيل أو المثلية تُعرّف بأنها المساواة في الكيف والوصف، والمساواة في الكيفية راجعة إلى أن يكون اتصافه بالصفة من جهة الكيفية مماثل لا تصاف المخلوق كقولهم: "يد الله كأيدينا وسمعه كسمعنا وأشباه ذلك" وأما المماثلة في الصفات فهي أن يكون معنى الصفة بكماله التام في الخالق كما هو في المخلوق، إذا تقرر ذلك فإن اعتقاد المماثلة في الكيفية أو في الصفات على النحو الذي ذكرت هذا تمثيل يكفر صاحبه، ولهذا كَفَّرَ أهل السنة النصارى وكفَّر أهل السنة المجسمة؛ لأن النصارى شبهوا المخلوق بالخالق وشبهوا عيسى –عليه السلام– بالله جل وعلا، والمجسمة شبهوا الله جل وعلا ومثلوه بخلقه.

المسألة الثالثة: الفرق ما بين المماثلة والمثلية وبين التشبيه ولتقرير ذلك انتبه إلى أن الذي جاء نفيه في الكتاب والسنة إنما هو نفي المماثلة، أما

نفي المشابهة مشابهة الله بخلقه فإنها لم تنف في الكتاب والسنة؛ لأن المشابهة تحتمل أن تكون مشابهة تامة وتحتمل أن تكون مشابهة ناقصة، فإذا كان المراد المشابهة التامة فإنما هي التمثيل والمماثلة وذلك منفي لقوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ فإذاً... لفظ المشابهة ينقسم إلى موافق للمماثلة، الشبيه موافق للمثيل وللمثل وإلى غير موافق يعني قد يشترك معنى الشبيه والمثيل ويكون المعنى واحداً إذا أريد بالمشابهة المشابهة التامة في الكيفية وفي تمام معنى الصفة وأما إذا كان المراد المشابهة الناقصة وهي الاشتراك في أصل معنى الاتصاف فإن هذا ليس هو التمثيل المنفي، فلا ينفي هذا المعنى الثاني فلا يكون ثم مشابهة بمعنى أن يكون ثم اشتراك في أصل المعنى وإذا كان كذلك فإن لفظ الشبيه والمثيل بينهما فرق كما قررت لك، ولفظ المشابهة لفظ مجمل لا يُنفى ولا يثبت، وأهل السنة والجماعة إذا قالوا: "إن الله جل وعلا لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء يعنون بالمشابهة المماثلة. أما المشابهة التي هي الاشتراك في المعنى فنعلم قطعاً أن الله جل وعلا لم ينفها؛ لأنه سبحانه سمى نفسه بالملك وسمى بعض خلقه بالملك ﴿ **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ الملك الحق وسمى بعض خلقه بالملك ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ** ﴾ وأشباه ذلك من الآيات وسمى نفسه بالعزيز وسمى بعض خلقه بالعزيز وكذلك جعل نفسه سبحانه سميعاً وأخبرنا بصفة السمع له والبصر والقوة والقدرة والكلام والاستواء والرحمة والغضب والرضى وأشباه ذلك وأثبت هذه الأشياء للمخلوق للإنسان فيما يناسبه منها فدلّ على أن الاشتراك في اللفظ وفي بعض المعنى ليس هو التمثيل الممتنع؛ لأن كلام الله جل وعلا حق وبعضه يفسر بعضاً، فنفي المماثلة في الآية ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾، وأثبت اشتراكاً في الصفة وإذا قلت اشتراكاً ليس معنى ذلك أنها من الأسماء المشتركة في الصفات لكن أثبت اشتراكاً في الوصف يعني شركة فيه يعني أن الإنسان له

مُلك والله جل وعلا له الملك والإنسان له سمع والله جل وعلا له سمع والإنسان له سمع والله جل وعلا له سمع والإنسان له بصر والله جل وعلا له بصر وهذا الإثبات فيه قدر من المشابهة لكنها مشابهة في أصل المعنى وليست مشابهة في تمام المعنى ولا في الكيفية ، فتحصل من ذلك أن المشابهة ثلاثة أقسام:

الأول: مشابهة في الكيفية وهذا ممتنع.

الثاني: مشابهة في تمام الاتصاف ودلالة الألفاظ على المعنى بكمالها وهذا ممتنع .

والثالث: مشابهة في أصل معنى الصفة وهو مطلق المعنى وهذا ليس بمنفي .

ولهذا صار لفظ التمثيل ونفي التمثيل والمثلية صار شرعياً؛ لأنه واضح ودلالته غير مجملة وأما لفظ المشابهة فإن دلالته مجملة ولم يأت نفيه، ونحن نقول إن الله جل وعلا لا يماثله شيء ولا يشابهة شيء سبحانه وتعالى ونعني بقولنا لا يشابهه شيء معنى المماثلة في الكيفية أو المماثلة في تمام الاتصاف بالصفة وتمام دلالة اللفظ على تمام معناه.

المسألة الرابعة: على قوله (ولا شيء مثله) أن إثبات الصفات لله جل وعلا قاعدته مأخوذة من هذه الجملة (ولا شيء مثله) فإثبات الصفات مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ فنفى سبحانه وتعالى وأثبت وعند أهل السنة والجماعة أن النفي يكون مجملاً ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ (لا شيء مثله) وأن الإثبات يكون مفصلاً وهو السميع البصير وهذا بخلاف طريقة أهل البدع فإنهم يجعلون الإثبات مجملاً والنفي مفصلاً، فيقولون في صفة الله جل وعلا أن الله ليس بجسم ولا بشبح ولا بصورة ولا بذي أعضاء ولا بذي جوارح ولا فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن

شمال، ولا قدام ولا خلف وليس بذي دم ولا هو خارج عن العالم ولا هو داخل فيه إلى آخر تصنيفهم للمنفيات وإذا أتى الإثبات إنما أثبتوا مجملاً فصار نفيهم وإثباتهم على خلاف ما دلت عليه الآية ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ .

فطريقة أهل السنة أن النفي يكون مجملاً والإثبات مفصلاً على قوله سبحانه : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ والنفي المجمل فيه مدح والإثبات المفصل فيه مدح وهما النفي المجمل والإثبات المفصل من فروع معنى استحقاق الله جل وعلا للحمد والله تعالى أثبت أنه محمود ومسبح في سماواته وأرضه، كما قال سبحانه: ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ وكقوله: ﴿ **وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ وكقوله: ﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ** ﴾ وكقوله: ﴿ **يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي وَالأَرْضِ** ﴾ ونحو ذلك والجمع بين التسبيح والحمد هو جمع بين النفي والإثبات؛ لأن التسبيح نفي النقائص عن الله تعالى فجاء مجملاً والحمد إثبات الكمالات لله تعالى فجاء مفصلاً وإثبات الكمالات من فروع حمده سبحانه وتعالى، ولهذا صار محموداً جل وعلا على كل أسمائه وصفاته وعلى جميع ما يستحقه سبحانه وعلى أفعاله جل وعلا وتنزيهه سبحانه بالنفي يعني بالتسبيح أن يكون ثم مماثل له سبحانه وتعالى فمعنى سبحانه الله تنزيهاً لله تعالى عن أن يماثله شيء أو عن النقائص جميعاً، والحمد إثبات الكمالات بالتفصيل فإذن من نفي مجملاً وأثبت مفصلاً فإنه موافق لمقتضى التسبيح والحمد الذي قامت عليه السموات والأرض ومن نفى مفصلاً وأثبت مجملاً فقد نافى طريقة الحمد والتسبيح التي قامت عليه السماوات والأرض، بهذا صارت طريقة القرآن أن يكون النفي مجملاً والإثبات مفصلاً وطريقة أهل البدع بعكس ذلك.

المسألة الخامسة: أن قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ الذي هو دليل (ولا شيء مثله) قد اختلف فيه المفسرون في معنى الكاف في قوله : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ** ﴾ والكاف هنا على أي شيء تدل؟ على أقوال:

الأول: منها أن الكاف هذه بمعنى مثل فيكون معنى قوله ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾: ليس مثل مثله شيء مبالغة في النفي عن وجود مثل المثل، فكيف يوجد المثل فنفيه من باب أولى ومجيء الكافي بمعنى الاسم هذا موجود في القرآن ولغة العرب فأما مجيئه في القرآن كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾، فقوله أو أشد قسوة عطف الاسم على الكاف التي هي في قوله كالحجارة، فهي كالحجارة أو أشد ومعلوم أن الاسم إنما يعطف على الاسم، وقوله ﴿**كَالْحِجَارَةِ**﴾ أي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة، ومجيئه في اللغة ظاهر ومحفوظ كقول الشاعر:

لو كان في قلبي كقدر قُلامة حباً لغيرك ما أتتك رسائلي

قوله لو كان في قلبي كقدر قلامة، جعل شبه الجملة الجار والمجرور في قلبي مقدماً وجعل الاسم كقدر لكون الكاف بمعنى مثل أي لو كان في قلبي مثل قدر قلامة، وهذا التوجيه الأول لطائفة من المفسرين في أن الكاف هنا بمعنى المثل على ما ذكرنا، وهذا التوجيه لهم وجيهٌ وظاهرٌ في اللغة ومستقيم المعنى أيضاً في الآية .

الثاني: أن الكاف في قوله ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ هذه صلة وهي تسمى عند النحويين زائدة وزيادتها ليس زيادة في اللفظ وإنما هو زيادة لها ليكون المعنى زائداً وليست زائدة بمعنى أن وجودها وعدم وجودها واحد حاشا وكلا أن يكون في القرآن شيء من ذلك، وإنما تُزاد ليكون مبالغة في الدلالة على المعنى فقوله ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ تكون الكاف صلة والزيادة أو مجيء الصلة في مقام تكرار الجملة تأكيداً كما حرره ابن جني النحوي

المعروف في كتابه "الخصائص" حيث قال: "إن الصلة والزيادة تكون في الجمل لتأكيدها فتكون في مقام تكريرها مرتين أو أكثر" أو كما قال، فيكون معنى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾: ليس مثله شيء، ليس مثله شيء ليس مثله شيء، ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ وهذا تفهمه العرب في كلامها، وتأتي الزيادة بالصلة في مواضع كثيرة من القرآن كقول الله جل وعلا: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ يعني فبرحمة من الله لنت لهم فبرحمة من الله لنت لهم، يعني ليس من جهتك وإنما هو رحمة من الله سبحانه وتعالى وكقوله تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُم** ﴾ يعني فبنقضهم ميثاقهم لعناهم فبنقضهم ميثاقهم لعناهم، وكقوله لا أقسم بيوم القيامة في أحد وجهي التفسير، إذا تقرر لك ذلك فإن الوجه الأولى من هذين التفسيرين هو الوجه الثاني من كون الكاف صلة زائدة في مقام تكرير الجملة يعني أن النفي أُكد فتكون أبلغ من أن ينفى مثل المثل؛ لأنه قد يشكل في نفي مثل المثل أن يكون نفي المثلية الأُولى ليس مستقيماً دائماً أو ليس مفهوماً دائماً، أما الوجه الثاني فإنه واضح من جهة العربية وواضح من جهة العقيدة وواضح من جهة دلالته على تأكيد النفي الذي جاء في الآية، هذا خلاصة الكلام على قوله (ولا شيء مثله) .

ثم قال –رحمه الله تعالى– (ولا شيء يعجزه) ومعنى (ولا شيء يعجزه) يعني أنه سبحانه وتعالى لا شيء مما يصح أن يطلق عليه أنه شيء يعجزه جل وعلا ويكرهه ويثقله ولا يكون قادراً عليه، بل هو سبحانه الموصوف بكمال القدرة وكمال العلم وكمال القوة، ولذلك لا شيء يعجزه سبحانه وتعالى (ولا شيء يعجزه) فيها تقرير لتوحيد الربوبية كما ذكرنا آنفاً؛ لأن نفي العجز لأجل كمال القوة والقدرة والغنى وهذا راجع إلى أفراد توحيد الربوبية **<u>وفي الكلام على قوله (ولا شيء يعجزه) مسائل:</u>**

المسألة الأولى:

أن هذا منتزع من قول الله جل وعلا: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً** ﴾ فنفى سبحانه أن يكون ثم شيء يعجزه في السماوات وكذلك في الأرض، وعلل ذلك بكونه عليمًا قديراً، ونفى العجز في الآية جاء معللاً بكمال علمه وقدرته وذلك لأن العجز في الجملة إما أن يرجع إلى عدم العلم فلعدم علمه بالأمر عجز عنه وإما أن يرجع إلى عدم القدرة فعلم، ولكن لا يقدر على إنفاذ ما علم أو ما يريد، وإما أن يرجع إليهما معاً ولذلك لما قال ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ** ﴾ علله بقوله: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً** ﴾ ومن المتقرر في علم الأصول في مسالك العلة من أبواب القياس أن التعليل في القرآن والسنة يُستفاد من جهات ومنها مجيء إنّ بعد الخبر أو بعد الأمر والنهي، وهنا لما أخبر الله تعالى عن نفسه بعدم العجز وعلل ذلك بكونه سبحانه عليماً قديراً علمنا أن سبب عدم العجز هو كمال علمه سبحانه وكمال قدرته.

المسألة الثانية:

أن هذه الجملة نأخذ منها قاعدة قعدها أئمة أهل السنة والجماعة هي أن النفي إذا كان في الكتاب والسنة فإنه لا يراد به حقيقة النفي وإنما يراد به كمال ضده، يعني أن كل نفي نُفي عن الله جل وعلا أن كل نفي أضيف لله جل وعلا فنفي عنه سبحانه ما لا يليق به سبحانه فإن المقصود منه إثبات كمال الضد؛ لأن النفي المحض ليس بكمال فقد ينفي عن الشيء الاتصاف بالصفة؛ لأنه ليس بأهل لها فيقال فلان ليس بعالم؛ لأنه ليس أهلاً لأن يتصف بذلك، ويقال فلان ليس بظالم؛ لأنه ليس بقادر أصلاً كما قال الشاعر في وصف قوم يذمهم:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

لأنهم لا يستطيعون أصلاً أن يظلموا أو أن يعتدوا لعجزهم عن ذلك؛ لأن العرب كانت تفتخر بأن من لم يظلم يُظلم كقول الشاعر وهو زهير:

ومن لا يظلم الناس يُظلم

فتقرر أن النفي المحض ليس بكمال ولذلك نقرر قاعدة: "أن النفي في الكتاب والسنة إنما هولإثبات كمال الضد" وأخذنا ذلك من قوله جل وعلا في هذه الآية : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً** ﴾ فصار نفي العجز عنه سبحانه وتعالى فيه إثبات كمال علمه وقدرته وهذا خذه مطرداً، في مثل قوله جل وعلا: ﴿ **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** ﴾ لكمال حياته وكمال قيوميته سبحانه ﴿ **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾ فيه إثبات لكمال قدرته جل وعلا وكمال قوته، ﴿ **وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾ لكمال عدله تعالى، وقوله: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ وذلك لكمال اتصافه بصفاته تعالى، وقوله ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾ لكمال استغنائه سبحانه، ففي كل نفي جاء في الكتاب والسنة نأخذ إثبات الصفة التي هي بضد ذلك النفي، ولهذا تُثبت بعض الصفات وتثبت بعض الأسماء عند طائفة من أهل العلم بألفاظ لم ترد صراحة وأخذوها من النفي الذي جاء في الكتاب والسنة.

المسألة الثالثة:

أن قوله (ولا شيء يعجزه) من أفراد توحيد الربوبية والتمثيل عن العام ببعض أفراده في التوحيد صحيح؛ لأن دلالة الخاص على العام مؤكدة واضحة لا يمكن أن تخرج دلالة الخاص عن الأمر الكلي العام ولهذا يجيء الإثبات مفصلاً كما ذكرنا لأجل أن الإثبات العام لله جل وعلا في جميع الصفات حق فيثبت في كل موضع بحسبه فمن مثّل في موضع ببعض إفراد الربوبية فإن

تمثيله لذلك حق وإن لم يمثل بجميع إفراد الربوبية، بخلاف الأسماء والصفات فإن الأسماء والصفات تمثل عليها بأنواعها أهل السنة إذا ذكروا الأسماء والصفات تمثيلاً في هذا المقام فإنهم يذكرون تلك الأسماء والصفات والأفعال التي تدل على أنواع الصفات فيذكرون مثالاً للصفات الذاتية ومثالاً للصفات الاختيارية، ومثالاً للصفات الفعلية حتى يكون ذلك عاماً لا يشترك أهل السنة مع أهل البدع في التعبير فإذا أتى مثلاً في إثبات الصفات لا يقولون إننا نثبت صفات الرب جل وعلا كالحياة والقدرة والعلم والسمع والبصر والإرادة والكلام ويسكتون؛ لأن هذه السبع هي التي أثبتها الكلابية والأشاعرة وطائفة ولا يقولون نثبت الحياة والكلام لله والسمع والبصر ويسكتون، لكن يذكرون هذا وهذا، فإذا ذكروا هذه السبع يقولون أيضاً معها فهو سبحانه سميع بصير أو موصوف بالسمع والبصر والقدرة والكلام والإرادة والحياة والاستواء والنزول والرحمة والغضب والرضى والوجه واليدان .. إلى آخره ، فيجمعون في ذكر الصفات ما جرى عليه الاتفاق وما لم يجر عليه الاتفاق، يعني بينهم وبين أهل البدع تمييزاً لقول أهل السنة عن غيرهم، وأما في الربوبية لأجل أنه لم يجر فيها الخلاف فإنه يسوغ أن يمثل لها ببعض أفرادها.

المسألة الرابعة:

على قوله (ولا شيء يعجزه) أن العجز هنا كما في الآية جاء نفيه متعلقاً بالأشياء ودلالة الآية على النفي أبلغ وأعظم من قول المصنف (ولا شيء يعجزه)؛ لأنه جاء في الآية زيادة (من) التي تنقل العموم من ظهوره إلى النصية فيه قال سبحانه ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ** ﴾ قوله ﴿ **مِن شَيْءٍ** ﴾ لو قال: "ليعجزه شيء" لصح النفي وصار ظاهراً في العموم وأما لما قال "من شيء" جاءت زيادة "من" هذه" تنقل العموم المستفاد من مجيء النكرة في سياق النفي من ظهوره إلى النصية فيه ومعنى

الظهور في العموم أنه قد يتخلف بعض الأفراد على سبيل الندرة وأما النصية في العموم فإنه لا يتخلف عن العموم شيء فلما نفى بمجيء النكرة في سياق النفي وجاء بزيادة (من) التي دلت على انتقال هذه النكرة المنفية من ظهورها في العموم إلى كونها نصاً صريحاً في العموم. إذا تقرر هذا فالمنفي أن يعجزه سبحانه وتعالى: هو الأشياء والأشياء جمع شيء والشيء الذي جاء في الآية ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ** ﴾ وفي قوله هنا (ولا شيء يعجزه) وكذلك قبله في قوله (ولا شيء مثله) تعريف شيء عندنا أنه ما يصح أن يُعلم أو يؤول إلى العلم سواء كان من الأعيان والذوات، أو كان من الصفات والأحوال فكلمة شيء في النصوص تُفسّر عند المحققين من أهل السنة بأنها ما يصح أن يُعلم أو يؤول إلى العلم، قولنا يصح أن يُعلم مماهو موجود أمامك أو يؤول إلى العلم لعدم وجوده ذاتاً ولكنه موجود في القدر كقول الله جل وعلا ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً** ﴾ فقد كان شيئاً ولكن لا يذكره الناس؛ لأنهم لم يروه ولكنه شيء يعلم في حق الله جل وعلا وسيئول إلى العلم في حق المخلوق والذكر، ولهذا في قوله (ولا شيء يعجزه) وقوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ** ﴾ راجع هنا إلى ما هو موجود وإلى ما ليس بموجود من الذوات والصفات والأحوال؛ لأنها إما أن تكون معلومة أو تكون آيلة إلى العلم – قال بعدها رحمه الله تعالى (ولا إله غيره) وهذا القول منتزع من قول الله جل وعلا ﴿**اعْبُدُواْ اللَّـهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ** ﴾ التي جاءت بها الرسل جميعاً جاء بها نوح وهود وصالح وجاءت بها الأنبياء والرسل جميعاً وهذا في المعنى كقوله جل وعلا ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّـهَ** ﴾ وكقوله تعالى ﴿ **أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ** ﴾ وكقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن**

قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ ﴾ وفي قول المصنف (ولا إله غيره) مسائل:

المسألة الأولى:

أن هذه الكلمة مطابقة لكلمة التوحيد لا إله إلا الله وكلمة التوحيد معناها لا إله غيره والإله في كلمة التوحيد وفي قول المصنف (ولا إله غيره) دخل عليه النفي فالمنفي جنس الآلهة التي تستحق العبادة والله جل وعلا ليس داخلاً في هذا النفي كما سيأتي بيانه في إعراب كلمة التوحيد، وكلمة إلا الله موافقة لغيره؛ لأن الغيرية ربما كانت غيرية في الذوات كقولك: ما دخل رجل غير زيد، فهنا ذات الرجال غير ذات زيد، أو في الصفات كقولهم جاءكم بوجه غير الذي ذهب به الوجه من حيث هو واحد لكن من حيث الصفة اختلف، فإذاً الغيرية قد ترجع إلى غيرية الذات وقد ترجع إلى غيرية الصفات، وفي النفي لا إله إلا الله هنا الإله المنفي هو جنس الآلهة التي تستحق العبادة (وإلا الله) ليس هذا مخرجاً من الآلهة؛ لأنه لم يدخل أصلاً فيها حتى يخرج منها؛ لأن النفي راجع إلى الآلهة الباطلة.

المسألة الثانية:

أن قوله (لا إله غيره) مشتمل على كلمة إله ، وكلمة إله اختلف الناس في تفسيرها، التفسير الأول لها أن الإله هو الرب وهو القادر على الاختراع أو هو المستغني عمّا سواه المفتقر إليه كل من عاداه، وهذا قول أهل الكلام في أن الإله هو الرب يعني هو الذي يقدر على الخلق والاختراع والإبداع وهو الذي يستغني عمن سواه وكل شيء يفتقر إليه كما ذكرنا عبارة صاحب السنوسية وعبارة أهل الكلام وقد اشتمل هذا التفسير على الافتراق العظيم في فهم معنى كلمة التوحيد، توحيد العبادة وفي فهم الصفات وفي تحديد أول واجب على العباد.

الشريط الثاني ـ وجه (ب) :

التفسير الثاني: هو أن الإله إله فعال بمعنى مفعول يعني مألوه سمي إله؛ لأنه مألوه والمألوه مفعول من المصدر وهو الإلهة وهي مصدر أله يأله إلهة وألوهة إذا عبد مع الحب والذل والرضى فإذاً صارت كلمة الإله هو المعبود والإلهة والإلهية هي العبودية إذ كانت مع المحبة والرضى فصار معنى الإله هو الذي يعبد مع المحبة والرضا والذل، وهذا التفسير هو الذي تقتضيه اللغة، وذلك لأن كلمة إله هذه لها اشتقاقها الراجع إلى الفعل أو الراجع إلى إلهة الذي جاء في قراءة ابن عباس في سورة الأعراف "**ويذرك وإلهتك**" يعني ويذرك وعبادتك وأما مجيئها في اللغة فهو كقول الشاعر كما ذكرت لكم مراراً:

لله در الغانيات المدَّه سبحن واسترجعن من تألُه

يعني من عبادة، فالإله هو المعبود ولا يصح أن يفسر الإله بمعنى الرب مطلقاً؛ لأن الخصومة وقعت بين الأنبياء وأقوامهم وبين المرسلين وأقوامهم في العبودية لا في الربوبية، فالمشركون أثبتوا آلهةً وعبدوها، كما قال جل وعلا ﴿ **وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ الِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً** ﴾ وكقوله ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً** ﴾ يعني أجعل المعبودات معبوداً واحداً، وهذا يدلك على أن النفي في قوله ولا إله غيره راجع إلى نفي العبادة، وهذا القول الثاني هو قول أهل السنة وأهل اللغة وأهل العلم من غير أهل البدع جميعاً، وهو المنعقد عليه الإجماع قبل خروج أهل البدع في تفسير معنى الإله وهذا هو معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله يعني لا معبود بحق إلا الله جل جلاله.

المسألة الثالثة:

راجعة إلى معنى كلمة التوحيد معناها لا معبود حقٌ إلا الله جل وعلا وكما هو معلوم أن خبر لا النافية للجنس محذوف لا إله ثم قال إلا الله وحذف الخبر شائع كثير في لغة العرب كقول النبي ﷺ ((لا عدوى لا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول)) فالخبر كله محذوف وخبر لا النافية للجنس يحذف كثيراً وبشيوع إذا كان معلوماً لدى السامع، كما قال ابن مالك في الألفية:

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر إذ المراد مع سقوطه ظهر

إذ المراد مع سقوطه ظهر فإذا ظهر المراد مع السقوط جاز الإسقاط

وسبب إسقاط كلمة حق لا إله حق إلا الله، أن المشركين لم ينازعوا في وجود إله مع الله جل وعلا وإنما نازعوا في أحقية الله جل وعلا بالعبادة دون غيره وأن غيره لا يستحق العبادة فالنزاع لما كان في الثاني دون الأول يعني لما كان في الاستحقاق دون الوجود، جاء هذا النفي بحذف الخبر؛ لأن المراد مع سقوطه ظاهر وهو نفي الأحقية، كما قال لا إله صار الخبر تقديره حق، كما قال تعالى ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ** ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ** ﴾ فلما قال سبحانه ذلك قرن بين أحقيته الله للعبادة وبطلان عبادة ما سواه دل على أن المراد بكلمة التوحيد هو نفي استحقاق العبادة بشيء لأحد غير الله جل وعلا فإذًا صار تقدير الخبر بكلمة حق صواباً من جهتين:

الأولى: أن النزاع بين المشركين وبين الرسل كان لاستحقاق العبادة لهذه الآلهة ولم يكن لوجود الآلهة.

الجهة الثانية: أن الآية بل الآيات دلت على بطلان عبادة غير الله وعلى أحقية الله جل وعلا للعبادة دون ما سواه .

إذا تقرر ذلك فإن الخبر مقدر بكلمة حق ولا نافية للجنس فنفت جنس استحقاق الآلهة للعبادة نفت جنس المعبودات الحقة فلا يوجد على الأرض ولا في السماء معبود عبده المشركون حق ولكن المعبود الحق هو جل وعلا وحده وهو الذي عبده أهل التوحيد، وتقدير الخبر بحق . كما ذكرنا لك . هو المتعين خلافاً لما عليه أهل الكلام المذموم حيث قدروا الخبر بموجود أو بشبه الجملة (في الوجود) لا إله في الوجود أو لا إله موجود وهذا فهم ليس من جهة الغلط النحوي ولكن من جهة عدم فهمهم لمعنى الإله؛ لأنهم فهموا من معنى الإله الرب فنفوا وجود رب مع الله جل وعلا وجعلوا آية الأنبياء دليلاً على ذلك وهو قوله ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا الِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ وكقوله في آية الإسراء ﴿ **قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً** ﴾ ففسروا آية الأنبياء وآية الإسراء بالأرباب بالرب ، ولكن هي في الآلهة كما هو ظاهر اللفظ فيهما، إذا تقرر ذلك فنقول أن عبادة غير الله جل وعلا إنما هي بالبغي والظلم والعدوان والتعدي لا بالأحقية.

المسألة الرابعة:

في إعراب كلمة التوحيد لا إله إلا الله، لا نافية للجنس وإله هو اسمها مبني على الفتح، ولا النافية للجنس مع اسمها في محل رفع المبتدأ وحق هو الخبر المحذوف والعامل فيه هو الابتداء أو العامل فيه لا النافية للجنس على اختلاف بين النحويين في العمل، وإلا الله، إلا أداة استثناء و (الله) مرفوع وهو بدل من الخبر لا من المبتدأ؛ لأنه لم يدخل في الآلهة حتى يُخرج منها؛ لأن المنفي هي الآلهة الباطلة فلا يدخلها فيها كما يقوله من لم يفهم حتى يكون بدلاً من اسم لا النافية للجنس بل هو بدل من الخبر وكون الخبر مرفوعاً والاسم هذا مرفوعاً يبين ذلك؛ لأن التابع مع المتبوع في الإعراب والنفي والإثبات واحد.

وهنا تنتبه إلى أن الخبر لما قُدر بحق صار المُثبت هو استحقاق الله جل وعلا للعبادة ومعلوم أن الإثبات بعد النفي أعظم دلالة في الإثبات من إثبات مجرد بلا نفي ولهذا صار قوله لا إله إلا الله، وقول : لا إله غير الله هذا أبلغ في الإثبات من قول : الله إله واحد ؛ لأن هذا قد ينفي التقسيم ولكن لا ينفي استحقاق غيره للعبادة، ولهذا صار قوله تعالى ﴿ **لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ جمعت بين النفي والإثبات، وهذا يسمى الحصر والقصر ففي الآية حصر وقصر وبعض أهل العلم يعبر عنها بالاستثناء المفرغ، وهذا ليس بجيد بل الصواب أن يقال هذا حصر وقصر فجاءت لا نافية وجاءت إلا مثبتة ليكون ثم حصر وقصر في استحقاق العبادة لله جل وعلا دون غيره وهذا عند علماء المعاني في البلاغة يفيد الحصر والقصر والتخصيص يعني أنه فيه لا في غيره. وهذا أعظم دلالة فيما اشتمل عليه النفي والإثبات، ومعنى كلمة التوحيد وتفصيل الكلام عليها ترجعون إليه في موضعه من كلام أئمة الدعوة –رحمهم الله تعالى–.

المسألة الخامسة: على قوله: **(ولا إله غيره)**.

أن هذه الكلمة فيها إثبات توحيد العبادة لله جل وعلا وتوحيد العبادة لله جل وعلا لا يستقيم إلا بشيئين . كما ذكرنا . بنفي وبإثبات فالنفي وحده لا يكون به المرء موحداً والإثبات وحده لا يكون به المرء موحداً حتى يجمع بين النفي والإثبات نفي استحقاق العبادة لأحد من الآلهة الباطلة وإثبات استحقاق العبادة الحقة لله جل وعلا وحده دون ما سواه، وهذا هو معنى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت فلا يستقيم توحيد أحد حتى يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ومن كان إيمانه صحيحاً كان كفره بالطاغوت صحيحاً وثم ملازمة ما بين هذا وهذا، وإثبات توحيد الإلهية على هذا المعنى بين النفي والإثبات يتضمن إثبات

توحيد الربوبية؛ لأن كل موحد لله في الإلهية موحد لله جل وعلا في الربوبية وكذلك مستلزم لإثبات صفات الكمال لله جل وعلا؛ لأنه لا يُعبد إلا من كان متصفاً بصفات الكمال. وهذا خلاصة ما يشتمل عليه قوله ولا إله غيره.

وبهذا القدر كفاية وأسأل الله جل وعلا لي ولكم النور في الدنيا وفي الآخرة والاهتداء التام والأمن التام أنه كريم جواد سميع الدعاء وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة :

سؤال: الكلام على مسألة التشبيه من حيث الكيفية والمعنى والأصل نرجوا توضيحها والتمثيل عليها؟

الجواب : هذه المسألة بسطها أهل السنة وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه وكذلك مذكورة في شروح الواسطية المطولة. التشبيه من حيث الكيفية هو التمثيل كقول المجسمة أن لله جسم كأجسامنا ويد كأيدينا وقدم كأقدامنا واستواء كاستوائنا في كيفية الاستواء مماثل لنا ومشابه لنا هذا تشبيه من حيث الكيفية، وتشبيه من حيث تمام المعنى بأن يقول معنى استواء الله هو معنى استوائنا تماماً المعنى في هذا هو هذا، هذا أيضاً تشبيه مذموم باطل ولكن المشابهة التي لا تنفي هي ما كان من جهة الاشتراك في أصل المعنى؛ لأن المعنى كما هو معلوم يوجد كلياً في الأذهان وأما في الخارج فيكون مختلفاً بحسب الإضافة والتخصيص فإذا كان المعنى الكلي هذا له جهتان جهة مطلق المعنى أي أصل درجات المعنى فهذا هو القدر

المشترك لكل من اتصف بالصفة، فمثلاً السمع البعوضة لها سمع، والذباب له سمع، والضأن له سمع، والنمل له سمع، والإنسان له سمع هؤلاء اشتركوا في أصل معنى السمع لكن يتفاوتون فيه بقدر ما عليه ، بقدر ما يناسب ذواتهم ، بقدر ما يناسب أبدانهم ، بقدر ما يناسب استعداداتهم التي جعلها الله جل وعلا لهم ، فسمع البعوض ليس هو كسمع الإنسان ، وسمع النمل ليس كسمع الإنسان ، ولكن أصل معنى السمع مشترك بين هذه المخلوقات ، فكذلك جنس المخلوقات التي لها سمع نثبت لها أصل السمع كما هي عليه ولكن سمع الله جل وعلا يناسب ذاته، فكما أن هناك قدر مشترك بين سمع النمل وسمع الإنسان في هذا المعنى معنى السمع والبصر فإن ما بين المخلوق وبين الله جل وعلا هو قدر مشترك في أصل المعنى، أما في تمام المعنى فكل له ما يناسبه ، فالله جل وعلا يناسب ذاته العلية الجليلة الاتصاف بالصفات الكاملة المطلقة ، الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص في وجه من الوجوه والمخلوق له ما يناسب ذاته من نقص. فهذا معنى الكيفية تمام المعنى أصل الاتصاف بالصفة ، فتمام المعنى كلي غير مضاف، والكيفية تمثيل فإذا قلت: السمع هو كالسمع صار هذا تمثيلاً وإذا قلت سمعه –جل وعلا– في كيفية الإنصاف هو ككيفية اتصاف المخلوق بالسمع والبصر صار هذا تكييفًا لأن السمع إدراك المسموعات أنت تدرك المسموعات بواسطة أُذن وطبلة إلى آخره، والله جل وعلا إدراكه للمسموعات ليس بكيفية إدراك المخلوق للمسموعات كذلك البصر عين الله جل وعلا ليست كعين المخلوق ، في الكيفية نثبت لله عيناً كما يليق بعظمته وجلاله لكن لا نقول عينه سبحانه كعين الإنسان ، فإثبات كمال المعنى يكون لله جل وعلا أما الكيفية التمثيل فيها هذا تجسيم وهذا من المكفرات؛ لأنه تمثيل للمخلوق في الكيفية ، فيها سواد وبياض ، أولها حدقة وشبكية .. إلى آخرها .

سؤال : ما رأيكم في كتاب المنحة الإلهية في شرح الطحاوي؟

الجواب : لم أر هذا الكتاب.

سؤال : قولك (المنفي جنس الآلهة التي تستحق العبادة)؟

الجواب : نقول معنى تستحق أي في ظن العابدين أو قوله (لا إله حق) فنفت كلمة التوحيد أحقية الآلهة بالعبادة أو نقول المنفي جنس استحقاق الآلهة بالعبادة.

الشريط الثالث ـ وجه (أ) ١٤١٧/١١/٢٧ هـ

المتن :

قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤونة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة.

الشرح :

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين... أما بعد:

أسأل الله لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح، اللهم اجعلنا من عبادك المتقين ونعوذ بك من الضلال بعد الهدى، ومن الكفر بعد الإيمان، ونسألك الثبات على الإيمان حتى الممات.

هذه الجمل من هذه العقيدة المختصرة عقيدة الإمام الطحاوي –رحمه الله– وأجزل له المثوبة اشتملت على جملة من صفات الله جل وعلا وهي ليست راجعة إلى ترتيب معين في ذكر صفات لله جل وعلا، أو ذكر قواعد في الصفات أو فيما يخالف فيه أهل السنة والجماعة غيرهم إلا في بعضها كما سيأتي، وهذا راجع كما ذكرنا لك من قبل إلى أنه لم يرتب هذه العقيدة على ترتيب موضوعي منهجي بحيث ينتقل من أنواع الإيمان إلى غيرها وبين أنواع أو أركان الإيمان... وهكذا، ولهذا نذكر البيان على كل جملة حسب ما اشتملت عليه وفي ذلك –إن شاء الله تعالى– فوائد .

قال رحمه الله: (قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء) أراد –رحمه الله– بذلك أن يبين أن الله جل وعلا منزه عما خلق فهو سبحانه خلق الزمان والزمان لا يحويه وكذلك خلق المكان والمكان لا يحويه سبحانه وتعالى، ذكر هنا أن الله جل وعلا سبق الزمان وأيضاً سيدوم بعد انتهاء الزمان بلا انتهاء وهذا المعنى الذي أراده عبّر عنه بتعبير المتكلمين في أبدية الزمان في الماضي وفي المستقبل وهذا خروج منهم عما جاء في النص من التعبير عن أبدية الزمان من الجهتين، وذلك أن أبدية الزمان يعني أن الله جل وعلا لا يوصف بأنه ابتدأ في زمان ولا أنه ينتهي في زمان؛ لأن الزمان محدود مخلوق وأن الله جل وعلا كان قبل خلقه وسيبقى سبحانه بلا انتهاء، هذا المعنى يعبر عنه المتكلمون ويعبر عنه أهل العقائد المختلفة بأنواع من التعبير منها هذا الذي ذكره الطحاوي، ومن المعلوم أن التعبير الذي جاء في الكتاب والسنة هو قول الحق جل وعلا ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾ وقوله سبحانه هو الأول والآخر هذا في المعنى الذي أراده الطحاوي وقد فسره النبي ﷺ في دعائه بقوله ((أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر

فليس بعدك شيء)) فليس قبل الرب جل وعلا زمان وليس بعده جل وعلا زمان كما أنه ليس قبله ولا بعده شيء من المخلوقات.

وهذان الاسمان (الأول والآخر) دلا على أنه سبحانه قديم كما ذكر بلا ابتداء وأنه دائم سبحانه بلا انتهاء، وما جاء في وصف الله جل وعلا في القرآن وفي سنة المصطفى ﷺ هو الأكمل بل هو الصحيح وأما ما ذكر من الوصف سيأتي ما فيه من المسائل المتعلقة بهذه الجملة.

فإذاً قوله : (قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء) من جهة المعنى ومن جهة الدليل عرفتها، والمتكلمون يعنون بكلمة قديم غير ما يعنى بها في اللغة فهم يعنون بالقديم: الذي تقدم على غيره والغيرية هنا مطلقة بلا تقييد فتشتمل كل ما هو غير الله جل وعلا يعني من جميع المخلوقات فيكون قولهم في وصف الله بأنه قديم، أو في أسماء الله بأنه سبحانه القديم يعنون به المتقدم على غيره مطلقاً، وهذا التقدم يشمل كل الأزمنة الماضية وزيادة، ولذلك احترز المصنف –رحمه الله– بقوله : (قديم بلا ابتداء؛ لأن كونه متقدماً على غيره قد يكون من جهة التقسيم العقلي أن له ابتداء سبحانه معروف وهذا مما لم يأذن الله جل وعلا لنا بعلمه، ولا تدركه أوهامنا ولا عقولنا ولا قلوبنا فلذلك قال (قديم بلا ابتداء) وهذا هو معنى اسم الله الأول الذي ليس قبله شيء فإذن تعبير المتكلمين عن الرب جل وعلا عن اسمه الأول بكونه قديم ، وأنه قديم هذا أرادوا به غير المعنى اللغوي ، وأما المعنى اللغوي فإن القديم هو الذي صار متقدماً على غيره وسيعقبه غيره وقد سبقه غيره كما قال جل وعلا ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ وكقوله تعالى ﴿ **وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ** ﴾ وأشباه ذلك، والقِدَم أو التقدم أو القَدم في اشتقاق هذه المادة في اللغة راجعة إلى ما تقدم على غيره، هذا في اللغة، ومعلوم أن اللغة موضوعة للأشياء المحسوسة التي رآها العرب أو عرفوها ولذلك دخل

في اسم القديم المخلوقات، وإذا كان كذلك فإن القديم لا يوصف الله جل وعلا به كما سيأتي في المسائل.

إذاً فكلمة: (قديم بلا ابتداء) لها معنى عند المتكلمين غير المعنى في اللغة ومعناها عندهم المتقدم على غيره ، وفي اللغة المعنى أخص: المتقدم أو ما كان متقدماً على غيره ، وتقدمه غيره هذا يجوز في اللغة وهم لم يريدوا هذا المعنى ولذلك جعلوا القديم من أسماء الله وجعلوا القدم صفة للحق جل وعلا، فقوله بلا ابتداء راجع إلى ما سمى بالأزلية، أزلية الرب جل وعلا ، وقوله: (دائم بلا انتهاء) راجع إلى أبديته جل وعلا ولفظ أزلية هذا مركب أو منحوت من لم يزل فلما أرادوا النسبة جعلوها للأزل يعني الزمان الماضي القديم جداً الذي لم يزل لا يعرف له بداية فيقال هم يعبرون أن الرب جل وعلا أزلي أو أن صفات الرب جل وعلا أزلية والتعبير عن هذه الأشياء بما جاء في الكتاب والسنة هو الحق فلا يعبر عن هذه الأشياء بما لم يرد في الكتاب والسنة؛ لأنه قد يشتمل على باطل والمرء لا يعلم ذلك حتى من جهة الاحتمالات العقلية أو الاحتمالات اللغوية.

المؤلف احترز فقال (قديم بلا ابتداء) وهذا فيه احتراز جعل الجملة حق في نفسها لكن فيها مخالفة وعبر عن الأبدية بقوله (دائم بلا انتهاء) إذا تبين لك ذلك فعندهم –أي المتكلمين– والأشاعرة وأشباه هؤلاء والمعتزلة حينما يطلقون القدم يريدون به قدم الذات وأما قدم الصفات، فهذا فيه تفصيل ولذلك قوله (قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء) يعنون به قدم الذات ودائم الذات أما الصفات فلهم فيها تفصيل، وكأن الطحاوي درج على ما درجوا عليه؛ لأنه عبر بتعبيرهم، إذا تقرر لك ذلك ففي قوله (قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء) مسائل:

المسألة الأولى:

في وصف الله بالقدم واسم القديم وهذا كما ذكرت من الأسماء التي سم الله بها المتكلمون ونصوص الكتاب والسنة ليس فيها هذا الاسم وأن إدراج اسم القديم في أسماء الله هذا غلط ولا يجوز ذلك لأمور:

أما الأمر الأول: أن القاعدة التي يجب اتباعها في الأسماء والصفات ألا يتجاوز فيها القرآن والحديث ، ولفظ أو اسم القديم أو الوصف بالقدم لم يأت في القرآن ولا في السنة فيكون في إثباته تعدٍ على النص.

والثاني: أن اسم القديم منقسم إلى ما يمدح به وإلى ما لا يمدح به فإن أسماء الله جل وعلا كلها أسماء مدح وهي أسماء حسنى واسم القديم لا يمتدح الله به؛ لأن الله وصف به العرجون، والقديم قد يكون صفة مدح، وقد يكون صفة ذم.

الثالث: أن اسم القديم لا يدعى الله جل وعلا به فلا يدعى الله جل وعلا بقول القائل: يا قديم اعطني ويا أيها القديم أو يا رب أسألك بأنك أنت القديم أن تعطيني كذا، والأسماء الحسنى يدعى الله جل وعلا بها وذلك لقوله ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ فالأسماء الحسنى يُدعى الله بها يعني تكون وسيلة لتحقيق مراد العبد، ولهذا لم يدخل الوجه في الأسماء ولم تدخل اليدان في الأسماء ولا أشباه ذلك؛ لأن هذه صفات وليست بأسماء والأسماء هي التي يدعى الله جل وعلا بها.

المسألة الثانية:

ما هي ضوابط كون الاسم من الأسماء الحسنة؟ يكون الاسم من الأسماء الحسنى إذا اجتمعت فيه ثلاثة شروط أو أمور:

الأول: أن يكون قد جاء في الكتاب والسنة يعني نُص عليه في الكتاب والسنة نص عليه بالاسم لا بالفعل ولا بالمصدر وسيأتي تفصيل لذلك.

الثاني: أن يكون مما يُدعى الله جل وعلا به.

الثالث: أن يكون متضمناً لمدح كامل مطلق غير مخصوص وهذا ينبني على فهم قاعدة أخرى من القواعد في منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات هي: أن باب الأسماء أضيق من باب الصفات وباب الصفات أضيق من باب الأفعال وباب الأفعال أضيق من باب الإخبار واعكس ذلك فتقول باب الإخبار عن الله جل وعلا أوسع من باب الأفعال وباب الأفعال أوسع من باب الصفات وباب الصفات أوسع من باب الأسماء الحسنى وهذه القاعدة نفهم منها أن الإخبار عن الله جل وعلا بأنه قديم بلا ابتداء لا بأس به؛ لأنه مشتمل عل معنى صحيح، فلما قال قديم بلا ابتداء انتفى المحذور وصار المعنى حقاً، ولكن من جهة الإخبار، أما من جهة وصف الله بالقدم فهذا أضيق؛ لأنه لابد فيه من دليل وكذلك باب الأسماء وتسمية الله بالقديم هذا أضيق فلابد له من اجتماع الشروط الثلاثة التي ذكرت لك، وهذه الشروط غير منطبقة على اسم القديم وعلى نظائره كالصانع والمتكلم والمريد وأشباه ذلك فإنها:

أولاً: لم ترد في النصوص فليس في النصوص اسم المتكلم ولا المريد ولا القديم ، أما الصانع فله بحث يأتي إن شاء الله.

والثاني: أن اسم القديم لا يُدعى الله به ولا يتوسل إلى الله به؛ لأنه في ذاته لا يحمل معنى متعلقاً بالعبد فيسأل الله جل وعلا به فلا يقول يا قديم اعطني؛ لأنه لا يتوسل إلى الله بهذا الاسم كما هي القاعدة في الآية ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ وثم فرق ما بين التوسل بالأسماء والتوسل بالصفات.

والثالث: أن يكون متضمناً مدحاً كاملاً مطلقاً غير مختص وهذا نعني به أن أسماء الله جل وعلا متضمنة للصفات الممدوحة على الإطلاق غير الممدوحة في حال والتي قد تذم في حال أو ممدوحة في حال وغير ممدوحة

في حال أو مسكوت عنها في حال وذلك يرجع إلى أن أسماء الله جل وعلا حسنى يعني أنها بالغة في الحسن نهايتها ومعلوم أن حسن الأسماء راجع إلى ما اشتملت عليه من المعنى والصفة التي في الأسماء الحسنى والمعنى الذي فيها لابد أن يكون دالاً على الكمال المطلق بلا تقييد وبلا تخصيص فمثل اسم القديم لا بدل على مدح كامل مطلق ولذلك لما أراد المصنف أن يجعل صفة القدم أو اسم القديم مدحاً قال: (قديم بلا ابتداء ودائم بلا انتهاء) لكن لفظ القديم قيده بكونه بلا ابتداء ، وهذا يدل على أن اسم القديم بحاجة إلى إضافة كلام حتى يُجعل حقاً وحسناً ووصفا مشتملاً على مدح حق، لهذا نقول أن هذه الأسماء التي تطلق على أنها من الأسماء الحسنى يجب أن تكون . كما قلنا . صفات مدح وكمال مطلقة غير مختصة، وأما ما كان مختص المدح فيه بحال دون حال فإنه لا يجوز أن يطلق في أسماء الله ولهذا مثال واضح أبين من ذلك مثل المريد والإرادة فإن الإرادة منقسمة إلى إرادة محمودة إرادة الخير إرادة المصلحة إرادة النفع إرادة موافقة للحكمة، القسم الآخر إرادة الشر إرادة الفساد إرادة ما لا يوافق الحكمة إلى آخره وهنا لا يسمى الله جل وعلا باسم المريد مع أن الله جل وعلا يريد سبحانه وتعالى ويطلق عليه الفعل وهو سبحانه وتعالى موصوف بالإرادة الكاملة ولكن اسم المريد لا يكون من أسمائه سبحانه وتعالى لما ذكرنا، وكذلك اسم الصانع لا يقال أنه من أسماء الله جل وعلا؛ لأن الصنع منقسم إلى ما هو موافق للحكمة وإلى ما ليس موافقاً للحكمة والله تعالى يصنع وله الصنع سبحانه كما قال تعالى ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ وهو سبحانه يصنع ما شاء كما جاء في الحديث ((إن الله صانعُ ما شاء)) سبحانه وتعالى ولكن لا يسمى الله جل وعلا باسم الصانع؛ لأن الصنع منقسم أيضاً اسم المتكلم: لا يقال أنه من أسماء الله جل وعلا؛ لأن الكلام الذي راجع إلى الأمر والنهي منقسم إلى أمر بما هو موافق

للحكمة أمر بمحمود ، وإلى أمر بغير ذلك ونهى عما فيه المصلحة ونهى عن ما فيه الضرر والله جل وعلا نهى عما فيه الضرر وأمر بما فيه الخير، ولذلك لم يسم الله جل وعلا بالمتكلم. هذه كلها أطلقها المتكلمون على الله جل وعلا فسموا الله تعالى بالقديم والمريد والصانع والمتكلم، إلى غير ذلك من الأسماء التي جعلوها لله جل وعلا . فإذا تبين لك ذلك فإن الأسماء الحسنى هي التي اجتمعت فيها هذه الشروط، واسم القديم لم تجتمع فيه هذه الشروط بل لم ينطبق عليه شرط من هذه الشروط الثلاثة، والمؤلف معذور في ذلك بعض العذر؛ لأنه قال قديم بلا ابتداء.

أما الخالق غير الصانع أولا الخالق جاء في النص والصانع لم يأت في النص، ومن جهة المعنى الصنع فيه كلفة فليس ممدوحاً عل كل حال والخلق إبداع وتقدير هذا ممدوح، والخلق منقسم إلى مراحل والصنع ليس كذلك والله الخالق البارئ المصور فالخلق يدخل من أول المراحل والصنع ليس كمالاً فممكن يصنع ما هو محمود وما هو مذموم يصنع بلا برء ولا إنفاذ، وقد يصنع شيئاً لا يوافق ما يريده ، ولهذا نجد أن اسم الخالق يشتمل على كمال ليس فيه نقص وأما اسم الصانع فإنه يطرأ عليه أشياء فيها نقص من جهة المعنى ومن جهة الإنفاذ ، ولذلك جاء من أسماء الله الخالق ولم يأت الصانع.

المسألة الثالثة:

قوله : (قديم، ودائم) كما ذكرنا عند أهل السنة يعبر عنه بالأول والآخر كما جاء في النص، والله سبحانه وتعالى أوليته عند أهل السنة في ذاته وفي صفاته وهو سبحانه لم يزل متصف بالصفات وهو أول بصفاته ولمن ينقطع اتصافه بالصفات سبحانه وتعالى من الجهة الأخرى يعني آخريته سبحانه آخرية ذات وصفات وأوليته سبحانه أولية ذات وصفات، فنقول علم الله سبحانه وتعالى أول ورحمة الله تعالى أولى وخلقه سبحانه أول يعني

اتصافه بهذه الصفات كذاته سبحانه فهو أول بذاته وصفاته، وهذا سيأتي له مزيد بيان عند قوله "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً. المقصود أن التعبير عن صفات الله جل وعلا بكونها أُولى وأن الله جل وعلا أول بذاته وصفاته هذا موافق للنص أما أن نقول الكلام القديم أو خلقه القديم أو حكمته القديمة وأشباه ذلك فإن هذا لم يرد وأيضاً يحتمل معنى غير صحيح.

الجملة الثانية قوله : (لا يفنى ولا يبيد) وكونه سبحانه لا يفنى ولا يبيد ذلك لكمال حياته وكمال قيوميته دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ ويدل عليها قوله ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ في أحد التفسيرين وقوله تعالى ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ الآية وذلك لكمال حياته وكمال قيوميته، وإذا انتفى الأدنى انتفى الأعلى من باب أولى، ولهذا قال (لا يفنى ولا يبيد) سبحانه وتعالى أراد المصنف بهذا القول شيئين الأول: أن هذا فيه مزيد لوصف الله جل وعلا بكمال الحياة وكمال القيومية لله جل وعلا وتفسير لقوله دائم بلا انتهاء، والثاني: أن بعض أهل البدع زعموا أن بعض صفات الله تعالى تفنى أو أن بعض آثار أسماء الله تعالى يبيد ونحن نطلق القول بأنه لا يفنى ولا يبيد – ﷻ– في ذاته وفي أسمائه وصفاته، ولا نقيد ذلك في الزمن المستقبل بشيء بل نقول هو على إطلاقه بأنه سبحانه آخر فليس بعده شيء وأنه لا يزال متصفاً بصفاته بمشيئته وقدرته جل وعلا ، فإذن قوله : (لا يفنى ولا يبيد) هذا لكمال ربوبيته سبحانه وكمال اتصافه بالصفات.

ثم قال : (ولا يكون إلا ما يريد) وهذه الجملة الأدلة عليها كثيرة من الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلِيماً حَكِيماً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ و ((ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)) والله تعالى يشاء الأشياء فتكون كما شاءها جل وعلا،ولا تخرج مشيئة العبد عن مشيئة الله جل وعلا للأشياء، وقوله : (ولا يكون إلا ما يريد) يريد به المشيئة يعني لا يكون إلا ما يشاؤه سبحانه فالإرادة هنا المعني بها الإرادة الكونية، وأراد بهذه الجملة الرد على القدرية الذين يزعمون أن الرب جل وعلا أراد طاعة المطيع وأراد إيمان المكلف ولكن المكلف أراد الكفر والمعصية فكان ما لم يرد الله جل وعلا ، وهذا قول الذين يقولون أن العبد يخلق فعل نفسه، وهذا قول المعتزلة وطوائف من القدرين يقولون أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله جل وعلا لا يخلق فعله فيحصل في الكون ما لا يريده جل وعلا؛ لأن الله سبحانه لا يريد الكفر ولا يريد الضلال ولا يريد المعصية وهذا القول باطل كما ذكرنا؛ لأن الإرادة المراد بها الإرادة الشرعية وهنا نخلص في هذه الجملة إلى مسائل:

المسألة الأولى:

أن المصنف أراد من قوله (ولا يكون إلا ما يريد) أراد بالإرادة هنا المشيئة وإرادة الله جل وعلا منقسمة إلى إرادة كونية يعني فيما يحصل في كون الله تعالى وإرادة شرعية، فالإرادة الكونية فكثيرة في النصوص وهي مرادفة للمشيئة فإذا قلنا شاء الله كذا يعني أراده كوناً أما المشيئة فلا تنقسم إلى مشيئة كونية وشرعية بل هو نوع واحد هي مشيئة في كونه، أما الشرع فيوصف بإرادة شرعية، وهذا يعني أن الإرادة الكونية التي هي المشيئة هي التي لا يخرج أحد عنها وقد يقع الشيء مأذوناً به من الله تعالى شاءه الله جل وعلا كوناً وقدراً ولكنه لم يرده شرعاً ولم يرده ديناً فتختلف الإرادتان إذا تعلقت بمعصية العاصي وكفر الكافر فمن جهة معصية العاصي وقعت بإرادة الله الكونية لكنها لم تقع بإرادة الله الشرعية فالله سبحانه قال ﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً**

لِّلْعِبَادِ ﴾ وقال تعالى ﴿ **يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ وفي المشيئة قال جل وعلا ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّـهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ** ﴾ وهذا راجع إلى علم الله جل وعلا فيهم بأنه سبحانه ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن سبحانه ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يعني في علم الله جل وعلا فيما لم يقع ولم يقع لو وقع ولو شاءه كيف يكون فإذن صارت مشيئة الله تعالى هي الإرادة والإرادة مرتبطة بالعلم وبالحكمة وهذا خلاف الإرادة الشرعية فإن الإرادة الشرعية مطلوبة من العبد، أمر الله بكذا ونهى عن كذا فصار المأمور به المنهي عنه مراداً له شرعاً، إذا تبين هذا فإذن قوله (ولا يكون إلا ما يريد) هذا راجع إلى الإرادة الكونية فقط، والذين لم يفرقوا بين الإرادتين وقع منهم الغلط في مسألة معصية العاصي وضلال الكافر فيما سيأتي بيانه –إن شاء الله– في موضعه من مباحث القدر.

المسألة الثانية:

أن قوله (ولا يكون إلا ما يريد) فيه تداخل ما بين إرادة الله جل وعلا وإرادة العبد فإرادة العبد هي مشيئته وهي خارجة عن رؤية الحكمة وأما إرادة الله جل وعلا الكونية فهي منظور فيها بالحكمة فالله سبحانه يريد ما يوافق الحكمة والعبد يريد ما لا يوافق الحكمة وقد يريد ما يوافق الحكمة، وإذا كان كذلك فإرادة الله جل وعلا بالعبد موافقة للحكمة سواء فيما يتعلق بالمعين أو فيما يتعلق بالمجموع وهذا يعني أن إرادة العبد فيما يريده خارجة عن مقتضى حكمة الله جل وعلا، إذا أراد شيئاً في نفسه له بخصوصه والله يريد من العبد ما يوافق حكمته، فقد تجتمع الإرادتان فيما فيه حكمة لله جل وعلا وقد تختلف الإرادتان فيما كان يريده العبد ولا يوافق حكمة الله جل وعلا وهذا يعني أن العبد قد يتجه بإرادته إلى شيء فيصرف عنه لعدم موافقته لحكمة الله جل

وعلا في نفسه يعني فيما يتعلق بالعبد أو فيما يتعلق بالمجموع والله جل وعلا قد يريد الشيء كوناً، ولا يكون إلا ما يريد لموافقته للحكمة في خصوص العبد في نفسه أو ظهور الحكمة في نفسه أو لظهور الحكمة في المجموع يعني في غيره، ولهذا نقول ما من شيء يريده الله جل وعلا في ملكوته إلا وهو موافق للحكمة والشر ليس إلى الله جل وعلا بل الله سبحانه لا يضاف إليه إلا الخير وأما العبد فقد يريد الشيء ويكون بالنسبة له شراً فيخرج من هذه الجهة عن كونه موافقاً للحكمة يعني حكمة العبد ومصلحته ولكنه بالنسبة لفعل الله جل وعلا وإرادته موافق للحكمة التي هي منظور فيها إلى المجموع، وهذا يعني أن إرادة الله جل وعلا في ملكه إنما تكون على وفق الحكمة وحكمة الله تعالى هي القاضية على هذه الأشياء جميعاً في الإرادات وهذا فيه رد على طوائف كثيرة من المبتدعة في مسائل القدر يأتي بيانها مفصلاً إن شاء الله في موضعها في تعريف الظلم والعدل في التحسين والتقبيح وفي أيضاً الإرادة الكونية والإرادة الشرعية وفي وقوع المعصية ووقوع الكفر وفي فعل العبد بنفسه، هذه مسائل كبيرة تحتاج إلى بيان وتفصيل في موضعها.

المقصود من ذلك أن قوله (ولا يكون إلا ما يريد) أن ما يريده موافق لمقتضى الحكمة المطلقة سواء وافقت العبد المعين أو وافقت المجموع فالله سبحانه الشر ليس إليه كما وصفه النبي ﷺ في الدعاء ((والشر ليس إليك)) وفعله سبحانه خير محض وقد يأذن بالشر المضاف إلى العبد ولا يكون شراً بالنسبة لإرادته سبحانه والله لا يريد ظلماً للعباد ولا شراً للعباد وإنما العباد أرادوا ذلك لأنفسهم وإذا وقع ذلك فإنما يقع بالإضافة إلى فعل العباد وليس مضافاً إلى الله سبحانه؛ لأن فعله سبحانه خير محض.

الشريط الثالث . وجه (ب) :

قال في الجملة بعدها : (لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام) هذا يرد به على المجسمة والمعطلة جميعاً، لا تبلغه الأوهام يعني أن تفكير المفكر ونظره بخياله لا يمكن أن يبلغ بخياله وفكره وصف الله جل وعلا ولا كُنْه وذاته سبحانه وتعالى فليست الأفهام موضوعة لإدراكه ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ سبحانه ولا تبلغه الأوهام والأفهام فمهما علت لا تدرك ذلك، ففيه رد على المجسمة الذين جعلوا لله جل وعلا جسماً كالأجسام، وفيه رد على المعطلة الذين جعلوا الله جل وعلا معطلاً عما وصف به نفسه؛ لأنهم شبهوا أولاً ثم عطلوا ثانياً، فقام بقلوبهم في صفات الله أنها على صفة شيء معين فمنعوا ذلك فدخلوا بأوهامهم وأفهامهم في تحديد كنه الاتصاف بالصفة ثم عطلوا ونفوا ثانياً وفيه رد على غلاة المتصوفة وهي الطائفة الثالثة الذين زعموا أن العبد بالرياضة قد يبلغ إلى مرتبة يرى فيها الرب جل وعلا وأنه يمكن إذا فنى عن المحسوسات أن يدرك بوهمه غير المحسوسات يعني الغيبيات وهذا هو الذي يسمونه الفناء بالدرجة العليا عندهم وهو أنه يفنى عن المخلوق ويبقى في رؤية الخالق جل وعلا. إذا تبين ذلك ففي قوله (لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام) مسائل:

المسألة الأولى: أن القاعدة العقلية المتفق عليها بين العقلاء والحكماء أن معرفة الإنسان إنما تنشأ شيئاً فشيئاً وهذا قد جاء في القرآن في قوله تعالى ﴿ **وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ فمعرفة الإنسان باتفاق العقلاء والحكماء واتفاق أهل الشرع أنها إنما تكون شيئاً فشيئاً وهذا هو الذي يسمى عند الفلاسفة نظرية المعرفة نظرية حصول المعارف وهي كما قلنا تنشأ شيئاً فشيئاً وهي مبنية على قسمين:

القسم الأول: أن هناك أشياء يدركها الإنسان بحواسه باللمس، البصر، الشم، الذوق، السماع وهذا نوع من المعارف يحصل للإنسان بحواسه وهذا أول ما يبدأ بها الصغير.

القسم الثاني: ما يحصل بعقله وإدراكه وهذا مبني على المقارنة، وهو مبني على الأول وهو أنه يقارن الأشياء مع ما أحسها فالمحسوسات التي أدركها بعينه وبشمه وبذوقه وبسمعه وبلمسه للأشياء هذه تسمى ضرورية؛ لأن وجودها لا يحتاج إلى برهان وغيرها مما يحصل به المعرفة إنما يكون منسوباً عنده لهذه الأشياء فيرى مثلاً هذا العمود بإحساسه ذا حجم ثم يرى عموداً آخر أصغر منه فيراه مختلفاً عنه في الطول فعقد المقارنة فقال هذا أصغر من هذا ثم عقد المقارنة فقال هذا أكبر من هذا، عقد المقارنة في الألوان فقال هذا أبيض وهذا أحمر وهذا أسود وهكذا عقد المقارنة فقال هذا بارد وهذا حار إلى آخره.

وهنا نتحصل منه على القاعدة المتفق عليها بين القائلين بنظرية المعرفة وهي صحيحة شرعاً على القدر الذي ذكرت لك بأنه لا يمكن للوهم وهم الإنسان ولا يمكن لفهمه أن يدرك شيئاً ولا أن يبلغه وهمه وفهمه إلا إذا رآه أو أحسه بأحد الحواس أو رأى ما يماثله ويشابهه فيقيس عليه أو رأى ما يقيسه عليه ولو لم يرى ما يماثله أو يشابهه إذا أمكنه القياس. فمثلاً نذكر صفة حيوان ما إذا قيل لك هناك حيوان اسم القلا أي اسم فأنت تتصور ولو لم تعرف حقيقته ما دام أنه حيوان يمكن أن تقيس وتستخرج بعض الصفات فإذا قلت إنه أكبر من الفيل ذهبت إلى شيء آخر إذا قلت إنه أصغر من الفيل بدأت تتحدد وتقرب عندك لأنك أدركت هذه الأشياء بما رأيت أو بما يمكنك أن تقيس عليه.

لهذا نقول لا يمكن لأحد أن يدرك شيئاً ولا أن يتحصل منه على معرفة يبلغها وهمه ويدركها فهمه إلا إذا رآه أو رأى مثيله وشبيهه أو رأى ما يقاس عليه المثيل والشبيه ، نقول مثلاً: أكلنا خبزاً في بلد كذا ما دام ذكرت الخبز نحن أكلنا الخبز هناك فيقول لك إن الخبزة طولها ثلاثة أمتار نأخذه ونقطعه فأنت تعرف أن الخبز دقيق أو بر إلى آخره فعرفت مثيله أو شبيهه فيمكن أن تدرك الآخر لرؤيتك لما يدخل معه في الشبه أو في المثلية، الله سبحانه وتعالى لم تدركه الحواس ولم يُر مثيل له أو شبيه له ولم يُر ما يمكن أن يقاس الحق عليه جل وعلا ولذلك دخول المعرفة وحصولها بالله جل وعلا لا يمكن أن تكون بالأوهام أو بالأفهام أو بالأقيسة أو بما تراه ولهذا احتج الناس إلى بعثة الرسل تبين لهم صفة ربهم جل وعلا وصفة خالقهم؛ لأنه جل وعلا لم يرى ولم يُدرك مثله ولا يمكن أيضاً أن يقاس على شيء لذلك كان لابد من بعثة الرسل لبيان ذلك. إذن قول المصنف (لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام) من مسألتين كبيرتين ذكرتهما لك في هذه المسألة:

المسألة الثانية: أن الأوهام والأفهام هذه عبر عنها بقوله لا تبلغه الأوهام في الأوهام وفي الأفهام قال لا تدركه الأفهام، وهذا راجع إلى أن الوهم غير الفهم فالوهم راجع للخيال والفهم راجع للأقيسة والمقارنات، ولهذا الرب جل وعلا لا يمكن تخيله ولا يمكن أيضاً أن يُفكر فيه فيُدرك وهذا راجع إلى قوله تعالى ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ سبحانه وتعالى بمعنى أنه لا تحيط به الأبصار إذا رآه أهل الإيمان في الآخرة وفي الدنيا لا تدركه الأبصار أيضاً وهي الرؤى والعيون وكذلك الأبصار التي هي الأفهام والأوهام لا تدركه سبحانه فالفهم والوهم إذن منقطعان، لهذا قال بعض السلف ما خطر ببالك فالله جل وعلا بخلافه لم؟ لأنني ذكرت لك أنه لا يمكن أن يخطر ببالك ولا أن تتخيل إلا شيء مبني على نظرية المعرفة، وهذا مقطوع يقيناً ، إذاً

فصار الأمر أن إثبات الصفات لله تعالى بأنواعها مع قطع الطمع في بلوغ الوهم لها من جهة الكيفية والكنه وكذلك من جهة إدراك الأفهام لتمام معناها، فمن الجهتين كنه الصفة الكيفية وتمام المعنى هذا لا يمكن أن تدركه الأفهام ولا تبلغه الأوهام نقف عند هذا القدر وهذه الجملة في أولها مثل ما ذكرت لك راجعة إلى مسائل مختلفة لا ينتظمها زمام ويأتي بعد ذلك ذكر المسائل العقدية بتفصيلها إن شاء الله تعالى.

الأسئلة :

سؤال : على القاعدة التي ذكرتم بأن الاسم إذا كان منقسماً فإنه لا يطلق على الله فماذا يقال في اسم القابض الباسط، فإن هذين الاسمين منقسمين فالبسط بالخير وقد يكون بالشر، وكذلك القبض؟

الجواب : هذا سؤال جيد وجوابه راجع إلى معرفة أن الأسماء الحسنى منها ما لا يكون كمالاً إلا مع قرينه مثل الخافض الرافع، فالرافع لما اقترن بالخافض صار كمالاً ومثل الباسط والقابض قال تعالى ﴿ **وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** ﴾ فهو القابض الباسط سبحانه وتعالى ومثله الضار والنافع فثم من الأسماء الحسنى ما لا يكون دالاً على الكمال بمفرده ولا يسوغ التعبيد له مثل الضار هو من الأسماء الحسنى، ولكن لا نقول عبدالضار ولا نقول عبدالمميت فهو المحيي المميت؛ لأن هذه الأسماء تطلق على وجه الكمال وتكون حسنى مع قرينتها ولهذا تجد أنها ملازمة للقرين لهذا نقول: الباسط صار كمالاً بالقابض فلا يطلق منفرداً؛ لأن كماله باسم الله القابض، والقابض أيضاً هو كمال باسم الله الباسط لكنه لا يعبد له كما يعبد للباسط، ومثله النافع والضار، الضار كماله بالنافع والنافع كماله بالضار كذلك المحيي المميت، وهذا يأتينا عند قوله إن شاء الله مميت بلا مخافة.

سؤال : لماذا تقولون إن عقيدة أهل السنة والجماعة من عقيدة التابعين ونجد كثيراً من التابعين قد غلط في الأسماء والصفات ، فهل نقول عقيدة الصحابة ولا نقول عقيدة التابعين ؟

الجواب : أولاً من حيث الأدب في السؤال ما يناسب لطالب العلم أن يسأل فيقول لماذا تقولون ؛ لأن هذا فيه منافاة لأدب المتعلم مع المعلم ، هذه واحدة ، والثانية : إذا أراد بالتابعين الذين غلطوا في الأسماء والصفات من الذين أدركوا الصحابة فليس هؤلاء من التابعين للصحابة بإحسان، وقال تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ** ﴾ فكل من تبع فجاء تابع للصحابة يكون محموداً، ولهذا نقول عقيدة الصحابة والتابعين المراد بالتابعين الذين أثنى الله عليهم بأنهم اتبعوهم بإحسان أما الذين تبعوا الصحابة زماناً وخالفوهم عقيدة وابتدعوا في الأسماء والصفات أو في القدر أو في الإيمان كالخوارج والمرجئة والقدرية وأشباههم، هؤلاء لا يدخلون أصلاً في كلامهم ، فخير الناس قرن النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، والمراد من كان منهم على الحق وإن أراد السائل بعض الغلط المروي عن من تبع الصحابة بإحسان.

الصواب أنه لا يقال أنهم غلطوا في الأسماء والصفات وإنما حصل بعض العبارات التي ينازعون فيها؛ لأنهم اجتهدوا لكن لا يقال أنهم غلطوا في ذلك ولكن يقال لهم اجتهدوا فينسب إليهم اجتهادهم ، ما يعتبروا غلطوا ، ما في مسألة يقال غلطوا فيها في الصفات ولا في الأسماء ؛ لأن من غلط في هذا الأمر في أصل من أصول الأسماء والصفات فإنه لا يكون من التابعين بإحسان.

سؤال :ورد في الحديث وسلطانك القديم؟

الجواب : السلطان في هذا الحديث المقصود به الخلق يعني الملكوت أو يقصد به الصفة المتعلقة بذلك وهذا فيه بحث زيادة على ما ذكرت ولكن

هذه الكلمة لا تعني أن القديم من أسماء الله جل وعلا ولا من صفاته سبحانه وتعالى؛ لأنه وصف به سلطانه سبحانه، لأنه وصف به سلطانه سبحانه ((أعوذ بوجه الله الكريم وبسلطانه القديم)) سلطان الله القديم الذي هو صفة تدبيره سبحانه وتعالى ، وهذه ليست راجعة إلى الاسم القديم الذي يدل على الذات ؛ لأنه كما هو معلوم أن الأسماء تدل على الذات وتدل على الصفات.

سؤال : ما الفرق بين الصفات والأفعال في قولك باب الصفات أضيق من باب الأفعال؟

الجواب : يعني قد يكون هناك أفعال تضاف إلى الله جل وعلا ولا نشتق منها صفة نصف بها الرب جل وعلا فباب الأفعال أوسع من باب الصفات فليس كل فعل أطلق أو أضيف إلى الله جل وعلا ، من فعله يمكننا أن نشتق منه صفة كذلك ليس كل ما جاز أن يخبر به عن الله جل وعلا أن تجعله صفة أو اسماً له سبحانه كذلك ليس كل صفة يمكن أن نشتق منها اسم، مثل قوله تعالى ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ فالصنع هذا صفة لكن لا يجوز أن نشتق منها الصانع للشروط التي ذكرناها أن يكون جاء في الكتاب والسنة والثاني أن يجوز أن يُدعى الله بها، واسم صانع لا يدعى به الرب جل وعلا ، تقول : يا صانع اصنع بي كذا . والثالث أنه يشتمل على مدح كامل مطلق غير مختص، مثال للأفعال مثل: ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ و ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ جاء إضافة الأفعال هذه لله جل وعلا ، ما نقول إن الله يوصف بالمكر والاستهزاء وأشباه ذلك هذا غلط؛ لأن باب الأفعال كما ذكرنا أوسع من باب الصفات وباب الصفات أضيق؛ لأن المكر منقسم (يمكرون ويمكر الله) المكر الذي هو بحق الدال على الكمال والجبروت وهو المكر بمن مكر به سبحانه أو مكر بأوليائه أو دينه إلى مكر مذموم وهو ما كان على غير وجه الحق.

فإذا كان كذلك لا يُشتق منها اسم ، وكذلك الاستهزاء والملل فلا نقول من صفات الله الملل ، وكذلك ((إن الله لا يمل حتى تملوا)) أُطلق الفعل لكن لا نشتق منه صفة كذلك من الصفة إلى الاسم. وهذا فيه قواعد ذكرها ابن القيم –رحمه الله تعالى– في أول بدائع الفوائد.

سؤال : هل الفرد من أسماء الله؟

الجواب : ليس من أسماء الله ، وقد جاء في بعض الأحاديث : ((الواحد الأحد الفرد الصمد)) فابن القيم بنى عليها لكنه ليس من الأسماء الحسنى ، الواحد الأحد من الأسماء الحسنى والفرد الصمد من باب الإخبار نعم ، وأما الوصف فيقال يوصف بالانفراد .

سؤال : هل يوصف الله –جل وعلا– بالتردد؟

الجواب : لا يوصف الله –جل علا– بالتردد ؛ لأنه فعل منقسم يكون بحق ويكون نقص ، والله جل وعلا أضاف لنفسه هذا الفعل التردد فيكون معناه التردد بحق ، فلا يوصف بالتردد ، ومثل الاستهزاء لكن إذا قيد مثل ما جاء في النص فنعم .

سؤال : هل الحديث القدسي كلام الله؟

الجواب : الحديث القدسي تكلم الله به فأداه النبي ﷺ وحينما بلغ النبي ﷺ بلغ ما سمع قال الله كذا نصًا لكنه ليس كالقرآن من جهة أنه يتعبد بتلاوته أو أنه يجب حفظه أو أنه لا يجوز روايته بالمعنى نقول تجوز روايته بالمعنى، يعني صار حديثًا نقل كالحديث ولهذا سمي حديثًا إلهي قدسي؛ لأنه له حكم الحديث من جهة الرواية بالمعنى إذا ما وقع من اختلاف فيه راجع إلى الرواة أما النبي ﷺ فآداه كما سمعه لفظه من الله ومعناه من الله. النبي ﷺ يفرق بين ما جاءه من جبريل فيقول قال الله تعالى، وبين ما وقع في نفسه فقال إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى يستكمل رزقها وأجلها، فقال

الله تعالى: شيء ونفث في روعي سيء يعني أوحاه الله إليه إلهامًا فهذا يكون بالمعنى، لكن قال تعالى لا، والذين كتبوا في علوم القرآن عرفوا الحديث القدسي متأثرين بالأشعرية. بعض العلماء المعاصرين يصححون التعبير ولكن أنا عندي كما ذكرت لك .

الشريط الرابع . وجه (أ) ١٤١٧/١٢/٢٩هـ

المتن :

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مُؤْنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً، لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق.

الشرح:

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، اللهم نسألك العلم النافع والعمل الصالح والدعاء المسموع والقلب الخاشع، اللهم تقبل منا أعمالنا وثبتنا على ما يرضيك واجعلنا من عبادك المخلصين، أما بعد:

فهذه الجمل التي سمعنا من هذا المتن العظيم الذي هو متن العقيدة الطحاوية متصلة بما قبلها والكلام فيما تقدم كان عن وصف الله جل وعلا بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال، فقال -رحمه الله تعالى- في وصفه سبحانه وتعالى (لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام) وهذه كما ذكرنا لك فيما سلف عامة في جميع الصفات وأن صفات الحق جل وعلا لا تشبه صفات الأنام بالقيد الذي ذكرناه لك مفصلاً فيما سلف وبعدها ذكر جملة مما يفارق به وصف الله جل وعلا صفة المخلوق، فقال بعد قوله ولا يشبه الأنام (حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة) وهذه الصفات هي صفات وأسماء للحق جل وعلا فإن صفة الحياة ثابتة له جل وعلا وكذلك صفة القيومية وصفة الخلق والرزق والإماتة والبعث له سبحانه وهو سبحانه المحيي والحي وهو القيوم جل وعلا كما قال سبحانه ﴿ **اللَّـهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَـوْمٌ** ﴾ وكما قال ﴿ **الـم * اللَّـهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ** ﴾ وكذلك صفة الخلق وصفة الرزق وغير ذلك من الصفات، فالأسماء أسماء الله جل وعلا مشتملة على صفات، وصفات الحق جل وعلا مباينة لصفات المخلوق من جهات:

الجهة الأولى: أن الرب جل وعلا يتصف بالصفة على وجه الكمال والمخلوق يتصف بالصفة على وجه النقص.

والوجهة الثانية: أن الرب جل وعلا صفاته متلازمة؛ لأنه سبحانه له الكمال المطلق وله الصفات العلا الكاملة من كل وجه وأما المخلوق فصفاته غير متلازمة بل قد يكون فيه جملة من صفات النقص ويكون ثم فيه بعض الصفات التي هي كمال في حقه وإن كانت في الجملة لا يتصف بها إلا لنقص فيه.

الوجه الثالث: أن اتصاف المخلوق بالصفات وإن كان في أصل المعنى مشتركة مع صفات الحق جل وعلا لكنه اتصف بها على وجه الحاجة إليها وأما الرب جل وعلا فهو متصف بصفاته لا على وجه الحاجة إلى آثار الأسماء والصفات فمثلاً المخلوق يقدر أو يقيم الأشياء لحاجته ويخلق ما يخلق لحاجته والله سبحانه وتعالى خالق بلا حاجة ويهب المخلوق ويرزقه لحاجته والله سبحانه وتعالى يهب ويرزق ويعطي وهو الغني جل وعلا ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ وهكذا في بقية الصفات فإذن اتصاف المخلوق بالصفات التي يشترك فيها من حيث أصل المعنى مع الرب جل وعلا هو اتصاف على سبيل النقص وهذا الاتصاف مع ضميمة ما ذكرنا لك فيما سلف لا يشبه فضلاً أن يماثل صفات الرب جل وعلا، لهذا فصّل الطحاوي –رحمه الله– بعد قوله (ولا يشبه الأنام) بعض صفات الحق جل وعلا التي يتصف بها وفارق بها صفة المخلوق الذي ربما اتصف بتلك الصفات فقال –رحمه الله– (ولا يشبه الأنام حي لا يموت قيوم لا ينام) وكونه جل وعلا حياً هذا دل عليه العقل ودل عليه السمع يعني دل عليه الكتاب والسنة وقبل ورود الكتاب والسنة فالعقل يدل على أن الله جل وعلا موجود لكثرة الدلائل وتواترها وتتابعها على وجود الحق جل وعلا وكونه سبحانه وتعالى موجوداً يدل باللازم الذي لا انفكاك منه على أنه حي سبحانه وتعالى وحياته جل وعلا تدل على أنه متصف بصفات كثيرة فإذن صار اسم الله الحي يدل عليه العقل قبل ورود السمع وكذلك اسم الله القيوم وصفة القيومية له جل وعلا هذه أيضاً يدل عليها العقل ويدل عليها السمع؛ لأنه سبحانه هو الذي أقام الأشياء فكونه هو الخالق للأشياء يدل عقلاً على أنه هو الذي أقامها وأن قيوميتها به جل وعلا. إذا كان كذلك فنقول هذان الاسمان "الحي القيوم" قد قيل فيهما وهو قول قوي وله حظ من الترجيح أنهما

اسما الرب جل وعلا الأعظمان فالاسم الأعظم الذي إذا دعي الله جل وعلا به أجاب وإذا سئل به أعطى كما جاء في الحديث هو في سورة البقرة وفي سورة آل عمران وفيهما قول الله جل وعلا ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ وهذا له معنى وذلك أن الحي والقيوم بلوازم اسم الحي وما يلزم من اسم القيوم يقتضي جميع الأسماء التي هي من إفراد الربوبية والصفات التي هي من أفراد الربوبية ولهذا علق إعطاء السائل سؤله بهذين الاسمين الأعظمين؛ لأن إجابة السؤال وإجابة السؤال وإعطاء الداعي ما دعى هذا متعلق بربوبية الله جل وعلا فإذا انضم إليها إدانة العبد وإقراره بتوحيد الإلهية وأن الله جل وعلا لا إله إلا هو صار هذا الدعاء متضمناً لتوحيد الألوهية ولتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات، لهذا فإن اسم الحي واسم القيوم هما اسما الله الأعظمان اللذان إذا دعي بهما أجاب وإذا سئل بهما أعطى في قول قوي مرجح لأحد القولين في اسم الله الأعظم. إذا تبين لك ذلك ففي قوله حي لا يموت قيوم لا ينام مسائل:

المسألة الأولى:

أن صفة الحياة صفة مشتركة بين كل مخلوقات الله جل وعلا وكل حياة لها ما يناسبها حتى الجماد له حياة تناسبه حتى الشجر والحجر له حياة تناسبه وإنما سمي جماداً لأنه جامد في الظاهر ليس له حركة ظاهرة وإلا فإنه ليس بميت يعني لا حراك فيه ولا حياة وإنما هو ميت باعتبار عدم الحركة وجماد باعتبار عدم الحركة ولهذا فإن اشتراك المخلوقات مع الرب جل وعلا في هذا الاسم وفي صفة الحياة هذا اشتراك في أصل المعنى فكل له حياة تناسبه على حد القاعدة المعروفة وهي (أن الصفات بما يناسب الذوات) فإثبات الصفات هو إثبات وجود لله جل وعلا لا إثبات كيفية وصفات المخلوقات تناسب ذواتهم الضعيفة الوضعية الفقيرة، وهذا ظاهر أيضاً في

صفتي السمع والبصر كما قد قررناه لكم مراراً في قوله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ فإن صفة السمع وصفة البصر مشتركة بين أكثر الكائنات الحية وكذلك الحياة هي مشتركة بين جميع الكائنات الحية، منها ما حياته بالروح والنفس ومنها ما حياته بالنماء، ومنها ما حياته خاصة به كالصخور والتراب وأشباه ذلك، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يقول كما رواه مسلم في الصحيح ((إني لأعلم حجراً بمكة ما مررت عليه إلا سلم عليّ)) .

فإذن إثبات هذه الصفة واسم الحي لله جل وعلا يدل على نفي التعطيل بجميع أنواعه ويدل على إبطال التجسيم بجميع أنواعه ولهذا صار اسماً عظيماً مختصاً بالرب جل وعلا على وجه الكمال؛ لأن المخلوق يعرف أن حياته ناقصة قليلة يريد زيادتها فلا يستطيع، يريد أن يكون في وصفه بالحياة أكمل من وصف غيره فلا يستطيع فدل على ظهور نقصه في الصفة المشتركة بينه وبين جميع المخلوقات المقصود من هذا أن في إثبات صفة الحياة لله جل وعلا إبطال للتعطيل وإبطال للتجسيم على الوجه الذي ذكرته لك وهو ظاهر في قوله ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾.

المسألة الثانية:

أن الله جل وعلا قال ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَـوْمٌ** ﴾ وذلك لكمال حياته ولكمال قيوميته جل وعلا وقوله هنا (حي لا يموت، قيوم لا ينام) دلتا على القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة وهي أن وصف الرب جل وعلا بالنفي ليس مقصوداً لذاته وإنما هو لإثبات كمال ضد ما نفى ، لهذا سبحانه أثبت الكمال له ثم نفي ليدل على إثبات الكمالات له جل وعلا فلما قال ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ قال لا تأخذه سنة

ولا نوم ليدل على أن قول ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** ﴾ لكمال حياته ولكمال قيوميته فنفى لتأكيد الإثبات .

وهذه هي القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة فيما ينفى في القرآن وفي السنة عن الله جل وعلا إنما هو لإثبات كمال ضده من صفات الحق جل وعلا كما في قوله سبحانه ﴿ **وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾ لكمال عدله وكما في قوله سبحانه ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً** ﴾ لكمال علمه سبحانه وحفظه سبحانه وقيوميته وكقوله ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ وأشباه ذلك.

المسألة الثالثة:

أن اسم القيوم لله جل وعلا واسم الحي هذان الاسمان متعلقان بخلقه جل وعلا يعني أن لهما الأثر في خلقه سبحانه وكل حياة تراها في خلقه فهي من آثار حياته جل وعلا وكل صلاح أو فعل تراه في خلقه فهو من آثار قيوميته جل وعلا واسم القيوم مبالغة لإثبات كمال قيامه سبحانه وتعالى على الوجه المطلق بنفسه وبخلقه فلفظ القيوم، اسم القيوم يدل على أنه سبحانه كامل فيما يختاره سبحانه وتعالى لنفسه من الصفات التي تقوم بمشيئته واختياره وقدرته سبحانه وكذلك له الكمال فيما يقيم به خلقه جل وعلا وإذا تبين ذلك فإن قول المؤلف قيوم لا ينام راجع إلى الآية ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** ﴾ وذلك لكمال حياته ﴿ **وَلاَ نَوْمٌ** ﴾ وذلك لكمال قيوميته جل وعلا ففسر القيوم بأنه الذي لا ينام وهذا كما ذكرت لك ليس تفسيراً لمعنى القيوم فإن معنى القيوم أنه الذي قام بنفسه وأقام غيره فليس ثم شيء إلا والله جل وعلا مقيم له على وجه ما تقتضيه حكمة الرب جل وعلا، فإذا تبين ذلك فإن اسم القيوم لله جل وعلا واسم الحي له سبحانه وتعالى لهما أثر في إجابة السؤال . كما ذكرنا لك في أول الكلام . وهذا الأثر مرتبط بقاعدة كلية في ارتباط الإجابة بحسن السؤال ولهذا قال جل وعلا ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ**

يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ فدعوة الله بأسمائه يعني بما يناسب مقصودك من الأسماء وكل ذلك في حياتك فهو من آثار اسم القيوم؛ لأنك تحتاج ما تقيم به حياتك وكل ما تقيم به حياتك إنما هو من القيوم جل وعلا فإذا أقامك جل وعلا على شيء أو أقام لك شيئاً فإنه سبحانه القيوم الذي هو ﴿ **قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ سبحانه وتعالى، لهذا فإن فقه الدعاء مرتبط بفقه الأسماء والصفات فكلما كان العبد أعرف بأسماء الله وصفاته وآثارها في خلقه كلما كان أعرف وأعلم بسؤال الله بها وباستحضاره لمعنى ذلك وكان ذلك أرجى لقبول الدعاء وحصول المطلوب.

المسألة الرابعة:

أن اسم الحي واسم القيوم بلازمها تدل على بقية صفات الرب جل وعلا؛ لأن الحياة مستلزمة لكثير من الصفات والقيومية مستلزمة لكثير من الصفات لهذا قال طائفة من المحققين من أهل العلم في هذا الباب: إن الصفات التي أثبتها الأشاعرة أو أثبتها غيرهم من أهل البدع وزعموا إثباتها بالعقل أنهم قصروا في ذلك؛ لأن العقل بالتلازم واللزوم يثبت صفات كثيرة لله جل وعلا أكثر من السبعة التي أثبتوا طائفة منها بالعقل ، لهذا اسم الحي يستلزم صفات كثيرة واسم القيوم يستلزم صفات كثيرة وفي هذا ينبغي أن يُتأمل هذا الموضع من جهة أن حياة الرب جل وعلا واسم الرب جل وعلا الحي وقيومية الرب جل وعلا واسمه القيوم يستلزمان عقلاً عدداً كبيراً جداً من الصفات لله جل وعلا، وهذا موضع يحتج به على من يثبتون الصفات بالعقل؛ لأن حياته سبحانه ثابتة عقلاً عند الجميع، وكذلك قيوميته سبحانه ثابتة عقلاً عند الجميع.

قال بعدها: (خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة)، وكما قال فيما سبق (حي لا يموت) قال هنا خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة وخالق: اسم فاعل من

الخلق، فالخلق مصدر خلق الشيء يخلقه خلقاً، واسم الخالق لله جل وعلا هو على مقتضى اللغة يشمل مراتب:

المرتبة الأولى: فالتقدير، فإن الخلق في اللغة هو التقدير كما قال جل وعلا ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ تقدير الشيء على وفق علم المقَدِر وفي هذا قول الشاعر:

لأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

تفرى ما خلقت يعني تقطع ما قدرت من الأمر أو من الصناعة، وبعض القوم لعجزه يخلق يعني يقدر ثم لا يفري، وهذه المرتبة ثابتة لله جل وعلا فهو سبحانه المقدر للأشياء ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ خلق كل الأشياء فقدرها فخلقه كان مشتملاً على تقديرها شيئاً فشيئاً أو تقدير ما يصلح لها، لهذا تقديره سبحانه للأشياء بلا حاجة لهذا التقدير فإن المخلوق يقدر خشية ألا يصل إلى ما يريد، فإن تقديره للأشياء شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى نهايتها وحتى يكون ما يريد على وفق ما قدر أو على وفق ما يريده فيحتاج إلى التقدير ليتم الأمر، والله سبحانه حين قدر لا لحاجته لذلك بل هو سبحانه يجري الأشياء وخلقها على كن ، فتكون على وفق حكمته سبحانه بمشيئته الكونية، فيما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فكونه سبحانه قدر الأشياء لا لحاجة إلى التقدير، ولكن ليكون ذلك موافق لحكمته سبحانه ولله الحكمة البالغة، كما خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهو قادر أن يخلقها جل وعلا بمباشرة الأمر لها بكن فتكون مرة واحدة.

المرتبة الثانية: لصفة الخلق أو اسم الخالق هو تصوير الأشياء وتصوير الأشباء هو خلق لها؛ لأنها أعظم من التقدير العام فإذا صور الأشياء فقد خلقها كما قال سبحانه ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ وفي حديث ابن مسعود المتفق عليه قال ﷺ ((إن أحدكم يُجمع خلقه

في بطن أمه أربعين يوماً نطفة،ثم أربعين يوماً مضغة ثم أربعين يوماً علقة)) إلى آخره فجعل هذه المراتب داخلة في الخلق وهذا يدل مع دلالات كثيرة على أن التصوير خلق وحين صَوَّر لا لحاجته سبحانه للتصوير بأنه لم ينفذ أمره إلا إذا صور كما يفعل الإنسان فإنه يصور الشيء الذي يريده بمعنى يركب أعضاءه بأن يجعل هذا مع هذا؛ لأنه لن يتم إلا بهذا ولو لم يفعل هذه الخطوة لا تتم له الخطوة التي بعدها؛ لأنه بحاجة إلى ذلك فإذن التصوير عند المخلوق لحاجته إليه والله سبحانه وتعالى يخلق مصوراً لا لحاجته إليه فهذه داخلة في قول المؤلف –رحمه الله– (خالق بلا حاجة).

المرتبة الثالثة: البرء بريء ما صور وهو إنفاذه على آخر مراحله وجعله خلقاً سوياً يريده الرب جل وعلا ، ولهذا قال في آخر سورة الحشر ﴿ **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ**﴾ وهو سبحانه وتعالى حين خلق وبرء البرية وصورها وجعلها على هذا المنوال وعلى اختلافها، الإنسان، الملائكة، والحيوان على ظهر الأرض وبطن الأرض والماء وفي السماء إلى آخر ذلك ليس لحاجته لهم ولا لأنه يستكثر بهم بل لابتلائهم ولإقامة هذا الملكوت على العبودية إذن قول المؤلف –رحمه الله تعالى– (خالق بلا حاجة) هذا لكمال غناه وكمال حمده سبحانه كما قال جل وعلا ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ وكما قال –عليه السلام– في الحديث القدسي قال الله تعالى: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً...)) إلى أن قال : ((فإنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)) وقد قال الله جل وعلا ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ وكذلك قول المؤلف (رازق بلا مؤنة) فإن الله سبحانه يرزق بلا نفقة ينفقها تنقص مما عنده سبحانه وبلا تعب فهو سبحانه يرزق من يشاء بغير

حساب ﴿ **مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا** ﴾ وقال جل وعلا ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ وفي حديث أبي ذر المعروف قال: ((أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص مما في يمينه شيئاً)) وهذا لا شك أنه صفة الرب جل وعلا أما المخلوق فإنه إذا رزق فإنه يرزق بكلفة وتعب ويرزق لحاجته لمن يرزق ويرزق أيضاً بمؤنة تنقص وتزيد والله سبحانه له الملك الأعظم في ذلك فتبين أن قوله (رازق بلا مؤنة) يعني بلا كلفة وبلا مشقة أو بلا مؤْنة يأخذ منها فتحتاج إلى أن تمون بل هو سبحانه لا ينقص ما يعطي خلقه من ملكه شيئاً ولا يزيد فيه شيئاً بل هو الله سبحانه تعالى الرازق بلا مؤنة سبحانه وتعالى.

الأسئلة :

سؤال : هل يوصف المخلوق بأنه خالق للأشياء؟

الجواب : لا، خلق الأشياء مختص بالرب جل وعلا فهو سبحانه وتعالى الذي يخلق الأشياء أما من يوصف بكونه خالقاً فنعم لكن لا يوصف بكونه خالقاً للأشياء؛ لأن الأشياء لله جل وعلا، لكن يخلق ما يناسبه كما قال جل وعلا ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ ويعني بالخلق هنا التقدير أو التصوير أو ما يناسبه ولهذا قال ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري وغيره ((من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة)) فأثبت لهم خلقاً قال يخلق كخلقي ثم نفى عنهم خلقاً فقال فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة فدل على أن المخلوق يخلق أشياء بمعنى يقدرها أو يصورها أما برء الأشياء أو برء الأمور بمعنى إخراج الصور وجعل فيها حياة فهذا لله جل وعلا، أما تصنيع الجمادات فهذا نوع من الخلق؛ لأنه تقدير وتصوير.

سؤال : يستدل أهل التعطيل والتجسيم بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ على باطلهم وقد رد أهل السنة والجماعة عليهم في ورود الكاف

والمثل في الآية. فما هو وجه استدلال المعطلة والمجسمة وما هو الرد الصحيح من ردود أهل السنة في زيادة الكاف في الآية؟

الجواب : سبق أن ذكرناه مفصلاً في الدرس الماضي أو الذي قبله عند شرح قول المؤلف (ولا شيء مثله) المقصود أن استدلال المبتدعة بقوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ مصير منهم إلى أن المثلية هنا قد تكون ناقصة فيكون هناك مطلق التشابه نفياً وقد ذكرنا لكم أن المراد هنا المماثلة، والمماثلة منفية في كل حال والمشابهة في الكيفية أو في كمال المعنى يعني في المعنى المطلق أيضاً منفي، وأما المشابهة في مطلق المعنى وهو أصله الذي حصل به الاشتراك فإن هذا ليس منفياً؛ لأن هذا قد أثبته الرب جل وعلا.

سؤال : ما هو أفضل كتاب شرح أسماء الله الحسنة واعتنى بمعناها؟

الجواب : أحسن ما ألف في ذلك فيما أعلم كتاب النهج الأسمى لمحمد الحمود من طلبة العلم بالكويت وهو من أنفع ما كتب في ذلك ويليه ما فرقه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في كتبه من معاني الأسماء والصفات.

سؤال : هل الله سبحانه وتعالى محتاج لعبادة العباد، فإنه قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ فأخبر تعالى أنه لا يحتاج إلى أن يرزقوه ولا أن يطعموه ولكن أثبت العبادة؟

الجواب : ما أدري ما وجه السؤال ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ اللام هنا لام الحكمة وليست لأجل الحاجة.

سؤال : من صلى الصلاة وهو جنب حياءً مكتفياً بالتيمم فما حكم ذلك؟

الجواب : من صلى وهو جنب حياءً واكتفي بالتيمم فيجب عليه أن يعيد الصلوات جميعاً وأن يستغفر الله جل وعلا من كونه صلى صلاة من غير طهارة شرعية كاملة والله جل وعلا أحق أن يستحيا منه.

سؤال : هل يقال أن الصفات الذاتية راجعة إلى صفة الحياة وأن الصفات الفعلية راجعة إلى صفة القيومية؟

الجواب : لا يقال ذلك فإن صفة الرحمة ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار ولكنها راجعة إلى قيوميته سبحانه وتعالى فهو سبحانه أقام خلقه على الرحمة.

سؤال : كيف نعرف أن نفي صفة من صفات النقص يدل على الكمال المطلق؟

الجواب : أي نفي جاء في الكتاب والسنة نفى صفة عن الله جل وعلا فالمراد من هذا النفي إثبات كمال الضد؛ لأن النفي المجرد ليس مدحاً وليس كمالاً، نفي الصفة عن المتصف أو عمن يتصف بها أو عمن يقال أو تنسب إليه ، قد يكون لنقصه وعجزه لعدم علمه أو لعدم قدرته، فيقال مثلاً: فلان لا يسيء إلى أحد لأجل أنه ضعيف، حتى الكافر والمشرك المعاند لا يسيء إليه لضعفه، ويقال فلان مثلا ليس كثيراً الكلام قد يكون لعجزه عن الكلام بما ينفع ولهذا قال الشاعر في ذم قبيلة من القبائل قال:

قبيلة لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

لا يخفرون بذمة لعجزهم والعرب كانت تفتخر بالاعتداء وبالقوة فهو نفى عنهم صفة لأجل عجزهم عنها فقال ولا يظلمون الناس حبة خردل لعجزهم، ولهذا إذا نفى الرب جل وعلا عن نفسه صفة دل ذلك على كمال ضد هذه الصفة.

الشريط الرابع . وجه (ب) :

فمثلاً قوله تعالى ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ** ﴾ هذا نفي يدل على كمال حياته سبحانه وتعالى وليس لأرقة مثلاً أو لاهتمامه بخلقه أو عدم إرادة تركهم حتى لا يفسد الملك ونحو ذلك بل ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ** ﴾ لكمال حياته والنفي المحض ليس كمالا، كذلك ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً** ﴾ لكمال علمه وإحاطته ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾ لكمال غناه سبحانه وتعالى وهكذا.

سؤال : بودي لو شرحتم كتاب "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" للصابوني فهو أجمع من شرح متن الطحاوية لأنه حسب علمي لم يشرح؟

الجواب : أظن أن "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" شرحه بعض المشايخ وموجود مسجلاً وأما متن الطحاوية فهو مرجع والاهتمام به منهجياً أولى من الاهتمام بعقيدة السلف وأهل الحديث للصابوني؛ لأننا نمشي على منهجية في قراءة كتب العلم فالشرح يكون على كتاب له صلة بتقويم الطالب علمياً وشرح الطحاوية مقصود؛ لأنه يحتوي على مسائل لم تذكر في الواسطية ولمعة الاعتقاد ولا الحموية إضافة إلى ثم استدراكات عليه وهذا مما ينمي طالب العلم ومشايخنا –رحم الله الميت منهم وحفظ الحي– يعتنون بشرح الطحاوية لذلك قرر في جامعات المملكة.

سؤال : ما حكم تعريف الاسم المضاف إلى الله تعالى مثل "العبد اللطيف"؟

الجواب : هذا لا يجوز وقد نبهنا مراراً أنه لا يجوز كتابة مثل هذه "العبد اللطيف" ولا قراءتها على هذا الشكل أو العبدالعزيز أو العبدالكريم بهذا الشكل أن تكون العبد معرفة واللطيف معرفة؛ لأن هذا يجعل اسم الله جل وعلا مشتبهاً أن يكون نعتاً للعبد وهذا لا شك أنه يجب رده فتكتب آل منفصلة ثم عبداللطيف فتقرأ آل عبدالكريم، آل عبدالعزيز وهكذا وطلبة العلم ينبغي أن ينبهوا على ذلك وربما يجري تنبيه على الجهات الرسمية في هذا الأمر؛ لأن

هذا فيما يظهر لي أنه من المنكرات؛ لأن فيه امتهان لأسماء الله جل وعلا.
وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المتن :

رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك، لا يزال عليها أبدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

الشرح :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد:

فهذه تكملة وصلة لما تقدم الكلام عليه من بيان معان جمل هذه العقيدة النافعة، عقيدة العلامة أبي جعفر الطحاوي –رحمه الله تعالى– ووقفنا عند قوله (مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة) وهذا كالجمل التي قبله فيها إثبات كمال الرب جل وعلا وأنه في كمالاته وصفاته غير مماثل لخلقه بل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فذكر فيما تقدم جملة من صفات الرب جل وعلا وأنه في اتصافه بتلك الصفات لا يماثل المخلوق الذي إذا اتصف بصفة فهو لحاجته لمقتضى تلك الصفة ولضعفه ولافتقاره، والله جل جلاله متصف بصفات الكمال التي مرجعها إلى أنه سبحانه هو الغني الحميد، هو الغني غير محتاج لمقتضى صفاته وغير محتاج سبحانه لأثر تلك الصفة بل هو سبحانه وتعالى فيما يفعل، يفعل لحكمة لا لحاجة جل وعلا فخلقه سبحانه

وتعالى للخلق بلا حاجة ورزقه سبحانه وتعالى لهم لحاجتهم إليه لا لحاجته سبحانه وتعالى إليهم كما مر معنا على حد قول الله جل وعلا : ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ وجميع صفات الكمال ترجع إلى صفة الغنى وصفة الحمد له سبحانه، وإلى هذين الاسمين العظيمين، الغني والحميد سواء في ذلك صفات الجلال أو صفات الجمال صفات الربوبية أو الصفات التي ترجع إليها معاني العبودية للرب جل جلاله قال هنا (مميت بلا مخافة) يعني أنه سبحانه يميت من شاء أن يميته ويفقد من شاء أن يفقده الحياة لا لخوف من هذا الذي أفقده الحياة أن يعتدي على مقام الرب جل وعلا ولكن لحكمته سبحانه فهو الذي أحيا وأمات وهو الذي أفقر وأغنى سبحانه لحكمته البالغة العظيمة. فهو فيما يحيي لم يحيي لحاجة وفيما أمات ما أمات لمخافة بل هو سبحانه الذي يحيي ويميت لحكمة بالغة فقال هنا (مميت بلا مخافة) والمخلوق من البشر أو غير البشر يعتدي بالإماتة على من يخاف من شره وهذا دليل النقص في المخلوق؛ لأنه لما لم يكن دافعاً عن نفسه إلا بهذا الفعل صارت في المخلوق هذا من صفات النقص في أنه يميت لمخافة وهذا لا يدخل فيه معنى مشروعية الجهاد؛ لأن هذا لمعنى آخر لا يتعلق بالمخلوق بل يتعلق بحق الله جل وعلا وإقامة دينه وإعلاء كلمته فهذا معنى قوله (مميت بلا مخافة وأنه باعث بلا مشقة) باعث الخلق بعد موتهم سواء في ذلك بعث المكلفين أو بعث غير المكلفين بلا مشقة تلحقه سبحانه ﴿ **مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ وهذا لكمال صفات الرب جل وعلا، إذا تبين لك ذلك فإن في هذه الجملة من كلامه (مميت بلا مخافة) مسائل:

المسألة الأولى:

أن مميت اسم فاعل من أمات المتعدي والاسم للرب جل وعلا المميت هو سبحانه المحي المميت والمميت صفة كمال مع قرينتها المحيي، المميت اسم كمال مع قرينه المحيي فهو سبحانه الموصوف بكونه أحيا وأمات جل وعلا.

المسألة الثانية:

معنى مميت أي خلق الموت فيمن شاء سبحانه يعني جعل من شاء من خلقه ميتاً بعد أن كان حياً والموت عند جمهور أهل السنة ومن وافقهم من غيرهم مخلوق موجود وهو الذي يعبرون عنه بأن الموت صفة وجودية وذلك لقول الله جل وعلا ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ فجعل الموت مخلوقاً وتسلط عليه الخلق وهذا يدل على أنه موجود خلق الموت وخلقه يدل على أنه صفة وجودية وكذلك ما جاء في السنة من أحاديث كثيرة فيها أن الموت يؤتى به يوم القيامة على هيئة كبش فيذبح على قنطرة بين الجنة والنار فهذا يدل على أن الموت موجود وله صفة الوجود وهذا له أدلة أيضاً كثيرة تدل على ما ذكرنا من أن الموت ليس عدماً للحياة وإنما هو وجود لصفة ليست هي الحياة فالحياة وصف، صفة، وهو وجود لصفة أخرى، وهذه الصفة الأخرى هي الموت، هذا هو الذي قرره جمهور أهل السنة وقال غير أهل السنة من الفلاسفة وبعض من وافقهم من أهل السنة وهو قول أهل الكلام فيما ذكروه في كتبهم الخاصة بالكلام، قالوا: الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً وهذا التعريف تجده في كثير من كتب التفسير التي ينحو أصحابها منحى أهل الكلام حتى أن بعض المنتسبين لمنهج السلف ظن أن هذا التعريف يمشي فنقل بعض النقولات فيها هذا التعريف، وهذا هو تعريف أهل الكلام والفلاسفة يقولون الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً، ويجيبون عن الآية في قوله ﴿ **خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ** ﴾ بأن الخلق هنا

بمعنى التقدير فيكون عندهم معنى الآية "الذي قدر الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً" وهذا مصير منهم إلى أن الموت عدم محض وهذا خلاف الأدلة الكثيرة من القرآن والسنة التي تدل على أن الموت حياة أخرى ولهذا نقول لمن مات أنه في الحياة البرزخية وليس في عدم، فالحياة حياة الإنسان متعلقة بروحه ومتعلقة بجسده وحياة الجسد بحلول الروح فيه فإذا فارقت الروح الجسد صار الجسد عديم الحياة لذلك تنتثر أجزاؤه في التراب ويذهب وأما الروح وهي داخلة في جملة تسمية الإنسان إنساناً أما الروح فهي مخلوقة للبقاء لا للعدم لهذا إذا قيل مات يعني صار جسمه للعدم أو صار جسمه للفناء وأما روحه فهي للبقاء لكن لها حياة تخصها فهي للبقاء والجسد عند أهل السنة في القبر له تعلق بالروح فإن الحياة البرزخية للروح عند أهل السنة والجسد تبع لها، عكس الحياة الدنيا فإن الحياة للجسد والروح تبع لها فيألم الجسد فتألم الروح ويسعد الجسد فتسعد الروح إلى غير ذلك من التفصيل وأما بعد الحياة البرزخية يعني بعد الموت فإن الموت حالة صفة وجدت أدت إلى انفصال الروح عن البدن فصارت الروح بالموت لها حياة تخصها وصار البدن بالموت له صفة تخصه وبين هذا وهذا تعلق يدلك هذا على صحة ما اختاره أئمة أهل السنة بما دلتهم عليه ظاهر القرآن والأحاديث وأن الموت موجود وليس عدماً محضاً بل هو موجود له خصائصه والموت في الآية مخلوق، خلق الموت والحياة، وقولهم إن الموت والحياة هنا تسلط عليها الفعل خلق فيكون بمعنى التقدير نقول هذا غير مستقيم؛ لأنه علّل ذلك بعد بقوله ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ وحسن العمل إنما يكون بعد الوجود ولهذا قدم الموت على الحياة؛ لأن الموت يكون بعده الجزاء على حسن العمل ولما جاء في السنة من الأدلة.

المسألة الثالثة:

أن الموت متعلق يعني إماتة الرب جل وعلا للخلق متعلقة بكل شيء، كما قال سبحانه ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ فكل شيء كتب عليه الموت فلابد أن يموت كل شيء يعني مما حلته الحياة بالروح فلا بد أن يفنى، وهناك ما استثنى مما يموت وذلك في قوله جل وعلا ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ والاستثناء في قوله ﴿ **إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ** ﴾ اختلف فيه أهل العلم على عدة أقوال ترجعون إليها في التفسير ومنها أن يكون المستثنى أرواح الشهداء؛ لأن الشهداء أحياء بنص الآية ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ الآيات في آل عمران، وهذا هو أظهر الأقوال أن المستثنى أرواح الشهداء فيكون عموم قوله جل وعلا ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ على ظاهره في أنه سيهلك كل شيء إلا الرب جل وعلا وهذا قد جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ **فَادْعُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ * يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ لأن الرب جل وعلا إذا أمات الملائكة المقربين نادى ﴿ **لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ ثم قال ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ وهذا يدل على أن المخلوقات جميعاً ضعيفة محتاجة إلى ربها فكل من استحضر صفة الموت الذي سيحل به وبغيره من المخلوقات فإنه يظهر له عظم الرب جل وعلا الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا وأنه سبحانه وتعالى هو المحيي المميت وأنه هو الواحد الأحد الغنى الكامل في صفات جلاله ونعوت عظمته.

وأما قول الطحاوي: (باعث بلا مشقة) فيه صفة البعث لله جل وعلا وفي موضعه سيأتي إن شاء الله تعالى ذكر مسائل البعث والنشور بتفصيلاتها.

قال بعدها: (ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته) قوله ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه إلى آخره أراد به أنه جل وعلا لم يزل متصفاً بصفاته قبل أن يخلق الخلق فصفاته سبحانه ثابتة له قبل وجود المخلوقات المنظورة التي تراها الآن والتي لا تراها مما هو موجود ، قال (ما زال بصفاته قديماً)، هذا فيه بحث مر معكم في اسم القديم أو في وصف الله جل وعلا بالقدم وقوله (قبل خلقه) أراد به أنه سبحانه ما اتصف بالصفات هذه بعد أن خلق الخلق كما سيأتي في قوله (ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري)، ثم قال (لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته) تركيب هذه الجملة كالتالي: لم يزدد شيئاً جل وعلا من صفاته، لم يزدد شيئاً بكونهم يعني بوجودهم وإيجادهم وخلقهم لم يزدد شيئاً وهذا الشيء وصف بأنه لم يكن قبلهم من صفته يعني أن الرب جل وعلا ما ازداد شيئاً لم يكن عليه سبحانه قبل أن يخلقهم بل هو سبحانه بصفاته قبل أن يخلق الخلق وبعد أن خلق الخلق؛ لأنه لا يجوز أن يعطل الرب جل وعلا من صفاته؛ لأن تعطيل الرب جل وعلا من صفاته نقص والله سبحانه متنزه عن النقص بأنواعه وهذا الكلام منه مع ما بعده متصل ولذلك سنذكر ما يتعلق به من المسائل متتابعاً بعد بيان معنى هذه الجمل الآتية: قال: (وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا) يعني أن صفات الرب جل وعلا كما أنه لم يزل عليها فهو أول بصفاته فهو أيضاً جل وعلا آخر بصفاته سبحانه وتعالى فصفات الرب جل وعلا أبدية أزلية لا ينفك عنه الوصف في الماضي البعيد ولا في المستقبل بل هو سبحانه وتعالى

لم يزدد بخلقه شيئاً لا في جهة الأولية ولا في جهة الآخرية بل هو سبحانه وتعالى لم يزل بصفاته أولاً سبحانه وآخراً، قال (ليس بعد الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري) أراد بذلك أنه جل وعلا من أسمائه الخالق ومن صفاته الخلق قبل أن يخلق فلم يصل اسمه الخالق بعد أن خلق بل هو اسمه الخالق جل وعلا قبل أن يخلق، ولم يكن اسمه الباري بعد أن برأ الخليقة بل اسمه الباري قبل أن يبرأ الخليقة لهذا قال بعدها (له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق) فقبل أن يكون سبحانه خالقاً يعني قبل أن يكون ثم مخلوق هو خالق وقبل أن يكون ثم مربوب هو جل وعلا الرب سبحانه وتعالى، قال (وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم) فهو سبحانه وتعالى المحيي قبل أن يكون ثم مميت قبل أن يميت الموتى هو المحيي وكذلك هو المستحق لاسم الخالق قبل إنشائهم ذلك بأنه على كل شيء قدير هذه الجمل مترابطة للدلالة على ما ذكرته لك وهذا المعنى الذي دل عليه كلام الطحاوي يرتبط به مسائل مهمة جداً في هذا الموضوع وهذا الموضع مما يظهر منه أن الطحاوي –رحمه الله– خالف ما عليه أهل الحديث والأثر بهذه المسألة العظيمة وذلك أن أصول هذه المسألة قديمة في البحث بين الجهمية وبين المعتزلة وبين الكلابية والأشاعرة وبين الماتريدية وبين أهل الحديث والأثر والمذاهب فيها متعددة لهذا نقول ونبين ما في هذه الجمل من مباحث على مسائل إيضاحاً للمقام:

المسألة الأولى:

أن الناس اختلفوا في اتصاف الله جل وعلا بصفاته، هل متصف بها بعد ظهور آثارها؟ وأسماء الرب جل وعلا سمى بها بعد ظهور آثارها؟ أم قبل ذلك؟ على مذاهب:

المذهب الأول:

هو مذهب المعتزلة والجهمية ومن نحا نحوهم من أنه جل وعلا لم يصر له صفات ولا أسماء إلا بعد أن ظهرت آثارها فلما خلق صارت له صفة الخلق وصار من أسمائه الخالق وذلك على أصل عندهم وهو أن أسماء الله جل وعلا مخلوقة فلما خلق سمّاه الناس الخالق وخلق له اسم الخالق فعندهم أن الزمان لما ابتدأ فيه الخلق أو الرزق أو الإنشاء، صار بعده له اسم الخالق وقبل ذلك لم يكن له هذا الاسم ولم تكن له هذه الصفات فقبل أن يكون ثم سامع لكلامه فليس هو سبحانه متكلماً فلما خلق سامعاً لكلامه خلق كلاماً عند المعتزلة والجهمية فأسمعهم إياه فصار له اسم المتكلم أو صفة الكلام لما خلق من يسمع كلامه، كذلك صفة الرحمة على تأويلهم الذي يؤولونه أو أنواع النعم والمنعم والمحيي والمميت كل هذه لا تطلق على الله تعالى عندهم إلا بعد أن وجد الفعل منه على الأصل الذي ذكرته لكم أن الأسماء عندهم والصفات مخلوقة.

المذهب الثاني:

هو مذهب الأشاعرة والماتريدية ومذهب طوائف من أهل الكلام في أن الرب جل وعلا كان متصفاً بالصفات وله الأسماء ولكن لم تظهر آثار صفاته ولا آثار أسمائه بل كان زمناً طويلاً طويلاً معطلاً عن الأفعال جل وعلا له صفة الخلق وليس ثم ما يخلقه، له صفة الفعل ولم يفعل شيئاً له صفة الإرادة وأراد أشياء كونية مؤجلة غير منجزة وهكذا فمن أسمائه عند هؤلاء الخالق ولكنه لم يخلق ومن صفاته الكلام ولم يتكلم ومن صفاته الرحمة بمعنى إرادة الإنعام وليس ثم منعم عليه ومن أسمائه المحيي وليس ثم من أحيا ومن أسمائه البارئ وليس ثم من برأ وهكذا حتى أنشأ جل وعلا وخلق هذا الخلق المنظور الذي تراه من أرض وسماوات وما قص الله علينا في كتابه ثم بعد ذلك ظهرت آثار أسمائه وصفاته، فعندهم أن الأسماء والصفات متعلقة بهذا

العالم المنظور أو المعلوم دون غيره من العوالم التي سبقته، وقالوا هذا فراراً من قول الفلاسفة الذين زعموا أن هذا العالم قديم أو أن المخلوقات قديمة متناهية أو دائمة من جهة الأولية مع الرب جل وعلا.

المذهب الثالث:

هو مذهب أهل الحديث والأثر وأهل السنة أعني عامة أهل السنة وهو أن الرب جل وعلا أول بصفاته وأنه كان من جهة الأولية بصفاته كما عبَّر الماتن هنا (كان بصفاته) وأن صفات الرب لابد أن تظهر آثارها؛ لأنه فعال لما يريد والله له صفات الكمال كمال مطلق، ومن أنواع الكمال المطلق أن يكون ما أراد سبحانه وتعالى فما أراده كوناً لابد أن يكون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن مذهب أهل السنة والأثر والحديث أنه سبحانه يجوز أن يكون خلق أنواعاً من المخلوقات وأنواعاً من العوالم غير هذا العالم الذي نراه فجنس مخلوقات الله جل وعلا أعم من أن تكون هذه المخلوقات الموجودة الآن، فلا بد أن يكون ثم مخلوقات أوجدها الله جل وعلا وأفناها ظهرت فيها آثار أسماء الله جل وعلا فإن أسماء الرب وصفاته جل وعلا لابد أن يكون لها أثرها؛ لأنه سبحانه فعال لما يريد فما أراده سبحانه فعله ووصف نفسه بهذه الصفة على صيغة المبالغة الدالة على الكمال بقوله ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ فما أراده سبحانه كان وهذا متسلسل كما سيأتي بيانه في الزمن الأول يعني في الأولية وفي الآخرية فهو سبحانه كما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدياً وهذا منهم أي من أهل الحديث والأثر والسنة لأجل إثبات الكمال للرب جل وعلا، وقول المعتزلة والجهمية فيه تعطيل الرب جل وعلا عن أسمائه وصفاته يعني أن الله تعالى كان بلا أسماء وبلا صفات وأنه لما فعل وجدت صفاته جل وعلا وهذا نسبة النقص للرب جل وعلا؛ لأن الصفات هي عنوان الكمال والله سبحانه وتعالى كمالاته بصفاته، وأما قول الأشاعرة والماتريدية

ومن نحا نحوهم فهذا أيضاً فيه وصف الرب جل وعلا بالنقص؛ لأن أولئك يزعمون أنه متصف ولا أثر للصفة ومعلوم أن هذا العالم المنظور الذي تعلقت به عندهم الأسماء والصفات هذا العالم إنما وجد قريباً فوجوده قريب وإن كانت مدته أو عمره طويل لكنه بالنسبة إلى الزمن بعامة الزمن المطلق لا شك أنه قريب لهذا قال ﷺ ((إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)) جل وعلا فالتقدير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وهي مدة محدودة والله جل وعلا لا يحده زمان فهو الأول ليس قبله شيء جل وعلا وفي هذا إقراره؛ لأنه من جهة الأولية يتناهى الزمان في إدراك المخلوق وننتقل من الزمان المنسوب إلى الزمان المطلق وهذا تتقاصر عقولنا عنه وعن إدراكه وأما هذا العالم المنظور فإنه محدث وحدوثه قريب ولهذا نقول إن قول الأشاعرة والماتريدية أن الله تعالى كان متصفاً بصفات وله الأسماء ولكن لم تظهر آثارها ولم يفعل شيئاً إلا بعد أن أوجد هذا العالم، يكون معناه أن ثم زمان مطلقاً طويلاً طويلاً جداً ولم يكن الله جل وعلا فاعلاً ولم يكن لصفاته أثر ولا لأسمائه أثر في المربوبات ولا بد أن الله جل وعلا له سبحانه وتعالى من يعبده جل وعلا من خلقه ولابد أن يكون له مخلوقات؛ لأنه سبحانه فعال لما يريد وهذه صفة مبالغة مطلقة في الزمن كله؛ لأن ما اسم موصول وأسماء الموصول تعم ما كان في حيز صلتها بقي أن يقال أن قولهم أراد، ولكن إرادته سبحانه معلقة غير منجزة فنقول هذا تحكم لأن هذا مما لا دليل عليه إلا الفرار من قول الفلاسفة ومن نحى نحوهم بقدم هذا العالم المنظور وهذا الإلزام لا يلزم أهل الحديث والأثر لأننا نقول إن العوالم التي سبقت هذا العالم كثيرة متعددة لا نعلمها، الله جل وعلا يعلمها، هذا ما قيل أنه يسمى بقدم جنس المخلوقات أو ما يسمى بالقدم النوعي للمخلوقات وهذه من المسائل الكبار

التي نكتفي في تقريرها بما أوردنا ذكره في هذا المقام المختصر. المهم أن يتقرر في ذهنك أن مذهب أهل الحديث والأثر في هذه المسألة لأجل إثبات كمال الرب جل وعلا، وإن في غير هذا المذهب تنقص للرب جل وعلا لكونه معطلاً عن صفاته أو لكونه سبحانه وتعالى معطلاً أن يفعل وأن تظهر آثار أسمائه وصفاته قبل خلق هذا العالم المنظور المعلوم.

المسألة الثانية:

أن الطحاوي رحمه الله كأنه يميل إلى المذهب الثاني وهو مذهب الماتريدية وهذا من أغلاط هذه العقيدة التي خالف فيها مؤلفها منهج أهل الحديث والأثر هذا ظاهر كلامه كما اعترف به الشارح ومن شرح هذه العقيدة من الماتريدية قرروا أن هذا الكلام موافق لكلام أبي منصور الماتريدي والأشعري ومن في نحوهم.

المسألة الثالثة:

متصلة بهذا البحث وهذا البحث من أصعب المباحث التي ستعرض لك في شرحنا لهذه العقيدة لكن نعرضها بشي من الوضوح والاختصار وهو ما يسمى بمسألة التسلسل والتسلسل معناه أنه لا يكون شيء إلا وقبله شيء ترتب عليه وأنه لا يكون شيء إلا وبعده شيء ترتب عليه، والتسلسل على اعتباران الجهة الأولى المعتبرة في بحث التسلسل هي صفات الرب جل وعلا وللناس في التسلسل المتعلق بصفات الرب جل وعلا مذاهب.

المذهب الأول: من قال إن الرب جل وعلا يمتنع تسلسل صفاته في الماضي ويمتنع تسلسل صفاته في المستقبل، فلابد من أمد يكون قد ابتدأت صفاته، ولابد أيضاً من زمن تنتهي إليه صفاته وهذا هو قول الجهمية والعياذ بالله وقول طائفة من المعتزلة كأبي هذيل العلاف وجماعة.

المـذهب الثـاني: هـو أن التسلسـل فـي الماضـي ممتنـع والتسلسـل فـي المستقبل لا يمتنـع يعنـي أن الاتصـاف بالصـفات لابـد أن يكـون لـه زمـن ابتدأ فيـه وهذا الـزمن قريـب من خلـق هذا العـالم، وفـي المستقبل هنـاك تسلسـل فـي الصـفات يعنـي عـدم انقطـاع للصـفات وهـذا هـو قـول أهـل الكـلام والأشـاعرة والماتريدية.

الشريط الخامس . وجه (ب) ١٤١٧/١٢/٢٦هـ

المذهب الثالث: هو مذهب أهل السنة والحديث وهو أن التسلسل ثابت فـي الماضـي وثابـت فـي المسـتقبل، وثبوتـه فـي الماضـي غيـر متعلـق بخلـق تتسلسـل فـيهم الصـفات أو تظهـر فـيهم آثـار الصـفات بـل تتنـوع التعلقـات باختلاف العوالم، وفـي المستقبل يعنـي فـي الآخرة هو جل وعلا آخر بصفاته سبحانه وتعالى فهناك تسلسل من جهة المستقبل.

المـذهب الرابـع: مقتضـى القسـمة أن يكـون ثـم قسـم رابـع وهـو أنـه لا تسلسل فـي المستقبل وهناك تسلسل فـي الماضـي، وهذا مقتضـى البر والتقسيم فـي القسـمة وهذا لا قائـل بـه من المذاهب المعروفـة، يعنـي لا يعرف أن أحداً قال بهذا القسم .

إذا تبين لـك ذلـك فهذه المسـألة مسـألة التسلسـل بحثـت أولاً قبـل بحـث المسألة الأولى التي ذكرناها لكم من جهة مذاهب الناس في الصفات وتعلقها بالخلق الثلاثة مذاهب التي ذكرناها فلما بحث التسلسل نتج منه البحث الأول لذلك إذا أردت أن تفهم جهة التسلسل تفهم أثرها الذي ذكرته لك الأول؛ لأن كلاً من هاتين المسألتين مرتبط بالمسألة الأخرى **الجهـة الثانيـة من الاعتبـار تسلسل المخلوقات** وللناس فيه مذهبان فيما أعلم:

الأول: التسلسل في الماضي وهذا ممتنع عند عامة الناس إلا الفلاسفة الذين قالوا أنه لا عالم إلا هذا العالم، وأن هذا العالم لم يزل فـي الماضـي وأنـه

ما من علة فيه إلا وهي مؤثرة لمعلول فيه أيضاً وأن هذا العالم ترتب التسلسل فيه الآخر عن الأول، والثاني عما قبله وليس ثم غيره، نقول إن هذا من هذه الجهة عامة الناس عدا الفلاسفة على ما ذكرنا يعني اتفق عليها المعتزلة وأهل السنة على أن التسلسل، تسلسل المخلوقات في الماضي أنه ممتنع إلا قول الفلاسفة، والفلاسفة كما هو معلوم من قالوا بهذا القول خارجون عن الملة؛ لأنهم يرون قدم هذا العالم مطلقاً وأن المؤثر فيه الأفلاك بعلل مختلفة يبحثونها.

المذهب الثاني: وفي المستقبل التسلسل في المخلوقات غير ممتنع عند الجمهور إلا في خلاف جاء عن بعض المعتزلة في أن تسلسل الحركات والمخلوقات في المستقبل أيضاً ممتنع وأنهم لا بد أن يصير إلى عدم أو إلى عدم تأثير أما عدم محض أو عدم تأثير.

الجهة الثالث في الاعتبار في التسلسل هي تسلسل الأثر والمؤثر والسبب والمسبب والعلة والمعلول هذا لابد من النظر فيه وأيضاً نقول: أشهر المذاهب فيه اثنان:

المذهب الأول: مذهب نفاه التعليل والعلل والأسباب الذين يقولون لا أثر لعلة في معلولها ولا أثر لسبب في مسبب وإنما يفعل الله جل وعلا عند وجود العلة لا لكونها علة وهذا هو مذهب نفاة التعليل، تقوله الأشاعرة والقدرية وابن حزم وجماعات.

المذهب الثاني: أن الأسباب تنتج مسبباتها ويتسلسل ذلك وإن العلة تنتج معلولاً ويتسلسل ذلك يعني جوازاً ولكن ذلك كله بخلق الله جل وعلا له وأن التسلسل في الآثار ناتجاً عن المؤثرات ليس لذاتها بل لسنة الله جل وعلا التي أجراها في خلقه ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾.

المسألة الرابعة:

قوله: (وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً) وهذا القول قوله –وكما كان بصفاته– هذا حق لأن أهل السنة يعبرون عن الله جل وعلا بأنه سبحانه وتعالى بصفاته يعبرون بالباء المقتضية للمصاحبة لأن الله جل وعلا لم تنفك عنه صفاته، وكما كان بصفاته سبحانه وتعالى فلم يكن سبحانه وتعالى ولا صفة بل كان بصفاته والباء هنا للمصاحبة يعني أنه سبحانه وتعالى أزلياً بصفاته التي هو جل وعلا موصوف بها والمعتزلة وأشباههم يعبرون في مثل هذه المسائل عن الصفات بالواو فيقولون الله وصفته الله وعلمه الله وقدرته، الله وحلمه الله ورحمته الله وقهره وهكذا ويعبرون بالواو؛ لأن الصفة عندهم منفكة عن الموصوف وغير ملازمة للموصوف وليست قائمة به، لهذا بحث الشارح عندك مسألة هل الصفات غير الذات؟ وهل الاسم هو عين المسمى؟ ونحو ذلك عرض لها بما تستفيده من بحثه؛ لأنه نوع من الاستطراد لكن ننبهك إلى أن قوله كان بصفاته هو الاستعمال الذي يستعمله أهل السنة ولا نقول الله جل وعلا وقدرته أو نقول الله جل وعلا وعلمه فاستعمال الواو بهذا المقام لا يسوغ بل نستعمل الباء فتقول الله جل وعلا بعلمه الله سبحانه وتعالى بقدرته؛ لأن الباء تدل على المصاحبة؛ لأن هذه الصفات قائمة بذات الرب جل وعلا، قوله: (أزلياً) مر معنا في البحث وأنه منحوت من كلمة لم يزل.

المسألة الخامسة:

قوله في آخر الكلام (ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) هذا تعليل لما مر ذلك بأنه على كل شيء قدير، على إحياء الموتى وعلى إفنائهم وعلى رَزْق الناس رزق المخلوقات وجميع ذلك، وقوله: (ذلك بأنه

على كل شيء قدير) تتعلق به المسألة الخامسة هذه وهي أن أهل السنة يجعلون قدرة الرب جل وعلا متعلقة بكل شيء واسم الله القدير متعلق بكل شيء وقدرة الله جل وعلا غير محصورة بل هو سبحانه قادر على ما شاء وعلى ما لم يشأ جل وعلا وهو مذهب أهل الحديث والسنة وبه جاء القرآن العظيم، فكل ما جاء في القرآن هو تعلق القدرة بكل شيء ﴿ **وَاللَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذلِكَ قَدِيراً** ﴾ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ أهل البدع وأهل الكلام يعلقون القدرة بما يشاؤه الله جل وعلا فيقولون تعلق قدرة الرب جل وعلا بما يشاء ولذلك يعدلون ما جاء في القرآن من قول الله تعالى ﴿ **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ إلى والله على ما يشاء قدير؛ لأن القدرة عندهم متعلقة بما شاء الله وليست متعلقة بما لم يشأه فعندهم قدرة الله متعلقة بما شاء أن يحصل أما ما لم يشأ أن يحصل فلا تتعلق به القدرة فإذا قيل هل الله قادر على ألا يوجد إبليس؟ فيقولون لا غير قادر هل الله قادر على ألا توجد السماوات؟ يقولون لا غير قادر؛ لأن القدرة عندهم متعلقة بما شاءه جل وعلا وما لم يشأه في كونه مما لم يحصل بعد أو مما حصل خلافه فإن القدرة غير متعلقة به ولذلك يقول قائلهم (ليس في الإمكان أبدع مما كان)؛ لأن القدرة عندهم متعلقة بما شاءه الله جل وعلا. وهذا القول باطل بوضوح وذلك لدليلين:

الأول: فإنه الذي جاء في القرآن كما ذكرت لك تعليق القدرة بكل شيء في الآيات التي ذكرت لكم طرفاً منها .

الثاني: أن الله جل وعلا قال في سورة الأنعام ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ ولما نزلت هذه الآية تلاها ﷺ فقال قوله تعالى ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾ فقال ﷺ أعوذ بوجهك ثم

تلا ﴿ **أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ قال ﷺ أعوذ بوجهك ثم تلا ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ قال ﷺ هذه أهون. والله جل وعلا لم يشأ أن يبعث على هذه الأمة عذاباً من فوقها أو من تحت أرجلها فيهلكهم بِسَنة بعامة، بل جعل بأسهم بينهم شديد لحكمته سبحانه وتعالى العظيمة العلية فدلت الآية على أن قدرة الله جل وعلا تتعلق بما لم يشأ أن يحصل، ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾ وهذا لم يشأه الله جل وعلا ومع ذلك تعلقت به القدرة وهذه من الكلمات التي يكثر عند أهل العصر استعمالها فيتنبه على أنها من آثار قول أهل الاعتزال في بعض الأحاديث جاء ((والله على ما يشاء قادر)) ((وإني على ما أشاء قادر)) الجواب على ذلك معروف؛ لأنه متعلق بأشياء مخصوصة وليست تعليقاً للقدرة بالمشيئة أو يقال أن قدرته على ما يشاء في هذه الأحاديث لا تنفي قدرته على ما لم يشأ جل وعلا، نكتفي بهذا القدر وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد، وفقكم الله جميعاً لما يحب ويرضى.

الشريط السادس . وجه (أ) ١٤١٨/١/٤هـ

المتن :

خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً ولم يخفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله وهو متعال عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره، آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلاً من عنده.

الشرح :

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فأسأل الله جل وعلا أن يعيذني وإياك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن دعوة لا يستجاب لها. اللهم إنا نعوذ بك أن نَذِل أو نُذل أو نَضِل أو نُضل أو نجهل أو يُجهل علينا اللهم فأعذنا، شرع الطحاوي –رحمه الله– في ذكر بعض صفة الرب جل وعلا المتعلقة بقدره السابق وبمشيئته العامة وأنه سبحانه ذو العلم الكامل المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه وأنه سبحانه الذي أجرى كل شيء على وفق ما أراد ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهذه الجمل التي سمعتم متصلة ببحث القدر والمؤلف الطحاوي لم يجمع الكلام في القدر في موضع واحد بل فرقه في نحو ثلاثة مواضع ولهذا كان من عيوب هذه الرسالة أنها جرت على وفق ما تيسر لمؤلفها والترتيب ينفع المتلقي لكن بالنسبة لنا سنجري على وفق ما جرى هو عليه ونذكر ما يفيد إن شاء الله ما يفيد كل موضوع بحسبه قال هنا: (خلق الخلق بعلمه)، هو سبحانه خلق المخلوقات عالماً بها غير جاهل بما هي عليه وما سيؤول إليه أمرها وأورد هذه الجملة الطحاوي مخالفاً أهل الاعتزال الذين لا يجعلون العلم مصاحباً لصفات الله جل وعلا ولأفعاله وعلم الله سبحانه وتعالى صفة ملازمة هو سبحانه وتعالى عالم بعلم وخالق بعلم وقادر بعلم ورحيم بعلم يرحم من يشاء عن علم وهذا العلم صفته جل وعلا الملازمة له لا تنفك عنه وعلمه سبحانه أول، قبل خلق الخلق كان عالماً بما يصلح لهم وما تقتضيه حكمته فيهم لهذا قال خلق الخلق بعلمه ففي هذا رد على المعتزلة من جهة الصفات وفيه رد على القدرية أعني بهم الذين ينفون علم الله السابق، القدرية الغلاة نفاة القدر الذين يقولون إن العلم حدث بعد وجود الأشياء فهو سبحانه علم بعد

وقوع الأشياء واستدلوا على هذه النحلة بقوله جل وعلا ﴿ **لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ** ﴾ وبقوله في تحويل القبلة ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ** ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي فيها تعليل بعض الأحكام الكونية أو الأحكام الشرعية وحصول الأشياء بأن يعلم الله جل وعلا ذلك، ذلك ليعلم فزعموا أن هذه الآيات وأشباهها تدل على أنه جل وعلا لا يعلم الأشياء إلا بعد أن تقع، وأهل السنة مثبتون لعلم الله جل وعلا الكلي بالأشياء ولعلم الله جل وعلا التفصيلي بأجزاء الأشياء وحوادثها المفردة، وإذا عُلّل شيء في القرآن أو في السنة بكَىّ يعلم الله ذلك الشيء فإن معناه عندهم بما دلت عليه الأدلة، حتى يظهر علم الله في هذه الأمور ليقع حسابه وليقع تعذيبه أو تنعيمه أو نحو ذلك يعني إظهار ما تنقطع به الحجة فقوله سبحانه ﴿ **إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ** ﴾ يعني إلا ليظهر علمنا فيمن اتبع الرسول ممن انقلب علي عقبيه؛ لأن الله جل وعلا لو أخذ العباد وحاسبهم على علمه السابق فيهم لكان لهم حجة فهو سبحانه جعل هذه الأشياء مع علمه السابق بما سيفعله العباد لكي يظهر علمه فيهم فجاء إذن هنا (لكي) في قوله: لنعلم حتى يظهر العلم فيكون ذلك حجة على الناس وهذا ظاهر بين؛ لأن الله سبحانه وتعالى يعلم بالأشياء قبل وقوعها قال تعالى ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ **ما في السموات والأرض** ﴾ وهذا يدلك على أن الله تعالى علم قبل الكتابة والكتابة متأخرة على العلم وهذا الذي يجعلنا نقول إن علم الله جل وعلا أول بالأشياء وهنا يفيد ذلك بعلم الله تعالى بما أراده سبحانه فإذا أراد الله تعالى شيئاً علم تفصيلاته وخلق المخلوقات بعلم وهو عالم بها غير جاهل بها ولهذا قرأ بعضكم مناظرات المعتزلة مع أهل السنة فالمعتزلة يقولون في أسماء الله جل وعلا إن الله عالم بغير علم خالق بغير خلق حي بغير حياة وهكذا

يجعلون الصفات مخلوقات منفصلة فعندهم العلم هو المعلومات فتعلقت الصفات التي يثبتونها بالمعلوم فصار عالماً لا لعلم حدث فيه وذلك فراراً منهم من مسألة حدوث مفردات العلم؛ لأن العلم له مفردات وإذا حلت مفردات يعني علم هذه معناه أنه حل به علم بهذا الشيء الذي حصل أو تعلق به خلق هذا الشيء فكأنه جل وعلا صارت له صفة لم تكن له من قبل وهذا يستلزم التركيب والتركيب يستلزم الجسمية والجسمية تنافي ألوهية الرب جل وعلا كما هو مقرر في موضعه المقصود أن قوله (خلق الخلق بعلمه) ظاهر معناه أنه خلق سبحانه المخلوقات وهو عالم بها وهو سبحانه يعلمها قبل خلقها وأيضاً يعلمها بعد خلقها.

ثم قال –رحمه الله تعالى– (وقدر لهم أقداراً) يعني قدر للخلق أقداراً وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** ﴾ والإيمان بقدر الله تعالى ركن من أركان صحة الإيمان بالله تعالى فهو واجب؛ لأن التكذيب به باطل كما سيأتي في موضعه، فقوله (وقدر لهم أقداراً) يعني أنه جعل للمخلوقات أقداراً لا تُحصَّل المخلوقات ما هي عليه بلا ترتيب أو تقدير سابق وهذا يشمل أشياء يعني تقدير الأقدار لهم يشمل أشياء:

الأول: تقدير ما به تمام خلقهم؛ لأن الله جل وعلا قدر لكل مخلوق خلقة يكون عليها ووصوله إلى غاية هذه الخلقة أيضاً يحتاج إلى تقدير فالجنين لا يخرج من بطن أمه إلا وقد سبقه تقدير تفصيلي لكل المراحل التي سيمر بها وما يعرض من كمال أو نقص كما قال جل وعلا ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾.

الثاني: أن مقادير المخلوقات مقدرة في الصفات التي تكون عليها المخلوقات من الغرائز والأحوال التي يسميها الآخرون الأعراض، فكل

الأعراض التي تعرض على الذوات قد قدرها الله جل وعلا فقدر الألوان بتفصيلاتها وقدر الصفات من الحرارة واليبوسة وقدر الذكاء وقدر تفصيلات الحياة التي في المخلوق بجميع أحوالها سواء المخلوقات التي حياتها بالروح أو التي حياتها بالنماء أو المخلوقات الجامدة عن الحركة الظاهرة.

الثالث: قدر الله جل وعلا على المكلفين من مخلوقاته ما هم عليه من الشقاوة ومن الهدى ومن الضلال ولهذا قال ﴿ **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** ﴾ فرتب الهداية بعد التقدير؛ لأنه عنى بالتقدير هنا المرتبتين الأوليين؛ لأنه جعلها بعد قوله ﴿ **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى** ﴾ يعني جعل الخلق على نهايته فسواه يعني جعله على نهايته المقدرة له ثم قال ﴿ **وَالَّذِي قَدَّرَ** ﴾ يعني لما خلق الأشياء الغريزية والخلقية فهدى للطريقين.

إذا تبين لك ذلك فالله سبحانه وتعالى قدر الأشياء المقادير وتعبير المؤلف بقوله قدر لهم هذا مناسب أفضل من لو أنه قال قدر عليهم أقدار؛ لأن التقدير لهم يشمل ما يكونون عليه من خير أو شر وفي قوله (قدر لهم أقداراً) مسائل:

المسألة الأولى:

القدر معناه في اللغة تهيئة الشيء لما يصلح له فإذا هيئت شيئاً لما يصلح له فقد قدرته، وتقول أقدر أن يكون كذا وكذا يعني هيأت هذا الأمر على أن يكون كذا، فتكون داخلاً في هذا الأمر بتقدير إذا دخلت فيه بتهيئته وهذا هو المعنى اللغوي العام، كما قال سبحانه ﴿ **وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ** ﴾ ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾ والآيات في هذا كثيرة.

أما في الشرع، فالقدر هو سر الله جل وعلا الذي لم يُطلِع عليه أحداً، لا مَلَكاً مقرباً ولم يطلع عليه نبياً مرسلاً بل هو سر الله الذي لا يعلمه على وجه الكمال أحد وتعريف القدر اختلف فيه الناس وحتى تعريفه عند المنتسبين

للسنة مختلف لكنه عرف بتعريف أخذ من مراتب القدر التي جاءت الأدلة على مفرداتها فقيل في تعريف القدر عند أهل السنة: "أنه علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقها وإيجادها ومشيئته النافذة الشاملة وخلقه جل وعلا لكل ما قدر أو خلقه جل وعلا لكل شيء وهذا يشمل المراتب جميعاً" وسيأتي مراتب القدر ودرجاته في موضعه فيما نستقبل من هذه الرسالة.

المسألة الثانية:

أن القدر لما كان هذا أول موضع فيه يجب أن يبحث من جهة النصوص فقط عن النبي ﷺ صح عنه أنه قال: ((إذا ذكر القدر فأمسكوا)) يعني أمسكوا عن الخوض فيه بما لم يدلكم عليه كلام الله جل وعلا أو كلام نبيكم ﷺ، فإذا تكلمنا في القدر أو خاض المرء فيه بعقله وفهمه فيجب ألا يتعدى ما دلت عليه النصوص؛ وذلك لأن تجاوز ما دلت عليه النصوص في باب القدر بسببه ضل الناس، وهذا الخوض يسبب الضلال إذا تعرض لأمور يعني إذا تعرض الناظر لأمور تسبب له الضلال في القدر:

الأمر الأول: الخوض في أفعال الله جل وعلا بالتعليل، إذا خاض في أفعال الله جل وعلا بالتعليل الذي يظهر له دون حجة فإنه يضل؛ لأن أفعال الله جل وعلا صفاته سبحانه وتعالى وهي مرتبطة عندنا بعلل توافق حكمة الرب جل وعلا والمخلوق لا يفهم من تعليل الأفعال إلا بما أدركه أو بما يصل إليه إدراكه، بما أدركه يعني يري مثيله علل هذا بهذا؛ لأنه عاينه أو أدركه بما شاهد أو يصل إليه إدراكه بالمعلومات المختلفة التي يقدرها وقد قدمنا لكم أن الأساس في صفات الله جل وعلا أنه لا يدرك كيفية الاتصاف بالصفات كما لا يدرك كمال معرفة حكمة الله ولا كمال التعليل ولهذا من خاض في التعليلات في الأفعال بالعلل فإنه لابد أن يخطئ إذا تجاوز ما دل عليه

الدليل، والعلل قسمان علل كونية وعلل شرعية وأفعال الله في ملكوته معللة وأفعال الله في شرعه يعني أحكام الله الشرعية الغالب، الشرعيات في الغالب معللة، إذا تبين لك ذلك فإن الخوض في التعليلات في الأفعال بالعلل هو سبب ضلال الفرق المختلفة في باب القدر هو سبب ضلال القدرية المشركية، وهو سبب ضلال القدرية الغلاة النافية للعلم وهو سبب ضلال القدرية المتوسطون أو المعتزلة؛ لأن الفرق الرئيسة في القدر ثلاث كما سيأتي بيانه قدرية مشركية ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا** ﴾ وقدرية غلاة نفاة العلم الذي قالوا أن الأمر أنف ولا يعلم الأشياء وقدرية متوسطة وهم المعتزلة في باب القدر الذين لم ينفوا كل مراتب القدر لم ينفوا العلم السابق وسيأتي تفصيله في موضعه وكل هذه الفرق خاضوا في مشيئة الله وإراداته والتعليلات بعقولهم فلما لم يفهموا التعليل ضلوا كما قال شيخ الإسلام في تائيته القدرية:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهموا حكمة له فصاروا على نوع من الجاهلية

فإذن الأمر الأول من أسباب الضلال في هذا الباب الخوض في الأفعال، لم أغني ولم أفقر لم خلق هذا الشيء على هذا النحو لم أعطى لم شرعِ لم جعل هذه الأمة كذا وهذه الأمة كذا لم جعل الأرض كذا لم جعل الجنة كذا لِمَ جعل مصير هذا كذا إلى آخره كل هذا إذا خاض فيه العبد فإنه باب ضلال؛ لأن القدر سر الله جل وعلا.

الأمر الثاني: مما لا يخاض فيه في باب القدر قياس أفعال الله جل وعلا على أفعال المخلوقين أو جعل ميزان تقدير الله على وجه الكمال والصحة هو ميزان تقدير المخلوقين، فإن العباد إذا نظروا في فعل المخلوق وفي تقديره وتصرفاته فإنهم يجعلون الصواب والكمال في حق المخلوق على نحو ما فإذا نقلوا هذا الذي أدركوه في المخلوق إلى فعل الله جل وعلا فإنه

أتى باب كبير من أبواب الضلال يعني حصل باب كبير من أبواب الضلال كما حصل للقدرية من المعتزلة وأشباههم فإنهم قاسوا أفعال الله بأفعال خلقه فأوجبوا على الله جل وعلا فعل الأصلح بما عهدوه من فعل الإنسان وأوجبوا على الله جل وعلا العدل ونفوا عنه الظلم بما عهدوه من فعل الإنسان.

ولهذا قالوا إن الله جل وعلا يجب عليه فعل الأصلح وأنه يحسن في فعل الله كذا ويقبح كذا فما حسنته عقولهم فيما رأوه في البشر حسنوه في فعل الله وما قبحته عقولهم من أفعال المخلوقين قبحوه في فعل الله، فنفوا أشياء عن الله تعالى ثابتة له؛ لأجل هذه المسائل الثلاث، مسألة التحسين والتقبيح، مسألة الصالح والأصلح، مسألة الظلم والعدل، وهذه المسائل هي أعظم أبواب ضلال القدرية ولهذا يجب ألا يدخل فيها المكلف إلا بما دلت عليه النصوص والأصل في هذا أن الله سبحانه لا يشبه بخلقه في أفعاله ولا في صفاته كما قال سبحانه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾.

الأمر الثالث: مما ينبغي مراعاته في بحث القدر وإذا قرأت في هذا الباب أن العلماء الذين تكلموا في مسائل القدر من المتقدمين من علماء السلف، فصنفوا فيه كابن أبي داود، بل قبله ابن المبارك ومن كتب في ذلك مصنفات مستقلة أو ضمن كتب السنة الأخرى، ومن صنف من المتأخرين في هذا الأمر يجب أن تنظر إلى كلامه على أنه قابل للأخذ والرد إذا دخل في أمر عقلي لا دليل عليه من كلام الله تعالى أو كلام الرسول ﷺ فتوقف؛ لأننا وجدنا أن طائفة من الناس أخذوا كلام من وثقوا به من أهل العلم في مسائل القدر على أنه مُسَلَّمٌ لما كان منتسباً إلى السنة لكنه خاض باجتهاده في بعض المسائل من جهة العقل فيأتي الناظر فلا يدرك كلامه على وجه التمام أو يكون ذاك مخطئاً فيتابعه هذا وينسبه إلى السنة، والسنة في باب القدر هي ما دل عليه القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ فحسب وما زاد عنه فيجب الإمساك

عنه، قد يحتاج طالب العلم إلى التفصيل العقلي بما دلت عليه النصوص والإلزامات بما علم من النصوص في مقام الرد على المخالفين لا في مقام التقرير.

فإذن ينبغي أن يفهم كلام أهل العلم على مرتبتين المرتبة الأولى مقام تقرير مسائل القدر والثانية مقام الرد على الخصوم في القدر. فإذا كان المقام مقام تقرير الاعتقاد الصحيح في القدر فلا يجوز أن يتجاوز كلام الله جل وعلا وحديث المصطفى ﷺ؛ لأن القدر سر الله.

المسألة الثالثة:

أن الفرق في باب القدر ثلاث فرق، الأولى القدرية والثانية الجبرية، والثالثة أهل السنة والجماعة، والقدرية طوائف كثيرة منهم الغلاة ومنهم المتوسطون وقولنا عنهم قدرية نعني به نفاة القدر ننسبهم للقدر؛ لأنهم نفوه قال أهل العلم عنهم قدرية؛ لأنهم نفوا القدر منهم من نفى العلم ومنهم من نفى عموم المشيئة أو عموم خلق الله جل وعلا لكل شيء ومنهم الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبور وهؤلاء الذين قالوا إن العبد مجبور منهم الغلاة كالجهمية وغلاة الصوفية الذين يقولون هو كالريشة في مهب الريح، ومنهم المتوسطون الذين قالوا هو مجبور في الباطن ومختار في الظاهر وهم الماتريدية والأشاعرة، والمؤلف الطحاوي ينتمي في الجملة في المسائل المشكلة إلى الماتريدية، ولهذا ينبغي أن يُنتبه لكلامه في المواطن ذات الزلل كمسألة القدر هل قررها على وجه الجبر أم على وجه كلام أهل السنة والجماعة كما سيأتي.

المسألة الرابعة:

نختم بها قوله: قدر لهم أقداراً أن هناك ألفاظاً تستعملها الطوائف جميعاً في مبحث القدر، ولكن لكل طائفة قصد ومصطلح في استعمالها وهذه

يجب الانتباه لها مثال ذلك مسألة الكسب فإن الكسب عند أهل السنة له معنى وعند الأشاعرة والماتريدية له معنى وعند المعتزلة له معنى فلفظ واحد يرد في كتب أهل السنة وكتب الأشاعرة وكتب المعتزلة وكل له فيه اصطلاحه ومعناه كذلك نفوذ المشيئة، مشيئته نافذة، هذا عند المعتزلة له معنى وعند الأشاعرة والماتريدية له معنى وعند أهل السنة له معنى فالقدرية يعنون بذلك معنى المعتزلة ومن نفوا القدر، والجبرية يصرفونه لمعتقدهم وأهل السنة يصرفونه لما دلت عليه النصوص.

المقصود من هذه المقدمات دخولك في هذه المباحث المهمة ؛ لأننا في تقرير هذه العقيدة الطحاوية نريد أن ننتقل بك من سرد المعلومات التفصيلية فقط في معتقد أهل السنة إلى ما يفتح لك آفاقاً في رؤية كتب أهل العلم في الاعتقاد بعامة، لأن الأصل في من يحضرون معنا سبق أن حضروا كتباً كثيرة كالواسطية وما قبلها في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة ، فتنتبه إلى أن الألفاظ في باب القدر متشابهة لكن المعاني مختلفة، إذا قرأت كتاباً من كتب التفسير في الهدى والضلال، في عموم خلق الله تعالى ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ في التفصيل ، إذا قرأت كلاماً لمفسر سلفي قد يستعمل العبارات التي يستعملها الأشعري أو المعتزلي وكلٌ له اصطلاحه، ولهذا قال من قال في كتاب الكشاف للزمخشري أنه دس فيه مذهب المعتزلة في الصفات وفي القدر وهو أعظم حيث لا يدركه إلا الناقد البصير.

قال –رحمه الله– بعد ذلك (وضرب لهم آجالاً) الآجال جمع أجل وضرب الآجال معناه أنه جل وعلا جعل لكل شيء أجلاً ينتهي إليه فما من شيء إلا وله أجل ينتهي إليه المراد من خلقه فالسماوات لها أجل والأرض لها أجل تنتهي إليه وهكذا مخلوقات الله جل وعلا ومنها ما جعل الله جل وعلا له

أجل يعلمه سبحانه ولا يعلمه العباد قد يطول جداً وقد لا يكون له نهاية بعلم الله سبحانه وتعالى له.

والآجال غير الأعمار فالعمر أخص من الأجل ولهذا قال بعض أهل العلم إن الأجل في القرآن لا يقبل التغيير ﴿ **إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ ﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ** ﴾، وقال جل وعلا في العمر ﴿ **وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ** ﴾ وهذا يدلك على أن الله سبحانه وتعالى ضرب آجالاً وجعل أعمارً والجمع بين هذا وهذا عند طائفة من المحققين من أهل العلم أن الأجل لا يقبل التعديل ولا التغيير، وأما الأعمار فهي قابلة لذلك بأسباب أناط الله تعالى بها التغيير في قدره السابق كما قال سبحانه ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾ ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ فإذن أجل الأمم والعباد والمخلوقات هو الذي في اللوح المحفوظ لا يقبل التغيير ولا التبديل جعل الله تعالى على هذا النحو على ما اقتضته حكمته سبحانه وتعالى، وأما الأعمار فإنها تقبل التغيير وقبولها للتغيير بما فيه التقدير السنوي للعباد؛ لأن القدر منه قدر عام وهو الأصل العظيم وهو ما جاء في قوله ﷺ ((قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)) هذا التقدير العام في اللوح المحفوظ، ومنه تقدير خاص وهو يختلف فيه تقدير لكل مخلوق في رحم أمه، وثم تقدير سنوي في ليلة القدر وثم تقدير يومي أيضاً بما يفعله العباد، إذا تبين ذلك فإن التقدير الذي يقبل التغيير هو الذي في صحف الملائكة، وهذا الذي يحمل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ** ﴾ بعض أهل العلم في التفسير فهم الآية أن معناها وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمر معمراً آخر إلا في كتاب وأن تعمير المعمر يكون بسبب قد قدر هو والتعمير معاً فيكون قد عُمر لا بالنسبة إلى أنه كان عمره ليس بطويل فأُطيل

فيه وهذا يخالف ما جاءت به السنة الصحيحة من قول المصطفى ﷺ ((من سره أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)) وبقوله ﷺ فيما صح عنه ((ولا يزيد العمر إلا البر)) يعني أن زيادة الأرزاق منوطة بسبب وأن تعمير المعمر ونسأ الأثر مربوط بسبب وهذا هو الذي ارتبط بالأعمار بالآثار أما الآجال فلا تقبل تغييراً؛ لأنها هو الموافقة لما في اللوح المحفوظ الأجل الذي إليه النهاية أما العمر فهذا يقبل التغيير، ولهذا صح عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أنه قال في قوله تعالى في سورة الرعد ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ أنه في صحف الملائكة ﴿**وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ يعني اللوح المحفوظ وهذا واضح، فقول المؤلف –رحمه الله– (وضرب لهم آجالاً) يعني ما كان من التقدير السابق قبل خلق السماوات والأرض.

قال: (ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم) لم يخف عليه شيء هذا عام يعني من الطاعات ومن المعاصي، من الخير ومن الشر، مما سيعلمون ومما لم يعلموه لو علموه كيف يكون فإنه سبحانه يعلم أحوال الخلق على وجه التفصيل فيما سيعلمون وفيما لم يعلموه مثاله ﴿ **وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً** ﴾ إذن تعلق علم الله تعالى بكل شيء، قال (وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم) لم؟؛ لأنه سبحانه بكل شيء عليم كما قال تعالى ﴿ **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾، وقوله كل شيء هذا عموم لا يخرج منه شيء، والأشياء كما فسرنا لكم جمع شيء والشيء ما يصح أن يُعلم أو يؤول إلى العلم ﴿ **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ يعني بكل ما يصح أن يُعلم أو ما يؤول إلى أن يُعلم، هو بكل شيء عليم سبحانه وتعالى لهذا قال علماؤنا علم الله سبحانه وتعالى متعلق بكل شيء، فالله علم ما سيكون، واحد وعلم مالا يكون اثنين علم ما قدر ألا يكون لو حصل كيف يكون فهذه الثلاث فيها مخالفة للقدرية وللمعتزلة في مذاهبهم علم

ما سيكون وما لم يكن يعني والذي لا يكون أيضاً علمه جل وعلا بأنه اختار أن يكون الأمر على نحو كذا فهو علم ما سيكون والذي يكون أيضاً علمه جل وعلا وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون كما قال جل وعلا ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ** ﴾.

قال –رحمه الله تعالى– بعد ذلك وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته هذا تعليق للأشياء بالأمور الشرعية يعني أن الخلق والعلم والتقدير السابق وضرب الآجال هذا نافذ فيهم ومع ذلك أمرهم سبحانه بطاعته ونهاهم عن معصيته جل وعلا، وهذا الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية أراد منه مخالفة المعتزلة في أن الأمر بالطاعات والنهي عن المعاصي أنه جاء عقلياً وليس شرعياً، ولكن الحق أنه إنما جاء في الشرع لا في العقل.

الشريط السادس . وجه (ب) :

وإلى قوله : (محمد عبده المصطفى) هذه كلها مقدمات ما دخلنا في تفصيل الكلام على معتقد أهل السنة والجماعة في مواضعه ، لذلك أنا أرجئ الكلام على تفصيلات القدر ومسأله في موضعه حتى يكون لم في مكانه مجتمعاً غير ما ذكرناه في هذا الموضوع . نقف عند هذا ، وأنبه على أن هذا الدرس هو آخر الدروس في هذا الفصل ، وإن شاء الله نستقبل إتمام شرح هذه العقيدة في الفصل القادم وفي الصيف إن شاء الله سيكون هناك دروس يُعلن عنها بعد الاختبارات بهذا المسجد إن شاء الله تعالى .

الخميس الأسبوع القادم عندنا إن شاء الله الأسبوع القادم فقط ننهي فيه لأن الحموية قاربت على الانتهاء ، ننهي فيه الحموية وأظن أن الفرقان باقي فيه ، هل باقي فيه الكثير ؟ إذاً ننهي الحموية إن شاء الله ، وفقكم الله .

في كثير من الإخوة سألني في المسائل التي تكلمنا عنها الأسبوع الماضي ، في مسألة التسلسل ، التسلسل الماضي والمستقبل وحلول الحوادث

وكلام الشارع أيضاً في هذا الموطن ، والمسألة شائكة لكن ما ذكرته لك هو الحد الأدنى لفهمها ، فينبغي أن لا تكثر من الخوض فيها ؛ لأنها عسرة بعض الشيء .

الأسئلة :

سؤال : ما أفضل كتاب تكلم عن القدر وتعريفه ومراتبه وجميع ما يتصل به؟

الجواب : أفضل كتاب هو كتاب شفاء العليل لابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ومن الكتب المعاصرة كتاب القدر للدكتور عبدالرحمن المحمود ، كتابٌ قرب فيه المسألة لطالب العلم فهو كتابٌ نافع في هذا الباب جداً.

سؤال : ألا نستفيد من قوله سبحانه ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ألا نستفيد من ذلك تغيير الأجل لقوله تعالى يمحو؟

الجواب : لا .. ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ يعني ما في صحف الملائكة أما الآجال فهي ثابتة، ((لا يرد القدر إلا الدعاء)) هذا جاء في الحديث الذي رواه الحاكم وغيره وهو حديث صحيح .

سؤال : ذكرتم في الدرس السابق أن الخلق في اللغة يشمل مراتب منها التقدير ، فأرجو إيضاح هذه المرتبة بتفصيل أكثر ؟

الجواب : لعلك ترجع إليها لأنها تحتاج إلى تفصيل .

سؤال : ما معنى كون صفات الله متلازمة، وهل يجوز قول عبارة "إن الله على ما يشاء قدير"؟

الجواب : أما كون الصفات متلازمة فنعم، الصفات بعضها ملازم للآخر أو الصفة تدل على الصفة الأخرى بالتلازم يعني لا يتصور أن صفة

الرحمة بلا صفة الحياة ولا يتصور أن هناك صفة قهر بلا صفة القدرة ولا يتصور أن هناك صفة علم بلا صفة إرادة ولا أن هناك صفة كلام بلا صفة إرادة وملك وقوة . إذاً فصفات الله جل وعلا متلازمة ولذلك أهل العلم لما تكلموا عن الأسماء الحسنى قالوا إن الاسم من الأسماء الحسنى يدل على مسماه ومعناه جميعاً بالمطابقة ويدل على أحدهما بالتضمن ويدل على الصفة الأخرى أو على الاسم الآخر باللزوم كما هو معروف في موضعه.

سؤال : هل تجوز هذه العبارة : "إن الله على ما يشاء قدير" ؟

الجواب : كنا ذكرنا لكم تفصيلات الكلام عليها "على ما يشاء قدير" هذه عبارة الأشاعرة وأشباههم؛ لأنهم علقوا القدرة بما يشاؤه الله جل وعلا، أما ما لا يشاؤه فعندهم أن الله عز وجل ليس بقادر عليه، والمعتزلة علقوا القدرة بما هو مقدور له وما لم يكن مقدوراً له فليس بقادر عليه، يعني عندهم أن ثم أشياء ليست بمقدورة لله جل وعلا فليس بقادر عليها مثل الظلم والأصل الظلم هو غير قادر عليه ، لم؟ لأنه ليس ظالماً ، ليس بمقدور له جل وعلا أن يظلم، وعندنا أن الله جل وعلا قادر على كل شيء ما يشاؤه وما لم يشأه، والظلم لم يشأه سبحانه بل حرمه على نفسه ((إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) إذاً فتعلق القدرة هذه مسائل تعلق الصفات يعني القدرة لها متعلق العلم له متعلق ، عند الطوائف جميعاً الكلام له متعلق ، الرحمة لها متعلق ، وهكذا ، فتعلق الصفات هذه تختلف فيها الفرق المختلفة وهو معلوم في موضعه، المقصود أن قول القائل : "إن الله على ما يشاء قدير" هذا من البدع التي لا تجوز، وقائلها ينبه على مخالفته لما جاء في القرآن ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾.

س: هل أوضحتم ثمرة الخلاف في كون الموت صفة وجودية أو عدمية؟

الجواب : المقصود الكلام على إنه هل الموت صفة وجودية أو صفة عدمية ؟ هذا متعلق بحياة الروح والعذاب والنعيم هذا الخلاف بين أهل السنة وبين الفلاسفة الذين يقولون إن الموت عدم أو الموت حياة ؟ يعني هل الموت حياة جديدة أو هو عدم حياة وزوالها؟ الفلاسفة لهم مذهب في هذا في أن الموت موت البدن والروح هذه تذهب إلى مكان لها ثم تعود في جسد جديد تناسبه ، فعندهم الموت عدم الحياة انتهى.

عندنا لا .. الروح كل روح مستقلة ، روح المكلف هذه باقية خُلقت للبقاء فلا تنتقل من فلان إلى فلان، كما هو قول الفلاسفة ومن شابههم ، بعض من ينطق بهذه الكلمة يعني أن الموت صفة عدمية قد لا يقول بهذا المذهب لكن هو من أنشأ هذا الكلام ويقول بهذا المذهب من أن الأرواح محدودة والأجساد متعددة فالأرواح تتنقل فيها، يعني مثلاً عندهم ، طيب نعيم الروح وكيف روح منعمة؟ يقول الروح تعذب بمصيرها في جسد حياته شقاء، يعني الآن فلان مثلاً ، أعوذ بالله ما نبي نقلق أسماعكم بهذا . الباطل نعوذ بالله منه لكن ما فيه مسألة نتكلم عنها إلا ولها ثمرات خلاف لا ثمرة له يعني في العقيدة ما فيه خلاف لا ثمرة له ، خذها كلية .

سؤال : هل يصح أن يقال إن العلم بالله جل وعلا لا يكون إلا بالعلم النظري لا الضروري؟

الجواب : يعني يصح مع أحد الاعتبارات لكنه قد يصل العبد إلى أن يكون علمه بالله ضرورياً لا يحتاج معه إلى استدلال، خلاص صار واضحاً عنده بحيث إنه لا يحتاج منه نظر ، نظر واستقر الإيمان في قلبه واتضح له حتى صار عنده وجود الحق جل وعلا ضرورة لا يحتاج إلى استدلال ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ أصبح ضرورياً؛ لأن الضروري هو ما لا يحتاج له إلى استدلال والنظري ما يحتاج في إثباته إلى نظر واستدلال.

سؤال : ذكرت أن الروح لها صفة البقاء ، فكيف نوفق بين هذا وبين المراد من المستثنى عند قوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ وهل معنى هذا أن أرواح غيرهم ميتة؟

الجواب : لا .. ما لها علاقة ﴿ **إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ** ﴾ فالاستثناء يعني أرواح الشهداء أو أشباه ذلك ، الأرواح لا يحلها الموت في الصور ، تجتمع في الصور فينفخ فيه فتعود للأجساد.

سؤال : هل الموت عرض أو عين أو عرض يقلبه عيناً؟

الجواب : الموت صفة إذا سميت الصفات أعراض فلا بأس، الموت حياة جديدة، حالة فيها حياة جديدة وسمي الانتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية سمي موتاً ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ وكذلك كل مؤمن حي عند ربه يرزق في الآخرة يؤتى بالموت على صفة كبش فيكون قد قلب إلى عين.

سؤال : هل كان ابن حزم من أهل السنة والجماعة؟

الجواب : لا .. ابن حزم ليس سنياً بل له مذهب خاص ابن عبدالهادي وغيره يعتبرونه من الجهمية، وطائفة تعتبره من الفلاسفة، هو في العقيدة مخلط لا يتبع مذهب من المذاهب عنده تجهم وعند أشعريات وعنده فلسفة يعني مختلط.

سؤال : هل لا بد أن يكون لله مخلوقات حتى يوصف بالخلق أم يوصف بالخلق ولو لم يخلق شيئاً أبداً؟

الجواب : هذا سؤال في غير مكانه؛ لأنه سبحانه خالق وله مخلوقات ولم يزل سبحانه وتعالى خالق جل وعلا وهذا صفة ملازمة له سبحانه وتعالى.

سؤال : ما هو الرد على من استدل بحديث ((إن أول شيء خلقه الله القلم)) على عدم التسلسل في الماضي بالنسبة للمخلوقات؟

الجـواب : حـديث ((إن أول شـيء خلقـه الله القلـم)) هـذا لفـظ واللفـظ الآخـر المعروف ((إن أول مـا خلـق الله القلـم))، أول هنـا بمعنـى حين أي أنـه حين خلق الله القلم قال لـه اكتب ، لمـاذا فسرناه بهذا التفسير لحديث عبدالله بـن عمـرو بـن العـاص ((قـدر الله مقـادير الخلائـق قبـل أن يخلـق السـماوات والأرض بخمسين ألف سنة)) هذا التقدير هل هو راجع إلـى علم الله؟ لا؛ لأن علـم الله لا يعلـق بقبـل خلـق السماوات بخمسين ألـف سنة إذن يتعلـق بالكتابـة أي كتب الله مقادير الخلائق قبل خلقها بخمسين ألف سنة، هذا الحديث ((إن أول ما خلق الله القلم قال لـه اكتب)) هنا يعنـي خلق القلم فأمره بالكتابـة يعنـي التقدير فكتب مـا هو كـائن إلـى قيام السـاعة. فـالمراد من الحديث أن الله خلـق القلم بأمره بكتابة المقادير فور خلقه له، هذا الذي تفهمـه مـع حـديث عبدالله بن عمرو بـن العـاص؛ لأن التقدير هنـاك لا بـد أن يكـون الكتابـة والأوليـة هنـا إن كانت أولية مطلقة قبل المخلوقات يعنـي وجد قلم وليس ثم مخلوق البتة فقولـه هنا فقال له اكتب تقتضـي الترتيب خلق فقال، هذا يعنـي أن هنـاك زمن طويل ما بين خلقه وما بين ابتداء الكتابة وهذا يشوش على الموضوع.

إذاً هذا الحديث فهم منه منع التسلسل فـي الماضـي كمـا هو معلوم وأن أول المخلوقـات القلـم، وهـذا عنـد المحققـين كشـيخ الإسـلام وابـن القـيم الـذين ضموا الأحاديث وفهموها على ضوء صفات الله من كتاب الله جل وعلا وفهم كـلام السلف فهموا أن القلم فـي هذا الحـديث أوليتـه هنـا بالنسـبة إلـى الكتابـة فحين خُلِقَ القلم كتب إن أول مـا خلق الله القلم قال لـه اكتب يعنـي حين خلق القلم قال لـه اكتب فكتب، فالحديث ليس فيـه أوليـة المخلوقات بالنسبة لغيرها وإنما هـي من جهـة التقدير والكتابـة ولهذا تنـازع العلمـاء مـع ورود هذا الحـديث تنـازعوا فـي أول المخلوقات من هذا العالم المعلوم لنـا فـي الكتـاب والسنـة، هل أول المخلوقـات من هذا العـالم المعلـوم: العرش أو القلم والصـواب أن العرش

كان قبل؛ لأنه في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال عليه الصلاة والسلام : ((قدر الله مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)) صار عندنا خلق للقلم، كتابة المقادير وجود العرش على الماء، وهذا الذي عقده ابن القيم –رحمه الله تعالى– في النونية بقوله:

والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده قولان عند أبي العلا الهمذاني
والحق أن العرش قبل لأنه عند الكتابة كان ذا أركان

والمسألة فيها بحث أكبر من هذا نجعله لوقته إن شاء الله تعالى، وفقكم الله ونلتقي إن شاء الله على خير وتقوى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشريط السابع . وجه (أ) ٣/٦/١٤١٨هـ

المتن :

وإن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء.

الشرح :

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من أهل العلم النافع وممن يتعلم لوجه الله كما أسأله سبحانه أن يقر العلم في قلوبنا، وأن يعيذنا من مضلات الفتن ومن الأهواء ما ظهر منها وما بطن... أم بعد:

فقول المصنف –رحمه الله تعالى– (وإن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وكل دعوى النبوة بعده فغي وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء).

هذه الجملة من كلامة من التوحيد وذلك أنه قال في أول الكلام يعني في أول هذه العقيدة (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له) ثم مضى في ذلك وأتى إلى مقام الرسالة والكلام على النبوة فقال وإن محمداً عبده المصطفى، فهي معطوفة على قوله: (إن الله واحد لا شريك له) وإن هنا مكسورة؛ لأنها معمول القول ومن المعلوم في النحو أن إنّ تكسر إذا كانت تقدر مع ما بعدها بجملة، يعني أن إنّ مع ما دخلت عليه تقدر

بجملة، ولذلك تُكسر إذا كانت بعد كلام يقدر مع ما بعده بجملة، ومعلوم أن القول له مقول ومقول القول جمل وليس بمفردات، وهذا بخلاف فتح همزة أَنّ فتح الهمزة في أن فإن القاعدة فيها أنها تفتح إذا كانت في تقدير المفرد أو المصدر، كما هو مقرر في النحو كما هو معلوم لكم جميعاً. المقصود أن قوله (وإن محمداً) هذا بكسر همزة إنّ؛ لأنها مقول القول في أول الرسالة وهو قوله (نقول في توحيد الله).

وبحث الرسالة والنبوة هو من توحيد الله جل وعلا، ووجه ذلك أن توحيد الله جل وعلا يطلق ويُعنى به العقيدة بعامة فكل العقيدة بأركان الإيمان تدخل في توحيد الله، فتوحيد الله جل وعلا هو الإيمان وهو المشتمل على أركان الإيمان الستة والكلام على نبوة محمد ﷺ من ضمن ذلك. والوجه الثاني أن نبوة محمد ﷺ هي طريق التوحيد؛ لأن توحيد الله جل وعلا لم يعلم إلا عن طريق الرسل، وفي ذلك تقرير أن العقول لا تستقل في معرفة توحيد الله جل وعلا وما يتضمنه ذلك وما يستلزمه ذلك، بل إنه لا بد من بعثه رسل وأنبياء للبيان ﴿ **رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾.

وبعثة الرسل بها عُلم حق الله جل وعلا، وتوحيده، توحيد الألوهية، وبها علم نعت الله جل وعلا وأسماؤه وصفاته الكاملة الجليلة، فإذن بعثة محمد ﷺ وبعثة الرسل جميعاً هي طريق توحيد الله جل وعلا، ولهذا قال هنا (نقول في توحيد الله إن الله واحد لا شريك له) واستمر ومرّ حتى قال (وإن محمداً عبده المصطفى)) يعني: ونقول في توحيد الله (... إن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى).

وهذه الجملة من كلامه –رحمه الله تعالى– فيها تقرير عقيدة عظيمة وهي أن محمداً ﷺ جمعت له أوصاف ونعوت ومراتب، فمنها أنه عبد، ومنها

أنه نبي ومنها أنه رسول، ومنها أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ومنها أنه حبيب رب العالمين وخليله، ومنها أن بعثته عامة للجن والإنس وكافة الورى. وسيأتي بيان هذه الجمل والصفات في شرح كل جملة بما تقتضيه.

نخص الآن من هذه الجمل المتعلقة بالنبوة قوله (وإن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى) فذكر ثلاث مقامات لمحمد بن عبدالله ﷺ وقوله (إن محمداً) بدون أوصاف زائدة كسيدنا محمد ونحو ذلك فيه اتباع لما جاء في الأحاديث الكثيرة من ذكر التعبد باسم النبي ﷺ مجرداً عن وصف السيادة وغير ذلك، وهذا هو المسنون والمشروع كما في دعاء المصلي في التحيات إذا جلس للتشهد وأشباه ذلك، وكما في قول المؤذن وكما في الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وغيرها.فالسنة التي جاءت بها الأحاديث الكثيرة وعمل السلف أن مقام المصطفى ﷺ أرفع ما يوصف به أن يوصف بمقام العبودية والنبوة والرسالة وذلك لأن الله جل وعلا وصف نبيه بذلك في أعل المقامات وفي أجلها، فقال سبحانه: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى** ﴾ فوصفه في هذا المقام العظيم وهو مقام الإسراء وما تبعه من المعراج إلى رب العالمين بأنه أسرى بعبده.

وقال سبحانه في وصف نبوة محمد ﷺ وتذلله ﴿ **وَأَنَّهُ لَّمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً** ﴾ وقال سبحانه في المعراج وقرب محمد ﷺ من رب العالمين قال: ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾. وهذا الوصف وصف العبودية الخاصة هو أعلى المقامات التي يوصف بها الإنسان فإذا زاد عليه وصف النبوة ووصف الرسالة كان ذلك أعلى الكمال ولهذا يعظم العبد بتحقيق كمال العبودية لله جل وعلا، وتحقيق كمال العبودية إنما هو في الأنبياء والمرسلين.

فإذاً وصف محمد ﷺ بأنه عبده المصطفى هذا فيه رفع له وإكرام للنبي ﷺ؛ لأن الله جل وعلا هو الذي رضي له هذا الوصف وهذا النعت وهذا المقام.

وهذا هو الذي ينبغي على من يكتب أو يصنف أو يحاضر أن يتبع السنة في الألفاظ فنقول: وأن محمداً عبده المصطفى دون زيادة بسيدنا وأشباه ذلك، وإن كان هو ﷺ سيد المرسلين كما ذكر هنا، وهو سيد ولد آدم ﷺ .

قال (وإن محمداً عبده المصطفى) والاصطفاء هو الاختيار ومحمد ﷺ اصطفي للرسالة وهذا اللفظ مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **اللَّـهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾ فكل مرسل مصطفى؛ لأن الله اصطفاه يعني اختاره وقربه لمقام الرسالة والعبودية الخاصة.

قال: (ونبيه المجتبى) والاجتباء هو الاختصاص، اجتباهم ﴿ **وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ** ﴾ هذا معناه الاختصاص، يعني جعله نبياً فاجتباه، جعله حبيباً له وخليلاً ومختاراً ومختصاً بالمقامات العالية.

والوصف الثالث قال (ورسوله المرتضى) وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً** ﴾ هذا البيان لمعاني تلك الكلمات نتبعه بأن هذا الكلام، هذه الجمل من المصنف فيها تقرير لعقيدة عامة وهي أن محمداً بن عبدالله ﷺ عبدٌ ونبيٌ ورسولٌ وأنه خاتم الأنبياء وأن كل دعوة للنبوة بعده فغيٌ وهوى. وهذا من جملة ما يدخل في أركان الإيمان، فلا يصح إيمان عبد حتى يعتقد بأن محمداً ﷺ عبدٌ نبيٌ رسول وأنه خاتم الأنبياء وخاتم المرسلين، وأنه لا تصح دعوى للنبوة بعده وكل دعوى للنبوة بعده فكذب وضلال وغي وهوى، إلى آخر ما سيأتي في بيان تلك الجمل، وهذه الجملة فيها تقرير بأن النبوة مختلفة عن الرسالة وأن النبوة تسبق الرسالة كما قال: (ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى) وهذا هو

المعروف عندكم فيما هو مقرر من أن محمداً ﷺ نُبئ بـ "اقرأ" وأرسل بـ "المدثر" فالنبوة مرتبة دون مرتبة الرسالة كما سيأتي وجعل العطف متغايراً أولى من جعله يعني متغايراً بالذات أولى من جعله متغايراً لفظياً. يعني أن المصنف الطحاوي يرى أن النبوة غير الرسالة وأن النبي غير الرسول، وهذا هو الحق كما سيأتي بيانه.

هذه الجملة فيها تقرير ما ذكرت من العقيدة العامة المعروفة، ويدخل تحتها مسائل:

المسألة الأولى:

تعريف النبي والرسول، والنبي والرسول لفظان موجودان في لغة العرب، فتعريفهما في اللغة يؤخذ من موارده في اللغة وهو أن النبي مأخوذ من النَبْوَة وهي: الارتفاع وذلك لأنه بالإيحاء إليه وبالإخبار إليه أصبح مرتفعاً على غيره والرسول هو من حُمِّلَ رسالة فبعث بها، ولهذا نقول: إن كلمة نبي جاءت في القرآن في القراءات على وجهين يعني على قرائتين متواترتين: الأولى: النبي بالياء، والثانية النبيء "يا أيها النبيءُ" والفرق ما بين النبي والنبيء أن النبيء هو من نُبئ وكلا الأمرين حاصل في النبي ﷺ وفي كل نبي، فهو مرتفع ولأجل ذلك فهو نبي وهو منبأ ولأجل ذلك فهو نبيء ولهذا نقول: إن كلمة نبي صارت من الرفعة لأجل نبيء لأنه نبيء يعني أنه نُبئ في نَبْوة وارتفاع عن غيره من الناس.

أما في الاصطلاح التعريف الاصطلاحي للنبي والرسول فهذا مما اختلف فيه أهل العلم كثيراً والمذاهب فيه متنوعة فمنها قول من قال: إنه لا فرق بين الرسول والنبي فكل نبي رسول وكل رسول نبي.

والقول الثاني أن النبي والرسول بينهما فرق وهو أن النبي أدنى مرتبة من الرسول فكل رسول نبيٌ وليس كل نبي رسولاً.

والمذهب الثالث: أن النبي أرفع من الرسول وهو قول غلاة الصوفية وأن الرسول دون النبي.

المذهب الأول: قال به طائفة قليلة من أهل العلم من المتقدمين ومن المتأخرين ومنهم من ينسب إلى السنة.

والقول الثاني وهو أنه ثمة فرق بين النبي والرسول وأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً هذا قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنة وذلك لأدلة كثيرة استدلوا بها على هذا الأصل مبسوطة في مواضعها ونختصر لكم بعضها الأول منها: قوله جل وعلا في سورة الحج: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**﴾، قال سبحانه هنا ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ ووجه الاستدلال أن الإرسال وهو فعل أرسلنا وقع على الرسول وعلى النبي فإذن الرسول مرسل والنبي مرسل؛ لأن هذا وقع على الجميع، وجه الاستدلال الثاني أنه عطف بالواو فقال ﴿ **مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ والعطف بالواو يقتضي المغايرة مغايرة الذات أو مغايرة الصفات وهنا المقصود منه أن الصفة التي صار بها رسولاً غير النعت الذي صار به نبياً وهو المقصود مع تحقق أن الجميع وقع عليهم الإرسال.

والوجه الثالث من الاستدلال أنه عطف ذلك بلا أيضاً في قوله ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ ومجيء لا هنا في تأكيد النفي الأول أي أول الآية وهو قوله ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا** ﴾ فهو تقدير تكرير الجملة منفية من أولها كأنه قال: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا أرسلنا من قبلك من نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته. هذا هو الدليل الأول.

والدليل الثاني: أن النبوة ثبتت لآدم -عليه السلام- فآدم كما صح في الحديث نبي مُكلَّم وأن هناك أنبياء جاءوا بعد آدم عليه السلام-- كإدريس وشيث وكغيرهما

وإدريس ذكره الله جل وعلا في القرآن والرسل أولهم نوح -عليه السلام- وجعل الله جل وعلا أولي العزم من الرسل خمسة وجعل أولهم نوحاً -عليه السلام- فهذا يدل على أن آدم -عليه السلام- لم يحصل له وصف الرسالة، بل جاء في الحديث قوله ﷺ ((آدم نبي مكلم))، ووصف نوح بأنه رسول ووصف إدريس بأنه نبي، فدل هذا على التفريق بين المقامين.

الدليل الثالث: الذي أورده أصحاب هذا القول ما جاء في حديث أبي ذر من التفريق ما بين عدد الأنبياء وعدد المرسلين فجعل عدد الأنبياء أكثر من مائة ألف، مائة وأربع وعشرين ألف أو نحو ذلك وجُعل عدد الرسل أكثر من الثلاثمائة بقليل بضعة عشر وثلاثمائة رسول والله جل وعلا قص علينا خبر بعض الرسل وحجب عنا قصص البعض الآخر ، فقال جل وعلا ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾.

وهذا الحديث، حديث أبي ذر حسنه بعض أهل العلم وإن كان إسناده عند التحقيق فيه ضعف، لكن فيه جمل صحيحة وهو حديث طويل رواه ابن حبان وغيره، وثم أدلة أخرى في هذا المقام قد لا تكون دالة بوضوح على المراد إذا تبين لك ذلك وأن الصحيح هو قول الجمهور وهو أن ثمة فرقاً بين النبي والرسول فما تعريف النبي وما تعريف الرسول في الاصطلاح؟

قلنا: أن النبي يقع عليه الإرسال ولكن لا يسمى رسولاً عند الإطلاق والرسول يقع عليه الإرسال وهو الذي يسمى رسولاً عند الإطلاق والله جل وعلا جعل ملائكة مرسلين وإذا قلنا الرسول فلا ينصرف بالإطلاق على المبلغ للوحي جبريل -عليه السلام-.

والله جل وعلا أرسل الريح وأرسل المطر وأرسل أشياء من العذاب ولا يقع عند الإطلاق أن يقال هذه مرسلة أو هذه رسالة الله أو هذه الأشياء رسول من إطلاق المفرد وإرادة الجمع به، ولهذا نقول: قد يقال عن هذه الأشياء كما

جاء في القرآن قد يقال عنها إنها مرسلة ﴿ **وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً** ﴾ ولكن إذا أطلق لفظ الرسول فلا ينصرف إلى من أرسل من الملائكة وإنما ينصرف إلى من أرسل من البشر وهذا يدل على أن الفرق قائم ما بين النبي وما بين الرسول وأن النبي إرساله خاص وأن الرسول إرساله مطلق، فلهذا نقول دلت آية سورة الحج ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ على أن كلا من النبي والرسول يقع عليه إرسال. فما الفرق بينهما من جهة التعريف؟

الجواب : أن العلماء اختلفوا على أقوال كثيرة على تعريف هذا وهذا، ولكن الاختصار في ذلك مطلوب وهو أن تعريف النبي وهي مسألة اجتهادية.

تعريف النبي: هو من أوحى الله إليه بشرع لنفسه أو أمره بالتبليغ إلى قوم موافقين يعني موافقين له في التوحيد. والرسول: هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم مخالفين وتلحظ من هذا التعريف للنبي وللرسول أنه لا مدخل لإيتاء الكتاب في وصف النبوة والرسالة فقد يعطى النبي كتاباً وقد يعطى الرسول كتاباً. وقد يكون الرسول ليس له كتاب وإنما له صحف، ﴿ **صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾ وقد يكون له كتاب.

فإذن من جعل الفيصل أو الفرق بين النبي والرسول هو إيتاء الكتاب وحي جاءه بكتاب منزل من عند الله جل وعلا فهذا ليس بجيد بل يقال كما ذكرت لك في التعريف أن المدار على أولاً الإيحاء فالنبي موحى إليه والرسول موحى إليه، والثاني أنه يوحى إليه بشرع أو بفصل في قضية، شرع يشمل أشياء كثيرة وكذلك الرسول يوحى إليه بشرع.

النبي يوحى إليه لإبلاغه إلى قوم موافقين أو ليكون في خاصة نفسه يعمل به في خاصة نفسه كما جاء في الحديث ويأتي النبي وليس معه أحد، والرسول يبعث إلى قوم مخالفين له، ولهذا جاء في الحديث أن العلماء ورثة الأنبياء ولم يجعلهم ورثة الرسل، وإنما قال ((وإن العلماء ورثة الأنبياء)) وذلك

لأن العالم في قومه يقوم مقام النبي في إيضاح الشريعة التي معه فيكون إذن في إيضاح الشريعة يكون ثم شبه ما بين العالم والنبي ولكن النبي يوحى إليه فتكون أحكامه صواباً؛ لأنها من عند الله جل وعلا والعالم يوضح الشريعة ويعرض لحكمه الغلط.

يتعلق بهذه المسألة بحث أن الرسول قد يكون متابعاً قد يكون متابعاً لشريعة من قبله كما أن النبي يكون متابعاً لشريعة من قبل. فإذن الفرق ما بين النبي والرسول في اتباع الشريعة شريعة من قبل أن النبي يكون متابعاً لشريعة من قبله والرسول قد يكون متابعاً كيوسف -عليه السلام- جاء قومه بما بعث الله به إبراهيم -عليه السلام- ويعقوب وقد يكون يبعث بشريعة جديدة.

وهذا الكلام، هذه الاحترازات لأجل أن ثمة طائفة من أهل العلم جعلت كل محترز من هذه الأشياء فرقاً ما بين النبي والرسول.

فإذن كما ذكرت لكم: الكتاب قد يعطاه النبي وقد يعطاه الرسول بعثه لقوم مخالفين أو موافقين، هذا مدار فرق ما بين النبي والرسول، الرسول قد يبعث بشريعة من قبله بالديانة التي جاء بها الرسول ممن قبله لكن يرسل إلى قوم مخالفين وإذا كانوا مخالفين فلا بد أن يكون منهم من يصدقه ومنهم من يكذبه؛ لأنه ما من رسول إلا وقد كذب كما جاءت بذلك الآيات الكثيرة.

المسألة الثانية:

نبوة الأنبياء هل هي واجبة أو ممكنة؟

الصواب: أن نبوة الأنبياء وإرسال الرسل مما جعله الله جل وعلا على نفسه كما قال سبحانه ﴿ **رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ وقد اختلف الناس في ذلك فقالت طائفة: إرسال الرسل جائز وقالت طائفة إرسال الرسل واجب على الله جل وعلا وقالت طائفة إرسال الرسل ونبوة الأنبياء لا يقال فيها جائزة ولا واجبة بل هي تبعٌ للمصلحة، وكما

ذكرنا أن قول أهل السنة في ذلك أن إرسال الرسل جعله الله جل وعلا حجة على الناس كما في الآية ولا يطلق القول بوجوبها ولا بإمكانها أو جوازها أو ردّ ذلك، بل يتبع في ذلك النص الوارد؛ لأن أفعال الله جل وعلا والإيجاب عليه والتحريم إنما يكون من عنده جل وعلا.

المسألة الثالثة:

نبوة الأنبياء أو رسالة الرسل بم تحصل؟ وكيف يعرف صدقهم؟ وما الفرق بين النبي والرسول وبين عامة الناس أو من يدعي أنه نبي أو رسول، أو من يأتي بالأخبار المغيبة أو يجرى عليه شيء أو على يديه شيء من الخوارق؟

والجواب عن ذلك أن المتكلمين في العقائد نظروا في هذا على جهات من النظر.

ونقدم قول غير أهل السنة ونبين لكم قول السلف وأهل السنة والجماعة في هذه المسألة العظيمة وهي من المسائل التي يقل تقريرها في كتب الاعتقاد مفصلة.

فنقول: إن طريقة إثبات نبوة الأنبياء وإرسال الرسل للناس فيه مذاهب:

المذهب الأول:

أن الرسل والأنبياء لديهم استعدادات نفسية راجعة إلى القوى الثلاثة والصفات الثلاث وهي السمع والبصر والقلب فإنه يكون عنده قوة في سمعه فيسمع الكلام كلام الملأ الأعلى، وعنده قوة في قلبه فيكن عند تخيلات أو يتصور ما هو غير مرئي وعنده بصر أيضاً قوي يبصر ما لا يبصره غيره.

وهذه طريقة باطلة وهي طريقة الفلاسفة الذين يجعلون النبوة من جهة الاستعدادات البشرية لا من جهة أنها وحي وإكرام واصطفاء من الله جل جلاله.

المذهب الثاني:

قول من يقول أن النبوة والرسالة طريق إثباتها والدليل عليها هو المعجزات وهذا قول المعتزلة والأشاعرة وطوائف من المتكلمين وتبعهم ابن حزم وجماعة وجعلوا الفرق ما بين النبي وغيره هو أن النبي يجري على يديه خوارق العادات فمنهم من التزم وهم المعتزلة وابن حزم في أنه ما دام الفرق هو خوارق العادات وهي المعجزات فإذن لا يثبت خارق لغير نبي، فأنكروا السحر والكهانة وأنكروا كرامات الأولياء وأنكروا ما يجري من الخوارق لأجل ألا يلتبس هذا بهذا، وجعلوا ذلك مجرد تخييل في كل أحواله.

وأما الأشاعرة فجعلوا المسألة مختلفة وسيأتي تفصيلها في موضعها إن شاء الله عند كرامات الأولياء.

المذهب الثالث:

هو مذهب أهل السنة والجماعة والسلف الصالح فيما قرره أئمتهم وهو أن النبوة والرسالة دليلها وبرهانها متنوع ولا يقصر القول بأنها من جهة المعجزات الحسية التي ترى أو تجرى على يدي النبي والولي فمنها فمن الأدلة والبراهين لإثبات النبوة والرسالة:

أولاً: الآيات والبراهين.

ثانياً: ما يجرى من أحوال النبي في خبره وأمره ونهيه وقوله وفعله مما يكون دالاً على صدقه بالقطع.

ثالثاً: أن الله جل وعلا ينصر أنبياءه وأولياءه ويمكن لهم ويخذل مدعي النبوة ويبيد أولئك ولا يجعل لهم انتشاراً كبيراً، وهذه ثلاثة أصول. أما الأول فمعناه أن من قرر نبوة الأنبياء عن طريق المعجزات فإننا نوافقهم على ذلك، لكن أهل السنة لا يجعلونه دليلاً واحداً لا يجعلونه دليلاً فرداً، بل يجعلونه من ضمن الدلائل على النبوة، وهذا الدليل، وهو دليل المعجزات كما يسمى يعبر

عنه أهل السنة بقولهم الآيات والبراهين، وذلك لأن لفظ المعجزة لم يرد في الكتاب ولا في السنة لفظ المعجزة وإنما جاء في النصوص الآية والبرهان ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ** ﴾ ﴿ **فِي تِسْعِ ايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ** ﴾ وقال ﴿ **فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ** ﴾ ﴿ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ** ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي تدل على أن ما يؤتاه الأنبياء والرسل إنما هو آيات وبراهين، وبعض أهل العلم جعل لفظ المعجز نتيجة في أن آية النبي وبرهان النبوة معجز لكن لفظ الإعجاز فيه إجمال وذلك لأنه معجز لمن؟ فيه إجمال وفيه إبهام وإعجاز ما يحصل لمن هو معجز. فإذا قلنا معجز لبني جنسه فهذا حال، معجز لبني آدم فهذا حال، معجز للجن والإنس فهذا حال، معجز لكافة الورى فهذا حال، ولهذا جعل المعتزلة والأشاعرة في الخلاف ما بينهم في المعجزات جاءت من هذه الجهة أن لفظ معجز اختلفوا فيه، معجز لمن كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله.

ولهذا نعدل عن لفظ الإعجاز إلى لفظ الآية والبراهن، ونقول الآية والبرهان التي يؤتاها الرسول والنبي للدلالة على صدقه تكون معجزة للجن والإنس جميعاً، فما آتاه الله جل وعلا محمداً ﷺ يكون معجزاً للجن والإنس جميعاً كما قال تعالى ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ أما إعجاز بعض الإنس دون بعض أو الإنس دون الجن فهذا هو الذي يدخل في الخوارق ويدخل في أنواع ما يحصل على أيدي السحرة والكهنة وما أشبه ذلك.

أما الفرق ما بين الآية والبرهان الدال على صدق النبي مع ما يؤتاه أهل الخوارق أنه هل هو معجز لعامة الجن والإنس أم لا؟ فإن كان معجزاً

لعامة الجن والإنس فهو دليل الرسالة والنبوة هذه الآيات والبراهين التي أتاها الله محمداً ﷺ أنواع:

النوع الأول منها: القرآن وهو حجة الله جل وعلا وآياته العظيمة على هذه الأمة فتحدى الله جل وعلا به الجن والإنس ولم يستطيعوا ذلك مع إنهم متميزن بالفصاحة والبلاغة وأباه ذلك، فإذن الآية والدليل الأول هو القرآن العظيم وهو الحجة الباقية.

الشريط السابع . وجه (ب) :

النوع الثاني منها: آيات وبراهين سمعية تكون دالة من جهة ما يسمع وقد ورد أن ابن مسعود قال: "كنا نسمع تسبيح الطعام ونحن نأكل مع رسول الله ﷺ".

النوع الثالث منها: آيات وبراهين راجعة إلى البصر وهو ما يبصر من أشياء لا تحصل لغيره بل هي آية وبرهان على عجز الثقلين عن ذلك. مثل نبع الماء ما بين أصابعه ومثل حركة الجمادات وأشباه ذلك.

النوع الرابع منها:

أدلة وبراهين فيها نطق ما لم ينطق وهذه تشمل الأول المسموعة وتحرك ما لم يتحرك في العادة ويشمل حركة الجمادات وشعور من لا يعرف بشعوره وهذه إنما يخبر عنها نبي وتحصل للرسل والأنبياء مثل حنين الجذع وتسليم الحجر وأشباه ذلك.

هنا نوع وهو الآيات والبراهين.

النوع الثاني: كما ذكرنا عند أهل السنة والجماعة هو أن الرسول يأتي بخبر وأمر ونهي وللرسول قول وفعل فهذه خمسة أشياء وهذا النوع من الدلائل أهم من الدلائل التي ذكرت لك فيما قبل عدا القرآن فهو أعظم الأدلة وذلك أن محمداً ﷺ جاء بأخبار هذه تصدق على جميع النبوات والرسالات جاء بخبر

عن الله جل وعلا، وهذا الخبر منه ما يتعلق بالماضي ومنه ما يتعلق بالحاضر ومنه ما يتعلق بالمستقبل وجاء بأمر ونهي وهذا الأمر والنهي وما يدخل في الشريعة والأوامر متنوعة والنواهي متنوعة، وجاء بأقوال هو قالها في التبليغ وأفعال له وكل هذه بمجموعها تدل للناظر على أن من قال وأخبر عن الله وفعل وأمر ونهى فإنه صادق فيما قال؛ لأن كل مدعي للخبر والأمر والنهي وله أقوال وله أفعال وليس على مرتبة النبوة فلا بد أن يظهر لكل أحد كذبه فيما ادعاه وتناقضه في أقواله وأفعاله وضعف أمره ونهيه وعدم إصلاحه وأشباه ذلك.

ولهذا فإن محمداً ﷺ جعل الله جل وعلا له الكمال فيما أخبر به وفيما أمر به وفيما نهى وفي أقواله وفي أفعاله فجعل إتباعه في الأقوال والأفعال أتباعاً مأموراً به ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ وقال: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ وجعل ما يخبر به الرسول ﷺ هو كخبر الله؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ونحو ذلك.

فاستقام أمره ﷺ في هذه الأمور الخمسة ولم يعرف أن أحداً طعن في هذه الأشياء واستقام على طعنه ولم يستسلم بل كان من طعن في واحد من هذه الأشياء فإنه آل به أمره إلى الاستسلام أو أن يكون طعنه مكابرة دون برهان، لهذا نقول أن هذا الدليل من أعظم الأدلة التي تفرق ما بين الرسول والنبي الصادق وما بين مدعي النبوة فإن الرسول له أحوال كثيرة يرى في أفعاله، يسمع في أقواله، أوامره ونواهيه جاءت بماذا؟، أخباره جاءت بماذا؟

ونبينا محمد ﷺ أخبر عن أشياء حدثت في الماضي لم يكن العرب يعرفونها وجاء تصديقها من أهل الكتاب وما كان يقرأ ﷺ كتب أهل الكتاب وجاء بأخبار عما سيحصل مستقبلاً وجاء بأخبار عما سيحصل بين يدي الساعة وحصلت بعده ﷺ شيئاً فشيئاً منها ما حصل بعد موته سريعاً، ومنها

ما يحصل شيئاً فشيئاً ومنها ما يحصل بين يدي الساعة وكل هذه الأخبار في تصديقها دالة على أنه لا يمكن أن يعطاها إلا نبي كذلك. ما أمر به ﷺ وما نهى عنه فهو موافق للحكمة البالغة التي يعرفها أهل الدين ويعرفها أهل العقل الراجح حتى إن الحكماء شهدوا في الزمن الماضي وفي الزمن الحاضر بأن شريعة محمد ﷺ هي شريعة ليس فيها خلل لا من جهة الفرد في عمله ولا من جهة التنظيم في المجتمع بعامة وكذلك في أفعاله ﷺ فكان ﷺ له المقام الأكمل في التخلص من الدنيا والبعد عن الرفعة يعني والترفع على الناس بل كان ﷺ أكمل الناس في هديه وفي تواضعه وفي قوله وفي عمله ﷺ وكان أكمل الناس في عبادته وكل دعوى لمن ادعى النبوة فلا بد أن يظهر فيها خلل في هذه الأشياء.

أيضاً هو ﷺ تحدى الناس في قوله فيما أتى به وأخذ يدعو كما يظهر لك من قصة هرقل مع أبي سفيان وسؤالات هرقل لأبي سفيان، وأخذ يدعو غير ملتفت بخلاف من خالفه والناس يزيدون وأعداؤه ينقصون وهذا مع تطاول الزمن ونصرة الله جل وعلا له، فإن هذا دليل على صدقه فيما أخبر وفي أمره ونهيه وقوله وفعله ﷺ.

الدليل الثالث: كما ذكرنا، هذه أجناس الأدلة أن الله جل وعلا هو صاحب الملكوت وهو ذو الملك والجبروت وهو الذي ينفذ أمره في بريته، فمحال أن يأتي أحد ويدعي أن مرسل من عند الله ويصف الله جل وعلا بما يصفه به، ويذكر الخبر عن الله وأسمائه ونعوته ثم هو في ملك الله جل وعلا يستمر به الأمر إلى أن يشرع ويأمر وينهى وينتشر أمره ويغلب من عداه ويسود في الناس ويرفع ذكره دون أن يعاقب ولهذا قال جل وعلا في بيان هذا البرهان: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾ لو كانت دعوى في

ملك الله جل وعلا وهذا يدعي أنه مرسل ونبي ويأتي بأشياء يقول هي من عند الله فإن مالك الملك لا يتركه وحاله بل ربما جعل ابتلاءً وامتحاناً للناس ولكن لا يُنصر وتكون شريعته هي الباقية ويكون ذكره هو الذي يبقى ويكون خبر عن الله وعن أسمائه وصفاته ودينه وشرعه وعن الأمم السالفة وعما سيحصل هو الذي يبقى في الناس، فإن هذا مخالف لقول الله جل وعلا ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾.

والمشركون لما كذبوا النبي ﷺ قالوا شاعر نتربص به ريب المنون؛ لأن السنة ماضية عند العقلاء أن الذي يدعي عن الله جل وعلا، يتربص به الهلاك والإفناء، شاعر نتربص به ريب المنون، فجاء البرهان ﴿ **قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ** ﴾؛ لأن هذا برهان صحيح فتربصوا فإني معكم من المتربصين ﴿ **قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ** ﴾ فقد صدقكم في هذا البرهان في أنه لو كان كما تقولون كاذب فإنه يتربص به ريب المنون وأن يهلكه الله جل وعلا وأنه يجعله مخزياً وأنه يجعله عبرة لمن اعتبر، فالنبي محمد ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين جعلهم الله جل وعلا حملة لرسالته وشرفهم ورفع ذكرهم ونصرهم بين الناس ولهذا تجد أن الرسالات هي الباقية في الناس. رسالة موسى -عليه السلام- ورسالة إبراهيم ورسالة عيس -عليه السلام- ورسالة محمد ﷺ وكل واحدة منها دخلها من التحريف ما دخلها فأتباع إبراهيم حرفوا في دينهم حتى أصبحوا على غير ملة إبراهيم وأتباع موسى من اليهود الآن على غير دين موسى وأتباع عيسى -عليه السلام- الآن على غير دين عيسى وأتباع محمد ﷺ هم الذين حفظهم الله جل وعلا منهم طائفة ظاهرين بالحق يقومون به إلى قيام الساعة. هذا ما يتعلق بالمسألة الثالثة.

المسألة الرابعة:

أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشر يجوز في حقهم ما يجوز في حق البشر مما هو من الجبلة والطبيعة، ولهذا في القرآن يكثر وصفهم بأنهم بشر وأن محمداً ﷺ بشر لكن يوحى إليه وأما من جهة الذنوب والآثام، وتجعل هذا البحث رأس المسألة منقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

من حيث الأمراض والعاهات فعند أهل السنة والجماعة أن الأنبياء والرسل يبتلون ويمرضون مرضاً شديداً.

وعند الأشاعرة أنهم يمرضون ولكن بمرض خفيف ولا يمرضون بمرض شديد وهذا غلط بيّن فإن ابن مسعود دخل على النبي ﷺ وقال يا رسول الله إني أراك توعك يعني فيك حمى شديدة قال ((أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم)) قال ابن مسعود ذلك بأن لك أجرين قال: ((نعم)) إلى آخر الحديث.

والأنبياء يضاعف عليهم أو يشتد عليهم البلاء بأنواعه، فإذن من جهة الأمراض والأسقام التي لا تؤثر على التبليغ وصحة الرسالة فإنهم ربما ابتلوا في أجسامهم وأبدانهم بأمراض متنوعة شديدة.

القسم الثاني:

من جهة الذنوب، الذنوب أقسام فمنها الكفر، وجائز في حق الأنبياء والرسل أن يكونوا على غير التوحيد قبل الرسالة والنبوة.

والثاني من جهة الذنوب فالذنوب قسمان كبائر وصغائر فالكبائر جائزة فيما قبل النبوة، ممنوعة فيما بعد النبوة والرسالة، فليس في الرسل من اقترف كبيرة بعد النبوة والرسالة أو تقحمها عليهم صلوات الله وسلامه بخلاف من أجاز ذلك من أهل البدع.

أما الصغائر فمنع الأكثرون فعل الصغائر من الأنبياء والرسل والصواب أن الصغائر على قسمين:

صغائر مؤثره في الصدق في صدق الحديث وفي تبليغ الرسالة وفي الأمانة، فهذه لا يجوز أن تتكون في الأنبياء، والأنبياء منهون عنها لأجل أنها قادحة أو مؤثرة في مقام الرسالة والثاني من الأقسام صغائر مما يكون من طبائع البشر في العمل أو في النظر أو فيما أشبه ذلك فهذه جائزة أو من جهة النقص في تحقيق أعلى المقامات وأشباه ذلك فهذه جائزة ولا نقول واقعة بل نقول جائزة، والله جل وعلا أنزل على نبيه ﷺ ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ فالنبي ﷺ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

المسألة الخامسة:

أن الرسول والنبي فيهما شروط أو أوصاف عامة جاءت في القرآن والسنة:

أولاً: أن الرسول يكون ذكراً وكذلك الأنبياء ذكور فليس في النساء رسولة ولا نبية وإنما هم ذكور.

الثاني: أنهم من أهل القرى يعني ممن يسكنون القرى ويتقرون ويجتمعون وليسوا من أهل البادية ممن يبدون، كما جاء في آية يوسف.

الثالث: أن الرسول لا بد أن يُكَذّبْ فلم يأت رسول إلا وكُذِبَ كما قال جل وعلا ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا** ﴾.

مباحث النبوة والرسالة كثيرة متنوعة وهذه بعض المسائل المتعلقة بها، وقد لا تجد ذلك مجموعاً في موضع واحد ولا شك أن هذا البحث خاصة دلائل النبوة بحث مهم واعتنى به أئمة السنة والسلف وصنف فيه عدد من العلماء في دلائل النبوة وفي آيات وبراهين النبي محمد ﷺ.

الأسئلة :

سؤال: ذكرتم أن العطف بالواو يقتضي المغايرة فهل أوضحتم أكثر وكيف تكون المغايرة في قوله تعالى ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴾؟

الجواب : ذكرت أن المغايرة نوعان مغايرة في الذات ومغايرة في الصفات المغايرة في الذات تقول هذان قلم وكتاب خذ القلم والكتاب معلوم أن القلم شيء في ذاته والكتاب شيء في ذاته، دخل محمد وخالد، هذا شيء وهذا شيء فالعطف بالواو يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه في هذه الأمثلة هي مغايرة ذات هذه ذات وتلك ذات هذا له حقيقة وهذا له حقيقة، هذا له ماهية وهذا له ماهية النوع الثاني من المغايرة، مغايرة الصفات يعني أن يكون المعطوف والمعطوف عليه في الدلالة على مسمى واحد ولكن يكون ثمة فرق ما بين الصفات كما في قوله تعالى ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ** ﴾ الكتاب المبين هو القرآن لكن العطف لاختلاف الصفات فالقرآن سمي قرآناً؛ لأنه صار مقروءً وسمي كتاباً مبيناً؛ لأنه يكتب فيستبين به كل شيء كما قال تبياناً لكل شيء. فإن حقيقة المصحف في كونه قرآناً غير حقيقة المصحف في كونه كتاباً فهذا وصف له وهذا وصف له كما ذكرنا في الآية ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ فالنبي والرسول قد يجتمعان في شخص واحد فيكون الرسول والنبي العطف لتغاير الصفات فيكون مقام النبوة غير مقام الرسالة كما نقول في نبينا ﷺ نُبئ بـ ﴿ **اقرأ** ﴾ وأرسل بـ ﴿ **المدثر** ﴾ وقد يكون هنا الرسول أو نبي في الفرق بين الذوات، الرسول واحد أحد المرسلين، والنبي المقصود به آخر وهكذا في نظائرها مثل هذه المباحث ترجعون إلى كتب اللغة ومن أمثلها في الحروف كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام هو أمثل الكتب في حروف المعاني، الكتب التي في دلائل النبوة، منها كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم وقد طبع مختصره في مجلدين معروف

ودلائل النبوة للبيهقي ودلائل النبوة للبغوي وفي كتب الحديث أبواب أو كتب تتعلق بدلائل النبوة.

سؤال: ما معنى قول بعض السلف: النبوة العلم والعمل وهل هذا صحيح أم لا؟

الجواب: إن هذا القول ليس قولاً لبعض السلف بل قاله ابن حبان صاحب الصحيح وغُلِط في ذلك وهجر بسبب هذه الكلمة فإنه سُئل عن النبوة فقال النبوة العلم والعمل، وهذا كقول الفلاسفة؛ لأن الفلاسفة عندهم أن النبوة ليست اصطفاءً واجتباءً واختياراً إنما هي كسبية يكتسبها الفيلسوف يكتسبها الحكيم ولهذا لما سُئل ابن حبان –رحمه الله– ما النبوة؟ قال العلم والعمل أتهم بالفلسفة وكان –رحمه الله– ربما طالع بعض كتبها ولذلك صنف كتابه الصحيح على التقاسيم والأنواع قالوا أنه تأثر بما في المنطق من الترتيبات ونحو ذلك التقاسيم والأنواع كتاب ابن حبان معروف أنه غير موجود ولكن رتبه الفارسي بن بلبان وهو المطبوع رتبه على الأبواب لكن نفس كتاب ابن حبان ليس على هذه البابة، لكن الواقع أن ابن حبان سليم مما رمي به –رحمه الله–، فإن تصنيفه للكتاب ليس مأخذاً فلسفياً ولكنه رأي طلاب العلم يعتمدون على الكتب وتركوا الحفظ فصنف لهم كتاباً جمع فيه صحيح السنة بحسب رأيه وحسب اجتهاده في التصحيح وجعله غير مبوب على الأبواب المعهودة حتى يحفظ رغبة في الحفظ وتوجيه الناس للحفظ وإلزام الطلبة بالحفظ ومعلوم أن حسن الظن بأهل العلم هنا أولى من إساءة الظن بهم، وأما قوله النبوة العلم والعمل يعني أن النبوة فيها كمال العلم وكمال العمل وهذا كما هو معروف في ذكر الشيء بأعظم صفته كما سئل النبي ﷺ عن الحج فقال الحج عرفة يعني مع بقية الأركان والشروط.

فلا ينفي أن النبوة وحي من الله جل وعلا وأنها اصطفاء وأن النبي من أوحي إليه ونحو ذلك لا ينفي ذلك وإنما ذكر الصفة التي يبلغها النبي، كمال العلم وكمال العمل وهذه ليست إلا في الأنبياء. ولكن هذا ليس بقول للسلف فيُنتبه لذلك.

سؤال : أشكل عليّ قولك أن النبي قد يكون على غير التوحيد قبل الرسالة؟

الجواب : نعم قد يكون النبي على غير ذلك فيصطفيه الله جل وعلا وينبهه يعني ما في مشكل في ذلك قد يكون غافل.

سؤال : لم تذكروا ما إذا كان هناك رسول من الجن أم لا؟

الجواب : الصواب أن الجن ليس فيهم رسول وإنما الجن تبع للإنس في الرسالة كما قال جل وعلا ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُواْ أَنصِتُواْ** ﴾ صرفهم الله جل وعلا إلى محمد حتى يسمعوا الرسالة فالصارف هو الله جل وعلا والمصروفون هم الجن لسماع الرسالة قال ﴿ **فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُواْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ...** ﴾ الآية، فدل على أنهم متبعون لموسى قبل ذلك متبعون للأنبياء فلما جاءت رسالة محمد ﷺ خوطبوا بذلك، فهذا هو الصحيح في الآية. وأما قوله تعالى ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ** ﴾ فالمقصود التغليب؛ لأن الجنسين جنسٌ واحداً في التكليف.

سؤال : أرجو بيان بعض الكتب التي بحثت في هذا الموضوع؟

الجواب : هذا الموضوع تفرق في بيان الآيات يعني تفسير الآيات التي فيها ذكر النبوة والرسالة والآيات والبراهين وشيخ الإسلام ابن تيمية كتب كتابة عظيمة في هذا الباب خاصة في الآيات والمعجزات والبراهين والفرق بين

النبوة والرسالة في كتابه النبوات لكنه طويل يحتاج إلى اختصار من طالب علم يقربه لطلاب العلم.

سؤال: ما رأيكم في عبارة أشرف الأنبياء للرسول ﷺ ؟

هذه العبارة ما جاءت في الأحاديث والشرف متنوع والشرف نوعان، شرف كسبي وشرف نسبي، هذا من حيث تقسيم الشرف في تعريفه، الشرف النسبي فالنبي ﷺ قال: ((إن الله اصطفى قريشاً من كنانة إلى أن قال فأنا خيار من خيار من خيار)).

والشرف الكسبي أو شرف النبوة هو الكمال، كمال العبودية كمال الصفات ونبينا محمد ﷺ فيه كمال الصفات، الصفات الكاملة التي صار بها أكمل من غيره وإن كنا لا نقول إنه أفضل من غيره في جهة الموازنات لكن هو ﷺ اجتمعت فيه صفات الكمال لهذا فإن الناس يأتون يوم القيامة لكل أولي العزم من الرسل فيمتنعون من إجابتهم –في حديث الشفاعة المعروف– ويأتون إلى النبي ﷺ فيقول أنا لها – فقد كمله الله تعالى بصفات لم يجعلها في غيره ﷺ، إذن الشرف هنا شرف الصفات، ولذا يقول أهل العلم، أشرف الأنبياء والمرسلين.

حدثني الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد –رحمه الله تعالى– وكان من مشايخنا العباد الزهاد –رحمه الله ورفع درجته في الجنة– أنه كان يقرأ على شيخه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وكان يقول هذه الكلمة "والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين" فقال له أحد الإخوان هذه ما جاءت فعظمت عليه، يقول فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: أنا أشرف الأنبياء وأشرف المرسلين. وهذه لها حكم المنامات التي هي للبشرى والمعنى كما ذكرت لكم صحيح.

سؤال: هل أرسل للعرب رسول غير محمد ﷺ ؟

الجـواب: لا. المقصـود أنـه مـا أرسـل إلـى العـرب كافـة إلا محمـد ﷺ نكتفي بهذا القدر وأسأل الله لي ولكم التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الشريط الثامن ـ وجه (أ) ١٤١٨/٦/١٧هـ

سـؤال : ظهـرت قبـل فتـرة أشـرطة تكلمـت بالتفصـيل عمـا وقـع بـين الصـحابة مـن فتـن واسـم هـذه السلسـلة "قصـص مـن التـاريخ الإسـلامي" فمـا رأيكم فيها؟

الجـواب: لـم أسـتمع لهـا ولكـن ذكـر لـي مـن عـدد مـن الإخـوة أن عليهـا ملاحظـات وطلبـت ممـن ذكـر لـي ذلـك أن يوردهـا ونقـف علـى الأشـرطة فـإن كانـت لا توافـق طريقـة أهـل السـنة فيمـا وقـع بـين الصـحابة مـن شـجار وجـب منعها حينئذٍ وذكر الأخ الآن أن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز –رحمه الله– منعها والحمد لله.

سؤال : هل تارك العمل بالكلية مسلم؟

الجـواب : تـارك الأركـان وغيرهـا مـن الواجبـات والمسـتحبات والأعمـال الظاهرة وأعمال الجوارح، إن العمل عند أهل السنة والجماعة داخل في مسمى الإيمان يعني أن الإيمان يقع على أشياء مجتمعة وهي الاعتقاد والقول والعمل لـذلك مـن تـرك جـنس العمـل فهـو كـافر؛ لأنـه لا يصـح إسـلام ولا إيمـان إلا بالإتيان بالعمل.

سؤال: هل يتصور وجود مطلق الانقياد في القلب ولا يظهر له أثر على الجوارح؟

الجواب : هذا فرع المسألة التي سبقت وهو ترك العمل بالكلية فالانقياد فـي أصـله عقيـدة واجـب وهـو مـن عمـل القلـب ولا يصـح الإيمـان حتـى يكـون الانقياد ظاهراً على الجوارح أي حتى يعمل.

سؤال: ما حكم تغيير الصوت بحيث وهو يقرأ متن إذا وصل إلى الآية تلاها؟

الجواب : لم تكن على هذا سنة أهل العلم.

سؤال : ما هو التوجيه الصحيح للحديث الذي في مسلم ((لم يعمل خيراً قط ...)) ؟

الجواب : وردت عدة أحاديث بهذا اللفظ ، فينبغي أن يحضر النص لأن لكلٍ جواباً .

سؤال : كيف نجمع بين أن الله يتربص بأعداء الأنبياء وما جاء في الخبر وأن بني إسرائيل كانت تقتل الأنبياء ؟

الجواب : الله جل وعلا يتولى أولياءه بنصرهم وانتقامه وإظهارهم على أعدائهم ، وأعداء الأنبياء هم أشد الناس عداوة لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين** وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ وهداية الله ظاهرة للنبي في نفسه ولأمته وبيان ضلال واعتداء من اعتدى عليهم ، وكذلك نصره جل وعلا ظاهر لهم ولكن قد يؤخر كما قال جل وعلا : ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِّبوا جاءهم نصرنا** ﴾ فحكمة الله جل وعلا ماضية وسنته سبحانه وتعالى فيما يفعل بأعدائه أيضاً ماضية ، وقد يؤخر ذلك سبحانه يمهل ولا يهمل ، وقد دلت على هذا الأصل آيات وأحاديث كثيرة .

سؤال : ما حكم الصلاة في مسجد فيه قبر؟ وهل تجوز الصلاة في هذه المساجد بغية الدعوة إلى الله؟

الجواب :إن الصلاة في مسجد فيه قبر فيها تفصيل فإن كان المسجد وجد أولاً ثم أُدخل القبر بالمسجد فهنا يجب إخراج القبر من المسجد؛ لأن الحق للمسجد والمسجد بأرضه وقف والقبر لا يدخل في المسجد؛ لأن الحق

للمسجد، ثم إذا وجد القبر المتأخر الذي أدخل في المسجد فإن كان في قبلة المصلى فلا تجوز الصلاة إليه ولا تجوز الصلاة حينئذٍ في المسجد وأما إن كان القبر خلف المصلى أو لا يستقبله فإن الصلاة فيه جائزة وتركها أولى؛ لأجل ألا تحدث شبهة وأما إذا كان القبر موجوداً أولاً ثم بني المسجد على القبر، فهذا يجب هدم المسجد ويبقى القبر؛ لأن القبر له الحق والقبور منازل الأموات ومساكنهم فلا يعتدى عليهم فيها كما أن اتخاذ المساجد على القبور منهي عنه بالآي والحديث، قال جل وعلا: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً** ﴾ والذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف هم أصحاب النفوذ والكبراء، المعاندين لأهل الإيمان أو المشركون وليس بالمسلمين،وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في وصيته قبل وفاته ﷺ ((ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)) وسببها أن أهل الكتاب كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، فنهى النبي ﷺ عن ذلك ودعا وقال: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)) المقصود أن المسألة فيها هذا التفصيل، وعليه الصلاة في مسجد فيه قبر وكان المسجد متأخر عن القبر فإن الصلاة فيه باطلة؛ لأن النهي يقتضي الفساد.

المتن :

وإن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى ، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء.

الشرح :

تكلمنا عن الجمل الأولى وهو قوله (وإن محمداً ﷺ عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى) ﷺ ووقفنا عند قوله وإنه خاتم الأنبياء، وهذه

الجملة فيها تقرير أن محمداً ﷺ به ختمت النبوة وأنه خاتم الأنبياء يعني الذي ختمهم، صار خاتماً لهم فليس بعده أحد وهذا مجمع عليه بين طوائف هذه الأمة جميعاً حتى الفرق أو الطوائف الخارجة عن الثنتين والسبعين فرقة كالجهمية والرافضة وأشباه هؤلاء من المتقدمين فإنهم مقرون بأن بعثة محمد ﷺ بها ختمت النبوة وأنه ﷺ خاتم الأنبياء وخاتم المرسلين ﷺ فهذا إجماع وقد ادعت طوائف من المعاصرين خلاف ذلك كالقاديانية وبعض المتقدمين أشار إلى أن النبوة قد لا تختم وهذا سيأتي له البحث إن شاء الله فيما نعرض من مسائل ولكن لا ينسب إلى طائفة عامة ولكن قد يكون نسب إلى بعض الأشخاص أو بعض الأفراد المنتسبين إلى الفلسفة أو الغلو أو أشباه ذلك، فقول المؤلف –رحمه الله– (وإنه خاتم الأنبياء) يعني النبي ﷺ هذا كما قلنا مجمع عليه لدلالة القرآن والسنة على ذلك ولإجماع أهل العلم عليه، قال ربنا جل وعلا ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ قرأ قوله (وخاتم النبيين) عاصم وحده من بين القراء بفتح التاء وخاتم النبيين وقرأ الباقون من السبعة وخاتم النبيين وبها كان يقرأ الطحاوي لذلك اخترنا الكسر على الفتح لاتباع قراءة الآيات على ما يقرأ به المصنف – رحمه الله–، وهذا موضوع يحتاج من طلاب العلم إلى التنبه إليه وإلى التنبيه عليه وهو أن كثيرين إذا نشروا كتباً أو حققوا رسائل ضبطوا الآيات بما يقرأ به المحققون أو يقرأ به الباحث وهذا غلط؛ لأن حق المؤلف أن تورد الآية بحسب قراءته فإذا عُرِفت قراءته التي كان يقرأ بها تورد الآية على نحو ما كان يقرأ فإن كان يقرأ بحفص فتثبت على حفص وإن كان يقرأ بأبي عمرو أثبتت كذلك وإن كان يقرأ على قراءة نافع فتثبت كذلك.

وهكذا فينبغي التنبه لذلك؛ لأن بعض العلماء يورد آية ويذكر وجه الاستدلال وقد لا يذكره فيقع الإشكال في أن وجه الاستدلال أو أية الدليل لا

يطابق القضية التي تبحث وذلك من جهة أن الناظر أو المحقق أو الناشر أورد الآية على نحو ما يقرأ هو ولذلك يقع في إشكال، وهذا بهذه المناسبة قضية كبيرة فالذين نشروا كتباً متنوعة أو ينشرون ينبغي لهم العناية بهذا الأمر، وأعظم منها إذا نشروا تفسيراً للقرآن فإنهم قد يجعلون التفسير بقراءة ليست هي قراءة المؤلف كما في عامة طبعات ابن كثير فإن ابن كثير الحافظ المفسر لم يكن يقرأ بقراءة حفص عن عاصم، وكما في غير ذلك، وكذلك في كتب السنة، كتب الحديث معلوم أنها روايات والروايات مختلفة في كتب الحديث فالبخاري له روايات متعددة وأبوداود له روايات قد تكون عن أبي داود نفسه وقد تكون عمن تلقى عنه باختلاف فيأتي الناشر ويثبت نصاً للكتاب يخالف النص الذي شرح عليه الشارح ولهذا كل الطبعات لكتاب فتح الباري ليست موافقة لرواية صحيح البخاري المثبت معها فإن الحافظ ابن حجر – رحمه الله– لم يشرح البخاري على واحدة من الروايات المثبتة طبعاً مع نسخ فتح الباري، وهذه مسألة ينبغي لطلاب العلم أن يتنبهوا عليها وخذ ما جره الأمر في صحيح مسلم حيث أدخل بعض الناشرين التبويب في داخل صحيح مسلم وكأن مسلماً –رحمه الله– هو الذي بوب صحيحه ومعلوم أن مسلماً – رحمه الله– لم يبوب كتابه وإنما جعله كتباً وأما التبويب الداخلي فإنه من صنع الشراح ، فلا ينبغي لطالب العلم أن يقول رواه مسلم في كتاب صفة القيامة باب كذا، أو في كتاب الصلاة باب كذا؛ لأن التبويب ليس من صنعه والكتب يجب أن تراعى أيضاً هل ذكرها في أولها أو لم يذكرها .

المقصود من هذا أن الله جل وعلا قال ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ وفي هذه الآية دلالة على أن النبي ﷺ ختمت به النبوة وختم النبوة يدل على ختم الرسالة من باب أولى عند من يقول إن الرسولَ أرفع رتبة من النبي وأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً

وهو من قبيل دلالة المساواة عند من يقول أن الرسول والنبي بمعنى واحد، والآية تدل على التفريق؛ لأنه قال ولكن رسول الله وخاتم النبيين وفي السنة دلت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ على أن بعثته بها ختمت الرسالات والنبوات فثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال في حديث ثوبان ((إنه سيكون كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي)) وأيضاً دل قوله ﷺ فيما في الصحيح ((إنه لا نبي بعدي)) على ذلك ودل أيضاً قوله ﷺ فيما رواه بعض أصحاب الصحيح وبعض أصحاب السنن بل هو في مسألة ستأتي ليس فيها لفظ الختم المقصود أن الأدلة من السنة التي فيها ذكر ختم النبوة كثيرة متنوعة دالة على ما دلت عليه الآية من أن رسول الله ﷺ به ختمت النبوة وكما ذكرت لكم أن هذا إجماع، إذا تبين ذلك ففي هذا البحث مسائل:

المسألة الأولى:

أن قوله جل وعلا ﴿ **وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّـهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ بكسر التاء هو فاعل من ختم، ختم الشيء يختمه فهو خاتِم له يعني جاء آخراً فختمه فهو الآخر منهم، وهذا دل عليه قوله ﷺ ((وأنا العاقب)) يعني الذي لا نبي بعده، وأما قوله جل وعلا ﴿ **وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّـهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ بالفتح ففسره العلماء على أوجه، منها أن الخاتم في هذا خاتم النبيين أنه كالطابِع على مسألة النبوة والطابع على الشيء يأتي آخر ما يأتي فالذي يُرسل الرسالة يجعل الخاتم آخر شيء فتكون دلالة ﴿ **وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّـهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ دالة على أنه هو الآخر؛ لأن الخاتم إنما يأتي في آخره، وفيه أيضاً أن الخاتم هو زين الشيء وما يتزين به فهو البارز حلية وزينة وفضلاً وهذا الوجه ذكره الشوكاني وغيره فدل هذا على أن القراءتين ﴿ **وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّـهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ والقراءة الأخرى ﴿ **وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّـهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ أن دلالتهما على ختم النبوة واحدة وأن قراءة "وخاتَم" تزيد على القراءة الأخرى بزيادة معنى وفضل دلالة.

المسألة الثانية:

أن مسألة ختم النبوة الكلام فيها راجع إلى بعض الكلام في مسألة النبوة والنبي والرسول التي مرت معنا وذلك أن من الأفراد المنتسبين إلى الفلسفة وإلى الصوفية الغالية من قال إن النبوة مكتسبة وأن تكتسب النبوة بأشياء، منها أشياء علمية ومنها أشياء عملية، ومنها استعدادات ومواهب فطرية كما قد يكون غير الأنبياء مساويين لهم في تلقي الأوامر وتلقي الوحي كما يزعمون، وهذا القول لا ينسب إلى طائفة معروفة بحيث يقال إن الفلاسفة قالوا هذا أو أن الصوفية قالوا هذا بل ربما وجد عند بعض أفراد منهم.

المسألة الثالثة:

أن الكلام على ختم النبوة هو الكلام نفسه على ختم الوحي فإن النبوة إنما كانت بالوحي فمن ادعى أنه يسمع كلام الله جل وعلا فقد ادعى أنه يوحى إليه، وانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ دال على أن الوحي لا يكون لأحد بعده ﷺ، فلهذا كفر طائفة من المحققين من أهل السنة من ادعى أنه يوحى إليه وأنه يسمع كلام الله جل وعلا مباشرة أو بواسطة جبريل ونحو ذلك؛ لأن حقيقة سماع الوحي هي حقيقة النبوة، فإذن من ادعى أنه يوحى إليه فقد ادعى أنه نبي ولو نفى النسبة عن نفسه.

المسألة الرابعة:

أن ادعاء الوحي كفر كدعوى النبوة وهذا باتفاق أهل السنة فمن ادعى أنه يوحى إليه فقد ادعى منزلة النبوة، وهذا يدخل في عدم التصديق بختم النبوة وبالكذب على رب العالمين وهذا هو الكفر.

المسألة الأخيرة:

أن ختم النبوة وكون النبي ﷺ خاتم الأنبياء وخاتمهم لا يعارض نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان فإن نبوته -عليه السلام- كانت قبل نبوة محمد ﷺ

وإذا نزل فالنبوة السابقة ملازمة له –عليه السلام– ولكنه يأتي مؤمناً بمحمد ﷺ حاكماً بشريعته قاتلاً الخنزير كاسراً الصليب واضعاً الجزية على النصارى واليهود كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: ((ليوشكن أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكماً عدلاً فيضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير)) وإذا نزل –عليه السلام– جعل إمام هذه الأمة منها، وصلى مأموماً ﷺ وقال في ذلك إمامكم منكم تكرمة الله لهذه الأمة، فلا ينظر إلى من ادعى بطلان تقرير ختم النبوة بنزول عيسى –عليه السلام– في آخر الزمان فإن نبوته والوحي إليه كان سابقاً لبعثة محمد ﷺ، وإذا نزل في آخر الزمان فإنه ينزل حاكماً بالشريعة حاكماً بالقرآن مؤمناً بمحمد ﷺ ولا يوحى إليه بشيء جديد، الحديث ((مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل ابتنى داراً فحسنها وزينها إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون بهذه الدار ويقولون ما أحسنها ما أجملها لو كملت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وبي ختم النبيون)) ﷺ.

قال المؤلف –رحمه الله تعالى– (وإمام الأتقياء) فكونه ﷺ إماماً يعني أنه يؤتم به والأتقياء هم صفوة هذه الأمة وفي قوله هذا إبطال لقول من قال إن من الأتقياء من قد يخرج عن الائتمام بمحمد ﷺ كقول بعض غلاة الصوفية من أهل الزندقة الذين رأى بعضهم أنه يسعه الخروج على شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى –عليه السلام–.

فكل تقي جاء بعده ﷺ فلا يكون تقياً إلا بالائتمام بمحمد ﷺ وهذا الائتمام يكون بالاتباع كما قال جل وعلا ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ وقال جلا وعلا ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ والأتقياء جمع تقي والتقي هو من حصل التقوى والتقوى في القرآن جاءت على ثلاث مراتب.

المرتبة الأولى:

أن يتقي العذاب المؤبد بتحقيق التوحيد، بالإتيان بالتوحيد وبنبذ الشرك وتركه يعني بالإسلام وهذه هي التي جاءت في مثل قول الله جل وعلا ﴿ **يأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ** ﴾ فخوطب الناس جميعاً بالتقوى يعني باتقاء العذاب المخلد بالإيمان بتوحيد الله جل وعلا وبترك الشرك والبراءة منه ومن أهله.

المرتبة الثانية:

من مراتب المتقين أن المتقي هو الذي يفعل الواجب ممتثلاً ويترك المحرم ممتثلاً. وهذه هي مرتبة المقتصدين الذين جاء فيهم قول الله جل وعلا ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ من ترك المحرم امتثالاً وأتى بالواجب امتثالاً فإنه من المتقين؛ لأنه اتقى العذاب، والعذاب يكون بترك الواجب أو بفعل المحرم.

المرتبة الثالثة:

أن يتقي الله جل وعلا بترك صغائر الذنوب وبترك مالا بأس به حذراً مما به بأس، وهذه هي تقوى الله حق تقاته كما قال جل وعلا ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾ يعني خافوه واحذروه حق الخوف والحذر، وهذه المرتبة إنما هي للسابقين بالخيرات الذين يتركون المكروهات ويسعون في كل المستحبات.

قال بعدها –رحمه الله– (وسيد المرسلين)، قوله وسيد المرسلين معناه أنه ﷺ هو المقدم في المرسلين وهو أفضلهم؛ لأن السيادة فرع الفضل لكمال الصفات المحمودة في السيد، وسيد المرسلين من السيادة كما ذكرنا والسيادة معناها يجمع أموراً ومنها:

أن يكون أمره نافذاً وأن يكون المرجع هو وهذا إذا قيل في محمد ﷺ وسيد المرسلين بهذا المعنى يعني أنه هو المرجع فبالنظر إلى شيئين:

الأول: قوله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر وولد آدم داخل فيهم المرسلون.

والثاني: أن رجوع الأمر إليه بالنسبة إلى الأنبياء يكون في عرصات القيامة حيث يذهب الناس إلى آدم ثم إلى نوح إلى آخره ثم يأتون محمداً ﷺ يطلبون منه تعجيل الحساب، فيقول: أنا لها، أنا لها فيخر تحت العرش فيحمد الله إلى آخر الحديث.

وهنا في معنى السيادة كما ذكرنا في معنى السيادة التفضيل ولهذا بحث الشارح ههنا ابن أبي العز مسألة التفضيل بين الأنبياء في هذا الموضع؛ لأن من فروع السيادة أو من أسباب السيادة الفضل وكون النبي ﷺ سيد المرسلين حق كما ذكرنا للدليل وهو قوله ﷺ ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) إذا تبين ذلك ففي المسألة مسائل:

المسألة الأول:

أن التفضيل بين الأنبياء جاء به النص كما قال تعالى ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ والرسل كثيرون وأفضلهم أولو العزم من الرسل وهم خمسة وترتيبهم في الزمان: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وقد جاء ذكرهم في سورتي الأحزاب والشورى وهؤلاء الخمسة أفضلهم محمد ﷺ فقد فضل إبراهيم بالخلة ﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ والله جل وعلا جعل محمداً ﷺ خليلاً له ففضل إبراهيم جاء لمحمد ﷺ، وفُضِّلَ موسى بالتكليم ومحمد ﷺ أيضاً مكلّم كما في حديث المعراج.

المسألة الثانية:

أن الفضل والتفاضل والتخيير بين الأنبياء له حالتان حالة عامة وحالة خاصة فالحالة العامة يجوز فيها ذلك بمعنى أن يقال محمد ﷺ أفضل المرسلين، سيد المرسلين أشرف الأنبياء والمرسلين وأما في مقابلة نبي بحسب شخصه، بذاته فهذا يكون خصوص فلا يجري التفضيل على وجه الاختيار ولهذا ورد في السنة أن النبي ﷺ قال ((لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ أو قال باطش بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أأفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور)) فقوله ﷺ هنا ((لا تخيروني على موسى)) وفي رواية ((لا تفضلوني على موسى)) دل على عدم جواز التفضيل الخاص.

المسألة الثالثة:

أن هذا البحث وهو بحث التفضيل بين الأنبياء جاءت فيه أحاديث منها هذا الحديث ((لا تفضلوني على موسى)) ((لا تخيروني على موسى)) ومنها حديث عام ((لا تَخَيروا بين الأنبياء ومنها حديث خاص بيونس -عليه السلام- وهو قوله ﷺ ((لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متى)) وفي رواية قال: ((من قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب)).

وهذا اختلفت فيه أنظار العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث والتفضيل وما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ وأحسن الأجوبة على ذلك أن يقال:

أولاً: أن قوله ((لا تخيروني على موسى)) هذا قاله بسبب قصة وردت وهو أن اليهودي والمسلم اختلفا فافتخر اليهودي على المسلم بموسى ورد المسلم على اليهودي ولطمه فإذن يكون النهي إذا كان التفضيل الخاص جاء على جهة العصبية والحمية والفخر ولهذا جاء في الحديث ((أنا سيد ولد آدم

ولا فخر)) فدل على أن التفضيل إذا كان مورده الفخر والعصبية فإنه يمنع منه.

الثاني: أن جهات الفضل متنوعة، والتفضيل من جهة الجنس جنس الفضائل سائغ ومن جهة كل فضيلة بحسبها متعذر ولهذا يقال: إن تفضيل محمد ﷺ على غيره من جهة مجموع الفضائل ولا ينص على أنه أفضل من غيره من الرسل في كل فضيلة عند جميع الرسل، يعني من حيث النظر العام.

الشريط الثامن ـ وجه (ب) :

الثالث: أن الله جل وعلا وصف المؤمنين بأنهم ﴿ **آمنوا بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾ والرسل وصفهم النبي ﷺ بقوله ((الأنبياء إخوة لعلات، الدين واحد والشرائع شتى)) وتولى الرسل جميعاً فرض ومحبتهم جميعاً فرض فإذن الدخول في التفضيل دخول فيما لا طائل تحته، فالواجب أن يبقى في ذلك على النص وهو ما ذكرناه أولاً من التفضيل العام دون التفضيل الخاص.

أما قوله ﷺ ((من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)) فهذا لأجل أن بعض الناس قد يظن أن يونس –عليه السلام– فعل ما يلام عليه وأنه عوقب بأن كان في بطن البحر وفي بطن الحوت ثم قال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فقال إن هذه الكلمة ربما تكون لمن فعل شيئاً يلام عليه وعوقب فقال إن يونس ابن متى قالها؛ لأنه فعل ما فعل، وهذا في الحقيقة غلط؛ لأنه لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى فيترك هذا الدعاء العظيم "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فهذا قد دعا به آدم –عليه السلام– ودعا به موسى –عليه السلام– ودعا به غيرهما من الأنبياء ومن المرسلين، فإذن هذا الدعاء وحال يونس بن متى ليس فيها نقص في حقه –

عليه السلام- -أعني- يونس ابن متى -عليه السلام- فإذن لا ينبغي أن يقال إن فلاناً أفضل من يونس من جهة الاستحباب لا ينبغي أن يقال ذلك -يعني لا ينبغي أن يقال إن محمداً ﷺ أفضل من يونس بن متى ﷺ على جهة الاستحباب والدليل دل على عدم الجواز فيمن يقوله لنفسه فلا يجوز لأحد أن يقول "أنا خير من يونس ابن متى" والنبي ﷺ ترك ذلك وهو أكمل الخلق ﷺ.

وهذا بحث ربما لم تظهر حاجته لكن بحثه العلماء في هذا الموضوع؛ لأن هناك ممن يعتقد الكمال في الوَلاية من يظن أن حالته أرفع من حالة يونس بن متى -عليه السلام-.

قال -رحمه الله تعالى- بعد ذلك (وحبيب رب العالمين) فوصف النبي ﷺ بأنه حبيب رب العالمين، والمحبة محبة رب العالمين، محبة الله جل وعلا لنبيه ﷺ هذه متحققة وإنما نظر في مسألة الخُلة،والمحبة لفظ عام يدخل تحته مراتب في اللغة وأعلى مراتب المحبة الخلة، فالتعبير بحبيب رب العالمين عند المصنف مال إليه؛ لأجل ما ورد في بعض الأحاديث أن إبراهيم ﷺ خليل الله ومحمد حبيب رب العالمين.

والجواب أن الاقتصار على مرتبة المحبة العامة للنبي ﷺ فإن هذا قصور؛ لأنه ﷺ هو حبيب رب العالمين وهو خليل رب العالمين أيضاً فإبراهيم -عليه السلام- خليل الرحمن كما قال جل وعلا ﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ وكذلك محمد ﷺ خليل الله كما ثبت ذلك في السنة قال ﷺ : ((لو كنت متخذاً أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن)) أو قال ((خليل الله)).

فدل هذا مع أحاديث أخر في الباب على أن المحبة ثابتة للنبي ﷺ وفوقها مرتبة الخلة ثابتة له ﷺ إذا تبين ذلك ففي هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

أن المحبة بمراتبها التي تضاف إلى رب العالمين جل وعلا إنما هي ما ورد، وبعض الناس غلوا في ذلك فوصفوا الله جل وعلا بكل مراتب المحبة، وهذا باطل وغلو وبعضهم جفا كالجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم فنفوا المحبة بمعناها الظاهر وما يكون من مراتبها فنفوا حقيقة محبة الله لعبده ونفوا حقيقة اتخاذ الله تعالى لعبده خليلاً وأولو ذلك كما سيأتي في مواضعه في بيان أصولهم في الصفات.

وأهل السنة والجماعة بين هاتين الطائفتين فلم يغلوا في المحبة يعني في محبة الله لعبده ولم يكونوا من الجفاة في ذلك بل سلكوا الأصل الذي أصلوه وهو أن هذه المسائل تبع لما ورد في النصوص فمن مراتب المحبة التي جاءت في النصوص وتثبت لله جل وعلا، الإرادة الخاصة التي هي بمعنى المحبة والمحبة بلفظها، والمودة والخلة، وما ثبت من غير ما ذكرت هذه التي أذكرها الأربعة الإرادة، المحبة، المودة، الخلة.

المسألة الثانية:

أن من ألفاظ المحبة التي هي من مراتبها لفظ العشق وهذا اللفظ استعمله طائفة من أرباب السلوك فيما بين العبد وبين ربه فقالوا: إن الله يُعشق ويَعشق، وقالوا إنني –يعني المتكلم الذي تكلم– أعشق الله.

ولفظ العشق هو من مراتب المحبة كما هو معلوم ولكن يمنع في إطلاقه من العبد على ربه ومن الرب للعبد وذلك لأمور:

الأول: أن لفظ العشق لم يرد في النصوص لا في الكتاب ولا في السنة لا من جهة العبد لربه ولا من جهة الرب لعبده فيمتنع إطلاق هذا اللفظ واستعماله في المحبة لأجل الاتباع.

الثاني: وهو تعليل لفظي أيضاً إن لفظ العشق إنما تستعمله العرب فيما إذا كان لصاحبه شهوة في المعشوق ومعلوم أن الشهوة إنما تكون لمن ينكح

أو ينكح يعني للرجل أو المرأة فإذن استعمال اللفظ في حق الله جل وعلا ممتنع لفظاً؛ لأنه لا يستعمل هذا اللفظ إلا في ذلك المعنى.

الثالث: في رد لفظ العشق واستعماله من جهة المعنى: وهو أن العشق فيه من جهة العبد أو في إطلاقه على من وصف به فيه تعلق بالإرادة وبالإدراك فلا عشق يحصل إلا وهو مؤثر في الإرادة بإضعافها ومؤثر في الإدراك بحصول خلل فيه، ولهذا أجمع أهل اللغة في أن معاني العشق لابد أن يكون في آثارها ما هو نوع اعتداءً إما على النفس وإما على الغير، اعتداء على النفس بإضعاف الإدراك أو بإضعاف الإرادة، واعتداء على الغير؛ لأنه لو أشعره بذلك فتعاشقا لصار عنده ضعف في الإدراك وضعف في الإرادة والله جل وعلا لا يجوز أن يقال في محبته أنها تُنتج ضعفاً في الإرادة أو ضعفاً في الإدراك بل محبة العبد لربه تبلغ بالعبد كمال الإرادة المطلوبة المحمودة وكمال الإدراك المطلوب المحمود يعني في الإيمان لهذا امتنع أن يوصف الله جل وعلا بأنه يعشق عبده أو أن العبد يعشق ربه.

قال –رحمه الله تعالى– بعدها (وكل دعوى النبوة بعده فغيٌّ وهوى) وهذا فيها تقرير أن كل دعوى للنبوة بعده ﷺ فهي ضلال وكذب كما قال ﷺ في حديث ثوبان ((وإنه سيكون بعدي كذابون ثلاثون كل يزعم أنه نبي وأنه لا نبي بعدي)) فكل دعوى للنبوة كذب ولا شك للإجماع المنعقد على ختم النبوة بمحمد ﷺ ، كما ذكرت لك من قبل .

قوله: (وهوى) يعني من ادعى النبوة فلا شبهة له وإنما هي هوى مجرد فلن ينزل عليه وحي ولن يكون معه معجزات نبوة من عند الله، وإنما هي هوى وقد يسخر الشياطين لنفسه فتعينه في بعض الخوارق، إلى آخر ما ذكرنا في البحث السابق في الدرس الماضي ، ودعوى النبوة بعده ﷺ غي وهوى يعني وكفر والذي يدعي أنه نبي أو أنه يوحى إليه وأنه رسول فإنه كافر يجب قتله

وهل يستتاب فتقبل توبته إن تاب؟ هذا مبني على خلاف العلماء في قبول توبة الزنديق والذي يُرجح في هذا أنه لا تقبل توبته ظاهراً فإن كان صادقاً في الباطن فإن الله يقبل توبته لكن ظاهراً لا تقبل توبته بل يجب قتله وهذا هو الراجح وهو الصحيح فيقتل لما ادعاه من النبوة ولو قال إني تبت ظاهراً وذلك لأنه قد يدعي ثان وثالث ورابع وخامس كل يدعي النبوة والرسالة ثم يقول تبت فيكون بذلك خلل في الأمة فإذن الزنديق الذي يظهر الكفر، يسب الله جل وعلا أو يسب رسوله ﷺ أو يدّعي النبوة أو أشباه هذه الأشياء أو يدّعي الوحي فهذا يقتل على كل حال ولا تقبل توبته.

ثم قال –رحمه الله تعالى– (وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء) يعني أنه ﷺ هو المبعوث للإنس والجن أجمعين وبعثته ﷺ للإنس والجن جميعاً، ذكر عدد من أهل العلم الإجماع عليها، فنقل عن ابن عبدالبر وعن ابن حزم في الفصل أنهم ذكروا الإجماع على عموم بعثة النبي ﷺ للجن والإنس وذكرها تقي الدين السبكي أيضاً في رسالة خاصة في عموم رسالته ﷺ، والدليل على عموم بعثته إلى عامة الجن وكافة الورى أدلة كثيرة فمن القرآن:

الدليل الأول: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾ والإنذار بلغ الجن كما في آيات آخر فإذن هو نذير للجن وللإنس.

والدليل الثاني: قوله جل وعلا ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ والعالمون اسم لكل ما سوى الله جل وعلا وخرج من ذلك الملائكة على الصحيح كما سيأتي فيكون من العام المخصوص والعام المخصوص دال على ما بقي بعد التخصيص كما هو معلوم فيكون كل الجن والإنس داخلين في لفظ العالمين ولم يستثنوا ولم يخرجهم دليل فيبقون داخلين في عموم النذارة.

وهذا الدليل اعترض عليه؛ لأن قوله جل وعلا ﴿ **لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ لأن هذا هو القرآن وليس هو بمحمد ﷺ وهذا إن كان وجهاً لاحتمال رجوع الضمير في قوله "ليكون" للقرآن لقوله في أوله ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ** ﴾ يعني القرآن للعالمين نذيراً فهذا الوجه وإن كان محتملاً لكنه خلاف الأولى والأولى عند أهل العربية أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور وهو قوله على عبده ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾.

والدليل الثالث: قوله جل وعلا في سورة الأحقاف ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُواْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى** ﴾ إلى آخر الآيات.

ودل عليه –أيضاً– قوله جل وعلا ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ يعني للجن والإنس وكذلك دل عليه قوله جل وعلا ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْاناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ**﴾ وبعثة محمد ﷺ إلى الجن والإنس جميعاً دلت عليها هذه الأدلة، قال بعض العلماء: إنها في القوة وفي عدم الاعتراض ممن خالف مرتبة في قوتها بحسب ترتيب المصحف فأقواها آية الأنعام ثم آية الفرقان ثم الأحقاف ثم الرحمن ثم آية الجن، وهذا وجيه.

والأدلة من السنة أيضاً على عموم بعثته ﷺ للجن والإنس كثيرة معروفة، فمنها قوله ﷺ ((كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت للناس كافة)) على لغة من يدخل الجن في لفظ الناس وسيأتي زيادة بيان لذلك وثبت أيضاً في الصحيح أنه ﷺ قال: ((بعثت للأحمر والأبيض)) قال بعض العلماء يدخل في قوله الأحمر الجن؛ لأنهم مخلوقون من نار، والنار صائرة إلى

الحمرة أو لونها مائل إلى الحمرة وغير ذلك من الأدلة التي تدل على عموم بعثته ﷺ إلى الجن والإنس.

أما عموم بعثته ﷺ للإنس جميعاً، للناس جميعاً فثم آيات كثيرة منها ﴿ **قُلْ يأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي تدل على عموم بعثته للإنس جميعاً.

إذا تبين ذلك في معنى قول المصنف وفي دليله وأن هذه المسألة ذكر عليها غير واحد الإجماع فثم في هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

أن قوله جل وعلا ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي** ﴾ في الأنعام، قوله ألم يأتكم رسل منكم هذا على جهة التغليب؛ لأن الجن والإنس اجتمعا في شيء وافترقا في أشياء فاجتمعا في التكليف ولذلك صح أن يشتركا في التثنية، ألم يأتكم رسل منكم لاشتراكهما في أصل التكليف ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ والاشتراك في الجنس ولو اختلف النوع فإنه يبقى الدلالة الأغلبية صحيحة. وقال بعض السلف: إن الجن يكون منهم رسل، ولكن هذا القول ضعفه جماعة كثيرون من أهل العلم من التابعين ومن بعدهم، قال ابن عباس –رضي الله عنهما– الرسل من الإنس ومن الجن النذر، أخذ هذا من قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾.

المسألة الثانية:

أن بعثة النبي ﷺ قيل فيها أنها تشمل الملائكة وذلك لعموم قوله ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ وهذا القول ليس بجيد ، بل يترجح أنه غلط وذلك لأمور:

الأول: أن قوله جل وعلا ليكون للعالمين نذيراً هذا فيه الإنذار والملائكة مقيمون على عبادة الله جل وعلا وعلى توحيده وعلى تسبيحه كما قال ﷺ ((أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع)) فالملائكة موحدون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فالملائكة عباد الله جل وعلا، متقربون إلى الله جل وعلا ومن كانت هذه حاله فلا يصلح له الإنذار، ولهذا قوله جل وعلا ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ ليس فيه دليل لمن ذهب إلى أن بعثة النبي ﷺ عامة للجميع؛ لأن الآية فيها تعليق بالإنذار والملائكة لا ينذرون.

الوجه الثاني: أن الملائكة منهم من أتى بالرسالة إلى محمد ﷺ وهو جبريل –عليه السلام– وأمره أن يبلغها للناس ودخول الآمر في مثل هذا في الأمر يحتاج إلى دليل؛ لأن الأصل أن الآمر إذا أمر غيره فإنه لا يدخل في الأمر فطلب من النبي ﷺ أن يعلن الرسالة للناس جميعاً بل للثقلين فإدخاله –إدخال جبريل –عليه السلام–يحتاج إلى دليل.

الوجه الثالث والأخير: أن الملائكة يستغفرون لمن في الأرض ويستغفرون للذين آمنوا وهم أنصار الأنبياء يرسلهم الله جل وعلا إليهم لنصرتهم وهم أولياؤهم وهذا يدل على أنهم خارجون عن الاتباع؛ لأنهم لو كانوا تابعين لصارت نصرتهم للنبي ﷺ وللمؤمنين متعينة بلا أمر لأجل عقد نصرة الرسالة.

قال –رحمه الله تعالى– (وكافة الورى) وكافة هذه في إضافتها للورى يعني الناس صحيحة وجاءت في لغة قليلة عن العرب واستعملها عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وهي صحيحة خلافاً لمن قال إن كافة لا تستخدم إلا منصوبة على وجه الحال يعني أن تكون حالاً كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً**

لِّلنَّـاسِ بَشِـيراً وَنَـذِيراً ﴾ فالأصـل أن تكـون منصـوبة حـال وفـي لغـة قليلـة استعملت مضاف.

قوله: (بالحق والهدى وبالنور والضياء) هذه الأربع أوصاف وأسماء للقرآن.

وبهذا نختم هذا الدرس ، أسأل الله أن يجعلنا من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .

مباحث النبوة سبق أن ذكرنا لكم أنها لم تجمع في كتاب عام لكل مباحث الأنبياء ، وتعريف النبي والرسول والمعجزات والبراهين وختم النبوة والرد على المخالفين في كل ما يتعلق بالنبوات ، ولا شك أن الحاجة داعية إلى ذلك ، فهذه مباحث قد لا توجد في كتاب مجموع ، كما بينا ذلك في هذا المسجد في الرد على مقالة كفرية ، لهذا حبذا لو يتوجه لهذا البحث وجمع كل مسائل النبوة بعض طلبة العلم حتى يكون تناوله يسيراً في أيدي أخوانهم من طلبة العلم .

نكتفي بهذا القدر ونجيب على سؤالين أو ثلاثة .

سؤال : ما حكم تكفير الكافر المعين والحكم عليه بالخلود في النار بعد الممات وما معنى قول أهل السنة ولا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من شهد له... إلى آخره؟

الجواب: أن قول أهل السنة: ولا نشهد لأحد بجنة ولا بنار إلا من شهد له رسول الله ﷺ يعني من هذه الأمة من المنتسبين للقبلة أما المشرك الأصلي أو الكافر اليهودي والنصراني فإنه يستصحب الأصل الذي كان عليه فإذا مات على الكفر فإننا نقول هو كافر ومات عليه ومن أهل النار والرسول ﷺ قال لنا ((حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)) –أبشر بالنار– هذا لا يدخل في قول أهل السنة؛ لأن المقصود من ذلك أهل القبلة لا نشهد لمعين من أهل القبلة بجنة ولا بنار إلا من شهد له رسول الله ﷺ في الذين يدخلون

الجنة وفي الذي غل وفي الذي قتل نفسه بحديدة ونحو ذلك من شهد عليه رسول الله ﷺ بنار من أهل القبلة فنشهد عليه بالنار وأما المشركون والكفار من أهل الكتاب فلا كرامة لهم فإذا ماتوا شهدنا عليهم بالنار وكفرناهم في حياتهم وبعد مماتهم، ولا يقال في حقهم لا نكفر إلا من بلغته الحجة أو لا نشهد عليهم بالنار إلا من قامت عليه الحجة ونحو ذلك.

سؤال : هل الملائكة أفضل من الأنبياء؟

الجـواب: يأتي البحث إن شاء الله مطولاً في آخر شرح العقيدة الطحاوية لكن الجواب باختصار أن الأنبياء أفضل من الملائكة.

سؤال : هل يقال إن أفضل الصحابة أبوبكر وأفضل أمة محمد عيسى -عليه السلام-؟

الجـواب: إن عيسى -عليه السلام- نبي من الأنبياء ومن أولي العزم من الرسل وأيضاً يصدق عليه حد الصحابي على اعتبار أنه لقي النبي ﷺ لما أسري به وآمن به وإذا نزل يكون مؤمناً وحاكماً بشريعته ولذلك يلغز بعض العلماء فيقول من مِن هذه الأمة من هو أفضل من أبي بكر؟ فيقال عيسى -عليه السلام-.

سؤال : إذا ركع الإمام قبل انتهاء المأموم من الفاتحة ، هل يسجد المأموم أم يكملها ؟

الجواب : هذا مبني على البحث في قراءة الفاتحة هل هي واجبة على المأموم أم أن الإمام يتحملها ، والذي قاله جمهور أهل العلم وجمهور الصحابة كما عزى ذلك إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم إن قراءة الفاتحة يتحملها الإمام عن المأمومين في الصلاة الجهرية . وإذا كان كذلك فإن المأموم لا يقرأ الفاتحة على هذا القول ، وإذا قرأ بعضها فإنه يكفي .

والقول الثاني هو الذي رجحه عدد من المحققين لظهور الدليل من السنة فيه ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام ، بل نذكر القول قبل الدليل هو أن قراءة الفاتحة واجب على الجميع الإمام والمأموم والمنفرد ، وهي ركن دل عليها قوله عليه الصلاة والسلام : ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فإذا قال عبدي الحمد لله رب العالمين ... إلى آخره)) فتسمية الفاتحة بالصلاة وهي جزئها دالٌ على أنها ركن فيها ، كذلك قوله عليه الصلاة والسلام : ((أُراكم تقرءون خلف إمامكم)) قالوا نعم يا رسول الله، قال : ((لا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها)) دل هذا على وجوب قراءة الفاتحة . وعلى هذا القول فإن المصلي يأتي بما يمكنه بما يستطيعه بما يمكنه من اتباعه للإمام .

تحصل لك من هذا أنه على كلا القولين فإن المأموم إذا ركع الإمام وجب عليه أن يتابعه ويترك قراءة الفاتحة ؛ لأن الإمام انتقل إلى ركن آخر وهو الركوع .

سؤال : ما عورة المرأة لمحارمها وللنساء الأخريات ؟

الجواب : عروة المرأة لمحارمها ما يظهر منها غالباً كالوجه والرأس وأطراف اليدين وبعض الرجلين ، ما يظهر غالباً مما جرى عليه العرف في البيت ؛ لأنها بحاجة إلى ذلك ، وأما عورتها بالنسبة للنساء فإن المرأة المسلمة بالنسبة للمسلمة عورتها من السرة إلى الركبة والثديان لا يدخلان في العورة بالنسبة للمسلمة ؛ لأنه رما احتاجت إلى كشفها حال الرضاع أو أشباه ذلك ، وقد كانت نساء الصحابة يرضعن بحضرة أخريات من أخواتهن المؤمنات ، فدل على أن عورة المرأة لا يدخل فيها الثديان ، وهذا هو الذي ذهب إليه الإمام أحمد وأصحابه وطائفة من أهل العلم .

أما إذا كانت المرأة ليست بمسلمة من نساء أهل الكتاب كافرة نصرانية أو وثنية أو نحو ذلك فقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة ، فمنهم من قال إن قوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ...** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **أو نسائهن** ﴾ دالٌ على تخصيص إبداء الزينة بالإباحة لنسائهن وهن مسلمات ، فبقي ما عداهن على الأصل وهو المنع . ويقول إنه لا يجوز للمرأة أن تتكشف عند المرأة الكافرة ، وهذا القول قال به طائفة أيضاً من العلماء لكنه ضعيف من جهة أن المشركات وبعض أهل الكتاب كن يدخلن على بيت أهل النبي عليه الصلاة والسلام وكن يدخلن بعض بيوت الصحابة ولم تؤمر الصحابيات بالاحتجاب عنهن كالرجال .

فإذاً تكون المرأة المسلمة عورتها بالنسبة للكافرة كما عورتها ما يظهر منها غالباً كعورة المرأة بالنسبة لمحارمها . هذا كله إذا لم يظهر ثم فتنة فإن كانت المرأة تفتتن بجزء من بدن المرأة . والعياذ بالله . لمرض في نفسها فإنه يجب تغطيته ، إذا كانت المرأة تنظر إلى الأخرى بشهوة فإنه يجب على المرأة أن تصون عورتها من أن ينظر إليها أحد بشهوة حتى المحارم وحتى النساء المسلمات .

سؤال : ما رأيكم في كتاب الإيمان بالرسل لفضيلة الدكتور عمر الأشقر وقد استوفى كثيراً من الموضوعات؟

الجواب: إن كتب الدكتور عمر الأشقر في العقيدة في الجملة جيدة وشاملة للمباحث وهو يتحرى في نقوله فهي نافعة لطالب العلم والاستفادة منها طيبة.

سؤال : ما هو مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في تارك الصلاة؟

الجواب: شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن تارك الصلاة تهاوناً أو كسلاً؛ لأنهما صورتان أنه يكفر الكفر الظاهر ولا يكفر الكفر الظاهر والباطن جميعاً

إلا إذا حكم عليه بذلك وقد فصَّل الفرق بينهما في شرحه على العمدة لابن قدامة وفي موضع من الفتاوى.

سؤال : ما حكم العمليات التجميلية ؟

الجواب : عمليات التجميل فيها تفصيل ، إن كانت لتغيير خلق الله للتحسين فقط هذه لا تجوز ؛ لأن الله تعالى ذكر أن الشيطان يأمر العباد بتغيير خلق الله ، قال سبحانه : ﴿ **وإن يدعون من دونه إلا شيطاناً مريداً لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** ﴾ وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لعن النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . وهي التي تنشر سنها ليتباعد بين السنين فإذا ضحكت تفلجت أو ظهر شيء من الحسن كما هو عند أهل هذا الزمان ، فهذا النوع من عمليات التجميل وهو أن تعمل العملية لأجل التجميل فقط فيغير خلق الله جل وعلا لأجل الزينة ، فهذا لا يجوز محرم وفاعله ملعون ، وهذا يدل على أنه من الكبائر والعياذ بالله .

النوع الثاني أن تكون عملية التجميل لحاجة في شيء خارج مشوه أو ضار بالإنسان ، كظهور أصبع زائدة في قطعها أو قطع لحم زائدة في الوجه أو البدن أو نحو ذلك من عظم زائد يؤذي فيما فيه مضرة للعبد أو تشويه ظاهر يبعث على الاشمئزاز منه أو تنكره ، فهذا لا بأس به أن يفعل لأنه من قبيل العلاج لا من تغيير خلق الله للحسن ، فقوله صلى الله عليه وسلم : ((المتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله)) هذا ضابط بأن من غيَّر خلق الله لأجل الحسن دون حاجة أخرى فإنه داخل في اللعنة .

الشريط التاسع . وجه (أ) ١٤١٨/٦/٢٤هـ

سؤال : ما هو الفرق بين الفعل لله والصفة لله، ما هو الفرق بين الاسم والمسمى مع الأمثلة وحبذا ذكر المرجع الذي تكلم عن هذه المسألة؟

الجواب: الفرق بين أفعال الله وصفاته أن الأفعال مشتملة على صفة وعلى زمن؛ لأن الفعل يشتمل على حدث وعلى زمن والحدث هذا وصف ولما كان كذلك كان الفعل المضاف إلى الله جل وعلا لا يدل على الصفة التي اشتمل عليها هذا الفعل بإطلاق، بل قد يوصف الله جل وعلا بها وقد لا يوصف؛ لأن باب الأفعال أوسع من باب الصفات مثاله ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، الرَّحْمَنُ** ﴾ فاستواء الله جل وعلا صفة أخذناها من فعل استوى؛ لأن استوى مشتمل على حدث وهو الاستواء ومشتمل على حدث وهو الاستواء ويشتمل على زمن وهو الماضي، ويثبت الاستواء كصفة لله جل وعلا كما يليق بجلاله وبعظمته؛ لأنه متضمن كمالاً فيقال من صفات الله الاستواء على العرش.

المثال الثاني: ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ** ﴾ يمكر الله هذا فعل مضارع مشتمل على صفة وهو المكر ومشتمل على زمن وهو المضارع، لكن لا يقال هذا الفعل يدل على إثبات صفة المكر؛ لأن صفة المكر ليست دائماً صفة كمال لهذا قال أئمة أهل السنة: أن باب الأفعال أوسع من باب الصفات فقد يضاف الفعل إلى الحق جل وعلا، ولا تثبت الصفة التي تضمنها هذا الفعل كما أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء فقد تطلق الصفة على الله جل وعلا ولا يطلق الاسم من مثل الاستواء والمستو، ومن مثل المكر بحق والماكر وأشباه ذلك.

إذن ثم فرق بين أفعال الله جل وعلا وبين صفاته من هذه الجهة. أما من جهة قيامها جميعاً بالله جل وعلا فالصفة قائمة بالله جل وعلا ولها أثر في الخارج مثل صفة الخلق لها أثر وهو المخلوق، صفة الرحمة لها أثر في

المرحوم وهكذا، والفعل في تعلقه بالله جل وعلا قد يكون متعدياً وقد يكون لازمًا وللمسألة مزيد تفصيل، المقصود أن باب الأفعال أوسع من باب الصفات وأنه لا يضطرد والقول بالمساواة بين الفعل القائم بالله جل وعلا وبين الصفات القائمة بالله جل وعلا.

أما الفرق بين الاسم والمسمى: الاسم والمسمى إذا اجتمعا فيُعنى بها بحث كلامي عند أهل الكلام ودخل فيه أهل السنة رداً على أهل الكلام وبيانًا للحق فيه وإلا فبحث الاسم والمسمى ليس من البحوث الموجود في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما الكلام فيها حادث، لكن جر إلى الكلام فيها أن المعتزلة خاضوا في ذلك توطئة لنفي الصفات لتحريف الأسماء لله جل وعلا وتلخيص المسألة أن الاسم مثل الرحمن، الرحيم، الكريم ونحو ذلك، المسمى بهذا الاسم هو الله جل وعلا، محمد المسمى به رسول الله ﷺ، الكأس اسم المسمى هو هذا الذي ترى فإذن الاسم دلالة عامة، والمسمى هو انطباق هذا الاسم على العين أو على الذات إذا تبين ذلك فإن المسألة التي اختلفوا فيها هي قولهم هل الاسم عين المسمى أم أن الاسم غير المسمى وهذه المسألة مبسوطة وطويلة الذيول لكن اختصار القول فيها أن مذهب الأئمة أن الاسم لا يطلق القول بأنه عين المسمى، ولا أنه غير المسمى بل المسألة فيها تفصيل في دلالة الاسم على المسمى وأن الأسماء مختلفة؛ لأن كل اسم يدل على المسمى وزيادة صفة وهو يدل على الذات ويدل على الصفة التي تضمنها هذا الاسم كما ذكرنا لكم الرحيم يدل على ذات الله جل وعلا المتصفة بالرحمة، والذين قالوا إن الاسم هو عين المسمى قالوا لا فرق بين الأسماء في دلالتها على المسمى فجعلوا العليم هو الرحيم مطابقة، وجعلوا الملك هو الودود ونحو ذلك بدون تفرقة بين الاسم والصفة يعني جعلوا أن

الأسماء دالة على الذات كما قال المعتزلة عليم بلا علم، رحيم بلا رحمة وهكذا ، المسألة فيها طول لكن هذا بيان لأصلها .

سؤال : يتعرض كثير من الشباب لبعض الشبهات من خلال دراسة للعقيدة والفرق أرجو حل هذه المشكلة؟

الجواب : لا شك أن هذا داء وكثير من المسائل يرغب المعلم ربما في تفصيلها للخاصة من طلاب العلم لكن لأجل حضور من ليس مستواه مؤهل لتلقي العلم العالي، فإنه يحجم فذكراً لمسائل العقيدة والتفصيل وكلام أهل الفِرَق والشبهة وردها الحقيقة أنه في الأصل لا يناسب المبتدئ في طلب العلم بل يتلقاه من علم أصول أهل السنة والجماعة وفهم مذهبهم وطريقتهم وسنتهم في ذلك بعد قراءته الكتب الأولى لهذا نوصي دائماً بالمنهجية إذاً مذهب أهل السنة والجماعة من خلال مثلاً لمعة الاعتقاد كمنهج عام في تقرير مذهبهم في الإيمان والأسماء والصفات والقدر والغيبيات والصحابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي ولاة الأمر وهكذا، بعد ذلك ينتقل إلى مرحة تلي ذلك حتى لا يطلع على بعض الشبهات فيظن أن هذه مؤثرة على مذهب أهل السنة والجماعة فيعرض له شيء من التفصيل من الزيادة في قول أهل البدع مع الرد عليهم ثم يترقى حتى يتوسع في ذلك لذلك من رأى أن حضوره في مجالس العلم التي فيها التفصيل يورد عليه الشبهات فينبغي له ألا يحضر وأن يبتدأ العلم من أوله وألا يعرض نفسه إلى الشبهة؛ لأن الشبهة ربما استحكمت فأثرت.

سؤال : ما موقف طالب العلم في المسألة التي فيها قولان وكل قول يستند إلى حديث صحيح؟

الجواب : أما في مسائل التوحيد والعقيدة فليس ثَمَّ صور تطابق ما ذكر أن ثَمَّ حيث صحيح يعارض حديث صحيحاً آخر في مسألة، وذلك لأن

الكل من مشكاة رسول الله ﷺ الموحي إليه من رب العالمين، والحق لا يعارض حقًا آخر بل يؤيد فلا يمكن أن يكون في مسألة قولان من مسائل الاعتقاد ويكون القولان يعتمد فيها على أحاديث صحيحة، أما إذا كانت المسألة من مسائل الفقه فطالب العلم لابد أن يرجع إلى من يثق له من أهل العلم فيرجح له أحد القولين ويذكر له وجه الاستدلال الذي به رجح هذا القول على غيره.

سؤال : ما معنى التغني بالقرآن ، وما حكمه ؟

الجواب : التغني بالقرآن اختلف فيه أهل العلم على أقوال أصحها أن التغني هو تحسين الصوت بالقرآن ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) أي من يحسن صوته بالقرآن ، ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((ما أذن الله لشيء إذنه لمن يجهر بالقرآن يتغنى به)) يعني يحسن صوته بالقراءة ، فتحسين الصوت بالقراءة هو التغني ، يعني حسب ما جاء في قراءة القرآن لا يجعل ألحان غناء ولكن يجعل القرآن محسناً الصوت به بتطبيق التجويد ، كما قال تعالى ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ .

سؤال : هل الرافضة والجهمية ليستا من الثنتين وسبعين فرقة وكيف؟

الجواب : أما الجهمية فأهل السنة جميعاً على أنهم ليس من الثنتين وسبعين فرقة ليسوا من فرق الأمة، وأما الرافضة جمهور أهل السنة على خروجهم من الثنتين وسبعين فرقة ، والمقصود غلاة الشيعة الذي يلعنون أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما– والذي يقولون بالتدين بسب الصحابة ويبغضون بعض أمهات المؤمنين ويقذفون عائشة –رضي الله عنها– ونحو ذلك من معتقداتهم المعروفة، فإن جمهور أهل السنة والجماعة على أنهم خارجون من الثنتين وسبعين فرقة.

سؤال : ما حكم قول البعض شاءت الأقدار وساقته الأقدار، اقتضت حكمة الله، اقتضت إرادة الله ونحو هذه العبارات؟

الجواب : شاءت الأقدار، الأقدار جمع قدر، والقدر تبع المقدر وهو الله جل وعلا، والذي يشاء القدر هو الله جل وعلا فقول شاءت الأقدار غلط؛ لأن الأقدار ليس لها مشيئة؛ لأن الله هو الذي يشاء القدر، وساقته الأقدار هذه محتملة لهذا وهذا وتجنبها أولى، اقتضت حكمة الله هذه صحيحة لا بأس بها استعملها أهل العلم شاءت إرادة الله اقتضت حكمة الله؛ لأن الاقتضاء خارج عن الشيء يعني حكمة الله نشأ عنها شيء هو مقتضاها ، اقتضت حكمة الله أن يكون كذا وكذا يعني من القضاء الذي حصل يعني أن ما حصل موافق لحكمة الله جل وعلا شاءت إرادة الله، هذا أيضاً مثل ما سبق فإن الإرادة الكونية هي المشيئة قول القائل شاءت إرادة الله كقوله شاءت مشيئة الله وهو تكرار لا وجه له.

سؤال : ما ضابط إدراك تكبيرة الإحرام ؟

الجواب : هذه المسألة من المسائل التي فيها نظر واختلاف وعدم وضوح من حيث الاستدلال ، ولأهل العلم فيها مذاهب منها وهو المشهور أن إدراك تكبيرة الإحرام بأن تكبر بعد تكبير الإمام ، من كان في المسجد فكبر الإمام تكبيرة الإحرام فكبر بعده فقد أدرك تكبيرة الإحرام ((وإذا كبر فكبروا)) . والقول الثاني أنها تُدرك إذا لم يبدأ الإمام في الفاتحة ، يعني أنها تدرك إذا لم يبدأ في الفاتحة يعني ما كان قريباً منها لأنه ما انتقل من الركن إلى ركن بعده ، ولهذا يقال : إنه يدركها ما لم يشرع في الفاتحة . والقول الثالث أن المأموم يدرك تكبيرة الإحرام إذا أدرك آمين مع الإمام لأن بلال كان يقول للنبي ﷺ لا تسبقني بآمين .

المتن :

وإن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾، فلما أوعد الله بسقر لمن قال ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر.

الشرح :

هذه الجمل من كلام الطحاوي رحمه الله اشتملت على تقرير قول السلف وأئمة الحديث والسنة وأهل السنة والجماعة، والأثر في مسألة القرآن وكلام الله جل وعلا وأن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود وإن القرآن ليس بمخلوق وإن من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن زعم أن القرآن كلام البشر فهو كافر لتواتر كلام الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ﴾.

وهذه المسألة وهي مسألة القرآن وكون القرآن كلام الله جل وعلا منزل غير مخلوق هذه أكبر المسائل التي اختلف فيها المنتسبون إلى القبلة ولأجلها ولكثرة الكلام فيها سمي أهل الكلام بأهل الكلام، فهي مسألة شرقت وغربت في القرن الثاني الهجري وكثر الكلام فيها وإثبات ذلك ونفيه يعني إثبات أن القرآن كلام الله وأن الله يتكلم حقيقة، وما أشباه ذلك ، والكلام في نفي ذلك حتى صارت عنواناً على الانحراف في التوحيد بما سمي بعلم الكلام.

ومذهب أهل السنة والجماعة الذي دلت عليه النصوص من القرآن والسنة ودل عليه إجماع سلف هذه الأمة، هو ما ذكره الطحاوي فيما سمعت وهو قوله: وإن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحيًا وصدقة المؤمنون على ذلك حقًا، وهذه الجمل إلى آخرها اشتملت على موضوعات.

الموضوع الأول: أن القرآن كلام الله.

الثاني: أنه ليس بمخلوق.

الثالث: من زعم أن القرآن كلام البشر فهو كافر.

الموضع الأول وهو أن القرآن كلام الله نذكر فيه بعض التعريفات المهمة لتصورها ولتصور مذهب أهل السنة والجماعة فيها.

قوله: (وإن القرآن) الكلام في كسر همز أن كالكلام في كسر الهمزة في قوله: (وإن محمداً عبده المصطفى)، يعني نقول في توحيد الله إن القرآن كلام الله؛ لأن توحيد الله هو الإيمان والكلام في القرآن كلام في ركن من أركان الإيمان، وذلك أن الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه فالكلام في القرآن وأنه كلام الله كلام في التوحيد في توحيد الله تعالى.

القرآن في اللغة مصدر قرأ يقرا قراءة وقرآناً فالقرآن مصدر قرأ كما قال الشاعر في وصف عثمان -رضي الله عنه-:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يُقَطِّعُ الليل تسبيحاً وقرآناً

يعني قراءة رضي الله عنه وأرضاه.

وأما الاصطلاح فالقرآن اسم لكل كتاب يتلى أنزله الله جل وعلا على نبي من أنبيائه، وذلك يدل على أن تخصيص القرآن بالاسم بما أنزل على محمد ﷺ هو كتخصيص الدين الذي أنزل عليه بالإسلام، فالقرآن هو الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام كما أن الإسلام هو الذي جاء به محمد

ﷺ، وإن اشترك في الإسلام دعوة جميع الأنبياء والمرسلين وكذلك القرآن دل على ذلك قوله النبي ﷺ فيما ثبت عنه وصح : ((ما أذن الله لشيء أَذَنَه لنبي يقرأ القرآن يجهر به يتغنى به)) فدل هذا على أن قراءة النبي لما أنزل عليه والتغني بذلك على أن هذه القراءة للقرآن كما نص عليه الحديث، وهذا موافق لقولهم؛ لأن أصل كلمة قرآن مصدر لقرأ يقرأ قراءة وقرآناً لكن هي لما فيه شرف ومنزلة.

كلام الله: هو صفة من صفاته جل وعلا، والكلام أصله في اللغة ما سمع من الأقوال وتعدى قائله وهذا مأخوذ من اشتقاق المادة أصلاً، مادة الكاف واللام والميم، فإن –كَلَمَ– هذه تدل على قوة وشدة في تصريفاتها وتفريعاتها في لغة العرب كما حرر ذلك العلامة بن جني في كتاب خصائص اللغة، وهذا يدل على أن حديث النفس لا يسمى في اللغة كلاماً وعلى أن القول الذي يسمعه صاحبه دون غيره يعني ما يجريه على نفسه لا يسمى كلاماً يعني في اللغة أو يحرك به لسانه لا يسمى كلاماً، حتى يسمع غيره وهذا يدل عليه الاشتقاق الأكبر والأوسط أن كلمة كلام حيثما صرفتها هذه الأصرف الثلاثة –كَلَمَ– لا تدل على خفاء ولا تدل على لين، ولا تدل على رخاوة بل هي تدل على صلاة وقوة وشدة فخذ مثلاً –كلم– بمعنى جرح وكلّم بمعنى تحدث وقلب هذه الكلمة مَلَكَ فيه قوة ولكم فيه قوة، وكمل فيها قوة فحيث تصرفت هذه المادة وقلبتها مستخدماً الاشتقاق الأكبر أو الاشتقاق الأوسط، فإن هذا يدل على قوة وشدة ولا يدل على خفاء ورخاوة ولين وهذا أصل مهم في هذا الباب في فهم معنى الكلام لغة وسيأتي فريد تفصيل عند الرد على قول المعتزلة والجهمية في هذه المسألة قوله: (كلام الله) الكلام صفة من صفات الله جل وعلا وإضافته إلى الله جل وعلا هنا إضافة صفة

إلى متصف بها، والذي جاء في القرآن والسنة أن ما يضاف إلى الله جل وعلا نوعان:

النوع الأول: إضافة مخلوقات إلى الله سبحانه أعيان قائمة بنفسها وهذا كإضافة البيت بيت الله وإضافة الناقة، ﴿ **نَاقَةَ اللَّـهِ وَسُقْيَاهَا** ﴾ ، وإضافة العبد، ﴿ **وَأَنَّهُ لَّمَا قَامَ عَبْدُ اللَّـهِ** ﴾، وكل هذه إضافة مخلوق إلى خالقه ولكن هذه الإضافة لتخصيصها بالله جل وعلا تدل على شرف المضاف إلى الله جل وعلا يعني على شرف البيت شرف الناقة، شرف محمد ﷺ.

النوع الثاني: معاني وليست بأعيان معاني لا تقوم بنفسها مثل الرحمة لا يوجد أمامنا شيء يسمى رحمة مستقل عمن يقوم به لا يوجد عندنا كلام مستقل عن متكلم أو سامع هذه المعاني والصفات إذا أضيفت إلى الله جل وعلا فإنها إضافة صفة إلى متصف بها وهذا أخذ بقواعد اللغة العربية.

قال بعدها: (منه بدا بلا كيفية قولاً) هذه الكلمة أوردها لاستعمال طائفة من أئمة أهل السنة والحديث والأثر، لهذه الكلمة وهو أنهم قالوا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فاستعملها كما استعملها الأئمة من قبله، قوله: (منه بدأ) من هنا ابتدائية ومن لها استعمالات كثيرة في اللغة ومنها أن تكون للابتداء وقد جمع الناظم في حروف المعاني جمع معاني من في حروف العربية في اثني عشر معنا وهي تزيد عن ذلك فقال:

أتتنا من لتبيين وبعض وتعليل وبدء وانتهاء
وزائدة وإبدال وفصل ومعنى عن وعلى وفي وباء

فأول معاني من التبيين ثم التبعيض والتعليل والبدء، ومعنى من الابتدائية أن يكون الفعل بدأ من المسند إليه وقوله هنا منه بدأ يعنى أنه ابتدأ من الله عز وجل يعني أن ابتداءه كان من الله جل وعلا، وهذا دلت عليه

الآيات الكثيرة مثل ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ وكقوله: ﴿**تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ وغير ذلك كما سيأتي بيانه.

قوله: (بدأ هكذا بلا همز يعني ظهر يعني كان ابتداء ظهوره وخروجه من الله جل وعلا، ويقال فيها أيضاً منه بدأ بالهمز يعني من ابتدأ، وأن الله سبحانه و الذي بدأه لم يُبتدأ تنزيله من غير الله جل وعلا بل نزل من الله ابتداء قال بلا كيفية قولا) تقدير الكلام أو سياق الكلام والمراد منه، منه بدأ قولا بلا كيفية، منه بدأ لم يبتدئ منه معنى ولكن بدأ منه قولاً ظهر وخرج القرآن منه قولاً ففي قوله: (قولاً) إخراج لمن ادعى أنه يعنى من المعاني جعل في نفس جبريل، قوله: (بلا كيفية) يعني بلا كيفية معقولة وإلا فإن كلام الله جل وعلا لاشك أن له كيف وإن الكيف غير معقول فيصدق على هذا قول الإمام مالك رحمه الله في الاستواء، إن الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، قال: (وأنزله على رسوله وحياً) يعني الإنزال من الله جل وعلا، والإنزال في القرآن والسنة جاء على نوعين:

النوع الأول: إنزال مطلق وهذا يكون من الله جل وعلا وقد يذكر من الله وقد لا تذكر فيكون الإنزال المطلق من الله جل وعلا.

النوع الثاني: أن يكون إنزالاً مقيداً يعني أنه يقيد ابتداء الإنزال من شيء مخلوق ﴿ **ونزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ** ﴾ فصار هنا ابتداء الإنزال أو التنزيل من السماء ونحو ذلك من الآيات التي فيها التنزيل المقيد.

إذن وله: وأنزله على رسوله من أجل أن الآيات فيها ذكر التنزيل والتنزيل يطلق منه جل وعلا كقوله: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ وكقوله: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ وفي آية الشعراء هذه قوله "على قلبك" لأن القلب به تتميز المدركات المسموعة أو المرئية أو المعقولة فَذِكْرُ

القلب في آية الشعراء لأجل تمييز المدركات بأنواعها، لتمييز المسموع عن المسموع، والمرئي عن المرئي وغير المعقول عن المعقول عن المعقول وهكذا، وكذلك قوله ﴿ **تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾، وكذلك قوله: ﴿ **سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** ﴾ وآيات في هذا الباب كثيرة متنوعة.

قال: (أنزله على رسوله وحياً) والوحي هنا المقصود به أن الإنزال كان وحياً، أنزله على رسوله وحياً – أوحي إلى محمد ﷺ والوحي في اللغة هو إلقاء الخبر أو العلم في خفاء وسرعة، ولهذا سميت الكتابة وحياً، وسميت الإشارة وحياً، وهكذا وهذا باب معروف في اللغة واضح، والوحي من جهة الاصطلاح، اختلفت التعاريف فيه بحسب اختلاف مذهب القائل ولها تجد في كثير من كتب التفسير تعريفاً للوحي لا ينطبق على مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الكلام، وربما نقله من لا يحسن فإذن لابد من معرفة تعريف الوحي في الاصطلاح يعني عند أهل السنة والجماعة فَعُرِّف الوحي اصطلاحاً عند أهل السنة والجماعة أنه: إعلام النبي بشي إما بكتاب أو برسول أو بمنام أو بإلهام وفي كل من هذه خلاف لبعض المخالفين. قال: (وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً) يعني آمن به المؤمنون وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وقوله هنا وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة استعمل لفظ بالحقيقة رداً على من قال أنه كلام الله تعالى مجازاً كما هو قول المعتزلة وغيرهم، هذا من جهة استعمال لفظ الحقيقة بما استعملت فيه عند أهل هذه البحوث، (ليس بمخلوق ككلام البرية) يعني أن الله سبحانه تكلم بهذا الكلام وهو صفته ليس بمخلوق بل هو وحي منزل كلام الله جل وعلا صفته وأما المخلوق فهو كلام البرية.

إذا تبينت لك هذه التعاريف سنقف عند هذا ونرجع إلى تقرير ما اشتملت عليه هذه الجمل فيها تقرير أن القرآن كلام الله جل وعلا، وأنه منه

بدأ وأنه وحي وأنه كلام بالحقيقة وأنه ليس بمخلوق، وهذه المسائل التي ذكرت هي التي قررتها الأدلة من الكتاب والسنة حيث أن من نظر فيها أيقن أن كل قول خلاف هذا القول فهو باطل.

ولبيان ذلك فنقول الكلام على ما اشتمل عليه كلامه السابق ينتظم في مسائل:

المسألة الأولى: نشأة القول بخلق القرآن أو أن كلام الله مجاز وأشباه ذلك ما منشأ القول في هذه المسألة ولم خالف المخالفون في ذلك؟ من المعلوم أن أول من تكلم في هذه المسألة هو الجعد بن درهم وضحى به خالد القسري وكان يقول إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، كما رواه البخاري في خلق أفعال العباد.

هذه المسألة تطورت عن الجهمية وعند جهم بخصوصة فأصَّل لها أصلاً وهو أنه نظر في أصل الدين فوجد أنه مبنى على إثبات وجود الله جل وعلا، وقد ابتلي هو بطائفة من منكري وجود الإله سبحانه وتعالى وحيروه فيما أوردوا عليه من الأسئلة فقالوا أقم لنا برهاناً عقلياً على أن الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون أو على أن هذا الخلق له خالق وله رب وأنه موجود فتحير ونظر في هذه المسألة، ثم قال لهم وجدتها فأقام البرهان بما يسمى عند أهله بحلول الأعراض في الأجسام وهو أصل الانحراف في مذهب الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة والماتريدية، ولهذا السلف ينسبون كل من انحرف في الصفات إلى جهم فيقولون هو جهمي؛ لأنه ما انحرف إلا بموافقته لجهم في هذا الأصل الذي أصله وانحرف به عن منهج السلف، وهذه المسألة أو هذا البرهان الباطل ليس ببرهان بل هو دليل باطل قال: إن الجسم تحل فيه الأعراض الجسم هو المتحيز، كتاب متحيز، كرسي متحيز، مبني متحيز إلى آخره، الأجسام تحل فيها الأعراض، والأعراض مثل البرودة، الحرارة،

الارتفاع، الانخفاض الطول، العرض، العمق إلى آخره مثل الحركة فيه والتحرك هذه الأشياء معلوم أنها لا توجد بنفسها وإنما وجدت في الجسم، والجسم حلت فيه هذه الأعراض دون اختياره فبهذا صار هذا الجسم جسماً محتاجاً إلى العرض؛ لأن العرض وحده لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالأجسام وما دام أنه لوجوده محتاج لصفات فمعنى ذلك أنه غير كامل .

الشريط التاسع . وجه (ب) :

وحلول الأعراض بالأجسام دل على أنها مخلوقة يعني على أنها محتاجة إلى من يأتي إليها بهذه الأشياء التي تميزها عن غيرها وتصلح معها للوجود فلهذا صار الجسم قابلاً لحلول الأعراض فيه وصار إذن الجسم محتاجاً لغيره فصار إذن مخلوقاً موجداً.

إذا تبين هذا قالوا له هذا دليل صحيح في أن الجسم لم يوجد نفسه وأنه موجود واقتنعوا بهذا البرهان مع أنه في حقيقته غير مقنع وغير مستقيم فأثبت لهم وجود خالق وجود رب لهذه الأشياء فلما نظروا في هذا قالوا هذا دليل صحيح. فصف لنا ربك كان جهم فقيهاً عنده علم بالكتاب والسنة ولما سألوه هذا السؤال نظر في الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة فتحير في أنه لو أثبت هذه الصفات لعادت على هذا الدليل الذي لم يجد غيره في إثبات وجود الله عادت عليه بالإبطال؛ لأنه وجد في الكتاب والسنة أن من الصفات والاستواء والعلو والرحمة الانتقام، الإعطاء، الغضب الرضا إلى آخره. وهذه كلها معاني لا تقوم بنفسها وهي تأتي وتذهب يعني من حيث هي فقال: أنه لو قال لهم إن صفات الرحمن جل وعلا هي التي جاءت في الكتاب والسنة على ظاهرها فإنه سيُقال له إذن فالذي يتصف بهذه الصفات إذن هو محتاج إذن هو مثل الجسم وهو جسم كالأجسام فلهذا قال لهم إن الله لا صفة له إلا صفة الوجود المطلق وعلى هذا الأصل مشى جهم في نفي الكلام ونفي جميع

الصفات حتى أسماء الرحمن جل وعلا يفسرها بالآثار المخلوقة جاء بعده المعتزلة قالوا: هذا البرهان صحيح ولكن ثم صفات دل عليها العقل، لا يمكن أن يكون الرب جل وعلا موجوداً دون هذه الصفات، جاء الأشاعرة فقالوا: كلام المعتزلة صحيح لكن الصفات أكثر من الثلاثة التي أثبتها المعتزلة فهي سبع وتؤل إلى عشرين عندهم بعد ذلك جاء الماتريدية وقالوا: الصفات ثمان لابد من زيادة صفة التكوين ... وهكذا .

إذًا منشأ الضلال في هذه المسألة هو هذا البرهان الباطل على وجود الله جل وعلا الذي جعل فيه دليل الأعراض هو الدليل على حدوث الأجسام ومنه أبطل وصف الله جل وعلا بصفاته ونفي الكلام ولهذا مسألة الكلام هي أعظم المسائل التي بحث فيها؛ لأنه ورثها جهم من الجعد درهم وكانت أصل المسائل التي يفكر فيها من جهة الصفات فلما أقام برهانه صارت هذه الصفة من أوائل الصفات التي نفاها لأجل إقامة برهانه واستقامته. إذا تبين لك ذلك فثم تعبيرات مختلفة عن منشأ الضلال في هذه المسألة فتارة تجد من يقول إن منشأ الضلال في هذه المسألة هو أن إثبات صفة الكلام يستلزم التجسيم وهي راجعة إلى ما ذكرنا، ومنهم من يقول إن صفة الكلام المضافة إلى الله إضافة تشريف لا إضافة صفة إلى موصوف، وهذان القولان هما اللذان ذكرها الشارح ابن أبي العز في هذا الموضع يعني شبهة الذين قالوا إن كلام الله جل وعلا مخلوق.

المسألة الثانية:

إن الناس اختلفوا في مسألة الكلام هذه إلى أقوال كثيرة يهمك منها ما يلي: لا نستعرض الأقوال لأنها طويلة ولا فائدة منها....

الأول: قول أهل السنة والجماعة وهو الذي سمعت وهو أن القرآن كلام الله جل وعلا سمعه منه جبريل فنزل به على محمد ﷺ فسمعه من محمد ﷺ

وأسمعه الناس وتلاه عليهم وأنه منه بدأ جل وعلا وإليه يعود، وإن كلام الله سبحانه وتعالى يسمع وإذا كان جبريل قد سمعه ونزّله فإن هو صوت سمعة بصوت وليس معنى قذف في داخل جبريل أو أخذه من اللوح المحفوظ وأن كلام الله سبحانه هو كلامه حيث وجد وأنه إذا تلي فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ فهو كلامه الموجود في المصاحف وهو كلامه الذي يُسمع الموجود في تلاوة التالي وهو كلامه الذي يستدل به إلى آخره لا يخرج في هذه الحالات عن كونه كلام الله جل وعلا، وهذا هو الذي قرر في هذا الموضع في الطحاوية.

المذهب الثاني: مذهب الجهمية: وهو أن الله سبحانه لا يوصف بكلام أصلاً وليس بمتكلم ولا بذي كلام فيسلب عن هذا الوصف ويفسر الكلام بمخلوق منفصل يقال له كلام فخلق الله هذا القرآن وسماه كلاماً له فيكون الكلام كلام الله جل وعلا يكون خلقاً من خلقه.

المذهب الثالث: مذهب المعتزلة: وهو شبيه بمذهب الجهمية إلا أنهم قالوا: إن القرآن مخلوق خلق الله جل وعلا في نفس جبريل فنقل جبريل ما خلق في نفسه فهو مخلوق في نفس جبريل، وكلام الله جل وعلا يخلق في أحوال مختلفة من جهة سماع موسى خلق في الشجرة ويخلق في كذا ويخلق في كذا إلى آخر قولهم، فإذن يتفقون على أنه مخلوق –مع الجهمية– ويجعلون زيادة عليهم أنه مخلوق في موضع يناسب. وهذا منهم فقه أعظم من فقه جهم حتى لا يعارض عليهم بأن القرآن تنزيل وأنه منزل فقال أنه أُنزل ولكنه خلق في نفس جبريل أو في روع جبريل.

المذهب الرابع: مذهب الكلابية: ابن كلاب وأتباعه من الأشاعرة وغيرهم هو أن كلام الله جل وعلا معنى واحد وكُتُبْ الله تعبير عن هذا المعنى الواحد فتارة يعبر عنه بالعربية فيسمى قرآن وتارة يعبر عنه السريانية

فيسمى إنجيل وتارة يعبر عنه بالعبرانية فيسمى توراة وهكذا، فإذن هو معنى وليست ثم صوت يسمع ولا كلام على الحقيقة ولكن معنى قائم بنفس الرب جل وعلا ألقاه في روع جبريل فنزل له جبريل عبّر عنه جبريل بهذه التعبيرات المختلفة.

المذهب الخامس: مذهب الفلاسفة وطائفة من الصوفية: وهو أن كلام الله جل وعلا هو ما يفيض على النفوس من المعاني الخيرة من معاني الحكمة، وهذه الإفاضة قد تكون مباشرة منه إلى العقل الفعّال عندهم، والعقل الفعّال يفيضها على النفوس بحسب استعداداتها، وقد تكون هذه الإفاضة منه جل وعلا مباشرة على قلب الرجل كقول طائفة من الصوفية، وقد تكون هذه الإفاضة بوسائط مختلفة.

المقصود من هذا تقرير للمذاهب المشهور في هذه المسألة وإن كان ثم مذاهب أخرى في هذه المسألة وكما ذكرت لك أن هذه المسألة من كبريات المسائل التي تكلم فيها الناس.

المسألة الثالثة: أدلة أهل السنة والجماعة على قولهم.

كما علمت أن المسألة مترتبة على أشياء ففيها أن القرآن كلام الله وأن أدلتها كثيرة معلومة لكم منها قوله جلا وعلا: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ** ﴾ وقوله: (منه بدأ قولاً) دليله قوله جل وعلا: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ وقوله جل وعلا: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ قال: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ** ﴾ ثم وصفه بقوله ﴿**تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ ولهذا حرف **من** هذا من الأحرف المهمة في تقرير العقائد السلفية فينبغي لطالب العلم أن يهتم به في كتب النحو وكتب المعاني؛ لأنه يفيد فيما ذكرنا في مواضع كثيرة يفيد في هذا الموضع وغيره من المواضع.

قال بلا كيفية يعني وإن الكيف غير معقول وهذا يدل عليه قوله ﴿ **لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، وأنزله على رسوله وحيًا، يعني أن القرآن وحي وهذا أمر ظاهر متواتر معروف للجميع.

قال: (وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة) هذه الكلمة دليلها قوله جل وعلا: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً** ﴾ فتكليم موسى أكد بالمصدر "تكليماً" وقال علماء العربية أن تأكيد الفعل بالمصدر يدل على إرادة حقيقته وألا يراد به غير الظاهر والحقيقة، هذا القول من باب التنزل معهم بحسب لغتهم، وإلا فإن استعمال لفظ الحقيقة والمجاز في هذا الموضع لا يصلح تأسيساً وإنما إذا كان في الرد على المخالفين فلا بأس به من باب حدثوا الناس بما يعرفون.

قارن بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ **فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ** ﴾ فإذاً كلام الله جل وعلا الذي تكلم به هو حقيقة جمعا بين الآيتين آية براءة وآية النساء.

المسألة الرابعة: أقوال أهل البدع نخص منها قول المعتزلة وقول الأشاعرة أما الأقوال الأخرى أقوال الجهمية والفلاسفة نطويها.

قول المعتزلة مشهور وهو أن القرآن مخلوق. استدلوا بدليل عقلي كما ذكرنا وهو أنه لو أثبت الكلام وإن الكلام يُسمع فمعنى ذلك أن الرب جل وعلا جسم؛ لأن الكلام لا يصدر إلا بتغير وهذا التغير إذا حل في شيء فإنه يدل على أنه جسم على الذي ذكرنا لك من قولهم، وهذا القول يدلهم على أن الرب جل وعلا يجب أن ينزه عن جميع مظاهر الجسمية بأنواعها؛ لأن وصفه بأنه جل وعلا جسم كفر وهذا القول يرد عليه من جهتين.

الأول: أن ذكر صفة الكلام لله جل وعلا وارتباط الجسمية بها هذا ليس بصحيح وذلك أن المقدمة التي بني عليها هذا القول هي البرهان بما سموه حلول الأعراض في الأجسام وهذا البرهان لم يدل عليه القرآن ولا السنة

بل دل القرآن والسنة على بطلانه وذلك من جهة أن الجسم موجود بأعراضه وأنه إذا كان العرض يحل في الجسم فدل على أن الجسم غير مختار لحلوله إذا كان الجسم يحل فيه العرض والجسم لم يختر حلول العرض فيه فدل على أنه محتاج لا ينطبق على الصورة التي فيها الكلام؛ لأن من قال: إن القرآن تكلم به فلو قيل إنه عرض فيقال اتصافه به كان بمشيئته وقدرته واختياره فخالف من هذه الجهة البرهان، فدل أولاً على أن البرهان في نفسه غير صحيح على هذه المسألة يعني تطبيق البرهان غير صحيح في مسألة الكلام، ودل ثانياً على أنهم حين أصّلوا البرهان لم يطبقوه على وجه الصواب في الصفات، فجعلوا الجسمية والعرضية متلازمة دائماً مع الحاجة، وهذا فيه نظر كما ذكرت لك، الرد الثاني أن النصوص دلت على أن القرآن كلام الله جل وعلا وعلى أن الله يتكلم وعلى أن هذا أُوكد بمؤكدات ومجموع هذه النصوص إذا أُريد تأويلها فإنه أولاً: لا يستقيم في كل المواضع، والثاني أنه يلزم منه نفي الصفات التي وصف بها المعتزلة رب العالمين، أما الأول فلا يستقيم في كل موضع مثل ما قالوا في قوله ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً** ﴾ أن معناه أن موسى سمع كلامه المخلوق في الشجرة هذا السماع أكد في حق موسى بأنه سمع كلاماً تكليماً يعني أن التكليم ليس تأكيداً للفعل الذي بدأ من الله جل وعلا ولكنه لإحساس موسى بما سمع وقال بعض الناس في هذا ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً** ﴾ يعني جرحه بأظافير الحكمة تجريحاً أخذوه من كلّم يعني جرح، وقد جاء بعض المعتزلة إلى أبي عمرو ابن العلاء وهو أحد القراء الذي جعل قراءته معتمدة على النحو فقال له في هذا الموطن ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً** ﴾ قال: هبني قرأت ذلك فما تصنع بقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ** ﴾ وما تصنع بقوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ**

عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ وهذا يدل كما ذكرنا لك أنه لا يستقيم مع الآيات الأخر.

الرد على الأشاعرة: وهو أخطر الأقوال؛ لأن قول المعتزلة جمهور الأمة يعني جمهور المنتسبين للقبلة يقولون بخلافه وفي زماننا هذا ما يقول بقول المعتزلة إلا الرافضة والإباضية أو الخوارج والزيدية.

قول الأشاعرة: كما ذكرنا أن كلام الله معنى وأن القرآن أُلقي في نفس جبريل فعبر عنه وهذا القول منهم لا شك أنه أخف من قول المعتزلة ولهذا تجد أن الأشاعرة هم الذين أخذوا زمام الرد على المعتزلة في خلق القرآن في القرون المتوالية بعد زمن السلف كالإمام أحمد والبخاري والأئمة، هؤلاء تولوا الرد وعثمان بن سعيد وغيره ومن صنف، لكن من رد على المعتزلة، ردوداً عقلية وتوسعوا في ذلك هم الأشاعرة وبينهم وبينهم مناظرات، ولأجل خلاف المعتزلة والأشاعرة في هذه المسألة كان أهل الحديث والأشاعرة في أول الأمر متفقين غير مختلفين حتى حدثت فتنة ابن القشيري المعروفة في أواخر القرن الخامس فصارت المنابذة العظيمة ما بين الأشاعرة وأهل السنة، فكان الأشاعرة لا يعلنون مذاهبهم في كل المسائل على التفصيل حتى حدثت الفتنة. المقصود من هذا أن الأشاعرة ردوا على المعتزلة في خلق القرآن وأصل مذهب بن كلاب في هذه المسألة أنه توسط في هذه المسألة ما بين قول أهل الحديث؛ لأنه خالط أهل الحديث وما بين قول المعتزلة فأتى بهذا الشيء الذي هو أن القرآن معنى؛ لأن الذي من أجله قيل أن القرآن مخلوق هو أن كلام الله جل وعلا أصوات وحروف وأنه يسمع فقال ننفي هذه ونبقي كلام الله جل وعلا غير مخلوق وأن على حقيقته ولكن نقول هو معنى دون لفظ، دون سماع.

إذا تبين ذلك فنأخذ من هذا تفصيل وهو أن ارتباط أو دلالة الكلام في اللغة على اللفظ والمعنى فيها مذاهب:

مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والأثر: إن الكلام والقول إذا أطلق يعني إذا قيل الكلام، كلام فلان، قول فلان، كلام الله، قول الله جل وعلا فإنه يراد به شيئان دون تفريق بين الواحد والآخر يراد به اللفظ والمعنى جميعاً.

مذهب المعتزلة: وهو أن الكلام هو في المعنى وفي اللفظ مجاز.

مذهب الكلابية: وهو أن الكلام للمعاني ولكن الحديث إخراجه هذا دليل عنه، واستدلوا على هذا بقول الأخطل الشاعر المشهور المعروف عندهم بالاستدلال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

والكلام على هذا البيت ورد الاحتجاج به إلى آخره مر معنا في الواسطية فنحيلكم عليها؛ لأنه معروف مشهور كررناه أكثر من مرة.

نرجع إلى أصل المسألة وهي أن الكلابية والأشاعرة قالوا: إن الكلام معنى، كلام الله جل وعلا معنى إلقاء الله في رُوع جبريل ولهذا لأنهم أصلوا تأصيلات ومنها أن الكلام لا يدل على الإخراج وإنما يدل على ما قام في النفس كما استدلوا بهذا البيت، لهذا ذكرت لكم في أول الكلام تعريف كلّم، وكلم، وهذه المادة واشتقاقها ليبطل معه قول من قال إن الكلام معنى فإن اللغة دلت على أن الكلام لابد أن يكون لفظًا ومعنى وحتى كلمة لفظ تدل على شيء ملفوظ فخرج، وما أحسن قوله المعرِّي وإن كان ليس مجال احتجاج قال:

من الناس من لفظه لؤلؤ يبادره اللقط إذ يُلفظ
وبعضهم قوله كالحصى يقال فيلغى ولا يُحفظ

يعني من الناس من لفظه لؤلؤ اللفظ لابد أن يلفظ يخرج فكيف يكون الكلام والقول يكون في الداخل دون الخارج. وكيف يكون المعنى يُدل عليه في الإنسان بلا لفظ، وإذا كان ثم لفظ فإذن ثم معنى واللفظ لابد أن يلفظ ويخرج فدل ذلك على أن قولهم بأن الكلام معنى وإن هذا هو الأصل فيه هذا لا شك أنه معارض باللغة في تفصيلاتها واشتقاقاتها وأيضاً معارض بالنصوص التي سقنا لك بعضاً منها.

الكلابية ورثهم أبوالحسن الأشعري والماتريدي في الكلام في هذه المسألة، تارة يعبرون عنه بقولهم: الكلام صفة نفسية، وتارة يعبرون عنه بأن الكلام كلام الله جل وعلا قديم يعني قبل أن يخلق الخلق، قبل أن يوجد شيء تكلّم بكلام قديم وانتهى وتارة يعبرون عنه بأنه معنى قائم في النفس وتارة يعبرون عنه بأنه عبارة عن كلام الله يعني عُبِّر به عن كلام الله.

إذا تبين لك ذلك فحاصل معنقد هذه الطوائف الكلابية، الأشاعرة، الماتريدية: أن القرآن قديم، كلام الله جل وعلا قديم يعني تكلم الله جل وعلا به في الأزل ثم لما أراد إنزاله على محمد ﷺ قام ما تكلم به في الأزل به معنى فألقاه في روع جبريل فنزل به جبريل وعبر عنه، وإلا فكلام الله عندهم ليس بالعربية وليس بالسريانية وليس بالعبرانية إلى آخره لتنزهه عندهم عن اللغة. إذا تبين ذلك فمن أحسن الردود عليهم ما استشكله الآمدي، والآمدي من حذاق الأشاعرة المعروفين ومن الأذكياء. قال: إني نظرت في هذا القول وهو أن القرآن قديم وأنه حين أوحي إلى محمد ﷺ إنما أوحي بالعبارة وبما ألقي في نفس جبريل فأشكل عليّ أن القرآن فيه آيات كثيرة فيها التعبيرات عنه بلفظ الماضي ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾ وهل كان ثم مجادلة وهل كان ثم زوج، وهل كان ثم قول حتى يسمع الله قال ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ** ﴾، فإذا كان الله جل وعلا قال هذا القول في الأزل ولا زوجة ولا مجادلة ولا قول

فما الذي سمعه؟ فيلزم منه أن قوله قد سمع وكل الأفعال الماضية في القرآن أنها غير مطابقة للواقع وهذا هو الكذب، وهذا لا شك أنه رد منطقي جميل؛ لأنه يلزمهم على أصولهم ولا فرار لهم منها.

إذا تبين لك ذلك فنقول خلاصة الرد على هذه الطوائف يكمن في أشياء:

الأول الاستدلال باللغة: في معنى كلّم في معنى الوحي.

الثاني الاستدلال بالنصوص: بالقرآن والسنة التي بها الإضافة والقاعدة فرق ما بين إضافة التخصيص وإضافة المخلوقات وإضافة معاني.

الثالث يرد ما استدلوا به من أنواع الأدلة: مثل ما أصلوه في أن الكلام يدل على المعنى فقط في اللغة وأن الوحي يكون بالمعنى وإلقاء في الروع وغير ذلك من الاستدلالات مثل قولهم: يلزم التشبيه، يلزم التجسيم إلى آخره، وأيضاً بقول الآمدي بالتفريق بين الماضي والحاضر.

الحقيقة أننا إذا أوضحنا أو طرقنا مثل هذا فإن الإنسان يتألم من جهة وهو أن مثل هذا الكلام لا ينبغي أن يقرر. مثل مذاهب الفرق وأقوال الأقوام، لكن لابد منه لأنه مع الأسف في مجتمعات المسلمين وبلادنا بخاصة وكل من سيصلهم هذا الكلام عن طريق الأشرطة. فالمجتمعات مختلطة فصار فيها من أتباع الفرق جميعاً، ولا يحسن أن يبقى طالب العلم السني السلفي عرياً عن قوة الحجة، وقوة الدليل وعن فهم كلام الناس في ذلك؛ لأنه قد يقال أنكم لا تفهمون أنكم تقلدون إلى آخره، فإذا فهم المسائل وضبطها واستطاع أن يرد على أولئك فقد نصر الحق إضافة إلى أن كتب التفسير المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة أكثر من كتب التفسير السلفية فأكثر كتب التفسير والحديث وشروح كتب الحديث وكتب الأصول كلها على منهج الأقوام لا تجد كتاباً في الأصول من الكتب المتقدمة إلا ما شذ أثبت منهج أهل السنة

والجماعة في مسألة الكلام حتى كتب الحنابلة تجد فيها ضلال في هذه المسألة؛ لأنهم وافقوا الأقوام في أن القرآن عبارة أو معنى ونحو ذلك.

الأسئلة :

سؤال : ما هي أدلة المعتزلة على خلق القرآن؟

ج: أدلة المعتزلة كثيرة ومما استدلوا به أن الجعل... أن الله جل وعلا قال: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاناً عَرَبِيّاً** ﴾ ونحو ذلك وقالوا إن الجعل بمعنى الخلق، ﴿ **جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ يعني خلق، ﴿ **جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ يعني خلق وهكذا.

والجواب على كلامهم معروف وهو أن جعل في اللغة إذا تعدى إلى مفعول واحد صار بمعنى خلق وإذا تعدى إلى مفعولين صار بمعنى صيّر. ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاناً عَرَبِيّاً** ﴾ يعني صيرناه قرآناً عربياً غير خلقناه، والآيات على هذا كثيرة وهذا من أضعف حججهم لأنها منقوضة باللغة.

الأسئلة :

سؤال : ما رأيكم فيمن قاس الكلام على الاستواء؟

الجواب : منهج السلف في الكلام أن الكلام قديم النوع حادث الآحاد يعني أصل صفة الكلام لم يزل الله جل وعلا متصفاً بها سبحانه وتعالى، واتصافه بالكلام أول سبحانه وتعالى اتصافه بالكلام أزلي، لذلك يقولون كلام الله جل وعلا قديم النوع، حادث الآحاد وكلامه نوعان جل وعلا، كلام كوني قدري، وهذا الذي به تكون الأشياء ويتصرف سبحانه وتعالى في ملكه وهو الذي جاءت به الاستعاذة "أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة" "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"، وفي مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّـهِ** ﴾ ونحو ذلك من الآيات هذه الكلمات الكونية القدرية، والنوع الثاني من كلام الله جل وعلا الكلام الشرعي الديني وهو الذي تعبد الناس –

جل وعلا- أن يعملوا به في العمليات وأن يصدقوه في إخباره. والأشاعرة يقولون كله قديم.

سؤال : هل القرآن الكريم حروفه ومعانيه مكتوب في اللوح المحفوظ؟

الجواب: نعم كما قال سبحانه وتعالى ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** *﴾ الله جل وعلا جعل القرآن في اللوح المحفوظ مكتوباً قبل أن يتكلم به فما في اللوح المحفوظ هذه مرتبة الكتابة، مرتبة الكتابة لا علاقة بها بالكلام، كما أنه سبحانه جعل في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، وثم تقدير سنوي وتقدير عمري وتقدير يومي إلى آخره، فكذلك جعل جل وعلا كلامه الذي هو القرآن جعله في اللوح المحفوظ تكرمه له ويصان مجموعة كاملاً ثم هو جل وعلا تكلم به فسمعه منه جبريل ولها نقول أن ترتيب الآيات بالسور توقيفي وكذلك ترتيب السور توقيفي ما يجوز أن نقول أنه ترتيب اجتهادي؛ لأنه هكذا أنزل على النبي ﷺ وجاءت به العرضة الأخيرة الموافقة لما في اللوح المحفوظ والنبي ﷺ كان يقرأ في أول الأمر البقرة ثم النساء، ثم آل عمران كما جاء في حديث حذيفة وغيره هذا في الأمر الأول ثم لما كمل القرآن وكمل تنزيل آياته وعرضه النبي ﷺ على جبريل في العرضة الأخيرة على هذا الترتيب، والصحابة كتبوه على ما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام ولهذا كانت إذا جاءت آية قال ﷺ: ((اجعلوها بعد آية كذا وقبل آية كذا)) كما هو معروف.

سؤال : هل نزل القرآن من الله إلى جبريل منطوقاً ومكتوباً؟

الجواب : لا .. منطوقاً مسموعاً سمعه جبريل أما المكتوب فلا علاقة لجبريل -عليه السلام- به، هذا من أقوال الأشاعرة، أنهم قالوا إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وقاله السيوطي وغيره وهذا باطل؛ لأن الكتابة لا علاقة لجبريل بها، جبريل سمع فأدى.

سؤال : من سأل النبي ﷺ أن يدعو له وأن يطلب له المغفرة بعد موته هل هذا شرك؟

الجواب: نعم هو شرك أكبر؛ لأن النبي ﷺ لا يدعي بعد موته فطلب الدعاء من الميت بالإغاثة أو الاستسقاء يعني أن يدعو الله أن يغيث أن يدعو الله أن يغفر، أن يعطي ونحو ذلك هذا كله داخل الدعاء والله جل وعلا قال: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً** ﴾، والذي يقول إن هذه الصورة وهي طلب الدعاء تخرج عن الطلب الذي به يكون الشرك شركاً فإنه ينقض أصل التوحيد كله فكل أنواع الطلب طلب الدعاء من الميت طلب المغفرة من الميت أو طلب الدعاء من الميت أن يدعو الله أن يغفر أو طلب الإغاثة من الميت، أو طلب الإعانة كلها باب واحد هي طلب، والطلب دعاء فداخلة في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـهًا اخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ وفي قوله: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً** ﴾ وقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** ﴾ ونحو ذلك من الآيات فالتفريق مضاد للدليل ومن فهم من كلام بعض أئمتنا التفريق أو أن طلب الدعاء من الميت هو بدعة لا يغني أنه ليس بشرك بل هو بدعة شركية يعني ما كان أهل الجاهلية يفعلون، وإنما كانوا يتقربون ليدعوا لهم ولكن أن يُطلب من الميت الدعاء، هذا بدعة ما كانت أصلاً موجودة عند الجاهليين ولا عند المسلمين فحدثت، فهي بدعة ولا شك ولكنها بدعة شركية كفرية وهي معنى الشفاعة، ما معنى الشفاعة التي لو طلبها أحد من غير الله فقد أشرك. الشفاعة: طلب الدعاء، طلب الدعاء من الميت هو الشفاعة.

نكتفي بهذا القدر ، ونلتقي إن شاء الله ، وفقكم الله لما يحب ويرضى، وصلى الله على محمد .

الشريط العاشر . وجه (أ) ١٤١٨/٧/١هـ

سؤال : ما حكم سب الدهر؟

الجواب : سب الدهر محرم لأنه إيذاء لله جل وعلا كما قال جل وعلا في الحديث القدسي: ((يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار))، فسب الدهر بمعنى أن ينتقصه أو أن ينسب إليه الأفعال القبيحة وأشباه ذلك، هذا في الواقع لا يتوجه إلى الدهر؛ لأن الدهر يقلب، الدهر ليس يفعل شيئاً وإنما يتوجه إلى من جعل الدهر على هذه المثابة، ومن جعل الدهر بهذه الصفة وهو الله جل وعلا، لهذا قال ((يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار)) فمسبة الدهر حرام وإيذاء لله جل وعلا، وقوله جل وعلا في الحديث القدسي: ((وأنا الدهر)) لا يفهم منه أن الدهر اسم من أسماء الله جل وعلا، بل يعني أن الذي سب الدهر وقعت مسبته على الله جل وعلا؛ لأن الله سبحانه هو الذي يصرف الدهر كيف يشاء. إذا تبين ذلك، قد بينا مراراً أن وصف الدهر بأوصاف مما يقع فيه من الأوصاف المشيئة ليست مسبة للدهر، كقول القائل هذا يوم أسود، وهذا شهر نحس أو نحو ذلك فإن هذا ليس بمسبة للدهر؛ لأن هذا وصف لما يقع في اليوم أو لما وقع فيه لما يقع في الشهر أو لما وقع فيه، هذا كما قال جلا وعلا: ﴿ **فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ** ﴾، وقال سبحانه ﴿ **فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ فوصف الله جل وعلا الأيام التي عذب فيها الكفرة أنها أيام نحسات فمثل هذا ليس بسب للدهر؛ لأنه وصف لما وقع فيه بالإضافة إلى المخلوق.

سؤال : هل يدخل في سب الدهر قول القائل الدهر باغ والزمان غدار ونحو ذلك؟

الجواب : نعم. هذا من التنقص وهذا من سب الدهر؛ لأن الدهر لا يبغى على أحد ولكن الذي دبر الدهر وقدر فيه ما قدر هو الله جل وعلا.

سؤال : هل آية الرجم المعروفة تعتبر من كلام الله غير أنها منسوخة ولا يجوز التعبد بتلاوتها؟

الجواب : نعم كل آية نزلت على النبي ﷺ فهي من كلام الله جل وعلا سواءً كانت باقية أو كانت منسوخة كما قال جل وعلا ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَ** ﴾ أو في القراءة الأخرى ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِأهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَ**﴾ فالآية التي نسخت قرآن ولكنه نسخت تلاوتها والتعبد بذلك وحكمها منسوخ هذا إذا كانت منسوخة، وأما إذا لم تكن الآية منسوخة فإنه قد تترك آية لغير النسخ لقوله تعالى: ﴿ **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَ** ﴾.

سؤال : يستخدم بعض الكتاب ألفاظاً منسوبة إلى القرآن كقولهم قال القرآن أو تحدث القرآن، ففنَّد القرآن هذه الشبهة. هل يصح الحكم عليها بأنها متفرع على القول بخلق القرآن؟

الجواب: لا لأن هذه الكلمات جرت على ألسنة كثير من أئمة أهل العلم السابقين يقولون وقال القرآن، رد القرآن ونحو ذلك فينسبون الفعل إلى القرآن، ومعلوم أن القرآن كلام الله جل وعلا، وفي الحقيقة القائل هو الله جل وعلا كأنهم قالوا قال الله في القرآن، تحدث الله في القرآن، رد الله في القرآن وأشباه ذلك.

سؤال : كان من الردود على المعتزلة في الدرس الماضي أنهم إذا أرادوا تأويل صفة الكلام فإنه يترتب عليه نفي الصفات التي أثبتها المعتزلة مع أنه قد تقرر في كثير من الدروس أن المعتزلة لا يثبتون أي صفة من الصفات فما الجواب؟

الجواب: أن الذي قررناه وهو المعروف أن المعتزلة يثبتون ثلاث صفات وأما الذين لا يثبتون إلا صفة الوجود المطلق بشرط الإطلاق هم

الجهمية، وكل من أثبت صفة من الصفات ونفي الباقي فإنه يطعن بإثباته على ما نفي مثلاً: يقال لمن لا يثبت إلا صفة الوجود يقال له لم نفيت غيرها من الصفات لم نفيت صفة العلم، الكلام، المحبة، فسيقول إن هذه الصفات تستلزم التمثيل أو التشبيه فيقال لم؟ يقول لأن المخلوق يتكلم فكيف نقول إن الله يتكلم، والمخلوق يتكلم معناه هناك تشبيه نقول إن الله يحب والمخلوق يحب معنى هذا أن هنا تشبيه فيقال له فكذلك الصفة التي أثبتها وهي الوجود أيضاً مشتركة فالمخلوق موجود والله جل وعلا موجود والمعتزلة يثبتون القدرة لله جل وعلا والمخلوق عنده قدرة فما الفرق بين ما أثبت وبين ما نفى، الوجود أيضاً مشترك في التشبيه، إذا قلنا أن وجود الصفة من حيث في الله جل وعلا وفي المخلوق أن هذا تشبيه فإن الوجود فيه تشبيه فالله جل وعلا موجود والبشر موجودون إذن فهناك تشبيه فالصفة التي أثبتها فيها تشبيه وهو يريد أن ينفي الصفات الأخرى لأجل التشبيه كذلك نأتي للأشاعرة نقول أنت أثبتم سبع صفات، السمع البصر، الكلام، العلم، الإرادة إلى آخره فنقول لم أولتم صفة الوجه؟ لم أولتم صفة اليدين؟ لم أولتم صفة الغضب، صفة الرضى صفة المحبة، صفة الرحمة؟، إلى غير ذلك؟ يقولون لأن هذا يستلزم التشبيه فنقول كذلك صفة السمع تستلزم التشبيه كذلك صفة البصر كذلك صفة الإرادة، الله جل وعلا يريد والإنسان له إرادة لماذا لم نقل إن هذا فيه تشبيه، يجيب الجميع منهم على اختلاف فرقهم بأن إرادة الله جل وعلا مختلفة عن إرادة المخلوق، بأن قدرة الله جل وعلا مختلفة عن قدرة المخلوق، نقول: إذن نقول في باقي الصفات مثل هذا الأصل فكلام الله جل وعلا مختلف عن كلام المخلوق، ورحمة الله تختلف عن رحمة المخلوق، فإثبات الصفات إثبات وجود إثبات لفظ ومعنى لا إثبات كيفية، فلا اشتراك في الكيفية؛ لأن الله جل وعلا ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾. فكما أن سبحانه وتعالى له سمع يليق

بجلالته فكذلك له بصر يليق بجلالته وعظمته له كلام يليق بجلاله وعظمته، أما سمع الإنسان وبصر الإنسان وكلام الإنسان هذا يليق بحال الإنسان، فإذن الاشتراك في أصل الصفة، أما الكيفية وتمام المعنى فهذه لا اشترك فيها فإذن كل مؤول للصفات من الفرق يلزمه التناقض كل من أول يلزمه التناقض بل سيما أهل البدع دائماً التناقض؛ لأنه يتناقض ولو أعملوا القاعدة أننا نسلم للقرآن والسنة وما قاله السلف الصالح لما صار تناقض في أبواب الاعتقاد أبداً، ولكنهم تارة يثبتون وتارة ينفون وتارة يتأولون بعقولهم؛ لأنهم خلطوا قولاً سنياً وآخره عقلياً.

سؤال : هل معنى قول من قال إن القرآن مخلوق أنه مثل أعضائنا وغير ذلك من المخلوقات؟

الجواب: لا .. يقولون القرآن مخلوق يعني أن الله سبحانه خلق هذا الكلام وسماه قرآناً أو أن الله خلقه في نفس جبريل فعبر جبريل بذلك ليس أن ثم شيء مخلوق يعني له صفته أو يمس ويحس مثل الأعضاء لا خلق هذا الشيء يعني أنه ليس صفة له خلقه في نفس جبريل وعبر جبريل عما وجده في نفسه.

سؤال : كيف نوفق بين كون الله تكلم بالقرآن وأن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ؟

الجواب: إن مرتبة الكتابة أو جهة الكتاب للقرآن غير جهة الكلام فالله جل وعلا يعلم ما سينزله على رسوله ﷺ ﴿ **فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ**﴾ فالله سبحانه يعلم أن هذا القرآن هذا الكلام سينزله على عبده محمد ﷺ فجعل هذا الذي سينزله مكتوباً في اللوح المحفوظ تشريفاً له وتعظيمًا لمكانته، ولأنه حجة الله الباقية إلى قيام الساعة.

أما المتكلم فكلام الله جل وعلا بالقرآن إنما هو حين أراد أن يبعث محمداً عليه الصلاة والسلام أو حين أراد أن ينبأه. أما نزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا هذا أيضاً عند من قال به نزول مكتوب لا نزول مسموع.

سؤال : إذا خلوت بنفسي تراودني نفسي على فعل المعصية وأحاول المجاهدة لكنها تغلبني مع أن ظاهري الصلاح ، فهل يعد هذا من الخلوة بمحارم الله علماً بأني أستر على نفسي ؟

الجواب : العبد المؤمن إذا منَّ الله عليه بنفس لوامة فهو على خير ، النفس التي تلومه على فعل الذنب وتحسن له فعل الخير ، وقد جاء في الأثر : إذا سرتك حسناتك وساءتك سيئتك فأنت المؤمن . أو المؤمن من تسره حسناته وتسوؤه سيئاته . وإذا ابتلى الرب العبد بذنب فإنه إذا عمله في خلوة أيسر مما إذا عمله في علن أو جهر به ؛ لأن الله جل وعلا يستر على عبده ، وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : ((كل أمتي معافى إلا المجاهرون)) أي يغفر له بالأسباب ، قالوا : ومن المهاجرون يا رسول الله قال : ((من يصبح وقد ستر الله عليه ذنبه فيصبح فيتحدث للناس بما فعله في ليلته)) فالعبد إذا ابتلي بمعصية وكانت سراً فالمعصية لا تضر إلا بصاحبها ويمن الله جل وعلا على عبده المنيب بالمغفرة . وأما إذا تحدث بها فإن هذا مجاهرة بمعصية الله يتحدث ، فعلت ، وفعلت ، من باب الاستعلاء وعدم رعاية حق الله والاستهانة بالمعصية والتهاون بها . ولهذا قال بعض أهل العلم إن العبد قد يعمل كبيرة من الكبائر فتظل نفسه تلومه وتلومه حتى يغفر الله له هذه المعصية الكبيرة بالاستغفار وإنابته ، وإن العبد ليفعل المعصية من الصغائر فيظل يتهاون بها ولا يراها شيئاً حتى تؤول به إلى الكبيرة .

وقد ثبت في الصحيح أن ابن مسعود قال : إن الرجل الكافر . أو قال المنافق . إذا عمل بالمعصية فكأنما مر على أنفه ذباب فقال هكذا . يعني ليست بشيء

تطيح ولا كأنه عمل شيئاً . وإن العبد المؤمن أو قال الصالح إذا فعل معصية فكأن على رأسه جبل يخشى أن يقع عليه ، فالعبد المؤمن إذا كانت تسره حسناته وتسوءه سيئاته فهو على خير ، وكلما كان الأمر في سر كان أخف ، وأما البلاء في المجاهرة بالمعاصي يصبح وقد ستر الله عليه معصيته فيتحدث ويقول فعلت وفعلت وقابلت ونظرن وغشيت كذا وكذا متفاخراً بذلك متهاوناً به ، نسأل الله للجميع المغفرة والتوبة والإنابة وأن يمن علينا بالعمل الصالح وبمغفرة الذنوب جميعاً .

المتن :

ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر ، وعن مثل قول الكفار انزجر ، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر.

الشرح :

قد مضى الكلام في الدرس الماضي عن كلام الله جل وعلا وعلى أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى وعلى أن القرآن كلام اله جل وعلا بحروفه ومعانيه، وأن الله سبحانه تكلم به فمنه بدأ وسمعه منه جبريل –عليه السلام– فبلغه إلى النبي ﷺ وتقدم لنا إبطال قول من قال: إن القرآن مخلوق أو أن القرآن عبارة عن كلام الله، أو من قال إن كلام الله جل وعلا نفس وكلام الله جل وعلا قديم ونحو ذلك من أقوال أهل البدع والضلالات من أقوال المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة وغلاة الصوفية، وتقدم لنا ذلك مختصراً في أوجه الرد على أولئك، وفي مسألة الكلام النفسي ذكرنا بعض الأوجه وسبق أن تقدم لنا في شرح الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ردودٌ مزيدة على ما ذكرنا، وقد رد

شيخ الإسلام ابن تيمية على من قال بالكلام النفس في تسعين وجهاً في رسالة مطبوعة سميت التسعينية لأنها اشتملت على تسعين وجهاً ترد قول من قال إن كلام الله جل وعلا نفس يعني أنه لم يتكلم بصوت يسمع وإنما ألقى ما أراده في روع جبريل.

هذه الجملة التي سمعناها الليلة متصلة بالبحث نفسه قال فمن سمعه يعني القرآن فزعم أنه كلام البشر فق كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ﴾، فلما أوعد الله بسقر لمن قال ﴿ **إِنْ هَـذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ** ﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر، (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ومن أبصر هذا واعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر علم أنه بصفاته ليس كالبشر) هذه الجمل اشتملت على تقرير مسألة عظيمة وهي أن كلام الله جل وعلا لا يشبه قول البشر وكيف يشبه قول البشر وهو كلام الباري جل وعلا الذي لا يشبه بصفاته البشر، فالبشر لهم صفاتهم في كلاهم وفي سمعهم وبصرهم وإدراكاتهم وعظاتهم والله جل وعلا له صفاته في كلامه وفي سمعه وبصره وجمع صفاته فلا يشبه في صفاته التي منها كلامه لا يشبه صفات البشر فمن قال عن القرآن أنه قول بشر أو أنه مخلوق أو هو كلام جبريل ونحو ذلك وليس بكلام الله جل وعلا فإن هذا كافر بالله العظيم؛ لأن من قال إن القرآن كلام البشر فإن هذا كفر كما قال تعالى: ﴿ **إِنْ هَـذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ﴾ في قول الوليد.

إذا تبين لك ذلك فإن المشركين قالوا أيضاً إنما يعلمه بشر كما قال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾. فالذين أبوا هداية القرآن وأبوا الإذعان له وصفوا القرآن بصفات، قال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو شعر، وقال

بعضهم هو قول بشر وقال بعضهم أساطير الأولين وكل هذه الأقوال يعلمون إنما هي لتنفير الناس عن قبول هذا القرآن فلقد تواعد كما هو معلوم في القصة ثلاثة من كفار قريش لا يأتوا إلى النبي ﷺ، ولكن ذهب أحد هؤلاء إلى النبي ﷺ في الليل يسمع قراءته للقرآن ولما ذهب وجد فلاناً وفلان فإذا بهم ثلاثة يسمعون القرآن لما له من سلطان على نفوسهم، ثم لما رجعوا تقابلوا في الطريق فتواعدوا ألا يسمعوا مرة أخرى لهذا القرآن لأجل ألا يراهم بعض العامة وبعض الناس فلا يقبلوا قولهم في رد القرآن ثم لما جاءوا من الليلة الثانية اجتمعوا أيضاً ثم صارت أيضاً ثالثة حتى رأوا أنهم لابد أن يتفارقوا على ذلك، ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً** ﴾ كذلك لما أرسل الوليد أو عقبة إلى النبي ﷺ ليفاوضه في شأن القرآن وأن يترك هذا الأمر، قال له يا محمد إن أردت ملكاً ملكناك وإن أردت مالاً جمعنا لك من المال تكون به أغنى العرب وإن أردت نساءً نظرنا في أجمل نساء العرب فأتينا بهن إليك فقال عليه الصلاة والسلام له: ((هذا الذي عندك))؟

اسمع فتلا عليه صدر سورة فصلت بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ** ﴾ ومضى عليه الصلاة والسلام في التلاوة حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾ فالتفت إليه فقال حسبك الآن.

فرجع إلى قومه، فلما رأوه مقبلاً قالوا: لقد أتاكم فلان بوجه غير الوجه الذي ذهب به فلما حضر قالوا ما عندك يا فلان قال: إني سمعت كلاماً ليس هو بالشعر ولا هو بالكهانة وليس هو بالكلام الذي نألف إن له لحلاوة وإن عليه لطُلاوة أو طَلاوة أو طِلاوة مثلثة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر وإنه

ليعلوا ولا يُعلى عليه. فتبين بذلك أن أولئك الذين قالوا هو كهانة وهو شعر وهو قول البشر إنهم هم الذين ردوا على أنفسهم، وقال جل وعلا: ﴿ **قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ** ﴾.

إذا تبين ذلك فالتحدي لمّا وقع وعجزوا وهم يريدون أي وسيلة لمعارضة القرآن وإثبات أنه قول البشر فأتوا بمثل عشر سور ائتوا بمثله ائتوا بسورة من مثله لما عجزوا سمى العلماء فعلهم ذلك أو عجزهم سموه مسألة إعجاز القرآن لأجل التحدي وعجز الكفار أن يأتوا بمثله.

المسألة الثانية: إن كلام الله جل وعلا هو المعجز وليس أن الله جل وعلا أعجز لأجل السماع أعجز لما أنزل القرآن والفرق بين المسألتين أن الإعجاز صفة القرآن، ولكن لا يقال إن الله جل وعلا أعجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن؛ لأن هذا القول يدل على أنهم قادرون لكن الله جل وعلا سلبهم القدرة على هذه المعارضة فإذن الإعجاز والبرهان والآية والدليل في القرآن نفسه لماذا؛ لأنه كلام الله جل وعلا ولا يقال إن جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً، هذه المسألة يمكن أن تمر عليها فيما ذكر بشيء من التقرير العام كما فعل الشارح لكن هذه المسألة متصلة ببحث عظيم وهو بحث دلائل النبوة؛ لأن كون القرآن لا يشبه كلام البشر ولا يشبه قول البشر هي المسألة الموسومة عند العلماء بمسألة إعجاز القرآن وأن القرآن معجز وهذه ولا شك مسألة مهمة قل بل ندر أن تتعرض لها كتب العقائد ولها صلة ببحث دلائل النبوة فهي التوحيد؛ لأن صلتها تارة بدلائل النبوة من كون القرآن معجز ودليلاً على صحة نبوة محمد ﷺ وأنه منبأ من عند الله ومن جهة أخرى لها صلة بمبحث كلام الله تعالى وهو أن القرآن لا يشبه كلام البشر، وإن كلام الله

جل وعلا ليس ككلام البشر فلا بأس إذن أن نقرر هذه المسألة وهي المسألة الموسومة بإعجاز القرآن لأجل ندرة الكلام عليها في كتب العقائد مفصلة ونذكر منها بعض ما يناسب هذه الدروس المختصرة.

لتقرير هذه المسألة وهي مسألة إعجاز القرآن وقد تكلم فيها أنواع من الناس من جميع الفرق والمذاهب أولاً: نجعل البحث فيها في مسائل فنقول.

المسألة الأولى: إن لفظ الإعجاز لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وإنما جاء في القرآن وفي السنة أن ما يعطيه الله جل وعلا للأنبياء والرسل وما أتاه محمداً عليه الصلاة والسلام هو آية وبرهان على نبوته فلفظ المعجزة لم يأت كما ذكرنا من قبل في الكتاب ولا في السنة وإنما هو لفظ حادث ولا بأس باستعماله إذا عني به المعنى الصحيح الذي سيأتي.

الذي جاء في القرآن الآيات والبراهين لكن العلماء استعملوا لفظ الإعجاز لسبب وهو أن القرآن تحدى الله جل وعلا به العرب بأن يأتوا بمثله أو أن يأتوا بعشر سور مثله أو أن يأتوا بسورة من مثله فلما تحداهم فلم يغلبوا ولم يأتوا بما تحداهم به فدل ذلك على عجزهم وذلك بسبب أن القرآن معجز لهم فلم يأتوا بمثله، قال جل وعلا: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ **قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون** ﴾ .

إذا تبين ذلك فالتحدي لما وقع وعجزوا وهم يريدون أي وسيلة لمعارضة القرآن وإثبات أنه قول البشر . فأتوا بمثل عشر سور ، فأتوا بمثله ، فأتوا بسورة من مثله . لما عجزوا سمى العلماء فعلهم ذلك أو عجزهم ذلك سموه مسألة إعجاز القرآن ؛ لأجل التحدي وعجز الكفار أن يأتوا بمثله .

المسألة الثانية : أن كلام الله جل وعلا هو المعجز وليس أن الله جل وعلا أعجز لأجل السماع أعجز لما أنزل القرآن ، والفرق بين المسألتين أن الإعجاز صفة القرآن ولكن لا يقال إن الله جل وعلا أعجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن ؛ لأن هذا القول يتضمن بل دليل على أنهم قادرون لكن الله جل وعلا سلبهم القدرة على هذه المعارضة . فإذاً الإعجاز والبرهان والآية والدليل في القرآن نفسه ، لم ؟ لأنه كلام الله جل وعلا ، ولا يقال إن الله جل وعلا أعجز الناس أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو صرفهم عن ذلك كما هي أقوال يأتي بيانها ، فإذاً تنتبه إلى أن تعبير أهل العلم في هذه المسألة أن القرآن آية فآية محمد ﷺ القرآن وآية نبوته وآية رسالته القرآن، بل محمد ﷺ لما سمع كلام الله جل وعلا خاف عليه الصلاة والسلام فلما فجأه الوحي وهو بغار حراء فأتاه جبريل قال له: ((اقرأ قال: ما أنا بقارئ، قال اقرأ قال: ما أنا بقارئ، قال: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** ﴾)) إلى آخره ما أنزل في أول ما نبئ النبي ﷺ فرجع بها عليه الصلاة والسلام يرجف بها فؤاده؛ لأن هذا الكلام لا شبه كلام أحد ولم يتحمله عليه الصلاة والسلام لا في ألفاظه ومعانيه ونظمه ولا في أيضاً صفة الوحي والتنزيل فما استطاع عليه الصلاة والسلام أن يتحمل ذلك فرجع بهن يعني بالآيات يرجف بها فؤاده ﷺ إلى آخر القصة.

إذاً فالنبي ﷺ نفسه أول ما جاءه الوحي لم يتحمل هذا الذي جاءه لم؟ لأنه كلام الله جل وعلا وأما كلام البشر فإنه يتحمله بما سمع منه.

المسألة الثالثة: أقوال الناس في إعجاز القرآن.

مسألة إعجاز القرآن كما ذكرنا لها صلة بدلائل النبوة، والقرآن معجز لمن؟ للجن والإنس جميعاً بل معجز لكل المخلوقات لم؟ لأن كلام الله جل وكلام الله جل وعلا لا يشبهه كلام الخلق وكون القرآن معجزاً راجع إلى أشياء

كثيرة يأتي فيها البيان فاختلف الناس في وجه الإعجاز لأجل أن إعجاز القرآن دليل نبوة النبي ﷺ في أقوال:

القول الأول:

ذهب إليه طائفة من المعتزلة ومن غيرهم حتى من المعاصرين الذين تأثروا بالمدرسة العقلية في الصفات والكلام قالوا إن الإعجاز في القرآن إنما هو بصرف البشر عن معارضته وإلا فالعرب قادرة على معارضته في الأصل لكنهم صرفوا عن معارضته فهذا الصرف هو قدرة الله جل وعلا لا يمكن للنبي ﷺ أن يصرفهم جميعاً عن معارضته وهذا الصرف لابد أن يكون من قوة تملك هؤلاء جميعاً وهي قوى الله جل وعلا فإذن الصرفة التي تسمع عنها القول بالصرفة يعني أن الله جل وعلا صرف البشر عن معارضة هذا القرآن وإلا فإن العرب قادرون على المعارضة وهذا القول هو القول المشهور الذي ينسب للنظام وجماعة فيما هو معلوم وهذا القول يرده أشياء نقتصر منها على دليلين.

الدليل الأول:

سمعي نقلي من القرآن والدليل الثاني عقلي أما الدليل القرآني فهو قول الله جل وعلا: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ فالله جل وعلا أثبت أن الإنس والجن لو اجتمعت على أن تأتي بمثل هذا القرآن وصار بعضهم لبعض معيناً في الإتيان بمثل هذا القرآن أنهم لن يأتوا بمثله وهذا إثبات لقدرتهم على ذلك لأن اجتماعهم مع سلب القدرة عنهم في منزلة اجتماع الأموات لتحصيل شيء من الأشياء، فالله جل وعلا بين أنهم لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وكان بعضهم لبعض معيناً وظهيراً على المعارضة فإنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن فأثبت لهم القدرة لو اجتمعوا

قادرين وبعضهم لبعض يعين، لكنهم سيعجزون مع قدرهم التي ستجتمع وسيكون بعضهم لبعض معيناً على المعارضة وهذه الآية هي التي احتج بها المعتزلة على إعجاز القرآن ففيها الدليل ضدهم على بطلان الصرفة.

الدليل الثاني:

وهو الدليل العقلي أن الأمة أجمعت من جميع الفرق والمذاهب أن الإعجاز يُنسب ويضاف إلى القرآن ولا يضاف إلى الله جل وعلا، فلا يقال إعجاز الله بالقرآن وإنما يقال باتفاق الجميع وبلا خلاف هو إعجاز القرآن، فإضافة الإعجاز إلى القرآن تدل على أن القرآن معجز في نفسه وليس الإعجاز من الله جل وعلا بصفة القدرة لأننا لو قلنا الإعجاز هو إعجاز الله بقدرته الناس عن الإتيان بمثل هذا القرآن فيكون الإعجاز بأمر خارج عن القرآن فلما أجمعت الأمة من جميع الفئات والمذاهب على أن الإعجاز وصف للقرآن علمنا بطلان أن يكون الإعجاز صفة لقدرة الله جل وعلا؛ لأن من قال بالصرفة بأن الله سلبهم القدرة هذا راجع إلى الإعجاز يعني تعجيزهم راجع إلى صفة القدرة وهذه صفة ربوبية فإذن لا يكون القرآن معجزاً في نفسه وإنما تكون المعجزة في قدرة الله تعالى على ذلك ولا شك أنه دليل قوي في إبطال قول هؤلاء؛ لأن المعتزلة المتأخرون ذهبوا إلى خلاف قول المتقدمين في الإعجاز بالصرفة؛ لأن قولهم لا يستقيم لا نقلاً ولا عقلاً.

المذهب الثاني:

من قال: القرآن معجز بألفاظه فألفاظ القرآن بلغت المنتهى في الفصاحة؛ لأن البلاغيين يعرفون الفصاحة بقولهم: فصاحة المفرد في سلامته من نفرة فيه ومن غرابته، فالقرآن مشتمل على أعلى الفصيح في الألفاظ ولما تأمل أصحاب هذا القول جميع كلام العرب في خطبهم وإشعارهم وجدوا أن كلام المتكلم لابد أن يشتمل على لفظ وأن في الفصاحة ولا يستقيم في كلام

أي أحد في المعلقات ولا في خطب العرب ولا في نثرهم، ولا في مراسلاتهم إلى آخره لا يستقيم أن يكون كلامهم دائماً في أعلى الفصاحة فنظروا إلى هذه الجهة فقالوا الفصاحة هي دليل إعجاز القرآن؛ لأن العرب عاجزون، وهذا ليس بجيد لأن القرآن اسم للألفاظ والمعاني والله جل وعلا تحدى أن يؤتي بمثل هذا القرآن أو بمثل عشر سور مفتريات كما زعموا، وهذه المثلية إنما هي باللفظ وبالمعنى جميعاً وبصورة الكلام المتركبة فإذن كونه معجزاً بألفاظه نعم لكن ليس وجه الإعجاز الألفاظ وحدها.

القول الثالث:

من قال إن الإعجاز في المعاني وأما الألفاظ فهي على قارعة الطريق مثل ما يقول الجاحظ فيما ساقه في كتاب الحيوان يقول: الشأن في المعاني أما الألفاظ في ملقاة على قارعة الطريق يعني أن الألفاظ يتداولها الناس لكن الشأن في الدلالة بالألفاظ على المعاني وهذا لا شك أنه فيه قصور مثل القول الثاني؛ لأن القرآن كما ذكرنا مشتمل على فصاحة الألفاظ وعظمة المعاني جميعاً.

الشريط العاشر ـ وجه (ب) :

القول الرابع:

من قال إن القرآن معجز في نظمه ومعنى النظم هو الألفاظ المتركبة والمعاني التي دلت عليها الألفاظ وما بينها من الروابط يعني أن الكلام يحتاج فيه إلى ألفاظ وإلى معان في هذه الألفاظ يعبر بالألفاظ عن المعاني وإلى رابط يربط بين هذه الألفاظ والمعاني في صور بلاغية وفي صور نحوية عالية وهذا المجموع سماه أصحاب هذا القول النظم، وهذا هو مدرسة الجرجاني المعروفة العلامة عبد القاهر الجرجاني فيما كتب في دلائل الإعجاز وفي أسرار البلاغة وهذا القول لما قال به الجرجاني وهو مسبوق إليه من جهة الخطابي

وغيره يعني في كلامه هو أراد به الرد على عبدالجبار المعتزلي في كتابه المغني فإنه ألف كتابه المغني وجعل مجلداً كاملاً في إعجاز القرآن ورد عليه بكتاب دلائل الإعجاز وأن الإعجاز راجع إلى اللفظ والمعنى والروابط، يعني إلى النظم نظم القرآن جميعاً، المقصود بالنظم يعني تآلف الألفاظ والجمل مع دلالات المعاني البلاغية واللفظية وما بينها من صلات نحوية عالية، وهذا القول قول جيد، ولكن لا ينبغي أن يقصر عليه إعجاز القرآن.

القول الخامس:

من قال إعجاز القرآن فيما اشتمل عليه فالقرآن اشتمل على أمور غيبية لا يمكن أن يأتي بها النبي ﷺ في أمر الماضي وفي أمر المستقبل، واشتمل القرآن أيضاً على أمور تشريعية لا يمكن أن تكون من عند النبي ﷺ، واشتمل القرآن على هداية ومخالطة للنفوس لا يمكن أن تكون من عند بشر، وهذا قول لبعض المتقدمين وجمع من المعاصرين بأن القرآن مشتمل على هذه الأشياء جميعاً، ولكن هذا القول وهو أن إعجاز القرآن بما اشتمل عليه يشكل عليه أن إعجاز القرآن الذي تحدى الله به العرب والعرب حينما خوطبوا به خوطبوا بكلام مشتمل على أشياء كثيرة وكان التحدي واقعاً أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بمثل سورة أو بعشر سور مثله مفتريات كما زعموا وهذا يؤول إلى ما تميزت به العرب وهو مسألة البلاغة وما تميزوا به من رفعة الكلام وفصاحته وبلاغته، والعرب لم تكن متقدمة عارفة بالأمور الطبية ولا بالأمور الفلسفية، ولا بالأمور العقدية، ولا بالغيبيات، وليس عندهم معرفة بالتواريخ على تفاصيلها ونحو ذلك حتى يقال إن الإعجاز وقع في هذه الجهات لكنهم خوطبوا بكلام من جنس ما يتكلمون به من جهة الألفاظ والحروف، لكنهم عجزوا عن الإتيان بذلك لأنه كلام الله جل وعلا.

القول السادس والأخير:

والأقوال متنوعة لأن المدارس كثيرة أن القرآن معجز لأنه كلام الله جل وعلا وكلام الله جل وعلا لا يمكن أن يشبه كلام المخلوق وهذا القول هو الذي ذكره الطحاوي هنا قال (علمنا وأيقنا أن قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر فمن أبصر هذا واعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر علم أنه بصفاته (التي منها القرآن) ليس كالبشر).

وهذا القول الذي أشار إليه لم يتطرق إليه الشارحون شارحوا هذه الرسالة سواء من السلفيين أو من المبتدعة من الماتريديين وغيرهم في تقرير هذه المسألة، وهو من أرفع وأعظم الأقوال بل هو القول الحق في هذه المسألة أن كلام الله جل وعلا لا يمكن أن يشبه كلام البشر. خذ مثلاً فيما يتميز به المخلوقات ترى فلاناً فتقول هذا عربي، وترى آخر فتقول هذا أوربي، وترى ثالثاً فتقول هذا من شرق أسيا لم؟ لأن الصفة العامة دلت على ذلك ولو أخذ الآخذ يعدد لأخذ يعدد أشياء كثيرة متنوعة دلته على أن هذه الصورة هي صورة عربي وهذه الصورة صورة أوربي هذه الصورة الخلقية صورة من شرق آسيا وهكذا فإذن الصورة العام بها تتفرق لأشياء، فالذي يدل على الفرقان ما بين شيء وشيء وأهمها الصور العامة له، كلام الناس يختلف بعض عن بعض، قول الصحابة إذا سمعنا كلاماً نقول هذا من قول الصحابة أو من قول السلف؛ لأن كلامهم لا يشبه كلام المتأخرين كما قال ابن رجب كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة، فكلام السلف له صورة عامة تعرف أن هذا من كلام السلف فلو أتينا بكلام إنسان معاصر في كلمات له كثيرة وقارناها بكلام السلف لا تضح الفرق، فإذن البشر في كلامهم متباين، إذا رأيت كلام الإمام أحمد تقول هذا ليس كلام ابن تيمية ترى كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في تقريره تقول ليس هذا بكلام مثلاً النووي، إذا رأيت

كلام الإمام أحمد تقول هذا ليس كلام أبي حنيفة وهكذا، فإذن الكلام له صورة له هيئة من سمعها ميز هذا الكلام وهذا هو الذي أشار إليه الطحاوي بأن كلام الله جل وعلا لا يشبه كلام البشر إذا تبين لك ذلك، فإن كلام الله جل وعلا صفته فهذا القرآن من سمعه أيقن أنه ليس بكلام البشر ولهذا بعض الأدباء الغواة مثل ابن المقفع والمعري ونحو ذلك أرادوا معارضة القرآن بصورة أدبية فظهر عجزهم بل افتضحوا في ذلك فغيروا منحاهم إلى منحى التأثير إلى ما أشبه ذلك في كتبهم المعروفة وهي مطبوعة.

أرادوا المعارضة من جهة المعاني من جهة الألفاظ أن يأتوا بشيء لكن افتضحوا؛ لأن كلام البشر لا يمكن أن يكون مثل كلام الله جل وعلا العرب هم الغاية في البيان هم الغاية في معرفة الفصاحة هم الغاية في معرفة تركيب الكلام لكنهم لما سمعوا القرآن ما استطاعوا أن يعارضوه لم؟ لأن الكلام لا يشبه الكلام لا يمكن أن يعارضوه؛ لأن كلام الله جل وعلا لا يشبه كلام المخلوق.

إذا تبين لك ذلك فنقول إذن ما نقرره هو أن وجه الإعجاز في كلام الله جل وعلا هو أن كلام الله سبحانه وتعالى لا يشبه كلام البشر ولا يماثل كلام البشر، وإن البشر لا يمكن أن يقولوا شيئاً يماثل صفة الله جل وعلا وأن الناس لا يستطيعون على اختلاف طبقاتهم وتنوع مشاربهم أن يتلقوا أعظم من هذا الكلام وإلا فكلام الله تعالى من عظمته لو تحمل البشر أعظم من القرآن لكانت الحجة أعظم لكنهم لا يتحملون أكثر من هذا القرآن، لهذا تجد التفاسير من أول الزمان إلى الآن وكل واحد يخرج من عجائب القرآن ما يخرج والقرآن كنوزه لا تنفد ولا يخلق على كثرة الرد لا من جهة التلاوة ولا من جهة التفسير إذا تبين ذلك فكلام الطحاوي هذا من أنفس ما سمعت وأصح الأقوال في مسألة إعجاز القرآن وهو أن الكلام لا يشبه الكلام.

إذا تبين هذا فنقول: كلام الله جل وعلا في كونه لا يشبه كلام البشر له خصائص فأوجه إعجاز القرآن التي ذكرها من ذكر نقول هي خصائص لكلام الله جل وعلا أوجبت أن يكون كلام الله جل وعلا ليس ككلام البشر.

مثل ما يقول واحد هذا الشعر موزون، هذا البيت فيه كسر لأن حرف واحد نقص لماذا؟ في هيئته العامة لكن له برهان يأتيك يقول؛ لأنه كذا وكذا هذا فلان بصفاته بحركاته وتصرفاته تدل على أنه ليس بعربي لم؟ فيه أدلة على ذلك؛ لأن هذه خصائص العرب وما تميزوا به.

يقول هذا الحديث معلول لكن ما وجه علته؟ مثل ما قال أبوحاتم وغيره ممن تقدمه أن أهل الحديث يعرفون العلة كما يعرف صاحب الجوهر الزيف من النقد، هل تعرف هذا الماس نقي أم ليس بنقي؟ يأتيك صاحب الخبرة ويقول هذا الماس ليس بنقي، هذا الكتاب طبعته حجرية، هذا مطبوع في روسيا كيف عرف أنه مطبوع في روسيا وليس عليه اسم الكتاب، هذا الكتاب مطبوع في بلدة كذا في الهند لماذا؟ عنده البرهان، ولكن الصفة العامة هي هذا ولهذا نقول وانتبه لهذا حتى تخلص من إشكال عظيم في هذه المسألة إعجاز القرآن لتنوع الخطاب فيها وتنوع المدركات نقول: إن كلام الله جل وعلا ليس ككلام البشر وكلام الله جل وعلا له خصائص ميزته عن كلام البشر.

ما هذه الخصائص؟ كل ما قيل داخل في خصائص القرآن.

أولاً: القرآن كلام الله جل وعلا واشتمل القرآن على ألفاظ العرب جميعاً تجد القرآن فيه كلمات بلغة قريش وفيه كلمات بلغة هذيل، وفيه كلمات بلغة تميم، وفيه كلمات بلغة هوازن وفي كلمات بلغة أهل اليمن وبلغة حمير ﴿**وَأَنتُمْ سَامِدُونَ**﴾ قال ابن عباس السمود الغناء بلغة حمير، بعض قريش خفي عليهم بعض الكلمات مثلما قال عمر -رضي الله عنه- لما تلا سورة النحل في يوم

الجمعة في الخطبة تلا سورة النحل فوقف عند قوله تعالى: ﴿ **أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ نظر وقال ما التخوف سكت الحاضرون فقام رجل من هذيل فقال يا أمير المؤمنين التخوف في لغتنا التنقص قال شاعرنا أبوكبير الهذلي:

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن

تنقص أو يأخذهم على تخوف يعني يبدأ بتنقص شيئاً فشيئاً ينقصون عما كانوا فيه من النعمة شيئاً فشيئاً حتى يأتيهم البأس ، عمر القرشي خفيت عليه هذه الكلمة لأنها بلغة أخرى هل يستطيع أحد من العرب أن يحيط بلغة العرب جميعاً؟ بألفاظها وتفاصيلها لا يمكن ولهذا تجد في القرآن الكلمة بلغة مختلفة وتجد فيه التركيب النحوي بلغة من لغات العرب فيكون مثلاً على لغة حمير في النحو أو على لغة سدوس أو هذيل في النحو فإذن الألفاظ والمعاني والتراكيب النحوية في القرآن تنوعت ودخل فيها كل لغات العرب هذا لا يمكن أن يكون من كلام أحد لا يستطيع أحد أن يحيط هذه الإحاطة إلا من خلق اللغات وهو رب العالمين.

الثاني: الألفاظ كما ذكرنا ألفاظ القرآن بلغت الأعلى في الفصاحة والقرآن كله فصيح في ألفاظه والفصاحة راجعة إلى الكلمات جميعاً الأسماء والأفعال والحروف حتى (ألم) فصيح.

إذن من خصائص القرآن التي دلت على إعجازه أن ألفاظه جميعاً فصيحة وما استطاع أحد من العرب الذين أنزل عليهم القرآن يعيب القرآن في لفظ مما فيه كما عابوا كلام بعضهم بعضا بل قال قائلهم إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة إلى آخر كلامه.

الثالث: المعاني، المعاني التي يتصورها البشر عند قول كلامه لابد أن يكون فيها قصور فإذا تكلم البشر في المعاني العقدية فلابد أن يكون عنده لا

شك قصور إذا تكلم في المعاني التشريعية لابد أن يظهر خلل إذا تكلم في المعاني الإصلاحية التهذيبية، لابد أن يكون فيها خلل ولهذا قال جل وعلا: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾ فإذن تنوع المعاني على هذا الوجه التام بما يناسب المعاني الكثيرة بما يناسب المعاني الكثيرة التي يحتاجها الناس يدل على أن هذا كلام الله جل وعلا يعني أنه صفته. هذه خصائص كلام الله جل وعلا، فلو قيل تقديراً أننا سنصف القرآن الذي هو كلام الله جل وعلا وبه فارق كلام البشر فستعدد هذه جميعاً التي هي خصائص أو أوجه للإعجاز بها صار القرآن معجز بجميعها لا بواحدة منها.

الوجه الرابع: أو الخصيصة الرابعة للقرآن أن القرآن فيه النظم مثل ما قال الجرجاني وهي من أحسن النظريات في الكلام في إعجاز القرآن من جهة البيان، القرآن فيه القمة في فصاحة الألفاظ وفي البلاغة، البلاغة متركبة من أشياء متركبة من ألفاظ ومن معان ومن روابط، الحروف التي تربط بين الألفاظ والمعاني وتصل الجمل بعضها ببعض، فالقرآن إذن من أوجه إعجازه أو من صفاته وخصائصه أن نظمه يعني أن ترتيب الكلام والآيات فيه وترتيب الجمل في الآية الواحدة يدل على أنه الغاية في البيان ولا يمكن لبشر أو لا يمكن للجن والإنس لو اجتمعوا أن يكونوا دائماً على أعلى مستوى في هذا اللفظ، ولهذا تجد أن تفاسير القرآن حارت في القرآن حتى التفاسير الخاصة النحو تجده ينشط في أوله ثم تجده يعجز فيها آخره تجده في البلاغة يريد أن يبين بلاغة القرآن فيجود في موضع ثم بعد ذلك يكسل ما يستطيع أن يبين تماماً، لهذا قال من قال من أهل العلم، العلوم ثلاثة:

علم نضج واحترق، وعلم نضج ولم يحترق، وعلم لم ينضج ولم يحترق، والثالث هو التفسير لأن على كثيرة المؤلفات في التفسير وهي مئات

فإنها لم تأت على كل ما في القرآن لم؟ لأن الإنسان يعجز العجز المبين أن يبين عن كل ما في القرآن إذن نظرية النظم التي ذكرها عبدالقاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة على تفصيل ما فيها لا شك أنها دالة على صفة من صفات القرآن.

الوجه الخامس: أن القرآن له سلطان على النفوس وليس ثم من كلام البشر ما له سلطان على النفوس في كل الكلام، ولكن القرآن له سلطان على النفوس لما تميز به من كلام الله جل وعلا لأنه كلام الله جل وعلا.

مثل ما صار السلطان على ذلك المشرك يعني أنه يرغم الأنوف، وقد كان مرة أحد الدعاة يخطب بالعربية وفي أثناء خطبته يورد آيات من القرآن العظيم يتلوها فكانت امرأة كافرة لا تحسن الكلام العربي ولا تعرفه فلما انتهى الخطيب من خطبته استوقفته في سفينة وقالت كلامك له نمط وتأتي في كلامك بكلمات مختلفة في رنتها وفي قرعها للأذن عن بقية الكلام، فما هذه الكلمات؟

فقال: هي القرآن، وهذا لا شك إذا سمعت القرآن تجد له سلطان على النفس يلجأ النفس على الاستسلام له إلا من ركب هواه هذا السلطان تجده في أشياء أولاً: أن آيات القرآن في السورة الواحدة كما هو معلوم لم تجعل آيات العقيدة على حدة، وآيات الأحكام على حدة وآيات الخلق والسلوك على حدة، بل الجميع كان هذه وراء هذه تجد آية تخاطب المؤمنين وآية تخاطب المنافقين، وآية تخاطب النفس وآية فيها العقيدة، وآية فيها قصص الماضين وآية تليها فيها ما سيأتي وآية فيها الوعد وآية فيها الوعيد، وآية فيها ذكر الجنة وذكر النار، وآية فيها التشريع ثم ينتقل إلى آية أخرى فيها أصل الخلق خلق آدم وهكذا فيه تنوع وهذا من أسرار السلطان الذي يكون للقرآن على النفوس؛ لأن الأنفس متنوعة بل النفس الواحدة لها مشارب فالنفس تارة يأتيها الترغيب

وتارة يأتيها الترهيب تارة تتأثر بالمثل، تارة تتأثر بالقصة تارة هي ملزمة بالعمل تارة هي ملزمة بالاعتقاد فكون هذه وراء هذه تغلق على النفس البشرية أنواع ما تتأثر به وهذا لا يمكن أن يكون إلا من كلام من خلق هذه النفس البشرية، ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾، فتجد أن القرآن يحاصرك فأي إنسان أراد أن يفر لا يمكن أن يفر من القرآن، فتأتيه قوة بآية فيها وصف الكافرين وآيات فيها قوة في وصف المنافقين، وآيات قوة في وصف المؤمنين، آيات فيها الماضي فيها الحاضر فيها النبوة فيها الرسالة فيها الدلائل في حال المشركين إلى آخره بما يحصر على النفس الحية، والعقل الواعي الذي يتحرك وعنده همة يحصر عليه الهروب وهذا لا يمكن أن يحصره في أنواع النفس البشرية الواحدة إلا من خلق هذه النفس وتكلم بهذا القرآن لإصلاحها: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ فكيف إذن بأنواع الأنفس المختلفة هذا الذي يصلح له الترغيب وهذا الذي يصلح له الترهيب، وهذا الذي يصلح له وصف الجنة، وهذا الذي ينشأ له الإيمان بالحب، وهذا الذي ينشأ عنده الإيمان بالجهاد ونحو ذلك تنوع الأنفس وخطاب القرآن للناس جميعاً على تنوع أنفسهم هذا دليل ثاني على أن القرآن له سلطان على النفوس.

أيضاً: تجد أن القرآن خوطب به من عنده فن الشعر وما يسميه بعض الناس بموسيقى الكلام يعني رنات الكلام، بعض الناس عنده شفافية في التأثر باللحن بالرنات بالصعود والنزول في نغمة الكلام هذا النوع من الناس تجد في القرآن ما يجبره على أن يستسلم له، لبيد بن ربيعة صاحب معلقة وصاحب ديوان مشهور قيل له ألا تنشدنا من قصائدك لم وقفت عن الشعر قال: أغناني عن الشعر وتذوقه سورتا البقرة وآل عمران؛ لأنه له تذوق في الفن بخصوصه فيأتي القرآن فيجعل سلطانه على نفسه فيقصره قصراً ولهذا قال جل وعلا ﴿

وَإِنَّـهُ لَكِتَـابٌ عَزِيـزٌ * لاَّ يَأْتِيـهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْـهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِـهِ تَنزِيـلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، وقال سبحانه ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَـاهُ قُرْآنـاً أَعْجَمِيّـاً لَّقَـالُواْ لَـوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ** ﴾ .

الوجه السادس: أو الصفة السادسة للقرآن أو الخاصية السادسة للقرآن التي تميز بها عن كلام الناس أن القرآن فيه الفصل في الأمور الغيبيات فثم أشياء في القرآن أنزلت على محمد ﷺ وكان أمياً عليه الصلاة والسلام ما لم يظهر وجه بيانها وحجتها في كمال أطرها إلا في العصر الحاضر وهو ما اعتني به طائفة من الناس وسموه الإعجاز العلمي في القرآن، والإعجاز العلمي في القرآن حق لكن له ضوابط توسع فيه بعضهم فخرجوا به عن المقصود إلى أن يجعلوا آيات القرآن خاضعة للنظريات هذا باطل بل النظريات خاضعة للقرآن؛ لأن القرآن حق من عند الله، والنظريات من صنع البشر لكن بالفهم الصحيح للقرآن فثمة أشياء من الإعجاز العلمي حق لم يكن يعلمها الصحابة رضوان الله عليهم على كمال معناها وإنما علموا أصل المعنى وإنما ظهرت في العصر الحاضر في أصول من الإعجاز العلمي.

الإعجاز الاقتصادي، الإعجاز التشريعي، الإعجاز العقدي أشياء تكلم عنها الناس في هذا العصر لا نطيل في بيانها وكل واحدة منها دالة على أن هذه القرآن من عند الله جل وعلا ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾.

الوجه السابع والأخير: أن القرآن من صفاته، أن الإنسان المؤمن كلما ازداد من القرآن ازداد حباً في الله جل وعلا وهذا راجع إلى الإيمان وراجع إلى أن صفة القرآن فيها زيادة في الهدى للقلوب والشفاء، فالأوامر والنواهي والأخبار التي في القرآن هي هدى وشفاء لما في القلوب كما قال سبحانه ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ** ﴾ وهذا سلطان خاص على الذين آمنوا في

أنـه يهـديهم ويخـرجهم مـن الظلمـات إلـى النـور، فـي المسـائل العلميـة وفـي المسائل العملية بهذا ما تأتي فتنة ولا اشتباه إلا وعند المؤمن البصيرة بما في هذا القرآن، ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ فإذن صفة كلام الله جل وعلا في أن المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعلم حدوده ويعلم معانيه أن عنده النور في الفصل في المسائل العلمية والعملية، وهذه لا يلقاها إلا أهل الإيمان: ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ** ﴾، ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً** ﴾ هذا إذن سلطان خاص يزيد المؤمن إيماناً هذا إذا تليت على المؤمن آيات الله جل وعلا زادته إيماناً لما فيها من السلطان على النفوس إذا تبين لك ذلك فكلام الله جل وعلا قديم النوع حادث الآحاد والقرآن من الحادث الآحادي وقت التنزل كما قال تعالى: ﴿ **مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ إلى آخر الآية يعني أن الله جل وعلا تكلم به وكلام الله جل وعلا أوسع من كلام القرآن، والقرآن جاء على هذا النحو؛ لأنه الذي يتحمله الإنس والجن، لا يتحملون أكثر من هذا وإلا لصار عليهم كلفة وعنت، بهذا يتبين لك ما ظهر لي من تحصيل أقوال أهل العلم في هذه المسألة العظيمة التي خاص فيها المعتزلة وخاض فيها الأشاعرة، وقل بل ندر من أهل السنة من خاض فيها على هذا النحو بل لا أعلم من جمع فيها الأوجه على هذا النحو في كتب العقائد بل تجدها متفرقة في كتب كثيرة في البلاغة وفي الدراسات في إعجاز القرآن وفي التفسير وفي كتب متنوعة وما أجمل قول الطحاوي رحمه الله تعالى واسعة: (أيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر) وهذا هو الحق فالقرآن بصورته وهيئته وصفته لا يمكن أن يشبه كلام البشر حتى رسمه وتنوع آياته وسوره لا يمكن أن يشبه قول البشر).

أسأل الله جل وعلا أن يغرس الإيمان في قلوبنا غرساً عظيماً ، وأن يجعلنا من أوليائه الصالحين ، وأن يهيأ لنا من أمرنا رشداً ، وأسأله سبحانه أن يوفقنا وأن يوفق ولاة أمورنا لما يحب ويرضى وأن يجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتوى ، كما أسأله سبحانه أن نور قلوبنا بالقرآن وأن يجعلنا من أوليائه أنه سبحانه جواد كرم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

سؤال : نريد أن نرجع إلى مرجع في مسألة إعجاز القرآن؟

الجواب : ما ذكرت متفرق في مراجع كثيرة.

سؤال : ما هي عقيدة أبي العتاهية؟

الجواب : رحم الله أبا العتاهية فهو من الصالحين، ولا تسل عن شيء ليس فيه مصلحة، أبوالعتاهية شاعر من الشعراء الزهاد ، وشعره وديوانه مطبوع.

سؤال : هل يوجد في القرآن ألفاظ أعجمية؟ ومعنى حم، الر؟

الجواب: الكلمات الأعجمية في القرآن أعجمية الأصل لكنها عربية الاستعمال، ومعلوم أن العرب لما استعملوا هذه الكلمات صارت عربية مثل سندس، استبرق وأشباه ذلك ؛ لأنها لم تأت على أوزان العرب، فأهل العلم في هذه المسألة لهم قولان:

الأول : منهم من ينفي وجود الكلمات الأعجمية أصلاً.

الثاني : ومنهم من يقول هي موجودة لكنها بالاستعمال صارت عربية وهذا هو الصحيح، أما الأحرف المقطعة في أوائل السور الم، الر، حم فهي دالة على إعجاز القرآن فالحجة فيها عظيمة، الر، الم، فصيحة ألفاظها يعني هذه الأحرف من حيث الاستعمال، ودالة على أعظم أنواع الإعجاز، أو على دليل عظيم من أدلة الإعجاز. كيف؟ المر، ح، م ك، ي، ع ص، هذه الأحرف هي الأحرف التي بها يتكلم العرب وينشئون بها الكلام الذي يفاخرون

بـه فإشعار العرب من هذه الأحرف وكلمات العرب وخطب العرب من هذه الأحرف وما تفارقوا فيه من البيان والبلاغة والفصاحة إنما هو مكون من هذه الأحرف فالله جل وعلا في أول بعض السور افتتحها بالأحرف المقطعة لينبه أن هذا القرآن كلماته وآياته من هذه الأحرف التي بها تنشئون كلامكم البليغ الذي تتحدوه به فهيا استعملوا هذه الأحرف في إنشاء كلام مثل هذا القرآن، لهذا تجد أن الأحرف المقطعة في افتتاح السور الغالبية العظمى منها يكون بعد ذكرها ذكر القرآن والكتاب لا تجد سورة فيها ذكر الأحرف المقطعة إلا وفيه ذكر القرآن والأغلب أن تكون بعد الأحرف المقطعة مباشرة ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ** ﴾، ﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** ﴾ ﴿ **حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾ ﴿ **يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** ﴾ ﴿ **حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ** ﴾ ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾، كلما ذكرت الأحرف ذكر بعدها الكتاب، وتارة تكون كسورة مريم ﴿ **كهيعص** ﴾ يأتي ذكر القرآن بعدها فإذن إيراد هذه الأحرف المقطعة في أوائل السورة لتحدي العرب بتكوين كلام من هذه الأحرف التي يكونون بها كلامهم وينشئون بها خطبهم وإشعارهم وأن يعارضوا القرآن بمثل هذا الكلام.

سؤال : ما رأيكم في من يقول إن الله تعالى ليس له لغة بدليل أنه يخاطب جميع البشر كل حسب لغته؟

الجواب : نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، اللغة اصطلاحيه، اللغة من آيات الله ﴿ **وَمِنْ ايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** ﴾ البشر احتجوا للغات ليتفاهموا فيما بينهم، الله جل وعلا هو الذي خلق البشر وخلق لغات البشر، وجعل اختلاف الألسن دليلاً على عظم الباري جل وعلا، الله سبحانه أعظم من أن يقال عنه أنه يتكلم بكل اللغات أو أنه ليس له لغة

أو نحو ذلك. الله جل وعلا أعظم وأجل من ذلك، وما قدروا الله حق قدره سبحانه ربي وتعالى ، سبحان ربي وتعالى .

سؤال : ما رأيكم في القول لشخص آخر –لك خالص شكري–؟

الجواب : نبهنا مراراً أن الشكر عبادة قال تعالى: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ ﴿ **وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** ﴾، ولما أمر الله به فهو عبادة عظيمة من العبادات التي يتقرب إلى الله به، والعبادات من الدين والدين الخالص لله جل وعلا، ﴿ **أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾، فلا يجوز أن يقال لأحد لك خالص شكري؛ لأن خالص الشكر لله، أو لك خالص تحياتي أو مع خالص تحياتي، أو خالص تقديري هذه كلها لله خالص التحيات والتقدير والقدر والتعظيم أو خالص الرجاء مثل أن يقول لك خالص رجائي هذه عبادة وخالصها لله، فلا يجوز أن يقول وتقبل خالص شكري وتقديري؛ لأن هذا إنما هو لله جل وعلا، يقال للبشر مع عظيم شكري لك أو جزيل شكري نعم يشكر البشر على ما يقومون به من أنواع الخير وذلك لقوله ﷺ ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))، فالذي لا يشكر الناس لا يشكر الله جل وعلا.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن تقبل من ومنكم وأن يزيدنا من العلم النافع والعمل الصالح وصلى الله على نبينا محمد .

الشريط الحادي عشر . الوجه (أ) ١٤١٨/٧/٨هـ .

س: قول الرسول ﷺ: ((إنما أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)) في الوصال هل الإطعام حقيقي؟ وما هي الأقوال في ذلك؟

الجواب: أن الأمور المضافة إلى الله جل وعلا من الأفعال الأصل فيها ككل فهم للغة أن يفهم ظاهر الكلام، وظاهر الكلام هو ما يتبادر إلى الذهن العربي من سماع الكلام والظاهر تارة يكون بأفراد الكلام وتارة يكون بتركيبه، والصحابة رضوان الله عليهم واصلوا في الصيام فنهاهم النبي عليه

الصلاة والسلام وسبب نهيه ﷺ الصحابة عن المواصلة الإبقاء عليهم وعدم التكليف؛ لأن في الوصال مشقة ترك الطعام الذي به قوام الإنسان فقوله ﷺ في الحديث حينما نهاهم قالوا يا رسول الله إنك تواصل قال: ((إني لست كهيئتكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني))، فدل هذا على أن ظاهر الكلام أن الله جل وعلا يطعم الرسول ﷺ ويسقيه ومعلوم أن الإطعام والسقيا ليست بالأكل والشرب المعتاد؛ لأن هذا يفطر فيكون إذن ظاهر الكلام أن الإطعام والسقيا هذا حقيقي على ظاهره وأنه إطعام به يقوي البدن، ولكن ليس عن طريق الفم، والثاني أن النبي ﷺ ليس إطعامه من ربه جل وعلا بالأكل والشرب المعروف؛ لأنه بهذا يفطر الصائم والأقوال في ذلك متعددة، ولكن هذا القول هو الذي يوافق ظاهر الحديث والحديث ليس من أحاديث الصفات، لكن هذا هو الذي يوافق ظاهر الحديث .

سؤال : إذا تضرر الناس من المطر ، وطلبوا الاستصحاء ، هل يُصلى لها صلاة أو يدعو الإمام في الجمعة ؟

الجواب : الاستصحاء : هو طلب الصحو والنبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل وهو يخطب فشكا إليه الحال فدعا واستغفر فخرجت سحابة مثل الترس فملئت السماء فأمطروا إلى الجمعة القابلة ، ثم رجل قيل لأنس هل هو الرجل الأول قال : لا أدري ، فقال يا رسول الله انقطعت السبل ..إلى آخره ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الأكام والضراب وبطون الأودية ومنابت الشجر) وأشار بيده هكذا وهكذا ، فصار ما فوق المدينة كالجوف يعني كالفتحة من إشارته يعني تفرق السحاب ، وهذا من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام فإذا احتيج إلى ذلك دعا الإمام في هذا وهذا مشروع كما دلت عليه السنة .

سؤال: ما حكم تعليق المشيئة على أمر متأكد أنه واقع كقوله هذا فلان الواقف أمامه إن شاء الله كذلك حكم تعليقها على أمر قد حصل وانتهى كقوله أكلت إن شاء الله؟

المشيئة في استعمال المسلم لها على درجتين:

الأول: أنه يقصد بها حقيقة التعليق يعني أن ما سيفعله معلق بمشيئة الله كما قال جل وعلا: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾، وقال: ﴿ **وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذلِكَ غَداً * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾، فإذا كان الأمر يعلق على المستقبل فإنه يتأكد استعمال المشيئة يعني أن يعلق الأمر على مشيئة الله؛ لأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الثانية: أن تكون إن شاء الله لتأكيد تحقق الأمر بمشيئة الله يعني أن الأمر وقع ووقوعه ليس بمشيئتي ولكن بمشيئة الله فلا بأس أن يؤكد أي أمر وقع بكلمة إن شاء الله ويقصد بها أنه تحقق ووقع بمشيئة الله جل وعلا وهذا جاء في القرآن كما قال جل وعلا: ﴿ **ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ بعد أن دخلوا وكقوله جلا وعلا: ﴿ **لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾.

وبالمناسبة الكلمة المعروفة التي تروى عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لما حض الناس على جهاد التتر قال : إنكم منصورون ، فقال له أحد القضاة : قل إن شاء الله قال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. يعني أنتم منصورون والنصر بمشيئة الله يتحقق وهذا لأجل أن الله جل وعلا وعد عباده ووعده حق أن ينصرهم ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾، وقال جل وعلا ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي**﴾ وقال سبحانه ﴿

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾، ونحو ذلك من الأدلة.

سؤال : ما حكم الاحتجاج بالقدر على ترك المستحبات وفعل المكروهات؟ مثل أن يترك الإنسان النوافل بعد الصلوات فإذا حاجه أحد قال هذا بقضاء الله وقدره؟

الجواب: القدر لا يجوز الاحتجاج به على المعايب، فإذا كان ثم فعل للإنسان فيه عيب عن ترك فريضة أو فعل محرم أم من ترك نافلة أو فعل مكروه فإنه لا يجوز أن يحتج على ذلك بالقدر وإنما يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب، إذا أصيب الإنسان بمصيبة علق لك بقدر الله جل وعلا؛ لأن بتعليقه بالقدر فإن النفس تطمئن، ويكمل الإيمان والهدى.

﴿ **وَمَن يُؤْمِن بِاللَّـهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ -ما شاء الله كان- قدر الله وما شاء فعل، هذا في المصائب أما في المعايب فإن هذا من وسائل الشيطان؛ لأن الاحتجاج بالقدر على المعايب ليس فيه في الحقيقة حجة بل حجة على صاحبه الذي احتج به؛ لأن الإنسان مخير هل يعمل هذا أم هذا فكونه اختار أحد الأمرين بإرادته التي توجهت إلى أحد الأمرين وقدرته فإن احتجاجه بالقدر حينئذ احتجاج للخروج من التبعة؛ لأنه كان عنده إرادة ولو صح الاحتجاج بالقدر في المعايب لما بقي معنى للتكليف ولا للحساب لأن هذا هو معنى قول الجبرية.

سؤال: ما الفرق بين معجزات الأنبياء ومعجزة القرآن وهل معجزات الأنبياء معجزة في نفسها كمعجزة القرآن أم لا؟

الجواب: معجزات الأنبياء ومنها معجزات المصطفى ﷺ ذكرنا لكم أنها آيات وبراهين ودلائل فلفظ المعجزة لفظ حادث ولهذا تارة يقع الإشكال في توجيه بعض الأمور لأنه ينتقل من استعمال العلماء لها في أحد معانيها أو

في كثير من معانيها إلى أن تجعل حقيقة شرعية عامة وهذا ينتبه له، فإن كلام العلماء تقريب للحقائق فإذا كان الاستعمال الاصطلاحي لهم في الألفاظ لم يأت في القرآن ولا في السنة فينبغي أن يجعل بقدره وألا يزاد على ما استعملوه فيه، ولهذا لفظ المعجزة كما ذكرنا لكم لم يأت في القرآن ولا في السنة وإنما فهم ذلك فهماً وهذا الفهم صحيح إذا قدر بقدره الشرعي ولم ينتقل عنه إلى ما لم يأت به دليل ولهذا نقول آيات الأنبياء والبراهين الدالة على صحة رسالاتهم وعلى أنهم مرسلون من عند الله ، وإنما جاءوا به حق، هذه كلها دليل صدقها في نفسها لأنها شيء خارج عن قدرة الإنس والجن في ذلك الزمان جميعاً فكل معجزة كل آية كل برهان اقترن بدعوى النبوة فهو خارج عن قدرة الإنس والجن جميعاً في النبي ﷺ وفي جميع الأنبياء والمرسلين لأننا نقول إن كل نبي يخاطب برسالته الإنس الذين بعث فيهم وكذلك يخاطب برسالته من سمع رسالته من الجن فلهذا يقع الإعجاز وتقع الحجة بأن تكون الآية والبرهان خارجة عن مقدور الإنس والجن جميعاً، وهذا هو في آيات وبراهين الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه وكذلك في القرآن وكلها آية وبرهان حجته في نفسه قاطع في نفسه لمعارضة المعترض وتدبر هذا في جميع الآيات التي جاء بها المرسلون عليهم صلوات الله وسلامه، نكتفي بهذا .

المتن :

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق بذلك كتاب ربنا ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه)، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا.

الشرح :

هذه المسألة مسألة عظيمة جداً وهي مسألة رؤية الرب جل وعلا في الجنة، ورؤية الله جل وعلا له في جنات النعيم هي أعلى ما يتلذذ به أهل الجنة فأهل الجنة أعلى نعيمهم رؤية وجه الله جل وعلا وذلك؛ لأنه منتهى الجمال ولأنه في الرؤية الرضا ولأن في الرؤية الإكرام، ولأن في الرؤية صلاح القلب برؤية محبوبة جل وعلا، فكل أنواع الجمال التي يتعلق بها المتعلقون إنما هي بعض جمال صفات الرب جل وعلا، يعني أنها شيء من جمال الصفات كما أن رحمة الله جل وعلا منها جزء يتراحم به الناس وكذلك جمال الحق جل وعلا في ذاته وصفاته وأفعاله من جماله أفاض على هذا الوجود فصارت الأشياء جميلة لما أفاض عليها جل وعلا من جماله سبحانه وتعالى كما قال ابن القيم –رحمه الله تعالى–،

فجمال سائر هذه الأكوان من بعض آثار

الجميل فَرَبُها أولى وأجدر عند ذي العرفان

فكل جمال يطمع إليه الطامع وتتعلق به نفس المتعلق من جمال المخلوقات في الدنيا أو من أنواع الجمال والتلذذ في الجنة فإنه ليس بشيء عند رؤيته والتلذذ بمن أفاض ذلك الجمال، وأفاض تلك اللذات على من شاء من خلقه ولهذا قال من قال من أهل العلم: إن الرؤية لله جل وعلا هي الغاية التي شمر إليها المشمرون فإذا كانت الجنة غاية في تشمير المشمر وفي تعبد العابد، فإن أعلى نعيم الجنة وأعظم نعيم الجنة أن يرى المؤمنون ربهم جل وعلا كما قال: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ نظرت إلى الرحمن فاكتست الوجوه نضر وجمالاً وبهاءً وحسناً تبارك ربنا وتعالى.

قال: (الرؤية حق لأهل الجنة) يعني أن الرؤية ثابتة وهي حق لا مرية فيه ولا شك فيه وهي حق لأهل الجنة، فأهل الجنة يرون ربهم جل وعلا ويتلذذون بذاك النعيم.

قال: (بغير إحاطة ولا كيفية) فنفي الإحاطة لأن رؤية الله جل لا يمكن أن تكون بإحاطة للمرئي كما قال سبحانه ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ فرؤية الله جل وعلا رؤية عيان ولكن لا يمكن أن يحاط بالله جل وعلا رؤية كما لا يمكن أن يحاط بالله جل وعلا علماً ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ ولكن أصل العلم بالله جل وعلا ثابت وكذلك الرؤية لا يحاط بها فلا تدرك الرب جل وعلا الأبصار ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ لكن أصل الرؤية موجود، فالمنفي إذن في الآيات الإحاطة وهذا ليس في الرؤية وحدها لكن في كل صفات الله جل وعلا، فإن الله سبحانه وتعالى بذاته وصفاته لا يحاط به علماً ولا يحاط بالله جل وعلا إدراكاً ورؤية.

قال: (ولا كيفية) يعني لا تكيف رؤية الناس لربهم جل وعلا وإنما هي حق على ما جاء في الأدلة والكيفية منفية؛ لأن رؤية الناس لله جل وعلا يعني المؤمنين في الجنة تبع لصفاته وصفات الرب جل وعلا لا تعرف كيفيتها فرؤية الرائي لله جل وعلا في دار النعيم والخلود والحبور والسعادة ليست رؤية إحاطة ولا تكيف بكيفية؛ لأن الله جل وعلا في علوه لا يعلم كيف ذلك، ولأن الله جل وعلا في رؤية المؤمنين إليه لا تعلم كيفية ذلك، ولأن الله جل وعلا في كشف الحجاب الذي يحجبه عن رؤية الخلق إليه لا تعلم كيفية ذلك فربنا أعلى وأعظم مما يدور في الذهن أو مما يحوم عليه الخاطر أو مما يتوهمه المتوهم. فبذلك نثبت الرؤية دون نظر في كيف تكون هذه الرؤية، لكنها رؤية بالعينين ليست رؤية قلب وإنما هي رؤية عينين كما سيأتي ذلك في الأدلة وكما استدل المصنف –رحمه الله تعالى– بقوله: (كما نطق به

كتاب ربنا) ذكرنا لكم أن هذا من الذي استعمله أهل العلم كثير أن ينسب القول والنطق والكلام للقرآن يعنون بذلك من تكلم به وهو الرب جل وعلا، فقوله: (كما نطق به كتاب ربنا) لا بأس ويستعمل كثير من أهل العلم من المحققين والأئمة قال جل وعلا ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ هذه الآية فيها إثبات رؤية أهل الجنة للرب جل وعلا، وأن وجوه من رأى الرب جل وعلا ستكون ناضرة يعن حسنة بهية تعلوها النُضرة والنَضرة كما دعى النبي ﷺ بقوله: ((نضر الله امرُؤاً سمع مقالتي فأداها كما سمعها)) الحديث دعى له بنضارة الوجه يعني الحسن والبهاء والزينة والجمال، وهذا إنما هو لأهل الإيمان ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴾ يعني يوم القيامة تلك الوجوه ناضرة حسنة بهية وتلك الوجوه إلى ربها ناظرة، ناظرة إلى الرب جل وعلا يعني رائية ربها جل وعلا تنظر الوجوه إلى الرب جل وعلا ووجه استشهاد المصنف بهذه الآية آية سورة القيامة من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: إن النظر عدى بإلى وتعدية النظر بإلى تفيد أن معناه الرؤية كما سيأتي بيان ذلك في المسائل، قال: ﴿ **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ والنظر يأتي لمعان فإذا عدى بإلى كان المراد رؤية العيان.

الوجه الثاني: أنه جعل النظر إلى الرب جل وعلا مضافاً إلى الوجوه فجعل الوجوه هي التي تنظر إلى ربها فقال: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ فالوجوه ناظرة إلى ربها ومحل الرؤية والنظر في الوجه هو العينان.

الوجه الثالث: أنه قال: ﴿ **يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴾ والنضر والبهاء والسرور والحبور الذي يعلو الوجوه والاطمئنان هذا إنما يكون بالرؤية التي هي منتهى النعيم واللذة لا بالانتظار الذي لا يدري هل بعده نعيم أو بعده غير ذلك، فكون الأوجه بالنظر صارت ناضرة يعني حسنة بهية دلّ على أن هذا هو الرؤية؛ لأنه أثر الرؤية وأما مجرد الانتظار فليس كل منتظر للرب جل وعلا

ينضر وجهه بل من المنتظر من يكردس في جهنم والعياذ بالله وسيأتي مزيد بيان في أوجه الاستدلال في المسائل إن شاء الله تعالى.

قال: (وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه تفسيره يعني تفسير النظر إلى الرب جل وعلا على ما أراده الله تعالى وعمله التفسير هنا يراد به أحد نوعي التفسير وذلك أنه جعل الرؤية حق ونفي في الرؤية التي هي حق ويثبتها الإحاطة والكيفية، فدلّ على أنه يثبت معنى الرؤية الذي يعلمه السامع للكلام من ظاهر الكلام فلما نفى الإحاطة والكيفية دل أن قوله والرؤية حق لأهل الجنة إن الرؤية على ظاهرها وهذا هو المعنى الأول للأشياء هو المعنى المتبادر للذهن في الصفات، نقول هذا على ما يتبادر إلى الذهن فصفة الرحمة معروفة وصفة الكلام معروفة إلى آخره.

النوع الثاني من التفسير: هو التفسير لتمام المعنى وللكيفية فإن تمام المعنى والكيفية لا يعلمها إلا الله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ على من وقف هنا فأراد بالتأويل الذي هو التفسير تمام المعنى والكيفية، فإذن تفسير النظر إلى وجه الله الكريم تفسير النظر إلى الرب الكريم جل وعلا بتمام معناه لا نعلمه تفسيره على ما أراده الله تعالى هو حق وتمام المعنى لا نعلم كيف ذلك هل، كيف تعطي العيون القدرة؟ النبي ﷺ قيل له أرأيت ربك؟ قال: ((نور أنى أراه)) وقال: ((رأيت نوراً)) كما في الصحيح من حديث أبي ذر، وموسى -عليه السلام- سأل ربه: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً** ﴾ قالت طائفة من السلف، كشف الله جل وعلا من الحجاب قدر هذه أنملة واحدة فساح الجبل فرُّد طلب الرؤية على موسى؛ لأنه لن يقدر على ذلك، وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: ((حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من

خلقه)) فإذن الناس ليس عندهم القدر على الرؤية فكيف تكون عندهم القدرة على الرؤية وكيف تكون قواهم وكيف تكون قدرهم، وكيف يعطون، وعلى أي حال تكون الرؤية وتفسير ذلك على تمام معناه هذا كله لا يعلم كما قال (وتفسيره) يعني بتمام معناه بما يزيد على إثبات الرؤية وأنها حق على ما أراد الله تعالى وعَلِمه لا ندخل في ذلك متأولين ولا متوهمين كما ذكر بعد ذلك، وهذه الكلمة تشبه ما ذكره ابن قدامة وغيره عن الإمام أحمد وعن الإمام الشافعي في الآيات والأحاديث التي فيها إثبات الصفات صفات الرب جل وعلا أنهم قالوا: أمروها كما جاءت لا كيف ولا معنى، وهذا استدل بها بعض أهل التأويل على أنهم يعني الإمامين يعنون بذلك التأويل لا كيف فلا نكيف الصفات ولا معنى لا نثبت المعنى بل نفوض المعنى والكيفية وهذا ليس بمراد، بل المراد من قولهم لا كيف ولا معنى أن إمرار الصفات كما جاءت معناه إثبات الصفات على ما دل عليه ظاهر الكلام؛ لأن الصفة لا تثبتها إلا بما دل عليه ظاهر الكلام، ونفي الكيفية عن الصفة يعني الكيفية التي نحا إليها المجسمة ونفي المعنى بقولهم لا كيف ولا معنى يعني المعنى الذي ذهب إليه المؤولة الذي يخالف ظاهر الكلام ويخالف الإمرار كما جاءت، فإذن الإمرار كما جاءت بما يفهم فمن كيف فقد صار مجسماً أو صار مكيفاً، ومن أول المعنى فقد دخل في الكلام بما يخرج اللفظ عن ظاهره، لهذا قول القائل: لا كيف ولا معنى يعني لا كيف كما يقول المجسمة، ولا معنى كما يقول المؤولة بما يخرج تلك الآيات والأحاديث عن ظاهرها المتبادر منها من إثبات صفات الرب جل وعلا والأمور الغيبية بعامة، وهذا كما قال هنا تفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه.

قال: (وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال)، وقد ثبت عن النبي ﷺ رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا بالتواتر عُدَّ

ذلك متواتراً في أكثر من عشرين حديثاً جاءت عن المصطفى ﷺ جاءت في إثبات الرؤية بأحاديث متنوعة مختلفة في ألفاظها وفي طرقها من عدد كبير من الصحابة فهي متواترة ولهذا كفّر طائفة من أهل السنة من أنكر رؤية الرب جل وعلا؛ لأنه إنكار للمتواتر من القرآن وللمتواتر من سنة النبي ﷺ.

قال: (فهو كما قال) معناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا يعني نخرج هذا الظاهر بتأويل ولا متوهمين بأهوائنا بما يجعل للرؤية كيفية معينة فنثبت الرؤية بكيفية أو لأجل الكيفية ننفي الرؤية كما ذهب إليه المعتزلة، وكما ذهب إليه المجسمة، فالمعتزلة توهموا أن الرؤية تكون بكيفية فنفوا، والمجسمة توهموا أن الرؤية تكون بكيفية فأثبتوها على تلك الكيفية. إذا تبين لك هذا المعنى العام في كلام الماتن –رحمه الله تعالى– ففي هذه المسألة العظيمة مسألة الرؤية مسائل.

المسألة الأولى:

أن المؤمن في تعلقه بربه جل وعلا في عبادته سبحانه بأنواع العبادة القلبية والعملية يرى أن الإنعام عليه بأن يكون من أهل الجنة هذا أعظم الإنعام؛ لأن من دخل الجنة قد رضي الله عنه ومتعه بملاذها وحبورها وسرورها وأفاض عليه الزيادة وهي رؤية وجه الله الكريم، ومن أحب تعلق بالمحبوب وإذا تعلق القلب بالمحبوب لم يهدأ له بال ولا يقر له قرار حتى يلقى محبوبه راضياً عنه متمتعاً بلذة النظر إليه ومحادثته وتحيته كما قال سبحانه ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً** ﴾ فهذا أعلى أنواع التمتع.

والقلب إذا خشع لله جل وعلا وتلذذ بتلاوة القرآن وبالصلاة وعلم أن هذه من اللذات الحاضرة التي هي التلاوة والصلاة فكيف بأعظم اللذات وهو رؤية الرب جل وعلا وهي الغاية كما ذكر العلماء التي شمر إليها المشمرون الذين تعلقت قلوبهم بالرب جل وعلا.

المسألة الثانية:

إن أهل السنة والجماعة جعلوا الرؤية حق والرؤية بالعينين، وهذه الرؤية جاءت فيها آيات كثيرة وأحاديث متواترة عنه عليه الصلاة والسلام، وأجمع أهل التفسير من الصحابة والتابعين على القول بالرؤية ولم ينكرها أحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم، ومن الأدلة على أن الرؤية حق قول الله جل وعلا: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾، وقوله جل وعلا ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾، وقوله جل وعلا عن الكفار: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ وقوله جل وعلا: ﴿ **لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾ ونحو ذلك من الأدلة وكذلك الأدلة التي فيها ذكر لقاء الله جل وعلا كلها صالحة للاحتجاج بها على رؤية الله جل وعلا كقوله سبحانه: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا** ﴾ فسرها طائفة من العلماء من السلف فمن بعدهم بأن لقاء الله برؤيته وهو المعروف لغة وكذلك في قوله جل وعلا ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً** ﴾ قال ثعلب وهو من علماء اللغة المبرزين العارفين: أجمع أهل اللغة على أن اللقيا هنا هي الرؤية وذلك؛ لأنه لا يمكن ملاقاة وتحية وخطاب في اللغة إلا برؤية.

والأدلة على ذلك متنوعة في كل دليل فيه ذكر الرؤية لله جل وعلا أو فيه ذكر اللقاء أو ما فسر بالسنة برؤية الله جل وعلا.

وأما من سنة النبي ﷺ فكما ذكرت لكم الأدلة كثيرة جداً بلغت مبلغ التواتر فمنها قوله عليه الصلاة والسلام: ((إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون البدر ليلة التمام لا تضامون في رؤيته))، والحديث الآخر قال فيه ﷺ: ((هل ترون الشمس في وسط النهار؟ هل تضامون فيها؟ قالوا لا. قال: هل ترون القمر ليلة البدر هل تضامون فيه؟ قالوا: لا قال: فإنكم سترون ربكم كما ترون الشمس وقت الظهيرة لا تضامون فيها، وكما ترون القمر ليلة التمام لا تضامون فيه)) وفيه أيضاً قوله عليه الصلاة السلام فيما رواه مسلم في الصحيح في تفسير قوله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ** ﴾ من حديث صهيب -رضي الله عنه- قال عليه الصلاة والسلام: الزيادة في حديث طويل: ((النظر إلى وجه الله الكريم)).

وأيضاً في الباب قوله عليه الصلاة والسلام في مصنف الجنة ((جنتان من ذهب وما فيهما وجنتان من فضة وما فيها وليس بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا أن يكشف الحجاب)).

نسأل الله سبحانه المن والكرم برؤيته جل وعلا وأن يغفر لنا ذنوبنا وآثامنا وإن نلقاه وهو راض عنا سبحانه أنه جواد كريم.

هذه الآيات والأحاديث فيها تقرير لقول أهل السنة واضح الدلالة ولا نخوض في ذلك بتقرير الأوجه اللغوية لما ذكر؛ لأنه بتكاثرها وتواردها بلغت مبلغ القطع بهذه المسألة بحيث أن المسألة ليست بخفية حتى قال الإمام أحمد لمن قال له أن فلاناً ينكر الرؤية قال كافر كافر يعني لأن هذه لا تحتمل التأويل وليس ثم فيها شبهة.

المسألة الثالثة: أن قول أهل السنة في الرؤية أن الرؤية حق لأهل الجنة وللمؤمنين في عرصات القيامة والرؤية التي للمؤمنين هو رؤية سرور وتلذذ وإكرام، واختلف أهل السنة في رؤية الله جل وعلا في الموقف هل هي للمؤمنين وحدهم؟ أم للمؤمنين والمنافقين؟ أم للناس جميعاً على ثلاثة أقوال، وكل الأقوال في مذهب أهل السنة يعني قال بها طائفة، وكما قال الإمام تقي الدين ابن تيمية –رحمه الله تعالى–: إن الخلاف في هذه المسألة –يعني هل يرى الكفار ربهم يوم القيامة أو لا يرون هل يرى المنافقون أولا يرون؟ لا ينبغي أن تكون من المسائل التي يُشدد فيها الخلاف بل الأمر فيها خفيف – هذا نص عبارته، والمذاهب فيها كما ذكرت لكم ثلاثة.

الشريط الحادي عشر . الوجه (ب)

القول الأول : فجمهور أهل السنة والحديث على أن الرؤية للمؤمنين في عرصات القيامة.

القول الثاني: وقال طائفة : للمؤمنين والمنافقين، وممن ذهب إلى ذلك الإمام ابن خزيمة كما نص عليه في كتاب التوحيد.

القول الثالث: أن الرؤية للجميع للمؤمنين والمنافقين والكفار واستدلوا على أن الكافر يحجب، واستدلوا على ذلك بأن الكافر يحجب ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ قالوا فكونه حجب يومئذ دلّ على أنه قبل ذلك لم يكن محجوباً؛ لأن الكلام في الآخرة وأما في الدنيا فالكل محجوب عند رؤية الرب جل وعلا.

وهذه الأقوال جمعت النظر في الرؤية ويظهر لي أن رؤية الرب جل وعلا نوعان:

النوع الأول : رؤية إكرام ولذة ونعيم وإنعام وحبور وسرور، فهذه للمؤمنين في الجنة، وللمؤمنين في عرصات القيامة فهي من الطمأنينة لهم.

والنوع الثاني من الرؤية: رؤية حساب وتقرير وتعريف فهذه هي التي يمكن أن يقال أنها مراده في حديث المنافقين فيما ثبت في الصحيح أن الله جل وعلا يأتي الأمة وفيهم منافقوها ثم يأتيهم في غير الصورة التي رأوها من بل فيأمرهم بالسجود فلا يسجدون يقولون نحن هنا حتى يأتي ربنا، ثم بعد ذلك يكشف الرب عن ساق فيعرفوته فيسجد المؤمنون ويبقى من لم يكن يسجد مخلصاً في الدنيا يريد أن يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً.

فهذا يدل على أن هذه الرؤية، رؤية تعريف ورؤية حساب وهذا النوع من الرؤية لا ينبغي أن يكون الخلاف فيه؛ لأن الحديث دلّ عليه فإذاً الرؤية التي نقول أنه أجمع أهل السنة على أنها للمؤمنين هي رؤية التنعم والتلذذ وفي ضمن ذلك رؤية التعريف، وأما رؤية الله جل وعلا للتعريف والحساب فهذه كل يراه بحسب حاله، والله أعلم بكيفية ذلك وتفسيره.

أما الكفار فعامة أهل العلم إلا من شذ -إلا من شذ وقلّ- يقولون إن الكافر لا يرى الله جل وعلا، لا رؤية تعريف ولا رؤية تلذذ من باب أولى؛ لأن الكافر محل العذاب والنكال وأجابوا عن استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ بأن هذا استدلال بالمفهوم، بمفهوم يومئذ: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ وهم محجوبون في الدنيا عن الرؤية وكذلك محجوبون في الآخرة عن الرؤية وكلمه يومئذ ليس لها مفهوم كما قال جل وعلا: ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾، وكما في قوله: ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ ففي آيات كثيرة علقت أشياء تحصل يوم القيامة بيومئذ وقد يكون جنسها أو بعض أفرادها يحصل في الدنيا، أما بالعموم أو بالخصوص.

المقصود من رد الاستدلال أن كلمة (يومئذ) ليس لها مفهوم لا نفهم منه أنهم حجبوا يومئذ فمعنى ذلك أنهم قبل ذلك يعني قبل الحجب يومئذ لم يكونوا محجوبين بل كانوا محجوبين ثم صاروا محجوبين لكن توعدهم وبين حالهم بقوله: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ** ﴾ فحجبوا ثم صاروا صالين للجحيم.

المسألة الرابعة: في مذاهب الناس في الرؤية

المذاهب فيها متعدد، منها يعني من خالف قول أهل السنة أشهرها مذهبان:

مذهب من منع الرؤية وتأول كل النصوص الواردة في ذلك المعتزلة وقبلهم الجهمية والخوارج بعامة، والإمامية من الروافض بل الروافض بعامة؛ لأن الزيدية ينكرون الرؤية كقول المعتزلة. وهذا القول له حججه واستدلالاته ستأتي.

والثاني المشهور: من أثبت الرؤية ولكن قال الرؤية ليست إلى جهة وإنما تكون إدراكاً وهذا هو قول الأشاعرة ومن نحا نحوهم فردوا قول المعتزلة بأن الرؤية ممتنع بإثباتها ووافقوهم في أن ليس على العرش رب وإن الله سبحانه ليس في جهة في جهة العلو فقالوا: الرؤية لا إلى جهة فكيف تكون رؤية إذاً وليست إلى جهة.

أما قول المعتزلة والخوارج ويشهر هذا القول في زماننا هذا طوائف الروافض والزيدية والإباضية من الخوارج ويستدلون له، فمن أدلتهم قوله جل وعلا حين سأل موسى -عليه السلام- الرؤية: ﴿ **قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ** ﴾ إلى آخره قالوا: وجه الاستدلال أنه نفى رؤيته الله جل وعلا وموسى الكليم أحق الناس بالرؤية والنفي بلن يفيد التأبيد، والجواب عن هذه الحجة التي أدلى بها أوائل المعتزلة ومن شابههم إلى يومنا هذا أن النفي بلن في اللغة لا يفيد التأبيد وإنما يفيد النفي المجرد، وأما من قال أنه يفيد التأبيد وهو الزمخشري في الكشاف وفي كتابه المفصل في النحو، فإنه باطل ورده ابن مالك في الكافية الشافية بقوله:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا

ورده أيضاً ابن هشام في أوضح المسالك قال: "ولا تفيد تأبي النفي خلافاً لمن قاله"، ويدل على ذلك أن الله جل وعلا قال: ﴿ **وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً** ﴾ يعني الموت فقال: ﴿ **وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً** ﴾، فنفي بالتأبيد بكلمة أبداً وباستعمال لن نفي التمني وأثبت أنهم يتمنونه يوم القيامة قال جل وعلا: ﴿ **وَنَادَوْاْ يمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** ﴾ يعني ليميتنا ربك: ﴿ **قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ** ﴾ فدل على نفيهم بلن وبكلمة أبداً لم يفد التأبيد المستغرق للدنيا والآخرة معاً، فإذاً أفاد أن قوله: ﴿ **وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً** ﴾ أنه لما استعْمَل أبداً دل على أن لن لا تفيد التأبيد.

والثاني: على أن كلمة لن لا تفيد التأبيد لأنهم تمنوا الموت في الآخرة فدل على أنها تفيد النفي في الدنيا.

ومن أدلتهم: أنهم قالوا إن النظر في القرآن وفي اللغة يفيد الانتظار وهو أصله وليس أصل النظر الرؤية فالآيات التي فيها ذكر النظر تفيد الانتظار فقوله جل وعلا: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ** ﴾ يعني فهل ينتظرون وقوله: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ يعني منتظرة الفرج.

ويستدلون عليه بقول الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن يأت بالفلاح

ناظرات إلى الرحمن قالوا معناها منتظرات.

وهذا القول بالاستدلال بمعنى النظر والإتيان عليه بهذا الشاهد اللغوي ليس على ما قالوا وذلك أن اللغة فيها أفعال تختلف بالتعدية كثيرة جداً فيكون للفعل معان متعددة مختلفة بأنواع التعدية ومنها فعل انتظر ونظر ومصدر ذلك واسم الفاعل ناظرة، وتبين ذلك أن يقال كما أوضحه الشارح وأهل اللغة أن كلمة النظر وما اشتق منها تارة تتعدى بنفسها فيكون المعنى الانتظار يعني تصل إلى المفعول بنفسها فيكون معناه الانتظار وتارة تتعدى بـ (في) فيكون المعنى التفكر والاعتبار وتارة تتعدى بـ(إلى) فيكون المعنى الرؤية، وقد يكون مع الرؤية الانتظار بحسب السياق لكن لا يمكن أن تتعدى بـ (إلى) ويكون انتظاراً بلا رؤية لا يمكن ولم يأت في أي شاهد في لغة العرب ولا في القرآن ولا في السنة أن النظر يتعدى بـ (إلى) ويكون المعنى الانتظار المجرد من الرؤية بل النظر إذا تعدى بـ (إلى) صار معناه الرؤية، وقد يكون على قلة مع الرؤية الانتظار وهذا له نظائر في اللغة يطول الكلام ببيانها. فإذاً قوله جل وعلا: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ كونه عدّى اسم الفاعل ناظرة الذي يعمل عمل فعله عدّأه بإلى دلّ على أن المراد

الرؤية وكونه أضاف هذه الرؤية للوجوه التي هي مكان الرؤية دل على أن الرؤية تكون بآلة في هذا الوجه وهي العينان.

من أدلتهم أيضاً: قول الله جل وعلا: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ قالوا فنفي الإدراك ونفي الإدراك مستلزم لانتفاء الرؤية.

و**الجواب:** أن هذا غلط كبير؛ لأن نفي الإدراك لا يستلزم انتفاء الرؤية فإنك قد ترى الشيء ولا تدركه يعني لا تحيط به فهذه السماء نراها ولا أحد يشك في أنه يرى السماء ولو قلت لأي أحد يرى السماء هل تدرك السماء رؤية وتحيط بها فسيكون جواب كل أحد: لا يعني لا يدركها رؤية وإنما يرى منها ما يمكنه أن يره وكما قال جل وعلا: ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ** ﴾ ووجه الدلالة أنه نفى الإدراك ومع نفي الإدراك أثبت الله جل وعلا الترائي وهو رؤية كل جمع للآخر فقل: ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ** ﴾ هذا الجمع رأي الجمع وذلك الجمع رأى الجمع ومع ذلك قال أصحاب موسى: ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ فقال موسى: كلا يعني لن ندرك يعني لن يحاط بنا فنفي الإحاطة لا يستلزم أن تنفى الرؤية بل نفي يستلزم إثبات الرؤية نقيض ما قالوا وهو الوجه الثاني من الاستدلال عليهم بهذه الآية وهو أن نفي الإدراك ليس كمالاً والقاعدة المعروفة أن كل نفي في القرآن فكماله بإثبات ضده فربنا جل وعلا قال: ﴿**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ وذلك لكمال سعته سبحانه وتعالى وكمال علوه وكمال استغناه عن خلقه إلى غير ذلك من إفراد صفات الجلال للرب جل وعلا، فلا يقال أنه لا يدرك ويكون المراد كمالاً إلا وأصل ذلك ثابتاً وهو أنه في محل من يرى أو في محل الرؤية ومثال ذلك أنك لو قلت أنني لم أر العقل ولم أرَ الفهم ولم أرَ القلب ولم أرَ السمع ولم أرَ الأبصار وهكذا الصفات ولم أرَ الرحمة ولم أرَ الرأفة إلى آخرها، فإن نفي هذه الرؤية ليس كمالاً في أن هذه الأشياء ترى لكنك عجزت لأنك متى ما قلت في

شيء إنك لا تراه أو لا تدركه رؤية فإنما يكون كمالاً إذا كان في محل ما يمكن أن يُرى، أما الأشياء التي لا ترى أصلاً فإنه ليس من الكمال إن تنفى الرؤية عنها فكونك تنفي الرؤية عن الرحمة لا يعد هذا كمالاً في الرحمة، وإنما هكذا وجدت كونك تنفي الرؤية عن الإبصار والإدراك لا يدل على كمال فيها فإذاً دل نفي الإدراك عن الرب جل وعلا أن نفي الإدراك لأجل أنه عظيم جل وعلا فإنه يرى ولكن لا يدرك والإدراك ينقسم إلى قسمين: إدراك برؤية وإدراك بعلم.

والإدراك بعلم نفاه الله جل وعلا بقوله سبحانه: ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ وإدراك الرؤية نفاه الله جل وعلا في هذه الآية.

وهذه الآية في إدراك الرؤية لا في إدراك العلم دل عليها قوله بعد النفي ﴿ **وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ فكونه سبحانه يدرك الأبصار يعني يراها وخص الإدراك بإدراك الأبصار؛ لأن الأبصار هي محل نفي الإدراك السابق فقال: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ فلما قال ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ دلنا على أن المنفي هو إدراك الرؤية لا إدراك العلم.

والأدلة التي استدلوا بها متنوعة كثيرة لا نشغلكم بها معروفة وهذه المسألة من أطول المسائل التي فيها الكلام، لكن دائماً المؤمن أحق بالحجة من غيره وفهم الحجة يكون بالأناة تتأنى في فهم احتجاج أهل السنة فإننا ولله الحمد بتجرد لا نعلم مسألة قال فيها أهل السنة قولاً واستندوا فيها إلى الأدلة ويكون ثم فيها شبهة لا في الأصول أصول صفات الرب جل وعلا، ولا في الغيبيات بعامة لأن قولهم مبرّأ من الهوى لا يدخلون متوهمين بأهوائهم ولا متأولين بآرائهم وقلوبهم، وإنما يثبتون ما ثبت في الكتاب والسنة وإنما هم مستسلمون لنصوص الوحي كما سيأتي إن شاء الله في الدرس القادم بإذن الله تعالى.

من العجيب أن الحجج عند المعتزلة يحتجون بما ذكرنا ويردون حجج أهل السنة على حسب أقوالهم بتفسير النظر كما قلنا بأنها ناظرة يعني منتظرة إلى آخر ما ذكرت لكم، لكنهم إذا أتت السنة والأحاديث في تفسير الآيات وفي إثبات الرؤية وهي بالغة مبلغ التواتر فإنهم يَشْرَقون ولا يستطيعون حتى الإبانة عن وجه ردها، يعني أنهم يقلقون ولا يحسنون إبانة ولا تفقه لهم قولاً.

قد سمعتُ كلام بعضهم، سمعته بأذني وقرأت كلام بعضهم أيضاً بعيني فما أحسنوا جواباً ولا خلصوا إلى قول يردون به الأدلة من السنة. لهذا قال قائل من المحققين من أهل السنة إن تأويل نصوص المعاد والبعث والقبر والصراط، والجنة والنار ونحو ذلك يعني ما يحصل في عرصات القيامة، وما يحصل في السماء أسهل بكثير من تأويل آيات وأحاديث الرؤية لأنها بلغت مبلغ التواتر وأكدت بأنواع من التأكيدات وعرض لها، وبينت بأنواع من البيان بما يقطع معه السامع إن المراد بها ظاهرها على حقيقتها حتى عند قول من يجيز القول بالمجاز أو التأويل الذي ينحو إليه أولئك، فإن هذه لا يمكن أن يجرى عليها ما يجرى على غيرها بقطع. فإذاً الحجة فيها قاطعة وقوية وإنما هو الهوى . نسأل الله جل وعلا السلامة والعافية . ولكن يجب على المؤمن الموحد أن يعلم الأدلة ووجه الحجة حتى يدلي بحجته في تلك المسائل.

أما قول الأشاعرة في المسألة وهو أنهم قالوا: يُرى إدراكاً لا إلى جهة فإنه عجيب فإن قول المعتزلة في نفي الرؤية أقرب إلى العقل من قول الأشاعرة يعني إلى عقلي وفهمي خلافاً لقول الشارح أن قول الأشاعرة أقرب إلى العقل من قول من نفى بل الحقيقة العكس من نفي الرؤية؛ لأنه لا يثبت العلو قال ما دام أننا لا نثبت العلو فالرؤية لا يمكن أن تكون إلا إلى جهة، الإنسان كيف يرى لابد إلى جهة يراها أما يرى شيئاً ليس أمامه ولا خلفه ولا على يمينه ولا عن شماله وليس بأعلى منه ولا أسفل منه فكيف يراه وأين يراه

لاشك أن هذا العقل يردُّه ولهذا نقول قول الأشاعرة أنه يُرى لا إلى جهة يعني لا يرى في جهة العلو ويرى إدراكاً فإن هذا ولو كان إثباتاً للرؤية فهو غير مقبول عقلاً ولا مقبول سمعاً والواجب إثبات النصوص التي جاء فيها ذلك وإثبات ما دلت عليه من أن الرؤية تكون على ما أخبر الله جل وعلا، وأن الله سبحانه يطلع إلى أهل الجنة وأنه يكشف الحجاب فيرفعون رؤوسهم فينتظرون إلى الرب جل وعلا وأنه سبحانه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته وأن عرش الرحمن فوق الجنة يعني سقف الجنة وهكذا في أدلة كثيرة فمن نفى علو الرحمن جل وعلا وقال هو سبحانه في كل مكان فكيف يقبل إثباته للرؤية، لا شك أن قول الأشاعرة عجيب وليس لهم حجة من جهة سمعية ولا من جهة عقلية إلا شيئاً واحداً وهو أنهم اصلوا نفي علو الله جل وعلا وأنه سبحانه في كل مكان وفرعوا عليه أن الرؤية لما جاءت بها الأدلة قالوا يُرى لا إلى جهة وهذا باطل.

المسألة الخامسة:أن رؤية المؤمنين في الجنة لربهم جل وعلا عامة للإنس والجن للرجال وللنساء، وللملائكة أيضاً: ﴿ **وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾.

فالملائكة في الجنة يعني طائفة منهم في الجنة وفي الجنة المؤمنون من الجن والإنس، ومن الرجال ومن النساء ولم يدل دليل على اختصاص الرؤية بالرجال دون النساء ولا على اختصص الرؤية بالإنس دون الجن وهذه فيها أقوال:

فمن أهل العلم من قال: إن الرؤية للإنس دون الجن وهذا خلاف الصواب كما ذكرنا؛ لأن الآيات عامة في الرؤية في كل مؤمن فمن دخل الجنة فرآه.

قال طائفة أيضاً من أهل العلم: إن الرؤية للرجال دون النساء، واحتجوا على ذلك بقوله جل وعلا: ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴾ وإن القصر في الخيام يدل على عدم خروجهن من ذلك.

والصواب أن الرجال والنساء من المكلفين من الجن والإنس يرون ربهم جل وعلا إذا كانوا من أهل الجنة.

وأما الاستدلال بالآية فعجيب؛ لأن الآية أولاً في الحور، والحور خلق ينشؤهن الله جل وعلا إنشاءًا في الجنة وليسوا من المكلفين في الدنيا.

الثاني: أن الله جل وعلا قال: ﴿ **هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ** ﴾، وقال في الآية الأخرى ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** ﴾ فمن نعيم أهل الجنة أنهم يتمتعون هم وأزواجهم على الأرائك فيتكئون وينظرون وإخراج النساء من الاتكاء ضده الآية وكذلك إخراجهم من النظر ضده الآية. لهذا نقول لقد غلط من قال إن النظر للرجال دون النساء، فالنساء يرون ربهم جل وعلا كما يراه الرجال؛ لأنهم مكلفون متعبدون لله جل وعلا والنعيم عام للإنسان الذي يدخل الجنة من الرجال والنساء جميعا نسأل الله الكريم من فضله. ونذكر هنا مسألة مشهورة .

المسألة السادسة: رؤية النبي ﷺ لربه وهل حين المعراج رأى ربه أم لا؟ اختلف فيها أهل العلم على أقوال:

القول الأول: من ينفي رؤية النبي ﷺ لربه جل وعلا يعني بعينيه.

القول الثاني: من يثبت الرؤية إما بالقلب أو بالعينين.

القول الثالث: التوقف والتوقف لا ينبغي أن يكون قولاً لكن هكذا قيل، أما القول الأول وهو أن النبي ﷺ لم ير ربه فهذا هو القول الذي عليه الجماهير، ولما قال مسروق لعائشة رضي الله عنها أن قوماً يقولون أن النبي ﷺ رأى ربه فقالت عائشة –رضي الله عنها–: لقد قف شعري يعن وقف شعري

مما قلت، وهذا مما يدل على تعظيم الصحابة لربهم جل وعلا وأنهم قدروه سبحانه حق قدره وأن منزلة النبي عليه الصلاة والسلام في قلوبهم مهما علت وعظمت فإنهم يعلمون عظمة الرب جل وعلا وعظيم صفاته قالت: لقد قف شعري مما قلت: من زعم أن محمداً عليه الصلاة والسلام رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وفي حديث أبي ذر عند مسلم أن النبي ﷺ سئُل فقيل له هل رأيت ربك قال: ((رأيت نوراً))، وفي الرواية الأخرى قال: ((نورٌ أنى أراه)) فإن الله جل وعلا نور وحجابه نور ، قوله: ((رأيت نوراً)) يعني رأى الحجاب ولم ير الرب جل وعلا، ولهذا في الرواية الثانية قال: ((نور أنى أراه)) يعني ثم نور حاجب فكيف أراه وهذا هو الصحيح في أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينيه بل لم ير أحد ربه بعينيه في الدنيا.

وأما من قال إن محمداً ﷺ رأى ربه بعينيه أو بقلبه والمنسوب إلى ابن عباس وقاله طوائف قليلة من الناس فهذا بناء على آية سورة النجم والاستدلال بها فيه نظر. أما القول بالتوقف فلا يصلح؛ لأن الحديث دال على نفي الرؤية مع كلام عائشة –رضي الله عنها–، نكتفي بها القدر وثم مسائل كثيرة في رؤية الله جل وعلا نرجئها أو نطويها والمسألة من أراد المزيد فيها فليراجعها في مظانها.

أسأل الله سبحانه أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج التلقي :

الشريط الثاني عشر . الوجه (أ) ١٥/ ٧/ ١٤١٨هـ .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :

فنجيب على بعض الأسئلة بين يدي للدرس .

سؤال : هل يجب على طالب العلم أن لا يحدث بحديث عن رسول الله ﷺ إلا عالماً صحته ، ودرجته ومن خرجه ، وكذلك الآثار عن السلف؟

الجواب : أن هذا لا يلزم فإذا سمع بحديث أو قرأه في كتاب ، سمعه من مأمون من عالم أو قرأه في كتاب عالم يوثق به فإن له أن يحدث بذلك ، وإذا كان لا يدري فيقول : يُذكر في الحديث ، جاء في الحديث ، ونحو ذلك ، وباب الآثار أسهل من الأحاديث ، يعني الآثار عن الصحابة أو عن السلف أسهل من الأحاديث المرفوعة عن النبي ﷺ لكن لا ينبغي لطالب العلم أن يجزم بحديث ، وهو لا يعلم صحته ، تقول قال رسول الله ﷺ كذا وهو لا يعلم صحته ، عني لا ينسبه قولاً للنبي ﷺ ، أما إذا قال جاء في الحديث ذكر العالم الفلاني في الحديث كذا وكذا ، أو في الأثر فهذا لا بأس به جرت عليه سنة أهل العلم ، يقولون : رُوي في الحديث كذا أو ويُروى كذا ، وهذا لا بأس به ، وفي أحد الرسائل التي أرسلها إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى أحد علماء عصره ، وذكر فيها حديثاً يعني ذكر المرسل إله حديثاً ، فأجابه الشيخ محمد رحمه الله بقوله : إن المرء أو طالب العلم لا ينبغي له أن يجزم بنسبة حديث عن النبي ﷺ أو إلى النبي ﷺ دون أن يكون متثبتاً في ذلك ؛ لأن الحديث عن رسول الله ﷺ شديد بل يقول : ويذكر ، أو يُروى أو وفي الحديث ، ولاشك أن التثبت والإسناد أولى .

سؤال : ذكر العلماء أن لفظ الجلالة أصله إله فأُدخلت الألف واللام وحذفت الهمزة وأدغمت اللام في التي تليها والسؤال هو ألا يتنافى هذا مع كون أسماء الله عظيمة؟

الجواب: لفظ الجلالة – واسم الله– (الله) اختلف العلماء فيه هل هو مشتق أم غير مشتق والخلاف واسع، والذي يرجحه جمع كبير من المحققين وهو المعتمد عند أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى أن لفظ الجلالة مشتق ومعنى كونه مشتقاً أن اسم الله دال على المعبود بحق دلالة مطابقة يعني أن كلمة الله أصلها الإله والإله هو المعبود، أما من يقول إنه ليس بمشتق فيقول إن الله علم على الذات، ذات الرب جل وعلا ليست فيه معنى والقاعدة العامة عندنا أن اللغة في الأسماء لابد أن تكون دالة على معاني فالاسم يكون دالاً على معنى أسماء الله الحسنى دالة على معاني فيها فليس ثم اسم ليس له دلالة على معنى والدلالة على المعنى تارة تكون دلالة جامدة وتارة تكون دلالة مشتقة وهذا في اسم الله الأعظم أو في اسم الله (الله) لفظ الجلالة العظيم هذا مشتق من إله؛ لأن العرب تسهل في مثل هذا كثيراً والبحث فيه بحث نحوي وصرفي وأكْثَر العلماء منه. والمقصود من الجواب أن اسم الله مشتق ولا ينافي هذا تعظيم لفظ الجلالة ؛ لأننا كما نقول : أن الجبار يتنوع إلى عدة معاني أو يدل على عدة معاني ومشتق من كذا، واسم الله العظيم مشتق ، واسم الرحمن مشتق من الرحمة، وهكذا ، والذين يقولون إن الاشتقاق ينافي التعظيم هذا ينخرم الكلام فيما أوردوه بجميع الأسماء الحسنى فأسماء الله الحسنى كلها مشتقة والاسم (الله) مشتق من الألوهة وهي العبادة لأن (الله) علم على المعبود بحق.

سؤال : .....

الجواب : هل تظن أن أسماء الله جل وعلا هي قبل اللغات ؟ لا ، هي اللغات دالة على أسماء الله جل وعلا وصفاته كما تدل اللغات على أشياء أخر ولا يعن هذا أنها مواضعة أن الناس اصطلحوا عليها ليس كذلك؛ لأن الله جل وعلا علم آدم الأسماء كلها فالأسماء ومن ضمنها أسماء الله جل وعلا معلمة وكذلك في اللغات دلالة الكلمة على أنها اسم من أسماء الله هذا بالتعليم وليس العباد الذين يضعون أسماء لله جل وعلا، فهذا لا يعني أن أسماء الله جل وعلا بالمواضعة يعني بالاصطلاح أو الناس وضعوها واشتقوا هذا من هذا ، إلى آخره يعني أنهم هم الذين فعلوا ذلك ، لا بل أسماء الله تعالى لم يزل الله سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى قبل أن يخلق الخلق، وهذا على كل حال بحث لغوي لا أظن يسع مثل هذا المقام أن يفصل فيه اللغات في نشأتها كيف نشأت اللغات ، اللغة العربية كيف نشأت ؟ هل آدم عليه السلام كان يتكلم باللغة العربية ؟ ما قبل إبراهيم عليه السلام كان يتكلم باللغة العربية ؟ نوح -عليه السلام- هل كان يتكلم باللغة العربية؟ الله جل وعلا جعل من آياته اختلاف الألسن والألوان، فأصل اللغات أسماء علمها ربنا جل وعلا آدم ثم حصل هناك أنواع من الاشتقاق وتداخل الناس لما تفرقوا في اللغات، اللغات بعضها يأخذ من بعض، وعند العلماء المعاصرين يعني علماء فقه اللغة ، وخاصة اللغات السامية دلتهم البحوث والكتابات القديمة التي وجدوها في الجدران وفي الآثار القديمة على أن مجموعة من الكلمات كانت مشتركة ما بين اللغات وهذا طبعاً يدل على أن أصل اللغات واحد وهذا لا شك فيه ثم بعد ذلك بدأت تتوسع اللغات وتختلف ولهذا جاء في الحديث أن أول ((من فتق لسانه عن العربية الفصحى إسماعيل عليه السلام)) إذاً فتق لسانه ، من الذي فتق اللسان ومَنْ الذي... يعني هذه القواعد التي أوردها العلماء وقواعد النحو هذا استنتاج لا يتصور أن قواعد النحو أن العرب

اجتمعت في مؤتمر عام وقالت بنضع هذه القواعد للغتنا ليس هذا موجود، كذلك أغرب منه العلل والاشتقاق، ولذلك قال بعض العلماء في العلل الضعيفة (هذه أضعف من علة نحوي) لأنها مستنتجة، فإذا قال العالم أن مثلاً ، تقول : محمد قادم، لمحمدٌ قادم، ثم تقول : إن محمداً لقادم ، محمدٌ قادم خبر أكد باللام الأولى في الجملة الثانية لمحمد قادم واللام للتأكيد وهي لام الابتداء ولها حق الصدارة، إن محمداً لقادم هنا أخرت ، ولذلك سميت ماذا ؟ المزحلقة ؛ لأنها زحلقت من المبتدأ حين كانت فيه لمحمد قادم إلى الخبر ، فصارت إن محمداً لقادم هنا لماذا حصل هذا ؟ يأتي النحاة ويوجهون ذلك وثمَّ كتب كثيرة في علل النحو لا تحصى وهي عدة مدارس في التعليلات في الأحكام النحوية، من تعليلاتهم يقولون إن العرب من عادتها أن تكرم الضيف فلما أتت اللام ضيفاً علة محمد قادم كان لها حق الصدارة، فلما أتى الضيف الجديد إن تأخرت اللام، ؛ لأنها كانت في الجملة موجودة يعني هذه كلها التماسات ، كذلك إذا قال كان لماا نصبت الخبر ورفعت الاسم لماذا ؟ لأنها مشبهة بالفعل أو هي فعل ماضي ناقص ، كذلك الأخوات ، إن وإخوات إن ، إن وأن ولت ولعل ، وإلى آخره ، طيب هذه لماذا انعكست فها القضية ؟ مخالفة لكان لأنها تقعدت كان وهذه وهذه بعضها يشبه بعض ، عني كان وأخواتها وإن وأخواتها في الدخول على الجملة الاسمية ففرقوا بينها .

إذاً كل هذا نخلص منه لشيء مهم جداً في علم اللغة وهو أن صنعة العلوم أنما أتت بعد انتهاء اللغة ، فإذاً هي التماس، إذ قال لك عالم إن كلمة الله كانت إله ثم أدخلت هذا من جهة التحليل لا أن العرب صنعت ذلك على مراحل، ولكن هذا من جهة التحليل يقول لك ولكثرة الاستعمال صارت كذا يعني هذا من جهة التحليل يعني لعكس المسألة وقل لأن لفظ الجلالة الله موضوع لكثرة الاستعمال فجاء على لفظ الله ولم يأتي على لفظ الإله؛ لأنه

موضوع لكثرة الاستعمال وهذه انتبه لها قاعدة في اللغة ولهذا يخطئ بعض الذين يعتنون بمباحث الاشتقاق ويستغربون بعضها من هذه الجهة يظنون أن العرب اجتمعت ووضعت للغاتها قواعد والصحيح الذي لا يحاد عنه أنه ليس ثمَّ وضع في اللغة وعلم الوضع إنما هو تقريب للعلوم التي خلفت في هذه الأمة.

وليس هو وضع العرب، العرب ما اجتمعت بل كانت متفرقة ، العرب كانت في اليمن ثم تفرقت ، والعرب القديمة يعني العرب العاربة ثم العرب المستعربة وتفرقت، واللغة بدأت تتدرج وتنمو وتصل إلى مراحل في نموها واللغة مثل الإنسان مر به طفولة ثم مر به شباب ثم مر به فتوه وقوة ثم يمر به اكتهال إلى آخره فهذه اللغات تمر بهذه المرحلة ، أما اللغة العربية فثبتت وقويت ولم تمر عليها فترة الكهولة؛ لأن فيها القرآن، فالقرآن هو الذي أبقها حية قوية في شبابها ولهذا كل ما تراه من التعليلات عند النحويين أو الذين يعتنون بالنحو ويوغلون فيه بحثاً هي كلها في ظنهم أن فيما يستبعدون أو يقبلون أن المسألة ليست هكذا وإنما هي هكذا وأنها ما كانت إله أو كيف يكون إله أو كيف يشتق هذا من هذا ، والعرب ما اشتقت هذا من هذا ، والوضع الأول هو كذا ، الوضع الأول في الأسد هو كذا ، الوضع الأول في الجناح هو الطائر من الذي يقول كل هذا الكلام ، يقولون الجناح للطائر من الذي قال الجناح للطائر ؟ هل ثم برهان ويأتون عند قوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ يقولون هنا استعارة؛ لأن الجناح للطائر واستعير للإنسان استعارياً يعني مجاز، طيب من الذي قال : إن العرب وضعت الجناح للطائر ؟ ما فيه ، واضح فإذاً الذين يبحثون المباحث اللغوية وهذه تنبيه لها؛ لأن من أوغل في المباحث اللغوية دون معرفة بأصولها والتحقيق فيها قد تدخل عليه إشكالات في العقيدة، لهذا اعتنى المعتزلة

بالمباحث اللغوية وصدوا كثير من الناس عن الحق في مسائل الاعتقاد ظناً منهم أنهم حققوا المسائل العقدية فينتبه إلى هذه القاعدة أنه لا يتصور في القواعد التي وضعت في هذه الأمة القواعد العلمية في النحو أو في الأصول أو في أي فن من الفنون أو في المصطلح.. أنها وضعت هكذا باجتماع واتفق العلماء على هذا ، لا ، هي التماس ولهذا المجتهد إذا بلغ في الاجتهاد مبلغاً عظيماً وصارت عنده آلات الاجتهاد له أن يخالف، ابن جرير الذي ذكرت المثال عنه مدرسة البصريين في النحو ولا يمثل مدرسة الكوفيين في النحو ، وإنما له مدرسة مستقلة في تفسيره تارة يذهب إلى هؤلاء وتارة يذهب إلى هؤلاء عندما يملي عليه الراجح وما يحفظه من كلام العرب كذلك في القراءات ما عنده شيء اسمه قراءات سبع ولا قراءات عشر وإنما عنده قراءات أمصار إذا كنت اطلعت على التفسير ، لماذا يصنع هذا ؛ لأنه لا يتقيد بمصطلحات أهل العلم وبمواضعات أهل العلم، نحن إذا تقدمنا في العلم ترى أنك أنت تمر على العلم وترى أن العلم يسبح في القرون هكذا بين مد وجذب في التواليف وفي صنيع أهل العلم، لكن هل هذا هو العلم أو هو وضع لقواعد العلم، هو وضع لقواعد العلم؛ لأن العلم موجود قبل ذلك العلوم موجودة قبل ذلك ، العلوم اللغوية والشرعية والحديث ...كلها موجودة قبل ذلك ، وإنما وضعوا القواعد، ووضع القواعد هذا هل هو إجماع أو اجتهاد ؟ اجتهاد ليس ثمَّ قواعد علم من العلوم مجمع عليها، وإنما تجد في العلم ما هو مجمع عليه في النحو في مسائل مجمع عليها في الفقه في مسائل مجمع عليها في المصطلح فيه مسائل مجمع عليها في الأصول ثم مسائل مجمع عليها وتجد أن المسائل المجمع عليها في كل فن قليلة إذاً فننتبه إلى أن التعليلات التي ترد في العلوم المختلفة أنما هي التماس هذه تهتم بها، لذلك من أتى يحلل لك هي التماس قد يكون صاحبه مصيباً في التماسه وفي تعليله وقد لا يكون كذلك الكلمة

المشهورة أو البحث في عند قوله تعالى : ﴿ **إِنْ هَـذَانِ لَسَاحِرَانِ** ﴾ في قراءة السبعية متواترة ﴿ **إِنَّ هَـذَانِ لَسَاحِرَانِ** ﴾ طيب إن هنا تنصب الاسم لماذا ما صارت (إن هذين) بدأوا يعللون منهم من يخطيء القارئ وهذا خطأ علمي لماذا ؟ لأنك تحكم قواعد وضعها النحاة على الحق المطل الذي هو القرآن ، ما دام إنها قراءة متواترة فه الحق فيجب أن تبحث بالواعد لا العكس ، فالقواعد اصطلاحية ، يأتي في مسند أبي يعلى في مطالعتي عند حديث قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : (إن هذان لشيطانان) في الحديث في المتن ، قال : (إن هذين لشيطانان) لدي أنا بحث على الآية ، وأعرف كلام المحققين عليها ، وما يتعلق به ، واستغربت إن هذين لشيطانان يخرم القاعدة ، وإذا به في الحاشية يقول في الأصل : إن هذان لشيطانان ، وهذا يخالف القاعدة النحوية فغيرتها إلى إن هذين لشيطانان ، طبعاً سيطرت القواعد النحوية على الحق المطلق ، سيطرت القضايا الاصطلاحية كلها على الحق المطلق ، هذه قضية كبيرة في العلم ، وفي نشأة العلوم وفي توسعها ، فطالب العلم ينبغي له أن يرتقي في هذه المسائل ولا يعجلها فمسائل الاشتقاق في أسماء الله . جل وعلا . هي من هذا الباب فينبغي أن ينظر إلها نظراً

سؤال : هل من نصيحة للذين يتأخرون عن الصلاة ؟

الجواب : جزاك الله خير الإخوة الذين لا تدركهم الصلاة ينبغي أن يصلوا في مساجدهم مع الجماعات ثم بعد ذلك يدركون معنا الدرس ، ولكن يأتوا بعد الصلاة أربع خمس جماعات هذا لا يقام ، فنرجو إنه من المرة القادمة ما نرى جماعات بعد الصلاة ، صلوا في المساجد وأتوا إن شاء الله.

سؤال : ما هي ضوابط خوارم المروءة ؟

الجواب : المروءة ملكة تحمل على البعد ما يسئ ، وإذا كان كذلك فالمرجع فيها العرف فخوارم المروءة هي المسائل التي من تعاطاها أو قامت

به صار مقدوحاً فيه عند أخل الإيمان ، وعند المستويين أهل الاستواء فيه ، والقصد والاعتدال من أهل الإيمان ، ولهذا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة يعني مثلاً تجد أن أهل الحديث ماذا قالوا ، بعض أهل الحديث قدح في فلان لأنه رآه مرة يأكل في السوق ، وقالوا : الأكل في السوق يخرم المروءة ، يعني رأى أما الناس في الشارع ، يأكل أو مثل الآن يأكل في مطعم مثلاً عندهم سابقاً هذا من خوارم المروءة لكن الآن اختلف الحال ، قد يحتاج المرء إلى مثل هذه الأشياء ، ولا يُعد خارماً لمروئته ، فخوارم المروءة هذه تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ، فإذا كان هذا الشيء لا يفعله أهل المروءة ومن فعله قدح فيه ، فهذا يعد خارماً من خوارم المروءة والعدل من الناس هو الذي يتجنب خوارم المروءة .

سؤال : صلينا لغير القبلة ثم علمنا بذلك قبل خروج الوقت فهل تلزمنا الإعادة ؟

الجواب : هذا فيه تفصيل ، إذا كانت الصلاة ، صليتم لغير القبلة في الحضر في بلد فلغير القبلة اجتهاداً منكم فإن هذا تعيد الصلاة سواءً كنت في الوقت أو خارج الوقت ، وأما إذا صليت لغير القبلة في البرية باجتهاد ، باجتهاد منك لعدم وجود محاريب ، بعدم وجود من يدلك على القبلة الصحيحة فقد أديت ما عليك ولا يلزمك أن تعيد سواءً في الوقت أو في خارج الوقت .

المتن :

ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام فمن رام علم ما حضر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافى المعرفة وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر والإيمان

والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تائهاً شاكاً زائغاً لا مؤمناً صادقاً ولا جاحداً مكذباً.

الشرح :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى بله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً ودعاءً مسموعاً ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً يا أرحم الراحمين ، أما بعد :

فهذه الجمل من كلام العلامة الطحاوي –رحمه الله تعالى– جاءت بعد الكلام على الرؤية ، رؤية الرب جل وعلا في الجنة وفي العرصات فيما سبق لنا شرحه في الدرس الماضي وأيضاً بعد هذه الجمل التي سمعنا تكلم عن الرؤية متعلقاً بهذا البحث قال: (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم) إلى آخر ما سيأتي إن شاء الله تعالى في الدرس القادم.

هذه الجمل التي سمعنا تشتمل على أصل عظيم من أصول الدين الذي تميز به أهل السنة والجماعة في مسائل بعامة وفي مسائل العمل والعقيدة والعمل مبناهما واحد من جهة الإيمان، وذلك أن العقيدة والعمل الجميع يُعمل به ويُعلم من جهة أنه من الله جل وعلا ومن رسوله ﷺ فالكل كلمة الله سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾.

﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً** ﴾ يعني في الأخبار "وعدلاً" في الأمر والنهي ﴿ **لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ** ﴾ فالشريعة بابها واحد ولا تفريق ما بين باب الاعتقاد وبين باب العمل يعني الأبواب العلمية والأبواب العملية من جهة مصدر التلقي وهو الكتاب والسنة ما كان من الوحي لهذا قال (هنا رحمة الله)

فإنه ما سَلِم في دينه إلا من سلّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

وذلك أن الأمور ، أمور العقيدة في الاعتقاد وأمور الفقه في العمل لابد أن يكون ثم إشكال في عللها أو في القناعة بها ولا مجال في ذلك في الإيمان إلا أن يكون على ظهر التسليم والاستسلام، وهذا ينبني على مسألة عظيمة من مسائل الاعتقاد والعمل وهي أن الدين قائم على البرهان والأمور التي يتعاطاها الناس ثلاثة:

الأول: أمور عاطفية: يعني برهانها العاطفة والغرائز يعرف الجوع يعرف العطش يعرف الخوف يعرف الرحمة بعاطفته وفطرته.

النوع الثاني: برهان عقلي: وهي الأمور التي يتعاطاها بعقله فيقيس ويعلل ونحو ذلك من الأمور العقلية وهي التي خدمها المنطق بشكل عام.

والنوع الثالث: من البراهين ، البراهين الدينية والبرهان الديني مبني على مقدمة وهي مقدمة الاستسلام لمصدر التلقي ولهذا لا يصح أن يخلط بين هذه البراهين فالدين ليس مصدره العقل وليس مصدره العاطفة، وإنما مصدره نوع من البراهين ثالث لم يتكلم عليه الفلاسفة ولا المناطقة وهو البرهان الديني المبني على مقدمات دينية بحتة وهذه المقدمات الدينية الشرعية في التصديق بها مبنية على براهين متنوعة التصديق بوجود الله، واستحقاقه للعبادة ، التصديق بالرسول عليه الصلاة والسلام بالرسل ، الآيات التي أوتيها البراهين فيما ذكرنا لك ، كل هذه براهين وهذه البراهين عقلية في أولها ودينية في ثانيها يعني أننا حينما نستسلم نستسلم للبرهان الذي استسلمت له الأمم التي قبلنا فالصحابة رضوان الله عليهم رأوا هذه البراهين واستسلموا لها بصدق عن قناعة وعن ديانة ثم بعد ذلك تبعهم من تبعهم في التسليم؛ لأنهم سلموا ثم تبعهم من بعدهم في التسليم؛ لأن من قبلنا سلم في كثير من الدلائل ويبقى

الدليل العام للشريعة في العقيدة وفي الفقه وهو أنه ما كان في كتاب الله جل وعلا أو في سنة الرسول ﷺ فهو حق وهو البرهان وما قبل هذا البرهان ثم براهين أخر، لا مجادلة في هذه الملة يعني في اتباع الفرق على صحة هذا البرهان من الكتاب ومن السنة؛ لأن الجميع يقرون بهذا البرهان ما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله ﷺ فإنه حق. فإنه هو برهان لكن هل هو البرهان الأول أو هو البرهان الثاني هل يسلط العقل على الكتاب والسنة أم لا يسلط ، والعقل تبع ونحو ذلك هو جاء من جهة الخلط ما بين أنواع البراهين الثلاثة التي ذكرتها لك فالعقلانيون هذه مقدمات بين يدي المسائل البحث العقلانيون خلطوا بين أنواع البراهين الثلاثة فجعلوا البرهان العقلي والبرهان الديني واحد بل جعلوا البرهان العقلي متسلط على البرهان الديني وظنوا أنه إذا سُلط عليه أنه لأن العقل به عرف الشرع وعرفت صحة الشرع وهذا ليس بصحيح كما سيأتي في رد هذه المقالة الطحاوي –رحمه الله تعالى– استحضر القسمين معاً استحضر مسائل العقيدة ومسائل الفقه وجعل هذه الكلمات مناسبة لهذا البحث بحث الرؤية فلهذا قال: (فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ) يعني أنه بدأ من حيث إن الكتاب والسنة هما البرهان بدأ من هذه فإذا أيقنت وصدقت أن الكتاب والسنة هما الحق المطلق لأنها من عند الله جل وعلا فالسنة وحي، فإذاً الرجوع في البرهان والدليل سيكون إلى الكتاب والسنة وإذا كان ثم شك أو ثم تردد فإن المرء لا يسلم في دينه؛ لأن البراهين كما ذكرنا ثلاثة : برهان عاطفي ، وبرهان عقلي ، وبرهان ديني، والبرهان العاطفي لا ينضبط لأن عواطف الناس مختلفة والبرهان العقلي لا ينضبط؛ لأن القائل حين قال وهم العقلانيون من المعتزلة والأشاعرة وجماعات حينما قالوا : العقل ينبغي أن يقدم على الشرع ، فالعقل غير منضبط عقل من ؟ هل ثم عقل واحد أُجمع عليه في النظر إلى الأشياء

لا. في النظر إلى الكونيات ليس ثم عقل واحد عند الفلاسفة اختلفوا في النظر إلى الطبيعيات في الأرض، الذين قدسوا العقل اختلفوا في مقتضيات ذلك، اتفقوا على قاعدة "العقل" لكن عقل من هل اجتمعوا؟ لا ولذلك اختلف أصحاب المدرسة العقلية إلى أنواع شتى فالجهمية من أصحاب المدرسة العقلية والمعتزلة من أصحاب المدرسة العقلية والأشاعرة أيضاً من أصحاب المدرسة العقلية إلى حد ما ونحو ذلك ولكنهم مختلفون في عقولهم وإدراكاتهم.

إذاً فإذا كان البرهان العاطفي غير منضبط والبرهان العقلي غير منضبط فإذاً البرهان الديني يجب أن يبدأ من المقدمة التي هي ثابتة بيقين وهذه المقدمة بيقين وهي الكتاب والسنة؛ لأن الكتاب وحي الله جل وعلا وآمنا بذلك عن برهان وسبق أن ذكرنا لكم ذلك في الكلام على الإعجاز وبرهان النبوة في الكلام على معجزات وبراهين وآيات الأنبياء، فإذاً المقدمة التي يتفق عليها ويمكن أن يجمع عليها هي التسليم والاستسلام للكتاب والسنة فإذا كان كذلك كان البرهان الذي يصح أن يقال إنه يتفق عليه بلا خلاف هو برهان الكتاب والسنة ولهذا إذا جاء إشكال في الاعتقاد فترجعه إلى التسليم لله جل وعلا ولرسوله ﷺ فالكتاب والسنة برهان صحيح فإذا لم تدرك العلة فإن ذلك ليس معناه أنه خلل في البرهان، وإنما هو خلل في التلقي خلل في إيضاح ذلك البرهان أو لأن البرهان الذي هو الدليل لم يوضح لنا هذه الأسرار، كذلك في أمور العبادات، في الصلوات لماذا أربع، في الفجر اثنتين والمغرب ثلاث، لماذا الحج على هذه الصفة لماذا الطهارة على هذه الصفة كل هذه مبنية على مقدمة من التسليم وهي التسليم للكتاب والسنة، ولهذا هذا البحث الذي ذكره الطحاوي في هذه الجمل يسميه بعض المعاصرين تسمية حديثة وهي وحدة مصدر التلقي، فمصدر التلقي من أهم المسائل التي يجب أن يُبحث فيها، فإذا اختلفت أنت وأُناس على شيء فلابد أن يكون هناك مرجعية في البرهان حتى

تنطلقوا منها، أيضاً مرجعية في التلقي والأمة كما قلنا لا يمكن أن يصلح لها إلا أن تتلقى من الحق المطلق والبرهان المطلق الذي هو البرهان الديني الذي هو الكتاب وسنة النبي ﷺ فما وضح فيهما وما أبين فيهما وجب اعتقاده والعمل به وما اشتبه على المعين على الفرد؛ لأنه ليس في الشريعة مشتبه مطلق كما سيأتي في المسائل إذا اشتبه على الفرد وجب عليك التسليم.

قال: (ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) يعني : إذا اشتبه عليك شيء فرده إلى عالمه ؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾.

دلت الآية على أن القرآن مشتمل على محكم وعلى متشابه وعلى أن أهل العلم يقولون أمنا بالمتشابه، ما اشتبه عليه علمه فإنه يرده إلى عالمه إلى الله سبحانه وتعالى وإلى رسوله ﷺ.

قال: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام) يعني : أن من خاض في مسائل الإيمان والإسلام ومسائل الشريعة والعقيدة والفروع والأحكام إذا خاض فيها مدققاً ليس مستسلماً، وإنما مناقشاً في كل مسألة لم. فإنه يحجب عن الإيمان ؛ لأن هذا الدين بل الأديان بعامة مبنية على الاستسلام للغيب لهذا أول إيمان في القرآن هو الإيمان بالغيب ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ﴾ فأصل الدين الذي جاء من عند الله هو الإيمان بالغيب الإيمان بالله جل وعلا الجنة، النار الملائكة، مسائل القدر، اليوم الآخر الكتب السابقة كل هذه الأمور غيب، فإذاً لا تثبت قدم الإسلام إلاّ على ظهر التسليم والاستسلام فشبه التسليم الاستسلام

بالأرض الصلبة التي من وطأها فإنه لا تزل قدمه بل تثبت لأنها أرض قوية صلبة وغير التسليم والاستسلام في مسائل العقيدةوفي مسائل العلم غير التسليم والاستلام فإنها أرض دحض مزلة أقدام وأنها موطن تعثر للأقدام لمن وطأها أو رضي بها لهذا نقول: إذا تبين لك ذلك فإن هذه الجمل التي مرت معنا فيها مسائل:

المسألة الأولى: أن الناس في تلقي الشريعة يعني هذه الأمة، الفرق جميعاً انقسموا إلى أقسام.

القسم الأول: من كان عقلياً محضاً يعني جعل العقل حكماً على الشريعة وجعل الشريعة تابعة للعقليات.

الثاني: من جعل الشريعة خالية من البرهان العقلي البتة بل الشريعة جميعاً عندهم ليس فيها علل ولا تعليل بقسميها العقيدة والشريعة.

الثالث: من توسط بين الفئتين، وقال أن الحكم الشرعي أن الشريعة في الأمور الغيبية والعقيدة وكذلك في العمليات العقل مفيد فيها والعقل خادم للشريعة وليس حكماً عليها فنستفيد من العقل في بيان العلل والأحكام وفهم الشريعة واستخراج الأسرار؛ لأن الله جل وعلا جعل القرآن لقوم يعقلون.

هذه الثلاث مدارس الكبيرة:

المدرسة الأولى: يمثلها الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة في أصول مباحثهم.

المدرسة الثانية: يمثلها الظاهرية في الفقه وكذلك في الاعتقاد ويمثلها الأشاعرة والماتريدية في مسائل الأسباب.

والمدرسة الثالثة: منهج أهل السنة والجماعة ولتفصيل هذه المدارس الثلاث بحوث تطول نرجئها إلى مواضعها إن شاء الله تعالى.

المسألة الثانية: أن التسليم لله عز وجل ولرسوله ﷺ هو تسليم للحق المطلق والبراهين التي يتعاطاها الناس في العقليات وفي مصدر التلقي هذه البراهين تختلف كما ذكرت لك تنقسم إلى ثلاثة أقسام، والتسليم يعني أن البرهان الديني الشرعي يقين، وأن البرهان العقلي ناقص وأن البرهان العاطفي فطري، معنى ذلك أن البرهان الديني يقيني في مقدماته، نصل إلى صدق الكتاب وصدق السنة بمقدمات يقينية عند أصحابه.

البرهان العقلي يعتمد على أشياء: الأول منها يعتمد على التجربة والثاني يعني قبل التجربة يعتمد على الحق ، والثالث يعتمد على تصديق اللاحق للسابق، أما البرهان الأول وهو البرهان العقلي الضروري فالله جل وعلا جعل للإنسان أعضاء سمع بصر لسان جعل له حواساً كما قال سبحانه: ﴿ **وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ فهذه الحواس يسميها الفلاسفة والمناطقة وسائل تحصيل المعرفة وهي حسية ضرورية يعني بعينك حصل لك البرهان بسمعك حصل لك البرهان بيدك لمست الشيء حصل لك البرهان، فالمعرفة جاءت من براهين ضرورية محسة ليست خارجة عن المحسوس ولذلك ما يجادل أحد في هذه البراهين إلا طائفة لا يُعبأ بها يجادلون في الضروريات ثم بعد ذلك بنيت المعرفة بالحسيات من طريق المقارنة بين هذه المعلومات التي جاءت بالوسائل الحسية يعني نقول هذا العمود طويل الآخر ليس في طوله، عرفنا حجمه وطوله ، طول بالعين فصار الطول مدركاً محسوساً بأمر ضروري ثم بعد ذلك ينسب الشيء الآخر فإذا رأينا ما هو أقل منه طولاً قيل هذا أقصر، وما أطول منه قيل هو أطول فيأتي أحد وينازعك ويقول : لا القصير أطول من الطويل؟ لا يقبل لماذا؟ لأن المقارنة ما بين هذا وهذا حصلت بمقدمات يقينية؛ لأن المقدمات الحسية يقينية، مقدمة العين لأنها

أحست بهذا بأنه أطول من ذاك لا يمكن يأتي يجادل ويقول لا القصير أطول من الطويل لأن هذا شيء مدرك بالعين وهذا ينتج في كل المقدمات الحسية وانتبه لهذه المسألة مسألة المقدمات الحسية لأنها أقوى البراهين وهي الضروريات ، تشرب ماء تقول هذا الماء بارد جداً يأتي آخر يقول هذا حار يغلي لا يمكن لماذا ؟ لأن البرهان عليه الحس ، فلان ملتحي يقول آخر لا هذا حالق لحيته هذا لا يمكن أن يكون لماذا ؟ لأن البرهان عليه الحس وكذلك السمع، نقول هذا صوت إنسان آخر يقول هذا صوت سيارة ما يمكن لماذا؟ لأن البرهان جاء سمعي فاهتم بهذه النقطة لأنها تفيد في قضية الاستسلام.

هذا البرهان الحسي هو الذي بني عليه طائفة من الناس الكلام على نظرية المعرفة وتكلموا فيه.

المسألة الثانية البرهان التجربة ، قلنا : أهل العقل اعتمدوا على الحس ، وعلى التجربة ، وعلى تقليد أي متابعة اللاحق للسابق ، التجربة تكون التجربة برهاناً صحيحاً له؟ ولكن ما لا يدخل تحت التجربة كيف التجربة برهاناً صحيحاً له . ونقول الله جل وعلا جعل الأشياء على قسمين: قسم لا تدخله الأهواء لتغير حقائقه.

وقسم يدخله الهوى ليغيره، والله جل وعلا جعل كلماته تامة ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً** ﴾ ما لا يدخله الهوى لم تأت الشرائع لبيانه وهو غاص فيه الفلاسفة والعلماء والباحثون، لم تأت الشرائع لبيانه؛ لأنه لا يدخله الهوى واحد زائد واحد يساوي اثنين يساوي ثلاثة أربعة لم تأت به الشرائع؛ لأن الله جل وعلا خلق الأشياء واحد زائد واحد يساوي اثنين، خلق الله تعالى الجبل فيه من المكونات كذا وكذا خلق الجاذبية على هذا النحو لا يمكن هذه الأشياء أن تدخلها الأهواء ولهذا لا تدخلها الشرائع ولم تتعرض لها البيانات وترك البحث فيها للناس؛ لأن هذه سيصلون إليها بالتجربة؛ لأنه ليس لهم هوى في أن

يجعلوا معامل الجاذبية كذا ينقصون واحد ويزيدون واحد من عشرة، الهوى لا يدخل في هذه المسائل.

إذاً قلنا أن الشرائع جاءت لإخراج الإنسان من داعية هواه فالأشياء التي يتحكم فيها الهوى جاءت الرسالات لها يتحكم الهوى في علاقات الناس بعضهم ببعض ، يتحكم الهوى في العبادة ، واحد يريد أن يخرج من التكاليف يريد أن يقتل يسرق ، يريد أن يفعل ما يشاء ، الهوى يدخل في حرية الإنسان هل يتعبد أم لا يتعبد في علاقته بمجتمعه وبأسرته بأهله إلى آخره هذه أشياء يدخلها الهوى ولهذا جاءت الشريعة بضبطها.

إذاً فنقول التجربة في العقليات صحيحة لكن فيما لا يدخله الهوى، أما ما يدخله الهوى فلا تصح التجارب فيه، لابد أن يُتلقى من حكم يفرض على الأهواء ما تتنازع فيه ويسلمون لها ولهذا قال جل وعلا ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ** ﴾؛ لأن الأهواء غير منضبطة والحق واحد لا يخضع لهوى.

تجارب المجربين تصلح إذاً فيما يمكن عمل التجارب عليه لكن الأمور الكونية البعيد الغيب هل ثم سلطانٌ للتجربة عليها؟ لا الأمور كونيةلا مجال للتجربة عليها ، ولهذا قال من قال من العلماء المعاصرين في الأمور الدنيوية الغربيين وغيرهم من الحذاق: إن المرء كلما أوغل في العلم بالكونيات كلما ازداد معرفة بأن فيها أسراراً لا تدرك، ولهذا الأمور الكونية صعب أن تخوض فيها بإدراك تام تجارب لكن ستبقى تجارب وإذا كانت ليست مسلمات فلا يمكن أن نُخضع لها الحق المطلق.

النوع الثالث: في هذا البرهان جاء البرهان بعد ذلك معتمداً على أن المتأخر يسلم للسابق مثل المعتزلة وهم في أصلهم سلّموا للفلاسفة بصحة أنواع البرهان العقلي، فإذاً ثم تقليد المتأخرون سلموا لمن قبلهم، الأشاعرة

سلموا للأولين في البرهان إذاً ثم تقليد فقولهم برهان عقلي وهذا عقل؛ لأن الشرائع مبنية على التقليد هذا غير صحيح منطقياً؛ لأنه أيضاً أهل البرهان العقلي يسلمون لأوائلهم بصحة البرهان فيبتدئ من برهان الأشعري مثلاً بدأ ووصل إلى شيء فيبتدئ أصحابه من النقطة التي وصل إليها وينطلقون فيها، فيكون إذاً قولهم العقليات تُخَلِّي من التقليد ومن التسليم ومن الاستسلام وتطلق الحرية هذا غير صحيح؛ لأنه ما من أحد إلا ويسلم لمقدمات من سبقه فإذا كان التسلم لبشر ليس معصوماً من الخطأ، فالتسليم لمن هو معصوم من الخطأ من جهة البرهان أولى، إذا كانت المسألة مسألة تسليم واستسلام فالتسليم لمن لا يخطئ أولى .

لهذا تجد أن المتأخرين حتى في العصر الحاضر من أهل العقليات تجد أنهم يحيلونك على شيء لكن هذا الشيء بنوه على التقليد، يقولون طبعاً هو كذا. طبعاً في عرف من؟ لماذا صار طبعاً؟ يقولون هذا غير مشكوك فيه، لماذا صار غير مشكوك فيه؟

إذا كان المرجع إلى حس فلا مجادلة في الحسيات. إذا كان المرجع إلى أمور تجريبية أو إلى نظريات إذاً الذي يحيل الأمور في الاستسلام على الدين أولى من الذي يحيل الأمور في الاستسلام إلى أصحاب العقليات؛ لأن أصحاب العقليات يقلد بعضهم بعضاً، وأصحاب الديانات صحيح نقول المتأخر يسلم للأول براهينه ولكنه يصل إلى برهان يقيني وهو الكتاب والسنة وأما تقليد العقليات فإذا كانت راجعة إلى أشياء صحيحة فهذا تسليم لاشك فيه ما تجادل فيه لكنهم في كثير من مباحثهم يتابع المتأخر الأول انظر مثلاً إلى قضية ترتيب الأفلاك، الناس من قرون بل آلاف منذ بدأ اليونان في الكلام على ترتيب الشمس والأرض والكواكب السبعة في الكون وهم على نحو ما إلى وقت قريب تغير هذه الأمم آلاف السنين التي مرت من الفلاسفة والفلكيين

الإسلاميين واليونان والمدرسة الرومانية والمدرسة الهندية في الأمور العلمية والفلك والتتابع في الطب كذلك ، هذه الأمم ألم يسلم المتأخر الأول سلم له ظهر الآن إن تلك الأشياء كانت غير صحيحة لماذا كانت غير صحيحة؛ لأنهم كما ذكرنا لك وضعوا تجارباً ولكن التجارب صارت على أمور خارجة عن حيز التجربة الذي ينتج نتائج صحيحة، وهذه مسألة عظيمة ما نحب نطيل فيها.

هذه المسألة راجعة إلى البرهان الحق في أن أقوى البراهين هو البرهان الديني، لذلك نقول لك هذه الثلاثة من الأشياء العقلية البرهان الحسي، نقول صحيح لا إشكال فيه وكل المعرفة قامت على البراهين الحسية، برهان التجربة منقسم إلى ما يكون ثم تجربة نجحت فيه ، وإلى ما لا تنجح فيه التجربة.

البرهان الثالث: وهو متابعة اللاحق بالسابق هذا أيضاً لابد أن يخضع للدراسة وقد يكون الأول مخطئاً في برهانه العقلي كما في كثير من الأمور العلمية والنظرية فضلاً عن أمور الغيبيات والإلهيات .

المسألة الثانية: نخلص منها إلى أن أنواع البراهين الثلاثة من قال البرهان العقلي هذا تجد عند جميع العقلانيين حتى في العصر الحاضر وكثير من الناس تعجبه البراهين العقلية ولكن إذا تخوض في صحة البرهان تجد أشياء ، فيقول هذا المنطق هذا العقل ، فإذاً نقول : المنطق أو العقل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شيء حسي وتجربة وأشياء فيها تقليد كيف عرفت هذا المنطق قل فلان ويحيل إلى من قبله بل تيقن المسألة خاضعة للبحث، أما المصدر المتيقن بمقدماته هو مصدر الكتاب والسنة وتقدم برهان كون الكتاب من عند الله وتقدم برهان وجود الله معروف وكذلك برهان النبوة متقدم.

المسألة الثالثة: قوله : (ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) كلمة الاشتباه والمشتبه معناها ما لا يدرك معه العلم ويُقابل ما بين المحكم

والمتشابه، والله جل وعلا جعل القرآن منه محكم ومنه متشابه يعني من القرآن محكماً ومتشابهاً ، والقرآن يصح أن يقال أنه محكم كله، وأنه متشابه كله وأنه محكم ومتشابه، فالقرآن منه محكم ومنه متشابه والقرآن محكم كله والقرآن متشابه كله في كل قسم باعتبار. أما الإحكام فالله جل وعلا بين أنه أحكم القرآن كما قال: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ** ﴾ فالقرآن محكم كله، والقرآن الحكيم يعني المحكم في أحد أوجه التفسير، والقرآن أيضاً متشابه كله كما قال سبحانه ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَّثَانِيَ**﴾ القرآن كله متشابه لكن هذا معنى أن بعضه يشبه بعضهاً؛ لأن المسائل محدودة وبعضه يشبه بعضا هذا قصص في سورة وفي سورة الكلام عن الإيمان، والإيمان والجنة والنار، الكلام عن صفات الله في سور مختلفة فهو متشابه.

ومنه محكم ومنه متشابه وهذا أشار إليه الطحاوي في هذا الموضع قال: (ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) منه محكم يعني : ما معناه واضح للجميع، ومنه متشابه ما يشتبه معناه على البعض وإذا تبين ذلك فليس ثم في القرآن إذاً متشابه به على كل أحد ليس ثم في القرآن متشابه مطلق نقول هذه المسألة متشابهة يعني لا أحد يعلمها في القرآن آية لا أحد يعلم معناها. هذا مستحيل؛ لأن الله جل وعلا جعل القرآن محكم كله، وجعل منه محكم ومنه متشابه والراسخون في العلم يعلمون المتشابه الذي هو المعنى، أما المتشابه النسبي فنعم هذه المتشابه النسبي ما معناه هو أنه ما من شيء إلا ويشتبه عليّ أو عليك أو على فلان ليس ثم أحد بعد النبي ﷺ علم كل شيء علم كل القرآن علم كل السنة لابد أن يشتبه عليه شيء بمعنى أن يستسلم لبعض الشريعة فإنه لا يعلم المعنى، وقد جاء عن أبي بكر -رضي الله عنه- أنه قال: عند قوله تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبّاً** ﴾ قال أي: "سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب ما لا أعلم" .

فإذاً عند قوله تعالى مثلاً: ﴿ **وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ كم عدة أصحاب الكهف؟ متشابه أنا لا أعلم أنت لا تعلم ابن عباس –رضي الله عنه– حينما جاء إلى هذه الآية قال: "أنا من القليل الذي يعلم لأنه متشابه نسبي" .

فإذاً الذي يقول أن في القرآن متشابه مطلق على كل أحد هذا غير موجود لا في العقائد ولا في العمليات، لكن هناك متشابه على الجميع وهو الكيفيات : كيفيات الغيبيات والأشياء، ولهذا قال كثير من السلف أن الوقف على لفظ الجلالة في آية آل عمران: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ يعني تأويل الآيات وتأويل المتشابه والمحكم لا يعلم تأويله إلا الله في أمور الكيفيات في أمور تمام المعنى الجنة جاءت صفتها ، نعلم معنى الأنهار ومعنى الشجر لكن الكيفية ذلك هذا مشتبه علينا لذلك نقول الاشتباه نسبي أما الاشتباه المطلق فلا يوجد فإذا كان كذلك لزم أن نرد علم ما اشتبه علينا إلى عالمه نقول الله أعلم لهذا قال من قال من أهل العلم إذا ترك العالم (الله أعلم أصيبت مقاتله)، وفي رواية إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله؛ لأنه لابد أن يشتبه عليه شيء، إذا تقرر لك ذلك فإن الاشتباه الحاصل يكون في العقيدة وفي الشريعة فكل ما لا تعلم علته أو حكمته أو السر فيه فهو متشابه فسلم للشريعة سلم للكتاب والسنة، الحق وأيقن بذلك ورد ما اشتبه إلى عالمه، مثلاً في العقائد يأتينا أنواع الاشتباه في مسائل الغيبيات واحد يشكل عليه في مسائل الغيبيات أشياء أمر الجنة، أمر النار، أمر الناس كيف يعذبون في النار بعد الموت تأتيك أسئلة كثيرة هذه الأسئلة الرؤية مثل الذي ذكر كيف يرى المؤمن بقواه المحدودة يرى الرب جل وعلا الذي السماوات مطويات بيمينه وهو سبحانه وسع كل شيء رحمة وعلماً كيف يكون؟ ما يتحمل العقل ذلك العرش كيف أن السماوات السبع كدراهم سبعة ألقيت في ترس كيف أن

الكرسي وسع السماوات والأرض كيف الماء وكان عرشه على الماء، تأتي مثل هذه الأسئلة لا تدركها فإذا جاء عدم الإدراك في مسائل الإيمان في الغيبيات فيجب أن تسلم إلى عالمه، في القدر لم كان كذا لم قضى الله كذا لم أغنى الأغنياء؟ لم أفقر الفقير ؟ لم أمرض المريض ؟ لماذا أصابني بكذا ؟

لماذا أصابني بكذا إذا بدأت الأسئلة فيأتي بدء الاعتراض ويحرم المرء كما سيأتي في الجملة التالية، فإذاً تحتاج إلى الاستسلام في العقائد أعظم الاستسلام لأنها مبنية على الغيبيات والأمور الغيبية برهانها إذا استسلمت للبرهان فصدق، الأمور الغيبية مبنية على البرهان هل هو البرهان للغيب نفسه؟ لا هو برهان لبرهان الغيبيات، برهان الغيبيات هو القرآن والسنة عندنا برهان لصحة القرآن والسنة هذا برهان واضح صحيح، لكن البرهان على الغيبيات بأفرادها ما عندنا لكن عندنا البرهان على البرهان إلا الأصلى وهو الكتاب والسنة.

بالنسبة لأمور العبادات والفقه تأتي مسائل العلل والتعليلات الشرعية معللة ولا شك والله عز وجل جعل الأحكام الشرعية منوطة بعللها، لكن من العلل ما ظهر ومنه ما لم يظهر لهذا تجد أن بعض العلماء يعبر عن مسائل العلل في العبادات بأن علته قاصرة، وتارة يقول إن العلة تعبدية وهناك علل معروفة فإذاً إذا جاءتك المجاهيل في أمور العبادات فإنك تسلم دون خوض؛ لأن ثم أشياء تغيب عن العبد.

المسألة الرابعة والأخيرة : قال : (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر بعض الناس) التسليم والاستسلام هما دين الإسلام فإن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، فإذاً دين الإسلام هو دين الاستسلام ولهذا فإن كل الأنبياء دينها هو الإسلام يعني دينها الذي دعت إليه الاستسلام: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾، نوح –

عليه السلام– بعث بالإسلام وعيسى بعث بالإسلام وعيسى بعث بالإسلام وموسى – عليه السلام– بعث بالإسلام الذي هو الدين العام لكن الشرائع مختلفة ودين محمد ﷺ الذي بعث به هو الإسلام العام الذي اشترك فيه مع جميع الأنبياء والمرسلين والإسلام الخاص الذي هو شريعة الإسلام كل هذه لا تثبت إلا على قدم التسليم والاستسلام يعني أن من لم يستسلم فهو شاك والشاك ليس بمسلم؛ لأن أصل الديانة مبنية على التسليم فإذا شك في أمر يجب الإيمان به فإن الإيمان يجب أن يكون عن يقين لا تنفع لا إله إلا الله إلا عن يقين لا تنفع محمد رسول الله إلا بيقين لا ينفع الإيمان بالجنة والنار إلا بيقين مثل ما جاء في حديث عبادة، أن الجنة حق وأن النار حق فلابد من اليقين بذلك بدون تردد فإذا جاء الشك والارتياب وعدم التسليم والاستسلام هذا معناه أن الإسلام غير قائم.

في بعض الناس يكون الشك لطلب الحقيقة ، وهو يبحث عن جواب السؤال هذا لا يقدح في دينه؛ لأنه قد يعرض للمرء، لكن يجب ألا يظهره بل يكتم ذلك ويسأل عنه من يثق بعلمه حتى يجيب الشبهة فمعنى ذلك أن عدم الاستسلام والتسليم ينقسم إلى قسمين:

الأول: الشك المستمر الذي يستكين له صاحبه ، وهذا خلاف اليقين الواجب وهذا ليس بمسلم عند الشك في الغيبيات، عنده شك في الجنة، عنده شك في النار، عنده شك في صدق الرسالة، عنده شك في القرآن، هذا ليس بمسلم.

القسم الثاني: عنده شك في بعض الأفراد، مسألة في السنة مسألة في القرآن ليس الشك في الأصل إنما عنده شك في إفراد المسائل فهذا يجب عليه أن لا يستسلم لهذا الشك وأن يبحث عمن يجيب عنه الشبهة. نكتفي بهذا .

الأسئلة :

سؤال : .....؟

الجواب : لا يجوز أن يُقال : إنه في عصر من الأعصار خلت الأمة من قائم لله بالحجة ، يعني من عالم للمعنى ، هل يكون اتباع ما لا علة عقلية له أعظم أجراً من اتباع ما دل النقل والعقل عليه ؟ لا .. من آمن بالتسليم وبالبرهان فهو أعظم .

سؤال : بالبرهان يعني ؟

الجواب : إي نعم ، التسليم والبرهان ، البرهان بأنواعه .

سؤال : يعني مثلاً جاء برهان من السنة دليل على تحريم شيئاً وهو فعل هذا الشيء المحرم ، ما حكمه في هذه الحالة ؟

الجواب : يستغفر ربه ويتوب ؛ لأن هذا ما عنده شك في الأصل مؤمن لكن عصا ربه فيستغفر ويتوب ، كذا يقول برهان تجربة في أمور العقيدة ، يعني معناه ما أدري الدرس فُهِم أو ما فُهِم ؟ المقصود العقيدة هذا برهانها ديني والذي قلنا حس وتجربة ومتابعة هذه برهان إيش ؟ العقلي . واضح ؟ هذا الآن تأصيل مهم في منهج التلقي ومعرفة الدليل والاستسلام له لأنه ما يسوغ لطالب علم العقيدة في الخصوص أن يكون غير مبرهن ، العقيدة ليست قوائم نظرية ، لا .. هي برهانية لكن نوع من البرهان ، برهانية واضحة مثل هذه اللمبة التي أمامنا مثل الشمس تراها في النهار ، ما عندنا شك في ذلك ولكنها بأنواع البرهان الذي ذكرت .

سؤال : ابن عباس يقول في تفسير سورة الكهف : أنا من القليل الذي يعلم عدتهم ..... ؟

الجواب : أنا من القليل الذي يعلم عدتهم . ما من الراسخين ..... إيش تبغى بكم يعني ، هل هناك من يعلم ؟ يعلم ببرهانه ، يعني يتأمل الآية

ويخرج عدتهم، لذلك قال ابن عباس : أنا من القليل الذي يعلمهم ، سبعة وثامنهم .....

السائل : هل الآية أم .....؟

الجواب : الآية طبعاً ما قال وحي ، فهم من الآية ﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب** ﴾ كالرجم بين فرقتين ، ﴿ **ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم** ﴾ يعني الخوض في هذه المسائل كم عددهم ما له داعي .

سؤال : .....؟

الجواب : لا .. البراهين العقلية ما هي داخلة في الشريعة داخلة في العلل والمؤثرات ، يعني البرهان العقلي داخل في العلل والمؤثرات ما هو داخل في العقيدة ، العلل والمؤثرات علل الأفلاك وتأثيرها يعني .

سؤال : .....؟

الجواب : إذا قلنا محسوس ما يحتاج إلى برهان .

سؤال : .....؟

الجواب : وتكون صحيحة ؟ تدخلها التجربة وقد تكون صحيحة ، يعني مثل الآن الشمس عندكم الظل يمتد يزيد وينقص بخطوات ثابتة يعني بتدرج ، إذاً هذا محسوس صحيح ؟ إذاً حركة الشمس محسوبة ، حركة القمر محسوبة ، إذاً يمكن أطلِّع متى سيحدث خسوف وكسوف ، هذا تجربة تجارب في الكونيات ، حدث الكسوف والخسوف إيش ؟ كوني ، وجود الظلال إلى آخره وحركة الشمس والقمر ممكن بالتجربة تعرف حسابها وتخرج قانون واضح متى سيحدث الخسوف والكسوف .

سؤال : .....؟

الجـواب : هـل يـدخل ..... بأنهـا تحـدث أو لا تحـدث ؟ لا .. لكـن يجيئك هنا سؤال : ما دخل الشرعيات هنا ؟ يأتي صاحب الكونيات ويقول : هذه أمور كونية . نقول : من الذي أجرى الكونيات ؟ من الذي جعلها تحدث في هذه الأوقات ؟ طيب هذه مقدمة ، من الذي قدَّر في هذه الأوقات ما سيحدث في الأرض من أمور العباد ؟ إذاً الارتباط بين هذه وهذه يكون تخويفاً ؛ لأن الله جل وعلا علم ما العباد سيحدثونه في هذا الزمن فأجرى سنته أن يحدث الخسوف والكسوف في هذا الزمن ليخوف أهل هذا الزمن . فإذاً الشرعيات والكونيات بينها ارتباط ؛ لأنها كلها من الله جل وعلا ، إن البرهان العقلي والكوني من الله جل وعلا ، سبحان ربنا ، سبحانك ربي .

الشريط الثالث عشر . الوجه (أ) ٢٢/ ٧/ ١٤١٨ هـ .

سؤال : ذكر ابن التين في شرحه للباري في مسألة إثبات اليدين لله جل وعلا أن يدي الله لا توصف بأنها جارحتين وذكر خلافاً فهل إثبات اليدين يقتضي كونها جارحتين أرجو توضيح ذلك.

الجـواب: أن معتقد أهل السنة والجماعة مبني على متابعة الكتاب والسنة وعلى ألا يتجاوز القرآن والحديث، نُمّر ما جاء على ظاهره لا نتجاوز القرآن والحديث فإثبات صفة اليدين لله جل وعلا، هذا لأنها جاءت في القرآن وفي السنة كما قال جل وعلا: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ وكما قال جل وعلا في سورة ص: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ وكما قال: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾، ونحو ذلك من الآيات.

وفي السنة أيضاً أحاديث كثيرة في هذا الباب فإذا تقرر ذلك فإثبات صفة اليدين لله جل وعلا لا يتجاوز فيه ما جاء في الكتاب والسنة فلا نقول اليدان جارحتان ولا نقول اليدان كأيدنا ونحو ذلك مما فيه مجاوزة، اليد

معروفة، كل يعقل معنى اليد لكن لا تشبه يد الرحمن جل وعلا بيد عباده بل على قاعدة ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ فإثبات الصفات إثبات وجود وإمرار على ظاهرها بما اشتملت عليه الصفة من المعنى لا إثبات كيفية فلا ندخل في الصفات متوهمين بأوهامنا ولا مجتهدين بآرائنا؛ لأن الباب باب غيبي لا يخاض فيه بالآراء والأوهام وهكذا كل صفات الرب جل وعلا مثل صفة الوجه، صفة العينين، وصفة السمع والبصر، وصفة الإتيان والمجيء والاستواء، والرحمة والرضا والغضب، وسائر صفات الرب جل وعلا تثبت لأنها جاءت في النصوص جاءت في الحق المطلق، في الكتاب والسنة وما لم يأت في الكتاب والسنة فلا نثبته ولا نطلقه على صفات الله جل وعلا، إذ ذلك زيادة على ما علمنا والله جل وعلا قال ناهياً: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ فمن زاد على ما جاء في النصوص في الصفات فقد قفا ما ليس له به علم.

سؤال : هذا سؤال فقهي : ما هو ضابط الجمع في المطر ؟

الجواب : النبي عليه الصلاة والسلام لم يصح عنه أنه جمع في المطر ، وإنما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام جمع ثمانياً وسبعاً ، يعني جمع الظهر والعصر ، وجمع المغرب والعشاء (من غير خوف ولا سفر) وفي رواية أخرى (من غير خوف ولا مطر) . وإذا تبين ذلك فإن هذا النفي فهم منه العلماء أن السفر والمطر والخوف تبيح الجمع ؛ لأنه قال : (جمع من غير خوف ولا سفر) (من غير خوف ولا مطر) يدل على أن المطر مشروع الجمع له ، وهذا بالمفهوم يحتمل أن يرجع إلى جمع الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، لكل سبب من الأسباب المذكورة . ويحتمل أن يرجع التعليل المعدد إلى واحدٍ دون الآخر ؛ لأن المفهوم إذا تعدد فلا يتعين رجوعه على الجميع إذ يحتمل

أن المجموع يرجع على المجموع ، يعني أن الخوف والمطر ترجع إلى هذا وهذا معاً فلا يتعين في هذا المفهوم أن يكون في الحديث دلالة ظاهرة على أن الجمع يكون بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء فقط ، وعمل السلف يحدد المحتملات كما هو معلوم ؛ لأن العلة أو المفهوم جاء مركباً راجعاً إلى شيء مجموع ولا يتعين رجوع الأفراد إلى المجموع ، لهذا جاء عن ابن عمر أنه كان يجمع ومعه أمراء المدينة بين المغرب والعشاء ، جمعوا في ليلة مطيرة ، وإذا تبين ذلك ، فضابط الجمع بين المغرب والعشاء في الليلة المطيرة أن يكون المطر يشق معه وصول بعض الجماعة إلى المسجد ، بعض الناس إلى المسجد يعني إذا كان يبل ثياب بعض الناس الضعاف من المصلين فإنه يُجمع له أما مجرد نزول المطر فلا يباح الجمع لمجرد نزول المطر بل لابد من وجود المشقة ، والمشقة يعتبرها الإمام ولا يشترط وجود المشقة في الجميع بل إذا وجدت المشقة في حق البعض جاز الجمع ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال للإمام :(واقتدى بأضعفهم) فالإمام يراعي حال المأمومين في طول القراءة، وفي الصلاة وفي الجمع إلى غير ذلك وينتبه إلى مسألة من السنة تخفى على كثيرين من الناس ، وهو أنه إذا نزل المطر الشديد في وقت من الأوقات يعني دخل الوقت ونزل مطر شديد وقت الظهر ، نزل مطر شديد وقت العصر فإنه يُباح أو يجوز أن يُصلي في البيت ؛ لأن المطر من الأعذار المبيحة ، المطر الذي يشق معه الخروج إلى المسجد من الأعذار المبيحة للصلاة في الجماعة ، فإذا وجد المطر فيترك من شق عليه ذلك الصلاة في الجماعة وهو أولى من أن يُجمع في وقت الأولى لتوهم نزول المطر في الثانية من دون عذر واضح ، وأيضاً من الأمور التي في السنة وقل وجودها أنه يُسن للمؤذن أنه إذا وجد مطر شديد ف وقت الأخيرة يعني في الظهر أو في وقت العصر أو في الجمعة أو في

وقت العشاء أنه ينادي في الناس بعد قوله : أشهد أن لا إله إلا الله ، ،اشهد أن محمداً رسول الله ، لا يقول : حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، بل يقول : الصلاة في البيوت ، أو يقول : صلوا ف بيوتكم ، أو الصلاة ف الرحال ، وهذا ما سمعه فيصلي في بيته عند وجود المطر الشديد ، وليس مجرد وجود المطر ، أو المطر الذي لا يشق معه ، إذا وجد المطر الشديد ووجد وحل أو الطريق مملوء بالأمطار ، ويفسد على الناس أو يكون معه مشقة في الوصول بالأرجل ولو للبعض فإن هذا يباح معه أن يُقال بل يسن معه أن يُقال : الصلاة في البيوت ، صلوا في بيوتكم ، ولكن هذا ينبغي أن ينته الإمام لها ، يعني المؤذن لها ، فلا تُقال إلا بأمر الإمام في أوقات يكون المطر فيها شديد ، أما الجمع بين الظهر والعصر فالصحيح عندي بما يدل عليه الحديث وتطبيق قواعد أصول الفقه أنه لا يُجمع بين الظهر والعصر ؛ لأنه لم يأتِ دليل بالجمع ، والدليل الذي ذكر هو حجة الجميع ، من قال يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، ومن قال : يُقتصر في الجمع بين المغرب والعشاء ، والدليل في ذلك واحد .

سؤال : قال في سؤاله ، إذا ثبت لله تعالى صفة بلفظ معين فهل يجوز أن يطلق على الله جل وعلا مرادف هذه الصفة مثل قول بعض العامة الله يشوف ، يريدون يرى؟

ج: هذا إذا كان من باب الخبر فلا بأس لكن من باب إثبات الصفة فلا يجوز لأن الصفات توقيفية.

سؤال : ما هو التسلسل الواجب الممتنع والممكن ؟

الجواب : هذا ذكرناه فيما مضى في أول شرح العقيدة الطحاوية ، ويمكن أن ترجع إلى شرح الطحاوية ففيها تفصيل ؟

سؤال : ذكرتم مسألة مهمة في تقعيد العلوم ، ولكن هل لكم أن تنبهوا الطلاب إلى أن معرفة هذه لا تعني تطاولهم على القواعد وعدم الاعتداد بها لأدنى سبب ؟

الجواب : نعم ، هذه ذكرناها ليس تعليماً لها ، ولكنه تنبيه لما سأل السائل عن لفظ الجلالة ، هل الأسماء قديمة إلى آخره .

سؤال : ما رأي الدين في رجل رأى منكراً على رجل ولم يستطع تغييره فقال الرجل الذي لم يستطع التغيير أعوذ بالله منك أو قال أعوذ بالله من وجهك فهل هذا السب يجوز؟

الجواب: أولاً: في الأسئلة لا يسوغ أن يقال ما رأي الدين؛ لأن المسألة ليست رأياً هذا واحد والمسألة الثانية لا ينسب الرأي للدين وإنما يقال ما تقول الشريعة مثلاً ما الحكم الشرعي في كذا ما يقول أهل العلم؟ ما الجواب عن كذا؟

ومن رأى منكراً فالله جل وعلا وسع على العباد فمن ((رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) وأما سب من وجد عليه منكر فهذا اعتداء وإنما ينكر عليه السب هذه مسألة خارجة ينكر عليه المنكر ما استطعت تقف أما سبه أو الاستعاذة منه فإنه لا يسوغ وإنما يستعاذ بالله من شره يعني شر تعدي المنكر إلى من لم يستطع الإنكار، نعوذ بالله من شرك، نعوذ بالله من شر ما أنت عليه، نعوذ بالله من سوء عملك ونحو ذلك، هذا حسن لأن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه نسأل الله السلامة والعافية وتغيير المنكر بالقلب تغيير إذا علم الله جل وعلا منك أنك كاره، ومنكر فهذا إنكار بالقلب.

سؤال : هل الترضي على أهل الشجرة دعاء لهم بأن يرضى الله عنهم أو تقرير رضي الله عز وجل؟

الجواب : هذا سؤال جيد وهو مبني على أن قول القائل : رضي الله عنه، رحمه الله. هذا دعاء في أصله فإذا كان قد امتن عليهم بذلك من الله جل وعلا فالترضي معناه التحقيق، تحقيق ذلك والدخول في تأكيده؛ لأن الله سبحانه منَّ عليهم ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾.

سؤال : الحروف المقطعة هل هي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله أم يوجد من يعلمه من العلماء؟

الجواب : الحروف المقطعة اختلف أهل العلم فيها إلى اثني عشر قولاً وهذه الأقوال جماعها قولان:

الأول: أنه يعلم معناها، والثاني أنه لا يعلم معنا، ومن قال يعلم معناها اختلفوا فيها إلى أقوال والصحيح أن معناها معلوم معروف، وأنه لا يقال لا يعلم معناها لأنها ذكرت كما بينت لكم مراراً ذكرت للتحدي ، فهذه الأحرف المقطعة ليست أوائل كلمات وليس مجموعها يدل على أسماء الله جل وعلا وليست أسماء للسور كما هي أقوال مختلفة في المسألة وإنما هي الأحرف المقطعة هي الأحرف التي ينشئ بها العرب كلامهم والتي بها يفاخرون في إنشاء الأشعار وإنشاء الخطب فإذا كان كذلك فهذا القرآن من هذه الأحرف تكلم الله جل وعلا بالقرآن بلسان عربي مبين . فإذا كان كذلك فتكلموا بمثل هذا القرآن ، أو بمثل عشر سور مثله ، أو بمثل سورة والجميع عجزوا عنه ، ولهذا هذه الأحرف المقطعة الصحيح أنه لا يُقال : لا يعلمها إلا الله بل هذه الأحرف المقطعة جعلت في صدر السور للتحدي تحدي الكفار أن ينشئوا مثل هذا القرآن ، الذي هو من هذه الأحرف .

المتن :

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق التشبيه زل ولم يصب التنزيه.

الشرح :

كان وقوفنا في الدرس الماضي عند قوله (فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان).

هذه الجملة فيها النهي عن أن يتعدى المؤمن ما عُلِّم في الكتاب والسنة وأن يقتصر عليه وذلك؛ لأن ما لم نُعلّم إيَّاه من أمر التوحيد والإيمان والعقيدة، فإن الخير فيما عُلمناه والتعدي على ما علمناه فيه خوض فيما لم يأت لنا به علم وهذا منهي عنه كما قال جل وعلا: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ فشيء لم يرد في أمور الغيبيات لم يرد في النص في الكتاب ولا في السنة فإنه يسكت عنه ولا يتكلم فيه وإذا كان معارضاً لما جاء في الكتاب والسنة فيرد؛ لأن الحق فيما قال ربنا جل وعلا، وقال رسوله ﷺ فقول: ((فمن رام علم ما حُظر عنه علمه)) يعني ما لم يأته به علم شيئاً أراد علماً لم يأتنا به علم وهو الدليل، البرهان من الكتاب السنة ولم يقنع بالتسليم فهمه كما ذكرنا لكم أن ثمة أشياء قد تشبه وواجب على المسلم أن يسلم بما جاء في النص من الأمور الغيبية إذا لم يقنع بالتسليم الفهم ورام شيئاً محظوراً عنه

ودخل في أقوال وعقليات وآراء فإن هذا الذي فعل يحجبه عن خالص التوحيد، قال حجبه مرامه وهو طلبه شيء لم يرد فيه العلم حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان خالص التوحيد يعني كامل التوحيد، التوحيد الذي لا شيء يكدره الشيء الخالص الذي لا شيء يكدره، صافي وخالص تام فمن بحث في أشياء لم يأت بها العلم الشرعي، لم يأت بها الدليل فإن توحيده ناقص وهذا يدل على أن من خاض في المشككات واستمر معها متشككاً ولم يُسلم فإنه لابد وأن يحجب عن خالص التوحيد ولهذا قال شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى– تائيته القدرية.

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة

خاضوا في شيء لم يأت لهم به خبر ولم يأت لهم به دليل فخاضوا في أفعال الله جل وعلا قال:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهموا حكمة له فصاروا على نوع من الجاهلية

فكل من خاض في أشياء غيبية لم يأت بها الدليل فإنه يحجب عن خالص التوحيد ولهذا واجب في مسائل الإيمان ألا يتجاوز فيها ما جاء في الأدلة، واجب في مسائل القدر ألا يتجاوز فيها ما جاء في الكتاب والسنة، لهذا جاء في الحديث الصحيح: ((إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا)). يعني أمسكوا عن أن تخوضوا في هذه الأشياء بغير ما علمتم فمن خاض في شيء لم يعلمه فإنه يحجب عن خالص التوحيد ؛ لأنه قد يقوده ذلك إلى الشك وعدم الاستسلام قال: وصافي المعرفة المعرفة في كلام أهل العلم تتناوب مع العلم، إذا قيل المعرفة فيراد به العلم ولهذا قسم طائفة من العلماء التوحيد إلى قسمين:

توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب.

توحيد المعرفة والإثبات: يعني توحيد العلمي الخبري والتوحيد الطلبي الإرادي، والمعرفة إذا كانت بهذا المعنى فلا بأس بذلك، ونبهتكم مراراً على أن كلمة المعرفة جاءت في معنى العلم في السنة كما روي أصحاب الصحيح أن النبي ﷺ قال لمعاذ: ((إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله فإن هم عرفوا ذلك)) يعني علموا ذلك وأقروا به ونحو ذلك، وهذا من المعنى الجائز الذي ورد، وأكثر ما جاء في القرآن بل كل ما جاء في القرآن أن المعرفة أضيفت لمن يُذم وليس لمن يمدح كما قال جل وعلا : ﴿ **يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها** ﴾ وكما قال جل وعلا : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ ونحو ذلك من الآيات وهذا سبق بيانه .

فإذاً قوله (وصافي المعرفة) يعني وصافي العلم، فالعلم الصافي لا يؤتاه إلا من سلم، وهذا أمر عجيب؛ لأن العلم الشرعي وخاصة التوحيد يؤتاه العبد بشيئين سلوكيين وهما من أعمال القلوب.

الأمر الأول: ألا يعترض فإذا اعترض حجب.

والأمر الثاني: أن يعمل فإذا تعلم الإخلاص عمل به تفتح به من أبواب الإيمان والعلم بالإيمان والإخلاص ما لم يفتح للآخرين، بل المرء نفسه يجد في حاله في تارات من حياته أو في تارات من طلبه للعلم مرة يفتح له لإخلاص كان عنده وصدق وعمل صالح كان عنده ومرات يحجب عنه كثير من أنواع الإخلاص وأنواع العلوم القلبية والأعمال القلبية فهذان الأمران مهمان:

الأول: عدم الاعتراض، والثاني العمل بمفردات التوحيد ومفردات الإخلاص. فصفاء العلم يكون بهذين الشيئين حتى الأمور العملية، أمور الصلاة، الأحكام الفقهية من العبادات والمعاملات وغير ذلك، إذا علمت شيئاً

فسلمت للدليل، فسلمت لكلام أهل العلم فيه فعملت بذلك أورثك الله عز وجل ثباتاً في هذا العلم الذي علمته وفهماً لما لم تعلم كما قال بعض السلف من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وقد قال جل وعلا في سورة النساء: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً** ﴾ لكان خيراً لهم إذا فعل المرء ما يوعظ به يعني في القرآن، والسنة أن تعمل ما وعظت به واشد تثبيتاً للإيمان وللعلم، فلهذا عدم الاعتراض في أمور العقائد والتوحيد على النصوص يعطي العبد به نور يخلص توحيده وتصفى معرفته وعلمه ويصح إيمانه كما ذكر –رحمه الله – وكذلك في الأمور العملية إذا عمل بعد العلم وسَلَّم ولم يعترض فإنه يصفى من جهة العمل ويكون إيمانه وعمله داعياً له إلى العلم وإلى الازدياد من العمل نسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من أهل صحة الإيمان وصفاء العلم.

قال: (فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصدق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تائهاً، شاكاً زائغاً، لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً).

وهذا كثير في الذين عرضت لهم الشكوك وساروا معها ولم يقنعوا بما دلهم عليه الكتاب والسنة، فإنهم يبقون متشككين، حائرين ليسوا مؤمنين وليسوا كفار، تارة ينزع إلى هؤلاء بشكة وتارة يكون مع أهل الإيمان بتصديقه، وتارة يعرض له التكذيب وتارة يعرض له التصديق، وتارة يعرض له الإقرار وتارة يعرض له الإنكار، فليس في قلبه يقين الحق، ليس في قلبه علم لا شك فيه بل هو متردد بل هو ذو ريب وذو شك والله جل وعلا وصف المنافقين أنهم لا يزالون في ريبهم فقال سبحانه: ﴿ **فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾ .

وننبه إلى أن قوله فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والوسوسة وذلك هذه لها حالات، إذا عَرَضَتْ فلم يتكلم بها العبد وحَكّم العلم على قلبه فإن هذه الوسوسة دليل الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام لما سُئل فقيل له

إن أحدنا ليجد في نفسه أشياء لا يتجاسر أن يتكلم بها قال: ((أو قد وجدتم ذلك، فذلك صريح الإيمان)) يعني أن الشيطان إذا لم يتمكن من العبد إلا أن طرح في قلبه بعض الوساوس فهذا يدل على أنه لم يستطع عليه بل هو مؤمن وهذا دليل صريح الإيمان الذي في القلب لكن هذا في حق من؟ من تعرض له هذه الأشياء ثم ينفيها بالعلم فإن كل أحد لا يسلم من هذه العوارض التي تأت والشكوك أو الوساوس التي يلقيها الشيطان لكن صاحب العلم ينفيها ولا يستأنس لها، وأما الذي يستأنس لها ويسير معها ويبحث متشككاً حائراً كما ذكرنا ولم يستسلم فإن هذا هو الذي وصف لنا بقوله (فيتذبذب بين الكفر والإيمان) إلى آخره هذه المسائل فيما سيأتي هذه تأصيلية في مسائل التلقي والموقف من العقل والاستسلام للنص ووحدة مصدر التلقي وأن العقيدة مأخوذ بالاستسلام ونحو ذلك والمباحث العقدية يأتي بعد ذلك بقية ما أورده المصنف.

قال: (ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار الإسلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم). هذا سبق أن ذكرنا الرؤية رؤية الرب جل وعلا والمباح فيها والرد على أهل الزيغ فيها وتقرير مذهب أهل السنة والجماعة أهل الحديث في ذلك سبق أن ذكرنا ذلك بتفصيل. قال هنا: (لا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام) دار السلام التي هي الجنة: ﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾؛ لأن فيها السلامة بجميع أنواعها، السلامة في البدن، والسلامة في القلب والسلامة في الخواطر، حتى اللغو لا يسمعونه وحتى كما قال تعالى: ﴿ **لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً** ﴾ حتى ما يؤذي السمع فلا يُسمع وصرير الأشجار وحركة الأوراق ألحان في الجنة فكل ما فيها سلام وتحية أهلها سلام.

قال: (لا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم) يعني أن الإيمان بالرؤية فرض؛ لأن الله جل وعلا ذكره في كتابه وذكره

النبي ﷺ في سنته فهو عقيدة الإيمان بها فرض فمن تأول الرؤية فلا يصح إيمانه وهذا ليس للرؤية فحسب، ليس للرؤية وحدها، بل كل من تأول شيئاً من الغيبيات فلا يصح إيمانه به؛ لأن الإيمان بالأمور الغيبية إيمان بما دل عليه ظاهر اللفظ إيمان بما دل عليه ظاهر الصفة إذا كانت قاعدة السلف: أمروها كما جاءت لا يتجاوز القرآن والحديث، قال: (لا يصح الإيمان لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم)، اعتبرها بوهم، من تخيل شيئاً ما أو تأولها يعني سلط على نصوص الرؤية التأويل، قال في التعليل، (إذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم) يعني أن التأويل تأويل الرؤية وتأويل الصفات، الحق هو ترك التأويل وهذا يأتي بيانه في مباحث فتأويل الصفات هو ما تأول إليها حقائقها والعقل، والقلب لا يدرك الغيبيات فلذلك عدم إدراكه للغيبيات يدل على أنها على ظاهرها فقوله هنا: (لا يصح الإيمان) إلى آخره علله بقوله (إذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية) -يعني إلى الرب جل وعلا من الصفات جميعاً- تأويل ذلك (الحق ترك التأويل ولزوم التسليم عليه دين المسلمين)، وهذه الجملة من كلامه واضحة المعنى فيما ذكرت لك لكن ينبني عليها لفهم مراده مسائل.

المسألة الأولى: في معنى التأويل.

التأويل هو ما تؤول إليه الأشياء، آل الأمر إلى كذا، يعني صار إلى كذا، والتأويل هو إيصال الأشياء إلى نحو ما هذا في اللغة، تأويل الرؤيا ما تؤول إليه الرؤيا، تأويل الطاعة، ما تؤول إليه الطاعة ﴿ **ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ يعني وأحسن عاقبة، أحسن مآلاً فإذا كلمة تأويل هذه اسم مصدر آل الشيء يؤول إيالاً وتأويلاً فإياله نهايته تُسمى تأويله.

المسألة الثانية:

التأويل في استعمال العلم أو فيما جاء في الكتاب والسنة وفيما جرى عليه كلام العلماء ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: التأويل بمعنى التفسير، الكل يشترك في المعنى الأول اللغوي الذي ذكرت لك في المسألة الأولى، الأول التأويل بمعنى التفسير، تأويل كذا يعني تفسيره، هذا تأويل رؤياي يعني هذا تفسير رؤياي وعلى هذا قول العلماء في تفسير القرآن: قول أهل التأويل مثل ما يستعمل الحافظ أو الإمام ابن جرير في تفسيره ويكثر منه يقول قال: أهل التأويل يعني أهل التفسير تفسير القرآن.

الثاني: التأويل تأويل الأخبار وتأويل الأمر والنهي: تأويل الخبر ما يؤول إليه حقيقة الخبر، يعني أنه إذا ذكر شيء لك فأخبرت به فتأويله حينما تراه كما قال جل وعلا ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ** ﴾ يعني تأويل ما ذكر الله في سورة الأعراف من خبر يوم القيامة والجنة والنار: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ..** ﴾ إلى آخر الآية ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ** ﴾ يعني ما يؤول إليه حقيقة الخبر وهو ما سيراه الناس فتأويل كل خبر في الأمور الغيبية هو حقيقته التي هي عليه فتأويل الجنة حقيقة الجنة، تأويل النار حقيقة النار، فهذه الأخبار التي أخبر الله جل وعلا بها من الغيبيات تأويلها هي حقائقها في الأمور الغيبية ولهذا قال جل وعلا: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ على من وقف عند لفظ الجلالة في أن أحد لا يعلم التأويل إلا الله يعني تأويل المتشابه بعني بهذا التأويل ما يؤول إليه حقائق هذه الأشياء يعني ما هي عليه، وهذا لا يعلمها إلا الله لا يعلم حقيقة الصفات إلا الله لا يعلم حقيقة الجنة إلا الله لا يعلم حقيقة النار إلا الله، لا يعلم حقيقة يوم القيامة إلا الله، لا يعلم حقيقة ما في السماء إلا الله، لا يعلم حقيقة الصراط وأحوال البرزخ إلا الله جل وعلا، فهذه الحقائق لا يعلمها إلا الله لكن المسلم يعلم المعاني في

الأمور الغيبية أخبرنا في الأمور الغيبية بأشياء لها معنى فنعتقدها، وأما حقيقة ما هي عليه بكمالها من جهة المعنى والكيفية هذه لا يعلمها إلا الرب جل وعلا ولهذا صح عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: "ليس في الجنة من دنياكم إلا الأسماء" يعني أنك تعرف أصل المعنى أما الحقائق فالمسألة ليست في مقدور الناس أن يفهموا حقيقة ما في الجنة، حقائق الأخبار إذاً حقيقة الخبر من جهة تمام المعنى ومن جهة كيفية الأمور الغيبية هذه لا يعلمها إلا الله، فيكون الوقف عند الآية ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ والراسخون في العلم لا يعلمون تأويل الأخبار بمعنى حقائق الغيبيات على ما هي عليه من جهة الكيفية ومن جهة تمام المعنى، أما الأمر والنهي فالله جل وعلا أمر بأوامر ونهى عن نواهي، فتأويل الأمر امتثاله وتأويل النهي الانتهاء به عنه؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ يعني وأحسن امتثالاً لأمر الله جل وعلا وأحسن عاقبة.

فإذاً كل من أُمر بأمر فتأويل الأمر يعني ما تؤول إليه حقيقة الأمر هو أن يمتثله فمن لم يمتثل فلم يستسلم للأمر ولم يطع في ذلك، تأويل النهي هو ما تؤول إليه حقيقة النهي وهو اجتنابه ثم يزيد على الأمرين جزاء الامتثال في الأوامر أو جزاء الانتهاء عما نهي عنه في النواهي.

فإذاً التأويل في الأمر وانهي يشمل شيئين يشمل أن يمتثل الأمر يجتنب النهي ويشمل ما سيراه في العاقبة من جزاء الأمر وما امتثله ومجازاة العبد على انتهائه عما نُهي عنه.

الثالث: التأويل بمعنى حادث لم يأت في القرآن ولا في السنة، أما الأولان فقد جاءا لكنه صحيح إذا كان بضابطه الذي ضبطه به أهل العلم وهو

أن يصرف دليل عن ظاهره لحجة وعبر عنه الأصوليون بقولهم هو: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لقرينة وهذا للأصوليين فيه تفصيلات حيث أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام لكن هذا المعنى من التأويل صحيح يعني أن في النصوص ربما صرف اللفظ إلى غيره صرفت دلالة الدليل إلى آخر لدليل آخر لقرينة.

الشريط الثالث عشر . وجه (ب) :

المسألة الثالثة: هذا التأويل الأخير هو الذي به تسلّط على النصوص، وأولوها بالتأويلات فنصوص الرؤية حرفوها وسموا تحريفهم تأويلاً، ونصوص إثبات الصفات من الوجه واليدين والرحمة والرضا، الصفات الذاتية والصفات الفعلية جميعاً حرفوها وسموا تحريفهم لها تأويلاً.

وهذا هو الذي أراده الطحاوي بقوله: (إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم؛ لأن تأويلهم له كان باطلاً وحقيقة التأويل أن يترك التأويل) يعني التأويل المطلوب شرعاً أن يترك التأويل وهذا يحتاج إلى تطبيق فالتعريف عرفه الأصوليون كما ذكرت لك التأويل صرف اللفظ (يعني الذي جاء بالدليل) صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لقرينه، هنا القرينة لا بد أن تدل على أن الظاهر غير مراد حتى يمكن أن يصرف اللفظ عن ظاهره لأن الظاهر هو الأصل فإذا أردنا أن نؤول الظاهر فلا بد من قرينة، هذه القرينة هي التي بها قلنا الظاهر غير مراد. فأتوا بهذه القرية وسلّطوها على نصوص الصفات، فقالوا هنا الأمور الغيبية هذه مثلاً خذ الرؤيا، والرؤيا ظاهرها يقتضي التجسيم يقتضي التحيز، يقتضي التشبيه، رؤية الرب جل وعلا يعني أنه يكون متحيزاً حتى يمكن أنّ الناس يروه، لابد أن يكون في جهة حتى يمكن أن الناس يروه، لابد أن يكون في مقابلة العينين حتى أن العينين تراه، وهكذا، فلما كانت هذه

القرينة العقلية عندهم وهي أن الله جل وعلا لا يشبه المخلوق، ولا يماثل المخلوق قالوا: إذاً الرؤية تؤول؛ لأن معناها الظاهر غير مراد قطعاً ؛ لأن فيه تمثيلاً وتشبيهاً لله بخلقه. وهذا ينطبق على جميع الصفات فيمكن أن تطبع هذه القاعدة على كل ما أول من النصوص في الصفات والأمور الغيبية سواء كان في الصفات الذاتية أو الفعلية.

ونناقش هؤلاء وأنا أريد منكم أن تتابعوا معي لأن كل كلمة مهمة لبناء ما بعدها عليها، هؤلاء جاءوا بشيء سموه قرينة فحكموه على النص، فسموا هذا الذي فعلوه تأويلاً ونحن بقاعدة الأصوليين بتعريف الأصوليين نناقشهم هل طبقتم التأويل حقاً؟ أم أنكم عملتم شيئاً سميتموه تأويلاً؟

القاعدة ما عليها غبار، القاعدة صحيحة، نقول هنا صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لقرينه، أن يصرف عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره، لأبد أن يكون الظاهر الذي صرف عنه لا بد أن يكون معلوم المعنى حتى نصرفه إلى غيره، ونقول هذا الظاهر الأول غير مراد؛ لأنه لا يصلح حتى يمكن أن نصرفه وهذا في التقعيد واضح.

صفات الرب جل وعلا في ظاهرها المتبادر منها، ظاهر المعنى وأصل المعنى أيضاً وليس ظاهراً في الكيفية وليس ظاهراً في كل المعنى، إذاً فعندنا في النص ثلاثة أشياء.

عندنا أصل المعنى الذي نفهم به، نفهمه من اللغة، وعندنا كمال المعنى، كمال الصفة، كمال معنى الصفة وعندنا ثالثاً الكيفية، فإذاً ظاهر النص مشتمل على أصل المعنى يعني على إثبات الصفة من حيث الوجود.

صفة الرحمة (الرحمن الرحيم) هذا فيه إثبات لصفة الرحمة لكن ما هو كمال معنى الرحمة ليس واضحاً في النص، إذ النصوص فيها أصل إثبات الصفة فإن صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى غيره لقرينة، هم صرفوا،

لم يصرفوا الظاهر وإنما صرفوا شيئاً توهموه، زيادة على الظاهر، فالظاهر يجب الإيمان به والاستسلام له، فهم توهموا للظاهر شيء زائد على دلالة النص توهموا تمام المعنى، وتوهموا كيفيته.

فإذاً لم يقتصروا على الأمر الأول، وهو أن النص جاء في الصفات، وفي الأمور الغيبية لأصل المعنى وإنما توهموا كيفية فقالوا صفات الله جل وعلا، كيف أن الإنسان يرى بعينيه معناه أن الله جل وعلا يكون متحيز وسوف يكون في جهة وسوف يكون إلى آخره من الأمور الباطلة ونقول هذه زائدة على النص.

فإذاً التأويل الذي سلط على النص في الحقيقة سلط على ما في الأوهام ولم يسلط على النص، فإنكم تخيلتم أن النص يشمل الثلاث هذه جميعاً في المعنى، في أصل المعنى وفي تمامه وفي الكيفية ثم سلطتم التأويل عليه، فسلطتم التأويل ليس على اللفظ، وإنما على ما توهمتموه من اللفظ.

فإذاً قاعدة التأويل في الحقيقة لم تطبقوها وإنما طبقتم ما في أذهانكم، لهذا نقول: إثبات الصفة إثبات وجود بمعنى وليس إثبات تمام المعنى أو الكيفية، فالقرينة التي بها تسلطوا على النص هي قرينة المماثلة أو المشابهة كل ما هذا يقول هذا يقتضي التمثيل هذا يقتضي التشبيه، يقتضي التجسيم فلذلك يؤول، فالقرينة عندهم عقلية بحتة وليست نصاً، القرينة عقلية في أن هذه الأشياء ظاهرها يماثل صفات المخلوقين يشابه صفات المخلوقين فلذلك يجب أن ننفي هذا الظاهر، وهذا في الحقيقة ليس هو ظاهر النص، ظاهر النص ليس فيه الكيفية، ظاهر النص ليس في كمال المعنى، وإنما ظاهر النص الذي يجب الإيمان به أن فيه أصل اتصاف الله جل وعلا بالصفة، فنؤمن بأن الله جل ذو وجه جل وعلا وأنه سبحانه متصف بصفة السمع، لكن

كيف يسمع؟ يسمع دبيب النملة على ظهر الصفا الملساء كيف حصل هذا السمع؟

تمام معنى السمع ما نستطيع ندخل فيه وإنما نقول الله جل وعلا موصوف بصفة السمع، وله من هذه الصفة كمالها كمال هذه الصفة، الكمال المطلق، لكن هل نستطع أن نخوض في تفصيلاته، هذا الكمال إلى أي حد لا نستطيع، كذلك صفة الوجه، صفة اليدين إلى غير ذلك من الصفات.

فإذاً هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، إثبات اتصاف بالصفة، لا إثبات كيفية. فإذاً الذين سلطوا القرينة سلطوها بشيء متوهم لهذا لا يصح أن يُقال إنهم طبقوا قاعدة التأويل بل هم حرفوا لأنهم جعلوا للنص دلالة بأوهامهم خلاف دلالة النص، ثم بعد ذلك سلطوا عليها التأويل، لهذا قال طائفة من أهل العلم، كل مؤول ممثل كل مؤول مشبه لأنه لا يمكن أن يؤول إلا وقد قام في قلبه من دلالة النص أو التشبيه أو التمثيل هذا واحد.

الأمر الثاني: نقول لهم إذا لم تسلموا بذلك وقلتم أن تأويلنا كان لأصل المعنى وليس لما قام في أذهاننا وفي أوهامنا فنقول يلزم من ذلك أن تؤولوا صفة السمع يلزم من ذلك أن تؤولوا صف البصر يلزم من ذلك أن تؤولوا صفة الكلام فما الفرق بين صفة الكلام لله جل وعلا وصفة السمع والإرادة والحياة وصفة الرحمة؟ ما الفرق بينها ما الفرق بين هذه الصفات وصفة اليدين؟.

فإذاً السمع للمخلوق سمع فالمشابهة حاصلة بحسب أفهامنا فالنص الذي به أثبتم صفة السمع والبصر وصفة الكلام هو النص الذي به أثبتت سائر الصفات، فلِمَ لمْ تتعرضوا لهذا بتأويل وتعرضتم للآخر بتأويل؟ إن كان الآخر أخذتم كما قلتم أصل المعنى فأولتم، فهذه أنتم أخذتم أصل المعنى فيلزمكم التأويل.

إذاً فالحاصل من هذا أن كل مؤول لا يصح أن يقال إنه مؤول بل هو محرف؛ لأن التأويل لا ينطبق على قاعدته، لا ينطبق على هذا الحال فالنصوص الغيبية بابها باب واحد تطبيق القاعدة الأصولية التي هي التأويل لا يصح على هذه المسائل، المسائل الغيبية لما ذكرته لك إذاً قول الطحاوي هنا دقيق للغاية وتنبه لقوله قال: (إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل).

التأويل: إذا أردت أن تطبق قاعدة التأويل فستخرج منها وستستنتج منها أن التأويل ترك التأويل كيف؟

إذا قلنا أن القرينة غير ممكنة؛ لأن المعنى هذا غيبي فإذاً سينتج منه أن القاعدة

غير منطبقة فإذاً التأويل سيؤديك إلى ترك التأويل؛ لأن القاعدة غير جائية وسارية في مسائل الغيبيات، وهذه كلمة دقيقة منه –رحمه الله تعالى– (إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل) ولزوم التسليم؛ لأنك لو طبقت قاعدة التأويل نتج منها ترك التأويل، التأويل يعني أن تترك التأويل.

المسألة الرابعة:

مثل التأويل في تسليطه على نصوص الغيبيات ما يسمى بالمجاز، والتأويل والمجاز يستخدمان في مباحث الصفات والأمور الغيبية بعامة يستخدمها أهل البدع الذين لم يسلموا للنصوص دلالتها.

المجاز لم يأت هذا اللفظ لا في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة ولا في كلام التابعين، ولا في كلام تابعي التابعين يعني انقضت القرون الثلاثة المفضلة ولم يستعمل هذا اللفظ، فلفظه حادث والألفاظ الحادثة بحسب الاصطلاح، إن كان هذا المصطلح استخدم في شيء سليم، في شيء

مقبول شرعاً فلا بأس به إذ لا مشاحة في الاصطلاح مثل ما قالوا التأويل هو كذا وكذا فعرفوه ومثل ما تعارفوا على أشياء كثيرة في العلوم.

ولهذا استعمل لفظ المجاز بعض العلماء في معاني صحيحة فكتب أوعبيدة معمر ابن مثنى كتاباً سماه مجاز القرآن وتجد في ألفاظ ابن قتيبة أيضاً تجد ذكراً للمجاز المجاز العام يعني المجاز المقبول وله هو نظر في المجاز لا نعرض له الآن.

إذاً هذا تاريخ اللفظة إن اللفظة حادثة ما كانت مستعملة، ماذا يقصد باللفظة (مجاز) من حيث اللغة.

المجاز يعني ما يجوز في اللغة ولهذا قال أبوعبيدة معمر ابن مثنى في كتابه مجاز القرآن: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ ﴿ **فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ** ﴾ قال مجازه على على العرش، وهذا يعني أن هذا معناه في اللغة يعني ما تجيزه اللغة يعني هذا مجاز اللفظ في اللغة وما أجازته العرب من المعنى.

إذا نظرت لذلك وجدت أن استعمال من استعمل لفظ المجاز غير استعمال المحرفين.

لهذا نقول المجاز عند أهل التحريف، عرفوه بما يلي:

قالوا: المجاز هو نقل اللفظ من الوضع الأول إلى وضع ثان لعلاقة بينهما وعرفه آخرون بقولهم: المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له مثاله عندهم يقول مثلا: ألقى فلان عليّ جناحه – فمجاز الجناح هنا قالوا الجناح يعني كنفه ورعايته ويده إلى آخره. قالوا أصل الجناح للطائر جناح الطائر فلما استعمل في الإنسان صار استعمال اللفظ في غير ما وضع له. لهذا سموه مجازاً.

إذا تبين لك ذلك فنقول:

أولا: قولهم في التعريف في تعريف المجاز: المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له مبني على أن الألفاظ موضوعة لمعاني ومن الذي وضع اللفظ للمعنى يقولون: العرب وضعت.

التعريف الأول: وهو المشهور عند الأصوليين: المجاز نقل اللفظ من الوضع الأول إلى وضع ثان. يعني أن العرب وضعت للألفاظ شيئاً ثم نقلته من الوضع الأولى إلى الوضع الثاني، هذا التصور مبني على خيال في أصله وهو أنه يطالب من عبر بهذا التعبير أن يقال له: من الذي وضع الوضع الأول، أولاً في التعريف لهذا لا تدخل مع الذين يبحثون في المجاز أصلاً يعني في الغيبيات أما في الأمور الأدبية هذا الأمر سهل يعني خلاف أدبي سهل، لكن إذا أتى المجاز في الأمور الغيبية والصفات فناقشه بالتعريف الآن التعريف ما هو تعريف المجاز؟ استعمال اللفظ في غير ما وضع له، نقل اللفظ من الوضع الأول للوضع الثاني. هذا الوضع الأول والوضع الثاني، كيف عرفنا أن هذا هو الوضع الأول؟

الجواب: لا سبيل إلى جواب. ليس ثم أحد يمكن أن يقول هذا اللفظ وضع لكذا إذ معنى ذلك أن العرب اتفقت عقدت مؤتمراً اجتمعت جميعاً وقالت الآن نحدد لغتنا في الوضع الأول، هذا السقف، السماء وضعها الأول ما علا، الأرض هي هذه هذا الوضع الأول الشيء جرى مشى معناه كذا جناح هو لهذا الطائر حمام هو لهذا الطائر وهكذا فيتصور من التعريف أن العرب اجتمعت وجعلت لكل لفظ معنى في لغتها، وهذا خيال؛ لأن من عرف ودرس نشأة اللغات لا يمكن أن يتصور أن اللغة العربية نشأت على هذا النحو.

لهذا نقول أولاً: التعريف غير صحيح؛ لأن الوضع الأول يحتاج في إثبات أنه وضع أول إلى برهان أثبت لي أن هذا هو الوضع الأول ولا بأس لكن لا سبيل إلى الإثبات.

لهذا نقول: إن المعاني في اللغة العربية المعاني، كثير منها كلية وكلما ذهبت إلى المعنى الكلي كلما كنت أحذق وأفهم اللغة، وهذا ما جرى عليه العالم المحقق ابن فارس في مقاييس اللغة كتاب سماه (معجم مقاييس اللغة) جعل الكلمات لها معانٍ كلية ثم تندرج التعريفات تحت المعنى الكلي وليس وضعاً أول ثم وضعاً ثانياً وهذا حقيقة وهذا مجاز، ليس كذلك.

إذا تبين ذلك فنقول: لفظ التأويل ولفظ المجاز يستعملان كثيراً التأويل يقابله الظاهر، أو الظاهر يقابله التأويل، والحقيقة يقابلها المجاز، فيقال هذا حقيقة وهذا مجاز، وهذا ظاهر وهذا تأويل ولا يقال في التأويل مجاز والمجاز تأويل لا التأويل يختلف عن المجاز كما ذكرته لكم مراراً.

المجاز كتطبيق لأجل أن تفهم كيف يطبقون المجاز على قاعدتهم وكيف إن هذا الكلام الذي طبقوه غير جيد غير صحيح، يقولون مثلاً: الرحمة مجاز عن الإنعام، يعني أن لفظ الرحمة وضعته العرب للمخلوق للإنسان فلما استعمل في صفات الرب جل وعلا نقلوه من الوضع الأول إلى وضع ثان وهو الإنعام؛ لأن العرب استعملت الرحمة بمعنى الإنعام فإذاً الرحمة تشمل رحمة الأم بولدها، ورحمة الوالد بوالده، ورحمة الإنسان بمن يتعرض لشيء أمامه من المكروهات وتشمل الإنعام رحمة يعني أنعم عليه قالوا: الإنعام هذا وضع ثانٍ، والرحمة التي يجدها الإنسان في نفسه هذا الوضع الأول ففي صفات الرب جل وعلا لا تقول أنه متصف بالرحمة لِمَ؟ قالوا؛ لأن الرحمة لا تحصل إلا بضعف إلا بانكسار وهذا منزه عنه الرب جل جلاله فإذاً نقلوه من الوضع الأول إلى وضع ثان لعلاقة العلاقة بينهما هي مناسبة هذا بالله جل

وعلا، يعني الإنعام مناسب في هذا وفي هذا، العلاقات عندهم في المجاز نحو ثلاثين علاقة وألفت فيها كتب يعني من باب الذكر وليست مهمة.

عندكم الرحمة بمعنى الإنعام، الرحمة حينما فسرتموها قلتم الوضع الأول في الإنسان لماذا؟ الرحمة هذا اللفظ وجد مع الإنسان أليس كذلك؟ أحس بهذا الشيء الذي في نفسه وهذا الشيء سمي رحمة فهل هذه الرحمة حين وضع لها هذا المعنى هي في لغة العرب أو هي في اللغات جميعاً الجواب أنها في لغة العرب يعني من حيث لفظ رحمة وأما المعنى المشترك لهذه الصفة فهذا عام في جميع اللغات يعني موجود في كل لغة ما يدل عليه اللغة هل تضع الأشياء محدودة أو كلية؟ اللغة المفروض فيها أنها تجعل الألفاظ للمعاني الكلية لا للمعاني المحدودة فتأتي للرحمة فنقول: الإنسان عنده هذه الرحمة وجد هذه الصفة في نفسه فسماها رحمة لكن لا يوجد تعريف في أي كتاب من كتب اللغة للرحمة بتعريف جامع مانع محدود كذلك الرأفة، كذلك الوُد كذلك المحبة ونحو ذلك، فالمعاني النفسية هذه الموجودة في داخل نفس الإنسان هذه لا يوجد تعريف محدد لها حتى في كتب اللغة.

إذاً فهي ليست موضوعة لما يحسه الإنسان وهي إذاً موضوعة لمعان كلية تشمل هذه الصفة، هذا الشيء ولهذا نجد أن كل الصفات المعنوية لا يمكن تعريفها فلو أتاك أحد وقل عرف هذه الرحمة التي في قلبك لا يُحْسن حتى هؤلاء الذي يحكمون بالمجاز والتأويل لا يحسنون أن يعرفوا الرحمة بشي جامع مانع.

أعطني الرحمة التي في الإنسان التي لا يمكن أن ننقلها إلى غيره هات الرحمة بتعريف جامع؟ فيفسر الرحمة بأثر الرحمة فيفسر الرأفة بأثر الرأفة، فيفسر المحبة بأثر المحبة لكن كل إنسان في أي لغة إذا طرق سمعه الرحمة هو يعرف مدلول الرحمة بما يجده في نفسه إذاً فالمعاني النفسية التي

هي ليست ذوات هذه كليات والكليات ليست مفردات، الكليات للجميع فإذاً جعل الكلية اللغوية مفرداً في حال الإنسان وجعل هذه المفردة وضعاً أول هذا لا شك أنه ليس له دليل في اللغة وليس له أيضاً برهان وهو تحكم، فإذاً لكل شيء يناسبه إذا قلت للعرب رحمة الطير الطير حينما رحم، هل كانت الرحمة في الإنسان واستعار للطير الرحمة يعني جعلها في الطير مجازاً الجواب لا يقول لا. الطير فيه رحمة، هذا المعنى الكلي بين الطير والإنسان هل كان في الوضع الأول خاصاً بالإنسان ثم عُدّى؟ أو كان للجميع فإن قال للإنسان وحده فإنه لن يقوله لأنه لن يُسلم له، وإن قال للإنسان والطير وللحيوان فيما يرحم قيل له فإذاً العرب وضعت هذا اللفظ بالوضع الأول للجميع لهذين فقط أو وضعت كلية فطبقت على الإنسان والحيوان وعلى الطير فمؤدى الأمر أن هذه الكلمات مبنية على برهانين.

البرهان الأول: معرفة نشأة اللغات وإن الوضع الأول للأشياء في الإنسان أو في الطير فقط إن هذا غير جار؛ لأنه لا يتصور لأنه خيال إن العرب اجتمعت فوضعت هذه الأشياء على هذا النحو.

البرهان الثاني: أن يقال المعاني الكلية المشتركة هذه لها تعريف عام لغوي، وإذا كان لها تعريف عام فوجودها في الإنسان تمثيل ووجودها في الطير تمثيل ووجودها في الأم من الحيوان لولدها تمثيل، وهكذا فإذاً القضية الكلية أو التعريف الكلي لا يُسلط عليه المجاز بالأمثلة.

هذه القضية كبيرة لا شك ولابد منكم لمن أراد التحقيق في أمور العقيدة، وفي أمور اللغة أن ينتبه إلى هذه المسألة وهي نشأة اللغات كيف نشأت اللغات؟ كيف نشأة اللغة العربية؟ اللغة العربية أتى العرب موجودون فكانت أمامهم لغة؟ لا. الأسماء عُلمها آدم ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ هذه الأسماء هل كانت باللغة العربية؟ لا كانت بلغة ثم بعد ذلك تداخل أولاد آدم

تنوعت لغاتهم، اكتسبوا أشياء من الأصوات، اكتسبوا أشياء من الرؤية، كلمة كانت بسبب الصوت مثل مثلاً كلمة جرّ، جرّ هذه مثلاً أنت لو حملت معك جذع شجرة تحتاجه في إيقاد النار تأتي به من مكان بعيد عن المكان الذي تطبخ فيه تسمع صوت في الأرض بهذه الكلمة (جرر) مثل كلمة (خرير) خرير الماء هذا الصوت، الصوت دل عليه مثل كلمة مثلاً وسوسة الصوت هذه الوسوسة هذه مأخوذة بالسمع إذاً هناك اللغة تشكلت من أشياء فالوضع الأول الذي اعتمد عليه بالمجاز من درس نشأة اللغات يقول: الوضع الأول البرهان عليه ممتنع وأنا أريد الحقيقة من باب طلب الحق أن يأتي باحث ممن يبحث في اللغة ويثبت لي هذا الوضع الأول كيف جاء؟ كيف تواضعت العرب على أن الكلمة بهذا المعنى؟ مع الإنسان أو في الحيوان إلى آخره.

خذ مثلاً كلمة جناح، جناح في اللغة فيها دلالة على الميل ميل واستطالة في الميل يعني مال وثم زيادة واستطالة في الميل ليس ميلاً خفيفاً لكن فيه استطالة لهذا قال: ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** ﴾ ﴿ **فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ** ﴾ يعني لا إثم عليكم؛ لأن الإثم ميل واستطالة إذاً فتسمية جناح الطائر بجناح هل هو لأنهم أطلقوا على هذا الجزء يعني فصصوا الطائر قسموا لأجزاء وقالوا هذا تسمية جناح أو هو لمعنى كلي موجود قبل وجوده في هذا الجزء من الطائر فسموه به؟ هم عندهم الميل رأوا أن جناح الطائر في استطالة وميل يمتد يستطيل ويميل إلى آخره نفسه الجناح، لكن الجسم ثابت جسم الطائر ثابت لكن هذا الذي يذهب ويجيء هذا الجناح، فسموا هذا الجناح بهذا الاسم.

أما في الإنسان فإن فيه أيضاً شيء يميل وهو اليد تميل فإذاً اليد أيضاً جناح فلذلك قول الله جل وعلا: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ كما قال المفسرون اخفض لهما جناحك الذليل ليست استعارة وليست مجازاً

وإنما اليد جناح؛ لأنها مائلة وهي تذهب وتجيء ولهذا قال جل وعلا في قصة موسى -عليه السلام-: ﴿ **وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ** ﴾ الجناح ما هو اليد ليست استعارة لأن المعنى الكلي، فهذه مسائل تطول يعن العنق سمي عنق هكذا أم ثم معاني نشأة منها اللغات وتوسعت لها نقول: اللغة كلية كليات جاءت أمثلة عليها تطبيقات في الواقع قواعد عامة لهذا من عرف أقيسة اللغة فهم حقيقتها أما وجود وضع أول يبنى عليه المجاز فهذا غير ممكن.

قال -رحمه الله تعالى- بعد ما ذكر: (ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه" هذا رد على الطائفتين، طائفة المؤولة المحرفة، وطائفة المجسمة، المجسمة شبهوا والمحرفة أو المؤولة نفوا، فهؤلاء نفوا الصفات والمجسمة مثلوا فمن كان ممثلاً أو محرفاً فقد زل ولم يصب التنزيه ولهذا نقول إن قوله: (ومن لم يتوق النفي والتشبيه) إن هذا تحذير حتى للموحد لا يخطر ببالك أن الله جل وعلا في صفته ثم مشابهة بين صفته وصفة الخلق فكل ما خطر ببالك فالله جل وعلا بخلافه، لا من جهة كمال الصفة، ولا من جهة الكيفية وإنما نثبت كمال الصفة، الكمال المطلق لكن كيف هذا الكمال، حدود هذا الكمال، لا نستطيع ذلك.

نقف عند هذا ونكمل الدرس القادم ، أسأل الله جل وعلا أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وأن يزيدني وإياكم من الهدى والسداد ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

الأسئلة التي بعد الدرس يا حبذا لو كانت في الدرس ولم تكن في موضوعات أخرى .

الأسئلة :

سؤال : لو ذكرتم كتباً تكفي طالب اللغة تتحدث عن نشأة اللغات؟

الجواب: نشأة اللغات فيها كتب كثيرة ليست سليمة، لم أر كتاباً سليماً في جملة تفاصيله؛ لأنه لا يخلو كل باحث من خلفيات عنده ومقررات سابقة تسيطر عليه في بحثه ذاك، لكن من أحسنها أو مما يُطلعك على ذلك كتابة اسمه (مولد اللغة) للشيخ مصطفى الغلاييني، ثم كتب أخرى.

سؤال : أول درس لي في العقيدة هو هذا الدرس الطحاوية ولم أدرس الواسطية وغيرها فبماذا تنصحني؟

الجواب: إذا كان هذا أول درس فصعب لأنني راعيت في هذا الشرح من انتقل معنا من الواسطية إلى الطحاوية لذلك يذكر أشياء فيها مباحث لم تذكر فيما قبل لا نكرر المعلومات تماماً وإنما نزيد في بعض المسائل. فأنا أوصي الأخ هذا أول درس له أن يبتدئ مع أحد من أهل العلم بكتاب لمعة الاعتقاد وينتقل منه إلى الواسطية م بعد ذلك ينتقل إلى شرح الطحاوية.

سؤال : هل اللغات توقيفية أم اصطلاحية؟

الجواب: هذا سُؤال سأله الشيخ حفظه الله تعالى في حوار بينه وبين أحد تلامذته ورّدّ حفظه الله تعالى قائلاً: تولدت اللغة من أخرى ، هل ثم مرة حصل مواطأة ؟ أنت ستصل بك المسألة إلى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ ثم تقف ، ولهذا العلماء اختلفوا هل اللغات توقيفية أو اصطلاحية ؟

فيها عدة أقوال والصحيح أن الأسماء المطلقة توقيفية الأسماء اللغوية بدون أن نقول بلغة فلان بلغة العرب أو باللغة السريانية وهكذا، الأسماء مطلقاً توقيفية لقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ أما بعد ذلك التداخل والتوسع فيما يوجد برهان واضح.

واللغة تنمو وإذا كان المعنى الكلي موجود فكل ما يذكر مثال؛ لأن المعنى الكلي يختلف باختلاف الإضافة مثلاً عندك السمع، السمع كلمه عامة السمع معروف لو أردت أن تُعبر عن السمع تقول إدراك المسموعات واضح وأيضاً فيه إشكال، لأنك رجعت بتعريف السمع إلى المسموع واضح؟ والمسموع رجعنا بالمسموع إلى السمع صار فيه دور ولذلك لا يصح تعريفاً على طريقة المناطقة وإنما هو تقريب.

إذا قلنا السمع هو إدراك المسموعات، سمع الإنسان يصح أن يُطلق عليه سمع، سمع البعوضة يصح أن يُطلق عليه سمع، الإنسان في سمعه تلحظ فيه أذن وفيه صماخ وفيه الغضاريف الزائدة هذه التي يجتمع فيها تتلقى، وهذا وسيلة حصول السمع لكن البعوضة ما فيها شيء عندها سمع، إذاً فالكلية الحاصلة وهو إدراك المسموع موجود لكن تمام المعنى بالنسبة للإنسان يناسب ذاته، الكيفية مختلفة، ما يناسب البعوضة أو الذبابة من السمع يناسبها بقدرها، آلة السمع عندها مختلفة عن آلة السمع عندنا، البصر في بعض الحيوانات تبصر بأي شيء بالذبذبات يعني بإرسال أصوات يعني عندها إحساس آخر وتقول أنها تبصر لأنها تدرك المبصرات إذا جاءت إلى الشيء مالت عنه وهي ليس لها ما تبصر لكن كيف إذاً كيف الاتصاف بالصفة، كيفية الاتصاف بالصفة هذا لا يجوز أن يُجعل حكماً على المعنى الكلي، فالمعنى الكلي ما يشمل هذه الصفات المشتركة بين الكائنات، بل المعاني المشتركة العامة فهي تأتي في الإنسان تطبيقاً، ويطبقها الإنسان على نفسه يطبقها على الحيوان يطبقها بالزائد بالناقص وإنما تختلف من حيث كمال المعنى ومن حيث الكيفية ومن حيث ما مثلت لك ولهذا قال طائفة من أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ إن الله جل وعلا نبه على السمع والبصر في هذا لأجل اشتراكه بين كل الكائنات الحية

الكائنات الحية التي لها سمع ولها بصر ومع ذلك أثبته لنفسه مع قاعدة ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾؛ لأنه موجود ووصف الله به نفسه فمعنى ذلك أنه إثبات صفة لا إثبات مشابهة أو كيفية.

سؤال : هل يصح إطلاق لفظ العارف أو قاضي القضاة على العالم؟

الجواب : أما لفظ العارف فلا بأس به استعمله أئمتنا في بعض كلامهم قال بعض العارفين، قال فلان العارف بالله، على قلة والأحسن أن يترك، وأما لفظ قاضي القضاة فهو محرم لأن قاضي القضاة هو الرب جل جلاله.

سؤال : ما رأيكم فيمن قال ليس لله مكان؟

الجواب : هذا باطل فالمكان لا يطلق ولا ينفي؛ لأنه ما جاء في الكتاب ولا في السنة وإنما نقول الله جل وعلا مستوٍ على عرشه كما وصف به نفسه. هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

الشريط الرابع عشر . وجه (أ) ١٤١٨/٧/٢٩ هـ

سؤال : ما معنى هذه العبارة: لا يستعمل في العلم الإلهي قياس تمثيلي أو شمولي وإنما يستعمل قياس الأولى؟

الجواب: هذه الأقيسة الثلاث مستعملة عند المناطقة: قياس التمثيل وقياس الشمول وقياس الأولى، والتمثيل والشمول يقتضي الاشتراك في الجنس؛ لأن المثال هو أحد أفراد الجنس، أما القياس الذي يصح أن يطبق في صفات الله جل وعلا وفيما يليق به جل جلاله فهو قياس الأولى يعني أن يقال: كل كمال في المخلوق نوع كمال يناسبه فالله جل وعلا له الكمال المطلق، مثاله: المخلوق، الغنى كمال في حقه يعني عند الناس وكذلك سلامته في حكمته وإدراكه وهذا كمال في حقه، كذلك قدرته كمال في حقه، كذلك سمعه وبصره وسلامة آلاته، هذا كمال في حقه وهكذا، فهذه الصفات التي في المخلوق،

التي تكون فيه كمال فهي تثبت لله جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا أولى بالكمال وأولى بنفي النقص عنه جلال جلاله.

ومن الأمثلة التي تشكل على بعض الناس في هذا الباب هو أن يقال إن الله جل وعلا نفى عنه الولادة فقال ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾ فليس له ولد؛ لأنه غير محتاج إليه والمخلوق الولد في حقه كمال إذ العقيم ليس بكامل عند الناس وهذا ليس متجهاً ولا معارضاً للقاعدة؛ لأن المخلوق صار الولد في حقه كمالاً لحاجته إليه فهو يستكثر بالولد ويستقوى به لحاجته إليه؛ لأنه قد ينتفع منه بأنواع الانتفاع الولد في حق المخلوق نقص، ولهذا ينفى عن الله جل وعلا وليس كمالً كما قد يظن، المقصود أن هذه العبارات، القياس التمثيلي، والقياس الشمولي والقياس الأولي من عبارات المناطقة أصحاب المنطق وعلم الكلام ولا يصح استعمالها عند أهل السنة والجماعة إلا في قياس الأولى دون غيره.

سؤال : ذكر أحد طلبة العلم أن التوراة والإنجيل والزبور ليست كلها محرفة بل أغلبها لذا اختلف العلماء في مس الجنب لها ويجوز الحلف بها؛ لأنها من كلام الله وكلام الله عز وجل صفة من صفاته. السؤال : هل هذا الكلام صحيح؟ وهل يجوز الحلف بالتوراة والإنجيل والزبور ؟ أرجو التوضيح.

الجواب: أولاً التوراة والإنجيل والزبور التي أنزلت على موسى وعيسى وداود هذه كلام الله جل وعلا، لكن هذا المنزل على هؤلاء الأنبياء الموجود الآن لا يتيقن أنه ذلك المنزل بل قد يكون الموجود اختلط به كلام الله جل وعلا وكلام علمائهم وزيادات باطلة من التحريفات والعلماء اختلفوا هل وقع التحريف في هذه الكتب من جهة المعنى أو من جهة الألفاظ؟ يعني هل حذفت بعض الأشياء وأبدلت بأخرى وحرفت بنقص بحذف ثم زيادة أشياء من

كلام الناس أم كان التحريف في المعنى فقط؟ فهم حرفوا من جهة المعنى مع بقاء الأصل على ثلاثة أقوال لأهل العلم والصواب منها أن التوراة والإنجيل فيها وفيها، فيها ما هو من كلام الله وفيها ما هو من إضافات الناس الباطلة وفيها ما حرف لفظه وفيها ما حرف معناه اجتمعت فيها كل أنواع التحريف، تحريف اللفظ وتحريف المعنى وترك الأحكام وهذا له تفاصيل في محلها.

سؤال : ما المراد بالغل في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ؟

الجواب: الغل هو الحقد والضغينة التي تتخلل النفس والفؤاد وأصل هذه المادة في اللغة مادة غل لم يكون متخللاً لشيء ولهذا قيل للغُل الذي تُغل به الرقبة ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً** ﴾ سمي غلاً جمعه أغلال ؛ لأنه يتخلل الرقبة ويحيط بها، وكذلك يقال للماء الذي يجري بين السواقي من هذه المادة ويسمى الماء الغليل وأشباه ذلك فالمقصود أن هذه المادة تدور على التخلل وعلى التسلل فلهذا الحقد والضغينة إذا كانت متسللة في النفس محيطة بها سميت غلاً كما قال هنا ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ** ﴾ ويدعو أهل الإيمان ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ امَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ فأهل الجنة ليس في قلوبهم غل ولا حسد ولا ضغينة بل هم أحباب متآخون.

سؤال : ما حكم التقليد في مسائل الأصول والفروع ؟

الجواب : هذه مسألة طويلة .

سؤال : ما حكم من نسي قراءة الفاتحة في الصلاة حال الجهر أو السر ؟

الجواب : ليس عليه شيء وينتبه المرات القادمة أن يقرأها .

سؤال : شخص فاتته الصلاة فصلى بزوجته هل تكون صلاتهما جماعة فتكون أفضل من صلاته وحده بسبع وعشرين درجة ؟

الجواب : نعم صلاة المرء في جماعة ولو معه واحد مكلف هذه تعتبر صلاة جماعة ؛ لأن الجماعة في هذا المقام اثنان فصاعداً ، فإذا فاتته الصلاة في المسجد أو مع جماعة فإنه يصلي بأهله .

سؤال : ما هو الفرق بين معجزات الأنبياء ومعجزات القرآن ؟

الجواب : هذا سبق أن ذكرنا الكلام عليه .

المتن :

ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه أحد من البرية وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات .

الشرح :

الحمد لله وبعد ، قال -رحمه الله تعالى-: (ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه) هذه العبارة مقررة لقاعدة عامة من قواعد أهل السنة والجماعة أن صفات الرب جل وعلا يجب ألا يسلط عليها النفي ولا أن يعتقد فيها التشبيه بل يجب على المسلم في إثباته للصفات أن يتوقى نفيها بدرجاته وأن يتوقى التشبيه فلا يثبت مشبهاً ولا ينفي معطلاً.

قال : (زل ولم يصب التنزيه) لأنه ليس على الطريق الحق، فكل من تعرض للصفات بنفي أو بتشبيه فإنه ليس بموحد قال : (لم يصب التنزيه) يعني لم يصب التوحيد وتنزيه الرب جل وعلا عما لا يليق بجلاله وعظمته وهذا الأصل معلوم في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة منها قول الله جل

وعلا: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ وقال سبحانه ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** ﴾ وقال أيضاً جل وعلا ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ سبحانه وتعالى وهذه وأمثالها ﴿ **لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ يعني له النعت الأعلى والوصف الأعلى، و ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾ يعني يساميه، يماثله، يشابهه في كمال أسمائه وما تضمنته من الصفات فهو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، إذا تبين لك هذا المعنى العام لهذه الجملة فإن قوله النفي والتشبيه والتنزيه هذه ثلاثة ألفاظ تحتاج إلى شرح، أما الأولى وهي النفي، فالنفي يشمل أشياء :

الأول: أن ينفي صفات الله جل وعلا كلها أو أن ينفي أكثرها أو أن ينفي بعضاً منها فالذين نفوا كل الصفات هم الجهمية والذين نفوا أكثر الصفات هم المعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية والذين نفوا بعض الصفات طوائف كثيرون من المفسرين ومن شراح الأحاديث يغلطون فيثبتون في موضع ويناقضون أنفسهم فينفون في موضع آخر، فإذاً النفي من جهة أصله، فيه هذه الدرجات أما الدرجة الأخيرة وهي نفي بعض الصفات فأكثر ما يغلط فيه من غلط من المفسرين وشراح الحديث في الصفات التي هي من جهة صفات الأفعال، وهذه يعني الصفات الاختيارية مثل الرضا والغضب والنزول والمقت والأسف وأشباه ذلك من الصفات، الصفات الاختيارية قل من ينهج فيها منهج السلف الصالح؛ وذلك لأن الباب باب واحد في الصفات الذاتية وفي الصفات الفعلية.

المسألة الثانية: المتعلقة بكلمة النفي، النفي تارة يتوجه لأصل الصفة وتارة يتوجه لظاهر الصفة وتارة يتوجه لكيفية الصفة وتارة يتوجه إلى معنى الصفة فهذه مراتب.

أما توجهه لأصل الصفة كما ذكرنا ينفي أصلاً اتصاف الله جل وعلا بالسمع ينفي أصلاً اتصاف الله جل وعلا بالحكمة، ينفي أصلاً اتصاف الله جل وعلا بالعلم وهكذا.

أما المرتبة الثانية وهو أن يتوجه النفي للظاهر فيقولون نثبت الصفة لكن ظاهرها غير مراد كيف؟ يقولون نثبت الاستواء لكن ليس على ظاهره فالاستواء له معنى غير المعنى الظاهر المتبادر منه له معنى آخر وهؤلاء على فرقتين منهم من يقول المعنى كيت وكيت ومنهم من يقول المعنى لا أحد يعلمه فأما الأولون فهم المؤولة وأما أصحاب القول الثاني فهم أهل التجهيل الذين يسميهم العلماء المفوضة يثبتون لكن يفوضون كل الصفة لله جل وعلا لا يعلمون لها معنى ولا يعلمون لها كيفية جميع الصفة منفية يعني منفي العلم بها مثبتة لكن منفي العلم بها.

وأما المرتبة الثالثة : فالنفي المتجه إلى الكيفية فقط وهذا النفي الذي يتجه إلى كيفية الصفة هذا واجب وهو منهج أهل السنة والجماعة فإننا ننفي العلم بالكيفية؛ لأن الله سبحانه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ فنثبت الصفة مع نفينا للكيفية وهذا المعنى ليس مراداً في قوله (ومن لم يتوق النفي) بل هذا نفي واجب أن ننفي علمنا بالكيفية فالكيفية لا يعلمها إلا الله جل وعلا كما قال جل جلاله ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾.

والأخير : النفي المتجه إلى المعنى وهذا يثبت كثيرون الصفة لكن ينفون المعنى يقولون ليس لها معنى، ليس لها معنى مطلقا؟ يقولون: نعم فاسم الرحيم هو العليم والرحمة هي العلم لكن لما تعلقت إرادة الله بالمعين فرحم سمي هذا التعلق رحمة، لما تعلقت به قدرة سمى ذلك قدرة إلى آخره فيقولون هي من جهة قيامها بذات الرب جل وعلا شيء واحد ولذلك ننفي أن يكون

لهذه الصفات معان متعددة وهذا يشترك فيه جملة من أصحاب المذاهب المختلفة .

فقوله إذاً : (ومن لم يتوق النفي) يدل على أن ترك النفي مطلوب وواجب وهو أن لا تنفي أصل الصفات وأن لا ينفي الظاهر أن لا ينفي العلم بالمعنى بل ينفي شيء واحد وهو الكيفية دونما سواها.

والكلمة الثانية كلمة التشبيه، التشبيه مصدر شبهه بغيره تشبيهاً، أو شبه الشيء بكذا تشبيهاً فالتشبيه هو جعل مخلوق مشابهاً لله جل وعلا أو جعل الله جلا جلاله مشابهاً في صفاته للمخلوقات والتشبيه مراتب أيضاً.

المرتبة الأولى من مراتب التشبيه، التشبيه الكامل وهو المساوي للتمثيل يعني أن يقول يده كيدي كقول المجسمة والعياذ بالله وصورته كصورتي والعياذ بالله وأشباه ذلك فهذا تشبيه كامل يعني شبه الله جل وعلا بالمخلوق من جهة الصفة في الكيفية وفي المعنى وهذا كفر بالله جل وعلا ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ والمشبه يعبد صنماً الممثل يعبد صنماً تخيل في نفسه صورة للرب جل وعلا فجعلها عليه، وهذا كما قلنا لكم لا يمكن أن يكون لله جل وعلا في ذاته وصفاته شيء يتخيله العبد أو يتصوره؛ لأن كل ما خطر ببالك فالله جل وعلا بخلافه، كل ما جاء في بالك فالله جل وعلا بخلافه؛ لأن المعرفة واستقبال المعارف والإدراكات في الإنسان تأتي شيئاً فشيئاً، وهو أصلاً جاء من غير إدراك والله جل وعلا جعل له السمع والبصر والفؤاد ليدرك فإذاً كل المدركات في الإنسان مجلوبة له من واقع ما رأى ومن واقع ما سمع أو من واقع ما قارن والشيء الذي لم يره ولم يسمعه وليس ثم ما يقارن به فكيف تحصل له معرفته؟ ولذلك تجد أن الإنسان لا يمكن أن يتصور شيء ما رآه أو رأى مثيلاً له أو رأى ما يقاس عليه، ما يجتمع معه في أشياء ما يمكن يتصور شيء لم يره أصلاً أو ير مثيلاً له لكن لو رأى ما يقاس عليه ممكن،

رأى مثيلاً له ممكن مثلا: تقول: الإنسان الياباني مختلف في صورته عنّا لكن يبقى التخيل العام عندك أنه ما دام أنه إنسان فهو على هذه الصفة، تقول مثلاً: الخبز في بلد له شكل غريب لا تتصور أنت هذا الشكل لكن تعرف الخبز ما هو من حيث الصفة؛ لأنك تعرف أن ذاك سيكون في مادته مشابهاً لهذا الذي عرفته.

لو ذكر لك شيء غريب مثلاً في بلد من البلاد مثلا في بناء رأينا بناءً عجيب جداً ممكن أن تتصور البناء على نحو ما إذا كنت رأيت شبيهاً له أو ما يقاس عليه أو مركبات هذا البناء وطريقة البناء وأنه أدوار مثلاً قال لك أنه مثلث شرح لك عن الأهرامات من صفتها كذا وكذا، يمكن أن تتصور لأنك رأيت مثيلاً لها رأيت ما يقاس عليه رأيت ما يمكن أن تعقد مقارنة فتصل إلى نوع إدراك بذلك أما الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته، فلا يقاس بخلقه ولم يُر مثيلاً له جل جلاله ولا يقارن بشيء، ولذلك كل ما يخطر في البال إنما هو من جرّاء إدراكات مختلفة لا يمكن أن يكون منها حقيقة الرب جل وعلا ولهذا كل ما خطر في بالك فالله سبحانه وتعالى بخلافه فإذا استرسل مع هذا وشبه فإنه يُعبد صنماً يعني تخيل في نفسه صورة وهيّأ له إله يكون على نحو ما فعبده ولهذا قال أئمة السلف المشبه يعبد صنماً والمعطل يعبُد عدماً، هذا التشبيه الكامل الذي هو التمثيل، وهذا التمثيل أو التشبيه قد يكون في الذات بأجمعها وقد يكون في صفة من الصفات فقد يقول: الله سبحانه وتعالى مثلي على صفتي والعياذ بالله وهذا كفر أو يقول يده كيدي وسمعه كسمعي وعينه كعيني وأشباه ذلك وهذا أيضاً كفر بالله جل جلاله.

المرتبة الثانية في التشبيه أن يكون التشبيه في بعض الصفة لا في الكيفية ولكن في المعنى، فيقول الكيفية لا نعلمها لكن معنى الصفة في الله جل وعلا هو معناها في المخلوق وهذا أيضاً مما ينبغي تجنبه؛ لأن صفة

الرب جل وعلا معناها في حقه كامل لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه وأما في المخلوق فهو فيه الصفة ولكنها ناقصة تناسب نقص ذاته فلهذا يقال في مثل هذا إن الله جل وعلا له الكمال المطلق في صفة السمع والمخلوق متصف بالسمع أو تقول لله سمع وللمخلوق سمع وليس السمع كالسمع يعني في أصل المعنى موجود سمع وسمع لكن في تمام المعنى وكماله مختلف ليس الاتصاف في الله جل وعلا مثل الاتصاف في المخلوق.

المرتبة الثالثة في التشبيه تشبيه العكس تشبيه المخلوق بالخالق والعياذ بالله وتشبيه المخلوق بالخالق يعني أن يجعل للمخلوق صفة من صفات الله جل وعلا مثل أن يغيث أو أنه يسمع وهو غائب أو أن له قدره أو أن له تصرفاً في الكون وأشباه ذلك وهذا كحال عباد الأصنام والأوثان والقبور وعباد عيسى والملائكة وعباد الأولياء كلهم على هذه الصفة يجعلون للمخلوق بعض صفات الله جل وعلا وهذا لا شك أنه تشبيه وهو في حد ذاته من جهة التشبيه كفر لمن اعتقده فمن وصف المخلوق بصفة الله جل وعلا من تصريف الكون أو يقولون فلان من الأولياء له ربع الكون يتصرف فيه أوله نصف الكون يتصرف فيه أو فلان الملك له التصرف في الملكوت بنفسه فيطلب منه ويستغاث به أو يُسأل أو يلجأ إليه ونحو ذلك من الأموات أو من الغائبين فكل ذلك تشبيه للمخلوق بالخالق وتمثيل للمخلوق بالخالق وهو شرك بالله جل جلاله.

لهذا لم يطلق أكثر السلف نفي التشبيه وإنما أطلقوا نفي التمثيل؛ لأن الله جل وعلا قال ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ولفظ شبه والتشبيه لم يرد في النفي في الكتاب ولا في السنة فيما أعلم وإنما ورد لفظ التمثيل ليس كمثله شيء ففرق ما بين التمثيل وما بين التشبيه؛ لأن التمثيل معناه المساواة هذا مثل هذا يعني يساويه في صفة أو في صفات أما التشبيه فهو من التشابه وقد يكون

التشابه كاملاً فيكون تمثيلاً وقد يكون التشابه ناقصاً فيكون في كل المعنى أو في أصل المعنى على نحو ما فصلت لك.

فإذاً إذا قيل لا نشبه فلا يندرج في ذلك إثبات أصل المعنى يعني التشابه في المعنى؛ لأن لا يستقيم إثبات الصفات إلا بمشابهة في المعنى ولكن ليس مشابهة في كل المعنى ولا في الكيفية؛ لأن هذا تمثيل ولهذا لا يطلق النفي للتشبيه، لا نقول التشبيه منتفي مطلقاً كما يقول من لا يحسن بل يقال التمثيل منتفٍ مطلقاً أما التشبيه فتقول في التشبيه منتفٍ الله سبحانه وتعالى لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء وينصرف هذا النفي للتشبيه في الكيفية أو في تمام المعنى في كماله.

قال (زلّ ولم يصب التنزيه) التنزيه يعني تنزيه الرب جل وعلا عما لا يليق بجلاله وعظمته الذي لم يحذر النفي ولم يحذر التشبيه فإنه يزل ولم يصب تنزيه الرب جل وعلا عما لا يليق بجلاله وعظمته.والتنزيه هو التسبيح فمعنى ذلك أن من نفي أو شبه فإنه لم يسبِّح الله جل وعلا كما يليق بجلاله وعظمته؛ لأن معنى سبحان الله تنزيهاً لله، والكون كله يردد سبحان الله وبحمده ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ فإذاً من الواجب أن ينزه الله جل وعلا عما لا يليق بجلاله وعظمته فلهذا نقول إن إتقاء النفي والتشبيه هو طريق التنزيه والتسبيح الحق لله جل وعلا فالمعتزلة والجهمية والمبتدعة من الأشاعرة والكلابية وسائر الطوائف التي نفت بعض الصفات أو لم ينزهوا الرب جل وعلا عن ما لا يليق بجلاله وعظمته بل وقعوا في شيء من عدم التنزيه ولذلك قال (ولم يصب التنزيه) يعني لم ينزه سواء أكان مراده التنزيه فأخطأه أو هو في الحقيقة لم ينزه ؛ لأنه ما نزه الله جل وعلا عن ما لا يليق بجلاله وعظمته؛ لأن الله سبحانه له الكمال المطلق بالاتصاف بالصفات، فمن لم يثبت جميع الصفات فلم يثبت الكمال المطلق

فمعناه أنه نقص حمده لله جل وعلا ومعنى ذلك أنه لم ينزه الله جل جلاله عما لا يليق بجلاله وعظمته .

وهذه الجملة عظيمة من كلام الطحاوي –رحمه الله– : (ومن لم يتوق النفي والتشبيه) يعني من سائر طوائف الضلال (زلّ ولم يصب التنزيه) وإن زعم أنه ينزه فإنه لم يصب وهذا يكثر في المعطلة وفي المؤولة وفي النفاة يقولون نفينا وأولنا وعطلنا لأجل التنزيه وهذا يرد عليهم بأنه ما فعلتموه هو وصف لله بالنقائص وليس تنزيهاً للرب سبحانه وتعالى، ثم علل ذلك بقوله : (فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه أحد من البرية) هذا أخذه من قول الله جل وعلا ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ** ﴾ أحدٌ يعني واحد في أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله فليس له شريك في ملكه وليس له مثيل في صفاته وأفعاله وليس له ند في إلوهيته وصمدانيته جل وعلا، ولهذا بعدها جاءت أنواع التوحيد:

﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾ يعني الذي تصمد إليه المخلوقات بأجمعها في طلب ما ينفعها ودفع ما يضرها فإذاً في قوله ﴿ **اللَّـهُ الصَّمَدُ** ﴾ إثبات توحيد الألوهية. قال ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾ وهذا فيه إثبات تفرد بالربوبية قال ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ وهذا فيه إثبات توحيد الأسماء والصفات فلا أحد يكافئه ويمثاله فلذلك هو جل وعلا أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله.

قال فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية يعني أنه متوحد في صفاته منعوت بنعوت الفردانية يعني أن كل نعت ينعت به الرب جل وعلا على أساس أنه منفرد فيه فهو سبحانه فرد في أسمائه وصفاته وذاته فهو سبحانه وتر وفرد وصفاته هو فيها سبحانه وتعالى فرد فلا يماثله شيء ولا يشاركه فيها أحد جل جلاله.

إذا تبين لك ذلك فالصفة والنعت هنا غاير بينهما قال موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية والصفة والنعت في اللغة متقاربة وهو لم يرد التفريق ما بين الصفة والنعت؛ لأن الله سبحانه له الصفات العلا وله النعوت العُلا له المثل الأعلى والصفة والنعت هي المثل في القرآن في قوله ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ يعني له النعت والصفة العليا سبحانه وتعالى أما المخلوق فله الوصف الأدنى الذي يناسب ذاته الوضيعة الضعيفة المحتاجة، صفات الرب جل وعلا ونعوته تنقسم إلى أقسام باعتبارات مختلفة، فتنقسم إلى قسمين باعتبار قيامها بالرب جل وعلا تنقسم إلى صفات ذات وإلى صفات فعل أما صفات الذات فهي التي لا ينفك ربنا جل وعلا عن الاتصاف بها لم يزل موصوفاً بها وهو متصف بها دائماً مثل الوجه والعينين واليدين مثل الرحمة والسمع والبصر، فإن الله سبحانه لم يزل ذا وجه وذا سمع وذا بصر سبحانه وتعالى وكذلك في صفاته الذاتية ومنها صفة الرحمة فالله جل وعلا متصف بصفة الرحمة وهي ملازمة له سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: صفات الأفعال وصفات الفعل لله جل وعلا يسميها بعض الناس من أهل العلم الصفات الاختيارية وهي التي يفعلها ربنا جل وعلا تارة ولا يفعلها تارة، صفات الفعل هي التي تقوم بالرب جل وعلا بمشيئته وقدرته سبحانه وتعالى، وهذه الصفات التي هي الصفات الاختيارية أول من نفاها بخصوصها الكلابية وتبعهم على ذلك، أبوالحسن الأشعري يعني ابن كلاب أول من نفاها ثم تبعه أصحابه ثم تبعهم أبوالحسن الأشعري.

من جهة أخرى نقسم الصفات إلى قسمين إلى صفات جلال وإلى صفات جمال وصفات الجلال هي الصفات التي فيها نعت الرب جل وعلا بجلاله وعظمته وقهره وجبروته سبحانه وتعالى وهي التي تجلب في قلب الموحد الخوف منه سبحانه وتعالى مثل صفة القوة، القدرة، القهر الجبروت

وأشباه ذلك من صفات الجلال يعني من تأملها أجلَّ الله جل وعلا وهابة وخافه سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: صفات الجمال وصفات الجمال هي الصفات التي تبعث في قلب المؤمن محبة الرب جل وعلا والإنس به وبلقائه وبمناجاته وبالإنابة إليه وهذه صفات كثيرة لله جل وعلا مثل صفة الرحمة والرأفة والمغفرة، وقبول التوبة والسلامة اسم الله السلام والمؤمن وأشباه ذلك. فإذاً صفات العظمة هذه يقال لها صفات جلال وصفات ونعوت الرحمة والمحبة يقال لها صفات جمال هذا اصطلاح لبعض علماء السنة وهو اصطلاح صحيح ولهذا في الختمة التي تنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رجح طائفة من أهل العلم أن تكون لشيخ الإسلام لورود هذا التقسيم فيها وهو قوله في أولها: صدق الله العظيم المتوحد بالجلال بكمال الجمال تعظيماً وتكبيراً.

ولا أعلم من أشهر هذا التقسيم قبل شيخ الإسلام ابن تيمية يعني تقسيم الصفات إلى صفات جلال وجمال وفي هذه الختمة جمل معروفة في الاستعمال عن شيخ الإسلام دون غيره وابن القيم رحمه الله بحث صفات الجمال والجلال في بعض كتبه.

التقسيم الثالث: صفات ربوبية وصفات ألوهية هذا باعتبار التوحيد يعني رجوع الأسماء والصفات إلى نوعي التوحيد، يعني توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

فما كان من أفراد الربوبية فهو صفات ربوبية مثل الملك والهيمنة والانتقام والقدرة والقوة والإحاطة وأشباه ذلك ، والقسم الثاني صفات الألوهية وهو التي وحد العبد ربه جل وعلا بها مثل اسم الإله وما فيه مثل الصمد وأشباه ذلك مما فيه توجه من العبد إلى الرب جل وعلا.

الشريط الرابع عشر . وجه (ب) :

قال بعدها (وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات).

هنا ذكر هذه الألفاظ متابعة لما جرى عليه المتكلمون في زمنه وهو ذكرها بعد إثبات فأثبت الصفات ثم نفى وقاعدة أهل السنة والجماعة أن النفي يكون مجملاً وأن الإثبات يكون مفصلاً ففي قوله هذا نوع مخالفة لطريقة أهل السنة والجماعة لكن كلامه محمول على التنزيه بعد الإثبات والتنزيه بعد الإثبات يتوسع فيه؛ لأن طريقة أهل البدع أنهم ينزهون أو ينفون بدون إثبات، ينفون مفصلاً ولا يثبتون ولكن المؤلف أثبت مفصلاً ونفى وكان في نفيه بعض التفصيل ولهذا نقول عند الاختيار لا نقول هذا الكلام نقول تعالى ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء ونحو ذلك عند الاختيار لا نقوله وذلك أن هذه الألفاظ كما ذكرت لك السبب الأول أن هذا نفي مفصل وهو مخالف لطريقة أهل السنة؛ لأن طريقتهم مأخوذة من قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ فنفى مجملاً وأثبت مفصلً.

الوجه الثاني في هذه الألفاظ أن هذه الكلمات لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة فلهذا الذي لم يرد لا يحسن أن ننفيه ولا أن نثبته ؛ لأن طريقتنا هو اقتفاء الكتاب والسنة فلفظ الحدّ والغاية والركن والأعضاء والأدوات والجهات كل هذه ما جاءت لا في القرآن ولا في السنة فلذلك لا نثبتها ولا ننفيها وليس معنى النفي أنها محتملة ، إذا قال أهل السنة لا ننفيها لا يفهم منه أن معناها أنها محتملة لا، ولكن لا ننفيها لأننا لا نتجاوز القرآن والحديث، هذا أمر غيبي كيف نتجاسر عليه بغير دليل ولذلك نقول لا نثبت إلا بدليل ولا ننفي إلا بدليل. فإذاً استعمال هذه الألفاظ لا يسوغ والمؤلف يؤاخذ –رحمه الله– في استعماله هذه الألفاظ لأنها من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة، طبعاً

الحد والغاية متقارب في أن يكون له حد ينتهي إليه اتصافه بالصفة وفي هذا مبحثان أو مسألتان:

الأولى: أن طائفة من العلماء لما ذكروا الاستواء على العرش لله جل وعلا سئلوا بحد قالوا: بحد من أئمة أهل السنة كابن المبارك والثوري وجماعة من الأئمة، وهذا يوجَّه بأن استعمالهم لفظ الحد مع أنه لم يأت في الكتاب والسنة لأجل أن يبطلوا دعوى الجهمية في أن الله في كل مكان وإذا احتاج الموحد لبيان عقيدته في المناظرة إلى كلمات توضح الأمر فإنه لا بأس باستعمالها للمصلحة لكن لا تثبت عقيدة مستقلة يعني إذا جاء أحد يقول ما هي عقيدتك فلا تقل: عقيدتي أن الله مستوٍ على عرشه بحد، إنما نقول هو جل وعلا مستوٍ على عرشه، إذا احتيج إلى ذلك في مقامه فقد يقال ذلك؛ لأن لفظ بحد يعني أنه ليس مختلطاً بخلقه جل جلاله، فهو سبحانه تعالى عن الحدود والغايات التي تنتهي إليها صفاته كما قال تعالى عنها؛ لأن الله سبحانه ليس لصفاته حد يعلمه البشر فتعالى عن الحدود يعني المعلومة والغايات المعلومة.

المسألة الثانية: يشكل على هذا ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره وهو قوله ﷺ في وصف الرب جل وعلا: ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)) فهل معنى ذلك أن البصر محدود بالخلق؟ والجواب عن ذلك أن هذا إحالة على "يعني في قوله ما انتهى إليه بصره من خلقه" في أن الإحراق، إحراق السبحات لما انتهى إليه البصر والبصر لا ينتهي لحد فكذلك الإحراق لا ينتهي لحد فإذاً هو بناء شيء على شيء فلا يثبت الثاني لأجل ورود الأول بل الثاني منفي فكذلك الأول نقول ليس له حد –ما انتهى إليه بصره من خلقه– الله جل وعلا ينفذ بصره في جميع بريته سبحانه وتعالى وكل ما سواه جل وعلا مخلوق فإذاً بصره

ينتهي في جميع مخلوقاته فإذاً لو كشف الحجاب لأحرقت سبحات وجهه كل مخلوقاته فإذاً هذا ليس فيه إثبات الحد والغاية وإنما هذا فيه إثبات أنه جل وعلا مطلق في اتصافه بصفاته لا حد لذلك يثبت بل نقول هو سبحانه كامل في صفاته.

قال: (والأركان والأعضاء والأدوات) هذه الألفاظ الثلاث الركن والعضو والأداة هذه راجعة إلى الصفات الذاتية يعني مثل اليد والقدم والعينين مثل الوجه إلى آخره فهذه ينفي أن يكون هذا عضو أو ركن أو أداة أو نحو ذلك؛ لأن هذه الأشياء في المخلوق فينزه الرب جل وعلا عنها، هذا مراده، وكما ذكرت لك: المقرر أن هذه الأشياء لا تقال لا نفياً ولا إثباتاً بل نذكر ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعظم من أن ينفى عنه باستعمال هذه الألفاظ ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ .

قال : (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) المبتدعات يعني المخلوقات وقوله كسائر المبتدعات: سائر في اللغة تستعمل بمعنى بقية ولذلك قيل لبقية الشراب: سؤر فكلمة سائر يعني البقية تقول مثلاً: أتاني محمد وسائر الإخوان يعني وبقية الإخوان لكن هنا استعملها بمعنى (كل) كسائر المبتدعات يعني ككل المخلوقات، المخلوقات تحويها الجهات الست، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، الجهات الست ما هي عندهم، الجهات الست أمام وخلف ويمين وشمال وأعلى وأسفل هذه الجهات الست مخلوقة، وهذه المخلوقة لا تحوي الرب جل جلاله بل الله سبحانه وتعالى فوق مخلوقاته لكن ما من مخلوق من هذه الجهات الست إلا وهو نسبي إضافي ليس مطلقاً فما من شيء إلا وأمامه شيء وهو أمام شيء وهو يمين شيء وثم شيء آخر يمينه وهكذا مثل ما نقول نحن الآن أسفل يعني في أرض المسجد لكن بالنسبة لمن تحتنا في القبو مثلاً إذا كان فيه قبو نحن فوق مثلاً واحد ساكن في

أدوار، الدور الأول فوق الدور الأرضي فهو أعلى لكن هو بالنسبة للدور الثاني أسفل إذاً الجهات هذه ليست مطلقة وإنما هي نسبية، فتقول يمين ليس ثم يمين مطلق في حياة المخلوقات وإنما هو يمين إضافي، لا تقل شمال مطلق إنما هو شمال إضافي، أمام مطلق إنما هو أمام إضافي يعني نسبي تنسِبه إليك وتنسبه إليه تقول أمام فلان، أمامي، يمين فلان إلى آخره، ولهذا الجهة جهة العلو إذا نسبتها للمخلوق فثم جهة لنا هي حال وثم جهة لمن هم في الجهة الثانية من الأرض هي لها حال أخرى فنحن جهة العلو عندنا فوق وجهة السفل هم وهم بالعكس يعني الذين في الجهة الثانية من الأرض إذاً فجهة العلو وجهة السفل هذه نسبية لك تقول هذا أعلى ليس هذا هو العلو المطلق هذا العلو المنسوب إليك والذي في الجهة الثانية من الكرة الأرضية العلو هو المنسوب إليه إذاً فهذه أمور نسبية في الجهات فإذا أردت المطلق فثم شيء واحد فقط وهو العلو المطلق على جميع المخلوقات غير المنسوب لطائفة من المخلوقات أو لبعض المخلوقات وهو علو الرب جل جلاله، إذاً فنقول هذه الجهات الست إذا أريد بها النسبي فتقول نعم، الله سبحانه وتعالى لا تحويه الجهات النسبية يميني وفوقي وأمامي وشمالي وإلى آخره لا تحويه لكن المطلق لا نقول تحوي أو لا تحوي؛ لأن الله سبحانه فوق مخلوقاته والمخلوقات هذه محتاجة إليه لكن له العلو المطلق وسبحانه جل وعلا كلتا يديه يمين، اليمين المطلق ليس النسبي هو سبحانه وسع كل شيء واسع سبحانه وتعالى فإذاً تنتبه إلى أن هذه المخلوقات نسبية وليست مطلقة فإذاً قوله لا تحويه الجهات الست ليس في هذا منحى من منحى أهل البدع في نفي العلو لا لكن هذه يعني بها الجهات الست النسبية كسائر المخلوقات كل مخلوق لا بد أن يكون محصور بهذه الجهات يعني أعلى أسفل يمين شمال والثاني كذلك والثالث كذلك وهذه مسألة مهمة تفيدك في كل ما يوصف الرب

جل وعلا به لا تقسه بالمخلوق تجعله مطلقاً، مثلاً الآن مسألة النزول ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر أوفي النصف الآخر من الليل أو آخر كل ليلة على اختلاف الروايات والألفاظ، هذه ثلث الليل هل هو منسوب لك أو منسوب للزمان المطلق هنا ننسبه للزمان المطلق الذي يدخل فيه الزمان النسبي بالنسبة للمخلوق الواحد، كذلك جهة العلو أنت تدعو ربك جل وعلا إلى أعلى ونعلم أنه فوقنا سبحانه وتعالى ومن هو في الجهة الثانية هو فوقه أيضاً هو في جهة أخرى نحن مثلاً نتجه كذا، وهو في الجهة الثانية من الأرض يتجه عكس الاتجاه أليس كذلك، لكن هذا علو نسبي وهذا علو نسبي وإذا أردت العلو المطلق فتأمل قول الله جل وعلا ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ وتأمل أن السماوات السبع الأرض بالنسبة لها صغيرة والسماوات السبع بالنسبة للكرسي صغيرة والكرسي بالنسبة للعرش أيضاً كحلقة ألقيت في ترس صغير فإذاً كلها تتلاشى ويبقى الإطلاق في الزمان وفي المكان بما يجعل معه ان تصور العبد بما يوصف الله جل وعلا به نسبياً يجني على نفسه ويدخل في النفي أو التشبيه فيجب أن يكون ما يؤمن به الموحد من صفات الله جل وعلا على ما جاء في الكتاب والسنة وكل ما جاء هو على الإطلاق لا على ما تعرفه أنت من نفسك والإطلاق اللائق بالله جل وعلا يدخل فيه ما يختص بالمعين من المخلوقين تبارك ربنا وتعاظم وتقدس سبحانه وتعالى وسع كل شيء رحمة وعلماً ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً** ﴾ جل جلاله وتقدست أسماؤه.

الأسئلة :

سؤال : إذا قلنا إن المخلوق له ملك والله سبحانه وتعالى له ملك لكن مُلك الإنسان مقيد ومُلك الله مطلق ، فهل هذا صحيح أم خطأ ؟

الجواب : ملك الله مطلق في الأشياء صحيح ،ملك الإنسان مقيد ضعيف .

سؤال : هل الفرد اسم لله؟

الجواب : لا، ليس من الأسماء الحسنى الفرد لكن الإخبار عن الله جل وعلا بأنه فرد موافق لاسم الله الصمد والأحد وأشباه ذلك.

سؤال : قلت نفي الكيفية واجب، فهل نفي الكيفية هو الواجب أم تفويضه؟

الجواب : إن النفي هو نفي العلم بالكيفية، نفي العلم بالكيفية أما اتصاف الرب جل وعلا فهو بكيف هو سبحانه في صفاته متصف بها بكيف بكيفية لكن نعلمها لا نعلمها إذاً النفي يتوجه إلى العلم بالكيفية لا إلى وجود الكيفية.

سؤال : ذكرت أن صفة الرحمة صفة جمال فهي اختيارية وذكرت أنها ذاتية؟

الجواب : لا، ما ذكرت أن صفة الرحمة اختيارية التقسيمات غير متساوية وهذه تنتبه إليها في العلوم جميعاً إذا قسمنا الصفات إلى ذاتية وفعلية ثم باعتبار آخر يعني باعتبار نوعها إلى جلال وجمال لا يعني أن الجلال هي الذاتية والجمال هي الاختيارية لا هذا تقسيم آخر، مثل ما تقول مثلاً: شرك أكبر وأصغر وشرك ظاهر وخفي ليس معنى ذلك أن الخفي هو الأصغر، الخفي منه أكبر كشرك المنافقين مثل غلط من غلط تقسيم الكفر إلى كفر أكبر وأصغر ثم قسم باعتبار آخر إلى كفر اعتقاد وإلى كفر عمل

فظن أن كفر العمل هو الكفر الأصغر وأن الكفر الاعتقاد هو الكفر الأكبر هذا ليس بصحيح فمن فهم من كلام ابن القيم –رحمه الله– من تقسيم الكفر إلى أكبر وأصغر ثم إلى كفر اعتقاد وكفر عمل إن العمل هو الأصغر هذا ليس بصحيح حتى على كلام ابن القيم؛ لأن العمل هذا تقسيم باعتبار المورد مورده يكون من جهة الاعتقاد ومورده يكون من جهة العمل فكفر العمل منه ما هو أكبر ومنه ما هو أصغر كما نبهنا مراراً، يعني في التقسيمات تنتبه مثل ما يقسم الأصوليون الواجب مثلاً يقولون الواجب ينقسم إلى واجب موسع وواجب مضيق ثم يقسمون باعتبار آخر إلى واجب عيني وواجب كفائي ثم يقسمون إلى قسمة ثالثة إلى واجب معين وواجب مخير مثل خصال الكفارة فإذاً هناك التقسيم باعتبارات مختلفة وإذا علمت التقسيم مع جهة اعتباره فهمت العلم أما التقسيم هذا مطلقاً بدون أن تفهم جهة التقسيم هذا يحدث لبساً.

سؤال : هل الإنسان إذا رأى ربه في المنام تكون الرؤية صحيحة؟

الجواب : مثل ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال ((رأيت الليلة ربي في أحسن صورة)) يرى المؤمن ربه جل وعلا في صورة إيمانه بالله فإذا كان إيمانه بالله كاملاً رأى صورة حسنة حسن الصور وإذا كان إيمانه بالله ناقصاً رأى صورة تناسب إيمانه لكن ما يرى في المنام الرب جل وعلا على ما هو عليه جل جلاله.

سؤال : إذا أردت أن أعظ عاصياً .....؟

الجواب : هذا يعني تأمل صفات الجلال وصفات الجمال وتأمل التوحيد ، التوحيد كله خير ، الذي يعلم التوحيد ويعلم صفات الرب جل وعلا ويأخذ هذه المباحث من جهة إيمانه بما وصف الله جل وعلا به نفسه ، وإيمانه بأركان الإيمان الستة ، بالملائكة ، والإيمان بالقدر ، والرسل ، والكتب ، واليوم الآخر ، لا شك أنه سيعقبه خشية وإن أذنب فسيرجع ، مثل ما جاء

في الحديث أن النبي ﷺ قال : ((إذا زنا العبد المؤمن كان على رأسه كالظلة فإن ترك عاوده)) لأن الموحد ولو عصى غلبته شهوته على المعصية أخطأ أذنب فإن إيمانه بربه جل وعلا وتعظيمه لله جل جلاله يوجب عليه الخشية والإنابة والخوف ؛ لأن الرب سبحانه مستحق لأن يُزل له وأن يطاع فلا يُعصى وأن يُذكر فلا يُنسى . أعاننني الله وإياكم على الخير والهدى والتوبة والإنيابة .

سؤال : سائل يسأل عن وصف اليمين والشمال لله جل وعلا؟

الجواب : هذا جاء في حديث رواه مسلم وأثبته طائفة من أهل العلم والصواب عندي عدم إثباته يعني إثبات صفة الشمال لله جل وعلا.

سؤال : ذكرت في هذا الدرس صفة العين مع عدم وروده فما وجه ذلك؟

الجواب : كيف!! صفة العين مع عدم وروده!!! الله جل وعلا متصف بهذه الصفة كما قال سبحانه ﴿ **فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ وقال سبحانه ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ والجمع هذا يراد به المثنى؛ لأن لغة العرب إذا أضافت المثنى إلى ضمير تثنية أو ضمير جمع جمعت المثنى كما في قوله تعالى: ﴿ **إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ مع أن لهما قلبين قلب عائشة وقلب حفصة ﴿ **إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ أصل الكلام فقد صغا قلباكما لكن لما كان التثنية تضاف إلى ضمير تثنية أو جمع فيجمع الأول وقد ثبت في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إن الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة أو طافية)) روايتان ((وإن ربكم ليس بأعور)) جل جلاله العور في اللغة هو ذهاب أحد ماله منه اثنان يعني أحد العينين، هذا العور عينان ذهبت إحداهما قيل عور. فلهذا الدجال وصف بأنه أعور قال وإن ربكم ليس بأعور يعني لا يشتبه عليكم، الدجال له عين واحدة والله سبحانه ليس بأعور

يعني له عينان ومن قال إن الآية ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ فيها إثبات الأعين لله جل وعلا فهذا باطل من جهتين، الجهة الأولى الإجماع فإن أهل السنة أجمعوا على أن الله موصوف بصفة العينين والثاني أن الأعين مخالف لقوله ((وإن ربكم ليس بأعور))؛ لأن لفظة أعور في اللغة تدل على ذهاب إحدى العينين فتكون الإضافة تجري بأعيننا هي إضافة مثنى إلى مجموع فجمع لأجل هذه الإضافة كما هو مقرر في لسان العرب يعني في لغة العرب.

نكتفي بهذا القدر ، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد .

الشريط الخامس عشر . وجه (أ) ١٤١٨/٨/١٣ هـ :

المتن : والمعراج حق وقد أسرى بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلى وأكرمه الله بما شاء وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى .

الشرح :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً خالصاً وقلباً خاشعاً ودعاءً مسموعاً ، ربنا لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين ، عليك توكلنا وإليك أنبينا وإليك المصير .

قال رحمه الله : (والمعراج حق) وقد أُسري بالنبي ﷺ وعُرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ، ثم إلى حيث شاء الله من العلا ، وأكرمه الله بما شاء ، وأوحى إليه ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى .

هذه الجملة من كلامه –رحمه الله تعالى– اشتملت على تقرير الإسراء والمعراج وأن النبي ﷺ أُسريَ به من مكة إلى بيت المقدس وأنه عرج به ﷺ

إلى السماء في اليقظة إلى حيث شاء الله جل وعلا من العُلُّو، وهذه المسألة من المسائل الغيبية يعني أن حقيقة الإسراء وحقيقة المعراج من الغيب الذي لم يُعلم إلا من جهته ﷺ يعني أن الله جل وعلا أسري بنبيه ثم عرج به إلى السماء، فالعقل لا يدل على ذلك ولا يستلزمه وإنما ذلك سُلِّم به وكان حقاً من جهة أن الله جل وعلا أخبر به في كتابه وأخبر به نبينا ﷺ فالإيمان به واجب وهو حق لا مرية فيه وثم كما سمعت ارتباط ما بين الإسراء والمعراج والإسراء والمعراج معنيان مختلفان، فالإسراء هو المشي في الليل، سرى أي مشى بالليل وأسرى أي مشي ليلاً وأما المعراج فهو مفعال من العروج وهو اسم للآلة التي عليها عرج به ﷺ والإسراء هل الانتقال ليلاً من مكة إلى بيت المقدس وكان على دابة بين البغل وبين الحمار تسمى البراق وأما العروج إلى السماء فكان على آلة على سُلّم خاص وهو المعراج.

فإذاً الإسراء اسم للفعل والمعراج اسم للآلة التي سار عليها ﷺ إلى السماء. إذا كان كذلك، فالإسراء وهو المشي ما بين مكة إلى بيت المقدس ليلاً في ساعات معدودة ثم الرجوع هذا أمر غيبي عجيب، لهذا الإيمان به واجب بتفاصيله التي وردت فيكون له أصل الكلام على الغيبيات فما جاء فيه يصدق دون تعرض للعقل فيه يعني أن العقل لا مسرح له في الأمور الغيبية فكل ما جاء فيه حق دون تفكير فيه من جهة العقل هل هذا يمكن عقلاً أو لا يمكن.

كذلك المعراج وهو أبلغ في كونه غيبياً فإن آلة العروج وذهاب النبي ﷺ إلى السماوات السبع يُستفتح له من سماء إلى سماء إلى أن بلغ سدرة المنتهى إلى أن كلّم الرحمن جل جلاله هذا أمر غيبي ففي أصله وفي تفاصيله مندرج عليه قاعدة الغيبيات عند أهل السنة والجماعة.

إذاً فهذا الذي ذكره الطحاوي أصل في الإيمان بالإسراء والمعراج وأن الإسراء والمعراج أمران غيبيان وإذا كانا غيبيين فلا يتعرض لهما ولا لما جرى فيهما بتأويل أو تحريف يخالف ظاهر ما دلت عليه النصوص فالنص دلّ يعني من الكتاب والسنة على أن النبي ﷺ أسري به ليلاً في وقت قصير ما بين مكة إلى بيت المقدس وأخبر ﷺ أن جبريل جاءه وهو مضطجع في الحطيم فأخذه فشق صدره ما بين ثغره ونحره إلى شعرته، إلى أسفل بطنه وكان أثر المخيط يظهر في صدره ﷺ فلما شقه أخرج قلبه وجيء بطست فيه الإيمان والحكمة، طست من ذهب، قال ﷺ فغسل قلبي به وحُشي إيماناً وحكمة وكان هذا لأجل أن يستعد عليه الصلاة والسلام لهذا الأمر الغريب وهو أنه يقطع هذه المسافة الطويلة في الأرض في وقت وجيز ثم يصعد به إلى السماء فيحتاج إلى قلب خاص ومعلوم أن الإنسان إذا خاف أو استغرب فأول ما يتأثر قلبه فإذا كان قلبه لا يتأثر من الاختلاف فإنه يتحمل بدنه ذلك بما أعد الله جل وعلا له في ذلك. قال ((ثم أخذني جبريل فإذا دابة بين البغل والحمار، فقال اركب فركبت ثم سرنا إلى أن وصلنا بيت المقدس)) إلى آخر الحديث، فهذه الصفات وما جاء فيما حصل له في بيت المقدس من لقاء الأنبياء ومن صلاته فيه يعني صلاته في بيت المقدس، ومن كونه صار إماماً واجتماع الأنبياء له وكونه ﷺ أمهم، كل هذا وما جرى فيه مما ثبت في الأحاديث الصحيحة من الأمور الغيبية التي تجري عليها قاعدة أهل السنة والجماعة في الأمور الغيبية بأنه يسلم بها.

١- يُؤمن بها

٢- أن لا يُتعرض لها بتأويل يصرفها عن ظاهرها أو بتحريف يصرفها عن حقائقها .

فنؤمن بها على ما جاءت من جنس جميع الأمور الغيبية التي أخبرنا بها جل وعلا أو أخبرنا بها نبينا ﷺ.

والمعراج كما ذكرت لك آلة العروج وقد جاء وصفها بأن النبي ﷺ لما صلى في بيت المقدس أخذه جبريل قال فوجدت سلمين أحدهما ذهب والآخر فضة فقال لي جبريل اصعد فصعدت، وجاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال في المعراج وهذا هو الذي يشخص إليه البصر حين تفارق الروح البدن، يعني أن هذا المعراج آلة خاصة يُعرج بالبدن وبالروح في السماء بها فهي إذاً آلة من جنس الآلات والله جل وعلا أعلم بحقيقتها.

إذا تبين ذلك في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في الإسراء والمعراج على هذا الوجه الإجمالي فثم ههنا مسائل:

المسألة الأولى:

أن الإسراء والمعراج يربطان معاً وأهل العلم مختلفون في هل تكرر الإسراء والمعراج أم كانا مرة واحدة على أقوال كثيرة وأهمها قولان: الأول: أن الإسراء والمعراج لم يكونا إلا مرة واحدة، والثاني أن الإسراء وقع مرتين والمعراج وقع مرة واحدة وهذا هو اختيار الحافظ ابن حجر والأول أولى.

وهناك من قال إن المعراج تكرر وإن الإسراء تكرر ثلاث مرات أو أربع مرات وسبب الاختلاف في تكرر وقوعه هو اختلاف الروايات فكلما جاءت رواية فيها مخالفة لرواية أخرى مع ثقة النقلة قالوا إن هذا يحمل على تعدد الوقوع ولكن هذا ليس بجيد وليس بصحيح من حيث المنهج؛ لأن الإسراء كما هو ظاهر الآية وقع مرة واحدة ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** ﴾، وقد يكون ثم احتمال في بعض الروايات أن الإسراء وقع مرتين، لكن الأقرب لظاهر الأدلة أن الإسراء والمعراج وقعا مرة واحدة.

المسألة الثانية:

متى وقع الإسراء والمعراج؟ أكثر أهل العلم على أن الإسراء والمعراج وقعا قبل الهجرة بسنة على تباين بينهم في هل السنة تحديداً أم السنة تقريباً ؟ فقال بعضهم سنة إلا شهر وقال بعضهم سنة إلا شهرين وقال آخرون ثمانية أشهر قبل الهجرة وقال آخرون عشرة إلى آخره وإذا تبين هذا الاختلاف في كونه قبل الهجرة بسنة بهذا القول فإن معه عدم تحديد وقوع الإسراء والمعراج في شهر رجب واشتهر عند المؤرخين عند أصحاب السير أن الإسراء والمعراج وقع في رجب في الليلة ليلة سبعة وعشرين من شهر رجب وهذا إنما هو عند طائفة من أهل السير وأما أهل العلم المحققون من المحدثين والفقهاء ومن المفسرين فإنهم لا يحملون ذلك على الوقوع في شهر رجب بظهور وإنما يقولون وقع قبل الهجرة بسنة ومعلوم أن الهجرة كانت في شهر ربيع الأول وإذا كان كذلك فقولهم قبله بسنة يعني أن الإسراء والمعراج لم يقعا في رجب والأكثرون من أهل العلم على أنه أكثر من سنة، سنة وشهرين، سنة وثلاثة أشهر ونحو ذلك والقليل من قال أنه ثمانية أشهر، وهذا قول أنه كان قبل سنة.

القول الثاني: أنه كان قبل ثلاث سنين.

وقال آخرون وهو القول الثالث: إنه كان قبل خمس سنين واستدلوا على ذلك بأن خديجة صلت وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين أو بخمس سنين قالوا كيف تصلي وإنما فرضت الصلوات في ليلة المعراج فكونها صلت يدل على أن المعراج وقع في حياتها وهي ماتت قبل الهجرة بثلاث أو بخمس سنين والجواب عن هذا أن الصلاة كانت مفروضة ركعتين ركعتين ركعة أول النهار وركعة آخر النهار كما قالت عائشة –رضي الله عنها– "فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة

السفر فخديجة –رضي الله عنها– كانت تصلي ولكن لم تكن الصلاة المفروضة الصلوات الخمس التي فرضت ليلة المعراج.

المسألة الثالثة:

الإسراء والمعراج هل وقعا بجسد النبي ﷺ أم بروحه يعني بجسده وروحه أم بروحه فقط؟ أم كان مناماً؟

اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك فقالت طائفة كان الإسراء والمعراج بروحه وقال آخرون بل بروحه وبجسده ولم يقل أحد منهم إن الإسراء والمعراج كان مناماً فلا يسوغ أن ينسب هذا القول للسلف بل قاله بعض العلماء الذين لم يدققوا الفرق بين قول من قال إنه بالروح وبين أن يكون مناماً والصواب الذي عليه عامة أهل السنة، أكثر أهل السنة أنه كان بجسده وروحه معاً في الإسراء والمعراج ولم يقل أحد من المنتسبين لأهل العلم فيما أعلم إنه أسري بجسده وروحه وعرج بروحه فقط وإنما ثم ارتباط ما بين الإسراء والمعراج؛ لأنه لم يقل أحد أنه ذهب ونام في بيت المقدس.

إذاً نقول الصواب أن الإسراء والمعراج كان بروحه وجسده معاً ويدل على ذلك أدلة:

فمنها أن الله جل وعلا قال: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** ﴾ قوله أسرى بعبده، العبد اسم للجسد والروح معاً وليس اسماً للروح وإنما الروح تخص بالإضافة، فيقال روح العبد، روح عبدي فلان كما جاء في بعض الأحاديث فيقال جسد فلان أو جسد عبدي فلان يعني إذا كان من الله جل وعلا، أما إطلاق لفظ العبد أو الإنسان فإنه يكون لمجموع الروح والجسد فإذاً في قوله ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ دليل على أن الإسراء كان بالروح والجسد معاً، وإذا كان الإسراء كذلك فالمعراج كان بهما جميعاً.

الدليل الثاني: أن النبي ﷺ أخبر أنه كان مضطجعاً في بيته أو في بيت أم هانئ ففرج السقف ونزل جبريل وفي رواية أنه ﷺ كان مضطجعاً في الحطيم في الصحيحين فأخذه جبريل فشق صدره ما بين ثغره نحره إلى أسفل بطنه واستخرج قلبه إلى آخره، وهذه إنما تكون للجسد ولا معنى للإسراء بالجسد بدون الروح، فصار ثم تلازم ما بين الإسراء بالجسد والروح معاً إلى أدلة أخرى في هذا المقام معروفة.

المسألة الرابعة:

أن الإسراء والمعراج اختلفت فيها الأحاديث فمن الأحاديث ما أفرد فيه الإسراء دون المعراج ومنها ما أفرد فيه المعراج دون الإسراء وهي في الصحيح وفي غيره وما جرى في الإسراء وما جرى في المعراج يؤخذ من مجموع الأحاديث يعني أن تجمع الروايات الصحيحة التي جاءت في الإسراء وجاءت في المعراج وينظر ما حدث في الإسراء والمعراج، يعني أن بعض الروايات مثلاً فيما رواه البخاري في صحيحه قال : ((فأتاني جبريل فأخذني فأركبني على البراق فعرج بي إلى السماء فاستفتح)) وهذا فيه نقص؛ لأن العروج إلى السماء إنما كان بعد الذهاب إلى بيت المقدس وفي بعض الروايات فيها نقص.

المقصود أن الإسراء والمعراج تنوعت الروايات فيه ونبه أهل العلم على أن أحد الروايات في الإسراء والمعراج مما روى عن أنس –رضي الله عنه– أن فيها خلطاً وهي رواية شريك بن عبدالله بن أبي نمر في البخاري وفي غيره ومسلم –رحمه الله– حينما ذكر الرواية في صحيحه أشار إلى رواية شريك بن عبدالله عن أنس فقال فزاد ونقص يعني شريكاً فزاد ونقص وقدم وأخر ولم يسق روايته وفي روايته أغلاط عند أهل العلم خالف فيها مجموع أهل العلم الذين رووا ذلك عن الصحابة. إذاً فمسألة الروايات بها يعلم ما حدث وبالنسبة للمعراج،

رواية الإسراء والمعراج معاً –مجموع الروايات– فيه وصف الدابة وفيه تسميتها بالبراق، وتسمية هذه الدابة بالبراق لأمرين:

الأول: أنها في سرعتها كالبرق، قد جاء في وصفها أن الدابة تضع حافرها حيث ينتهي بصرها معلوم أن الإسراء كان بالليل ومعنى ذلك أنها تبصر ليلاً وأن سرعتها عظيمة فلذلك كان من أوجه تسميتها بالبراق أن سرعتها كالبرق.

الثاني: في تسميتها بالبراق أن لها بريقاً ولذلك جاء في وصفها أنها بيضاء – دابة بيضاء بين البغل والحمار ذلك لأن لها بريقاً والبريق يؤخذ من البياض.

النبي ﷺ في الإسراء به مرّ على أشياء كثيرة حتى وصل إلى بيت المقدس قال طائفة من أهل العلم ارتبط الإسراء بالمعراج مع أنه لا رابط بينهما من جهة العروج للسماء يمكن أن يكون العروج إلى السماء من مكة وارتبط الإسراء بالمعراج وكان الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ثم العروج من بيت المقدس لأمور يعني لحكم فيما استظهروه.

الحكمة الأولى أن يطلع النبي ﷺ في مسيره على الأرض على أشياء تكون أقوى لحجته إذا سأله المشركون ولو عرج به إلى السماء مباشرة فإذا سألوه فلن يكون عنده ما يقوي حجته عليهم في هذا الأمر لهذا لما رجع سألوه فأخبرهم عن خبر قافلة فلما رجع أهل القافلة سألوهم فقالوا نعم حصل كذا وكذا.

الثاني من الحكم: أن فيها إظهاراً للترابط ما بين مكة وما بين بيت المقدس وأن بيت المقدس كان قبلة وأن مكة كانت قبلة فلم يتوجه اتباع الأنبياء إلا إلى هذين، إلى بيت المقدس وإلى مكة المكرمة يعني إلى الكعبة.

الثالث: أن يظهر فضل محمد ﷺ حيث يلتقي بالأنبياء في بيت المقدس ثم يصلي بهم، وقد جاءت الروايات مختلفة صحيحة في دخول النبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ففيها أنه دخل فقال له جبريل صلي ركعتين وصلى ركعتين فصلى جبريل ركعتين ثم وجد الأنبياء ووجد صفوفاً خلفه فصف معهم ثم قدمه جبريل –عليه السلام– فصلى بهم، ففي هذا إظهار لفضله ﷺ ولمكانته ومزيته في الإمامة على سائر الأنبياء ﷺ.

أيضاً مما يذكر في الإسراء أنه ﷺ مرّ بموسى في قبره قال كما رواه مسلم في الصحيح : ((مررت ليلة أسري بي بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر)) وهذا الحديث رواه مسلم في الصحيح وطائفة من أهل العلم قالوا إن في هذا الحديث شذوذاً أو نكارة ولم يقبلوه والأكثرين على قبوله يعني أن هذا الحديث صحيح وابن القيم –رحمه الله– وجماعة ممن يميلون إلى أن فيه مقالاً.

أيضاً مما حدث في الإسراء أن أهل العلم اختلفوا في الدابة هل ربطت أم تركت فأنكر طائفة أن تكون ربطت في الصخرة وقبل هذه الرواية أكثر أهل العلم فقالوا إن جبريل وخز الصخرة فانثقبت فربط الدابة فيها. أما المعراج فلما عرج به ﷺ أتوا إلى السماء الأولى فاستفتح جبريل فقيل له أمعك أحد؟ قال نعم قيل من؟ قال: محمد بن عبدالله فقيل له أو قد بعث، أو أوقد أرسل أو أوقد أوحي إليه؟ فقال: نعم، ففتح. قال النبي ﷺ ((فلما ولجنا السماء الأولى وجدت فيها آدم)) إلى آخره تتكرر، ((فقيل لي هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ثم رد عليّ السلام فقال مرحباً بالابن الصالح والعبد الصالح، ثم عرج به إلى السماء الثانية فاستفتح)) يعني حصل مثلما حصل ((من معك، أوقد أرسل إلى آخره فوجد في السماء الثانية عيسى –عليه السلام– ويحيى وهما ابنا خالة ثم إلى السماء الثالثة وجد فيها يوسف ثم السماء الرابعة وجد فيها إدريس

ثم السماء الخامسة وجد فيها هارون ثم السماء السادسة وجد فيها موسى –عليه السلام– وعليهم جميعاً السلام ثم السماء السابعة وجد فيها إبراهيم وكل يقول له مرحباً بالأخ الصالح والعبد الصالح إلا آدم وإبراهيم فيقولان مرحباً بالابن الصالح والعبد الصالح، ولما مرّ على موسى –عليه السلام– وسلم عليه ورد عليه موسى قال ﷺ فلما ذهبت إذا به يبكي موسى –عليه السلام– فقيل له ما يبكيك قال أبكي أن بُعث غلام من بعدي يكون من يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي ثم لقي إبراهيم الخليل –عليه السلام– في السماء السابعة قال: ((ثم رفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذ ورقها مثل آذان الفيلة، قال ثم رفع لي نهران باطنان ونهران ظاهران فسألت فقيل لي النهران الباطنان من الجنة والنهران الظاهران النيل والفرات ثم أوتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فشربت الإناء من اللبن فقيل لي هذه الفطرة هديت للفطرة أو هذه الفطرة فيك وفي أمتك...)) أو كما قال ﷺ إلى آخر الحديث.

المقصود أن هذا حديث المعراج وما فيه، هذه إحدى الروايات والروايات في ذلك كثيرة في اختلاف أماكن الأنبياء واختلاف المقالة واختلاف ما حصل وكذلك في ما حصل في السماء السابعة.

إذا تبين ذلك فثم كلام هنا على لقيا النبي ﷺ للأنبياء والمرسلين والعلماء لهم في ذلك قولان، هل لقي أجسادهم مع أرواحهم؟ أم إنه ﷺ لقي أرواحهم دون أجسادهم؟ فطائفة من أهل العلم قالوا: لقي أرواحاً وأجساداً استدلوا على ذلك بدليلين:

الأول: أن هذا هو الظاهر من الجمع يعني من أنهم جمعوا له وأنه كلم آدم وكلم فلان وكلم فلان إلى آخره.

الثاني: أنه جاء في أحد الروايات قوله وبعثت لي الأنبياء وبعثة الأنبياء له تدل على أن ذلك خاص في ذلك الموقف الخاص.

القول الثاني أن ذلك إنما هو للأرواح دون الأجساد حاشا عيسى –عليه السلام– فإنه رفع إلى السماء بروحه وجسده وفي إدريس –عليه السلام– في السماء الرابعة فيه قولان هل كان رفعه للسماء الرابعة بروحه فقط أم كان بروحه وجسده وفي ذلك خلاف عند المفسرين وعند أهل العلم مأخوذ أو تجده عند قوله تعالى: ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً** ﴾ في قصة لا تثبت يعني في قصة لسبب الرفع لا تثبت.

والأظهر من القولين عندي أن ذلك كان بالأرواح دون الأجساد خلا عيسى –عليه السلام– وذلك أن النبي ﷺ حين التقى بالأنبياء وصلوا معه –عليه السلام– أما أن يقال صلوا معه بأجسادهم وقد جمعت أجسادهم له من القبور ثم رجعت إلى القبور وبقيت أرواحهم في السماء وإما أن يقال هي بالأرواح فقط؛ لأنه لقيهم في السماء ومعلوم أن الرفع إنما خص به عيسى –عليه السلام– إلى السماء رفعاً حياً وكونهم يرفعون بأجسادهم وأرواحهم إلى السماء دائماً ولا وجود لهم في القبور هذا لا دليل عليه بل يخالف الأدلة الكثيرة أن الأنبياء في قبورهم إلى قيام الساعة، فمعنى كونهم ماتوا ودفنوا أن أجسادهم في الأرض وهذا هو الأصل ومن قال بخلافه قال هذا خاص به ﷺ أنه بعثت له الأنبياء فصلى بهم ولقيهم في السماء وهذه الخصوصية لا بد لها من دليل واضح وكما ذكرت لك الدليل التأملي يعارضه وعلى كل هما قولان لأهل العلم من المتقدمين والمتأخرين.

المسألة الخامسة:

النبي عليه الصلاة والسلام حين رفع إلى ما فوق السماء السابعة ورأى البيت المعمور، ورأى سدرة المنتهى، رأى أشياء من آيات الله الكبرى كما قال جل وعلا ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾.

النبي ﷺ رأى هذه الأشياء بقلبه ورآها بعينه كما قال جل وعلا ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى** ﴾ فصار للفؤاد رؤية وقال ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾ فصار للبصر رؤية لهذا نقول رؤية النبي ﷺ لآيات ربه الكبرى فيما فوق السماء السابعة وفي السماء السابعة وما رأى صار بشيئين بالبصر وبالقلب جميعاً ولا يقال بالبصر وحده ولا يقال بالفؤاد وحده بل رأى بهما جميعاً وهذا يعني أنه قد يكون ثم أشياء رآها ببصره وقلبه جميعاً وثم أشياء رآها بفؤاده دون بصره، لهذا قال من قال من أهل العلم إن النبي ﷺ رأى ربه جل وعلا بفؤاده وهذا يجرنا إلى المسألة المشهورة هل رأى النبي ﷺ ربه أم لا؟ في قولين للصحابة، منهم من قال رأى ربه ومنهم من قال لم يره كما هما قولان لعائشة وابن عباس –رضي الله عنهم– أجمعين والصحيح من ذلك أن النبي ﷺ لم ير ربه وإنما سمع كلامه فأوحى إلى عبده ما أوحى كما ثبت في الصحيح من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قيل له هل رأيت ربك قال: ((نور أنى أراه)) يعني ثم نور يعني الحجاب حجاب الرب جل وعلا النور قال نور أنى أراه وفي رواية أخرى قال ((رأيت نوراً) يعني نور الحجاب.

إذاً فالصحيح أن النبي ﷺ حصلت له أنواع رؤية منها رؤية أشياء بالبصر ورؤية أشياء بالقلب بالفؤاد ورؤية أشياء بهما جميعاً وأما الله جل جلاله فلم يره وإنما سمع كلامه ﷺ.

المسألة السادسة:

أنه من المشهور المعروف في قصة الإسراء والمعراج المراجعة التي حصلت بين النبي ﷺ وموسى في فرض الصلاة، فإن الله جل وعلا فرض

الصلاة المفروضة على هذه الأمة خمسين صلاة ثم رجع جبريل مع النبي ﷺ ثم لما لقي النبي ﷺ موسى قال: سأله فقال فرض عليه خمسين صلاة فقال إنها لكثيرة وقد عالجت من أمر أمتي ما علمت أن أمتك لن تطيق ذلك فارجع فاسأل ربك التخفيف قال ﷺ فاستأذنت جبريل فإذاً لي فسألت ربي التخفيف هنا وقع الخلاف في الروايات هل صار التخفيف خمساً خمساً؟ أم كان التخفيف عشراً عشراً حتى وصلت إلى خمس في آخرها؟

الشريط الخامس عشر . وجه (ب) :

والصواب والأصح أن التخفيف وقع عشراً عشراً يعني كانت خمسين ثم خفف عنه عشراً فصارت أربعين ثم خفف عنه عشراً فصارت ثلاثين ثم خفف عنه عشراً فصارت عشرين ثم خفف عنه عشراً فصارت عشراً ثم خفف عنه خمساً ثم لما رجع إلى موسى قال إنها كثيرة إن أمتك لن تطيق ذلك فقد عالجت من أمر أمتي ما عالجت أو كما قال فقال نبينا ﷺ ((لقد استحييت من ربي)) قال فسمعت من يقول ((لقد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي)).

هذه بعض المسائل المشهورة في مسألة الإسراء والمعراج ولا ندري هل غطيت أم لا؟

نرجع إلى ألفاظ المؤلف قال: (والمعراج حق وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة في اليقظة يعني ليس في المنام، وعرج بشخصه يعني بجسده يعني مع روحه) فنفهم من قوله عرج بشخصه أنه عروج بالروح والجسد معاً وقوله في اليقظة أنها ليست في المنام وقوله وقد أسري وعرج نفهم منه أنهما متلازمان -كما قررت لك سالفاً- قال: إلى السماء والمقصود بالسماء جنس السماء وهي السماوات ثم إلى حيث شاء الله من العُلى يعني مما فوق السماء السابعة وأكرمه الله بما شاء يعني من تكليمه ومن أنه رأى ﷺ أشياء لم يرها غيره ﷺ وما حباه الله جل وعلا به قال -وأوحي إليه ما أوحى

في شأن الصلاة وفي غيره ما كذب الفؤاد ما رأى ما كذب الفؤاد ما رأى هذه قد تفهم على أنه رأى ربه بفؤاده يعني من حيث صياغة المؤلف وقد يفهم أنه أراد الاستشهاد بالآية ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ يعني ما رآه في أثناء الوحي يعني من الأنوار والآيات العظام.

قال: (فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى، صلى الله عليه، الصلاة هنا على النبي ﷺ من الله جل جلاله معناها الثناء عليه ، عليه الصلاة والسلام فالصلاة لها استعمالات فإذا كانت الصلاة من الله جل وعلا على عبده على الأنبياء والمرسلين على المؤمنين ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ** ﴾ تكون الصلاة من الله جل وعلا بمعنى الثناء يعني يثني على نبيه في الملأ الأعلى، اللهم صلى على محمد يعني اللهم أثني على محمد في الملأ الأعلى، بما هو أهله ﷺ والصلاة من الملائكة على المؤمنين هو الدعاء لهم والاستغفار، الملائكة تصلي ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ**﴾ يعني الملائكة تدعوا لابن آدم اللهم اغفر له، اللهم ارحمه تستغفر له، كما قال جل وعلا ﴿ **وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾ الصلاة من العبد للعبد اللهم صلي على فلان يعني اللهم أثني على فلان، صليت عليك أو لك يعني دعوت لك. لهذا قال جل وعلا ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ** ﴾.

إذا تبين ذلك فأصل الصلاة من الله جل وعلا مختصة بالأنبياء والمرسلين يعني لا يقال على وجه الانفراد اللهم صلي على فلان إلا أن يكون نبياً أو رسولاً فالصلاة على الأنبياء والمرسلين، أما غيرهم فلا يصلى عليه على وجه الانفراد وقد يصلى عليه على وجه التبع اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد اللهم صلي على محمد وآله وصحبه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، هذا يجوز من جهة التبع أما من جهة الاستقلال فلا يقال صلى

الله على آل محمد فقط، صلى الله على الصحابة فقط وقد يجوز على المفرد إذا لم يكن شعاراً، مرة مرتين، تارة تارتين، ونحو ذلك ولا يكون شعاراً كما قال ﷺ لما جاءه بن أبي أوفى بالصدقة قال ((اللهم صل على آل أبي أوفى)) هذا دعاء لهم هذا يكون على وجه الانفراد ولا يكون شعاراً.

فإذاً ما يكون شعاراً أن نصلي على علي -رضي الله عنه- كل ما ذكر علي -رضي الله عنه- قلنا -عليه السلام- أو بعض الآل نقول عليهم الصلاة والسلام أو نحو ذلك فهذا مخالف للهدي، هدي الصحابة، رضوان الله عليهم.

تجوز الصلاة على الفرد بشرطين ذكرتهما لك:

الأول: أن لا تكون دائماً تكون أحياناً.

الثاني: أن لا تكون شعاراً على شخص أو على مجموعة يعني الأئمة صلى الله على الأئمة هذه كلها من شعارات أهل البدع.

هذا ما يتعلق بهذه الجمل ونؤجل الكلام على الحوض في المرة القادمة -إن شاء الله تعالى-.

هذا الدرس بحسب رغبة الكثيرين يكون كالعادة آخر درس لأجل قرب الاختبارات ، ونواصل إن شاء الله مع اليوم الأول من الدراسة إن شاء الله تعالى بعد العيد ، أسأل الله جل وعلا أن يبلغنا وإياكم رمضان ، وأن يجعلنا فيه من عباده الصالحين المقبولين ، وأن يعيننا فيه على التلاوة والعبادة وأن يجعلنا صادقين مخلصين في أقوالنا وأعمالنا ، وأن لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين ، اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، اللهم قونا على ما تحب وترضى ، إنك جواد كريم ، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد .

الأسئلة :

سؤال : ما صحة الرواية التي فيها أن شق صدره كان وهو مسترضع في بني سعد؟

الجواب : إن هذا صحيح النبي ﷺ شق صدره عدة مرات لكل مرة بما يناسبها ثلاث مرات لكل مرة بما يناسبها، ومن العجيب ما رواه الإمام أحمد من حديث أنس أنه ﷺ كان يُرى المخيط في صدره من أثر الشق المخيط في صدره من أثر شق صدره ﷺ .

سؤال : هل كان المعراج بالبراق؟

الجواب : لا : البراق دابة رُكب عليها ما بين مكة إلى بيت المقدس فقط أما المعراج فبالمعراج.

سؤال : كيف نوفق بين رواية أن إبراهيم كان في السماء السابعة وموسى في السادسة، وفي فرض الصلاة كان أول من قابل موسى؟

الجواب : لا .. هو ﷺ نزل فلما بلغ موسى راجع موسى، يعني سأل موسى لا يعني أنه كان في السابعة.

سؤال : هل الكلام من الله تعالى يصل مباشرة أم هو وحي؟

الجواب : الكلام من الله جل وعلا على ثلاثة أنواع كما قال سبحانه في آخر سورة الشورى :﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾، قال ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً** ﴾ هذا واحد الوحي الأول هذا يدخل فيه النفث في الروع ويدخل فيه الإلهام ويدخل فيه المنام ويدخل فيه أشياء كثيرة ﴿ **أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ وهو ما كلم به موسى -عليه السلام- وما كلم به النبي محمد ﷺ فكان من وراء حجاب ﴿ **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ سبحانه.

سؤال : ما معنى النهران في الجنة النيل والفرات؟

الجواب : هذا نؤمن به والله عز وجل أعلم بحقيقته، نؤمن بما جاء في الحديث والله جل وعلا أعلم بحقيقته "نهران باطنان ونهران ظاهران".

سؤال : هل يجوز الدعاء بهذا : أسألك بحق تلاوتي للقرآن أن تجيب دعوتي؟

الجواب : هذا تركه أحسن؛ لأنه فيه اعتداء، حق التلاوة له جهتان، جهة الإثابة عليها هذا فعل الله جل وعلا وحق تلاوة القرآن يعني مكانة التلاوة وعظمة التلاوة إلى آخره وهذه قد تكون سؤالاً بأمر أجنبي فلذلك الدعاء بهذا يترك؛ لأن هذا لا يخلو من اعتداء لعدم وروده.

سؤال : هل التكليم مختص بالأنبياء فقط أو يدخل فيه غيرهم؟

الجواب : أما تكليم الله جل وعلا فهو لم يكلم الله جل وعلا مباشرة إلا موسى –عليه السلام– ومحمد بن عبدالله ﷺ من الرسل تضيف عليهما آدم –عليه السلام– من الأنبياء.

سؤال : هل يدل وصف النبي ﷺ لبعض الأنبياء "أثناء رحلة الإسراء والمعراج على أنهم كانوا بالأرواح والأجساد؟

الجواب : لا، الروح شكل الجسد بمعنى لو فُصِلَت روحك عنك صارت الصورة واحدة، الجسد للجثمان والروح مخلوق الله جل وعلا أعلم بحقيقته لكن من الصورة واحدة يدل عليه أن النبي ﷺ قال ((من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي)). ومعلوم أن الرائي للنبي ﷺ في المنام إنما يرى روحه؛ لأن جسده ﷺ مدفون وإذا كان رأى روحه فإنه يرى روحه على صورة جسده ﷺ الذي كان يعيش في الدنيا بروحه وجسده لهذا الروح صورتها صورة الجسد الروح والجسد نفس الصورة، الروح تدخل في الإنسان يعني في النفخ

فيه حينما يكون جنيناً وتتشكل مع الجسد هيئة الروح هي هيئة الجسد والله أعلم بحقائق الأشياء.

سؤال : هل يجوز أن يقال أن القرآن مؤلف؟

الجواب : لا يجوز ذلك وهذا من امتهان القرآن، القرآن كلام الله جل وعلا، التأليف معناه الجمع يؤلف ما بين جملة وجملة ويناسق بينها ألفه يعني جمعه ونَسَّق بينه وبين جمله ومباحثه إلى آخره، القرآن كلام الله جل وعلا القرآن أنزل على سبعة أحرف هذا من العجيب في كلام الله جل وعلا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف يعني أن القرآن سمعه جبريل على هذا النحو سبعة أحرف فنزل وهذا مما يدل على عظم كلام الرب جل جلاله.

سؤال : هل صحيح أن أول كتاب أُلف هو الموطأ ؟

الجواب : يعني أول كتاب جمع الحديث مبوباً هو الموطأ .

سؤال : ما هو أول مسجد وضع في الأرض؟

الجواب : أول مسجد وضع في الأرض المسجد الحرام، ثم بعده بأربعين عاماً وضع المسجد الأقصى يعني وضع هذا المسجد الموجود، والمسجد الحرام بنته الملائكة يعني الكعبة بنتها الملائكة والمسجد الحرام حدد حرمته إبراهيم –عليه السلام– هو الذي حرمه يعني ما حول الكعبة. والمسجد الأقصى أيضاً بنته الملائكة بعد بناء الكعبة بأربعين سنة ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ لفظة أقصى هذه أفعل فتدل على أن ثم مسجداً ليس قاصي ولكنه ليس بأقصى ولذلك فهم من الآية أن فيها بشارة بالهجرة وفيها إرهاصاً بالهجرة وأن ثم مسجداً سيعظم سيكون قاصياً عن المسجد الحرام لكنه ليس أقصى ولهذا قال تعالى ﴿ **إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى** ﴾ فكونه كان أقصى يعني أقصى المساجد معناه فيه جمع من المساجد وهذه المساجد هي الثلاثة، المسجد الحرام ومسجد

النبي ﷺ والمسجد الأقصى، وبيت المقدس أعم والمسجد خاص مثلما تقول مكة والكعبة أو المسجد الحرام.

بالمناسبة ترون في الصور القبة الموجودة ذات الجدران الزرقاء والقبة لونها ذهبية تقريباً المهم هذه القبة وضعت على الصخرة ولذلك ما تحتها يسمى مسجد الصخرة وليس المسجد الأقصى، وهذا الذي حول الصخرة لا يصلى فيه اختياراً؛ لأن هذا عظمت به الصخرة والصخرة لا يجوز تعظيمها لا ببناء قبة عليها ولا بتحويطها إلى آخره وإنما هي من جملة ما وصل إليه المسجد فالتعظيم صار للصخرة بالبناء عليها وبوضع القبة الحالية عليها هذا بعد زمن الصحابة –رضوان الله عليهم–، أما المسجد الأقصى فهو مسجد قديم تجدونه بعيد، هذا هو الذي فيه حصل صلاة النبي ﷺ والإسراء كان إليه، نعم توسعة المسجد الأقصى توسع وشمل هذه الصخرة وزيادة عليها فللجميع الآن اسم المسجد الأقصى للمسجد القديم العتيق ولما ألحق به من التوسعة لكن ليس المسجد الأقصى الذي به المحراب والإمام وما يسمى بمسجد الصخرة، وهذا من الأغلاط الشائعة.

سؤال : هل نقول مادة القرآن الكريم؟

الجواب : لا يصلح بل نقول مادة التلاوة، مادة تلاوة القرآن الكريم.

سؤال : ما الذي جاء في وصف المعراج؟

الجواب : ورد أنه سلم له درجات مرقاة للصعود إما من ذهب أو من فضة.

سؤال : بالنسبة للنيل والفرات كيف أنهما من أنهار الجنة؟

الجواب : إننا نؤمن بما ورد في الحديث ولا يعني أنهما من السماء بمعنى السماء متصلة بالأرض؛ لأننا لو ذهبنا إلى منابع النيل نجدها كذلك منابع الفرات تجدها ولكن النيل والفرات وجدهما النبي ﷺ في السماء وهذا حق

نؤمن به كيف ذلك وما اتصال النهرين الذين في السماء بالنهرين اللذين في الأرض الله أعلم بحقيقة ذلك.

سؤال : توجد أشرطة في السوق عن قصص الأنبياء ويروي صاحب هذه الأشرطة أن الذي بنى المسجد الحرام هو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ؟

الجواب : هو كما قال جل وعلا ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ** ﴾ لما جاء إبراهيم –عليه السلام– إلى الوادي، الوادي ليس فيه أحد فقال ﴿ **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ** ﴾ فهو قصد هذا المكان هذا الوادي عند البيت فالبيت موجود لكنه ما وجد منه إلا قواعده لكن متى أقيم؟ لما بلغ إسماعيل وشارك أباه إبراهيم –عليهما الصلاة والسلام– في بنائه ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا** ﴾ يعني بعد بلوغ إسماعيل وإلا فالبيت موجود من قبل.

سؤال : يقال إن يعقوب هو الذي بنى المسجد الأقصى؟

الجواب : ليس بصحيح المسجد الأقصى بنته الملائكة مثل المسجد الحرام سُئل النبي ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال الكعبة قيل ثم أي قال المسجد الأقصى قيل كم كان بينهما قال أربعين سنة.

سؤال : هل من صفات الله جل وعلا التدلي؟ وما مفهوم الآية والحديث؟

الجواب : هذا التدلي الذي بالآية ليس لله جل وعلا والتدلي الذي ذكر في الحديث هذا أهل العلم منهم من أثبته صفة وذلك لأجل تصحيح الرواية، ومنهم من أنكر ذلك وهو الصحيح؛ لأن هذه من أفراد شريك بن عبدالله بن أبي نمر فلا يؤخذ منه وعامة أهل العلم الذين رووا الحديث خالفوه في ذلك أصحاب أنس خالفوه في ذلك.

سؤال : هل كانت الصلاة مفروضة قبل رحلة الإسراء والمعراج؟

الجواب : قلت إن الصلاة مفروضة ركعتين ركعتين من أول البعثة ركعتين أول النهار وركعتين آخر النهار ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الْلَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ فالصلاة كانت ركعتين ركعتين مثلما قالت عائشة –رضي الله عنها– "فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر فلما صلى بهم عليه الصلاة والسلام كانت صلاة الأنبياء ركعتين وأما الصفة هذه فرضت الصلوات الخمس في المعراج يعني ليلة العروج ثم من غدٍ جاء جبريل للنبي ﷺ فعلمه الصلاة وعلمه مواقيتها وعلمه صفاتها.

سؤال : هل الصخرة لها مكانة شرعية معينة؟ وماسبب شهرتها؟

الجواب : لا. الصخرة بناء القبة عليها حرام والتعلق بها حرام والصخرة ليس لها مكانة وهي مثل غيرها من الأمكنة. وسبب شهرتها أنها ربط بها البراق وهي قريبة من المسجد الأقصى فربط بها البراق ومشى النبي ﷺ ودخل المسجد، ويقولون وهذا ما رأيته في رواية ثابتة يحتاج إلى تأمل أنه ﷺ عرج به منها يعني صعد عليها ومنها طلع لكن هذا ما أعرفه في رواية ثابتة يعني لم أره في رواية ثابتة. ويقال أن بها مغارة وأن النبي ﷺ من هنا خرج يعني لهم بها تعلقات وقد نبه أهل العلم أئمة السنة أن كل هذه التعلقات بالصخرة وبناء القبة عليها إلى آخره كل هذا كله حرام ومن التعلقات غير الشرعية ومن وسائل الشرك.

سؤال : من أول من صلى إلى القبلة؟

الجواب : أول من صلى إلى القبلة إسماعيل وقبله صلت إليها الملائكة.

سؤال : هل ترتيب الأنبياء في السماء ترتيب أفضلية؟

الجواب : الترتيب ثبت في الحديث ولكن هل قصدك أنه يستفاد من الترتيب ترتيب أفضلية يكون الأول أقل فضلاً من الذي بعده فإبراهيم أفضل من الجميع ثم يليه موسى ؟ لا.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى .

الشريط السادس عشر . وجه (أ) ١٤١٨/١٠/١٨هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله حق الحمد وأوفاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً .. أما بعد :

فأسأل الله جل وعلا أن يجمع لي ولكم بين العلم والعمل والتوفيق للعمل الصالح ، وقبول العمل ، وأسأله سبحانه أن يمن علينا بما منّ به على العلماء العاملين من التوفيق للصالحات وتيسير سبل العلم على طلابه وأن يسددنا في أقوالنا وأعمالنا إنه كريم جواد قريب من الداع إذا دعاه . وبين يدي الدرس فيما يأتي بقية الأخوة نجيب على بعض الأسئلة التي وردت كالعادة :

سؤال : هل يجوز لجماعة ذهبت للنزهة يوماً كاملاً أن يجمعوا الصلاة ، مع العلم أنهم ماكثون في مكان واحد ؟

الجواب : إن جمع الصلاة في مثل هذه الحال لا بأس به لمن جاز له القصر ، وقصر الصلاة للمسافر إذا ضرب في الأرض ، والأصل فيه قول الله جل وعلا : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، والنبي عليه الصلاة والسلام جرت سنته على أنه كان يقصر في أسفاره ، وحد السفر اختلف فيه العلماء متى يكون مسافراً ؟ فقال الأكثرون :

أن المسافر هو من خرج من البلد ناوياً أن يقطع مسافة ثمانين كيلو متر بالعرف المعاصر فأكثر ، فإذا خرج من البلد ينوي قطع هذه المسافة يعني المكان الذي سيذهب إليه أكثر من هذه المسافة ثمانين فأكثر فله أن يترخص برخص السفر ومنها القصر فإذا كان كذلك فإن من جاز له القصر جاز له الجمع والعكس ، وكونهم ذهبوا للنزهة لا أثر له في جواز القصر من عدمه ، وإنما تكلم العلماء فيمن أنشأ سفراً لمعصية هل له أن يترخص بالرخص الشرعية أم لا ؟ والمسألة معروفة ، والصواب فيها أن من أنشأ سفراً لمعصية لا لغير كقطع طريق أو سرقة أو زنا لا غير أو غير ذلك ، فلا نعينه على معصيته بالتخفيف عله ، لذلك الرخص الشرعية تكون للمؤمن أما الذي ينوي بسفره المعصية ، يعني لم ينشأه إلا لهذا الغرض لا لشيء آخر ، فلا يترخص برخص السفر على الصحيح .

سؤال : هل يُسن دعاء الاستفتاح عند بداية كل تسليمة في صلاة الوتر ؟

الجواب : أن المسألة أيضاً فيها أقوال لأهل العلم ، أو فيها قولان لأهل العلم والأظهر أنه يستفتح استفتاحاً واحداً في أول صلاته كما كان يفعل النبي عليه الصلاة والسلام .

سؤال : يقول أكملنا سنة منذ بداية الدروس وتم شرح ثلث الكتاب تقريباً ، وهذا يعني أنه بقي سنتان والعمر قصير ، فنطلب منكم النظر في ذلك ؟

الجواب : أن الشرح الذي نشرحه للطحاوية الآن شرح متوسط لأني أراعي في الشرح حال الذين حضروا قبل ذلك في شروح كتب العقيدة المختلفة من الواسطية وغيرها حتى يستفيد من سبق له الحضور ، والمباحث القادمة ربما كانت أقصر من المباحث القادمة .

سؤال : لقد صدر لكم كتاب بعنوان هذه مفاهيمنا وقد رأيت أن بعض أهل العلم يذكر أن أمور العقيدة لا تطلق عليها مفاهيم؛ لأنها ترجع إلى ما يعتقده المرء مما دل عليه الكتاب والسنة لا إلى فهوم الناس فما تعليقكم على ذلك؟

الجواب : إن كلام بعض أهل العلم فيما ذكر إنما هو في الابتداء يعني من سمى بحوث العقيدة ابتداءً فهوماً، مفهوم القدر في الإسلام، مفهوم الشفاعة في الإسلام يعني من قرر العقيدة ابتداءً باسم مفهوم وهذا ظاهر؛ لأن العقيدة مبنية على النصوص وليست ابتداءً يطلق عليها مفهوم أو نحو ذلك.

وقد يُقال إن المسألة إذا اختلف فيها أهل القبلة –فإنه يقال– يعني في غير المسائل قطعية الدلالة يقال فهم أهل السنة والجماعة كذا وفهم السلف الصالح كذا، وهذا ظاهر في تعبير عدد من أهل العلم حيث عبَّروا عن فهمهم لأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بقولهم فهم الذي يفهمه أهل السنة والجماعة من هذه النصوص كذا.

الحالة الثانية . وهي في الظاهر لم يردها من ظن السائل أنه أراد بها كتابي "هذه مفاهيمنا" . الحالة الثانية : أن تكون في مقابلة الرد والرد معلوم أنه يقابل فيه الأصل ويكون كمالاً الذي إذا كان فيه دفع للمبتدع وهذا فيه مناسبة بلاغية أيضاً؛ لأن الذي رُدّ عليه بكتاب هذه مفاهيمنا سمى كتابه "مفاهيم يجب أن تصحح" فالرد يكون باستعمال لفظ استعمله هو لتأكيد قوة الأمر وتثبيته بقوله هذه مفاهيمنا وهذا له أصل في اللغة العربية، وفي القرآن والسنة فإن الله جل وعلا لا يجوز عليه ابتداءً أن يوصف بصفات لكن إذا كانت في مقابلة نقص البشر أو مكرهم أو استهزائهم فإنه يوصف مثل: المكر ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ** ﴾ فلا يطلق ابتداءً المكر لكن إذا كان في مقابلة مكر فيقال يمكر الله بمن مكر أو الاستهزاء ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ** ﴾ أو المخادعة

ونحو ذلك ففي تسمية الكتاب هذه مفاهيمنا في مقام الرد فيه صواب وذلك من جهتين الجهة الأولى أن الرد فيه القوة وفيه الاستعلاء بما استعلى به صاحب النص والدليل والثاني أن فيه وجهاً بلاغياً؛ لأن مقابلة النقص بتثبيت اللفظ والزيادة على ذلك بصحة المعنى فإنه جائز بل مستعمل في اللغة وفي القرآن والسنة. ومن استعماله في اللغة قول عمرو بن كلثوم في معلقته: ألا لا يجهل أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

مع إجماع العقلاء على أن الجهل من صفات السفهاء لكن لما كان في مقابله جهل الجاهلين صار كمالاً؛ لأنه يدل على قوة، فلما سمى ذاك كتابه "مفاهيم يجب إن تصحح" كان من الكمال والرفعة أن يقال هذه مفاهيمنا يعني أن وجوب تصحيحها الذي ادعاه باطل ومردود، مع ظني أن من كتب في انتقاد هذه اللفظة يريد الوجه الأول وهو الابتداء لا الوجه الثاني .

سؤال : ما رأيكم أن تضيف إلى هذين الدرسين المباركين درساً ثالثاً ولعله يكون شرحاً لنونية الإمام ابن القيم ؟

الجواب : لعله يكون هذا ، والنونية طويلة ، وتحتاج منكم إلى صبر أكثر من الصبر على الطحاوية ؛ لأنها أكثر من ستة آلاف بيت أو نحو ستة ألف بيت .

سؤال : منَّ الله علَّ بحب القراءة حتى إني أقرأ في اليوم من ست إلى سبع ساعات ، ولكن ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لا أجد حماسة لقراءة القرآن ومراجعته مع أني حفظته ؟

الجواب : القرآن هو أهم المهمات فإذا كان طالب العلم منَّ الله عليه بحفظ كتابه فلا يفرطن فيما حفظ بأي على آخر بل يتمسك بما حفظ ويترك العلوم كلها ، إذا كان طلبه للعلم سيؤثر على حفظه للقرآن بما يعلم من نفسه أنه لا يستطيع فإنه يترك تلك العلوم إلى حفظ كتاب الله جل جلاله ؛ لأن القرآن

أعظم ما يحفظ نور الصدور ، وبه يهتدي المرء ، وإذا كان لديه رغبة فيمكن أن يجمع بين هذا وهذا فيما يسر الله له .

سؤال : يُشكل على الناظر إلى حال عائشة رضي الله عنها حيث أنها لا تقضي الصوم إلا في شعبان فيأتي سؤال ألا تصوم النوافل المرغب فيها ؟

الجواب : أن صيام النوافل ليس فراً وإنما هو سنة ، وعائشة رضي الله عنها لما تركت صوم النفل وانشغلت بعدم القضاء إلا في شعبان ، قالت لمكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أنها منتقلة عن سنة الصيام إلى ما هو أفضل من ذلك ، وهو مراعاة حال النبي صلى الله عليه وسلم في خدمته وما يريده أو في قضاء حاجته من أهله ، لهذا هي تركت نفل الصيام لكنها منتقلة إلى ما هو أفضل وهو خدمة النبي عليه الصلاة والسلام ومراعاة حاله عليه الصلاة والسلام .

المتن :

صلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى ، والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق، والشفاعة التي أدخرها الله لهم حق ، والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق .

الشرح :

(والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق) هذه الجملة مشتملة على تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الحوض فقال : (إن الحوض حق) ومعنى أن الحوض حق يعني أنه كما أخبر نبينا ﷺ حق كما أخبر على ظاهر ما ورد فيه في صفته وفيما جاء في الأخبار فليس ثم شيء من ذلك يُرد ولا يؤول على خلاف ظاهره فإنه حق يجب اعتقاد ما دل عليه الدليل في ذلك والحوض هذا أكرم الله جل وعلا به محمداً ﷺ لهذا نقول أن

الحوض من المسائل العظيمة التي يبحثها أهل السنة والجماعة في الاعتقاد وبحثهم لها من جهات يعني سبب بحثهم له في العقائد من جهات :

الجهة الأولى أو السبب الأول: أن الحوض أمر غيبي والأمور الغيبية الإيمان بها واجب فإن الله سبحانه أثنى على خاصة عباده بقوله ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ﴾ فجعل أخص صفاتهم الإيمان بالغيب.

السبب الثاني: أن الحوض دلت عليه الأدلة من السنة بما يبلغ حد التواتر، التواتر النقلي والتواتر المعنوي؛ لأنها رويت من طريق أكثر من خمسين صحابياً وبعض أهل العلم أوصلها إلى طريق ثمانين صحابياً كما سيأتي بعض مزيد بيان لذلك.

السبب الثالث: أن الحوض خالف فيه المبتدعة من الخوارج والرافضة والمعتزلة، خالف المعتزلة في إنكارهم للحوض أصلاً وخالف الروافض والخوارج في فهم أحاديث الحوض كما سيأتي بيانه.

فإذاً مسألة الحوض من المسائل العقدية التي ترتبط بأمر الغيب وبنقل متواتر لا يجوز رده وبمخالفة المبتدعة من أصحاب الفرق الضالة.

(والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق) فذكر أن الحوض إكرام لنبينا ﷺ به أكرم الله نبيه بهذا الحوض، وإكرامه بهذا الحوض لا يعني أن الحوض خاص بالنبي ﷺ بل قد جاء في الحديث ((إن لكل نبي حوضاً)) وهذا يناسب ما سيأتي بيانه من أن النبي ﷺ يزود الناس عنه يعني ممن ليس من أمته صارفاً لهم عن إتيان حوضه إلى الذهاب إلى أحواض الأنبياء كما وجهه طائفة من أهل العلم .

فإذاً الحوض إكرام للنبي ﷺ وفي إكرامه إكرام لأمته ﷺ بذلك الحوض الذي سيأتي وصفه إن شاء الله تعالى قال : (أكرمه الله تعالى به غياثاً

لأمتـه) وكلمـة غياثـاً هـذه نفهـم منهـا أن الطحـاوي رحمـه الله أراد أن الحـوض تغاث بـه الأمـة وكون الأمـة تغاث بالحوض يعني بما فـي الحوض يعنـي أنها تغاث به وقت حاجتها إلى الحوض وهذا يدل على أن الطحاوي يذهب إلى أن الحوض يكون في عرصات القيامة قبل ورود الصراط وقبل العبور على النار وقبل تجاوز الصراط يكون قبل ذلك إذا اشتد بالناس الحاجة إلى أن يشربوا من ذلك الحوض فإن المقام –مقام الساعة– عظيم والزمن طويل يلبث الناس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ويشتد عليهم البلاء، ويشتد عليهم الكرب فيكرم الله جل وعلا نبيه ﷺ بالحوض ويكرم أمته بأن يجعله غياثاً لهم فمن شرب منه شربة في ذلك اليوم العصيب لم يظمأ بعدها أبداً فهذا معنى قوله غياثاُ لأمته ثم قال "حق" يعني أنه واقع وحاصل وأنه موجود وأن الإيمان به فرض وأن غير ذلك باطل.

إذا تبين ذلك في بيان معنى ما قاله الطحاوي –رحمه الله– ففي مسألة الحوض مسائل:

المسـألة الأولـى: أن الحوض دل عليه القرآن باحتمال ودلت عليه السنة بقطع وأما القرآن فدليل الحوض فيه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ فسر الكوثر بأنه حوض أعطاه الله إياه وهناك عدة تفاسير للكوثر منها أنه نهر في الجنة وأن الحوض وقد جاء أيضاً أن الحوض يشخب فيه من الكوثر ميزابان يعني يغذونه بماء الكوثر.

وأما من السنة فقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في وجود الحوض وفي صفته، وقد رواها عنه ﷺ أكثر من خمسين صحابيا، ولهذا نقول هي متواترة نقلاً ومتواترة تواتراً معنوياً فجمعت بين نوعي التواتر، وهذا النقل جاء عن أفاضل الصحابة وعن أكمل الصحابة فمرويات الحوض ثابتة عن الصحابة عن أبي بكر –رضي الله عنه– وعن عمر وعن عثمان وعن علي وعن فقهاء

الصحابة كابن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وأبي ذر إلى غير هؤلاء فجلّة الصحابة رووا أحاديث الحوض على اختلاف بينهم في ألفاظها والنبي ﷺ كان يكرر الكلام عن أحاديث الحوض كما روى أبوداود في سننه عن أحد الصحابة أنه قال سمعته مراراً لا أقول مرة أو مرتين يعني عن النبي ﷺ فكان يكرر الأحاديث في الحوض ولذلك حصل فيها بعض الاختلاف كما سيأتي فيما نستقبل .

المسألة الثانية: أن صفة الحوض التي دل عليها الدليل من صحيح السنة أولاً من حيث شكله فهو مربع زواياه سواء وأضلاعه متساوية قد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال طوله شهر وعرضه شهر زواياه سواء، فهذا يدل على أن شكل الحوض أنه مربع وأن زواياه قائمة وأن طوله وعرضه واحد وهو شهر. واختلفت الروايات كثيراً في طوله وعرضه ومحصلها ما ذكرت لك من أنه شهر في شهر وقد جاء في بعض الروايات قال ((هو كما بين المدينة وبيت المقدس)) وفي رواية قال ((هو كما بين المدينة وعمان)) أو قال عمّان وفي رواية قال : (هو كما بين المدينة إلى صنعاء) وفي رواية قال ((هو كما بين أيلة إلى صنعاء)) وثم غير ذلك وإذا قلنا مسيرة شهر في شهر فالمراد بالشهر بسير الجمال السير المعتاد؛ لأنه هو الأصل في التقدير. هذا من حيث طوله وعرضه وشكله، شكله مربع طوله وعرضه شهر في شهر.

الصفة الثانية –مكانه– هو في الأرض المبدلة يعني (يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات هو في الأرض المبدلة.

آنيته: وصفها ﷺ كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره، قال: آنيته كنجوم السماء وهذا التشبيه بقوله كنجوم السماء نفهم منه صفتين الصفة الأولى الكثرة بأن كثرتها كثرة نجوم السماء وهذا يدل على مزيد راحة وطمأنينة في الشرب منه وتناوله وأن لا يكون هناك تزاحم على كيزانه أو أن

الناس يشربون بأيديهم والصفة الثانية أن كيزانه أو كيسانه أو أباريقه أو نحو ذلك كنجوم السماء في الإشراق والبهاء والنور فنجوم السماء فيها صفة الكثرة وفيها صفة النور والبهاء، هذا من جهة وصف كيزانه من حيث العدد ومن حيث الشكل.

ماؤه: من حيث اللون أشد بياضاً من اللبن كما ثبت في الحديث قال: ((حوضي طوله شهر وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل))، وقد جاء في رواية قال: ((مائه أشد بياضاً من الورق)) يعني من الفضة ورائحة مائه قال رائحته كرائحة المسك، ومصدر مائه من الكوثر الذي في الجنة. قال ﷺ ((الكوثر نهر أعطانيه الله في الجنة)) وقد جاء في صفة الحوض ((يشخب فيه من الكوثر ميزابان)) هذه من جملة صفاته.

المسألة الثالثة: موقعه: اختلف العلماء أين يكون الحوض ؟ هل هو قبل الصراط أم بعد الصراط على قولين ، وجمهور أهل العلم على أنه قبل الصراط وليس بعد الصراط؛ لأن الأحاديث التي فيها صفة الحوض فيها ذكر أن أناساً يزادون عنه ويدفعون ويؤخذ بهم إلى النار فيقول النبي ﷺ ((ربي أصيحابي أصيحابي)) أو قال : ((أصحابي أصحابي)) فيقول : (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) ، وقال طائفة من أهل العلم أن الحوض حوضان: حوض قبل الصراط وحوض بعد الصراط فمن لم يشرب منه قبل الصراط بأن أخذ للعذاب من هذه الأمة ثم نجا بعد ذلك فثم حوض آخر بعد الصراط يشرب منه، ولكن الذي تدل عليه الأحاديث بظهور وكثرة أن الحوض يكون قبل الصراط لا بعده.

ثم القائلون بأنه قبل الصراط أيضاً اختلفوا هل هو قبل الميزان أم بعد الميزان على قولين لأهل العلم والأكثر أيضاً أنه قبل الميزان وأنه في العرصات قبل أن يأتي الله جل جلاله لفصل القضاء وقبل أن تتطاير

الصحف وإلى آخر ذلك ولشدة طول مكث الناس فإن الله يكرم نبيه ﷺ بهذا الحوض حتى يشرب منه المؤمنون فلا يظمئون ولا يقلقون من شدة هول الموقف . فإذاً نقول الصواب أنه قبل الصراط وأيضاً أنه قبل الميزان، قال القرطبي صاحب كتاب التذكرة في كلام مشهور عنه يتناقله العلماء، قال والمعنى يقتضي هذا؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً فإذا وافوا الموقف فإنهم يحتاجون مع طول الموقف إلى ما به ذهاب ظمئهم وسرورهم وهذا يناسب أن يكون إكرام النبي ﷺ بالحوض قبل الميزان.

المسألة الرابعة: جاء في الأحاديث أن الحوض يُذاد عنه فقد جاء أن النبي ﷺ يذود أناساً عن الحوض وجاء في أحاديث أخرى أن النبي ﷺ يأتيه قوم فيعرفهم فيذادون عن الحوض يعني يذودهم غيره ﷺ فيقول ((يا رب أصيحابي أصيحابي)) إلى آخر الأحاديث التي سيأتي توجيهها وهذا يدل على أن التحقيق أن الذود عن الحوض نوعان:

الأول: نوع عام ذود عام وهو ذود النبي ﷺ غير أمته أن يستقوا من الحوض فيدفعهم أو يمنعهم ويذودهم عن الحوض الخاص بأمته ﷺ وهذا الذود العام منه ﷺ وإبعاد الناس عن حوضه إلا أمته يفيد فائدتين:

الأول: أنه ﷺ بالمؤمنين به من هذه الأمة رؤوف رحيم فيريد أن تختص أمته بحوضه وذلك فيه إكرام لهم ومزيد عناية بهذه الأمة.

والفائدة الثانية: أنه جاء كما ذكرنا أن لكل نبي حوضاً والنبي ﷺ يريد من كل أتباع نبي من الأنبياء إخوانه الأنبياء والمرسلين يريد من كل تابع لنبي ومؤمن بنبي أن يذهب إلى النبي فيكون أبلغ في ظهور عظم الرسالة رسالة النبي إلى قومه ورأفة قومه به وإظهار لمن آمن بكل نبي على من لم يؤمن بذلك النبي وهذا توجيه جيد أفاده عدد من أهل العلم منهم الحافظ بن حجر -رحمه الله- ومن تبعه.

أما –الذود الخاص– فهذا يذاد عن الحوض طائفة قليلة بالنسبة إلى كثرة من يرده، وقد جاء في أحاديث كثيرة عنه ﷺ متعددة أنه إذا ورد الحوض ورد عليه أناس يعرفهم ويعرفونه ثم يذادون عن الحوض يعني يدفعون بشدة فيقول: ((يا رب قومي قومي)) وفي رواية (أصحابي أصحابي) ، وفي رواية لأنس في الصحيح ((أصيحابي أصيحابي)) فينادي المنادي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي رواية أنهم لا يزالوا مرتدين على إدبارهم مذ تركتهم، فهذا دفع بشدة عن الحوض لطائفة من المرتدين ومن المحدثين، ولهذا اختلف أهل العلم في هؤلاء الذين يدفعون عن الحوض على أقوال:

القول الأول: أن الذين يذادون عن الحوض هم الذين ارتدوا من الصحابة بعده ﷺ كالذين تبعوا مسيلمة الكذاب أو سجاح أو كفروا وارتدوا بعد ذلك وهم قليل ويدل على قلتهم أنه ﷺ قال ((يذاد قوم)) وفي رواية أخرى قال : ((فيأتيني قوم فيذادون عن الحوض)) فهذا يدل على قلتهم ويدل على ذلك أيضاً قوله ((يا رب أصيحابي أصيحابي)) قد قال أهل العلم أن كلمة (قوم) و (أصيحابي) ونحوهما يدل على قلة العدد لا على كثرته وهذا يناسب هذا القول؛ لأن عدد الذين ارتدوا بعد النبي ﷺ ممن صحبوه أو حجوا معه حجة الوداع قليل من شرذمة من الأعراب الذين لم يؤمنوا به حق الإيمان.

القول الثاني: أن الذين يذادون عن الحوض هم المنافقون والنبي ﷺ لم يعرف المنافقين جميعاً فقد قال الله جل وعلا له ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ فيأتون يوم القيامة وعليهم سيما أهل الإيمان أو أنهم مع المؤمنين فيظنهم ﷺ من المؤمنين به ظاهراً وباطناً ثم يذادون فيدفعون عن الحوض بشدة ويساقون إلى النار فيقول: ((أصحابي أصحابي)) باعتبار ما كان عليه ظاهر أمرهم فيقول: ((إنك لا تدري ما

أحدثوا بعدك)) أو ((إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ تركتهم)) يعني ظهر نفاقهم واستبان بعد وفاته ﷺ.

القول الثالث: إن الذين يذادزن هم كل من أحدث بعده ﷺ حدثاً فغير في دينه إما بالارتداد عن الإسلام إلى الكفر أو بما هو دون ذلك من المحدثات في البدع المضلة من أنواع البدع المضلة ، كبدعة الرفض والسبئية والخوارج والنصب والاعتزال وأشباه ذلك ، كل هذه من أنواع المحدثات والنبي ﷺ قال في وصف من يذاد قال: ((فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وهذه من جملة أنواع المحدثات وهذا القول الثالث هو أظهر الأقوال لشموله للقولين السابقين فنقول أولا: الذين يذادون كما ورد في بعض الأحاديث بعض الذين ارتدوا أو الذين ارتدوا ممن شارك في حجة الوداع أو صحب النبي ﷺ ولم يؤمن به إيماناً حقيقياً فهؤلاء يذادون وأيضاً يزاد المنافقون وأيضاً يذاد كل أصحاب الفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة والرافضة وأشباه هؤلاء من الفرق الذين ضلوا وأحدثوا في الدين وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله قال بعض أهل العلم ويلحق بذلك أيضاً من افترى على الله جل وعلا في دينه يعني كذب في أمر الدين ويدل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده ونحو ذلك بألفاظ متقاربة من أن النبي ﷺ قال: ((سيكون بعدي أمراء فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد عليَّ الحوض)) قال في وصف هؤلاء فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم يعني يكذبون على الدين وهذا يصدقهم على ذلك ويعينهم على الكذب على الدين ويعينهم على الظلم فهذا محدث ولهذا ألحق بتلك الفئات في قوله ﷺ ((فليس مني ولست منه ولن يرد عليَّ الحوض)).

المسألة الخامسة: خالف في الحوض طوائف من أهل البدع خالف فيه المعتزلة والخوارج والرافضة أما المعتزلة فخالفوا في إنكاره أصلاً فأنكروا

الحوض وقالوا هذه الصفة التي وردت لا تُعقل فردوا الأحاديث المتواترة المتطابقة المتتابعة لفظاً ومعنىً، ردوها بالعقل وقالوا: الحوض لا يعقل ولكن له معنى يؤول إليه فليس عندهم حوض موجود يوم القيامة وإنما هو معنى من المعاني. قالوا فكيف يكون الحوض قبل الصراط وبين الناس وبين الجنة جهنم الكبيرة ويكون الحوض يغذي من الجنة والصراط على جهنم، يعني أنهم تخيلوا ما ورد في صفة يوم القيامة بعقولهم ثم بعد ذلك ردوا بعض الأحاديث مما لا يتناسب مع الوصف العام الذي تخيلوه ومن المعلوم أن السنة إذا ثبتت ولو بالآحاد فكيف إذا كانت بالتواتر اللفظي والمعنوي إذا ثبتت فلا يجوز أن يسلط عليها العقل؛ لأن الأمر أمر غيبي والمعتزلة كما هو معلوم في قاعدتهم يؤولون الغيبيات فأنكروا الصراط والميزان أولوا الصراط وأولوا الميزان وأولو الصحف وأولوا الحوض إلى غير ذلك على أساس قاعدتهم من تسليط العقل على النقل .

فإذاً مخالفتهم مردودة وقال بعض أهل العلم من أنكر الحوض بعد علمه بالتواتر فإنه يكفر ولكن هذا فيه نظر من جهة تطبيقه؛ لأن التواتر قسمان تواتر لفظي وتواتر معنوي وقد يسلمون بصحة النقل لكن لا يسلمون بصحة الدلالة.

أما الخوارج والرافضة فمخالفتهم ليست في إثبات الحوض ولكن في أنهم جعلوا أحاديث الحوض على غير ما هي عليه من جهة الصحابة رضوان الله عليهم فقالت الخوارج والرافضة إن الذين ارتدوا فلم يردوا على الحوض هم الصحابة وأولئك جمع كبير من الصحابة. فيؤمن الخوارج والرافضة بالحوض لكن يقولون هؤلاء الذين رُدوا هم الصحابة ويحتجون بأحاديث الحوض على تكفير الصحابة. فيقول: الرافضة مثلاً: إن هؤلاء

أصحاب النبي ﷺ فإنه لم يبق على الإيمان بعده ﷺ إلا نفر قليل والأكثرون كفروا . والعياذ بالله .

(الشريط السدس عشر . الوجه (ب)

والجواب عن هذه الفرية:

أولاً: أنه وردت في الأحاديث ألفاظ مختلفة تدل على تقليل العدد فقال ﷺ: ((فيذاد قوم عن حوضي)) هذا في لفظ والثاني ((فيذاد أناس عن حوض)) وفي الثالث قال: فأقول: ((يا رب أصيحابي)) وفي الرابع قال: ((فأقول يا رب أصيحابي)) فدل ذلك بمقتضى اللغة على أن العدد قليل كما يقول القائل في اللغة أتاني بنو تميم مثلاً إلا قوم منهم لم يأتوا يعني إلا قليل منهم فإذا أتت الجملة الكثيرة ثم استثنى قوم دل على قلة أولئك كيف وقد جاء الحديث فيه ذكر التقليل بقوله ((أصيحابي أصيحابي)).

الدليل الثاني: أوالرد الثاني على الرافضة في هذا الباب أن الذين نقلوا احاديث الحوض عن النبي ﷺ هم الذين زعمت الرافضة أنهم كفروا وهم جمع كثير أكثر من خمسين صحابياً يقول الرافضة أن هؤلاء كفروا وهم الذين نقلوا أحاديث الحوض فنقول: إن كنتم صدقتم أن ما نقله هؤلاء من صفة الحوض وأحاديث الحوض أنها صحيحة فكيف تقبلون أحاديث من كفر عندكم وإن كان النقل عندكم إنما هو للتكاثر فكيف ينقل هؤلاء الجلة من الصحابة والعدد الغفير أحاديث فيها تكفيرهم لا شك أن فهم الجمع الغفير بل عامة الصحابة بل كل الصحابة لأحاديث الحوض وكونهم رووها وتناقلوها جميعاً جميع الصحابة وجميع التابعين نقلوها وتناقلوها مع ترضيهم عن الخلفاء الأربعة جميعاً وعن العشرة المبشرين بالجنة ما يدل دلالة قاطعة على أن هذا الفهم لتلك الأحاديث لم يكن معروفاً عند الصحابة ولا التابعين ولا تبع التابعين كون فهم في الأحاديث يكون غائباً عن الصحابة جميعاً وعن التابعين وعن تبع

التابعين ولا يظهر هذا الفهم إلا بعد مأتي سنة يدل على أن هذا الفهم مردود؛ لأنه لم يفهمه أجيال من المسلمين وإذا كان كذلك فالقاعدة المتفق عليها أن الفهم إذا كان محدثاً وغابت القرون المفضلة ولم تفهم هذا الفهم فإن معنى ذلك أن هذا الفهم غير صحيح وهذا هو الذي يوافق الواقع فإن الذين ارتدوا من أصحاب النبي ﷺ ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم نفر قليل ممن قاتلوا مع مسيلمة أو كفروا بعد إسلامهم من شذاذ الأعراب وطوائف ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ** ﴾ وكلام الرافضة لهم كلام طويل في الاستدلال بأحاديث الحوض على مسألة تكفير الصحابة ليس هذا محل بسطها وبيانها.

المسألة السادسة: في هذا الأمر العظيم أن الشرب من الحوض وورود الحوض له أسباب في هذه الدنيا ينبغي بل يجب على الموحد أن يحرص عليها بل يجب على كل مسلم أن يحرص عليها:

أولاً: أن يكون غير محدث في الدين حدثاً يعني كل ما لم يكن على عهده ﷺ من أنواع الاعتقاد والعلم فإنه يجب رده يعني أن لا يعتبره حقاً .

فإذاً العقيدة والدين هو الذي كان عليه ﷺ وأصحابه في عهده فكل من أتى بشيء جديد فإنه لا يأمن أن يكون داخلاً في قوله ((إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)) حتى إن أهل العلم أدخلوا في ذلك كما سمعت كل من أحدث بدعة في الاعتقاد من المرجئة والخوارج والمعتزلة والكلابية والرافضة والسبئية إلى غيرها من الفرق الغالية والمتوسطة والخفيفة كل من أحدث حدثاً يدخل في ذلك ولهذا يجب على الموحد وعلى المؤمن أن يحرص تماماً على أن يحظى بهذه التكرمة العظيمة وهو ورود حوض النبي ﷺ الذي من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً وأمن في يوم الفزع، أمن في يوم الحزن حيث قال الله جل

وعلا ﴿ **لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ** ﴾ ومن أسباب عدم الحزن أنه يأمن قبل تطاير الصحف بأن يشرب من حوض النبي ﷺ لذلك صار اهتمام المهتم بالتوحيد وبالعقيدة وبالدين الصحيح؛ لأجل أن يأمن على نفسه وأن يحظى بهذه التكرمة العظيمة يوم القيامة.

السبب الثاني: أن يخلص قلبه من الغش والغل لخيرة هذه الأمة وهم صحابة رسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ معه من أحبه والصحابة معه يوم القيامة كما ثبت ((أنت مع من أحببت)) وإذا كان كذلك فلا يجوز لأحد أن ينتقد الصحابة أو أن يبغض بعضاً منهم أو نحو ذلك بل يجب عليه أن يحب الجميع فلعله أن يُحشر في زمرتهم وأن يرد حوض نبيه ﷺ معهم.

السبب الثالث: أن يكون بعيداً عن الافتراء في دين الله جل وعلا كما ذكرت لك من الحديث الصحيح أن النبي ﷺ ذكر أن من صفة الذين لا يردون عليه الحوض قال ((يكون بعدي أمراء.. فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يردوا عليَّ الحوض)) وهذا الأمر شديد في أن المرء لا يكذب على دين الله وأيضاً إذا خالط أحداً فلا يصدقه على كذبه فلا يصدق من يكذب على دين الله ولهذا المسألة العظيمة هي هذه في أن المرء يعلم الدين ويعتقد الاعتقاد الصحيح ويعلم الشريعة ولا يعين المرء المسلم من كذب على الدين بل يجب عليه أن لا يصدق أحداً بكذبه وأن لا يعين أحداً على ظلمه بل يسأل الله جل وعلا السلامة والعافية وأكثر ما يورد الناس النار يوم القيامة اللسان فلذلك ينتبه المرء بأنه لا يقل شيئاً وبأنك لا تقول شيئاً يكون كذباً على الدين؛ لأنك قد تقول لا أدري المسألة سهلة أو إن استطعت أن تنطق بالحق فهذا يعني فيمن كذب على دين الله فهذه مرتبة عظمى أما أن يقول المرء في دين الله جل وعلا بما لا يعلمه فهذا قد يكون افتراءً على الدين ولهذا ذكر السفاريني –رحمه الله– في عقيدته المعروفة في منظومته

ذكر جملة هذه الصفات في قوله إنه يذاد عن الحوض المُفْتَرى على الله جل وعلا يعني من كذب على الله جل وعلا في العقيدة أو في الدين فنسب شيئاً إلى الله جل وعلا أو إلى دينه إنما هو محض تخرص منه ما اجتهد اجتهاداً أخطأ فيه أو هو معذور في اجتهاده لا إنما هو محض تخرص واستهانة وعدم مبالاة بما ينسبه للشريعة وللدين وهذا أمر يجب على المرء أن يحافظ على لسانه من أن يفتري على الله جل وعلا والله سبحانه نهى أن يقال عليه ما ليس للمرء به علم فقال: ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ فقرن بين الشرك وبين القول على الله بلا علم.

السبب الرابع: أن يبتعد المرء عن الكبائر والذنوب عن المداومة عليها وإذا أذنب يرجع ويستغفر؛ لأن جمعاً من أهل العلم قالوا إن الذين يلازمون الكبائر لا يردون الحوض وأخذوا ذلك من قوله ﷺ فيقال ((إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)) والناس في عهد النبي ﷺ كانوا إذا أذنبوا استغفروا ولم يكن بينهم يعني من الصحابة ممن هو مداوم على الكبيرة غير تائب منها، لهذا يحرص المرء على أن يأتي بالسبب الذي به غفران الله جل وعلا وأن يكرمه الله بحوض نبيه ﷺ في أنه يبتعد عن الكبائر والموبقات وعن الآثام وأنه إذا غشي شيئاً من المعاصي فينيب ويستغفر ويتبع السيئة الحسنة لتمحي عنه السيئات.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن أكرم بالورود على حوضه ﷺ، نعوذ بك اللهم من أن نذاد عن حوض نبيك اللهم أكرمنا بما أكرمت به أوليائك وأكرمت به الصالحين بالمنة عليهم بورود حوض المصطفى ﷺ الذي من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك وقاعه يتقاذف منه ألوان الجوهر وألوان عجيبة وأسأل الله سبحانه أن يجعلني وإياكم ومن الصالحين وممن غفر ذنبهم

ومحيت خطاياهم إنه سبحانه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد، مباحث الحوض كثيرة لو نسيت شيئاً منها ستجدونه إن شاء الله في الكتب المختصة.

سؤال : تعريف الصحابي أنه مات على الإيمان فلماذا نقول أن بعض الصحابة ارتدوا، وهل هناك فرق بين الإطلاق الاصطلاحي وغير الاصطلاحي؟

الجواب : أما الاصطلاحي أن الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك وكلمة مات على ذلك هذه فيها خلاف، مؤمناً به كم المدة ساعة شهر يوم أيضاً فيها خلاف بين أهل العلم لكن التعريف الراجح للصحابي هو ما ذكرت لك من لقي ولا نقول رأى؛ لأن الرؤية كان بعض الصحابة لم يكونوا يبصرون نقول من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، زاد بعض أهل العلم ولو تخللت ذلك ردة يعني ارتد ثم رجع فمن لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك يعني مات على الإيمان به فهو صحابي وإن قلت المدة لشرف الصحبة لهذا نقول الذي جاء في الأحاديث يعني باعتبار ما كانوا عليه ومن يقول لماذا نقول أن بعض الصحابة ارتدوا يعني بعض من كان صحابياً ارتد كان صحابياً فارتد.

سؤال : هل إذا قلنا إن شكل الحوض مربع نجزم بذلك وهو من الغيبيات أم نقول أن زواياه متساوية وأضلاعه مسيرة شهر؟

الجواب : زواياه سواء هذا كلام النبي ﷺ وأضلاعه مسيرة شهر يعني كل ضلع مسيرة شهر هذا يدل على أنه مربع لذلك صرح طائفة من علماء السنة بأنه مربع الشكل.

نكتفي بهذا القدر ، وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد .

الشريط السابع عشر . الوجه (أ) الشفاعة ١٠/٢٤ / ١٤١٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد ، نجيب عن بعض الأسئلة .

سؤال : ما رأيكم في من يقول بأن الحوض مدور ويستدل لذلك بأن طوله وعرضه سواء ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا كان مدوراً؟

الجواب : إن طوله وعرضه سواء لا يقتضي أن يكون مدوراً، وقد جاء في الرواية الأخرى ((طوله مسيرة شهر وعرضه مسيرة شهر زواياه سواء)) وهذا يدل على أنه ليس بدائري.

سؤال : إذا ورد فضل عمل معين بعد الصلاة كفضل قراءة آية الكرسي ، فهل هو خاص بالفرائض أم عام لكل الصلوات ؟

الجواب : يُتأمل الحديث الوارد فستجد فيه أنه يكون بعد الفرائض مثل آية الكرسي فيها في الحديث التقييد بأنها بعد الفرائض ((من ق{ا آية الكرسي بعد كل صلاة مكتوبة كانت له حرزاً أو حفظاً من الشيطان إلى الصلاة الأخرى)) أو كما جاء والحديث في قراءة آية الكرسي يعني بمفرداته يعني مفردات طرقه فيها ضعف لكن بمجموعها هو حسن .

سؤال : ما القدر المجزئ في سترة المصلي من حيث طولها وعرضها وبعدها عن المصلي ؟

الجواب : سترة المصلي مشروعة وأمر بها عليه الصلاة والسلام ، وقال : ((إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فليدنوا منه)) وكان عليه الصلاة والسلام تُحمل العنزة وهي حربة صغيرة فتوضع بين يديه فيصلي إليها عليه الصلاة والسلام وربما صلى عليه الصلاة والسلام إلى غير سترة أو إلى غير جدار كما صلى في منى كما في حديث ابن عباس في الصحيح ، وإذا صلى إلى سترة فيستحب له أن يدنو منها يعني بقدر ما يكون يصلي إلى

موضع سجوده يعني لا يبتعد عنها كثيراً ، بل كون بنه وبينها قدر ما يمكنه الصلاة بمجافاة الأعضاء المسنونة ، أما قدر السترة فالسترة تكون مرتفعة كقدر الذراع ونحوه ؛ لنه جاء في الحديث أن السترة تكون كمؤخرة الرحل ، كمؤخرة الرحل يعني العمودين الذين يكونان في آخره ، الكرسي الذي يوضع على الرحل ، إذا لم يكن بين يديه سترة فله من الحق المكان الذي يشغله في صلاته ، يعني مثلاً أنت في المسجد واحد يصلي هنا ، وليس أمامه سترة ما حكم المرور ؟ لا يجوز أن تمر بين يديه يعني المكان الذي تصله يديه ، وهو المكان الذي يشغله إلى السجود ، فهذا لا يجوز ، المرور بين يديه ؛ لأنم له الحق في ذلك ؛ لأنه يصلي وهذا المكان يحتاجه في صلاته فالحق له فيه ، لهذا يحرم أن يمر بين يدي المصلي ، ومعنى بين يدي المصلي التي جاءت في الحديث الصحيح ، وهو ما بين مقامه قائماً إلى مكان وضع جبهته إلى مكان سجوده ، ولا جناح أن يمر بعد ذلك ، هذا إذا لم يكن له سترة ، أما إذا كان له سترة فلا يجوز للمار أن يمر بين المصلي وسترته ، إذا قصد إليها ولو كانت أبعد من ذلك

سؤال : ما معنى قول القائل قدس الله روح فلان؟

الجواب : التقديس معناه التطهير، قدس الله روح فلان يعني طهر الله روح فلان من الذنوب يعني أو أثر الذنب، من السيئات ومن المعاصي، وهذا التطهير يكون بمغفرة الله لذنبه أو بمن الله جل وعلا عليه بأن يجعل ما أصابه كفارة أو بغير ذلك من الأسباب بتهيئة دعاء المؤمنين، المقصود أنه دعاء بأن يطهر الله روح فلان ، وهذا لا بأس به، قدس الله روح فلان لا بأس به؛ لأن معناه طهر الله روح فلان ومن أسماء الله "القدوس" يعني المطهر من كل عيب ونقص لا في الذات ولا في الأسماء ولا في الصفات ولا في الأفعال ولا في الأمر أمره الكوني القدري ولا في أمره الديني في هذه الخمس، وهناك

عبارة أخرى لا تجوز وهي قول بعضهم –قدس الله سره– كلمة (سره) هذه هي المنكرة؛ لأن هذه اللفظة يستعملها من يعتقد في الأموات بأن روح فلان لها سر ولذلك يطلقون على من له السر السيد على اعتقاد أنه الذي فيه السر فيخصون بعض الأولياء الذين يعتقد فيهم بأنهم يجيبون أو أن الدعاء عند قبورهم مستجاب أو أن الاستشفاع بهم يحصل به المقصود ونحو ذلك ويخصونه بقولهم –قدس الله سره– وهذا غلط ومنكر؛ لأن الروح ليس فيها سر، روح الناس، روح المؤمنين ليس فيها أسرار، وهذا بالإضافة إلى أن هذه الكلمة لم تأت لا في اللغة ولا في الشرع.

سؤال : ما الدليل على التفريق بين السفر المباح وسفر المعصية ف حكم القصر والأدلة جاءت عامة دون تقييد والأصل فيها الإطلاق كما قرر شيخ الإسلام نرجو توضيح المسألة .

الجواب : أن هذه مسألة خلافية اختلف فيها أهل العلم هل سفر المعصية تُستباح به الرخص الشرعية ، رخص السفر من الفطر وقصر الصلاة ومسح الجوربين أو الخفين إلى ثلاث وذهب جمهور أهل العلم إلى أن سفر المعصية لا تُستباح به الرخص ؛ لأن في إباحة ذلك له إعانة له على المعصية فإذا كان سيقطع الطريق ، ونقول له يجوز لك ما دام إنك مسافر أن تفطر فإنه سيتقوى بفطره على قطع الطريق ، وعلى قتل الناس ، سيذهب إلى بلد من البلد مثلاً والعياذ بالله ليزني أو ذهب ليسرق فنقول له : يجوز لك الفطر فإنه سيتقوى بهذا على معصية الله ، ولهذا ذهب جمهور أهل العلم إلى أن المسافر سفر معصية يعني الذي لا يريد بسفره إلا المعصية لم ينشئ السفر إلا لهذا الغرض ، ذهبوا إلى أنه لا يُعان بالتخفيفات الشرعية ؛ لأن التخفيفات الشرعة أعطيت لأهل الإيمان ، وهذا الذي أنشأ سفر المعصية لا يُعان على المعصية لقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبرِ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ

وَٱلْعُدْوَانِ﴾ معلوم أن الأدلة جاءت بترخيص كل مسلم في السفر بالرخص الشرعية ، ولهذا ذهب أصحاب القول الثاني إلى أنه يترخص المطيع والعاصي لا بأس بذلك ، وهذا فيه نظر كما ذكت لك ؛ لأننا لا نعين العاصي على معصيته يذهب يزني نقول له : لا بأس تفطر ، يذهب يريد أنه يقطع الطرق نقول له : لا بأس تفطر ، يتقوى على المعصية بالرخصة ، هذا ليس بجيد

سؤال : ما معنى قول النبي ﷺ إن الله خلق آدم على صورته؟

الجواب: هذا الحديث يطول الكلام عليه لكن خلاصة الكلام أن الصورة هنا بمعنى الصفة؛ لأن الصورة في اللغة تطلق على الصفة كما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر)) يعني على صفة القمر من الوضاءة والنور والضياء، فقوله ﷺ ((إن الله خلق آدم على صورته يعني خلق آدم على صورة الرحمن جل جلاله يعني على صفة الرحمن فخص الله جل وعلا آدم من بين المخلوقات بأن جعله مجمع الصفات وفيه من صفات الله جل وعلا الشيء الكثير يعني فيه من أصل الصفة على التقرير من أن وجود الصفة في المخلوق لا يماثل وجودها في الخالق فالله جل وعلا له سمع وجعل لآدم صفة السمع والله جل وعلا موصوف بصفة الوجه وجعل لآدم وجهاً موصوف بصفة اليدين وجعل لآدم صفة اليدين وموصوف بالقوة والقدرة والكلام والحكمة وموصوف سبحانه وتعالى بصفة الغضب والرضى والضحك إلى غير ذلك مما جاء في الصفات .

فإذاً هذا الحديث ليس فيه غرابة كما قال العلامة ابن قتيبة –رحمه الله– قال وإنما لم يألفه الناس فاستنكروه فهو إجمال لمعنى الأحاديث الأخرى في صفات الرحمن جل وعلا خلق آدم على صورته يعني خلق آدم على صفة

الرحمن –جل وعلا– فخصه بذلك من بين المخلوقات. الحيوانات قد يكون فيها سمع فيها بصر لكن ما يكون فيها إدراك، ما يكون عندها حكمة ما يكون كلام خاص إلى آخره ، فآدم خص من بين المخلوقات بأن جعل الله جل وعلا فيه من الصفات ما يشترك بها في أصل الصفة لا في كمال معناها ولا في كيفيتها مع الرحمن جل وعلا تكريماً لآدم كما ذكرنا لك وهذا ملخص الكلام فيها وإلا فالكلام يطول؛ لأن هذا الحديث كثيرون لم يفهموا المراد منه ولا حقيقة قول أهل السنة والجماعة في ذلك.

سؤال : ذكرت أن لفظة قدس الله سره لفظة منكرة وقد أكثر منها الإمام السفاريني عند ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فهل لذلك معنى؟

الجواب : أحياناً العالم أو المؤلف يستعمل عبارة على حسب ما درج ولا يعني حقيقة العبارة ولذلك يفرق بين من يستعملها يقصد المعنى وبين من يستعمل العبارة مشاركة فالحكم يختلف، فالذي يقصد المعنى أن روح فلان لها سر وأنها تغيث هذا شرك أكبر والذي يستعمل اللفظ من غير قصد لما يستعمله الآخرون منها فإنه يقال تستبدل تلك بغيرها كما قال جل وعلا ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انْظُرْنَا** ﴾ فنهاهم عن قول راعنا لاستعمال اليهود لها بمعنى الرعونة والإيذاء ووجههم إلى غيرها؛ مع أنها تحتمل أن تكون من المراعاة فقال ﴿ **لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انْظُرْنَا** ﴾ فأبدلهم بكلمة لا إشكال فيها ولا شبهة ولا يشتركون فيها مع من يحرفون الكلم عن مواضعه.

المتن :

والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق .

الشرح :

الحمد لله وبعد قال العلامة أبوجعفر الطحاوي –رحمه الله تعالى– في هذه العقيدة المباركة (والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار) قوله: (والشفاعة التي ادخرها) يعني ادخرها رسول الله ﷺ (لهم) يعني لأمته (حق) يعني ثابتة (كما روي في الأخبار) وأراد بقوله ادخرها ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال ((لكل نبي دعوة مجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة في مدركة منهم من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)) وفي رواية قال ((وإني أخرت شفاعتي)) اختبأت شفاعتي أو أخرت شفاعتي هذا يدل على أنه ادخرها لهم يعني جعلها مدخرة مرجَئةً إلى يوم القيامة، فالله جل وعلا جعل لكل نبي شفاعة تحصل له جزماً بإكرام الله جل وعلا له وإذنه ومحض تفضله سبحانه والنبي ﷺ لأجل شدة رحمته ورأفته بالمؤمنين ومعرفته بما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة أخر هذه الشفاعة إلى يوم القيامة.

قال: (حق) يعني ثابتة كما روي في الأخبار والشفاعة هذه التي ادخرها لهم يُعنى بها في أول ما يعني الشفاعة العامة لأهل الموقف أن يعجل الله جل وعلا لهم الحساب فيستريحون من العناء ويعرف كلٌ منزلته.

هذا معنى قوله (والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار) وفي هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى: في تعريف الشفاعة

الشفاعة في اللغة من الشفع وهو الزوج ضد الفرد؛ لأن الداعي والمتوسط صار زوجاً للسائل بعد أن كان السائل فرداً فسمي شفيعاً يعني سمي شفيعاً؛ لأنه شفعه يعني صار زوجاً له يعني صار ثانياً معه وحقيقة الشفاعة في اللغة هي السؤال سؤال الشافع للمشفوع له في حاجة ما وطلب ذلك

فرجعت في اللغة إلى معنى السؤال والدعاء فمن قال لأحد اشفع لي عند فلان يعني اسأل لي واطلب لي، توسط لي ونحو ذلك.

وأما في الاصطلاح فالشفاعة اسم عام لكل دعاء للنبي ﷺ يوم القيامة لأمته فكل دعوة يدعو بها ﷺ في العرصات يوم القيامة فإنها تعد من الشفاعة يعني أنه إذا جاء في الحديث ((فسألت الله لأمتي كذا)) أو ((أسأل الله لأمتي)) أو ((فأدعو الله لأمتي)) هذه كلها شفاعة ولهذا أهل العلم جعلوا لأجل ما جاء في الأحاديث الشفاعة عدة أقسام لتنوع العبارات في ذلك.

المسألة الثانية:

أن الشفاعة في أحكامها قسمان: شفاعة في الدنيا وشفاعة في الآخرة والذي أراده الطحاوي هنا الشفاعة في الآخرة؛ لأنه عبر بقوله –التي ادخرها لهم– ولكن لما كان ثم من يخالف في أحكام الشفاعة في الدنيا والآخرة وفي تأصيلها وفي العقيدة الصحيحة فيها يذكر العلماء هنا ما يتصل بالشفاعة في الآخرة وأيضاً الشفاعة في الدنيا ويبينون أحكام ذلك بالنسبة للنبي ﷺ ولعموم المكلفين.

المسألة الثالثة:

الشفاعة اختلف فيها الناس أعني الشفاعة في الآخرة اختلف فيها الناس إلى أقوال متعددة فثم شفاعة مجمع عليها وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف كما سيأتي.

وهناك شفاعة أنكرها المعتزلة والخوارج وطوائف وهي الشفاعة لأهل الكبائر من الأمة في أن يعفوا الله جل وعلا عنهم وأن يخرجهم من النار وهناك أنواع من الشفاعة يختلف فيها نظر العلماء من أهل السنة ومن غيرهم من أجل ورود الدليل عليها وهذه الثالثة لا تُعد من الخلاف في العقيدة؛ لأنه

قد يثبت الشفاعة من رأي صحة حديث وقد ينفيها آخر لعدم ثبوت الدليل عنده بذلك فهي إذاً مأخذ اجتهاد.

المسألة الرابعة:

أن الشفاعة التي للنبي ﷺ بما جاء في الأخبار يوم القيامة أنواع:

أولها: الشفاعة العظمى وهي شفاعته ﷺ لأهل الموقف أن يحاسبوا فإن الناس يوم القيامة يمكثون زماناً طويلاً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ينتظرون الفرج وهم في شدة كرب وشدة حر وخوف وهلع ينتظرون الحساب وينتظرون تبيين المنازل فيأتون إلى الأنبياء، يأتون إلى آدم يستغيثون به يطلبونه أن يشفع لهم، قال، فيأتون إلى آدم فيقولون له أنت أبونا ألا ترى ما نحن فيه اشفع لنا فيعتذر عن ذلك متذكراً ذنبه -عليه السلام- ثم يأتون إلى نوح عليه السلام -- ثم يأتون إلى إبراهيم، ثم يأتون إلى موسى، ثم يأتون إلى عيسى عليهم جميعاً السلام كل هؤلاء يعتذرون وبعضهم يذكر سؤالاً له وبعضهم يذكر ذنباً له كما جاء ذلك في الحديث الطويل المعروف بحديث الشفاعة ثم يأتون إلى النبي ﷺ فيقول ﷺ ((أنا لها أنا لها))، فيذهب فيخر تحت العرش بعد نزول الجبار جل جلاله، قال ﷺ ((فأحمد الله بمحامد يفتحها عليّ لا أحسنها الآن فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع... الحديث.

وهذا الحديث فيه من جهة السياق ما يدل على أن المراد من هذا السؤال أن يشفع لهم ﷺ في تحقيق ما طلبوا وإن لم يرد له ذكر في الحديث في تحقيق ما طلبوا وهو أن يحاسبوا وأن يرتاحوا من الموقف فهذه هي الشفاعة العظمى جاءت فيها عدة أحاديث وعليها التفسير في قوله جل وعلا ﴿ **عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً** ﴾ وكما جاء في دعاء المجيب للأذان "اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعدته"، المقام المحمود هو المقام الذي تحمده

عليه الخلائق جميعاً ويثني عليه به ﷺ جميع الخلائق الذين وقفوا للحساب وهو مقام الشفاعة العظمى؛ لأنه بدعائه ﷺ وشفاعته يرتاح الناس من ذلك الموقف العظيم الذي لا يتصور ولا يعرف هوله إلا من قام فيه أعاننا الله جل وعلا على كرباته وأمننا وإياكم من الفزع الأكبر.

النوع الثاني من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر وهذه قد جاء بها الدليل الخاص بقوله ﷺ ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) وقد سأل أبوهريرة رضي الله عنه -- نبينا ﷺ فقال له يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ ((أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)) خرجاه في الصحيحين فقوله أسعد الناس بشفاعتي يعني سعيد الناس بشفاعتي فأسعد أفعل على غير بابها بمعنى فعيل يعني سعيد الناس بشفاعتي كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً** ﴾ ليس معناه أنهم أحسن مقيلاً من أهل النار فيشترك أهل النار معهم في حسن مقيل بل معنى قوله أحسن مقيلاً يعني حسن مقيلهم فأحسن ليست على بابها في المفاضلة ولكنها بمعنى المصدر بمعنى حسن مقيلهم، سعيد الناس بشفاعتي ونحو ذلك، وهذه الشفاعة لأهل الكبائر لها نوعان، النوع الأول يعني لعموم اللفظ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي نوعان:

النوع الأول: قوم أهل كبائر رجحت سيئاتهم على حسناتهم فأُمر بهم إلى النار فيشْفَع فيهم ﷺ في أن لا يدخلوا النار فَيُشفع فيهم ﷺ.

النوع الثاني: في أقوام دخلوا النار فيشفع فيهم ﷺ أني يخرجوا منها فيخرجون منها كأنهم الحمم فيوضعون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّة في جانب السيل.

النوع الثالث من أنواع الشفاعة: شفاعته ﷺ في أن يدخل فئام أو أن يدخل أقوام الجنة بغير حساب ولا عذاب وهذه يُستدل لها بقول عكاشة في حديثه يا رسول الله ادعو الله أن يجعلني منهم قال أنت منهم.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات بعض أهل الجنة وهذه يذكرها أهل العلم ولم يوردوا عليها دليلاً بيناً وهي شفاعة متفق عليها حتى عند أهل البدع فيستدل لها بالاتفاق وأيضاً يستدل لها بما استدل به ابن القيم –رحمه الله– في شرحه على تهذيب سنن أبي داود حيث قال ويستدل لها بقوله ﷺ لما صلى على أبي سلمة ((اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين)) فقوله وارفع درجته دعاء في الدنيا له وهذا معنى الشفاعة.

النوع الخامس : شفاعته ﷺ لأقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم وصاروا على الأعراف في أن يعفو الله جل وعلا عنهم ويدخلهم الجنة وهؤلاء في عموم قوله جل وعلا ﴿ **وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ** ﴾ على أحد أوجه التفسير من أن أصحاب الأعراف هم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيجعلون على رأس جبل بين الجنة والنار لأجل التساوي إذا نظروا يمنة إلى الجنة سروا وإذا نظروا شمالاً إلى النار خافوا فيشفع فيهم ﷺ إكراماً في أن يجعلهم الله جل وعلا من أهل الجنة.

النوع السادس من الشفاعة: شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة فإن الناس إذا جاوزوا الصراط يحبسون في عرصات الجنة مدة ثم يأتي ﷺ فيقرع باب الجنة فيفتح له ويسأل الله جل وعلا قبل ذلك أن يأذن لأهل الجنة بدخولها فيدخلون برحمة الله جل وعلا ثم بشفاعته ﷺ وهو ﷺ أول شافع وأول مشفع يعني من حيث الجنس هو أول شافع وأول مشفع.

النوع السابع: شفاعته ﷺ لأبي طالب عمه في أن يخفف الله جل وعلا عنه العذاب فيشفع فيه فيكون في ضحضاح من نار نعلاه من نار يغلي منهما دماغه نعوذ بالله من عذابه.

هذه سبعة أنواع وبعض أهل العلم يجعلها ثمانية لأجل أن أهل الكبائر كما ذكرنا لكم نوعان فيجعل شفاعته لأهل الكبائر بعدها نوعين من الشفاعة وهي واحدة؛ لأن الدليل فيها واحد.

المسألة الخامسة:

قبل اعتراض المبتدعة الشفاعة يوم القيامة ليست خاصة بالنبي ﷺ ولا بالأنبياء بل تشفع الملائكة ويشفع المؤمنون بدرجاتهم العلماء والشهداء والصالحون بشفعون كما ثبت في الصحيح أن الله جل وعلا يقول يوم القيامة ((شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين فيأمر الله جل وعلا بأقوام في النار لم يعملوا خيراً قط أن يخرجوا ...)) إلى آخر الحديث ، يعني أن الشفاعة ليست خاصة بالأنبياء بل الملائكة تشفع كما قال جل وعلا في وصف الملائكة من حملة العرش ومن غيرهم ﴿ **وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ** ﴾ وهذا استغفار قبل معاينة المصير والعذاب وهم أرحم ومتولين لأهل الإيمان إذا رأوا العذاب وإذا رأوا المصير. قال ((شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون)) فإذاً الشفاعة عامة فكل مؤمن صالح يشفع في قريبه يشفع فيمن شاء.

المسألة السادسة:

الشفاعة لا تنفع عند الله جل وعلا مطلقة كما قاله سبحانه ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ فليس كل شافع يشفع وليست كل شفاعة تقبل بل لا تنفع الشفاعة لا من الأنبياء ولا من الملائكة إلا بوجود شرطين فيها:

الشرط الأول: أن يأذن الله للشافع أن يشفع.

الشرط الثاني: رضى الرحمن جل جلاله عن المشفوع له، كما قال سبحانه ﴿ **وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّـهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى** ﴾ وقال سبحانه ﴿ **إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ يعني فيمن تنفعه الشفاعة، لهذا قال العلماء يشترط لوصول الشفاعة وقبولها الأول إذن الرحمن جل وعلا والثاني الرضا .

إذا تبين ذلك فالمقصود بالإذن الإذن الشرعي والإذن الكوني ، فإذاً العبد لا يبتدئ بالشفاعة كوناً إلا بعد أن يشاء الله جل وعلا أن تقع منه الشفاعة كوناً يعني في الدنيا وفي الآخرة وكذلك لابد لتحقيق هذا الشرط من الإذن الشرعي فإذا شفع فيمن لم يؤذن شرعاً بالشفاعة فيه فإن الشفاعة لا تقبل مثاله (شفاعة إبراهيم في أبيه) قال: ﴿ **لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ** ﴾ فلم تنفعه وقال سبحانه في حقه ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ** ﴾ كذلك شفع نوح –عليه السلام– في ابنه فقال ﴿ **رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ** ﴾ فأجابه الله سبحانه وتعالى ﴿ **قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ وكذلك شفع النبي ﷺ في عمه ((لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك)) فنزل قول الله جل وعلا ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾.

فإذاً ولو وقعت الشفاعة بإذن الله الكوني فإنها لا تنفع حتى يكون إذن الله الشرعي يعني حتى تكون الشفاعة موافقة للشرع يعني الإذن الشرعي في صفتها وفي المشفوع له وفيما يكون في ذلك وهذا الشرط مهم فيما سيأتي بيانه –إن شاء الله تعالى–.

الثاني: الرضى: كما قال سبحانه ﴿ **وَيَرْضَى** ﴾ وقال جل وعلا في سورة الأنبياء في ذكر الملائكة: ﴿ **وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ**

خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ هذا الرضى هو رضى الله جل وعلا عن الشافع ورضي الله جل وعلا عن المشفوع له فرضى الله عن الشافع في قوله ﴿ **إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ ورضى الله عن المشفوع له في قوله ﴿ **وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى** ﴾ وآية النجم في قوله ﴿ **وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى** ﴾ كذلك.

إذاً فالرضى شرط رضاه سبحانه عن الشافع لذلك الكافر لا يشفع.

الثاني رضى الله جل وعلا عن المشفوع له ويرد على هذا شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب فهي مستثناة من هذا الشرط؛ لأجل أن الله جل وعلا رضى نصرته للنبي ﷺ فحصل من أبي طالب من الفعل ما فيه نوع رضى لله جل وعلا عن الفعل لا عن الفاعل فإذاً هو إيراد على هذا الشرط والجواب أن هذا استثناء وسبب الاستثناء ما ذكر.

المسألة السابعة:

أن الشفاعة من المباحث العظيمة التي ضل فيها فئام من الناس ضلت النصارى فيها وضل مشركو العرب فيها وضل مشابهوا مشركي العرب من الذين يغلون في الأولياء والأنبياء والقبور فضلوا فيها والجميع لسانهم قول المشركين –ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى– ولهذا الشفاعة كما ذكرت لك لها جهتان في بحثها جهة تتعلق بالعقيدة والآخرة وهي ما قدمنا ملخصاً ومختصراً في يوم القيامة.

والجهة الثانية ما يتصل بتوحيد العبادة وطلب الشفاعة من الأموات وتحقيقاً لذلك المقام فنقول: إن طلب الشفاعة من الإنسان أو المخلوق هذه منقسمة إلى قسمين:

الأول: شفاعة أذن بها الشرع.

الثاني: شفاعة نهى عنها الشرع.

أما التي أذن بها الشرع فهي طلب الشفاعة ممن يملكها ويستطيع أدائها وهو الحي الحاضر الذي يسمع ولهذا سأل الصحابة النبي ﷺ أن يشفع لهم في حياته ﷺ؛ لأنه حي حاضر يسمع وقد ثبت في الصحيح أن عمر – رضي الله عنه– لما جاءت المجاعة وأصاب الناس الكرب في عام الرمادة أنه قال لما استسقى بالناس "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا استسقينا بنبيك وإنا الآن نستسقي بعم نبيك اللهم فاسقنا يا عباس قم فادع ربك" فدل هذا على أنهم كانوا يطلبون الشفاعة من النبي ﷺ وطلب الشفاعة منه في حياته بمعنى طلب أن يدعو لهم ربه جل جلاله والنبي ﷺ دعواته الأصل فيها أنها مجابة وقد يرد بعضها لحكمة الله جل وعلا، أما طلب الشفاعة من المخلوق الذي ليس بحي (ميت) أو هو غائب فإنه شرك بالله جل وعلا لماذا؟ لأنه طلب لأن حقيقة الشفاعة دعاء وطلب فإذا سأل غيره الشفاعة فهو سأل وطلب من المسئول أن يسأل.

إذاً حقيقة طلب الشفاعة أنها دعاء ولذلك من طلب من الميت أن يدعو له فإنه يدخل في عموم نصوص الدعاء؛ لأن الطلب دعاء ولهذا نقول كل طلب شفاعة من الأموات أو الغائبين ممن لا يملكها أو لا يستطيعها أو لم يؤذن له فيها شرعاً في حياة البرزخ فإن هذه من الشرك بالله جل وعلا

الشريط السابع عشر . وجه (ب) :

لكن الشبهة في الشفاعة كبيرة وتحتاج إلى إقامة الحجة على المخالف أكثر من غيرها من مسائل العقيدة المشركون لم يكونوا يطلبون من آلهتهم الدعاء، لم يكنوا يطلبون من أوثانهم أن تشفع ولكن كانوا يتقربون إليها لتشفع فإذاً صورة طلب الشفاعة من الميت محدثة ولهذا يعبر كثير من أهل العلم عن طلب الشفاعة من الأموات بأنها بدعة محدثة؛ لأنها لم تكن فيما قبل الزمان الذي أحدثت فيه تلك المحدثات في هذه الأمة فإذاً تعبير بعض أهل العلم عنها بأنها بدعة لا يعني بأنها ليست بشرك؛ لأن البدعة منها ما هو

كفري شركي ومنها ما هو دون ذلك تفاصيل مسألة الشفاعة من حيث تعلقها بتوحيد الألوهية مبسوط في شرح كتاب التوحيد كما هو معروف والمقام في شرح العقيدة العامة لا يتسع لتفصيل الكلام على ذلك.

المسألة الثامنة:

احتج المعارض والمخالف من المعتزلة والخوارج في أن الشفاعة لأهل الكبائر لا تنفع الشفاعة لمن في النار لا تنفع بقول الله جل وعلا ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ ووجه الاستدلال عندهم من الآية أنه قال ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ بالجمع والذين يشفعون يوم القيامة هم الذين أذن الله لهم بالشفاعة وهم الأنبياء والمؤمنون قالوا فدلت الآية على أن من في النار لا تنفعه الشفاعة شفاعة الشافعين؛ لأجل عموم لفظ الشافعين فهو عام في كل من يشفع والجواب عن ذلك أن هذه الآية جاءت في سياق الكفار في سياق ذكر الكفار وأنهم في النار فقال جل وعلا ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ** ﴾ ﴿**قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ فقوله (فما) الفاء هنا ترتيبية ترتب النتيجة التي بعدها على الوصف الذي قبلها والوصف الذي قبلها في الكافرين الذين وصفهم بقوله: ﴿ **لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ** ﴾ ووصفهم بقوله ﴿**وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾ وهؤلاء هم الكفار والمسألة التي هي الشفاعة لأهل الكبائر هي فيمن كان مسلماً أما المكذب بيوم الدين والذي لم يصح إسلامه فإنه ليس هو محل البحث، فإذاً استدلالهم بالآية في غير محله؛ لأن الآية يقول بها من يثبت الشفاعة لأهل الكبائر؛ في أن المشركين ولو شفع بعضهم لبعض وظنوا أن آلهتهم تشفع فما تنفعهم شفاعة الشافعين؛ لأنهم مشركون كفرة والكافر لم يرض الله جل وعلا عنه ومن شرط الشفاعة الرضى فلو شفع

على فرض أن أحداً شفع لهم من أقربائهم فإنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين والله سبحانه إنما تنفع الشفاعة عنده لمن يأذن الله جل وعلا له ولمن يرضى.

الجواب الثاني أن قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح بمجموع طرقه شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي هذه نص وليست بالظاهر يعني لا يحتمل التأويل وكذلك قوله ((أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ومن نفسه)) هذا فيه ظهور في الدلالة؛ لأنها تعم من قال لا إله إلا الله مخلصاً وصاحب الكبيرة قالها وقد قال ﷺ أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله يعني الذي قال ومن المقرر أن الاسم الموصول في العربية وعند الأصوليين يعم ما كان في حيز صلته بظهور في العموم ولهذا نقول أن من منع الشفاعة لأهل الكبائر من المعتزلة والخوارج هذا لأجل مذهبهم الرديء في أن فعل الكبيرة كفر وأنه يوم القيامة يكون من أهل النار والعياذ بالله وهذا باطل كما هو مقرر في موضعه من مباحث الأسماء والأحكام في الإيمان.

المسألة التاسعة والأخيرة:

أن الشارح ابن أبي العز –رحمه الله– في شرحه ذكر في هذا الموضع مسائل التوسل بالجاه والتوسل بالحق يعني قول القائل بحق فلان بحق نبيك، بحق عمر ونحو ذلك والتوسل بالجاه بجاه فلان وبحثها بحثاً جيداً ملخصاً من كتاب الوسيلة –التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية– فلا بد من الاطلاع على ذلك الكلام ومراجعة كتاب التوسل والوسيلة لأن لفظ التوسل يشتبه بالشفاعة فبعضهم يجعل أتوسل إليك بمعنى الشفاعة فيكون توسلاً متضمناً الشفاعة أو متضمناً التشفع أو طلب التشفع ولهذا في قول القائل أسألك بحق فلان هذا فيه تفصيل ويرجع فيه إلى شرح الطحاوية وإلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه لا يناسب المتن يعني لفظ الشفاعة التي ذكرها الطحاوي – رحمه الله– فهي فائدة استطرادية.

ولعل في هذا القدر كفاية ، والجملة التالية (والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق) يحتاج أيضاً إلى تفصيل نرجئه إن شاء الله إلى الدرس القادم بحوله تعالى وقوته .

الأسئلة :

سؤال : الحديث الوارد في شرح ابن أبي العز للطحاوية في موضع الشفاعة فيه خلط بين أنواع الشفاعة ثم لو أراد شخص الاستزادة يرجع إلى أي الكتب ؟

الجواب : الحمد لله مسألة الشفاعة ليست من المسائل الغامضة أو العزيزة هي موجودة في كل كتب العقيدة لكن من حيث الحديث الذي ورد، حديث الشفاعة الطويل كلام ابن أبي العز عليه حسن فيرجع إليه.

سؤال : ما حكم قول من قال لمن ذهب للغزو إن استشهدت فاجعلني من السبعين الذين تشفع لهم؟ وهل إذا قتل يكون شهيداً؟

الجواب : الله المستعان كما جاء في البخاري أن عمر –رضي الله عنه– يقول: "تقولون فلان شهيد لما كثر قول الناس في ذلك للناس لما رجعوا من معاركهم تقولون فلان شهيد وفلان شهيد والله أعلم بمن يكلم في سبيله والله اعلم بمن يستشهد في سبيله" فالمسألة عسيرة ولذلك لا يقال لأحد أنه شهيد الشهيد فلان هذا جزم؛ لأن الشهداء معلومة منزلتهم في الأحاديث فلا يجوز أن يقال فلان شهيد؛ لأنه حكم له بأنه من أهل الجنة وهذا موقوف على معرفة النية والخاتمة وقد ذكر رجل بأنه استشهد فقال ﷺ في حقه ((لا هو في النار)) فلما رأوه إذا هو قد غَلَّ شملة نسأل الله العافية وما أحسن قول أنس بن مالك – رضي الله عنه– وأرضاه لما رأى الناس وما توسعوا فيه قال إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على زمن رسول الله ﷺ من الموبقات، والناس لا يتوسعون في الألفاظ خاصة العالم، طالب العلم لا يتلاعب بالألفاظ

الشرعية بالمدح؛ لأنه بالتلاعب بالألفاظ تذهب معالم الدين وتذهب حراسته فلا بد لطالب العلم أن يكون حريصاً على ألفاظه حتى يسلم أولاً وحتى لا ينشر شراً بالألفاظ ولهذا صار من علامات يوم القيامة أو مما يكون قرب الساعة أن يقال فلا أمين فلان فيه كذا فيه كذا من أنواع المدح كما جاء في الحديث ((فلان أمين ما أجلده ما أظرفه وليس في قلبه من الإيمان حبة خردل)) فالثناء يكون بما فيه إذا أراد المرء أن يثني على أحد يكون بما فيه وبما لا يتضمن محظوراً شرعياً؛ لأن الثناء على المرء بما فيه يشجع ويحث المرء به الآخرين على الخير وينتشر الخير لكن لا يكون في وجهه حتى لا يكون مدحاً إلا لمصلحة شرعية ولهذا ينبغي على طلاب العلم ألا يتوسعوا في الألفاظ الخادشة بالشرع أو التي ليس لها أصل في الشرع أو التي فيها مؤاخذة في الاعتقاد كلفظ الشهيد، الشهيد فلان، الشهيد فلان، الله المستعان.

سؤال : هل يشفع الغريق أو المحروق لسبعين من أهل بيته؟

الجواب : لا أعلم.

سؤال : ذكر بعض أهل العلم أن من أنواع الشفاعة، الشفاعة لأقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها فما الدليل على هذا النوع من أنواع الشفاعة؟

الجواب : الدليل ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)). بعض أهل العلم قال وهذا النوع لا دليل عليه لكن هذا ليس بصحيح؛ لأن قوله ﷺ ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) هذا يعم نوعي أهل الكبائر فيمن استحق النار وفيمن دخل النار ولذلك جعلتهم لك في التقسيم في نوع واحد جعلتها لك في أحد أنواع الشفاعة لأجل أن الدليل واحد في النوعين معاً.

سؤال : ما توجيه قول النبي ﷺ في الحديث ((أسألك بحق السائلين عليك)) ؟

الجواب : هذا ذكره الشارح والبحث فيه معروف وخلاصة الكلام أن دعاء الخارج للمسجد بقوله أسألك بحق السائلين عليك في الحديث المعروف الذي رواه ابن ماجه وغيره بإسناد ضعيف وحسنه بعض أهل العلم كالحافظ ابن حجر وغيره معنى أسألك بحق السائلين عليك يعني أسألك بصفة الإجابة بصفة إجابتك للسائل؛ لأن حق السائل على الله جل وعلا أن يجيبه أو أن يثيبه كما قال سبحانه ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾ لا في الآية الأخرى ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ ، ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ** ﴾ الدعاء منه دعاء مسألة ومنه دعاء عبادة أستجب لكم في دعاء المسألة بإعطائكم السؤال وأستجب لكم في دعاء العبادة بالإثابة ولهذا قول القائل: "أسألك بحق السائلين عليك" حق السائلين صفة الله جل وعلا وهي إثابتهم أو إجابتهم فإذاً هو سأل بصفة من الصفات والسؤال بالصفة جائز.

سؤال : ما رأيكم فيمن يقول أن شروط طلب الشفاعة أن يكون حاضراً حيا قادراً وأنها تتوفر في الجن وكيف نرد على ذلك؟

الجواب : هذا ربما أنه من أصحاب الجن؛ لأنه إذا كان علم أنه حاضر وحي، كيف علم أنه قادر ثم كيف علم أنه مسلم ؛ لأن الجن عند أهل العلم خبرهم ضعيف وشاهدتهم غير مقبولة ولهذا الأحاديث التي يرويها أهل العلم وفي إسنادها جني عندهم ضعيفة كما هو معروف في مصطلح الحديث كذلك قبول الخبر فضلاً عن الشفاعة متوقف على معرفة العدالة والجني إنما يسمع صوته عند من سمع صوته ولا يعرف عدالته وقول القائل أنا مسلم وأنا أشهد ، يعني لو قال الجني وخاطب بهذا الكلام لا يعني أنه صادق في ذلك؛ لأنه تراه في الإنس يقول كذا وهو كاذب فإذا كان شيطاناً فإنه قد يكذب في ذلك لهذا نقول قبول قول الجني في هذه الأشياء متوقف على القول بعدالته

والعدالة مبنية على الرؤية والمشاهدة وهذه غير حاصلة لذلك لا يؤخذ بقول الجن ولا بشهادتهم، نعم قد يكون خبرهم خبراً من الأخبار التي يتثبت منها كما يقال يعني قيل لا يعتمد ولا يؤخذ به وهذا في مسألة قبول الخبر فكيف بأن تطلب منه الشفاعة فإذا كان طلب الشفاعة من الإنسان فيها ما فيها فكيف تطلب من جني لا يُرى ولا يُعرف حاله ؟ لا شك أن هذا من وسائل الشرك ومن ذرائع التعلق بالجن والغائبين. نسأل الله جل وعلا أن يعذني وإياكم من مضلات الفتن ومما يقرب إلى مساخطه وأن يوفقنا إلى ما فيه رضاه وأن يشرح صدورنا لطاعته وأن يعلي مقامنا في الجنة إنه جواد كريم كما أسأل المولى جل جلاله أن لا يحرمنا شفاعة نبيه ﷺ وأن يجعلنا ممن حظي بها ومن عليه بها، اللهم فاغفر ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا واجعلنا من الصالحين وثبت أقدامنا إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المسألة العاشرة:

وهي الأسباب التي بها يحصل المرء المسلم شفاعة نبيه ﷺ والأسباب جاءت بها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ونذكر منها سببين:

الأول: وهو أعظم الأسباب وأرجاها التوحيد وإخلاص الدين والعمل لله جل وعلا وإسلام الوجه لله جل جلاله وهذا قد دلّ عليه رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه سأل النبي ﷺ فقال يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ ((لقد علمت أن لن يسألني أحد عن هذا قبلك، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)) ومثله قوله ﷺ ((لكل نبي دعوة مجابة وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)) فهي مدركة منهم من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ونفسه، أو كما قال ﷺ.

السبب الثاني: متابعة المؤذن فيما يقول كما دل عليه الحديث الذي رواه البخاري وغيره أنه ﷺ قال ((من سمع النداء فقال مثلما يقول المؤذن ثم قال اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إلا حلت له شفاعتي يوم القيامة)) فمن أسباب نيل شفاعته ﷺ متابعة المؤذن بإخلاص وصدق؛ لأن ذلك دال على التوحيد وعلى الاستسلام لله جل وعلا في شرعه وأمره فيقول مثل ما يقول المؤذن ثم إذا ختم لا إله إلا الله قال مثل ما يقول ثم يقول –اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته–.

وهنا في زيادات مروية في بعض الروايات في دعاء مجيب المؤذن منها ((آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة)) هذه الزيادة ضعيفة وكذلك زيادة أخرى ((وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد)) وهذه رواها البخاري في صحيحه في رواية الكشميهني وهي عند المحققين شاذة لا تصح عن البخاري لمخالفة الكشميهني لجميع رواة الصحيح وثم أسباب أخرى تجمعونها إن شاء الله تعالى فإنها من نفيس العلم جعلني الله وإياكم ممن ينال هذا الحظ العظيم وهو شفاعته ﷺ .

الشريط الثامن عشر . وجه (أ) ١٤١٨/١١/٩ هـ :

الحمد لله رب العالمين وولي الصالحين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً اللهم نسألك البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم علمنا ما ينفعنا وزدنا علماً وعملاً يا أرحم الراحمين.

سؤال : هل يجوز لعن من فيه نص بدخول النار كقاتل الزبير بن العوام –رضي الله عنه–؟ هذا إن صح حديث بشر قاتل ابن صفية بالنار... إلى آخره.

الجواب : هذه المسألة مبنية على حكم اللعن وهل يجوز للمسلم أن يلعن أم لا؟ واللعن إما أن يكون لمسلم يعني أن يلعن مسلماً، أن تلعن مسلمٌ مسلماً، وإما أن يلعن المسلم كافراً، فهاتان مسألتان.

ولعن المسلم اختلف فيه أهل العلم هل يجوز لعن المسلم الذي ارتكب شيئاً يستحق به اللعن أم لا؟ على أقوال والصحيح منها أن اللعن يجوز أن يتوجه للجنس لا للمعين من المسلمين فلا يجوز أن يلعن مسلمٌ مسلماً معيناً ولو كان قد فعل كبيرة أو كان كاذباً أو كان ظالماً ونحو ذلك، فلا يجوز أن يُلعن المسلم واستدلوا على ذلك بقول الصحابة لرجل كان يشرب الخمر وجلد مرة ومرتين ثم لما أُتي به بعد ذلك قال أحدهم (لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به) فقال ﷺ ((لا تقولوا هذا فإنه يحب الله ورسوله)) فدل هذا على أن المسلم المعين الذي يشرب الخمر لا يُلعن مع أن النبي ﷺ لعن الجنس فلعن في الخمر عشرة، لعن شاربها وساقيها إلى آخره، فدل على التفريق ما بين الجنس وما بين المعين، وهذا من مثل الآيات التي في هذا الباب ﴿ **أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ** ﴾ فالذي لا يتناهى عن المنكر من المسلمين لا يُلعن بعينه وإنما قد يُلعن بوصفه، وكذلك أشباه هذه لعنة الظالم، ولعنة الكاذب، إلى آخره.

فإذاً هذا النوع وهو لعن مسلمٍ مسلماً فإنه لا يجوز لعن المعين، لكن قد يُلعن الصفة بلعن الجنس كما لعن الله جل وعلا ولعن رسوله ﷺ ومن ذلك لعن الكاسيات العاريات وقول النبي ﷺ في حقهن ((أينما لقيتموهن فالعنوهن فإنهن ملعونات)) هذا لعن للجنس والقاعدة منطبقة عليه؛ لأن المرء لا يجوز أن يلعن معينة مسلمة لكونها كاسية عارية فقوله ((أينما لقيتموهن فالعنوهن) لعن لجنس لا لعن المعينة من مثل شارب الخمر ولعن المرابي وأشباه ذلك.

أما المسألة الثانية وهي لعن مسلم كافراً فالعلماء اختلفوا فيها على قولين منهم من أجاز أن يُلعن الكافر المعين؛ لأن الكافر المعين ليس له حق وعرضه غير مصان، ولأن معنى اللعن طلب الطرد والإبعاد من رحمة الله وهو متحقق في الكافر فجاز عند هؤلاء أن يَلعن المسلم الكافر المعين كما يلعن جنس الكفرة، واستدلوا لذلك أيضاً بأن النبي ﷺ لعن أقواماً بعينهم من كفار قريش، والقول الثاني وهو الصحيح أن الكافر أيضاً لا يُلعن بعينه؛ لأن النبي ﷺ لما لعن أقواماً نزل قول الله جل وعلا في حقهم ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ ولأنه ﷺ كان لا يلعن ولأن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة يعني من جرى اللعن على ألسنتهم، وكذلك يدل على امتناع لعن الكافر المعين أن السنة لم تأت به فإن النبي ﷺ لم يلعن كافراً بعينه إلا هؤلاء ونزل فيهم قول الله جل وعلا ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ ولهذا قال طائفة من العلماء : إن لعن الكافر المعين منسوخ بهذه الآية .

ويلحق ببحث لعن الكافر لعن الشيطان أو لعن إبليس وهذا أيضاً اختلف فيه أهل العلم على قولين منهم من أجاز لعنه بعينه لقول الله جل وعلا ﴿ **وَإِن يَدْعُونَ من دونه إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً * لَّعَنَهُ اللَّهُ** ﴾ وما جاء في الآيات من لعن إبليس وطرده عن رحمة الله جل وعلا.

القول الثاني: أنه لا يُلعن إبليس ولا الشيطان لما صح في الحديث أن النبي ﷺ نهى عن لعن الشيطان أو عن لعن إبليس وقال ((لا تلعنوه فإنه يتعاظم)) رواه تمام في فوائده وغيره بإسناد جيد قالوا فهذا يدل على النهي عن اللعن وهذا متجه؛ لأن اللعن عموماً في القاعدة الشرعية أن المسلم لا يلعن؛ لأن اللعن منهي عنه المؤمن بعامة ومن أعظم ما يكون أثراً للعن أن اللعان لا يكون شفيعاً ولا شهيداً يوم القيامة، والمسألة فيها أيضاً مزيد بحث فيما جرى

من لعن يزيد ولعن بعض المعينين ولكن الإمام أحمد لما سُئل عن حال يزيد قال: أليس هو الذي فعل بأهل المدينة يوم الحرة ما فعل؟ أليس هو كذا فقال له لم لا تلعنه فقال وهل رأيت أباك يلعن أحداً؟ وهذا يدل على أن ترك اللعن من صفات الأتقياء وأن اللعن من صفات من دونهم إذا كان في حق من يجوز لعنه عند بعض العلماء أما لعن من لا يستحق اللعن فهذا يعود على صاحبه، يعني لعن من لا يستحق اللعن فهذا يعود على صاحبه، يعني من لعن من لا يستحق اللعن عادت اللعنة يعني الدعاء بالطرد والإبعاد عن رحمة الله على اللاعن والعياذ بالله.

سؤال : هل هناك فرق بين جرح المحدثين للمبتدعة وإنكار أهل العلم على المبتدعة ؟

الجواب : لعل الوقت يضيق ... احفظ هذا السؤال اكتب عليه حفظ.

المتن : والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه.

الشرح :

الميثاق يذكر في بعض كتب العقائد لا في كلها بل كثير منها أو الأكثر لا يذكرون مسألة الميثاق والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته متصل بمسألة القدر بل هو مبحوث في القدر ولذلك لا يستقل بحثه عن مسألة القدر بل هو مرتبط بالقدر وذلك أن الروايات والأحاديث التي فيها أخذ الميثاق من آدم وذريته فيها أنه جعل فئة إلى الجنة وفئة إلى النار وأن النبي ﷺ سُئل فيما العمل فقال ((اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له)) ونحو ذلك والأحاديث الصحيحة التي فيها ذكر الميثاق متصلة بالقدر وليس فيها تقرير لمسألة الميثاق بنفسه لكونه أمراً غيبياً أو لكونه حجة على العباد دون مسألة

القدر بل هي المراد بها القدر، ولذلك الطحاوي رحمه الله- جعل مسألة الميثاق مقدمة لبحثه في القدر فقال: (والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة) فهذا العلم مذكور في أحاديث الميثاق هذا الميثاق من الأمور الغيبية والاعتقاد، واعتقاد ذلك موافق أو مرتب على معرفة ما جاءت به السنة، وأما القرآن الكريم فليس فيه ذكر الميثاق الذي أخذه الله جل وعلا من آدم وذريته وإنما جاء ذلك في عدد من الأحاديث في الصحيحين وفي غيرهما، ومسألة الميثاق من المسائل التي يتفق عليها أرباب الفرق المختلفة فلا خلاف في أن الميثاق أخذ لكن كيف يفسر يختلفون فيه كما سيأتي.

فإذاً قوله (والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق) يعني أنه ثابت وأن هذا جاءت به الأدلة الصحيحة وأننا نؤمن بذلك وأن الله جل جلاله لما أخذ الميثاق جعل الذرية إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في النار وأن الرب جل جلاله مضت حكمته في استخراج ذرية آدم من ظهره كأمثال الذر وجعل فريقين،فريق في الجنة وفريق في النار.

إذا تبين هذا الأصل العظيم فإن هذه المسألة وهي مسألة الميثاق مما يختلف فيها فهم أهل العلم جداً حتى إنك لا تجد فيها قولاً واضحاً واحداً لأهل السنة والجماعة ولا لغيرهم فما من فرقة إلا ولهم أقوال مختلفة في مسألة الميثاق وكذلك أهل السنة والجماعة اختلفوا جداً في مسألة الميثاق مع اتفاقهم على حصول الاستخراج من ظهر آدم وأخذ الميثاق عليهم.

إذا تبين هذا الإجمال في هذه المسألة المشكلة فإن بحثها يكون في مسائل:

المسألة الأولى:

معنى الميثاق، الميثاق ذكر في القرآن بمعنى العهد الشديد المؤكد كما في قوله سبحانه: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ** ﴾ وكما في قوله جل جلاله: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقاً غَلِيظاً** ﴾، والآيات في ذكر الميثاق متنوعة كثيرة، ومعنى الميثاق هو العهد الشديد المؤكد، ومنه قوله جل وعلا في سورة يوسف ﴿ **لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللَّهِ** ﴾ يعني عهداً شديداً مؤكداً من الله جل وعلا تشهدون عليه ربنا، تشهدون عليه الله ﴿ **لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا اتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾.

المسألة الثانية:

أن الميثاق الذي أخذ من آدم معناه على ما جاء في بعض الأحاديث أن الله جل وعلا استخرج ذرية آدم من ظهره، استخرج صورهم وأن هذا الاستخراج لأجل ظهور علم الله جل وعلا فيهم ولأجل أخذ العهد عليهم بما يشاؤه الله جل وعلا والأحاديث في هذا متعارضة متنوعة مختلفة، لهذا يدخل أهل العلم تارة في بحث الميثاق دليل من القرآن على ذلك وهو ليس بدليل في المسألة وهو قول الله جل وعلا: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ فيجعلون هذه الآية لأجل اختلاف الأحاديث وتنوع العبارات فيها يجعلونها من أدلة هذا الميثاق وسيأتي بيان أن هذا ليس بصحيح وأن الميثاق الذي أخذه الله من آدم وذريته لا دليل عليه من القرآن.

الأحاديث تحتاج إلى عناية وإلى جمع والاختلاف فيها كما ذكرنا والاضطراب والشذوذ كثير فلعله أن يجمع ما صح من ذلك في الصحيحين ويطرح الضعيف أو المضطرب أو المختلف مع أن كثيراً من العلماء دخل عليهم بعض تلك الألفاظ في بعض ولذلك اضطربت أقوالهم في المسألة، هذا تسبيب يعني ذكر السبب في الاضطراب في هذه المسألة العظيمة.

فإذاً الميثاق أمر غيبي والأخذ من آدم وذريته على ما جاء في الأحاديث حق وصواب وأن هذا الميثاق لأجل مسألة القدر ولأجل العهد عليهم وهذا العهد أمر غيبي وليس متصلاً بآية الأعراف.

المسألة الثالثة:

أن آية الأعراف التي ذكرنا وهو قوله ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى** ﴾ لا يصح بها الاستدلال على ما أورده هنا الطحاوي بقوله والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق والطحاوي في كتابه "مشكل الآثار" ذهب إلى تفسير الآية بالميثاق الذي أخذه ربنا من آدم وذريته، فجعل الآية مفسرة بما جاء في السنة من حديث عمر وحديث بن عباس وحديث عبدالله بن عمرو في أن الميثاق مأخوذ من آدم وذريته تفسيراً لقول الله جل وعلا ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾ فقال التفسير الصحيح هو ما جاءت به السنة من أن آية الأعراف هذه تفسر بالميثاق وأن قوله ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ** ﴾ لأنه هو السبب كما قال جل وعلا ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ** ﴾ ويعني بذلك آدم –عليه السلام– ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ** ﴾ يعني آدم –عليه السلام– ولأجل هذا المأخذ من الطحاوي ذكر الشارح عندك ابن أبي العز هذه الآية في أول بحثه على هذه المسألة لأجل أن الطحاوي نفسه ولأن كثيرين جداً من أهل العلم يوردون الآية دليلاً وهذا الاستدلال من الطحاوي

المصنف ومن عدد كثير من أهل العلم فيه نظر على هذه المسألة فالميثاق كما ذكرنا أمر غيبي وأما الآية فليس فيها ذكر الميثاق بل قال الله جل وعلا فيها ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى** ﴾ هذا الذي في الآية أن الله سبحانه أخذ من بني آدم ولم يأخذ من آدم وأخذ من الظهور على صفة الجمع ولم يأخذ من الظهر، ظهر آدم وأنه أشهد بعضهم على بعض ﴿ **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ** ﴾ وهذا ليس موجوداً في مسألة الميثاق وأن هذا الإشهاد متعلق بمسألة الربوبية ﴿ **أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ** ﴾ وأنهم أجابوا ببلى لهذا نقول: إن الآية ليس فيها مسألة الميثاق وإنما دلهم على أنها مسألة الميثاق وجعلوها دليلاً على تلك المسألة ورتبوا عليها أشياء لأجل أمور:

الأول: أن الصيغة متشابهة ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾ وأنه جاء في الأدلة في السنة أن الله سبحانه أخرج ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر فلما جاء هنا ذكر الظهر والإخراج والاستخراج فجعلوا هذا تفسيراً لهذا كما ذكرت لكم من كلام الطحاوي ومن كلام كثيرين من أهل العلم من السلف والخلف.

والأمر الثاني: الذي من أجله جاء الربط بين الآية ومسألة الميثاق أنه قال وأشهدهم على أنفسهم، والإشهاد معناه الشهادة وهذا يقتضي أن يكون الاستخراج على ما جاء في الأحاديث وأن الله خاطبهم وأنهم ردوا عليه إلى آخره.

الأمر الثالث: هو أنهم أجابوه بالقول ﴿ **أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى** ﴾ وهذا صريح في القول دون غيره.

والجواب أن هذه الأمور اشتبهت على من استدل بالآية على مسألة الميثاق، والآية ليست دليلاً على مسألة الميثاق الذي أخذه الله من آدم وذريته وأن تفسير الآية اختلف فيه على قولين:

القول الأول: هو الذي ذكرنا من أن آدم وذريته، أن الله استخرج من ظهر آدم ذريته إلى آخره وجعلوا السنة تفسيراً لما جاء في الآية، والآية دليلاً ولم يفرقوا بين هذا وهذا.

القول الثاني: وهو قول جماعات كثيرة من أهل العلم من جميع المذاهب والفرق والمحققين من أهل العلم أيضاً فقالوا أن الآية تفسيرها هو أن الله أخذ من بني آدم من ظهورهم -يعني أخذ يعني خلق وجعل- فجعلهم يتناسلون وأخذ بعضهم من بعض يعني أنشأ بعضهم من بعض كما قال سبحانه: ﴿ **كَمَا أَنشَأَكُمْ مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ** ﴾ أنشأكم من ذرية قوم آخرين يعني بما خلق من السبب من إراقة الماء في الأرحام إلى الحمل إلى الولادة فقول ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ** ﴾ لما ذكر الربوبية هنا في الأخذ دل على أن معنى الأخذ هنا الخلق قال ﴿ **أَخَذَ رَبُّكَ** ﴾ يعني خلق ربك من ظهور بني آدم ذريتهم هذا سبب الآية ﴿ **مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ** ﴾ فتكون من ظهورهم بدل بعض من كل ﴿ **مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ** ﴾ ؛ لأن أصلاب الرجال فيها الماء فقال ﴿ **مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾ يعني خلق الذرية من الماء الذي في ظهور الآباء أخذهم يعني أخذ بعضهم من بعض وهذا يخلق من هذا وهذا يوجد بسبب هذا ﴿ **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ** ﴾ الإشهاد في القرآن له معنيان أشهاد بلسان المقال بأن يشهد بقوله أشهد أنه كذا وكذا قولاً والثاني إشهاد بلسان الحال يعني أن حالته تشهد والإشهاد هذا بلسان الحال بمعنى ما جاء في قوله تعالى ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ** ﴾ فشهودهم على أنفسهم بالكفر هو بلسان حالهم من تأليههم

غير الله وعبادتهم لغير الله أما هم يقولون عن أنفسهم أنهم كفار بل يقولون نحن الحنفاء، وكذلك في قوله جل وعلا ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ يعني شاهد بلسان حاله بأفعاله أنه كنود جاحد بنعمة الله جل وعلا وهذا أيضاً في مثل قوله تعالى ﴿ **كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءِ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ** ﴾ هنا شهداء لله ولو على أنفسكم يعني بلسان الحال أو بلسان المقال فدل إذاً على أن الإشهاد في القرآن له هذان المعنيان ولهذا لما كان الإشهاد على هذين المعنيين صار تفسير الآية: وأشهدهم على أنفسهم محتمل أن يكون بلسان المقال أو بلسان الحال ولما كان أول الآية فيه الأخذ بالخلق صار الإشهاد على الربوبية بلسان الحال لا بلسان المقال يعني شاهدين يعني وأشهدهم على أنفسهم بحالهم وما جعل الله جل وعلا فيهم في كل الأنفس من دلائل ربوبيته ووحدانيته التي تؤدي وتدل على أنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه وأشهدهم على أنفسهم بما جعل في أنفسهم من العبرة والدلالة على أن الذي خلقهم وفطرهم وأوجدهم وأبدعهم وبرأهم هو الله جل وعلا كما قال سبحانه ﴿ **أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ كما قال ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ** ﴾ .

فإذاً تكون هنا الشهادة أشهدهم على أنفسهم يعني جعل حالهم وما هم مركبون عليه دال على الوحدانية ، وأيضاً جعل بعضهم دليلاً على بعض، وأشهدهم على أنفسهم يعني جعل هذه الذرية بعضها شاهداً على بعض بما أودع الله جل وعلا في الناس من دلائل وحدانيته وآثار ربوبيته ومعالم صنعته وبرئه جل وعلا لهذا قال سبحانه هنا ﴿ **أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ** ﴾ فذكر الربوبية التي هي الخلق وما يترب عليه ﴿ **قَالُواْ بَلَى** ﴾ يعني أنهم جميعاً جميع هذه الذرية إذا رجعوا لدلائل الوحدانية التي يشهدونها بلسان الحال فإنهم مقرون بالربوبية وهذا هو الذي ذكره الله جل وعلا عن جميع الفئات والمشركين في أنهم مقرون

بالربوبية منكرون للألوهية ﴿ **أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا** ﴾ وفي قوله بلى شهدنا وجهان من الوقف:

الأول: أن يوقف على بلى ثم تستأنف ﴿ **شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾.

والوجه الثاني: أن يوقف على شهدنا ﴿ **بَلَى شَهِدْنَا** ﴾ ثم تقف وتقول بعدها ﴿ **أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾ والوجه الأول وهو أن يكون الوقف على (بلى) هذا أولى وأظهر في معنى الآية ﴿ **أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا** ﴾ هذا من كلام بعضهم لبعضهم يعني بلسان الحال شهادة الحال شهد بعضهم على بعض بلسان الحال لم؟ ليكون ذلك دليلاً من الدلالة التيس تكون دافعة لاحتجاجهم يوم القيامة فإن الله جل وعلا جعل دفع احتجاج المشركين يوم القيامة وتنصلهم من التكليف ورغبتهم في عدم التعذيب جعل ثم حججاً منها هذا الإشهاد أن بعض هذه الذرية شاهد على بعض فهذه الآية فيها ذكر الشهداء وهم الذين يأتون يوم القيامة في قوله جل وعلا ﴿ **وَجِيءَ بِالنَّبِيِّيْنَ وَالشُّهَدَاءِ** ﴾ يشهد بعضهم على بعض بأن الدلائل ظاهرة وأنكم مقرون بالربوبية مقرون بالوحدانية ويشهد الآباء على الأبناء ويشهد الأبناء على الآباء ويشهد بعضهم على بعض حتى لا تكون ثم حجة لكن هذه ليست الحجة التي يحاسبون عليها ويعذبون عليها وإنما هي دليل لقطع معذرتهم مع الدليل الآخر وهو الأعظم وهو بعض الرسل لهذا هذه الآية فيها ذكر دليل وما رتب عليها وما رتب على هذا الإشهاد إنما هو مع بعثة الرسل وتأمل حين قال ﴿ **شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ من الذي شهد؟ الذرية شهد بعضهم على بعض ﴿ **أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾ عن هذا الإشارة إلى أي شيء لدليل الربوبية ودليل الربوبية هو الذي احتجت به الرسل على ما جاءت به وهو توحيد الألوهية فإذاً في قوله ﴿ **شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ**

﴾ يعني أشهد الله بعض الذرية على بعض على مسألة الربوبية لئلا يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين والرسل جاءت بتقرير الحجة التي بعدها العذاب مستمسكة بالأصل الذي شهد بعضهم على بعض فيه بلسان الحال وهو الإيمان بالربوبية لهذا صارت الآية دليلاً على الربوبية وهذه حجة عليهم ولكنها ليست الحجة التي بها يعذبون ولكنها قاطعة لنزاعهم ورغبتهم في التنصل من العذاب والثاني أن في قوله ﴿ **شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾ يعني عن هذا الدليل هو توحيد الربوبية أو الفطرة الذي ذكرت به الرسل أو الذي جاءت الرسل لإحيائه في الأنفس ليدل الناس على ما يستحقه الله جل وعلا من توحيد العبادة.

﴿ **شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ فهم احتجوا إما بالغفلة أو احتجوا بعدم الشرك ومتابعة الآباء وهذا لو حصل يوم القيامة أن احتجوا به فإن الله أقام عليهم الحجة بالشهداء وأقام عليهم الحجة بالرسل والعذاب إنما يكون بعد إنكار دلائل الصنعة وما أقام الله جل وعلا في الإنسان من عقل وفكر بحيث يستدل بهذه المخلوقات على خالقها جل جلاله وإنما بالثاني مع الأول وهو بعثة الرسل، إذا تبين لك ذلك فإن الآية إذاً ليس فيها حجة لمن ذهب بأن هذه الآية في الميثاق هذا واحد.

الثاني: الآية ليس فيها حجة لمن قال أنه بالفطرة أو بالتوحيد أو بما أخذ من الميثاق الأول أن هذا كاف عن إقامة الحجة على العباد وأنه بذلك الميثاق وذلك الإشهاد وإقرارهم على أنفسهم والشهادة في الربوبية والعبادة بأنهم إذا لم تبلغهم الرسل ولم تبلغهم الرسالات ولم تأتهم الرسل أن تلك الشهادة كافية في تعذيبهم.

فإذاً الآية أولاً ليس فيها دليل على الميثاق والثاني ليس فيها دليل على أن هذا حجة كافية في تعذيبهم بل لابد من إقامة الحجة الرسالية لذلك ترى أن أئمة أهل العلم المحققين كشيخ الإسلام وأئمة الدعوة دائماً يذكرون الحجة الرسالية لا بد من إقامة الحجة الرسالية لماذا لفظ الرسالية؟ حتى لا يتوهم متوهم أن الحجة الفطرية أنها كافية.

إذا تبين ذلك فإن تفسير الشهادة هنا وهذه الآية عند المحققين من أهل العلم على ما ذكرنا هو بالفطرة الفطرة التي فطر الله جل وعلا الناس عليها وهي الفطرة في الربوبية التي تدل على الألوهية وهي في معنى قوله جل وعلا ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ** ﴾ وفي معنى قوله ﷺ ((كل مولود يولد على الفطرة)).

وهذا الذي ذكرت من تفسير الآية على وجه التفصيل والبسط هذا هو مذهب واختيار أئمة أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير –رحمه الله– وشارح الطحاوية وأئمة الدعوة والشيخ عبدالرحمن بن سعدي في تفسيره وهو تفسير جماعات كثيرة من أهل العلم وهو الذي يتعين في الموافقة مع أصول التوحيد وأصول العقيدة بعامة، وهو الذي يتعين موافقة لحكمه الله جل وعلا وهو الذي يتعين موافقة لما هو مقرر في الشريعة من مسألة إقامة الحجة في أحكام المرتد، لهذا غلط في هذه الآية جماعات ومن المعاصرين جماعات أيضاً فجعلوها حجة على أنه ليس ثم حاجة لإقامة الحجة على العباد بل الفطرة كافية والعهد الأول كاف إلى آخره وهذا بلا شك ليس بمرضي والحجة لا تقوم على العبادة بشيء لا يتذكرونه أصلاً وإنما العباد أمامهم الدلائل أما تذكر الميثاق وتذكر شهادة وتذكرة هذه الأشياء فإن أحداً لا يتذكر ذلك وإنما الرسل تذكرهم بذلك فتكون الحجة بالرسل لا بذلك الأمر الأول، لهذا ذكرت لك في أول البحث أن مسألة الميثاق مرتبطة بالقدر وليست متصلة

بالتكفير ليس متصلة بالحجة، ليست متصلة بهذه المسائل وإنما هي يعني الميثاق مرتبط بالقدر لا غير وليس حجة على خلاف القدر إنما هو دليل على القدر فقط دون ما سواه.

تقرؤون الكلام الطويل الذي ذكره شارح الطحاوية وفيه طول والمسألة بما ذكرت تلك تكون قريبة وواضحة ولا يكون ثم إشكال في هذه الآية ولله الحمد وهي من الآيات المشكلة كما ذكرت لك ولكن بتأمل قول المحققين والنظر في تصحيح الأحاديث وعللها وأن الأحاديث التي فيها الربط ما بين الآية والميثاق أن هذه الأحاديث فيها اضطراب وفي بعضها ضعف في الإسناد وفي بعضها علة بالوقف وثم أشياء أخر لا نطيل بالكلام عليها. بعدها ذكر مسألة القدر وهي يطول الكلام عليها ، ولعلنا نبحثها إن شاء الله المرة القادمة .

مداخلة غير مسموعة .....

الله جل وعلا جعل المؤمنين شهداء على الكفار ، الإشهاد قائم أنا مشهد على كل مخالف مشهد على كل مخالف لدليل ، للوحدانية، كل مؤمن لما كان مؤمناً مستسلماً للرسالة هو مشهد على غيره مشهد على المخالف ، فهو إشهاد ، وأشهدهم : يعني جعل بعضهم شهيداً على بعض ذلك يوم القيامة ثم الشهداء يشهدون.

سؤال : بعض أهل العلم يستشهد بقوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ على أن الذي يفعل الشرك ولو كان جاهلاً فإنه يكون مشركاً لهذه الآية، فإنه قد أخذ عليه الميثاق إذ هو عالم فما تعليقكم؟

الجواب : هذا هو الذي بحثنا الكلام عليه، هذا قول ليس بصحيح وهو مخالف لظاهر الآية وسبب الاشتباه هو الذي ذكرنا الربط ما بينه وبين الميثاق، هذا هو أخذ الألفاظ على مسألة الميثاق.

سؤال : هل هناك ميثاق أول وميثاق غيره أم هو ميثاق واحد؟

الجواب : ثم ميثاق سابق هو الذي نؤمن به الذي جاءت به الأحاديث وهو أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره لكن إيش معنى هذا الميثاق الله أعلم بحقيقته، ثم هناك عهود مؤكدة لكل فئة من بني آدم فآدم أخذ عليه عهد موثق بطاعة الله جل وعلا وكذلك ذرية آدم القريبين، كل رسول أخذ عليه ميثاق وأخذت على أمته المواثيق بأن تطيع وهكذا، يعني هذه مواثيق لفظية وعهود بما أنزل الله جل وعلا من الكتب وبعث من الرسل.

سؤال : كيف يكون أهل الفرق متفقين على الميثاق، وهناك من الفرق من يأخذ بالقرآن فقط والقرآن لم يأتي بالميثاق؟

الجواب : هل هناك من الفرق من يأخذ بالقرآن فقط؟ من الذي يأخذ بالقرآن فقط، الخوارج تأخذ بالقرآن والسنة، الرافضة بالقرآن والسنة، المعتزلة بالقرآن والسنة، المرجئة القدرية، كلهم يأخذون بالقرآن والسنة لكنهم يحتجون بالسنة في العقائد بالتواتر لا بالآحاد لكن الآحاد مقبولة عندهم لكنها تفيد الظن لا العلم. على تفصيل الكلام المعروف لديكم فيها.

سؤال : أورد الألباني –حفظه الله– الأحاديث في المسألة في السلسلة الصحيحة وقد جمعها وحققها وبين الصحيح منها؟

الجواب : ما أدري عن بحث الشيخ ناصر لكن المسألة تحتاج نظر فيما قال؛ لأنها راجعة إلى نظر في المتن ونظر في الإسناد، النظر في الإسناد غير النظر في المتن، النظر في المتن يحتاج إلى معرفة تفاسير الآية وألا يحمل الآية على الأحاديث، لابد من مراجعة البحث حتى نرى ماذا وصل إليه.

سؤال : قد اتضح عدم دخول الآية في الميثاق فما معنى الميثاق الذي ذكره أهل العلم؟

الجواب : معنى الميثاق هو العهد لكن ما هو هذا العهد إيش حقيقته قال العلماء معناه الفطرة التي فطر الله الناس عليها فإذاً مسألة الميثاق ما في شيء غريب هو الفطرة كل مولود يولد على الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها يعني جعلهم مفطورين عليها ما أخذ الميثاق، فإذاً مسألة الميثاق يعني العهد لما استخرجت الذرية معناه الفطرة السابقة وهكذا يعني الميثاق ليس فيه شيء جديد عن غيره ولا يتميز بشيء.

سؤال : هل الإشكال بين الآية والحديث جاء من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا ﴾ ؟

الجواب : لا، هذه مالها علاقة؛ لأن الآية فيها شهدنا أن تقولوا يوم القيامة يعني لشلا تقولوا يوم القيامة أقام الله هذه الدلائل بالربوبية وأقام دلائل الوحدانية لئلا تقولوا يوم القيامة أو تحتجوا بالغفلة ولئلا تحتجوا بالتقليد ﴿ **أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ** ﴾ فلا تحتجوا بالغفلة ولا تحتجوا بالتقليد فثم فطرة مركوزة ورسل أرسلت إليكم تدلكم بهذه الفطرة المركوزة على حق الله جل جلاله فليس ثم إذاً حجة لأولئك فقط الله المعذرة وأقام الحجة وأبان المحجة ولله الحمد والمنة.

الشريط التاسع عشر . وجه (أ) ١٤١٨/١١/١٦ هـ :

بسم الله ، أحمد الله جل جلاله على نعمه التي لا تحصى وآلائه التي لا تعد ، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً هبد الله ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً ، أما بعد : فبين يدي هذا الدرس نجيب على بعض الأسئلة .

سؤال : أجد في نفسي رغبة شديد لطلب العلم وأستعين بالله على ذلك في كل أحوالي لكن فيما يتعلق بالقراءة كلما شرعت في قراءة كتاب

وأعجبني كتاب آخر انتقلت إليه وهكذا فلا أتجاوز في كل كتاب رُبعه أو نصفه فما الأساس في القراءة؟ وهل أركز على كتب السلف؟

الجواب : الجواب عن ذلك أن طلب العلم الحقيقي الصحيح الذي يرجى معه أن يكون طالب العلم، طالب علم بدلالة هذا الاسم أنه لا يترك نفسه في العلم وهواها بل لا بد أن يقسر نفسه على ما ينبغي أن يتعلمه ؛ لأن للعلم حلاوة وللنفس في العلم شهوة وللعلم أيضاً طغيان في بعض الأحوال ولذلك إذا ترك طالب العلم نفسه وهواها فيما تتعلم فإنها ستكون مبعثرة وستكون متفرقة لن يجمع نفسه على شيء بين. ولهذا ينبغي له أن يأخذ بما ذكرناه مراراً في منهجية طالب العلم يعني أن يسعى في العلم على منهجية يترتب بها طلبه للعلم على ترقيته شيئاً فشيئاً في مدارج العلم فلا بد أن يأخذ العلم شيئاً فشيئاُ في كل العلوم. أما ما ذكره يقول إذا شرعت في قراءة كتاب وأعجبني كتاب آخر انتقلت إليه، فهذه تسمى مطالعة تسمى قراءة ومرور على الكتب هذا ليس هو طلب العلم، طلب العلم ليس خاضعاً أعجبني هذا الكتاب ولأجله تركت الآخر ونحو ذلك، بل طلب العلم له طريق، لهذا أنتم تقرؤون في تراجم أهل العلم في الكتب القديمة إذا ترجموا لأحد يذكرون أنه قرأ كتباً محدودة، يقولون قرأ في النحو كذا وقرأ في الفقه كذا وقرأ في الحديث كذا، وغالب ما تجد أن هذه هي المتون المختصرة أو الكتب التي شرحت وخدمت؛ لأن بها منهجية لطالب العلم في تلقيه العلم، ولي محاضرة في ذلك سبق أن ألقيتها في زمن مضى بعنوان المنهجية في طلب العلم فلعل الأخ الكريم يرجع إليها.

سؤال : هل يجوز الدعاء بهذه الصيغة (أسأل الله أن يوفقك إن شاء الله)؟

الجواب : الدعاء الأصل فيه أن يكون المرء إذا دعا عازماً في المسألة غير متردد ظاناً بالله جل وعلا الظن الحسن وهو أنه يجيب الدعاء ولا يرد العبد وكلما قوي يقين العبد بإجابة الدعاء كلما كان هذا من أسباب إجابة الدعاء، والمشيئة، تعليق الدعاء أو السؤال بالمشيئة يخالف عزم المسألة ولهذا لما قال رجل اللهم اغفر لي إن شئت قال النبي ﷺ ((لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت وليعزم المسألة فإن الله لا مكره له)) فتعليق الدعاء بالمشيئة الأصل فيه أنه خلاف أدب الدعاء والله سبحانه لا مستكره له يعني لا مكره له على إجابة الدعاء حتى تعلقه بالمشيئة لكن إن كان تعليقه بالمشيئة ليس المقصود به التعليق ولكن المقصود به التبرك فهذا لا بأس به ، وبعض أهل العلم يرى أن قول إن شاء الله في مثل هذا لا بأس به، وذلك لقول النبي ﷺ لما زار رجلاً وهو مصاب بالحمى فقال له ((طهور إن شاء الله)) فأجاب الرجلُ بجواب سيئ، المقصود أنهم استدلوا بقوله طهور إن شاء الله على أنه لا بأس أن يعلق الدعاء بالمشيئة، والأول هو الأولى وللمسألة مزيد تفصيل لا يناسب هذه الأجوبة المختصرة.

سؤال : ما رأيكم في دراسة تفسير الجلالين في بداية دراسة علم التفسير؟

الجواب : تفسير الجلالين نافع ومختصر وفيه أيضاً علوم كثيرة على اختصاره لكن يُتفطن إلى المواضع التي سلك فيها غير طريقة السلف في العقيدة سواء في مسائل الصفات أو في مسائل القدر أو في مسائل الإيمان فينتبه لذلك والكتاب من الكتب النافعة.

سؤال : هل يصح أن يطلق على المسلم بأنه هالك إذا مات؟

الجـواب : إذا كـان الهـلاك بمعنـى المـوت فـلا بـأس، إذا كـان إطـلاق الهـلاك بمعنـى المـوت فـلا بـأس أمـا إذا قـال فـلان هلـك ويعنـي بـه أنـه آل بـه الأمر إلى العذاب أو نحو ذلك فإنه لا يجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا بنار ولا بعذاب ولا برحمة إلا من شهد له الله جل جلاله بذلك أو نبيه ﷺ لهذا مما درج عليـه العلمـاء فـي تـدريس علـم الفـرائض أنهـم إذا ذكـروا قسـمة المسـائل يقولون: هلك هالك عن ثم يذكرون الورثة.

سؤال : ما حكم بيع المرابحة للآمر بالشراء يقول من يريد سلعة لمن يشتريها له اشتري لي السلعة التي وصفها كذا على أن أقوم بشرائها منك؟

الجـواب : بيـع المرابحـة للآمـر بالشـراء اختلـف فيـه المعاصـرون مـن العلماء والأكثرون على منعه؛ لأنه قائم على الإلزام بالوعد والصحيح أن الوعد لا يُلزم به وإنما الوعد يستحب الوفاء به، فإذا كان العقد قائماً على وعد وإلزام بالوفـاء بهذا الوعد صـار كأنـه عقد من البدايـة قبل الدخول فـي العقد الآخـر وهذا ممنوع، وكُتبت رسائل في مسائل المرابحة المذكورة بين مانعين ومجيزين.

سؤال : إذا قرأ الشخص بعض الآيات التي تتكلم عن بر الوالدين مثلاً فتذكر الشخص والديه فبكى لذلك فهل يكون داخلاً في حديث: ((وعين بكت من خشية الله))؟

الجـواب : الحـديث مقيـد وهـو أن البكـاء مـن خشـية الله وهـو مـا جـاء الحديث في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((عينان لا تمسهما النار يوم القيامة، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)) فمن كان بكاؤه من خشية الله جل جلاله فهو مأمول له أن يدخل في هذا الفضل العظيم وكذلك ما جاء في حديث السبعة أنه عليه الصلاة والسلام ذكر منهم رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.

سؤال : هل يجب قرن السلام على النبي بالصلاة وعلى ماذا يحمل قول الله تعالى: ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ امَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ ؟

الجواب : ذكر العلماء أن الواجب هو الصلاة على النبي ﷺ، والسلام في الصلاة في داخل الصلاة ومرة في العمر ليمتثل ذلك أما إذا ذكر اسم النبي ﷺ فإنه يُتأكد الصلاة عليه والسلام ولا يجب ذلك لهذا يختصر صيغة الصلاة والسلام بما تسمعون العلماء وغيرهم يقولون اللهم صل وسلم عليه، ﷺ، ونحو ذلك.

المتن :

وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه وكل ميسر لما خلق له والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله، وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه: ﴿ **لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ فمن سأل لم فعل فقد ردّ حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين).

هذه الجمل من هذه العقيدة المباركة شروع من الطحاوي –رحمه الله– في مسألة القدر، ومسألة القدر والبحث فيها من المسائل العظيمة جداً؛ لأن الخلاف فيها بين أهل السنة والجماعة وبين المخالفين كثير ومتنوع، والطحاوي لم يرتب الكلام على مسألة القدر بل فرقه ولم يتناوله تناولاً منهجياً واضحاً بيناً وإنما ذكر جملاً منه، ولهذا فإننا سنذكر إن شاء الله تعالى كل ما

يتصل ببحث القدر في هذا الموضع إن اتسع له الوقت ونحيل فيما نستقبل على هذا الموضع الذي نأتيه عند قوله (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه).

قال: (وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه).

هذه الجملة أخذها انتزاعاً من عدد من أحاديث المصطفى ﷺ وهذه الأحاديث متنوعة وثابتة في أن الله جل وعلا خلق الجنة وخلق لها أهلاً وعلم ما هم عاملون وخلق النار وخلق لها أهلاً وعلم ما هم عاملون، وأن الله سبحانه قبض قبضة إلى النار وقبض قبضة إلى الجنة وأن الله سبحانه لما استخرج ذرية آدم من ظهره قال هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار، فلا يزاد من ذلك العدد ولا ينقص، والأحاديث في هذا كثيرة متنوعة، لكن المراد من ذلك هو ذكر أعظم مراتب الإيمان بالقدر ألا وهي مرتبة العلم حيث ذكر أن الله سبحانه علم عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار، وكذلك علم أفعالهم فعلم العدد يعني علم الأفراد وعلم الأعمال، والأعمال يدخل فيها القول والعمل والاعتقاد والأحوال جميعاً من جميع تصرفات أصحاب الجنة وأصحاب النار، وهذا فيه إجمال لذكر هذه المرتبة العظيمة وهي مرتبة العلم، ولهذا نقول إن هذه الجملة فيها تقرير لمرتبة العلم والكلام على هذه المرتبة يمكن أن نرتبه لك في مسائل.

المسألة الأولى:

أن علم الله جل وعلا كما ذكر (علم الله فيما لم يزل) يعني أن علم الله أزلي وأبدي وأن علمه سبحانه أول وهذه كلها بمعنى واحد.

المسألة الثانية:

أن علم الله جل وعلا من حيث هو صفة له سبحانه متعلق بكل شيء كما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ وقال : ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ وقال أيضاً –جل وعلا– ﴿ **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾، وقال سبحانه: ﴿**وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً** ﴾ ونحو ذلك من الآيات، فعلم الله جل جلاله متعلق بكل شيء، وكلمه بكل شيء هذه فيها شمول للأشياء، والشيء يُعَّرف بأنه ما يصح أن يُعلم أو ما يصح أن يؤول إلى أن يُعلم. فإذاً ما سيقع سواء كان من جليل الأمر أو من حقيره فهذا سيؤول إلى العلم، وأيضاً يصح أن يُعلم ويصح أن يؤول إلى العلم مما لم يقع لهذا نقول إن علم الله جل وعلا بالأشياء شامل وأن علم الله جل وعلا بالأشياء بدأ هو أول لكن بدأ حيث أراد الله جل وعلا أن يوجد ذلك الشيء أو أن يكون الأمر على هذا النحو، أو أن لا يكون هذا الأمر يعني أن الله سبحانه وتعالى علم أحوال الأشياء على التفصيل وعلى الإجمال لما أراد خلقها، وإيجادها سبحانه وتعالى والله سبحانه يعلم تلك الأشياء على ما هي عليه وعلمه بها أول، وإذا قلنا إن علمه سبحانه وتعالى بها شامل وأنه جل وعلا علم تلك الأشياء إذ توجهت الإرادة إليها فإن ذلك العلم لم يسبقه جهالة وهذه من أصول المسائل أيضاً؛ بأن علم الله جل وعلا لم يسبقه جهالة وهذه تنفعك في البحث مع القدرية نفاة العلم وقولنا لم يسبقه جهالة يعني لا في الأزل، فإذا قلنا علم ليس معناه أنه قبل ذلك كان جاهلاً بهذا الشيء ،لم؟ لأنه لم يكن شيئاً إلا لما توجهت الإرادة إليه، فلما توجهت الإرادة إليه بأنه يكون أو لا يكون أو إذا كان كيف يكون، فإنه سبحانه علمه بذلك سابق.

فإذاً علم الله جل وعلا لم يسبقه جهالة لا حين توجه إلى الإرادة ولا حين وقع مشيئة كونية. والإرادة في قولنا توجهت إلية إرادة ليست هي الإرادة الكونية المتعلقة يعني التي تعرفونها هي المشيئة إذا تعلقت بشيء كان وإنما

هي إرادة القدر يعني تقدير الأشياء بأن هذا سيكون أو لا يكون وإن هذا سيخلقه الله أو لا يخلقه الله يعني الإرادة المرتبطة بالحكمة والتقدير في إيقاع الأشياء في أوقاتها.

المسألة الثالثة:

أن مرتبة العلم من أنكرها كفر ومراتب القدر أربعة كما تعلمون أولها العلم ثم الكتابة ثم عموم المشيئة ثم عموم خلق الله جل وعلا للأشياء، والمرتبة الأولى وهي العلم من أنكرها كفر وعلم الله سبحانه وتعالى كما ذكر لك الطحاوي أنه علم أهل الجنة وعلم أهل النار، يعني علم حال المكلفين وعددهم وصفاتهم وعلم أيضاً أعمالهم وأيضاً هذا القدر المتعلق بالمكلفين، وأيضاً عِلْم الله تعالى بكل شيء حتى بغير المكلفين على التفصيل.

المسألة الرابعة:

أن المنكرين للعلم علم الله جل وعلا السابق خرجوا في زمن ابن عمر -رضي الله عنه- فقال ابن عمر في حقهم لمن سأله قال أعلمهم أني منهم بريء وذكر حديث الإيمان يعني حديث جبريل الطويل المعروف عن عمر أبيه إلى آخره ، وفيه من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره.

وهؤلاء كانوا يقولون إن الله جل وعلا لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها يعني أن الأمر أُنف مستأنف يقع ثم يُعلم. وشبهتهم، شبهة القدرية هؤلاء أنهم قالوا إن الله سبحانه علق أشياء في القرآن بالعلم الذي ظاهره أنه لم يكن قبل ذلك عالماً. وذلك في مثل قوله جل وعلا: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ** ﴾ وهذا فيه تعليق الأمر بعلم سيحصل قال: ﴿ **إِلاَّ لِنَعْلَمَ** ﴾ يعني أنه قبل ذلك كما يقولون لم يكن يعلم من سيتبع ممن سينقلب على عقبيه وهذا الإيراد والاستدلال بالآية هو استدلال بالمتشابه وترك للمحكمات ولهذا يرد عليهم هذا الاستدلال بأن هذه

الآية تفهم مع الآيات الأخر التي فيها علم الله جل وعلا بكل شيء حتى قبل وقوع الأشياء كما قال سبحانه: ﴿ **واللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ كما ذكرت لك أن الشيء يعرف بأنه ما يؤول إلى العلم ما يصح أن يعلم أو يؤول إلى العلم، وكذلك يستدل عليهم بقوله ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ** ﴾ والأحاديث الكثيرة التي فيها علم الله جل وعلا بأهل الجنة وعلم الله جل وعلا بأهل النار وعلمه بعمل العاملين ونحو ذلك قبل خلق الخلق.

ويستدل أيضاً عليهم بقوله سبحانه ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ وبقوله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾، والآيات في ذلك كثيرة التي فيها ذكر العلم بلفظ كان، كان بكل شيء عليماً وهؤلاء يعني القدرية هم الذين قال فيهم السلف ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا وإن أقروا به خصموا والقدرية هؤلاء سموا قدرية لأنهم ينفون القدر ونفي القدر قد يتوجه إلى نفي مرتبة من مراتبه أو إلى نفي أكثر من مرتبة فممن نفى أكبر المراتب وهي العلم هؤلاء هم القدرية الأوائل الذين يقال لهم القدرية الغلاة، ومن هؤلاء، يعني من القدرية الذين ينفون مرتبة عموم الخلق كالمعتزلة وهم مراتب أعني القدرية في ذلك مراتب، وقد لخص شيخ الإسلام أصناف القدرية بقوله في تائيته القدرية:

ويدعي خصوم الله يوم معادهم إلى النار طراً معشر القدرية
سواءً نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا في الشريعة

يعني أن أعظم تلك الفرق التي تدعى القدرية الذين ينفون القدر وهم الغلاة نفاة العلم أو المتوسطون وهم المعتزلة ومن شابههم.

المسألة الخامسة:

المتعلقة بالعلم أن علم الله جل وعلا الشامل لكل شيء هذا يفيد المؤمن في إيمانه بالقدر وهو أنه سبحانه علم الأشياء وعلم حال العبد وعلم ما ستكون عليه هذه الأمور جميعاً من دقائقها وتفاصيلها وإجمالها وهذا يعني أنه ليس ثم شيء يقع على وجه الصدفة بلا ترتيب سابق، ولا تقدير سابق، فإذا كان الله علم فإن معنى ذلك أنه سبحانه جعل هذا الذي علم أنه سيقع على وفق ما يشاؤه على وفق الحكمة البالغة؛ لأن الرب المتصرف في الملكوت لا يقع في ملكه إلا ما يشاء أن يقع، فإذا كان علم وأيقن العبد هذا العلم الشامل الكامل فإنه يوقن بعده بالحكمة العظيمة ، ولهذا مسألة الحكمة من وجود الأشياء مرتبطة بالقدر علماً ونفياً يعني مرتبطة بالقدر علماً أعني الحكمة؛ لأن الله سبحانه وتعالى عليم ولأنه سبحانه ما شاء كان ومرتبطة بالقدر نفياً؛ في أن الخوض في الحكمة خوض في القدر، ولهذا قال لك الطحاوي في آخر كلامه وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه وقال في آخره أيضاً فالحذر كل الحذر من ذلك نظر وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه –إلى أن قال– فمن سأل لم فعل ؟ فقد ردّ حكم الكتاب، وهذه هي التي يُشكل على البعض كيف دخلت في القدر وهي مسألة الحكمة، إذا قال المرء لم حصل كذا؟ ولم قُدّر كذا؟ أو لم صار الأمر على هذا النحو؟ لم صار هذا غنياً وهذا فقير؟ لم صار هذا مريضاً وذاك صحيحاً؟ كيف اتصل هذا السؤال بالقدر وصار المتشكك من القدرية؟؛ لأن المتشكك ينفي الحكمة ولو أيقن بعموم العلم وعموم المشيئة لأيقن بحكمة الله جل وعلا الماضية، وأنه لا شيء يقع إلا والله سبحانه وتعالى علمه قبل أن يقع وأراده كوناً وشاءه، فهذا يعني أنه لن يقع إلا على وفق حكمة الله جل جلاله فلهذا صار السائل في مسائل القدر بلم، صار معارضاً للقدر، ولهذا قال لك ابن تيمية في البيت الذي ذكرته لك آنفاً –أو ماروا في الشريعة يعني أن القدرية

منهم من يماري في الشريعة يماري يعني يشكك ويجادل ويسأل وكذلك قال بعدها :

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهمو حكمة لـه فصاروا على نوع من الجاهلية

فأهل الجاهلية عارضوا الشريعة بلم والمتشككون عارضوا أفعال الله جل وعلا بلم، إذاً فمن أعظم مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله جل وعلا الشامل للأشياء، الشامل لكل شيء فإذا أيقن العبد بهذا بعموم العلم وعلم معنى ذلك أيقن أيضاً بحكمة الله جلا وعلا واستسلم لقدر الله ولم يخض فيه بالسؤال؛ لأن القدر سر وهو مرتبط بعلم الله جل وعلا.

يوضح لك ذلك أن الله جل جلاله قص علينا في القرآن قصة الخضر مع موسى عليهما السلام فالخضر مع موسى اختلفا واعترض موسى على الخضر وسبب الاعتراض عدم العلم، لما كان موسى في تلك المسائل انقص علماً من الخضر واعترض حجب عن علم زائد ولذلك صار السؤال سؤال الاعتراض مرتبطاً بالعلم فإذا كان الخضر أعلم من موسى وموسى حجب بالسؤال فدلّ على أن السؤال في أفعال الله أو السؤال في قدر الله أو السؤال في تصرفات خلق الله جل وعلا أن هذا اعتراض على العلم وإذا كان الله جل وعلا هو العليم بكل شيء فإنه لا يجوز للعبد أن يعترض على علمه وعلى حكمته بلم، لهذا قال في آخر الكلام هنا فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين يعني قوله لا يُسأل عما يفعل. هذه بعض المسائل في كلامه على مرتبة العلم .

قال بعدها : (وكل ميسر لما خلق له) هذه الجملة ثبتت في الحديث عن النبي ﷺ حيث قال ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له)) يعني بذلك قول الله جل وعلا ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ**

لِلْيُسْرَى ﴾ ومعنى كل ميسر لما خلق له أن الله جل وعلا خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في الأصلاب آبائهم فهؤلاء أهل السعادة سيسيرون لعمل أهل السعادة، خلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم فهؤلاء سيسيرون للعسرى لعمل أهل الشقاوة .

وقوله : (كل ميسر) لا تفيد الجبر وإنما يعني أن الله سبحانه علم أن هؤلاء سيعملون بعمل أهل النار وكتبهم من أهل النار وأنهم لما في نفوسهم من الخبث سيكونون من أهل النار فسيتركهم الله جل وعلا لأنفسهم يعني سيخذلهم فإذا خذلهم يُسر لهم سبيل الضلال يعي أن التيسير لأهل الجنة فيه زيادة فضل والتيسير لأهل النار فيه سلب الفضل هذا يعني أن لا جبر وأن الجميع يعاملون بعدل الله جل وعلا وأن أهل الجنة عاملهم الله سبحانه وتعالى زيادة على عدله بأن منحهم فضلاً ويسر لهم وأعانهم على الخير.

قال : (والأعمال بالخواتيم) يعني في ذلك ما جاء في قول النبي ﷺ : ((فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)) لهذا كان كثير من السلف إذا ذكروا الخاتمة بكوا كثيراً وقال بعضهم: قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم يقولون بماذا يختم لنا؟ وهذا التعلق بالخواتيم وهذا الإيمان بهذا النوع من القدر يجعل العبد المؤمن صاحب يقظة وحرص على إيمانه؛ لأن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئاً، والعبد ييسر لعمل أهل الشقاوة إذا اختار هذا الطريق فإذا جاهد نفسه فإن الله سبحانه أعظم فضلاً ومنة وكرماً ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ وقال سبحانه ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ يعني مدافعة نوازع الباطل في النفس.

قال: (والسعيد من سعد بقضاء الله) يعني أن السعيد هو من جعله الله سعيداً إذ قضى عليه أن يكون من المخلوقين وهذا يشير به إلى حديث نفخ الروح وهو أن الملك يأتي إلى الروح ويقول يأتي إلى الجنين ويقول يا رب شقي أو سعيد ويؤمر بكتب أربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وهنا في قوله : (من سعد بقضاء الله) يعني به القدر هذا على أحد الوجهين أو على أحد القولين في أن القضاء هو القدر بمعنى واحد وسيأتي تفصيل لهذه الجملة والفرق بين القضاء والقدر.

وهذا أيضاً هو معنى قوله (والشقي من شقي بقضاء الله) ثم قال (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل) يعني أن القدر وهو تقدير الأشياء هذا سر إذ هو تصرف الرب جل جلاله في ملكوته، وتصرف الرب جل جلاله في ملكوته مما يختص به الله جل جلاله فلم يطلع عليه أحداً ولم يطلع أحدٌ على ذلك حتى أكرم عباده من الملائكة لا يدرون ما مصيرهم لا يدرون ماذا يقضي الله في السماء، لا يدرون ما مصير أهل الأرض إلى غير ذلك وكذلك أنبياء الله لا يدرون ولا يدرون عن الغيب ولا متى يموتون إلى آخر ذلك، المقصود أن القدر وهو كما سيأتي تعريفه وهو تقدير الله للأشياء أن هذا مما اختص الله جل وعلا به فلا أحد يعلم ما القدر وما الذي قدر وما الذي كتب وما الذي جعله الله جل وعلا مكتوباً في اللوح المكتوب أو مكتوباً في صحف الملائكة، هذا علمه عند الله جل وعلا وهو من مفاتيح الغيب العظيمة التي قال الله فيها ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾. والقدر معنى كونه سراً أنه لا يمكن أن يطلع عليه إذ هو سر عند الله جل وعلا والله سبحانه لم يطلع على ذلك أحداً معنى ذلك أنه لن يطلع أحد على ذلك ولو خاض فيه ومبنى القدر على صفات الله

جل وعلا مبنى القدر على العلم مبنى القدر على عموم المشيئة مبنى القدر على عموم الخلق، مبنى القدر على حكمة الله جل وعلا.

الشريط التاسع عشر وجه (ب) :

وعلم الله تعالى لا يعلمه أحد وعموم مشيئته وإلى أي شيء نتوجه لا يعلمها العبد، وعموم خلقه جل وعلا للأشياء إذا توجه للشيء لا يعلمه العبد إلا أن يقع وحكمة الله لا يعلمها العبد.

إذاً فصارت أنحاء القدر الأربعة لا يعلمها العبد فكيف إذاً يمكن له أن يخوض في القدر فصار الأمر إذاً إلى الاستسلام، وهذا هو الذي أراده الطحاوي فيما قال (والتعمق والنظر في ذلك) يعني في القدر المبني على الأربعة أشياء التي ذكرت لك (التعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان) إذا تبين هذا فيمكن أن نقسم الكلام على القدر في مسائل كثيرة، نذكر منها ما يناسب الوقت بعض الأشياء.

قال (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه)، نقول أنه تحتها مسائل هي مسائل بحث القدر جميعاً يمكن أن نجعلها في هذا الموضع.

المسألة الأولى:

في تعريف القدر، القدر يمكن أن يعرف بأنه تقدير الله للأشياء قبل وقوعها، وعلمه الأول بكل شيء وكتابته لذلك يعني للمقادير في اللوح المحفوظ وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وعموم خلق الله للأشياء كلها، هذا لا ينطبق عليه حد التعريف عند أهل التعاريف لكن هذا يعم ويضم كل مراتب الإيمان بالقدر الأربعة.

المسألة الثانية:

مراتب الإيمان بالقدر، والإيمان بالقدر إيمان بما دل القرآن والسنة عليه مما يتصل بالقدر وذلك إيمان بأربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم.

المرتبة الثانية: الكتابة.

المرتبة الثالثة: عموم المشيئة.

المرتبة الرابعة: خلق الله جل وعلا للأشياء كلها.

المرتبة الأولى: (العلم). أدلتها كثيرة ذكرنا لكم بعضاً منها.

المرتبة الثانية: (الكتابة)، ثم أدلة كثيرة عليها منها قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ **وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ** ﴾ ودل عليه قول النبي ﷺ ((قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء)).

ومعنى الكتابة أن الله سبحانه كتب كل شيء في اللوح المحفوظ سواء ما يتعلق بالمكلفين أو ما يتعلق بغير المكلفين، وذلك لعموم قوله ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ** ﴾ يعني ما في السماء والأرض والكتابة هذه المقصود بها الكتابة في اللوح المحفوظ، كتابة مقادير الأشياء في اللوح المحفوظ، ومن هذه الكتابة ثم أنواع من الكتابة تفصيلية لها، منها الكتابة العمرية، والكتابة السنوية، والكتابة اليومية، وأشباه ذلك مما دلت عليه الأدلة في القرآن والسنة.

المرتبة الثالثة: (مرتبة المشيئة). ويعني بها أن ما شاء الله جل وعلا كان لا ترد مشيئته الله جل وعلا وأن الذي لا يشاؤه الله جل وعلا ولو شاء العبد ورغب فيه فإنه لا يقع ودليلها قوله سبحانه ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ وقوله سبحانه ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾، والمشيئة مرتبطة بالكون يعني أن المشيئة كونية فإذا شاء الله أن يقع هذا الشيء في هذا الوقت على هذه الصفة فإنه يقع على ما شاءه الله جل وعلا وأراده كوناً، والمشيئة تساوي الإرادة الكونية لهذا يبحث هنا

في مرتبة المشيئة الفرق بين المشيئة والإرادة وأهل السنة على أن مشيئة الله جل وعلا هي إرادته الكونية وأن الإرادة منقسمة إلى إرادة شرعية دينية وإلى إرادة كونية وأن الله سبحانه قد يشاء الشيء كوناً يعني يريده كوناً فيقع ولا يريده ديناً وشريعة فيجتمع إذاً في بعض الحالات إرادة وعدم إرادة فيكون الفعل المعين مراد وغير مراد شاءه الله فوقع وأراده فوقع ولكن لم يرده سبحانه ديناً وشريعة وهذا فيما يكرهه الله ولا يرضاه ديناً مثل كفر الكافر ومعصية العاصي وضلال الضال إلى آخره فإن الله سبحانه شاء الكفر من الكافر؛ لأنه ما دام وقع فإنه قد شاءه وأراده كونا؛ لأنه لا يحصل في ملكوته إلا ما أراده جل وعلا كوناً ولكن لم يرضه ولم يرده ديناً؛ لأن الله نهى في كتابه وعلى ألسنة رسله عن الكفر والفساد وبين أنه لا يرضى ذلك ولا يحبه كما قال: ﴿ **وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾ ﴿ **وَاللَّـهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ** ﴾.وهذه هي المسألة المعروفة لدى كثير منكم وهي الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية وسيأتي لها مزيد بيان عند ذكر الرد على المخالفين في القدر –إن شاء الله تعالى–.

المرتبة الرابعة والأخيرة : وهي عموم خلق الله تعالى للأشياء. وأن الله سبحانه خالق كل شيء وأن طاعة المطيع خلقها الله ومعصية العاصي خلقها الله، وأن صلاة المصلي خلقها الله كما خلق ذاته يعني ذات المصلي فإنه يخلق أعماله، وهذه يستدل لها بقول الله سبحانه: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ وبنحو قوله سبحانه: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ وفي خصوص عموم خلق الله للعمل قوله الله تعالى: ﴿**وَاللَّـهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ في هذه الآية دليل على أن عمل العامل خلقه الله وذلك أن كلمة ما في الآية ﴿ **وَاللَّـهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ الأصح فيها أنها مصدرية بمعنى أنها تقدر مع ما بعدها بمصدر يعني يكون سبك الآية والله خلقكم وعملكم، والوجه الثاني أن معناها موصولة بمعنى الذي فيكون المعنى والله خلقكم

والذي تعملونه وهي على كل من الوجهين دالة على المراد في عموم خلق الله جل وعلا للعمل. ووضوح الدليل الأول في كونها مصدرية وقد يكون ثم اعتراض على الاستدلال بالوجه الثاني. لهذه تكملة إن شاء الله في الدرس القادم بإذنه تعالى ، نكتفي بهذا القدر .

سؤال : يقول بعضهم : يجعل الله سره في أضعف خلقه، إذا رأى مثلاً شخصاً ضعيفاً ؟

الجواب : هذا المقصود به حكمته تعالى في الخلق لا بأس به.

سؤال : هل يدخل الغيب تحت القدر؟

الجواب : نعم كل مغيب فهو مقدر.

سؤال : هل يصح قول ما ليس بشيء فإن الله لا يعلمه؟

الجواب : إيش معنى ما ليس بشيء، هذا كلام غير منضبط لا من جهة كلام المناطقة ولا من جهة التعريف فلا تطلق هذه العبارة؛ لأنها غير منضبطة؛ لأنه يقوله (ما ليس بشيء) يعني الذي ليس بشيء وما دام قال الذي فإنه شيء.

سؤال : قبل إرادة الله جل وعلا للشيء وعلمه به ماذا يسبقه ، هل يسبقه جهل به ؟

الجواب : أستغفر الله وأتوب إليه ، الله سبحانه أول ، وعلمه مرتبط بإرادته وحكمته جل وعلا ، فلا يسبق علمه جهل جل جلاله وتقدست أسماؤه .

سؤال : ما معنى قول الله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ ﴾ ونحو ذلك من الآيات؟

الجواب : ذكرنا أن الرد على القدرية من وجهين الوجه الأول هو أن ذلك اتباع للمتشابه وترك للمحكم وذكرنا المحكمات، الوجه الثاني أن معنى الآية ﴿ **إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ** ﴾ ومعنى قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ**

الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾، وقوله ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً** ﴾ ونحو ذلك هو ظهور علم الله جل وعلا؛ لأن علم الله سبحانه وتعالى خفي ولا يحاسب العبد إلا على ما ظهر من علم الله جل وعلا المتعلق بالعبد وإلا فلو أنيط ذلك بعلم الله الباطن دون ظهور الشيء في الواقع المتعلق بالمكلف لكان للمكلف حجة في رد التكليف ولهذا الآيات التي فيها ذكر العلم اللاحق وما سيأتي المقصود منه ظهور العلم، العلم الذي سيأتي العلم الذي سيظهر أما علم الله جل وعلا المشتمل على ما خفي وما ظهر أو علم الله السابق واللاحق فهذا تام بعلم الله جل وعلا للأشياء الذي هو مرتبة من مراتب القدر، فإذاً في قوله ﴿ **إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ** ﴾ يعني إلا ليظهر علمنا في المكلفين فيظهر علمنا فيمن اتبع الرسول ممن انقلب على عقبيه فتكون حجة على هذا العبد، كذلك ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً** ﴾ هذا مرتبط بالتشريع وعلم الله جل وعلا الشامل يعني الظاهر والباطن هذا متصف الله جل وعلا به لكن لا يكون معه التدرج في التشريع فالله سبحانه وتعالى جعل العبد المؤمن يقاتل عشرة ثم ظهر علمه فيهم أنهم ضعفاء فخفف فالتخفيف إذاً مسألة شرعية لما ظهر علم الله الباطن بحالهم فهنا شرع لهم التخفيف وهذا يعني أن هذه الآيات تدل على ظهور علم الله جل وعلا وظهور علم الله جل وعلا فيهم مناط بأمرين الأول أن تنقطع الحجة من العبد على التكليف والحساب والثاني أن يشرع وتظهر الشريعة تُسن والأحكام.

سؤال : نرجو أن تملي علينا الأبيات الميمية في القضاء والقدر.

الجواب : ميمية هي أو تائية ؟ تائية شيخ الإسلام هذه مشهورة وينبغي لطالب العلم أن يحفظ منها أو أن يحفظها ؛ لأن فيها ذكر كثير من مسائل القدر ، وأما هذه الأبيات في التعليل وليست في القضاء والقدر ، وهي في

ترك تعليل أفعال الله جل وعلا أو الخوض في ذلك . هذه أبيات ذكرها ابن الوزير في كتاب إيثار الحق على الخلق دون نسبة وهي أبيات جميلة مهمة في مسألة تعليل الأفعال مطلعها يقول فيها:

تَسَلَّ عن الوفاقِ فربنُا قد حكى بين الملائكة الخصام
كذا الخَضِر المكرمُ والوجيهُ المكلمُ إذ ألم به لمام
تكدر صفو جميعها مراراً فعجل صاحبُ السر الصرام
ففارقه الكلم كليم قلب وقد ثنى على الخضر الملام
وما سبب الخلاف سوى اختلاف العلوم هناك بعضاً أو تماماً
فكان من اللوازم أن يكون الإله مخالفاً فيها الأنام
فلا تجهل لها قدراً وخذها شكوراً للذي يُحيي الأنام

هذه قصة عظيمة قصة الخضر مع موسى وفيها من الفوائد ما لا يحصى. نكتفي بهذا القدر ونلتقي إن شاء الله تعالى في خير وعافية ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

الشريط العشرون . وجه (أ) ١٤١٨/١١/٢٣ هـ :

الحمد لله الذي أنعم على عباده باتباع دينه ، ثم أكرمهم بقبول ذلك منهم ، فله الحمد في الأولى والأخرى ، وله الثناء الحسن بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، تبارك ربنا عظيماً كبيراً ، وتقدس اسمه وعلت صفاته وجل جلاله ، تعالى عن الأشباه والأنداد سبحانه وتعالى عما يقوله الظالمون علواً كبيراً ، وأصلي وأسلم على محمد بن عبد الله ، النعمة المهداة لهذه البشرية أجمعين ، صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فهذه الليلة نجعل الدرس للإجابة عن الأسئلة التي لم نجب عليها في الدروس الماضية إن شاء الله تعالى :

الأسئلة :

سؤال : ما حكم فك السحر بالسحر وقد نقل عن سعيد ابن المسيب أنه كان لا يرى به بأساً إذا كان الرجل سُحر أن يمشي إلى من يطلقه عنه فقال هو صلاح. قال قتادة وكان الحسن يكره ذلك قال فقال سعيد ابن المسيب إنما نهى الله عن الذي يضر ولم ينه عما ينفع.

الجواب : هذه المسألة من المسائل العظيمة في باب التوحيد وفي الفقه أيضاً أولاً وهي حكم فك السحر بسحر مثله. ولابد من تقديم مقدمة لبيان حقيقة السحر. وهو أن السحر لا ينعقد إلا بأن يخدمه شيطان؛ لأن حقيقة السحر هي تسليط الشياطين على المسحور إما على بدنه، وإما على جزء من بدنه وإما على عقله.

والشيطان قد يتسلط بإذن الله جل وعلا فيضر المسحور وقد لا يضر فينفع غير المسحور كما في مسألة الصرف والعطف.

والله جل وعلا قال لما ذكر السحر : ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ** ﴾ وحقيقة السحر كما ذكر لك رجعة إلى خدمة الشيطان لهذا السحر، والسحر يؤثر حقيقة في بدن المسحور أو في عقله يؤثر حقيقة لا تخيل، يؤثر في البدن فيمرض حقيقة يؤثر في العقل فينسي حقيقة يصرف العقل عن الشيء حقيقة وليس التخيل وإنما قد يخيل إلى العين في بعض أحواله كما قال جل وعلا: ﴿ **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** ﴾ هذا تخييل عن العين في بعض أحواله أما فيما يصيب البدن أو يصيب العقل فهو حقيقة وليس توهماً من المسحور.

إذا تبين ذلك فإن الشيطان هذا الذي يخدم السحر لا يمكن أن يفعل ذلك ويخدم الساحر حتى يتقرب إليه الساحر فيستمتع الجني بهذا الساحر الإنسي استمتاعاً يرضيه حتى يخدمه بعقد السحر بالتأثير في بدن المسحور، وهذا من جملة أنواع الاستمتاع التي ذكرها الله جل وعلا في قوله: ﴿ **رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا** ﴾ فيستمتع الإنسي بالجني ويستمتع الجني بالإنسي استمتاع الإنسي بالجني بأن الإنسي يطلب من الجني أشياء فيحققها له الجني، واستمتاع الجني بالإنسي في السحر بأن الإنسي يتقرب إلى الجني الشيطان الكافر بأشياء يرضى بها عنه ثم بعد ذلك يخدمه في السحر.

فحقيقة السحر إذاً أنه لا يقوم السحر إلا عن تقرب من الإنسي للجني بإرضائه والجني يرضى في ذلك بالشرك بالله عز وجل وبأنواع الشرك أما بالذبح أو بالدعاء والتعلق بالجني أو بالخوف خوف السر أو نحو ذلك من التذلل لهم أو تكون الخدمة بأن يجعل الجني الإنسي يكفر بالله جل وعلا ويرتد بأن يعمل أشياء من الرد كإلقاء المصحف في قاذورات تعمداً أو والعياذ

بالله البول عليه أو إلقاء النجاسات عليه ونحو ذلك مما هو معروف من حال السحرة قبحهم الله.

فإذاً حقيقة السحر أنها لا تكون إلا بكفر وشرك من الساحر ولهذا قال جل وعلا في حكمه قال: ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** ﴾، وهذا يعم حالي التعلم تعلم ما ينفع وتعلم ما يضر قال ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ** ﴾.

وهذا فيه عموم؛ لأن ما نافية وأحد نكره في سياق النفي فتعم ثم زادها تنصيصاً صريحاً في العموم مجيء "من" قبل النكرة فصار هذا لا يخرج عن شيء من الأفراد فهو يعم حالتي ما يظن أنه ينفع أو يضر الصرف والعطف وأنواع السحر.

قال: ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** ﴾، فإذا كان كذلك فالسحر إذاً لا يقوم إلا على الكفر بالله جل وعلا من الساحر أو على الشرك بالله جل وعلا من الساحر، وقد يكون من المتقدم للساحر بطلب السحر أو بطلب فكه.

إذا كان كذلك فإن فك السحر بالسحر إذاً يكون إقرار للشرك بالله جل وعلا يكون إقرار للكفر بالله جل وعلا إذ أنه في حقيقته إقرار للساحر على كفره وعلى شركه لله جل وعلا حتى تخدمه الشياطين الكفرة المردة.

هذا تقرير أصل هذه المسألة فيكون إذاً تعلم السحر كفر واستعمال السحر كفر ويكون إذاً التقرب إلى الساحر بأنواع التقربات إذا كان فيها كفر فهو أيضاً كفر من المتقرب إليه إذا كان فيها ذبح، اذبح ديك أو اعطني مالاً أشتري به ذبيحة واذبحها أو نحو ذلك فالراضي بالذنب كفاعله وهذا يعلم أنه سيتقرب إلى الجن بهذه الأشياء.

فيكون إذاً حل السحر بسحر حكمه حكم السحر؛ لأنه لا يُحل السحر إلا إذا فُعل السحر فيكون إذاً ثم فعل للسحر حتى يُزال سحر هذا هو الذي تريده الشياطين.

تريد الجن من الإنس أن يكفر الإنس بالله جل وعلا وأن يشرك الإنس بالله جل وعلا الجني فيكون عابداً للجني متقرباً للجني ومشركاً بالله جل وعلا، فإذاً حل السحر بسحر مثله مع بيان هذا التأصيل تصل معه إلى نتيجة أنه محرم وكفر وشرك بالله جل وعلا.

إذا تبين هذا فالعلماء من المتكلمين في الفقه وفي الفتوى اختلفوا في هذه المسألة حكم حل السحر بمثله هل يجوز أو لا يجوز؟

الجمهور بل عامة أهل العلم على أن هذا محرم ولا يجوز دون تقييد، وقال جماعة من أهل العلم إن حل السحر بمثله ضرورة جائز وهذا هو مذهب الحنابلة وهو المنصوص في كتب الفقه الحنبلي ويقولون يجوز حل سحر بمثله ضرورة. لماذا جعلوا الضرورة مبيحة مع أن الضرورة لا تبيح الشرك بالله جل وعلا قالوا؛ لأن السحر لا يكون في جميع أقسامه شركاً، ليس كل السحر يكون عن كفر، تعلمون كلام الشافعي –رحمه الله تعالى– أيضاً حينما قال السحر نوعان:

سحر بالتدخينات كذا هذا يؤثر وهذا لا يستعمل فيه الكفر فليس بكفر وسحر يكون عن طريق التقرب للشياطين فهذا كفر فعند من قسم هذا التقسيم قال إذا لم يتمحض الساحر للشرك فإن المحرم يباح عند الضرورة فيكون استعمال الساحر لسحر بدون شرك محرم تبيحها الضرورات لكن هذا في الحقيقة تنظير لا حقيقة له في الواقع فإنه في الواقع لا يكون السحر المؤثر إلا بخدمة جني إلا بخدمة شيطان؛ لأن الشياطين هي التي تؤثر في ذلك وعند ذلك فيكون حل السحر بمثله ضرورة ليس بالقول الصواب؛ لأنه مبني على أن

السحر منقسم، والسحر ليس بمنقسم بل السحر لا يكون إلا عن شرك بالله جل وعلا. أما كلام سعيد بن المسيب –رحمه الله تعالى– ومن أجاز حل السحر بما ينفع فإنهم لا يعنون به الذهاب للساحر قال أما ما ينفع فلم ينه الله جل وعلا عنه يعني من الأدعية والأوراد والأسباب والتلاوة ونحو ذلك مما فيه حل السحر هذا نافع ولا يتقيد فيه أيضاً بما ورد فإنه ما عرف الناس أنه نافع في حل السحر ولم يشتمل على منكر أو محرم في نفسه أو فيما يؤول إليه فإنه لا بأس بتعاطيه ولذلك ذكر العلماء في شروح الأحاديث أن مما يحل به السحر أن تُحمى حديدة حتى تكون جمرة حمراء ثم يبول عليها المسحور وهذا مما يكون بالتجربة سواء كانت تجربة صادقة أو غير صحيحة المقصود أنهم ذكروها فالباب باب تجربة إذا لم تشتمل هذه التجربة أو هذا الأمر على محرم في نفسه أو يؤول إلى محرم فإنه يكون هذا العلاج جائز هذا هو الذي يحمل عليه كلام من أجاز حل السحر كسعيد ابن المسيب وغيره، فإنهم يُبيحون حل السحر بغير القرآن وغير الأدعية لكن بما ينفع والسحر معروف أنه يضر ﴿ **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ**﴾ بنص الآية.

سؤال : الإيمان بالأركان الستة منها ما لا يصح الإيمان إلا به ومنها ما يجب على المسلم أن يعتقده إذا بلغه الدليل أرجو أن تبينوا دليل التفريق في ذلك؟

الجواب : السؤال ليس واضحاً من كل جهة لكن مقصود السائل أن أركان الإيمان هي الأركان الستة المعروفة قال جل وعلا: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾.

وقال جل وعلا في ذلك: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنَزلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾.

فأركان الإيمان الستة دل الدليل على وجوب الإيمان بها وأنها أركان الإيمان وهذه الأركان هي التي جاءت في حديث جبريل -عليه السلام- قال: ((ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى)).

هذا الإيمان الواجب متوقف على العلم فهذا القدر المجمل في كل في الإيمان بالله، بالملائكة بالكتب بالرسل – القدر المجمل هذا واجب على كل أحد؛ لأنه لا يصح الإيمان إلا بقدر منه وهذا القدر هو الذي يتوقف عليه الإيمان بهذه الأمور الستة، لذلك ذكرنا لك التقيدات ما هو ضابط الإيمان بالملائكة الذي يصح به الإيمان ضابط الإيمان بالكتب؟ يعني القدر المجزء، ما القدر المجزء من الإيمان باليوم الآخر ما القدر المجزء من الإيمان بالقدر ذكرناه لكم بالتفصيل ترجعون إليه، ما زاد على ذلك على القدر المجزء فهو راجع إلى العلم فمن علم شيئاً وجب عليه أن يؤمن به من علم أن ثمة ملك اسمه جبريل وجب عليه أن يؤمن بجبريل ثمة ملك اسمه ميكال في القرآن ﴿ **مَن كَانَ عَدُوّاً للَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ** ﴾ وجب عليه أن يؤمن بميكال من علم في السنة بعذاب القبر أو في القرآن ﴿ **سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾ وجب عليه الإيمان بعذاب القبر فإذا ثمة قدر مجزء من الإيمان هذا شرط في صحة الإيمان أو هو شرط في صحة الإيمان بهذا الركن الخاص من الأركان الستة ما بعد ذلك فيما هو زائد عن القدر المجزء فهو موقوف على العلم بالدليل وهذه قاعدة الشريعة.

سؤال : كثيراً ما نقرأ ونسمع هذا يدل على كذا بالمطابقة وعلى كذا بالالتزام وعلى كذا بالتضمن فما معنى هذه الثلاث وما الفرق بينها؟

الجواب : المطابقة والتضمن والالتزام هي في أصلها من البحوث المنطقية يبحثها المناطقة في أول كتب المنطق ونقلها اللغويون ونقلها الأصوليون في كتبهم فأصبح الناس يستفيدون ممن لم يطلع على كتب المنطق يستفيدونها من كتب الأصول سيما أن أئمة أهل السنة استفادوا منها في مباحث الأسماء والصفات كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وعدد من أئمة الدعوة.

معناها المطابقة هي دلالة اللفظ على كل معناه، التضمن دلالة اللفظ على بعض معناه اللزوم هي دلالة اللفظ على شيء آخر يلزم لوجود هذه الصفة وجود ذلك الشيء الآخر مثاله في صفات الله جل وعلا: الرحيم، الرحيم: مطابقة هذا اللفظ يعني المعنى بالمطابقة: ذات متصفة بالرحمة، فجمعت المطابقة ما بين الذات وما بين صفة الرحمة فإذاً نقول: الرحيم دال على الرحمة بالمطابقة صح أو غلط؟ هذا ليس بصحيح نقول دال على ذات متصفة بالرحمة يعني الاثنين معاً هذا معنى المطابقة.

يأتي التضمن على بعض المعنى إذا قلنا الرحيم دال على صفة الرحمة يكون بالتضمن.

يأتي اللزوم الرحيم دال على صفة الحياة هل هو يكون رحيماً بلا حياة دال على الإرادة هل يكون رحيماً بلا إرادة؟ يدل على الكرم هل ثم رحمة بلا كرم ونحو ذلك من دلالات اللزوم المختلفة.

سؤال : سمعت من أحد زملائي أنكم أفتيتم بجواز العلم في البنوك الربوية إذا كان العامل لا يواجه الجمهور فما مدى صحة ذلك؟

الجواب : لا يواجه الجمهور!!، الإحكام الشرعية لا تتعلق بالمواجهة هل هو يواجه أو لا يواجه؛ لأن المحاسب هو رب العالمين سواء كان هذا مواجهاً أو ليس بمواجه. لكن المسألة فيها تفصيل.

الذي يعمل في بنك يعمل بالربا تمحض للربا أو غالب عليه الربا أو فيه ربا غير متميز يعني في جهة من جهاته، فإنه إن باشر الربا هذا محرم عليه عمله ومحرم عليه كسبه، ولا يجوز له أن يباشر الربا؛ لأن النبي ﷺ لعن كاتب الربا وموكله وشاهدين وهذا في حالة المباشرة سواء كان كاتب راصد له، شاهد عليه مقرض مقترض كل هؤلاء يدخلون في هذا.

فالذي يعمل هذا العمل هذا محرم عليه وما يكسبه من هذا كسب حرام إذا كان متمحض لهذا العمل.

هناك عمل آخر يكون غير مباشر للربا ولا داخل في الربا مثلاً يكون على الهاتف سنترال هاتف مثلاً أو يكون يحاسب على الصندوق يحاسب ويعطي ويأخذ أو يكون في الحسابات الجارية أو نحو ذلك هذا لا يباشر الربا، فهنا نقول له ابحث عن مكان آخر لكي لا تعين أولئك ولكي يكون ذلك أزكى لنفسك والله جل وعلا يقول: ﴿ **وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾، لكن في هذه الحالة كسب هذا ليس بحرام عمله لا يجوز يأثم عليه في البنوك التي تتعامل بالربا لكن كسبه قام على عمل في نفسه مباح حارس سواق سيارة ينقل فلوس إلى آخره وذلك؛ لأن هذه البنوك ليست متمحضة للربا فالبنوك فيها أعمال كثيرة تنفع وليست من الربا وثم فيها قطاعات فيها ربا، فهذا هو التفصيل الذي قلته في أكثر من مكان.

سؤال : من قواعد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات أن الاسم من الأسماء الحسنى متضمن للصفة ولا يشتق من الصفة الاسم وقد أشكل عليّ بعض الأسماء التي ذكرها بعض العلماء مشتقة من الصفات

كالمعز والمذل والمحيي والمميت الخافض الرافع القابض الباسط والمعطي المانع.

الجواب : هذه الأسماء كمالها في اجتماعها في اقترانها ومسألة الاشتقاق هذا في الانفراد أما إذا كان الكمال في الاقتران فإنه لا بأس ولذلك عدوها من الأسماء الحسنى؛ لأن الكمال في الاقتران وهذه الأسماء من الأسماء الحسنى مع الاقتران يعني المميت ليس من الأسماء الحسنى، لكن المحي المميت من الأسماء الحسنى، الخافض ليس من الأسماء الحسنى في نفسه لكنه الرافع الخافض من الأسماء الحسنى وهكذا.

فإذاً هذه كمالها في اقترانها تدل على الكمال بالاقتران لا على وجه الانفراد.

سؤال : هل يجوز الدعاء بـ "اللهم رب الأرواح الغائبة والأجساد البالية"؟

الجواب : الأرواح الغائبة مخلوقة لله جل وعلا وهو ربها والأجساد البالية أيضاً الله جل وعلا ربها وهو أعلم بها وأين تفرقت أجزاؤها فظاهر الدعاء أنه لم يشتمل على غلط لكن مما ينبغي التنبيه عليه أن القاعدة أن الدعاء يتحرى فيه الصواب وإلا يكون معتدياً في الدعاء والاعتداء في الدعاء إما أن يكون في الطلب وإما أن يكون في المطلوب.

الاعتداء في الدعاء على ناحيتين ، إما أن يكون في الطلب أي في صيغة الدعاء فيها الاعتداء ، ولكن يكون المطلوب طيب ، وغما أن يكون في المطلوب ، يعني في الشيء الذي سأله

مثال الثاني: الذي قال اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إلى آخره فهذا اعتداء في الدعاء من جهة المطلوب لكن من جهة الطلب نفسه أن يستعمل صيغاً ليست من الصيغ التي فيها تأدب أو صيغ

ليس له أن يستعملها هو من جهة المعنى أو أن فيها نوع نزول في المخاطبة مخاطبة الله جل وعلا ونحو ذلك هذه تكون من الاعتداء في الدعاء ونحو ذلك. ولذلك كلما اجتهد المرء في أن يكون دعاؤه مأثوراً كان أسلم وأعظم وأجمع الدعاء.

سؤال : لو قال قائل هذا اليوم ما عندي حظ أو حظ غير طيب فهل في هذه المقولة تطير أو تشاؤم؟

الجواب : لا ليس فيها تطير أو تشاؤم لأن الحظ موجود، الله جل وعلا يقول: ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾.

الحظ بمعنى النصيب، نصيبه وما قدر له في هذا اليوم يكون حظاً عظيماً حظاً طيباً.

يقول أنا ليس لي حظ يعني ليس لي نصيب حسن في هذا اليوم أو حظي غير طيب يعني نصيبي أو ما قدر لي اليوم ليس بطيب لي هذا لا بأس به فالحظ قد يكون موافقاً لما يريده العبد، وقد لا يكون ذلك.

سؤال : ما صحة الزيادة في حديث الخاتمة ((وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس)).

الجواب: أن هذه صحيحة.

سؤال : ما هي الحجة التقريرية والحجة الفطرية في آية الميثاق؟

الجواب : آية الميثاق أظنه عني بها قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾، هذه عند بعض أهل العلم تسمى آية الميثاق لكن في الواقع ليس فيها ذكر الميثاق كما ذكرنا لكم، وإنما فيها إشهاد

وهذا الإشهاد كما مر معنا تفسيره إنما هو بدليل الفطرة والربوبية وآيات الله جل وعلا في الآفاق وفي الأنفس فإذاً الحجة التقريرية على حد سؤال السائل هي إقرار أولئك بما اقرهم الله جل وعلا عليه، وشهد بعضهم على بعض بأن الله ربهم وأنه لا إله إلا هو، والحجة الفطرية هي ما فطروا عليه يعني منذ بداية خلقهم هم فطروا على الإسلام فطروا على التوحيد وهذه الحجة ليست حجة كافية في الحساب بل لابد أن ينضم معها الحجة الرسالية فالحجة الفطرية لا تكفي بل لابد من الحجة الرسالية في الحساب والعقاب، إلا فيمن لم يبلغ فإن الفطرة تكفيه الفطرة الأصلية تكفيه فيمن مات قبل البلوغ فإنه على الفطرة من أبناء المسلمين، وأما أبناء المشركين فهم على الخلاف المعروف في شأنهم، والنبي ﷺ سئل عن أطفال المشركين فقل: ((الله أعلم بما كانوا عاملين)) رواه البخاري وغيره.

سؤال : ما رأيكم في القول بأن الأموات يعرفون من يزورهم ويأتي إلى قبورهم؟

الجواب : هذا قاله جمع من أهل العلم وفيه أحاديث أن الأموات يعرفون من يزورهم وأن المسلم إذا زار ميتاً في قبره وسلم عليه أنه يعرف من زاره ويرد عليه، ونحو ذلك مما جاء وهذه فيها بحث عند أهل العلم والأقوال فيها مختلفة لكن على أي ليس في هذا تعلق بأن الميت يُسأل أو يطلب منه فإذا كان يعلم أو يسمع، سماع الميت ثابت كما جاء في حديث الدفن قال ((وأنه ليسمع قرع نعالهم)) هو يسمه الميت في بعض الأحوال بإسماع الله له هذا لا يعني أن يُتعلق بع فالتعلق به بدعة وشرك في أكثر الأحوال، وانظر مثلاً إلى شهداء أحد أليسوا بأحياء؟ ومع ذلك لم يأت إلى قبورهم في عهده عليه الصلاة والسلام ولا عهد الصحابة لم يأت أحد إلى قبور الشهداء يسألهم ويطلب منهم أشياء مع أنهم أحياء بنص القرآن فإذاً الكلام هل يسمع أو لا

يسمع، إذا قلنا لا يسمع انقطع الطريق من أوله وإذا قلنا يسمع في بعض الأشياء التي ورد فيها النص وذلك متوقف على ثبوت النصوص في ذلك يعني الأحاديث فإننا نقول هذا لا يدل على أنه يخاطب سماعه شيء ومخاطبته شيء آخر كذلك إعلامه بما يفعله أهله من بعده أولاده وكذا فيفرح بما يسمع مما يفرح أو يحزن إذا سمع غير الخير هذا كله من هذا الباب.

سؤال : شخص مصاب بمرض مزمن لا يُرجى برأه ويرد الزواج ولكن يخاف أن يعذب الزوجة معه بهذا المرض فهل يطلب الزواج أم ماذا يفعل؟

الجواب : إن صبر فهو خير له، وإن أراد أن يتزوج فيجب عليه إن يُعلم؛ لأن هذا عَيب ويتعب المرأة ويكلفها فلابد من الإعلام فيعلمها بهذا العيب الذي فيه وهذا المرض المستديم، فإن قبلت فيرجى لها إن شاء الله الثواب من الله جل وعلا على ما تبذل فإن لم تقبل فلها ذلك فإن دخل عليها على غرة يعني لم يخبرها فهذا عيب يعني أن بان للمرأة بعد ذلك فلها الفسخ؛ لأنها لم تعلم به فلها الخيار لا أن تبقى أو تطلب الفسخ.

سؤال : لقد سمعت عن كتاب فيه شرح وترتيب العقيدة الطحاوية.

الجواب : لا أدري ماذا يعني، لكن فيه كتاب لأحد الأخوة في مكة وأنا الآن أطالع فيه وما تكوَّن رأي فيه إلى الآن.

سؤال : نقل المرداوي في شرح اللامية عن السلف أن تفسير آيات الصفات عندهم هي قراءتها من غير التعرض لمعناها ونقل عن الفضيل بن عياض أن تفسير آيات الصفات قراءتها فهل ذلك صحيح؟

الجواب : السلف ربما قال بعضهم أمروها كما جاءت، تفسيرها قراءتها وربما قال بعضهم لا كيف ولا معنى يعنون بذلك أنه ليس ثم شيء غير الظاهر لا كيف كما يقول المجسمة، ولا معنى كما يقول المؤولة غير الظاهر. قراءتها تفسيرها يعني كما يتبادر للذهن؛ لأنها بكلمات عربية فما

تبادر للذهن من معناها فهو الذي يجب الإيمان به مع قطع الطمع عن الإدراك.

سؤال : قول الشيخ العلم يكون مع أول الإرادة؟

الجواب : أشكلت على الطلاب والشيخ قال هي للإيضاح وليست للاعتقاد وطلب حذفها من الكتابات والتسجيل وقال مع أنها صحيحة في نفسها لكن تحذف حتى لا تحدث لبس بين الناس

سؤال : لما نقول عموم المشيئة ولا نقول المشيئة بدون كلمة عموم؟

الجواب : لأن المشيئة ما تبين الفرق بين السني والقدري في مباحث القدر لذا نقول عموم المشيئة لدخل طاعة المطبع ومعصية العاصي في مشيئة الله جل وعلا.

سؤال : في سورة التكوير ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ إلى آخره هل هذه الآيات بعد البعث وقيام أهل القبور أم قبله وكيف الجمع مع قوله ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ والعشار هي الإبل التي قرب حملها فهل هي لم تمت أم ماذا؟

الجواب: إن هذه التغيرات التي تحدث في ملكوت الله جل وعلا في الأرض وفي السماء وتسجر البحار وانشقاق السماء وما يحدث في القرآن أو ذكر كثير من الآيات في هذا الباب هذا على الصحيح أنه يحدث بين النفختين بين النفخة الأولى التي هي نفخة الصعق النفخة الثانية التي هي نفخة البعث فبين النفختين تحدث هذه الأشياء والنبي ﷺ صح عنه أنه قال: ((بين النفختين أربعون)) قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً قال أبيت قال: أربعون شهراً قال أبيت، قال النبي ﷺ: ((وكل شيء يبلى من ابن آدم إلا عجب الذَنَب ومنه يركب الخلق يوم القيامة)) وذلك بأن السماء تمطر يوم القيامة في هذه

الأربعين مطراً كمني الرجال (مشبه بذلك) تنبت منه الأجساد أجساد الناس تنبت منه هذه الأجساد فإذا نبتت الأجساد انشقت الأرض وأخرجت أثقالها يعني من المدفونين في هذه الفترة الأرض تغيرت الجبال سيرت والسماء تغيرت وبدلت الأرض غير الأرض والسماوات صار الأمر أمراً جديداً ليس هو المألوف، لا الأرض هي الأرض ولا السماء هي السماء، السماء الآن تستعد لنزول الله جل وعلا لفصل القضاء والأرض كذلك فيستوي من دفن وراء الجبال ومن دفع في ساحل البحر، كلهم يستون الأرض سيرت وجبالها تغيرت فيسيرون سيراً واحداً ثم بعد ذلك ينفخ الله جل وعلا في الصور نفخة البعث فتطاير الأرواح فتهتز الأجساد بالأرواح حية ثم ينظرون يتلفتون؛ لأن الأرض مختلفة كما قال سبحانه: ﴿ **ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ يعني ينظرون ما حولهم ويكرم الله جل وعلا أهل الإيمان بأن يأتي الله جل وعلا لهم بجوار قبورهم بجوار أمكنتهم بنجائب من نور من الجنة فيحشرهم إليه وفداً لا يتعبون في السير إلى أرض الحشر، وهذه أول البشائر لهم ويذل الله جل وعلا أهل الكفر بأن يجعلهم يحشرون ويساقون إلى جهنم وهذا قول الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً** ﴾ الوفد في اللغة هم الراكبون يقدمون راكبين مكرمين ﴿ **وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً** ﴾ والعياذ بالله فهذا بعض ما يتعلق بهذه المسألة، وهذه لابد أنك تعرفها طالب العلم من المهم أن يعرف لإيمانه باليوم الآخر ماذا يحدث من حين الوفاة إلى دخول أهل الجنة، الجنة وأهل النار النار حتى ما بعد ذلك ماذا يحدث، لابد تعرف نفخ في الصور نفخة الصعق ماذا يحدث ثم نفخة البعث ما الذي يحصل بعدها سيقوا، ترتيب الأشياء في عرصات القيامة ما الذي يحدث أولاً الميزان أولاً أم الحوض أولاً، أما تطاير الصحف، كل هذه الأشياء التي هي من جملة الإيمان باليوم الآخر لابد أن يتعلمها طالب العلم وتكون عنده مرتبة

من إحياء الله جل وعلا الموتى إلى دخول أهل الجنة ودخول أهل النار النار، وهي مرتبة في كتب أهل العلم وإذا كانت غير مرتبة فرتبها وإذا فهمتها فهماً جيداً فإذاً يكون بعد ذلك فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعرفة دلالات الآيات واضحة في ذهنك مرتبة، إذا جاء مثلاً تطاير الصحف متى يكون؟ واضح زمنه عندك، إذا جاء عدم الكلام ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ** ﴾ متى يكون ذلك؟ واضح عندك أيضاً وهكذا فيتعلم المرء في ذلك العقيدة وعلم الجزاء وهذا من العلوم الثلاث المهمة؛ لأن العلوم النافعة الثلاثة العلوم الشرعية وهي التوحيد، الفقه، وعلم الجزاء اليوم الآخر وهذا هو الذي ذكره ابن القيم في النونية حيث يقول:

والعلم أقسام ثلاث ما لها　　من رابع والحق ذو تبيان

علم بأوصاف الإله وفعله　　وكذلك الأسماء للديان

والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني يعني علم الجزاء علم الحساب قال:

والكل في القرآن والسنن التي　　جاءت عن المبعوث بالفرقان

إلى آخر كلامه.

سؤال : ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي أمالها عن الهدى كما قدره في الأزل فما هو الصواب في ذلك؟

الجواب : ﴿ **فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾ يزيغ القلب الذي بذل أسباب الزيغ الذي فعل أسباب الزيغ، الله جل وعلا حكم عدل لا يظلم الناس شيئاً فإذا كان العبد اختيار الزيغ وبدأ فيه بعد ظهوره البينات والهدى له فإن الله جل وعلا يزيغ قلبه؛ لأنه هو الذي اختار ذلك وجزاء فعله واختياره ذلك، إما قبل أن يعلم، لله جل وعلا له الحكمة البالغة كما قال جل وعلا: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ** ﴾ فإذاً تفسير

الزيغ بأن إمالها عن الهدى يعني لا بأس به أو صرفهم عن الهدى وجزاهم من جنس فعلهم ﴿ **فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾.

سؤال : هل هناك فرق بين الأمر والقدر ؟

الجواب : ما فيه شك الأمر أعم .

سؤال : في قول النبي ﷺ ((إن الله جميل يحب الجمال))، وقوله: ((إن الله وتر يحب الوتر)) ونحوها من الأحاديث هل هذه النصوص من باب الإخبار عن الله جل وعلا بصفاته الذاتية والفعلية أم المراد إثبات هذه الأسماء في الأسماء الحسنى؟

الجواب : ذكرنا لك أن الشروط التي يكون بها الاسم من أسماء الله الحسنى ثلاث:

الشرط الأول: أن يكون وارداً في الكتاب أو السنة أو فيهما معاً، يعني قد جاء به النص؛ لأن باب الأسماء والصفات توقيفي ليس اجتهادياً.

الشرط الثاني: أن يكون الاسم متضمناً لكمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الشرط الثالث: أن يكون الاسم يدعى الله جل وعلا به كما قال سبحانه ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾، ذكرنا لكم هذه الشروط الثلاثة في شرح العقيدة الأصفهانية.

سؤال : ما المقصود بالمقلد في العقيدة وما حكمه؟

الجواب : المقلد في العقيدة الذي أخذ ما يصح به الدين أو ما لا يصح الدين إلا به تقليداً لا عن دليل هذا لا يقبل منه بل لابد لكل أحد أن يعلم دينه بدليله فيعلم معنى الشهادتين بدليله، يعلم فرضية الصلاة بدليلها يعلم فرضية الزكاة بدليلها، يعلم فرضية الصوم دليلها فرضية الحج بدليلها هذه الأركان الخمسة وهذه يكفي في تعلمها بدليلها مرة في العمر بأن يتعلمها

فيدخل في الإيمان عن علم بهذا الدليل فلو نسيه بعد ذلك أو غاب عنه أو غفل لم يؤثر مع استدامة وصحة إيمانه وإسلامه هذا هو معنى التقليد وحكمه عند أهل السنة، أما تقليد المتكلمين هذا له بحث آخر فتقليدهم يعنون به التقليد في النظر أو في إثبات دليل الوجود عن طرق التأمل في آلاء الله جل وعلا أو القصد إلى التأمل.

ختام

لعلنا نكتفي بذلك واسأل الله جل وعلا أن يجعل قلبي وقلوبكم جميعاً مخبتة له خالصة له في أعمالها قاصدة إياه دون غيره، كما أسأله سبحانه أن يبارك لي ولكم في القول والعمل وأن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شر أنفسنا وأن يغفر لنا جميعاً، وأن يلهمنا الرشد والسداد كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمورنا وعلماءنا لما فيه رضاه وأن يجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى أنه سبحانه جواد كريم. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

الشريط الحادي والعشرين الوجه (أ) ٢٩/ ١٢ / ١٤١٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أسأل الله جل وعلا لي ولكم أن يجعلنا من الذين يتعلمون العلم فينتفعون به وأن يقينا شر أنفسنا وأن يغفر لنا وللذين سبقونا بالإيمان اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ومن له حق علينا وولاة أمورنا وعلمائنا وإخواننا المؤمنين.

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولوا الألباب.

سؤال : يُلاحظ أن كثيراً من طلبة العلم والمنتسبين إلى العلم يعرف المسائل معرفة عظيمة ويدرسونها نظرياً لكن تعاملاته مع غيره وأخلاقه مع أقرانه والمحيطين به تصد الناس كثيراً عما عنده من الخير فهل من نصيحة وتذكير بأهمية الأخلاق وسلوك طالب العلم مع إخوانه؟

الجواب : لا شك أن هذه المسألة من المسائل العظيمة والعلم لابد أن يكون مؤثراً على صاحبه وخاصة في أمرين :

الأول : في تعبده لله جل وعلا بأنواع العبادة التي أعظمها توحيده والإخلاص له جل وعلا والإنابة إليه ونحو ذلك من أعمال القلوب والجوارح وأنواع العبادات المختلفة ثم أن يعطي الخلق حقوقهم، وحسن الخلق أعظم ما يوضع في الميزان يوم القيامة وأثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة، ولهذا فإن العلم إذا صح عند العبد وكان متحققاً به فإنه يظهر ولا شك عليه في تعامله مع ربه جل وعلا في عباداته وإخلاصه وتوحيده وإذا أذنب استغفر، وفي تعامله مع الخلق في إعطائهم حقوقهم وفي التخلق بالأخلاق الحسنة لهذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن يخالق المؤمن إخوانه بالخلق الحسن فقال، ((وخالق الناس بخلق حسن)) وقال: ((اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة

الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)) وهذا الخلق الحسن الذي يعامل به الناس أن يعطيهم حقهم وان يأخذ حقه وأن يزيد في ذلك بأن يكون في تعامله معهم كما يحب أن يعاملوه به في البشر عن اللقاء وسرور الوجه ثم لين الكلام، وعدم الإغلاق والعفو عن الخطأ وعدم إقصاء الأمور إلى آخرها في تعامله مع الناس وان يتغاضى وأن يعفو، ونحو ذلك كما وصف الله جل وعلا عباده الصالحين بقوله: ﴿**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ وهؤلاء المتقون وصفهم الله جل وعلا بصفات ومنها الصفات المتعلقة بالخلق ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ العلم الذي لا يظهر أثره على صاحبه في أخلاقه وتعامله مع الناس، هذا لا خير فيه؛ لأن العلم له ثمرة في الإحسان إلى الخلق بتعليمهم بدعوتهم بحب الخير لهم بأن يؤدي إليهم ما يحب أن يؤدوه إليه. ولا شك أن المرء طالب العلم إذا علم ذلك فإنه سيصحح نفسه ويصحح طريقته. بعض الناس عنده طبع يعني هو متطبع بطبيعة طبع عليها، والطبيعة إذا كانت موجودة لا يعذر صاحبها بها، لا يعذر صاحبها أن يقول إن طبعي هكذا؛ لأن ثمرة التعبد والعلم أن يتطبع بالشريعة ما يقول هذا طبعي، طبعي سيء الخلق طبعي أني غليظ، طبعي أني كذا، لابد أن يكون للعلم أثر.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : ((من يتحرى الخير يُعطه ومن يتوق الشر يُوقه)) وجاء أيضاً: ((من يتصبر يصبره الله)) ونحو ذلك، وإذا رأيت سنة النبي ﷺ في تعاملاته علمت منها مثلاً إغلاظ الناس في تعاملهم معه ﷺ وكيف قابلهم بالسماحة، وكيف قابلهم بالعفو عن من أخطأ عليه ، هذا الأعرابي يناديه يا محمد ويجذب قميصه حتى أثر في عنق النبي ﷺ يجذبه من خلفه ومع ذلك يصبر عليه ويعامله باللين ويعامله بالإحسان

إليه. لا شك أن العلم له أثر لهذا ينبغي علينا جميعاً وأوصي نفسي وإياكم بأن نكون متخلقين بالقرآن متخلقين بالسنة في الأمور العامة والخاصة ومن قصر يستغفر الله جل وعلا.

سؤال : ما حكم الاستفادة من بطاقة فيزا وماستر كارت في المشاريع الخيرية وذلك لأن بها خصم ٥٠% أحياناً أو أقل أو أكثر مع محاولة تسديد الرسوم أولاً بأول لكي لا يحصل للبنك أي فائدة؟

الجواب : ما أدري هل الصورة صحيحة الفيزا يعطي عليها خصم ٥٠% ما أظن هذا لكن هي أنواع بطاقة فيزا وماستر كارت منها ما هو بطاقة ائتمان وهذه يدخل في العقد ، عقد الربا أو أنه إذا تأخر لابد أن يسدد بفائدة ومنها بطاقة دفع وهي التي إذا كان له حساب يخصم من حسابه فوراً وإذا لم يكن عنده حساب تبقى في ذمته حتى يسدد كقرض حسن، فإذا كانت من النوع الثاني هذه لا بأس بها، وإذا كانت من النوع الأول ففيها تفصيل لكن المسلم لا يدخل في عقود مشتملة على ربا لكن إن احتاج إلى ذلك كما قد يحتاجه بعض المسلمين مثلاً في أمريكا وأوروبا وغير ذلك ما عندهم إلا من نوع الائتمان فقد يجوز لهم ذلك ببعض الشروط إذا سألوا عن ذلك لكن استعمال بطاقة فيزا ونحوها إذا كان المقصود منها النوع الثاني نوع الدفع يعني بطاقة الدفع الفوري أو التي ليست ائتمانية يعني لا يدخل فيها أرباح إذا لم يسدد تضاعف عليه أو يبدأ يأخذ قرض وثم فائدة عليه، فهذا النوع لا بأس به أما إذا كانت قرض يعني إذا ما سدد يبدأ القرض وعليه فائدة يعني يكون المبلغ مثلاً صار عليه عشرة آلاف يُقولون : سددها بعد شهر إذا ما سدد يبدأ حساب الفوائد فهذه ربوية، أما إذا لم يسدد يقال يبقى في ذمتك سددها أو يُخصم من الحساب مباشرة فهذا جائز بعد دراستي للموضوع.

المتن :

وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه، كما قال في كتابه ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

الشرح :

الحمد لله وبعد فهذه الجمل من كلام العلامة الطحاوي –رحمه الله تعالى– فيها إشارة إلى القدر مع عدم ذكر معتقد أهل السنة والجماعة على وجه التفصيل فيه، وقد سبق أن ذكرنا بعض المسائل فيه ولكن نعيد المسائل من أولها حتى يرتبط الموضوع لبعد العهد بما سبق.

قال: (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه) يعني بقوله: (أصل القدر سر الله) يعني أن القدر من الأسرار في كمال درجاته ومراتبه، فإن الله سبحانه وتعالى لم يكشف قدره على وجه التفصيل لأحد، بل هذا علمه عند الله جل وعلا ولهذا قال بعدها : (لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل) وإذا كان ملائكة الله المقربون لم يطلعوا على القدر على وجه التفصيل، وكذلك الأنبياء المرسلون الذين هم صفوة عباد الله لم يطلعوا على ذلك على وجه التفصيل فإن التعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان يعني وسيلة من وسائل سلب التوفيق؛ لأن الله منع العباد عن ذلك ولم يأمرهم بالبحث في هذا ولا بالتعمق فيه، وإذا كان الصفوة لم يُطلعوا على ذلك ولم يطلعوا عليه . فإذاً الباب مغلق وإذاً لا تحاول كشفاً للقدر، ومعنى كشف القدر ما ذكره في جمله بأن يحذر المسلم من التفكير في تقدير الله جل وعلا للأشياء نظراً في العلل

وفكراً في الحكم ووسوسة في لم فعل ذلك؟ ولم حصل؟ ولم قُدِّر كذا، ولم وُفق هذا، ولم خذل ذاك، ولم حصل كَيْت وكَيْت؟

فإن الله سبحانه طوى علم القدرة عن أنامه، ولذلك نهاهم عن تطلبه قال: ﴿ **لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ فإذاً إذا تبين ذلك فإيماننا بقدر الله جل وعلا إيمان بما جاء في النصوص من تفصيل ما يجب علينا أن نؤمن به ثم إيمان إجمالي وهو ركن الإيمان بأن كل شيء فإنه بتقدير الله جل وعلا؛ لأن من أركان الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره ، يعني أن نؤمن بأن ما حصل من الخير والشر بالنسبة إلينا فإنه بتقدير الله جل وعلا يعني لم تحصل الأشياء ابتداءُ دون تقدير من الله وعلم وكتابة ومشيئة وخلق لله جل وعلا بل الله الذي علمها وكتبها وقدرها وشاءها فلم يحصل شيء ولا يحصل شيء إلا بتقدير الله جل وعلا وإذنه الكوني.

إذا تبين ذلك فإن الإيمان الإجمالي بما ذكرت هذا ركن الإيمان ما يصح إيمان أحد حتى يؤمن بهذا القدر وهو أن كل شيء بقدر وأن الأشياء يقدرها الله جل وعلا فيما سبق ثم الإيمان التفصيلي بما علم تفصيلاً من نصوص الكتاب والسنة بما يدخل في بحث القدر فإذا جاءه الدليل أن من القدر علم الله السابق فإنه يؤمن بذلك وإذا جاءه الدليل بأن الله خالق كل شيء فيؤمن بهذا العموم عموم خلق الله جل وعلا للأشياء بما في ذلك طاعة المطيع ومعصية العاصي، إذا علم عموم مشيئة الله جل وعلا وأن مشيئة العبد لا تستقل بإحداث الأشياء بل لابد من مشيئة الله جل وعلا آمن ذلك على وجه التفصيل، فيكون ذلك من الإيمان الواجب؛ لأنه علم الدليل الذي يجب عليه الإيقان به، بحث القدر بحث طويل وقد يحتاج الأمر لبسطه إلى مجالس عديدة ودروس متنوعة ولعلي أرتبه لك في مسائل فيها مزيد تفصيل

عما سبق ذكره لك في الدروس السابقة مثل : الواسطية والشروح الأخر ليحصل مزيد علم عن ما سبق إن شاء الله تعالى. فنقول:

المسألة الأولى: في تعريف القدر:

والقدر : في اللغة بمعنى ترتيب الشيء ليكون على وجه ما يقال قدرت أو تقول قدرت أن يكون الأمر كذا وكذا، إذاً رتبت أنت أن يكون الأمر على هذا المنوال، فإذاً القدر في معناه اللغوي يدخل فيه الفعل ويدخل فيه الإرادة والمشيئة ويدخل فيه العلم ويدخل فيه أيضاً الحكمة بحسب من قدر.

وأما في الشريعة فالقدر يجمع أربعة أشياء يجمع العلم السابق، والكتابة السابقة، وعموم مشيئة الله جل وعلا وعموم خلقه جل وعلا للأشياء، ولهذا عرف القدر بعض أهل العلم بأن القدر هو علم الله بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، وعموم مشيئته لما يقع وخلقه جل وعلا للأشياء كلها وهذا في الواقع تعريف ليس حداً على صناعة الحدود، ولكنه تعريف يشمل مراتب الإيمان بالقدر الأربعة ليدخل ذلك في تعريف القدر عند أهل السنة والجماعة.

المسألة الثاني: في الفرق ما بين القضاء والقدر:

القدر مر بك تعريفه وأما القضاء فإنه في اللغة بمعنى إنهاء الشيء وقد يكون الإنهاء إنهاء عمل وقد يكون إنهاء خبر ولهذا جاء في القرآن تنوع معنى القضاء إلى عدة معان، الأول مما جاء في القرآن أن القضاء يكون بمعنى الإنهاء، كما قال سبحانه: ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ** ﴾ وقال : ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ** ﴾ فيكون القضاء بمعنى الوحي وذلك إذا عُدِّى بإلى قضينا إلى، قضى إلى يكون إنهاء الخبر بالوحي كما قال جل وعلا: ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ** ﴾ يعني أوحينا إلى بني إسرائيل وأعلمناهم وأخبرناهم وقال أيضاً جل وعلا: ﴿ **وَقَضَيْنَآ**

إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ وقضينا إليه يعني أوحينا إليه وأنهينا إليه ذلك الخبر بالوحي.

والثالث من معاني القضاء في القرآن أن القضاء يكون بمعنى القدر كما قال جل وعلا: ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** ﴾ يعني قدر ذلك وخلقه وفعله. وكما في قوله أيضاً ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ** ﴾ على أنه بمعنى القدر؛ لأن الإنهاء يدخل فيه القدر.

ولهذا المعنى قال جمع من أهل العلم أن القضاء والقدر بمعنى واحد لأجل أنهم لحظوا أن معنى القضاء داخل في معنى القدر وأن القدر والقضاء لا فرق بينهما، وممن ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم منهم ابن الجوزي وكثير من العلماء السابقين.

وأما فيما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة فإن القدر غير القضاء وهذه الغيرية بمعنى أن القدر أعم من القضاء، والقضاء قد يكون بعض مراتب القدر من حيث الإطلاق. ولهذا قال بعض أهل العلم في تبيين ذلك أن القضاء هو القدر إذا وقع وقبل وقوع المقدر لا يُسمى قضاءً؛ لأن كلمة قضاء كما رأيت في اللغة وفي استعمالات القرآن أنها بمعنى الإنهاء، إنهاء الشيء، إنهاء الخلق إلى آخره، والقدر إذا وقع وانتهى صار قضاءً قُضيَ ﴿**قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** ﴾ يعني انتهى، ﴿ **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ** ﴾ يعني احكم بما شئت وأنهي الأمر على أي وجه شئت، فإذاً يكون القضاء هو إنهاء القدر وهذا يتبين بأن مراتب القدر الأربعة التي سيأتي بيانها منها مرتبتان سابقتان وهي مرتبة العلم والكتابة، ومنها مرتبتان وهما عموم المشيئة وعموم خلق الله جل وعلا هاتان المرتبتان مقارنتان لوقوع المقدر. ولهذا إذا نظر لوقوع المقدر من جهة عموم الخلق وعموم المشيئة، فإنه حينئذ يكون قضاءً لله جل وعلا لهذا الشيء، تقول قضى الله جل وعلا الأمر على

كذا وكذا بمعنى خلقه وشاءه ولهذا نظر من نظر في أن القضاء داخل في القدر ولهذا قالوا القضاء هو القدر بمعنى واحد لكن على التحقيق ليس القضاء والقدر بمعنى واحد، وإنما القضاء هو وقوع المقدر فإذا وقع القدر السابق وانتهى سمي قضاءً قد قضى وانتهى وهو المقدر، ولا شك أن الذي يقع مقدر ويكون قضاءً ولهذا نقول القضاء والقدر بينهما فرق فإن القدر أعم والقضاء أخص، والقدر سابق والقضاء لاحق، والقدر فيه عدة صفات لله جل وعلا، العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق وأما القضاء، قضاء الله جل وعلا للشيء في نفسه يدل على خلقه سبحانه وتعالى للشيء ومشئيته له، لهذا على الصحيح أن القضاء والقدر ليسا بمعنى واحد ولا يتواردان يعني ما يستعمل أحدهما بمعنى الآخر بل القدر أعم.

المسألة الثالثة:

في مراتب الإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة.

وقد ذكرنا لكم شيئاً من هذا البحث فنعيد ذلك مختصراً فنقول: إن الإيمان بالقدر يشمل أربع مراتب أما مرتبتان فسابقتان قبل خلق الأشياء يعني قبل خلق السماوات والأرض وهما علم الله جل وعلا السابق، وكتابته جل وعلا للأشياء في اللوح المحفوظ.

وعلم الله السابق بالأشياء علم أزلي، والله سبحانه وتعالى علمه صفة ذاتية له فما شاء الله جل وعلا أو أراد أن يوقعه في ملكوته موقتاً بوقت مقدر بزمان وصفة فإنه سبحانه وتعالى علم ذلك على وجه التفصيل، لكمال علمه وأنه سبحانه بكل شيء عليم.

وأما الكتابة فإن الله كتب مقادير الخلائق مؤخراً يعني قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره (قدّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف

سنة، وكان عرشه على الماء)) وقوله ((قدر الله)) يعني كتب؛ لأن المرتبة السابقة للعلم هي قبل ذلك، علم الله جل وعلا أول، علم الله أزلي يعني لم يزل .

فإذاً نقول: إن مرتبة الكتابة هي كتابة الله جل وعلا للأشياء على وجه الإجمال والتفصيل في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه: ﴿ **وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ** ﴾ ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ** ﴾ ونحو ذلك من الأدلة، والأدلة في هاتين المرتبتين كثيرة في القرآن والسنة ، أما المرتبة الثالثة: فهي مرتبة عموم مشيئة الله جل وعلا فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن فطاعة المطيع وقعت بمشيئة الله ومعصية العاصي وقعت بمشيئة الله، إحياء النفس وقع بمشيئة الله وقتل النفس وإزهاق روحها ظلماً وعدواناً وقع أيضاً بمشيئة الله جل وعلا فالله سبحانه شاء كل ما وقع، فما وقع في ملكوته لا يمكن أن يوقعه العبد إلا إذا شاءه الله جل وعلا بما في ذلك الأمور المحمودة عند الإنسان والأمور المذمومة عند الإنسان، الخير بالنسبة للإنسان والشر بالنسبة للإنسان كل ذلك وقع بمشيئة الله جل وعلا ولا يخرج أحد عن مشيئته، قال سبحانه: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ وقال سبحانه ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ وقال سبحانه: ﴿ **مَن يَشَأِ اللَّـهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ وقال سبحانه أيضاً: ﴿ **إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ** ﴾ فإذاً ما يقع من الإضلال هو بمشيئة الله لكن وقع بمشيئة الله لحكمة لله جل وعلا في وقوعه.

فإذاً الله سبحانه شاء الخير وشاء الشر، وأذن بوقوع الخير وأذن بوقوع الشر كوناً، وأما من جهة الشرع، من جهة الدين فإن الله سبحانه نهى عن

الشر، نهى عن الكفر، نهى عن الكبائر نهى عن المعصية، نهى عن الظلم وأمر بالإيمان، وأمر بالعدل وأمر بالطاعة، وأمر بالعبادة، فإذاً هناك فرق بين الإرادة الكونية وبين الإرادة الدينية فالإرادة الكونية وهي المشيئة لا يشترط لها أن يكون الشيء وقع والله سبحانه وتعالى يحبه ويرضاه، بل قد يأذن الله جل وعلا ويشاء الشيء وهو لا يحبه ويرضاه، يأذن به كوناً ويشاؤه ويقع وهو لا يحبه ويرضاه من عباده وهو لا يحبه ويرضاه أن يقع لكن أذن به وشاءه لحكمة له جل وعلا في ابتلاء العباد لكنه لم يرضه ديناً يعني ما أراده شريعة، ما أراده ديناً وهذا يُحتم كما قال جل وعلا: ﴿ **وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾ مع أنه ﴿ **مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ** ﴾ ولكنه لا يرضى لعباده الكفر فإذاً الأدلة دلت على التفريق ما بين الإرادة الكونية والإرادة القدرية، والإرادة الكونية هي المشيئة لأن الإرادة تنقسم إلى إرادة كونية وإرادة دينية، وأما المشيئة فلا تنقسم، المشيئة هي الكونية يعني هي الإرادة الكونية، إذا تبين ذلك فمرتبة المشيئة هي المرتبة التي فيها الخلاف والضلال ما بين القدرية المتوسطة وبين أهل السنة والجماعة هي في مسألة المشيئة والقدرية الذين ينفون القدر كالمعتزلة والرافضة وأشباه هؤلاء والزيدية كل هؤلاء ينزهون ويقولون إن المشيئة لا تدخل في معصية العاصي ولا في كفر الكافر، فإن كفر الكافر ومعصية العاصي هذه لم يشأ الله تعالى أن تقع وإنما شاءها العبد وهي مكروهة لله جل وعلا استدلالاً بقوله: ﴿ **وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾، والصواب في ذلك أنه ما من شيء يقع إلا بإذن الله، وإلا فيكون الله جل وعلا يقع في ملكه ما لم يأذن به وهذا وصف لله جل وعلا بالنقائص، بل عموم قدرة الله جل وعلا وقوته وملكوته وجبروته وقهره وملكه لهذا الملكوت أنه لا يحصل شيء إلا بعلمه سبحانه وبإذنه ومشيئته لكن له حكمة في أنه يقع هذا الشيء.

فقتل القتيل ظلماً وقع بمشيئة الله الكونية لكنه لم يأذن به شرعاً بل نهي عنه، اقتحام الكعبة والمسجد الحرام وإسالة الدم فيه لم يقع بإذن الله الشرعي ولكنه وقع بإذن الله الكوني فإذاً يجتمع في إذن الله الكوني الطاعات والمعاصي المحمود والمذموم الشر والخير، وأما إذن الله الشرعي إرادة الله الشرعية فهي ما أمر الله جل وعلا به وأما ما نهى عنه فإنه لم يرده شرعاً، وهذا بيان مهم والمسألة معروفة لأكثر طلبة العلم في التفريق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لهذه المسألة؟

أما المرتبة الرابعة: فهي مرتبة عموم خلق الله جل وعلا للأشياء، وأما خلق الله للأشياء فجميع المنتسبين للإسلام بل وغير المسلمين يؤمنون بأن الله خالق الأشياء لكن عموم خلق الله للأشياء بضابط وقيد العموم هذا مما تميز به أهل السنة والجماعة إعمالاً وإيماناً بقول الله جل وعلا: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ فإذاً الأشياء التي خلقها الله جل وعلا داخلة في قدر الله جل وعلا يدخل في ذلك، في عموم الخلق، خلق الله جل وعلا للأشياء، يدخل في ذلك الكفر ويدخل في ذلك معصية العاصي، ويدخل في ذلك عمل الإنسان بجميع أنواعه من الخير والشر وذلك لقوله سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ يعني خلقكم والذي تعملونه فتكون (ما) بمعنى الذي ، يعني اسم موصول بمعنى الذي أو تكون (ما) مصدرية يعني حرف مصدري تقدر مع الفعل بعدها بمصدر فيكون تقدير الآية والله خلقكم وعملكم، فما عمله الإنسان خلقه الله جل وعلا كما خلق ذات الإنسان فخلق عمله، والله خلقكم وعملكم أو والله خلقكم والذي تعملونه وهذا ظاهر، ويأتي في ابيان شُبَهِ الفرق والرد عليها مزيد تفصيل لعموم خلق الله جل وعلا للأشياء.

المسألة الرابعة: في منشأ الضلال في القدر:

منشأ الضلال في القدر يرجع إلى عدة أسباب.

أما السبب الأول: فهو منشأ ضلال الفرق الجبرية والقدرية ومنشأ ضلالهم، ومخالفتهم لهدي الصحابة أو لما دلت عليه النصوص في ذلك هو:

* قياس أفعال الله جل وعلا وتصرفاته سبحانه بأفعال الخلق، فيجعلون ما كان محموداً في الخلق محموداً في فعل الله جل وعلا وما كان مذموماً في الخلق فيكون مذموماً في فعل الله جل وعلا فعندهم أن العدل محمود والظلم مذموم فيجعلون العدل بتفسيره في الخلق والظلم بتفسيره في الخلق في حق الله جل وعلا، فما اقتضى العدل في المخلوق جعلوه لله وما اقتضى الظلم في المخلوق جعلوه منفياً عن الله جل وعلا، ولذلك نفوا عموم المشيئة ونفوا عموم الخلق لأنهم جعلوا أن إذن الله جل وعلا بالكفر يقتضي الظلم؛ لأنه معناه الإلزام وجعلوا خلق الله جل وعلا لمعصية العاصي ولكفر الكافر جعلوا ذلك ظلماً؛ لأنه في حق الإنسان إذا جعل غيره يفعل ذلك الشيء فإنه قهره عليه وأجبره عليه أو أنه أذن له به وهذا ظلم في حق الناس فيما بينهم فيقولون إذاً ما كان عدلاً في الإنسان فهو عدل في الله وما كان ظلماً في الإنسان فهو ظلم في الله؛ لأن تعريف العدل والظلم بما جاء في النصوص هو التعريف اللغوي وهو الذي يشمل الإنسان ويشمل الله جل وعلا. وهذا في الحقيقة هو أعظم أسباب الضلال في هذه المسألة.

السبب الثاني:

عدم التفريق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية فيجعلون الإرادة والمشيئة شيئاً واحداً فما نُفى مما لم يرده الله جل وعلا شرعاً جعلوه منفياً كوناً، فالله جل وعلا لم يرد الكفر فجعلوه جل وعلا لم يشأ الكفر؛ لأن الإرادة عندهم قسم واحد، لم يرد المعصية فجعلوه لم يشأ المعصية، لم يرد الكبيرة جعلوه لم يشأ الكبيرة.

والإرادة كما ذكرنا منها إرادة شرعية ومنها إرادة كونية، الإرادة الكونية هي المشيئة وأما الإرادة الشرعية فهي التي تدخل فيها صفة المحبة والرضى لله جل وعلا.

المنشأ الثالث:

للضلال في باب القدر دخول العقل في التحسين والتقبيح فيجعلون الأفعال التي تقع في الملكوت في ملكوت الله وتقدير الله جل وعلا للأشياء يدخل فيه العقل محسناً ومقبحاً، وذلك لأن العقل عندهم أصل فقالوا العقل يُعمل في أفعال الله فما حسنه العقل في أفعال الله صار حسناً وما قبحه العقل في أفعال الله جل وعلا وجب نفيه عن الله جل وعلا، وهذه هي المسألة المشهورة بالتحسين والتقبيح العقليين التي لها صلة بالأصول وبالفقه والتكليف ولها صلة أيضاً بمبحث القضاء والقدر.

منشأ الضلال أيضاً وهو الرابع ، أو من أسباب نشأة الضلال في ذلك :

الدخول في أفعال الله جل وعلا وعدم التسليم لمراد الله جل وعلا يعني الخوض في أفعال الله سبحانه وتعالى. والخوض في أفعال الله جل وعلا كما ذكر الطحاوي في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان، وذريعة الخذلان يعني وسيلة لأن يُخذل العبد؛ لأنه معناه أنك تريد أن تصل إلى معرفة سر القدر، وهذا لا يمكن، سلم الحرمان، لا يمكن أيضاً أن تدخل في أفعال الله ستحرم؛ لأن هذا سلمه الحرمان ستصل إلى أن تكون محروماً وكذلك أنه درجة من درجات الطغيان؛ لأن الإنسان رفع نفسه فوق ماله، طغى وجاوز حده وحده أن يتعبد الله جل وعلا بالإيمان والتسليم: ﴿ **لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾.

فإذاً السؤال بلم هذا من منشأ الضلال فيمن ضل في الجبرية وفي القدرية وفي المتحيرين المتشككين الذين أنكروا الشريعة وضلوا وألحدوا بسبب الدخول في القدر.

معلوم أن القدر فيه العلم، والعلم يتفاوت فيه الناس والله جل وعلا يعلم ما يوافق حكمته جل وعلا، الحكمة أين هي؟ ما يريده الله جل وعلا من الابتلاء في خلقه، الله جل وعلا يعلم ذلك فأوقع في خلقه ما يوافق الحكمة له يعني ما يوافق مراداته في خلقه وحصول الابتلاء في ذلك، والإنسان قد ينظر فيكون علمه قاصراً فلا يصل إلى حقيقة الإدراك ولهذا قال بعض السلف وتنسب إلى أبي بكر -رضي الله عنه- قال : "العجز عن الإدراك إدراك". لم؟

الشريط الحادي والعشرون . وجه (ب) :

لأن إدراك الذكي غير إدراك البليد، فإذا اعترض البليد على الذكي بأن هذا الشيء ليس كذلك؛ لأن هذا ما يعقل وهذا ما يحصل فيكون هذا اعتراض لا عن علم وإنما عن جهل فيرد على صاحبه فيكون هو المحروم.

مثل جهل بعض الناس مثلاً ببعض الأجهزة الكفار من النصارى أول ما اخترع المسلمون الساعة أنكروها وخافوا منها، ورجع الأمر إلى أن في بعض مخترعات الكفار في العصر الحديث رفضه بعض المسلمين وخافوا منه ؛ وذلك لأن فيه عجزاً عن إدراك حقيقتها فرفضوا لأنهم عجزوا عن الإدراك هذا إذا كان في المخلوق، فالله جل وعلا له العلم الكامل وله العلم بكل شيء سبحانه وتعالى، يعلم الأشياء على تفاصيلها والإنسان علمه قاصر، فإذاً إذا خاض في القدر بعلمه القاصر فلا شك أنه سيعترض؛ لأنه لا يعلم وإذا اعترض على الله جل وعلا فإنه سيخذل ويحرم ويتيه ويضل كما حدث أن كثيراً ضلوا بسبب خوضهم في أفعال القدر، وهذه ذكرنا لكم كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية فيها في تائيته القدرية قال:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة
فإنهم لم يفهموا حكمة له فصاروا على نوع من الجاهلية

هذه بعض أسباب ومنشأ الضلال في باب القدر.

المسألة الخامسة:

أن الناس في القدر الذين خالفوا أهل السنة والجماعة لهم فرق كثيرة وهذه الفرق ترجع إلى فرقتين. أما الأولى فهم القدرية وأما الثانية فهم الجبرية.

ويعني بالقدرية: الذين أنكروا القدر، إما أنكروا كل المراتب أو أنكروا بعض مراتب القدر التي ذكرنا لك.

والجبرية هم: الذين يزعمون أن الإنسان لا اختيار له وأنه مجبور القدرية فرق يجمعهم أو يلخص اختلافهم في أن: الفرقة الأولى منهم وهم الغلاة الذين كانوا ينكرون علم الله جل وعلا السابق فيقولون إن الله جل وعلا لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه والأمر آنف كما كان يقوله معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، وجماعة من الأولين وهؤلاء هم الذين أنكروا علم الله السابق فقالوا: إن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع والأمر أُنف يعني مستأنف جديد غير معلوم وغير مقدر له قبل ذلك، وهؤلاء هم الذين كفّرهم السلف وكفّرهم الصحابة كابن عمر وابن عباس وغير أولئك وذلك لأنهم أنكروا مرتبة العلم والله جل وعلا ذكر علمه ومعنى ذلك أنهم ردوا حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين، هؤلاء هم الذين قال فيهم السلف ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا وهذه الفرقة ذهبت ولا يُعرف أنها عقبت وارثاً في الأعصر المتأخرة.

أما الفرقة الثانية من القدرية وهم المتوسطة المعتزلة والشيعة الرافضة والزيدية ومن نحا نحو أولئك، وهؤلاء لا ينكرون جميع المراتب ولكن ينكرون

بعض الأشياء في بعض المراتب، فيقولون إن المشيئة ثابتة لكن ليست عامة ويقولون إن الخلق ثابت ولكن ليس عاماً، وسُموا بالقدرية لأنهم ينفون بعض مراتب القدر وهذه الفرقة باقية إلى الآن، المعتزلة موجودة الآن ، أقول الفرق هذه الزيدية والرافضة موجودة في أمصار كثيرة من بلاد المسلمين وهؤلاء هم الذين يأتي إن شاء الله ذكر بعض شبههم والرد عليها بإذنه تعالى.

أما الجبرية فهم أيضاً فرق منهم الغلاة وهم الذين يقولون إن الإنسان مجبور على كل شيء وحركاته كحركة الريشة في مهب الهواء، وكحركة الخشبة في البحر فإن الأمواج تتقاذفها وليس لها اختيار وكذلك الريشة يقلبها الهواء وليس لها اختيار، فالعبد يقولون ليس له اختيار وإنما هو مفعول به في كل أحواله سواء من ذلك الطاعات والمعاصي فصلى مجبوراً وصام مجبوراً وسرق مجبوراً وغش مجبوراً، ويقولون إن أفعال الله جل وعلا غير معللة فقد يُدخل الله جل وعلا إبليس الجنة وقد يدخل آدم النار يعني من لازم مذهبهم فإنه لا تعليل في أفعال الله، قد يعذب المطيع الصالح وقد يعطي وينعم الكافر الطاغوت ، لماذا ؟ لأنه يقول هؤلاء فعلوا بغير اختيارهم فالله سبحانه وتعالى هو الذي أجبر هذا وأجبر هذا فله أن يقلب الأمور؛ لأن هذا ما فعل أصلاً باختياره نعوذ بالله من أقوال الضالين . وهؤلاء يعني الجبرية يمثلهم طوائف من الصلحاء في الزمن الأول ممن رأوا الفناء في شهود الأمر الكوني وممن قال أيضاً بهذا القول جهم ومن اتبعه وأيضاً قال به طوائف من غلاة الصوفية يرون أنهم ليس لهم فعل البتة فأفعالهم الظاهرة كحركة أمعائهم لا اختيار لهم فيها، الفرقة الثانية من الجبرية هم الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم ممن غلوا في إثبات المشيئة مشيئة الله جل وعلا وخلقه وقالوا: إن الإنسان ليس مجبوراً على كل حال ولكن هو مجبور باطناً لا ظاهراً يعني في الباطن مجبور لا يتحرك بإرادته ولكن في الظاهر تصرفاته بإرادته فيحاسب على

تصرفاته الظاهرة وأما الذي دفعه في الحقيقة فهو أمر باطني مجبر عليه من الله جل وعلا وهذا في الحقيقة قول بالجبر ومشهور أن الأشاعرة جبرية ولهذا لما اعترض على الأشعري بالحساب والعقاب والثواب قال: إن الأفعال يحاسب عليها العبد وينعم ويعذب؛ لأنه كسبها وكسبه لها من فعله فإذاً يعاقب ويثاب على ما كسب والله جل وعلا يقول: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ فأخذ من لفظ كسب في القرآن أن الفعل الظاهر كسبه العبد يعني عمله فهو يحاسب على ما ظهر وهذا الكسب عنده في الواقع ابتدأه أبوالحسن الأشعري دون سابق في هذه الأمة ، فلهذا نظر أصحابه في تعريف الكسب ما معنى الكسب هذا الذي أحدثه الأشعري لقاء قوله بالجبر بالباطن، يقول إن الإنسان يُفْعل به وهو يفعل والأمر يحصل عند حركة الإنسان مثل قطع السكين للخبزة أو تكسير العصا للحجر فإذا ضرب الحجر بالعصا الإنسان يقول إن الحجر تنكسر لا بالضرب ولكن عند الضرب يعني كسر الله الحجر لا بضرب الإنسان ولكن عند ضربه يعني أن الحجر ليس له خاصية الانكسار بضرب العصا والعصا ليست لها خاصية الكسر كسر الحجر والإنسان ليس فيه خاصية أنه يحمل العصا على الحقيقة ويكسر على الحقيقة، لهذا سماهم السلف نفاة التعليل ونفاة الأسباب يعني ليس ثم شيء ينتج شيئاً ليس ثم سبب ينتج مسبباً عندهم كل شيء يحصل بخلق له منعزل عن غيره لا بأسباب غيره فالماء إذا نزل على الأرض نبت العشب لا بالماء ولكن عند الالتقاء وما جاء في القرآن من ذكر حرف الباء ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ** ﴾ لفظ به هذا يفسرونه بعنده هذا كثير في التفاسير فتنتبه له.

إذاً خلصوا إلى أن الإنسان يكسب العمل وتفسير الكسب كيف يجمع ما بين الجبر الظاهر والجبر الباطن بالكسب اختلف فيه الأشاعرة على أقوال

كثيرة وخلاصتها أنه لا محصل لها وأنه مجبور لا مختار. ولهذا قال قائل في البيت المعروف في بعض كتب العقائد المطولة قال:

مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنوا لذي الأفهام

الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظام

هذه ثلاثة أشياء لا حقيقة لها اخترعها أصحابها دون حقيقة

إذا تبين لك ذلك فلفظ الكسب له عدة استعمالات فيستعمل الكسب أو الكسب عند الناس له ثلاث استعمالات أو الناس في الكسب لهم ثلاثة أقوال -يعني بما ترى- أما الأول فإن الكسب عند الأشاعرة قد أوضحناه لك، والثاني كسب بمعنى العمل، ما يعمله الإنسان باختياره ورغبته يكون كسباً له؛ لأنه حصل مثل ما تقول مثلاً كسبت مبلغاً من المال؛ لأن عمل شيئاً فحصل هذا المال، كذلك الأعمال الصالحة كسب له؛ لأنه بذل فيها وعمل فكسب، كذلك الأعمال السيئة عليه لأنه كسبها بجهده وهذا هو المعنى الذي جاء في الكتاب والسنة فمن استعمل الكسب في هذا المعنى فهو صحيح؛ لأنه قد جاء في الكتاب والسنة مثل ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ ولفظ الكسب في القرآن كثير: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ** ﴾ ونحو ذلك.

فإذاً هذا المعنى واضح صحيح، ترجعون في تقسيم الكسب إلى الأقوال الثلاثة والحجج فيه؛ لأنه مهم إلى كتاب ابن القيم شفاء العليل. نكتفي بهذا القدر ونلتقي بكم على خير حال ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

الشريط الثاني والعشرون . وجه (أ) ١٤١٩/١/٦ هـ :

الحمد لله حق حمده وأثنى عليه الخير كله فله الحمد سبحانه على نعمه الكثيرة وله الشكر على ما تفضل به وأولى ومن تبارك ربنا وتعالى

وتقدس، وتعالى تعظيماً له جل وعلا وتكبيراً. وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد:

ذكرنا بعض المسائل التي تتعلق بمذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر.

المسألة السادسة: في تفسير الكسب:

لفظ الكسب جاء في القرآن في ذكر ما للمكلف وما عليه فقال سبحانه: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿ **ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾. ونحو ذلك من الآيات.

ولما جاء لفظ الكسب في القرآن وفي السنة أيضاً جاء مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات كسب المرء وتفسير الكسب بما دلت عليه النصوص وهو أن كسب المرء هو عمله، فالكسب هو العمل والفعل، فقوله سبحانه ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ** ﴾ يعني لها ما عملت، فالعمل هو الكسب ودل على ذلك أنه جل وعلا قال: ﴿ **وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ** ﴾ وفي الآية الأخرى "ما كسبت"، فدل على أن الكسب هو العمل.

والناس أعني المذاهب الثلاثة المشهور في باب القدر، وهي مذهب الجبرية، والقدرية، وطريقة أهل السنة والحديث كل فسر الكسب على حسب معتقده ولهذا فسر القدرية وهما نفاة القدر الذين يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه وأن الله جل وعلا لا يخلق فعل العبد من المعتزلة ومن شابههم قالوا: إن معنى الكسب في هذه الآيات هو إيجاد العبد للفعل وشبهوه بكسب التجارة، فإن كسب التجارة فعل كما قال جل وعلا ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِن**

طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ فذكر الكسب في معرض التجارة فقالوا كذلك هو في فعله يكسب العمل الصالح كما يجتهد في كسب التجارة.

فإذاً جعلوا الكسب هو إيجاد العبد الفعل على مذهبهم في خلق أفعال العباد، وذلك أن لفظ الكسب فيه شيء من الاحتمال ولهذا فسرته كل طائفة على مذهبها.

والجبرية كما ذكرنا لكم طرفاً من مذهبهم في قول الأشاعرة والجهمية، الجبرية فسروا الكسب بأشياء كثيرة وبعبارات متنوعة لا حاصل معها على التحقيق، وذكرت لكم قول الشاعر أو أحد العلماء.

مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو لذي الأفهام

الكسب عن الأشعري والحال عند البهشمي وطفره النظامِ

فالكسب هذا فهمه ما اخترع الأشعري مذهبه الذي هو جبر متوسط جبر باطن لا جبراً ظاهراً، لما أخذ مذهبه وجد لفظ الكسب في الكتاب والسنة مخرجاً له فقال الأعمال كسب. كيف يتوافق هذا مع قوله في القدر قال: الكسب عبارة عن تعلق القدرة بالحال أو غير ذلك من التفاسير واختلف أصحابه في تفسير الكسب على هذا الاصطلاح الذي هو كسب الجبر، كيف يكون للإنسان كسب وهو مجبور اختلفوا في تفسير الكسب على أوجه كثيرة أكثر من عشرة أوجه وكلها راجعة إلى نوع من التعلق ما بين القدرة والإرادة والعمل والتكليف، وهذا فيه صعوبة في الربط بينها ولذلك أهل العلم حتى الأشاعرة قال محققوهم أنه لا حصيلة تحت هذه العبارة التي هي عبارة الكسب على خلاف معنى العمل.

أما القول الثالث: في الكسب فهو قول أهل العلم والسنة والحديث من الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم فإنهم قالوا عن الكسب هو العمل، هو

الفعل، والله جل علا قال: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾، وفرق ما بين الكسب والاكتساب مع أن كثيراً من أهل العلم يجعلون الكسب والاكتساب بمعنى واحد لكن في الآية قال: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ** ﴾ يعني في الخير ﴿ **وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ فجعل الاكتساب فيه زيادة في المعنى؛ لأن فيه نوع كلفة فالخير موافق للفطرة فيكسبه الإنسان لموافقته لفطرته مع أنه تكليف وأما الشر والردى والضلال فإنه مخالف لفطرته، لذلك إتيان المحرمات وإتيان الموبقات ونحو ذلك على ما في الإنسان ربما من الشهوة ونحو ذلك، لكن يحتاج معه إلى أن يعمل نفسه أن يتعب نفسه ويخالف فطرته في أن يأتي تلك الموبقات، لذلك زاد المعنى ليدل على أنها فيها نوع كَلَفَه ومشقة فيما يعمله المرء من الشر قال: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ يعني من الشر، فجعل أهل السنة الكسب بمعنى العمل.

المسألة السابعة: معنى خلق الله جل وعلا لعبد الله، وتحقيق مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك.

قلنا: إن الإنسان عمله من خير أو شر يضاف إليه حقيقة فهو الذي عمل الخير حقيقة، وهو الذي عمل الشر حقيقة، ومع ذلك لا يقال أنه خلق فعله، بل هو عمله ويضاف إليه؛ لأنه كسبه وعمله وأما خلق الفعل فالله جل وعلا هو الذي خلق سبحانه وتعالى، وبيان ذلك في الفرق ما بين مذهب أهل السنة والجماعة وما بين مذهب القدرية والمعتزلة، وأشباه هؤلاء، إن العبد كسب العمل وعمل العمل حقيقة؛ لأن ذلك العمل نتج عن شيئين فيه من الصفات لا يمكن له أن يحدث العمل إلا بوجود هاتين الصفتين، الصفة الأولى هي صفة القدرة التامة، والصفة الثانية هي الإرادة الجازمة، فإذا كان عند العبد قدرة تامة وإرادة جازمة حصل له الفعل توجهت قدرته التامة يعني ليس بعاجز وإرادته الجازمة يعني ليس بمتردد، توجهت للشيء فعمله فيكون

الفعل حدث بقدرة العبد وإرادته، بقدرته التامة وبإرادته الجازمة فالذي تكون قدرته ناقصة لا يحدث الفعل والذي تكون إرادته مترددة لا يحدث الفعل، مثلاً الإتيان إلى المسجد للصلاة شخص ما يستطيع أن يأتي إما لمرض أو لغير ذلك فهذا شخص ربما عنده إرادة ولكن ليس عنده قدرة ولذلك لا يحصل من الفعل العمل، الكسب وهو إتيان المسجد آخر عنده قدرة تامة ولكن ليس عنده إرادة البتة ليس عنده إرادة البتة ليس عنده إرادة لإتيان المسجد فلا يمكن بالقدرة أن يحدث الإتيان وقد يكون عنده إرادة ولكنه عنده تردد ما جزم على الإتيان فلا تتحرك جوارحه وآلاته لأن إرادته ليست جازمة.

فإذاً العمل، فعل العبد عند أهل السنة والجماعة لا يمكن أن يحدث إلا بقدرة تامة وإرادة جازمة، وقدرة العبد صفة من صفاته لم يقدر هو نفسه باتفاق الناس وإرادة العبد صفة من صفاته لم يحدث إرادة نفسه ويختار الإرادة يعني أن يكون مريداً بنفسه وإنما الله جل وعلا هو الذي خلق فيه القدرة وآلات القدرة، وخلق فيه الإرادة وله الإرادة ومقتضيات الإرادة .

فإذاً ما نتج عن خلق الله جل وعلا في الأمرين فهو مخلوق لله جل وعلا، ففعل العبد نتج عن الإرادة والقدرة وهما مخلوقان فنتج شيء عن خلق الله جل وعلا فإن هو مخلوق لله جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا جعل العمل نتيجة للقدرة والإرادة.

مثل: النبات أنزل الله جل وعلا من السماء ماءً فأنبت به أزواجاً من نبات شتى، الماء نزل، الأرض موجودة، بالماء بسبب الماء، وبسبب الأرض خرج النبات فهل يقال إن النبات خلقه الماء والأرض، ليس كذلك باتفاق المسلمين، باتفاق الناس لم؟ لأنه نتج لنزول الماء الذي هو مخلوق باتفاق القدرية وأهل السنة ونتيجة لنزول الماء على الأرض التراب والتراب والأرض مخلوق باتفاق أهل السنة والجماعة والقدرية والناس جميعاً، فإذا كان كذلك

كان ما ينتج عنهما وهو النبات مخلوق؛ لأنه نتج عن شيئين اجتمعا الماء والتراب وما نتج عن مخلوقين فهو إذاً له نفس الحكم.

إذا تبين ذلك فإذاً نقول أهل السنة والجماعة في تقريرهم لخلق أفعال العباد استدلوا بالآية كم ذكرنا لكم من قبل: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾.

وأيضاً استدلوا بهذه القاعدة وهو أن عمل العبد لا ينتج إلا عن هاتين الصفتين. لهذا الله جل وعلا إذا لم يعط العبد القدرة فإنه يرفع عنه التكليف: ((صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً)).

﴿ **لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ** ﴾ وإذا لم يعطه الإرادة كان مجنوناً لا يريد أو كان صغيراً إرادته لا تتوجه إلى شيء يجزم عن عقل فإنه أيضاً يكون التكليف مرفوعاً عنه؛ لأن الفعل لا يتوجه إليه. الحقيقة إذاً أن العبد ابتلي بهذه الصفات التي فيه ابتلي بالصفات الجسمانية هذه كلها، ومنها صفة القدرة وصفة الإرادة إذاً فتحصل لك أن معنى خلق أفعال العباد والدليل عليها هو ما ذكرنا من الأدلة من القرآن، ومن السنة قوله ﷺ: ((إن الله صانع كل صانعٍ وصنعته)) يعني صنع الناس وصنع أيضاً ما يصنعون، ولهذا نقول إن الدليل على خلق أفعال العباد واضح من الكتاب والسنة وأيضاً مما قررنا لك من صفات الإنسان وما ينتج عن ذلك من الدليل العقلي. وثم بسط كثير في الاستدلال على هذه المسألة محله المطولات.

هذه ألفاظ ترد معك في مباحث القدر فلابد أن تعرفها بوضوح ثم بعد ذلك إذا قرأ ما شئت من الكتب في باب القدر ستكون واضحة إن شاء الله تعالى لك.

المسألة الثامنة: معنى الاستطاعة التي وصف الله جل وعلا بها المكلف ونفاها عن بعض فقل في النفي: ﴿ وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ والعبد مستطيع ﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ فالعبد أثبتت له استطاعة ونفيت عنه استطاعة، والاستطاعة التي أثبتها ربنا جل وعلا للعبد غير الاستطاعة التي نفاها، وهذه المسألة مسألة الاستطاعة فيها بحث طويل مع القدرية والجبرية معاً، وسيأتي تفصيل الكلام عليها إن شاء الله تعالى في آخر شرح الطحاوية؛ لأنه تعرض لها الطحاوي في آخر هذه العقيدة المختصرة.

المسألة التاسعة: في معنى إضلال الله جل وعلا من أضل وهدايته من هدى. إذا كنا نقول إن الإنسان غير مجبور على الضلال وغير مجبور على الهدى فما معنى قوله: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ وهذا من احتجاجات الجبرية ، ما معنى ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾ ما معنى ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي فيها نسبة الإضلال والاهتداء إحداثاً لله جل وعلا وفق مشيئته سبحانه وتعالى وإرادته. هذه المسألة ضل فيها الناس ومن أجلها ضلت الجبرية والقدرية وهي مرتبطة في بيانها بمسألة التوفيق والخذلان، فالله جل وعلا علق الإضلال بمشيئته وعلق الهداية بمشيئته ونعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فما شاء الله جل وعلا خلقه، الذي يشاءه سبحانه وتعالى أن يكون فإنه يكون والذي يشاؤه سبحانه وتعالى إلا يكون فإنه لا يكون.

إذا كان كذلك فإن حدوث الهداية وحدوث الضلال نتيجة لأشياء ولذلك جاء لفظ التوفيق والخذلان في النصوص.

جاء لفظ التوفيق في القرآن في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّـهِ**﴾ ونحو ذلك الله جل وعلا يوفق من يشاء، ويخذل سبحانه وتعالى من يشاء، ما معنى وفق وخذل؟ وما صلتها بيهدي الله من يشاء ويضل من يشاء؟

إذا تبين لك معنى التوفيق والخذلان فإنه سيتبين لك بوضوح معنى أن الله جل وعلا يضل من يشاء ويهدي من يشاء سبحانه وتعالى.

التوفيق عند أهل السنة والجماعة هو إمداد الله جل وعلا العبد بعونه وتسديده وتيسير الأمر وبذل الأسباب المعينة عليه. فإذاً التوفيق فضل لأنه إعانة، وأما الخذلان فهو سلب التوفيق، فهو سلب الإعانة يعني التوفيق إعطاء، مَنّ، كرم، وأما الخذلان فهو عدل وسلب لأن العبد أعطاه الله جل وعلا القُدَر، أعطاه الصفات، أعطاه ما به يحصل به الهدى، أعطاه الآلات يسر له أنزل عليه الكتب فذلك هو بالآلات التي معه قامت عليه الحجة لكن الله جل وعلا ينعم على من يشاء من عباده بالتوفيق فيعينهم ويسددهم ويفتح لهم أسباب تحصيل الخير ويمنع من شاء ذلك فلا يسدده ولا يعينه ولا يفتح له أسباب الخير بل يتركه ونفسه، وهذا معنى أنه جل وعلا يخذله يعني أنه لا يعينه يعني يترك العبد وشأنه ونفسه ومعلوم أن العبد عنده آلات يحصل بها الأشياء لكن هناك أشياء ليست بيده هناك أشياء لا يمكن له إن يحصلها فهذه بين من؟

بيد الله جل وعلا؛ لأن الإنسان مرتبط قدره بأشياء كثيرة من الأسباب التي تفتح له باب الخير مل مثلاً أن يكون ذا أصحاب أو أن ييسر له أصحاب يعينونه على الخير مثل ألا يكون في طبعه الخلقي مزيد شهوة إما شهوة كبر من كبائر القلوب أو من كبائر البدن هذه أشياء موجودة فيه خلقاً خارجة عن اختياره وتصرفه فالله جل وعلا يوفق بعض العباد بمعنى يعينهم فييسر لهم يعينهم على الأمر الذي يريدونه إذا فتح باب خير وأرده فيحس

العبد أنه أعين على ذلك، إذا أراد فعل أمر ما من الخير يسر الله جل وعلا له أسباباً تعينه فانفتح له طريق الخير وآخر لا، حضرته الشياطين وغلبته على مراده وأطاعها لأنه لم يزود بوقاية، بإعانة بتوفيق يمنعه من ذلك.

فإذاً صار عندنا أن مسألة إضلال الله جل وعلا من يشاء هو بخذلان الله جل وعلا العباد. وهداية الله جل وعلا من يشاء بتوفيق الله جل وعلا بعض العباد، يعني أعان هذا وترك ذاك ونفسه كون جل وعلا أعان هذا هو بمشيئته فإذاً من يشأ الله يضلله يعني يسلب عنه التوفيق فيخذله فينتج من ذلك أن الله جل وعلا سلب عنه إعانته سلب تسديده سلب عنه الأسباب، أسباب الخير، سلب عنه غلق أبواب الشر من الكفر وما دونه.

فإذاً يكون ضالاً ضلاله هو بفعل نفسه؛ لأنه وكل إلى نفسه لأن الله جل وعلا لم يمن على هذا بمزيد توفيق.

فإذاً مسألة الإضلال في كلام أهل السنة والجماعة عدل ومسألة الهداية فضل ولهذا أعظم الفضل والنعمة والإحسان نعمة التوفيق والذي هو في الحقيقة نعمة الهداية، فإذاً نقول إن ربنا جل وعلا منّ على عباده المؤمنين فوفقهم أعانهم وسددهم هيأ لهم الأسباب التي توصلهم إلى الخير حبب لهم العلم، حبب لهم الجهاد، حبب لهم الحكمة، حبب لهم الأمر والنهي، حبب لهم أهل الخير حبب لهم كتابه... إلى آخره، وهذا التوفيق درجات ففي البداية يكون فتح باب وبعض الناس إذا انفتح له باب التوفيق نفسه فيها خُبْث فتنازعه للشر فيكون بين هذا وهذا وآخر نفسه فيها خير فمن الخير الذي معه أنه ينتقل من توفيق إلى توفيق أعظم منه حتى يصل بسبب عمله أن الله جل وعلا ينعم عليه بتوفيق زائد ثم بتوفيق زائد مثل ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره: ((وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت

سمعه (يعني وفق في سمعه) كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها))، هذا كله توفيق مزيد أعانه في هذه الجوارح، الجوارح هذه هي التي عليها الحساب والتي يحاسب العبد على ما صنعت جوارحه، إذاً فحقيقة إضلال الله جل وعلا من شاء ليست جبراً وهداية الله سبحانه وتعالى لمن شاء ليست جبراً وإنما العبد عنده آلات خوطب بالتكليف وعنده الآلة ، ولو كانت جبراً لصارت التكاليف، بعثة الرسل، أنزل الكتب، الأمر والنهي، الجهاد، لكان كل ذلك عبثاً والله جل وعلا منزه عن العبث؛ لأن العبث سلب الحكمة وشر والله جل وعلا الشر ليس إليه لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته جل وعلا.

﴿ **لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ فالله جل وعلا منزه عن العبث، يضل جبراً ويسلب العبد الاختيار بالمرة ثم يحاسبه وينزل عليه الكتب ويرسل الرسل ويأمره بالتكاليف، كيف يكون ذلك، يكون كالغريق الذي يقال له إياك أن تبتل بالماء، وهذا والعياذ بالله هو حقيقة قول الجبرية الذين قال قائلهم:

ألقاه في الميم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وهذا ينزه عنه الحكيم الخبير جل جلاله فمن عرف صفات الله جل وعلا وعلم حكمته فإن لقول بالجبر في حقيقة الأمر إبطال للتكاليف أو رجوع إلى أفعال الله جل وعلا بأنها لعب ولا حكمة فيها ولا توافق غايات محمودة ، والله جل وعلا منزه عن ذلك.

المسألة العاشرة: في إثبات الأسباب:

وأن أفعال الله جل وعلا معللة وأن الله سبحانه وتعالى يفعل الفعل لعلة ويأمر بالأمر لعلة، وهذه العلة هي حكمته جل وعلا لإيجاد ذلك الشيء، وهذا في الأمور الكونية وفي الأمور الشرعية، فما أحدثه الله جل وعلا في ملكوته،

أمراً فحدث فله حكمة جل وعلا من إيجاده وما أمر به جل وعلا في الشرع من الأحكام التشريعية أو نهي عنه فهو لعلة فهو سبحانه يأمر في الشرع بما مصلحته راجحة أو تامة وينهى في الشرع عما مفسدته تامة أو راجحة.

فإذاً أهل السنة والجماعة يثبتون التعليل في أفعال الله جل وعلا وأن أفعال الله جل وعلا الكونية وأوامره الكونية والشرعية كلها مرتبطة بحكم عظيم كما قال سبحانه: ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ** ﴾ .

إذا تبين ذلك ففي القرآن إثبات أفعال الله جل وعلا معللة وتنزيه الله جل وعلا عن أن يفعل الفعل لا لعلة كما قال سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** ﴾ وقال أيضاً جل وعلا في السماوات والأرض: ﴿ **مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾، وقال جل وعلا ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ وفي الأشياء الشرعية، الأوامر والنواهي الأدلة على التعليل كثيرة جداً جداً.

المقصود من هذا أن الله سبحانه وتعالى إذا كانت أفعاله معللة، فأفعاله جل وعلا لم يفعلها في مخلوقاته مباشرة دون وسائط بل جعل الله جل وعلا إيصال الفعل إلى نهايته منوطاً بأسباب وكل سبب يحدث مسبباً، ولهذا قال أهل السنة بإثبات التعليل في أفعال الله جل وعلا والأسباب وأما أهل البدع من الجبرية وغيرهم فإنهم ينفون العلل وبالتالي ينفون الأسباب ولذلك يقال للجبرية الأشاعرة ونحوهم يقال لهم: نفاة الأسباب وهم في الحقيقة نفاة التعليل يقولون أفعال الله جل وعلا غير معللة .

فإذاً السبب لا ينتج المسبب ولكن يحدث المسبب عن السبب عند الالتقاء وهذا أيضاً قول يعني في نفي الأسباب والتعليل قول ابن حزم وجماعة من الذين ظاهرهم متابعة الحديث.

إذا تبين ذلك فإذاً حقيقة السبب في أن الله جل وعلا يخلق شيئاً ويأمر بشيء أمراً كونياً ويكون ذلك سبباً لأشياء كبيرة فمثلاً إنزال المطر من السماء الله جل وعلا أمر بإنزاله وفي إنزاله لله جل وعلا حكمة وأمره سبحانه وتعالى بأن ينزل على الأرض مرتبط بعلة؛ لأن الأرض حياتها بالماء، وأيضاً إنزال المطر على هذه الأرض المعينة مرتبط بعلة، الله جل وعلا يعلمها كما قال جل وعلا في بعض حكمته: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً** ﴾ إذا تبين ذلك، فالماء ينتج عن شيء آخر، نزول الماء، الماء سبب والله سبحانه وتعالى بين أنه أنبت النبات بالماء ﴿ **مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ** ﴾ أنبتنا به ﴿ **فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ** ﴾ إذاً صارت كلمة به هذه تدل على أن الإخراج بالماء وأن الماء بسببه صار الإخراج يعني الماء أنتج الإخراج، أما غير أهل السنة فماذا يقولون؟ يقولون عند التقاء الماء بالأرض حصل النبات فيفسرون حرف (ب) بكلمة عند فإذا عندهم عندية ولذلك ينفون السبب يقولون لا الماء لم ينبت إلا على المجاز العقلي كما تقول أنبت الماء البقل، والمنبت هو الله جل وعلا لذلك يذكرون هذه القاعدة في كتب العقائد وفي كتب البلاغة ويسمونها المجاز العقلي أنبت الربيع البقل ونحو ذلك.

فإذاً نقول إن الله جل وعلا من حكمته أنه خلق الأشياء وجعلها أسباباً لأشياء، خلق ماء الرجل وجعله سبباً لحمل المرأة خلق اللباس وجعله سبباً للدفء، خلق السرابيل وخلق الأشياء لعلة وهكذا فما من شيء تراه إلا وله حكمة حتى المؤذيات، حتى الهوام، حتى الحشرات، حتى ما تتأذى منه وتظن

أنه لا حكمة فيه، فإن فيه حكمة بالغة لله جل جلاله وتقدست أسماؤه. هذه كلها أسباب والأسباب تحدث المسببات .

إذاً حقيقة قول نفاة الأسباب أنهم يقولون إن السبب يحدث المسبب عند الالتقاء لكن لا ينتجه بالاقتضاء، لا ينتجه بما جعل الله جل وعلا فيه من التأثير ويمثلون لذلك بالسكين التي يحملها الحامل لقطع الخبز، يقولن هذه السكين لما أمرها الحامل على الخبز قطعت الخبز، فإن في الواقع السكين ما قطعت الخبز عندهم حسب ما يقررون والعياذ بالله، يقولون إن الذي قطع في الواقع هو الحامل الذي حمل السكين، لكن صارت هذه لما التقت السكين بالخبز انقطع لأجل أن الحامل أمرها يقولون لما التقى الرجل بالمرأة جامع الرجل المرأة وأذن الله بالحمل حملت سواء بماء أو بغير ماء، الماء عنده حصل الحمل لما نزل الماء على الأرض نبتت النباتات، فإذاً عندهم عندية وهؤلاء نفاة الأسباب، وكثير من التفاسير مشحونة بهذا في مسائل القدر وأنا قد عرضت لمزيد من هذه التفاصيل لتنتبه للتفاسير، كثير من الناس يحذر من مسائل التأويل ومعلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة وما في النصوص ليست هي مسائل التأويل فقط، يعني المخالف خالف في التأويل، لكن مسائل القدر أهم، مسائل القدر في التفاسير أهم لا لأنها أعظم من مسائل الصفات ولكن لأجل خفائها على الناس فهي خفية الآيات، آيات الإضلال، الهداية، آيات الأسباب آيات أفعال الله جل وعلا، كلها تجد في أكثر التفاسير فيها خلط وخبط وخروج عن طريقة أهل السنة والجماعة رفع الله مراتبهم.

وأنت بعد ذلك تستفصل إن شاء الله وتزداد من هذه الأصول.

المسألة الحادي عشر: في أنواع التقدير

التقدير ذكرنا لك أنه أربع مراتب منها مرتبة الكتابة، ومرتبة الكتابة جاء في الحديث أنها التقدير كما في قوله عليه الصلاة والسلام: ((قدّر اله

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)) يعني كتب ولهذا نقول مراتب التقدير يعني مراتب الكتابة، الله جل وعلا جعل كتابته للأشياء لها خمس أحوال:

أولها: أولها وأقدمها وأعظمها كتابة الله جل وعلا مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ، هذه هي الكتابة التي كانت قبل الخلق وهذه الكتابة لا تتبدل ولا تتغير رفعت الأقلام وجفت الصحف سيجد العبد ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ من خير أو شر، وهذه مر معنا جمل تدل عليها وبعض التفصيل لها.

الثانية: كتابة لمقادير الخلق من حيث الشقاوة والسعادة ونعني بالخلق خاصة المكلفين، وهذه هي التي تأتي فيها أحاديث الميثاق وأن الله جل وعلا استخرج ذرية آدم من صلبه فنثرهم أمامه كهيئة الذر وأخذ عليهم ألا يشركوا به شيئاً سبحانه وتعالى وقبض قبضة إلى الجنة وقبضة إلى النار وكتب أهل الجنة وكتب أهل النار ونحو ذلك مما جاء في السنة من بيان ذلك. هذا تقدير بعد الأول وهو قبل أن يخلق جنس المكلفين يعني من الإنسان لما خلق الله جل وعلا آدم حصل ذلك، حصل هذا التقدير العام لهم.

الثالثة: هي التقدير العُمري والعمري هو الذي يكون، والإنسان في بطن أمه فإن النطفة إذا صارت في الرحم وبلغت ثنتين وأربعين ليلة أتاها ملك فأمره الله جل وعلا بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد وهذه أيضاً جاءت في حديث ابن مسعود المشهور الذي فيه: أن الملك يأتي بعد أربعين وأربعين وأربعين يعني بعد عشرين ومائة، فيأتي فيكتب رزق الإنسان وعمله وأجله وشقي أو سعيد يؤمر بكتب هذه الكلمات الأربع هذه كتابة عمرية هذه الكتابة العمرية هي تفصيل لما في اللوح المحفوظ؛ لأن ما في اللوح المحفوظ شامل لكل المخلوقات وهذا متعلق بهذا المخلوق المعين وحده، لهذا قال العلماء إن

هذه تفصيل ذاك للجميع وهذا للإنسان المعين بخصوصه، قالوا تفصيل ولك أن تقول تخصيص.

الشريط الثاني والعشرين وجه (ب) :

الرابعة: الكتابة السنوية وهي التي تكون في ليلة القدر، قال جل وعلا: ﴿ **حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ ليلة القدر تكتب فيها المقادير من السنة إلى السنة، ما معنى ذلك؟ معناها أن الله جل وعلا يوحي إلى ملائكته بأن يكتبوا أشياء مما في اللوح المحفوظ فتكون بأيديهم مما سيحصل للناس.

الخامسة: التقدير الأخير هو التقدير اليومي واستدل له أهل العلم بقوله سبحانه: ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾.

إذا تبينت هذه المراتب فإنه قد ثبت في السنة أن الله جل وعلا يزيد في العمر ينسأ في الأثر يبسط في الرزق فقال عليه الصلاة والسلام: ((من سرة أن يبسط له في رزقه وينسأ له أثره فليصل رحمه)) يعني الرزق صار يتغير والأثر العمر صار يتغير، وقال أيضاً في الحديث الآخر: ((إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)) فمعناه فيه حرمن لبعض الرزق، وهذا معنى وله جل وعلا في سورة الرعد: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ فنظر أهل العلم في ذلك فقالوا إن المراتب الثلاث الأول هذه لا تتغير ولا تتبدل، يعني الأول، السابق، القديم الذي في اللوح المحفوظ وهؤلاء إلى الجنة، وهؤلاء إلى النار وكذلك كتب الملك للكلمات الأربع لهذا جاء في آخر الحديث مؤكداً عليه الصلاة والسلام على أنها لا تتغير: ((وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراه فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)).

الثلاث الأولى هذه لا تتغير. إذاً ما الذي يتغير ويتبدل ويحدث فيه المحو والإثبات والزيادة إلى آخره، ويؤثر فيه الدعاء ويؤثر فيه الأعمال الصالحة هذا التقدير السنوي، والتقدير السنوي في الحقيقة هو من التقدير الأول ومن اللوح المحفوظ لكنه في اللوح المحفوظ وجد معلقاً فصار بأيدي الملائكة معلقاً وأما التقدير العمري فهو ما فيه النهاية يعني ما كتبه الله جل وعلا بما فيه نهاية العبد وبما فيه نتيجة أثر الدعاء وأثر الأعمال إلى آخره مما قد يكون متغيراً.

إذاً فقوله جل وعلا: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ يعني مما في أيدي الملائكة من الصحف: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ وكذلك من التقدير اليومي.

إذا كان كذلك فهذا به تفهم الأحاديث التي فيها تغيير الرزق وتغيير العمر والنسيء في الأثر أو حرمان الرزق بالذنب ونحو ذلك ومنه أيضاً تفهم قول عمر –رضي الله عنه– فيما جاء عنه: "اللهم إن كنت كتبتني شقياً فاكتبني سعيداً" يعني فيما يتعلق بتلك السنة من الإضلال والهداية.

هذه إحدى عشرة مسألة لعل فيها بياناً لما تحتاج إليه في هذا الركن من أركان الإيمان.

تنبيه : التقدير الثاني: الأخ نبهني جزاه الله خيراً من حيث الشقاوة والسعادة قلت أنا والأجل والرزق تشطبون عليها، هي من حيث الشقاوة والسعادة كل الأحاديث فيها أهل الجنة وأهل النار، أما الرزق والأجل إلى آخره فهذه تحتاج إلى مزيد؛ لأنه لما أخرجت الذرية من ظهر آدم رأى آدم – عليه السلام– ابنه داود فقال: "ما لابني هذا كذا فذكروا له أن عمره كذا فقال أعطه يا رب من عمري أربعين سنة" فتراجع هل يدخل فيها الأجل أم لا؟ لكنها

معروف أن جملة الأحاديث في الشقاوة والسعادة وأهل الجنة وأهل النار سواء أحاديث الميثاق أو غيرها.

واسأل الله سبحانه أن ينور قلبي وقلوبكم بعلم سلفنا الصالح وأن يزيدنا من العلم النافع وأن يوفقنا لحسن الظن به جل وعلا، وحسن التوكل عليه وعظم العلم به وحسن العمل إنه سبحانه جواد كريم، سميع قريب وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الشريط الثالث والعشرين وجه (أ) ١٣/ ١/ ١٤١٩هـ .

المتن :

هذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى وهو درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان، علم في الخلق موجود وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود، ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لن يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى في ليجعلوه كائناً لن يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ، ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته كما قال تعالى في كتابه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾ فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوَهَمه في فحص الغيب سراً كتيماً وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً.

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد ربي الله جل وعلا على ما أنعم به وتفضل وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد. فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياك من الذين

غفر ذنبهم وبارك لهم في قولهم وعملهم اللهم فاغفر ذنوبنا واجزل أجورنا وأنت أرحم الراحمين.

هذه الجمل من كلام الطحاوي –رحمه الله تعالى– بسط فيها جملاً من آداب الإيمان بقدر الله جل وعلا، وعلى خلاف العادة في المختصرات والمتون التي يراد حفظها وانتشارها فإنه قد أفاض في الكلام مما لا يدخل كله في ضمن القواعد والأصول والعقائد وإنما فيه جمل من ذلك وأكثره تفصيل وزيادة في البيان.

ولها سنطوي إن شاء الله بيان الجمل على تفاصيلها ونذكر ما اشتملت عليه من العلوم والعقائد؛ لأن المقصود هو العلم والإيمان بقدر الله جل وعلا، ومعرفة منهج السلف الصالح وعقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسائل العظام.

لما ذكر ما ذكر وقد ذكرنا لكم جملاً من المسائل التي بها تعلم اعتقاد أهل السنة والجماعة في قضاء الله جل وعلا وقدره، فقال بعدها : (فهذا جملة ما يحتاج من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان، علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود)، أراد بذلك أن ما ذكره في القدر وما ذكرناه لك من المسائل هذا من العلم الذي عَلَمناه ربنا جل وعلا ورسوله ﷺ مع أن الأصل أن القدر سر الله تعالى وغيبه الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولهذا أمر نبينا ﷺ بأنه إذا ذكر القدر أمسكنا فقال عليه الصلاة والسلام: ((وإذا ذكر القدر فأمسكوا)) يعني أمسكوا عن الخوض فيه لما لم توقفوا فيه على علم، فعلم القدر نوعان، علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، وهذا تفسير أنسب عندي لأجل أن نعلق تقسيم العلم إلى علم موجود وعلم مفقود فيما يتصل بالقدر لا في أصل العلوم؛ لأنه أشار في ذلك إلى ما سبق ، فقال: (فهذا جملة ما يحتاج إليه

من هو منور قلبه) ومعلوم أنه لم يذكر كل ما يحتاج إليه من هو منور قلبه في مسائل العقائد؛ لأنه بقي كثير سيأتي في هذه الرسالة، فإرجاع قوله فها جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه إلى مسائل القدر منضبط، أما إذا قيل أنه علم العقيدة جميعاً فإنه لم يذكر أشياء كثيرة وستأتي بعد الكلام على مسائل القدر كما ستراه إن شاء الله تعالى.

فإذاً نقول: إن الطحاوي –رحمه الله تعالى– أراد أن علم القدر العلم به على نوعين : علم في الخلق موجود وهو ما علمنا الله جل وعلا إياه في كتابه وما علمنا رسوله ﷺ.

وهذا كما قال: (إنكار العلم الموجود كفر) إذا تبين أنه من عند الله جل وعلا وليس ثم شبهة ولا تأويل، فإن إنكار العلم الموجود كفر لأنه تكذيب لله جل وعلا ولرسول ﷺ، والعلم الموجود في القدر كما رأيت مما جاء في الكتاب والسنة، يعلمه الراسخون في العلم، وأما من ليس بذي رسوخ في العلم فإنه في مسائل القدر لا يزال على اشتباه، وعلى عدم وضوح، فالواجب على من لم يكن من الراسخين في العالم من عامة أهل الإيمان أن يقول: ربنا ﴿ **آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾ كما وصف الله جل وعلا الراسخين مع علمهم انهم قالوا ذلك ليقتدي بهم الناس فيما لم يعلموا، قال سبحانه: ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾ يعني آمنا بالمحكم وآمنا بالمتشابه كل من عند الله جل وعلا لا نفرق بين كلام الله جل وعلا والراسخون في العلم هم أهل الثبوت والقوة في العلم الموروث عن النبي ﷺ؛ لأن الرسوخ هو الثبات والاستقرار والقوة والتمكن. فهؤلاء يعلمون؛ لأنه وصفهم لكونهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون؛ لأن الذي لا يعلم لا يوصف بالرسوخ في العلم، وهم متميزون عن غيرهم بالعلم والإيمان، والرسوخ في العلم هو الرسوخ في أنواع العلم الثلاث، العلم بالتوحيد، والعلم بالفقه، والعلم باليوم

الآخر والغيبيات، فهؤلاء هم الراسخون في العلم. وقد يكون الرسوخ في العلم يتنوع أيضاً ولكن من لم يصح علمه بالتوحيد فإنه ليس بذي رسوخ في العلم مهما كان؛ لأن أصل الأصول هو الاعتقاد أصل الأصول هو التوحيد الذي معه يصح الفقه يصح العمل تصح العبادة، يصح الحكم، والإفتاء إلى آخره.

فإذاً أهل الرسوخ في العلم يعلمون أن العلم علمان علم في الخلق موجود يعني جعله الله جل وعلا في القدر جعله موجوداً في الخلق فيما أنزل في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وشيء كثير من مسائل القدر حجبها الله جل وعلا عن عباده. لهذا فإن أهل الرسوخ في العلم يبسطون من مسائل القدر بما جاء في الأدلة ويطوون من مسائل القدر ما لم يأت في الأدلة ولذلك كل ما لم يكن مبسوطاً عند أهل العلم الراسخين من أهل الحديث والسنة والجماعة فإن هذا العلم يعني الذي تكلم فيه الآخرون ينبغي ألا يتكلم فيه كل أحد؛ لأن ما طوي الله جل وعلا عنا علمه فإن الخير في ألا نبحث فيه ولهذا قال: (التعمق والنظر في ذلك) يعني في النوع الذي هو من العلم المفقود ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً وسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه.

قال الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (وادعاء العلم المفقود كفر؛ لأنه غيبي ومن ادعى الغريب الذي اختص الله جل وعلا به، فإنه كافر وذلك لقوله جل وعلا ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً *** ﴾ وقال سبحانه: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾، فهذه الخمس اختص

الله جل وعلا بها، لهذا علم القدر من علم الغيب وعلم الغيب عام يشمل القدر ويشمل غيره، لهذا قال رحمه الله: (ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود، فالمؤمن الحق لا يخوض في القدر إلا خوضاً بحثاً عن العلم الموجود فيؤمن به، وأما العلم المفقود فيترك طلبه)

قال بعد ذلك –رحمه الله تعالى–: (ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم) . نؤمن باللوح والقلم، اللوح والقلم تعلق بالقدر من جهة أن القدر من مراتبه الكتابة، مراتب الإيمان به الكتابة، والكتابة كانت بالقلم في اللوح لهذا لا يتم الإيمان بالكتابة إلا بالإيمان باللوح والقلم والله جل وعلا أقسم بالقلم فقال سبحانه: ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾ والقلم هذا هو القلم الذي كتب به القضاء، وكتب به القدر في أحد وجي التفسير، واللوح ذكره الله جل وعلا في كتابه في غير ما آية كقوله جل وعلا: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾ وسماه سبحانه كتاباً مكنوناً، فقال: ﴿ **فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ وسماه جل وعلا أم الكتاب فقال سبحانه ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾.

وسمي لوحاً لما فيه من البهاء والنور والإضاءة؛ لأنه يلوح بمعنى أنه يظهر ويبين لما فيه من النور، فالإيمان باللوح والقلم من الإيمان بكتابة الله جل وعلا ونؤمن بجميع ما في اللوح رقم، كل ما كتبه الله جل وعلا نؤمن به فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما كتبه الله لابد انه كائن، لهذا قال بعده فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه إلى آخر كلامه إذا تبين هذا ففي مسألة اللوح والقلم عدم مسائل.

المسألة الأولى:

أن اللوح جاء وصفه في حديث حسنه طائفة من أهل العلم ويحتاج في بحث إسناده إلى مزيد نظر. فيه أن اللوح كما جاء في الحديث: ((خلق الله اللوح من درة بيضاء)) ووصفه بأن حافتيه الدر والياقوت يعني إطار هذا اللوح أو دفتا هذا اللوح من در وياقوت وصفحات هذا اللوح حمراء جعل الله جل وعلا هذا اللوح كما وصفه بعض السلف على يمين العرش وهو بين جبين إسرافيل لا ينظر فيه.

وجاء أيضاً أن الله خلق القلم وجعله من نور وأن طوله ما بين السماء والأرض، وإن اللوح المحفوظ طوله ما بين السماء والأرض وعرضه كما بين المشرق والمغرب، وهذا كما ذكرت لك يحتاج إلى مزيد بحث ولكن يذكره العلماء من أهل السنة وتتابعوا عليه في حديث رواه يعني في أصل وصف اللوح والقلم رواه الطبراني وغيره وحُسِّن إسناده كما ذكر لك، وقد ذكر الحديث شارح الطحاوية وغيره.

المسألة الثانية:

إن القلم الذي كتب الله جل وعلا به القدر، كُتب به ما يتعلق به العالم يعني كُتب به القدر إلى قيام الساعة كم جاء في الحديث الصحيح حديث عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: (قدّر الله مقادير الخلائق –يعني كتب مقادير الخلائق– قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)). فالقلم متعلقةُ كتابته في اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى قيام الساعة.

المسالة الثالثة:

أن القلم لما خلقه الله جل وعلا أمره أن يكتب فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة كما جاء ذلك في حديث عبادة بن الصامت الذي رواه أبوداود والترمذي والإمام أحمد وجماعة بألفاظ متقاربة وفيه أن النبي ﷺ قال: (إن أول

ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة)) وهذا لفظ أبي داود وغيره. وجاء أيضاً بلفظ ((أول ما خلق الله القلم قال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة)).

ولهذا اختلف العلماء هنا في هل هذا الحديث على ظاهره في أن أول المخلوقات القلم أو أن هذا الحديث له معنى آخر؟ وجعلوا هذا الحديث وحديث عبدالله ابن عمرو من الأحاديث التي ينبغي الجمع بينها وهذا هو المسألة الرابعة.

المسألة الرابعة:

في الجمع بين الحديثين فتلحظ أ حديث عبدالله بن عمرو فيه قال: ((قدر الله مقادير الخلائق)) ولما قدر يعني كتب وكان عرشه على الماء.

وفي حديث عبادة قال: ((إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب)) فيقضي حديث عبادة أن الأمر بالكتابة كان مرتباً على ابتداء الخلق، خلق القلم وتقدير القدر كان قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة والعرش على الماء، فدل حديث عبدالله ابن عمرو على وجود تقديم وعلى وجود العرش وعلى خلق العرش وعلى خلق الماء، ودل حديث عبادة على أن خلق القلم تبعه قول الله جلا وعلا لقلم اكتب فجرى بما هو كائن إلى قيم الساعة، وهذا الترتيب جاء. بحرف الفاء الذي يدل في مثل هذا السياق على أن هذا بعد هذا دون تراخ زمني. لهذا اختلف العلماء في هذه المسألة في الجمع بين هذين الحديثان هل القلم هو أول المخلوقات أم العرش خلق قبله على قولين للسلف فمن بعدهم.

والقول الأول: وهو قول جمهور السلف كما نسب ذلك إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، أن العرش قبل القلم كذلك الماء قبل القلم.

القول الثاني: أن القلم أول المخلوقات وأن العرش والماء بعد ذلك وهو قول طائفة من أهل العلم، والترجيح ما بين هذين القولين هو أن الأحاديث يجب الجمع بينها وعدم تعارضها، وحديث عبادة بن الصامت في قوله عليه الصلاة والسلام: ((أن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب)) يقتضي أن الكتابة كانت بعد خلقه. وحديث عبدالله بن عمرو يقتضي تقدم وجود العرش والماء على حصول الكتابة، فدل هذان الحديثان على أن العرش والماء موجودان قبل، وأن خلق القلم تبعته الكتابة، ولهذا نسبه شيخ الإسلام إلى جمهور السلف في أن القلم موجود بعد العرش والماء، وهذا تدل عليه رواية ((أول ما خلق الله القلم قال له اكتب))، يعني حين، أول بمعنى حين، ((أول ما خلق الله القلم قال له اكتب)) حين خلقه قال له اكتب وهذا هو معنى ((أن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب))؛ لأن الجمع بين الروايات أولى من تعارضها وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله تعالى– في كتابه التبيان أن قوله ((أن أول ما خلق الله القلم)) ورواية ((أول ما خلق الله القلم)) إما أن تجعل جملتين أو جملة واحدة، وقد ذكر هذا النقل شارح الطحاوية فترجع إليه، وخلاصة البحث هو ما ذكرت لك من التقديم فإن قوله: ((أن أول ما خلق الله القلم)) هنا برفع القلم تكون خبر أن يعني أن أول الذي خلق، أن أول المخلوقات القلمُ، فقال له اكتب وإذا كان أول المخلوقات فكيف يفسر مع حديث، وكان عرشه على الماء الذي ذكرته لك فقول أن أول ما خلق الله، أول الذي خلق الله يفهم على أن القلم جرى بما هو كائن إلى قيام الساعة بل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة فالقلم متعلق بما كتب في اللوح المحفوظ متعلقاً بما يحدث في هذا العالم المخصوص لا في مطلق الأشياء لهذا علق بأنه إلى قيام الساعة.

فإذاً يفهم لما كان التعلق، تعلق الكتابة بهذا العالم الذي جرى التقدير عليه إلى قيام الساعة يفهم أن القلم لما تعلق بهذا العالم كتابة لتقديره ولقدره ولآجاله إلى آخره فإنه من هذا العالم؛ لأن العوالم أجناس والله جل وعلا جعل لمخلوقاته إقداراً وأجناساً فإذاً يفهم قوله ((أن أول ما خلق الله القلم)) يعني من هذا العالم، فالقلم قبل السماوات وقبل الأرض وقبل الدخان المتعلق الذي خلق منه السماوات والأرض وكل ما يتصل بهذا العالم المرئي المشاهد، فالقلم هو أول المخلوقات أما العرش والماء فليس متعلقين بهذا العالم، فإذاً إعمال الحديثين مع ما يتفق مع عقيدة أهل السنة والجماعة واضح لا إشكال فيه فيكون ذلك هو تقرير هذه المسألة وقد لخص ابن القيم المسألة في نونيته وبحثها مفصلاً في كتاب التبيان في أقسام القرآن وفي غيره، فقال في النونية -رحمه الله تعالى-:

والناس مختلفون في القلم الذي ... كُتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذان
والحق أن العرش قبل لأنه ... عند الكتابة كان ذا أركان

وهذا القول كما ترى من تقريره مع دليله هو الصحيح وهو الموافق لفقه النص وفقه خلق العالم وآثار فعل الله جل وعلا في ملكوته ومتفق مع القول بأن الله جل وعلا فعال لما يريد، وأن قبل هذا العالم ثم عوالم أخرى والله جل وعلا يخلق ما يشاء ويختار وأنه ثم أشياء أخرى بعد قيام الساعة، والقلم متقيد بما خلقه الله جل وعلا له والله سبحانه له الأمر كله يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد سبحانه وتعالى.

المسألة الخامسة: ذكر: جاء في حديث أنس الذي رواه البخاري وغيره في قصة الإسراء أن النبي ﷺ ذكر عروجه إلى الله جل وعلا ليلة المعراج ثم

قال: في وصف ارتفاعه عليه الصلاة والسلام ثم: ((إني رفعت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام)) وهذه الأقلام غير القلم الذي كتب به القدر، فإن ذلك القلم من نور كتب به القدر في اللوح المحفوظ وأما هذه الأقلام فهي التي بأيدي الملائكة، أقلام يكتب بها وحي الله جل وعلا إلى ملائكته مما يوكلون به من الأشياء فهم يكتبون أمر الله جل وعلا، وله سبحانه وتعالى كلمات لا تنقضي كما قال جل وعلا: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ فالله جل وعلا كلماته الكونية لا تنفذ يأمر وينهي سبحانه وتعالى في ملكوته والملائكة تكتب فهذه الأقلام نوع آخر، ولك أن تقول هذا هو النوع الثاني وهي أقلام الوحي التي بأيدي الملائكة يكتبون ما يوحي الله جل وعلا به في سمائه.

قال –رحمه الله تعالى–: بعد ذلك: (فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه –يعني في اللوح– أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه) وهذه العقيدة هي حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر، يعني يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأنه لو فعل ما فعل فإنه لم يحجب قضاء الله جل وعلا وقدره لِمَ؟ لأنه لا يمكن أن يفعل خلاف ما قدر الله جل وعلا لهذا وجب التسليم لله جل وعلا في أمر المصائب التي لا اختيار للعبد فيها أن يسلم لله جل وعلا ذلك وأن يؤمن بقضاء الله جل وعلا الذي يقضيه وقضاء الله جل وعلا كما ذكرت لك هو إنفاذه ما قدر جل وعلا، وهذا القضاء له جهتان: جهة متعلقة بالله جل وعلا وهي فعله سبحانه وتعالى، وفعله بأن يقضي صفة من صفاته فهذه

يجب على العبد أن يحبها وأن يرضى بها لأنها صفة من صفات الله جل جلاله.

وللقضاء تعلق آخر بالعبد لا بالرب فيكون مقضياً على العبد والمقضي على العبد نوعان مقضي عليه من جهة المصائب ومقضي عليه من جهة المعائب ، والمصائب ربما كان لا اختيار له فيها، والمعائب فعلها بإرادته لهذا بحث العلماء مسألة الرضا بالقضاء وهل القضاء تسليم له يعني الرضا به وتحقيق القول في هذه المسألة أن القضاء غير المقضي هذا تعلق القضاء بالعبد والقضاء هو قضاء الله جل وعلا وهو فعله وقد يقال في ما يتعلق بالعبد هذا قضى عليه وصار قضاءً عليه فيكون قضاءً بالنسبة للعبد وهو مقضي، لهذا نقول جهة الرب جل وعلا في القضاء هذا نرضى بها. ونحبها وأما ما يقضيه الله جل وعلا على العبد فإنه ما كان من المعائب، المعاصي والآثام التي تقع منه فإنه يجب عليه ألا يرضى بها، وقعت عليه لكن يجب عليه أن يكره ذلك الذي وقع منه، ولو كان قضاءً ويجب عليه أن يسارع في الانسلاخ من آثاره بالتوبة والإنابة، فلا يجب هذا العيب ولا هذا الذنب مع أنه قضاء ولا يرضى به يسارع لتخليص نفسه منه، وأما ما كان من قبيل المصائب التي يصاب بها العبد فإن الرضا بها مستحب غير واجب، أصيب بمصيبة فإن الرضا بها مطلوب لكنه مستحب كما قال جلا وعلا: ﴿ **وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ قال علقمة –رحمه الله تعالى– هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، فالرضا بالمقضي الذي هو من المصائب مستحب لا واجب بالنظر إلى تعلقه بالعبد وهو مقضى أما بالنظر إلى تعلقه بالله فسواء كان من المصائب أو من المعائب فإنه يجب الرضا عن الله جل وعلا في أفعاله وصفاته ومحبة أفعال الله جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا يفعل ما يفعل عن حكمة عظيمة كما قال سبحانه ﴿ **وَلَوْ أَرَادُواْ**

الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ﴾ فالله جل وعلا يقضي بحكمته ما يشاء وله الحكمة البالغة ﴿ **لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ فإذاً تلخص من ذلك أن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال –رحمه الله تعالى– بعد ذلك: (وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه) وذلك يعني هذا الذي أشار إليه (من عقد الإيمان) يعني مما يجب أن في الإيمان يكون عقيدة نؤمن بها، (وأصول المعرفة) يعني أصول العلم بالله جل وعلا والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته ويريد بتوحيد الله تعالى في هذا الموطن توحيد الله جل وعلا في تصرفه في ملكه وفي عبادته فإن العبد إذا اعترف بأن الله جل وعلا هو المتصرف في ملكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن هو المدبر، وهو الرب جل جلاله فإنه يوحد الله في قدره ويوحد الله جل وعلا في أفعاله كما يوحد الله جل وعلا في ربوبيته بعامة ففي الحقيقة من تأمل توحيد الربوبية وآمن حقاً بربوبية الله جل وعلا فإنه يؤمن بالقدر؛ لأن الإيمان بالقدر من ثمرات الإيمان التام بربوبية الله جل وعلا، فإن المؤمن بالربوبية بأن الله جل وعلا هو الرب المتصرف في ملكه والسيد المطاع هو الذي لا معقب لحكمه ولا راد لأمره هو الذي ما شاء كان، هو الذي لا يغالب في ملكه هو الذي يعطي ويمنع ويخلق ويرزق ويميت ويحيى من آمن بالربوبية على تفاصيلها فإنه لن يجادل في القدر؛ لأنه يعلم أنه مربوب مستسلم لله جل وعلا ختم ذلك بقوله: (كما قال تعالى في كتابه: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً**

﴾ قال فويل لمن صار لله في القدر خصيماً وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمه) ، الوهم بالتحريك وَهَم هو الفهم أو الإدراك أو الذهن أو ما أشبه ذلك والوهم بالسكون هو الغفلة عن الشيء يقول: هذا وهم يعني غلط وغفلة ونحو ذلك أما الوَهَم فهو الإدراك والفهم إلى آخره قال لقد التمس بوهمه في فحص الغيب يعني بذهنه وبفهمه وتفكيره، (في فحص الغيب سراً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفَّاكاً أثيما) .

اسأل الله جل أن يكتب لي ولكم الإيمان التام بقدر الله جل وعلا وأن يجعلنا ممن سلموا لله جل وعلا وآمنوا بربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته حقاً وصدقاً دون تردد ولا ريب، ودون معارضة لما أمر الله جل وعلا به وقضى.

الشريط الثالث والعشرين وجه (ب)

سؤال : إن من ضابط الكبيرة ما تُوعد فيه بنفي الإيمان فهل كل نص نُفي فيه الإيمان دال على أن مرتكبه فاعل للكبيرة؟ نرجو بيان الضابط في ذلك حيث أشكل هذا على بعض الأخوة؟

الجواب : هذه المسألة أصلها أن الله جل وعلا حرم أشياء وقسم جل وعلا المحرمات إلى قسمين إلى كبائر وإلى صغائر فقال جل وعلا: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ** ﴾ فجعل ثم كبائر وثم صغائر، وقال جل وعلا أيضاً: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً** ﴾ وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((الكبائر سبع)) وفي الحديث المتفق على صحته ((اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر)) إلى آخره، فإذاً انقسام المحرمات إلى كبائر وصغائر أمر مقرر في الشريعة في القرآن والسنة وعليه جمهور أو أكثر أهل العلم أو غالب أهل العلم.

وقال آخرون إن الذنوب كلها كبائر؛ لأن الصغيرة إذا نظر فيها إلى حق من عُصي بها فهي كبيرة، واستدلوا لذلك بقوله ﷺ: ((أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وما يعذبان في كبير بل إنه كبير)) فجعله ليس بكبير ثم أثبت أنه كبير فقالوا: إن الذنب لا يكون صغيراً، وهذا غلط ممن قال به؛ لأن النصوص دالة على التقسيم ثم النبي ﷺ قال في ذكر المكفرات: ((الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما ما اجتنبت الكبائر)) وصح أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام أنه جاءه رجل وقال يا رسول الله إني لقيت امرأة في بعض السكك وأصبت منها غير أني لم أنكح فقال عليه الصلاة والسلام: ((هل صليت معنا؟)) فقال : نعم ، فقال: ((تلك كفارتها)) وتلا قول الله جل وعلا: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الْلَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ قال الرجل يا رسول الله أهي لي أم للناس عامة؟ قال: ((بل هي عامة)). فدل هذا على أن الصغائر تكفر وعلى أن الكبائر لابد لها من التوبة اختلف العلماء في ضابط الكبيرة ما هي الكبيرة وبم تُحد على أقوال كثيرة جداً لكن الذي نرجحه في ذلك تبعاً للمحققين من أهل العلم أن الكبيرة ما توعد فيه يعني ما جاء الدليل بأن صاحبها متوعد بالحد في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة فما كان فيه الوعيد بالحد في الدنيا والعذاب في الآخرة، الحد في الدنيا مثل الزنا والقتل والسرقة وشرب الخمر، والقذف وأشباه ذلك، أو ما هو أكبر من ذلك فإن هذا كبيرة؛ لأنه متوعد بالعذاب بالنار في الآخرة أو بالحد في الدنيا، وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية اجتهاداً منه على هذا أنه ما جاء النص فيه بنفي الإيمان واللعن فإنه يدل على أنه كبيرة ونظمها ابن عبد القوي في منظومته المشهورة التي طبعت مؤخراً فقال: في ذلك في حد الكبيرة:

فما فيه حد في الدنا أو توعدٌ بأخرى فسم كبرى على نص أحمد

وزاد حفيد المجد أوجا وعيده بنفي لإيمان وطرد لمبعد

(فسَمْ) يعني سَمِّى ، أو فسَمْ يعني أعلم

(نص أحمد) يعني الإمام أحمد بن حنبل وهو قول جمهور العلماء.

(حفيد المجد) يعني الشيخ تقي الدين ابن تيمية.

يعني ما جاء به النص في نفي الإيمان لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه. وطرد لمبعد يعني مثل "لعن الله من غير منار الأرض" هذا يدل على أن كبيرة عند شيخ الإسلام، إذا تبين ذلك فالسائل يسأل عن ضابط نفي الإيمان؛ لأنه توجد نصوص نفى فيها الإيمان وبالإجماع أنه ليس بكبيرة كقوله عليه الصلاة والسلام: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) والضابط في نفي الإيمان أنه ما نفي الإيمان فيه عمن فعل محرماً أما من لم يفعل محرماً فإن نفي الإيمان ليس من هذا الباب لكن من فعل محرماً فإن دخول نقي الإيمان على الفعل المحرم ينقل هذا الفعل المحرم من كونه صغيرة إلى كونه كبيرة، ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))، فهذا الإجماع مستحب... قوله يعني أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك من الخير فالإجماع على أنه مستحب، وقوله: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) ونحو ذلك فهذا لا يدخل في البحث، فإن المقصود إذا كان الشيء محرماً فاقترن بالشيء المحرم نفى الإيمان عمن فعله والله أعلم.

سؤال : لا شك أن كتب الأصول التي لها خلفية اعتقادية كاعتزال أو أشعرية أو نحوها فما نصيحتكم لطالب العلم الذي يقرأ في كتب الأصول؟

الجواب : كتب الأصول، أنا لا أعلم كتاباً في الأصول سلم في العقيدة يعني من الكتب التي تستحق أن تكون كتب أصول. توجد كتب للمتأخرين يعني للمعاصرين سهلة ليس فيها إلا مسائل المبتدئين ونحو ذلك لا

تدخل ضمن الكلام ولكن كتب الأصول المعروفة لا تسلم من الغلط في العقيدة لكن بعضها يكثر ككتب المعتزلة كالمعتمد وغيره وبعض تلك الكتب يتوسط بها الأغلاط، وهي ما كانت على منهج الأشاعرة كالمحصول وأشباهه والبعض يكون لا بأس به يكون قليل فيه الغلط كروضة الناظر لابن قدامة وككتاب ابن النجار "الكوكب المنير شرح المختصر" وكتاب الشوكاني الذي لخص فيه البحر المحيط وسماه "إرشاد الفحول" ونحو ذلك فيها معلومات والغلط فيها في العقيدة قليل، وفي الحقيقة أن كتب الأصول كتبت للفن يعني لتقرير فن الأصول والذي أراه أن طلاب العلم اليوم مقصدهم من العلم هو أن يفهموا الكتب والسنة والأصول آلة فكنت أتمنى ولا أزال أن يوجد مؤلف يكتب في الأصول للانتفاع به في فهم نصوص الكتاب والسنة، يعني المسائل الأصولية تعرض بتقدير ما إذا فهمه الطالب كان له أثر في فهم نصوص الكتاب والسنة في العقيدة، والفقه وهذا لو يعتنى به بعض الأخوة فإنهم سيفيدون غيرهم فيه خاصة من له عناية بالعقيدة وبتحرير المسائل في الفقه؛ لأنه سيجد أن كثيراً من المسائل الأصولية ينتفع بها لا شك العالم وطالب العلم، لكن لا قد تكون تطبيقاتها قليلة جداً والمسائل التي يكثر تطبيقها ويحتاج إليها تكون في غمرة تلك المسائل فإذا أتى عالم أو طالب علم متمكن وكتب هذه المسائل سواء في مقدمات الأصول الثلاثية أو في أركان الأصول الأربعة وبحثها فإن سينفع الطلاب نفعاً عظيماً؛ لأن طالب العلم بحاج ماسة جداً إلى الأصول ولكن المحتاج إليه في العقيدة والفقه من مسائل أصول الفقه المعروفة فإنه ليس بالكثير يعني بالأكثر وإنما هو متوسط حبذا لو تحققت هذه الأمنية، أعان الله الجميع على ما فيه رضاه.

سؤال : هل من سلب التوفيق وكان له الخذلان يستطيع أن يهتدي بما أعطاه الله من آلات؟

الجـواب : هذا مبنـي علـى عدم فهم معنـى التوفيـق والخـذلان يراجـع معنى التوفيق والخذلان.

الشريط الرابع والعشرين الوجه (أ) ٢٠/ ١/ ١٤١٩هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد وأوفاه وأشهد أن لا إلـه إلا الله وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، ومن العمل ما ترضى اللهم هيأ لنا من أمرنا رشداً واجعلنا من عبادك الصالحين الذين رضيت قولهم ورضيت عملهم ، ونجيب على بعض الأسئلة .

سؤال : هل النبي عليه الصلاة والسلام يحب لذاته لأن ذاته حميدة أم يُحب في الله جل وعلا لما اتصف بالنبوة والرسالة؟

الجـواب : هذا سؤال جيد ونبينا عليه الصلاة والسلام جمع من الأوصاف والعلل والأسباب التي لأجلها يحب المحب من أحب، جمع كل الأسباب والأوصاف فهو عليه الصلاة والسلام يجب من كل جهة، يجب لله جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا أمر بحبه عليه الصلاة والسلام، ويجب لأن الله جل وعلا اصطفاه وفضله وجعله رسولاً ورحمة للعالمين ويُحب عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله خصه بالقرآن وخصه بالآيات والبراهين وخصه بما لم يخص به الأنبياء والرسل، ويحب عليه الصلاة والسلام لأجل جهاده في الله حق الجهاد ونصحه للأمة وتبليغه رسالة ربه جل جلاله ويحب عليه الصلاة والسلام لعظم إحسانه لكل أحد فما من أحد إلا وهو قد أحسن إليه عليه الصلاة والسلام أيما إحسان، وإذا كان الناس فيما بينهم يحبون من أحسن إليهم كما قال شاعرهم:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

فنبينا ﷺ أحسن إيما إحسان وأفاض على هذه الأمة من إحسانه وفضله عليه الصلاة والسلام بما بلغ من رسالة ربه واهتدى بهدى ربه جل وعلا فيحب لذلك أعظم المحبة عليه الصلاة والسلام.

فلولا أن الله جل وعلا مَنَّ علينا ببعثة محمد ﷺ ثم باتباعه لكنا مع الهالكين، فنبينا عليه الصلاة والسلام يحب لما في عنق كل أحد من هذه الأمة له عليه الصلاة والسلام من المنة فمنته ﷺ على كل أحد، ولهذا جعل الله جل وعلا من جميل ثوابه لنبيه أن له مثل أجور أمته فكل من عمل عملاً صالحاً من الإيمان وشعبه عليه الصلاة والسلام مثل ذلك والناس يحبون أيضاً لأنواع الصفات فيحب المحب فلاناً لكرمه ويحب المحب فلاناً لخلقه ولشجاعته ولإمامته ولفتواه ولحكمه ولحسن تعامله، ولأشياء كثيرة من الخلال والأوصاف ولتعامله مع أهله ولكماله في صفاته وأخلاقه وسجاياه، والنبي ﷺ إذا نظرنا إلى كل جهة من هذه الجهات فإنه يحب عليها عليه الصلاة والسلام، ولكن مع هذا كله فإن القاعدة عند أهل العلم من أهل السنة أن النبي ﷺ محبته ليست استقلالاً ولكن تبع لمحبة الله جل وعلا وهذا يعظم شأن نبينا عليه الصلاة والسلام، ففي الحقيقة من تأمل ذلك حق التأمل فإنه يحبه عليه الصلاة والسلام وبرهان المحبة قوله جل وعلا: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾، وقد قال الشاعر في معرض كلام له لما ذكر بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من يعظ الناس قال: إن المحب لمن يحب مطيع.

فالمحبة للنبي عليه الصلاة والسلام ليست تراتيل تنشد ولا أشعار يتباهى بها وليست هي قلادة يتزين بها من يتزين دون اتباع لسنته عليه الصلاة والسلام فحقيقة المحبة لمن أحب أنه يتبع سنته عليه الصلاة والسلام فهو الرسول المصطفى والخليل المجتبى الذي أرسله الله جل وعلا بالهدى

فطاعته عليه الصلاة والسلام أول ثمرات محبته عليه الصلاة والسلام، ولهذا إذا عظمت المحبة فإن الطاعة تكون أعظم لهذا قال من قال من السلف: لما كثر الأدعياء طولبوا بالبرهان: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ وقال آخر ليس الشأن أن تحب ولكن الشأن أن تُحب. ليس الشأن أن تحب النبي ﷺ ولكن الشأن أن يحبك النبي ﷺ، ليش الشأن أن تجب الله جل وعلا ولكن الشأن أن يحب الله جل وعلا، والله جل وعلا لا يجب إلا على توحيده والإنابة إليه وخلع الأنداد والشرك الذين يحبون نبيه ﷺ ويحققون معنى الشهادة له بأنه رسول الله ﷺ.

سؤال : يقول: إني أقول الشعر وأكثر ما أخوض فيه الفخر فأفخر بنفسي ومكارم أخلاقي إلا أني أبالغ في بعض الأحيان وما ذلك إلا لأفعل هذا الأمر الذي أوعيته في شعري فما الحكم في ذلك والشعر بعامة؟

الجواب : الشعر حكمه في الشرع أنه كسائر الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، لهذا تندرج على ما يورد الإنسان في الشعر الأحكام الشرعية؛ لأنه محاسب على كلامه أن قال نثراً أو قال شعراً ولهذا نبينا عليه الصلاة والسلام قال لحسان: ((اهجهم وروح القدس معك)) واستنشد لأمية بن أبي الصلت إلى مائة بيت أبيات فيها توحيد الله توحيد الربوبية وذكر بعض أثار الربوبية في خلق الله جل وعلا فقال لما سمعها ﷺ قال: ((إن كاد ليسلم في شعره)) أو كما قال ﷺ فيما هو مروي في الصحيح وحسان شعره سائر وعبدالله ابن رواحة شعره سائر وكثير من الصحابة من الشعراء، فالشعر محمود ولما قيل للنابغة وكان قد أسلم وهو من الشعراء المشهورين وأحد أصحاب المعلقات لما قيل له ألا تنشد الشعر؟ قال: ألهاني عن الشعر سورة البقرة وآل عمران، فالشعر ينبغي أن يتقي الله جل وعلا فيه المرء فهذا الذي يقول الشعر يستخدم هذه الملكة التي أتاه الله جل وعلا إياها بنظم الشعر فيما

فيه خير له إما الفخر بالنفس ومكارم الأخلاق والمدح الذي يكون في الوجه والذي لا يكون معه مصلحة شرعية فإن هذا مما يُرغب عنه، ولهذا حسن أن تكون شاعراً ولكن لا تكن غافلاً عن أن الشعر يحاسب عليه المرء.

سؤال : إذا توضأ شخص وأراد أن يصلي سنة الظهر أو أراد أن ينوي معها سنة الوضوء هل تجزئ مع التوضيح؟.

الجواب : هذا مبني على أصل مهم يعلمه طالب العلم وهو أن النوافل بحسب ما جاء في الأدلة من تأكيدها جعلها طائفة من العلماء على مراتب فجعلوا آكد النوافل الوتر ثم يليه ركعتي الفجر ثم يلي ذلك الرواتب ثم يلي ذلك في المرتبة الرابعة ماله سبب مثل تحية المسجد وسنة الوضوء وصلاة الاستخارة، ثم الخامس عامة النوافل والتطوعات، هذه إذا تداخلت اثنتان منها فإنه يقدم أو تدخل التي في مرتبة أدنى في الأعلى فإذا مثلاً نوى سنة الوضوء وصلى الراتبة فإنها تكفي عنها وإذا دخل المسجد يصلي تحية المسجد وهذا مما له سبب وصلى الراتبة فإنها تكفي عنه، فإذاً إذا اجتمعت الراتبة مع صلاة لها سبب فإن الصلاة التي لها سبب تدخل فيها حتى الاستخارة إذا أراد المرء أن يستخير فإن النبي ﷺ قال في حديث الاستخارة: ((إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: "اللهم إني أستخيرك بعلمك")) إلى آخر الحديث فقوله فليركع ركعتين هذا يشمل ركعتي الراتبة أو تحية المسجد أو خاصة بالاستخارة فإذا وجد ركعتين مما هو أعلى مثل ركعتي الفجر أو الرواتب عموماً فإنه تدخل هذه فتكون صلاة استخارة؛ لأن النبي ﷺ قال: ((فليركع ركعتين من غير الفريضة)) فإذاً هذا أصل عام يمكن أن تجيب به وأن تفهم به كثير من النظائر في هذه المسألة.

سؤال : في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ﴾ البعض يقول إن الله عز وجل قال وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ولم لم يقل وما

تدري نفس ماذا تعمل غداً؛ لأن الإنسان قد يعلم ماذا يعمل غداً فعلى هذا يقولون إن الكسب لا يعني العمل. فما هو القول الصحيح في تفسير هذه الآية؟

الجواب : هذه الآية كنظائرها ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً** ﴾ يعني ماذا تعمل في الغد فإن الكسب بمعنى العمل لكن عمل يتحصل منه على شيء وهو أجره سمي العمل الصالح في النص كسباً؛ لأنه كأنه شيء يكتسبه مثل التاجر قالوا كسب كذا يعني عمل وخرج له شيء من عمله، فلما كان العلم الصالح يؤجر عليه العبد سُمي في النص كسباً لا بمعنى الكسب عند المبتدعة فإن ذاك كما أوضحت لك في الدروس له معنى آخر ، نكتفي بهذا القدر .

المتن :

والعرش والكرسي حق وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الإحاطة خلقه .

الشرح :

قال –رحمه الله تعالى– (والعرش والكرسي حق) قدمت لك معنى قوله حق فيما سبق وأن معنى ذلك أن العرش والكرسي يؤمن به على ظاهره كما جاء في النصوص وأنه ليس بالباطل بل هو موجود كما وصف الله جل وعلا فهو حق ثابت لا مرية فيه.

قال هنا –رحمه الله تعالى– (والعرش والكرسي حق) سبب إدخاله هذه المسألة في العقائد هو أن أهل البدع خالفوا أهل السنة في تفسير العرش وفي تفسير الكرسي فلما كانوا مخالفين لما دل عليه الدليل وكان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان رضي الله عن الصحابة ومن تبعهم فإنهم قد خالفوا في أمر غيبي ومن خالف في أمر غيبي فقد خالف ما يجب معه عقد

الإيمان؛ لأن من سمة المؤمن بما أثنى الله جل وعلا عليه أن يؤمن بالغيب قال جل وعلا في الثناء على خاصة عبادة ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ﴾ فوصف المتقين بأخص صفاتهم وهي الإيمان بالغيب وهذه صفة أهل الإيمان جعل الله جل وعلا أهل الإيمان لا يرتابون في الكتاب وسبب ذلك أنهم يؤمنون بالغيب فمداره على التسليم لذلك فإن المخالفين للكتاب الذين عقدوا ألوية البدعة فإنهم تأولوا وحرفوا أكثر الأمور الغيبية كما سيأتي بيانه لهذا كان لإدخال الإيمان بالعرش والكرسي في هذه العقيدة المختصرة كان له مأخذه ولا شك أن الإيمان بالعرش والكرسي حق على ما جاء في ظاهر الأدلة دل قوله : (والعرش والكرسي حق) على أن معتقد أهل السنة والجماعة على أن العرش غير الكرسي فالعرش شيء والكرسي شيء آخر وكلاهما حق.

إذا تبين هذا كتقرير هذه الجملة فإن بحثها يمكن أن يكون في هذه المسائل.

المسألة الأولى:

إن العرش حق؛ لأن الله جل وعلا ذكره في كتابه في آيات كثيرة. فقال جل وعلا: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ ووصف عرشه جل وعلا بأنه عظيم فقال: ﴿ **رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ ووصف العرش بأنه مجيد، ووصف عرشه بأنه يحمل فقال سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ** ﴾ ووصف عرشه أيضاً بأنه يستوي عليه جل وعلا وأن عرشه جل جلاله موصوف بصفات العظمة التي فاق بها سائر العروش فإذاً العرش وصف بهذه الصفات، وجاءت السنة بمزيد في وصفه بأن العرش له قوائم تحمله الملائكة كما قال ﷺ: ((يصعق

الناس فأكون أول من يفيق فإذا بموسى باطش أو قال آخذ بقائمة من قوائم العرش)).

العرش إذاً مخلوق من مخلوقات الله جل وعلا العظيمة ومن عظمه أنه قال فيه ﷺ: ((مثل السماوات السبع في العرش كمثل حلقة ألقيت في فلاة ومثل الكرسي للعرش كذلك)) يعني كحلقة ألقيت في فلاة وهذا الحديث صححه وقواه جمع من أهل العلم، وروي من طرق كما ذكر الإمام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– والبحث يقتضي ذلك.

وصف العرش في النص جاء بأنه مجيد يعني أنه ذو سعة وأنه ذو جمال، وجاء بأنه عظيم يعني أنه أعظم من غيره وجاء في وصف العرش أنه كريم يعني أنه فاق جنس العروش والمخلوقات في البهاء والحسن والعظمة؛ لأن لفظ كريم في اللغة تعنى أنه فاق غيره في الأوصاف التي يحمد فيها فتقول العرب للإنسان الجواد الذي يبل الندى ويبذل الطعام أنه كريم داخل في قاعدة كبيرة في معنى كلمة كريم في لغة العرب لهذا من فاق غيره في الأوصاف فإنه كريم.

ومن أسماء الله جل وعلا الكريم الذي بلغ المنتهى في علو صفاته وحسن أسمائه بحيث لا يشابهه ولا يماثله شيء فيما وصف به جل جلاله، ووصف النبي ﷺ بأنه كريم لذلك بل وصف في القرآن أن النبات كريم؛ لأجل ذلك فقال سبحانه ﴿ **وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ يعني الأزواج التي تفوق غيرها وجنسها في النضرة والبهاء وما خلقه الله جل وعلا، فإذاً يقتضي وصف العرش بنص بأنه كريم ﴿ **رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ في الحديث يقتضي ذلك أن العرش من جنس العروش لكنه يعني أن له صفة العروش يعني أنه عرش على ظاهره لكنه فاقها في جميع الصفات التي توصف بها جميع العروش فإذاً هو عروش على الحقيقة ليس على المعنى، هو عرش على

الحقيقة وفاق جنس العروش، والله جل وعلا في القرآن ذكر العرش عرش المخلوقين، وعرش الملوك في آيات كثيرة فقال مثلاً في قصة يوسف -عليه السلام-: ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدَاً** ﴾ وقال سبحانه في وصف عرش بلقيس: ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾ وقال سبحانه ﴿ **نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا** ﴾ ونحو ذلك فإذاً العرش على معناه فيما جاء في الأدلة وهذا عرش الرحمن ووصف في الأدلة في الكتاب والسنة بهذه الأوصاف وأن العرش يحمل وأن له قوائم وأنه يدار حوله من الملائكة وأنه مقبب كالقبة فوق سماواته كما جاء في الحديث الذي في السنن، واعتمد ما دل عليه من جهة العرش أهل العلم فيما جاء عن الصحابة في تقوية ذلك بأن عرشه على سماواته هكذا وأشار بيديه مثل القبة فقال أهل العلم أن العرش مقبب وكونه مقبب لا يعني أنه أصغر كما يدل عليه النظر العقلي مثل تقبيب سطح الأرض على مستوى النصف فيها فإنه مقبب عليها وهو أعظم منها فكيف بالعرش؟

المسألة الثانية:

في معنى العرش، العرش في اللغة مأخوذ من الرفع والارتفاع كما قال جل وعلا في ذكر فرعون: ﴿ **وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ** ﴾ يعني يبنون ويرفعون من الأبنية، وقال جل وعلا: ﴿ **جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ** ﴾ المعروشات يعني التي جعل لها البناء الذي يسمى تعريش أو العريش ولأجل هذا الارتفاع والعلو سمي العرش عرشاً فكلمة عرش والتعريش ونحو ذلك مأخوذ أو أصلها الارتفاع ولهذا حتى في أكل اللحم إذا أراد أن يأخذ اللحم إلى فيه ويأكل منه بدون أن يقتطع منه يقال عرش اللحم؛ لأنه يرفعه فإذاً مادة العرش في اللغة ترجع إلى الارتفاع وهذا التحليل اللغوي المختصر يفيدك في الرد على المخالفين في مسألة العرش.

المسألة الثالثة:

إن العرش دلت الأدلة على هذا الوصف أما المخالفون فلهم في العرش أقوال:

القـول الأول: إن العـرش هـو فلـك مـن الأفـلاك وهـو نهايـة الأفـلاك مستدير حولها وهذا هو قول أهل الكلام المدون في كتبهم ويسمونه الفلك التاسع عندهم الأطلس يعني الذي ليس فيه خروق ولا نجوم، وقالوا وهو المسمى في الشريعة العرش لأجل علوه وارتفاعه على سائر الأفلاك وهذا على أصلهم؛ لأنهم جعلوا الأفلاك سبعة ثم الثامن ثم التاسع وهو الفلك الأطلس ولأجل علوه وارتفاعه جمعوا ما بين الشريعة والفلسفة فقالوا هو الفلك التاسع الذي تسميه الفلاسفة وأهل الهيئة يسمونه الفلك التاسع أو الأطلس هو العرش. وهذا القول يرد عليه بردود واضحات وهو أن فلكهم التاسع أطلس ولم يزعموا قبل الإسلام أنه هو العرش، والعرش في النصوص له صفة أخرى غير صفة الفلكية فوصف بأن له قوائم وأن الملائكة تحمله وأنه على السماوات على هذه الصفة وأنه مفضل على العروش إلى آخره، فدل على أنه ليس مفلك والفلك مسار من المسارات وكرة من الكرات التي تكتنف الأفلاك الأخرى فإذاً من جهة دلالة النص تبطل هذه الدلالة.

الثـاني: من الرد عليهم أن الدلالة العقلية أيضاً تبطل ذلك ودليله أن أهل الهيئة والفلاسفة لم يقدموا باتفاقهم برهاناً قطعياً على أنه ليس وراء الفلك التاسع شيء أو فلك وإنما قالوا هذا نهاية ما رأينا بوضع الخسوفات وتقدم هذا على هذا إلى آخره فرتبوها بحكم مشاهدة ولم يقولوا أنه ليس وراء الفلك التاسع فلك لكن على هذا رتبوا ولهذا لم يقولوا يعني البرهان القاطع، وإنما قالوا إن الفلك التاسع هذا هو آخر الأفلاك بحكم ما شهدنا ولكن قد يكون ثم شيء آخر وراءه، وهذا يخالف ما فهموه من كلمة العرش لأنهم أرادوا أن يجعلوا

صلة بين العرش وبين كلام الفلاسفة، والعرش هذا الذي ذكر في النصوص لا يوافق هذا المبدأ لأنه آخر المخلوقات والعرش أعظم المخلوقات وما تحته صغير بالنسبة إليه وليس دائرياً كما ذكروا فإذاً كلامهم من الجهة العقلية لما لم يأتوا ببرهان يدل على أنه ليس وراء الفلك التاسع شيء ببرهان قطعي عقلي، وإنما قالوا هذا الذي يظهر من جهة النظر فإن هذا يدل على أن تسمية الفلك التاسع بالعرش أنه ليس بصواب، وهذا واضح لكن لأنك قد تجده في بعض كتب التفسير فانتبه من ذلك.

القول الثاني: في العرش أن العرش هو عبارة عن الملك ولكن عبر عن الملك بالعرش لتلازمهما فكما أن لملوك الأرض عرشاً يجلسون عليه فإن الله جل وعلا جعل لنفسه عرشاً، وهذا العرش هو ملكه لكن من قبيل تعظيم الأمر وهذا القول أيضاً باطل ومردود؛ لأن الملك ملك الله جل وعلا لا يوصف بتلك الصفات في الشريعة فإن الملك لا يحمل والملك ليس له قوائم والملك ليس ثم ملائكة تدور حوله ونحو ذلك والملك لا يأتي يوم القيامة محمول ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾ إلى آخره. أيضاً الملك مرتفع معنى والعرش مرتفع حساً يعني من جهة دلالة اللغة وهذا فرق بيّن.

القول الثالث: أن حقيقة العرش هي الكرسي وأن الكرسي والعرش شيء واحد وأن الكرسي الذي وسع السماوات هو العرش، وهذا قول هنا هو قول في أقوال الكرسي يأتي بيانه إن شاء الله تعالى وهذا القول منسوب إلى الحسن البصري وهو قول ضعيف؛ لأن الله جل وعلا وصف العرش بصفات ليست هي صفات الكرسي ثم مادة العرش غير مادة الكرسي يعني من جهة الاشتقاق ثم الآثار عن السلف هذا الوجه الثالث – الآثار عن السلف متضافرة في أن العرش شيء والكرسي شيء آخر ولهذا عطف الطحاوي الكرسي على العرش فقال: (والعرش والكرسي حق) لأن العطف بالواو يقتضي المغايرة،

مغايرة الذوات بين الكرسي والعرش. وبالنسبة للعرش نذكر لكم كثيراً من مذهب الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم فإنهم في العرش مضطربون ليس لهم مذهب واضح منهم من ينحو منحا أهل الكلام ومنهم من يقول العرش مخلوق من مخلوقات الله لا نعرف حقيقة تكوينه ولا معنى الاستواء عليه ونحو ذلك، ومنهم من يقول إن العرش هو الملك ومنهم من يقول العرش تمثيل أصلاً ليس ثم عرش وليس ثم شيء ولكنه تقريب وتمثيل للأفهام.

أما الكرسي فإن الله جل وعلا ذكر الكرسي في آية واحدة في القرآن سميت بآية الكرسي لقوله جل وعلا فيها: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ وهذه الآية هي أعظم آية في كتاب الله قال ﷺ لأبي ((أي آية في كتابة الله أعظم؟)) فقال ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ** ﴾ فقال: ((ليهنك العلم)) ؛ لأن هذا يعني أنه فقه معنى هذه الآية لأنه لا يدرك كون هذه الآية أعظم ما في القرآن إلا أنه علم معناها ولا شك أن هذه تعني علماً عظيماً وفي السنة جاء بيان حجم الكرسي بالنسبة للسماوات؛ لأن السماوات السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض والكرسي بالنسبة إلى العرش مثل ذلك.

وجاء في أثر عن ابن عباس موقوف يصح عنه موقوفاً، وروي مرفوعاً ولا يصح مرفوعاً وهو قوله -رضي الله عنه-: "الكرسي موضع القدمين لله جل وعلا" وهذا يعني أن الكرسي مخلوق من مخلوقات الله عظيم جداً جعله بهذا العظم وأنه وسع السماوات والأرض وأكثر من ذلك فالسماوات صغيرة بالنسبة لكرسي الرحمن جل جلاله.

المسألة الرابعة:

أن كلمة كرسي من جهة اللغة مأخذة من الكَرْسي، والكَرْسي هو الجمع في اللغة ويقال للكُرْسي المعروف أنه كُرْسي لأجل أن أعواده تجمع على هيئة

ما؛ لأن الكرسي يختلف عن المقعد الآخر؛ بأن أعواد مجموعة ومنه سمي أيضاً العلماء كراسي لأجل أنهم جمعوا العلم لأجل معنى الجمع وأيضاً قيل للورق المجموع على نحو ما كراسة؛ لأنها أوراق جمعت فمادة الكرسي تعود إلى الجمع ويقال تكرسى فلان بالشيء إذا جمعه إلى صدره أو جمعه إليه فإن مادة الكرسي مأخوذة من الجمع وهذا يدل على أن كرسي الرحمن جل جلاله وتقدست أسماؤه له من الصفات العظيم ما يختلف به عن صفة العرش؛ لأن الله جل وعلا سمى العرش عرشاً وهذه لها دلالتها في اللغة وسمى الكرسي كرسياً وهذه لها دلالتها في اللغة.

المسألة الخامسة:

في الأقوال في الكرسي، الناس لهم أقوال في الكرسي أربعة أقوال يعني غير أهل السنة:

أما القول الأول: فهو قول الحسن وهو أن الكرسي هو العرش وهذا قول ضعيف والآثار ترده كما ذكرت لك.

القول الثاني: أن الكرسي لما ذكر في آية واحدة هي آية الكرسي في سورة البقر أنه تمثيل وأنه ليس، ثم حقيقة للكرسي ولكن هو تمثيل لتقريب عظمة الله جل وعلا، وهذا هو قول الذين ينفون كثيراً من الصفات التي تدل على عظمة الله وقدرته كقوله ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ ونحو ذلك، فيقولون إن هذا كله تخييل بل قالوا إن كل نص جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل فإنه من أجل التخييل لا تقصد حقائقه وإنما المقصود تعظيم الناس لله جل وعلا وإلا فهذه ليست على حقائقها، وهذا القول معروف من أقوال المعتزلة وطائفة من الأشاعرة ومن المعاصرين قرره في تفسيره سيد قطب في ظلال القرآن وجعله قاعدة كلية في

آخر سورة الزمر عند قوله تعالى: ﴿ **قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ .

الشريط الرابع والعشرين الوجه (ب)

في الحقيقة أن القول بأن هذا كله على جهة التخييل إلغاء لكل الدلالات الشرعية للألفاظ وإلغاء لكل الغيبيات؛ لأنه يكون المقصود في كل هذا التمثيل وهذا القول قدمه الزمخشري في الكشاف وكأنه يميل إليه على قاعدتهم في أن كل النصوص من هذا الباب على وجه التوهم والتخييل، وهذا القول كما ذكرت لك غلط عظيم؛ لأن معناه نفي كل الأمور الغيبية هذه على هذه القاعدة فما كان من الأمور الغيبية يدل على عظمة الله وكان فيها تمثيل بأشياء موجودة عند البشر فتنفى ويكون المقصود والتمثيل لا الحقيقة.

القول الثالث: أن الكرسي هو العلم فكرسي الرحمن جل وعلا هو علمه وقوله ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ يعني وسع علمه السماوات والأرض وهذا القول مروي عن ابن عباس ولكن الصحيح عن ابن عباس خلاف هذا القول ويرد على هذا القول بأمور الأول منها أن مادة الكرسي للجمع والعلم شيء آخر، هذا من جهة اللغة، والثاني أن الله جل وعلا ذكر أن الكرسي وسع السماوات والأرض ولكن علمه جل وعلا وسع كل شيء قال سبحانه: ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ وعلم الله جل وعلا يشمل علمه بذاته جل وعلا بأسمائه وصفاته وأفعاله وعلمه جل وعلا الذي يسع السماوات والأرض وعلمه جل وعلا الذي يسع الجنة والنار وعلمه جل وعلا بعد تغيير السماوات والأرض وقبل خلق السماوات والأرض .

فإذاً تفسير الكرسي بأنه العلم هذا يضاد أن العلم يسع كل شيء ﴿ **وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً** ﴾، وأما كرسي الرحمن جل وعلا فقال: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾.

الجواب الثالث: إن قولهم إن الكرسي هو العلم وإن مادة التكرس هي راجعة للعلم والعلماء سموا كراس لأجل العلم ونحو ذلك من الاحتجاجات واحتجاجهم بقول الشاعر يصف قنصه لفريسته قال (فلما احتازها تَكَرَس) قالوا يعني علم فهذا من الجهة اللغوية فيه ضعف وذلك أن العلم ليس راجعاً إلى الجمع، والعلماء صحيح أنهم جمعوا علومهم لكن العلم من حيث هو يحصل بتلقي المعلوم ثم العلم به والمعرفة به، فليس كل علم ناتجاً عن جمع بل يكون ناتجاً عن تصور الخبر فيكون معلوماً له وهذا هو المقرر في اللغة وعند أهل نظرية المعرفة فإن المرء يعلم بدون جمع والله جل وعلا وصف الصغير بقوله: ﴿ **وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ** ﴾، فكلما علم الصغير شيئاً صار عالماً به ولو لم يجمعه إلى غيره فمادة الجمع غير مادة العلم، مادة الكرسي غير مادة العلم، والعلم ما صار علماً للجمع وإن كان العلماء سموا كراس لأجل جمعهم العلم .

فإذاً راجع تفسير كلمة التكرس إلى كلمة الجمع واحتجاجهم بقول الشاعر كما ساقه ابن جرير الطبري في تفسيره (فلما احتازها تَكَرَس) يدل على أن التكرس بمعنى الجمع لا بمعنى العلم؛ لأنه قال فلما احتازها يعني صارت في حوزته تكرس وهو علم بأنه قنصها لما صارت في حوزته يكون تكرسه شيئاً جديداً زائداً على ما حصل له من الحيازة، فالحيازة بها علم وزاد على الحيازة أن ضمها وجمعها إليه .

إذاً من حيث اللغة فإن دلالة التكرس على العلم دلالة ضعيفة بل الصواب أن التكرس ومادة كرس راجعة إلى الجمع في اشتقاقاتها جميعاً.

القول الرابع: أن الكرسي عبارة عن الملك، وقالوا إذا قيل أن كرسي الملك واسع فهذا يدل على سعة ملكه وعلى علو شأنه وقوته فيقولون الله جل وعلا قال: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ يعني أن سلطانه وملكه وسع السماوات والأرض، وهذا ليس بجيد أيضاً؛ لأن الكرسي من جهة دلالة اللغة غير دلالته على الملك، والثاني أن الكرسي موصوف في السنة وفي آثار السلف بأنه غير الملك فدل ذلك على أن تفسيره بالملك تفسير حادث والتفسير الحادث بعد زمن الصحابة رضوان الله عليهم لا يصار إليه في تفسير القرآن.

هذه بعض المباحث المتعلقة بقوله والعرش والكرسي حق، وثم مباحث زائدة يعني قد تدخل في مباحث الكلام المذموم والذي يهمنا هو تقرير ما دل عليه الكتاب والسنة وما يجب اعتقاده من أن العرش والكرسي حق والعرش موصوف بتلك الصفات والكرسي موصوف بتلك الصفات، وأن الأقوال الباطلة في العرش والكرسي متعددة والجواب عليها وأسأله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد.

المسألة السادسة:

وهي أثر الإيمان بالعرش والكرسي فالمؤمن إذا آمن بأن عرش الله جل وعلا حق وأن هذه التي ذكرت هي صفة العرش وأن عرش الله عظيم جداً وأنه مجيد وأنه كريم وأن النبي ﷺ حدث عن أحد حملة العرش بأن مسيرة ما بين عاتقه إلى شحمة إذنه مسيرة خمسمائة عام، وأن السماوات بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وأن الكرسي بالنسبة إلى العرش كذلك، وأن الكرسي موضع قدمي الرحمن جل وعلا، فلا شك أن هذا يؤول بالمؤمن الحق إلى اعتقاده عظمة الله جل وعلا وإلى أن الله سبحانه تتناهى

المخلوقات عنده في الصغر وأنه جل وعلا كما وصف نفسه بقوله: ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ وجاء في الأثر في تفسير ذلك أنه يرمى بها يوم القيامة كما يرمى الصغير بالكرة، ويقول أنا الله الواحد أنا الملك إلى آخره، فمعرفة صفة الكرسي وصفة العرش ويبتدئ المرء من نفسه التي يعظمها وكيف هو على هذه الأرض العظيمة جداً وهو صغير جداً جداً على هذه الأرض حتى أن المدن الكبار إذا صعدت في الطائرة تراها صغيرة جداً وهي تحوي ملايين الناس، فكيف بالفرد والأرض هذه بالنسبة للسماوات صغيرة والسماوات السبع على سعتها وعظم ما فيها من الأفلاك والنجوم والسيارات بالنسبة إلى الكرسي صغيرة كحلقة ملقاة في فلاة في الأرض، والكرسي بالنسبة إلى العرش كذلك والله جل وعلا فوق العرش مستغن عن العرش وكل شيء محتاج إليه، والله سبحانه محيط بكل شيء إحاطة سعة وقدرة وذات وشمول جل جلاله وتقدست أسماؤه، فإن المرء ولا شك يصيبه بل يحصل له في قلبه نوع عظيم من الذل لله جل وعلا ونوع من الذل عظيم من احتقار النفس ومعرفة قدر الإنسان كيف هو وأنه شرف أعظم تشريف أن جعله الله جل وعلا عبداً له سبحانه فلهذا ينظر المرء إلى عظم المخلوقات هذه ويؤمن بها فيعظم الله جل وعلا.

حقيقة الإيمان بأسماء الله جل وعلا وبصفاته يثمر ثمرات عملية في القلب من وجل القلوب، ومن إجلال الله جل وعلا وحب القلوب لجمال الله جل وعلا، وأنواع ما يحدث في القلب من الإيمان ومدارج الإيمان التي تتصل بالإيمان بالأسماء والصفات كذلك الإيمان بالجنة والنار كذلك الإيمان بالعرش والكرسي لمن تأمله، فإنه يجعل القلب خاضعاً لربنا جل جلاله ويجعل القلب مخبتاً منيباً لله جل وعلا، فإن غفل جاءه تعظيمه وإيمانه وعقيدته بالإنابة السريعة والاستغفار الحق. إذاً حين نبحث هذه المباحث في لعقيدة ليست كما

يبحثها أهل الكلام المذموم في كونها أشياء لا ثمرة لها في الإيمان والعمل الصالح وتعبد المرء لله جل وعلا فإن كل شيء وصفه الله جل وعلا لنا من الأمور الغيبية لم يقصد إيماننا به واعتقادنا له من جهة الوجود دون جهة الإيمان وما يثمر منه بل قصد الإيمان به يعني بوجوده وأثر الإيمان الذي يحدثه في النفس؛ لأن المقصود إصلاح القلوب لله جل وعلا وأنت سمعت قول أولئك من المعتزلة وطوائف من المبتدعة أن هذه الأشياء تمثيل لأجل إصلاح الناس وإيمانهم بعظمة الله جل وعلا والواقع أننا إذا قلنا بما جاء في الأدلة من الكتاب والسنة فإنها في تحصيل الإيمان وفي إحداث الإيمان في النفوس وفي تقوية الإيمان أعظم من أن تكون للتمثيل؛ لأن ذكرها على الحقيقة وعلى هذه الصفات يجعل المرء على الحقيقة يتصور كيف هذه المخلوقات جميعاً والأرض هذه الكبيرة وما فيها ثم السماوات ثم الكرسي بعد ذلك ثم العرش، ثم الملائكة الحافين من حول العرش لا شك يحدث له أنواع من الإيمان والوجل والخوف وحب الله جل وعلا وتعظيمه والإنابة إليه وهذا لا شك كله من المقاصد الشرعية.

فإذاً الإيمان بهذه يحتاج إلى تأمل وتدبر في أن تعمل في قلبك هذه الأشياء وتتذكر عظمة الله جل وعلا، عسى الله جل وعلا أن يجعلني وإياك من الناجين. اللهم اغفر لنا جمّا، اللهم اغفر لنا جمّا، اللهم اغفر لنا جمّا، وعلمنا من نعوت جلالك وأوصاف ذاتك ومخلوقاتك ما يعظم به إيماننا وتزكوا به عقيدتنا، اللهم فأجب وأنت سمع قريب وأنت أرحم الراحمين.

وفي هذا القدر كفاية عسى الله . جل وعلا . أن يرحمنا برحمته وأن يجعلنا من المنيبين إليه المتقين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

الشريط الخامس والعشرين . الوجه (أ) ٢٨/ ٥/ ١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لمجده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه وخليله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد....:

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح. وأن يجعلنا من حملة العلم ومحصليه الذين نفعهم العلم، فحازوه وبثوه وعلموه وجاهدوا فيه، كما أسأله سبحانه أن يقيني وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن. وأن يجعلنا من المقيمين للحق المستقيمين عليه. على نهج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم. وهذه فاتحة الدروس في هذه السنة الدراسية لشرح العقيدة الطحاوية.

ولا شك أن الجميع ممن يهتمون بعلم التوحيد والعقيدة؛ لأنه أساس العلوم ولأن العلم به يُحتاج إليه في كل علم آخر، فإذا اطلعت على كتب التفسير تحتاج إلى التوحيد والعقيدة لمعرفة الصحيح من غيره فيما ورثناه من أقوال المفسرين. وكذلك في شرح الأحاديث سواءٌ في الشروح المتقدمة أم في الشروح المتأخرة لكتب الحديث من الصحيحين وغيرها. تحتاج إلى علم العقيدة لتميز أقوال السلف من أقوال غيرهم في شرح سنة النبي ﷺ، وكذلك أيضاً في الفقه وفي الأصول وفي جميع العلوم الأصلية والمساندة تحتاج فيها إلى علم العقيدة. فالتبحر فيه يقي المرء من الزلل في فهم كلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ.

وثانياً: أن العلم الصحيح بالتوحيد والعقيدة يصح معه العمل ويبارك الله جل وعلا به العمل وإن قل. وكلنا في هذا الزمن إلا من شاء الله قليل عمله كثير ذنبه. ونسأل الله جل وعلا لنا جميعاً العفو والعافية والمغفرة لنا ولإخواننا ولأحبابنا، فصلاح القلب واستقامته هي الأصل في قبول الأعمال.

فإذا صلح القلب صلح الجسد كله. كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في قوله: ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)).

وقال أبوهريرة –رضي الله عنه–: "القلب ملك والأعضاء والجوارح جنوده فإن استقام الملك استقامت جنوده وإن زل الملك زلّت جنوده" وقوله عليه الصلاة والسلام أرفع وأعظم وأدل على المراد: ((إذا صلح القلب صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله))، وليس الجوارح فحسب وإنما الجسد بأجمعه، لهذا أوصيكم جميعاً من حضر معنا ومن ابتدأ الحضور إلى الاهتمام بالتوحيد والعقيدة دراسةً وتأملاً وحفظاً لأدلتها ووضوحاً لمسائلها، لأنك تحتاج إليها في كل حال، فالأمور الغيبية ليست مبنية على العقل، ولا تدرك بالقياس ولا تدرك بالتفكير ولا تدرك أيضاً بمطالعة بعض فيلحق ما لم يقرأ بما قرأ. وإنما لابد فيها من المعرفة التفصيلية لطالب العلم –نبتدئ الدرس ونتركها إلى أن تجتمع الأسئلة إنشاء الله تعالى– كان العادة أننا نقدم بمقدمة في الدروس المنهجية في فاتحة الفصل لكن لمّا تأخرنا وسبقه محاضرة الأسبوع الماضي بعنوان (من ثمرات العلم) فيمكن أن تجعل مقدمة لهذه الدروس.

المتن :

وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه. ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليماً. إيماناً وتصديقاً وتسليماً.

الشرح :

قال العلامة الطحاوي في هذه النبذة المختصرة في وصف الله جل وعلا قال: (وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه) يريد بهذا الكلام أنه لما أثبت عرش الرحمن جل

وعلا وأثبت الكرسي على ما جاء في النصوص وما في ذلك من الاستواء على العرش كما يليق بجلال الله جل وعلا. بين أن خلق العرش واستواء الرب جل وعلا على العرش كما يليق بجلاله وعظمته ليس لحاجةٍ من الله جل وعلا لما خلق للعرش ولكن الله جل وعلا هو الغني سبحانه وتعالى، وهو مستغن عن جميع مخلوقاته بل العرش وما دونه مفتقر إلى الربّ جل وعلا. إذ ربنا جل وعلا به تقوم الأشياء. فلا أحد يقوم ولا شيء يقوم إلا بالربّ جل جلاله والعرش من ذلك فإنه مفتقر في قيامه وفي استمراريته وفيما عليه شأنه مفتقر إلى الرب جل جلاله، فالله سبحانه هو الذي يحفظه وهو الذي بقدرته يحمله جل وعلا إلى غير ذلك .

فإذاً: استواء الربّ جل جلاله على العرش ليس استواءً كماً يظنه الجهلة وأهل البدع لما نفوا الاستواء. أنه أن ذلك يقتضي الحاجة إليه. لا وكلا. بل هذا فعل فعله الله جل وعلا وصفة اتصف الله جل وعلا بها، والله سبحانه يتصف بم يشاء جل جلاله وتقدست أسمائه. والعرش شرّف وعظُم بأن الله جل وعلا جعله مكاناً لاستوائه عليه سبحانه وتعالى؛ لأجل مخالفة المخالفين، قال ولأجل الرد على جهالة الجاهلين قال الطحاوي هنا: (وهو مستغن عن العرش) يعني أن الله جل وعلا موصوف بالغنى المطلق من كل وجه كما وصف بذلك نفسه في القرآن. وهو مستغن عن أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات وفوق المخلوقات وهو العرش، فاستغنائه جل وعلا عما دون ذلك الخلق العظيم وهو العرش، لا شك أنه من باب أولى فقال –رحمه الله – في وصف الله : (وهو مستغن عن العرش وما دونه وذلك لكمال غنى الرب جل وعلا، وكمال جلاله وكمال قدرته سبحانه وكمال قهره ولعلوّ ذاته سبحانه وتعالى وأنه الحيُّ القيوم) القيوم : يعني أن كل شيء إنما قيامه بالله جل وعلا، فأي شيء في هذه الدنيا بل أي شيء من مخلوقات الله جل وعلا لو

تخلى ربنا جل وعلا عنه لباد ولهلك ولما استقام له شأن ولهذا كان من دعاء أعرف الخلق بربه وأعلم الخلق بربه عليه الصلاة والسلام كان من دعائه لربه أن يقول: ((ولا تكلني لنفسي طرفة عين)) وهذا فيه التخلي عن كل حول وقوة وعن أن يوكل العبد إلى نفسه طرفة عين. فإذاً كل الخلق قيامهم بالله جل وعلا، وكل الخلق فقراء إلى الله جل وعلا ومن ذلك العرش والرب سبحانه هو الغني الحميد المستغن عن كل ما عداه والمفتقر إليه كل شيء سبحانه وتعالى.

قال: (محيط بكل شيء وفوقه) يعني أن الرب سبحانه وتعالى موصوف بإحاطته بكل شيء، وأنه سبحانه فوق كل شيء، وهذه الإحاطة يأتي بيانها بالتفصيل ومعناها: أن الرب جل وعلا محيط بصفاته بكل شيء بعظمته جل وعلا وبقدرته وبعلمه فهو سبحانه بكل شيء محيط.

قال :(وفوقه) يعني أن الله جل وعلا موصوف بالعلو المطلق علو الذات والفوقية المطلقة فوقية الذات له سبحانه وكذلك علو وفوقية الصفات.

قال بعدها: (وقد أعجز جل وعلا عن الإحاطة خلقه) يعني أن الله جل جلاله لعظم قدرته ولكماله في غناه لا أحد ولا شيء يحيط به كما قال جل وعلا: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ وقال جل وعلا لموسى: ﴿ **لَن تَرَانِي** ﴾ وفي آية الأعراف ﴿ **قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾ فإحاطة الرؤيا بالله جل وعلا ممتنعة وإحاطة العلم بالله جل وعلا ممتنعة، وإحاطة القدرة لله جل وعلا ممتنعة، فالعباد إذاً مهما بلغ شأنهم فيما أعطاهم الله من القوة فإنهم أحقر وأضعف وأذل لله جل وعلا من أن يحيطون به جل وعلا علماً أو يحيطون به جل وعلا وصفاً، أو يحيطون به جل وعلا قدرة إلى آخر ذلك بل هو سبحانه المتصف بصفات الكمال وهذا من الطحاوي –رحمه الله تعالى– تقرير لعقيدة عظيمة من عقائد

أهل السنة والجماعة مخالفة للمعتزلة والخوارج والرافضة والأشاعرة وطوائف كثيرة من الصفاتية ومن غيرهم، وفي هذه الجملة مسائل لبسط الكلام عليها.

المسألة الأولى:

قوله (وهو مستغن عن العرش) : مستغن من الغنى وهو عدم الحاجة، والله جل وعلا سمّى نفسه بالغني كما في قوله سبحانه: ﴿ و**هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ ، وفي قوله : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ وفي قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ وفي قوله أيضاً جل وعلا: ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً** ﴾ ونحو ذلك من الآيات. فهو سبحانه موصوف بالغنى، ومن أسمائه الغني، ومعنى هذا الاسم الذي هو من أسماء الجلال لله جل وعلا، ومن أسماء الجمال لله جل وعلا معنى هذا الاسم أنه سبحانه الذي يحتاج إليه كل شيء، وهو المستغني عن كل شيء وهذا الغنى غنى في القهر، فإن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى معين ليقهر من شاء، ويذل من شاء. كما أنه غناً في الملك فالله سبحانه غنيٌ عن أن يعينه أحد في تدبير ملكه ولكن يشرف من شاء من عباده ببعض ما يقومون به من عمل في ملكوت الله جل وعلا، كما يشرف الملائكة وبعض عباده الصالحين، وغناه أيضاً جل وعلا غناً لكمال قدرته سبحانه وتعالى، ومن هذا الأخير غناه عن العرش فهو سبحانه لكمال قدرته واستغنائه بقدرته عن أحد من خلقه فإنه مستغن عن العرش، فإذاً عموم غناه جل وعلا وإطلاق غناه جل وعلا، وأن الخلق جميعاً فقراء إليه سبحانه وتعالى هذا يشمل هذه المعاني جميعاً.

المسألة الثانية:

استغنائه جل وعلا عن العرش وما دونه يقتضي أن العرش وما دونه محتاج إليه ومفتقر إلى الرب سبحانه وتعالى، وهذا له جهتان:

الجهة الأولى: أن العرش وما دونه مفتقر لله جل وعلا؛ لأنه لا قوامة له ولا قيام له بنفسه فهو محمول له قوائم كما مر معنا في وصفه وهو محمول والذي يحمله خلق سخرهم الله جل وعلا لحمله وأَقْدرهم على ذلك فقدرتهم في حمل العرش واستقراره وفي بقائه وقيامه إنما هو بقدرة الله جل وعلا، فهذا نوع من الحاجة.

الجهة الثانية: من افتقار العرش وما دونه إلى الله جل وعلا: أن كل شيء عبد لله جل وعلا، ومن ذلك العرش، فالعرش من مخلوقات الله التي تعبده وتسبحه وتذل له جل وعلا، وكذلك حملة العرش وكذلك من في السماوات ومن في الأرض وكذلك ما في السماوات وما في الأرض، وقد قال جل وعلا: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ اتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً** ﴾ وقال أيضاً: ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ فقوله: ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ** ﴾ هذه نكرة جاءت في سياق النفي بإن؛ يعني إن هنا بمعنى ما، وإلا بعدها حاصرة أو قاصرة، فيكون المعنى: ما من شيء إلا يسبح بحمده، والعرش شيء وتسبيحه لله جل وعلا نوع من الذل والعبودية له سبحانه وتعالى، والعبودية والذل معناً من معاني الافتقار إلى الرب جل جلاله وتقدست أسمائه.

وفي هذا تنبيه للعبد للعباد بعامة أن هذا المخلوق العظيم الذي الكرسي بالنسبة إليه كالحلقة الملقاة في فلاة من الأرض، والكرسي السماوات السبع بالنسبة إليه كما جاء في كلام أهل السلف كدراهم سبعة ألقيت في ترس أو كحلقات ألقيت في ترس والأرض صغيرة بالنسبة للسماوات، فإن هذا يعني أنك أيها العبد أيها الإنسان المخلوق الضعيف الذي تعرف ضعفك تنظر إلى العرش الذي هو مفتقر إلى الله جل وعلا مسبح ذالٌّ منيب إلى ربه جل وعلا كيف أنه لا يستغني عن مولاه، وكيف أنه يسبح ويحمد ويذل لله جل وعلا،

فهذا المخلوق الضعيف جداً الذي هو الإنسان وابتلي بالتكليف لا شك أنه أولى بالذل لله؛ لأنه ضعيف جداً ومفتقر للغاية.

فإذاً النظر إلى العرش وفقر العرش إلى الله جل وعلا، وأن قوامة العرش على عظمه وعظم خلق السماوات وقلة أو ضعف نسبة خلق السماوات إلى العرش جداً، كيف الإنسان ينظر إلى نفسه لا شك أنه يستفيد من هذا في قلبه وعمله أنه أولى بالافتقار إلى الله وأولى بالذل إلى الله وأولى بالعبودية لله جل جلاله وتقدست أسمائه، وهذا من ثمرات التفكر الشرعي والنظر في ملكوت السماوات والأرض، والنظر أيضاً فيما ذكر الله جل وعلا في كتابه من أنواع خلقه التي لم نرى، ومنها عرشه جل جلاله وتقدست أسمائه.

المسألة الثالثة:

قول المؤلف هنا في وصف الربّ جل وعلا : (محيط بكل شيء وفوقه) محيط هذا الوصف الإحاطة قد جاء وصف الله جل وعلا به في القرآن في عدة آيات كما في قوله سبحانه في آخر سورة فصلت ﴿ **أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُ** ﴾ وكذلك في قوله: ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً** ﴾ وكذلك في قوله جل وعلا: ﴿ **وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِمْ مُّحِيطٌ** ﴾ ونحو ذلك، والإحاطة في اللغة: هي الإتيان للشيء من جميع جهاته يعني من جميع الجوانب يكون مطوقاً، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** ﴾ يعني جاءهم من كل جهة، وتفسير إحاطة الله جل وعلا بكل شيء.

السلف والمفسرون منهم من يمضي وهم الأكثر عن الدخول في هذا الوصف، وصف الإحاطة. إحاطة الله جل وعلا بكل شيء وكأنهم هربوا من أن يظن أن الإحاطة إحاطة ذات كإحاطة الفَلَك بما فيه وإحاطة السماوات بالأرض ونحو ذلك. ولا شك أن معنى إحاطة الذات ليس مراداً، فإن الله جل

وعلا فوق مخلوقاته والمخلوقات صغيرة بالنسبة لذات الله جل وعلا وجلاله سبحانه ولهذا أعرضوا عن الخوض في تفسيرها. وفسرها طائفة من العلماء تفسير يوافق ما قاله السلف وما يعتقده أئمة أهل السنة في ذلك. بقولهم إن الإحاطة أنواع:

إحاطة بمعنى أنها إحاطة عظمة لله جل وعلا، بمعنى أنها إحاطة سعة، فالله سبحانه وصف كرسيه بأنه وسع السماوات والأرض ووصف نفسه جل وعلا بأنه واسع سبحانه وتعالى **(الذي وسع كل شيء)** وإحاطة بمعنى أنها إحاطة صفات. إحاطة علم، إحاطة قدرة، إحاطة قهر، إحاطة ملك، إلى غير ذلك.

فهذه كلها من معاني إحاطة الرب جل وعلا بعباده، ولهذا أين المفر فكل أحد يُفَر منه إلى غيره ولكن الله جل وعلا لإحاطته بخلقه وإحاطته بجميع ملكوته سبحانه وتعالى إحاطة عظمة وسعة وقدرة وعلم إلى غير ذلك. فإنه سبحانه إذا فررت منه فإنك لن تجد إلا أن تفر إليه سبحانه وتعالى: ﴿ **فَفِرُّواْ إِلَى اللَّهِ** ﴾ ويقول القائل يوم القيامة أين المفر. لا مفر من الله إلا إليه، وهذا إذا نظر إليه العبد مع التفكر وجد نفسه تتصاغر جداً أمام ربه جل وعلا، فيعظم الإيمان في قلبه ويعظم اليقين ويعظم توكله على الله فيأنس بالله جل وعلا. وبما جاء من الله جل وعلا. حتى يصير راضياً بكل ما جاء من الله جل وعلا ذالاً لربه سبحانه وتعالى، وكلمة شيء في قوله: (بكل شيء) ذكرنا لكم أنها تفسر بأن الشيء ما يصح أن يُعلم أو يؤول إلى أن يُعلم ، والله سبحانه وتعالى إحاطته بالأشياء منها كما ذكرنا إحاطة علم، وإحاطة قدرة. فهو سبحانه وتعالى عالم بكل شيء قدير على كل شيء، فإذاً كلمة كل شيء هنا هذا لأجل ما جاء في الآيات أن الله كان بكل شيء، وكان الله بكل شيء محيطاً، ونحو ذلك لأجل ما جاء في الدليل.

المسألة الرابعة:

وهي أعظم المسائل وأجلها في كلام الطحاوي هذا وهي قوله في وصف الله جل وعلا: (محيط بكل شيء وفوقه) كما ذكرت لك أن الإحاطة قد يتبادر إلى بعض الأذهان أنها إحاطة ذات بمعنى أن الأشياء جميعاً الله سبحانه بذاته محيط بها من كل جهة، وهذه قد نفاها العلماء ولم يجعلوها تفسيراً للإحاطة. لهذا قال بعدها (وفوقه) يعني أنه مع إحاطته بكل شيء فهو فوق جميع الأشياء، والفوقية هنا هي المسألة المشهورة العظيمة في هذه الأمة وهي مسألة علو الله جل وعلا على خلقه، وفوقية الرب جل وعلا على خلقه، والفوقية بمعنى العلو، فالآيات التي فيها تفسير الفوقية فيها ذكر الفوقية تفسر بالعلو والآيات التي فيها العلو تفسر بالفوقية. ففوقية الرب جل وعلا هي علوه سبحانه على جميع خلقه.

المسألة الأولى:

أن العلو والفوقية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. علو الذات. ٢. علو القهر. ٣. وعلو القدر والشرف.

وكذلك الفوقية

١.فوقية الذات.فوقية القهر. ٢.وفوقية القدر والشرف، وبعض أهل العلم يقسمها إلى قسمين:

١- إلى فوقيه الذات ٢- وإلى فوقية الصفات.

علو الذات وعلو صفات. والأول هو الأكثر في تفسير أهل العلم الذين دوّنوا شرح عقائد أهل السنة والجماعة. ومعنى علو الذات وفوقية الذات أن الله جل وعلا فوق جميع الأشياء. وأنه الأعلى سبحانه وهذا هو الذي فسره به عليه الصلاة والسلام. فسر الآية وهي آية سورة الحديد: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾ فسر الظاهر فقال : وأنت الظاهر فليس فوقك شيء.

سبحانه وتعالى. وفوقية القهر وعلو القهر يعني أنه سبحانه وتعالى لا يغلب ولا يرام جنابه بل هو سبحانه وتعالى هو الذي يقهر من عداه يملي ويستدرج ويقهر ويأخذ على غرّة ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ فهو سبحانه عالٍ علو القهر وهو فوق خلقه فوقية قهر وجبروت وعظمة للمولى جل جلاله، والثالث علو فوقية القدر. وهذا المعنى هو الذي يثبته المبتدعة من العلو. فلا ينازعون في علو القهر والقدر والشرف. فيقولون معنى الله فوق خلقه كقول القائل: الملك فوق شعبه أو الأمير فوق رعيته، يعني من جهة قدره وكقولهم : العالم فوق عامة الناس من جهة القدر، وكقول القائل: الذهب فوق الحديد يعني من جهة المنزلة والقدر. وهذا تفسير ناقص كما سيأتي في هذه المسائل إن شاء الله تعالى:

المسألة الثانية:

دخل بعضها في بعض ما يخالف لأنها جميعاً متعلقة بالفوقية – العلو والفوقية لله جل وعلا ثابت بدليل القرآن والسنة والعقل والفطرة. بل قال بعض العلماء: إن في القرآن والسنة ألف دليل لإثبات علو الله جل وعلا بذاته وفوقيته بذاته على خلقه وهذا يعني أن أمر العلو ومسألة العلو والفوقية من المسائل المتواترة العظيمة التي دلالتها صريحة بل دلالتها نصّيه فدلالتها إذاً قطعية ولهذا دخل عدد من أهل العلم بل صرح عدد من أهل العلم بتكفير من أنكر علو الله جل وعلا على خلقه لأجل عظم الأدلة في هذا كما سيأتي بيانه إنشاء الله تعالى. الأدلة التي دلت على علو الله جل وعلا على خلقه وعلى أنه سبحانه فوقهم بذاته وصفاته كثيرة جداً. لهذا ابن القيم جعلها أنواع لأجل كثرتها جعلها ثمانية عشر نوعاً. كل نوع تحته جملة من الأدلة في الكتاب والسنة، ونذكر بعضاً منها. وترجعون إلى الباقي. من ذلك أن الله جل وعلا

صرح سبحانه نصاً على أنه فوق عباده. في قوله في سورة الأنعام: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ وهو القاهر فوق عباده.

والنوع الثاني: أنه جاء التصريح بمن قبل الفوقية في قوله سبحانه في سورة النحل: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ ومن مقتضيات اللغة أن مجيء من قبل الظرف فوق تدل بظهور على أن الفوقية فوقية ذات؛ لأن فوقية الصفة أو القهر أو القدر لا يؤتى فيها بمن لا يقال الذهب من فوق الحديد ويعنى به في صفاته أو الملك من فوق الرعية، ويعنى بها من الصفات إذا أوتي بمن في اللغة قبل الظرف فوق فإنها تدل على فوقية المكان أو فوقية الذات لله جل وعلا يعني فوقية الذات لأي شيء، وفي الآية فوقية الذات لله جل وعلا. فإذاً قوله سبحانه لما وصف الملائكة بأنهم يسكنون السماء وأنهم يسبحون. قال ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ** ﴾ يعني الذي هو فوقهم بذاته جل جلاله وتقدست أسمائه.

النوع الثالث: أنه سبحانه ذكر أن الملائكة تعرج إليه فقال سبحانه: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ عروج الملائكة يعني صعودها عروج الملائكة يعني ارتقائها إلى أعلى وإلى فوق وهذا يدل على فوقية الذات لله جل وعلا.

النوع الرابع: أنه سبحانه ذكر ونص على أن العمل الصالح يصعد إلى الرب جل وعلا. والأعمال الصالحة ترتفع إليه سبحانه وتعالى كما جاء في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ قوله إليه يصعد يعني لا إلى غيره؛ لأنه سبحانه هو المتفرد بعلو الذات على خلقه جميعاً.

الخامس من الأنواع: أن الله سبحانه ذكر أنه اختص بعض عباده بأن جعلهم عنده ومن ذلك الملائكة. فالملائكة في السماء ولكن هم متنوعون

أيضاً في سكناهم للسماء فجعل جل وعلا بعضهم مختص بأنه عنده سبحانه. وهذه العندية هي عندية علو وفوقية كما في قوله سبحانه: ﴿**الذين عند ربك لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ** ﴾ ونحو ذلك من الآيات. فالعندية عندية الملائكة يعني كون الملائكة عند الله والذين عند ربك يقتضي أنه سبحانه شرفهم وخصهم بشيء وهو أنهم عنده يعني في علاه جل وعلا. وكذلك ما وصف الله جل وعلا به الشهداء في قوله: ﴿ * **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ أحياء عند ربهم هم بين الخلق جسداً ولكنهم عند ربهم روحاً يعني في العُلى تكريماً لهم وتعظيماً لأجرهم وثوابهم.

النوع السادس: وهذه كلها ذكرها ابن القيم تحفظونها؛ لأنها نافعة في الحجاج ومجادلة من ينكرون علو الله جل وعلا. ما ذكر الله جل وعلا من تنزيله للكتاب من عنده. كقوله: ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ وكقوله: ﴿ **تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ وكقوله: ﴿ **تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ وكقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** ﴾ ونحو ذلك من الآيات والأنواع كثيرة يمكن أن تطلبوها، وفيها أقوى دلالة وأوضح برهان على أن الله سبحانه هو العالي فوق خلقه بذاته جل وعلا.

المسألة الثالثة:

دلالة السنة على فوقية الله جل وعلا. أيضاً جاءت الأدلة فيها كثيرة جداً كقوله ﷺ: ((وأنت الظاهر فليس فوقك شيء)) وكقوله: ((والعرش فوق ذلك والعرش فوق سماواته والله فوق ذلك)) في الحديث الذي مر معنا البحث فيه وأن أهل السنة يستدلون منه بهذا القدر لثبوته في أدلة أخرى، وكذلك قوله ﷺ في حجة الوداع يشير إلى السماء ثم ينكت بإصبعه الأرض: ((اللهم هل

بلغت اللهم فاشهد))، وكذلك قوله ﷺ في حديث الجارية لما سألها: ((أين الله)) قالت في السماء قال عليه الصلاة والسلام لسيدها: ((أعتقها فإنها مؤمنة)). والأدلة على علو الله جل وعلا في السنة كثيرة.

الرابعة: الدلالة العقلية دلالة العقل على علو الله جل وعلا بذاته على خلقه ودلالة العقل متنوعة وكثيرة لكن نكتفي منها بدليل عقلي واحد. وهو أن الله جل وعلا موجود سبحانه وتعالى بالاتفاق يعني كل من أثبت الله جل وعلا أثبت وجوده. حتى جهم الذي ينفي جميع الصفات يثبت وجود الله جل وعلا فنقول لجميع هذه الفئات: أن الوجود قدر مشترك، فالله جل وعلا موجود وخلق الله جل وعلا أيضاً موجودون. وهذان الوجودان إما أن يتمايزا وإما أن يتداخلا. فإن تداخلا يعني صار أحدهما داخل الآخر، إما أن يكون الخلق محيطون والله جل وعلا في داخل خلقه، وإما أن يكون الله جل وعلا الخلق في داخله سبحانه وتعالى. خلق الله جل وعلا والكائنات منها أشياء مستقبحة ومستقذرة وقبيحة مثل النجاسات ومثل القاذورات ومثل الأشياء التي لا يصرح بها، ونحو ذلك استقذاراً واستهجاناً والمخلوقات بعض المخلوقات السيئة ونحو ذلك. وهذه لا أحد من جميع من يبحث هذه المسائل يقول بجواز أن تكون في داخل الله جل وعلا. فإذاً حصل الأمر إلى أنه يتعين أن يكون الله جل وعلا عالياً على خلقه؛ لأن الاختلاط يقتضي هذا المعنى العقلي الفاسد. وكون الله جل وعلا في داخل خلقه هذا فيه نقص لله جل وعلا وهذا برهان عقلي صحيح، وذلك لأنه مبني على مقدمتين وهاتان المقدمتان إثباتهما مشترك بين جميع الفئات.

المقدمة الأولى: وجود الله جل وعلا.

والمقدمة الثانية: تنزيه الله جل وعلا عن أن يكون في داخله شيء مما يستقبح أو يستقذر.

الشريط الخامس والعشرين الوجه (ب)

المسألة الخامسة في الدليل الفطري: الدليل الفطري لعلو الله جل وعلا هو أنه: كل أحد يُحس من فطرته سواء علم الدين أو لم يعلم الدين . عُلِّم أو لم يُعلَم أن قلبه عند الحاجة وعند الرغب إلى الله جل وعلا وعند انقطاع الأسباب وبقاء لطف الله جل وعلا أنه يتجه القلب إلى العلو. وهذا شيء فطري مغروس في الإنسان، ولهذا ذكر شارح الطحاوية وقد نقله أيضاً غيره ذكروا القصة. قصة الزاهد الأثري الهمذاني مع أبي المعالي الجويني الذي يلقب بإمام الحرمين. حيث ذكر إمام الحرمين في درسه نفي علو الله جل وعلا على خلقه علو الذات وأن المراد بذلك علو القهر وعلو القدر. فقال له الشيخ الهمذاني: يا أستاذ وكلمة أستاذ في الزمن الأول تطلق على من أجاد فنًّا من الفنون. وأما كلمة الشيخ فتطلق على من له مكانة وديانة وورع وخوف من الله جل وعلا. فقال له: يا أستاذ لإجادته فنَّ الكلام: أخبرني عن هذه الضرورة التي أجدها في نفسي وهي أني أطلب العلو إذا احتجت إلى الله جل وعلا. فقال أبو المعالي: حيرني الهمذاني حيرني الهمذاني؛ لأن قوله بنفي العلو لله جل وعلا هذا منافٍ للفطرة. فلما استدل عليه بالفطرة قال: حيرني الهمذاني. وقد ذكر بعض من صنف في الرحلات كما ذكرته لكم في هذه الدروس ذكروا أنهم زاروا في وفد ذهب من الخليفة العباسي إلى روسيا يعني إلى بلاد الترك. التي هي روسيا الآن، وقال وجدنا أناساً لا يعبدون الله جل وعلا وليس عندهم رسالة يريدون أن يشرحوا لهم الإسلام. قالوا ولكنّا وجدناهم أنهم إذا أصابتهم شدة وعواتي إما من المطر ونحو أو من قحط ونحو ذلك. خرجوا إلى الفلاة ورفعوا أيديهم إلى السماء ونظروا إلى السماء يهمهمون كأنهم يطلبون الفرج ممن هو في السماء. وهذا أمر مركوز في الفطرة كما ذكرنا ذلك. إذاً دليل علو الله جل وعلا وفوقية الرب سبحانه وتعالى دليل من القرآن

والسنة ومن العقل ومن الفطرة. نكتفي بهذا القدر ونكمل إن شاء الله تعالى ما يتصل بهذا البحث الأسبوع القادم بإذنه تعالى نجيب على بعض الأسئلة.

سؤال : ذكرتم كثرة الأدلة على ثبوت علو الله جل وعلا بذاته ومع ذلك فأكثر الفِرق تنكره وتصرفه إلى المعاني الأخرى. فما سبب ذلك.

الجواب : سببه: أن إثبات العلو عندهم علو الذات يقتضي إثبات الجهة. أن يكون الله جل وعلا في جهة. وإثبات الجهة يقتضي التحيز. والتحيز ممتنع عندهم عقلاً؛ لأنه من صفات الأجسام. فمنعوا العلو لأجل ذلك. هذه شبهتهم .

سؤال : ذكر بعض العلماء في مقدمة قول الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفّار. يبسط كفه بالأسحار فهل العبارة الأخيرة صحيحة؟

الجواب : هذا أخذها من الحديث الصحيح الذي في الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)) العبارة صحيحة؛ لأن السحر بعض الليل.

سؤال : أية الأنبياء ﴿ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ فهل هذه عندية الذات أم عندية القهر؟

الجواب : لا العندية عندية الذات. العندية لا تنقسم العندية عندية ذات. يعني عند الله جل وعلا فوق سماواته هذا معناه. قوله تعالى يقول في سورة الأنبياء: ﴿ **وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ** ﴾ ليست بالفاء. ليست والذين عند ربك أو فالذين عند ربك ﴿ **وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ** ﴾، والآية الأخرى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾ .

سؤال : ما معنى ذات في قولنا ذات الله سبحانه؟

الجواب : الذَّات فيه اللغة: تأنيث ذو. يقال هذا الشيء ذو صفات وهذه ذات صفات هذا في الأصل. ولا تطلق إلا مضافة. ما تطلق الذّات مستقلة إنما تطلق مضافة وقد جاءت في قول الصحابي -ﷺ- في شعره المشهور قال:

وذلك في ذات الإله وإن يشاء يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

استعمال كلمة ذات مضافة لله جل وعلا موجودة، وقد قال سبحانه: ﴿ **فَاتَّقُواْ اللَّـهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ** ﴾ استعملت بعد ذلك الذات ويعنى بها ما يقابل الصفات. فقُسم الشيء إلى صفة وإلى ذات. ذات وصفات لما قسم هذا التقسيم؛ لأن الصفة تضاف إلى الموصوف فكأنه قال القائل: الذات يعني الشيء الذي هو ذو الصفات. فالذات المتصفة بالصفات. فقسموها لأجل أن الذات كأنه نعتها بقوله: الذات الموصوفة بالصفات فيكون تتمة الكلام محذوف، ثم استعمل يعني كلمة الذات هكذا بالتعريف استعملت بدون إضافة ولا تنكير. معرفة الذات استعملت استعمالاً واسعاً في كلام أهل العقائد. فإذاً نقول الذات يعني بها الذات الموصوفة بالصفات، يعني ما يضاف إليه الوصف ويتصف به. طبعاً ربنا جل جلاله وتقدست أسمائه لا نضيف إليه من شيء إلا إذا ثبت به الدليل في الكتاب أو السنة.؟ وما يتوسع في الكلام في بيان العقيدة من الألفاظ أو التعابير الأولى، بل الذي ينبغي ويتأكد على طالب العلم أن يستعمل تعابير السلف؛ لأنها أبعد عن الخطأ في التعبير. بهذا يمرِن طالب العلم نفسه على أن يعبر في هذه المسائل مسائل التوحيد والعقيدة بتعابير السلف لأنهم أعلم وأحكم في هذه المسائل. الله سبحانه وتعالى ينزه نفسه ويسبح له كل شيء وتنزيه الله جل وعلا نفسه عن النقائص هو معنى تسبيح الله جل وعلا هو معنى التسبيح. هذا الجواب على سؤال صياغته ما كانت مناسبة. يمكن صاحبه يستفيد الجواب.

سؤال : أين ذكر هذه الأدلة ابن القيم؟.

الجواب : ذكرها في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية –على غزو المعطلة والجهمية– وفي النونية وفي غيرها. ذكرها شارح الطحاوية عندك.

سؤال : نرجو إكمال شرح البلوغ في درس الخميس.

الجواب : نرجو إن شاء الله أن يتيسر له دورة أخرى نشرح فيها قطعة أخرى منه إن شاء الله تعالى .

سؤال : ما هو ضابط الاسم والصفة فيما ورد في الكتاب والسنة مثلاً: ﴿ إن اللَّهَ كَانَ غَنِيّاً حَمِيداً ﴾ هل يقال الغنى هنا صفة أم اسم وهل المحسن من أسماء الله عز وجل؟

الجواب: كان غنياً هذا وصفه بالغنى لكن والله هو الغني الحميد هذا اسم. وإذا أطلق الاسم فإنه يقتضي الاسم والصفة؛ لأن أسماء الله جل وعلا مشتملة على الصفات وأما إذا جاءت الصفة فإنه لا يستقل ورود الصفة بإثبات الاسم بل قد ترد الصفة ولا نثبت لله جل وعلا الاسم الذي فيه الصفة. وهذه فيها يعني بحث أطول في وقته إن شاء الله.

المحسن من أسماء الله جل وعلا ؛ لأنه جاء في الحديث: ((إن الله محسن)) ومن أسماء العلماء من القديم عبد المحسن وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وعلماء الدعوة أيضاً إذا ذكروا أسماء الله جل وعلا عدّوا فيها المحسن. والمحسن صفة كمال والمحسن اسم متضمن لصفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

سؤال : يقول في بعض الكليات في الجامعة يذكر بعض المدرسين أشياء خطأ في العقدية، ولكنَّا لا نملك العلم الكافي لمجادلتهم وكذلك هم لا يسمحون بالمجادلة وكذلك نخشى إثارة الشبه وكذلك نخاف أن يتسلط علينا بالدرجات إلى آخره؟.

الجواب : مسألة الدرجات ونحوها هذه ما هي بعذر. لأن من رضي الله عنه أرضى عنه الناس وأنا أذكر مرة ما كنا في الجامعة حصل كان أحد الأساتذة يدرس وكان عنده خلل في مسائل في الاعتقاد في مسائل الصحابة رضوان الله عليهم والخلاف الذي حصل بين علي -رضي الله عنه- ومعاوية. فذكرت له قول أهل السنة وأن الصحابة يجب احترامهم وتعظيمهم وتوقيرهم وأن هذا دين. الكلمات التي فيها تنقص أو تحتمل التنقص لا يجوز أن تقال هذه ما يرضى بها من يعظم ويوقر الصحابة. فحصل بحث ثم تركت الحضور. إلى آخر العام إلى الاختبار. هذا يمكن من عشرين سنة عام ٩٩ أو نحوها. أو ٩٨ فلله الحمد ما حصل لا حذف ولا درجات ولا تنقيص ولا حرمان مثل ما يقولون إلى آخره. مع أنه كان غياب مستمر. المقصود أن العبد إذا نصر الله جل وعلا ونصر دينه لابد أنه يحصل له ابتلاء. وقد يكرمه الله جل وعلا بأنه يحفظه وهذا من نعمة الله جل وعلا وكرمه، فلهذا ينبغي أن يكون العبد واضحاً في هذه المسائل. إذا كان يعلم يبين له. لكن كيف يبين هل هو بإغلاظ أم يبين بالمجادلة المحمودة ﴿ **وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ وقال سبحانه: ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ فالأسلوب مهم. والصدع بالحق لا يعني الغلظة في الكلام حتى يكون معانداً متجبراً مكابراً أو يغلظ هو كما أغلظ فرعون على موسى فأغلظ عليه موسى بعد ذلك. المقصود من هذا أن من عنده علم واجب عليه أن يبينه ولا يجوز له أن يكتمه لابد أن يبينه إذا كان عالماً، وكان حرياً بالمسألة واضحة عنده لا شبهة عنده فيها لأجل أنه أحياناً يورث أيضاً. المجادل شبهة أخرى أو يضعفك أمام الآخرين فتصبح حجته أقوى. ولهذا لا يدخل في المجادلة إلا المتمكن. في مثل هذه الحالات إذا خشي المرء أن يجادل أمام الناس يذهب معه في مكانه أو يناقشه على انفراد فهذا أولى، لكن السكوت مطلقاً ما يسوغ

في أي مسألة قد يرجح طالب العلم عدم الإنكار علناً مثلاً في بعض الأحيان لمصلحة شرعية لكن السكوت مطلقاً بحيث أنه يمر المنكر أو فساد العقيدة أو نحو ذلك دون كلام فيه لا شك هذا من الذنوب.

سؤال : قلتم من معاني العلو العندية. هل هذا المعنى لغوي أم شرعي؟

الجواب : لا العلو معانيه نقول علو ذات علو قهر علو قدر، علو ذات علو صفات، ونحو ذلك لكن العندية يعني فيما جاء من الأدلة فيه ذكر عند ربك عند الله فهذه دليل لعلو الله جل وعلا. ونوع من أنواع الأدلة في الكتاب والسنة فلا نقول إن معنى العلو العندية لا. نقول أنه قد تأتي عند ويراد بها العلو كما في قوله في الآيات التي ذكرنا لك. الذين عند ربك ونحو ذلك.

سؤال : الأخ كتب كتابة في أولها دعاء جزاه الله خيراً ثم يقول: ولكن هناك بعض الدروس التي فاتت البعض ولم يتمكن من الحضور وقد حاولنا أن نأخذ هذه الدروس من الأشرطة التي سجلت ولكن رفضوا بحجة عدم الإذن. فنرجو السماح للأشرطة.

الجواب : الأشرطة إن شاء الله أنها يعني في طريقها وأسأل الله جل وعلا أن يعفوا عني الزلل وأن ينفعكم، لكن الأفضل أنها تنتهي يعني ينتهي الشرح ثم تنشر الأشرطة هذا أفضل وأنتم الآن استمروا معنا من الآن إلى آخر الطحاوية الآن نحن تقريباً تجاوزنا النصف وأظن هذه السنة كافية إنشاء الله لننهي هذا الكتاب العظيم ثم بعد ذلك تبدأون من أولها.

سؤال : جاء عن النبي ﷺ أنه نهى عن بيعتين في بيعة فما صورة هذه المسألة وهل تصح دليلاً لمن منع التقسيط وما حكم الزيادة مقابل الأجل إلى آخره.

الجواب : النبي ﷺ نهى عن بيعتين في بيعة ونهى عن شرطين في بيع. ومعنى البيعتين في بيعة والشرطين في بيع. معنى الشرط هنا المشروط. وهو العقد فالبيعة في البيعة يعني العقد في عقد. بيعتان في بيعة يعني عقدين في عقد. نهى عن شرطين في بيع يعني عن عقدين في بيع. وهذا هو التفسير الصحيح لها. صورة بيع التقسيط. بيع التقسيط لا يدخل في هذا؛ لأنه ينتهي المتعاقدان على أحد الصورتين، ولكن يدخل فيه لو تفرقا بدون تحديد أحد عقدي البيع. هل هو آجل أم حاضر يعني مثلاً يقول القائل: أنا أريد أن أشتري هذه السيارة فيقول له ذاك: لا بأس هي حاضر بمائة وآجل بمائة وعشرين. فيقول الثاني وافقت اشتريت فيقول انتهينا. فيستلم السيارة. هنا ما تحددت الصورة هل هو اشترى حاصراً أم اشترى آجلاً. فلهذا ذكر السلف ما جاء عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وعن غيره فيه عدم التحديد. تحديد صورة العقد هل هو آجل ولا حاضر؛ لأنه يختلف لأن الضمان أيضاً يختلف وثَم أشياء تترتب على ذلك، أما إن تفارقا على صورة من صورتي العقد. على هذه أو هذه، فهذا يسمى بيع إما حاضر وإما آجل. أريد هذه السيارة قال بمائة حاضر وبمائة وعشرين آجل. قال أريدها حاضرة. تم هذا عقد مستقل وشراء بعقد واحد غير متعدد قال أريدها آجلة. قال بمائة وعشرين. فكتبا العقد أو اتفقا على أن البيع آجل بمائة وعشرين بعد سنة. فهذا ليس بيعتين في بيعة -بيعتين في بيعة- يعني إما كذا أو إما كذا والمباع واحد إما مائة حاضرة أو مائة وعشرين مؤجلة، والمثمن واحد. صار هناك صار عقدان في عقد. أما إذا تفارقا على صورة واحدة فهذا عقد واحد. قال أريدها آجلة بمائة وعشرين. هذه صورة البيع الآجل اختلف المعاصرون فيه وأتباع المذاهب الأربعة والأئمة الأربعة متفقون على جوازه، وقد نقل هذا الاتفاق الحافظ في فتح الباري. فقال وقد اتفق العلماء على جواز البيع الآجل بازدياد الثمن لقاء

الأجل إذا تفارقا على بيّنة. ولهذا نقول الصحيح الذي هو قول جماهير أهل العلم وهو المتفق مع الأدلة وأقوال السلف ولا يخالفها ما جاء؛ لأنه يوجه للصورة التي ذكرنا من المفارقة دون تحديد أحد صورتي البيع نقول الصحيح جواز بيع التقسيط وجواز البيع الآجل يعني أن يزيد في الثمن لقاء الأجل. هذا ليس بربا وليس ببيعتين في بيعة؛ لأن فيه إرفاق بالناس. والإرفاق مطلوب. وهذا جواب قوله ما حكم الزيادة مقابل الأجل. الزيادة في المثمن في السلعة مقابل الأجل جائزة، ثم بعد ذلك هو يسلّم الثمن بعد انتهاء الأجل بعد السنة بعد السنتين. يقول أشتري منك هذا البيت بخمسمائة ألف، مليون ريال. متى تسدد. قال: أسدد لك بعد سنتين. قال: لا بعد سنتين تسدد لي سأجعل القيمة مليون ومائة. قال: ما يخالف. فيتفارقان ويكون التسديد بعد مضي المدة. لا بأس. إذا قال لا بأس أنا أُأَجلها لك الثمن ولكن اجعلها نجوماً لي يعني اجعله أقساطاً كلمة أقساط في الشرع في الأدلة في كلام السلف تسمى النجوم. مثل ما لنجوم الكتابة إذا أراد المكاتب أن إذا أراد العبد أن يعتق نفسه فإنه يُجعل عليه الثمن نجوماً لا بأس؛ لأن المقصود أنه المقصود في البيع. الأصل في البيع الإباحة إلا ما نهى عنه الشارع لكن المطلوب أن لا يكون عقداً ربوياً. لا يكون عقد غرر وأن تتم الشروط الشرعية فيه.

سؤال : يقول: ما حكم قول القائل مادة القرآن في وقت كذا؟

الجواب: أن القرآن كلام الله جل وعلا وصفة من صفاته وتعظيمه واجب؛ لأنه أعظم شعائر الله جل وعلا التي أشعر عباده بتعظيمها وإجلالها، وقد قال جل وعلا في سورة الحج: ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ فتعظيم شعائر الله واجب، وتعظيم حرمات الله جل وعلا واجب والقرآن لا يساوي بغيره، ولا يجعل كغيره. فتجعل مادة من المواد كغيره فتعظيم القرآن يقضي بأن لا يُجعل في تسميته كغيره من المواد فيقال مادة جغرافيا

ومادة إنجليزي ومادة قرآن، فهذا فيه عدم تعظيم والله جل وعلا أمرنا بتعظيم كتابه ثم القرآن كلام الله وكلام الله جل وعلا ليس بمادة؛ لأن المادة قد تطلق ويراد بها المادة المخلوقة. أو يراد بالمادة المخلوق، والقرآن كلام الله جل وعلا صفة من صفاته ليس بمخلوق.

نكتفي بهذا القدر وأسأل الله جل وعلا لكم التوفيق والسداد والعلم والعمل، وأن يجمعنا على المحبة فيه وعلى طاعته وعلى نصرة دينه إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الشريط السدس والعشرين وجه (أ) ٦/ ٦/ ١٤١٩هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... وبعد:

سؤال : يُفهم من قوله تعالى: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ أن المؤمنين في الجنة إذا تجلى لهم الرب سبحانه وتعالى، أنهم لا يرون جميع ذات الرب سبحانه وتعالى؟

الجواب : أولاً تعلمون أن الأصل في عقيدة السلف هو اتباع القرآن والسنة وعدم تجاوز القرآن والحديث. أن الكلام في الصفات والكلام في تقرير العقائد بتفصيل إنما جاء بعد فشو البدع. وكثرة كلام الضالين من الفرق في ذلك، فتوسع من توسع من أئمة السلف. لأجل أن المخالف توسع، والحق يُغلب به على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

الأصل أن المسلم السني المتبع لطريقة السلف الراغب في الاعتقاد الحق. أن لا يُشغل نفسه بتفاصيل أسئلة في الصفات ليست على ظاهر الأدلة التي وقفنا عليها من سنة النبي ﷺ أو ما جاء في القرآن من آياته

العظام. لهذا لا ينبغي تفصيلات الكلام في الصفات بل قد يدخل ذلك في الكلام المذموم إذا كان ليس ثم حاجة في تفصيل الكلام في الرد على أهل البدع أو تقرير عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة، لهذا نقول ظاهر قول الله جل وعلا. ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ أن الله جل وعلا لا تحيط به الأبصار وأنه وإن رآه من شاء الله جل وعلا من عباده وشرفه بأن يرى الرب جل جلاله. فإنه يراه برؤية وليست بإحاطة لذلك ظاهر الآية أن الإحاطة بالرب جل وعلا ممتنعة، سواء أكان ذلك في عرصات القيامة، أم كان ذلك بعد دخول أهل الجنة الجنة. جعلني الله وإياكم منهم.

سؤال : يدعوا بعض الأئمة قائلاً: اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك. فهل ورد عن النبي ﷺ ولا أقل من ذلك. وهل يعتبر هذا من التعدي في الدعاء؟

الجواب : أما الحديث الذي أعلمه أنه مقتصر على طرفة عين. ربي لا تكلني لنفسي طرفة عين. وأما الزيادة لا اقل من ذلك تحتاج منكم إلى بحث. فأنا ما أحفظه الآن، وأما كونها تعدي فليست من التعدي؛ لأنها من المبالغة في التذلل، والوقوف عند ما ورد في الحديث لا شك أنه أولى؛ لأنه كمال الذل لله جل وعلا. وكمال إظهار الفقر والحاجة والتبري من الحول والقوة.

سؤال : معلوم أن الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– قال في مذهب المفوضة: "إنه من شر المذاهب" ومع ذلك وجد في كتب بعض أصحاب مذهبه بعض التفويض كما في كتاب المرداوي في شرح لامية شيخ الإسلام وفي لمعة الاعتقاد فهل هناك فرق بين ما يقصد الإمام أحمد وما وقع فيه بعض أتباعه أم لا. نرجو بسط القول في ذلك؟

الجواب : مذهب المفوضة مذهب كبير والذين قالوا بالتفويض كثرة جداً. وليسوا بالقليل سواء من المتقدمين يعني في عهد الإمام أحمد وما قبله إلى زماننا هذا. ثم رسالة طبعت مؤخراً بعنوان التفويض فيها تفصيل الكلام على المذهب بما لا يمكن أن يقال في هذا الموضع ما يستحقه المقام أو تستحقه المسألة، لكن الذي ينبغي أن تعلمه أن التفويض قسمان:

١- تفويض للكيفية ٢- وتفويض للمعني، والذي ورد عن السلف في من قال منهم أنهم يفوضون. أو نفوض هذا أو نكل علمه إلى قائله، أو نحو ذلك مما يفهم منه التفويض فيراد به تفويض الكيفية؛ لأن الكيفية من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله جل وعلا. كما قال سبحانه: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ...** ﴾ الآية في الأعراف. وكذلك قوله: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ عند الوقف على لفظ الجلالة. يدخل في التأويل ما تؤول إليه حقائق الأخبار ومنها: العلم بالكيفيات فلا شك أن أحداً لا يعلم كيفية اتصاف الرب جل وعلا بصفاته ولا كيفية الغيبيات على حقيقتها التي خلقها الله جل وعلا عليها؛ لأن هذا من علم الغيب الذي اختص الله جل وعلا به نفسه العلية جل جلاله وتقدست أسمائه، فهذا النوع الأول تفويض الكيفية، فهذا نؤمن به فنفوض كيفية الأمور الغيبية ومن ذلك صفات الرب جل وعلا، ونعوت جلاله ومعاني أسمائه وما يتصل بذلك من أمور الغيب نفوض كيفيتها إلى ربنا جل وعلا.

القسم الثاني من التفويض: تفويض المعنى يعني يقول: أنا أفوض العلم بالمعنى. أفوض المعنى ما أدري إيش معنى الرحمن الرحيم. ما أعرف إيش معنى الرحمة. ثم استوى على العرش لا أعلم معنى استوى أفوض معناها إلى الله، فالاستواء ربما يكون معناه القهر. ربما يكون معناه العلو. ربما يكون معناه الرحمة. ربما يكون أي معنى، فيفوضون المعنى فيقولون لا

نعلم معاني الغيبيات ولا أحد يعلمها، ولهذا المنتمين إلى هذا المذهب قلة، يعني تفويض المعنى قلة من المتقدمين يعني في القرن الثاني والثالث وشاع عند طائفة من المتأخرين بسبب أنه قول للأشاعرة وقد نظموه في عقائدهم، بقول القائل في جوهرة التوحيد.

وكل نص أوهم التشبيه أوِله أو فوض ورم تنزيها

فمذهب الأشاعرة له في الصفات قولان:

الأول: وهو الراجح عندهم والأقوى أن يؤول. تأول الصفات التي تتعارض مع الصفات السبع التي أثبتوها. تتعارض مع العقل.

الثاني: وهو صحيح عندهم لكنه ليس بقول أهل العلم والحكمة. هو تفويض المعنى، وهذا التفويض تفويض المعنى حيث يقول لا نعلم معنى الصفة. هذا موجود عند الأشاعرة: أبي الحسن الأشعري إلى وقتنا الحاضر، وهو أيضاً الذي راج على جملة من الحنابلة في كتبهم، حيث ظنوا أن ذم الإمام أحمد لمن فوض أنه تفويض الإثبات في أصله يعني يقول لا ندري نثبت أو لا ندري الصفة موجودة أو ليست موجودة، أو نفي الصفة من أصلها، وفهموا أيضاً من قوله قول الإمام أحمد، وقول الشافعي ونحو ذلك لا كيف ولا معنى، يعني في الصفات مثل ما ساقها صاحب اللمعة، فهموا منه أنه التفويض، وفهموا أيضاً من قول الشافعي: (نؤمن بما جاء عن الله على مراد الله، ونؤمن بما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ) أنه التفويض، هذا التفويض في الحقيقة تفويض المعنى هو الذي قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال فيه غيره أيضاً أن التفويض هو شر المذاهب وذلك؛ لأن تفويض المعنى يرجع إلى عدم العلم به، ولهذا صنفه ابن تيميّة في أول درء التعارض. إلى أن من فوض فهو من أهل التجهيل، يعني الذين يقولون إنه لا يوجد أحد يعلم معنى الصفات، ما يوجد أحد الصحابة يعلمون؟ لا هذه

المعاني مجهولة حتى إن بعضهم يقول: حتى النبي ﷺ لا يعلم هذه المعاني، إنما هو إثبات ألفاظ دون معاني لها، فنفوض المعنى لأنه لا معنى معقول من هذه الصفات، ولا شك أن مذهب المفوضة هو شر المذاهب لأنه يقتضي تجهيل الصحابة رضوان الله عليهم، بل يقتضي أن في القرآن كلاماً وآيات كثيرة لا أحد يعلم معناها، ومعلوم أن أكثر القرآن في الغيبيات، ولهذا جاء أول أية في القرآن في امتداح الذين يؤمنون بالغيب. في سورة البقرة: ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ﴾ والإيمان بالغيب يقتضي الإيمان بالكيفيات والله جل وعلا أعلم بها والإيمان بمعاني ما دلنا ربنا جل وعلا به على الغيب، نؤمن بها على ظاهرها يعني على ما دلت عليه لغة العرب، نعم معلوم أن المعاني في الشيء الواحد تتفاوت، فمثلاً إذا أخذت السمع، إذا أخذت البصر، إذا أخذت القوة، خذ القوة مثلاً والقدرة. الكائن الضعيف النملة لها قوة، ولها قدرة ولها نطق ولها سمع، ولها بصر فأصل القوة موجود فيها، يعني إن معنى القوة موجود فيها ما هو أعلى منها في الخلقة، من جهة مثلاً الهرة. موجود عندها قوة لاشك موجود عندها بصر، موجود عندها سمع. موجود عندها قدرة على أشياء. خذ الأعلى منها إلى أن تصل للإنسان إلى أن تصل من الحيوانات إلى ما هو من جهة القوة والقدرة أقوى من الإنسان. يعني بذاته من جهة الحيوانات المفترسة كالأسد. ونحو ذلك .

إذاً القوة قدر مشترك. القدرة قدر مشترك. لكن نقول لك أنه ما دام أنها في النملة مختلفة عن الإنسان نقول لا، فالإنسان ماله قوة؛ لأن قوة النملة هذه. هذا تحديد للصفة ببعض أفرادها، ببعض من يتصف بها، وهذا جناية على المعنى جناية على المعنى الكلي ؛ لأن اللغة العربية كليّات، فيها كليّات المعاني. أما الذي يوجد في الخارج فيه الذوات. نعم نقول: جدار، جبل، يد،

أشياء هذه تتصورها لكن من جهة المعاني. المعاني تتصور هذا المعنى بالإضافة إلى من اتصف به ولهذا شيخ الإسلام انتبه لقوة هذا المعنى في الرد على المبتدعة يعني الصفاتية والجهمية وغيرهم فقرره في كتابه التدمرية كما تعلمون.

إذاً فتفويض المعنى. المعنى أصلاً متفاوت، فإذا فوضنا المعنى. معناها أنا لا نعلم أي قدر من هذا المعنى وهذا لا شك أنه نفي وجهالة لجميع دلالات النصوص على الأمور الغيبية. وهذا باطل؛ لأن القرآن حجة وجعله الله جل وعلا دالاً على ما يجب له جل وعلا وما يتصف به ربنا سبحانه وتعالى. من نعوت الجلال والجمال والكمال، ويحتاج إلى مزيد بسط لكن يمكن أن ترجعوا إليه في مظانّه.

وبعض العلماء ظن أن مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والسلف هو التفويض حتى إنهم ينقلون كلام شيخ الإسلام ويحملونه على التفويض مثل السفّاريني ومثل مرعي بن يوسف في أقاويل الثقات، وجماعة من المتأخرين ينقلون كلام شيخ الإسلام، وفهموا إن مذهب الإمام أحمد ومذهب شيخ الإسلام ومذهب السلف الذي هو أسلم. أنه التفويض هذا ليس بصحيح. إذا كان المقصود تفويض المعنى، بحيث إنه لا نعلم معنى استوى. لا نعلم معنى وهو العلي العظيم. إيش معنى العلي: نقول لا نعلم معناها. ما نعرف العلو، ما نعرف هنا العلي. قد يكون بمعنى الرحيم، قد يكون بمعنى القدير، وهذا تجهيل وجهالة. بل ربما آل إلى طعن في القرآن.

سؤال : هل الشيطان أو الجن يعلم ما في نفس ابن آدم؟.

الجواب : يحتاج إلى مراجعة وتأمل لا أدري.

سؤال : منهاج أهل السنة في الرؤى والمنامات من حيث الاعتماد عليها؟

الجـواب : هذه لا يتميز بها أهل السنة عن غيرهم. هذه مسألة من مسائل الفقه والأدب يعني الآداب العامة.

سؤال : كنت مسافراً فأردت أن أجمع بين الظهر والعصر، فصليت مع جماعة خلف إمام. فعلمت بعد أن قام إلى الركعة الثالثة انه مقيم لكني لم أقم معه إلى الثالثة. فجلست ثم سلمت، وبعدها دخلت معه مرة أخرى بنية صلاة العصر، فما حكم ذلك؟

الجـواب : يجب عليك أن تعيد الظهر والعصر، لأنك صليت خلف إمام مقيم وواجب عليك الفرض عليك أن تصلي صلاة المقيم. صح عن ابن عباس –رضي الله عنه– أنه قال: "من السنة إذا ائتم المسافر بالمقيم أن يصلي صلاة مقيم، هذا هو الواجب عليه، فلو صلى صلاة مسافر فإنه يؤمر بالإعادة لأنه الواجب عليه أن يصلي صلاة مقيم فهذا سلم ثم دخل أيضاً، فصارت صلاته الثانية من اصلها ومفارقته ليست واقعة موقعها، لذلك الواجب عليه أن يعيد الظهر والعصر.

سؤال : ما الفرق بين الهداية والتوفيق عند أهل السنة وهل بينهما عموم وخصوص، بينوا لنا ذلك؟

الجواب : لفظ الهداية : يشمل الدلالة على ما فيه، أو ما الحاجة إليه، أنت محتاج إلى طريق تحتاج إلى من يهديك الطريق، تحتاج في مسألة إلى إيضاح تحتاج من يهديك في هذه المسألة، فأصل الهداية الدلالة فيها دلالة وإيضاح في القرآن العظيم جاءت الهداية في مواضع كثيرة وقسمها أهل العلم إلى أربعة أقسام يعني على ما جاء في القرآن.

القسم الأول: الهداية العامة، وهي هداية المخلوق إلى ما فيه بقاء حياته، وحسن معاشه، والدليل على هذه المرتبة قوله جل وعلا: ﴿ **الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾ يعني هداه إلى ما فيه مصلحته في دنياه.

إلى آخر ذلك، فالله جل وعلا هدى الرضيع كيف يلتقم الثدي ويحتاج إليه، وهدى الطائر لمصلحته، وهدى الحيوان لمصلحته إلى آخر ذلك.

النوع الثاني: هداية بمعنى الدلالة والإرشاد. دلالة وإرشاد من آخر لما فيه المصلحة، مصلحة العبد في دنياه أو في آخرته أو فيهما معاً وهذه هي الأكثر في القرآن، الهداية بهذا المعنى وهي هداية الدلالة والإرشاد، وهي التي جاءت في مثل قوله جل وعلا: ﴿ **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾ يعني دال يدلهم على الطريق.

القسم الثالث: هداية التوفيق وهي أخص من الأولى يعني أخص من التي قبلها، هداية التوفيق وهذه خاصة بالله جل وعلا هو الذي يوفق ويلهم، فالرسل هداة بمعنى أنهم يدلون ويرشدون لكن هداية التوفيق هذه من الله جل جلاله: ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ هذا حصر. التوفيق من الله جل وعلا دون ما سواه لهذا نفاها ربنا جل وعلا عن نبيه بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ فنفي عنه الهداية في هذه الآية وجعلها لله جل وعلا، مع إثباتها لنبيه عليه الصلاة والسلام في قوله جل وعلا في آخر سورة الشورى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ** ﴾ فالنبي ﷺ يهدي ولا يهدي يهدي بمعنى أنه يدل ويرشد ويعلم إلى آخر هذه المعاني.

ولا يهدي بمعنى هداية التوفيق، لا يوفق بل الذي يوفق ويعين العبد ويصرف عنه السوء ويعينه على الطاعة ويصرف عنه الشياطين حتى يهتدي. بمعنى حتى يستقيم هذا رب العالمين جل جلاله وتقدست أسمائه.

الهداية الرابعة: التي في القرآن هي التي جاءت في سورة محمد وهي هداية أهل النار للنار. وهداية أهل الجنة للجنة فهداية أهل الجنة للجنة في قول جل جلاله: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ** *

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ هذه الهداية وقعت بعد القتل وما بعد القتل الهداية إلى أي شيء ؟ هداية إلى الجنة، لهذا قال بعدها: ﴿ **سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ قال العلماء: يهديهم يعني إلى الصراط وإلى طريق الجنة، وهداية أهل النار إلى النار، كقوله في سورة الصافات ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** ﴾ إذا تبين من هذا أن التوفيق مرتبة من مراتب الهداية والذي يتصل بالإيمان بالقضاء والقدر وفعل العبد من هذه المراتب المرتبتان الثانية والثالثة، هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام، ولذلك شاع عند العلماء أن الهداية قسمان: ١. هداية دلالة وإرشاد. ٢. هداية توفيق وإلهام

لأن هذين النوعين هما اللذان نحتاج إليهما في أعظم المسائل المتعلقة بالهداية، وهي مسألة القضاء والقدر، والهداية والضلال، أما الهداية العامة وهداية أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هذه متفق عليها معلومة عند الجميع، نكتفي بهذا القدر. اقرأ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

المتن :

ونقول الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً ونؤمن بالملائكة .

الشرح :

نكمل أولاً ما سبق ، وقفنا عند المسألة الخامسة .

فالمسألة الخامسة: فيما يتعلق بقوله في وصف الرب جل وعلا، (محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه) نفاة العلو عن الله

جل وعلا يُعنى بهم من ينفي علو الذات لله سبحانه وتعالى، أما علو القهر والقدر فهذا يثبته الجميع، فإذا قيل نفاة العلو فيعنى بهم من ينفي علو الذات لله جل وعلا، وحين نفوا علو الذات لربنا جل وعلا. نفوا الأدلة التي ذكرناها لكم من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، وأيضاً احتجوا هم بأدلة عقلية. لنفي علو الله جل وعلا تعالى الله عن قولهم، والدليل العقلي الذي من أجله نفوا العلو لله سبحانه وتعالى قالوا: إن علو الذات. يعني إن الله جل وعلا عال على خلقه بذاته هذا يقتضي أن يكون في جهة؛ لأن العلو أحد الجهات الست، والجهات الست هي أمام، وخلف، يمين، شمال، تحت وفوق، فإثبات الفوقية وإثبات العلو يقتضي أن يكون الرحمن جل وعلا في جهة من الجهات وإثبات الجهة على أصلهم يقتضي أنه جسم فإذا كان جسماً بحسب تأويلهم هل هذه النهاية ، قالوا : لا ، إذا كان جسماً وإذا وصلنا إلى هذا فمعناه أننا نبطل الدليل الذي أثبتنا به وجود الرب جل جلاله ما معنى هذا الكلام؟ معناه أن الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم أثبتوا وجود الرب جل جلاله، عن طريق حلول الأعراض في الأجسام، وقالوا: إن جعل الجسم محدّثاً له محدث إنما تبيناه بأن أثبتنا أنه جسم، وكيف أثبتنا أنه جسم قالوا: بحلول الأعراض فيه. حلول الأعراض فيه، إيش معناها ؟ معناه إن هذا الجسم يتصف بصفات لا ترى يحل فيه أشياء تغيره. وتسمى الأعراض. تعرض له وتزول عنه فمثلاً البرودة هذا عرض على حد كلامهم. والحرارة عرض أيضاً الانتقال عرض، والتقدم والتأخر عرض. الانخفاض عرض. العلو عرض. فهذه الصفات يجعلونها أعراض، وهذه الأعراض إنما تقوم بالأجسام فلما كان الجسم لا يقوم بنفسه يحتاج إلى أعراض حتى تميزه، وحتى يكون فاعلاً استدللنا على أنه يُفعل به؛ لأنه هو لم يجلب الأعراض لنفسه الجسم، وإنما جلبت إليه، فمعناها أنه محتاج فقير يفعل به. فإذاً ثَم

فاعل. وثَم محدث إلى آخره. فاستقام لهم بهذا أن جميع الأجسام الموجودة ثبتت جسميتها بحلول الأعراض فيها، وما دام أنه حلت الأعراض فيها. فثم من أجل الأعراض فيها، وأوجد الأعراض فيها والتي منها العلو، والنزول، والتقدم والتأخر والمشي والهرولة والأخذ والرد إلى آخره.

فلهذا جعلوا هذه قاعدة تنتبه لها. فيما نفوا من الصفات يقولون: الدليل العقلي يبطل الاتصاف بهذه الصفة أي دليل عقلي هو الدليل العقلي الذي هو حلول الأعراض في الأجسام الذي به اثبتوا أن الله جل وعلا موجود. فإذا قالوا: لو أثبتنا العلو لو أثبتنا أن الله عال بذاته جل وعلا لعاد هذا الإثبات على دليلنا بالإبطال. يعني نحن أثبتنا حدوث الأجسام بالأعراض. طيب هذا عرض وهذه صفة تدل على أنه في جهة وإذا صار في جهة معناه أنه متحيز، وإذا صار متحيز معناه أنه جسم، وإذا صار علو أيضاً عرض حل في جسم معناه إذاً إذا صار جسماً معناه أنه ثمة شيء فعل به، فهذا إبطال للربوبية. توحد الله جل وعلا وبالخلق، ولها نفوا كل صفة من الصفات تكون من الأعراض، أو تكون من الحوادث لهذا يتسم الصفاتية عموماً بل وجهم قبلهم، وهو الذي أنشأ هذا البرهان الباطل يتسمون بهذه السمة وهي أنهم يقولون الدليل العقلي يمنع الاتصاف بهذه الصفة ويعنون به الدليل العقلي على إثبات وجود الله جل وعلا، وهذه الجملة اليسيرة فصلتها لكم في أحد الشروح يمكن في شرح الواسطية بتفصيل وهي سبب ونشأة القول بنفي الصفات. كيف طلع القول بنفي الصفات لماذا اختلفت الأمة. وما هو منشأ الضلال فيها، وكيف تفرعت ذكرناها لكم أظن في دروس الواسطية أو في غيرها.

إذاً فالشبهة التي من أجلها نفوا العلو. هي أن العلو جهة وكون الرحمن في جهة معناه أنه متحيز. وإذا كان متحيزاً فمعناه أنه جسم إلى آخره.

وهذه كلها ناشئة من اعتقادهم صحة الدليل الأول، والدليل الأول الذي هو إثبات وجود الرب جل وعلا عن طريق حلول الأعراض في الأجسام. لا نسلمه. نقول هذا دليل أصلاً باطل، ودليل غير صحيح، ولا يستقيم لإثبات وجود الرب جل وعلا.

بل أعظم إثبات لوجود الرب جل وعلا هو الدليل القرآني وهو قول الرب جل وعلا في كتابه: ﴿ **أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُواْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ** ﴾ ليس ثَم إلا احتمالين:

١- إما أن تكون خالقاً ٢- أو مخلوقاً.

والسماوات والأرض إما أن تكون خالقة أو مخلوقة. تكون خالقة هذا ممتنع لأدلة كثيرة. فلابد أن تكون مخلوقة. كذلك الشجر، كذلك النبات، كذلك المياه، كذلك أجزاء بدنك، كذلك كل تنظيم تراه ثم احتمالين إما أن يكون خالقاً وإما أن يكون مخلوقاً، والأدلة على إثبات وجود الله جل وعلا وأنه سبحانه المتفرد بتصريف الملك. أكثر من ان تحصر وفطرة الإنسان تأبى أن يقول بغير ذلك.

المقصود هذه شبهة من نفى العلو، ولهذا نقول أنهم بنوا بنيانهم هذا على شفا جرف هار. بنوه على قاعدة باطلة على مقدمة باطلة. فيرد عليهم بإبطال مقدمتهم. هذا من جملة أدلتهم العقلية. ثم أدلة متنوعة فالذي يريد المزيد يرجع لها في المطولة.

المسألة السادسة: الكلمة عند المتكلمين وطائفة من نفاة العلو وهي أنهم يقولون إن السماء قبلة الدعاء. إذا قال لهم قائل: من فطرة الإنسان أنه إذا أراد أن يدعو اتجه إلى السماء. قالوا: هذا؛ لأن السماء قبلة الدعاء. وهذه الكلمة ربما رددها بعض المنتسبين إلى السنة قالوا: إن السماء قبلة الدعاء. وهذا باطل الكلمة هذه باطلة فالسماء ليست قبلة الدعاء، فأعظم الدعاء

الصلاة، والصلاة سميت صلاتاً لما فيها من دعاء العبادة، ودعاء المسألة ومع ذلك جعلت قبلة الصلاة إلى بيت الله جل وعلا الحرام، فقبلة الدعاء هي قبلة الصلاة وهي قبلة الميت التي يوجه إليها عند احتضاره ويوجه إليها عند دفنه وهي مكة أو الكعبة التي شرفها الله جل وعلا.

إذاً لا يصح قول من يقول : إن السماء قبلة الدعاء. بل المشروع للداعي أنه إذا أراد أن يدعو أن يتوجه إلى القبلة فهذا أكمل حالات الدعاء. إذا دعا أن يتوجه إلى القبلة، ثم إذا رفع يديه، فإنه يرفعها ويتجه ببصره وقلبه إلى القبلة يتجه يعني بوجهه وبصره إلى القبلة، قد يرفع وجهه إلى السماء. مثل ما حصل النبي ﷺ في بدر. رفع يديه شديداً حتى سقط رداءه عن منكبيه وقال له أبو بكر: يا رسول الله مهلاً بعض مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك، ورفع وجهه وهذا لأجل الإلحاح في طلب الفرج من الله جل وعلا. وليس لأجل أن السماء قبلة؛ لأن أكثر دعاء النبي ﷺ لا يرفع فيه وجهه إلى السماء بل في الصلاة وهي دعاء. نهى فيها نبينا عليه الصلاة والسلام عن رفع البصر إلى السماء.

المسألة السابعة:

قال الطحاوي –رحمه الله تعالى– (قد أعجز عن الإحاطة خلقه)

الإحاطة: المقصود بها. إحاطة الخلق بالله جل وعلا، فالخلق لا يحيطون بالله جل وعلا. لا بذاته ولا بصفاته. الإحاطة: لا تعني عدم العلم بالشيء، وإنما تعني : العلم الكلي به أو الإحاطة به من جميع جهاته، سواء كان من الصفات أم من غيرها فالله جل وعلا أعظم وأجل أن تحيط به أحد من خلقه سبحانه وتعالى. لا في ذاته ولا في صفاته بل هو الذي يحيط بكل شيء سبحانه ولا يحيط به شيء بل أعجز عن الإحاطة خلقه. يعني في قوله سبحانه: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ ونحو ذلك من الأدلة.

الإحاطة ذكرت لكم معناها أظن في أول الكلام وحاصل المعنى: أن الإحاطة يعني في اللغة: إدراك الشيء من جميع جهاته. وقد يكون الشيء هذا معنى وقد يكون ذاتاً، وسبحانه ذكر أن عباده لا يحيطون به علماً وهذا لكمال صفاته سبحانه، وعجز البشر عن أن يدركوا تمام صفاته، ومن جهة اللغة إحاطة الذات كما في قوله جل وعلا: ﴿ **وأَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** ﴾ يعني صار من جميع الجهات. فإدراك الشيء من جميع جهاته المعنوية أو الذاتية يقال له في اللغة العربية إحاطة ولهذا سمى بعض علماء الاختصاص سموا البحار العظيمة محيطات. لأجل المعنى اللغوي في أنها تحيط ببقع كبيرة من الأرض من جميع جهاتها الإعجاز، كونه جل وعلا أعجز عن الإحاطة خلقه، هذا في الدنيا وفي الآخرة، فالخلق لا يحيطون بالله جل وعلا علماً في الدنيا، وكذلك المؤمنون إذا رأوه يوم القيامة فإنها رؤيا عين وليست رؤيا إحاطة: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ سبحانه وتعالى، وقال بعدها –رحمه الله تعالى–: (ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليماً إيماناً وتصديقاً وتسليما) يريد بذلك أن أهل السنة والجماعة المتبعين لسلف هذه الأمة وأئمة الحديث والعلم. أنهم يصدقون ويؤمنون بما أخبر الله جل وعلا به في كتابه، من صفاته ومن اصطفائه لبعض خلقه.

بذكر الغيبيات بأنواعها كما قال سبحانه في وصف أهل الإيمان: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ فكل الغيب يؤمن به أهل السنة والجماعة دون تفريق ما بين مسألة ومسألة. ودون خوض في التأويل بما يصرفها عن ظاهرها، وقد ذكر الله جل وعلا لنا في القرآن أنه اتخذ إبراهيم خليلا قال سبحانه في سورة النساء: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ وكذلك اتخذ نبينا ﷺ خليلاً، وكلم الله جل وعلا موسى تكليماً كلَّمه فسمع موسى كلام الرب جل وعلا، وكذلك ربنا جل وعلا كلم نبينا

محمد ﷺ تكليماً يوم المعراج أو ليلة المعراج فجمع الله جل وعلا لنبينا ﷺ ما اختص به إبراهيم وما اختص به موسى من بين أهل زمانهم، فجعله عليه الصلاة والسلام كليماً خليلا. هذه الجملة وهي نقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا.

دخلت في العقائد لأجل مخالفة الجهمية والجعدية وأشباه هؤلاء. في إثبات خُلَّة الله جل وعلا، وفي إثبات الكلام لله جل وعلا، ومن أعظم المقالات شناعة في الإسلام مقالة الجعد بن درهم الذي زعم أن الله جل وعلا لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليماً، فضحى به خالد بن عبدالله القصري أمير مكة يوم عيد الأضحى تقربا إلى الله جل وعلا. بإراقة دم ذلك الكافر الذي كذَّب الله جل وعلا، وكذَّب رسوله ﷺ.

هذه المقالة ورثها الجهمية ثم ورثها من يأول الصفات فينفون صفة الخلة، وينفون صفة الكلام لله جل وعلا.

قوله: (إيماناً وتصديقاً وتسليماً) هذه الكلمات الثلاث متغايرة الإيمان والتصديق والتسليم، تتداخل فمن آمن فقد سلم، ومن صدق فقد آمن ومن آمن فهو مصدق، ولكن من جهة الحقيقة فإن المؤمن يعني من قال هذا الكلام إيماناً به. قد يكون إيماناً لكن ليس تصديقاً باتخاذ الخلة كقول المفوضة: فإنهم يؤمنون باللفظ وبالآية دون التصديق بالمعنى الذي فيه والتسليم تسليم بأن الله جل وعلا يتصف سبحانه وتعالى بالصفات نسلم لربنا جل وعلا ما اتصف به من صفات الجلال والكمال والمحبة والخلة إلى آخر ذلك.

فإذاً إيماناً وتصديقاً وتسليماً ظاهرها التقارب في المعنى والذي يظهر أنه أراد بكل كلمة معناً آخر. فهذه الجملة فيها مسائل تفصيلية:

المسألة الأولى: الله جل وعلا اتخذ إبراهيم خليلاً، بمعنى أنه سبحانه وتعالى اتصف بأنه أحب إبراهيم -عليه السلام- وأحبه حتى جعله خليلاً.

الشريط السادس والعشرين الوجه (ب)

ذكروا أن المحبة لها عشر مراتب. وفصلوها لكن هذا لا يعنينا في هذا المقام، وإنما الذي يعني أن الخلة أخص من المحبة وصفة محبة الرب جل وعلا لعباده المؤمنين هذه ثابتة بالكتاب والسنة في أحاديث كثيرة، وفي آيات كثيرة كقول الله جل وعلا: ﴿ **فَسوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ ، **(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)** فهذه محبة الرب جل وعلا لهؤلاء وكذلك في الصفات في صفات من يحبهم الله جل وعلا. قال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ ونحو ذلك ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ فالمحبة صفة جاءت في أدلة كثيرة، كذلك في السنة سوف كما في حديث سهل بن سعد المعروف أن النبي ﷺ طلب عليًّا أو ذكر لما ذكر في فتح خيبر قال: ((لأعطين الراية غدًا رجلاً يحبه الله ورسوله، ويجب الله ورسوله يفتح الله على يديه)) فكان علياً ابن أبي طالب – رضي الله عنه– فصفة المحبة ثابتة أما الخلة فهي محبة خاصة، ولذلك كل من نفى المحبة فإنه ينفي الخلة؛ لأن الخلة أخص وليس كل من نفى الخلة فأنه ينفي المحبة ؛ لأنهم قالوا إن الخلة تتخلل النفس وفيها نوع من المعنى الذي لا يليق بالرب جل جلاله، ولهذا نقول إنه في صفات الرب جل وعلا لما ثبتت صفة المحبة في الكتاب والسنة فإن صفة الخلة واتخاذ إبراهيم –عليه السلام– خليلاً، واتخاذ محمد ﷺ خليلا كما في الحديث: (ولكن صاحبكم خليل الرحمن)) هذا في المعنى واحد؛ لأن أصل الصفة وهي المحبة ثابت باضطراد، فالخلة محبة خاصة نثبتها كما جاء في الكتاب والسنة.

المسألة الثانية: أن صفة المحبة والخلة جاءت في النصوص وغيرها من معاني المحبة، إذا لم يجئ في الدليل فإنه لا يثبت لله جل وعلا، وكذلك ينبغي أن لا يستعمله العبد في حبه لله جل وعلا تعبيراً عن ذلك، ويمثل

العلماء على ذلك بلفظ العشق، ومعلوم أن العشق محبة عظيمة، واستعمله الصوفية في أن فلاناً يعشق الله، أو هذا عاشق الرحمن، أو مات من العشق، أو نحو ذلك من الكلمات التي يتداولونها، والعشق لاشك أنه محبة خاصة زائدة، لكن هل يطلق على أن العبد يعشق الله، أو أن الله جل وعلا يعشق عبده، هذا اللفظ لم يأتِ به الدليل لا في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة ولا في أقوال كبار التابعين إلى أن جاءت الصوفية، وسبب المنع من إطلاق هذه اللفظ في صفات الله جل وعلا. أو أن يقول العبد هذا عاشق وهذا شهيد العشق الإلهي، ونحو ذلك من الألفاظ الباطلة، أن العشق حتى في عرف أهل اللغة وعند العرب لا يخلو من تعد، فالذي تصل به المحبة إلى حد العشق فإنه إذا عشق فلابد أن يكون ثَم تعد معه، إما تعد على نفسه في الإيغال بهذه المحبة حتى العشق وإما أن وصله العشق إلى التعدي على غيره، ومحبة الله جل وعلا لعباده مبنية على كمال العدل وكمال الجمال، والرحمة بعباده المؤمنين ومحبة العبد لربه جل وعلا مبنية على تعظيم الله جل وعلا وعلى توقيره سبحانه وتعالى فاللفظ لفظ العشق لما كان غير وارد في الدليل في النص وأشتمل على هذا المعنى الباطل وهو أنه يشعر بالتعدي إما على النفس أو على الغير، فإنه يمتنع إطلاقه على الرب جل جلاله، أو من العبد على ربه سبحانه وتعالى.

المسألة الثالثة: أن المحبة التي يستعملها بعض المتصوفة يستعملها بعض أهل السلوك والتربية حتى من المعاصرين هذه تنقسم إلى قسمين:

الأول: نقول يجوز إطلاقه يعني من العبد لربه جل وعلا وذلك إذا كان في معنى المحبة ولم يترتب عليه مخالفة للغة، من جهة ما يليق بالله جل وعلا من الصفات، والكمال والجلال.

القسم الثاني: يُمنع وهو ما لم يرد به الدليل وكان مشتملاً على معاني باطلة، من الألفاظ التي تمتنع العشق والغرام والتتيم ونحو ذلك، ومن الألفاظ التي لا تمتنع لفظ المودة وأشباه ذلك من المعاني الضابط فيها أن تنظر.

فالمحبة ثابتة في أصلها. فهل يخبر عن الله جل وعلا أو العبد يخبر عن محبته لربه، بلفظ لم يرد، نقول هذه الألفاظ التي يخبر بها العبد، إما أن تشتمل على معنى صحيح، وليس فيها تعد فتجوز، وإما أن تشتمل على معنى باطل فلا تجوز، وترجعون في ذلك في تفصيله إلى قاعدة في المحبة للشيخ تقي الدين ابن تيمية –رحمه الله تعالى–.

المسألة الرابعة: ثم ذكر بعد ذلك صفة الكلام وقال وكلم موسى تكليماً، وصفة الكلام لربنا جل وعلا، نؤمن بها لأن الله جل وعلا أثبتها لنفسه في النصوص، والكلام الذي هو صفة الله جل وعلا عند أهل السنة والجماعة. كلام قديم وحادث. قديم النوع، حادث الآحاد، ويعنون بقديم النوع حادث الآحاد أن الله جل وعلا لم يزل متكلماً، يتكلم متى شاء، وهو سبحانه لم يزل متكلماً وكلامه سبحانه وتعالى من صفاته كلامه لم ينقطع بل أفراده وآحاده، يعني لا تزال متجددة، وهذه تنقسم إلى قسمين يعني الآحاد آحاد تنقسم إلى قسمين:

١. الكلام الشرعي وهو القرآن والتوراة ونحو ذلك من كتب الله جل وعلا.

٢. الكلام الكوني وهو الذي يأمر الله جل وعلا به في ملكوته كما قال سبحانه: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾ وكذلك قوله في لقمان: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ** ﴾ يعني بها الكلمات الكونية.

سمى الله جل وعلا كلامه محدثاً يعني حديثاً في قوله في أول سورة الأنبياء: ﴿ **مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ محدث. يعني حديث جديد، كذلك آية الشعراء: ﴿ **وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ** ﴾ المحدث ليس بمعنى المخلوق تعالى الله جل وعلا عن ذلك، ولكن بمعنى الحديث الجديد، ولهذا قال ﷺ في وصف ابن مسعود: ((من سره أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)).

الكلام وما يتصل بها مر معنا أشياء تتعلق بذلك، لعله أن يأتي لها مزيد تفصيل، لكن المقصود هنا ليس إثبات الصفة من جملة صفات ولكن المقصود المخالفة في إثبات الخلة والكلام لموسى -عليه السلام- إيماناً وتصديقاً وتسليماً.

ويبقى لنا الكلام على الصفات، صفة الكلام عند قوله: (إن القرآن كلام الله) يعني في تفصيل الكلام على صفة الكلام.

نكتفي بهذا القدر ونلتقي بكم إن شاء الله في الأسبوع القادم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشريط السابع والعشرين وجه (أ) ١٣/ ٦/ ١٤١٩هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد ربي وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وخليله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد: فنجيب على بعض الأسئلة:

سؤال : ما ضابط المحسن الذي يدخل في قوله تعالى ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾؟

الجواب : الإحسان أو المحسن أو قبل ذلك المحسنون هو جمع المحسن والمحسن هو فاعل الإحسان يعني من قام به الإحسان فعلاً له أحسن

يحسن إحساناً فهو محسن. والإحسان ضد الإساءة وأصل الإحسان هو فعل المرء ما عليه من العمل على وجه الكمال أو أن يتفضل بزيادة عما عليه، فلهذا يدخل من فعل الواجبات في اسم المحسن باعتبار أنه أدى ما وجب عليه ويدخل من أتى بالنوافل في اسم المحسن؛ لأنه زاد على ذلك، ولهذا سمى الله جل وعلا عبادته كأن العبد يرى ربه بالإحسان، وجعل الابتلاء بالإحسان ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ وجعل معيته الخاصة لأهل الإحسان ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ ونحو ذلك فإذاً المحسن هو من فعل الإحسان وهو أنه فعل ما يجب عليه فعله، أو ما له فعله شرعاً ولم يسيء ولم يتعد وقد يزيد على ذلك بأن يفعل ما فيه المصلحة لهذا أدخل العلماء في الآية ما على المحسنين من سبيل أدخلوا فيها المعذور كما هو ظاهر الآية المعذور عن الجهاد بمرض أو عرج أو نحو ذلك فهذا محسن ما أساء ولا تعدى وكذلك أدخل فيه طائفة من علماء العصر وأهل الإفتاء والقضاء أدخلوا فيها مسألة مهمة وهي مسائل قتل الخطأ إذا صار الإنسان يقود سيارة وانقلبت مثلاً أو حصل لمن معه جروح أو كسور أو نحو ذلك فهنا هل يخاطب بأنه متسببٌ في القتل أم ليس بمتسبب، فهنا يُنظر هل فعل ما يجب عليه فعله من أخذ الحيطة من عدم السرعة ومن تفقد السيارة ونحو ذلك، فإذا فعل ما يجب عليه فعله من أخذ الحيطة وسلامة الأرواح وعدم السرعة فإنه محسن؛ لأنه فعل ما يجب عليه وإذا تعدى ذلك وأساء، أما في زيادة سرعة أو في قيادة وهو فيه النوم أو ما تفقد أدوات السيارة وأدوات السلامة من الكفارات مثلاً والفرامل ونحو ذلك فهذا لا يدخلونه في اسم المحسن؛ لأنه قصَّر في أداء ما وجب عليه، إذاً كلمة المحسن في الشرع يضبطها هذا الضابط الذي ذكرت لك ومن نقص فقد أساء من نقص عما يجب عليه أو فرّط أو تعدى فقد أساء ومن أساء في هذا فقد ظلم ولا يدخل

في اسم المحسن، فإذاً ظاهر الآية ﴿ **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ** ﴾ أن الله جل وعلا بتمام رحمته ومغرفته ولطفه ورأفته بعباده فإنه لا يؤاخذ المحسن ولو كان تخلف عن بعض ما ذهب إليه غيره مثل الجهاد أو المسجد أو النصرة إذا كان ليس عنده قدرة أو فعل ما يجب عليه واتقى الله ما استطاع فإنه محسن وما على المحسنين من سبيل، هذا بعض ما يدخل في هذه الجملة، في هذه الجملة من الآية مع أن كلمة الإحسان والمحسن فيها تفصيل كثير من حيث مراتب الإحسان في الشرع من هو المحسن وجزاء المحسنين مما يراجع في كتب التفسير.

سؤال : هل صحيح أن النبي ﷺ مسجده فوق مقبرة إن كان نعم فكيف يُجمع مع لعنه ﷺ الذين اتخذوا القبور مساجد؟

الجواب : النبي ﷺ بركت الناقة في موضع مسجده الآن كان فيها مواضع قبور للمشركين فأمر النبي ﷺ في جزء منه أمر بالقبور فنبشت واتخذ هذا المكان مسجداً والمسجد المقبرة إذا كانت موجودة وبني على القبر مسجداً فهذا هو الذي جاء فيه النهي بنبش القبور للمصلحة الشرعية، هذا جائز لهذا النبي ﷺ امتثل الأمر فبنى في ذلك المكان مسجداً وإن كان يعني بُني مسجده فوق مقبرة إن كان يعني بُني المسجد على قبر النبي ﷺ؛ لأن آخر السؤال يدل عليه، وإن كان لا فما حُكم المدرس-إيش القائل بذلك... الخ إذا كان المقصود النبي ﷺ بني مسجده على قبره هذا غلط كبير النبي ﷺ بُني مسجده في حياته وهو لما توفي ﷺ دُفن في حُجرة عائشة كانت ملاصقة للمسجد وليست من المسجد، ولما احتاج المسلمون إلى توسعة المسجد لضيقه بالناس وسِّع من الجهة الجنوبية ومن الجهة الشمالية ومن الجهة الغربية وأما الشرقية التي فيها حُجر أزواجه حُجرات أزواجه ﷺ وبيت عائشة بالخصوص وبعض الحُجر فما كان يؤخذ منها إلا ما احتيج وبقية حجرة عائشة التي فيها القبور

على ما هي عليه فكانت حجرة عائشة ليست من المسجد وإنما المسجد من جهاتها الثلاث وليست حجرة عائشة في الوسط وبقي المسلمون على ذلك زماناً طويلاً حتى أُدخل في عصور متأخرة أظنه في الدولة العثمانية أو قبلها أُدخل الممر الشرقي وذلك بعد شيوع الطواف بالقبور أدخل الممر الشرقي يعني وسِّع المسجد أو جعل الحائط يدور على جهة الغرفة الشرقية صار فيه هذا الممر الذي يمشي معه يريد الطواف وهذا الممر وإن كان السور سور المسجد من تلك الجهة خلفه لكن ليس له حكم المسجد ولا يقال القبر في المسجد إلا الآن، ولا يقال الحجرة الآن في المسجد وإن كان ظاهرها من حيث العين أنها في المسجد لكنها حكماً شرعاً ليست في المسجد؛ لآن الجهة الشرقية هذا الممر لا يصح أن يكون مسجداً شرعاً فلذلك إدخاله في المسجد باطل ولذلك الصلاة فيه في الجزء ذلك لا تصح ولهذا يُعمل في كثير من الأحيان أنه تسد وقت الصلاة تسد الجهات من ذاك الممر حتى ما يصلي المصلون من جميع الجهات ولذلك لما جاءت التوسعة الأخيرة توسعة الملك فهد لم يُبتدئ بالتوسعة من أول المسجد الأصلي وإنما ابتدئ بعد نهاية القبر صار من نهاية الحجرة بكثير وبعد الباب وصار الامتداد هناك فإذاً الواقعُ الآن من حيث التاريخ ليس المسجد مبني على القبر هذا أولاً.

الثاني : أن القبر لم يُدخل في المسجد وإنما اكتنفه المسجد من الجهات الثلاث جميعاً الأمر .

الثالث : الجهةُ الرابعة الشرقية من الحجرة هذه أدخلت في عصور متأخرة لما شاع الطواف بالقبور، ولما قامت الدعوة ووصلت الدولة السعودية إلى ذاك المكان واستفتي أئمة الدعوة في ذلك فلم يروا تغيير السور وتقطيع المسجد حتى ما تُثار أشياء وإنما قالوا الوقف أو الجزء هذا الصلاة فيه باطلة فيمنع الناس من أن يصلوا فيه الذي هو الممر الشرقي للقبر فإذاً من كل جهة

لا ينطبق عليه أنَّ القبر هذا في المسجد ولا أن المسجد بُني على القبر وإنما هذا النبي ﷺ دُفن في حجرة عائشة لا في المسجد وحجرة عائشة –رضي الله عنها– منفصلة عن المسجد وليست في داخل المسجد بقي أيضاً أنه لما توسع المسجد من الجهة الشمالية واشتُريت بعض حجُرات أزواج النبي ﷺ يعني اللي هي من جهة الآن دكة الأغوات وما هو شمال منها كان الحجرة –حجرة النبي ﷺ حجرة عائشة– جعل عليها جداران الجدار الأول الذي هو يفصل حجرة عائشة عن بقية الحجر هذا هو الجدار الأول، وهذا الجدار له صفته، يمكنكم تشوفونه في الخرائط موجودة وجعل جدار آخر أيضاً مثلث جعل جدار آخر بعد هذا الجدار من الجهة الشمالية صاير بزاوية يعني تجاه السهم كأنه يتجه إلى الجهة الشمالية فعل ذلك من فعل من العلماء بفتاويهم في ذلك الزمان من التابعين وغيرهم حتى لا يظن أحد أنه يمكن أن يستقبل القبر يعني ما يتصور أن القبر أمامه وأنه الآن هو يستقبله يصير، فيه الآن جداران مُحرفة ليبعد النظر عن أنه يستقبل القبر ثم بعد ذلك عُمل جدار ثالث، والجدار الثالث هذا طويل يعني طوله في السماء يعني ارتفاعه نحو ستة أمتار ونحو ذلك، وهو غير مسقوف أيضاً فهذه الجدران الثلاثة فعلها المسلمون مع كون الحجرة ليست في المسجد حتى لا يظن الظان أنه إن صلى في الجهة الشمالية أنه يستقبل القبر؛ لأنه إن صح ذلك إن قال قائل أن استقبل القبر مع وجود هذه الثلاثة الجدران بينه وبين القبر فمعناه أن كل إنسان بينه وبين المقبرة جدران فإنه يستقبل القبور وهذا لا قائل به من أهل العلم، فلهذا جعلوا هذه الجدران الثلاثة حتى لا يتخذ قبرُ مسجداً يصلى فيه ولا يصلى إليه وحتى لا تتعلق القلوب به ولا يوصل إلى قبره ولا يمكن لأحد أن يخلص إلى قبره ليس هناك أبواب وليس هناك طريق أبداً أن يخلص واحد إلى قبر المصطفى ﷺ ثم بعد أزمان جعل هذا السياج الحديدي الموجود الآن فهو الرابع الآن هذا السياج

الحديدي الرابع بينه وبين الجدار الثالث الممر والجدار الثالث هذا هو الذي ترون عليه السترة، السترة الخضراء أظنها أو شيء وبعده جدار ثاني وبعد الجدار الثاني الجدار الأول وهذه الثلاثة الجدران هي التي ذكرها ابن القيم في النونية بقوله:

فأجاب ربُ العالمين دعائُه وأحاطه بثلاثة الجدران

يعني في دعاء النبي ﷺ (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد) المقصود أن هذه المسألة من مهمات المسائل أن تكون واضحة لطالب العلم تماماً؛ لأن الشبهة بها كبيرة والذي يرددون مثل هذا الكلام كثير فلهذا نقول إن القبر ليس في المسجد ولا أحد يمكن أن يستقبل القبر وإنما قد يتخذُ بعض الجهلة أو بعض المشركين في قلبه صورة القبر ويستقبل شيءً في قلبه ويعبد شيء في قلبه أما القبر فإنه ليس وثناً ولا يمكن أن يتخذ وثناً وأنه محاط بإحاطات تامة إلى آخر ذلك. والقبة الموجودة فوق سطح مسجد النبي ﷺ هذه ليست على القبر بالمسامتة وإنما هي على جزء كبير يعني تشمل الجدران الأربعة كلها لذلك أعمدتها قطرها كبير جداً والقبر في الداخل وهذه القبة كانت في زمن مضى من الخشب بلون الخشب أول من صنعها أظن المماليك ثم بعد ذلك جعلت باللون الأبيض ثم جعلت باللون الأزرق وهي اللي كانت في وقت الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونحوه كان لونها أزرق ثمَّ في آخر عهد الدولة العثمانية جعل لونا أخضر واستمر هذا اللون فلما قيل للشيخ محمد بن عبدالوهاب إنك تقول: لو أني أقدر على قبة النبي ﷺ القبة التي على قبر النبي ﷺ لهدمتها قال: سبحان الله هذا بهتانٌ عظيم فما قلت هذا ولا أقوله؛ لأن ما يترتب من المفاسد على إزالة هذا المنكر أكثر من المصالح فالواجب التنبيه وتعليم الناس ودعوتهم إلى التوحيد وعدم تمكين الشرك والنهي عن بناء القباب على المساجد نُهي عنه سداً للذريعة وللعلماء في ذلك كلام في مسألة بقاء القُبة

فالمقصود أن هذا الذي سار عليه أئمة الدعوة –رحمهم الله– في هذا الشأن فرأوا أن إبقاء القبة أن هذا أمر لازم وذلك لما أشاعه الأعداء من بغض أئمة الدعوة وبُغض أتباع دعوة الشيخ –رحمه الله– للنبي ﷺ بل عظموا النبي ﷺ وسدّوا كل طريق يمكن أن يؤصِّل ما قالوه في هذا الباب يعني ما قاله الأعداء، إذا كان القبر في مقبرة مستقلة عن المسجد فإن الصلاة في المسجد جائزة يعني إذا كان في القبلة يعني بمعنى إيش يعني أنه يكون للقبر سور مستقل عن سور المسجد فإذا قال القائل لا القبر في قبلة المسجد أو هذا السور محيط أو أن القبر واضح أنه في جهة من المسجد فهذا يدل على أن المسجد بني على القبر فلذلك لا تجوز الصلاة فيه والصلاة فيه باطل وأما إن كان المسجد وجد أولاً ثم القبر أدخل فيه فهذا يفرق فيه ما بين إذا كان القبر في المسجد أو في مؤخرة المسجد فإذا كان في مؤخرتها مؤخرة المسجد فطائفة من العلماء والمشايخ يقولون أن الصلاة فيه جائزة وأما إذا كان في القبلة فإنه لا يتجوز الصلاة إليه؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور فإذاً هنا يُفرق في هذه الحال ما بين إذا كان المسجدُ جعل على القبر يعني إذا كان المسجد متأخر القبر أولاً فيكون هذا حكم المقبرة يعني المسجد وضع على قبر هذا الصلاة فيه لا تجوز؛ لأن هذا منهي عنه فالنهي يقتضي الفساد ولعن النبي ﷺ من فعل ذلك وأما إذا كان المسجد موجوداً ثم جعل فيه طائفة منه القبر فهذا نقول إذ كان القبر في الأول في مقدمة المسجد فإن الصلاة محرمة لا تجوز باطلة؛ لأن النبي ﷺ قال لا تصلوا إلى القبور، فالصلاة إلى القبر جعل القبر قبله باطلة، وإذا كان القبر في مؤخرة المسجد والمسجد مبني أولاً فطائفة من العلماء يقولون بصحة الصلاة فيه يعني من علمائنا.

سؤال : قال بعض نفاة الصفات أن قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ أن هذا من باب المشاكلة فما معنى قولهم هذا؟

الجواب : هذا سبق الجواب عليه أظن مفصلاً في أحد الأجوبة في هذا الدرس.

سؤال : هل من علامات خاتمة الموت يقصد حسن الخاتمة في الأزمان الفاضلة كرمضان والجمعة وليلة الجمعة جزاكم الله خير؟

الجواب : ما فهمت السؤال، أما الجمعة يوم الجمعة وليلة الجمعة فقد جاء فيها الحديث الذي رواه النسائي وغيره أن النبي ﷺ ذكر ممن يأمن فتنة القبر أن من مات يوم الجمعة يعني أو ليلة الجمعة أو مات مرابطاً...الخ) أما رمضان فما أحفظ شيء أنه له ميزة على غيره والحديث إسناده جيد معنى يأمن فتنة القبر يجيب الجواب الجيد لا تكون في حقه فتنة.

سؤال : الرقية الشرعية سببٌ من أسباب الشفاء بإذن الله وقد كثر القراء في هذا الزمان وعليهم مخالفات كثيرة فبعضهم يستعمل الكهرباء في إخراج...؟.

الجواب : هؤلاء يجب منعهم وتعزيرهم،القرآن ما أنزل ليتخذ حرفة من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه بالقرآن تلاوة يقرأ القرآن مباشرة أما اتخاذها حرفة فهذا من بدع هذا الزمان. ثم بعضهم الآن دخلوا في أمور منكرة كثيرة إما في السلوك أو الوضع المشين مع النساء أو في استعمال القراءة بطرق مختلفة أو استعمال الكهرباء وبعضهم يقول مثل ورقة كانت معي منسوبة إلى أحد القراء هؤلاء يقول: إنك تأخذ من الماء المقروء فيه ثلاث مرات بعد الأكل وقبل الأكل ونحو ذلك من الأمور المنكرة وإذا أحسست أول يوم ستحس بكذا وإذا أحسست بكذا خفف الجرعة وأشياء من هذا القبيل الذي هو من المنكرات الكبيرة ومن العجائب في التاريخ أن ابن بشر –رحمه الله – ذكر في أول تاريخه تاريخ نجد لابن بشر لابد تقرؤونه؛ لأن فيه من الفوائد في التاريخ وفي البلاد هذه وما قامت عليه وكيف كان الوضع وأحوال أهلها وتصانيف الناس

الخ مما لا بد لطالب العلم أن يقرأه ذكر في أوله أن أهل نجد لم يكن الشرك موجوداً عندهم ولا البدع وإنما شاع عندهم البدع من قبل متطببة البادية هذا كلامه كانوا يجاورون أهل النخيل إذا كان وقت الجذاذ ويأتون ببعض الأدوية فتعلق بهم أهل القرى حتى أرشدوهم إلى أشياء أو أمروهم بأشياء من قبيل البدع ثم أمروهم بالذبح لغير الله ثم أمروهم بتعظيم الأموات. إلى آخر ذلك حتى وجد الشرك في هذه البلاد فيجب منع هؤلاء سداً للذريعة وما يعطي أحد من هؤلاء فرصة إلى في حالات نادرة ممن إذا كان العالم يعرف هذا الشخص إلى آخره، ولكن الأصل أن لا يفتح لمن يريد أن يتخذ القراءة حرفة أن لا يفتح له المجال؛ لأن هذا ذريعة للشرك والبدع نسأل الله السلامة والعافية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

المتن :

ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين .

الشرح :

الحمد لله وبعد: هذه الجملة من كلام العلامة الطحاوي –رحمه الله تعالى– ذكر فيها أصول الدين وأركان الإيمان فقال ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين. بعد أن ذكر تفصيل الكلام على الصفات وعلى القدر وعلى العرش والكرسي وإحاطة الله جل وعلا بكل شيء وعلو الرب سبحانه وتعالى والخلةَّ وما في ذلك من المباحث التي هي متصلة بركنين من أركان الإيمان وهما: الإيمان بالله والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، ذكر بقية أركان الإيمان فقال:

ونـؤمن بالملائكـة والنبيـين والكتـب المنزلـة علـى المرسـلين، وذلـك أن أركـان الإيمان التي جاءت في القرآن وفي سنة النبي ﷺ ستة من الأركان وهذه هي الإيمان بالله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله جل وعـلا، لهـذا قـال: ونـؤمن بالملائكـة والنبيـين والكتـب المنزلـة علـى المرسـلين والإيمان بهذه المسائل من المتفق عليه بين المنتسبين إلى القبلة فإنهم يؤمنون بأركان الإيمان الستة من الفرق الثلاثة والسبعين فإن الجميع يؤمن بذلك على اختلاف بينهم في تفسير بعض المسائل فيها وذلك لكثرة النصوص الدالة على الإيمان بهذه الإيمان الستة فمن الأدلة التي دلت على أن هذه الأركان الستة من الإيمان بل هي الأركان قول الله جل وعلا ﴿ **وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ وَالْمَلائِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّـينَ** ﴾ والبر من الإيمان أو هو اسم للإيمان؛ لأنه يطلق فيشمل الإيمان جميعاً ويطلق البر ويشمل بعض خصال الإيمان وكذلك قوله جل وعلا في آخر سورة البقرة ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّـهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...** ﴾ الآية.كذلك قول الله جل وعلا في سورة النساء ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنَزلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة والحديث الذي يدل عليها مشهور عندكم معروف وهو حديث جبريل في سؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان فقال له ﷺ ((الإيمـان أن تـؤمن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم الآخـر وبالقـدر خيـره وشـره)) فقـال جبريـل –عليه السلام– صـدقت ثـم فـي آخـره قـال: ((هـذا جبريـل أتـاكم يعلمكم دينكم)) فهذا القدر مجمع عليه بين الفرق الثلاث والسبعين جميعاً فكل فرقة من الفرق الثلاث والسبعين في هذه الأمة هي تؤمن بالملائكة والنبيين وتؤمن بالكتب لكن هناك قدر يختلفون فيه في بعض تفصيلات الكلام على

هذه المسائل بعض العلماء يُعبرُ عن هذه الأركان بأنها الأركان الخمسة أركان الإيمان الخمسة وبعضهم يجعلها أصول الدين الخمسة وبعضهم يجعلها أصول الدين الستة أو أركان الإيمان الستة وبعضهم يجعلها سبعة ونحو ذلك، وهي كلها متقاربة إما بحذف القدر لأجل الآيات أن الآيات ليس فيها ذكر القدر فيجعلونها موافقة للآيات وإما أن تجعل جميعاً مع القدر كما دل عليه حديث جبريل المعروف وأما من قال سبعة ففيه توسع لذكر الجنة والنار، كما قاله بعض المتصوفة فإنهم قالوا أركان الإيمان سبعة ذكروا اليوم الآخر والجنة والنار والجنة والنار هي من الإيمان باليوم الآخر، وهذا ما يتعلق بهذه الجملة إجمالاً وتحتها مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بهذه الأمور الملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين معناه التصديق الجازم بأن ما أخبر الله جل وعلا به عن هذه الأشياء فهو حق وأن الملائكة كما سيأتي حق إجمالاً وتفصيلاً وأن النبيين حق إجمالاً وتفصيلاً وأن الكتب من عند الله جل وعلا منزلة حقٌ إجمالاً وتفصيلاً. هذا معنى الإيمان بهذه الأشياء، يعني يؤمن بوجود الملائكة إجمالاً وتفصيلاً، يؤمن بالنبيين كما سيأتي إجمالاً وتفصيلاً، يؤمن بالكتاب أيضاً إجمالاً وتفصيلاً، هذا الإيمان مرتبتان منه قدرٌ واجب لا يصح الإيمان إلا به فمن لم يأتي بالقدر الذي سيأتي بيانه فإنه لم يؤمن بالملائكة ولم يؤمن بالنبيين ولم يؤمن بالكتب ومنه قدرٌ مستحب وهو الذي يتنافس فيه أهل العلم في إدراكه والعلم به والعمل بما تحته عمل من ذلك.

المسألة الثانية: تدخل في تفصيل الكلام على هذه المسائل: وأولها الإيمان بالملائكة والإيمان بالملائكة يمكن أن نجعله أيضاً فقرات:

المسألة الأولى: في معنى الملائكة. الملائكة في اللغة: جمع لملئك وملئك قال العلماء إنها مقلوبة من مألك وأصل مألك هذا مصدر فيه معنى

الألوكة وهي الرسالة، بهذا مادة الألوكة هي الرسالة وألك فلاناً بكذا يعني أرسله بكذا، فمادة الملائكة وألك والألوكة كلها في الرسالة ومن ذلك قول الشاعر فيما ذكرته قبل في شروحنا السابقة قال:

ألكني إليها وخيرُ الرسول أعلمهم بنواحي الخبر

يعني أرسلني إليها والألوكة معروفة عند العرب بمعنى الرسالة .

فإذاً الملائكة هم معناهم اللغوي : المرسلون لكن رسالة خاصة على وجه التعظيم لها .

فإذاً الملائكة هم المرسلون، لهذا الله جل وعلا سمى الملائكة مرسلين في قوله ﴿ **وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً** ﴾، كما هو أصح أقوال المفسرين في ذلك، وكذلك في قوله ﴿ **اللَّـهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾ وسيأتي معنى الإصطفاء هنا ولماذا صار بعض الملائكة رسلاً إن شاء الله تعالى يعني خصوا باسم الرسالة دون البقية أما فيما دلت عليه الأدلة فالملائكة عبادٌ من عباد الله جل وعلا خلقوا من نور خلقهم الله جل وعلا من نور وجعلهم متفرغين لعبادته موكلين بشمول ملكوته ليسوا ببنات لله سبحانه وتعالى وليسوا بأولاد له جلا وعلا وإنما هم عبادٌ مكرمون، يعملون بما يأمرهم به ربهم جل وعلا عبادٌ يعبدون ولا يُعبدون مكرمون مطهرون ليسوا بذوي نقص لا في خلقتهم ولا في خُلقهم ولا في عباداتهم لربهم جل وعلا.

المسألة الثانية: الملائكة درجات وطبقات فأعظم الملائكة قدراً الثلاثة الذين خصهم النبي ﷺ في دعائه في الليل يعني في صلاته في الليل حيث كان يدعو ﷺ بقوله: ((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون...)) الخ الحديث، فقوله: اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك فإنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم فنص على هؤلاء الثلاثة لفضلهم

ولرفعتهم عند الله جل وعلا، وهؤلاء الثلاثة جبريل أفضلهم ثم ميكائيل ثم إسرافيل أما جبريل -عليه السلام- وميكائيل وإسرافيل فهم موكلون بأنواع الحياة فجبريل موكلٌ بحياة القلوب؛ لأنه ينزل بالوحي من الله جل وعلا كما قال سبحانه ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ وميكائيل موكلٌ بأمر حياة الإنسان يعني وسائل حياة الإنسان والحيوان والمطر والنبات والرياح وما أشبه ذلك مما فيه حياته واستقامة أمره، وأما إسرافيل فهو الموكل بالنفخ في الصور إذ به إعادة الناس إلى حياة جديدة بعدها لا موت، فإذاً الجميع يشتركون في أنهم يحيون أو أن معهم أسباب الحياة، فلذلك صاروا سادة الملائكة وأكابر الملائكة -عليهم السلام- هم طبقات يختلفون يعني في فضلهم ويختلفون في قربهم من الله جل وعلا وأيضاً يختلفون في وظائفهم وما وكلوا به ولفظ التوكيل أن الملك موكل يعني أن الله جل وعلا أوكل إليه أن يعمل هذا العمل، وذلك لقول الله جل وعلا ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ** ﴾ الله جل وعلا جعل ملك الموت موكلاً بالإنسان وكل سيد من الملائكة معه كثير من الملائكة يأتمرون بأمره وينتهون عن نهيه ويفعلون ما يأمرهم به أميرهم أو قائدهم أو المطاع فيهم، لهذا صار ملك الموت معه رسل كما قال جل وعلا ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ**﴾ في سورة الأنعام الرسل يعني اللي هم أعوان ملك الموت، وكذلك قوله: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ** ﴾ يعني ملائكة الموت، كذلك الله جل وعلا سمى الملائكة الذين سخرهم للريح ووكلهم وهم جنود ميكائيل ﷺ سماهم بصفاتهم فقال جل وعلا ﴿ **وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً** ﴾ وقال ﴿ **والنَّاشِرَاتِ نَشْراً * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً** ﴾، ﴿ **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا** ﴾ ونحو ذلك، وهؤلاء جنود موكلون، المرسلات عرفاً – الناشرا نشراً – الفارقات فرقاً قال طائفة من العلماء في التفسير أنها الرياح، وقال طائفة هي الملائكة من الصحابة ومن التابعين والقولان متقاربان؛

لأن الرياح لا تفعل هذه الأشياء ذات أنفسها بل هي مسوقة مثل ما ترون اليوم يقولون فيما تمليه الأرصاد فما يرون ويستنتجون وجد منخفض جوي في المكان الفلاني في الهند ومرتفع ما أدري إيش وسبب وجود الرياح مشيها كذا والسحاب مشي كذا هذه كلها فيما يعتقده المؤمن أن الله جل وعلا هو الذي فعل هذه الأشياء وأنه أمر الملائكة الموكلين بهذه الأمور أن تفعل هذه الأشياء ثم الناس ينظرون إلى الأسباب ينظرون إلى المسببات ولا ينظرون إلى الفعل الحقيقي فيرون النتيجة يقولون اتجه بسبب المنخفض لكن لماذا حصل المنخفض كيف حصل، ونحو ذلك لا يعرفون؛ لأنهم عن ربهم معزولون .

فإذاً الملائكة وكلهم الله جل وعلا بأمور ملكوته، الملكوت حاجة منه جل وعلا لهم تعالى الله جل وعلا عن ذلك بل هو الغني والملائكة يشرفون بعمل ما يأمرهم به جل وعلا لكن ليظهر فضلهم ولينشغلوا بعبادة الله جل وعلا وبامتثال أمره وبخوفه والانتهاء عن نهيه ونحو ذلك من المعاني.

الشريك السابع والعشرين الوجه (ب)

المسألة الثالثة: الملائكة خلقوا من نور وملئوا السماء وهم كما قال الله جل وعلا عن قولهم ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ** ﴾ يعني في السماء ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾ فهم ملء السموات وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع)) والملائكة لما كانوا مخلوقين من نور فإنهم إذ ملئوا السماء ليس ملء أجسام تحول دون العبور في السماء، بل هذه أجسام نور الله جل وعلا أعلم كيف تكوينها وكيف صفاتها على وجه الكمال ثمَّ كتب كثيرة ألفت في ذكر الملائكة ولا أدري هل يتناسب أن نطيل الحديث حولها أو نحيلكم على بعض الكتب التي فيها ذكر

تفصيل للملائكة، فمنها شرح الطحاوية الذي عندكم فيه بيان لا بأس به، وكذلك نقل عن صاحب معارج القبول وزاد بعض الأدلة، ومن الكتب المعاصرة كتاب للدكتور الأشقر في عالم الملائكة الملائكة وهو كتاب جيد في بابه يمكن أن ترجع إليه.

المسألة الرابعة: من الملائكة أو من بحث الملائكة: أن الإيمان بالملائكة ركن الإيمان، ومعنى كونه ركنًا أن الإيمان لا يوجد إذا فقد، فإنه لا قيام للشيء بدونه وهذا الكلام يصدق في تعريف الركن على الإيمان أركان الإيمان وأما أركان الإسلام ففيها بحث هل الركن فيها ما هو بهذا المعنى أم ثمّ معنى آخر ربما يأتينا في موضع آخر إن شاء الله لكن بإجماع أهل العلم أن من لم يؤمن بالملائكة فلم يؤمن بالله فهو كافر؛ لأن الله جل وعلا ذكرهم في كتابه فهو كافر بالله كذلك من لم يؤمن بالنبيين كذلك من لم يؤمن بكتب الله جل وعلا المنزلة هذا الإيمان الذي هو فرض وركن وواجب له حالان: الأولى: الإيمان الإجمالي، والثاني: الإيمان التفصيلي فمعنى الإيمان الإجمالي أن كل أحد عليه فرض أن يؤمن بوجود الملائكة واحد، والثاني: أن الملائكة عبادٌ وليسوا ببنات لله جل وعلا ولا يُعبدون هذا القدر واجبٌ على كل أحد يؤمن به إجمالاً أن الملائكة خلقٌ من خلق الله عباد لا يُعبدون مع بقية الذي ذكرته لك الآن، أما التفصيلي فهو أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بكل ما أخبر به الله جل وعلا في كتابه أو أخبر به نبيه ﷺ في سننه الثابتة من ذكر الملائكة ففي القرآن لو قال لنا قائل: أنا أؤمن بالملائكة لكن جبريل ما أدري ويش جبريل؛ لأنه ما قرأ القرآن فإنه إذا قرأ القرآن وسمع باسم جبريل وأنه ملك هنا وجب عليه الإيمان تفصيلاً بجبريل فمن كفر بجبريل فقد كفر ببقية الملائكة وبالإيمان الإجمالي أصلاً وكذلك من كفر بميكال وكذلك من كفر بإسرافيل وكذلك من كفر بملك الموت.. الخ .

فإذاً الإيمان الإجمالي هذا هو ركن الإيمان الواجب على كل أحد ثم كل من سمع نصاً ودليلاً فيه ذكر الإيمان بالملائكة من القرآن فإنه يجب عليه أن يؤمن بهذا على وجه التفصيل فلا يجب على كل أحد يعني من المسلمين أن يعلم أن ميكال مثلاً هو الموكل بالقطر أو أن إسرافيل موكل بالنفخ في الصور، لو قال لك قائل مثلاً واحد من العامة أو من جملة الناس أنا لا أدري المهم أنا أؤمن بالملائكة وبس هذا يكفي في الإيمان ثم من علم كل حالة أو اسم ملك أو دليل في ذلك وجب عليه الإيمان به.

المسألة الخامسة: الإيمان بالملائكة تبعٌ للعلم وكلما زاد العلم بالعقيدة وبالنصوص زاد الإيمان بالملائكة لمن وفقه الله جل وعلا، ولهذا نقول الناس متفاوتون في إيمانهم بملائكة الله جل وعلا وليسوا جميعاً سواءً في ذلك والتفاوت سببه تفاوت العلم فكلما كان العلم أكثر كان الإيمان أكثر؛ لأن الإيمان هنا معناه التصديق إذا علم فصدق وآمن جزماً فإن إيمانه يزيد على غيره، وهذا من أوجه معنى زيادة الإيمان ونقصانه في مجموع خصال الإيمان لهذا نقول الإيمان بالملائكة المستحب درجات كثيرة فالسعي في البحث عن ذلك هذا من الإيمان المستحب يعني السعي ثم إذا علم وجب عليه أن يؤمن صار واجباً طلب العلم في هذا ومعرفته ومعرفة أحوال الملائكة وكيف يعبدون الله جل وعلا ويخافونه وخوفهم من الله جل وعلا وامتثالهم لأوامره ونحو ذلك طلب ذلك في السعي فيه هذا من العلم المستحب فإذا علم شيئاً من ذلك وجب عليه الإيمان به؛ لأن الحجة قامت عليه. من المسائل أيضاً المتصلة بزيادة الإيمان بالملائكة وتفاوت الناس فيه أن الإيمان بالملائكة له أثر على العبد المؤمن وهذا الأثر تارة يرجع إلى التوحيد والعلم وتارةً يرجع إلى السلوك والعمل وتارةً يرجع إلى خصال الإيمان أو أركان الإيمان الأخرى، فأما التوحيد والعلم فإنه يعلم أن الملائكة وكما وصفهم الله

جل وعلا بأنهم عباد بل عباد مكرمون وأنهم مع كونهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لكنهم يخافون الله جل وعلا ويعبدونه عبادة دائمة وخوفهم من الجليل جل وعلا مع قربهم منه سبحانه وتعالى وهذه فيها إبطال لدعوى من عبد الملائكة أو قال إنهم بنات الله كما وصف الله جل وعلا قوله بقوله: ﴿ **وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ** ﴾ والجنة هنا هم الملائكة في أحد الأقوال أصح الأقوال والنسب يعني أن الملائكة بنات الله، وهذا جاء مصرحاً بها في آيات كثيرة كما في قوله: ﴿ **وَجَعَلُواْ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** ﴾ كذلك قوله: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ إلى آخر الآيات في هذا. المقصود أن في الإيمان بالملائكة إبطال لدعوى كل من عبد غير الله جل وعلا؛ لأنهم يعبدون غير الله جل وعلا إما في ظنهم أنهم عبدوا الملائكة وهم يعبدون الجن أو عبدوا الأشجار والأوثان وهم يعبدون في الحقيقة أهوائهم والجن سيطرت عليهم فكل عبادة توجهت إلى غير الله جل وعلا فإن الإيمان بالملائكة ومعرفة ما عليه الملائكة يدل على بطلان تلك العبادة، ولهذا ذكر الله جل وعلا في آخر سورة سبأ إشارة إلى هذا الأصل الذي يحتاج بيانه إلى تفصيل بقوله جل وعلا ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ** ﴾ هذا يعم جميع أنواع عبادة غير الله جل وعلا كذلك في توحيد الله جل وعلا في خصال العبادة من الخوف والمحبة واتباع الأمر والنهي هذه كلها الإيمان بالملائكة ومعرفة أحوال الملائكة تزيد العبد معرفة بخصال التوحيد؛ لأن أهل السماء الذين هم ملائكة الله جل وعلا كاملوا توحيد الله جل وعلا واتباعهم لأمره ونهيه سبحانه وتعالى أما الجهة الثانية وهي جهة السلوك والعمل

فللإيمان بالملائكة أثر وذلك أن الملائكة لمن آمن بهم على وجه التفصيل فإنه يعلم أن ثمّ ملائكة يكتبون ما يصدر من الإنسان كما قال سبحانه ﴿ **كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾فكونهم يكتبون وكذلك ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ هذا يجعل إحسانه للعمل ومراقبته لربه في لفظه وفي عمله أعظم؛ لأنه يعلم أنه معه قرينُ يلازمه لا ينفك عن كتابة شيء ولذلك يحسن قوله ويحسن عمله ما استطاع وإذا أذنب فإنه يستغفر وطوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً؛ لأن الملائكة تكتب هذا وهذا و ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ أما من الجهة الأخيرة وهي أن الإيمان بالملائكة له أثر في أركان الإيمان الأخرى فإن الملائكة لمن آمن بهم علم أن منهم الموكل بالوحي وجبريل –عليه السلام– هو الموكل بالوحي وهذا الوحي ما هو؟ هو كتب الله جل وعلا ووحيه على أنبيائه فصار ثم صلة بين الإيمان بالملائكة والأنبياء والإيمان بالملائكة والكتب، ولهذا المعنى جمع فيما يظهر لي جمع الطحاوي بين هذه الثلاثة في هذا الموضع؛ لأن كل واحدةٍ منها تدل على الأخريين الباقيين والإيمان بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة فكل واحدة تدل على البقية ومن ثمرات الإيمان بالملائكة الإيمان بالكتب ومن ثمرات الإيمان بالكتب الإيمان بالأنبياء وإلى آخره، فهذه كلها متصلة جميعاً، من الملائكة من هو موكل اللي هو إسرافيل موكل بالبعث يعني بالنفخ في الصور ومنهم الموكل بالموت... الخ، هذا يرجع إلى الإيمان باليوم الآخر ميكائيل موكل بالقطر وهذا يرجع إلى الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، ومنهم الموكل بالأجنة ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ يأتي ملك فيقول يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد؟ أمريض أم سليم؟ فيقضي الله ما يشاء ويكتب الملك فإذاً لها صلة بالقدر فلهذا نقول إن الإيمان بالملائكة صار من أركان الإيمان بكثرة الأدلة الدالة على ذلك، ولآن الإيمان بالملائكة يدل على الإيمان

بجميع الأركان الأخرى لهذا صار بعد الإيمان بالله الإيمان بالله وملائكته مباشرة الإيمان بالله هل يدل على الجميع والإيمان بالملائكة يدل على الجميع كذلك الإيمان بالكتب يدل على الجميع والإيمان بالرسل يدل على البقية والإيمان باليوم الآخر يدل على الإيمان بالقدر هذه كلمات مختصرة حول الإيمان بالملائكة لكن الموضوع طويل ومهم ولا بد أن تتطلعوا عليه بتوسع في بعض الكتب التي ذكرت لكم خاصة كتاب الدكتور الأشقر فإنه مفيد جداً في هذا الباب، هناك مسألة تطرق إليها الشارح وهي مسألة المفاضلة بين الملائكة والأنبياء والشارح قال: كان الأولى أن لا يدخل فيها شيخ الإسلام قال: كنت أظن أن البحث فيها من المسائل المبتدعة يعني التفضيل حتى رأيت البحث فيها سنياً أثرياً مع ذلك فإني لا أحب الخوض في هذه المسألة؛ لأنها لا يندرج تحتها عمل ومن أراد الإطلاع ينظر في الفتاوى في بحث في نحو أربعين صفحة أو أكثر في هذه المسألة لكن الذي يهم طالب العلم في العقيدة السلفية أن لا يقر من قال: بتفضيل الملائكة مطلقاً هذا القدر مهم أن لا يقال إما أن يسكت عنها وإما أن يقال فيها بقول جمهور أهل السنة.بتفضيل الأنبياء وصالح المؤمنين على الملائكة وأما الخوض بزيادة وأدلة والتفصيل والردود هذا من العلم الذي يترك لعدم الحاجة إليه الآن.

نكتفي بهذا القدر ونلتقي إن شاء الله في الأسبوع القادم بارك الله فيكم ووفقني وإياكم لما فيه رضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشريط الثمن والعشرين الوجه (أ) ٢٠ /٦/١٤١٩ هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً، أما بعد:

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه وأن يبارك لنا في أعمالنا وأعمارنا وأن يقينا شر أنفسنا وسيآت أعمالنا نأخذ بعض الأسئلة:

سؤال : يقول ما هو تعريف الشرك الأصغر؟ وما هي الضوابط التي منها يمكن الحكم على القول أو الفعل أنه شرك أصغر؟

الجواب : الشرك بجميع أنواعه سواءُ الشرك الأكبر أم الأصغر أم الخفي يشترك في كونه تنديداً مع الله جل وعلا وهذا التنديد يعني أن يجعل لله نداً فيما هو له جل وعلا يختلف من جهة الدليل فمنه ما هو شرك أكبر، ومنه ما جاء في الدليل أنه شرك لكن لم يجعل شركاً أكبر وجاء في بعض الأحاديث تسميته يعني تسمية بعض أنواعه الشرك الخفي وسماه العلماء الشرك الأصغر تمييزاً بينه وبين الأكبر، اختلفوا في ضابطه مع اتفاقهم على أن الشرك الأكبر هو دعوة غير الله معه ، هو عبادة غير الله جل وعلا، أو أن يجعل لله نداً سبحانه وتعالى فيما هو من خصائصه جل وعلا وأعظمها العبادة يعني استحقاق العبادة، اختلفوا في الشرك الأصغر في تعريفه على أقوال عند أهل العلم وفي ضبطه ومنهم من قال: إن الشرك الأصغر: هو كل شرك أو عمل وسيلة يكون وسيلة للشرك الأكبر مما كان وسيلة وطريقة إلى الشرك الأكبر فيكون شركاً أصغر، وقد نحا إلى ذلك عدداً من أهل العلم منهم الشيخ عبد الرحمن السعدي في حاشيته على كتاب التوحيد .

والقول الثاني: وهو اختيار أو قول عامة أئمة الدعوة وكذلك يفهم من صنيع ابن القيم وابن تيمية –رحمهما الله– أنهم يذهبون إليه وأن الشرك الأصغر كل ذنبٍ سماه الشارع شركاً ولم يبلغ درجة عبادة غير الله جل وعلا يعني لم يبلغ درجة الشرك الأكبر والفرق بين الأول والثاني يعني بين التعريف الأول والثاني أن هناك أعمال تكون وسيلة للشرك الأكبر ولم يطلق عليها

الشارع أنها شرك ولم يتفق العلماء على أنها شرك فوسائل الشرك الأكبر كثيرة مثلاً: بناء القباب على القبور هذا وسيلة إلى الشرك ووسيلة إلى تعظيم الأموات وإلى أن يعتقد فيهم وأن يتقرب إليهم أو يتعبد عند قبورهم ونحو ذلك يعني أن يعبدوا عند قبورهم ونحو ذلك فبناء القباب على القبور من هذه الجهة هو وسيلة إلى الشرك الأكبر لكن لم يسم أحد من أهل العلم المتقدمين لم يعدوه شركاً أصغر مع كونه وسيلة فالأضبط هو ما ذكرته لك من أن الشرك الأصغر هو كل ذنب أو معصية سماها الشارع شركاً في الدليل ولم تبلغ درجة الشرك الأكبر يعني درجة عبادة غير الله معه سبحانه وتعالى. مثال آخر: الذنوب الذنب يطلق عليه أو يُطلق عليه بعض العلماء أنه لا يصدر ذنب يعني كبيرة من الكبائر أو ذنب من الذنوب إلا وثمَّ نوع تشريك؛ لأنه جعل طاعة الهوى مع طاعة الله جل وعلا فحصلت المعصية وطاعة الهوى وسيلة للشرك الأكبر والذنوب عدد كبير منها وسيلة إلى الشرك الأكبر ومع ذلك لم تُسمى شركاً أصغر وإن دخلت في مسمى مطلق التشريك لا التشريك المطلق مطلق التشريك لا الشرك فلهذا لا يصدق الشرك الأكبر إذا لا يستقيم التعريف الأول في عدد من الصور والأقرب والأولى هو الثاني وهو: أن يقال الشرك الأصغر هو كل ذنب أو معصية سماها الشارع شركاً ولم تبلغ درجة عبادة غير الله معه.

سؤال : لماذا لا تجعلون كلمة بعد الصلاة في هذا المسجد كل شهرٍ تقريباً وتكون بدل الأسئلة قبل الدرس؟

الجواب : هذا رأي مبارك وإن شاء الله نعمل به بإذن الله.

سؤال : هل هناك فرق بين الحلق بالموسي والحلق بالماكينة لأن هنالك من يفرق ويقول إن حلق الرأس بالماكينة يعتبر تقصيراً فلا بد من الموسي للحديث: المحلقين والمقصرين؟

الجواب : التحليق المعروف الذي أمر به بعد أداء النسك العمرة أو الحج وجُعل أفضل من التقصير وجاء في قول الله جل وعلا ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ امِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ فقدم التحليق لفضله جاء في الحديث رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين حقيقة المعروفة في عهد النبي ﷺ هو الحلق بالحديدة بالموسي المعروف بحيث أنه يستأصل الشعر من أصله أما الماكينة فهي تختلف درجاتها منها يسمون هذا وجه خمسة وستة وثلاثة الخ، ما كان منها أقصر كان أقرب إلى الحلق؛ لأن المعنى في التعبد بحلق الشعر وإزالته هو أن يُزال الشعر الذي هو مظهر من مظاهر الجمال عند العرب، العرب تتجمل بالشعر في الرجال والنبي ﷺ كان له شعر وفرة وربما كانت له غدائر أربع يجعل ثنتين عن يمينه وثنتين عن يساره من خلفه ونحو ذلك مما جاء في وصف العرب والنبي ﷺ أمر بإكرام الشعر من كان له شعر فليكرمه والعناية به مظهر من مظاهر الجمال هذا له صلة أيضاً بالديات فيما إذا جنى جناية على شعره ثم لم يعد مما هو معروف المقصود أنه مظهر من مظاهر الجمال فلهذا وضع الشعر تواضعاً لله جل وعلا ورغبة فيما عنده بعد أداء النسك الذي يجمعه ترك أنواع الترفة والبعد عن الركون لملذات الأرض والقرب من الله جل وعلا هذا كلما كان أبلغ كان أفضل فإذاً الحلق هو أفضله؛ لأن فيه المبالغة في ترك التزين بالشعر، فالحلق بالماكينة هو كل ما كان أقرب إلى الحلق بالموسي فهو أفضل وكلما كان أقل فهو يداني التقصير فحقيقة التقصير عند العرب في الزمن الأول هو أن يؤخذ من جميع الشعر من جميع جهاته يؤخذ ويقصر الشعر وإذا كان له غدائر وكان شعره من خلف يمكن جمعه فيؤخذ بما لا يقل عن ما يلف على اليد يعني مثل المرأة في أقله إذا كان يجمع المقصود أن الماكينة هذه تختلف

فكلما كان العبد أبعد عن إبقاء الشعر يعني كان أخذه للشعر أكثر كلما كان أفضل.

سؤال : هل أراد ابن الزبير -رضي الله عنه- أن يحرق آل البيت أو يضيق عليهم؟

الجواب : حاشا وكلا ابن الزبير -رضي الله عنه- من جلة الصحابة وممن يُعظم آل البيت كغيره، أما التأويل في بعض أفعاله وما حصل فيه في مكة خاصةً مع ابن عباس وغيره فهذا لا يدل على ما قال.

سؤال : ألا يقال في تفسير ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ بقوله تعالى ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ أي أن الفضاء الذي وصل له البشر إنما هو في السماء الدنيا؟

الجواب : الآية: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ الآيات هذه الراجح من أقوال المفسرين أنها يوم القيامة وليست في الدنيا وأن هذا تعجيز للجن والإنس أن يستطيعوا النفاذ من أمر الله جل وعلا في الساعة يوم تنزل الملائكة وتصف صفوفاً أو تحيط بأهل الموقف فلا أحد يستطيع أن يفلت من الحساب كقوله جل وعلا ﴿ **يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ** ﴾ وهذا أولى من جعلها في الدنيا وبعض أهل العلم رأى أنه هذا يمكن أن تكون في الدنيا لقوله ﴿ **لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ وإذا وجد السلطان فإنه يمكن أن ينفذ لكن هذا ليس بجيد لأننا نعلم أن الجن بنصوص الأحاديث والآيات أنها تنفذ إلى السماء وتبعد وتسترق السمع يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغون السماء بحيث يسمعون الوحي فتارة يسمعون ويلقيها إلى من تحته قبل الشهاب وتارة يأخذه الشهاب قبل ذلك وفق حكمة الله جل وعلا والشهب ما تأخذ الجن في السماء

يعني في الغلاف الجوي في الأرض إنما تأخذهم في أعلى السماء يعني السماء الدنيا عالي أو ما هو أعلى الله أعلم بحقيقة ذلك فإذاً ظاهر قوله تعالى: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُواْ** ﴾ لما كان الخطاب دخل فيه الجن ونعلم من النصوص أن الجن يركب بعضهم بعضاً ويبعدون في السماء حتى ملأت السماء حرساً شديداً وشهباً لما نزل الوحي على النبي ﷺ فيكون الراجح فيها هو تفسير جمهور أهل العلم بأن المراد يوم القيامة وسياق الآيات يدل عليها، قال جل وعلا ﴿ **يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ ثم قال: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُواْ** ﴾ ثم قال ﴿ **يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ** ﴾ ثم قال ﴿ **فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ** ﴾ إلى أن ذكر مصير أهل النار ومصير أهل الجنة وترجعون لتفسير الآية في تفسير ابن كثير أو غيره.

سؤال : ما هي الأفعال الجبلية التي فعلها الرسول ﷺ وليس علينا اتباعها ويدخل فيها مشيته وأكله بثلاث أصابع ﷺ ؟

الجواب : هذا سؤال جيد أفعال النبي ﷺ عند العلماء من الأصوليين والفقهاء والمجتهدين منقسمة إلى أفعال يجب الإقتداء به فيها، وإلى أفعال يستحب الإقتداء به فيها يعني أن يُستن به فيها ﷺ، والقسم الثالث: أفعال جبلية فعلها النبي ﷺ بمقتضى ما جبله الله جل وعلا عليه من الرغبات وما يجب وما يكره بمقتضى جبلته واختياره ﷺ لا بمقتضى الوحي فهذه الأفعال الجبلية التي يدخل فيها طريقة نومه أو هيئته في المشي كان إذا مشي كأنما ينحدر من ضبب ونحو ذلك من صفاته ﷺ التي هي بمقتضى الجبلة ما يحبه من الأكل يحب مثلاً الحلوى يحب أن يخلط الرطب بالقثاء وأشباه ذلك هذه ضابطها أنها لا تدخل في العبادة في نوع من العبادة، والثاني: أنه لم يأمر بها النبي ﷺ ولا

حض عليها فإذا فعلها فعلٌ مجرداً وهي من الأفعال الجبلية ولم يأمر بها وليست مأمور العبادة فهذه هي ضابط الأفعال الجبلية فهذه لا يُتعبد بفعلها لكن من فعلها إقتداءً بالنبي ﷺ فيثاب على نيته التأسيي برسول الله ﷺ لا على نفس الفعل ولكن على نيته التأسي أما الأفعال العبادية أو ما أمر به أو ما فعله النبي ﷺ من الأفعال العبادية فهذه يؤجر العبد على التأسي به يؤجر على الفعل نفسه وعلى نيته التأسي جميعاً، أما الأفعال الجبلية فمن فعل كفعله ﷺ مما لا دخل له في العبادة ولم يأمر به ﷺ وإنما كان مقتضى ما يحب وما يكره كان يشرب الماء مصاً ﷺ كان إذا مشى كأنما ينحدر من صبب كان يحب من الأكل كذا وكان يحب الدباء يتتبعها في الإناء ونحو ذلك مما هو من مقتضى الطبيعة فتركه ﷺ للضب ولم يحرمه ﷺ وقال: ((إنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه)) ونحو ذلك من الأفعال الجبلية فهذه لا يشرع التأسي به ﷺ فيها لكن من تأسي فيثاب على إقتدائه على نيته إقتدائه ومحبةً للنبي ﷺ ومتابعته له في شأنه كله لا على الفعل نفسه؛ لأن الفعل ليس محل التعبد.

سؤال : هل صحت قصة أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس -رضي الله عنه-؟

الجواب : أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس -رضي الله عنه- لا توجد مجموعة في كتاب من كتب الحديث، وإنما هي متفرقة وهي أسئلة كثيرة في الاستدلال على صحة التفسير بشعر العرب، هذه روى منها الطبراني في الكبير جملة كبيرة وروى منها أيضاً ابن الأنباري في الوقف والابتداء في أوله جملة كبيرة وروى منها عدد من أهل العلم كابن جرير وغيره متفرق في كتابه جمل كثيرة فجمعها السيوطي في الإتقان جمعٌ حسن وأفردت أيضاً في مؤلف معروف ومنها ما هو صحيح ومنها ما هو دونه من حيث الإسناد لكنها قصةٌ مشهورة عند أهل

العلم وعند أهل التفسير ولا يوجد سؤال من الأسئلة ولا جوابه والاستدلال عليه بالشعر إلا وتجده في كتب التفسير عناية منهم بذلك.

سؤال : هل ابتياع الطيب بثمن كثير من التبذير؟

الجواب : التبذير شرعاً غير الإسراف، لو قال: من الإسراف هذا فيه بحث لكنه من التبذير ليس من التبذير؛ لأن التبذير هو إنفاق المال مع عدم توخي الوجه الشرعي فيه مأخوذٌ من رمي البذر رمي البذور وهو يرميها الذي يبذر يرمي البذور يمين ويسار يمشي يرمي يمين ويسار وهو ماشي دون أن يتوخى مكاناً معيناً مثل الغرس يأخذ البذر ويحفر لها إنما يرميها رمي فلذلك سميَّ من ينفق ماله مع عدم توخي الوجه الشرعي في إنفاقه مبذراً ولهذا ناسب أن يكون أخاً للشيطان؛ لأن الشيطان ليس بمتحري للوجه الشرعي في أفعاله قال جل وعلا ﴿ **وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً *إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً** ﴾ الذي يرعى نعمة الله جل وعلا يتحرى الحلال في إنفاقه يتحرى ما أذن به الله جل وعلا في إنفاقه، فالطيب من الطيبات ومن سنة النبي ﷺ وأمر به ﷺ والاهتمام به من السنة واشترائه بثمن كثير أو قليل هذا ليس من التبذير؛ لأنه مباح أو مسنون لكن هل هو من الإسراف؟ أم لا؟ يختلف بحسب الأشخاص وبحسب الحالات فالنبي ﷺ -كما رواه الإمام أحمد في المسند ورواه غيره- لما خطب علي -رضي الله عنه- فاطمة بنت محمد ﷺ وأرسل مهرها وكان نحو أربعمائة درهم أو شيء من ذلك قال النبي ﷺ اجعلي ثلثيه طيباً والثلث فيما تشتهيه يعني من اللباس أو... الخ، فالطيب يدخل في الإسراف إذا جاوز ما يستطيعه الإنسان؛ لأنه إذا أرهق نفسه أو تجاوز به ما هو عليه من الواجبات فإنه يدخل في الإسراف فإذاً لا يستوي الناس في مثل هذه المسائل في الإسراف أو عدم الإسراف هذا بحسب الحال مثلاً واحد يشتري كليو الطيب بألفين ريال يعتبر في حقه معتدلاً وآخر يشتري بألفين ريال

كيلو ويعتبر في حقه أرهق نفسه وأسرف وزاد؛ لأن عليه واجبان وليس له أن يتمتع بهذا المستوى مثل أيضاً الدهونات والأطياب المختلفة يعني شراء دهن تولته بثلاثمائة أربعمائة ريال وهو ما عنده إلا ما يكفيه هو وأولاده فيدخل في الإسراف أما من وسع الله جل وعلا عليه ورزقه فالنبي ﷺ كان يتطيب بأخلاط مختلفة من العود والألوة يعني والعنبر والكافور يجعلها وكان له سُكَّة يخلط فيها المسك مع العنبر مع أدهان مختلفة ﷺ نكتفي بهذا. اقرأ.

المتن :

ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين .

الشرح :

نحن أخذنا الكلام على الملائكة- نكمل بيان ما في هذه الجملة من المسائل وقد ذكرنا في الدرس السابق أصول الإيمان يعني أركان الإيمان وأدلة ذلك من الكتاب والسنة وذكرنا بعض المسائل المتعلقة بالملائكة وذكرنا لكم أن الكلام على الملائكة فيه تفصيل كثير يطلب من كتب التفسير ومن كتب الحديث والعقيدة ومن الكتب المصنفة في هذه العقيدة عقيدة الإيمان بملائكة الرحمن جل جلاله وتقدست أسمائه، قال: ونؤمن بالملائكة والنبيين الإيمان بالنبيين يعني الإيمان بالأنبياء والمرسلين؛ لأنه إذا أطلق النبي في الإيمان فيراد به الإيمان بالأنبياء والمرسلين وذلك من جهتين:

الجهة الأولى: أن قول كثير من أهل العلم أن كل رسول نبي فإذا قلنا نؤمن الأنبياء فمعنى ذلك نؤمن بالرسل؛ لأن كل رسول نبي.

الجهة الثانية: أن القرآن الكريم جاء فيه ذكر المرسلين بذكر الأنبياء يعني سُمِّي المرسلون أنبياء سورة الأنبياء من ورد فيها جلهم مرسلون إبراهيم -عليه السلام- أولها محمد ﷺ ثم إبراهيم الخليل ثم لوط ثم نوح ثم داوود وسليمان ثم

أيوب...إلى آخره ، ولهذا قوله ونؤمن بالملائكة والنبيين يعني بالرسل والأنبياء جميعاً والتعبير بالرسل أولى؛ لأنه هو الذي جاء في الأدلة في الكتاب والسنة ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ قال: أخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وفرض الإيمان أن يؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً؛ لأن الله -ﷻ- أمرنا بذلك وتحت هذا الأصل والركن وهو الإيمان بالنبيين مسائل:

المسألة الأولى:

في تعريف النبي، النبي في القرآن جاء في قراءتان النبي، والبنئ ﴿ **يأَيُّهَا النَّبِيُّ** ﴾ والقراءة الثانية ﴿ **يأَيُّهَا النَّبِيءُ** ﴾ كما هي قراءة نافع وغيره وفرقُ ما بين النبي والنبيء فالنبيءُ هو من نُبِّأ والنبيُ من صار في نبوةٍ يعني في ارتفاع عن غيره فإذاً نقول النبيُ والنبيءُ هو: من اختصه الله جل وعلا بالإنباء والوحي فصار مرتفعاً عن غيره في المقام؛ لأجل ما أوحى الله جل وعلا إليه هذا اللفظ أنه أرسل فلفظ نبيء ونبي من جهة اللغة واللفظ الذي جاء في القرآن هذا فيه الإنباء وفيه الرفعة، والرسول فيه الإرسال ولهذا اختلف العلماء هل النبي والرسول واحد أو بينهما فرق؟ بين النبي والرسول على أقوال كثيرة مر معنا تفصيل الكلام عليه في عددٍ من الشروح وأقربها شرح الواسطية وغيره لكن نذكر لك ملخص الكلام أن الأقوال في الفرق ما بين النبي والرسول متعددة.

من أهل العلم من قال: النبي والرسول بمعنى واحد فكل رسول نبي وكل نبي رسول وذهب إلى هذا جمع من أهل العلم من المفسرين ومن الفقهاء وغيرهم.

والقول الثاني: هو أن النبي غير الرسول ودل على الفرق بينهما قول الله جل وعلا في سورة الحج ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا**

تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ قال ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ فدل ظاهر الآية قوله ﴿ **مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ أن النبي غير الرسول وهذا ظاهر الدليل وظاهر الدلالة على أنه ثم فرق بينهم ولو كان النبي هو الرسول لما صح أن يقال ﴿ **مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ لأن النبي هو الرسول فكيف يقول ولا نبي قد يكون بالعطف بالواو من رسول ونبي فتكون هنا مغايرة في الصفات لكن لما أدخلت لا دل على أن هذا غير هذا من رسول ولا نبي، والدليل الثاني على أن ثمة فرق بينهما أن النبي ﷺ ذكر الرسل والأنبياء الذين يأتون يوم القيامة فقال: ((يأتي النبي ومعه الرهط ويأتي النبيُ ومعه كذا ويأتي النبي وليس معه أحد)) ووجه الدلالة من الحديث أن قوله يأتي النبي وليس معه أحد يحتمل أن يكون لم يرسل إلى أحد ويحتمل أن يكون لم يستجب له ويتجه الاحتمال أنه لم يرسل إلى أحد بل هو نبي لقوله ﷺ ((ما بعث الله من نبي إلا وأعطاه من الآيات ما على مثله آمن البشر، وكان الذي أُتيته وحياً يُتلى)) الحديث الذي رواه مسلم في الصحيح، حديث عياض بن حمار المجاشعي فدل على أن كل نبي أعطي آية وآمن من آمن بتلك الآية لهذا نقول قوله ﷺ ((ويأتي النبي وليس معه أحد)) هذا لأجل قصر الرسالة على هذا النبي وحده يعني أنه ليس مرسلاً إلى غيره.

الدليل الثالث: حديث أبي ذر المشهور الذي رواه ابن حبان في الصحيح ورواه غيره من أن النبي ﷺ ذكر عدة الأنبياء هو حديث طويل منه جمل ثابتة صحيحة لشواهدها ومنها جمل مختلف فيها فمنها أنه ذكر عدة الأنبياء وذكر عدة المرسلين فقال في عدد الأنبياء أنهم مائة وأربعة وعشرين ألف وقال في عدة المرسلين إنهم كعدة أهل بدر يعني نحو أربعة عشر وثلاثمائة رسول فدل الحديث على الفرق بينهما وكون هذا هو العدد أو أقل

ليس هو هذا محل الشاهد، وإنما قوّى صحة التفريق ما بين النبي والرسول أنه في الحديث الاختلاف في العدد دلالة الآية والحديث الذي قبله يقوي الاستدلال بحديث أبي ذر هذا المقصود دلت هذه على ترجيح قول من قال أن الرسول والنبي مختلفان وهذا ظاهر في الاستدلال كما ترى ما الفرق بينهما في التعريف؟ اختلف العلماء في التعريف في تعريف النبي والرسول فقال يعني ممن قال بالفرق بينهما قالت طائفة كثيرة من أهل العلم أن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بالتبليغ فجعلوا الفرق ما بين النبي والرسول هو الأمر بالتبليغ.

القول الثاني: وهو قول أيضاً مشهور عند عددٍ من المحققين وهو الذي اختاره ابن تيمية –رحمه الله– في أول كتاب النبوات أن الرسول والنبي يشتركان في وقوع الإرسال عليهما، الرسول مرسل والنبي مرسل لظاهر قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ** ﴾ فالرسول مرسل والنبي أيضاً مرسل لكن جهة الإرسال مختلفة قال: الرسول يرسل إلى قومٍ يخالفونه في أصل الدين فيأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك، وأما النبي فإنه يرسل إلى قومٍ موافقين يجدد بإرساله شرعة الرسول الذي أمروا باتباعه مثل أنبياء بني إسرائيل كلما مات نبي خلفه نبي وكلهم تبع لموسى –عليه السلام–، وهذا التعريف أو هذا التقريب لتعريف الرسول والنبي هذا أقرب للدليل وأوضح في فهم الأدلة الشرعية ولذلك نقول هو المختار في أن النبي موحى إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قومٍ موافقين أو لم يؤمر بالتبليغ قد يكون مقتصر على نفسه وقد يؤمر بالتبليغ إلى من يوافقه يوافقه في أي شيء في اتباع الرسول الذي يتبعه النبي ويتبعه الناس وأما الرسول فمن أوحي إلي بشرع أو بكتاب وأمر بإبلاغه أو تبليغه إلى قوم مخالفين له يعني في أصل الدين.

المسألة الثانية:

الأنبياء درجات في الفضل الأنبياء والرسل درجات في الفضل والمنزلة عند الله جل وعلا وهذا التفضيل جاء في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّـهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾ فنؤمن بأن الرسل بعضهم أفضل من بعض والرسل والأنبياء كذلك بعضهم أفضل من بعض وليسوا على مرتبة واحدة، أول الأنبياء آدم -عليه السلام- وآخر الأنبياء محمد ﷺ وأول الرسل نوح -عليه السلام- وأخر المرسلين محمد ﷺ فآدم نبي كما جاء في الحديث الصحيح ((آدم نبي مكلم)) وينطبق عليه حد النبي؛ لأن الله جل وعلا أوحى إليه وكلمه سبحانه وتعالى منهم من الأنبياء والمرسلين أولو العزم من الرسل وهم الذين جاء فيهم قول الله جل وعلا ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ واختلف العلماء في أولي العزم من الرسل من هم على أقوال كثيرة:

أولها: أن كل رسولٍ هو من أولي العزم ومعنى أولي العزم يعني أولي الصبر والمصابرة والجلد والتجلد في دين الله جل وعلا فهم أهل عزم قوي في مواجهة أعداء الله وأهل صبر ومصابرة، فهذا القول أن كل رسولٍ هو من أولي العزم، ما معنى قوله إذاً ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ قالوا من هنا ليست تبعيضية بل بيانية مثلما تقول الرجل من القوم الرجل من القوم يعني فاصبر كما صبر أولوا العزم من الناس لا من الرسل والرسل كلهم على هذا فتكون من هنا على هذا التفسير بيانية لا تبعيضية.

القول الثاني: أن الرسل أن أولي العزم من الرسل ثمانية عشر رسولاً وهم المذكورون في سورة الأنعام.

القول الثالث: أن أولي الزعم من الرسل خمسة وهم المذكورون في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى قال جل وعلا ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ**

أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ فجمع خمسة الرسل وهم المذكورون أيضاً في سورة الأحزاب وهذا القول بأنهم الخمسة هؤلاء، هذا القول هو الأظهر والأرجح ويدل له ويقويه أن هؤلاء الخمسة هم الذين يستغيث الناس بهم يوم القيامة من شدة الحساب أو يعني من شدة هول الموقف وطول المُقام في طلب تعجيل المحاسبة والقضاء بين الخلق أعاننا الله جل وعلا على شدائد ذلك اليوم في الحديث المعروف حديث الشفاعة الطويل فيأتون آدم ثم قال يأتون نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ آدم خرج؛ لأنه ليس إيش ليس برسول وبقي الخمسة؛ لأنهم مرسلون.

المسألة الثالثة:

الأنبياء يعطيهم الله جل وعلا يعني نؤمن بالأنبياء ونؤمن بآيات الأنبياء فيعطي الله جل وعلا الأنبياء آيات وهذه الآيات كما جاء في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: ((ما بعث الله من نبي إلا وأعطاه من الآيات ما على مثله آمن البشر)) فما يؤتيه الله جل وعلا المرسلين أو الأنبياء للدلالة على صدقهم في دعوى الرسالة أو دعوى النبوة هذه تسمى آيات وتسمى براهين في الكتاب والسنة وأما تسميتها معجزات فهذا لفظ حادث بعد ظهور علم الكلام وخاصة من جهة المعتزلة ولا نمتنع من إطلاقه لكن يقيد بتقيده الشرعي الصحيح؛ لأنها هي معجزات لكنها آيات وبراهين، والفرق بينهما أولاً: أن الآية والبرهان جاء الدليل بها والمعجز لم يأتي الدليل به.

الثاني: أن اللفظ معجزة فيها إجمال ووجه الإجمال يقالُ معجزة لمن؟

الشريط الثامن والعشرين الوجه (ب) .

هل هي معجزة للقوم الذين بعث فيهم النبي أو معجزة للناس أجمعين أو معجزة للجن والإنس أو معجزة للجن والإنس والملائكة فهذه فيها إجمال

ولذلك ما جاء بها الدليل ومن أطلقها اختلفوا فيها هذا الإعجاز هل هو إعجاز للناس أو إعجاز لأهل زمان دون غيرهم والصحيح عند أهل السنة والجماعة أو الصحيح في قول أكثر أهل السنة والجماعة أن المعجزة هي ما صار الإعجاز به للجن والإنس جميعاً لا لطائفة منهم فهي معجزة للجن والإنس جميعاً لا يستطيعون أن يأتوا بمثل ذلك ودل على هذا قول الله جل وعلا ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ وتسميتها آية وبرهان هي آية يعني دليل واضح يلزم بنتيجته وهو قبول دعوى من كانت معه هذه الآية وبرهان وهو الدليل الواضح الجلي الذي هو كبرهان الشمس يعني ضوء الشمس في وضوحه ونصاعته وجلائه مما لا يُجادل فيه هذا هو الذي جاء في القرآن بتسميتها آيات وبراهين ﴿ **فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ** ﴾ وقال جل وعلا ﴿ **فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ** ﴾ وقال جل وعلا ﴿ **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ايَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى** ﴾ ونحو ذلك فهي إذاً في القرآن والسنة مسماة آيات وبراهين وهذه التسمية شرعية ولا يرد عليها ما يرد على لفظ المعجز مما ذكرناه لك الآيات والبراهين هذه تختلف وهي معجزات وهي تختلف وثمَّ بحث طويل فيها ربما يأتي في موضع آخر.

المسألة الرابعة:

معنى الإيمان بالأنبياء والمرسلين أننا نؤمن بأن الله جل وعلا بعث وأرسل مرسلين وأيدهم وكانوا أصلح أهل زمانهم وأيدهم بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم وأنهم أتقى الخلق أتقى الناس لربهم وأعرف وأعلم الناس بربهم جل وعلا، فنؤمن بكل نبي علمناه أو لم نعلمه؛ لأن الأنبياء منهم من قُص علينا والمرسلين ومنهم من لم يُقص علينا قال جل وعلا ﴿ **مِنْهُم مَّن**

قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ فإذاً الإيمان بالأنبياء والمرسلين على درجتين:

١.إيمان إجمالي: وهو الإيمان بكل رسول أرسله الله جل وعلا وكل لنبي علمنا أو لم نعلم.

٢. إيمان تفصيلي: بأن كل من علمنا رسالته ونبوته بالدليل والقرآن فهذا يجب علينا أن نؤمن به وأن نتولاه وأن نحبه؛ لأن الأنبياء أخوةٌ لعلات دينهم واحد وكلهم أكمل الخلق توحيداً وإيماناً لله جل وعلا وطاعة له وخوفاً منه جل وعلا، ثُمَ ثَمَ إيمان خاص بهذه الأمة أمة الإجابة وأمة الدعوة أنه يجب على الجميع الإيمان بمحمد بن عبد الله الهاشمي القرشي الذي أرسله الله جل وعلا للناس أجمعين بل للجن والإنس أجمعين فيجب الإيمان به ﷺ بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأنه بُعث بالإسلام وأن الإسلام نسخ ما عداه من الأديان وأن كل دعوة للدين غير ما جاء به محمد ﷺ فهي باطلة ورد ﴿**وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّـهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ فبه ختمت النبوة وأعطاه الله جل وعلا الإسلام وأنزل عليه القرآن حجة له ولأمته إلى قيام الساعة، ومن الإيمان بالنبي ﷺ تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله بطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر وأن لا يُعبد الله جل وعلا إلا بما شرعه رسوله ﷺ.

المسألة الخامسة:

من كذَّب برسول بعد العلم به فإنه مكذب بجميع الأنبياء والمرسلين فمن قال: أكذب بفلان من الرسل وأومن بمحمد ﷺ فهو كافر؛ لأنه من كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين إذا بلغه العلم وقامت عليه الحجة قال جل وعلا ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ** ﴾ كذبت قوم نوحٍ المرسلين اتفقنا على أن نوحاً –عليه السلام– كان أول رسول قال جل

وعلا ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ لأنهم لما كذبوا نوحاً فإنهم كذبوا بتكذيب نوح جميع المرسلين؛ لأن دينهم واحد وهو توحيد الله جل وعلا والبراءة والكفر بالطاغوت كذلك قوله ﴿ **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ وكذلك قوله ﴿ **وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً** ﴾.

ننتقل إلى التي بعدها: قال (ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين) قوله (الكتب المنزلة على المرسلين) خص إنزال الكتب بالمرسلين؛ لأنهم هم الذين يؤتيهم الله جل وعلا الكتاب، وأنزل الله جل وعلا كتباً كثيرة منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم قد أمر الله جل وعلا عباده أن يؤمنوا بكل كتاب كما قال سبحانه ﴿ **وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ والإيمان بالكتب ركن الإيمان كما ذكرنا وأصل من أصوله فلا يصح إيمان أحد حتى يؤمن بالكتب التي أنزل الله جل وعلا وتحت هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى: الكتاب الذي أنزله الله جل وعلا هو وحيه -ﷻ- لرسوله الذي أعطاه الله جل وعلا ذلك الكتاب ووحيه قد يكون بواسطة الرسول الملكي إلى الرسول البشري، وقد يكون أن الله جل وعلا أوحى مباشرة فوحي الله جل وعلا بكتبه ينقسم كما قال جل وعلا في آخر سورة الشورى ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ فجعلها ثلاثة أقسام فمنها ما كتبه الله جل وعلا بيده كم هي صحف موسى -عليه السلام- والتوراة خطها الله جل وعلا بيده الكريمة العظيمة جل جلاله ومنها ما نزل به جبريل -عليه السلام- إلى الرسول ﷺ

الكتب كتب الله جل وعلا من جهة أنها كلامه متفقة يعني كلها كلام الله جلا وعلا فالله سبحانه وتعالى تكلم بما تكلم به فسمعه جبريل منه فأنزله على رسوله فتكلم بالقرآن فنزل به جبريل على محمد ﷺ وتكلم بالإنجيل فنزل به على عيسى وتكلم بالتوراة جل وعلا فنزل بها على موسى -عليه السلام-.

المسألة الثانية: كتب الله جل وعلا هي من آياته التي أعطاها الرسول يعني أنها من الوحي وموضوعات الكتب مختلفة فمنها ما هو مواعظ ورقائق ومنها ما هو شريعة، ومنها ما خبر، وأمر ونهي يعني أخبار وإنشاءات وأوامر ونواهي فهي مختلفة في موضوعاتها. الأنبياء دينهم واحد وشرائعهم شتى فمن جهة التوحيد الكتب متفقة والأنبياء دينهم واحد في توحيد الله جل وعلا واتفاق الكتب والأنبياء في التوحيد يُعنى به شيئان:

الأول: أن أصل التوحيد وهو عبادة الله جل وعلا وحده ورد عبادة غير والكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله هذا قدر مشترك في رسالة جميع الأنبياء قال جل وعلا ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ** – يعني من المرسلين– **إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ...**﴾ فهذا قدرٌ مشترك بين جميع الأنبياء والمرسلين والكتب دلت على هذا وحضت عليه وأمرت به.

والشيء الثاني: هو أصول الإيمان الستة أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى هذا متفق عليه أيضاً بين الأنبياء لا خلاف فيه وذلك أن جهة الإيمان بهذه الأشياء بالخبر والخبر لا ينسخ ولا يكذب فيه والله جل وعلا إذا أخبر نبياً بشيء من أمر الغيب فهو على ذلك فالأنبياء في كتبهم وما أرسلوا به متفقون على هذين الأصلين العظيمين توحيد

الله جل وعلا على نحو ما ذكرت لك وأمور الغيب الستة هذه وأمور الإيمان الستة ولذلك معنى قوله الدين واحد يعني هذين الأصلين والكتب تختلف في الشرائع تختلف في القصص ما يقص به في كتاب يكون مفصلاً فيه وكتاب يكون مختصراً تختلف فيه الشرائع والأمر والنهي يكون التوراة شريعتها شديدة وفيها قوة في الطهارة في الصلاة وفي الجهاد وفي أشياء كثيرة فهي شريعة فيها الشدة ولا يصبر عليها إلا صابر؛ لذلك ما صبر عليها بنو إسرائيل، والإنجيل فيه الرقة والوعظ والتسامح إلى آخره ، وتحليل بعض ما حرم الله جل وعلا على بني إسرائيل يعني أن موضوعات كتب الله جل وعلا مختلفة والله سبحانه وتعالى يوحي بما يشاء وفق حكمته جل وعلا ووفق ما يريد من عباده -ﷻ- فشرائع الأنبياء شتى والكتب مختلفة باختلاف الشرائع وأيضاً مختلفة فيما قص الله جل وعلا في تلك الكتب؛ لأن القصص للعبرة والناس يختلفون في الأمم بما يصلحهم من أمور القصص وما يحدث عندهم العبرة.

المسألة الثالثة: الإيمان بالكتب على نحو ما ذكرنا على نحو ما ذكرنا سالفاً في الإيمان بالملائكة والنبيين ينقسم إلى إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي فالإيمان الإجمالي يجب على كل أحد أن يؤمن بكل كتاب أنزله الله جل وعلا كما قال -ﷻ- ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ وقال جل وعلا ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾ فكل كتاب يجب على العباد أن يؤمنوا به علموه أو لم يعلموه فنؤمن بالتوراة ونؤمن بالإنجيل ونؤمن بالزبور ونؤمن بالقرآن ونؤمن بكل كتاب أعطاه الله جل وعلا أنبيائه يعني رسله ونؤمن أيضاً إيماناً تفصيلياً، وهذه المرتبة الثانية وهو أن كل كتاب علمناه في الدليل كل كتاب سمع المسلم بذكره في كتاب الله جل وعلا أو في سنة النبي ﷺ فيجب أن يؤمن به على وجه التفصيل، التوراة ذكرت صحف موسى ذكرت صحف

إبراهيم ﷺ ذكرت الزبور ﴿ **وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً** ﴾ الزبور ذكر الإنجيل ذكر وهكذا فهذه نؤمن بها على وجه التفصيل فكل كتاب ذكره الله جل وعلا في كتابه وجب علينا الإيمان به تفصيلاً ثم الإيمان بالكتب ثم مرتبة واجبه وأكيدة وهي آكدها وأعظمها وهي الإيمان بهذا القرآن الإيمان بكتاب الله جل وعلا الخاتم الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ .

والإيمان بالقرآن يشمل أشياء:

أولاً: الإيمان بأن القرآن كلام الله جل وعلا وليس بقول البشر بل هو كلام الحق –ﷻ– أوحاه إلى عبده محمد ﷺ .

والثاني: أن القرآن ناسخ لما قبله من الكتب فليس لأحد أن يتبع غير القرآن بل الواجب أن يصدق بكل خبر في القرآن ويعتقدوا وأن يعمل بكل أمر ونهي جاء في القرآن بامتثال الأمر واجتناب النهي.

والثالث: أن يُعلم أن القرآن جعله الله جل وعلا مهيمناً على الكتب وشاهداً عليها كما وصفه بذلك في سورة المائدة وهذا يدل على أن الناس واجب عليهم ألا يلتفتوا عن هذا القرآن إلى غيره متى ما سمعوا هذا القرآن لذلك الآن تكاد من جهة السماع، السماع بالقرآن تكاد الحجة قامت من جهة السماع لهذا الوحي وأنه كلام الله جل وعلا على أكثر الخلق.

المسألة الرابعة: الكتب التي أنزلها الله جل وعلا على المرسلين اختلف العلماء هل يدخل فيها الصحف؟ أم أن الكتب غير الصحف على قولين من أهل العلم من قال: الصحف هي الكتب، ومنهم من قال: لا الصحف غير الكتاب ويتضح الفرق في صحف موسى ﷺ والتوراة فإن الله جل وعلا أعطى موسى صحفاً –عليه السلام– وأعطاه أيضاً التوراة فهل هما واحد؟ أم هما مختلفان خلاف. والقول الأول: أنهما واحد؛ لأن صحف موسى هي التوراة وهي التي كتبها الله جل وعلا بيده.

القول الثاني: لا، الصحف غير الكتب وهذا القول هو الصحيح وهي أن كتب الله جل وعلا غير الصحف ويدل على هذا الفرق أن الله جل وعلا أعطى موسى صحفاً -عليه السلام- وأيضاً كتبه في الألواح كتب له ذلك في الألواح كما قال ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ وأوحى الله جل وعلا إليه بالتوراة أيضاً، فقوله ﴿ **صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾ صحف إبراهيم ذكر الله جل وعلا ما فيها في سورة النجم قال ﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ...**﴾ الخ هذه مما كانت في صحف إبراهيم -عليه السلام- وفي صحف موسى ما كتبه الله جل وعلا له، وأما التوراة فهي وحي وكتاب مستقل غير صحف موسى -عليه السلام- أوحاه الله جل وعلا إليه صحف موسى بالذات يعني بالخصوص وقع فيها الاشتباه من جهة أنه ظاهر القرآن أن الله جل وعلا كتب الصحف لقوله ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ** ﴾ وجاء في الحديث أن الله جل وعلا كتب التوراة لموسى بيده من هذه الجهة وقع الاشتباه هل هما واحد؟ لأجل أن هذه كتبت وهذه كتبت والأظهر كما ذكرت ذلك من سياق الآيات في سورة الأعراف أن الكتب غير الصحف.

المسألة الخامسة: هنا يدخل في الكلام على الكتب الكلام على القرآن وعلى إعجاز القرآن وعلى بحث هذه المسألة؛ لأن القرآن آية محمد ﷺ، وقد قدمنا لك تفصيل الكلام على إعجاز القرآن في درس مستقل أظن عند قول الشيخ الطحاوي -رحمه الله- في أول الكلام : (فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) إلى قوله : (علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر) ومسألة إعجاز القرآن ومعرفة القرآن ووجه كونه آية وما فيه هذا من أعظم المسائل في هذا الباب، إذا تبين ذلك فنقول نرجع إلى أصل الموضوع وهو أن الإيمان بأركان

الإيمان الستة إذا أخرجنا الإيمان بالقدر فإن بعض أهل العلم يسميها الأصول أصول الدين الخمسة وذلك لمجيئها في أكثر الآيات دون ذكر القدر والقدر جاء منفصلاً في القرآن وجاء مع بقية الأركان في السنة هذه الأصول الخمسة تبعها أو تبع الإيمان بها أن أهل البدع أصلوا أصولاً في مقابلة هذه الأصول الخمسة فجاء المعتزلة مع إيمانهم بجمل هذه الأصول الخمسة لكن جعلوا لهم أصولاً خمسة لتميزهم عن غيرهم وهذه المعروفة بالأصول الخمسة عند المعتزلة وكتب فيها عبد الجبار كتابه الأصول الخمسة ويعتني بها المعتزلة والإباضية والزيدية والرافضة الأصول الخمسة هذه هي أولاً التوحيد والثاني: العدل، والثالث: الوعد والوعيد، والرابع: المنزلة بين المنزلتين، والخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والرافضة يعتقدون معتقد المعتزلة في الغالب فجعلوا لهم أصولاً أربعة في مقابلة ذلك وهي التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، يدخلون في هذه الأصول عقائدهم في تدريس عقائدهم المخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة.هذه جملة تحتاج إلى تفصيل طويل يمكن أن ترجع لها في الشرح أو في المطولات، المقصود أن لفظ الأصول الخمسة أو الأركان الإيمان الستة أو الخمسة بخلاف الإيمان بالقدر هذه جهل في مقابلتها أشياء وضعها أهل البدع للتعليم وللتمييز ليعملوا على أساسها وليتميزوا عن غيرهم ولا شك أن الذي دل عليه الكتاب والسنة وقول سلف الأمة إلى أن ابتدعت المعتزلة بدعتها هو أن أركان الإيمان ستة ولا دخل لتلك المسائل التي ذكروها من الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هذه لا أصل لها في الكتاب والسنة يعني في كونها من أركان الإيمان أو من أصول الدين في هذا القدر كفاية –إن شاء الله تعالى– ونقف عند قوله ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين فيه مسائل ذكرني بعض الإخوان بها جزاهم الله خير وهي تحتاج منا

إلى أنكم تقتفون أثر ما ذكرناه في الملائكة وما في كل مسألة في الإيمان بالكتب والإيمان بالأنبياء ثمَّ مسألتان:

الأولى: تفاضل الإيمان بتفاضل الإيمان بالأنبياء والمرسلين هذه مسألة.

المسألة الثانية: أثر الإيمان بالمرسلين جميعاً على الإيمان العام. كذلك في الكتب تأتيك الفقرتان جميعاً تفاضل الإيمان بالكتب والثانية: أثر الإيمان بكتب الله جل وعلا على الإيمان يمكنكم تستنتجونها وتبحثونها –إن شاء الله تعالى– نكتفي بهذا القدر نستودعكم الله.

الشريط التاسع والعشرين الوجه (أ) ١٤١٩/٦/٢٧هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً ودعاءً مسموعاً، ربنا لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين ومنَّ علينا بما يقربنا منك يا ربنا اللهم نسألك الفقه في دينك والعلم بكتابك واتباع سنة نبيك يا كريم نسألك اللهم العزيمة على الرشد والهدى ونعوذ بك من الضلال بعد الهدى ونعوذ بك اللهم من كل سوء في الأقوال والأعمال والأخلاق إنك جواد كريم... نجيب على بعض الأسئلة:

سؤال : قال: هل نفهم من كلام المؤلف في قوله والكتب المنزلة على المرسلين أن الأنبياء لا يعطون كتاباً منزلة وهل كل رسول لابد أن ينزل عليه كتاب؟ نرجو الإفادة.

الجواب : ذكرنا في شرح كلام الطحاوي –رحمه الله– أن الكتب يعطيها الله جل وعلا الرسل حجةً لهم هذا هو الأصل وقد يعطيها نبياً من الأنبياء قال جل وعلا ﴿ **وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً** ﴾ وداوود في أحد الأقوال أنه كان

نبياً في بني إسرائيل ولم يكن رسولاً المقصود أن الكتب الأصل العام فيها أنه يعطيها الله جل وعلا رسله؛ لأن الكتاب حجة وفيه شريعة هذا هو الأصل في ذلك.فنؤمن بكتب الله جل وعلا التي أعطاها أنبيائه ورسله لكن النفي بأن النبي لا يعطى كتاب أصلاً هذا يحتاج إلى دليل.

سؤال : ما حكم من أنكر الملائكة أو الجن أو المهدي أو الدجال وهل من أنكروا واحداً من هذه الثلاثة كافر؟ وما وجه التفريق بين تكفير من أنكر الملائكة وعدم تكفير من أنكر المهدي أو الجن مع أن كلها من الغيب وثابتة بالنص؟

الجواب : الإيمان ذكرنا أن من أركانه الإيمان بالملائكة وضبطنا الإيمان بالملائكة الذي هو ركن الإيمان ومن أنكره كفر هو الإيمان بوجود الملائكة إجمالاً فإذا آمن بوجود ملائكة لله جل وعلا فهو مؤمن فإذا كان سمع باسم جبريل -عليه السلام- وأنه ينزل بالوحي وجب عليه الإيمان بذلك، فرجعت المسألة إلى أن من أنكر الملائكة فلا يدخل فلم يدخل في عقد الإيمان أصلاً؛ لأن من أركان الإيمان : الإيمان بالملائكة ويدل أيضاً على أن التكذيب بأي خبر جاء في القرآن فإنه تكذيب بالقرآن فإذا كذب بجبريل كذب بميكائيل ونحو ذلك كذب بملك الموت كذب بأي ملك جاء ذكره في القرآن فيعرف بالآية فإن أصر فهو مكذبٌ بالقرآن فيكون كافراً من هذه الجهة أما وكذلك الجن جاء ذكرهم في القرآن فالإيمان بالجن واجب والتصديق بخبر الله جل وعلا بذلك واجب ويدخل الإيمان بالجن في الإيمان بالقرآن بالكتب؛ لأن معنى الإيمان بكتب الله جل وعلا أن يعتقد العبد أنها حق وأن الله جل وعلا أنزل كتبه وإنما فيها حق وخاصة الأخبار فإن الأنبياء لم يختلفوا فيما أخبروا به؛ لأن الخبر مجاله الصدق أما الشرائع فتختلف العقيدة واحدة ذكرنا لكم أن الأنبياء اجتمعوا على ما أخبروا به من الاعتقاد بالله جل وعلا وملائكته وكتبه ورسله واليوم

الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى هذه اجتمعت عليها الأنبياء فدينهم واحد لا فرق بين نبي ونبي وبين رسول ورسول في أصول الدين في تحقيق التوحيد الإسلام الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله هذا أصلٌ عام اجتمعت عليه الأنبياء واجتمع عليه المرسلون، وكذلك أركان الإيمان الستة هذه اجتمعت عليها الأنبياء لكن الشرائع تختلف من الإيمان بالكتب الإيمان بالقرآن والقرآن فيه الخبر عن الغيب ومنه الخبر عن الجن فالجن أنزل الله جل وعلا فيهم آيات كثيرة ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْاناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَامَنَّا بِهِ** ﴾ وقال جل وعلا في آية الأحقاف ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُواْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾ وقال جل وعلا ﴿ **بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ**﴾ وقال -ﷻ-: ﴿ **وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**﴾ وغير ذلك من الآيات التي فيها ذكر الجن ﴿ **قَالَ عِفْرِيتٌ مِّن الْجِنِّ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ** ﴾ فالإيمان بالجن واجب إيمان بوجودهم وبما أخبر الله جل وعلا عنهم من صفتهم في كتابه وبما صح في حديث النبي ﷺ فمن أنكر وجود الجن كفر؛ لأنه كذب القرآن فيعرَّف إذا كان مثله يجهل يعرف بما جاء في القرآن من الآيات فإذا كذب بوجود الجن مع ذكرهم في القرآن فإن تكذيبه يعود إلى إنكار وجحد القرآن فيكون كافراً بذلك، أما المهدي اللي ذكر فليس الكلام فيه كالكلام في الملائكة والجن؛ لأن المهدي إنما جاء في السنة ومجيئه في السنة هو من جنس الأخبار التي تكون مما أخبر بها النبي ﷺ يتأولها المتأولون ولا تكفير مع احتمال التأويل مثل من تأول الصفات ومثل من تأول بعض الحقائق بعض الأسماء والأحكام وأشباه ذلك فإنه لا تكفير بذلك أحاديث المهدي كثيرة أكثر من خمسين حديثاً متنوعة قالها طائفة من

أهل العلم تبلغ درجة التواتر المعنوي لا التواتر اللفظي؛ لأنها مختلفة في ألفاظها لكن وجود المهدي وأنه سيخرج في آخر الزمان وأن اسمه محمد بن عبد الله وأنه من ذرية الحسن وأن من صفاته كذا وكذا وأنه يصلحه الله جل وعلا في ليلة وما أشباه ذلك من الأخبار هذا جاءت السنة فجعله طائفة من أهل العلم مما يبلغ درجة المتواتر المعنوي لا المتواتر اللفظي وأحاديث المهدي تأولها جماعة ومنها ما لم يصحح ومنها ما صحح ومنها المقصود أنها ليست مثل الكلام في الجن والكلام في الغيبيات التي جاءت في القرآن وهي التي تكون متواترة بدلالة قطعية لذلك من أنكر المهدي أو أنه سيخرج أو قال : لا مهدي بعد محمد ﷺ ونحو ذلك فإنه يقال أخطأ وخالف ما جاء في الأحاديث ولا يحكم عليه بالكفر وقد قال بهذا القول جماعة من المنتسبين إلى العلم وأخطئوا في ذلك خطأً شنيعاً؛ لأن الأحاديث كثيرة متعددة المخارج في السنن والمسانيد وغيرها.

سؤال : هل يصح حديث (الدين المعاملة) ؟

الجواب : هذا ليس بحديث الدين المعاملة ليس بحديث.

سؤال : قال الإمام أحمد: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام هل المقصود بقوله إمام أحد الأئمة الأربعة أم هو عام؟

الجواب : الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– من توقيه وحذره وخوفه من الله جل وعلا كان يكره أن يتفرد في مسألة بقول يجتهد وليس له سابق في هذا القول بل ينظر في أقوال الصحابة فإن وجد أخذ بقول من أقوال الصحابة ما وجد نظر في أقوال التابعين ثم أخذ ما يظن أنه أقرب إلى السنة والدليل بهذا ترى أن الإمام أحمد اختلفت الروايات عنه في مسائل وذلك لشدة توقيه وورعه واختلاف مظان الإجابة ولأسباب كثيرة فقول الإمام أحمد –رحمه الله– إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام أو إياك أن تقول في مسألة ليس لك

فيها إمام يعني لا تذهب إلى قول لا تعلم لك فيه سلف من الأئمة المتبوعين لا يعني بذلك الأئمة الأربعة؛ لأن في زمن الإمام لم يكن ثم تشخيص الأئمة بأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بل كان الأئمة كُثر من أمثال سادات التابعين وتبع التابعين ومنهم مثلاً الأوزاعي والثوري وإبراهيم النخعي وجماعات كثيرة والليث بن سعد وربيعة وثم مدارس كثيرة في ذلك .

فإذاً مقصد الإمام أحمد من هذا القول أن طالب العلم يتورع يخاف القول على الله بلا علم قرين الشرك قرنه الله جل وعلا بالشرك بل الشرك لم يحدث إلا بالقول على الله بلا علم قال جل وعلا ﴿ **وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّـهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّـهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ وقال -ﷻ-: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ طالب العلم يحذر من ألفاظه يحذر أن يقول شيء تزل به قدمه وقد قال القائل: (زلة العالِم زلةُ العَالم)، يعني إذا كان عالم مُقتدى به زل فسيزل بزلته عالم من الناس زلةُ العالِم زلةُ العالم ؛ لأنه يكون أمم من الناس سيأخذون بقوله فلهذا الصحابة -ﷺ- كانوا يفرحون أن يكفوا الفتوى يحيلها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا، والإمام مالك قال في ست وثلاثين مسألة قال: لا أدري والإمام أحمد سئل عن مسائل وقال: لا أدري وتوقف في مسائل ولازال العلماء لا يتكلمون في كل شيء ، لهذا قال ابن المبارك أو غيره من أجاب الناس عن كل ما سألوه أو من أفتى الناس في كل ما سألوه فهو مجنون يعني ما يقول: ما أدري أبداً كل مسألة يعلمها هذا ما يتوقف ما يراجع هذا لا شك أنه متعجل ولهذا طالب العلم يجب عليه أن يكون متحرياً سبيل أهل العلم في التؤدة وعدم الاغترار بالنفس والخشوع والطمأنينة والخوف من الجليل جل جلاله بأنه سيُسأل عن علمه سيُسأل عن أقواله وهل قال فيها بحجة أو لا إذا كانت مسألة ظهر لك أن الصواب كذا لكن ليس لك فيها إمام محدث سبقك

لها القول قل لا، لكن هذا مقتضى الدليل هذا لا يجوز لك؛ لأنه لا يجوز أن تعتقد أن الحق حُجب عمن كان قبلك ما يجوز أن الواحد يظن أن الحق حجب عن الصحابة وعن التابعين وحجب عن الأئمة وآتاه الله جل وعلا واحد في القرن الرابع وإلا الخامس وإلا السابع وإلا الرابع عشر... إلى آخره ، لذلك المرء يتهم نفسه طالب العلم يتهم نفسه إذا فهم فهماً ولم يجد من أهل العلم الراسخين من قال به ثم ثمَّ تفاصيل كثيرة في هذه المسألة.

سؤال : فيه سؤال كاتب عليه السائل هام جداً وعاجل يقتضي أو السؤال عن الاحتفال بمرور عشر سنوات على زواجه... إلى آجره ؟

الجواب : بعد الدرس سؤال خاص بعد الدرس أتفاهم أنا وإياه إن شاء الله.

سؤال : هل يعتبر التوقف قولاً في المسألة؟

الجواب : بعض العلماء يعد الوقف والتوقف قول، وما جهة كونه قولاً جهة كونه قولاً إن التوقف يعني أن الإمام لم يظهر له أي القولين أرجح، أي الدليلين يُعمل به، حجة المسألة فلهذا عدوه قولاً.

والقول الثاني أن التوقف سكوت والساكت لا ينسب له قول لذلك لا يعد قولاً؛ لأن التوقف أنه سكت ما تكلم في المسألة بشيء.

سؤال : كيف نجمع بين قولكم في التفريق ما بين الكرامات والمعجزات وبين ما ثبت من كرامات بعض الأولياء من إحياء الحمار الميت والمشي على الماء وغير ذلك، أليست هذه من الخارقة لجنس الإنس والجن بينوا لنا ذلك؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب : هذه مسألة يطول بيانها وإن شاء الله تأتي في موضعها في شرح الطحاوية فنفصل الكلام عليها؛ لأنه لا بد من تعريف الكرامة ما هو

تعريف المعجز وشرط الكرامة وشرط المعجزة وخارق العادة صلة بالكرامات وصلته به يعني ثم كلام كثير وهي متعلقة ببحث في الأولياء نعم اقرأ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،

المتن :

ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين .

الشرح :

قال –رحمه الله– : (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين) يريد الطحاوي – رحمه الله– أن أهل السنة والجماعة يسمون أهل القبلة وهم من توجه في صلاته إلى الكعبة بيت الله الحرام يسمونهم مسلمين مؤمنين؛ لأن هذا هو الأصل فاستقبال القبلة دليل على تميز من استقبلها عن المشرك الوثني الأصلي؛ لأنه لا يستقبل القبلة لا يصلي مثل مشركي قريش وعن اليهودي والنصراني؛ لأنهم يستقبلون جهة الشرق فالذي يستقبل الكعبة هذا يُسمى مسلماً كما جاء في الأحاديث الصحيحة ((من أكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فله ما لنا وعليه ما علينا)) لكن هذا ليس وصفاً مانعاً من خروجه من الدين لهذا اشترط له شرطاً وقال: ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين يعني لو أنكروا ما جاء به النبي ﷺ أو شيئاً مما جاء به النبي ﷺ فإنهم لا يسمون مسلمين مؤمنين، وقال وله لك ما قاله وأخبر مصدقين يعني إذا كانوا لم ينكروا شيئاً مما جاء به النبي ﷺ ويريد بهذه الجملة أيضاً مخالفة الخوارج والمعتزلة ومن شابههم ممن

يكفرون بالذنوب ويسلبون عن صاحب الكبيرة والمعصية يسلبون عنه اسم الإسلام أو اسم الإيمان تحت هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى : قوله :(أهل قبلتنا) هذه الكلمة أهل القبلة لم ترد في النصوص في تحديد المراد بها يعني في أن يكون لها اصطلاح شرعي ولكن جاء في النص في الأحاديث أن ذكر من استقبل القبلة بهذا جعل لهذا الاسم أهل القبلة بمعنى من استقبل القبلة فكل من استقبل القبلة يعني الكعبة في صلاته فهو من أهل القبلة وسبب هذه التسمية أهل القبلة هو ما جاء في الأحاديث في الصحيح في البخاري وفي غيره ((ومن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعله ما علينا)) استقبل قبلتنا؛ لأنه تميز باستقبال القبلة في عهد النبي ﷺ عن الكفار إذ يصلون وعن اليهود والنصارى إذ قبلتهم مختلفة وأهل القبلة يشمل إذاً كل أهل الأهواء كل الفرق الثلاث والسبعين التي أخبر بها وعنها النبي ﷺ في قوله ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة فهذه الفرق الثلاث والسبعين كلها تدخل عند أهل العلم تحت هذا الاسم أهل القبلة ويدخل تحت هذا الاسم أيضاً المنافقون؛ لأنهم كانوا يستقبلون القبلة في عهد النبي ﷺ واسم الإسلام الظاهر ينطبق عليهم لهذا اسم أهل القبلة كاسم المسلم ينطبق على من استقبل القبلة بصلاته ولو كان من أهل البدع أو من أهل الأهواء أو ممن يعتقد في الباطن اعتقاداً مكفراً مناقضاً للدين فالأصل فيه أنه من أهل القبلة وهذا يتضح بأن نقول أهل القبلة لفظ يطلق على طائفتين :

الطائفة الأولى: وهم الحقيقيون بهذا الوصف هم أهل الإسلام الصحيح الذين كانوا على مثل ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه وهذا يدخل فيه، يعني هذه الطائفة يدخل فيها دخولاً أولياً صحابة رسول الله ﷺ والتابعون وتبع التابعين وكل من كان على منهجهم فأولى الناس بهذا الوصف من كان على

عقيدة الصحابة رضوان الله عليهم. وما أعظم قوله ﷺ : ((من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ فلا تحفروا الله في ذمته)) ويدخل في هؤلاء من تبعهم بإحسان على عقيدة أهل السنة والجماعة من أهل التوحيد الذين حققوا كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله فلم يعبدوا إلا الله ولم يحكموا إلا شرع محمد ﷺ وهؤلاء في الحقيقة هم أهل القبلة؛ لأنهم أولياء البيت وهم الحقيقيون بوصف المتقين قال جل وعلا لما ذكر المشركين في سورة الأنفال قال: ﴿ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ ﴾ فأولياء البيت الحرام أولياء القبلة يعني الدين يحبونها حقيقة وينصرونها وثم ولاية هم أهل البيت هم أهل القبلة. الطائفة الثانية: هم كل منتسب إلى الإسلام سواءٌ كان فيه مكفر باطناً أم ليس فيه مكفر فيدخل في ذلك أهل البدع والأهواء من الفرق الضلال المعتزلة والخوارج والمرجئة والقدرية... وإلخ وغلاة الصوفية لكل من خالف عقيد أهل السنة والجماعة وكذلك يدخل المنافقون فإذاً اسم الإسلام المسلم واسم أهل القبلة يشمل المبتدعة وأهل الأهواء والعصاة ويشمل المنافقين في دار الإسلام؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يميز ما بين المنافق وغير المنافق في الولاية الظاهرة يعني في كونه له ما له وما عليه؛ لأن المنافق له حكم الإسلام ظاهراً؛ لأنه أظهر الإسلام وكذلك أهل البدع والأهواء لهم حكم المسلم ظاهراً؛ لأنهم أظهروا الإسلام واستقبلوا القبلة إذا تبين ذلك فإذا هذا الوصف أهل القبلة ليس وصفاً لطائفة واحدة بل هو وصف متميز ومتمايز أهله فيه فالولاية لأهل القبلة والنصرة لأهل القبلة والمحبة لأهل القبلة ليست على درجة واحدة فكل من كان متحققاً بوصف الطائفة الأولى فله الولاية الخاصة لمن كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن كان من أهل البدع والأهواء فله حكم الإسلام وله حكم أنه من أهل القبلة فلا يستباح دمه ولا يكفر ولا يخرج من الدين إلا إذا أتى مكفراً فإذاً اسم هذا الاسم واللقب أهل

القبلة هذا فيه نوع اختلاط وتعلمون أن زمن المؤلف لم يكن فيه يعني ومن قبله إلا ما ذكرنا لك من هاتين الطائفتين طائفة من كان على منهاج أهل السنة والجماعة والطائفة الثانية طائفة أهل البدع والأهواء والمنافقون هؤلاء هم الذين كانوا في زمن المؤلف لكن ظهر بعد زمانه المشركون الشرك الأكبر الذين يعبدون مع الله غيره ويدعون غيره الله ويستغيثون بغير الله ويذبحون لغير الله ويعبدون غير الله جل وعلا فهل هؤلاء يصدق عليهم اسم أنهم من أهل القبلة أم لا يصدق عليهم أنهم من أهل القبلة؟ على قولين لأهل العلم:

القول الأول: ليسوا من أهل القبلة؛ لأن صلاتهم باطلة؛ لأن المشرك لا تقبل صلاته فيكون استقباله للقبلة لغواً ليس من أهلها كما كان المشرك من قريش ومن العرب يتوجه إلى الكعبة في الطواف ويؤدون عندها بعض العبادات ونحو ذلك ولكنهم لم يكونوا موحدين فلم يتصفوا بوصف أنهم يستقبلون القبلة في الأحاديث.

والقول الثاني: أن الأصل في المسلم الإسلام حتى يثبت عنه أو منه ما يخرجه من الدين وهؤلاء إن أطلق عليهم أنهم كفروا يعني صار عليهم اسم الكفر سلب عنهم اسم أهل القبلة وإن لم يطلق عليهم الكفر يعني ليسوا بكفار فإنهم يبقون في الطائفة الثانية من التقسيم الأولى يعني في أهل البدع والأهواء والمنافقين وأشباه هؤلاء؛ لأنه لا يكفر أحد إلا بعد أن تقوم عليه الحجة الرسالية التي يكفر جاحدها أو يكفر منكرها أو يكفر رادها وهذا القول الثاني هو الأولى وذلك أن الأصل فيمن استقبل الكعبة أنه مسلم حتى يثبت عنه ما يخرجه من الإسلام العلماء بحثوا هنا خاصة بعض علماء الدعوة بحثوا هنا في مسألة الكافر الأصلي يعني من نشأ بلغ وهو يعبد الأوثان وهو يعبد الأضرحة وهو يعبد غير الله جل وعلا ومن كانت هذه الأمور عارضة له بحثوا في هذه المسألة في بعض الردود لكن ليس بحثها مؤثراً على التقسيم

الذي قلناه المقصود أن اسم أهل القبلة مثل اسم المسلم يعني لا يترتب على هذا اللفظ أهل القبلة لا يترتب عليه حقوق إلا حقوق المسلم فما دام أنه مسلم فله حق الإسلام له حقوق المسلم إذا كان مسلماً مطيعاً فله حق المسلم المطيع مسلم عاص صاحب كبيرة مسلم مبتدع مسلم ظاهراً منافق باطناً هذا له حقوقه... إلى آخره ..

المسألة الثانية: (نسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين) هذا الوصف مسلم مؤمن هذا بناءً على أن الإسلام والإيمان عند الطحاوي واحد وأنه لا فرق ما بين الإسلام والإيمان وهذا القول ليس بجيد بل مخالف للأدلة ويأتي بحثه في الكلام على الإيمان وهناك وجهة أخرى ظهرت يعني لي أثناء تأمل كلمته أنه وإن قال ذلك لكن هذه الكلمة ليست ملزمة له بهذا القول يعني لأنفسهم منها أنه يسوي ما بين المسلم والمؤمن؛ لأن من جهة التسمية نسميهم مسلمين أو نسميهم مؤمنين فالإسلام والإيمان إذا تفرقا اجتمعا فإذا قلنا هو مؤمن مع كونه مسلماً صحيح وحتى صاحب الكبيرة نقول هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فإذاً هذه الكلمة مسلمين مؤمنين لا تدل بنفسها على أنه يجعل الإسلام والإيمان واحد وأن المسلم هو المؤمن ويأتي بيان أن قول أهل السنة والجماعة يعني جمهور أهل السنة والجماعة والراجح عندهم أن الإسلام غير الإيمان والله جل وعلا فرق بينهما في كتابه فقال جل وعلا: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا** ﴾ هذا دليل واضح على التفريق ويأتي بقية الأدلة في موضعها.

المسألة الثالثة: أن هذا الاسم أهل القبلة واسم المسلم والمؤمن لا بد من بقاء ما دل عليه وهذا هو ما ذكره بعد ذلك بقوله: (ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ما قال وأخبر مصدقين) يعني أنه لو ارتكب مكفراً فإنه يخرج من اسمه مسلم ومن اسمه مؤمن ولو استقبل القبلة ولو كان

السجود في جبهته فإنه ما دام أنه ثبت عنه بيقين ما حكم عليه عالم وقاضي بكفره فإنه يكون حينئذٍ ليس له حكم المسلم المؤمن ولو كان مستقبل القبلة، قال: (ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين) معنى الاعتراف هنا هو الإقرار بأن ما جاء به النبي ﷺ في كل مسألة حق لكن فرقٌ هنا ما بين الجحد وما بين التأويل فإن من جحد أمراً جاء به النبي ﷺ وكانت دلالته كان ثابتاً يعني عن النبي ﷺ وكانت دلالته قطعية فإنه يكفر بذلك مثل: عثمان في الجنة هذا دلالته قطعية عثمان في الجنة ما تحتمل معنى آخر فإذا قال: لا هذا ما يدل على أنه يحكم له بالجنة ما أحكم لعثمان بالجنة، أن أرد كون عثمان -رضي الله عنه- في الجنة لا أدري هو من أهل الجنة أو من أهل النار هذا ردٌ لخبر دلالته قطعية فإذاً قوله: (ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين) هنا الاعتراف: بمعنى الإقرار بهذا الخبر وبما جاء به ﷺ وهذا الإقرار فيما كانت دلالته قطعية أما إذا كانت دلالته محتملة وصار ثم للتأويل مسرح فإنه لا يسلب عنه اسم الإسلام والإيمان ولهذا نص أهل العلم من أئمة الدعوة من غيرهم على أن متأولة الصفات ليسوا كمنكري الصفات يعني ليس الأشاعرة كالجهمية ليس المعتزلة كالجهمية في هذا الباب الصفاتية الذين أثبتوا أصل الصفات وتأولوا بعضاً هؤلاء لهم شبهة التأويل فلم يكفرهم أهل السنة والجماعة في هذا الباب؛ لأنهم معترفون بأصل ما جاء به النبي ﷺ في هذا الباب لكن تأولوا تأولوه إلى جهة أخرى فإذاً يفرق هنا ما بين الرد وما بين التأويل فالاعتراف هو الإقرار كذلك يفرق هنا ما بين الإقرار الذي يقابله الجحد وما بين الالتزام الذي يقابله الامتناع فالاعتراف الذي هو الإقرار يقابله الجحد يقال أقر واعترف أو جحد أقر بأن النبي ﷺ أمر بكذا أو جحد أن الصلاة واجبة جحد أن الزكاة واجبة جحد أن أكل نوع من المأكولات المباحة أنه حلال جحدان الخمر محرم فهذا جحد يناقض الاعتراف يعني أصلاً ما يقر بالتحريم

أصلاً. الثاني: هو الفرق ما بين الالتزام والامتناع فإنه قد يُقر ولكنه لا يلتزم وقد لا يجحد ولكنه يمتنع والالتزام واجب والامتناع مكفر، ما معنى الامتناع؟ الامتناع أن يقول : أن لا أدخل في هذا الخطاب هذا معنى قول العلماء الطائفة الممتنعة وقول إذا امتنع أحدٌ عن كذا يعني لم يلتزم فجعل فعله غير داخل في هذا الخطاب مثل حديث أبي بردة بن نيار المعروف أن النبي ﷺ بعثه في رجل نكح امرأة أبيه فأمره أن يقتله وأن يُخمِّس ماله هذا رجل نكح امرأة أبيه الفعل إيش الفعل معصية كبيرة كبيرة بشعة أن ينكح امرأة أبيه لكن النبي ﷺ أمره أن يقتله وأن يخمس ماله يعني جعله مرتداً لم؟ لا لكونه جحد ولكن لكونه امتنع فإذاً هنا في الاعتراف ما داموا معترفين فيه الإقرار ويقابله الجحد وفيه الالتزام ويعتقد أنه مخاطب والامتناع أنا غير مخاطب بذلك مثل فعل مانع الزكاة التي يؤدون الزكاة، الزكاة واجبة وأدوها ولكن نحن بذاتنا لا نحن لسنا داخلين في هذا الخطاب فالرجل ظن هذا الرجل أنه لا يدخل في هذا الخطاب في قوله جل وعلا ﴿**وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ هو مقر بوجوبها بدخوله في الإسلام أصلاً مقراً بهذه الآية بدخوله لكنه امتنع من الدخول امتنع من الالتزام بها لأجل أن هذه كانت فعلة أهل الجاهلية فكان من إكرام الرجل لأبيه أن ينكح امرأة أبيه؛ لأن هذا يدل على أن له صلته ويدل على شرفه ويدل على أشياء عندهم فلما أنه امتنع يعني كان أخذه إذاً مأخذ الحكم الجاهلي ما دام أنه لم يلتزم إذاً في هذه الصورة لم يلتزم هو مقر معترف لكنه لم يلتزم بمعنى امتنع وليست المسألة مسألة تكفير بالعمل أو أن فعله دل على استحلاله ليست من هذا الباب إنما هي من باب الامتناع فمن عرف واقع الجاهلية في نكاح امرأة الأب... إلى آخره . وسبب نزول الآية ودلالة ذلك عليه. المقصود من هذا أن قوله . قول الطحاوي . : (ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين

) الاعتراف : الإقرار ، والإقرار يقابله الجحد ويأتي الكلام على الاستحلال في قوله: ولا نكفر أحداً بذنب ما لم يستحله فإذاً صارت عندك هنا أن النسبة إلى الإسلام النسبة إلى أهل القبلة يأتي الخروج منها بأشياء وأما العمل فيأتي الكلام عليه، و لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله؛ لأن هنا علقها بالاعتقادات فقال: (ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين)

الشريط التاسع والعشرين الوجه (ب)

بكل ما قاله وأخبر مصدقين باب الإيمان والخروج من اسم الإسلام واسم الإيمان ومن معنى أهل القبلة هذا من المواضع التي تزل فيها الأقدام، لهذا الذي يجب على كل طالب علم أن يعلم ما قاله أهل السنة والجماعة في بيان الإيمان وبيان ضده وأن الإيمان والإسلام إذا قامت بالشخص أن يوصف أحد بالإسلام والإيمان المسلم والمؤمن لا يخرج من إسلامه وإيمانه حتى يأتي بمكفرٍ واضح مثل وضوح ما أدخله في الإيمان فهو دخل باعتقاد واضح دخل بكلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل أيضاً بعمل بالأركان فلا بد أن يكون الاعتقاد مضاد للأصل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله... إلى آخره . كذلك القول يكون مضاد للأصل يعني مواجه للأصل مضاد للتوحيد لكلمة التوحيد يعني من الأقوال الشركية كذلك العمل يكون مضاد لما دل عليه العمل من الاستسلام لله جل وعلا هذه مسألة يأتي لها مزيد تفصيل فيما نستقبل إن شاء الله تعالى فإذاً معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن من ثبت في حقه اسم الإسلام والإيمان فإنه يبقى على هذا الاسم ما لم يأتي بشيء من الأقوال أو الأعمال أو الاعتقادات ترد هذا الأصل بوضوح لا باحتمال؛ لأن الواضح البين اليقيني لا يزيله إلا يقين، قال بعدها: ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله لا نخوض في الله يعني في ذات الله جل وعلا ولا نماري في دين الله يعني لا نلقي الأغلوطات والشبه والشكوك في دين الله

-جل وعلا- فأصل الإسلام مبني على الاستسلام، والاستسلام لله -جل وعلا- فيما أخبر به في أمور الغيب فيما أنزله الله على رسوله ﷺ جملةً وتفصيلاً، فإذاً في الله لا نخوض يعني في ذات الله -ﷻ- بل نتكلم عن الذات العلية جل جلاله وعن صفاته -ﷻ- بما جاء في الكتاب والسنة لهذا أصُل السنة مخالف لأهل الأهواء في هذا الأصل فأهل الأهواء والبدع يخوضون في الله وفي صفاته ولذلك سموا أهل الكلام؛ لأنه في كل مسألة يخوضون، فلو راجعت كتاب الأشعري مقالات الإسلاميين لوجدت أنه قسمه إلى قسمين القسم الأول جليل الكلام.

والثاني: دقيق الكلام دخلوا في أشياء فيها خوض في الله جل وعلا وفي صفاته بغير ما أنزل على رسوله ﷺ إذاً قوله: ولا نخوض في الله يريد به مفارقة أهل الكلام ومفارقة أهل البدع والأهواء في أننا نتأدب مع الرب -ﷻ- فلا نخوض في شيء إلا ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا نماري في دين يعني بإلقاء الشبه والشكوك... إلى آخره . ولو لقصد المناظرة بل المراء مذموم بأنواعه وتحتها مسائل:

المسألة الأولى: الخوض في ذات الله محرم وكذلك التفكر في ذات الله أيضاً منهيٌ عنه. لكن المأمور به أن يفكر المرء في آلاء الله جل وعلا، قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا)) فالمأمور به العبد أن يتفكر في آلاء الله آلاء الله جل وعلا يعني في آياته وآيات الله جل وعلا نوعان آيات مرئية وهي ملكوته في السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، وآيات متلوة وهي القرآن فمن تفكر في آلاء الله دله على عظم ربه جل وعلا فصابه طمأنينة وسكينة وخشوع وخضوع للرب جل وعلا لهذا أمرنا ربنا -ﷻ- بالتفكر في آلائه وملكوته وآياته قال -ﷻ- ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي**

الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ وقال -ﷻ- ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ** ﴾ وقال -ﷻ- أيضاً: ﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾ وقال جل وعلا ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ...** ﴾ والنبي ﷺ حُبب إليه الخلاء حبب إليه أن يدخل غار حراء ويمكث فيه الليالي ذوات العدد يتحنث ويتأمل في ملكوت الله جل وعلا، وهذا يحدث من حقائق الإيمان في النفس ومن الارتباط والذل لله جل وعلا ما يحدث، ولهذا كان من هدي السلف رضوان الله عليهم قلة الكلام والتفكر في آلاء الله جل وعلا قالت أم الدرداء كانت أكثر عبادة أبي الدرداء التفكر، كان الحسن رحمه الله البصري يقول: "عاملنا القلوب بالتفكر فأورثها التذكر، فرجعنا بالتذكر على التفكر وحركنا القلوب بهما فإذا القلوب لها أسماع وأبصار" هذه كلمة عظيمة قلب الناس واحد قلوبهم مضغة كلها تتحرك وتقذف الدم.. إلى آخره ، لكن القلب الحي لينذر من كان حياً صاحب القلب الحي هذا يكون قلبه له سمعٌ وبصر يعني يرى الأشياء ويتفرس في الأشياء ويكون له مرئيات يرى ما لا يراه الآخرون، قال: عمالنا القلوب بالتفكر التفكر في آلاء الله ليس التفكر في الله ولا في ذات الله إنما التفكر في آلاء الله جل وعلا فيما خلق في آياته التي أعطاه المرسلين في آياته المتلوة القرآن... إلى آخره ، يعني في المنظورة والمقروءة فأورثها التذكر يعني تذكر العبد إذا تفكر وخلى بنفسه فإنه سيتذكر لكن تذكره سيكون ضعيفاً؛ لأن بدايات التذكر بعد التفكر، قال: فرجعنا ويحكى حال السلف الحسن البصري يقول: عاملنا يعني السلف يعني طبقة التابعين، قال: فرجعنا بالتذكر هذا اللي تذكرناه وصار في القلب نوع حياة رجعنا به على التفكر تفكرنا من جديد نظرنا في الملكوت في آلاء الله في تصرف الله جل وعلا في خلقه في

آيات الله في القرآن فرجعنا بالتذكر على التفكر وحركنا القلوب بإيمان يعني مرة وراء مرة هذا التذكر بعد التفكر تذكر بعد تفكر يبقي العبد في الإيمان، قال: فإذا القلوب لها أسماع وأبصار ينفتح القلب من معارف الله جل وعلا، ومن الإنس به ومن لذة مناجاته ومن إيثار ما عنده على ما في هذه العاجلة وعلى إيثار محابه جل وعلا على أهواء النفس ما لا يدركه إلا من وفقه الله جل جلاله، لهذا قال: (ولا نخوض في الله) سمة أهل السنة والجماعة أنهم لا يخوضون في الله ولا يخوضون في صفات الله وإنما يذكرون ما دل عليه الكتاب والسنة ويعلمون ذلك وإنما المهم العمل المهم هذا القلب أن يكون صالحاً أن يكون خاشعاً لله منيباً لله جل جلاله لهذا صح عن النبي ﷺ أنه قال: ((عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)) وقال في السبعة الذين يظلهم الله في ظله ((ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)) فمن أعظم العبادات التفكر، التفكر في القرآن في هذا تردد الآيات لتؤثر على قلبك تذكر في ملكوت الله في السماء العجيبة في الأرض في الخلق، هذا من سمة وخصال أهل السنة والجماعة مخالفين بذلك طريقة الصوفية الذين أورثهم العزلة التفكر والخوف في الله جل وعلا والكشف كشف الحجب ونحو ذلك مما زلت به أقدامهم.

المسألة الثانية: على قوله ولا نماري في دين الله المراء مذموم والمراء ضابطه هو أن يورد الشيء لقصد الانتصار للنفس أو إضعاف من أمامه يعني المغالبة يريد يشكك الشبة يوردها هذا من الأمور المذمومة؛ لأن أصل الدين مبني على الاستسلام فالمراء في الدين محرم وقد صح عنه ﷺ أنه قال: ((أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن ترك المراء وهو محق وأنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك المراء...)) المقصود فالنبي ﷺ تكفل ببيت لمن ترك المراء وإن كان محقاً ببيت في الجنة لماذا؟ لأن المراء أحياناً وأنت تماري

يأتيك الحق معك لكن تغلبك نفسك للانتصار لنفسك لا للحق والإنسان بين هذه وهذه يكون عند شيء يعني بين الانتصار للحق وبين الانتصار لنفسه وكثيراً ما تشتبه على أكثر الناس يعني تختلط هذه يعني ودّك تنتصر لنفسك وإلا تنتصر للحق فلهذا يسمى هذا مراء فإذا صارت مجادلة من المراء في دين الله جل جلاله، فإذاً من صفة أهل السنة والجماعة ومن سماتهم أنهم لا يمارون في دين الله لهذا قال الإمام مالك –رحمه الله– لما سُئل الرجل تكون عنده السنة إيجادل عليها؟ قال: لا يخبر بالسنة فإن قبلت منه وإلا سكت؛ لأن المراء في ذلك يورث العداوة قد يورث الانتصار للنفس وذلك كله مذموم نقف عند هذا وأسأل الله جل وعلا لي ولكم الهدى والرشاد وأن يحبب إلينا الإيمان وأن يزينه في قلوبنا كما أسأله جل جلاله أن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

سؤال : هل هناك فرق بين المراء والمجادلة بالحق؟

الجواب : المراء الانتصار للنفس والمجادلة بالحق لبيان الحق المراء إلقاء الشبه. المراء ليس لطلب الحق وإنما لقصد المغالبة ينتصرفقط (ا.هـ) .

الشريط الثلاثين الوجه (أ) ٤/٧/١٤١٩هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أسأل الله الكريم أن يجعلني وإياكم ممن بارك أقوالهم وأعمالهم ونفعهم بقليل ما تقربوا به إلى ربهم كما أسأل المولى جلت قدرته وعظيم أجره أنم يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اجعلنا من أهل القرآن ممن يتلونه حق تلاوته أسألك اللهم ألا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا اللهم هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم واجعلنا دعاة

إلى الحق دالين الخلق إليك وعليك اللهم وثبتنا على طريقة سلفنا الصالح حتى نلقاك وأنت راض عنا يا أكرم الأكرمين، أما بعد:

فهذه بعض الأسئلة نجيب عنها في مقدمة الدرس:

سؤال : يقول ذكر بعض العلماء أن المرأة إذّا طلقت طلاقاً بائناً في مرض الموت المخوف بقصد حرمانها من الميراث ثم تزوجت بآخر فمات الأول أنها ترث من الأول وهذا على المذهب المالكي، وقد ذكر بعض المعاصرين أن المرأة لا ترث من زوجين بالإجماع في هذه الصورة فما الصورة الصحيحة التي يحق للمرأة أن ترث من اثنين أو أكثر في وقت واحد وتخرج عن الإجماع المذكور؟

الجواب : هذه مسائل فيها خلاف ويطول الكلام فيها لكن القاعدة التي ينبغي معرفتها في ذلك أن تصرفات المريض في مرض موته يعني في المرض الذي مات فيه وكان المرض مما يكون معه الهلاك عادة أو غالباً تصرفات المريض غير معتبرة فلو أعطى في مرضه فإن عطيته غير منعقدة، لو طلق في مرضه فإن طلاقه إذا كان بقصد الحرمان فإنه غير جاري، وهنا يعني غير واقع، وهنا من غرائب المسائل التي تذكر في هذا أن المرأة إذا طلقها زوجها في مرضه المخوف الذي مات فيه بقصد حرمانها فإنها ترث منه ولا تحادّ عليه؛ لأنه لما طلقها أسقط حقه عليها، والإحداد: إحداد أربعة أشهر وعشراً هذا حق للزوج فبتطليقه لامرأته سقط حقه عليها، وبتطليقه بإرادة حرمانها الإرث فإن هذا ليس له بل هذا إلى الله جل وعلا والله -ﷻ- هو الذي قسم التركة، فليس له أن يحرم بعض الورثة، فتصرفه هذا باطل لهذا ترث المرأة منه في هذه الصورة ولا تحاد عليه، فالمرأة إذا طلقت كما في السؤال فإن هذه المسائل مرجعها إلى القاضي فقد يكون السؤال خصومة موجودة عند القاضي ونحو ذلك فهذه يرجع فيها إلى القاضي وهو الذي يثبت

الطلاق أو لا يثبته بحسب مرض الرجل وطبيعة المرض وهل قصد حرمانها أم لم يقصد، وهل المرض طال ثم تزوجت بالثاني ظروف الزواج المقصود أن ثم أشياء مرجعها إلى المحكمة.

سؤال : هل دعاء ركوب الدابة أو السيارة ونحوهما خاص بالسفر فقط أم بالحضر أيضاً؟ وهل هناك دعاء خاص عند شراء سيارة جديدة؟

الجواب : الدعاء في ركوب الدابة والسيارة هذا عام سواءً في الحضر أم السفر ولكن في السفر له صيغة طويلة التي جاءت في حديث علي ونحوه من التكبير ثم الدعاء وتلاوة الآية... إلى آخره ، فمطلق الدعاء، دعاء ركوب السيارة أو الدابة هذا يشرع في الحضر والسفر وذلك بتلاوة الآية ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** ﴾ والنبي ﷺ كان إذا علا كبر وإذا هبط سبح، وذلك لأن العلو يناسبه التكبير والانخفاض يناسبه التسبيح وهذا في خارج في السفر والحضر ولمناسبة ذلك جاء في الصلاة مشروعية ذلك، فإن التسبيح جاء في المواضع التي يكون فيها العبد منخفضاً لله جل وعلا كالركوع والسجود والتكبير جاء في المواضع التي يكون فيها ارتفاع بالنسبة إلى ما بعده، لهذا يشرع لمن في الحضر ومن في السفر أنهم إذا علوا أن يكبروا وإذا هبطوا أن يسبحوا ويدخل في ذلك إذا علا سيارة أو طيارة أو أراد أن ينزل كل هذا تدخل في عموم ذلك أما الدعاء الخاص عند شراء السيارة هذا ليس فيه دعاء خاص لكن يناسب أن يقول الدعاء المعروف فيما إذا استجد الإنسان شيئاً من دابة ونحوها بأن يضع يده عليها،بأن يقول: "اللهم إني أسألك خيرها وخير ما صنعت له وأعوذ بك من شرها وشر ما صنعت له" هذا مناسب في السيارة وفي نحوها.

سؤال : ما تحرير محل النزاع في قراءة الفاتحة بالنسبة للمأموم؟ وهل القراءات السبع هي أحد الأحرف السبعة أو جميعها؟

الجواب : أما قراءة الفاتحة بالنسبة للمأموم فالعلماء فيها أقوال:

الأول: أنها يتحملها الإمام في الصلاة السرية والصلاة الجهرية يعني يتحمل وجوبها ويستحب للمأموم أن يقرأها في السرية وفي الجهرية هذا هو المعروف من المذهب مذهب الإمام أحمد وهو قول عدد كبير من أهل العلم من السلف ومن المتأخرين.

الثاني: أن المأموم يقرأ في السرية فقط، يعني وجوباً، وأما في الجهرية فإن الإمام إذا قرأ فإنه يتحملها عنه؛ لأن المأموم يؤمن في الجهرية، المأموم يقول آمين، ومن قال آمين فقد شَرِك الداعي في دعائه وهذا اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة بأن الإمام يتحمل الجهرية دون السرية يعني لا يجب على المأموم أن يقرأ في الجهرية وإنما يقرأ في السرية.

القول الثالث: وهو أن قراءة الفاتحة واجبة أو ركن مطلقاً سواء كانت للمأموم أو للإمام أو للمنفرد، والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الله جل وعلا ﴿ **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً** ﴾ قرآن الفجر يعني قراءة الفجر والقراءة الواجبة في الفجر هي الصلاة القراءة الواجبة المراد بها الفاتحة والمراد بالصلاة يعني صلاة الفجر إن صلاة الفجر كانت مشهودة لكنه سمى الصلاة قرآناً؛ لأن القرآن الذي يتلى فيها هو ركنها الأعظم؛ لأن من القواعد المقررة في اللغة العربية وعند الأصوليين أن ذكر الشيء بذكر بعضه يدل على أن هذا الجزء أو البعض ركنه الأعظم وقول الله تعالى ﴿ **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ** ﴾ يعني القرآن الذي يتلى في الفجر وهذا القرآن الذي يتلى في صلاة الفجر هو الفاتحة مع غيرها، لكن ما بعد الفاتحة سنة بالاتفاق فبقيت الفاتحة على أنها دالة على أنها واجب أو ركن في هذه الصلاة وكذلك قوله ﷺ ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)) هذا يدل على أن الفاتحة هي الصلاة قال فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فإذا قال العبد الرحمن الرحيم

قال الله أثنى علي عبدي... إلى آخر الحديث ، هو حديث رواه مسلم وغيره الشاهد منه قوله قسمت الصلاة وذكر الفاتحة فالقاعدة أن تسمية الفاتحة الصلاة يعني أنها هي الركن الأعظم فيها ويدل على ذلك أيضاً قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم وغيره ((كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج خداج خداج)) يعني ناقصة غير تمام وأيضاً يدل عليه قوله ﷺ عندما سمعهم يقرؤون خلفه قال ((أراكم تقرؤون خلف إمامكم قالوا نعم يا رسول الله قال: فلا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها)) وهذا يدل على وجوب قراءة الفاتحة وهذا القول هو أصح الأقوال وإن كان القائل به من أهل العلم قليلاً، وإلا فالجمهور ليسوا على هذا، ولكن الأدلة تدل عليه. يفيدك معرفة الخلاف بأن العبد إذا لم يقرأ أو لم يتهيأ له أن يقرأ أو عمل بقول آخر فإنه لا إبطال لصلاته ولا إنكار عليه؛ لأن المسألة فيها هذا الخلاف القوي الذي رأيت فطالب العلم يجتهد أن يقرأ في الصلاة الجهرية وفي الصلاة السرية؛ لأن الأدلة دلت على وجوب قراءة الفاتحة فإن حصل أنه تركها بعض الأحيان أو رأى من يتركها فإنه لا حرج عليه في ذلك؛ لأنه ثم من يقول بهذا يعني بأنها لا تجب فلا إبطال بترك قراءة المأموم للفاتحة بقي أن يبحث هل من اعتقد الوجوب فترك هل لا تصح صلاته بحث عند أهل العلم ولهم في ذلك قولان وأظهرهما عندي أنه لا تبطل صلاته؛ لأن أكثر الصحابة والتابعين على أن قراءة الفاتحة للمأموم ليست بواجبه ولأنه تسقط الفاتحة عند عامة من قال بالوجوب أو أكثر من قال بالوجوب تسقط بما لو أدرك الإمام وهو راكع فيقولون يدخل معه راكعًا، يدخل معه في الركوع وتسقط عنه قراءة الفاتحة فقول الجمهور بخلاف قول البخاري وجماعة ممن لا يعتدون بإدراك الركوع في إدراك الركعة المقصود من ذلك أن الأظهر أن قراءة الفاتحة واجبة وأن من تر قراءتها فإن صلاته صحيحة يعني بالنسبة للمأموم.

سؤال : وهل القراءات السبع هي أحد الأحرف السبعة؟

الجواب : القراءات السبع ليست أحد الأحرف السبعة ولكن مجموع القراءات السبع بعض الأحرف السبعة القراءات السبع والأحرف السبعة لا اتصال ولا علاقة بين تسمية القراءات السبع وتسمية الأحرف السبع. الأحرف السبعة سميت أحرف سبعة لقوله ﷺ في الحديث المتواتر ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) وأما القراءات السبع فهذا انتخاب انتخبه المقرئ الحافظ ابن مجاهد في كتابه السبعة،وهو كتاب مطبوع فجوّد كتابه وانتقى من قراء الأمصار انتقى سبعة من القراء، وانتقى لكل قارئ راوٍ بين ثم لكل راوٍ مجموعة أيضاً وذكرها في كتابه،فانتشر لحسن كتابه ولإمامه ابن مجاهد انتشر كتابه بهذه القراءات السبع دون غيرها، وإلا فثم أيضاً قراءات عشر يعني فيه ثلاثة زيادة ليست من السبعة وبعضهم أوصلها إلى أربعة عشر ونحو ذلك، والقراءات السبع متواترة وهي يعني مجموع القراءات السبع هي بعض الأحرف السبعة، يعني الأحرف السبعة التي أنزلها الله توسعة على هذه الأمة وجمعاً للعرب على حرف قريش، وعلى اتباع محمداً ﷺ شرعت للتخفيف ولجمع الكلمة ولعدم الاستكبار ونحو ذلك هذه الأحرف السبعة لما جمعت في مصحف عثمان، لما جمع عثمان المصاحف وألغى غير هذا المصحف الأحرف السبعة انتهت ولم يجز بعد أمر عثمان لأحد من الصحابة وغيرهم أن يقرأ بغير ما يجده في مصحف عثمان فذهب بعض الأحرف ليس بعض الأحرف يعني حرف كامل ذهب لا ذهب بعض من الحروف يعني بعض الحرف الأول ذهب وبعض الحرف الثاني ذهب ، وبعض الحرف الثالث ذهب وبعض الحرف الرابع ذهب وبعض الخامس ذهب وبعض السادس ذهب وبعض السابع ذهب وبقي بعض كل حرف في مصحف عثمان لاحتمال القراءة؛ لأن مصحف عثمان كتب بلا نقط ولا شكل لم ينقط ولم يشكل؛ لأن

النقط والتشكيل و... إلى آخره ، هذا إنما جاء في زمن متأخر في زمن الحجاج بن يوسف ومن بعده تيسيراً، فلما كانت الأحرف غير منقوطة والكلمات غير مشكولة فلا شك أن كل صحابي سيقرأ بما يعلمه من الحرف الذي اقرأه رسول الله ﷺ ولم يقرأ بحرف آخر يقرأ بالحرف، فإذا كان الحرف الذي يقرأ به يحتمله الرسم فإنه يقرأ فإذا ذهب بعض ما عنده فالتزم بحرف قريش الذي كتب به المصحف وترك بعضاً، ترك بعضاً وقرأ ببعض ما عنده، لهذا العلماء قسموا الأحرف السبعة وقسموا القراءات السبعة والقراءات العشر يعني من حيث الأداء قسموا الاختلاف فيها إلى قسمين، اختلاف في الأصول واختلاف في الفرش، الفرش في الكلمات في نطق الكلمات يعني من جهة التشكيل والاختلاف مثلاً بشراً "نشراً" سَدّاً سُدّاً، ونحو ذلك واختلاف في الأصول الذي هو في المد وفي الميم وفي الإدغام يعني وأشباه ذلك ممّا يلتزمه القارئ في كل قراءته وهذا بحث طويل في اتصال الأحرف السبعة بالقراءات السبع لكن المهم الذي ينبغي التأكيد عليه في هذا الموطن أنه تسمية بعض القراء بالقراء السبعة أنه اجتهاد من العلامة المقرئ الحافظ ابن مجاهد في كتابه السبعة، وهو كتاب مطبوع والعلماء أخذوا اختياره بالقبول لكن ينتبه طالب العلم إلى أنه لا صلة بين السبعة والأحرف السبعة فهذا اتفاق في العدد دون اتفاق في الحقيقة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المتن :

ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين

محمداً ﷺ وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين .

الشرح :

الحمد لله رب العالمين وبعد: فهذه الجملة من هذه العقيدة التي ألفها العلامة أبو جعفر الطحاوي –رحمه الله تعالى– قال فيها: (ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين) وهذه الجملة مشتملة على عقيدة مباركة عظيمة في القرآن، والقرآن الإيمان به فرض وركن الإيمان؛ لأن من أركان الإيمان، والإيمان بكتب الله المنزلة وأعظمها الكتاب الذي جعله الله مهيمناً على كل كتاب وهو هذا القرآن العظيم، فالإيمان به ركن الإيمان والإيمان به عند أهل السنة والجماعة يشمل الإيمان بأنه كلام الله تعالى وأنه منزل من رب العالمين، وأن محمداً ﷺ عُلِّمه، عَلَّمه إياه جبريل، وجبريل سمعه من رب العالمين جل جلاله وتقدست أسماؤه وأن هذا القرآن لا يشبه شيء من كلام المخلوقين لا يماثله ولا يدانيه وأنه غير مخلوق؛ لأنه صفة الله جل جلاله، وصفات الله –ﷻ– كذاته العلية فهو سبحانه الخالق جل وعلا وغيره مخلوق، وهذا التقرير من العلامة الطحاوي مأخوذ من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة والتي تدل على هذه الأصول كقوله جل وعلا : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ** ﴾ ، وكقوله جل وعلا ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق** ﴾ وكقوله سبحانه ﴿ **وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾ وكقوله جل وعلا ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه** ﴾ وغير ذلك

من الآيات التي فيه أن القرآن كلام الله،وأنه منزل من عنده وأن جبريل –عليه السلام– هو الذي نزل به على قلب محمد ﷺ. والمجادلة في القرآن دلت السنة على أنها مذمومة ومحرمة، وذلك كما روى مسلم في الصحيح أن النبي ﷺ خرج عليهم يوماً وهم يتجادلون في القرآن هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان يعني من الغضب ﷺ فقال لهم ((اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا...)) أو كما جاء عنه ﷺ. وقد جاء أيضاً أن النبي ﷺ نهى أن يجهر بعض الناس على بعض في القراءة لأجل التأدب مع القرآن وأن لا تكون القراءة سبباً للتخاصم أو المجادلات يعني بسبب القرآن أو في القرآن، فالمراء مذموم مطلقاً سواء أكان بحق أو بغير حق وهو المراد به نصرة النفس والاستعلاء ولو كان بالقرآن، فلا نجادل في القرآن يعني في أدلته ولا نجادل في القرآن في صفته بل نسلم للقرآن أنه كلام الله جل وعلا ونستسلم لدليل الرحمن جل وعلا فالقرآن آيات الرب –سبحانه وتعالى– فالتجادل بالاختلاف في القرآن المبني على أهواء هذا ليس من صفة أهل الإيمان، وإنما كما سيأتي المجادلة تكون لبيان الحق ولبيان وجه الدليل وهذا هو المحمود فالمجادلة في القرآن مذمومة لهذا قال الطحاوي هنا : (ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام رب العالمين) يعني نعلن ونخبر مع اعتقادنا ويقيننا بأنه ليس كلام مخلوق، بل هو كلام رب العالمين يعني أنه كلام الله جل وعلا والروح الأمين الذي هو جبريل –عليه السلام– نزل به نزل به من رب العالمين نزل به سماعاً سمعه جبريل –عليه السلام– من رب العالمين وأمره الله جل وعلا أن ينزل به وحياً على سيد المرسلين فعلّمه سيد المرسلين محمداً ﷺ، ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين هذا منه تقرير لما جمع عليه أهل السنة وذلك خلافاً للمعتزلة والعقلانيين والخوارج والرافضة الذين قالوا بخلق القرآن كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

هذا الأصل الذي ذكره الطحاوي في هذه العقيدة المباركة تحتها مسائل:

المسألة الأولى: في المجادلة، المجادلة عُرِّفت بأنها إيراد الحجة على القول المختلف فيه من المختلفين فإذا اختلفوا في مسألة هذا يورد حجته تقريراً لقوله وهذا يورد حجته تقريراً لقوله فتصير مجادلة، والمجادلة قسمان مجادلة مذمومة وهي التي يراد بها الانتصار للنفس وللقول دون تحري للحق والنوع الثاني محمودة وهي مأمور بها في الشرع، وهي المجادلة بالتي هي أحسن يعني التي الغرض منها الوصول إلى الحق وإرشاد الضال وتبيين حجة الله جل وعلا، وهذه التي أثنى الله جل جلاله على عباده بها وأمرهم بها في قوله : ﴿ **ٱدْعُ إِلِىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ** ﴾ ، وكقوله -ﷻ- في سورة العنكبوت ﴿**وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ ويشتبه بالمجادلة الجدل والجدل قال بعض أهل العلم هو المجادلة؛ لأنه مأخوذ من الجدل جدل الحبل وهو لف بعضه على بعض وكان الأقوال التف بعضها على بعض من الإيراد والأظهر أن الجدل نوع من الخصومة. لكن لم يمدح في القرآن فذمه الله جل وعلا في قوله ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ وقال فيها : ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ ما ضربوه لك إلا جدلاً يعني في ذلك ذم لهذا الإيراد؛ لأنهم ما أرادوا مجادلة ولا أرادوا دفعاً لشبهة ولا وصول إلى الحق وإنما هو جدل وهنا ثم بعض البحوث التي كتبت في هذا الموضوع خاصةً عند المعاصرين اسم الجدل. الجدل في القرآن والجدل إذا كان يصل معه المتجادلون إلى حقيقة فإنه في الحقيقة مجادلة : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما** ﴾ فهي مجادلات في القرآن، وإذا كان المقصود بالجدل في القرآن المجادلات فإن هذا مقبول لكن تكون تسميته

بالجدل هذه يكون فيها بحث اصطلاحي وإذا كان المقصود بالجدل في القرآن مثل ما كتبوا، الجدل في القرآن المقصود منه ما ضرب جدلاً لغير الوصول إلى الحق فهذا لا يدخل فيه المجادلات التي الوصول للحق لأنهم يدخلون فيها ما أقام الله جل وعلا به الحجة مثل مجادلة الملك مع إبراهيم –عليه السلام– في قوله ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ** ﴾ هذه يدخلونها في الجدل فقوله هنا (ولا نجادل في القرآن) المجادلة كما ذكرنا إذا كانت بالتي هي أحسن للوصول إلى الحق فهذه مطلوبة شرعاً وأمر الله جل وعلا عباده لكنهم يجادلون بالقرآن لا فيه يعني يجادل غيره بحجة القرآن بالقرآن الكريم، وفرق ما بين المجادلة بالقرآن وبين المجادلة في القرآن، فالمجادلة بالقرآن أن تورد الحجة من كتاب الله جل وعلا وتورد وجه الاستدلال من ذلك، وأما المجادلة في القرآن فهو أن يختلف في حجيته أو تضرب بعض الآيات ببعض أو أن لا يرد المتشابه إلى المحكم أو أن يخاض في الأمور الغيبية بأمور عقلية ونحو ذلك فالمجادلة بالقرآن محمودة في إقامة الحجة،وأما فيه فإنها مذمومة.

المسألة الثانية: الذين جادلوا في القرآن في هذه الأمة أمة الإجابة كثيرون فكل طوائف الضلال ممن لم يستسلم لنص القرآن والسنة فإنه جادل في القرآن وذلك أنهم أسسوا مذاهب لهم واعتقادات، فإذا جاءهم الدليل من القرآن على خلاف ما ألفوا أو ما هووه فإنهم يجادلون فيه، يعني يردون حجة الله جل وعلا التي في القرآن ويأتون بآية تضرب هذه الآية، والنبي ﷺ أتاهم أتى بعض الصحابة وهم يتجادلون في القرآن فغضب كما ذكرنا لك فالتأدب مع القرآن أن يكون الإيراد به يعني إيراد الدليل به فإن اختلفت الأدلة وجب رد المتشابه إلى المحكم، فالقرآن حق كله لا يناقض بعضه بعضاً، بل بعضه يدل على بعض، والقرآن محكم كله، جعله الله محكماً كما قال : ﴿ **الر كِتَابٌ**

أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ومنا قال جل وعلا : ﴿ **يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** ﴾ حكيم يعني المحكم في أحد أوجه تفسير القرآن الحكيم وكذلك القرآن مع كونه محكماً فإنه أيضاً متشابه، متشابه كله فالقرآن محكم كله وأيضاً هو متشابه كله؛ لأن بعضه يشبه بعضاً، متشابه يعني يشبه بعضه بعضاً، وذلك لقوله جل وعلا : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ** ﴾ يعني يشبه بعضه بعضاً، هذه آية في صفات الله وهذه آية في صفات الله، وهذه آيات في تقرير التوحيد، توحيد الألوهية، توحيد الربوبية وهذه آيات من مثلها وهذه آيات في الحجاج مع المشركين، وهذه آيات في الحجاج مع المشركين، هذه آيات في قصص الأنبياء، وهذه آيات في قصص الأنبياء ونحو ذلك من المعاني فهو متشابه موضوعاته متشابهة مع اختلاف الآيات في ذلك.

والقسم الثالث: أن القرآن محكم بعضه يعني بعض آياته محكمة ومنه ما هو متشابه وهذا هو المعنى في قوله سبحانه في أول سورة آل عمران ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ** ﴾ لاحظ قوله منه آيات محكمات يعني أن بعضاً منه آيات محكمات ﴿ **هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ أم الكتاب يعني يرجع إليها في تفسير الكتاب ﴿ **وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ وقوله : (وأخر) يدل على قلة المتشابه بالنسبة إلى المحكم، فإذا أقسام القرآن ثلاثة:

١- محكم كله . ٢- متشابه كله. ٣- ومنه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه وكلٌ من هذه الأقسام دلت عليه آية أو آيات من القرآن العظيم المحكم والمتشابه الذي هو الأخير عُرف المحكم بأنه: ما اتضحت دلالته وهو يختلف عن المبين عند الأصوليين يعني المجمل والمبين؛ لأن ذاك من عوارض الألفاظ يعني ما اتضحت دلالة لفظه، وهذا ما اتضحت دلالة الآية في معناه.

والثاني المتشابه وهو: ما اشتبهت دلالته، والمتشابه للعلماء في تفسيره وبيان نوعه أقوال كثيرة لكن المحقق عند أهل السنة والجماعة أن المتشابه في القرآن إنما هو متشابه على من نُزِّل عليه، متشابه على بعض هذه الأمة أما المتشابه الكلي بحيث أنه يوجد في القرآن ما لا يُعلم معناه ولا يُعلم تأويله مطلقاً لكل الأمة فإن هذا ممتنع؛ لأن القرآن جاء بلسان عربي مبين وما ورد عن ابن عباس –رضي الله عنهما– فيما ساقه ابن كثير وغيره في أن من القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله يعني لا أحد يعلم تأويله فيريد به نوعاً من التأويل والتفسير فالمتشابه متشابه نسبي، المتشابه الكلي آية لا أحد يعلم معناها ، لا النبي ﷺ ولا صحابته ولا العلماء إلى وقتنا الحاضر ، فهذا ممتنع حتى الأحرف المقطعة فإن دلالتها علمها بعض هذه الأمة وأما المشتبه النسبي اشتبه علي اشتبه على من هو أعظم وأجل على بعض الصحابة هذا موجود، أبو بكر –رضي الله عنه– سأل عن الأب ما الأب ؟ ثم قال : أي سماءٍ تظلني ، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم ، عمر –رضي الله عنه– سأل الصحابة عن بعض الآيات وابن عباس خُفي عليه بعض الآيات ، فسأل عنها وهكذا فالمتشابه النسبي الذي يشتبه معناه تشتبه دلالته إما لعدم معرفة معنى اللفظ أو لمعارضة آية لها أخرى تحتاج إلى تأمل فإن هذا يكون نسبياً مثل ما سُئِلَ ابن عباس أن الله جل وعلا أخبر أنه يوم القيامة أن الناس يوقفون فيسألون وقفوهم إنهم مسؤولون وفي آيات أخر أخبر الله جل وعلا أنهم لا ينطقون ولا يُسألون ونحو ذلك، فكيف يجمع بينهما فهذا متشابه يعني آيات يشتبه معناها.

الشريط الثلاثون الوجه (ب) .

الطحاوي هنا ونهى عنها أئمة أهل السنة جميعاً، المجادلة في القرآن بهذا أثنى الله على الراسخين في العلم بأنهم يردون المتشابه إلى المحكم،

ويقولون آمنا به، ما علمت أنا معنى آية، ما علمت معنى سورة معنى آية ما علمت وجهاً ما علمت كيف تجيب عن الإشكال الوارد عليها، فنقول : ﴿**ءامَنَّا بِهِ كُلٌّ مّنْ عِندِ رَبّنَا**﴾ ونعلم أن كلام الله جل وعلا محكم وذلك كما قال سبحانه ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً** ﴾ لكن الله ابتلى الأمة بوجود المتشابه لينظر كيف تسلم وتستسلم لكتاب الله جل وعلا .

فالمقصود من ذلك أن أصل الضلال في الفرق وجد من المجادلة في القرآن والمجادلة في القرآن بأنهم اعتمدوا المتشابه ولم يرجعوا المتشابه إلى المحكم، فالخوارج إنما خرجت بالمجادلة في القرآن جادلوا في القرآن فجاءهم ابن عباس –رضي الله عنه– فجادلهم بالقرآن ، فقالوا : كيف يُحكم على الرجال والله جل وعلا يقول فالحكم لله العلي الكبير ؟ فقال ابن عباس لهم : إن الله جل وعلا سمى بعض الرجال حكماً فقال ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا** ﴾ وحاجهم في ذلك حتى رجع معه ثلث أو أكثر من الخوارج. المرجئة القدرية المعتزلة كلهم لم يعتمدوا القرآن كله وإنما جادلوا فيه، فيدخلون في عموم قوله : ﴿ **وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ** ﴾.

المسألة الثالثة: قال : (ونشهد أنه كلام رب العالمين) إلى قوله : (لا يساويه شيء من كلام المخلوقين) هذا فيه تقرير لعقيدة أهل السنة بأن القرآن كلام الله، قد مر معنا تفصيل الكلام على هذه الجملة من جهة كون القرآن كلاماً لله ، تفاصيل الأقوال في ذلك وأهل السنة يعتقدون أن القرآن حروف وكلمات وجمل وآيات وسور وأنه ألفاظ ومعاني، وأن هذه جميعاً من الله جل وعلا فالقرآن كلام الله جل وعلا بحروفه ومعانيه تكلم به الحق جل جلاله فسمعه منه جبريل –عليه السلام– فبلغه لنبيه ﷺ كما سمع والقرآن الذي بلغه جبريل محمداً ﷺ هو القرآن المسموع كلام الله المسموع وليس كلام الله

المكتوب؛ لأن القرآن كتبه الله جل وعلا في اللوح المحفوظ جميعاً كتب القرآن جميعه في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه : ﴿ **فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ إنه لقرآن كريم يعني : جميع القرآن كريم وأعلى وأفضل وأميز الكلام؛ لأن الكريم من الأشياء هو المتميز على غيره الفاضل الأفضل قال : ﴿ **فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** ﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿ **لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ الذين هم الملائكة. وكذلك قوله جل وعلا في آية الحاقة، فالقرآن المكتوب في اللوح المحفوظ جبريل لم يأخذه مكتوباً وإنما أخذه مسموعاً فهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة فقوله هنا: (نشهد أنه كلام رب العالمين يعني بحروفه وكلماته وآياته وسوره هو كلام الله جل وعلا، سمعه جبريل فنزل به نزل به مسموعاً إلى النبي ﷺ.

غير أهل السنة لهم في ذلك أقوال كثيرة يأتي ذكر تعداد لها عند قوله : (ولا نقول بخلقه) .

المسألة الرابعة:

قوله : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ** ﴾ الروح الأمين هو جبريل -عليه السلام- سمي روحاً لفضله وتميزه عن الملائكة ولأنه ينزل بالروح من أمر الله جل وعلا وهو الوحي، وكان أميناً أي سمي أميناً أو نعته الله جل وعلا بالأمين في قوله : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ على قلبك** ﴾ ؛ لأنه مؤتمن على أعظم ما يؤتمن عليه وهو كلام الله جل وعلا ووحيه في سماواته.

المسألة الخامسة:

قوله : (لا يساويه شيء من كلام المخلوقين) كلمة لا يساويه هنا يعني لا يكون مساوياً له أي كلام لمخلوق وهذا للدلالة على إعجاز القرآن ولهذا أكد بعد قوله كلام رب العالمين قال: وهو كلام الله تعالى لا يساويه

شيء من كلام المخلوقين وإعجاز القرآن يعني وجه كون القرآن معجزاً للجن والإنس أن يأتوا بمثله من إنزال القرآن إلى قيام الساعة. ما وجه كون ذلك كيف صار القرآن معجزاً ذكرنا لكم هذا بالتفصيل في درس مستقل وبيانه هو ما ذكره الطحاوي هنا محققاً بأنه كلام الله تعالى لا يشبه قول البشر وهذا معنى قوله لا يساويه شيء من كلام المخلوقين يعني لا يشابهه لا يدانيه لا يكون مساوياً له؛ لأنه معجز؛ ولأنه لماذا صار معجزاً؛ لأنه كلام الله، هذا هو المراد بقوله لا يساويه شيء من كلام المخلوقين وإلا فلو كان المراد التقرير الابتدائي فليس مناسباً أن يقال إن كلام الله لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ابتداءً؛ لأن هذا فيه نوع ترك للأدب الواجب مع القرآن ولقد قال الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدرُه إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

لكن هو لم يرد هذا المعنى إنما أراد دليل الإعجاز أن القرآن لا يشبه قول البشر، لا يساويه ولا يماثله شيء من كلام المخلوقين لِمَ ؟ لأنه كلام الله تعالى.

المسألة السادسة:

قال في آخر هذه الجملة (ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين) في قوله : (ولا نقول بخلقه بخصوصها) يعني أن معتقد الصحابة رضوان الله عليهم ومعتقد التابعين وتبع التابعين وأئمة الإسلام وأئمة أهل السنة والجماعة ومعتقد عامة المنتسبين إلى الإسلام أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود -ﷻ- وأن القول بخلقه ضلال وخروج عن جماعة المسلمين يعني عما أجتمع عليه المسلمون من زمن الصحابة إلى زمن المؤلف بل إلى زمننا الحاضر، والقول بخلق القرآن هذه عقيدة فُتن بها كثيرون لكنهم شواذ وقلة بالنسبة لعموم الأمة وأول ما نشأ القول بخلق القول من جهة

الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان ثم أخذه المعتزلة فنصروه واستدلوا له، القول بخلق القرآن الكلام عليه يطول جداً ومما يؤسف له ويجب جهاده أيضاً أن بعض الضُلاّل والمفتونين بدؤوا ينشرون لهذا الفكر عن طريق بعض وسائل الإعلام والقنوات والمناقشة فيها، القول بخلق القرآن كما نشرته بعض الإذاعات فيما ذكر لي في مناظرات تتصل بذلك وجعل الناس يعني العامة يتكلمون في هذه المسألة وهي فتنة مشابهة للفتنة الأولى من حيث الابتداء فنسأل الله جل وعلا أن يكبت شر من يريد صرف الأمة عن حسن الاعتقاد وإضلال عامة المسلمين، من قال بخلق القرآن طوائف في هذه الأمة منهم الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة، والخوارج اليوم يوجد منهم طائفة الإباضية وهم من أخف فرق الخوارج قولاً واعتقادات ويوجدون في أكثر من مكان في العالم الإسلامي في الجزيرة وفي ليبيا وفي الجزائر وفي أنحاء أُخر ولهم كتب كثيرةٌ ومصنفة في العقيدة وفي الفقه يعني تبلغ عشرات المجلدات أو أكثر هم الذين ينصرون اليوم القول بخلق القرآن في مؤلفاتهم ومنهم اليوم الرافضة وعقيدتهم أيضاً في القرآن بأنه مخلوق، وكذلك الزيدية يعتقدون هذا الاعتقاد، ومن العجب أن بعض المنتسبين للسنة من أئمة الحديث أو ممن حاربوا التقليد ونصروا الدليل؛ لأجل ما راج في بلده اشتبهت عليه هذه المسألة، وهو العلامة الشوكاني –رحمه الله تعالى– فإنه اشتبهت عليه مسألة خلق القرآن؛ لأجل ما شاع في بلده وذهب فيها إلى الوقف ذكر ذلك في تفسيره، فهذه الطوائف المعتزلة والعقلانيون أيضاً في عصرنا الحاضر جماعة من العقلانيين من المنتسبين إلى الإسلام يعني من المسلمين وممن يدعون غير ذلك أيضاً هم ينصرون مذهب المعتزلة في خلق القرآن .

فإذاً مسألة خلق القرآن كغيرها من مسائل الاعتقاد لا يقال ذهبت بل هي باقية فطالب العلم يتعلم أدلة ذلك حتى يجادل بالقرآن من قال بخلقه

والعياذ بالله، وهذه مسائل تحتاج إلى إيضاح طويل، وتفصيل للكلام على الأدلة والخلاف في ذلك مما له موضع آخر إن شاء الله تعالى.

المسألة السابعة:

شبهة من قال بخلق القرآن وهم الطوائف الذين ذكرتهم لك قالوا إن القرآن حروف وكلمات وصوت فإذا قيل إنه كلام الله جل وعلا الذي هو صفته صار الله جل وعلا محلاً لما هو من صفة الأجسام والتقطع في الكلام؛ لأن القرآن حروف متقطعة يعني حروف تكونت منها الجمل ، والجمل تكونت منها الآيات فنظروا إلى هذا قال : هذا التقطع إنما هو من صفات من له نفس من يخرج الحرف ثم يتنفس ثم يقول كذا ونحو ذلك وهذه من صفات المخلوقين ولهذا جعلوه مخلوقاً، ولهم في تباين صفات الخلق أو كيف خلقه وفي أي شيء خلقه لهم أقوال كثيرة، وهذه الشبهة والإيراد مبني أيضاً على اعتقاد لهم وهو أن حدوث الأجسام إنما كان بدليل الأعراض يعني حلول العرض في الجسم، تبين به حاجة الجسم وافتقار الجسم إلى العرض والعرض يطرأ ويزول فلهذا صار الجسم حادثاً مما هو معروف وقد فصلته لكم فيما قبل فيما يسمى بدليل الأعراض وهذا دليل يعتمده المعتزلة وأخذه عنهم كتأصيل الأشاعرة والماتريدية وجماعة. والقرآن إن قيل أنه صفة الله جل وعلا صار عندهم أن القرآن يكون في حال ولا يكون في حال؛ لأن القرآن تكلم الله جل وعلا به ليس دفعة واحدة وإنما هو بحسب الوقائع قالوا هذا يمتنع معه إلا أن يكون مخلوقاً، والأشاعرة والماتريدية لما سلموا بأصل البرهان عارضوا ذلك ظاهراً عارضوا قول المعتزلة ظاهراً وسلموه باطناً، فقالوا القرآن قرآنان: قرآن قديم وهو الذي تكلم الله جل وعلا به ، وقرآن أُنزل على محمد ﷺ ، فالقرآن القديم الذي هو صفة الله جل وعلا هذا تكلم الله جل وعلا به دفعةً واحدة

والقرآن الذي أُنزل على محمد ﷺ هذا جُعل في روع جبريل ذلك القرآن جُعل في رُوعه يعني في نفسه بدون أن يسمع فنزل به على نبينا ﷺ، وهذا منهم لأجل أن لا يبطلوا الدليل السابق واستدلوا على ذلك المعتزلة بأدلة كثيرة ليس هذا محل بيانها موجودة في كتبهم المقصود أن القول بخلق القرآن مبني على شبهة ولأجل هذه الشبهة ولأجل إبطالها فإن أئمة أهل الإسلام كفَّروا في خلق القرآن بالنوع ولم يكفروا كل أحد قال بخلق القرآن حتى تقوم عليه الحجة لأجل الاشتباه في الدليل .

فإذاً نقول : من قال بخلق القرآن فهو كافر لكن إذا جاء المعين لابد من إيضاح الحجة له والرد على شبهته وبيان ذلك لأن هذه الفتنة عظيمة كذلك من توقف في ذلك ولم يستبن له الأمر أو من أجاب في الفتنة فتنة خلق القرآن فإن أئمة أهل السنة والجماعة لم يكفروا أحداً في ذلك ولم يمتنعوا أيضاً عن الرواية ممن توقف في المسألة أو أجاب لأجل الافتتان. هذا أصل عظيم مهم في هذا الأصل يعني في مسألة خلق القرآن .

فإذاً معتقد أهل السنة والجماعة أن القول بخلق القرآن من أبطل الباطل وأن القول بخلق القرآن كفر؛ لأن معنى القول بأن صفة الله مخلوقة والقرآن صفة الله كلام الله، فالقول بأن صفة الله مخلوقة هذا تنقص عظيم للرب جل وعلا وتنقص الرب جل وعلا كفر بالله -ﷻ- وهو أعظم من الاستهزاء المجرد؛ لأن هذا قول بالتنقص ومسبة لله جل وعلا لكن ثم اشتباه وشبهة الوضع معها ما ذكرته لك آنفاً. أما الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم فهم يرددون على المعتزلة وعلى العقلانيين والخوارج وعلى الرافضة في مسألة خلق القرآن يردون عليهم بأنواع من الردود لكن تنتبه إلى أن مبنى هذه الردود على مذهبهم وهو أن كلام الله قديم وأن الذي أُنزِل على محمد ﷺ إنما كان في روع

جبريل أو أخذه من اللوح المحفوظ أخذه من المكتوب أو نزل به من بيت العزة أو نحو ذلك من أقوالهم المعروفة.

المسألة الثامنة:

في قوله : (ولا نخالف جماعة المسلمين) جماعة المسلمين هذه الكلمة من الكلمات العظيمة التي ترد في كتب أهل السنة والجماعة وفي عقائدهم والجماعة عندهم يراد بها نوعان:

النوع الأول: جماعة الدين. والنوع الثاني: جماعة الأبدان.

وكل منهما مأمور بالتزامه وكل منهما مطلوب التمسك به جماعة المسلمين في دينهم وجماعة المسلمين في أبدانهم. وقد فصلت لك الأقوال في ذلك في أول شرح الواسطية يمكن أن ترجع إليه للازدياد في هذا الموضع. الجماعة تقابلها الفُرقة والفُرقة، يعني لماذا قسمناها إلى جماعة دين وجماعة الأبدان؟ لأنه جاء في النصوص الأمر بلزوم الجماعة، وجاء في النصوص النهي عن الفُرقة، والنهي عن الفرقة جاء بالنهي عن الفرقة في الدين والنهي عن الفرقة بالأبدان كما في قوله جل وعلا ﴿ **أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ** ﴾ يعني في الدين، والتفرق في الدين يؤول إلى التفرق في الأبدان فكل منهما له صلة بالآخر فجماعة الأبدان يقوى معها الاجتماع في الدين والتفرق في الأبدان يحصل معه تفرقٌ في الدين، وكذلك الاجتماع في الدين يحصل معه اجتماع في الأبدان فكل منهما يقود إلى الآخر، ولهذا لما ظهرت العقائد الباطلة في زمن عثمان وزمن علي –رضي الله عنهما– ظهر الافتراق في الأبدان والخروج على الأئمة ونحو ذلك فهذه وهذه كل منهما يؤول إلى الآخر، قول الطحاوي هنا:(ولا نخالف جماعة المسلمين) هذه عقيدة عظيمة يجب على كل معتقد لمعتقد أهل السنة والجماعة أن يهتم بها، فجماعة المسلمين جماعة

الدين واجب التزامها وعدم الخروج عن ما كان عليه الصحابة -ﷺ- وعن ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الإسلام وكذلك جماعة الأبدان بلزوم المسلمين وولي أمرهم وعدم شق الطاعة والسمع والطاعة في المعروف هذا واجب أيضاً الاجتماع عليه والائتلاف على ذلك، وهذا هو الذي كان عليه أئمة أهل الإسلام -رحمهم الله تعالى-

فإذاً من خالف في عقيدة من عقائد الإسلام ففي الواقع خالف جماعة المسلمين، جماعة المسلمين كانت على شيء قبل أن تفسد الجماعة، كانوا على شيء في زمن الصحابة رضوان الله عليهم ، ولذلك تعلمون ما ذكره ابن القيم في أول إغاثة اللهفان، وما ذكره غيره من أن الرجل الواحد قد يكون في زمن من الأزمان هو الجماعة متى؟ إذا كان موافقاً لمعتقد الصحابة -ﷺ- ومعتقد التابعين وأئمة الإسلام ولم يكن معه أحد فهو الجماعة وإن خالفه الناس جميعاً، لماذا؟ لأن الجماعة معناها هو من كان في العقيدة مع الجماعة، من كان في الاعتقاد مع الجماعة فهو الجماعة، وفي زمن الإمام أحمد لما حصلت فتنة القول بخلق القرآن كان الإمام أحمد ومن معه ممن وقف في وجه أمراء ذلك الوقت في هذه العقيدة وأقروا ما عليه جماعة المسلمين كانوا هم الجماعة والمخالفون لهم الأكثر كانوا قد خالفوا الجماعة. هذه مسألة مهمة في أن الجماعة بمعنى العقيدة هو من كان على الجماعة . إذاً فالجماعة لها إطلاقان الإطلاق الأول الجماعة بمعنى الاجتماع على عقيدة السلف فمن كان على ذلك الاعتقاد فهو الجماعة في العقيدة وإن كان واحد والجماعة في الأبدان هو أن يلزم إمام المسلمين وجماعتهم فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فيعتزل الفرق كلها ويعبد الله جل وعلا على بصيرة ويكون حينئذٍ أدى ما يجب عليه أداؤه.

فالواجب إذاً على كل طالب علم أن يأخذ بهذه الكلمة وأن يوصي غيره بها؛ لأنها من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه أن يكون مع الجماعة؛ لأن النبي ﷺ بين الفرق الضالة التي توعدها بالنار قال ((كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال هي الجماعة)) وقال في الرواية الثانية قال ((الجماعة من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) أو نحو ذلك، والرواية الأولى جيدة يعني من حيث الإسناد قال هي الجماعة، يعني من كان على ما كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم- ومن سار على نهجهم هذا وعد عظيم كلها في النار إلا واحدة إذا حصل أن المرء اشتبه عليه شيء في مسائل فما الذي يجب عليه أن يأخذ بما يتيقنه من الدين وما يتيقنه من عمل أئمة الإسلام وما دون في العقائد الصحيحة لأهل السنة والجماعة وأن يترك ما اشتبه عليه؛ لأن الله جل وعلا له حدود كما جاء في حديث النعمان بن بشير ((الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات)) يعني في نفسها مشتبهات على من يريدها أو على من ينظر فيها وفي رواية أخرى للبخاري ((وبينهما أمور مشبهات)) يعني الله جل وعلا جعلها كذلك ليختبر العباد مثل ما جاء بعض الكلام محكماً وبعض كلامه متشابهاً قال في المتشابهات ﷺ ((ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)) يعني طلب البراءة وهذا هو الواجب؛ لأن ما كل أحد يأتي المتشابه ويقول لا ما أعرفه الذي يشتبه عليك اتركه أسلم لدينك وخاصة في مسائل الجماعة في مسائل الاعتقاد في مسائل الاختلاف لأنك لا تدري ما يؤول إليه الأمر تعرف أن الخوارج صار معهم بعض من ولد في زمن النبي ﷺ لكنه لم يكن منهم لكنهم شبهوا عليه كمحمد بن أبي بكر الصديق ولدته أمه أسماء بنت عميس في الحج يعني في حجة الوداع نفست فولدت بمحمد بن أبي بكر يعني ولد في زمن النبي ﷺ وحصل أنه أتى لعثمان لقوة الاشتباه، أتى لعثمان بعد أن تسلق عليه البيت وهو يتلو القرآن فشده

بلحيته وقال له يعني وعظه عثمان فبكى محمد بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فبكى وترك ذلك تركهم ثم قُتل عثمان، وضل من قال إن من قتله أو ساعد في قتله أنه محمد بن أبي بكر المقصود أن المسائل المشتبهة قد تشتبه على الخيار فطالب العلم الذي يرغب سلامة دينه يعتقد ما كانت عليه الجماعة لا يخالف ما كانت عليه جماعة المسلمين وهذا من أعظم فوائد طلب العلم أن المرء يعلم ما به السلامة في دينه ويكون مع الفرقة الناجية يوم القيامة، (كلها في النار إلا واحدة) قالوا : ما هي يا رسول الله ؟ قال : (هي الجماعة) وهذا مما يرغب كل واحد منكم في طلب علم العقيدة؛ لأنه معه سلامة القلب ومعه سلامة العمل ومعه سلامة الخروج بيقين عن الفرق الضالة والالتزام بطريق الجماعة فهذه الكلمة كلمة عظيمة (لا نخالف جماعة المسلمين) يعني في اعتقادهم ولا في أقوالهم. وكذلك لا نترك جماعة المسلمين في أبدانهم؛ لأن هذا من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة الذين تابعوا الكتاب والسنة، ولم يخرجوا عن ذلك أعان الله الجميع على كل خير. نكتفي بهذا القدر ونقف عند قوله: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) نأخذ بعض الأسئلة .

سؤال : زوجتي أسقطت في الشهر الثالث والآن يخرج منها دم فهل هذا الدم يعتبر دم نفاس تمتنع من الصلاة أم أنها لا تعتبر به وتصلي؟

الجواب : المرأة إذا اشتملت بحمل يعني حملت ثم أسقطت وخرج منها الدم فهذا الدم له حالان:

١. إذا كان قبل الثمانين يوماً يعني قبل أن تبلغ مدة الحمل ثمانين يوماً يعني بما تعرفه النساء ثقات النساء أو بما يقوله الأطباء فما قبل ذلك يعتبر دم استحاضة وليس دم نفاس.

٢. وما بعد الثمانين يوم اللي هو الفترتين الأولى يصير أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك فبعد الثمانين إذا نفست خمس وثمانين يوم ثلاثة أشهر اللي هو تسعين يوم فإنها يكون الدم الذي يخرج منها دم نفاس لا تصلي وأما قبل ذلك فدم استحاضة لها حكم المرأة المستحاضة تتطهر لك لصلاة تتوضأ لكل صلاة وتصلي ولا تمتنع من زوجها ولا تمنع زوجها منها لكن يستحب لزوجها أن يتركها لأجل موضع الدم، أي لأجل خروج الدم يعني من جهة الاستحباب وكراهة إتيانها والحال ذلك. فالمقصود أن قول السائل هنا: زوجتي أسقطت في الشهر الثالث كلمة الشهر الثالث هنا تحتاج إلى تفصيل إذا كان الشهر الثالث ثمانين يوم فأقل فإنها يعتبر دم استحاضة، إذا كان أكثر من ثمانين يوم فهذا دم نفاس، والعلماء يقولون إنه بعد الثمانين يوم يبدأ التخطيط في الجنين يعني يظهر بعض التصوير فيه، فإذا تميزت المرأة التصوير أيضاً سقط منها شيء وأمكنها رؤيته فرأت فيه التخطيط فيه العيون فيه شيء فهذا معناه أن المدة أكثر من الثمانين يوم فيكون الدم دم نفاس.

سؤال : ما حكم من أمذى ثم توضأ ثم خرج المذي في الصلاة مع العلم أنه في هذه الفترة لا ينقطع؟

الجواب : من أمذى. المذي نجس لأمر النبي ﷺ بغسل الذكر والأنثيين منه وهو أيضاً خروج نجاسة وأيضاً ينقض الوضوء بأمر النبي ﷺ بالتوضأ منه؛ لأن علياً أمر المقداد أن يسأل النبي ﷺ؛ لأنه كان يعني علياً مذاءً فقال فيه الوضوء أو قال يغسل ذكره ويتوضأ أو نحو ذلك على اختلاف الروايات، المذي نجس في نفسه وهو خروجه ينقض الوضوء. فقوله: ما حكم من أمذى ثم توضأ مرة أُخرى والموضع الذي تلوث بالمذي ويتوضأ من جديد في آخره يقول... مع أنه في هذه الفترة لا ينقطع، إذا كان معه سلس في المذي دائم يسيل منه فهذا قد يكون يعني له حكم من حدثه دائم إذا كان حدثه دائم

يتوضأ مرة واحدة ويروح إذا كان يعرف دائماً من نفسه إذا خرج في الصلاة ينظر المذي يخرج منه دائماً فهذا حدثه دائم يتوضأ مرة واحدة ويكفي.

سؤال : شخص تعود إلقاء السلام على الجالسين في المسجد في كل فريضة فأنكر عليه بعض الجالسين بأن هذا الاستمرار على السلام بدعة فهل المُنكِر على حق؟

الجواب : السلام على الناس في المسجد اختلف فيه أهل العلم على قولين:

الأول: أنه يشرع أو أنه لا بأس به وذلك لأن ابن مسعود أتى ﷺ وهو يصلي فسلم عليه فرد عليه النبي ﷺ السلام بالإشارة ووضع اليد وظاهره أنه كان في المسجد لقدوم ابن مسعود من الهجرة واستدلوا له أيضاً بعموم قوله ﷺ ((إذا أتيتم المجلس فسلموا ثم إذا قمتم فسلموا فليست الأولى بأحق من الآخرة)) والمسجد يدخل في كونه مجلساً كما قال ((ما قوم جلس مجلساً يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة...)) إلى آخره فالمسجد مجلس فاستدلوا بعموم الحديث على مشروعية السلام في ذلك العموم.

القول الثاني: أن السلام لا يشرع كل ما دخل الإنسان المسجد وذلك لا يشرع يعني لا يستحب وليس مشروعاً من هدي صحابة النبي ﷺ؛ لأن ذلك لم يفعل في زمنه ﷺ وحادثة ابن مسعود حادثة فردية وعموم الحديث يحتاج يعني ((إذا أتيتم المجلس فسلموا)) يحتاج إلى عمل السلف عمل الصحابة لإدخال المسجد في اسم المجلس من جهة العمل وذلك أن العمومات كقاعدة العمومات إذا دخلت فيها صور وكانت مما قام المقتضي على فعله في زمن النبي ﷺ أو في زمن الصحابة ثم لم ينقل فعله فيكون في حيز أو في جهة عدم المشروع أو البدعة، فالسلام لمن دخل المجلس فيمن دخل المسجد لم ينقل عن السلف عن الصحابة رضوان الله عليهم في زمنه عليه الصلاة

والسلام، ولهذا قالوا يعني أصحاب هذا القول قالوا أنه لا يشرع لكن من سلم مرة فإنه لا بأس بذلك مثل ما حصل من ابن مسعود وقد يحصل من المسلمين، ثم إن الإنسان قد يسلم بعد ذلك أو إذا قال السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله سلم على كل الحاضرين وهذا القول هو الأظهر والأصح لأجل قوة دليله ثم لأنه موافق للأصل فليس مشروعاً أن العبد إذا دخل المسجد يعني مع الباب السلام عليكم ورحمة الله، أو وقف في الصف يريد أن يصلي التفت إلى الحاضرين وقال السلام عليكم ورحمة الله هذا مما لم يفعل في زمن النبوة ولا زمن الصحابة رضوان الله عليهم، ومن فعل مرات يعني أحياناً أو فعله من لم يعلم فلا بأس ما ينكر عليه إلا إذا كرره والتزم.

سؤال : لماذا كفر أئمة الهدى القائلين بخلق القرآن مع أنهم متأولون ولم يكفروا القائلين بإنكار الأسماء والصفات أو بعضها لأنهم متأولة ؟

الجواب : هذه مسألة كبيرة في مسألة التكفير. تكفير الفرق يقال به من جهة الوعيد. والتنفير من هذا القول لكن التكفير المعين يعني تكفير المعتزلة لا يعني أننا نكفِّر الأفراد تكفير من قال بخلق القرآن لا يعنى أن نكفر كل من قال به تكفير من أنكر الأسماء والصفات ليس معناه أن من أنكر كل فرد أنكر أنه يُكفَّر ليس كذلك، ولذلك أهل السنة والجماعة أجمعوا على عدم تكفير من تأول الصفات؛ لأن ثم شبهة. والتكفير إخراج من الدين والإخراج من الدين لابد أن يكون بأمر يقيني يكون بقوة ما به دخل إلى الإسلام أو ما به صار مسلماً وصار مؤمنًا. وهذه المسائل التي فيها تأويل أو اشتباه لو كفر بعض الأمة بعضًا فيها لصار هناك تكفير كبير وهذا لم يعمله أحد من أئمة الإسلام لذلك هناك تكفير بالنوع هذا وعيد ولأجل طلاق النصوص وحماية للشريعة. فإذا جاء المعين لابد في حقه من إقامة الحجة ورد الشبهة، والجواب عن شبهته. حتى إن بعض أهل العلم قالوا في مسائل الأسماء والصفات

يشترط فيها الفهم يعني في تأويل الأسماء والصفات لا يقول أقمت الحجة وهذه لا يشترط فيها الفهم كما هو القول المعروف الصحيح أن الذي يشترط إقامة الحجة في التكفير أو في التبديع أو في التفسيق... إلى آخره أما فهم الحجة فلا يشترط. قالوا إلاّ في الأسماء والصفات لابد أن يفهم يعني؛ لأن الشبهة فيها قوية. قال بها عدد من المنتسبين إلى الحديث والسنة وفيها نوع اشتباه وهذه الكلمة وهي استثناء الأسماء والصفات قالها بعض أئمة الدعوة كما هو موجود في الدرر السنية وغيرها. فينتبه لهذا الأمر.

الشريط الواحد والثلاثون . الوجه(أ) ١٤١٩/٧/١١هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

سؤال : يقول كيف نجمع بين حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: ((لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت وليعزم مسألته إن الله يفعل ما يشاء لا مكره له)) وبين حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده فقال: ((لا بأس عليك طهور إن شاء الله)) قال، قال الأعرابي: طهور بل هي حمى تفور على شيخ كبير تُزيره القبور قال النبي ﷺ ((فنعم إذًا))؟

الجواب : الحديثان المذكوران كلهما في الصحيح والعلماء جمعوا بينهما بأوجه من الجمع من أحسنها أن قوله ﷺ ((طهور إن شاء الله)) هذا من باب الخبر لا من باب الدعاء قال للأعرابي هذه الحمى طهورٌ لك في دينك وطهورٌ لك أيضًا في بدنك وتصبح بعدها سالماً، فأخبره النبي ﷺ بذلك؛ لأن قوله طهورٌ مرفوع والرافع له مبتدأ محذوف أو الابتداء المحذوف بقوله هي

طهورٌ إن شاء الله وليس المراد الدعاء؛ لأنه لو كان دعاء لصارت منصوبة به اللهم اجعلها طهوراً لو قال طهوراً إن شاء الله يعني اجعلها اللهم طهوراً فيكون دعاء فالظاهر من السياق من اللغة ومن القصة أن المراد الخبر فإذا كان المراد الخبر فلا يعارض الدعاء بقول القائل اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت؛ لأن النبي ﷺ علق الخبر بالمشيئة فقال: ((طهورٌ إن شاء)) كما قال الله جل وعلا: ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾وكقوله جل وعلا: ﴿ **ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾، فقوله اغفر لي إن شئت هذه تعليقٌ للدعاء بالمشيئة، الله جل وعلا لا مستكره له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد في خلقه -ﷻ-، والوجه الثاني وهو وجه حسن أيضاً أن قول الداعي اللهم اغفر لي إن شئت هذا على جهة المخاطبة اغفر لي إن شئت، وأما إذا كان على جهة الغيبة فإنه لا بأس به فلو قال : غفر الله له إن شاء الله هذا أخف من التعليق بالمواجهة، اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت؛ لأن المخاطبة تقتضي الذل والتقرب إلى الله جل جلاله بما يحبه من نعوت جلاله وصفاته ومدحه سبحانه والثناء عليه، والتعليق بالمشيئة فيه نوع استغناء فلهذا قال في آخره فإن الله يفعل ما يشاء لا مكره له، وقال: (إن الله لا مستكره له) وهذا الوجه الثاني قال به بعض أهل العلم ولكنه ليس بالقوة كالأول، الأول ظاهر والثاني قيل به وليس هو المختار.

سؤال : هل تعدد الجماعات مثل تعدد الآراء في المسألة الفقهية الواحدة؟

الجواب : إذا كان يقصد بالجماعات الجماعات الإسلامية التي ظهرت في هذا الزمن فليس ذلك مثل تعدد الآراء في المسألة الواحدة؛ لأن تعدد الآراء في المسألة الفقهية الواحدة هذا إذا كان مورده الاجتهاد فإن كل واحد من القائلين في المسألة الفقهية يؤجر على اجتهاده فيما اجتهد فيه؛ لأن المسألة

موردها الاجتهاد كذلك في المسائل التي ينزع فيها المجتهد إلى دليل هو مأجور كما قال ﷺ ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد)) يعني على أجرٌ اجتهاده، والثاني له أجر على اجتهاده وأجر على إصابته الحق. وأما الجماعات الإسلامية الموجودة الآن فهي تختلف في طريقتها تختلف في أصولها تختلف في مبادئها وأهدافها إلى آخر ذلك. والأصل الواجب على كل مسلم الذي يلزمه هو لزوم جماعة المسلمين قبل أن يحدث الافتراق فإن الافتراق الحادث في الأمة لا يجوز إقراره ومعالجته بإحداث جماعات جديدة؛ فالواجب على المسلمين جميعاً لزوم الجماعة قبل أن تفسد الجماعة، والجماعة التي هي على الحق لم يتركها الله جل وعلا لم يبينها ولم يتركها رسوله ﷺ لم يبينها بل بينها الله جل وعلا بقوله ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً** ﴾ المراد بالمؤمنين هنا الصحابة؛ لأنهم هم المقصودون بذلك في وقت تنزل هذه الآية ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني صحابة رسول الله ﷺ وبين ذلك لهم نبينا ﷺ بقوله: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال: هي الجماعة)) وفي رواية أخرى قال: ((هم الغرباء))، وفي رواية ثالثة قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) إلى غير ذلك وهذا يدل على أن الجماعة موجودة في زمن الصحابة وهي موجودة في زمن التابعين وموجودة يحملها أئمة السلف وأئمة الإسلام امتثالاً لقول نبينا ﷺ ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)) أو كما قال ﷺ فالواجب على كل مسلم يريد السلامة في دينه وأن يكون ممن وعده النبي ﷺ بأن يكون من الفرقة الواحدة التي لم تأخذ سبيل الثنتين والسبعين فرقة أن يلزم أمر الجماعة قبل أن تفسد

الجماعة، وهذا من أعظم مقاصد الدين العظيمة التي يمتثلها العبد في قوله تعالى التي يمتثلها العبد بامتثال قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ فالعبد المؤمن يلزم هذه الطريقة وكيف يلزمها بتعلم هذه العقيدة المباركة فإن دروس العقيدة والمحاورات في التوحيد والعقيدة هي التي تنقلك إلى الالتزام بطريقة الجماعة الأولى قبل أن تفسد الجماعة، لهذا ففتش أنت بنفسك وستجد أن من خالف أمر الجماعة الأولى وأحدث شعارات جديدة وأهداف وآراء وكتب غير كتب السلف في هذه المسائل ستجد أنه خالف شيئاً من أمور الاعتقاد ولا بد فإذاً خالف طريق الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وهذه مسألة مهمة فتعدد الجماعات ليس مثل تعدد الفقهاء بل الواجب على جميع أمة الإسلام أن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا امتثالاً لقول الله جل جلاله ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ أي لا تتفرقوا في الأبدان ولا تتفرقوا أيضاً في الدين بل التزموا بالقرآن الذي يدعو إلى الاجتماع على الحق.

سؤال : أشكلت عليّ مسألة وهي أن كل من انتسب إلى القبلة من أهل الأهواء والبدع وغيرهم ينتسبون إلى الإسلام ومن قال إن المجتمعات مجتمعات جاهلية فكيف يكون الإيضاح على هذا الأمر؟

الجواب : الأول ذكرناه وقررناه لك فيما سبق أن من كان منتسباً إلى القبلة في الصلاة إليها من أهل التوحيد فهو من أهل القبلة وإذا عرض له هوى أو بدعة فإن البدع درجات والأهواء أيضاً درجات فلا نخرجه من الإسلام لبدعةٍ فيه يعني لمجرد بدعة فيه أو بكل بدعة فيه ولا تخرجه من الإسلام بمجرد الهوى الذي يكون في هذه الأمة بل لا بد أن يكون الهوى مكفرٍ أو أن تكون البدعة مغلظة مكفرة أما من قال: مجتمعات المسلمين اليوم مجتمعات جاهلية فهذا باطل؛ لأن الجاهلية في النصوص هي اسم لفترة

زمنية مضت قال جل وعلا ﴿ **وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾ وقال سبحانه ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ وهذه الجاهلية تكون في العقيدة في العبادة تكون في الأحوال الاجتماعية وتكون في الأخلاق تكون في الآداب فهي من جهة الزمان انقضى زمانها ببعثة محمد ﷺ وأما من جهة المكان فإن الجاهلية اسم يتبع صفة الجهل والجهل يتنوع والجهل العام ارتفع ببعثة محمد ﷺ لهذا قال ﷺ ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق)) ووجود هذه الطائفة على الحق حتى قيام الساعة يمنع رجوع الجهل العام ورجوع الجاهلية العامة فإذاً الجاهلية العامة في الأمكنة ذهبت جاهلية الزمان ذهبت بقي نوع آخر من الجاهلية وهو جاهلية الصفات فمن أشبه أهل الجاهلية في صفة فهو مشارك لهم في هذه الصفة كما قال ﷺ لأبي ذر لما عير رجلاً أسود بأمه فقال له يا ابن السوداء، قال ﷺ إنك أمرؤ فيك جاهلية يعني فيك خصلة من خصال أهل الجاهلية وخصال الجاهلية متنوعة كثيرة دل عليها القرآن والسنة يعني خالف فيه رسول الله ﷺ أهل الجاهلية وألف في هذا إمام هذه الدعوة الكتاب المشهور مسائل أهل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية فتلك المسائل منها ما هو مكفر كعبادة غير الله منها ما هو في الاعتقادات ومنها ما هو في المسائل العملية ومنها ما هو في الاجتماعيات ومنها ما هو في الأقوال... إلى آخره ، فالجاهلية جاهلية الصفات هذه باقية وقد صح عنه ﷺ أنه قال ((لتأخذن مأخذ أو لتسلكن مسلك الأمم من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قالوا يا رسول الله فارس والروم قال فمن الناس إلا أولئك)) فارس والروم خصالهم من خصال الجاهلية بل خصالهم خصال جاهلية في الاعتقاد وفي الأقوال وفي الأعمال فدل على أن خصال الجاهلية تكون في هذه الأمة فإذاً وصف مكان وصف الأرض بأنها صارت إلى جاهلية هذا باطل ومناقض لحكم النبي ﷺ بل وحكم

الله جل جلاله في قوله ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾ فظهر دين محمد ﷺ على كل دين وظهرت ملته على كل ملة وظهر هديه على كل هدي والحمد لله على ذلك كما قال جل جلاله ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾، فرفع ذكر محمد ﷺ فوق ذكر غيره فصار هو المقدم ﷺ في الاتباع وفي الهدي في أكثر الأرض ولله الحمد كذلك جاهلية الزمان لا يوجد زمان يكون الزمان زمان جاهلية؛ لأن زمن الجاهلية انتهى ببعثة محمد ﷺ فلا يقال مثلاً هذا القرن قرن جاهلي أهل هذا القرن في جاهلية ونحو ذلك بل لا تزال في أمة محمد ﷺ صنوف الخير ولله الحمد على منته وتوفيقه.

سؤال : هل يجوز وضع ما يسمى بالدفايات في المسجد وهي تشتعل ناراً؟

الجواب : لا بأس بوضع ما يدفئ في المسجد لكن قال بعض أهل العلم يكره استقبال ما فيه نار أو ما عبد من دون الله؛ لأن النار عُبدت عبدها المجوس فكرهوها لأجل نوع المشابهة لكن هذه الكراهية هو مذهب الحنابلة ليست بجيدة بل الصواب الجواز، استدل البخاري –رحمه الله– على الجواز بأن النبي ﷺ عرضت له الجنة وهو يصلي وعرضت له النار فتراجع لما صارت النار أمامه ﷺ فيستدل بذلك على أن هذا النهي أو هذه الكراهة التي ذهب إليها طائفة من أهل العلم أن الصواب الجواز لعدم الدليل الواضح على الكراهة ولورود الدليل من فعله ﷺ نكتفي بهذا. اقرأ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المتن :

ولا نكفرُ أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله .

الشرح :

الحمد لله وبعد: هذه الجملة من كلام العلامة الطحاوي –رحمه الله– من الأصول العظيمة في معتقد أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بمجرد حصول الذنب منه إلا إذا استحله باعتقاد كونه حلالاً له، أو حلالاً مطلقاً وكذلك أنهم لا يخففون أمر الذنوب حيث يجعلون الذنب غير مؤثر في الإيمان لهذا قال: تقريراً لهذا الأصل العظيم (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنبٌ لمن عمله) وهذه الجملة من كلامه أراد بها أن حصول الذنب من أهل القبلة لا يعني تكفيره كما ذهبت إلى ذلك الخوارج وحصول الذنب من أهل القبلة لا يعني أن هذا المؤمن لم يتأثر بحصول الذنب منه كما تقوله المرجئة فخالف بهذا القول الخوارج والمعتزلة وخالف أيضاً المرجئة، وهذه المسألة لا شك أنها من المسائل العظيمة جداً وهي مسألة التكفير تكفير المنتسب إلى القبلة الذي ثبت إسلامه وإيمانه فإذا حصل منه ذنب فإن قاعدة أهل السنة والجماعة أن من دخل في الإسلام والإيمان بيقين لم يخرجه منه مجرد ذنب حصل منه ولا يخرجه منه كل ذنب حرمه الشارع بل لا بد في الذنوب العملية من الاستحلال بأن يعتقد أن هذا الذنب أن هذا العمل منه حلالٌ له وليس بذنب وأنه ليس بمحرم وهذا هو طريقة أهل السنة والجماعة؛ لأنهم لا يكفرون بل يخطئون أو يضللون أو يفسقون فتقول مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته مسلم بما معه من التوحيد ولكنه فاسق لما ارتكب من الكبيرة التي أظهرها ولم يتب منها فهذه الجملة فيها تقرير لعقيدة أهل السنة ومخالفتهم للخوارج والمعتزلة وكذلك

مخالفتهم وكذلك فيها مخالفة أهل السنة للمرجئة إذا تبين هذا فتحت هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

في الدليل دليل أهل السنة والجماعة على أن من أصابه ذنباً من أهل القبلة فإنه لا يُكفَّر دل عل ذلك جملة أدلة من الكتاب والسنة منها قوله -ﷻ- ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** ﴾. ومعلوم أن القاتل داخلٌ في هذا الخطاب في النداء بالإيمان وقال -ﷻ- بعدها: ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾ فسماه أخاً له فدل على أن حصول القتل على عظمه لم ينفِ اسم الإيمان وكذلك قوله -ﷻ-: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ فسماهم مؤمنين وسماهم إخوة أيضاً ووصفهم بالإخوة فدل على أن وقوع القتل منهم لم ينف اسم الإيمان مع قوله -ﷻ- ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ** ﴾ فأثبت له جهنم وعيداً وغضب الله جل وعلا عليه واللعنة ومع ذلك لم ينف عنه اسم الإيمان فدل على أن وقوع الكبيرة من المسلم لا يسلب عنه الإيمان ووقوع الذنب ليس مبيحاً لإخراج هذا المذنب من أصل الإسلام إلى الكفر ويدل على ذلك أيضاً قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري وغيره حينما أتي برجل من الصحابة يقال له حمار شرب الخمر فجلده ثم شربها ثانية فأُتي به فجلده ثم لما أُتي به الثالثة قال: رجل لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال نبينا ﷺ ((لا تقولوا ذلك فإنه يحب الله ورسوله)) فدل على أن وجود المحبة الواجبة لله جل وعلا ولرسوله ﷺ مع حصول الكبيرة مانع من لعنه وهذا يعني أنها

مانعٌ من تكفيره ومن إخراجه من الدين من باب أولى، كذلك قال الله جل وعلا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ** ﴾ فناداهم باسم الإيمان مع حصول الذنب منهم وهو الإلقاء بالمودة إلى عدو الله جل وعلا وعد رسوله ﷺ فدل على أن إلقاء المودة لأمر الدنيا ليس مخرجاً من اسم الإيمان بل يجتمع معه قال تعالى في آخر الآية ﴿ **وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة في إسراره للكفار بخبر رسول الله ﷺ ما يدل على وقوع الذنب منه وعلى مغفرة الذنب له؛ لأنه من أهل بدر قال ﷺ في حقه لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم، وفي الرواية الثانية: أن الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، والأدلة على هذا الأصل عند أهل السنة والجماعة كثيرة ومما يدل عليه من جهة النظر أن الكبائر كالسرقة والزنى وشرب الخمر والقتل ونحو ذلك شرعت فيها ولها الحدود كذلك القذف شرعت لها الحدود، والحدود مطهرة والمرتد يقتل على كل حال ووجود الحدود هذه دليل ظاهر على أنه ارتكب فعلاً لم يخرجه من الملة؛ لأن النبي ﷺ قال: ((من بدل دينه فاقتلوه)) وقال: ((والتارك لدينه المفارق للجماعة)) يعني ممن يحل دمه فدل على أن وقوع هذه الذنوب من العبد تطهر بهذه الحدود وليست كفراً؛ لأنها لو كانت كفراً لكان يقتل ردةً لقوله ((من بدل دينه فاقتلوه)) ويدل عليه أيضاً أن ولي الدم في القتل يعفو فإذا عفا له السلطان إن شاء عفا وإن شاء أخذ قال جل وعلا ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً** ﴾ قال: فقد جعلنا لوليه سلطاناً وهذا يدل على أن الحق هنا للمخلوق وأما الردة فهي حقٌ، يعني أما الردة فجزاؤها حق لله جل وعلا وليس لولي القتل لولي المقتول فدلت هذه الأدلة ودل غيرها على بطلان قول الخوارج وعلى ظهور قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة في أن

صاحب الذنب من الكبائر العملية التي ذكرنا بعضاً منها أنه لا يخرج من الإسلام بحصول الذنب منه يعني بحصول ذنب منه أو بحصول كل ذنب أو أي ذنب منه يعني ليس كل ذنب مخرجاً له من ذلك بل الكبائر العملية ليست كذلك يعني مخرجة له من الإسلام خلافاً لقول الخوارج والمعتزلة في التخليد في النار.

وأما الجملة الثانية وهي قوله : (ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) فهذه أيضاً فيها مخالفةً للمرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة والأدلة دلت على أن الذنوب تؤثر في الإيمان قال جل وعلا في ذكر القائل ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا** ﴾ وقال جل وعلا في الربا ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ وقال جل وعلا في المرابي ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ** ﴾ وشرع الله جل وعلا الحد في السرقة ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا** ﴾ وشرع الجلد في القذف وفي الزنى إلى آخر ذلك، وهذا يدل على أن هذه الأمور أثرت في الإيمان هذه الكبائر أثرت في الإيمان والأحاديث عن النبي ﷺ في هذا الباب كثيرة لا يدخل الجنة قتات لا يدخل الجنة قاطعُ رحم، وهذا تأثير في الإيمان بسبب هذه الكبيرة.

المسألة الثانية:

هذه الجملة اشتملت على معتقدٍ فيه النهي عن التكفير والتكفير تكفير أهل القبلة بأي ذنب حرام والخوض في مسائل التكفير بلا علم أيضاً حرام وقد يكون من كبائر الذنوب بل هو من كبائر الذنوب وذلك لأوجه:

الأول: أن الإسلام والإيمان ثبت في حق الشخص في حق المعين بدليل شرعي فدخل في الإسلام بدليل فإخراجه منه بغير حجة من الله جل علا أو رسوله ﷺ من القول على الله بلا علم، ومن التعدي تعدي حدود الله، ومن التقدم من يدي الله جل وعلا وبين يدي رسوله ﷺ، وهذا فيه التحذير من هذا الأمر الجلل وهو مخالفة ما ثبت بدليل إلى الهوى أو إلى غير دليل لهذا يقول العلماء من ثبت إيمانه بدليل أو بيقين لم يزل عنه اسم الإيمان بمجرد شبهة عرضت أو تأويل تأوله بل لا بد من حجة بينه لإخراج من الإيمان كما يقول ابن تيمية ولا بد من إقامة حجة تقطع عنه المعذرة.

الثاني: من الأوجه في خطر التكفير وما تضمنته هذه الكملة من معتقد أهل السنة والجماعة أن التكفير خاض فيه الخوارج وهم أول الفئات التي خاضت في هذا الأمر والصحابة -رضي الله عنهم- أنكروا عليهم أبلغ الإنكار بل عدّوهم رأس أهل الأهواء، وأول مسألة خاض فيها الخوارج وسببت التوسع في التكفير هي مسألة الحكم بغير ما أنزل الله حيث احتجوا على علي -رضي الله عنه- بأنه حكم الرجال وكانوا من جيش علي بأنه حكم الرجال على كتاب الله لما حصلت واقعة التحكيم بين أبي موسى الأشعري وبين عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- فقال: حكم الرجال على كتاب الله فهو كافر فكفروا علياً -رضي الله عنه- وأرضاه، استدلالاً بقوله جل وعلا ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ فذهب إليهم ابن عباس يناظرهم حتى احتج عليهم بقول الله جل وعلا : ﴿ **فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّـهُ بَيْنَهُمَا** ﴾ الآية فرجع ثلث الجيش وبقي طائفة منهم على ضلالهم وظهرت فرق كثيرة من الخوارج فيدلك على قبح الخوض في هذه المسألة بلا علم أنها شعار أهل لأهواء أعني الخوارج وهم أول فرقة خرجت في هذه الأمة

وخالفت الجماعة، ولا شك أن التزام نهج أتقى الأرض بعد رسول الله ﷺ هو المتعين.

السبب الثالث: أو الوجه الثالث: من أوجه بيان خطر التكفير والخوض فيه أن النبي ﷺ قال ((من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)) يعني إن كان كافراً فهو كما ادعى عليه وإلا عاد إلى الآخر وهذا وعيدٌ شديد، وقد يكون التكفير مبعثة الهوى، وقد يكون مبعثة الجهل، وقد يكون مبعثة الغيرة فهذه ثلاثة أسباب لمنشأ التكفير قد يكون الهوى يعني التكفير بلا علم الهوى. وقد يكون منشأه الجهل، وقد يكون منشأه الغيرة، أما الأول والثاني فواضح يعني الهوى والجهل فواضح وأمثلة أهل الأهواء فيه كثيرة وأما الثالث وهو أن التكفير قد يحمل المرء عليه الغيرة على الدين قصة عمر -رضي الله عنه- مع حاطب بن أبي بلتعة حيث أنه لما حصل من حاطب ما حصل قال: عمر لنبينا ﷺ يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، والحكم عليه بالنفاق حكم عليه بإبطانه للكفر والنبي ﷺ لم يؤاخذ عمراً -رضي الله عنه- بذلك؛ لأنه من أهل بدر ولأنه قالها على جهة الغيرة وخطؤه مغفورٌ له؛ لأنه من أهل الجنة، يعني لسبق كونه من أهل بدر فدل هذا على أن الغيرة غيرُ حجةٍ شرعية في التوسع أو في ابتداء القول في هذه المسائل بلا علم أو في التكلم فيها الغيرة ليست عذراً لهذا النبي ﷺ ما عذر عمر بالغيرة وإنما عُذر عمر -رضي الله عنه- لاشتباه المقام أولاً في حق حاطب ثم لأن النبي ﷺ ما بين عذر يعني ما بين الرجل للنبي ﷺ عذر فقال عمر لما أخذ بتلابيب حاطب قال: إرسله يا عمر أو دعه يا عمر، (يا حاطب ما حملك على هذا) فلما أستفصل منه رجع الأمر إلى الوضوح فيه.

المسألة الثالثة:

افترقت هذه الأمة في هذه المسألة العظيمة وهي مسألة التكفير إلى ثلاث طوائف، طائفتان ضلتا وطائفة هي الوسط وهي التي على سبيل الجماعة وهذه الطوائف الثلاث هي الأولى: من كفر بكل ذنب وجعل الكبيرة مكفرةً وموجبة للخلود في النار هؤلاء هم الخوارج والمعتزلة وطوائف من المتقدمين ومن أهل العصر أيضاً ممن يشركهم في هذا الأصل والعياذ بالله. الثاني: الطائفة الثانية: من قالت إن المؤمن لا يمكن أن يخرج من الإيمان إلا بانتزاع التصديق منه القلبي وحصول التكذيب وهؤلاء هم المرجئة وهم درجات وطوائف أيضاً وهذا مبنيٌ على أصلهم في أن الإيمان هو تصديق القلب فلا ينتفي الإيمان عندهم إلا بزوال ذلك التصديق وهذا أيضاً غلط لأدلة ربما تأتي "إن شاء الله تعالى- والفئة الثالثة أو الطائفة الثالثة وهم الوسط الذين نهجوا ما دلت عليه الأدلة وأخذوا طريقة الأئمة التي اقتفوا فيها هدي الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم- أجمعين فقالوا: إن الملي والواحد من أهل القبلة قد يخرج من الدين بتبديله الدين ومفارقته للجماعة بقولٍ أو عملٍ أو اعتقادٍ أو شك وهذا هو الذي أورده الأئمة في باب حكم المرتد وقالوا: إن هذا يدخل في تبديل الدين الذي قال فيه ﷺ ((من بدل دينه فاقتلوه)) ويدخل في قول الله جل وعلا ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ ونحو ذلك آية البقرة فدل ذلك على أن المؤمن المسلم قد يحصل منه ردة وهذه الردة لها شروط ولها موانعها بتفصيل لهم في كتب الفقه في باب حكم المرتد فعند عند أهل السنة والجماعة لا يتساهل في أمر التكفير بل يحذر منه ويخوف منه وأيضاً لا يمنعون تكفير المعين مطلقاً بل من أتى بقولٍ كفري يخرجه من الملة أو فعل كفري يخرجه من الملة أو اعتقاد كفري يخرجه من الملة أو شك

وارتياب يخرجه من الملة فإنه بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع يحكم عليه العالم والقاضي بما يجب من الردة ومن القتل بعد الاستتابة في أغلب الأحوال.

المسألة الرابعة:

دل القرآن والسنة على أن الناس ثلاثة أصناف لا رابع لهم وهم المؤمنون والكفار والمنافقون، والمؤمن المسلم هو من دخل في الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأتى بلوازم ذلك والكافر الأصلي قد يكون كتابياً وقد يكون مشركاً وثنياً فأهل الكتاب مثل اليهود والنصارى قد يكون وثنياً مثل المجوس وعبدة الكواكب والأوثان ومشركي العرب وأشباه ذلك

الشريط الواحد والثلاثون وجه (ب) :

والمنافق : هو من يبطن الكفر ويظهر الإسلام فيحكم بإسلامه ظاهراً كما فعل النبي ﷺ مع المنافقين حتى أنه باعتبار الحكم الظاهر ورثهم وورث الصحابة من آبائهم المنافقين وهم في الباطن كفار أشد من اليهود والنصارى لقوله ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾ فمن حصل منه ذنب ووقع في ذنب من الذنوب فإنه لا يخلو إما أن يكون من أهل الإيمان وإما أن يكون من أهل الكفر وإما أن يكون ممن أظهر الإسلام وأبطن الكفر فمن كان من أهل الإيمان فإنه ليس كل ذنب يخرجه من الإيمان، فلما شهد شهادة الحق بيقين وظهور فإنه لا يخرجه منها إلا يقين مماثل لذلك مع إقامة الحجة ودرء الشبهة وهذا التفصيل تنتفعوا به في مسائل تدل على هذا أو ذاك يعني على أحد الأقسام.

المسألة الخامسة:

من أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب وما خالفوا به الخوارج والمعتزلة والمرجئة في باب الإيمان والتكفير أنهم فرقوا بين التكفير المطلق

وما بين التكفير المعين أو ما بين تكفير المطلق من الناس دون تحديد وما بين تكفير المعين فأهل السنة والجماعة أصلهم أنهم يكفرون من كفره الله جل وعلا وكفره رسوله ﷺ من الطوائف أو من الأفراد فيكفرون اليهود يكفرون النصارى يكفرون المجوس ويكفرون أهل الأوثان من الكفار الأصليين؛ لأن الله جل وعلا شهد بكفرهم فتقول اليهود كفار والنصارى كفار وأهل الشرك كفار يعني أهل الأوثان عباد الكواكب عباد النار عباد فلان إلى آخره ، هؤلاء كفار وهؤلاء كفار أصليون نزل القرآن بتكفيرهم كذلك نقول بإطلاق القول في تكفير من حكم الله جل وعلا بكفره في القرآن ممن أنكر شيئاً في القرآن فنقول من أنكر آية من القرآن أو حرفاً فإنه يكفر نقول من استحل الربا المجمع على تحريمه فإنه يكفر من استحل الخمر فإنه يكفر من بدل شرع الله جل وعلا فإنه يكفر من دعا الناس إلى عبادة نفسه فإنه يكفر وهكذا، فيطلقون القاعدة وأما إذا جاء التشخيص على معين فإنهم يعتبرون هذا من باب الحكم على المعين، فيرجعونه إلى من يصلح للقضاء أو الفتيا فالأول وهو التكفير المطلق أو تكفير المطلق دون تحديد هذا مما يلزم المؤمن أن يتعلمه ليسلم لأمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ ويعتقد ما أمر الله جل وعلا به يعني ما أخبر به فإن تكفير من كفره الله جل وعلا بالنوع واجب والامتناع عن ذلك من الامتناع عن شرع الله جل وعلا، وأما المعين فإنهم لا يكفرونه إلا إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع وعند من تجتمع الشروط وتنتفي الموانع عند من يحسن إثبات البيانات ويحسن إثبات الشرط وانتفاء المانع وهو العالم بشرع الله الذي يصلح للقضاء أو للفتيا فيحكم على كل معين بما يستحقه، فإذاً من أصولهم التفريق ما بين الحكم على المعين وما بين القول المطلق، وهذا الأصل دلت عليه أدلة من فعل أئمة السلف ومن أقوالهم فإن الإمام الشافعي مثلاً حكم على قول حفص الفرد لما ناقشه بأنه كُفْر ولم يحكم عليه بالردة وكذلك من حكموا على

من قال بخلق القرآن أو أن الله لا يُرى في الآخرة بأنه كافر لم يطبقوه في حق المعين لهذا الإمام أحمد لما حكى، أو قال بتكفير من قال بخلق القرآن لم يكفر عيناً أمير المؤمنين في زمانه الذي دعا إلى ذلك بل أمراء المؤمنين الثلاثة المأمون ثم المعتصم ثم الواثق حتى جاء عهد المتوكل فاستدل منه أئمة الإسلام كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية على أن إطلاق الكفر غير تعيين الكافر ووجه ذلك ما ذكرته لك من أن التعيين يحتاج إلى أمور؛ لأنه إخراج من الدين والإخراج له شروطه وله موانعه.

المسألة السادسة:

نرجع إلى قول الطحاوي هنا: (ولا نكفر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله) أُخذ عليه على الطحاوي أنه قال: بذنب وهذا يفيد أنه لا يكفر بأي ذنب قال: لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله يعني أن أي ذنب لا يُكفَّر به حتى يستحله وهذا ليس هو معتقد أهل السنة والجماعة على هذا الإطلاق، وإنما يعبرون بتعبير آخر وهو مراد الطحاوي يقولون: ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بمجرد ذنب كما يقوله طائفة أيضًا من أئمة الدعوة، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بكل ذنب كما يقوله طائفة من العلماء المتقدمين ومنهم شارح الطحاوية تبعاً لغيره، فإذاً قوله قول الطحاوي لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب المقصود به الذنوب العملية من الكبائر كالخمر والزنى والسرقة وقذف المحصنات والتولي يوم الزحف ونحو ذلك من كبائر الذنوب العملية التي كفر الخوارج بها ويدل على هذا أن العقيدة المصنفة لبيان ما يخالف به أهل السنة أهل البدع والخوارج وما تميزت به الجماعة ومعلوم أن الخوارج خالفوا في تكفير مرتكب الكبيرة مثل القتل والزنا وشرب الخمر والسرقة وأشباه ذلك فخالفهم بهذا القول يعني لا نكفر بهذه الذنوب بذنب يعني من

الذنوب العملية التي كفر بها الخوارج أو خلد أصحابها في النار المعتزلة ويدل عليه أنه قال بعدها ما لم يستحله والاستحلال غالبه في الذنوب العملية.

المسألة السابعة:

قوله : (ما لم يستحله) الاستحلال معه يكون مرتكب الكبيرة كافراً والاستحلال هو اعتقاد كون هذا الفعل حلالاً قال ابن تيمية –رحمه الله– في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ والاستحلال أن يعتقد أن الله جعله حلالاً أو أن الله لم يحرمه فإذا اعتقد أن هذا الشيء حلال أو أن الله لم يحرم هذا سواءٌ كان حلالاً على الأمة جميعاً، أو حلالاً عليه هو وسواء كان عدم التحريم على الجميع أو عليه هو؛ لأنها صورتان فإن هذا هو الاستحلال فإذاً ضابط الاستحلال المكفر هو الاعتقاد وذلك أن الاستحلال فيه جحد لكون هذا الذنب محرماً؛ لأنه إذا قال الخمر حلال فإنه جحد تحريمها ويأتي الصلة ما بين الجحد والتكذيب والاستحلال في المسألة التي تليها إن شاء الله تعالى فإذاً ضابط الاستحلال المكفر أن يعتقد كون هذا المحرم حلالاً وله صورتان:

١. أن يعتقد كونه حلالاً له دون غيره وهذه تُسمى الامتناع.

٢.والصورة الثانية أن يعتقد كونه حلالاً مطلقاً له ولغيره وهذه تسمى التكذيب أو الجحد المطلق .

فالاستحلال المكفر هو الاستحلال بالاعتقاد، قال بعض أهل العلم وأما ما جاء في حديث أبي مالك الأشعري الذي في البخاري معلقاً بل موصولاً وهو قوله ﷺ ((ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِرَ –يعني الزنا– والحرير والخمر والمعازف)) هل هذا الاستحلال من الاستحلال العملي أو الاستحلال المكفر، قال طائفة كما ذكرت لك وهو ظاهر أن هذا الاستحلال عمليٌ وليس باعتقاد كون هذه الأشياء حلالاً فلم يخرجهم من الإيمان إلى الكفر ولم يخرج

من كونهم من هذه الأمة لقوله ليكونن من أمتي فجعلهم بعض هذه الأمة وهذا يلمح إليه كلام لابن تيمية وكذلك للحافظ بن حجر ولجماعة وهو ظاهر في أن المدمن للذنوب يكون فعله فعل المستحل لكن ليس اعتقاده اعتقاد المستحل فقال: يستحلون يعني يستحلون عملاً لا اعتقاداً لأجل ملازمتهم لها وإدمانهم على هذه الذنوب فضابط الكفر في الاستحلال الذي ذكره هنا (ما لم يستحله) يعني : ما لم يعتقد أن الله لم يحرم هذا أو أن الله أباح هذا أو أن هذا الأمر حلال أو ليس بحرام وهذا القدر له ضابطٌ أصلي عام وهو أن الذي ينفع فيه ضابط الاستحلال هي الذنوب المجمع على تحريمها المعلومة من الدين بالضرورة أما إذا كان الذنب مختلفاً فيه إما في أصله أو في صورة من صوره فإنه لا يكفر من اعتقد حل هذا الأصل المختلف فيه يعني في أصله أو الصورة المختلف فيها يوضح ذلك النبيذ الذي أباحه طائفة من التابعين من أهل الكوفة وأباحه طائفة من الحنفية أو من أباح ما أسكر كثيره ولم يسكر قليله فإن أهل العلم من أهل السنة لم يكفرو الحنفية الذين قالوا بهذا القول وكذلك لم يكفروا من قال به من أهل الكوفة أو غيرهم وكذلك من لم يقل بتحريم ربا الفضل؛ لأنه فيه اختلاف وكذلك بعض صور الربا وكذلك بعض مسائل النظر إلى المحرمات إلى الأجنبيات أو إلى الغلمان ونحو ذلك فإذا كان هناك أصل مجمع على تحريمه معلوم من الدين بالضرورة يعني الضرورة ما لا يحتاج معه إلى استدلال فإننا نقول من اعتقد إباحة هذا أو حله فإنه يكفر مثل الخمر المعروفة يعني في زمن النبي ﷺ التي تُسكر من شربها تخامر عقله مثل السرقة مثل الزنا والعياذ بالله مثل نكاح ذوات المحارم إلى آخر هذه الصور.

المسألة الثامنة:

ممـا لـه صـلة بلفـظ الاسـتحلال واشـتبه علـى كثيـرين أيضـاً الجحـد والتكذيب وطائفة من أهل العلم يجعلون التكذيب والجحد شيئاً واحداً وهذا ليس بجيد بل هما شيئان مختلفان قد يجتمعان وقد يفترقان ويدل على ذلك قول الله جل وعلا في سورة الأنعام ﴿ **فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَـكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّـهِ يَجْحَـدُونَ** ﴾ فنفى عنهم التكذيب وأثبت لهم الجحد فدل على أن التكذيب والجحد متغيران فما صلتها بالاستحلال، الاستحلال اعتقاد كون هذا الأمر حلالاً لا يعني هذا المحرم حلالاً، والجحد أن يرد الحكم بأنه حلال أو أنه حرام جحد وجوب الصلاة يعني رد هذا الحكم يعني قال لا الصلاة ليست واجبة جحد حرمت الخمر قال الخمر غير محرمة .

فإذاً الاستحلال وهو اعتقاد كون الشيء حلالاً، الشيء المحرم، معه جحدٌ قلبي ولكن ليس معه جحد لساني قد يكون معه وقد لا يكون؛ لأن ظاهر آية الأنعام ﴿ **فَإِنَّـهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ** ﴾ يعني في الباطن ﴿ **وَلَـكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ يعني في الظاهر فالجحد قد يكون في الظاهر وقد يكون في الباطن والتكذيب قد يكون في الباطن وقد يكون في الظاهر والتكذيب هو عدم اعتقاد صدق الخبر أو الأمر أو النهي ولهذا أرجع كثيرٌ من أهل العلم من أهل السنة أرجعوا أكثر مسائل التكفير إلى التكذيب وذلك لأن التكذيب في أصله مناقض للتصديق الذي هو أصل الإيمان والمرجئة ومن شابههم قصروا الكفر على التكذيب فضلوا وأهل السنة والجماعة جعلوا الخروج من الإسلام والردة يكون بتكذيب ويكون بغيره كما ذكرت لك فإذاً من الكلمات التي لها صلة بالاستحلال الالتزام والامتناع التزم وامتنع ومن الكلمات القبول والرد وهذه تحتاج في بيانها إلى مزيد وقت وسبق أن أوضحنا لكم بعض هذه المسائل.

المسألة التاسعة:

من أهل العلم من جعل التكفير في الاعتقادات أو جعله في المسائل العلمية فقال العملية لا نكفر فيها إلا بالاستحلال وأما المسائل العلمية التي دخل فيها أهل الأهواء والبدع فإننا نكفر المخالف فيها وهذا قال به بعض المنتسبين إلى السنة ولكنه مخالف لقول أئمة أهل الإسلام وما تقرر من اعتقاد أهل السنة والجماعة فإن الخطأ والاجتهاد والغلو ونحو ذلك يدخل في المسائل العلمية فأهل البدع لا يُكفرون بإطلاق فليس كل من خالف الحق في المسائل العلمية يعد كافراً بل قد يكون مذنباً وقد يكون مخطئاً وقد يكون متأولاً وعلى هذه الثلاث حكم أهل السنة وأئمة الإسلام بأن هذه بدعة قد تكون ذنب يوصله إلى الكفر وقد تكون ذنباً فيما دونه وقد يكون سلك البدعة عن جهة الغلط منه والخطأ أو الجهل وقد يكون تأول في ذلك ويستدلون على هذا بقصة الرجل الذي أوصى إذا مات بأن يحرق ثم يُذر رفاته وقال: لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين فجمع الله جل وعلا رفاته وقال له: ما حملك على هذا فقال: إنما فعلته خشية عذابك أو كما جاء ففعل هذا الفعل الذي أنشأه عنده الجهل أو عدم اعتقاد الحق في صفة من صفات الله جل وعلا وهي صفة تعلق القدرة برفاته هو وبقدرة الله جل وعلا على بعثه وعفا عنه رب العالمين؛ لأجل عظم حسناته الماحية أو لجهله ؛ لأنه قال فعلته من خشيتك أو خوفاً من عذابك أو نحو ذلك وهذا اعتقاد عظيم وهو حسنة عظيمة قابلت ذلك الاعتقاد السيئ فدل على أن الاعتقادات البدعية والمخالفة للحق قد يُعفى عن صاحبها .

فإذاً قول من قال أن أهل البدع والضلالات والمخالفين في التوحيد أو في الصفات أنهم يكفرون إذا خالفوا ما دل عليه الكتاب والسنة هذا قول غلط وليس بصواب عند أئمة أهل السنة والجماعة بل الصواب تقسيمه فمنهم من يكون كافراً إذا قامت عليه الحجة الرسالية ودفعت عنه الشبهة وبينت له ومنهم

من يكون مذنباً؛ لأنه مقصر في البحث عن الحق ومنهم من يكون متأولاً ومنهم من يكون مخطئاً ومنهم من له حسنات ماحية يمحو الله جل وعلا بها سيآته.

المسألة العاشرة:

نطول عليكم؛ لأن هذه المسائل مهمة، أن التكفير يشترط تكفير المعين يشترط فيه إقامة الحجة وإقامة الحجة شرط بأمرين:

الأول: في العذاب الأخروي يعني استحقاق العذاب الأخروي.

الثاني: في استحقاق العذاب الدنيوي والدليل على ذلك قول الله جل وعلا ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ وكذلك قوله ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى** ﴾ فشرط لتولية المشاق ما تولى وجعل جهنم له وساءت مصيراً أن يكون تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾ وكذلك قوله جل وعلا ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ** ﴾ وكذلك قوله جل وعلا ﴿ **وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ** ﴾ وكذلك قوله جل وعلا ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** ﴾ فهذه كلها فيها اشتراط العلم وإقامة الحجة وكل رسول بعث لإقامة الحجة على العباد إذا تبين هذا فإن إقامة الحجة تحتاج إلى مقيم وإلى صفة أما المقيم فهو العالم بمعنى الحجة العالم بحال الشخص واعتقاده وأما صفة الحجة فهي أن تكون حجةً رسالية بينةً قال جل وعلا ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ اشترط أهل العلم أن تكون الحجةُ رسالية أن تكون قول الله جل وعلا وقول

رسوله ﷺ يعني أما أن كانت عقلية وليس المأخذ العقلي من النص فإنه لا يُكتفى فيه في إقامة الحجة لابد أن تكون الحجة رسالية لهذا يعبر ابن تيمية ويعبر ابن حزم وجماعة بأن تكون الحجة رسالية؛ لأنها يرجع فيها من لم يأخذ بالحجة إلى رد ما جاء من الله –جل وعلا– على رسوله ﷺ، وأما فهم الحجة فإنه لا يشترط في الأصل ومعنى عدم اشتراطه أننا نقول ليس كل من كفر كفر عن عناد بل ربما كفر بعد بلاغ الحجة إبلاغه الحجة وإيضاحها له؛ لأن عنده مانعٌ من هوى أو ضلال منعه من فهم الحجة قال جل وعلا ﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ** ﴾ والآيات في هذا المعنى متعددة أما ما معنى فهم الحجة يعني أن يفهم وجه الاحتجاج بقوة هذه الحجة على شبهته هو عنده شبهة في عبادة غير الله عنده شبهة في استحلاله لما حُرّم مما أُجمع على تحريمه لكن يبلغ بالحجة الواضحة بلسانه ليفهم معنى هذه الحجة فإن بقي أنه لم يفهم كون هذه الحجة الراجحة على حجته فإن هذا لا يشترط يعني في الأصل لكن في بعض المسائل جُعل عدم فهم الحجة كون الحجة راجحة على ما عنده من الحجج جعل مانعاً من التكفير كما في بعض مسائل الصفات يعني أن أهل السنة والجماعة من حيث التأصيل اشترطوا إقامة الحجة ولم يشترطوا فهم الحجة من الأصل لكن في مسائل اشترطوا فيها فهم الحجة وهذا الذي يعلمه من يقيم الحجة وهو العالم الراسخ في علمه الذي يعلم حدود ما أنزل الله جل وعلا على رسوله ﷺ .

المسألة الحادية عشرة:

قوله : (ولا نقول ولا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) هذا فيه مخالفة للمرجئة والمرجئة جعلوا أصل الإيمان التصديق فجعلوا هذا التصديق لا يتأثر زيادةً ولا نقصاً وإنما هو شيء واحد لذلك لم يجعلوا الإيمان يزيد وينقص ولم يجعلوا التصديق أيضاً واليقين يزيد وينقص بل جعلوه شيئاً واحداً

لهذا لم يجعلوا ذنباً يضر مع الإيمان والمرجئة في هذا على درجات مختلفة يأتي بيانها -إن شاء الله تعالى- عند قول المؤلف والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان.

المسألة الثانية عشرة والأخيرة:

أن هاتين المسألتين وهي ما خالف فيه أهل السنة الخوارج وما خالفوا فيه المرجئة فرعٌ لأصل ومثال لقاعدة وهي قاعدة الوسطية لأهل السنة والجماعة بين فرق أهل الضلال فهم وسطٌ في باب الأسماء والأحكام يعني في أبواب الإيمان والكفر ما بين الخوارج والمعتزلة الوعيدية وما بين المرجئة في قول أولئك وقول هؤلاء فهم يحذرون من الذنوب ويتوعدون بها ويتوعدون بالكفر ولكن لا يخرجونه من الإيمان إلا بعد تمام الشروط وانتفاء الموانع فهم أعني أهل السنة والجماعة ثبتني الله وإياكم على طريقتهم لهم في ذلك الطريق الوسط في هذا الباب وفي باب الأسماء والصفات وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي جميع أبواب الدين بل وجميع أبواب الشريعة يعني في أصولهم، لهذا فالطريقة المثلى هي أن يكون المرء بين طرفي الغلو والجفاء فالغلو مذموم بأنواعه والجفاء مذموم أيضاً؛ لأنه قصور عن أمر الله والغلو أيضاً مذموم؛ لأنه زيادة على أمر الله جل وعلا والحق فيما بينهما. أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يزيدنا من الفقه في الدين ومن متابعة سنة المرسلين وأن يغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وأن يشفي قلوبنا من الأدواء والأهواء وأن يشفي أبداننا من الأمراض نحن وجميع أحبابنا إنه سبحانه كريم جواد كثير النوال وصلى الله على نبينا محمد. نجيب على سؤالين مما يتعلق بالدرس:

سؤال : ما حكم الحكم بغير ما أنزل الله؟

الجواب : مسألة الحكم بغير ما أنزل الله ذكرها الشارح ضمن الكلام في المسألة على اعتبار أنها ذنب من الذنوب الكلام في هل يكفر أو لا يكفر نقل فيها كلام ابن القيم –رحمه الله– ولم أتطرق لها مع علمي بما ذكره الشارح؛ لأجل أنها مسألة طويلة الذيول تحتاج إلى بحث وتفصيل فيها لعلى لها مقام آخر إن شاء الله تعالى.

سؤال : يقول كان من المفترض قول القائل: كان من المفترض أن يحل الله هذا؟

الجواب : بعض الناس يستعمل هذه الكلمة وما يحسب ظاهر الكلام ظاهرا الكلام شنيع بشع؛ لأنه يكون الشيء حرمه الله جل وعلا ويقول هو من المفترض أن يكون حلالاً هذا اعتراض واعتقاد وتثبيت أنه حلال، لكن بعض الناس يستعمل هذه العبارة من جهة رأيه وما عنده يقول في المسائل إذا تجادل اثنان أو أكثر يقول من المفترض أن يصير هذا مباح لعدم علمه لا لأجل مثلاً ما يقولهما مثلاً في الخمر من المفترض أنه يكون الخمر حلال والزنا، إنما المسائل المشتبهة التي لا يعرف وجهتها فإذاً هذه الكلمة لا بد فيها من التفصيل قالها في أي ذنب وما السياق ولكنها من الكلمات الوخيمة.

سؤال : هل هناك فرق بين عدم فهم الحجة وعدم الاقتناع بالحجة؟

الجواب : نعم فيه فرق نعيده الأسبوع القادم.

سؤال : هل يحكم على اليهودي المعين الذي مات على اليهودية بأنه من أهل النار؟

الجواب : نعم يحكم على المعين الذي مات على اليهودية أو على النصرانية بأنه من أهل النار، وهذا لأنه كافر أصلي والنبي ﷺ لما زار اليهودي الغلام وقال له: ((قل لا إله إلا الله)) أو قل أشهد أن لا إله الله وأن

محمداً رسول الله فجعل الغلام ينظر إلى أبيه وقلم يقل فقال له والده اليهودي أطع أبا القاسم فقال الغلام وكان يخدم النبي ﷺ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقال ﷺ ((الحمد لله الذي أنقذه الله بي من النار)) وقال ﷺ ((والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كبه الله في النار))، وقال أيضاً كما في صحيح مسلم ((حيثما مررت بقر كافر فبشره بالنار)) وقال أيضاً جل وعلا ﴿ **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ وهذا لا يدخل لقول أهل السنة والجماعة ولا نشهد على معين من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ هذا في حق المعين من أهل القبلة أما من مات على كفر من اليهودي أو النصراني أو مات ونحن نعلمه أنه يهودي أو نصراني فهذا كافرٌ يشهد عليه بأنه من أهل النار حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

سؤال : هل من كفر بغير علم يصبح مرتداً فيقتل أو أن عمله هذا يقتل به؟

الجواب : من كفر بغير علم يلحقه الوعيد من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما هذا واحد، ويلحقه الوعيد مشابهة الخوارج؛ لأن الخوارج كفروا بغير علم ويلحقه الوعيد أيضاً من جهة ثالثة وهو أنه تعدى على الدليل من القرآن والسنة؛ لأنه كما ذكر لك في الأسباب أن إثبات الإيمان جاء بدليل فنفي الإيمان عن المعين لابد فيه من دليل فمن حكم بكفر أحدٍ هوىً أو لقصور أو لغلو أو لقصور عنده في العلم فإنه تعدى ما أذن له به إلى أمرٍ إنما هو لأهل العلم فهو يؤاخذ بذلك كما ذكرت لك في قصة عمر -رضي الله عنه- وهي قصة تحتاج منك إلى اعتبار في أنه قد يطلق المرء التكفير من جهة الغيرة وقد يؤاخذ وقد لا يؤاخذ فالواجب على العبد أن يحترز من فلتات لسانه

يخاف أشد الخوف فرب كلمةً قالها العبد لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً، ومن منهج السلف الصالح -رحمهم الله- الذي قرره أئمة أهل السنة أن أهل العلم من أهل السنة يخطئون أو يضللون ولا .

الشريط الثاني والثلاثين وجه (أ) ١٤١٩/٧/١٨هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

نجيب على بعض الأسئلة بودي لو الإخوة كتبوا الأسئلة في ورق لأن بقاء أيضاً الأسئلة مفيد، أيضًا لأن قصاصات بهذا الشكل الخط يكون صغير وأحيانًا حواشي يمين وشمال فيُعتنى بالكتابة جزاكم الله خير.

سؤال : هل عدم اشتراط فهم الحجة ألا يفهموا مقصود الشارع؟

الجواب : ذكرنا لكم مراراً أن العلماء الذين نصوا على أن فهم الحجة ليس بشرطاً في صحة قيام الحجة بنوا على الدليل وهو قول الله جل وعلا ﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ** ﴾ فالله جل وعلا جعل على القلوب أكنة لئلا يفهموه فدل على أن الفهم والفقه فقه الحجة ليس بشرط؛ لأن إقامة الحجة بالقرآن تلاوة القرآن عليهم وهم أهل اللسان كافٍ في قيامها فصار إذاً الحال مشتمل على أن إقامة الحجة شرط ومعنى إقامة الحجة أن تكون الحجة من الكتاب أو من السنة أو من الدليل العقلي الذي دل عليه القرآن أو السنة وأن فهم اللسان العربي فهم معنى الحجة بلسان من أقيمت عليه هذا لا بد منه؛ لأن المقصود من إقامة الحجة أن يفهم معاني هذه الكلمات أن يفهم معنى الحديث أن يفهم معنى الآية وأما ما لا يشترط وهو فهم الحجة فيراد به أن تكون هذه الحجة أرجح من الشبه التي عنده؛ لأن ضلال الضالين ليس كله عن عناد وإنما بعضه ابتلاء من الله جل وعلا وبعضه للإعراض وبعضه

لذنوب منهم ونحو ذلك لهذا فإن فهم الحجة على قسمين: يراد بفهم الحجة فهم معاني الأدلة هذا لابد منه فلا يكتفي في إقامة الحجة على أعجمي لا يفهم اللغة العربية أن تُتلى عليه آية باللغة العربية وهو لا يفهم معناها ويقال قد بلغه القرآن والله جل وعلا يقول ﴿ **لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾ هذا ليس بكافٍ لا بد أن تكون الحجة بلسان من أقيمت عليه ليفهم المعنى قال سبحانه ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ المعنى الثاني لفهم الحجة أن يفهم كون هذه الحجة أرجح من شبهته التي عنده المشركون كما قررنا لكم في شرح كشف الشبهات عندهم علم وعندهم كتب وعندهم حجج كما أخبر الله جل وعلا في كتابه فهم حجة الرسول ﷺ فهم القرآن فهم حجة النبي ﷺ العقلية التي أدلى بها عليهم بعد الوحي هذه معناها أن يفهموا المعنى إذا كانوا هم فهموا المعنى لكن مثل ما يقول القائل ما اقتنع أن هذه الحجة أقوى من الشبهة التي عنده فهذا ليس بشرط . فإذاً ما يشترط من فهم الحجة هو القسم الأول وهو فهم المعنى فهم دلالة الآية باللغة العربية ونحو ذلك، أما فهم الحجة بمعنى كونها هذه الحجة أرجح في المقصود وأدل على بطلان عبادة غير الله أو على بطلان الباطل هذا ليس بشرط المهم يفهم معناها ودلالتها ثم بعد ذلك الله جل وعلا يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

سؤال : إذا كان الإمام أحمد رحمه الله على أحمد بن أبي دؤاد والمعتصم فلما لم يكفرا مع إصرارهم على البدعة وإن كان لم يقم عليهما الحجة فلماذا لم يقم عليهما الحجة مع أنه في موقف يجب عليه إقامة الحجة؟

الجواب : هذا سؤال يحتاج إلى تفصيل وتفصيله ينبني على فهم واقع فتنة خلق القرآن وفي الجملة منهج أهل السنة وأهل العلم أنهم يجعلون هذه الفتنة فيها شبهة فلم يكفروا بحصول الفتنة لا من جهة الوالي ولا من جهة من

أجاب من المسلمين، لكن من أهل العلم من كفر ابن أبي دؤاد وكفر أمثاله العلماء؛ لأن العالم يفهم حجة القرآن وإذا كان بقيت عليه الشبهة في مثل هذا الأمر العظيم فإنه إما أن يكون مقصراً ، يعني مقصراً في البحث عن الحق وإما أن لا يكون فإن كان مقصراً في البحث عن الحق مع قربه منه فلا يلومن إلا نفسه، وهذا لا يمنع من الحكم عليه بالكفر عيناً وإذا كان غير مقصر في البحث عن الحق ولكن بقيت الشبهة عنده فهذا لابد من أن تزال عنه الشبهة مع اختلاف المسائل في ذلك لكن هذا الكلام بخصوص القول بخلق القرآن فمن أهل العلم من كفَّر ابن أبي دؤاد ومنهم من لم يكفره عيناً؛ لأجل الشبهة التي عنده كما ذكرنا لكم مسائل المعتزلة والخوارج في مثل مسألة خلق القرآن ونفي رؤية الله جل وعلا في الآخرة ونحو ذلك أئمة أهل السنة يُكفِّرون بالنوع –يكفرون بالمطلق يعني التكفير المطلق ولا يكفرون الأعيان إلا بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع وهذه كما ذكرنا يقيمها من يصلح لإقامتها من أهل القضاء أو الفتيا.

سؤال : ذكرت أن منهج أهل السنة عدم الحكم على أحد بالتكفير إلا بعد إقامة الحجة وحكم العلماء عليه كيف نجمع بينه وبين من يقول ويصف أن الأمة الإسلامية غائبة؟

الجواب : يعني كيف نجمع بينه وبين منهج أهل السنة ومنهج أهل البدع ما يجمع بينهما كلٌ له وجهة فهو موليها ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ** ﴾.

سؤال : هل من فعل الذنب من الكبائر وجهر به وأصبح يتاجر فيه كالغناء نقول إنهم لا يؤمنون بتحريمها واستخفوا بها ونحكم بردتهم عن الإسلام؟

الجواب : الكبائر لها حد بمعنى لها تعريف ذكرنا تعريفها عدة مرات ويأتينا إن شاء الله تعالى في موضعه من شرح الطحاوية بالتفصيل فالحكم على الغناء بأنه من الكبائر هذا فيه نظر؛ لأن الغناء التغني بالصوت قد يكون معه قد يكون مشتملاً على كلام قبيح كفر أو نفاق أو دونه من التشبيب بالنساء أو باستباحة المحرمات أو نحو ذلك وقد يكون الكلام لا يشتمل على ذلك ثم هو قد يكون مصاحباً بمعازف وقد لا يكون مصاحباً بمعازف فقول القائل أنه أصبح يُتاجر فيه كالغناء وأن هذا من الكبائر ، لا ، يختلف الحال فيه فلهذا من جهة إثبات الكبيرة لابد فيه من تفصيل ما هو الغناء كله كبيرة ليس بصحيح يعني بهذا الإطلاق طالب العلم لازم يكون يدقق في ألفاظه إذا قال الواحد الغناء من الكبائر ليس بصحيح، هذا الكلام فلابد من التفصيل فيه وهذا يرتبط بتفصيل الكبيرة، المسألة الثانية المعازف من حيث هي والغناء المشتمل على المعازف لم يجمع العلماء على تحريمه فمن أهل العلم وهم نوادر من قالوا بإباحته وجمهور أهل العلم كما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وهي كثيرةٌ جداً قالوا بحرمة ذلك، وهذا هو الحق الواضح الذي لا يجوز العدول عنه لكن معرفة خلاف طائفة من أهل العلم من فقهاء المدينة في زمن الإمام مالك ومن بعدهم مثل ابن حزم والسمعاني طائفة من الناس من قالوا بإباحة السماع واستعمال المعازف فهو خلافٌ في المسألة ولا تكفير إلا بما أجمع العلماء على تحريمه والمسألة إذا أجمع العلماء على تحريمها فمن قال بخلافها فالقول بخلافها كفر ثم تكفير المعين يحتاج أيضاً إلى البيان، المسائل التي أجمع العلماء على حرمتها المخالف فيها يختلف؛ لأن المسألة قد تكون من المسائل التي يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنها محرمة مثل الخمر مثل الزنى الربا المتفق على تحريمه ونحو ذلك، -هذا ما يحتاج له- ينشأ الناشئ بين المسلمين وهو يعلم أن هذه الأمور محرمة باتفاق أهل العلم، لكن

ثمَّ مسائل خفية تحتاج إلى استدلال ومثلاً لو قيل أن الخمر أن المعازف مجمع على تحريمها فإن هذا الإجماع ليس طبعاً هي لم يجمع على تحريمها لكن هذا الإجماع غير معروف لن يكون معروفاً عند الناس لو قال: قائل ذلك أو يكون في بلد معروف نشأ الناشئ وأهل الفتوى في بلده على أن الغناء محرم فهنا لا يقال بالتكفير؛ لأن هذا مما يخرج عن كونه من الضروريات يعني العلم به من الضروريات فإذاً مسألة التكفير مسألة خطيرة ومهمة في أن يعلم طالبُ العلم حدوده فالمسائل المحرمات لا تكفير إلا بما أُجمع عليه ثم هنا ما أجمع أهل العلم عليه على قسمين منه ما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام يعني لا يحتاج فيه العالم إلى بيان الأدلة ومنه ما فيه خفا يحتاج فيه إلى بيان الأدلة حتى غير المسائل هذه مثل مسائل السحر، السحر لا شك أنه من كبائر الذنوب بل لا يكون السحر إلا بشرك بالله جل وعلا لكن منه من أصناف السحر ومن أحوال السحرة ما قد يخفى في بعض الأزمنة فيحتاج إلى بيان وإيضاح فالمسألة في نفسها قد تكون في زمان مما يُعلم بالاضطرار يعني الدليل فيها لا يحتاج إلى إقامته؛ لأن كل الناس يعلمون هذا وقد يكون في زمان أو مكان يخفى الدليل على طائفة فيحتاج في الحكم على المعين إلى بيان وإن كانت عند طائفة أخرى مما يضطر يعني مما يُعلم بالاضطرار العلماء يذكرون مثال ذلك مثلاً من قال الزنا غير محرم وهو ممن نشأ ببادية بعيدة عن دار الإسلام ومثله يجهل واحد أسلم وعايش مثل ما حصل في زماننا الحاضر في بعض الأماكن يقول ما نعلم إنه حرام يفعل الزنا وما يعلم أنه حرام؛ لأنه ما مر عنده مع أن حرمة الزنا هو مما يعلم بالاضطرار بدين الإسلام فالمقصود من هذا أن المسائل التي يقال فيها هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام نعني بها ما لا يحتاج معها إلى دليل؛ لأنه ينشأ الناشئ وهو يعرف هذا ولا يعرف غيره من دين الإسلام هذه المسائل تختلف

باختلاف الزمان والمكان فلهذا يحتاج من يريد هذه المسائل بعنب البحث في هذه المسائل إلى استفصال .

سؤال : يقول: نقول أنهم لا يؤمنون بتحريمها واستخفوا بها فنحكم بردتهم عن الإسلام ؟

الجواب : ليس كذلك من فعل الكبيرة مستخفاً بها لا يعني ذلك أنه مرتد بل الذين يفعلون الكبائر منهم من يفعل الكبيرة لشهوة غلبت عليه شهوة طارئة هو مؤمن صالح لكن غلب عليه أمر فأخذ مالاً من غير حله سرق لشهوة غلبت عليه ثم رجع فهذا تقول فيه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو غلب عليه رأى مرأة أو خلى بمرأة ثم فعل معها الكبيرة عن غلبة شهوة هذا لا يخرجه ما فعل عن كونه مؤمناً إذا تاب وأناب فغلبة الشهوة تنقص من الإيمان إذا تاب وأناب الحالة الثانية فعل الكبيرة الذي يخرج معه المؤمن من الإيمان إلى الإسلام وهو إذا استخف بالكبيرة يعني تهاون بها وهو يعلم أنها كبيرة ويعلم أنه عاصٍ أقام عليها واستمر على فعل الكبيرة فهذا يخرج من اسم الإيمان إلى اسم الإسلام؛ لأن الإيمان الحق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، الإيمان الحق بهذه الإيمان الكامل لا يجتمع مع صاحبه في مداومة الكبائر وفي هذا يروى الحديث الذي رواه الإمام احمد في المسند أن العبد إذا فعل المعصية ارتفع عنه الإيمان فصار على رأسه كالظلة فإذا ترك عاد إليه، وهذا الحديث في إسناده ضعف لكن يستدل به أهل العلم على أصلهم من أن المؤمن حال مواقعته للكبيرة التي كانت عن غلبة شهوة لا استمرار واستخفاف فإنه يبقى عليه اسم الإيمان لكن ينتزع منه ما دام فاعلاً لهذا المنكر فإذا ترك هذه الكبيرة وأناب إلى الله جل وعلا رجع فيقال مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته لكن المصر على الربا المصر على الزنا المصر على شرب الخمر لا يخرجه أهل السنة من اسم الإسلام فيجعلونه مرتداً كذلك

أصحاب المعازف والغناء المحرم وبيع مثل هذه آلات اللهو ونحو ذلك إذا كان ممارساً لها وهو يعتقد حرمة ذلك فيما أجمع عليه فإنه يخرج من الإيمان إذا كان مداوماً عليها إلى الإسلام؛ لأن الإسلام هو العمل الظاهر إذا كان جاء بأمور الإسلام وهذه فيها أيضاً مزيد تفاصيل تأتي في موضعها إن شاء الله من شرح الطحاوية.

س:كم النصاب الواجب في زكاة الريالات السعودية؟

الجواب : نصاب الزكاة في الذهب والفضة جاء في السنة واضحاً وفي الذهب النصاب عشرين مثقال من الذهب والفضة مائتي درهم من الفضة لما كان يعني في الزمن المتأخر هنا مثلاً في المملكة كان الناس يستعملون الريالات الفضة ريالات الفضة هذه والجنية الذهب الريالات الفضة كم تقابل من الدراهم الفضة في عهد النبي ﷺ وكذلك الذهب كم يقابل من المثاقيل فجعلوا الريال العربي الذي تجب فيه الزكاة طبعاً بالوزن بالمقابلة جعلوها ستة وخمسين ريالاً فضة عربي وبالنسبة للجنية جنية الذهب المعروف جعلوه أحد عشرة جنيهاً وثلاثة أسباع الجنية طبعاً هذا يختلف باختلاف الذهب أو الفضة من حيث الصفا والغش يعني أن المثقال الذهب هل هو صافي ولا مغشوش؟ الفضة هل هي صافية ولا مغشوشة فيختلف النصاب باختلاف الغش الذي فيه فإذا قلنا مثلاً أن النصاب الآن للخالص خمس وثمانين جرام في الذهب، الذهب الخالص النصاب الزكوي فيه خمس وثمانين جرام خمس وثمانين جرام هذه للخالص يعني الذي هو الحد لعشرين مثقال الخالص منها خمس وثمانين جرام لكنه الحين الآن جنيهات الذهب هذه ليست خالصة داخلها شيء لذلك تجد أن المشايخ يعني أهل الإفتاء يقولون النصاب اثنين وتسعين جرام لماذا بعضهم يقول خمس وثمانين والآخر يقول اثنين وتسعين ؟ أنه قال خمس وثمانين باعتبار الأصل يعني شيء نظري المطلق بدون الوجود اثنين وتسعين

على اعتبار واحد وعشرين جرام إذاً صار الذهب ثمان عشرة عيار ثمانية عشر تزيد النسبة تصير بدل اثنين وتسعين يمكن خمس وتسعين ست وتسعين ممكن تدركها بالحساب إذا كان الذهب أربعة عشر عياراً أربعة عشر يزيد النصاب تصير مثل مائة أو مائة وخمسة يعني بالحساب ممكن تحسبها وهكذا الفرق، لما جاء تحويل الريالات من ريالات عربي فضة إلى الريال السعودي أوّل الأمر كان الريال السعودي الورق يقابل ريال فضة تماماً هذا يقابل هذا ولهذا كان يكتب عليه أول ما صدر أن مؤسسة النقد تتعهد لحامل هذا السند بدفع ريال عربي واحد يعني فضة صار أول ما جاء النصاب ست وخمسين ريال ورق مثل ست وخمسين ريال فضة؛ لأن هذا وهذا واحد بعد ذلك صارت التغطية وأمور المال مختلفة فصار هناك انفصال ما بين الريال الورقي والريال الفضة هذا الانفصال جعل النصاب الزكوي يختلف فيصبح الأمر راجعاً إلى تقويم الريال العربي الفضة بما يعادله من الريالات. فيبحث هنا ست وخمسين ريال فضة إيش يعادلها من الريال الورق هذا يختلف باختلاف الوقت يعني مثلاً في سنة قد يكون أقل سنة أكثر فقد يكون ثلثمائة ريال أربعمائة ريال يعني الآن بحسب سعر الريال الفضة (نعم اقرأ):

المتن :

نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفوا عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة. ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه .

الشرح :

قال العلامة الطحاوي –رحمه الله تعالى– وأجزل له المثوبة : (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفوا عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم

ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخالف عليهم ولا نقنطهم) هذه الجملة فيها بيان لما يجب على المرء المؤمن أن يعامل به نفسه وأن يعامل به غيره من إخوانه المؤمنين فمع النفس أهل السنة والجماعة يرجون للمحسن ويخافون على المسيء هذا أصلهم مخالفين أهل التقنيط وهم أهل الإفراط وأهل الأمن وهم أهل التفريط، وأصل هذا عندهم أن المؤمن وعده الله جل وعلا بموعدة لن يخلفها إياه؛ لأن وعد الله جل وعلا كان مفعولا، ولأن وعد الله جل وعلا كان مسئولا –ﷻ– فالله جل وعلا وعد المؤمن الذي مات على الإخلاص بان يعفوا عنه وأن يدخله الجنة برحمته ﴿ **إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ وكذلك الله جل وعلا توعد من عصاه وتوعد من خالف أمره واتبع هواه. ووعيده قد ينفد جل وعلا ويقع بمن توعده –ﷻ– فلذلك لأجل، وعيد الله جل وعلا فإن من فعل ذنباً ومعصية فإنه يخافُ عليه ولا يؤمن جانبه أن يكون ممن دخلوا في الوعيد وعاقبهم الله جل وعلا. فأهل الإيمان منهم المحسن ومنهم المسيء ومنهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً هذا يغلبه تارة وهذا يغلبه تارة، فالمحسن المسدد نرجو أن يدخله الجنة ربه جل وعلا برحمته والمسيء نخاف عليه أن يؤخذ بجريرته ونستغفر له ولا نقنطه من رحمة الله لكن نفتح له باب التوبة وباب الرجاء هذه الجملة مبنية على أصل خالف فيه أهل السنة والجماعة المعتزلة والخوارج وطائفة من غلاة الصوفية في هذه المسائل حيث أن أهل السنة أصلوا ما جاءت به الأدلة من أن وعد الله جل وعلا مسئول ومفعول وربنا جل وعلا لا يخلف الميعاد، وأن وعيده سبحانه وتعالى قد يدرك العبد وقد يتخلف وذلك لأسباب يأتي بيانها إن شاء الله، فالمقصود من هذه الجملة أن أهل السنة والجماعة يعملون الوعد فيرجون للمحسن ويعملون الوعيد؛ لأنه قد يتحقق فيخافون على المسيء –ولا يفتحون باب الوعد دون نظرٍ في الإساءة، كحال المرجئة والصوفية وطوائف– ولا يُعملون حال الوعيد

ويقولن بإنفاذه قطعاً وأنه لا يتخلف كحال الخوارج والمعتزلة. إذا تبين هذا من حيث الإجمال ففي المقام تفصيل نذكره في مسائل:

المسألة الأولى: أن الرجاء للمحسن بالعفو وعدم الأمن والاستغفار للمسيء والخوف عليه هذا عقيدة يتعامل بها المرء مع نفسه وكذلك مع المؤمنين فمع نفسه تسره حسنته وتسوئه سيئته ويرجو لنفسه إذا أحسن ويأمل ويطمع في أن يدخله الله الجنة برحمته لا بعمله ولا يأمن على نفسه أن يقلب الله جل وعلا قلبه وكذلك لا ينظر إلى نفسه بعملٍ صالحٍ عمله أنه مستوجب به الجنة. فدائماً ينظر إلى نفسه ما بين إحسانها في أن يطمع في ثواب الله ورحمته وإذا أساءت فإنه يخاف ولا يقنط من رحمه الله جل وعلا. هذا مع نفسه وكذلك مع المؤمنين فإنه ينظر إليهم بهذا الأصل فمن مات من أهل الإيمان فإنه يرجو أن يعفو الله جل وعلا عنه وأن يدخلهم الله الجنة برحمته، ومن مات من أهل الإساءة فإنه يستغفر للمسيء ويخاف عليه ولا يقنط من أساء من الأحياء وكذلك لا يقنط نفسه فيمن أساء من أن يعفو الله عن من مات.

المسألة الثانية:

الرجاء للمحسن من المؤمنين بالعفو هذا يشمل كل أحد حتى من لم يعرف لنفسه ذنباً وذلك لقول النبي ﷺ للصديق أبي بكر -رضي الله عنه- بأن يدعو في آخر صلاته بقوله: ((اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي فإنك أنت الغفور الرحيم)) وقول أبي بكر ((اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً)) هذا تبع لهذا الأصل وهو أن المحسن من المؤمنين حتى صاحب المقامات العالية الصديق -رضي الله عنه- يرجو أن يعفو الله عنه وأن يدخله الجنة برحمته ولا يأمن. كذلك من دونه من المؤمنين من أهل الاقتصاد وعدم

السبق بالخيرات كذلك لابد أن يرجوا لنفسه ولا يأمن ويظن أنه محتاج إلى العفو يعني يعتقد بأنه محتاج إلى عفو الله جل وعلا، وإلى رحمته.

المسألة الثالثة:

الجمع ما بين الرجاء للمحسن والاستغفار للمسيء هذا تبع لأصل عظيم وهو الجمع في العبادة ما بين الخوف والرجاء فالمأمور به شرعاً أن يجمع العبد ما بين خوفه من الله جل وعلا، وما بين رجائه في الله جل وعلا والخوف عبادة والرجاء عبادة، والخوف المحمود هو الذي يحمل على طاعة الله جل وعلا بفعل أمره وترك المحرمات هذا هو الخوف المحمود وهو المذكور هنا في قوله: (نخاف عليهم) والخوف المذموم هو الذي يصلُ إلى القنوط من رحمة الله جل وعلا ولا يقنط من رحمة الله إلا الضالون، الخوف من الله جل وعلا عبادة مستقلة تحمل على فعل الأمر واجتناب النهي هذا أولاً .

وثانياً: تحمل على عدم رؤية العمل الصالح يعني رؤية أثره وكذلك على عدم رؤية العمل السيء في أنه موقعٌ صاحبه وأنه مهلك له والله جل وعلا مدح عباده الذين يخافون في كتابه في مواضع كثيرة كقول الله جل وعلا في وصف الملائكة: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ وأمر الله جل وعلا بالخوف في قوله: ﴿ **فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **يا عِبَادِ فَاتَّقُونِ** ﴾ وذكر خاصة عباده بالخوف من المرسلين فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً** ﴾ فأصل الخوف من الله –جل وعلا– عبادة عظيمة لا تستقيم العبادة إلا بها ولا يستقيم الإيمان إلا بالخوف فمن لم يكن عنده خوف أصلاً من الله جل وعلا فليس بمؤمن؛ لأنه يكون آمناً والأمن ينقل عن ملة الإسلام يعني الأمن التام بعدم وجود الخوف أصلاً من الله جل وعلا.

الثاني: الرجاء، والرجاء أمل يحد والإنسان في أن يتحقق له ما يريد قال طائفة من العلماء، ونقله الشارح عندكم أن الرجاء لا يكون إلا باجتماع أشياء:

الأول: المحبة لما رجاه وهو يرجوا أن يدخل الجنة لابد أن يحب أن يدخل الجنة.

الثاني: الخوف وهو أن يخاف مما يقطع عليه أمله يخاف من الذنوب. يخاف من الكفر، يخاف من النفاق أن يقطع عليه أمله في دخول الجنة.

والثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة التي تكون سبباً فيما رجا فمن ترك تقديم الأسباب وفعل الأسباب فلا يكون راجياً قالوا: والفرقُ ما بين الرجاء والأماني أن الرجاء يكون معه خوفٌ وعمل، والأماني إنما هي طمع ليس معها خوف ولا سعي في الأسباب والمطلوب شرعاً من العبد المؤمن فيما يراه في نفسه ولإخوانه المؤمنين أن يكون راجياً وليس بذي أماني قال الله جل وعلا: ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ** ﴾ فإذاً دل هذا القول هذا الكلام من الطحاوي على الأصل الشرعي وهو أن العبد ينظر إلى نفسه في عبادته وفي أثر عبادته إلى أنه يجمع ما بين الخوف والرجاء، وكذلك في نظره وإلى إخوانه المؤمنين.

المسألة الرابعة:

اختلف العلماء في الخوف والرجاء هل يجب تساويهما أم يرجح أحدهما على الآخر؟ على أقوال:

القول الأول: أن يغلب جانب الخوف مطلقاً.

والثاني: أن يغلب جانب الرجاء مطلقاً.

والقول الثالث: أن يستوي عند العبد الخوف والرجاء.

والقول الرابع: التفصيل ومعنى التفصيل أن الخوف قد يُغلّبَ في حال وقد يُغلب الرجاء في حال، وقد يطلب تساويهما في حال. فيغلب الخوف على الرجاء في حال أكثر المؤمنين؛ لأن أكثر أهل الإيمان عندهم ذنوب فيغلبون حال الخوف في حال الصحة والسلامة ؛ لأنهم لا يخلون من ذنب، والخوف يحملهم على ملازمة الطاعة وعلى ترك الذنب والرجاء يغلب في حال المرض لقوله ﷺ: ((لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه جل وعلا)). وللحديث أيضاً الآخر الذي رواه البخاري وغيره (((أنا عند ظن عبدي بي)) فليظن بي ما شاء) ، فدل هذا على أن رجاء العبد مطلوب وإذا كان في حال المرض المخوف أو في أي مرضٍ كان فيه فإنه يُغلب جانب الرجاء على الخوف، وفي حال يستوي فيها الرجاء والخوف وهو في حال التعبد إذا أراد العبادة ودخل في العبادة فإنه يخاف ويرجو ، يخاف الله جل وعلا ويرجو ربه جل وعلا يخاف الذنب، يخاف العقاب، ويرجو الثواب. وهذا القول الأخير هو الصحيح وهو الذي عليه أهل التحقيق. ومن قال من أهل العلم أنه يُغلب جانب الخوف مطلقاً نظر إلى أن حال أكثر المنتسبين حالهم على ذنب وعلى قصور، فتغليب جانب الخوف في حقهم يردهم إلى الحق، ومن قال يُغلب جانب الرجاء دائماً عمم قوله ﷺ قال الله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)) ومن قال بالاستواء دائماً نظر إلى قول الله جل وعلا: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً** ﴾ وكذلك قوله جل وعلا: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً** ﴾ والتفصيل هو الصحيح؛ لأن الأحوال تختلف باختلاف المقامات والناس.

المسألة الخامسة:

قولـه : (نرجـو للمحسـنين مـن المـؤمنين أن يعفـوا عـنهم) قولـه : المحسن من المؤمنين للمحسنين من المؤمنين هذا على مورد التقسيم من أن أهل الإيمان منهم المحسن ومنهم المسيء وليس شرطاً في رجاء العفو أن يكون من أهل الإحسان وإنما المؤمن إما أن يكون محسناً وإما أن يكون مسيئاً، والمحسن هو من كان من المقتصدين أو من السابقين بالخيرات؛ لأن أهل الإيمان ثلاث مراتب الظالم لنفسه والمقتصد، والسابق بالخيرات كما دلت عليهم آية فاطر: ﴿ * **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾، والمحسن من المؤمنين أو المسيء من المؤمنين نرجو أن يعفوا الله عنهم ونخاف على المسيء منهم والعفو عفو الرحمن جل وعلا عن العبد وعدم مؤاخذته بفعله هذا قد يكون منه وتكرماً منه جل وعلا في غير الشرك به -ﷻ-، وقد يكون بسب فأما ما كان منه سنةً وتكرماً جل وعلا معنى منَّة يُمنُّ على من يشاء يعني ابتداءً منه -ﷻ- بدون أن يفعل العبد سبباً يُحصل به ذلك، والله جل وعلا وعد بل توعد أن لا يغفر الشرك به.

الشريط الثاني والثلاثين الوجه (ب)

قال: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ فما دون الشرك يغفره سبحانه لمن يشاء منةً وتكرمًا منه جل وعلا وأما ما كان بسبب فالعلماء نظروا فيما جاء فيه الدليل من الكتاب والسنة في الأسباب التي تكون رافعةً لأثر الذنب ؛ لأن الذنب إذا وقع من العبد فلابد من حصول الجزاء عليه قال تعالى: ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ﴾ ولما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين مشقة عظيمة فقال: فعرف ذلك منهم عليه الصلاة والسلام وخرج عليهم وقال: ((سددوا وقاربوا)). فما يصيب المسلم أو

كما جاء في الحديث فما يصيب المسلم من مصيبة كانت كفارة له حتى النكبة يُنكبها وحتى الشوكة يشاكها، رواه مسلم في الصحيح فقوله –جل وعلا– ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ﴾ دل على أن هناك ما يكفر الله به السوء الذي حصل من العبد، وأنه لا يجاز به بل يرفع الجزاء بسبب من الأسباب وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ** ﴾ يعني ما أصاب العبد من مصيبة في دينه فهو بسبب ذنب عمله فتكون كفارةً له ويعفو الله جل وعلا عن كثير من الذنوب التي حصلت من العبد إذا تبين ذلك، فالأسباب هذه التي يكفر الله جل وعلا بها الخطايا أو يمحوا بها اثر السيئات ويرفع بها أثر الإساءة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أسباب يفعلها العبد.

والقسم الثاني: أسباب من المؤمنين للواحد منهم.

والقسم الثالث: أسباب من الله جل وعلا ابتداءً منه –ﷻ–

فالقسم الأول: وهو ما يمحوا الله جل وعلا به أثر الذنوب والسيئات من فعل العبد هذا ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التوبة، والتوبة مأمورٌ بها إجمالاً وتفصيلاً قال جل وعلا: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ تُوبُواْ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً** ﴾ هذا إجمالاً كل مؤمن حتى الصالح حتى الأنبياء مأمورون بالتوبة، كان عليه الصلاة والسلام يقول: ((إني ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة))، وكان يحسب له ﷺ في المجلس الواحد يتوب إلى الله جل وعلا مائة مرة. وقال سبحانه: ﴿ **وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ فالتوبة مأمورٌ بها سواء كان العبد مسدداً أو كان دون ذلك. فأعظم الأسباب التي يفعلها العبد لمحو السيئات عنه التوبة، فمن فعل سيئة مهما كانت حتى الكفر، والشرك فإن الله جل وعلا يمحو أثره بالتوبة إليه –ﷻ– قال جل وعلا

بعد أن ذكر أصناف الكبائر في سورة الفرقان: ﴿ **إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ يُبَدِّلُ اللَّـهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّـهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّـهِ مَتَاباً** ﴾ والتوبة معناها ضابط التوبة تاب بمعنى رجع هناك ثلاثة ألفاظ متقاربة لكن المعنى يختلف بدقه آب تاب ثاب، هي تشترك في الأصل من أنها فيها رجوع آب يعني رجع آيبون تائبون تشمل هذه وهذه، فآب رجع أواب كثير الرجوع تواب أيضاً كثير الرجوع، لكن تواب تكون أو تاب من شيء سيء فعله. وأما آب فهو رجوعٌ مطلق سواء مما يسوء أو مما لا يسوء، وثاب مختصه أيضاً برجوع خاص. إذًا التوبة رجوع رجوعٌ إلى الله جل وعلا بطلب محو تلك السيئات فإذًا هي توبة رجوع إلى الله جل وعلا بطلب محو السيئات هذا هو السبب الأول، وهي التوبة وهي أعظم الأسباب قال جل وعلا: ﴿ **قُلْ يِعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً** ﴾ يعني لمن تاب، أجمع العلماء أن هذه الآية نزلت في التائبين ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً**﴾ يعني لمن تاب –السبب الثاني– طبعاً التوبة تفصيل الكلام عليها وشروطها ... إلى آخرها ، يطلب من موضعه –السبب الثاني– مما يفعله العبد ويمحو الله جل وعلا به أثر الذنب الاستغفار، والاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة معناها ستر أثر الذنب؛ لأن الذنب إذا وقع من العبد فلابد أن يوجد أثر ذلك الذنب وهو إما أن يكون العقوبة عليه، وإما –يعني أن يعاقب العبد على ذنبه– في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة –وإما أن تقع عليه مصيبة يكفر الله بها ذنبه– وإما أن يُخزى بذنبه لهم خزي في الدنيا والعياذ بالله، اللهم إنا نعوذ بك من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة، الخزي يقع بسبب الذنوب.

فإذًا الذنب إذا وقع من العبد فله أثره الكوني وأثره الشرعي الذي يحصل، ولابد إلا إن عفا الله جل وعلا منةً منه وتكرماً. إذا استغفر العبد طلب غفر الذنب طلب أن يُستر هذا الذنب فلا يخزى به وأن يستر أثر الذنب فلا يؤاخذ به، وهذا قرين التوبة لهذا جاء في عدة آيات اقتران التوبة والاستغفار؛ لأن الاستغفار مثل التوبة في الأمر بها والحث والحض عليها قال جل وعلا: ﴿ **اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ** ﴾ الاستغفار صار قبل التوبة من جهة أنه طلب مباشرة طلب أن يمحى أثر الذنب؛ لأن أثر الذنب لو أخرت طلب المغفرة فقد يقع الأثر سريعاً –ثم توبوا إليه– يعني أن التوبة تكون بعد الاستغفار من الذنب. ولهذا النبي ﷺ كان يقدم طلب المغفرة على طلب التوبة فقال: رب اغفر لي وتب عليّ، استغفر الله وأتوب إليه. التوبة، والاستغفار نظر فيها بعض العلماء، وذكرها الشارح عندكم تبعاً لابن تيمية من أن التوبة والاستغفار من الألفاظ التي إذا اجتمعت تفرقت. وإذا تفرقت اجتمعت – إذا اجتمعت تفرقت أن التوبة على ما ذكرت لك من تعريفها. والاستغفار على ما ذكرت لك من أن الاستغفار طلب ستر الذنب. والتوبة طلب محو الذنب رجوع في طلب محو الذنب إذا تفرقت، فالمستغفر تائب والتائب مستغفر –السبب الثالث من العبد– الحسنات التي تمحو السيئات والله جل وعلا قال: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: ((واتبع السيئة الحسنة تمحوها وخالق الناس بخلق حسن)) فالحسنة تمحوا السيئة ففعل الحسنات يمحوا الله جل وعلا به السيئات. لكن هل كل حسنة يمحوا الله جل وعلا بها كل سيئة، الجواب: ليس كذلك –بل الحسنة لها–

السيئة لها ما يقابلها من الحسنات التي تختص بها، والسيئات أيضاً منها ما يبطل الحسنات التي تقابلها.

الأول مثل أن الأعمال السيئة الكبيرة مثل الإفساد في الأرض بالشرك بالله جل وعلا، أو بقتل النفوس هذه ذنوب عظام يكفرها الجهاد في سبيل الله جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ امَنُواْ هَلْ أَدُلُّكمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ...** ﴾ الآية الكبائر لها ما يقابلها فإذا كانت الكبيرة بالسرقة وأخذ المال من غير حله وبالربا ونحو ذلك فيقابلها من الكفارات الصدقة إذا كانت كبائر الذنوب من جهة أعمال البدن فيقابلها الصيام والصلاة ونحو ذلك، إذا كانت من جهة المال يقابلها الزكاة والصدقات وأشباه ذلك. فإذًا الحسنات من حيث الجنس يمحو الله بها السيئات، والسيئات قد يفعل العبد سيئة تبطل معها حسنةً كان يعملها ويُستدل لذلك بما روي من أن زيد بن أرقم تعامل بالعيينة أو باع شيئاً بأجل باع فرساً له بأجل بثمان مائة درهم، ثم اشتراه ممن باعه عليه بستمائة وهذا باعه إلى العطاء فربح هذا الفرق فلما بلغ عائشة ذلك قالت: "اعلموا زيداً أنه أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ" وهذا رأي أو اجتهاد من عائشة –رضي الله عنها–، والحديث فيه ضعف معروف يعني إسناده لا يصح لكن استدل به بعض أهل العلم مثل ابن تيمية ووجهه بان هذا الفعل وهو حصول الربا مقابلٌ للجهاد فوقوع التبايع بالعيينة هذه قابلت بها عائشة فعل الجهاد، ولهذا جاء في الحديث اقتران ترك الجهاد بالتتابع بالعينة داء فيما صح منه عليه الصلاة والسلام حديث التي في السنن وفي غيرها: ((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر وتركتم الجهاد))، فقارن بين هذا وهذا فهذا الأصل يدل على أن الحسنات مكفرات للسيئات وعلى أن بعض السيئات قد تبطل بعض الحسنات يعني تكون في مقابلتها من جهة عظم السيئة حتى أنها

تبطل أو يعني معنى تبطل يعني أنها في الميزان تكون مقابلة لها في عظم الذنب تلك حسنة كبيرة، وهذا ذنب عظيم فتكون هذه مقابلةً لهذه إذا وضعت في الميزان –الحسنات يكفر الله جل وعلا بها السيئات مثلما ذكرنا في الآيات هذه أفعال العبد–.

النوع الثاني: ما يفعله العباد يعني ما يفعله المؤمنون لإخوانهم يكفر الله جل وعلا به السيئات وهذا يجامع الرجاء. فعقيدة أهل السنة والجماعة أن العبد يرجوا لنفسه ويخاف على نفسه فيعمل الأسباب التي لنفسه من الرجاء والخوف الذي ذكرنا من الاستغفار والتوبة والحسنات، وكذلك يرجو لإخوانه ويخاف على إخوانه فيعمل الأسباب أيضاً التي تنفعهم فيما رجي لهم ويعمل الأسباب التي تنفعهم فيما خاف عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحو ذلك ما يفعله العباد ثلاثة أنواع أيضاً. الاستغفار والدعاء للمؤمنين وهذا ينفع –والاستغفار والدعاء نافعٌ سواءٌ كان من الملائكة أم من المؤمنين من الجن والإنس، والملائكة يستغفرون ويدعون للمؤمن كما قال جل وعلا: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ امَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ فهذا دعاء للملائكة كذلك دعاء المؤمن للمؤمن في خارج الصلاة أو في الصلاة هذا نافعٌ، ومن الأسباب التي يكفر الله جل وعلا بها خطايا المؤمن فتدعوا لإخوانك المؤمنين تدعوا لفلان المعين المذنب هذا يمحوا الله جل وعلا به السيئات.

السبب الثاني: إهداء القُرب وعمل العبادات عن المؤمن وهذه تشمل الصدقة عن الغير أو عمل العمل الصالح، وإهداء ثوابه للغير أو أن يعمل العبادة التي تدخلها النيابة مما جاء في السنة ويجعلها لغيره كالصيام والحج

والصدقة، ونحو ذلك وهذه يأتي مزيد تفصيل الكلام عليها عند قول الطحاوي، وفي دعاء المسلمين وصدقاتهم منفعةٌ للأموات.

الثالث: من هذه الأنواع الثلاثة الشفاعة، الشفاعة إما في الدنيا أو في الآخرة فشفاعة المؤمن لإخوانه المؤمنين نافعة له –وأصل صلاة الجنازة لأجل الدعاء للمؤمن والشفاعة ولهذا جاء في الحديث أنه ﷺ قال: ((ما من مسلم يصلي عليه أربعون من أهل الإيمان إلا شفعهم الله فيه)) وفي لفظ آخر قال: كلهم يشفعون له إلا شفعهم الله فيه، والشفاعة تحصل في الدنيا بالدعاء وتحصل أيضاً في الآخرة فشفاعة الأب لأبنائه، والابن لوالده ونحو ذلك، والعالم لأحبابه وأهل القرابة لقراباتهم، أو للمؤمنين ومن ذلك بل أعظم شفاعة النبي ﷺ لطوائف من أمته.

القسم الثالث: الأسباب التي من الله جل وعلا وهي أربعة:

الأول: وهو أعظمها وأجلها مغفرة الله جل وعلا لعبده ابتداءً منةً منه وتكرماً فالله جل وعلا منَّ على عبده بالإسلام وبالإيمان فقد يُمنُّ عليه بمغفرة الآثام ابتداءً، وهذا خلق الله جل وعلا هو سبحانه يثبت من يشاء يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء.

الثاني: المصائب التي تحصل للعبد في الدنيا مصيبة يوقعها الله جل وعلا بالعبد مرض فقد حبيب، حزن، هم، نقص مال يهمه ونحو ذلك مما يعني يفنى شيء من ماله من بدنه، يمرض يُصاب بأشياء هذه المصائب كفارات –يكفر الله جل وعلا بها من ذنب العبد– قال العلماء المصايب مصايب بالياء ويجوز مصائب لكن الأصح مصايب أو يعني الأشهر المصايب التي تحصل على العبد من الله جل وعلا هي في نفسها كفارات لأنها ليست من جهة العبد، يعني العبد ما اختارها لنفسه الله جل وعلا ابتلى بها المؤمن فابتلاه بها ليكفر الله جل وعلا بها من خطاياه وهذا كما قال عليه

الصلاة والسلام: ((ما يصيب المسلم من همٍ ولا حزنٍ ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)). فالهم يأتي للمؤمن هم ضيق صدر ما يدري ويش سببها أو يبلى بشيء يضيق صدره أو يهمه ويصبح في غم أو في هم هذا سبب؛ لأنه خروج عما يُسعد العبد وابتلاء من الله جل وعلا للعبد، فهذا سببٌ من أسباب كفارة الذنوب. كذلك المصايب في النفس أو في الولد أو في المال، أو نحو ذلك هذه المصايب كفارة هل يؤجر عليها أو هي كفارة بشرط المصائب كفارة بلا شرط بإطلاق من وقعت عليه مصيبة، فالدليل دل على أن الله يكفر بها من خطاياه والحمد لله على فضله وتكرمه ومنته، ولكن قد يؤجر على المصيبة وقد يأثم على المصيبة وذلك إذا صبر أو تسخط فإن صبر أجر، وإن تسخط أُثم فإذاً المصيبة في نفسها كفارة، فإن صار مع المصيبة تسخط فهذا إثم.

الثالث: العذاب الذي يحصل على العبد في البرزخ يعني في القبر يكون على العبد ذنب من الذنوب أو ذنوب كذا فيعذبه الله جل وعلا في القبر، ثم يوم القيامة لا يدخله النار.

الرابع: ما يكون في عرصات القيامة من المصايب والأمور العظام التي قد يبتلي الله بها بعض عبادة، فيكون في ذلك كفارة لهم. فهذه عشرة أسباب أجملها أو فرقها الشارح وقسمتها لك بثلاثة من العبد، وثلاثة من المؤمنين لإخوانهم المؤمنين، وأربعة من الله –ﷻ– وتقدست أسماؤه.

المسألة السادسة:

قول الطحاوي: (ولا نشهد لهم بالجنة) يعني لا نشهد للمحسن بالجنة وكذلك لا نشهد للمسيء بالنار، فلا نشهد لأحد من أهل القبلة بجنة ولا بنار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ. وهذه الجملة يأتي تفصيل الكلام عليها عند قول الطحاوي: (ولا ننزل أحداً منهم جنةً ولا ناراً) .

المسالة السابعة:

أن في قوله : (ولا نقنطهم) التقنيط هو كاليأس أو التأييس –التأييس من رحمة الله جل وعلا بمعنى أن يقول القائل هذا ذنب كيف يغفره الله جل وعلا لك– أو يستعظم أن يعفو الله جل وعلا عن فلان وهذا قد يكون في بعض أحواله من كبائر الذنوب – والواجب على المؤمن تجاه نفسه وإخوانه المؤمنين أن يفتح عليهم باب الرجاء إذا أقبلوا تائبين وأن يفتح عليهم باب الخوف إذا كانوا مفرطين فإذا كان مقيم على لهوه مقيم على ذنوبه على كبائره على آثامه فتعظه بالخوف ولا تقنطه؛ لأن تقنيطه –ولا تفتح له الأمل؛ لأن أمله فتح باب الرجاء في هذه الحال يزيد من فعله للذنوب وهذا من المهمات لأهل الدعوة والمواعظ والخطباء، وأئمة المساجد إلى آخره – في أن الناس إذا رآهم صالحين وعندهم تشدد ويفتح لهم باب الرجاء، وباب السهولة كما قال عليه الصلاة والسلام لما أذن بلعب، باللعب في المسجد قال: ((لتعلم اليهود أن في ديننا فُسحة لأن اليهود أهل)) –يعني في شريعتهم ثمَّ تشديد وأصار وإغلال وضعة عليهم أو وضعوها على أنفسهم– وأما إذا رآه صاحب خوف وبكاء وكثر بكاء من خوف الله جل وعلا وكثرة خوف من أن الله لا يغفر ذنبه ودائماً يلاحظ ذنبه ويلاحظ كبيرته، هذا يفتح له باب الرجاء فإذاً الواجب هو ما قال: أن لا تأمن على المحسن وأن لا تقنط المسيء فهذه عقيدة وأيضاً يتبعها عمل.

المسألة الثامنة:

قوله: (ويدخلهم الجنة ترجوا للمحسنين أن يعفوا عنهم ويدخلهم الجنة برحمته) قوله: "برحمته" هذا كما ذكرت لك في أوله في أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله بل ما ثمَّ إلا عفو الله جل وعلا ورحمته الله جل وعلا وعدم من عمل صالحاً، بأن يدخله الجنة جزاءاً بما عمل قال سبحانه: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُواْ**

يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾، فالجنة يدخلها العبد بالعمل لكن الباء هذه ليست باء المقابلة إنما هي باء السببية، يعني بسبب ما كنت تعملون، فالعمل الصالح للعبد وأعلاه توحيد الله جل وعلا والبراءة من الشرك وأهله والكفر بالطاغوت هذا العمل الصالح هو أعظم الأسباب التي يدخل الله جل وعلا بها العبد للجنة –أما المقابلة فإن الجنة وما فيها من النعيم وما أعطى الله العبد من النعم في الدنيا مع ما منَّ عليه أصلا من الهداية لا يستحق الجنة بالمقابلة؛ لأن حصول الهداية للعبد منَّه من الله جل وعلا وتكرم ولو ترك العبد ونفسه لما اهتدى ولاحتوشته الشياطين. لهذا الجنة لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله جل وعلا كما قال هنا: (نرجو أن يعفوا الله عنهم ويدخلهم الجنة برحمته) فإذا أهل السنة والجماعة يقولون أن دخول أهل الجنة للجنة بسبب الأعمال الصالحة، وإلا فإن الدخول برحمة الله جل وعلا لما دل عليه قوله ﷺ: ((لن يُدخل أحداً منكم الجنة عمله –قالوا: ولا أنت يا رسول الله– قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل))، وأما المعتزلة وأهل إنفاذ الوعيد فيرون أن دخول الجنة يكون بالعمل مقابلةً؛ لأن الله سماه أجر كما يقولون، والأجر يقتضي المقابلة، نقف عند هذا نسأل الله جل وعلا لنا ولكن التوفيق والرشد والسداد والعفو عن السيئات، والرحمة والرضوان. نجيب على سؤالين:

سؤال : هل جاء في الأثر أن الرجل إذا فعل معصية ولم يتب قبل ست ساعات فإنه يكتب عليه ذنب– وإن تاب بعدها فلا ذنب عليه؟

الجواب : جاء في تفسير قول الله جل وعلا: ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾، أن العبد المؤمن إذا فعل السيئة قال الملك الموكل بالكتابة انتظروا فلعله يتوب أو يفعل حسنة لمحوها – هذا جاء في الأثر لكن ما أستحضر صحة ذلك. بارك الله فيكم سؤال واحد وفيه الكفاية.

سؤال : بالنسبة لما يتعلق .....

الجواب : لا ، هذا من النوع الثاني من فعل المؤمنين يعني بسبب المؤمنين شفاعتهم .

سؤال : حديث (من فاته العصر حبط عمله) هل صحيح؟

الجواب : نعم ، صحيح و(حبط عمله) هذا اختلف العلماء فيه ، أختلف العلماء فيخ ، ولكن الظاهر منه أن قوله : (من فاتته العصر فقد حبط عمله) يعني خرجت عن وقتها ، يعني أخرجها عن وقتها كله حتى عد المغرب ، حبط عمله يعني العمل الذي يقابل هذه الصلاة من خير ما هو بمطلق العمل ، كل عمل صالح لا ، وأهل العلم من قال العمل الذي هو عمل الصلاة ولو صلاها ؛ لأنها حابطة لكن الظاهر إن المقصود يحبط منها بهذه السيئة ما يقابلها من عمل ما هو ، الله اعلم ، أظنه في مسلم ، هل راجعته أنا في بالي أنه في مسلم .

سؤال : أحسن الله إليك يا شيخ ، الحديث الآخر الذي في الذي في الرواية الأخرى (كان كمن وتر أهله وماله)

الجواب : يعني هذا الذنب الذي عمله من عظمة أنه كأنه ترك كأنه فقد أهله وماله يعني لو فقد ماله وأهله لكان أهون عليه ، نسأل الله السلامة والعافية .

سؤال : أحسن الله إليك يا شيخ الفتوى التي انتشرت في الآوانة الأخيرة بتحليل الربا ، وتقسيم الفوائد إلى ثلاث .

الجواب : الذي يقول : إن الربا حلال كافر ، والفوائد فيها الخلاف ، الخلاف فيها قديم ، وأول من أباحها فيما أعلم الشيح محمد عبده المصري ، ولم يؤلف فيها ولكن ألف فها الشيخ محمد رشيد رضا رسالة معروفة مطبوعة بعنوان الربا والمعاملات المالية ، ذكر في إباحة الفوائد ، وليس الفوائد فقط ،

كل ، حتى القروض التي فيها فائدة ، إذا كان المسألة ما فيها ظلم ، ما فيها استغلال للضعيف قالوا : لأن الله جل وعلا علل التحريم بالظلم ، قال : ﴿ وَإِن تُبتُمْ فَلَكُمْ رُءوسُ أَمْوٰلِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ وربا الجاهلة كان فيه استغلال لحاجة الضعيف فيه ظلم ، ولكن إذا كان إن ترك المال للبنك فيه قوة للبنك ، كون البنك يعطيك ما فيه استغلال لك استغلال لحاجتك ، وإن ما فيه أنه أعطاك يعني ما استغل حاجتك ؛ لأنك أنت أصلاً لست محتاجاً لكن هو أعطاك لقاء عملك بالمال أو أقرض قروض ليست لاستغلال الحاجة إنما هي للإنتاج بيعمل استثمار مصانع إلى آخره ، فمحمد رشيد رضا كتب في كتاب مشهور كبير يعني معاملات الربا والمعاملات المالية في الإسلام ، فيرى أن هذه كلها ما فيها ظلم من الغني الذي هو صاحب البنك للمستثمر صاحب المال ، وإنما هذه فيها إعطاء له وإعانة له فليست محرمة ، وهذه أخذها مجموعة من المصريين ، ومجموعة من علماء سوريا ، وكثير يعني أخذوها ، ولهذا نقول إن مسألة الفوائد البنكية هذه القول بإباحتها قول ضعيف ، والأدلة تشمل هذا وهذا ، والتعليل بعدم الظلم يعني الجواب عن هذا يطول ، وقول الجمهور جمهور أهل العلم بل عامة أهل العلم من عدك إباحتها لا هي ولا القروض الشخصية أن هذا هو الصواب ، لكن معرفتك للخلاف مفيدة في عدم الدخول في التكفير ؛ لأن الذي يُكفر ما هو الذي يُكفر به هو ما أجمع عليه ، وهو ربا الجاهلية إنه يعطه قرض مثل ما قال قتادة ومجاهد والجماعة يعطيه قرض حسن ، ثم إذا أتى وقت السداد ، قال له جاء وقت السداد إما أن تقضي وإما أن تُربي فيكون هذا غالباً من الغني للفقير استغلالاً لحاجته ، هو بيعرف أنه ما هو بمستطيع هذا هو الذي فيه الظلم وفيه إذلال إلى آخره ، وهذا المجمع عليه ، وهو ربا الجاهلية الذي جاء فيه النص فهذا من أحله ، فهو يعني من أباح ذلك فهو كافر ، يعني إباحة ذلك كفر ، أما المسائل

الثانية ربا القروض ، ربا الاستثمار والفوائد فهذه ما فيها تكفير فيها صواب وغلط ، وما فيها تكفير هذه مهمة ، مثل شيخ الأزهر لما أباحها مسبوق وكلامه فيها أضعف من كلام رشيد رضا ، رشيد رضا أصلها تأصيلاً يعني فيه شبهة ، وأنت تشوف رسالة محمد رشيد رضا قلنا مبنية على الظلم ، إذا ما وع ظلم يعني فيه إحسان هذا ؛ لأنه جالس يعطي ما هو بيأخذ فكيف يصيب من الربا ، وكل قرض جر نفعاً فهو ربا ، الحديث يقولون : لا يصح ، وفيه كلام .

سؤال : ذكر من العلماء لفظ الحد لله جل وعلا ، ما المراد به ؟

الجواب : الحد لله جل وعلا : يريدون به أن الله سبحانه وتعالى غير مختلط بخلقه ، فالله جل وعلا قالوا : بجد ، يعني أنه غير مختلط بالخلق غير ممازج لخلقه ؛ لأنه لو كان ممازجاً ما صار فيه حد لكن بحد يعني ثم حد ينتهي إليه الخلق ، الخلق ينتهون فيه حد بينتهون إله ، ويبقى رب العالمين ، هذا معنى بحد .

سؤال : ألاحظ هنا يا شيخ أنه قال بالعلو أراد به العلو ؟

الجواب : هو العلو من ضمنها أو هو أوضح المسائل تطبيقاً يعني استوى على عرشه بائناً من خلقه ، قال بحد ، قال : نعم مثل ما قال السفيان وغيره .وحماد وابن سلمة ، بحد يعني ماذا يعني ؟ أنه مستو على عرشه بذاته جل وعلا وغير ممازج لخلقه غير مخالط لخلقه ، هذا معنى بحد ، قالوا : نعم بحد ، قال بحد عني أنه غير مخالط منفصل قالوا نعم بحد ، هذا المعنى ، يعني فيه حد ينتهي الخلق إليه فيكون ما ثم إلا رب العالمين .

سؤال : الذي يقيم الحجة لابد أن يكون عالماً ؟

الجواب : نعم ، لابد يكون عالم معروف ما يعرفه لا يصلح لابد يكون عالم معروف .

سؤال : يعني يكون الذي يُقام عليه الحجة عارف بالذي يقيم عليه؟

الجواب : لا عرفه شخصياً ، هو يعرف أنه عالم ويعرف أن هذا ما هو جاهل يعني مثلاً اثنين واحد قابل هذا أقام عليه ما يكفي لابد يكون عالم ، وهذه تختلف في إقامة الحجة . تختلف مسائل فيها يمكن أي واحد التي هي من المعلوم من الدين بالضرورة هذا ، أي واحد ، لكن المسائل الخفية التي فيها شبه .

السائل : لا ، أنا أقصد أصول الاعتقاد ؟

الجواب : لا ، أصول الاعتقاد مختلفة .

سؤال : هل الناس في الدول العربية ينطبق عليهم حكم .....

الجواب : من أي ناحية ؟

السائل : من ناحية الألفاظ والمعاني ؟

الجواب : العلماء لا ينطبق عليهم ، العلماء الذين درسوا النحو درسوا اللغة ، وهو عالم وبيعرف العقيدة ودرس هذا القرآن كافي في حقه ؛ لأنه مفرط وأنه ما عرف ولا وثق ، ولكن العوام وما العوام هؤلاء يحتاجون إلى بيان .

سؤال : أحسن الله إليك يا شيخ ، آحاد الناس .....

الجواب : يعني في المسائل التي تحتاج إلى إقامة حجة لكن المعلوم من الدين بالضرورة ، يعني مثلاً واحد من المسلمين قال لجاهل الخمر حلال ، هذا يكفره ؛ لأن هذا ما يحتاج إلى استدلال معلوم بالضرورة ، لكن تيجي للمسائل الخفية أو المسائل التي تحتاج إلى إقامة حجة ، المسائل الخفية يعني النادرة أو التي تحتاج إلى إقامة حجة ، هذه لابد ما دام إنه فيه إزالة شبهة لابد من عالم يزيلها ، أو يحكم لكن المعلوم من الدين بالضرورة الذي ما

يحتاج فيه إلى استدلال أصلاً ، وهذه فيها تفصيلات تختلف باختلاف البلاد والأماكن .

سؤال : أحسن الله إليك ، ذكر شيخ الإسلام فيما .....

الجواب : هو يقول ، كلام صحح شيخ الإسلام حتى هو يقول أنا أقول للمخالفين لو قلت بما تقولون به لكفرت لأنه عنده العلم الواضح له ، يقول للمخالفين لو قلت بما تقولون به لكفرت فهذا أصل مهم هذا ، هذا أصل مهم .

سؤال : كفر الشافعي .

الجواب : ما كفر عيناً ، لكفرت يعني ما حكم عليه بالردة ، يعني لكفرت هذا من باب الوعيد عليه ، لكن ما حكم عليه بالردة في نفسه يعني المقالة هذه التي أنت قلتها معنى أنك كفرت إنه جعل هذا الكفر مستديماً معك ، يعني خرج من الإسلام به هذه لابد فيها من إقامة حجة ، فإنه إذا كان اكتفى بذلك ، وأقام الحجة عليه ، خلاص يصير مرتد ، وظاهر كلام ابن تيمية الذي قلته الآن إنه يقول : أن الشافعي ما حكم عليه بالردة هو قال له كفرت من باب الوعيد ، لكن ما حكم عليه .

سؤال : .....يعني ضيق الإنسان يعتبر من التسخط .

الجواب : لا ، التسخط معروف يعني التسخط منافي للصبر يعني ماذا اللسان يتكلم باللسان أو الجوارح يضرب أو في قلبه يظن الظن السوء بالله جل وعلا ، يقول : أنا ماذا جاءني أنا ما أستاهل أنا فيني كذا ، غيري أولى .

سؤال : باللسان فقط ؟

الجواب : لا هو لو قال في نفسه في داخله تسخط يعني التسخط ثلاثة الصبر له ثلاثة موارد فكذلك التسخط له ثلاثة موارد تسخط بالقلب ، وتسخط باللسان ، وتسخط بالجوارح .

سؤال : .....

الجـواب : هـذا غلـط ، كـلام الطحـاوي قلنـا لـك وذكرنـا إنـه مـا هـو بصحيح ، إذا كان أراد به بأي ذنب ما نكفره بأي ذنب حتى يستحله ، يدخل فيها الشرك بالله ، ويدخل فيها السجود للأوثان ومسبة النبي ﷺ ، ومسبة الله ، وهذا ما هو بصحيح .

لكـن ظـاهر السـياق هـو أراد مخالفـة الخـوارج والمعتزلـة ، الخـوارج والمعتزلـة كلامهـم فـي مـاذا فـي الكبـائر العلميـة لـذلك هـو بـذنب ، يعنـي مـن الذنوب العملية أو بمجرد ذنب مثل ما قلت لك أو بكل ذنب ونحو ذلك .

سؤال : .....

الجواب : أولاً الرضا له جهتان :

الرضا بفعل الله ـ جل وعلا ـ بتصرف الله في ملكوته ، هذا واجب .

والثاني الرضا بالمصيبة بالذنب ، الرضا بفقد المال ، الرضا بالمرض ، هذا مستحب ، وهذا ما هو بكل أحد يقدر عليه ، فالرضا بقضاء الله ـ جل وعلا ـ ، الرضا بفعل الله سبحانه وتصرف الله في ملكوته يعني من حيث هو فعل لله ـ جل وعلا ـ وتصرف الله في ملكوته يعني من حيث هو فعل لله جل وعلا يرضى ما يسخط تصرف الله في ملكوته ، لكن يسخط المصيبة يسخط المرض ، لكن الله جل وعلا ما شاء فعل ، فعل هذا ملكه ، وأنا عبد من عباده ، ولكن إذا نظرنا للمصيبة سخطها إذا نظر للمرض سخطه الله يجيرني وإياكم ، فهذا مستحب .

الشريط الثالث والثلاثين الوجه (أ) ١٤١٩/٧/٢٥هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اسأل الله جل وعلا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا

والآخرة، ربنا نعوذ بك من الضلال بعد الهدى اللهم وفقنا إلى ما فيه رضاك نجيب عن بعض الأسئلة هذه كلها في التكفير ما فيه غيرها . هذه أجمعوها بعض ما يتم الكلام على مسائل الإيمان والكفر في الطحاوية، إذا أتممنا كل الكلام نعرضها .

سؤال : هل يجوز قضاء الفوائت كمن السنن الراتبة كما نسي راتبة الظهر أو المغرب مثلاً فهل له أن يصليها إذا ذكرها استدلالاً بعموم قول النبي ﷺ ((من نام عن صلاة أو نسيها فليصليها إذا ذكرها)) وهذه من الصلاة؟

الجواب : إن الرواتب اختلف العلماء في مشروعية قضائها على أقوال:

القول الأول: أنه يُشرع قضاؤها مطلقاً يعني الفوائت تقضى – الفوائت من الرواتب تقضى مطلقاً سواءً أكان في وقت نهيٍ أم كان في وقت غير نهي وسواء كانت ركعتي الفجر أم كانت راتبة الظهر أم غير ذلك، وهذا قال به طائفة من السلف من المتقدمين.

القول الثاني: أن الرواتب يشرع قضاؤها جميعاً في غير وقت النهي، وأما وقت النهي فإنه لا يشرع قضاء راتبة فاتت وذلك أن الأصل عندهم أن الراتبة تطوعٌ فات وقته ولما كان كذلك فإن قضاؤه يكون في وقت يؤذن فيه بالتطوع.

وأوقات النهي حتى على القول بأن ذوات الأسباب يشرع فعلها أو يجوز فعلها في أوقات النهي فإنهم لا يدخلون هذه الصورة في ذوات الأسباب أو أكثرهم لا يدخل هذه الصورة وذلك لأنها محددة بوقت وقد فات الوقت فالقضاء فيه سعة إذا فات الوقت فقضاء صلاة تطوعٍ فيه سعة فيقضيها في وقت لا نهي فيه ومن دليلهم على ذلك أن النبي ﷺ كان إذا فات وردُهُ من الليل قضاه ضحىً

ولم يقضه بعد الفجر الذي هو وقت النهي وإنما كان يقضيه ﷺ ضحىً وكان هذا دليلاً على أن المشروع أن يقضيه في وقت لا نهي فيه وعورض قولهم بأن النبي ﷺ لما فاتته راتبة الظهر البعدية لشغلٍ شغله قضاها بعد العصر وداوم على ركعتين بعد العصر قالوا: فهذا يدل على جواز القضاء في وقت النهي والنبي ﷺ فعله لا يحمل على التخصيص إلا بدليل وقولهم هذا أو هذا القول دليل قول الطائفة الأولى وعمر -رضي الله عنه- لما رأى جماعةً يصلون بعد العصر حصبهم ونهرهم وقال: سمعت رسول الله يقول: ((لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس)) وقوله : (لا صلاة) هذا يدل على عموم النهي؛ لأن هذا نفي ولا دخلت على الجنس وتكون نافية للجنس والنفي هنا المراد به النهي فأفاد قوله لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس على أفاد أن الراتب على أن عموم الصلوات لا تفعل بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس؛ لأن نفي الجنس يفيد العموم فيه.

القول الثالث: هو أن قضاء الصلوات الرواتب كراتبة الفجر وبقية الرواتب لا يشرع منها في القضاء إلا راتبة الفجر فقط فهي التي يشرع قضاؤها وما عدا ذلك فإنه ما فات وقته فإنه انتهى وقت قضاؤه وقت أدائه ولا يشرع القضاء لتطوع إلا بما دل عليه الدليل ، والدليل دل على قضاء ركعتي الفجر دون ما سواه؛ لأن النبي ﷺ لما نام عن صلاة الفجر مع الجيش قام وركع ركعتي الفجر يعني الراتبة ثم أمر بلالاً فأقام فصلى فريضة الفجر فدل على أن راتبة الفجر تقضى وهذا القول الثالث قول قوي من حيث الدليل ومن حيث القواعد أيضاً والتنظير؛ لأن الراتبة جعلت منها ما هو جعل ما هو منها قبل الصلاة ومنها ما هو بعد الصلاة المكتوبة فما كان قبل الصلاة معناه أن وقت القبلية ما بين الأذان إلى إقامة الصلاة وما بعد الصلاة معناه أن وقت البعدية ما بعد الفراغ من الصلاة إلى خروج وقت تلك الصلاة وقت الاختيار

والاضطرار، وهذا هو الأصل في التوقيت؛ لأنه جاء أن الصلاة منها قبلية ومنها بعدية والتفريق هذا يدل على أن ثمة توقيت؛ لأنه لم يكن ثمة توقيت لكانت الرواتب مطلقةً دون تحديد يعني عشر اثنتا عشر بدون أن يقال قبل ولا بعد فلما حُدد القبلية والبعدية دل على أن ذلك وقت لها وهذا القول قواه ابن قدامة فيما أذكر في المغني وقواه جماعة من أئمة أهل الحديث ولكن المفتى به والذي عليه جمهور أهل الفتوى هو القول الثاني وهو أن القضاء مشروع في غير وقت النهي قضاء الفوائت مشروع في غير وقت النهي؛ لأنها تطوع وباب التطوع واسع، أما قوله استدلالاً بعموم قول النبي ﷺ ((من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها)) وهذه من الصلاة فالعموم هنا أن الصلاة نكرة جاءت في سياق الشرط فتدل على العموم لكن العموم هنا مرادٌ به خصوص الفرائض لا مطلق الفرائض والنوافل وذلك بأن سياق الحديث يدل عليه في قصة نوم النبي ﷺ عن صلاة الفجر.

سؤال : أقضي حاجتي من البول وبعد الوضوء أرى أنه ينزل قطرات قليلة من البول وبعض الأحيان في الصلاة؟

الجواب : هذا له حالان إما أن يكون نادراً وإما أن يكون دائماً معتاداً له، فإذا كان معتاداً فهذا سلسل بول يتوضأ لكل وقت صلاة بعد دخول الوقت ثم يتحفظ من أن يصيب البول ملابسه وثيابه بمناديل أو بقطن أو نحو ذلك ويصلي ويكون له حكم من حدثه دائم وأما إذا كان نادراً فإنه إذا خرج منه هذا البول فإنه يتوضأ؛ لأنه حدث، ومن العلاج له أن المرء يتأنى، بعض الناس إذا تبول يستعجل وخاصةً في الشباب يكون الدفع عندهم دفع البول قوي وربما ما خرج كل البول لهذا يتأنى حتى يخرج جميع البول براحة.

سؤال : هل هناك فرقٌ بين فهم الحجة والاقتناع بالحجة؟

الجواب : هذا مر معناه الجواب عليه وهو أن فهم الحجة الذي لا يشترط في إقامة الحجة هو الاقتناع كونه اقتنع أو لم يقتنع هذا ليس شرطاً لكن المهم أن تقام عليه الحجة بوضوح وبدليل؛ لأنه إذا قلنا بشرط الاقتناع فمعنى ذلك أنه لا يكفر إلا المعاند والأدلة دلت يعني في القرآن وفي السنة على أن الكافر يكون معانداً ويكون غير معاند يكون مقتنع وأحياناً يكون ما اقتنع عنده شبهة لا زالت عنده ولكن لم يتخلص منها لأسباب راجعة إليه.

سؤال : ما حكم استعمال الحقن التي تضخم العضلات علماً أن استعمالها يؤدي إلى العقم وموت الجهاز التناسلي أعزكم الله، وهذا يفعله بعض أهل الرياضة؟

الجواب : هذه المسألة تحتاج إلى تأمل ونظر فنبحثها إن شاء الله مع العلماء لعل يكون فيه فائدة.

سؤال : ما الدليل على أخذ جبريل -عليه السلام- القرآن من الله تعالى مباشرة لا من اللوح المحفوظ وأن الله كلمه به؟

الجواب : الدليل على ذلك أن الله جل وعلا نسب القرآن وأضاف القرآن إلى نفسه تكليماً به قال جل وعلا ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ** ﴾ فسماه كلاماً له جل وعلا وقال -سبحانه وتعالى- في ذكر جبريل ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ ودل على أن هذا التنزيل تنزيل سماع لا تنزيل كتابة قوله ﷺ في الحديث الصحيح ((إذا قضى الله الوحي في السماء سمع له كجر السلسلة على صفوان)) إلى آخر الحديث فيكون جبريل أول من يفيق فيقولون ماذا قال ربكم فتفيق الملائكة فينفذ ذلك فيهم، إذا قضى الله الوحي في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله يعني سينفذهم ذلك إلى قوله فتقول الملائكة ماذا قال ربك: فيقول جبريل -عليه السلام- الحق وهو

العلي الكبير فالوحي يسمعه جبريل -عليه السلام- ثم يبلغه النبي ﷺ وأما قول من قال من الأشاعرة أنه يأخذه من اللوح المحفوظ فهذا ليس بصحيح وليس من أقوال أهل السنة ألبتة؛ لأن ما في اللوح المحفوظ من القرآن هذا مجموع على جهة الكتابة والقرآن له جهتان جهة سماع وجهة كتابة جهة كلام من الله جل وعلا يسمع وجهة كتابة وجهة الكتابة هي ما في اللوح المحفوظ من القرآن بأجمعه من أوله إلى آخره وجبريل -عليه السلام- لا ينتقي هذه الآية يأخذها وينزلها في الوقت المحدد ثم يأخذ الآية الأخرى وينزل في الوقت المحدد وإنما هو وحي الله جل وعلا قال -سبحانه وتعالى- ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ قالت عائشة -رضي الله عنها- سبحان الذي وسع سمعه الأصوات فقد جاءت المُجادلة تجادل رسول الله ﷺ وأنا في حجرتي لا أسمعها وهذا مصيرٌ من عائشة -رضي الله عنها- إلى أن الله جل وعلا سمع ذلك منها فقال ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ فالمقصود من ذلك أن تنزيل القرآن تنزيل سماع أما الكتابة فهي موجود في ثلاثة أشياء موجودة في اللوح المحفوظ كما قال جل وعلا ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ وقال جل وعلا ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾ هذه الأولى والثانية في الكتابة ما هو موجودٌ في بيت العزة في السماء الدنيا، وهذا على القول بصحة أثر ابن عباس -رضي الله عنهما- في ذلك، والثالث المكتوب في المصاحف التي بين أيدي المسلمين فهذه ثلاث كتابة والكتابة ليست تكليماً وإنما هي كتابة وحيثما وجد في اللوح المحفوظ أو في بيت العزة أو في المصاحف كله كلام الله جل وعلا ينسب إلى الله جل وعلا أو يضاف إلى الله جل وعلا إضافة الصفة إلى موصوف.

سؤال : ما توجيه من قال من أهل العلم بكفر تارك الصلاة تكاسلاً وتهاوناً لحديث فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، وحديث صاحب البطاقة؟

الجواب : الأحاديث التي فيها الاكتفاء بالتوحيد أو بكلمة التوحيد في النجاة ودخول الجنة هي كغيرها من الأحاديث المقصود مع اجتماع الشروط الأخرى مثل مثلاً الصلاة لا صلاة إلا بطهارة لا صلاة إلا بوضوء معنى ذلك أنه إذا أتى بالوضوء فصلى فإن صلاته صحيحة لكن هل معنى ذلك أنه يتوضأ ويصلي دون بقية الشرائط لا، فالوضوء هو أعظم شروط الصلاة فلذلك نص عليه،أما كذلك قوله ﷺ ((الحج عرفة)) ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)) يعني أن هذه أعظم الأركان التي تكون بها صحة العبادة وهذا هو قول أهل السنة في هذه الأحاديث وسواء حديث من قال لا إله إلا الله دخل الجنة أو من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة أو حديث البطاقة أو نحو ذلك، يعني مع اجتماع غيرها لكن حديث البطاقة فيه تفصيل آخر ذكرناه في شرح كتاب التوحيد.

سؤال : يقول عندي سؤال مهم جداً والسؤال هو لقد كثر الكلام في التعزية لأهل الميت والجلوس لتقبل العزاء وقد سألت أحد كبار العلماء في هذا البلد الطيب وقال: لا بأس أن يحدد يوم ويجلس للتعزية ودليله في ذلك أنه لما جاء خبر جعفر -رضي الله عنه- ظهر في وجه رسول الله الحزن وجلس وتقبل العزاء مع الصحابة ولكن بدون صنع الطعام، ولكن لا بأس بالشاي والقهوة وقد عارض هذا الكلام أحد طلبة العلم وقال لا يجوز الجلوس للعزاء وهذا من البدعة والنياحة ودليله الحديث الذي في البخاري كنا نعد الجلوس بعد الدفن وضع الطعام من النياحة فنرجو من فضيلتكم البيان والتفصيل في

هذا الموضوع؛ لأنه حصل مشاكل وخصومات بين طلبة العلم والعامة في ذلك؟

الجواب : النياحة على الميت من خصال الجاهلية وقد صح عنه ﷺ أنه قال : (ثنتان في الناس هما بهما كفر الطعن في الأنساب والنياحة على الميت) والنياحة على الميت من خصال أهل الجاهلية لكن المهم ما هي صورة النياحة صورة النياحة الذي عليه تفسير السلف لها أعني الصحابة أن النياحة تجمع لها صور لكن من صورها في الاجتماع على العزاء أنها ما جمعت شيئين :

الأول: أن يكون هناك اجتماع للعزاء عند أهل الميت وجلوس طويل عندهم .

الثاني : أن يكون هناك صنع للطعام من أهل الميت لإكرام هؤلاء والتباهي بكثرة من يمكث إظهاراً للمصيبة بهذا الميت وهذا هو الذي الذي قاله أيوب –رضي الله عنه– ورحمه قال كنا نعد الجلوس إلى أهل الميت وضعهم الطعام من النياحة، فالنياحة هي ما جمعت الأمرين معاً. الجلوس وضع الطعام أما الجلوس للتعزية فقط فهذا لا أعلم أن أحداً من السلف قال أنه من النياحة وحده، أو أنه نهى عنه بل جاء في الصحيحة البخاري –رحمه الله– أن عائشة –رضي الله عنها– كان إذا مات لها ميت اجتمع النساء عندها فإذا أتى وقت الطعام أمرت بالبرمة فأُصلحت فشربوا منها أو أكلوا منها يعني العدد القليل أقارب عائشة –رضي الله عنها– وهذا يدل على أن الاجتماع والجلوس إذا لم يصحبه منكرات أخر فإنه لا بأس به والعلماء من أئمة أهل السنة والحديث حينما نهوا عن الأمرين مجتمعين وقالوا: أن السنة هو عدم الجلوس للعزاء لكن أن يكون الجلوس نياحةً دون صنع الطعام هذا لا ينبغي أن يقال به ولا أن ينسب إلى أحد من الأئمة، من الأئمة أو من الصحابة أو من التابعين

الجلوس أختُلف فيه وحده هل يجوز يشرع أو لا يشرع وحده، أما كونه من النياحة فهذا لا يكون من النياحة إلا إذا اجتمع معه صنع أهل الميت الطعام تفاخراً تكاثراً هؤلاء كل يوم، هذا الميت ما أكثر اللي يحبونه كيف البيت اللي فيه كل يوم ويذبحون وكذا والسُفر قائمة تظاهراً وتفاخراً وهذا هو الذي عند أهل الجاهلية أما الجلوس جلوس أهل الميت للعزاء فهذا اختلف فيها أهل العلم والجمهور على أن السنة أن لا تخص بجلوس لا الثلاثة أيام ولا سبعة أو يوم وهذا باعتبار الزمن السابق يعني باعتبار أزمانهم أو القرى أو الإماكن التي يمكن حصول سنة التعزية إذا لم يجلس المُعزّى ليس لأنه في السابق البلد إذا ما جلس في بيته هو يجلس في السوق أو بيجلس في المسجد يعني البلد قريبة يمكن أن يجده في الضحى يجده في العصر يعني معروف المكان وهو قريب أما إذا كان عدم الجلوس سيترتب عليه فوات سنة التعزية فإن الوسائل لها أحكام المقاصد شرعاً ولذلك الذين لا يجلسون ممن رأيناهم فمن يأخذون بفتوى بعض المشايخ في هذه المسألة الذين لا يجلسون يفوت على الناس أن يعزوهم وأن يواسوهم في مصيبتهم ما يُدرى هو في عمله هو عند صديقه هو في السوق هو راح ما يُعرف أين هو بل بعضهم يتعمد الخروج من البيت حتى لا يجلس وهذا كله مخالف للحق، لأن التعزية مشروعة والوسائل لها أحكام المقاصد فإذا كان الجلوس للتعزية ليس معه منكر وليس معه نياحة وصنع للطعام من أهل الميت فإن هذا من باب الوسائل لها أحكام المقاصد وحديث البخاري الذي ذكرت لك من اجتماع النساء عند عائشة يدل على ذلك والمرأة الأصل فيها ألا تخرج الأصل في المرأة ألا تخرج فيأتي المعزي يُعزي عائشة وحدها فكون النساء اجتمعن عند عائشة يدل على أن الاجتماع دون صنع الطعام للمعزين أنه لا بأس به – هذه مسألة مهمة في هذا الأمر فمن شدد فيها من أهل العلم قوله يخالف الأصول التي ذكرت لك من السنة ومن

القواعد ومن فهم معنى النياحة عند أهل الجاهلية والذي رأيناه من علماء في هذا البلد وفي غيره حتى علماء الدعوة من قبل أنهم كانوا يجلسون؛ لأنه لا تكون المصلحة إلا بذلك فإذا فات ذلك فاتت التعزية سنة التعزية لا يسوغ أن تفوت في الرياض مثلاً في المدن الكبار كيف ستجد من تعزية لن تجده يصيب الناس حرج ستفوت التعزية سنة التعزية ستفوت لأجل أن لا يحصل جلوس، الجلوس في نفسه مختلف فيه ثم من قال: بأن الجلوس لا يشرع يعني التعبد بالجلوس وأن يكون الجلوس سنة يقول أجلس مع أن البلد صغير في البلد مكانين ثلاثة يجلس لأنه يخشى أن يكون جلوسه وسيلة للنياحة .

فإذاً المسألة هذه مهمة وهي راجعة إلى هل الجلوس له صفة النياحة صفة أهل الجاهلية أم لا؟ كيف تكون له صفة أهل الجاهلية إذا كان الجلوس واضح فيه نُوح واضح أن فيه تفاخر واضح أن فيه كثرة كما يفعله بعض رؤساء القبائل أو بعض البادية ونحو ذلك ليس جلوس للعزاء وإنما هو جلوس لإظهار الفخر والخيلاء بكثرة من يقدم للتعزية بوفاة هذا الميت، أما الجلوس بمجرده يعني دون نياحة فلا بأس به، فإذاً النياحة التي جاءت في السنة وقالها الصحابة هي ما يجمع أمرين اللي كان عليه أهل الجاهلية يجتمعون يتفاخرون بكثرة الجمع ثم يصنع أهل الميت الطعام كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة اجتمع الناس إليه وصنع الطعام هذا صار نياحة لأنه المقصود منه إظهار النوح والفخر على فقد هذا الرجل يجلس في أي محل، المقصود يعرفون الناس – لكن ما يكون في المقبرة؛ لأن المقبرة ليست مكان للتعزية ليست مكان للجلوس، إذا كان أهل البيت لا بأس ما يكون المعزين يجتمع عشرين ثلاثين خمسين ويصلون، هذا صار تفاخر وكثرة إذا صار أهل البيت العادة ما جرت به العادة فلا بأس وأما الإعلان في الجرائد هذا يسمى نعي ليس نياحة غير النعي، النعي مكروه كراهة شديدة وبعض

العلماء وحرمه، لكن النعي المحرم هو التفاخر يعني ذكر محاسن الميت على وجه التفاخر قبل دفنه أو بعد دفنه لكن من أعلم الناس بموت الميت للصلاة عليه دون ذكر أمجاده أو ذكر فضائله أو نحو ذلك فهذا ليس نعياً عنه ويدل على ذلك ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ نعى إلى الصحابة النجاشي في اليوم الذي مات فيه وقال صلوا على أخيكم أُصحُمه فإنه قد مات فصلى بهم وكبر عليه أربعاً يعني صلاة الغائب فالنعي الصحابي عبّر أنه نهى يعني أخبر بموته تأسفاً فإذا كان النعي وهو الإخبار بالموت تأسفاً لأجل الصلاة عليه فلا بأس إخبار من يصلي عليه، أما التفاخر أو ذكر لأجل الاجتماع للعزاء ونحو ذلك والعزاء في بيت فلان يكون في هذا، هذا يكون من النعي المنهي عنه.

سؤال : ما حكم الصدى المستخدم في المساجد هذه الأيام؟

الجواب : الصدى إذا كان فيه تكرار للحروف فإنه لا يجوز؛ لأنك تسمع في القرآن بزيادة على حروفه تسمع الحرف مرتين تسمع الكلمة مرتين هذا لا يجوز قد يكون من التحريف أو من الزيادة في القرآن عن طريق الجهاز أما إذا كان الصدى لتحسين الصوت دون مبالغة ودون سماع أحرف وكلمات فهذا قد يدخل في عموم قوله ﷺ ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) وكذلك قوله ﷺ ((حسنوا القرآن بأصواتكم)) وكذلك سماعه ﷺ واستماعه لأبي موسى الأشعري وإذنه له وهو يقرأ قال أبوموسى لما أعلمه ﷺ بقراءته لحسن قراءته لو علمت بك يا رسول الله لحبرته لك تحبيراً يعني لحسنته أكثر فإذاً الوسائل هذه الجديدة إذا كانت لا تجعل القرآن مختلف إنما هي وسيلة للتأثير بالقرآن فأصل وضع الميكرفون لسماع القرآن وضع اللاقط هذا في المسجد والإمام، اللاقط نفسه إذا الإمام أساء استخدامه فإنه ينهى عنه وقد يكون بعضهم يأثم للرياء أو يأثم بما هو أكثر من ذلك وهو أنه إذا كان عنده

المقصود هو هذا اللاقط بعضهم ينحرف عن القبلة إلى اللاقط أو يميل جسمه إلى اللاقط ثم إذا أراد أن يركع تحرك حركة ليست من مصلحة الصلاة هذا ينهى عنه فإذاً هذه الوسائل إذا أخذت بقدرها وهو إسماع القرآن دون زيادة فهذا مشروع لا بأس به لعموم الأدلة، أما إذا كان الصدى فيه تكرير كلمات يسمع الواحد القرآن وهو ليس قرآن يسمع النون كذا مرة في بعض الآيات يختلف المعنى في بعض الآيات إذا تكرر الحرف اختلف المعنى تحول فيسمع السامع آخر الآية بخصوصها يسمعها والمعنى مختلف.

سؤال : ما حكم مسح الرأس أكثر من مرة واحدة يعني في الوضوء؟

الجواب : لا يشرع مسح الرأس أكثر من مرة واحدة؛ لأن الذين نقلوا وضوء النبي ﷺ كما في حديث عثمان -رضي الله عنه- وكذلك في حديث غيره نقلوا أنه مسح برأسه فذكروا التثليث في غسل الوجه والتثنية في بعض الروايات في غسل الوجه وذكروا التثليث في غسل اليدين وذكروا التثليث في غير ذلك في غسل الرجلين ولم يذكروا التثليث في غسل في مسح الرأس فدل على أن المشروع في مسح الرأس أنه واحدة لكن روى أبو داود في السنن أن النبي ﷺ في حديث حمران عن عثمان أن النبي ﷺ مسح برأسه ثلاثاً وهذه في سنن أبي داود شاذة لمخالفتها للروايات الكثيرة في ذلك والحافظ بن حجر قال وإن صحت فإنه يحمل على أنه قسم مسح رأسه ثلاثاً يعني ما مسح رأسه ثلاث مرات قال هذه الرواية التي في أبي داود وتحمل على أنه قسم مسح رأسه ثلاث مرات قال هكذا واحدة هكذا واحدة وهو الحنبين لها واحدة مثلاً، فهذا يعتبر واحدة وهي من جهة المسح ثلاث لكن ليست لعموم الرأس جعل مسحه واحدة فقسمه أثلاثاً هذا القول بصحتها لكن ليست بصحيحة.

سؤال : قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ما المقصود بالمعصية هل هي الصغائر أم الكبائر أم الشرك؟

الجواب : المعصية هذه التي توعد الله جل وعلا عليها بدخول النار والخلود فيها والعذاب المهين هي الكفر بالله جل وعلا والشرك الأكبر والردة عن الإسلام والعياذ بالله هذا هو الذي يترتب عليه ذلك والكبائر والصغائر داخلة في عموم المعصية ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ تدخل فيها الكبائر والصغائر لكن قوله: ويتعدى حدوده، هذا يدل على أن هذه المعصية هي المعاصي التي لا يدخلها التكفير وهي الكبائر أن مات مصراً عليها ولم يتب ولم يشأ الله أن يغفر له والكفر والشرك كما ذكرت لك إذاً فالآية فيها الكبائر التي لم يتب منها مثل القتل مثل شرب الخمر ونحو ذلك هذه إذا مات المسلم وهو يفعلها ولم يتب منها فهو تحت المشيئة إن شاء الله جل وعلا عفا عنه وإن شاء عبه وهذا يدخل في العذاب خالداً فيها الخلود في القرآن نوعان: خلود أبدي، وخلود أمدي، الخلود في اللغة واستعمال القرآن على ذلك أن الخلود معناه المكث الطويل إذا مكث طويلاً قيل له خالد لذلك العرب تسمي أولادها خالداً تفاؤلاً بطول المكث بطول العمر سموه خالد يعني أنه سيعمر عمراً طويلاً وليس معنى الخلود أنه خلود ليس معه انقطاع، وإنما هذا يميز بالأبدية لهذا في الآيات ثمَّ آيات فيها أبداً وثمَّ آيات ليس فيها الأبدية فلما جاء في القتل قال: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا** ﴾ أجمع أهل السنة على أن الخلود في هذه الآية ليس أبدياً؛ لأن مرتكب الكبيرة يخرج من النار بتوحيده والآيات التي فيها الخلود الأبدي واضحة كقوله جل وعلا ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَوْلَئِكَ هُمْ**

شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾، الآيات متعددة ما استحضرتها الآن، فإذاً الخلود الخلود نوعان في القرآن شيخ الإسلام ابن تيمية له بحث في هذا لكن لا يُسلم له.

سؤال : هل يجوز السلام على المصلي استدلالاً بسلام الأنصار على النبي ﷺ وهو يصلي فرد عليهم إشارة؟

الجواب : لا، المصلي لا يشرع السلام عليه، السلام يشرع إلا في عشرة أحوال ذكرها العلماء ومنها أن يكون المسلم يصلي فإنه لا يشرع ابتداؤه بالسلام لكن لو سلم أحدٌ على المصلي فهل يرد عليه أو لا يرد إلى الصلاة؟ اختلف العلماء على قولين: القول الأول: أنه لا يرد إلا بعد الصلاة. والثاني:أنه يرد في الصلاة إشارة؛ لأن النبي ﷺ لما أتاه ابن مسعود وسلم عليه قال فرد علي فأشار بيده جعل باطنها إلى الأرض وكفها إلى الأعلى، والذين قالوا لا يرد حملوا فعل النبي ﷺ هذا على إسكات ابن مسعود وعلى أن لا يكرر ذلك فإذاً الابتداء لا يشرع فإذا سلمُ عليه فرد إشارة فلا بأس بتأخير الرد إلى بعد الصلاة فهذا أحسن، لكن لو رد في الصلاة بالإشارة فلا بأس يعني إذا فهم ذلك الرجل أما إذا جاءك واحد لا يفهم إن حركت هذه رد فالمقصود في الرد إفهام المسلم أنه رد عليه ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ إذا كان لا يفهم أن هذه الحركة الإشارة باليد أنها رد فلا يُشرع بالاتفاق.

الشريط الثالث والثلاثين وجه (ب)

سؤال : هل من قواعد الاستدلال الصحيحة الاستدلال بالحكايات والقصص بعد الاستدلال بالكتاب والسنة؟

الجواب : لا، الحكايات والقصص ليست أدلة أبداً وإنما قد يستئنس بها تقوية للإيمان أو دلالة لما دل عليه الكتاب والسنة كشواهد أما أدلة بالاتفاق الأدلة المتفق عليها ثلاثة الكتاب والسنة والإجماع، والقياس عند غير

الظاهرية والأدلة المختلف فيها كثيرة يبحثها الأصوليون أما القصص والحكايات فليست أدلة عند أحدٍ من الأصوليين.

سؤال : هل الفتح الذي ورد عن النبي ﷺ في القُسطنطينية تحقق أم بعد حيث اختلفت الآراء؟

الجواب : فتح القسطنطينية تحقق في نحو سنة يعني بعد الثمانمائة للهجرة تحقق والنبي ﷺ امتدح الجيش الذي يفتح القسطنطينية فقال: ((نعم الجيش ذلك الجيش ونعم الأمير أمير الجيش)) وهذا الحديث حسن على الصحيح وحسنه جماعة منهم الحافظ بن حجر وغيره وضعفه الألباني وجماعة، ولكن الصواب أنه حسن فتحت بعد سنة ثمانمائة يعني مع دولة بني عثمان.

سؤال : لو قال لي شخص أنتم يا أهل السنة متناقضون في تقسيماتكم كيف تقولون أن الله نثبت له صفة العلو بذاته وفي نفس الوقت تقولون أنه ينزل في الثلث الأخير من الليل والنزول من الصفات الفعلية فهل هذا إلا جمع بين النقيضين؟

الجواب : ليس أهل السنة اللي قالوا بهذا اللي قاله النبي ﷺ وهو الذي أثبت العلو لله جل وعلا بذاته وهو الذي أخبر بنزول الرب جل وعلا في آخر كل ليلة إذا كان ثم تناقض فنعيب هذا أن ينسب التناقض للنبي ﷺ وقوله هذا هل هذا إلا جمع بين النقيضين هذه مشكلة كل مؤول وكل محرف هذا السؤال يمثل مشكلةً يعني لو قاله قائل، وهو أن المؤول مشبه ما أوّل إلا لأنه شبه قام في ذهنه أن إثبات الصفة فيه مشابهة ومماثلة لما يعلمه من اتصاف المخلوق بالصفة ثم شبه ثم نفى ما ينفي أحد في مجال الصفات والعقائد إلا أنه شبه قبل وإلا كيف تنفي أنت لا تقل أن الكيفية تعلمها أصلاً أو أن الكيفية لها مماثل فيما ترى أو فيما رأيت كيفية اتصاف الرب جل وعلا بصفاته لا يعلمها

أحد ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ فلا نعلم حقيقة اتصافه بالصفة ولا كيفية اتصافه بالصفة فإذا قال قائل هذا يمتنع أن نقول أنه جل وعلا عالٍ بذاته -ﷻ- وأنه ينزل يقول هذا جمع بين النقيضين فمعناه أن شبه؛ لأنه جمع؛ لأنه عده جمعاً بين النقيضين لماذا؟ لأنه جمع بين النقيضين في حق بعض المخلوقات وليست كل المخلوقات؛ لأنه يمكن أن ينزل المخلوق ويبقى عالياً لكن النزول مع الاستواء على العرش هذا من خصائص الله جلا وعلا لكن المخلوق يمكن أن ينزل وأن يكون عالياً بذاته مثل الملائكة ينزلون وهم في العلو أم الاستواء على العرش مع النزول فهذا خاصٌ بجلال الله جل وعلا فإذاً إثبات الصفات إثبات معنى لا إثبات كيفية من قال هذه تجمع مع هذه هذا فيه تناقض كيف هذا معناه أنه شبه استحضر من الصفة مماثلة اتصاف المخلوق بها ثم نفي هذا مشكلة كل مؤول.

سؤال : أيهما أعظم جرماً وذنباً الحلف بغير الله أو الزنا؟

الجواب : الحلف بغير الله كفر والزنا ليس كفراً معصية سماها الله جل وعلا كفراً هي أعظم من معصية لم يسمها الله جل وعلا كفراً وهذا المقصود به من حيث الجنس يعني جنس الحلف بغير الله وجنس الزنا ولكن لو تطبقه على شخص لا يسوغ التطبيق تقول هذا حلف بغير الله وهذا زنى معناه أن هذا أبشع من هذا لا يطبق في كل نواهي الموازنة هل هذا أعظم وهذا المقصود وبه النوع، أما إذا أتيت إلى الأفراد فهذا يختلف باختلاف الأحوال.

سؤال : هل الذبح أمام أو عند قدوم الضيف شرك حيث أن بعض من ينتسب البعض أهل العلم يقول إذا كان على وجه الإكرام يجوز ذلك؟

الجواب : الذبح إراقة الدم من أعظم القربات لله جل وعلا؛ لأن الذي أجرى الدم في هذا المخلوق هو رب العالمين فالدم هو الحياة جريان الدم هو

الحياة فإراقته إنما تكون تقربًا لمن وهب هذه الحياة ووهب هذه الأنعام التي ينتفع بها الإنسان التقرب بإراقة الدم إذا كان لمخلوق فهو كفر بالاتفاق تقرب بإراقة الدم لمخلوق تقرباً له تعظيماً له هذا كفر بالاتفاق، هذا من جهة العبادة شرك من جهة العبادة فإن سمى غير الله جل وعلا عليه صار مما أهل لغير الله به ورجع إلى الشرك في الربوبية والاستعانة الذي يحصل عند البادية عند بعض البادية أنهم إذا أرادوا أن يكرموا ضيفًا وليس كل ضيف. الضيف الذي يعظمونه سلطان أو أمير أو نحو ذلك. أهـ، فإنهم يذبحون الذبيحة ليسيل الدم أمامه وهو يرى وهذا جرت عادتهم أن هذا على جهة التعظيم للقادم، لا على جهة الإكرام يكرمون أضيافهم بالذبح وراء البيت بالذبح في أي مكان لكن كونه ينحر الإبل والدم يضرب بقوة والضيف يأتي هذا لا يفعلونه إلا للمعظم فيهم، وهذا نوع تقرب لهذا المخلوق بهذا الدم نوع تقرب ما نقول تقرب، ولذلك حكم العلماء على أن هذه الذبيحة ليست مباحة بل هي ميتة لا يجوز أكلها ويجب الإنكار على من فعل ذلك سواءً فعله مع سلطان أو مع أمير أو فعله مع رئيس قبيلة أو فعله مع ضيف معتاد ممن يعظم ليس من هؤلاء فإنه لا يجوز الأكل منها إذا ذبحها أمامه ضابطها أن ينحر الإبل ويضرب الدم وهذا يدخل أمامه وهو يرى لدخوله لكن لا يدخل في ذلك وهو جالس مثلاً في المكان أو في الخيمة أو في البر وجالس ثم دعوه على الأكل وصاروا إذا ذبحوا الذبيحة وهو ينظر إليها لكن الضابط إراقة الدم وسيلانه وهذا يتحرك وهذا يقدم مثلما حصل قريب، نسأل الله جل وعلا العافية والسلامة هذا كله محرم وكبيرة من الكبائر وبعض حالته يكون شركاً في هذا لكن على كل حال هذه الذبيحة محرمة ميتة لا يجوز الأكل منها.

سؤال : ما القول الراجح في الاستثناء في قوله تعالى" ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ وكذلك في أهل النار ؟

الجواب : في الجنة أوضح الاستثناء هذه الآية التي في آخر سورة هود السلف والعلماء في التفسير وفي غيره لهم فيها أقوال كثيرة قال جل وعلا ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ هنا ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ الاختلاف راجع إلى المراد بما هنا (إلا ما شاء ربك) هو إلى ما هنا بمعنى الذي إلا الذين شاء ربك يكونون الملائكة أو يكونون الشهداء أو نحو ذلك، أو المراد هنا ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ أنك راجع إلى الزمان والصحيح وغيره غير معقول لا مقبول أيضاً من جهة النظر أن الاستثناء هنا راجع إلى الزمان؛ لأن الله جل وعلا يقول ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ يعني من مدة دوامها؛ لأن الله جل وعلا حكم على الذين سعدوا ومنَّ عليهم بأنهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض يعني أن أهل الجنة من يدخل الجنة من أهل السعادة يخلد في الجنة ما دامت السماوات يعني مدة السماوات والأرض هل كل من يدخل الجنة يكون خالد فيها مدة دوام السماوات والأرض يعني من أول ما خلق السماوات والأرض فهذا الذي سعد يكون في الجنة من أول ما خلق السماوات والأرض إلى أن يفني الله السماوات طول هذه المدة إنما كل أحد إذا مات دخل الجنة فهو إذاً يخلد في الجنة مدةً من مدة دوام السماوات والأرض مثلاً لنفرض مدة دوام السماوات والأرض لنفرض مثلاً عشرة آلف سنة دخل هذا ممن كتب الله له السعادة مات يوماً ما كان قبل ذلك اليوم في خمسة آلاف سنة لدوام السماوات

والأرض وبعد ذلك اليوم فيه خمسة آلاف سنة فهنا لما سُعد ومات أدخله الله الجنة فيخلد فيها ما دامت السماوات والأرض يعني يخلد فيها عشرة آلاف سنة هذا ظاهر الآية خالدين فيها مادامت السماوات والأرض يعني قال ففي الجنة ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ** ﴾ **يعني هم في الجنة** ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ** ﴾ يعني عشرة آلاف سنة؟ لا! إنما يخلدون فيها المدة التي بعد وفاتهم يعني خمسة آلاف سنة، طيب المدة الماضية التي لم يكونوا فيها في الجنة؛ لأنهم لم يكونوا من الأحياء ولم يموتوا... إلى آخره .

هذه المدة هي المستثناه في قوله: ﴿ **مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ يعني من الزمن الذي لم يكن هؤلاء فيه من الأموات الذين يدخلون الجنة فكل واحد الصحابة مدة دوامهم تختلف عن مدة دوام من دخل الجنة. أمس توفي من توفي أمس من المسلمين وكتب الله جل وعلا له الجنة فهو سُعد وفي الجنة خالدًا فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك هل هنا في مدته هي مدة الصحابي تختلف ذاك له مدة أطول في الدوام ومدة أقصر في عمر السماوات والأرض واليوم يعني اللي مات أمس مدته في الدوام أقل يعني إلى قيام الساعة ومدته فيما مضى أقل، فهذا القول هو الظاهر والراجح وهو الذي رجحه المحققون أما الأقوال الأخر ففيها بُعد.

سؤال : يقول بعض الإخوان الحريصين على الدعوة يسافر في إجازة الصيف لبلاد الكفار من أجل الدعوة وهذا شيء طيب ولكن يأخذ زوجته معه وقد تضطر إلى كشف وجهها وكفيها وتصويرها أيضًا إلى آخره . كما لوحظ في الآونة الأخيرة على بعض الشباب الملتزم الأخذ من اللحية تخصيصاً فما حكم هذا العمل وما هو واللحية وهل يُصلي وراء الإمام الرسمي آمل التكرم بتفصيل مسألة بدعية الأسابيع المتكررة المساجد الشجر... إلى آخره .

الجواب : أما حكم الأخذ من اللحية فحلق اللحية حرام بالإجماع نص ابن حزم على تحريم حلق اللحية بالإجماع، وكذلك غيره. وعلماء المذاهب الأربعة يختلفون في هذه المسألة من حيث تحريم الحلق أصلاً، والذي دلت عليه الأدلة الواضحة في السنة بألفاظ مختلفة بأن إعفاء اللحية مأمور به قال ﷺ: ((خالفوا المجوس واعفوا اللحى وحفوا الشوارب))، وفي رواية أخرى قال: ((أرخوا اللحى)) وفي رواية ثالثة قال: ((وفروا اللحى))، وقال: ((أكرموا اللحى)) وهذا يدل على أن هذه الأمور مأمورٌ بها وأن حلق اللحية حرام، وقد روى ابن سعد أيضًا وغيره أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ من المشركين من المجوس، وكان حالق اللحية وكان موفر الشارب جداً. فانصرف عنه عليه الصلاة والسلام، فلما أقبل عليه قال: من أمرك أن تفعل هذا فأجابه الرجل فقال ﷺ: ((ولكن الله أمرني أن آخذ من هذا يعني شاربه وأعفي هذا يعني اللحية)) إذاً تقرر هذا فما هو حد الإعفاء؟ لغةً وشرعاً الذي يحصل به الإعفاء، وهل معنى الإعفاء أنه لا يجوز أخذ شيء من اللحية؟ للعلماء في ذلك أقوال:

الأمام أحمد وأصحابه يرون أن أو ذهبوا أن الأخذ من اللحية أو إلى أن إعفاء اللحية بتركها على حالها سنة وأن الأخذ منها إذا لم يكن إلى حد الحلق فإنه مكروه. وهذا هو الذي يدون في مذاهبهم، والإمام أحمد كان يأخذ من لحيته كما ذكره إسحاق بن هانيء في مسائله.

والقول الثاني وهو المفتى به عند علمائنا وذلك لظاهر الأدلة أن معنى الإعفاء أن لا يؤخذ منها شيء أصلا بدليل قوله: ((وفروا اللحى، أكرموا اللحى، أرخوا اللحى)) وهذا كلها مأمورٌ بها. لكم ما هو حد الإعفاء هذا؟ الذين قالوا: بأن الأخذ من اللحية ليس مخالفاً للإعفاء، وقالوا هذا الأمر اعفوا أرخوا خالفه الصحابة بالأخذ بما زاد عن القبضة، فدل على أن حد الإعفاء

ليس مطلقاً يعني بأن من أهذ فقد خالف الأمر بالإعفاء، ولهذا ذهب جماعة من العلماء منهم الحنفية ونصره الشيخ ناصر الدين الألباني في هذا الوقت نصراً بالغاً بأن حد اللحية إلى القبضة وما زاد على ذلك فلا يُشرع، وهذا القول فيه ضعفٌ ظاهر؛ لأن من الصحابة من كان كث اللحية جدًا وعظيمها وكانت لحيته تبلغ إلى صدره مثل ما ذكر عن علي -رضي الله عنه- والنبي ﷺ كان كث اللحية جدًا ونحو ذلك مما يدل على أن الحد -حد الإعفاء بما زاد بالقبضة وأنه لا يجوز أن يعفى أكثر من القبضة هذا قول يحتاج إلى أدلة واضحة في ذلك ولو كان أن الزيادة على القبضة لا يجوز كما ذهب إليه الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله لما خص الصحابة الأخذ من اللحية مما زاد عن القبضة بالنسك، ابن عمر كان إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما زاد عن القبضة أخذه -لو كان أنه مطلق أنه ما يعفى أكثر من القبضة فمعناه أنه لا يخص بالنسك؛ لأن تخصيصه بالنسك هذا يدل على معنى آخر وليس على الإطلاق. المقصود من ذلك أن العلماء لهم في ذلك أقوال:

القول الأول: ما ذكرته لك من المفتى به عند علمائنا وهو أن الإعفاء بأنه يتركها على حالها طبعاً، إلا في حالة التشويه وهذه حالات نادرة.

القول الثاني: أن الحلق يحرم وإن تركها حالها مستحب والأخذ منها مكروه ترك فيها الأفضل.

القول الثالث: وهو أن الزيادة على القبضة لا يجوز بل بدعة وهو قول الشيخ ناصر الدين الألباني وهو قول ليس له حظ من الدليل.

سؤال : يقوم بعض أئمة المساجد بوضع سجادة كبيرة في مكاناً يُسمى بالروضة فوق الفرش الأساسي للمسجد يصلي عليها هو ومن خلفه من المأمومين فما حكم هذا العمل؟

الجواب : هذا الأمر راجع إلى ما اعتاد الناس عليه لكن ينبغي التنبه إلى مسألة وهي أن الصلاة على الأرض مباشرة أفضل الصلاة على الأرض على التراب أو على الرمل أو الحصى أفضل وهو الذي كان في زمن النبي ﷺ، النبي ﷺ ربما صلى على حصير مثلما دعته أم انس فأتى لها فصلى على حصير قد أسود من طول ما لبس يعني من طول ما استعمل فلا بأس أن يصلي على ذلك لكنه خلاف الأفضل فإذا تعدت الحوائل بينه وبين الأرض ازدادت الكراهة يجعل له فاصل سجادة ثم سجادة ثانية ثم سجادة ثالثة ثم بعدين يجعل بشته أو يجعل غترته أو نحو ذلك، هذا خلاف الأصل فالمشروع أن يصلي على الأرض ولا بأس أن يصلي على فراش أو حصير أو فرش مثل عندنا أو سجادة لا بأس بذلك لكنه ما يتعدد الناس يتوسعون فيه يحط واحد يحط ثاني يسجد عليه ثم يحط ثاني يسجد عليه ثم يحط والعلماء ذكروا أن الفاصل إذا كان منفصلاً فإنه يكره وإذا متصلاً فإنه يجوز من غير كراهة يعني إذا كان متصل مثلاً يحط غترة بينه وبين التراب يقولون هذا إذا كان متصلاً فلا بأس بعضهم يقول بالكراهة؛ لأن الصحابة كانوا يتقون أو كان منهم من يتقي الحر بطرف ردائه يعني حرارة الأرض، أما المنفصل فهو مكروه يعني الأفضل عدمه ، لكن الناس لا يمكننا نحط رمل، نحط رمل أو نحط تراب أو نحط حصى هذا ما هو ممكن مثلاً متى تطبق هذا؟ إذا رحت البر ورحت في مكان تقول أن بصلي جيبوا السجادة يصلي عليها هذا المكان بمكنك أن تصلي فيه بدون هذا المكان طيب مثلاً وليس فيه حصى يؤذي وليس فيه ما يحصل الخشوع معه في الصلاة ليش تستخدم سجادة مثله مثل خلع النعال، الصلاة في النعال سنة النبي ﷺ صلى في نعليه على أرض أرض غير مفروشة في المسجد فأتاه جبريل فأخبره أن بهما قذرٌ فخلعهما فخلع الصحابةُ نعالهم يأتي الآن واحد يصلي في البر يفسخها ويصلي على

شراب أو هذا خلاف السنة تصلي بالنعال أو بالكنادر ونحو ذلك في المكان الذي يمكن الصلاة فيه بذلك.

سؤال : بعض المؤذنين يضع سجادة ولا يأتي إلا عند الإقامة يحجز المكان بالسجادة؟

الجواب : كيف يعني هو المؤذن الأصل فيه في السنة أنه ليس وراء الإمام إنما يلي الإمام أولوا الأحلام والنهى كما صح عنه ﷺ أنه قال: (ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يولنهم ثم الذين يلونهم)) وكان بلال -رضي الله عنه- يقيم عند باب المسجد ما يقيم بين يدي النبي ﷺ يقيم عند باب المسجد حتى يسمع من في السوق ومن في خارج المسجد، وقال ﷺ ((إذا سمعتم الإقامة فلا تأتوا الصلاة وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا)) بلال كان يقيم وربما دخل النبي ﷺ قبل فراغ بلال من الإقامة، وربما تأخر حتى يسوي الصفوف بعد فراغه من الإقامة بلال كان يقول فيما رواه فيما هو في الترمذي أو في غيره يا رسول الله لا تسبقني أولاً لا تفتتني بآمين؛ لأنه كان يؤذن بره ثم يأتي لذلك السنة أن الإمام لا يكون أن المؤذن ما يكون وراء الإمام ليس مكان المؤذن وراء الإمام مباشرة لكن قال طائفة من العلماء ومنهم فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين وكذلك غيره هذه المسألة يرجعُ فيها إلى العُرف ما دام أن مكان الإقامة هو مكان الأذان لوجود الميكرفون لإيصال الإقامة، وهذا المكان إنما هو وراء الإمام؛ لأن الإمام يصلي الصلاة بذلك يعني بالميكرفون داخل المسجد فإن هذا يعني أن مكانه عرفاً أن يكون وراء الإمام لو كان المؤذن يأتي ويؤذن ثم يذهب وراء الصفوف هذا كان في ذلك نوع انتقاص أو نوع عدم رعاية لحقه؛ لأنه يؤذن هو يقيم في هذا المكان كيف يقيم ويرجع وراء الصفوف فلذلك جعلوا مكاناً له وراء الإمام لا بأس به وتشكوا من مشكلة أخرى وهو أن الإمام يتأخر بعض الأحيان ما يأتي وبعض الأئمة

ربما نابه شيء وأراد أن يقدم المؤذن فالمؤذن في كثير من الحالات ينوب عن الإمام، هذا كونه يكون أيضاً وراء الإمام أدعى للاستخلاف،المقصود أنه لا بأس بذلك رعاية للعرف في هذا.

سؤال : أسمع منك كثيراً قول هذه المسألة مبسوطة في المطولات فما المقصود بالمطولات؟

الجواب : الكتب ثلاثة أقسام في أي فن كتب متون، ومتوسطة، ومطولات، المتون معروفة لديكم اللي تحفظ لها شروح يعتني بها المبتدئون من الطلبة أما المتوسط فهي التي تكون فيه زيادة تفصيل لكن ما فيها استيعاب للمسائل والأدلة والخلاف...إلى آخره ، والمطولات التي يكون فيها كل شيء مثاله مثلاً في الفقه زاد المستقنع هذا متن أكبر منه أصله الذي هو المقنع، المقنع يعتبر متوسط أكبر منه الكافي أيضاً يدخل في المتوسط يعني من مؤلفات ابن قدامة، المطول المغني مثل يأتيك شروح الأحاديث عند مثلاً شرح العمدة هذا مبتدئ، شرح سبل السلام ونيل الأوطار وما شابهها هذا متوسط، المطولة مثل فتح الباري، عمدة القارئ تمهيد الاستذكار ونحو ذلك من كتب أهل العلم، كذلك في العقيدة تمشي حتى تأتي للمطولات من كتب شيخ الإسلام الكبار ولوامع الأنوار ونحو ذلك من الكتب في كل فن فيه مبتدئ ومتوسط ومطول. نكتفي بهذا القدر .

سؤال : بارك الله فيك ، إذا كانت السنة تقود إلى فتنة مثل لو دخل رجل في الحرمين وطاف بالنعلين .

الجواب : في الحرم ما يدخل بالنعلين ، لو دخل بالنعلين لأنكرنا عليه .

السائل : فدخل بالنعلين ، ثم بعض الناس أنكروا عليه ما يعرفون .

الجواب : لو دخل بنعليه أنكرنا عليه ؛ لأنه ما يجوز أن يدخل الحرم بنعليه .

السائل : هذا قال : إنه سنة ، والرسول كان يفعل ذلك ، وبعض العلماء قال لا بأس بذلك .

الجواب : الترتب له شأن آخر ، التراب مطهر ، التراب إذا قابل أسفل النعلين طهرها غير الذي فيها ، إذا كان فيها أذى سحبه ، وغير طبيعته ، وربما فك الأذى من أسفل ...إلى آخره ، أما الآن في المساجد المفروشة يمشي الواحد في الشارع ويدخل التراب إلى المسجد ، الناس يتأذون من ذلك ، كأن يدخل إلى الحرم بنعليه وهو ماشي في شوارع فيها من القذى ، وتوه طالع من مكان الوضوء متوضئ وفها ما الله أعلم به ، ويدخل في هذا يمتنع منه ، النبي عليه الصلاة والسلام صلى على امرأة كانت تقم المسجد ، كانت تخرج من القذى من المسجد ، تشوف ما بين الرمل وتأخذه ، وما بين الحصى وتأخذه القذى ، كانت تقم المسجد تخرج الأذى ، فلما توفيت وكانت امرأة سوداء افتقدها النبي عليه الصلاة والسلام ، يعني افتقد تنظيف المسجد ، فقالوا له يا رسول الله إنها ماتت ، فقال : ((هلا أذنتموني)) يعني اعلمتموني ((دلوني على قبرها)) فصلى عليها عليه الصلاة والسلام ، فمسالة الصلاة بالنعلين سنة ، وترك الصلاة بالنعلين أيضاً سنة ، النبي ﷺ صلى بالنعلين ، وصلى بدون نعلين فإذاً نجعل الصلاة بالنعلين في ما تكون الصلاة بالنعلين فيه موافقة للسنة ، أما الصلاة ف النعلين مطلقاً ، هذا ليس صحيحاً ، وتركه الصلاة في النعلين مطلقاً هذا من جنس فعل اليهود ، يعني تقول : لا أصلي في النعلين ، حتى في التراب يخلعهما ، هذا من جنس فعل اليهود ، والصواب هو التوسط في هذا أن الصلاة في النعلين سنة ، ولكن سنة في مكانها ، أما

الدخول في المساجد ، فالمساجد لها أحكام المقاصد ، المساجد النظيفة أو الحرم والناس ينكرون ذلك فمثل هذا لا يفعل .

السائل : ولكن أحسن الله إليك ، ولو كان من الجهال ؟

الجواب : من هم الجهال ؟

السائل : الذين منعوه من أن يلبس النعل ، فقال لهم : إنك جهال .

الجواب : ما هي الصورة قبل

السائل : رجل دخل في المسجد الحرام بالنعلين فأنكروا عليه فقال لهم : أنتم جهال .

الجواب : صحيح هم جهال بالإطلاق مطلقاً ، وهو أيضاً مخطئ بالفعل مطلقاً ، كل منهم عليه خطأ ، يعني لو فهموه بالحكم أو قالوا له أن العلماء قالوا كذا ، وأذكر أن الشيخ الألباني له كلام جيد في هذه المسألة سمعته قديماً في أحد الشرطة ، وكان كلام طيب ، وذكر أنه لا يجوز لأحد أن يدخل في الفرش في المساجد بالنعال ؛ لأن قواعد الشرعية تمنعه .

سؤال : يا شيخ ، إذا كان لبس النعلين يعارض بعض السنن التي في الصلاة ، كجلسة الاستراحة ، أو التورك في التشهد الأخير ، فهل يُسن لبس النعلين في هذه الحالة ؟

الجواب : تعرف نعلين النبي صلى الله عليه وسلم صفتها ؟

السائل : لا ، والله .

الجواب : تدرس صفتها ، وتعلم أنها تمنع على ما رأيت ؛ لأنها كانت قاسية من طرفها ، نعال سبتية ، موصوفة في كتب الحديث راجعها تكون فيها .....، ولذلك أعضاء السجود تبحث مبحث آخر ، هل يلزم مباشرة أعضاء السجود للأرض ؟ العلماء يقولون : إذا كانت عدم مباشرة أعضاء السجود للأرض بمتصل ، فلا بأس به ، بمتصل يعني بيجعل بينه وبين الأرض

غترته رداءه ، في حر أو فيه أذى أو نحو ذلك بيجعل رداءه لا بأس لأن هذا متصل ، مثله النعلان يصلي بنعليه قد ما تصل أصابع القدمين مثل الآن بعض الكنادر ، كنادر ما تثنى يعني تكون مقدمة ما تكون لينة فما يمكن أن الأصابع أنها تصل إلى الأرض ، فهل نقول : لا ، إنه ما باشر موضع السجود أو موضع صلاته بأصابعه ، لا ، نقول : ما قاله العلماء أن المتصل له حكم العضو ، يعني هذا متصل بالرأس له حكم الرأس ، ما دام متصل بالرجل له حكمه ، في اليد جعلت عليها شيء ، أو جعلت بينك وبينها البشت أو بين الأرض ، أو نحو ذلك ، فلا بأس .

سؤال : أحسن الله إليك يا شيخ ، ما ضابط الرؤى التي يُسأل عنها ، كثير من الناس يتوسعون ويسأل عن مثل التخيلات وحديث النفس .

الجواب : هم الناس يأكلون يتعشون لما يقولون بس ، ثم يأتون في الصبح ويقولون شوفت كذا وكذا ، فالرؤى إما مباشرات فالواحد إذا رآها يحمد الله عليها ، وأما غير ذلك فينفث عن يساره ثلاثة ، ويستعيذ بالله من شرها ثم ينقلب إلى الجهة الأخرى ، هذا الواجب ، كثرة السؤال عن الرؤى تراه ما شاع إلا ، يعني كثرة سؤال الناس عن الرؤى في كل شيء بدون تقسيم ما يصير إلا في أزمن فيها ركود ، السؤال عن الرؤى مشروع ، وقص الرؤى مشروع ، والأدلة فيه كثيرة ، سنة ، والنبي ﷺكان فيما رواه مسلم في الصحيح إذا صلى الصبح مكث في مصلاه ، ثم قال : هل منكم من رأى رؤية الليلة ؟ فمشروع ، ولكن كل شيء يشفونه يجعلوه رؤية ، لو أحد شافه بيأكل ، والثاني شافه بيشرب ، والثاني شافه ما أدري طار ، خاصة الحريم لا يفتح لهم مجال .

سؤال : بعض الناس يسأل عن ما ليس فيها خير ولا شر ؟

الجواب : أقول الرؤى المؤمن لا يسأل عنها ، يعني لا يُشرع أنك تبحث في الأصل كل رؤية تراها تقول : ما تعبيرها ، إذا رأيت رؤية تسرك

تحمد الله جل وعلا ، وإذا رأيت رؤية زعلت منها ، تطبق السنة فيها الثلاث الواردة في الحديث الذي رواه مسلم أنك تتفث عن يسارك ثلاثاً ، تستعيذ بالله من شرها ، وتغير جهتك ، والله جل وعلا يكفيك .

سؤال : أحسن الله إليك ، بعض الناس يقول : استغفر الله عن ما يغضب وجه الله ، مقصودهم أنه يستغفر الله عن ما يغضب الله ، ولكن ألا يكون .....

الجواب : لا ما فيه شيء ؛ لأن الله ـ جل وعلا ـ قال : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وعنى بالوجه الذات ، فما فيها شيء .

سؤال : (إعفاء اللحى) ما حده ؟

الجواب : هي راجعة إلى كلمة إعفاء ما هو حدها في اللغة ؟ كلمة إعفاء ما حده في اللغة ؟ فالقرب من حيث النظر ، وفعل الصحابة أن الإعفاء ما لها حد ، ولكن المأمور به أن لا يكون المرء مشابهاً للذين يحلقونها ، أو يقصونها شديداً ؛ لأن النووي رحمه الله ، ذكر خصال ، اثنا عشرة أو عشر خصال في اللحية مذمومة ، ومنها أشياء يوافق عليها ، وهي أن منها الأخذ منها شديداً ، لأن هذا من فعل جنس المجوس ، ومنها حلقها هذا لا شك أنها من المعاصي ، ولكن ليست كبيرة ، حلق اللحية ليس من الكبائر .

سؤال : بالنسبة لضابط متابعة الإمام ، هل هي السجود ، أو الركوع .....

الجواب : هو الكلام الصحيح ، أنا ما فهمت تماماً ، الإمام ضابط متابعته في التكبير يكون بشيئين : الأول : أن لا تكبر حتى يكبر ، هذا واحد ، ومعنى ذلك أنك لا تتحرك حتى تفرغ هو من تكبيره ؛ لأن أصل التكبير شُرع ذكراً للانتقال ما بين الركن والركن ، يعني الآن القيام ركن ، والركوع

ركن ، فترة الانتقال هذه شُرع لها التكبير ذكراً ، الآن الاعتدال من التكبير إلى السجود شُرع ما بين الاعتدال إلى أن يسجد ، الوقت هذا شُرع له التكبير ، هذا ذكره ، كذلك ما بين السجود إلى ما بين السجدتين ، الانتقال ذكره التكبير واضح ، فإذاً الانتقال هذا ذكره التكبير ، فإذاً السنة فيه شيئان : الأول : أن لا تكبر حتى يكبر مثل ما جاء في الحديث ، حديث الأعرج عن أبي هريرة قال : (فإذا كبر فكبروا ولا تكبروا حتى يكبر) وهذا يشمل تكبيرة الإحرام وكذلك غيرها .

الثانية : أن التكبيرة تكون في الانتقال ، ما تكبر وأنت راكع ، ما تكبر وأنت ساجد ، ما تكبر وأنت جالس بين السجدتين ، يعني إذا استويت خلاص قلت الله أكبر ، إذا استويت قلت الله أكبر ، هذا غير مشروع ، المشروع أن يكون بين الانتقالات .

السائل : هل أنا أتابعه في الأفعال والأقوال ؟

الجواب : أنا قلت كلها ، يعني ما تكبر حتى يكبر ، ولا تركع حتى يركع ، وهذه كلها في الحديث تجمع رواية أبي هريرة ، تجد هذه فيها واضحة ، قال : (فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فانصتوا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا سجد فاسجدوا) ويف الرواية الثانية : (فإذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع ، وإذا سجد فاسجدوا ولا تسجدوا حتى يسجد) إلى آخره

السائل : قوله : فإذا قرأ فانصتوا) هنا فيه استثناء للفاتحة .

الجواب : استثناء من ماذا ؟

السائل : يعني إذا قرأ الإمام ، (إذا قرأ فانصتوا) يعني ما نقرأ الفاتحة .

الجواب : فإنه ينصت وإذا قال غير المغضوب عليهم .....

الشريط الرابع والثلاثين وجه(أ)٢/٨/١٤١٩هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، أما بعد فيقول:

سؤال : إذا كان لفظ الحنفي من ألفاظ الأضداد التي تطلق على الميل والاستقامة فلماذا لا يقال من الأصل أن إبراهيم -عليه السلام- كان مستقيماً على التوحيد ولا يقال مائلاً عن الشرك؟

الجواب : لفظ الحنف في اللغة هو الميل والحنيف يعني المائل والرجل به حنف إذا كان به ميل في ساقيه أو في إحدى ساقيه، والأمور التي قالت فيها العرب نطقت العرب فيها بالأضداد يعني أن تطلق الكلمة وتستعمل في الشيء وفي ضده هذا شائع في لغة العرب وهو في اللغة يعني في اللسان على نوعين منها ما يطلق على الشيء وعلى ضده، وينظر فيه إلى التلازم بمعنى أن الشيء وضده متلازمان إذا وجد أحدهما وجد الآخر، ومن هذا الحنف فيقال: هذا أو إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً، فمن مال عن الشرك فإنه لا يميل عنه إلا إلى التوحيد؛ لأنه ليس ثم إلا توحيد وشرك ﴿**فَفِرُّواْ إِلَى اللَّـهِ** ﴾ إذا فررت من الأكوان أو من الكائنات فإنك تفر منها إلى مكون الكائنات؛ لأنه ليس ثمَّ إلا هذا وهذا، النوع الثاني أن يطلق بلا إرادة التلازم بل من باب التفاؤل تارة ومن باب آخر أو من أبواب أخر تارات أخرى مثل أن يُسمى اللديغ سليم ، اللديغ قد يموت لكن العرب تقول له سليم من باب التفاؤل، فكلمة سليم تطلق على السالم، وتطلق على المريض أطلقت على المريض من باب التفاؤل وهذه لها سعة في فقه اللسان العربي فالعرب تارةً تطلقها من باب التلازم وتارة تطلقها من باب التفاؤل وتارة لا من هذا ولا من هذا، في فقه لهم في هذه الألفاظ إذا كان كذلك فلفظ حنيف الذي جرى عليه

السؤال لا يتصور أن يكون المرء حنيفاً أو حنفياً أو حنيفياً إلا أن يكون موحداً؛ لأنه إذا مال عن الشرك فإنه يميل عنه إلى الحق وهو التوحيد حنيف عن أهل الشرك مائل عن أهل الشرك فإنه لابد أن يميل عنهم إلى أهل التوحيد ولو كان من مال إليه إبراهيم -عليه السلام- وحده، فإنه مع أمة وليس مع واحد وهكذا فإذاً الأصل في هذه أنها من باب التلازم الحنف من باب التلازم ومنها كلمة أيضاً يطلقها أهل نجد وربما بعضكم سمعها، وليسوا أهل نجد جميعاً وإنما هم أهل الدعوة العامة منهم في أول الأمر يقولون نحن أهل العوجة حنا أهل العوجة ينتخون بها ما معنى العوجاء، العوجاء هذا من أسماء كلمة التوحيد من أسماء التوحيد، أهل العوجة يعني أهل التوحيد، أهل ملة إبراهيم أهل الحنيفية؛ لأنها عوجاء عن طريق الشرك إلى طريق أهل التوحيد وهذا هو التفسير الصحيح الذي فيها مثل ما جاء في حديث وصف النبي ﷺ في التوراة.

سؤال : يقول كم يساوي ربع الدينار في نصاب السرقة الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة دراهم في هذه الأيام؟

الجواب : الدينار تقريباً يعني أو أنت احسبها من جهة أخرى نصاب الزكاة الذي جاء في الذهب أن النصاب كم عشرون ديناراً تبلغ من الجنيهات الذهب السعودية التي ضربت في عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- تبلغ إحدى عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنية من العشرين دينار تبلغ إحدى عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنية إذاً الدينار أقل من الجنية صحيح كم يبلغ احسبها من اللي شاطر في الحساب، أربعة أسباع الجنية أليس كذلك؛ لأن إحدى عشر وثلاثة أسباع تطلع ثمانين على إحدى عشر فتطلع أربعة أسباع الجنية إذاً فيكون الدينار أربعة أسباع الجنية السعودي ربع الدينار اقسمها عليها تطلع

لك النتيجة مهم هذا؛ لأن الدينار كفارة في أشياء متعددة طالب العلم يحسن به معرفة ذلك.

سؤال : هل الشرطة تقوم مقام الحاكم أو القاضي في مسألة تحريم الشفاعة في الحدود إذا بلغته أم لا؟

الجواب : الشفاعة في الحدود، أولاً: ما كان دون الحد فإنه يُستحب إقالة أهل الشارة وأهل المكانة في المجتمع أن يقالوا ما دون الحدود ابتداءً وذلك لقوله ﷺ ((أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)) حتى ولو بلغت السلطان فإنه يقيل من كان من ذوي الهيئة، وذوا الهيئة في المجتمع من إذا أخذوا أو عُزروا بما اقترفوا يكون ثمَّ أثر على المجتمع ؛ لأنهم قدوة أو لأنهم أهل ولاية أو لأنهم أهل شارة والناس ينظرون إليهم فالشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكمليها ودرء المفاسد وتقليلها فما كان دون الحد مما فيه تعزير فإنه يُستحب إقالة ذوي الهيئات عثراتهم وأما الحدود فإنه لا يجامل فيها أحد، لكن إذا كان ثمَّ شفاعة في حدٍ من حدود الله جل وعلا فإنه لا بأس به قبل أن يصل إلى السلطان، فإذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع ولعن المشفع إذا بلغت الحدود السلطان يعني الإمام أو من ينيبه في الحكم القاضي الذي ينفذ الأمر ويحكم عليه وما قبل ذلك فإن الشفاعة مطلوبة لم؟ لأن الشفاعة مأذون بها؛ لأن الشفاعة ترجع إلى أصل الستر على المسلم وقبل أن يصل إلى السلطان أو إلى القاضي فهو في مظنة الخفاء الحد في مظنة الخفاء فإذا كان في مظنة الخفاء ولم يطلع عليه الناس فالستر فيه أولى، وهذا الدليل عليه أن النبي ﷺ لما سرقت المخزومية وأُتيَ بها شفع من شفع في ذلك وقال: ((هلا كان قبل أن تأتوني بها وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)) استدل أهل العلم بذلك على أن الشفاعة لا بأس بها إذا كان فيها مصلحة إذا كانت قبل أن تصل المسألة أو الجرم إلى السلطان أو إلى

القاضي الذي يحكم بالأمر، أما الشرط فلا يدخلون في ذلك؛ لأن الشرط إنما هم لحفظ الأمر أو الإمساك على المجرم وليست جهة قضائية ولا جهة تنفيذية قبل حكم الإمام أو حكم نائبه. والله أعلم. اقرأ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المتن :

والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وبسبيل الحق بينهما لأهل القبلة .

الشرح :

قال رحمه الله : (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة) يقرر العلامة الطحاوي –رحمه الله– في هذا وسطية أهل السنة والجماعة في هذا الأمر العظيم وهو الأمن من مكر الله واليأس من روح الله جل جلاله وأن اليأس هذا سبيل الكافرين والأمن من مكر الله سبيل أهل الشهوات الذين لا يرقبون الله جل وعلا ولا يرقبون صفات الرب جل جلاله والدليل على هذا الأصل قول الله جل وعلا في الكافرين في اليأس ﴿ **إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّـهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ في قول يعقوب –عليه السلام– لما قال لبنيه ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّـهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ فنهاهم عن اليأس من روح الله وعلل ذلك بأن هذا من خصال الكافرين وأما الأمن فالأمن من مكر الله جل وعلا جاء النهي عنه في غير ما آية منها قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ **أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّـهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ والأمن من مكر الله كفر واليأس من روح الله كفر أيضاً كما ذكر قال: ينقلان عن

ملة الإسلام؛ لأن الله جل وعلا وصف الكافرين والخاسرين الذين استحقوا العقوبة منه والعذاب بأنهم يأمنون من مكر الله وييأسون من روح الله جل وعلا وأما أهل السنة والجماعة فهم لا يأمنون بل يخافون ذنوبهم ويخافون عقوبة الله جل وعلا ويعلمون أن الله سبحانه خافته ملائكته وهم أقرب الأقربين وهم المقربون إليه جل وعلا المطهرون من دنس الآثام ومن رجس الذنوب ويخافون ربهم كما قال ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ وكما قال: ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ واليأس أيضاً من روح الله هذا صفة أهل القنوط فأهل السنة والجماعة بين هؤلاء وهؤلاء لا يأمنون بل يخافون الله جل وعلا ولا ييأسون بل يرجون وهذه راجعةٌ إلى أنهم يعني أهل الحق وأهل السنة يرجون رحمة الله ويخافون عذابه كما وصف الله جل وعلا أوليائه المقربين بقوله: ﴿ **وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً** ﴾ وهذه من صفات المتقين وكذلك في قوله في سورة الأنبياء: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً** ﴾ فجمع لهم بين الرغب والرهب إذا تبين ذلك فإن الأمن والإياس ردة عن الدين كما قال: ينقلان عن ملة الإسلام بضابط، ومن المهم معرفة هذا الضابط؛ لأنه هو نكتةٌ المسألة وعقدتها وهو أن الأمن يكون كفراً إذا انعدم الخوف واليأس يكون كفراً إذا انعدم الرجاء فمن لم يكن معه خوفٌ من الله جل وعلا أصلاً يعني أصل الخوف عير موجود فقد أمن فهو كافر، ومن لم يكن معه رجاء في الله جل وعلا أصلاً فقد يأس من روح الله فهو كافر، إذاً الأمن والإياس مرتبطان بل معناهما الخوف والرجاء، الأمن لأجل عدم الخوف واليأس لأجل عدم الرجاء فمن كان عنده خوف قليل ويأمن كثيراً فإنه من أهل الذنوب لا من أهل الكفر فإن لم يكن معه خوفٌ أصلاً فإنه كافر بالله جل وعلا كما قال هنا: ينقلان عن ملة الإسلام أما أهل التوحيد

أهل الذنوب من أهل القبلة فإنهم بقدر ما عندهم من الذنوب يكون عندهم أمن من مكر الله جل وعلا فإذاً الأمن من مكر الله يتبعض لا يوجد جميعاً ويذهب جميعاً بل قد يكون في حق المعين أنه يخاف تارة ويأمن تارة، يصحو تارة ويغفل تارة، وكذلك في اليأس من روح الله يغلب على المرء الموحد تارة أنه ييأس إذا نظر إلى ذنبه أو نظر إلى ما يحصل في مجتمعه أو ينظر إلى ما قضى الله جل وعلا في هذه الأرض على أهلها من الشرك مثلاً أو من الذنوب أو من الكبائر أو من القتل أو من الفساد فيأتيه يأس فإن غلب عليه اليأس بحيث انعدم الرجاء لنفسه أو للناس فإنه يكفر بذلك، أما إذا وجد عنده اليأس ووجد عنده رجاء فإنه لا يخرج من الملة، فإذاً هنا ضابط الأمن والإياس الذي ينقل عن الملة هو ما ذكرته لك، وأما الموحد المعين من أهل الإيمان فإنه يجتمع فيه بحسب قوة يقينه يجتمع فيه أنه يعني قد يكون عنده أمن بحسب ذنوبه ومن كمل الإيمان وحقق التوحيد فإنه يخاف ولا يأمن من عذاب الله جل وعلا ولا يأمن من مكر الله، والأمن من مكر الله يعني الأمن من استدراج الله جل وعلا للعباد وقد وصف الله جل وعلا بعض عباده بقوله: ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ﴾ هذا الاستدراج يحدث إلا من وما عذبت أمة إلا وقد أمنت؛ لأن الله جل وعلا يبلوهم بالخيرات ويبلوهم بالسيئات ويبلوهم بالشر والخير فتنة ثم هم لا يتوبون ولا هم يذكرون فإذا وقع منهم الأمن وقعت عليهم العقوبة نسأل الله جل وعلا لنا ولإخواننا العفو والعافية، فهذا ضابط المسألة وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة إذا تبين ذلك فالواجب على كل موحد كل مؤمن أن يعظم في قلبه جانب الخوف من الله جل وعلا فلا يفلح من أمن الله على نفسه طرفة عين، الله جل وعلا يقلب القلوب ويقلب الأبصار وقال في وصف الأولين ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ يرى العبد

أن الخيرات تفتح عليه وهو مقيم على الذنوب وهو مقيم على المعاصي وهو مقيم على الكبائر سواءً كان العبد فرداً أو كان مجتمعاً بنو إسرائيل ادعوا أنهم أحباب الله جل وعلا وأنهم أبناؤه وانه لا يعذبهم ولو حصل لهم تعذيب فإنما تمسهم النار أياماً معدودة والله جل وعلا عاقب بني إسرائيل العقوبة العظيمة ولعنهم حيث قال سبحانه في سورة المائدة ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾ الآيات، فالواجب إذاً على الموحد أن يخاف ذنبه ولا ييأس من روح الله كل أحد يذنب ولكن إذا أذنب استغفر يخاف ذنبه ويخشى أن الله جل وعلا لم يقبل توبته لم يقبل حوبته لم يقبل إنابته يرجو رحمة الله جل وعلا ويخاف ذنوبه فما اجتمع هذان في قلب أحد إلا ونجا وهو رجاء الرحمة وخوف الذنوب وهذا هو سبيل الحق الذي هو بين الأمن والإياس لأهل القبلة أسأل الله –جل وعلا– أن يجعلني وإياكم من الراغبين الراهبين الخاشعين وأن يجنبنا الأمن كما نسأله أن يجنبنا الإياس فإنه سبحانه على كل شيء قدير .

المتن :

والإيمان هو الإقرار باللسان ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه .

الشرح :

قال: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) يريد بذلك أن أهل السنة والجماعة خالفوا الخوارج والمعتزلة الذين يوجبون للعبد النار، والخوارج الذين يكفرون بالذنوب فقال: (أن العبد لا يخرج من الإيمان) بعد أن دخل فيه وصار مؤمناً (إلا بجحود ما أدخله فيه) وهذا لأجل أن أعظم

المسائل التي يتضح فيها الخروج من الإيمان هو الجحد وإلا فهذا الحصر غير مراد للمؤلف –كما سيأتي إن شاء الله تعالى– .

فإذاً هذه الجملة فيها بيان مخالفة المكفرين بالذنوب من الخوارج وأشباههم أو الذين يحكمون على مرتكب الكبيرة بأنه خالدٌ مخلد في النار من الخوارج والمعتزلة ومن شابههم إذا تبين هذا فهذه الجملة المهمة فيها مسائل:

المسألة الأولى: دليل هذه الجملة دليلها الإجماع إجماع أهل السنة والجماعة على أن من دخل في الإيمان بيقين فإنه لا يخرج منه إلا بأمر متيقن مماثل لما يعني في اليقين لما به دخل في الإيمان وهذا الإجماع له أدلته من كتاب الله جل وعلا ومن سنة رسوله ﷺ.

المسألة الثانية: هذا الحصر في كلام المؤلف ليس مراداً في أنه يقول لا يخرج أحدٌ من الإيمان إلا بالجحد فينفي التكفير أو الحكم بالردة بالاستحلال أو بالإعراض أو بالشك أو بغير ذلك مما يحكم على من أتي به من قيام الشروط وانتفاء الموانع بالردة ودليل عدم إرادته للحصر أنه ذكر في المسألة السالفة التي مضت أن المؤلف تبعاً لأهل السنة لا يكفر بذنب –لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله فقال: في المسألة التي مرت علينا قريباً ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، واستحلال الذنب غير الجحد هذا صورة والجحد صورة فدل على أن الطحاوي لا يريد بالجحد الحصر ففيه رد على من حصر الردة أو الكفر بالتكذيب أو بالجحد.

المسألة الثالثة: الجحد من الكلمات التي استعملت في القرآن أو التي جاءت في القرآن ولها دلالتها في لغة العرب، فدلالة الجحد في اللغة الجحد هو الرد والإنكار جحد الشيء يعني رده أو أنكره هذا من جهة اللغة، فيجتمع في اللغة مع التكذيب بالشيء ظاهراً أو مع التكذيب به باطناً، وأما في القرآن فإن الله جل وعلا ذكر الجحد في عدة آيات وبين أن الجحد يجتمع مع

التكذيب ، أن الجحد قد يجتمع مع التكذيب وقد لا يجتمع مع التكذيب قال جل وعلا في سورة الأنعام في وصف المشركين: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَـكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ g وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰ أَتَـٰهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ فدل على أنهم لم يكذبوا وجحدوا ولهذا حقيقة الجحد عند أهل السنة والجماعة مرتبطة بالقول لأجل هذه الآية قال ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ ﴾ يعني باطناً ﴿ **وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ يعني ظاهراً وهذا مرتبط بالقول لأنهم ردوا على النبي ﷺ والخوارج ذهبوا إلى أن الجحد يكونُ بالقول وبالفعل معاً فعندهم أن الجحد يكون بالقول كقول أهل السنة ويكون أيضاً بالفعل فيدل الفعل على جحده وهذا خلاف ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أن الجحد ليس مورده الفعل؛ لأن الفعل محتمل يدخله التأويل ويدخله الخطأ ويدخله أشياء كثيرة وأما القول فإنه يقين وواضح؛ لأنه دخل في الإيمان بالقول ، بقول لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله فلا يخرج منه إلا بجحود ما أدخله فيه والجحد، وما أدخله فيه كان قولاً أعلنه وجحد ما أدخله فيه هو رده وتكذيبه أو إنكاره لما دخل فيه وهذه الكلمة كلمة الجحد من الكلمات التي يحصل فيها خلط وخلل والواجب الرجوع في فهمها إلى دلالة الكتاب والسنة وإلى ما اجمع عليه سلف الأمة.

المسألة الرابعة والأخيرة: أهل السنة والجماعة –رحمهم الله تعالى– في تأصيل قولهم في الإيمان الذي سيأتي في المسألة التي بعدها خالفوا الخوارج والمرجئة وفي إخراجهم الواحد من أهل القبلة من الإيمان أيضاً خالفوا الخوارج والمرجئة لهذا ثم ارتباط ما بين الدخول والخروج من جهة اليقين ولهذا المؤلف الطحاوي ذكر لك تنبيه على هذا بقوله: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه ولم يقل إلا بالجحد أو إلا بالجحود فيكون مطلقاً، بل

قال: إلا بجحود ما أدخله فيه وذلك لأنه إذا ثبت الأمر بيقين لم يزل بالشك بل لا بد في زواله من يقين يماثل الأول، والمكفرات وما يحكم على الواحد فيه من أهل القبلة فيه بالردة هذا اختلف فيه الفقهاء والعلماء لكن يجمع ذلك أنه لا يخص يعني عند أهل السنة لا يخص بالجحد، ولهذا تقول الذين قيدوا التكفير وإخراج العبد من الإيمان بالجحد فقط هؤلاء يعني دون الاستحلال ودون الشك ودون الإعراض ... إلى آخره ، هؤلاء ذهبوا إلى أنه لا يكفر إلا المعاند المكذب ظاهراً كحال الكفار والمشركين وهذا ليس بصحيح؛ لأن الله جل وعلا بين أن كفر من كفر من العرب بعضهم من جهة الإعراض وبعضهم من جهة الشك وبعضهم من جهة الجحد ظاهراً ولاستيقان باطناً وهو العناد، ولهذا نقول أن المرجئة هم الذين قالوا: لا يخرج المرء من الدين إلا بالتكذيب فقط، لابد من التكذيب والتكذيب قد يكون مع الجحد وقد يكون الجحد بلا تكذيب كما نصت عليه الآية ﴿ **فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَـكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّـهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ إذا تبين هذا فأصل قول المرجئة في الإيمان كما سيأتي أن الإيمان أصله الاعتقاد فلذلك جعلوا المُخْرج منه التكذيب ومن أضاف الاعتقاد والقول جعل المُخْرج التكذيب والجحد مثل كلام الطحاوي هنا؛ لأنه يأتي أن الإيمان عنده هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان فيجعل التكذيب مخرجاً ويجعل الجحد مخرجاً لعلاقة التكذيب بالاعتقاد وعلاقة الجحد بالإقرار باللسان، وأما أهل السنة الذين خالفوا المرجئة في هذه المسألة العظيمة فقالوا: إن الركن الثالث من أركان مسمى الإيمان وهو العمل أيضاً يدخل في هذا وهو أنه يخرج من الإيمان بعملٍ يعمله يكون من جهة اليقين مخرجاً للمرء مما أدخله فيه من الإيمان وهذا سيأتي مزيد تفصيل له، إذاً فأهل السنة عندهم المخرجات من الإيمان منها التكذيب وهو أعظمها ثم الجحد ثم الإعراض وهو الذي جاء في قوله جل وعلا ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ**

ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّا أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ومنه الشك الريب يرتاب ما عنده يقين المؤمن هو من لا يرتاب، أما إذا ارتاب لا يدري أمحمد ﷺ رسول أم لا فإن هذا صفة المنافق وهو المُعذب في قبره بقوله حيث يقول: هاه – هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته وهذه جمل يأتي لها مزيد بيان.

المتن :

والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق.

الشرح :

قال الطحاوي في هذا الموضوع : (والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان) يريد بالإيمان، الإيمان الذي أمر الله جل وعلا به الناس والذي يصير به المرء معصوم الدم والمال فعرف الإيمان بأنه إقرار باللسان والتصديق بالجنان وهذا التعريف من جهة مورد الإيمان وهو اللسان والجنان فيتعلق باللسان عبادة الإقرار في الإيمان ويتعلق بالجنان عبادة التصديق في الإيمان وهذا التعريف من جهة المورد هو المشهور عن الطائفة التي يسميها العلماء مرجئة الفقهاء وهم الإمام أبو حنيفة ومن تبعه من أصحابه ومنهم أبو جعفر الطحاوي صاحب هذه العقيدة وهذه الجملة مما وافق فيه المؤلف الطحاوي ما وافق فيه المرجئة وقرر فيها عقيدتهم وطريقة أهل السنة ومذهب أهل الحق خلاف هذا لأدلة كثيرة في هذا الموطن، إذا تبين ذلك من جهة أن الطحاوي في هذا الموطن لم يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة وإنما ذكر معتقد طائفته وهم الحنفية في هذه المسألة وقول المرجئة مرجئة الفقهاء .

الشريط الرابع والثلاثون وجه (ب)

فإنا نقول: لابد من بيان هذا الأصل العظيم وذلك يرتب على مطالب أو مسائل إن الإيمان لفظ مستعملٌ في اللغة قبل ورود الشرع والألفاظ لها في استعمالها قبل ورود الشرع لها حالان: الأول: الحال العرفي. والثاني: الحال الأصلي. والحال العرفي جعلناه الأول لقربه، والحال الثاني الأصلي جعلناه الثاني؛ لأنه بعيد يعني من جهة العموم وهذا هو الذي يسميه طائفة من العلماء يسمونها الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية فإن الألفاظ المستعملة لها حقائق لغوية حقيقة ليست مجاز ولها حقائق عرفية يعني في استعمال أهل العرف لها مثال ذلك: لفظ الدابة فإنه في اللغة الأصلية يعني في لغة العرب في الاستعمال العام دابة كل ما يدب على الأرض سواءٌ كان يدب على بطنه أم يدب على رجلين أم يدب على أربع ودل على هذا قول الله جل وعلا: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ ثم خصت في الاستعمال العرفي بأن الدابة هي ذات الأربع التي تركب في الاستعمال يعني يركبها الناس أو يحرثون عليها أو ... إلى آخره ، فهذه تسمى حقيقة عرفية والمعنى الأول يُسمى حقيقة لغوية .

فإذاً صارت الحقيقة العرفية أخص من الحقيقة اللغوية، اللغة دائماً تكون عامة ثم الناس يقيدون المعنى اللغوي ببعض ما يحتاجون إليه في الاستعمال فتكون الحقيقة العرفية دائماً أضيق من الحقيقة اللغوية، ثم لما أتى الشارع ظهرت ما سماه العلماء الحقائق الشرعية الحقيقة الشرعية، أو ما سماه طائفة ممن ألف في فقه اللغة بالأسباب الإسلامية، الأسباب الإسلامية يعني ألفاظ جعل لها معاني لأجل سبب مجيء الإسلام من الأمثلة على ذلك لفظ السجود في اللغة للخضوع والذل بحركة البدن ثم في العرف أن السجود يكون بالانحناء إما بركوع أو بما نسميه السجود يعني وضع الجبهة على الأرض،

ثم في الشرع السجود هو من وضع جبهته وأنفه على الأرض قال جل وعلا لبني إسرائيل ﴿ **ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً** ﴾ يعني راكعين؛ لأن السجود العرفي يدخل فيه الركوع أما في شريعة الإسلام صارت الحقيقة الشرعية للسجود هي وضع الجبهة على الأرض هذه المقدمة مهمة في تأصيل هذه الحقائق الثلاث على مسألة الإيمان، الإيمان في أصل اللغة، اللغة مرتبطة بالاشتقاق، اللغة لها اشتقاق يجمع الكلام الذي حروفه واحدة، فالإيمان والأمن والأمان هذه كلماتها واحدة أمنٌ وأمانٌ وإيمان فاشتقاقها من حيث الأصل واحد ولهذا الإيمان يرجع إلى الأمن في اللغة والأمان يرجع إلى الأمن وإلى الإيمان فهذه الألفاظ في أصل اللغة اشتقاقها واحد وذلك من الأمن الذي هو المصدر. ما علاقة الإيمان في اللغة بالأمن؟ يعني في دلالة اللغة؛ لأنه من آمن فقد أمن آمن بالشيء أمن على نفسه آمن يعني صدق استسلم أطاع... إلى آخره . فإنه يعتبر مستسلماً يعني يعتبر أمن عدوه، لو آمن بما قاله عدوه صدقه فإنه يكون أمن غائلته، إذ تبين هذا فهذه هذا الأصل اللغوي الذي هو مجيء الاشتقاق من كلمة واحدة يدلك على أن أصل كلمة الإيمان في اللغة من حيث الاشتقاق من الأمن، ثم في الاستعمال العرفي عرف العرب خصت ذلك المعنى إلى أن الإيمان هو التصديق الجازم الذي يكون معه عملٌ يأمن معه تصديق جازم يكون معه عمل يأمن معه. وهذا جاء في القرآن يعني في استعمال المعنى اللغوي للإيمان في مواضع كقوله جل وعلا في قصة يوسف مخبراً عن قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** ﴾ لاحظ الأمن يعني بمصدقٍ لنا التصديق الجازم الذي يتبعه عمل أنك لا تؤاخذنا بما فعلنا ﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً** ﴾ فما أعطاهم الأمن كذلك قال جل وعلا في قصة إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ** ﴾ آمن له لوط يعني صدقه تصديقاً جازماً تبعه عملٌ له بحيث يأمن من العذاب الذي توعد به

إبراهيم قومه كذلك في وصف النبي ﷺ في سورة براءة قال: ﴿ **وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ يؤمن أي: يصدقهم فيما يقولون فيأمنون معه عقوبة النبي ﷺ إذًا فالإيمان في اللغة استعمل ويراد به التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يأمن معه؛ لأنه فيه صلة دائمة ما بين المعنى العرفي الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية، جاء الشرع فأمر الناس بالإيمان أمر الله جل وعلا الناس بالإيمان فهذا الإيمان فيه كما ذكرنا لك أن الحقيقة العرفية تخصيص للحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية أسباب زائدة فيها زيادة عن الحقيقة العرفية، قد تكون تخصيصاً لها، وقد تكون رجوع إلى أصل المعنى اللغوي وتكون أوسع منها، فالإيمان في الشرع جاء بأنه متجه إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.. إلى آخره . أركان الإيمان الستة وهذا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر عرفنا منه أنه لا يكون إلا بعمل. ولا يكون إلا بإقرار ولا يكون إلا بتصديق قال جل وعلا: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنَزلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ** ﴾ بل: ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى...** ﴾ الآية ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ فإذًا وصف الله جل وعلا المطلوب من المؤمن بأن المؤمن مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأيضاً أنه يعمل، وأيضاً أنه يقوله بلسانه، ولهذا جعل الله جل وعلا الصلاة للدلالة على هذا الأصل جعل الصلاة هي الإيمان فقال سبحانه: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾، نحن الآن نبحث من جهة إيش

لغوية من جهة تأصيلية للكلمة لا من جهة التعريف ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ هذا استعمال الكلمة الإيمان ويراد بها الصلاة فهذا –الصلاة هي الإيمان معنى هذا: هذا تخصيص لأنه تصديق فهو ليس تصديقاً فقط– بل الإيمان صار صلاةً . إذاً هذا من جهة الاستعمال اللغوي زاد على العرف ورجع إلى سعة اللغة وهو تخصيص في الواقع للتصديق ببعض ما يشمله التصديق الذي يتبعه عمل –إذا تبين هذا فيظهر لك أن الإيمان في الشرع نُقل عن الإيمان في العرف كما أن الإيمان في العرف نقل عن الإيمان في اللغة فتأصيل الإيمان على أنه في اللغة هو إقرارٌ وتصديق ليس صحيحاً؛ لأن الإيمان في اللغة أعم من ذلك مثل ما ذكرنا لك. الإيمان ما يجلب الأمن من عمل من إقرار، من تصديق، من تصرف، من موالاة كل ما يجلب الأمن فهو إيمان في اللغة قيد ذلك على نحو ما ذكرت لك من الآيات في الشرع جاء تسمية الإقرار إيماناً وجاء تسمية الاعتقاد إيماناً، وجاء تسمية العمل إيمانًا فإذًا من حيث الدلالة اللغوية والدلالة العرفية والدلالة الشرعية تبين لك أن هناك اختلاف في معنى الإيمان. المرجئة مع أهل السنة في هذه المسألة اختلفوا وهذا الاختلاف طويل الذيول كما هو معلوم، لكنهم اتفقوا من حيث الأصول أصول الفقه على أن الكلمة إذا اعتراها هذه الأمور الثلاثة الحقيقة اللغوية والشرعية، والعرفية. اتفق الجميع الحنفية مع الشافعية والمالكية، والحنابلة وغيرهم. اتفقوا على أن تقدم الشرعية لماذا؟ لأن الألفاظ الشرعية تخصيص فلا يقول الحنفية إن الذين قالوا: في الإيمان بهذا التعريف لا يقولون إن السجود إذا أمر به فإنه يصلح بالركوع يعني مثلاً: لو كان قرأ القارئ وهو – القرآن– وهو يمشي ثم مرت آية سجدة فهل يركع ويكتفي بها أم أنه يصير إلى السجود قالوا: هنا السنة السجود ، السجود الشرعي لماذا؟؛ لأن السجود جاء

بهذا اللفظ الشرعي وبينته السنة فإذًا يكون هو المراد لا السجود العرفي. المسألة لها نظائر في الفقه وفي العقيدة وفي اللغة بعامة.

فإذًا نقول: اجتمعوا على أن الحقيقة الشرعية مقدمة وثم هل تقدم اللغوية؟ أو العرفية؟ خلافٌ بينهم –ولهذا نقول: ما دام أن الجميع اتفقوا على تقديم الحقيقة الشرعية فما هي أدلة الحقيقة الشرعية في الإيمان؟ الأدلة على ذلك يطول الكلام عليها ونرجئها مع تفصيلات الكلام والمذاهب في الدرس القادم لكن نكمل المقدمات– أنا أريدك تفهم مسألة الإيمان لأنها مسألة مشكلة وكثير ممن خاض فيها في هذا العصر ما أدرك حقيقة الفرق ما بين قول أهل السنة، وقول المرجئة في هذا الباب.

المسألة الثانية:

الإيمان في اللغة هو التصديق الجازم كما ذكرنا لك الذي يتبعه عمل يأمن معه المؤمن الغائلة أو العقوبة إلى آخره ، وقولنا التصديق الذي معه عمل هذا تحصيل حاصل؛ لأنه إذا كان الشيء يلزم منه العمل فإنه لا يطلق في اللغة على من صدق به مصدقاً حتى يعمل فمن قال: أنا مصدق بهذا الشيء واحد جاء وقال: سيارتك الآن تُسرق قال: جزاك الله خيراً؛ لأن لك فيها فلوس ولك فيها أشياء ترى الآن تُسرق. قال جزاك الله خيراً –وجلس ما تحرك فهل يعتبر في اللغة مصدقاً– إذا كان قد صدق الخبر فإنه لا بد أن يتبعه بعمل يدل على صدقه؛ لأن الناس ما يفرطون بأموالهم ولا يفرطون بما فيه قوام حياتهم. فإذا مكث وقال: أنا مصدق وهو ما ذهب –ما اتبعه عمل فلا يسمى مصدقاً في اللغة ليس في الشرع– لا يسمى مصدقاً في اللغة ودل على هذا الأصل قول الله جل وعلا في قصة إبراهيم الخليل مع ابنه إسماعيل في سورة الصافات قال: ﴿ **قَالَ يبُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا**

أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ –لاحظ العمل –فلما– انتبه لكلمة لما : **﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَن يإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾** الرؤيا رؤيا الأنبياء حق فإذا رآها النبي صدق بها أنها وحي من الله جل وعلا لكن متى صار مصدقاً للرؤيا؟ لما امتثل دلالتها **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَن يإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾** وهذا تصديق لغوي وهذا أيضاً تصديق شرعي.

إذاً فالإيمان في اللغة –في العرف– في الحقيقة العرفية ولو أرجعناه إلى التصديق فإن حقيقة التصديق أن يكون معه عمل فلا يسمى مصدقاً من ليس يعمل أصلاً. فيما صدق به.

المسألة الثالثة:

يمكن أن يضبط ما جاء في القرآن من استعمال الإيمان في الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية يمكن أن يضبط بضابط وهو أنه إذا اقتُرن بالإيمان الأمن أو كانت الدلالة عليه، فإن المراد به سعة المعنى اللغوي وإذا عُدّي الإيمان باللام في القرآن أو في السنة فإن المراد به الإيمان العرفي –يعني اللغوي العرفي– وإذا عُدي الإيمان بالباء فإنه يراد به الإيمان الشرعي وهذه كل واحدة لها طائفة من الأدلة تدل عليها **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ ﴾**. هذا دلالة على عموم المعنى اللغوي المعنى العرفي **﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾** لاحظ التعدية باللام **﴿ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾** يعني النبي ﷺ **﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾** هذا المعنى العرفي **﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾** لاحظ الباء عُدي بالباء للدلالة الشرعية لماذا اختلفت التعدية؟؛ لأن المطلوب اختلف كيف الإيمان اللغوي ما دام أنه تصديق تقول العرب: صدّق لفلان تعديه باللام صدّق لفلان –وتقول

صدَّق بكذا أيضاً فتعديه بالباء، لكن الإيمان الشرعي آمن بكذا لاحظ التعدية مضمنٌ أقر بكذا- أقرَّ تتعدى بالباء في اللغة أليس كذلك؟ أقر بكذا صحيحة -عمل بكذا صحيحة، صدقَّ بكذا صحيحة، ولهذا لما عُدي الإيمان في اللغة بالباء علمنا أنه ضُمنَّ المعنى الأصلي في اللغة وزيادة تصلح للتعدية بالباء فالمعنى اللغوي يتعدى باللام فلماذا عُدي بالباء؟ تفريقاً ما بين الإيمان الشرعي والإيمان اللغوي هو تضمين العمل للإيمان الذي هو زيادة على ما جاء في المعنى العرفي هذا كثير في القرآن وفي اللغة أنه يأتي الفعل ويراد به ويراد منه معنى، ثم تختلف التعدية بالحرف فيضمن الفعل معنى فعل آخر أنا بضرب له مثالاً حاضر عندكم جميعاً إن كان يعني الأمثلة كثيرة لكن لقربة منكم -مثلاً تعلمون قول ابن القيم وابن تيمية وعدد من مشايخنا حفظ الله الجميع ورحم الله الأموات في قوله تعالى: في المسجد الحرام: ﴿ **وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ قالوا: هنا معنى الإرادة إيش -الهم يعني الهم الجازم لماذا؟ قالوا: لأن الإرادة بنفسها تتعدى الإرادة المعروفة تتعدى بنفسها تقول: أردت الذهاب- أردت المجيء -أردت القراءة- ما تقول أدرت بالقراءة -فلما قال: ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ** ﴾ ما قال: ومن يرد فيه إلحادًا -قال ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ** ﴾ علمنا أن كلمة يرد هذه فيها- فعل يناسب التعدية بالباء وهو هم -هم بكذا هم فلان بكذا هذا الذي يناسب ولذلك فسره الأئمة بأن المراد بالإرادة هنا الهم الجازم فيؤاخذ عليه ولو لم يرد ولو لم تتحقق الإرادة من كل وجه، وإنما يصدق عليه الهم إذا هم بالفعل هم به صار داخلاً في الآية- نرجع هنا في اللغة : ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ** ﴾ يعني صدق له أقر له تقول أنا أقررت لك – إيش تقول أقررت إياك لا؟ أقررت بكذا لكن لفلان أقررت بفلان ولا أقررت لفلان. ما قال: أقررت لفلان ما قال: ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ** ﴾ يعني صدق له أقر

لـه إلـى آخره ، لاحظ هذا التصديق والإقرار الذي هو المعنـى اللغوي- لكن جاء المعنـى الشرعي فـي القرآن بزيادة عن التعدية بـاللام إلـى التعدية بالبـاء، قال جل وعلا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ ما قال: آمنوا لله ولرسوله -مع أنه قال في النبي ﷺ: ﴿ **وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ وقال في لوط: ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ** ﴾ قال: ﴿ **آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ** ﴾ ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّـهِ وَمَلآئِكَتِـهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ . فإذًا دلنـا علـى أن هذا المعنى هو المعنـى اللغوي وزيادة عليه ما دخل فيه مما يناسب التعدية بالباء وهو العمل- تقول عملت بكذا يعني آمنت بكذا فعملت بـه. آمنت بـأن الأمر واقع فعملت بـه -يعني عملت بما آمنت فلذلك دخلت زيادة تعدية الباء لقولنا على أن العمل دخل في مسمى الإيمان أصلاً وهذا يأتي لها مزيد تفصيل في الأدلة إن شاء الله تعالى إذا تبين هذا فمن المهم في تأصيل هذه المسألة التي غلـط فيهـا كثيـرون منـذُ نشـأت المرجئـة أن يعـرف أن الإيمـان فـي اللغـة فـي حقيقته تصديقٌ وإقرارا لكن تصديق مع نوع عمل وليس لازماً في حقيقة لكن لا يسمى تصديقاً حتى يكون معه عمل يأمن به لصلته بالمعنى اللغوي العام- أما في الشرع فهو إقرار وتصديق وعمل؛ لأن الشرع جاء بزيادة عن المعنى اللغوي في هذه المسألة العظيمة.

المسألة الرابعة:

تعريـف الطحـاوي لهـذه المسـألة وهـي الإيمـان هـو الإقـرار باللسـان، والتصـديق بالجنـان هـذا فيـه إخـراج العمـل أن يكـون مـورداً للإيمـان وقصـر الإيمان من حيث المورد على الإقرار والتصديق وهذا كما ذكرت لك مذهب مرجئة الفقهاء والمرجئة في هذه المسألة لهم أقوال متعددة أشهرها قولان: قول جمهور المرجئة وهو أن الإيمان هو التصديق ولا يلزم معه إقرار ثم مرجئة الفقهاء الماتريدية وذهب إليه الماتُريدية والأشاعرة وجماعة أن الإيمان إقرارٌ

باللسان وتصديق بالجنان –وسموا مرجئة لأنهم أرجئوا العمل عن مسمى الإيمان– يعني أخروه عن مسمى الإيمان فجعلوا الإيمان متحققاً بلا عمل– استدلوا لمذهبهم بعدة أدلة من أشهرها قول الله جل وعلا في آيات كثيرة: ﴿ **الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ** ﴾ فعطف العمل على الإيمان وهذا من أقوى أدلتهم على هذه المسألة قالوا: فهذا يدل على التغاير ما بين العمل وما بين الإيمان؛ لأنه لو كان عمل الصالحات في الإيمان لما قال ﴿ **الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ** ﴾ –فلما عطف العمل على الإيمان قالوا: دلنا على تأخير العمل وإرجاء العمل عن مسمى الإيمان– والجواب عن ذلك يعني عن هذا الاستدلال بجواب مختصر ونرجئ الجواب المطول –الجواب عن ذلك أن اللغة فيها العطف بالواو ويراد بالعطف بالواو التغاير– والتغاير تارة يكون تغاير ذواتٍ وتارة يكون تغاير صفات –وتارة يكون العطف بالواو لا لأجل التغاير ولكن تغاير ما بين الجزء والكل وما بين العام والخاص– ما معنى هذا؟ معناه أنك تقول مثلاً في اللغة دخل محمدٌ وخالد محمد ذاته غير ذات خالد هذا له حقيقة ذات وهذا له حقيقة، هذا يُسمى تغاير ذوات –تغاير الصفات تقول عندي مهندٌ وصارمٌ وحسام والذي عندك سيف واحد– يعني الذي عند العرب سيفٌ واحد لكن يقول مهندٌ من جهة وصفه أنه صنع في الهند– وصارمٌ من جهة شهرته وأنه يصرم، وحسام من جهة أنه من وقع عليه حسمه وقتله. منه في القرآن قال جل وعلا في تغاير الصفات: ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ** ﴾ الكتاب هو القرآن والقرآن هو الكتاب عطف بالواو هل لتغاير الذوات. الكتاب شيء والقرآن شيء –لا أحد يقول بهذا من المتقدمين لا أحد يقول بهذا فصار التعاطف هنا– العطف تتغاير الصفات ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**﴾ نُظر فيه إلى جهة كونه مكتوباً باقياً ﴿ **وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ** ﴾ يعني أنه يقرأن فينظر فيه إلى التلاوة والقراءة فهذا تغاير صفات.

الثالث: أن يكون العطف بالواو للتغاير ما بين الجزئي والكلي وما بين الكلي والجزئي- فيعطف الخاص على العام ويعطف العام على الخاص. مثاله قول الله جل وعلا في سورة البقرة: ﴿ **مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ -عدو لله وملائكته لا شك الملائكة غير الله جل وعلا- الملائكة مخلوقة والرب جل وعلا مالك الملك وخالق الخلق -**وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ** - الرسل منهم رسل من الملائكة ومنهم رسل من: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ فالرسل هنا أعم من الملائكة؛ لأن منهم الرسل من الملائكة ومنهم الرسل من البشر -.

فإذاً هنا صار عطف- عطف الكلي على الجزئي ثم قال: ﴿ **وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ** ﴾ جبريل وميكال من الرسل أو لا ؟ من الرسل -من الملائكة ؟ نعم فعطفهم هل حقيقة جبريل وميكال غير الملائكة؟ لا ، هذا تغاير صحيح ، ولكن تغاير بين حقيقة الجزء والكل -والجزء- وليس تغاير ذوات ولا تغاير صفات ولا تغاير حقيقة، ومن هذا عطف الخاص على العام لأجل التغاير ما بين الجزء والكل في قوله: ﴿ **الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ** ﴾ ﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ** ﴾ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً** ﴾ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً** ﴾ ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ...** ﴾ الآيات كثرة -آمنوا وعملوا الصالحات عطف العمل على الإيمان لأجل هذا وإلا فهو داخل في حقيقته هنا لماذا يخص الخاص بالذكر بعد العام؟ لأجل التنبيه على شرفه فالعرب تعطف الخاص على العام وتغايير في هذا لأجل التنبيه على شرف ما ذكر لأنك بتقول مثلاً جاءني -مثلاً جاءني المشايخ- تقول جاءني المشايخ وسماحة الشيخ عبدالعزيز- هذا هو ما هو من المشايخ -لكن هنا للتنبيه على شرفه والمقصود جاءك المشايخ جميعاً، وجاءك

المقصود أو المقدم فيهم والأكبر إلى آخره – تنبيهاً على شرفه ومنزلته إلى آخره. فإذًا الاستدلال بهذا هذا جوابٌ مختصر ونذكر لكم بقية الأدلة والإجابة عليها فيما يأتي –أنا أردت بهذا التطويل اللغوي تأصيل المسألة لكم؛ لأن مسألة الإيمان خاض فيها كثيرون في هذا العصر كتبوا فيها كتابات سواءً في الإيمان أو في التكفير وهم لم يدركوا حقيقة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، فمنهم من أدخل مذاهب المرجئة في مذهب أهل السنة وقصروا الكفر على التكذيب والإيمان على التصديق إما قولاً أو باللازم، ومنهم من ذهب إلى أن الإيمان قولٌ واعتقاد وأن العمل ليس من الإيمان أصلاً كما هو قول المرجئة والأقوال في هذا متعددة –نسأل الله جل وعلا أن يثبتني وإياكم على طريقة أئمتنا وأن يكف عنا الشر، وأن لا يخذلنا وأن ينور بصائرنا وبصائر أحبابنا إنه جواد كريم– نكتفي بهذا القدر– ونكمل المرة القادمة إن شاء الله –وفقكم الله– وصلى الله على نبينا محمد.

الشريط الخامس والثلاثين وجه (أ) ١٣/١٠/١٤١٩هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد...

فأسأل الله –جل جلاله– أن يجمع لي ولك بين العلم والعمل، وبين الصدق في الاعتقاد والصدق في القول والصدق في الأعمال، اللهم هيأ لنا من أمرنا رشداً، واجعل دعائنا مسموعاً، وقلبنا لك خاشعاً يا أرحم الراحمين. كنا نتكلم في الدرس الأخير قبل رمضان عن مسائل الإيمان، وأذكر أن ذكرنا بعض المسائل التي هي توطئة لشرح كلام الطحاوي –رحمه الله تعالى– نبتدأ بسماع المتن، اقرأ:

المتن :

والإيمان هو الإخبار باللسان والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق ، والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، التفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى وملازمة الأولى، والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن وأكرمهم عند الله أطوعهم، وأتبعهم للقرآن، والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى، ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به.

الشرح :

قال –رحمه الله تعالى–: (الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان)، هذه الجملة من كلامه في تعريف الإيمان المقصود بها التعريف الشرعي للإيمان عند الطحاوي –رحمه الله تعالى– والذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة، أئمة أهل الحديث والسنة أن الإيمان قول وعمل

بعض أهل العلم يعبّر بقوله الإيمان قول وعمل ونية كما قالها الإمام أحمد في موضع: ويعني النية الإخلاص، يعني الإخلاص في القول والعمل، وهذا الأصل وهو أن الإيمان قول وعمل وضح بقول أهل العلم: الإيمان اعتقاد بالقلب –يعني بالجنان– وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان. فشمل الإيمان إذاً فيما دلت عليه الأدلة هذه الأمور الخمسة وهي: أنه اعتقاد وأنه قول وأنه عمل وأنه يزيد وأنه ينقص. وتعريف الطحاوي للإيمان بقوله : (هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان) هذا تعريف بالمقارنة مع ما سبق فيه قصور وهو موافقٌ لما عليه الإمام أبو حنيفة –رحمه الله تعالى– وأصحابه، فإنهم لم يجعلوا العمل من مسمى الإيمان وجعلوا الإيمان تصديق القلب وإقرار اللسان، وجعلوا الأعمال زائدة عن مسمى الإيمان مع كونها لابد منها ولازمة للإيمان. فقول الطحاوي هذا ليس مستقيماً مع معتقد أهل السنة والجماعة، أتباع أهل الحديث والأثر وفيه قصور لأنه أخرج الإيمان أخرج العمل عن تعريف الإيمان وكون العمل من الإيمان له أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، أظن أني قدمت لكم بعضها قبل رمضان. ومنها في هذا المقام قول الله جل وعلا:﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ ويعني بالإيمان الصلاة، فسمى الصلاة إيماناً والصلاة عمل. وقال أيضاً –جل وعلا– ﴿ **الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ** ﴾ وقال: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ دلت الآية على أن الإيمان له حقيقة هي الاعتقاد والإيمان بهذه الأركان الخمسة: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ وإذا كان العمل ناشئاً عن هذه، فإنه لا يتصور الانفكاك ما بين العمل والإيمان ولهذا في آية البقرة ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ جعل العمل هو الإيمان؛ لأنه منه ولأنه ينشأ عنه، فنفهم إذاً أن قوله: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ**

آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ ﴿ **الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ** ﴾ ونحو ذلك، بما فيه عطف العمل على الإيمان كم قدمنا آنفاً أن هذا عطف الخاص بعد العام وعطف الجزء بعد الكل، وهذا كثير في القرآن وفي اللغة كما قدمته لك. ومن السنة قول النبي ﷺ: ((آمركم بالإيمان، لما قال لوفد عبدالقيس لما أتوه في المدينة قال: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟)) ثم فسر بأركان الإيمان ثم قال: وأن تؤدّوا الخمس من المغنم، وهذا أداء الخمس عمل، فجعله تفسيراً للإيمان وكذلك قوله –عليه الصلاة والسلام– ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)) فجعل الإيمان له قول مرتبط بالنطق، وله عمل الذي هو إماطة الأذى عن الطريق، يعني الذي هو نوع العمل، وجعل له عمل القلب وهو الحياء، فبهذا الحديث مثل النبي ﷺ شعب الإيمان بثلاثة أشياء، منها القول ومنها الاعتقاد أو عمل القلب، ومنها عمل الجوارح، ويأتي مزيد بيان لهذا الأصل في المسائل إن شاء الله تعالى. ثم زيادة الإيمان ونقصانه، دل على الزيادة قول الله –جل وعلا–: ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً** ﴾، كذلك قوله: ﴿ **لِيَزْدَادُواْ إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ كذلك قوله: ﴿ **زَادَهُمْ هُدًى وَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾ ونحو ذلك مما فيه الزيادة. وإذا كان فيه الزيادة فإنه لابد أن يكون فيه النقص بمقابل ما ترك مم يسبب الزيادة في الإيمان. ولهذا قال بعض الصحابة لما ذكر زيادة الإيمان وذكر نقصانه، قال: إذا سبّحنا الله وحمدناه وذكرناه فذلك زيادته وإذا غفلنا فذلك نقصانه. فزيادة الإيمان ونقصانه دل عليها قول الله –جل وعلا– والسنة وقول الصحابة رضوان الله عليهم. فمن هذا يتقرر أن قول الطحاوي: (الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان) وهذا يوافق قول مرجئة الفقهاء وهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الإمام المعروف وأصحابه ممن أخرجوا العمل من كونه جزءاً

من الماهية عن كونه ركناً في الإيمان. إذا تقرر هذا فإن في مسألة الإيمان مباحث كثيراً جداً وذلك لكثرة الخلاف في هذه المسألة وطول الكلام عليها وكثرة التصانيف التي صنفها السلف ومن بعدهم في هذه المسألة، لكن يمكن تقريب هذه المسألة لطالب العلم في مسائل:

١. الإيمان يجمع الاعتقاد بالقلب وهو الذي يسميه المرجئة مرجئة الفقهاء أو يسميه العامة التصديق. ٢. قول اللسان.

٣. عمل الجوارح والأركان. ٤. الزيادة

٥. النقصان. هذه خمسة أشياء فيها اختلف المنتسبون إلى القبلة على أقوال.

القول الأول: هو أن الإيمان تصديق فقط. وهذا هو قول جمهور الأشاعرة وهو قول أيضاً أبي منصور الماتريدي والماتريدية بعامة. وهذا مبني منهم على أن القول ينشأ عن التصديق، وعلى أن العلم ينشأ عن التصديق، فنظروا إلى أصله في اللغة –بحسب ظنهم– وإلى ما يترتب عليه فجعلوه التصديق فقط. واستدلوا له بعدة أدلة مما فيه أن الإيمان تصديق كقوله: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ وهذه أمور غيبية والإيمان بها يعني التصديق بها. وغير ذلك من الأدلة التي فيها حصر الإيمان بالغيبيات والإيمان بالغيبيات يفهم على أنه التصديق. وهؤلاء يسمون المرجئة، وهم المشهورون بهذا الاسم، ومن المرجئة طائفة غالية جداً، وهم الذين جعلوا الإيمان ليس التصديق بالقلب ولكن هو المعرفة بالقلب وهو القول المنسوب إلى الجهمية وغلاة الصوفية كابن عربي ونحوه، ممن صنفوا في إيمان فرعون. الفئة الثانية أو الفرقة الثانية: ممن قال إن الإيمان قول باللسان فقط هؤلاء يسمون الكرّاميّة بالتشديد، الكرّاميّة ينسبون إلى محمد بن كرّام، هذا يقول الإيمان هو الإقرار باللسان لما؟ قال لأن الله –

جل وعلا- جعل المنافقين مخاطبين باسم الإيمان، في آيات القرآن. فإذا نودي المؤمنون في القرآن فيدخل في الخطاب أهل النفاق والمنافقون إنما أقرّوا بلسانهم، ولم يصدقوا بقلوبهم، فدخلوا في اسم الإيمان لهذا الأمر.

المذهب الثالث: هو مذهب الخوارج والمعتزلة، بل قبله، المذهب الثالث. هو مذهب مرجئة الفقهاء الذين قالوا إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان. وهو قول أبي حنيفة وأصحابه: إقرار باللسان وتصديق بالجنان، ويجعلون أن الناس في التصديق كما سيأتي، وفي أعمال القلوب أنهم واحد، فأعمال القلوب التي أصلها التصديق، عندهم شيء واحد، والعمل ليس من الإيمان عندهم يعني من حقيقة الإيمان وإن كان لابد منه في تحقيق الإيمان. بخلاف أهل القولين السابقين -يعني الماتريدية والأشاعرة والكرامية- فإنهم يقولون : إنه لو وافى بلا عمل فإنه ناجٍ، لو لم يعمل قط فإنه ينجو. وأما مرجئة الفقهاء فيقولون لابد له من العمل، فإذا ترك العمل فهو فاسق لكن لا يدخلونه في مسمى الإيمان. وأظن شبهتهم نص أبي حنيفة في هذه المسألة وهو بناه على أن الذين خوطبوا بالإيمان هم المؤمنون والمنافقون. والمنافقون ليس لهم عمل، عملهم باطل وإنما أقرّوا باللسان فقط والمؤمنون مصدقون مقرون، فجمع لهم ما بين -يعني بين الطائفتين- ما بين الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، يعني في الخطاب الظاهر، وأما الأعمال فالحساب عليها آخر. ومن أدلتهم الأصل اللغوي الذي هو حسب ما قالوا: أن الإيمان هو التصديق والإقرار أخذ من زيادة في الشريعة بأنه لابد من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

المذهب الرابع: هو قول الخوارج والمعتزلة وهو أن الإيمان اعتقاد بالجنان أو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، وهذا العمل عندهم بكل مأمور به والانتهاء عن كل منهي عنه فما أمر به وجوباً فيدخل في

مسمى الإيمان بمفرده وما نهي عنه تحريماً فيدخل في مسمى الإيمان بمفرده. يعني أن كل واجب يدخل في مسمى الإيمان على حدة، فيكون جزءاً وركناً في الإيمان، وكل محرم يدخل في الانتهاء عنه يدخل في مسمى الإيمان بمفرده، وبناءًا على ذلك قالوا: فإذا ترك واجباً فإنه يكفر وإذا فعل محرماً من الكبائر فإنه يكفر؛ لأن جزء الإيمان وركن الإيمان ذهب. فعندهم أن هذا العمل جزء واحد إذا فقد بعضه فقد جميعه. وبينهم خلاف –يعني بين الخوارج والمعتزلة– فيمن استحق النار في الآخرة ماذا يسمى في الدنيا؟ على القول المعروف عندهم وهو أنه في الدنيا عند الخوارج يسمى كافر وعند المعتزل هو في منزلة بين المنزلتين لا يقال مؤمن ولا يقال كافر مع اتفاقهم على أنه في النار مخلد فيها لانتفاء الإيمان في حقه.

الخامس: هو قول أهل الحديث والأثر، وقول صحابة رسول الله ﷺ وهو أن الإيمان: اعتقاد ومن الاعتقاد التصديق، وقول باللسان وهو إعلان لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعمل بالأركان، وأنه يزيد وينقص. ويعنون بالعمل جنس العمل يعني أن يكون عنده جنس طاعة وعمل لله –جل وعلا–، فالعمل عندهم الذي هو ركن الإيمان ليس شيئًا واحدًا إذا وجد بعضه وجد جميعه، إذا ذهب بعضه ذهب جميعه، أو إذا وجد بعضه وجد جميعه. بل هذا العمل مركب من أشياء كثيرة لابد من وجود جنس العمل، وهل هذا العمل الصلاة أو هو أي عمل من الأعمال الصالحة بامتثال الواجب طاعةً وترك المحرم طاعةً، هذا ثم خلاف بين علماء الملة في هذه، في المسألة المعروفة بتكفير تارك الصلاة تهاوناً أو كسلاً. الفرق ما بين مذهب أهل السنة والجماعة وما بين مذهب الخوارج والمعتزلة، أن أولائك جعلوا ترك أي عمل واجب أو فعل أي عمل محرم، فإنه ينتفي عنه اسم الإيمان، وأهل السنة قالوا: العمل ركن وجزء من الماهية، لكن هذا العمل أبعاض، ويتفاوت وأجزاء إذا

فات بعضه أو ذهب جزء منه، فإنه لا يذهب كله، فيكون المراد من الاشتراط جنس العمل، يعني أن يوجد منه عمل صالح ظاهرًا بأركانه وجوارحه يدل على أن تصديقه الباطن، وعمل القلب الباطن على أنه استسلم به ظاهرًا، وهذا متصل بمسألة الإيمان والإسلام، فإنه لا يتصور وجود إسلام ظاهر بلا إيمان، كما أنه لا يتصور وجود إيمان باطن بلا نوع الاستسلام لله -جل وعلا- بالانقياد له بنوع طاعةٍ ظاهرة.

المسألة الثانية: الطحاوي هنا ترك العمل يعني ما ذكر العمل في مسمى الإيمان، وكما ذكرت لك أن العمل عند أهل السنة والجماعة داخل في مسمى الإيمان وفي ماهيته وهو ركن من أركانه. والفرق بينهما -يعني بين قول مرجئة الفقهاء وهو الذي قرره الطحاوي وبين قول أهل السنة والجماعة أتباع الحديث والأثر- الفرق بينهما من العلماء من قال: إنه صوري لا حقيقة له -يعني لا يترتب عليه خلاف في الاعتقاد- منهم من قال: هو معنوي وحقيقي، ولبيان ذلك لأن الشارح ابن أبي العز -رحمه الله تعالى- على جلالة قدره وعلو كعبه ومتابعته للسنة ولأهل السنة والحديث، فإنه قرر أن الخلاف لفظي وصوري. وسبب ذلك أن جهة النظر إلى الخلاف منفكة فمنهم من ينظر إلى الخلاف بأثره في التكفير، ومنهم من ينظر إلى الخلاف بأثره في الاعتقاد، فمن نظر إلى الخلاف بأثره في التكفير، قال: الخلاف صوري، الخلاف لفظي لأن الحنفية الذين يقولون هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، هم متفقون مع أهل الحديث والسنة، مع أحمد والشافعي على أن الكفر والردة عن الإيمان، يكون بالقول وبالاعتقاد، وبالعمل، وبالشك. فهم متفقون معهم على أن من قال قولاً يخالف ما به دخل في الإيمان فإنه يكفر، ومن اعتقد اعتقاد يخالف ما به دخل في الإيمان فإنه يكفر، وإذا عمل عملاً ينافي ما به دخل في الإيمان فإنه يكفر، وإذا شك أو ارتاب فإنه يكفر، بل

الحنفية في باب حكم المرتد في كتبهم الفقهية أشد في التكفير من بقية أهل السنة مثل الحنابلة والشافعية ونحوهم ، فهم أشد منهم حتى إنهم كفروا بمسائل لا يكفر بها بقية الأئمة كقول القائل مثلاً سورة صغيرة فإنهم يكفرون بها أو مسيجيد أو نحو ذلك أو إلقاء كتاب فيه آيات فإنهم يكفرون إلى آخر ذلك. فمن نظر مثل ما نظر الشارح ونظر جماعة من العلماء من نظر في المسألة إلى جهة الأحكام وهو حكم الخارج من الإيمان قال الجميع متفقون سواء كان العمل داخل في المسمى أو خارجاً من المسمى فإنه يكفر بأعمال ويكفر بترك أعمال.

فإذاً لا يترتب عليه على هذا النحو دخول في قول المرجئة الذين يقولون بلا عمل ينفع ولا يخرج من الإيمان بأي عمل يعمله ولا يدخلون مع الخوارج في أنهم يكفرون بأي عمل أو بترك أي واجب أو فعل أي محرم. فمن هذه الجهة إذا نظر إليها تُصُوِّر أن الخلاف ليس بحقيقي بل هو لفظي وصوري.

الجهة الثانية التي ينظر إليها وهي أن العمل عمل الجوارح والأركان هو من ما أمر الله –جل وعلا– به في أن يعتقد وجوبه أو يعتقد تحريمه من جهة الإجمال والتفصيل، يعني أن الأعمال التي يعملها العبد، لها جهتان جهة الإقرار بها وجهة الامتثال لها، وإذا كان كذلك فإن العمل بالجوارح والأركان فإنه إذا عَمِل فإما أن نقول إن العمل داخل في التصديق الأول، تصديق بالجنان وإما أن نقول إنه خارج عن التصديق بالجنان، فإذا قلنا إنه داخل في التصديق بالجنان يعني العمل بالجوارح باعتبار أنه إذا أقر به امتثل فإنه يكون التصديق إذًا ليس تصديقاً، وإنا يكون اعتقادًا شاملاً للتصديق وللعزم على الامتثال وهذا ما خرج عن قول وتعريف الحنفية. والجهة الثانية أن العمل يمتثل فعلاً، فإذا كان كذلك كان التنصيص على دخول العمل في مسمى

الإيمان هو مقتضى الإيمان بالآيات وبالأحاديث؛ لأن حقيقة الإيمان فيما تؤمن به من القرآن، في الأوامر والنواهي في الإجمال والتفصيل أنك تؤمن بأن تعمل وتؤمن بأن تنتهي وإلا فلو لم يدخل هذا في حقيقة الإيمان لم يحصل فرق ما بين الذي دخل في الإيمان، بيقين والذي دخل في الإيمان بنفاق. يبين لك ذلك أن جهته، الجهة هذه وهي جهة انفكاك العمل عن الاعتقاد، انفكاك العمل عن التصديق، هذه حقيقة داخلة فيما فرق الله –جل وعلا– به فيما بين الإسلام والإيمان، ومعلوم أن الإيمان إذا قلنا أنه إقرار وتصديق فإنه لابد له من إسلام وهو امتثال الأوامر والاستسلام لله بالطاعات. بهذا نقول إن مسألة الخلاف هل هو لفظي أو هو حقيقي راجعة إلى النظر في العمل، هل العمل داخل امتثالاً فيما أمر الله –جل وعلا– به أم لم يدخل امتثالاً فيما أمر الله –جل وعلا– به. والنبي ﷺ بين أنه يأمر بالإيمان، ((آمركم بالإيمان بالله وحده)) والله –جل وعلا– أمر بالإيمان: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ** ﴾ فالإيمان مأمور به، وتفاصيل الإيمان بالاتفاق بين أهل السنة وبين مرجئة الفقهاء، يدخل شعب الإيمان يدخل فيها الأعمال الصالحة لكنها تدخل في المسمى من جهة كونها مأمور بها، فمن امتثل الأمر على الإجمال والتفصيل فقد حقق الإيمان وإذا لم يمتثل الأمر على الإجمال والتفصيل فإنه بعموم الأوامر لا يدخل في الإيمان. وهذه يكون فيها النظر مشكلاً من جهة هل يتصور أن يوجد أحد يؤمن بالإيمان يؤمن بما أنزل الله – جل وعلا– ولا يفعل خيراً البتة؟ لا يفعل خيرًا قط؟ لا يمتثل واجبًا؟ ولا ينتهي عن محرم؟ مع اتساع الزمن وإمكانه؟ في الحقيقة هذا لا يتصور أن يكون أحد يقول أنا مؤمن ويكون إيمانه صحيحاً ولا يعمل صالحًا مع إمكانه لا يعمل أي جنس من الطاعات خوفاً من الله –جل وعلا– ولا ينتهي عن أي معصية، خوفاً من الله –جل وعلا–، هذا لا يتصور ولهذا حقيقة المسألة ترجع إلى

الإيمان بالأمر، الإيمان بالأمر، الأمر بالإيمان في القرآن وفي السنة كيف يؤمن به، كيف يحققه، يحقق الإيمان بعمل بجنس العمل الذي يمتثل به، فرجع إذاً أن يكون الامتثال داخل في حقيقة الإيمان بأمره وإلا فإنه حينئذ لا يكون فرقاً بين من يعمل ومن لا يعمل. بهذا نقول إن الإيمان الحق بالنص بالدليل –يعني بالكتاب والسنة بالله وبرسوله ﷺ وبكتابه– لابد له من امتثال، وهذا الامتثال لا يتصور أن يكون غير موجود من مؤمن، أن يكون مؤمن يمكن أن يعمل ولا يعمل البتة، وإذا كان كذلك كان إذاً جزءًا من الإيمان، أولاً لدخوله في تركيبه، والثاني أنه لا يتصور في الامتثال يعني للإيمان والإيمان بالأمر، أن يؤمن ولا يعمل البتة.

إذاً فتحصل من هذه الجهة، أن الخلاف ليس صورياً من كل جهة، بل ثم جهة فيه تكون لفظية، وثم جهة فيه تكون معنوية، والجهات المعنوية والخلاف المعنوي كثيرة متنوعة. بهذا قد ترى من كلام بعض الأئمة من يقول إن الخلاف بين المرجئة وبين أهل السنة مرجئة الفقهاء ليس كل المرجئة، أن الخلاف صوري لأنهم يقولون العمل شرط زائد لا يدخل في المسمى، وأهل السنة يقولون لا هو داخل في المسمى، فيقولون إذاً الخلاف صوري، من قال الخلاف صوري فلا يظن أنه يقول به في كل صور الخلاف، وإنما يقول به من جهة النظر إلى التكفير وترتب الأحكام على من لم يعمل، أما من جهة الأمر من جهة الآيات والأحاديث والاعتقاد بها والإيقان بالامتثال فهذا لابد أن يكون الخلاف حينئذ حقيقي.

المسألة الثالثة في الزيادة والنقصان: زيادة الإيمان ونقصانه اختلف فيها العلماء على أقوال:

القول الأول: وهو قول جمهور أهل العلم من أهل السنة ومن المرجئة ومن غيرهم، قول الجمهور من جميع الطوائف: أن الإيمان يزيد وينقص.

القول الثاني: أن الإيمان يزيد ولا ينقص، هذا منسوب إلى بعض أئمة أهل السنة؛ لأن الدليل دل على زيادته وهذا أمر لا يدخله القياس، فلا نقول بنقصانه لعدم ورود الدليل في ذلك.

القول الثالث: من قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو قول طائفة من المرجئة ومن غيرهم، لا ارتباط ما بين الإرجاء والخلاف في الثلاثة أركان الأولى وبين القول بزيادة الإيمان ونقصانه، تارةً تجد من ذهب إلى أحد الأقوال، يقول بزيادته ونقصانه ومن ذهب إليه لا يقول بزيادته ونقصانه – يعني مثلاً الأشاعرة الذين هم المرجئة والماتوريدية منهم من يقول بزيادته ونقصانه ومنهم من لا يقول بذلك، لعدم ترتبها على حقيقة الإيمان هذا أمر زائد أدخلوه في البحث– فإذاً لا أثر في الخلاف مسألة زيادته ونقصانه على كونه مرجئة، فإذا قال أحد الإيمان ما يزيد ولا ينقص لا يدل على كونه مثلاً مرجئة. لكنه يدل على أنه ليس من أهل السنة. إذا قال الإيمان نقول بزيادته ونقصانه لا يدل على أنه من أهل السنة والجماعة بل قد يكون مرجئاً. فلا ارتباط ما بين مسألة الزيادة والنقصان ومسائل التعريف السالفة للإيمان.

المسألة الرابعة: عرف الإيمان بقوله إقرار باللسان وتصديق بالجنان، وقلنا في التعريف اعتقاد بالجنان. والفرق ما بين التصديق والاعتقاد، أن التصديق شيء واحد –بمعنى أنه أمر واحد عبادة واحدة– وأما الاعتقاد فإنه يشمل أشياء كثيرة من أعمال القلوب. بهذا قالت طائفة من السلف في تعريف الإيمان، الإيمان قول وعمل، وهذا دقيق لأنه يشمل قول القلب وقول اللسان. وقول القلب هو تصديقه وإخلاصه لله جل وعلا وقول اللسان هو إعلانه الشهادة. وعمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح. وعمل القلب من محبة الله جل وعلا والتوكل عليه، والخوف منه –جل جلاله– ورجاؤه والإنابة إليه، وخشية الرب –ﷻ– ونحو ذلك من أعمال القلوب. فإذاً ما يتصل بالقلب من

أمور الإيمان ليست شيئاً واحدًا ليس هو التصديق فقط، بل ثم أشياء كثيرة في القلب والتصديق هو أحدها. ولهذا فإن التفاضل الزيادة والنقصان، زيادة ونقصان باعتبار العمل الظاهر، وزيادة ونقصان باعتبار عمل القلب الباطن. فالناس يتفاوتون في الإيمان من جهة زيادته ونقصانه في أعمالهم الظاهرة وهي أمور الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج والاستسلام لله جل وعلا في الأوامر والانقياد ونحو ذلك والانتهاء عن المحرمات، وكذلك أعمال القلوب، وأعمال القلوب نوعان:

أعمال واجبة الفعل وأعمال محرمة العمل أو واجبة الترك. أما واجبة الفعل مثل محبة الله جل وعلا والإنابة إليه والتوكل عليه وخشيته والخوف منه والطمأنينة له ونحو ذلك من أعمال القلوب، وما يجب تركه من أعمال القلوب المحرمات، ومحرمات أعمال القلوب التي هي الكبر والبطر وتزكية النفس وسوء الظن بالله جل وعلا ونحو ذلك، هذه كلها يجب تركها. فإذاً أعمال القلوب مشتملة على تصديق ومشتملة على أمور واجب أن يعملها القلب، وأمور واجب أن ينتهي عنها القلب، وهذه كلها في الحقيقة متصلة، فالتصديق متأثر زيادةً ونقصاناً بأعمال القلوب، فأعمال القلوب تؤثر على تصديقه فأعمال القلوب الواجبة إذا زادت محبته لله جل وعلا زاد تصديقه. إذا زاد إنابته إلى الله وزاد خشوعه وخضوعه بين يدي الله زاد توكله على الله – سبحانه وتعالى– زاد تصديقه وزاد يقينه، وكذلك إذا انتهى عن المحرمات خضع لله جل وعلا لم يكن متكبراً ذليلاً لله جل وعلا غير مترفع على الخلق، محباً لسلامته، سلامة قلبه مبتعداً عن ما يفسد القلب، هذه كلها مؤثرة في تصديقه. فإذاً رجع الأمر في زيادة الإيمان وفي نقصانه إلى زيادة الإيمان في أركانه الثلاثة، ونقصان الإيمان في أركانه الثلاثة. فإذاً زيادة الإيمان نقول يزيد بطاعة الرحمن يعني يزيد التصديق أو الاعتقاد بطاعة الرحمن يزيد

الإقرار باللسان بطاعة الرحمن، يزيد العمل بالأركان أيضًا بطاعة الرحمن، فزيادة الإيمان راجعة للثلاثة جميعاً؛ لأن الزيادة تارة تكون بالعمل الظاهر، زيادة صلاة زيادة صدقة زيادة بر زيادة جهاد في سبيل الله، طلب علم ونحو ذلك، فيرجع هذا إلى التصديق وإلى الإقرار بزيادة. فيكون تصديقه واعتقاده أكثر وأعظم وأمتن وأثبت. وكذلك إقراره وهذا الإنسان يحسه من نفسه فإنه إذا زاد إيمانه زاد لهجه بذكر ربه جل وعلا تهليلاً وتسبيحًا وتحميدًا وتكبيرًا وتمجيدًا. مسائل كثيرة عن نرجئها موضع آخر إن شاء الله .

قال بعدها: (وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق) وهذا يعني به أن المؤمن لا يفرق بين كلام الله جل وعلا ولا بين السنن، فكل ما جاء في الكتاب أو صح عن رسول الله ﷺ في أمور العقيدة والشريعة، هذا يجب التسليم له، وكله حق يجب الإيمان به، وذلك كما قال جل وعلا في وصف اليهود: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ** ﴾ الآية. وكذلك قوله: ﴿ **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾ وكذلك قوله: ﴿ **نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً** ﴾ فالواجب هو الإيمان بجميع ما أنزل الله جل وعلا على رسوله في القرآن وما صح عن رسول الله ﷺ في السنة فالكل حق، صادراً عن مشكاة واحدة، عن الرب –ﷻ– وتقدست أسمائه.

قال الطحاوي بعدها: (والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى). هذه العبارة منه تقرير لكلام أبي حنيفة وأصحابه الذين يسمون مرجئة الفقهاء، بأن الإيمان واحد –يعني أنه في أصل وجوده شيء واحد– إذا دخل في الإيمان دخل بشيء واحد إذا وجد سمي مؤمناً وإذا لم يوجد لم يسمى مؤمناً، وهذا القدر القليل الذي هو الأصل، نظروا إليه بأنه شيء واحد وأن أهله في أصله سواء.

يعني أن أصل الإيمان، يتساوى فيه المؤمنون، فجعلوا إيمان الناس كإيمان النبي –عليه الصلاة والسلام– كإيمان أبي بكر، كإيمان محمد –عليه الصلاة والسلام– بل كإيمان الرسل جميعاً، بل جعلوه كإيمان الملائكة جميعاً، جعلوا أصل الإيمان لما كان واحداً –يعني ما يحصل به الإيمان أول الأمر– جعلوا أهله في أصله سواء، وهذا –كما ذكرت لك– راجع إلى أن التصديق عندهم ما يتصل به من أعمال القلب، أنه شيء واحد وقد نص على ذلك أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر، في أن التصديق واحد وأن التوكل واحد والمحبة واحدة وأن الخشية، خشية القلب واحدة، ونحو ذلك. فجعلوا ما في القلب مما يحصل به الإيمان، جعلوه شيئاً واحداً. والذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة أن أهل الإيمان متفاضلون فيما بينهم، فالله جل وعلا فضل بعض الرسل على بعض، فقال سبحانه: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾ وتفضيل بعضهم على بعض نتيجة لسبب وهو تفاضلهم في الإيمان، فالرسل منهم أولوا العزم وهو أعظم الرسل مقاماً، وأرفع الرسل مكانةً: ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ فالرسل ليسوا في منزلة واحدة عند الله –جلا وعلا–. والتفاضل هنا يكون بالإيمان –بإيمان القلب ويكون بإيمان الجوارح بفعلها–. وهنا جعل الطحاوي التفاضل بالأمور الظاهرة قال : (بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى) ولكن هذا التفاضل هو بعض التفاضل، لكن القلب يكون بين هذا وهذا من التفاضل في أعمال القلوب وفي تصديق القلب ما ليس بمحدود. ولهذا خصّ الله أبا بكر الصديق –رضي الله عنه– خصه بأنه صدق من بين سائر الصحابة فقال جل وعلا : ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ خصّه بالتصديق لأن عنده تصديقاً زائداً عن غيره. كذلك قوله جل وعلا في سورة الليل: ﴿ * **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا**

الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾ فهذا الابتغاء الذي هو أصل الدخول في الدين، الذي هو ابتغاء ما عند الله جل وعلا خص به أبو بكر لأن له في ذلك مزيداً، ليس لغيره. لهذا قال: -عليه الصلاة والسلام-: ((لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر)) وقال أيضاً التابعي الجليل أبي بكر شعبة القارئ المعروف، ما سبقهم أبو بكر بكثرة إيمانٍ بكثرة صدقة ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه. هذا الشيء الذي وقر في القلب الذي هو التصديق، الناس يعرفون أن فلاناً وفلاناً من جهة تصديقهم للخبر يختلفون أي خبر، فيأتيك ثقة فيقول لك هذا حاصل، والناس يأتون هذا مصدق وهذا مصدق، لكن تصديق فلان الأول يختلف عن تصديق الثاني من حيث قوته، من حيث الجزم به -يعني بقوةٍ وثباتٍ ويقين. ولهذا أبو بكر -رضي الله عنه- حصل له من المقامات كما هو معروف في السيرة ما ليس لغيره، هذا التصديق أيضاً فيه أشياء تؤثر فيه من جهة التفاضل -كما سيأتي بيان-. إذاً كلام الطحاوي فيما سمعت جعل التفاضل بأمور خارجة عن تصديق القلب عن اعتقاد القلب، جعلها الخشية الظاهر والتقوى الظاهرة ومخالفة الهوى وملازمة الأولى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي. إذا تبين هذا فنذكر على هذا عدة مسائل ربما ثلاث:

المسألة الأولى: أن قوله (أهله في أصله سواء)، يُرد عليه بأن أصل الإيمان إما أن يكون لغوياً وإما أن يكون شرعياً. فإذا كان المراد الشرعي -يعني الإيمان الشرعي- فإن الإيمان يصدق على ما به يدخل المرء فيه، وأيضاً يكون أصله فيما بعد ذلك من الزيادات، بمعنى أنه يدخل في الإيمان بتصديق وبكلمة، ثم بعد ذلك يكون تصديقه غير تصديقه الأول، وتكون كلمته غير كلمته الأولى. فلهذا أصله -كلمة أصله- فيها إجمال وعدم وضوح، هل

المقصود بالأصل الأصل الشرعي حين دخل؟ أو المقصود حين دخل في الإسلام؟ أو المقصود الأصل الشرعي الذي يتابعه ويمشي معه –يعني يلازم الإنسان دائماً– وأنه أصل واحد لا يزيد دائماً. هذا فيه إجمالاً وأيضاً لا يتفق هذا وذاك. لا يتفق إيمانه أصل الإيمان أول ما دخل، وأصل الإيمان الذي يصاحبه، وكل أحد يعرف من نفسه الفرق بين أصل إيمانه حين أسلم، وأصل إيمانه حين رسخت قدمه وحسن إسلامه. فإذاً كلمة أصله (أهله في أصله) أصل الإيمان ما هو؟ هذه كلمة مجملة غير واضحة مرجعها غير واضح، ولا دليل من الكتاب والسنة على هذه الكلمة يعني التعبير بأصل الإيمان فيه وعدم التفريق فيه ما بين الإيمان اللغوي والشرعي.

المسألة الثانية: أن أصل الإيمان إذا قلنا هو التصديق فإن التصديق يتفاوت، نفس التصديق، التصديق نفسه الذي هو حد الإيمان لأنهم عرفوا الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان. هذا التصديق الذي هو في تعريف الإيمان يتفاوت الناس فيه، وأيضًا يزيد في المعين وينقص. وأسباب زيادة التصديق ونقصان التصديق أمور:

الأول: أن مسائل الشرع مسائل الكتاب والسنة كثيرة، سواء في الأمور الاعتقادية أو في الأمور العملية، وهذه كلها يجب الإيمان بها على الإجمال والتفصيل. فإيمان وتصديق من كان مقتصراً على الإجماليات، من جهال المسلمين، ليس كإيمان وتصديق من صدق بكل ما علمه، فالعالم تصديقه مجمل وتصديقه مفصل بكل ما علمه. وأما الجاهل فتصديقه مجمل وما علمه من الشريعة قليل صدق به. لكنه تصديق ببعض الأمور. فمن صدق بكل الفروع –سواء فروع العقيدة أو فروع الشريعة– من صدق بها جميعاً، فتصديقه أعلى ممن صدق تصديقاً إجمالياً لا تفصيل فيه. فإذاً نفس التصديق من جهة أوامر الشريعة والإيمان بالنصوص مختلف من جهة الإجمال والتفصيل الثاني

الأعمال الظاهرة أيضاً امتثالاً للأوامر واجتناباً للنواهي، تؤثر في التصديق ويؤثر فيها التصديق. ويدل على ذلك قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف، يرفع إليه فيها الناس أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)) كما في الصحيح. وفي مسند الإمام أحمد قال: "إذا زنا العبد ارتفع الإيمان فكان على رأسه كالظُلة، فإذا تركه عاد" فإذاً هو حينما يفعل هذه الكبيرة، كبيرة الزنا أو كبيرة شرب الخمر أو كبيرة السرقة أو ما شابهها، فحين يفعل قال: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) لكن هنا هل زال تصديقه بالكلية ؟ لا لكن التصديق القوي المستحضر بالله جل وعلا وبالدار الآخرة وبالعقاب وبالحساب وبالعذاب وما يكون بعد ذلك، ومن العقوبات في الدنيا هذا التصديق المتجزأ الكثير هذا التصديق غاب عنه حين واقع المحظور، فلذلك قال: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) فإذاً الأعمال الظاهرة إذاً امتثالاً للواجب، وانتهاءً عن المحرم هذه تزيد بالتصديق، قال جل وعلا : ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً** ﴾ وزيادة الإيمان ترجع إلى أركان الإيمان، إذ تخصيص بعض الأركان دون بعض، ليس عليه دليل. وقال أيضاً زيادة التصديق وزيادة العمل وزيادة الإقرار. كذلك قوله جل وعلا : ﴿ **لِيَزْدَادُواْ إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ ليزدادوا إيماناً، إيمانا هنا نكرة تفيد الإطلاق في هذا المقام، يعني إيماناً من جهة العمل وإيماناً من جهة الإقرار وإيمان من جهة التصديق والاعتقاد.

الوجه الثالث: من أن التصديق يزيد أعمال القلوب مختلفة، الإنابة إلى الله جل وعلا محبة الرب سبحانه، والخضوع له والتلذذ بمناجاته والأنس بتلاوة كتابه والتعرض لنفحاته في الأوقات الفاضلة، هذه أمور تزيد من اعتقاد القلب. وكل أحد يعلم من نفسه يعلم أن حاله مع وجود هذه الأمور ومجاهدة

النفس فيها، ليس كحاله بدونها. وإيقانه بالجنة والنار وبالنعيم وبالعذاب وتوكله على الله جل وعلا ويقينه وقوته في الإيمان، تختلف في ما إذا تعاطى هذه العبادات وفي ما إذا تهاون بها. فإذاً إيقانه وتصديقه متصلٌ بعبادات القلوب، وعبادات القلوب تزيد في التصديق والتصديق زيادته يؤثر فيها. فعمل القلب واحد وإذا قلنا عمل القلب نسميه كذا ونسميه كذا فباعتبار التجزيء باعتبار الإيضاح لكن في الحقيقة القلب شيء واحد إذ جاءه المتوكل قوي التصديق. إذا قوي التصديق قويت محبة الله جل وعلا إذا قويت محبة الله جل وعلا قويت الإنابة إليه وامتثال لأوامره والرغبة فيما عنده. فالقلب إذاً تفريق أعماله إنما هو للإيضاح والبيان، وإلا فكل عمل قلبي مؤثر على العمل الآخر صدقاً في الاعتقاد، وإنابة وخضوع وامتثال ظاهر وامتثال باطن، وإقرار وإيقان. ولهذا تجد أن أعظم المؤمنين إيماناً أكثرهم خضوعاً وذلاً لله جل وعلا وعدم ترفع عن الخلق؛ لأن هذا الذي في القلب بعضه يؤثر على بعض، فالصلاة يؤثر على الثواب فيها وعلى حسنها تصديق القلب وخشية القلب وإنابته وخضوعه إلى آخره، وكذلك هي تؤثر في هذه الأعمال. إذاً في التفريق ما بين أعمال القلوب –هذا تصديق وهذا توكل وهذا خشية، وهذا إنابة– بأنه تفريق منطقي صحيح يعني بمعنى يمكن أن ترى هذه بلا هذه، ولا صلة بينهما هذا بحث نظري لا حقيقة له، فالإيمان إيمان القلب وأعمال القلوب مترابطة بعضها آخذ ببعض، فإذا زاد التوكل زاد التصديق، وإذا قوي التصديق واليقين بأسباب الأعمال الظاهرة قوي التوكل قويت الخشية قويت المحبة قوي الرجاء ونحو ذلك. فإذاً من أوجه زيادة التصديق وزيادة أصل الإيمان –إذا صح التعبير موافقة لأولئك– فإنه ينظر فيه إلى تفاوت الأعمال، أعمال القلوب. هذه بعض أسباب تفاوت الناس في تصديق القلب وهناك أوجه أخرى ذكرها أهل العلم في مواطنها وخاصة ابن تيمية في كتاب الإيمان فإنه ذكر سبعة أوجه أو أكثر

في تفاوت الناس في أصل الإيمان أو في التصديق أو في الاعتقاد، وأسباب الزيادة والنقصان بما يتعلق باعتقاد الناس.

المسألة الثالثة: والأخيرة قوله: (التفاضل بينهم بالخشية والتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى) هذا صحيح لكنه وجه تفاضل وليس كل أوجه التفاضل، فالتفاضل قد يكون منّة من الله جل وعلا وتكرّماً أن يمن على أحد بأن يكون أفضل من أحد. والله جل وعلا يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ويكون التفاضل أيضاً بأمور زمانية مثل صحبة النبي ﷺ وهذه زائدة عن الأمور التي ذكرها وهي الخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى. وقد جاء في الحديث ((لمقام أحدهم ساعة مع رسول الله ﷺ خير من عبادة أحدكم ستين سنة)) أو كما جاء عن بعض الصحابة –رضوان الله عليهم– قد قال – عليه الصلاة والسلام– أيضاً في الحديث الذي في الصحيحين: ((لا تسبوا أصحابي –لما نيل من عبدالرحمن بن عوف وهو من السابقين– لا تسبوا أصحابي فوالذي نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) يعني ولا نصف المد. وذلك هذا فضل خاص زماني لأنهم اتصلوا وصحبوا رسول الله ﷺ.

الوجه الثالث: تفاضل يكون بأعمال القلوب، بأعمال القلوب دون الأعمال الظاهرة. وقد تكون الأعمال الظاهرة قليلة لكن أعمال القلوب عظيمة، وأعمال القلوب يؤجر عليها العبد، فالواجبات ويؤجر على الانتهاء، عن المنهيات منهيات أعمال القلوب من الكبر والبطر ورؤية النفس ونحو ذلك، وسوء الظن بالله أو سوء الظن بالخلق يعني بالمسلمين ومنها أعمال يؤجر على فعلها ويأثم على فعلها –يعني يؤجر على فعل بعض الأعمال ويأثم على فعل بعض الأعمال– فإذا كان كذلك، كان فعل القلب ميداناً للتفاضل عمل القلب ميداناً للتفاضل في هذا يروى عن الحسن البصري ـــرحمه الله تعالى–

أنه سئل لماذا سبق الصحابة وفضلوا مع أن عبادة من بعدهم –يعني التابعين– أكثر من عبادتهم؟ فقال الحسن: كانوا يتعبدون –يعني الصحابة– والآخرة في قلوبهم، وهؤلاء يتعبدون والدنيا في قلوبهم. عمل الظاهر واحد، بل ربما يكون أكثر ولهذا صار الابتلاء. بحسن العمل، وحسن العمل فيه الإخلاص وفيه المتابعة، وإذا اتفقا هذا وهذا في المتابعة، فهل يتفقان في عمل القلب وهل يتفقان في الإخلاص وهل يتفقان في حسن العمل الباطن وفي الخشية وفي الإنابة؟ لا يتفقان، هذا وهذا يصلون جنب بعض، وهذا وهذا يختلفون تماماً. هذه بعض المسائل المتعلقة بذلك. فتحصل من هذا أن قوله : (أهله في أصله سواء) ليس صواباً بل هو غلط وليس إيمان الرسل كإيمان عامة أتباعهم، وليس إيمان الناس كإيمان الصحابة، وليس إيمان الصالحين كإيمان الفاسقين، وليس إيمان المقربين كإيمان سائر خلق الله من المكلفين. هذا فيه اختلاف، فهم يختلفون أعظم الاختلاف في الإيمان، بإيمانهم بالله وأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته، وما في قلوبهم من العلم الإجمالي والعلم التفصيلي وما في قلوبهم من الأعمال الصالحة، وكذلك ما عملوه ظاهرًا من الأعمال الصالة وانتهوا عما نهاهم الله جل وعلا عنه، فهم يختلفون في ذلك أعظم الاختلاف. اسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من أهل المقامات العالية في الإيمان وأن يغفر لما ذنوبنا الكثيرة وزللنا وأن يبارك لنا في قليل أعمالنا وأن يصلح لنا نياتنا وذرياتنا وأهلينا أنه سبحانه جواد كريم. وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه .

الشريط السادس والثلاثين وجه (أ) ١٤١٩/١٠/٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد:

سؤال : إصلاح ذات البين أمر مهم ، في حياة طالب العلم، لأنه يحصل بين الأخوة الجفاوة والإعراض والتدابر والشحناء، فما النصيحة؟

الجواب : لا شك أن من سمات أهل السنة والجماعة، أنهم يسعون لإصلاح ذات البين، بين المؤمنين ولقطع وسائل الشيطان في التفريق، فأعظم ما أمر الله جل وعلا به بين العباد أن يجتمعوا ويتآلفوا، وأن يصلحوا ذات بينهم، بل جعل الله جل وعلا ذلك عنوان التقوى في قوله: ﴿ **فَاتَّقُواْ اللَّـهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ** ﴾ وجعل المؤمنين متعاونين فيما بينهم، متوالين فيما بينهم في قوله: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾. وأعظم ما نهى الله جل وعلا عنه فيما بين العباد الفرقة؛ لأن الاجتماع وسيلة التآلف، ولأن الفرقة وسيلتها التباغض والتدابر. وقد صح عنه –عليه الصلاة والسلام– أنه أمر بالاجتماع ونهى عن الفرقة قال: ((والجماعة رحمة، والفرقة عذاب)) وصح عنه –عليه الصلاة والسلام– أنه أمر عباده بالتوادد وعدم التباغض، فقال: ((ولا تباغضوا ولا تدابروا)) الحديث. ولهذا من أعظم أسباب التقوى وآثار التقوى في العبد، أن يكون كلامه حسناً، يؤلِّف الله جل وعلا به بين القلوب وأن يكون فعله حسناً، يؤلف الله جل وعلا به بين القلوب. وأن تكون أقواله وأفعاله ليست وسيلة إلى الفرقة بين المؤمنين وإلى اختلافهم وتدابرهم وتقاطعهم. وهذا من مقتضى الولاية، التي بينهم، ولهذا الواجب على طالب العلم، أن يكون ذا خوف ووجل من ربه جل وعلا ، وأن يكون ساعياً الائتلاف والاجتماع على الحق والهدى. وإذا رأى تقصير أو مخالفة أو سيراً في غير طريق أهل السنة، فإنه يبذل النصح ويبذل الإرشاد، لكن بما لا يسبب نفرة وخلافاً وقطيعة وبغضاء وشحناء؛ لأن حصول البغضاء والشحناء، يؤول في الغالب إلى التقاطع، والتدابر ثم يؤول ذلك إلى الاعتداء، وإلى النيل من العرض ومن ربما النفس، والاعتداء على الأموال أو على الأنفس. ولهذا كانت وصيته –عليه

الصلاة والسلام- في أعظم موطن تحريم العرض، وتحريم النفس في موقفه - عليه الصلاة والسلام- في عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكرة -رضي الله عنه- قال في خطبته -عليه الصلاة والسلام- قال: ((إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا)) فاليوم يوم عرفة يوم محرم والشهر، شهر ذي الحجة من أشهر الله الحرم، التي قال الله جل وعلا فيها: ﴿ **فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ والبلد، بلد مكة حرمها الله جل وعلا يوم خلق السماوات والأرض، وحرمها إبراهيم الخليل - عليه السلام- فصارت محرمة بتحريم الله، وتحريم إبراهيم الخليل، بإعلانٍ لتحريم الله. وهذا التشبيه فيه عظم أن يشبه تحريم المال والدماء والأعراض، بتحريم هذا اليوم، وذاك الشهر، وذاك المكان. بهذا الواجب على المؤمنين، أن يسعوا في وسيلة تحقيق التآلف، وعدم التقاطع والتدابر. وأعظم وسائل تحقيق الائتلاف والاجتماع، وقطع التدابر والتقاطع والاختلاف، أن يتواصوا فيما بينهم بتقوى الله -جل جلاله- وبخشيته، والإنابة إليه، وأن يسعوا في معرفة العلم النافع الذي ورثه رسول الله ﷺ. ولهذا تجد أن أهل العلم وطلبة العلم لو اختلفوا لا يكون بينهم اعتداء، وإذا حصل ثم اعتداء فهو من الجهل. فأهل السنة يعاملون من خالفهم بتقوى الله -جلا وعلا-، ولا يعاملون من خالفهم بمثل ما عاملهم به، فلا يكفرون من كفرهم ، ولا يبدعون من بدعهم، ولا يفسقون من فسقهم، بل يخافون الله جل وعلا في كلامهم وأفعالهم. فالعلم النافع وتقوى الله وملازمة السنة وسيلة الاجتماع. وهو معنى الجماعة، التي قال فيها ﷺ: ((الجماعة رحمة)) وقال فيها ربنا -جل جلاله-: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾. ثم من وسائل تحقيق ذلك، أن يقول العبد أحسن ما يجد، حتى في حال الاختلاف، قال سبحانه: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾ ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ يعني

أحسن ما يجد، لماذا؟ ما العلة؟ قال: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾ بعد ذلك، يأتي الشيطان فيقلب المسألة من نصرة للحق إلى انتصار للنفس أو الفئة إلى آخره.. أو للشخص أو للشيخ فتنقلب المسألة من كونها دينيه إلى كونها عصبية جاهلية أو حزبية ممقوتة. وهذا لا شك أنه من أعظم الأسباب التي وجدناها نافعة بأن العبد يختار أحسن ما يجد. فإذا كان العبد حليماً، متصفاً بصفة الحلم وعدم الغضب، ممتثلاً وصية النبي ﷺ: ((لا تغضب)) متخلقاً بأخلاق الأنبياء في الحلم، والأناة التي يحبها الله جل وعلا ويحبها رسول الله ﷺ، فإن عاقبة أمره إلى خير. بهذا قال بعض المتقدمين أظن قد يكون الأكثم، أو غيره، قد يكون الأكثم وقد يكون غيره، قال له أحد من يخالفونا: إن أسمعتني كلمة، أسمعتك عشر كلمات. قال هذا الحليم: ولكن إن أسمعتني عشر كلمات، فلن أسمعك كلمة؛ لأن هذا حظ الشيطان؛ لأن الاعتداء بالألفاظ والتنابز هذه كلها حظوظ الشيطان. ﴿**بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ** ﴾ التنابز وذم بعض الناس لبعض والطعن، هذا ليست أمراً شرعياً، وإنما هي من حظوظ الشيطان. الأمور الشرعية التي بها يحكم على المخالف هذه ليس منها الاعتداء، بل يحكم على كلامه أو يحكم عليه إن استحق ذلك، فيما دل الدليل عليه، ووضح من منهج أهل السنة والجماعة، فإن العبد لا يتجاوز، بل يقول ولا يتجاوز. لهذا غالب طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يخطئون ولا يضللون؛ لأن غالب من خالف إنما خالف عن جهل، بل قد قال الله جل وعلا : ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ** ﴾ فالذي يعمل السوء بجهالة، كما قال جمع من الصحابة هو الذي يعصي بأقواله أو أعماله، كل من عصى الله فهو جاهل، وكل من أطاع الله فهو عالم. وإذا عصى الله جل وعلا في مقابلة المخالف له، فهو جاهل له، نسبة من الجهل. ولهذا قد يجتمع في المعين من المختلفين علم

بالشرع وجهل بالشرع، جهل في كيف يعامل من اختلف معه، وعلم فيما يعلم. وهذه واضحة في الواقع بينه، لهذا الوصية للجميع أنهم أقامهم الله جل وعلا بصلاة واحدة، وأقامهم الله جل وعلا بالاجتماع على كلمة التوحيد، وأقامهم الله جل وعلا بأن يقوموا بحب الخير وحب الطاعة وحب العلم والإقبال عليه، فنيل بعضهم –يعني القليل منهم من بعض مثل هذا الكلام الذي قد يتردد هذا ليس في المصلحة– وليس من حق المسلم على المسلم، بل الواجب السعي في كل وسيلة، لإصلاح ذات البين وتقوى الله جل وعلا تقتضي بذلك. وأما إذا كانت ثم خصومة خاصة بين اثنين، فواجب عليهما أن يسعيا في الإصلاح، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

وثبت في الصحيح، صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: (إن الله يغفر لكل مؤمن يوم الاثنين، إلا عبداً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول الله –جل وعلا–: أنظروا هذين حتى يصطلحا)) فالهجر والترك، والمقاطعة إذا كانت للدنيا، فهي مذمومة، ويتوقف عليها كثير من الأحكام، وأما إذا كانت للدين، فهي جائزة بشروطها أو مشروعة بشروطها، ولكن ليس منها التقاطع والتدابر والبغضاء، بل هي للإصلاح، وهذا موضوع مهم جدير بكم جميعاً، أن تتأملوه وأن تمتثلوا التقوى في الأقوال وفي الأعمال. المؤمن طيب كلامه، الداعية طالب العلم، يخشى الله –جلا وعلا–، طيب كلامه طيب أفعاله، يقول ما يصلح، ويترك ما يفسد. وهذا هو الذي يصلح الناس، وهو الذي ينفع الله جل وعلا به البلاد والعباد، بل المسلمين جميعاً. زادني الله وإياكم من أسباب ذلك، وجنبنا وسائل الشيطان.

سؤال : قال كيف نرد على من قال: إن أصل الإيمان شيء واحد، يتساوى فيه المؤمنون، ولا فرق بينهم. نرجو التكرم بإعادة شرح هذه الجملة؟

الجواب : بيانها مر معنا، ولعل الأخ يراجع التسجيل؛ لأن بيانها قد يأخذ شيئاً من الوقت والفائدة قد دونت.

سؤال : الخشية من الله –جل جلاله– أمر كلنا نحتاجه، لاسيما وأن النية يخالطها شيء من العجب والكبر في طلب العلم، فكيف يكون ذلك؟

الجواب : أولاً: طالب العلم، يجاهد نفسه على طلب العلم؛ لأن جادة طلب العلم طويلة. ليست قصيرة، ليست سنة ولا سنتين ولا عشر ولا عشرين، يمشي معك إلى أن تموت. فهو يطلب العلم ويجاهد نفسه فيه، وإصلاح النية في طلب العلم يأتي كلما ازداد من العلم ازداد خوفاً من الله جل وعلا ورغبة فيما عنده. فيأتي –تأتي النية الحسنة– لهذا قال جمع من المتقدمين، طلبنا العلم وليس لنا فيه نية. ثم جاءت النية بعد. وقال بعضهم طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. يعني في أصل هذا التنافس والحضور وهذا يحضر وهذا يجمع الحديث وهذا.. ثم بعد ذلك علم من السنة، بل علم من الشرع أنه يجب عليه أن يصلح نفسه، أن يخاف الله جل وعلا فتحقق بقوله: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ فخشية الله جل وعلا هي سبيل أهل العلم، وكلما ازداد المرء علماً، ازداد خشية، وكفى بالاغترار بالله جهلاً. كفى بالاغترار بالله جهلاً، كما أنه كفى بذكر الموت واعظاً وكفى بمعرفة افتقار العبد إلى ربه ذلاً وخضوعاً.

سؤال : هل يتابع المسبوق إمامه في سجود السهو، الذي محله بعد السلام؟ وهل يشرع للإمام التأمين على سورة الفاتحة في الجهرية؟

الجواب : المسبوق إذا كان السجود بعد السلام، هو مخير ما بين متابعته وما بين إكمال الصلاة؛ لأن الصلاة فرغت بالتسليم الأول، وما بعده من السجود هذا خارج الصلاة. وهذا السجود واجب، فإذا كان المسبوق أدرك الإمام في سهوه –يعني كان مصلياً معه في سهوه– لم يكن قبل أن يدركه في

الصلاة، فإنه يجب عليه أن يسجد للسهو. فإن لم يسجد مع الإمام، في موضعه -يعني الأول- فإنه يسجد إذا كان في آخر صلاته، والإمام إذا قرأ ولا الضالين، يشرع له أن يقول آمين، وذلك لما صح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة أنه قال: ((إذا أمّن الإمام فأمّنوا))، وفي الرواية الأخرى قال: ((وإذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا: آمين)). وهذا الاختلاف -يعني إذا قال ولا الضالين فقولوا آمين وإذا أمّن فأمّنوا- محمول على متى يبدأ المأموم في التأمين، هل يبدأ المأموم في التأمين بعد قول الإمام ولا الضالين؟ أو بعد سماعه التأمين؟ لأن مقتضى إذا قال ولا الضالين فقولوا آمين، أن تأمينه يكون بعد قول الإمام ولا الضالين، سواء أمّن أو لم يؤمّن. وقوله: ((إذا أمّن فأمّنوا)) يقتضي أنه إذا أمّن شرع في التأمين فإن المأموم يشرع بعده. جمع العلماء بينهما بأن المأموم إذا كان يعلم أن الإمام يؤمن متصلاً بالفاتحة فإنه ينتظر حتى يبتدأ الإمام في التأمين ثم يؤُمّن معه بعده بقليل، يعني إذا شرع في التأمين يؤمّن المأموم. وأما إذا كان لا يعلم حاله هل يؤمن أو لا يؤمن وهذا هو أغلب حال الناس، فإنهم لا يعلمون الإمام هل يؤُمن أم لا يؤمّن، وأكثر الأئمة بل الغالب أنه ليس لهم طريقة واضحة، تارة يؤمنون تارة لا يؤمنون، فإنهم يبدأون بعد قول الإمام ولا الضالين، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه، جعلني الله وإياكم من أهل هذا الفضل العظيم. ابدأ:

المتن :

والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن .

الشرح :

يقرر الطحاوي معتقد أهل السنة في أن ولاية الرحمن متعلقة بكل مؤمن. فأولياء الرحمن هم المؤمنون، وكل مؤمن له نصيب من ولاية الله –جلا وعلا–، التي وعد بها عباده المؤمنين المتقين. وكذلك يقرر أن التفاضل بينهم –يعني فيما بين المؤمنين– إنما هو باتباعهم للقرآن وتقواهم وكثرة طاعتهم، إنما هو كثرة طاعتهم لله جل وعلا ، فمن كان أكثر طاعة لله جل وعلا وأحسن طاعة، وأتبع للقرآن فإنه أحق بتفضيلٍ في ولاية الرحمن –جل وعلا له. وهذا الأصل الذي قرره الأئمة في عقائدهم بأن كل مؤمن ولي للرحمن جل وعلا ويتفاضلون في الولاية بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى. هذا الأصل مقرر في القرآن وفي السنة. وفي كتاب الله جل وعلا قال ربنا –سبحانه وتعالى– ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ قال: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾ قوله: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾ الأظهر فيها أنها نعت للأولياء، يعني منصوبة على أنها نعت للأولياء ﴿ ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ** ﴾ يعني : المؤمنين المتقين، أو أنها بدل منه والأمر قريب. فأولياء الله هم المؤمنون المتقون وكذلك قول الله جل وعلا : ﴿ **اللَّـهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ فبين جل وعلا في الآية هذه أن الله سبحانه هو ولي المؤمنين، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ** ﴾ وكذلك قوله جل وعلا : ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ وقبلها قوله: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ ونحو ذلك من الآيات

الكثيرة في هذا المعنى، وهي أن ولاية الله جل وعلا للعبد إنما هي بسبب إيمانه. وكل مؤمن له نصيب من التقوى بحسب إيمانه، فإنه ما آمن إلا طلبًا للأمن. والأمن تقوى وخوف وخشية -يعني طلب الأمن- تقوى وخوف وخشية إذا تبين هذا الأصل وهو واضح في معتقدهم -يعني معتقد اتباع السلف الصالح- رضوان الله عليهم- فهذه المسألة وهي مسألة أولياء الرحمن، ومسألة الكرمة ومن هو الأكرم عند الله جل وعلا يمكن أن نبينها في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الولي، والولي في اللغة هو الناصر والمعين، إن وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين، يعني إن ناصري ومعيني، الله جل وعلا والوَلاَية في اللغة بالفتح، المحبة والنصرة، والوِلاَية بالكسر الإمارة أو السلطة، يعني في غالب استعمال العرب، ومنه قول الله جل وعلا: ﴿ **هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ** ﴾ يعني المحبة، والنصرة ويستحقها الرب -جل جلاله- وفي تعريف أهل العلم، بما فهموا من الأدلة قالوا الولي هو كل مؤمن تقي ليس بنبي، ويمكن أن تقول كل مؤمن ليس بنبي؛ لأن كل مؤمن له نصيب من التقوى، لكن في الاصطلاح الخاص لابد من تكميل الإيمان والتقوى بحسب الاستطاعة، كما سيأتي بيانه فيما بعد -إن شاء الله-.

المسألة الثانية:في دليل هذا الأصل وهو قول الله جل وعلا: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾ فجعل الرب جل وعلا لمن أوحى إليه اسماً وهو اسم النبي أو الرسول، ولمن أطاع وآمن واتقى اسماً وهو أنه ولي. فصار اسم الولي غير اسم النبي فهذا شيء وهذا شيء. وكل نبي له ولاية بحسبه. فإذاً الولاية داخلة في النبوة؛ لأن النبوة أعظم وأرفع، والإيمان والتقوى هما سببا الوَلاية، وإذا كان كذلك فإن المتقرر عند أهل السنة والجماعة، أن الإيمان يتفاضل أهله فيه، والتقوى يتفاضل أهلها فيها. وإذا كان الإيمان متفاضلاً والتقوى متفاضلةً، فينتج من

ذلك ان وَلاية الله لعبده، متفاضلة. فيجتمع إذاً في حق المؤمن المعين ما يوجب الولاية، من الله جل وعلا بإيجابه على نفسه ووعده الحق، وما يسبب العداوة. فمادة الإيمان والتقوى، أثرها ولاية الله جل وعلا لعبده وهي محبته له ونصرته له، ومادة الظلم والطغيان، والذنب موجبة أو عليها وعيد، ليست موجبة نقول عليها وعيد من الله جل وعلا بسلب الولاية الكاملة، فهذه تجتمع في حق المؤمن من جهة يكون وليًا، ومن جهة أخرى يكون ظالماً لنفسه.

المسألة الثالثة: الله جل وعلا ولي للعبد، والعبد –أيضًا– ولي لله جل وعلا وهذا عند أهل السنة والجماعة، له جهتان جهة الوَلاية من الله، وجهة الوَلاية من العبد. فالله جل وعلا ينصر عبده، والعبد ينصر ربه جل وعلا والله جل وعلا يحب عبده، المؤمن التقي، والمؤمن التقي يحب ربه جل جلاله ، فهاتان جهتان تجمع الولاية من جهة المحبة والنصرة من العبد لربه –يعني محبته لله ولرسوله ولكتابه ولدينه– وكذلك نصرته لله جل وعلا ولكتابه ولدينه ولنبيه ﷺ. فمن العبد فعل وَلاية ومن الرب جل وعلا وَلاية للعبد.

المسألة الرابعة: الأولياء قسمان فيما دلت عليه الأدلة مقتصدون وسابقون مقربون، وذلك أن الله جل وعلا جمع في آية سورة فاطر أنواع الذين أورثوا القرآن، جعلهم ثلاثة أصناف في قوله: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ فجعلهم ثلاثة أصناف، الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات. والظالم لنفسه، لا يستحق اسم الإيمان المطلق، ولا التقوى المطلقة، فخرج من قوله: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾. فبقي أن الأولياء المؤمنين المتقين صنفان، المقتصد والسابق بالخيرات والسابق بالخيرات، أطوع وأتبع للقرآن من المقتصد فنصيبه من الولاية، وهي محبة الله جل وعلا له، ونصرته له أعظم من نصيب المقتصد. وهؤلاء هم الذي جاء

فيهم الحديث المشهور المسمى بحديث الولي وهو قوله ﷺ: ((قال الله تعالى: من عادى لي وليًا، فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته –هذا سابق بالخيرات– كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبد المؤمن يكره الموت، وأكره مسائته ولابد له من ذلك)) رواه البخاري وغيره وهو حديث صحيح لا مطعن فيه، فدل الحديث على أن السابق بالخيرات، أحق وأعظم وَلاية لله جل وعلا من الذي يتقرب إلى الله بالفرائض. قال: ((وما تقرب إليّ عبديّ بشيء أحب إليّ ما افترضته عليه))، وما افترضه الله جل وعلا على العباد، أوامر يمتثلها ونواهٍ يجتنبها، فيتقرب إلى الله بفعل المأمور ويتقرب إلى الله جل وعلا بترك المنهي المحرم، وهذا هو حال المقتصد، ثم ذكر الفئة الثانية وهم السابقون بالخيرات.

المسألة الخامسة: ارتبطت مسألة الولاية، ولاية الله جل وعلا للمؤمن العبد، بمسألة الكرامة، ولهذا أكثر من يتكلم عن الأولياء –في صفاتهم وتقرير المعتقد فيهم– لابد أن يتكلم عن الكرامات، هذه أشار إليها الطحاوي في قوله: (وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن). والكرامة هذه عرفت بأنها أمر خارق للعادة، جرى على يدي ولي، وهي متصلة بالآية والبرهان عند الأنبياء وبالخوارق مطلقاً، عند الأنبياء والأولياء والكهنة والسحرة وأشباههم. ولهذا فتعريف الكرامة بأنها أمر خارق للعادة، جرى على يدي ولي، متصل بذلك أولاً من كونها خارقة للعادة، وثانياً هذه العادة –عادة من؟– والثالث أنه جرى على يدي ولي، فقولهم أمر خارق للعادة، جرى على يدي ولي، أخرج الخوارق التي تجري على أيدي الكهنة والسحرة، وأخرج الخوارق التي هي الآيات

والبراهين والمعجزات التي تجري على أيدي الأنبياء. لهذا يقررون في هذه المسألة أنواع الخوارق، وسيأتي في آخر هذه العقيدة المباركة، يأتي قول الطحاوي ولا نفضل أحد من الأولياء على أحد من الأنبياء –عليهم السلام– ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم. فنرجئ الكلام المفصل عن الكرامات وما يتعلق بها إلى موضعها. لكن الذي يتصل بهذا البحث، وهو أن المؤمن ولي الرحمن، أن الكرامة هذه التي يفردونها بالبحث، هي ما اشتهر عند الناس، أنها أثر الولاية. والكرامة عندهم أمر خارق للعادة –مثل ما عرفناه لكم– وهذا ليس بدقيق؛ لأن الكرامة بعض أنواع البشرى، والله جل وعلا ذكر أنه جعل لأوليائه البشرى فقال: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ والبشرى في الحياة الدنيا، منها الإكرام بأمر خارق للعادة، يجريه الله لهذا الولي قد يشعر به وقد لا يشعر، وقد يتفطن لأثره وقد لا يتفطن. ﴿ **إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ** ﴾ لكن البشرى التي وعد الله جل وعلا بها أوليائه إكراماً، هذه كثيرة الأنواع وكثيرة الأسباب. فالسلف اختلفوا في تفسير البشرى، واختلافهم من باب اختلاف التنوع؛ لأن كلاً ذكر بشارةً، فمن البشارة وعد الله جل وعلا بنصره المؤمن التقي. ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ امَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ ﴿ **إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ** ﴾. كذلك البشرى بأن في الدنيا الله جل وعلا يثبته ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾. من البشرى وعد الله جل وعلا بمعيّته لعبده، معيّة التوفيق، والتأييد في كل موطن في الحِجاج باللسان، أو في المجاهدة بالبدن، أو في ترك مشتهيات النفس، والرغبة فيما عند الله جل وعلا من البشرى التي ذكرت في الآية الرؤيا الصالحة، كما ثبت في الصحيح لم يبقى من النبوة إلا

المبشرات، الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له، وقد رأى عدد من أهل العلم، لبعض العلماء والأئمة أنهم في الجنة وأنهم مع الأئمة أو مع النبي ﷺ أو مع الصحابة ونحو ذلك. وهذه من المبشرات، من البشرى في الحياة الدنيا، أن الله جل وعلا يجعل بعض الأعمال التي عملوها مكفرة لسيئاتهم، الكبائر والصغائر جميعاً، كما تفضل الله جل وعلا لأوليائه من الصحابة، من أهل بدر فقال: ((اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم)) قال يقتضي مغفرة الكبائر والصغائر وهي التي غفرت لحاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- ما فعل من إسراره بخبر رسول الله ﷺ ومسيره إلى مكة، إلى الكفرة من قريش. فالبشرى إذاً أنواع عظيمة، وعد الله جل وعلا بالجنة لعبده، توفيقه لمحبته، محبته للإيمان، محبته للعمل الصالح، محبته للقرآن، انشراح صدره بالصلاة، وبتلاوة كتابه، الأنس بالله جل وعلا والرغبة في ذلك، والاشتياق إلى العبادة، عبادة الرب -سبحانه وتعالى- والإسراع في ذلك، هذه كلها من أنواع البشرى التي يبشر الله جل وعلا بها عباده، فإذاً كرامة الله جل وعلا لعبده بأن جعل الله له البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ومن البشارة هذه لهم البشرى منها أنواع الكرامات لكن أنواع الكرامات قد تحصل وقد لا تحصل. قد تكون للولي وقد لا تكون. كما سيأتي بحثه، من أن الكرامة بحسب حاجة العبد إليها، لا بحسب إيمانه وتقواه. يعني بحسب رفعة مقامه كل ما ارتفع المقام أعطي كرامة ولكن لحسب حاجته وهذا له تفصيل إن شاء الله يرجىء إلى موطنه، لكن هذه نوع من البشرى وأنواع البشرى التي للأولياء كثيرة متنوعة، ومنها التسديد، تسديد في السمع والبصر، وما يكتبه بيده، وما يمشي برجله كما جاء في حديث الولي قال: ((... كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)) يعني أسدده وأوفقه في سمعه فلا يأنس لسماع إلا ما يحبه الله. أسدده في بصره وأوفقه فلا يأنس لبصر لنظر، ولا إبصار إلا ما يحبه الله جل وعلا أسدده في يده، التي

يبطش بها فلا يبطش ولا يعتدي إلا بما إذاً الله جل وعلا به. أسدده وأوفقه في رجله، في ممشاه فلا يمشي إلا ممشاً يحبه الله جل وعلا ورسوله ﷺ. قال هناك : رجله التي يمشي بها –يعني يكون فيما يحب الله جل وعلا وهذا أمر عظيم أن يكون إلف العبد ما يحبه الله جل وعلا ولا تنازعه نفسه للشر، لا تنازعه نفسه في المعصية، لا تنازعه نفسه في مخالفة الأمر وارتكاب المنهي، يكون إلفه الخير، وإلفه ما يحبه الله جل وعلا هذا من أعانه الله جل وعلا العبد على نفسه الأمارة بالسوء وعلى قرينه الذي يأمره بالشر، فهذا إذاً نوع من الإكرام، هذه بشرى يحسها العبد ويحمد الله جل وعلا عليها ويسأله –سبحانه وتعالى– الثبات على ذلك.

الشريط السادس والثلاثين وجه (ب)

المسألة السادسة: هم المؤمنون المتقون ومن أعظم مظاهر التقوى، فيهم عدم تزكية النفس؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿ **فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾ . فجعل العلم بالتقوى موكولاً أو من خصائصه –سبحانه– جعله موكولاً إلى علمه –سبحانه وتعالى– فإذاً صفة المؤمن التقي الذي هو ولي لله جل وعلا أنه لا يزكي نفسه، فمن زكى نفسه، وقال أنا تقي أو أنا من أولياء الله ونحو ذلك، فهو حقيق بالعبد عن استحقاق هذا الوصف؛ لأن التواضع لله جل وعلا والذل له، والخضوع له، –سبحانه وتعالى–، والخوف منه، والعلم بأن العبد مهما عمل لن يبلغ التقوى، هذا يوجب أن لا يثني على نفسه بأنه ولي وأنه متقٍ ونحو ذلك. فإذاً ما شاع في العصور المتأخرة وهو موجود إلى الآن، من أن طائفة يذكرون لمريديهم، يذكرون لأتباعهم أنهم أولياء، ويحدثون بكراماتهم، هذا من أسباب الجرح في حقيقة التقوى. ويعني ذلك أن أولياء الرحمن، ليسوا على هذا الوصف .

المسألة السابعة: لشيخ الإسلام ابن تيمية مصنف، مهم في الفرق ما بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، سماه الفرقان ما بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان يحسن مطالعته في معرفة صفات الأولياء، أولياء الرحمن وصفات أولياء الشيطان؛ لأنه بسط هذه الصفات، بسطاً شافياً كافياً كعادته – رحمه الله وأجزل له المثوبة وجزاه عنا وعن أهل السنة خير الجزاء–.

المسألة الثامنة والأخيرة: أولياء كل أمة شاهدون لأنبيائها ولرسلها، مؤيدون بما اتصفوا به، لكون ما جاء به الرسول الذي اتبعوه حقاً. فأولياء بني إسرائيل يشهدون بفعلهم واتباعهم على أن ما جاء به موسى حق من عند الله جل وعلا ، وكذلك حواري عيسى وهم أولياء، يشهدون بفعلهم ونصرتهم ولايتهم، أن ما جاء به عيسى حق. وكذلك صحابة رسول الله ﷺ الذين هم أفضل أتباع الرسل، يشهدون بما اتصفوا به من الإيمان والتقوى والجهاد والعلم والبذل بأن رسالة محمد ﷺ حق. ولهذا تتصل مباحث الأولياء والكرامات، بمعجزات الأنبياء. فالكرامة والولاية، يعني أن يكون وليًا، وأن يكون له كرامة، لها اتصال بالمعجزات التي هي الآيات والبراهين. فكل اتباع شاهد لأصله، وكل كرامة دالة على المعجزة التي أعطيها النبي –عليه السلام– يعني أيًّا كان ذلك النبي. وهذا أصل مهم يقضي بأن الولي لا يخرج عن طاعة النبي الذي اتبعه، بخلاف ما زعمته غلاة أو طائفة من الغلاة المتصوفة من أن الولي – والرافضة– من أن الولي قد يكون أفضل من النبي كما سيأتي بيانه مفصلاً في موضعه إن شاء الله، وصنف فيه الحكيم الترمذي ختم الأولياء، كتاب معروف طبع، وصنف فيه أيضاً، ابن عربي الطائي، وذكر فيه أن الولي يكون أفضل من النبي وأيضاً هذا معتقد الرافضة من أن الأولياء أفضل. الأصل العام –الذي ذكرناه لك في هذه المسألة– يخالف كل هذا من أن الولي ناصر وتبع بل كونه وليًا يشهد لنبيه الذي اتبعه، وبالتالي يكون تابعاً دائماً،

والتابع متأخر، نكتفي بهذا القدر. ما أدري إيش رأيكم نذكر الكرامات هنا وإذا جاءت نحيلها؟ إيش رأيكم؟ نخليها في محلها أنسب؟ يقولون خير البر عاجله، لكن تعجيلها يقضي الله ما يشاء، نعم. في أسئلة؟ هل كلها خارج الدرس؟ طيب نأخذ واحد أو اثنين.

سؤال : ذكر أحد الباحثين أن الإرجاء أثر على بعض العلماء، فلم يكفروا تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً، فهل هذا الكلام على إطلاقه؟

الجواب : هذا الكلام غير صحيح، فليست مسألة تكفير تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً، ليس لها صلة بالإرجاء. فالنزاع جارٍ ما بين أهل السنة في تكفير تارك الصلاة، تهاوناً وكسلاً، وليس في هذا وحسب بل في تكفير في من ترك ركناً من أركان الإسلام. تكفير تارك الصلاة وغيره، ترى من ترك ركناً من أركان الإسلام، الزكاة الصيام، الحج، عن الإمام أحمد أيضاً وعن غيره، حتى الإمام أحمد ثم خلاف عنده –يعني في الروايات– في تكفير الأركان، في تكفير من ترك ركناً من أركان الإسلام. ومن العجائب أن الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– له في هذه المسألة خمس روايات، في هل يكفر من ترك أركان الإسلام –العملية يعني غير الشهادتين–؟.

الرواية الأولى: أنه يكفر بترك أي ركن من أركان الإسلام.

الرواية الثانية: أنه يكفر بترك الصلاة والزكاة.

والثالثة يكفر بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل عليها الإمام، يعني إذا قاتل في الزكاة الإمام ليس مطلق الترك .

والرابعة يكفر بترك الصلاة فقط.

إيش الخامسة؟ نسيت الخامسة: المقصود أن الخلاف في تكفير من ترك ركناً من الأركان تهاوناً وكسلاً، ليس له صلة بالإرجاء وما ذكره الباحث، محل نظر.

سؤال : ما هو ضابط الإعراض الذي هو من نواقض الإسلام؟

الجـواب :الإعـراض ذكـره العلمـاء فـي بـاب حكـم المرتـد، وذكـره إمـام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله تعالى– الناقض العاشر من رسالته النواقض– قال : الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به. والدليل على أن الإعراض ناقض من النواقض قول الله جل وعلا: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّا أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ** ﴾ في أول سورة الأحقاف: ﴿**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّا أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ** ﴾ وكذلك قوله جل جلاله ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** ﴾، ﴿ **فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ** ﴾ ونحو ذلك من الأدلة. والإعراض، ضابطه أنه لا يتعلم الدين ولا يعمل به، ليس له همة في معرفة توحيد ولا عبادة، لا من جهة العلم، ولا من جهة العمل. يعني جميعاً ، لا من جهة العلم ولا من جهة العمل جميعاً ، بل لا يهمه الأمر وليس من شأنه هذا الأمر مع تمكنه من ذلك. يعني مثل واحد في بلد مثلاً لنفرض في بلدنا، عنده الآن وسائل كافية الكتب موجودة ، والدراسة موجودة، وأهل العلم موجودين، والخطب والجمع، ولا يهتم بهذا أبدًا معرض تماماً، مادي لا يهتم لا بصلاة ولا بسماع آية ولا بسماع خطبة ولا يتعلم، هذه أمور أنا ما عليّ منها، هذا هو الذي يكفر بالإعراض لا يتعلم الدين ولا يعمل به، لا يرفع به رأسًا ولا يهمه، لا من قريب ولا من بعيد، ولو احتاج خبزًا لمعيشته، لذهب حتى يأتي به، لو احتاج إلى أمر في بيته لذهب حتى يأتي به، وأما الدين فهو معرض عنه، لا يتعلم ولا يعمل. فهذا هو ضابط الإعراض، لا يبحث عن العلم، ولا يهتم به – يعني في توحيده– ولا في توحيد الله جل وعلا وفي بيان الواجب ومعرفة ما أنزل الله جل وعلا ولا يهتم بالعمل جميعاً –يعني علم وعمل لا يهتم بهما–. أما إذا كان عنده علم ولا يعمل، و كان عنده عمل ولا يعلم، هذا لا يسمى

معرضاً. وتطبيقها على المعين صعب جداً، فلان معرض تماماً، غالب أهل القبلة، بل ربما لا يوجد أحد من أهل القبلة –يعني ممن يصح ممن شهد لا إله إلا الله أو يعني عنده انتساب– أن لا يهتم أصلا –يعني معرض تماماً–، لكن قد يكون أحياناً تأتي دعوة للتوحيد مثل ما حصل في وقت إمام الدعوة – يعني أناس يرون جهاد قائم ودعوة مجادلة ومجاهدة باللسان ومجاهدة بالسنان– وهو لا يهتم، حتى ما يعرف، لا يسأل ، ما عليه منهم، ما عليه من هذا الدين ما عليه، يعني لنفسه يعني مادي. ممكن أن تلخصها المعرض هو المادي البحت، المادي البحت، لا يتعلمه ولا يعمل به.

سؤال : قال بعضهم أن جُل السلف الصالح، كانوا من الصوفية، فهل هذا صحيح؟

الجواب : الصوفية ما نشأت إلا في القرن الثاني الهجري. يعني بعد سنة ١٥٠، كنِحْلة بدأت تتعطر في عزلة وأوراد وأشياء، والسلف الصالح، هم القرون الثلاثة المفضلة الصحابة والتابعون وتبع التابعين، فهذا الكلام يعني الرد عليه من جهات كثيرة، لكن ليس كلام ذا بال.

سؤال : ما هو القزع؟ وهل التقصير استخدام المقص للشعر منه؟

الجواب : القزع الذي جاء النهي عنه في الحديث الذي رواه مسلم وغيره، وهو أيضاً في البخاري –بوب عليه البخاري باب ما جاء في القزع– القزع أن يحلق بعض الرأس ويترك بعضه، هذا النبي ﷺ رأى صبياً قد حلق بعض رأسه وترك بعض فقال: ((احلقوه كله، أو دعوه كله)) فكون بعض الرأس محلوق وبعضه غير محلوق، هذا هو القزع. يعني مأخوذ من تقزع السحاب، وهو كون السحاب قطع، هذه قطعة وهذه قطعة، وله صور ذكرها العلماء، منها أن يأخذ أطراف الرأس ويبقى الأعلى. ومنها –وهي التي ينطبق عليها الوصف– وكونها مأخوذها من تقزع السحاب، أن يأخذ من كل موطن

قليل، يعني يحلق ويترك، يحلق ويترك، فيه من جميع الجهات. ولها صور كثيرة. والقزع منهي عنه، والعلماء يقولون مكروه، كراهة تحريم، وعند طائفة كراهة تنزيه. والعلة في النهي عنه –عن القزع فيما ذكره طائفة من العلماء– أن فيه تشبهاً بمن كان يعمله من أهل الجاهلية، والدين جاء بالعدل، قال الله جل وعلا : ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُ بِالْعَدْلِ** ﴾. والعدل الذي جاءت به الشريعة في تعامل الإنسان، مع الناس، بل وقبل ذلك في تعامله مع ربه، ومع الناس، وأيضاً في تعمله مع نفسه. وحلق بعض الرأس وترك بعضه، منافٍ للعدل في الشعر؛ لأن هذا فيه إزراء، بالمحلوق أو بالشعر الباقي، أو بالرأس الذي حوالهما، أو حواهما ومن هذا الأصل قول النبي ﷺ في لبس النعلين: ((فليلبسهما جميعاً، أو ليخلعهما جميعاً)) يعني ما ينتعل الواحد، يلبس واحد ويترك الأخرى، يلبس الاثنين جميعاً، أو يترك الاثنين ويمشي حافياً. وله نظائر كثيرة، في تعامل الإنسان في بدنه، في قص الأظافر، وفي الشعر، وإزالة أشياء، وأيضاً فعل أشياء للبدن. فإن العدل في الشريعة جاء للجميع والله جل وعلا يحب العدل ولذلك أمر به. أمراً عاماً بهذا قال العلماء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ** ﴾ قالوا جمعت هذه الآية، الدين كله وهذا صحيح، فليس ثم مسألة في الدين من الأوامر، إلا وأن تكون عدلاً أو أن تكون إحساناً، أو أن تكون إيتاءً لذي القربى ومن النواهي إما أن تكون فحشاء أو منكر أو بغي، وهذا أصل مقرر في موضعه. أما قص بعض الشعر، اللي جاء السؤال عنه، قص بعض الشعر بدون استئصال فإن كان شبيهاً بالاستئصال فتزداد الكراهة، وإن كان أقل –وإنما يكون بعض الشعر أكثر من بعض– بقليل، فإن هذا مما يعفى عنه؛ لأنه لا يشبه تقزع السحاب، واختلاف شعر الرأس ما بين الحلق، وما بين غيره.

سؤال : يقول ذكرت في الدرس السابق الخلاف في تعريف الإيمان وأن الخلاف صوري من وجه وحقيقي من وجه آخر، أرجو إعادة هذه النقطة وذلك لأهميتها؟

الجواب : ذكرنا لكم أن عددًا من أهل العلم، قالوا إن الخلاف صوري، أو لفظي –يعني غير معنوي وغير حقيقي– وذكرنا لكم أن هذه المسألة لها جهتان:

الجهة الأولى: جهة الحكم، والجهة الثاني: جهة امتثال الأوامر، الأوامر العلمية والعملية. من جهة الحكم ويعني مرتكب الكبيرة خروجه من الإيمان وثبات المرجئة، يعني مرجئة الفقهاء، كحماد بن أبي سليمان والإمام أبي حنيفة ومن تبعهم، ليس ثم خلاف مع أهل السنة –مع بقية أهل السنة في الحكم، فهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة، ولا أيضًا يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب، بل الحنفية من أشد الناس في التكفير وفي الحكم بالردة، كما هو معروف من كتبهم. ولهذا ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في كتاب الإيمان لما ذكر الخلاف –وهذه احتج بها بعضهم وليست في محل الاحتجاج– قالوا واغلب –أو قال– أكثر الخلاف الذي بين أهل السنة في مسألة الإيمان لفظي، وهذا نستفيد منه فائدتين، الفائدة الأولى أن مرجئة الفقهاء لا يخرجون من أهل السنة في هذه المسألة إخراجاً مطلقاً، بل يقيد، يقال أنهم من أهل السنة إلا في مسألة الإيمان. فهم من جملة أهل السنة، إلا في هذه المسألة. فشيخ الإسلام في كتاب الإيمان يدخل مرجئة الفقهاء. خاصة في عموم أهل السنة؛ لأن الخلاف كما قال أكثره لفظي. الفائدة الثانية أن قوله أكثره –ما أدري أنا هذه ذكرتها لكم المرة الماضية؟ إيه، نعم– قوله أكثره لفظي، يدل على أن ثمة منه ما ليس كذلك، وهو الذي ذكرته لك أنه من جهة الأوامر واعتقاد ذلك، والامتثال جهة الأوامر العملية والعلمية، وفي هذا كفاية إن شاء الله.

سؤال : يقول ذكر ابن تيمية –رحمه الله تعالى– بالفتاوى أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا فهل هذا التقسيم كان معروفاً، مجمعاً عليه عند السلف؛ لأن الأحناف فيما أعلم يدخلون العمل في مسمى الإسلام؟

الجواب : لا الإسلام والإيمان، هل هما شيء واحد، أم هما أمران مختلفان؟ وهل إذا اجتمعا افترقا أو لا؟ هذه المسألة فيها خلاف كبير؛ بين السلف مسألة الإيمان والإسلام، خلاف فيها من قال الإيمان والإسلام واحد، أو قال هما شيئان مختلفان أو قال إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فالكل من أقوال أهل السنة. الخلاف في هذه المسألة لا يخرج القائل من السنة فثم جمع. قالوا الإسلام هو الإيمان، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾. ومنهم من قال لا، الإسلام شيء والإيمان شيء، مختلف تماماً عنه، ويستدلون عليها بقوله: ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا** ﴾ فجعل الإيمان شيئاً، وجعل الإسلام شيئاً آخر. وكذلك حديث جبريل قال: ((الإسلام كذا، والإيمان كذا)).

والثالث الذي هو التحقيق، أن الإسلام لابد له من إيمان حتى يصح، والإيمان لابد له من إسلام حتى يصح، فليس ثم مسلم بلا أي قدر من الإيمان، وليس ثم مؤمن بلا أي قدر من الإسلام، بل لابد هذا وهذا. والإسلام على كماله والإيمان على كماله، قد يطلق الإسلام مع الإيمان فيعنى بالإيمان ما جاء في حديث جبريل. الأعمال الباطنة –يعني الإيمان الباطن– والإسلام الظاهر، مثل ما جاء في الحديث الذي روي في مسند الإمام أحمد، قال الإسلام علانية والإيمان في القلب فيجتمعان، فتكون هذا دلالة على حديث جبريل الشهادة تكون دلالته الشهادتين والأركان العملية الأربع، والإيمان،

الإيمان التصديق الباطن مع العلم، ويفترقان فيكون الإسلام يدل على الإيمان، ويكون الإيمان يدل على الإسلام. المسألة الخلاف فيها سائغ –يعني من خالف فيها أن الخلاف منقول عن أئمة السنة– ولكن التحقيق هو ما ذكرنا.

سؤال : هذا يقول كثر في هذه الآونة الأخيرة المقدسون للعقل والسير على نهج المعتزلة بل إن أحدهم لما قيل له إن قولك هذا قول المعتزلة، قال وهل المعتزلة إلا فرقة العلماء؟ فما توجيهكم ، خصوصاً وأننا نجلس مع بعض الناس قد يكون أقارب، ولكن درسوا في الغرب ورضعوا منه سموم الشهوات، والشبهات، ثم يناقشون ذلك في المجالس عند العامة مم له أعظم الضرر على دين الناس. هل نقول أم نجلس ونرد عليه؟

الجواب : الواجب الدعوة، والمصابرة والبيان. الشرع هو الذي دل على العقل، دل على اعتبار العقل، ودلنا على أن العقل يُعمل، وأنه آلة يحاسب عليها الإنسان. وكذلك العقل أيضاً دلنا على الشرع، وعلى أنه صواب وعلى صحة ما جاء فيه. فالعقل والشرع غير متعارضين، الشرع قاضٍ، والعقل شاهد، العقل يشهد لحسن الشرع، يشهد لصحته، والعقل قضى، والشرع قضى، قضى الله جل وعلا بقضائه. ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ** ﴾. وفي قراءتنا ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقا وَعَدْلاً** ﴾ آية الأنعام. فكلمات الله جل وعلا الشرعية، قضت صدق وعدل انتهت. فإذاً الذي يرفض العقل، يرفض الشرع. والذي يقدس العقل ويرفعه فوق الشرع، هذا أيضًا يرفض الشرع. ولهذا ألف ابن تيمية كتابه المشهور العقل والنقل، يعني إيش الصلة بينهم.؟ أو المشهور باسم موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح. أو درء تعارض العقل والنقل، وهو الذي قال فيه ابن القيم في نونيته:

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ما في الوجود له مثيل ثانٍ

لأن أصل تقديس العقل، وتقديمه على النقل جاء من الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة، الأشاعرة أيضا من أصولهم أن العقل مقدم على النقل في الغيبيات، أما السمعيات يعني لهم بحث فيها. وهذا شيء مشهور ومعروف، المقصود أن طالب العلم والداعية أولاً يفهم ما صلة الشرع بالعقل؟ ثم ثانياً يتأمل فيما يورد من الأشياء الشرعية، التي يقول القائل أنها تخالف العقل. تأمل، ما يعجل يقول لا هذا كيف؟ لو أنه ما فهم مرادها عقلاً، فينبغي إذا تأمل أنه يبين عدم تعارض الشرع مع العقل؛ لأن العقل لابد له من حدود، يقف بعدها على شيء لا يعرفه، الأمور الغيبية إذا تجاسر العقل عليها وقال لا، ليست بصحيحة، فهو الحقيقة ليس عاقلاً؛ لأن العجز عن الإدراك، إدراك هو لم يدركها لم يراها، فكيف ينفي شيئاً لا يراه؟ مثلاً الآن لو جاء قال قائل مثلاً هذه الكهرباء التي أمامك، إيش الكهرباءِ ما في، سلك. إيش اللي يجري في السلك؟ هل في شيء يمشي فيه؟ هل السلك أنبوبة فيه شيء ماشي وصل؟ لا. فإذاً ثم أشياء كثيرة، تعرف بآثارها، ولا ترى أو تدرك حقائقها. مثل النوم الآن، حقيقة النوم ما هي؟ الأطباء يقولون : ما أدركنا حقيقة النوم. لكن تعرف النوم وأثره على الجسم وعلى البدن ولو فقده الإنسان، إيش يحصل؟ وإذا نام إيش يحصل؟ إلى آخره... عندك الآن الهواء نفسه الهواء، الآن موجود هواء؟ هذا فراغ، أين الهواء؟ فإذا أخبر مخبر بوجود الهواء، فإنه يخبر بوجود شيء دل العقل عليه، لا من جهة رؤيته، ولكن من جهة إدراكه بآثاره، كذلك النصوص الشرعية الكثيرة، إذا كان فيها تعلق بالأمور الغيبية، نقول هذا ينفيه العقل. فيكون هو متجنياً على عقله؛ لأن العقل لا ينفي شيئاً لم يدركه مثلاً، يأتي حديث فقأ موسى لعين ملك الموت، يقول هذا العقل يرفضه، مثل ما رفضه عدد من المعاصرين، يقول العقل يرفضه حتى لو كان في الصحيح، قال نعم كيف ملك الموت يأتي وله عين يفقأها موسى؟ هذا شيء

يرفضه العقل. لماذا يرفضه العقل؟ لماذا؟ لأي شيء؟ تسأل عن الأسباب فإذا قال لك السبب الأول هو مثلاً أن ملك الموت كيف يكون له عينان؟ فيكون الجواب، ما الذي يمنع أن الله جل وعلا يعني ما الذي يمنع في العقل أن الله جل وعلا بعث ملك الموت في صورة رجل لموسى -عليه السلام- ، اختباراً له وإبقاء للعلم في الناس. ما يمنع ملك الموت على صورته الحقيقية، ليس صورة رجل. يعني هذا تصوير، يعني جاءه في صورة على هيئة رجل، ففقأه، هذا فيه اعتبار. الأمر الثاني إذا قال له موسى -عليه السلام- كيف يعتدي عليه. فنقول هل يمنع العقل أنه ما عرفه؟ أو أنه رآه معتدٍ؟ أو متجنٍ على مقام الملائكة؟ يأتيه على صورة . عادة ملك الموت لا يأتي على صورة رجل . يقبض الأرواح بإذن الله جل وعلا فإذاً ما ادعى فيه أمور الغيبيات أنه معارض للعقل، مما عارض به المعتزلة من قبل، وكل من خالف الشرعيات الجواب عنه سهل، لكن أيضاً يحتاج إلى عقل. فإذاً طالب العلم، والداعية إذا واجه مثل هذا أولاً يهدأ؛ لأنه إذا صار ذا هدوء أدرك وين يضرب الخصم. إذا أنت استعجلت، هو يصيدك، وأنت بعدين تقع في موقف ضعف كيف تدافع؟ وأنت الآن مبلغ عن الشرع. الحاضرين في المجلس ليقولون، والله ما عرف يجاوب أو بس تحمس أو نحو ذلك؟ لا أولاً تهدأ، ثم إن كان عندك علم وقوة إدراك، في مناقشته فمناقشة، وإذا لم يكن عندك علم، وقوة إدراك، فترجع الأمر إلى المجملات. ما هي المجملات؟ الله -جل وعلا- هو الذي قال ذلك ويجب تصديق الرب -جل وعلا- لا أحد أعلم بالله، لا أحد أعلم بخلق الله منه، من الله، أخبر بها النبي ﷺ والحديث صحيح. لا مغمز فيه، ما طعن فيه أحد من العلماء فيجب التسليم كون أدركنا معناه، أم لم ندرك؟ هذه مسألة أخرى، فتحيل على الممجلات، والمجملات فيها قوة لأنها أقوى حجة إذا كان المجادل مؤمناً - يعني عنده انتساب للإيمان- فيقول النبي ﷺ قال هذا. لو كان النبي ﷺ

حاضراً، وقال هذا الكلام، تقول له هذا يرفضه العقل؟ أو هذا غير صحيح ؟ فإما أن يطعن في الدلالة النص، أو يطعن في ثبوت النص. فإن طعن في الثبوت تبحث معه وإن طعن في الدلالة تبحث معه، أو ترجعه إلى المجملات. الخطوة الثالثة أن هؤلاء دائماً يقفون بالعقليات. العقليات –يعني إذا حاججتهم فتعطيه مسألة عقلية تجعله يقف– من المسائل العقلية المهمة، التناقض، إذا كان هو يقول العقل يعارض هذا فتكون أنت محضر لأشياء العقل –عقله هو بما أقر به أيضاً يتناقض فيها– يسلم بأشياء ما شافها يسلم بأشياء، العقل، ربما أنه يقول لا والله ما يدل عليه العقل؟ إلا بخبر من أخبر بها. فإذًا تبحث هناك في الأشياء التي تجعله متناقضاً. والتناقض من أقوى الأشياء التي تضعف الخصم. في أي مجادلة إذا قلت أنت متناقض مرة تقول كذا ومرة تقول كذا، معناه أنه لم يقم على عقل واضح واحد، ولا على دليل بين. تقول إذًا أنت تتبع مرة تقول ومرة تقول، ما عندك قاعدة بينة. لهذا الشرع من اعتمد عليه فإنه لا يتناقض، ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾ الذي يعتمد على الشرع، ما يتناقض، الحجة واحدة، والدلالة الشرعية في المسائل العقلية –أيضاً واحدة ما تختلف– وهذه المناظرات والمجادلات ينبغي لطالب العلم ان يتحرز فيها. ما يقبل عليها وبضاعته قاصرة؟ لأنه يخشى أن يفتن من يخاطبه، يخشى أن يفتنه. فيكون ذاك ما يعرف وش؟ ما جاب حجة. وهذه الذي وقع فيها حتى بعض المشهورين في المناظرات اللي حصلت فيما يذكر في بعض القنوات الفضائية ونحو ذلك، في مسائل عظيمة منها مسائل عقدية، ومنها مسائل إيمان بل في وجود الله جل وعلا، وإلا ربما ما كان عندهم حجة، صار المتلقي، ما عنده أن هذا والله، مسلم له، المتلقي شك إن كان هذا ما لقي جواب صحيح، ما عرف بحجة، سيؤول الأمر إلى أن المستمع يتشكك. ولا يجوز لمؤمن أن يقدم

على شيء يحصل بسببه فتنه لآخرين. وإذا كان سؤال شيء لم يحرم في عهد النبوة شيء لم يحرمه الله جل وعلا السؤال عنه، ثم بعد ذلك حرم أنه من أعظم المسلمين جرماً ، فكيف بمن يوقع الشبهة في أصل الدين في العقيدة ؟ في وجود الله جل وعلا؟ في أشياء؟ ما يعرف يناقش ما يعرف يحتج؟ يخلي الشرع ضعيف، يجعل الشرع ضعيفاً، أو يجعل حجته ضعيفة ما يليق. فإذًا أنت ما يلزمك أن ترد إلا إذا كنت قادراً. قادر من الناحية العلمية، وقادر أيضًا من الناحية النفسية، بعض الناس إذا جاء في النقاش يحس من نفسه أنه خاف، يحس أنه قلبه بدأ يضطرب، وخائف، هذا معناه أنه يسكت؛ لأنه مع هذا الاضطراب ما يقضي القاضي وهو غضبان. وهذا قضى أيضاً في مسائل شرعية لهذا قال العلماء لا يقضي القاضي وهو غضبان، يشمل المسائل الخصومات، العملية والعلمية. فالي بيحكم يقول لا والله هذا ما هو، إذاً بتقضي أنت تبلغ عن الشرع، فما تدخل في شيء. وأنت تعلم من نفسك عدم ثبات. لذلك المجادل الداعية، هذا نوع من الجهاد يحتاج إلى ثبات، ويحتاج إلى ثبات فيه، ورباطة جأش، وركادة؛ لأن الواحد مهما نزل عليه من الجبال، من الكلام السيء ما ينفعل، إلى آخره... وأنت تتأمل مجادلة النبي ﷺ للمشركين في مكة، كيف أنهم ناقشوه، في كل شيء؟. في الله جل وعلا وفي توحيد العبادة، وفي الأسماء، والصفات، وجادلوه في البعث بعد الموت، وسبوه، وقالوا أنت مجنون، وأنت...، لكن كله كلامه ﷺ وما أمر الله جل وعلا به عبده أن يبلغ المشركين، كان كله على الغاية في الرفعة في اللفظ وفي الحجة وفي الهدوء والطمأنينة، لأننا لسنا بشاكين حتى تضطرب، ولهذا كل واحد يعرف نفسه، فلا يوقع غيره في شبهة ويأثم بذلك، وهذه مسائل عظيمة يحتاج طالب العلم إلى أن يدرج نفسه فيها، وسبيلها الهدوء والطمأنينة، زادني الله وإياكم من كل خير، ومنحنا الفقه في الدين، وغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ومن

لـه حق علينـا، ووفق ولاة أمورنـا وعلمائنـا لكل خير، وصـلى الله وسلم وبـارك على نبينا محمد.

الشريط السابع والثلاثين وجه (أ) ١٤١٩/١٠/٢٧هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشـهد ألا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلـى آلـه وصـحبه وسلم تسليماً كثيرًا- أما بعد: فأسال الله جل وعلا ولي ولكم التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعلنا من أهل الإيمان الذين حققوه قولاً وعملاً واعتقادًا، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يمنحنا الفقه في الدين، والثبات على ذلك، والعلم بالله ومعرفة شريعته، إنه سبحانه جواد كريم. نجيب على بعض الأسئلة، بين يدي الدرس.

سؤال : يقول لماذا سمي كتاب الأدب المفرد بهذا الاسم؟، وما أفضل كتاب في الأدب يمكن أن يشرح للطلاب؟

الجواب : كتاب الأدب المفرد هو للإمام البخاري -رحمه الله تعالى-، أبوعبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وهو مؤلف الصحيح، وفي كتابه المسند الجامع الصحيح المختصر، فيه كتاب باسم كتاب الأدب، في أواخره. ثم صنف كتاباً آخر، ليس كشرطه في الصحيح جمع فيه جملاً كثيراً مما جاء في السنة أو عن الصحابة -رضوان الله عليهم- في أبواب الأدب، سماه الأدب المفرد، يعني مفردًا عن الصحيح، لئلا يشتبه بكتاب الأدب الذي هو من كتب صحيح البخاري، وهو في الأدب الشرعي -يعني مثلاً ما يتعلق بالاستئذان أدب الاستئذان رد السلام كيف حقوق المسلم كيف يتعامل مع نفسه، يتعامل مع الحيوان كيف يتعامل مع الناس، أدبه في الأكل، أدبه في النوم، أدبه في الاجتماع، أدبه في الحقوق العامة، ونحو ذلك مما يعرف من

الاطلاع عليه. وهو كتاب نافع جداً، وله شرح متأخر لا بأس به، سماه مؤلفه أحد علماء الهند، فضل الله الصمد بشرح كتاب الأدب المفرد، وهو مطبوع في مجلدين.

سؤال : ما الصواب في الجار والمجرور، في أول سورة قريش، هل هو متعلق بالسورة التي قبلها أم هو كما قال ابن جرير: أنه لام التعجب – يعني إعجبوا لإيلاف قريش؟ أفيدونا جزاكم الله خير؟

الجواب : هذا سؤال جيد وسورة الفيل وسورة قريش، في ترتيب المصحف الذي رتبه الصحابة –رضوان الله عليهم–، جاءت سورة قريش بعد سورة الفيل، وسورة الفيل فيها ذكر منّة من الله جل وعلا على قريش، كما قال سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾. هذا قبل أن يولد محمد ﷺ، فالفضل في صد أبرهة ومن معه، والفيل وذاك الجيش عن استباحة مكة، الفضل فيها لله جل وعلا ، والمتفضل عليه قريش. ولهذا كان لما جاء أبو طالب إلى أبرهة وقال له: سأله عن إبله قال له: ظننت أنك تدفع عن البيت. قال: للبيت رب يحميه، وأنا رب هذه الإبل. فالفضل من الله –جل جلاله– والنعمة تمت على قريش أن منع هذا المعتدي من أن يستبيح مكة. هذا الفضل الذي يعرف من قراءة سورة الفيل، والإنعام الخاص على قريش، بصد الفيل وعقوبة أهله، لماذا؟ يعني ما العلة فيه؟. هنا جاء من قال من أهل العلم: أن اللام في ﴿**لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ** ﴾ أنها تعليلية لما تضمنته سورة الفيل، هذا الإنعام وهذا الفضل وهذا الصد وهذه الحماية، لأي شيء لإيلاف قريش؟ لأجل أن يألفوا ما ألفوه من التجارة، ومن النعمة، ومن الراحة، في هذا البيت ونحو ذلك. هذا توجه لطائفة من أهل العلم، وهذا التوجه وإن كان من حيث التعليل، له حق من النظر لكن الأصل

في السور، الانفصال ثم إن الترتيب ليس ترتيباً توقيفياً كما هو معلوم ترتيب السور إنما هو اجتهادي على الصحيح، وسورة قريش نزلت بعد الفيل ونزول السورة بعد السورة لا يقتضي تعلق الآخرة بالأولى. لهذا القاعدة أن كل سورة مستقلة عما قبلها، من جهة تعلق الآية إعراباً، وتركيباً بالآية التي في السورة قبلها. وهذا يظهر به أن اللام في قوله: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ** ﴾ أنها ليست متعلقة بما قبلها، وليست تعليلية، وإنما يقدر فعل يتعلق به الجار والمجرور، لئن الجار المجرور في النحو يتعلق بفعل أو بمصدر أو ما أشبه ذلك. فلهذا قدر ابن جرير وغيره من المحققين بفعل محذوف، هذا الفعل المحذوف يقدر بحسب اجتهاد المقدر. والعرب تعرف أنه إذا حذف الفعل وبقي المتعلق، فإنه يعطي سعة هذا من جهة البلاغة، يعطي سعة في تقدير المحذوف بحيث يكون أعم، من أن يقال فعل، من أن يذكر فعل واحد، يعني لو قال الله جل وعلا: "تعجبوا لإيلاف قريش" "اذكروا لإيلاف قريش" أو "أعجبوا لإيلافهم" أو "اعتبروا لإيلافهم" لصار هناك فيه حد من سعة تقدير المحذوف. فلما حذف الفعل، وأبقي الجار والمجرور الذي هو متعلق بالفعل المحذوف، كان في هذا سعة في التقدير وأبلغ في الاعتبار. لهذا نقول الصحيح أن قوله: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ** ﴾ وأمثاله فيما يكون في السور أنه لا يتعلق بالسورة التي قبل، وإنما يقدر له محذوف يناسب المقام. هذا يختلف عن بحث عند أهل التفسير وعلوم القرآن، بحث آخر وهو أن تكون سورة لها صلة بالسورة التي قبلها من حيث المقاصد، من حيث مقاصد السور، وهذا هو التناسب، وهذا فيه ألف طائفة من العلماء، ألفوا تناسب السور، يعني مناسبة مجيء السورة بعد السورة، هل فيه مناسبة؟ هذه المناسبة تكون لأجل الترتيب. لا لأجل أنها أنزلت لأجل ذلك، فمثلاً نقول في هذا المقام: أن جعل سورة قريش بعد سورة الفيل؛ لأنها أنزلت بعدها ولمناسبة تذكر النعمة، بدفع الفيل وبحصول إيلاف قريش وإلفهم،

وبحصول هذه الرحلة والمنة عليهم بذلك. ثم تحق النعمتين دفع الفيل في الماضي، وإلف قريش للتجارة، ودون معارض لهم في الشتاء وفي الصيف وما كانت عليه مكة من الغناء، لابد أن يعتبر به، لأجل عبادة الله وحده ﴿ **فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ أطعمهم من جوع، بالتجارة وآمنهم من خوف، في الحاضر وفي الماضي بدفع الفيل، والجيش الذي أراده، والله أعلم.

سؤال : يقول كثير ما أسمع من بعض علمائنا قولهم: لم يعهد هذا عن السلف. فهل هذه العبارة دليل بحد ذاتها وحجة معتبرة؟ وهل تعتبر من الاستقراء؟

الجواب : هذا يحتاج إلى بيان طويل، يضيق المقام عنه، لأن يحتاج إلى تأصيل المسألة، والعبرة بالدليل وعمل السلف، وصلته بالدليل، وهل هو مطلق في كل مسألة؟ أم أن الحجة في الدليل؟ ولو لم يجري عليه عمل تفصيل العلماء في ذلك، يحتاج إلى بسط، لكن في الجملة، العلماء يستدلون على عدم جواز الأفعال التي لها هيئات، تضاهي المشروع، بقولهم: لم يعهد هذا عن السلف. فإذا كان هناك مضاهاة للمشروع، مثل الاحتفالات، اجتماعات على أذكار على نحو معين، إعلان بشيء على المنابر، يعني على المنائر، ومثل إضافة أشياء للأذان ونحو ذلك، مثل هذه الأمور يحتج فيها بأنها لم تعهد عن السلف، ولو خيرًا لكان هم أحرص عليه. هذا على وجه الإجمال، لكن يحتاج إلى تفصيل.

سؤال : يقول بالأمس ضاق علينا الوقت عن صلاة الجمعة، ونحن خارج المدينة فتوقفنا عند مسجد، وخطب بنا أحدنا وصلينا الجمعة، وكان عددنا ثلاثة وأربعين رجلاً، مع العلم أن هذا المسجد لا تقام فيه صلاة الجمعة، فما الحكم؟

الجواب : الصلاة مجزئة، المسافر إذا صلى الجمعة أجزأت والصحيح أيضًا، من قول العلماء أن الخطيب والإمام، يجوز أن يكون مسافراً، فيجوز أن يؤم المسافر، الحاضرين في الجمعة، وكذلك من كانوا مسافرين على مثل حاله. والأفضل لهؤلاء، أن لا يصلوا الجمعة في السفر؛ لأن النبي ﷺ سافر كثيرًا ومرت عليه جمع كثيرة في السفر، سواء أكان في مدينة، كمكة أو كان في غيرها. ولم يصلي الجمعة، ولذلك المسافر ليس في حقه جمعة –يعني لا تجب عليه الجمعة– وليس الأفضل له أن يصليها، جمعة الأفضل أن يصلي الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، بحسب الحال إما في أول الوقت أو في –يعني أول وقت الظهر– أو أول وقت العصر. هذا في حق المسافر الذي جد به السير، مثل حالتهم مروا بمسجد يصلون الظهر والعصر، هذا هو الأفضل في حقه والصلاة مجزئة.

سؤال : ما المراد بالقرب في قوله –تعالى–: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾؟

الجواب : التحقيق أن المراد هنا بالقرب، قرب الملائكة وذلك كما حققه ابن تيمية –رحمه الله تعالى– وابن القيم، أن القرب هنا قرب عام، وهذا القرب إنما هو قرب الملائكة.

سؤال : هل تجوز صلاة الغائب على من صلي عليه، في مكان آخر؟

الجواب : صلاة الغائب العلماء لهم فيها ثلاثة أقوال قالوا:

القول الأول: وهو قول أكثر أهل العلم، أن الغائب إذا كان فقده على الجميع، فإنه يصلي عليه، صلاة الغائب ولو كان صلى عليه، إذا كان المسلمون يفقدونه. وهؤلاء استدلوا بحديث الصلاة على النجاشي –رحمه الله تعالى–، وأن النبي ﷺ صلى عليه صلاة الغائب. ويعكر عليه –يعني على هذا القول– مع أنه قول أكثر أهل العلم، أن النبي ﷺ لم يُصلي عليه، إلا في

حجرة عائشة، حيث قبض صلى عليه الناس إرسالاً، تدخل الجماعة ، وتصلي، ثم تدخل الجماعة تصلي ولم يُصلى عليه في خارج المدينة صلاة الغائب، وكذلك فُعل بأبي بكر -رضي الله عنه- وكذلك فُعل بعمر وهكذا.

ولهذا صار القول الثاني: وهو أن لا يصلي إلا على من لم يصلى عليه، إذا لم يصلي عليه أحد، فإنه -يعني على مسلم مات في غربة أو عرف أنه لم يصلى عليه- فإنه يصلي عليه صلاة الغائب، وذلك كما فعل النبي ﷺ في حق النجاشي، فإنه نعى النجاشي إلى أصحابه، وتقدمهم وصفوا خلفه وصلى على النجاشي وكبر عليه أربع تكبيرات. وذلك لأنه مات في بلد، بلد أو دار كفر وكان مسلماً -رحمه الله تعالى- وهذا هو الذي يسعد بالدليل أولاً، وثانياً العمل عمل الخلفاء الراشدين، عليه فيما هو ظاهر عملهم.

القول الثالث: وهو رواية عن الإمام أحمد، الناس في ذلك تبع للإمام، الإمام هو الذي يختار يصلي، أو لا يصلي والقول الثاني هو الأظهر من جهة الاستدلال. أجلوا هذه، اقرأ:

المتن :

والإيمان، هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره، من الله تعالى، ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به، وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار، لا يخلدون إذا ماتوا وهو موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، مؤمنين وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر -عز وجل- في كتابه: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين

خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته، ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

الشرح :

قال –رحمه الله تعالى–: (والإيمان، هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى) لما ذكر الإيمان، وأنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، ومر معك أنه لابد فيه من العمل، وهو جزء مسمى، عرف الإيمان الذي يصدق به، والذي يقر به، ما هو الإيمان؟ الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، تصديق الجنان، بأي شيء؟ وإقرار باللسان، بأي شيء؟ فذكر لك أركان الإيمان الستة، المعروفة التي دل عليها الكتاب والسنة، وإجماع الأمة. وهذه الأركان الستة، تسمى أركان الإيمان، لأنها جاءت حصرًا في جواب سؤال، وهو قول جبريل –عليه السلام– للنبي ﷺ ((أخبرني عن الإيمان، قال الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. قال: صدقت))، وسميت أركان الإيمان، هذه عند أهل السنة، والجماعة، وعند غيرهم أيضاً، لأنها جاءت جواب على سؤال، والأصل في الجواب أنه يقتضي الحصر، والحد الأدنى مما يصدق عليه الجواب. وذكرها للتنصيص عليها في القرآن والسنة، وأما في القرآن فجاءت في غير موضع، كقول الله جل وعلا:﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾. والبر هنا المقصود به الإيمان، وكذلك قوله: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾. وكذلك قوله –جل جلاله–: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنَزلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ**

ضَلَالاً بَعِيداً ﴾. وفي القدر قوله جل وعلا: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾. وكذلك قوله –جل جلاله– ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾. ومن السنة حديث عمر –رضي الله عنه– الذي رواه مسلم في الصحيح المعروف بحديث جبريل، حيث جاء أعرابي، فيه الحديث المعروف لديكم، إلى النبي ﷺ لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، إلى أن سأله عن الإيمان فقال: ((أخبرني عن الإيمان)) فذكر هذه الستة. وكذلك هو في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–. وهذه الأصول الستة أركان الإيمان الستة هي التي يجب التصديق بها، والإقرار بها لسان. يعني يقر بلسانه، أنه آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وكذلك يعتقد بقلبه مصدقاً بهذه الأشياء الستة. قد مر معنا في ما قبل تفصيل الكلام على هذه الأركان الستة، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويأتي الكلام عن الإيمان باليوم الآخر تفصيلاً وتتمه الكلام على الإيمان بالقدر. وعلى هذه الجملة نذكر بعض المباحث، والمسائل:

الأولى: أن هذه الستة يعبر عنها بالركن، بالأركان. وكلمة الأركان سواء أركان الإسلام أو أركان الإيمان، أو غير ذلك، هي تسمية اصطلاحية لم يأتي بها الدليل أن هذا ركن. والأدلة ليس فيها تفريق في المباني ما بين الركن وما بين غيره من حيث التسمية. وفي العبادات أيضًا ليست الأدلة، تسمية الأركان، أركاناً والواجبات واجبات. والعلماء من جهة الاصطلاح وما دّل عليه الدليل، جعلوا ما يقوم عليه الشيء ويسقط بسقوطه، ركناً وجعلوا ما يتم به الشيء على جهة اللزوم، جعلوه واجباً. ولهذا سموا أركان الإسلام الخمسة أركاناً، وهي واجبات لأن الركن أعظم من الواجب، فيسمى واجباً وهو ركن بسقوطه يسقط البناء. ومما يدلك على أن التسمية اصطلاحية، أنهم مع اتفاقهم على أن أركان الإسلام خمسة، فهم اختلفوا اختلافاً شديداً فيمن ترك

ركناً من هذه الأركان الخمسة، غير الشهادتين والصلاة والزكاة، يعني من ترك الصيام أو ترك الحج، فهل يقال انهدم إسلامه؟ وكذلك في أركان الإيمان، هل من ترك بعض أفراد هذه الأركان –يعني شك أو ترك الإيمان ببعض ما يتصل باليوم الآخر لجهله أو لتأويله أو نحو ذلك– هل يسقط الركن في حقه؟ أو ما يتصل بمسائل القدر، هل يسقط الركن في حقه؟ مما للعلماء فيه بحث، هذا مهم لك لأجل أن تسمية الركن تسمية اصطلاحية ولا يعني أن ترتب عليها أن ذهاب ما تظن أنه الركن أو بعض أفراده، أنه يعني عدم صحة الإيمان أو عدم صحة الإسلام، أو الكفر وحقيقة الركن في الاصطلاح هو ما تقوم عليه ماهية الشيء، ولا يتصور بدونه. والإيمان بالله جل وعلا ركن، فمن لم يؤمن بالله لم يصح إيمانه، كذلك الإيمان بالملائكة وأنهم موجودون وعلى نحو ما فصلنا لك في القدر المجزئ من الإيمان، هذا ركن فلكل ركن من هذه الأركان الستة، قدر يصح به. وهناك شيء زائد، قد يكون واجباً ولكن يأثم الإنسان على عدم الإيقان به، ولكن ليس داخلاً في حد الركن، يعني بمعنى إذا سقط أو لم يأتي به فإنه لا يصح إيمانه. فإذاً الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان وما يتصل بأركان الإيمان الستة هذه، تصديق بالجنان على نحو ما فصلنا لك سابقًا في القدر المجزئ من كل مسألة وركن منها. من تتمة البحث مسألة أركان الصلاة، واجبات الصلاة ثم خلاف كبير بين العلماء هل هذا ركن أو هذا واجب؟ ولماذا سموا هذا ركنًا وهذا واجبًا؟ إلى آخره ، مما له صلة بفهمك لمعنى الركن ومعنى الواجب.

المسألة الثانية: خلاصة الكلام على هذه الأركان الستة، بحيث يمكنك معه أن تقرر حقيقة الإيمان وعقيدة السلف، فيما يتصل بهذه الأركان الستة، الإيمان بالله ثلاثة أقسام:

الأول : إيمان بالربوبية –يعني إيمان بأن الله واحد في ربوبيته في تدبيره لهذا الملكوت وفي رجوع كل شيء إليه–.

الثاني : الإيمان بالألوهية –يعني بأن الله واحد في استحقاقه العبادة ولا أحد معه يستحق شيئًا من العبادة–

الثالث: الإيمان بالله في أسمائه وصافته –يعني بأن الله واحد في أسمائه وصفاته ليس له مثيل ولا ند وليس له كفوء، وليس له سمي في أسمائه وصفاته من جهة الكيفية ومن جهة تمام المعنى، وشمول ما دل عليه الاسم والصفة من المعنى–،

الثاني: الإيمان بالملائكة والإيمان بالملائكة، إيمان بأنهم موجودون وهذا الإيمان فيه إجمال وتفصيل وكل من علم شيئاً مما جاء في الدليل، من كتاب الله –ﷻ– أو في سنة المصطفى ﷺ الصحيحة، فإنه يجب إيمانه به، كما ذكرنا لك سابقًا أن القدر المجزئ للإيمان بالملائكة الإيمان بوجود الملائكة، وأنهم عُبَّاد لله جل وعلا لا يعبدون.

الثالث: الإيمان بالكتب وهو بكل كتاب أنزله الله جل وعلا ما علمنا منه وما لم نعلم، إيماناً إجمالياً في المجلات، يعني فيما لم نعلم، وتفصيليًا فيما وقفنا على اسمه من كتب الله جل وعلا ، الإيمان بالرسل أيضًا على نفس المنوال، إيمان بأن الله جل وعلا أرسل رسلاً، وأيدهم بالبراهين والآيات، والمعجزات وجعلهم هداة إلى الحق، دالين عليه وهم كثير منهم من قص علينا ومنهم من لم يقص علينا فنؤمن بهم إجمالاً، ونؤمن بهم تفصيلاً، فيما بلغنا تفصيلاً، هذه كلها جمل سبق الكلام عليها مفصلاً، تذكرونه في مواضعها. الإيمان باليوم الآخر يشمل أو القدر المجزئ منه، أن يؤمن العبد ويوقن ويصدق بان هناك يوماً يبعث الله فيه العباد، فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ثم تحته مباحث كثيرة ومن الحال في البرزخ، ثم ما بعد

النفخة الأولى، ثم ما بعد النفخة الثانية، ثم اجتماع الناس في العرصات، عرصات القيامة ثم الحوض، ثم الميزان، ثم الصحف أو الصحف، ثم الميزان والصراط والظلمة، والنار والجنة والحساب والاقتصاص وانقسام الناس كل ما في القرآن، من ذلك. واليوم الآخر كثير تفاصيله، في القرآن جدًا، كذلك في السنة، كثير التفاصيل، ويمكن أن يضبطه طالب العلم، من جهة التفصيل بأن يرتب ما جاء فيه من الأدلة في القرآن وفي السنة، يرتبها في قلبه من حين نفخة البعث إلى دخول أهل الجنة، الجنة ودخول أهل النار، النار. ترتب ما يحدث على مراحل، النفخة ما يحدث بعدها، مسير الناس كيف يجتمعون، ما يحدث أثناء اجتماعهم فيما جاء في الأدلة، ثم بعد ذلك، إيش الأشياء التي تحصل تباعاً، شيئاً فشيئاً وتفاصيل ذلك إلى دخول أهل الجنة، الجنة ودخول أهل النار، النار وسيأتي تفصيل للكلام عن اليوم الآخر إن شاء الله تعالى في آخر هذه العقيدة المباركة. والقدر هو الركن السادس وذكرنا لك أن مراتب الإيمان بالقدر أربع، وأنه يجب على العبد والقدر المجزئ من الإيمان به أن يعلم أن كل شيء يحصل إنما هو بإذن الله وبمشيئته وبعلمه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الرب -جل جلاله- قدر كل شيء إجمالاً وتفصيلاً، الإيمان بالقدر كما ذكر قال القدر خيره وشره وحلوه ومره، من الله تعالى، والخير الشر والحلو والمر، في القدر المقصود بها ما يضاف للعبد من القدر. يعني المقدور، فالقدر له جهتان، جهة صفة الله جل وعلا وفعل الله جل وعلا وهذه مرتبطة بعدد من صفات الرب -ﷻ- أولها العلم والثاني الكتابة، والمشيئة والخلق والحكمة -وهي وضع الأمور في مواضعها اللائقة بها الموافقة للغايات المحمودة منها- والعدل في حكمه جل وعلا القدري، وهو وضع الأمر وضع الأمور والمقادير في مواضعها، هذه جهة تتعلق بالله -جل جلاله-. والجهة الثانية تتعلق بالعبد، وهي المقدور وقوع المقدور وقوع المقدر

عليه، وقوع القدر عليه، أو حصول القدر وهذه تسمى المقدور، وتسمى القضاء، كما أسلفنا لكم في الفرق ما بين القدر والقضاء. هذا المقدور هذا المقدر هو الذي ينقسم إلى خير وشر، وإلى حلوٍ ومر. أما الجهة الأولى وهي صفة الله جل وعلا فليس فيها شر بل كلها خير، لأن الله جل وعلا طيب، ولأنه -سبحانه- ليس في أفعاله إلا الجميل، والخير، وما يؤول إليه فعله وقدره، والحكمة وما ينبغي أن تكون الأمور عليه. لهذا صح عنه ﷺ في دعائه في الليل، أنه قال في ثنائه على ربه جل وعلا: ((والشر ليس إليك)) يعني أن الشر ليس إلى الله جل وعلا فعلاً، وليس إلى الله جل وعلا إضافًا. فلا ينسب الشر إلى -ﷻ- لا من جهة الفعل ولا من جهة إضافة الشر إليه. وإنما هو شر بالنسبة إلى العبد، فيؤمن بما كان خيراً له، بما كان حسنه في حقه، ويؤمن بما كان شراً في حقه أو كان سيئة تسوؤه في حقه. وكذلك ما كان حلواً وما كان مرًا. وهذا له للعباد فيه أحوال عظيمة وهو الذي يظهر من العبد الإيمان به، يعني الإيمان بالمقدور، يعني ما موقفه من المقدور هذا شر وخير بالنسبة إليه، لكن معظم الناس، يعني حاشاً أهل العلم والحكمة، معظم الناس لا ينظرون إلى الجهة الأولى، وهي جهة فعل الله جل وعلا وعلمه ومشيئته وتقديره وخلقه ونحو ذلك في وقوع المقدرات عليهم أو في ما يرون من تقدير الله جل وعلا في الناس. هذا حاله كذا، وهذا حاله كذا، لا ينظرون إلى الجهة الأولى، في الغالب يكون نظرهم من جهة الإضافة إليه، هذا حلو بالنسبة له، هذا شر، ينظر إلى الناس هذا جاء كذا، وما جاء كذا، هذا من صفته كذا وليس من صفته كذا، وهذا، ولأجل هذا نص على الخير والشر والحلو والمر هنا، وأصله التنصيص عليه في الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: ((أن تؤمن بالقدر خيره وشره)) خيره وشره. وفي الحديث الآخر أيضاً قال: ((خيره وشره وحلوه ومره)). وهذا هو الذي يحاسب العبد نفسه عليه، فيما يظن فيما يراه

حاصلاً من المقدر، ومن هذه الجهة جهة الإيمان بالقدر، يأتي كثير من السيئات التي يصاب العبد بها، وهي جهة سوء الظن بالله جل وعلا، ولهذا كان الإيمان بالقدر خيره وشره، فيما يضاف إلى العبد من وقوع المقدرات، كان الإيمان به عظيماً، لأن أكثر الخلق يسيئون الظن بالله جل وعلا وهذه من سمة أهل الجاهلية ﴿ **يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ يأتيه الشيطان في خاطره، في ما وقع عليه ممن يسؤوه من الشر، يقول: غيري كذا أو أنا لا أستحق هذا، أو كيف يحصل هذا، ونحو ذلك. ولقد أحسن ابن القيم –رحمه الله– حينما ذكر سوء الظن، بالله جل وعلا وقال في أواخر بحثه، ففتش نفسك، فإن تنجو منها تنجوا من ذي عظيمة... وإلا فإني لا إخالك ناجياً. وقل من يسلم من سوء الظن بالله –جلا وعلا–، ومن الاعتراض، فهو أعظم وأكثر من التطير، ولأن التطير يحصل أحياناً، ولكن وقوع المقدرات هذا كل لحظة ولهذا ينبغي للعبد في إيمانه بالقدر خيره وشره بل يجب عليه أن يحسن الظن دائماً بالله جل وعلا وأن يسلم لما أراده الله جل وعلا بعبده من الأمور الكونية.

المسألة الثالثة: الإيمان إقرار وتصديق وعمل، وهذه الأركان أركان الإيمان الستة، لا يظهر تعلقها بنفسها بالعمل، فهي كلها أمور اعتقاديه بحتة، فأين العمل في هذه الأركان الستة؟ الجواب عن هذا من جهتين:

الجهة الأولى : أن العمل متضمن في هذه الأركان الستة، فالإيمان بالله، إيمان بربوبيته وأولوهيته، وبالأسماء والصفات. والإيمان بتوحيده في العباد –يعني بأنه هو المستحق للعبادة وحده جل وعلا فيه التوجه إليه بالعبادة، كذلك الإيمان بالربوبية فيه الاعتراف له بالربوبية. وهذا يلزم منه أن يعبد أو أن يشكر أو نحو ذلك، وهذا مدخل بالإيمان، مدخل للعمل في الإيمان. الإيمان بالملائكة يتصل به العمل من جهة المراقبة باعتقاده أن

الملائكة موجودون وأن منهم من يراقب العبد، ويكتب ويحسب عليه: ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾. إيمان بالكتب فيها الإيمان بأعظم الكتب وهو القرآن، والإيمان بالقرآن فيه العمل بما في القرآن من أوامر ونواهي والحكم به، هذا عمل الإيمان بالرسل فيه الإيمان. بمحمد ﷺ بل هو أعظم أركان الإيمان، بعد الإيمان بالله -ﷻ-، والإيمان بالنبي ﷺ أنه رسول لابد فيه من العمل. الإيمان باليوم الآخر، وأن الله يحاسب العباد، فيجزئ المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

الشريط السابع والثلاثين وجه (ب)

هذا من جهة أنه متضمن إلى أن العبد لا يعمل عملاً يسخط الله جل وعلا فيما قدر، ويعمل عملاً يشكر الله جل وعلا به فيما قدر، لأن القدر إما خير يستوجب الشكر، أو شر بالنسبة للعبد مر بالنسبة للعبد يستوجب الصبر، وهذه أعمال. هذه هي الجهة الأولى من التعلق.

الجهة الثانية : من تعلق العمل بهذه الأركان الستة، أنه لا يتصور في الشرع، أن ثم إيمان بلا إسلام، كما أنه لا يتصور أن ثمة إسلاماً بلا إيمان. فكل إسلام لابد فيه من قدر من الإيمان يصح معه الإسلام الظاهر، كذلك كل إيمانٍ -بهذه الأركان الستة الباطنة الاعتقادية- لابد معه من عمل، من إسلام يصحح هذا الإيمان. ولهذا كان من الشرط في صحة الإسلام أن يكون ثم إيمان وفي صحة الإيمان أن يكون ثم إسلام. فلا يتصور مسلم ليس معه من الإيمان شيء ولا يتصور مؤمن ليس معه من الإسلام شيء. فإذًا دخل العمل بدخول الإسلام -وهو أركان الإسلام- في صحة هذا الإيمان، فالإيمان المنجي إيمان لابد معه من إسلام، وهذا ظاهر بيّن في أن الله لا يقبل عمل أحدٍ حتى يكون مؤمناً.

قال بعدها –رحمه الله تعالى– : (ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به) نحن يعني به أهل الإسلام، أهل القبلة، مؤمنون بذلك كله –يعني بأركان الإيمان الستة– وفي الإيمان بالرسل، للتنصيص على ذلك، وكذلك الإيمان بالكتب لا نفرق بين أحدٍ من رسله، وذلك لأن الله جل وعلا أثنى على عباده بعدم التفريق بين الرسل؛ لأن الرسل جميعاً جاءوا بشيء واحد. قال جل وعلا:﴿ **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾. هذا قول أهل الإيمان والرسل، بثناء الله جل وعلا عليهم. وكذلك قوله جل وعلا :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّـهِ وَرُسُلِهِ** ﴾ هذا فيه الذم الشديد لهؤلاء اليهود. نصدقهم كلهم على ما جاءوا به –يعني أن الرسول الذي بعث إلى قومه برسالة فكل ما قاله عن الله جل وعلا حق ما علمنا منه وما لم نعلم–، فلم يقل رسول من لدن نوح –عليه السلام– إلى محمد ﷺ قولاً ينسبه إلى الله جل وعلا ويجعله من شريعته من دينه، ويكون في ذلك، ولا يكون في ذلك محقاً. بل كل ما قالته الرسل فيما بَلَّغوا عن الله جل وعلا حق يجب التصديق به إجمالاً فيما لم نعلم، وتفصيلاً فيما علمنا وعُلِمنا. والرسل –صلوات الله وسلامه عليهم دينهم واحد، كما سيأتي في المسألة التالية. يريد الطحاوي بذلك أن نفس أهل السنة وأهل القبلة سليمة تجاه رسل الله جل وعلا فيؤمنون بالجميع ويسلمون للجميع. خلافاً، لأهل الملل الباطلة الزائغة، الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً على هذه الجملة بعض المسائل الأولى الرسل دينهم واحد والله جل وعلا لم يبعث رسولاً إلا بدين الإسلام، ولكن الشرائع تختلف، كما قال جل وعلا: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً** ﴾ وقال: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾ وقال: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ يعني سواء أكان من قبل محمد ﷺ أم كان بعد محمد ﷺ لا

يقبل الله من أحد إلا الإسلام، فالرسل جميعاً دينهم واحد. كما صح عنه، عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((الأنبياء أخوة لعلات الدين واحد والشرائع شتى)). وهذا يبين لك أن أهل الإسلام وخاصة أهل السنة والجماعة لا يقولون ولا يعتقدون بأن الأديان التي جاءت من السماء متعددة، كما يقول الجاهل الأديان السماوية. فالسماء التي فيها الرب -ﷻ- وتقدس في علاه ليس منها إلا دين واحد، وهو الإسلام. جاء به آدم -عليه السلام- وجاء به نوح وجاء به جميع المرسلين إلى نبينا محمد ﷺ. فدين موسى -عليه السلام- الإسلام، ودين عيسى -عليه السلام- الإسلام، ودين إبراهيم -عليه السلام- الإسلام وهكذا فجميع المرسلين جاءوا بدين الإسلام الذي لا يقبل الله جل وعلا من أحد سواه: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾. ومن الباطل قول القائل: الأديان السماوية ففي هذا القول تفريق بين الرسل؛ لأن الرسل دينهم واحد، نصدقهم كلهم على ما جاءوا به، لم يأتوا بعقائد مختلفة ولا بأخبار مختلفة غيبية، فكل الرسل يصدق بعضهم بعضاً فيما أخبروا به عن غيب الله جل وعلا ما يتعلق بأسماء الله جل وعلا بصفاته، بذاته العليا جل وعلا بالجنة بالنار، الأخبار ليس فيها نسخ، الأخبار ليس فيها تغيير ما بين رسولٍ ورسولٍ، فالأمور الغيبية كل ما جاءت به الرسل فيها حق، لهذا نصدق إجمالاً بكل ما جاءت به الرسل، ونحبهم جميعاً ونتولاهم جميعاً وننصرهم جميعاً، ننصر دينهم دين الإسلام، الذي جاءت به الرسل جميعاً. المسألة الثانية شرائع الرسل تختلف وهي التي تضاف إليها الملة ، فيقال اليهودية، يقال النصرانية ونحو ذلك، هذا باعتبار الشرائع، باعتبار اختلاف الشرائع، والشريعة هي ما لا يختص بأمور الغيب، مما يتعلق بالأمور العملية الله جل وعلا يشرع ما يشاء بما يوافق حكمته البالغة -تقدس ربنا وجل في علاه-. فإذًا الفرق ما بين الدين العام والشريعة أن الشريعة، الدين العام وما يتصل بالغيب، والشريعة هي ما يختلف به من جهة العمل. ولهذا

تجد بعض بين الرسالات ربما كان في الشرائع اختلاف في بعض وسائل، في بعض الوسائل –مثلاً وسائل الشرك– ففي بعضها ما يباح، وفي بعضها منعت– مثلاً اتخاذ التماثيل كان مباحاً في شريعة موسى وسليمان: ﴿ **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ** ﴾، كذلك بعض أنواع التوسل، بعض أنواع الانحناء والتحية، هذه وسائل راجعة إلى جهة العمل، ليس على جهة الاعتقاد الغيبي وما يختص الله جل وعلا به، هذه منعها منع وسائل، هذه راجعة إلى الشرائع وما يشرعه الله جل وعلا لكل أمة. أما العقيدة المتصلة بالغيب فهذا هو الدين العام، دين الإسلام العام الذي بعث الله جل وعلا بجميع المرسلين ، محمد ﷺ له خصوص، وهو أن رسالته جمعت دين الإسلام وشريعة الإسلام، فالاسم –اسم الإسلام الكامل– الأحق به محمد ﷺ؛ لأن شريعته سماها الله الإسلام، ولأن الدين الذي جاء به الإسلام –كما جاءت به جميع الرسل– فجمع الله له ما بين شريعة الإسلام، ودين الإسلام فصار مختصاً بهذا الاسم دون غيره.

المسألة الثالثة: (لا نفرق بين أحد من رسله) خلافاً لكل أهل الملل والديانات، ويجوز أن نقول ديانات لأن لكل أمة دين، لكن ما نضيفها إلى السماء ما نقول ديانات سماوية، ديانات يهودية والنصرانية... إلى آخره، باعتبار ما هي عليه هنا، هذه جميعاً فرقت بين الرسل ولهذا في الحقيقة من فرق بين الرسل، فليس له حظ في الإيمان بالرسل، حتى إن رسولهم الذي أرسل إليهم –ما دام أنهم فرقوا ليس لهم حظ في الإيمان به. فإذًا نقول حقيقة النصارى لم يؤمنوا بعيسى، حقيقة اليهود –بعد تحريف الدين– لم يؤمنوا بموسى –عليه السلام–. وإنما أحبوا وآمنوا بشيء وضعوه في أذهانهم سموه عيسى وسموه موسى وسموه داود وسموه سليمان، وإلا فالرسل متبرأون ممن عبدهم أو ممن لم يؤمن بكل رسول. من الذي آمن؟ المسلمون آمنوا بكل رسول، لهذا

الأحق بحماية ميراث الأنبياء جميعاً والرسل، والدفاع عنهم، وبأن يرث ما ورثوه هم أهل الإسلام، ولهذا جعل الله جل وعلا القرآن مهيمناً على كل كتاب.

قال بعدها : (وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار، لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين. وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله) كما ذكر -ﷻ- في كتابه: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته. هذه الجملة يقرر فيها الطحاوي -رحمه الله تعالى- عقيدة أهل الأثر وأهل السنة، في أهل الكبائر، مخالفين في اعتقادهم ذلك لطوائف الضلال، من الخوارج والمعتزلة والوعيدية بعامة. فأهل السنة في أهل الكبائر وسط ما بين فرقتين غالية كالخوارج والمعتزلة، وجافية كالمرجئة. وسط ما بين من يقول يخرج من الإيمان بكل كبيرة، وما بين من يقول لا يضر مع الإيمان كبيرة. فيعتقد أهل السنة والجماعة، أن أهل الكبائر من هذه الأمة متوعدون بالنار، لكن إذا دخولها وكانوا موحدين، فإنهم لا يخلدون فيها، وقد يعذبهم الله جل وعلا وقد يغفر لهم. وهذه مسألة واضحة، من جهة الصلة بمباحث الإيمان -كما سيأتي- وسبق أن تكلمنا عن القول أو صلة البحث في الكبائر وأهل الكبائر مع الإيمان، والمسألة المسماة بمسائل الأسماء والأحكام. ودليل الطحاوي على هذه الجملة، من النصوص كثير لا يحصى وذلك -يعني كتقعيد- أن كل آية فيها ذكر وعد لأهل الإيمان، فإنه يدخل فيها أهل الكبائر، لأنهم يدخلون في أنهم مؤمنون. وكل وعيد جاء لأهل الكفر بالخلود في النار، فإنه يخرج منه أهل الكبائر من هذه الأمة، إذا ماتوا موحدين؛ لأنهم ليسوا من أهل الإشراك والكفر. فنصوص الوعد تشمل أهل الكبائر، ونصوص الوعيد

للكفار لا يدخلها أهل الكبائر. وإنما لأهل الكبائر من هذه الأمة وعيد خاص في أنهم قد يعذبون وقد يغفر لهم، وأنهم يؤول بهم الأمر بتوحيدهم إلى الجنة. ومن ذلك قول الله جل وعلا في وعد أهل الإيمان: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾. وهذا في حق الصحابة رضوان الله عليهم، وكان منهم بالنص من عمل بعض الكبائر. وكذلك قوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً** ﴾ وكذلك قوله: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ ونحو ذلك من آيات الوعد التي فيها وعد لأهل الإيمان بدخول الجنة. تشمل أهل الكبائر لأنهم مؤمنون. ومن السنة ما صح عنه –عليه الصلاة والسلام– من دخول الموحد الجنة، وإن زنا، وإن سرق، إذا مات على التوحيد. والمسألة مشهورة يعني الأدلة فيها أنوع: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) ((أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)) ((من قال لا إله إلا الله مخلصاً –من قلبه أو نفسه– دخل الجنة)) كما رواه البخاري عن أبي هريرة. ويعني أنواع النصوص في الوعد، وعد المؤمنين بعامة، وكذلك في التنصيص على أنه يدخل الجنة وإن حصلت منه الكبيرة. نذكر هنا مسائل الأولى قال وأهل الكبائر، أهل الكبائر يسمى من ارتكب الكبيرة أنه من أهل الكبائر أو يوصف بأنه من أهل الكبائر، إذا اجتمع فيه وصفان:

الأول: العلم والثاني عدم التوبة فإذا علم أن هذا الفعل معصية، واقتحمه فإنه –وكان منصوص عليه أنه من الكبائر– فيكون من أهل الكبائر. والثاني أن لا يكون أحدث توبة، فإذا أحدث توبة فلا يسمى من أهل الكبائر، أو لا يوصف بأنه من أهل الكبائر. والكبائر جمع كبيرة، والكبيرة اختلف فيها العلماء اختلافاً كبيرًا، على أقوال شتى.

فمن أهل العلم ذكر لك عدداً من الأقوال، الشارح ابن أبي العز، من أهل العلم من قال هي سبع، مقتصراً على حديث: ((اجتنبوا السبع الموبقات)) ومنهم من قال هي سبعون، يعني من جهة العدد ومنهم من قال كل معصية كبيرة. وهذه الأقوال ليست جيدة، بل الجميع غلط فلا يحد العدد. بحد لعدم النص عليه وليست كل معصية كبيرة، بالفرق في القرآن كما سيأتي. وكذلك ليست هي سبعين –يعني لم يثبت في العدد ولا في أن كل معصية كبيرة شيء يمكن أن يستدل به على ذلك–. ولهذا صار أجود الأقوال في الكبيرة قولان، القول الأول أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد بنار او غضب. والقول الثاني أن الكبيرة ما هو، هي المعصية التي يؤثر فعلها في أحد مقاصد الشرع أو كلياته الخمس. مقاصد الشرع العظيمة أو في أحد كلياته الخمس. والأول، القول الأول هو المعروف عن الإمام أحمد وعدداً من أهل العلم، من أهل السنة.

والقول الثاني اختاره جمع من العلماء. كالفقيه أبي محمد بن عبدالسلام، المشهور بالعز بن عبدالسلام في قواعده، وقواه جمعٌ ممن تبعه في ذلك وذكره النووي أيضاً في شرحه على مسلم، من الأقوال القوية في المسألة. هذان القولان قريبان، والأول عرفت فيه الكبائر بما فيه حد في الدنيا أو وعيد، حد في الدنيا –يعني ما رتب عليه حد محدود– مثل السرقة فيها حد كبيرة، الزنا فيه حد كبيرة، شرب الخمر فيه حد كبيرة، وهكذا السحر فيه حد كبيرة، الشرك بالله جل وعلا هو رأس الكبائر. وكل ما رتب فيه حد فهذا ضابط لمعرفة أنه كبيرة.

الثاني: ما تُوعد عليه بالنار، فعل توعد الله جل وعلا عليه بالنار، جاء في الكتاب أو السنة التوعد عليه بالنار. قتل النفس هذا فيه حد وأيضاً توعد بالنار، والخيانة، وأكل المال بالباطل، أكل مال اليتامى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ**

أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ وأشبه ذلك. فما كان فيه حد أو كان توعد بالنار، فهذا ظاهر في أنه كبيرة. ابن تيمة أضاف ما نفي فيه الإيمان، لا يؤمن –يعني أضاف على التعريف الأول ما نفي فيه الإيمان– ((لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه)) يقول عدم أمن الجار من البوائق، والاعتداء عليه هذا صار من الكبائر؛ لأنه نفى فيه الإيمان. ونفي الإيمان لا يطلق –عند ابن تيمية– إلا على نفي الكمال الواجب، ولا ينقص الكمال الواجب عنده إلا ما كان كبيرة. أو جاء فيه ((ليس منا)) ليس منا من فعل كذا ((ليس منا من غش))، ((من غشنا فليس منا)) ((ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)) هذا يدل على أن الفعل كبيرة عند ابن تيمية؛ لأن النفي هذا "ليس منا" يقول يتوجه إلى أنه ليس من أهل الإيمان، وهذا النفي يرجع إلى الأول في أنه فعل كبيرة. وذكرت لكم مرة أو أكثر أن ابن عبدالقوي في منظومته في الآداب الطويلة ذكر تعريف بقوله:

فما فيه حد في الدنا أو توعدٌ بأخرى فسم كبرى على نص أحمد
وزاد حفيد المجد أو جاء وعيده بنفي لإيمان وطرد لمبعد

يعني جمع قول الإمام أحمد واستدراك ابن تيمية عليه. والتحقيق أن يقال هذه الأقوال –يعني القولين هذين القولين– قريبة وهي صواب. وما كان فيه قدح في مقصد من مقاصد الشارع، أو ضروري من الضروريات الخمس، وصار إحداثه أو فعله مضرته وإفساده يرجع إلى هذه، فهو في الحقيقة يكون في الشرع مرتباً عليه حد أو يكون في الشرع مرتب عليه لعن أو طرد أو وعيد. يدخل في التعريف الأول –يعني على كلام ابن تيمية– اللعن، كل ما فيه لعن أيضاً، يدخل في حد الكبيرة، سبق أن ذكرنا لكم شيئاً من ذلك. هنا مسألة تعرض.

سؤال : هل الإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة؟ أم لا؟ يعني من أصر على صغيرة قلنا هو من أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ أم لا ؟

الجواب : للعلماء في ذلك قولان:

الأول: أن الإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة، كما جاء عن بعض الصحابة –رضوان الله عليهم– كابن عباس وغيره.

والثاني: أن الصغائر تختلف وأن الإصرار على الصغائر لمن ترك الكبائر، لا يبقى معه صغيرة؛ لأن الله جل وعلا جعل الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر. وجعل رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما، مكفراً لما بينهما، إذا اجتنبت الكبائر. وهكذا العمرة إلى العمرة، وهكذا الحج ليس له جزاء إلا الجنة. الحج المبرور ((ومن حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) ونحو ذلك من الأذكار التي يمحوا الله بها السيئات، كذلك اتباع السيئة الحسنة، وهذا يدل على أن الموحد الذي لم يفعل الكبائر، أن هذه العبادات العظيمة، بفضل الله جل وعلا تمحوا عنه الصغائر التي وقعت منه، فلا يتصور أن الصغائر تجتمع في حقه، فتتحول إلى كبيرة. وهذا النظر ظاهر من حيث الاستدلال، ومن قال إن المداومة على الصغائر تحولها إلى كبيرة يحتاج إلى دليل واضح من الكتاب أو السنة، والأدلة كما ذكرت تدل على أن الصغيرة من الموحد وتكفر، لا تجتمع عليه، ولكن هذا بشرط اجتناب الكبائر، كما قال جل وعلا: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً** ﴾ لعل نقف هنا ونكمل بقية المسائل على بحث الكبائر في الدرس القادم إن شاء الله تعالى. وفقكم الله لما يحب ويرضى وجمعنا على الحق والهدى وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشريط الثامن والثلاثين الوجه (أ) ٤/١١/١٤١٩هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فنأخذ بعض الأسئلة.

سؤال : يقول ما توجيهكم لحديث البطاقة وحديث (يا ابن آدم لو آتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة)) رواه مسلم؟

الجواب : ما رواه مسلم هو خارج من مسلم، مع العلم أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة؟ ما فهمت وجه الاستشكال، لكن لعله أنه فهم من العموم في حديث ((يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة)) فهم من العموم أن هذا يعارض كون صاحب الكبيرة تحت المشيئة، إذا مات غير تائب. هذا غير وارد؛ لأن النصوص يصدق بعضها بعضًا، والآيات يفسر بعضها بعض، والأحاديث تفسر بعضها بعض. وكذلك الوعد، الوعد لا ينافي الوعيد. فقوله: ((أتيتك بقرابها مغفرة)) هذا وعد من الله جل وعلا لمن حقق التوحيد، لا يشرك بالله شيئاً، وكون صاحب الكبيرة تحت المشيئة لا يعارض هذا الأصل؛ لأن هذا وعيد. والوعد والوعيد، يطلقان ويكونان على إطلاقهما، وكذلك يجتمعان في حق المعين، فيجتمع في حق المعين، الوعد والوعيد وهذا في حق مرتكب الكبيرة، ويدخل في عموم أهل الإيمان الذين وعدهم الله جل وعلا بالجنة. كل مؤمن وعده الله جل وعلا بالجنة. يدخل في المسلمين، الذين جعله الله جل وعلا لهم مغفرة وأجراً، الذين جعل الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً، كما في آية الأحزاب: ﴿ **إِنَّ**

الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ ونحو ذلك. فأهل السنة والجماعة في مثل هذه الأدلة التي فيها الوعد وفيها الوعيد، يعملون الوعد ويعملون الوعيد. والوعد بشرطه، والوعيد أيضاً بشرطه. فلا منافاة ما بين الأدلة، بل الأدلة يصدق بعضها بعضاً.

سؤال : ما الضابط في التفريق بين الفعل والصفة، في صفات الله جل وعلا وأفعاله؟

الجواب : الصفة، صفة الرب -ﷻ- مشتملة على فعل له سبحانه وتعالى ، ومشتملة على ما هو لازم من غير الفعل، يعني أن صفات الرب -ﷻ- منها ما هو صفة فعل، ومنها ما هو صفة ذات. فليست كلها متعدية، تعدي الأفعال. فمثلاً وجه الرب -ﷻ- صفة، وليس بفعل. اليدان للرب -ﷻ- وصف له -سبحانه- وليستا باسم ولا فعل. فإذا الفعل هو فعل يفعله الله جل وعلا له أثره. فالصفات منها ما هو صفة فعل مثل: الرحمة وهي صفة ذات لكنها لها أثرها ومثل النزول وأشباه ذلك الغضب، الرضا، وهذا يتعلق بالمخلوق، فيفعله جل وعلا فيتصف به -ﷻ- وهناك القسم الآخر، التي هي صفات الذات، صفات الذات، كثيرة لا علاقة لها بالأفعال. فإذًا نقول ليست، ليس كل صفة فعلاً، ليست كل صفة لله جل وعلا فعلاً. فقد تكون متعلقة بفعل أولها فعل أو أثرها فيه فعل وقد لا يكون ذلك. ولهذا لا يشتق من الصفة فعل مطلقاً كما أنه لا يشتق من الفعل صفة مطلقة. وذلك أن الأفعال أوسع في باب وصف الله جل وعلا من الصفات. وقد يكون ثم فعل لله جل وعلا ولا يشتق منه صفة يعني نشتق من الحدث المستكن في الفعل صفة لله جل وعلا مثلاً الصفات المنقسمة أي : الأفعال المنقسمة إلى محمود ومذموم، ومثل المكر مثل: ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ** ﴾ ومثل: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**

﴾ ومثل: ﴿ **مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ** ﴾ ونحو ذلك ما نشتق منها صفات مطلقاً ونقول الفعل أطلق على الله جل وعلا فنقول له صفة الاستهزاء، له صفة المخادعة، له صفة المكر، وهكذا. بل تطلق هذه الصفات مقيدة؛ لأن المكر والمخادعة والاستهزاء ليست كمالاً في كل حال. بل قد تكون كمالاً وقد تكون نقصاً، فتكون كمالاً إذا كانت بحق، ومن آثار صفات الكمال الأخر، وتكون نقصاً إذا كانت بباطل وكانت من آثار صفات النقص في المخلوق.

فإذًا باب الأفعال أوسع من باب الصفات وليست كل صفة، ليس كل فعل نشتق منه صفة لله جل وعلا وليست كل صفة نشتق منها الفعل لله جل وعلا لأن الصفات منها ما هو صفة ذات، ومنها ما هو صفة فعل.، لا يُجمع ما بين ما يرد مع فهم القواعد، يعني الضابط في هذا النصوص وفهم قواعد الأسماء والصفات على طريقة السلف. نكتفي بهذا، نعم اقرأ:

المتن :

وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار، لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين وهم في مشيئته وحكمه، عن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر -ﷻ- في كتابه: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾. وإن شاء عذبهم في النار بعدله. ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته. ثم يبعثهم إلى جنته وذلك بأن الله -تعالى- تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته. اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به، آمين .

الشرح :

الحمد لله، تقدم معنا في الدرس الماضي تقرير بعض المسائل حول هذه الجملة. قال : (وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار، لا يخلدون أو لا يخلّدون إذا ماتوا وهم موحدون) إلى آخر كلامه.

المسألة الأولى: مرت معكم وهي في تعريف الكبيرة، والفرق ما بين الكبيرة الصغيرة، ومن هم أهل الكبائر؟. الذين يصدق عليهم هذا الوصف.

المسألة الثانية: قوله (من أمة محمد ﷺ)، هذه الجملة أو شبه الجملة، لا مفهوم لها، فليس هذا الحكم خاصًا بأمه محمد ﷺ، بل هو عام لهذه الأمة ولغيرها لأنه لم يدل دليل على تخصص هذه الأمة بهذا الفضل، ولأن هذه ترجع إلى قاعدة الوعد والوعيد، وهما مما تشترك فيه الأمم؛ لأن أصلها واحد. قال أهل الكبائر في النار، لا يخلّدون أو لا يخلدون، بشرط إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين.

المسألة الثالثة: دخول أهل الكبائر في النار هذا وعيد، وهذا الوعيد يجوز إخلافه من الرب -ﷻ- وذلك أن مرتكب الكبيرة، إذا تاب في الدنيا، تاب الله عليه وإذا طهّر بحد أو نحوه كتعزير، فإنه تكون كفارة له. فإذًا يكون مرتكب الكبير من أهل الوعيد إلا في حالات، الحالة الأولى أن يكون تائباً، كما ذكرنا لك؛ لأن التوبة تجب ما قبلها. قال الله جل وعلا : في آخر سورة الزمر: ﴿ **قُلْ يعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً** ﴾ أجمع أهل التأويل التفسير، أنها نزلت في التائبين. فمن تاب، تاب الله جل وعلا عليه، فلا يلحق التائب وعيد؛ لأنه قد محيت عنه زلته وخطيئته بالتوبة.

الحالة الثانية: أن يطهر من تلك الكبيرة، إما بحد -كمن شرب الخمر مثلاً فأقيم عليه الحد فهو طهارة وكفارة له- وكذلك من قتل مسلماً، فقتل أو من قتل مسلماً خطأً، فدفع الدية فإن هذا كفارة له. أو سرق فقطعت يده، فهو

كفارة له، أو قذف فأُحِدَّ أقيم عليه الحد، حد القذف فهو كفارة له، أو زنا، إلخ. أو كان تعزيراً أيضاً فإنه طهارة، يعني أن ما يقام على المسلم من حد أو تعزير من عقوبة في الدنيا فإنها من جنس العقوبة في الآخرة، تطهره من هذا الذنب.

الحالة الثالثة: بعض الذنوب تكون لها حسنات بعض الذنوب الكبائر تكون لها حسنات ماحية –مثل مثلاً الصدقة في حق القاتل، قال جل وعلا: ﴿ **فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ** ﴾. ومثل الجهاد العظيم، فإنه ينجي من العذاب الأليم، قال –سبحانه–: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ امَنُواْ هَلْ أَدُلُّكمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ** ﴾. والعذاب الأليم هو لمن فعل الكبيرة؛ لأنه وعيد شديد.

الحالة الرابعة: أن يكون الله جل وعلا يغفر له ذلك بأسباب متعددة ذكرنا لكم شيئاً منها فيما مضى، في العشرة أسباب المشهورة، قد يدخل بعضها فيما ذكرنا لكم آنفاً.

الحالة الأخيرة: أن يغفر الله جل وعلا له بعد أن صار تحت المشيئة –يعني يوم القيامة– لا يكون عنده حسنات ولا يكون أتى بشيء، ولكن يغفر له الله جل وعلا منّةً منه وتكرماً. وهذا هؤلاء هم الذين يقال عنهم تحت المشيئة –يعني إذا لم يتوبوا ولم يقام عليهم الحد، أو طهروا ولم يأتوا بشيء من أسباب تكفير الذنب– فإنهم تحت المشيئة، إن شاء الله جل وعلا غفر لهم، وإن شاء عذبهم في النار، ثم يخرجون لا يخلدون. وهنا شرط المؤلف، شرط الطحاوي –رحمه الله تعالى– لهؤلاء الذين لا يخلدون في النار، إذا دخولها –يعني لمن لم يغفر الله جل وعلا له بل شاء أن يعذبه– شرط له شرطين وهي المسألة الرابعة وهي أن من لم يغفر له ممن لم يتب، فإنه يشترط لعدم خلوده في النار، شرطان:

الشرط الأول: أن يكون مات على التوحيد، وهذا كما هو شرط عام في دخول الجنة، كذلك هو شرط عام في الخروج من النار، كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذره من إيمان)). فالتوحيد أساس لعدم الخلود في النار، فكل موحد لابد أن يخرج من النار.

الشرط الثاني: أنه لا يخلد في النار إذا لم يأتي في ارتكابه لهذه الكبيرة، بما يجعله مستحلاً لها، فقد يكون من جهة موحداً في الأصل في نطقه بالشهادتين ويكون من جهة أخرى في هذه الكبيرة بعينها مستحلاً لها، وهذا بقيد أن تكون الكبيرة مما أجمع على تحريمه وكان المستحل لها غير متهور. وهذه قد تدخل مع شيء من النظر في الأول؛ لأن حقيقة الموحد هو أنه غير مستحل لشيء من محارم الله جل وعلا.

المسألة الخامسة: الخلود في النار نوعان، خلود أمدي إلى أجل، وخلود أبدي، والخلود الأمدي هو الذي توعد الله جل وعلا به أهل الكبائر. والخلود الأبدي المؤبد هو الذي توعد الله جل وعلا به أهل الكفر والشرك. فمن الأول قول الله جل وعلا: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا** ﴾ فهذا خلود، لكنه خلود أمدي؛ لأن حقيقة الخلود في لغة العرب هو المكث الطويل، وقد يكون مكثًا طويلاً ثم ينقضي، وقد يكون مكثاً طويلاً مؤبداً.

ومن الثاني وهو الخلود الأبدي في النار للكفار قول الله جل وعلا : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾ وكذلك قوله جل وعلا في آخر سورة الأحزاب: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾ هذا خلود أبدي، ولذلك يميز الخلود في القرآن بالأبديه في حق الكفار، وأما في حق الموحدين، فإنه لا يكون معه كلمة أبدًا، وهذا الذي

بسببه ضلّت الخوارج والمعتزلة فإنهم رأوا ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ في حق المرابي وفي حق القاتل فظنوا أن الخلود، نوع واحد والخلود نوعان. ومن ما يتصل بهذا أيضاً لفظ التحريم في القرآن، ولفظ عدم الدخول للجنة في القرآن، وكذلك عدم الدخول إلى النار –يعني لفظ التحريم–: ((إن الله حرم الجنة)) أو ((حرم الله عليه النار)) أو((لا يدخل الجنة قاطع رحم)) أو ((لا يدخلون الجنة)) ونحو ذلك فهذه مما ينبغي تأملها وهو أن التحريم –في القرآن والسنة– ونفي الدخول نوعان أيضاً تحريم مؤبد وتحريم إلى أمد كما أن نفي الدخول نفي دخولٍ مؤبد، ونفي دخولٍ إلى أمد. فتحصل من هذا أن الخلود في النار نوعان، خلود إلى أمد، وخلود أبدي. وأن تحريم الجنة على –يعني كما جاء في بعض النصوص– أو تحريم النار، فقد يكون تحريماً إلى أمد، وقد يكون تحريماً إلى أبد، إلى الأبد. وكذلك نفي الدخول ((لا يدخل الجنة)) ((لا يدخل النار)) هذا أيضاً نفي دخولٍ مؤبد، أو نفي دخول مؤقت. وهذا التفصيل هو الذي به يفترق أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح، مع الخوارج والمعتزلة وأهل الضلال، بجميع أصنافهم، فإنهم جعلوا الخلود واحدًا، وجعلوا التحريم واحدًا، وجعلوا نفي الدخول واحدًا، والنصوص فيها هذا وهذا.

المسألة السادسة: قوله:(لا يخلدون إذا ماتوا وهو موحدون، وإن لم يكونوا تائبين) هذه الجملة معروفة أصلاً؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. فهي من باب التأكيد، ليست إشارة لخلاف ولا إشارة لشرط ونحو ذلك.

المسألة السابعة: قوله: (بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين)، هنا توقف الشارح ابن أبي العز عند قوله بعد أن لقوا الله عارفين، وتعقب الطحاوي في لفظ عارفين. وأن المعرفة ليست ممدوحة فإن بعض الكفار كانوا يعرفون إبليس يعرف وفرعون يعرف وأن في هذا القول وهو بعد أن لقوا الله عارفين فيه نوع مشاركة للجهمية ولغلاة المرجئة. وهذا فيه هذا التعقيب من الشارح –

رحمه الله تعالى- بهذا الموطن فيه نظر ؛لأن لفظ العارف أو المعرفة، هذه ربما جاءت في النص، ويراد بها التوحيد والعلم بالشهادتين. فكأن الطحاوي يقول بعد أن لقوا الله عالمين بالشهادتين مؤمنين، وهذا جاء في حديث معاذ المشهور، أن النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له: ((إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم عرفوا ذلك، فأعلمهم...)) إلى آخره، وهذا اللفظ رواه مسلم في الصحيح. فاستعمل لفظ المعرفة ويعنى به العلم بالشهادتين وتوجيه كلام الطحاوي إلى هذا الأصل أولى من تخطئته فيه، بأن الأصل في كلام العلماء الاتباع إلا ما دل الدليل على خلافه.

المسألة التي بعدها في قوله: (وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنه بفضله، كما ذكر -ﷻ- في كتابه: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾. وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته). هذه الجملة الطويلة، تقرير لأصل عند أهل السنة والجماعة خالفوا بها الخوارج والمعتزلة، أن أهل الكبائر إذا ماتوا غير تائبين تحت المشيئة، وقول الله جل وعلا: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ يعني في الكبائر، لمن مات غير تائب منها، والمحققون من أهل العلم جمعوا بين هذه الآية، وآية سورة الزمر: ﴿ **قُلْ يعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً** ﴾ وهنا: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ فأطلق في آية الزمر، وهنا قال: ﴿ **لِمَن يَشَاءُ** ﴾ وذلك أن هذه الآية في حق غير التائبين. وأما آية الزمر ففي حق من تاب. فهو -سبحانه- لمن مات غير تائب، إن شاء غفر وعفا وهذا فضل، وإن شاء عذب، وهذا عدل منه -سبحانه- بعباده ثم قوله (ثم يخرجهم منها، برحمته وشافعة الشافعين من أهل طاعته) هذا فيه ذكر سببين للخروج

من النار في حق أهل الكبائر. وهذان السببان ضلت فيها الفرق، من المعتزلة والخوارج ومن شابههم فإن من دخل النار من أهل الكبائر، يخرج منها برحمة الله جل وعلا والرحمة قاعدة عامة في كل فضل يحصل للعبد، في الدنيا وفي الآخرة. فالخروج من النار برحمة الله، تخفيف من الحساب برحمة الله، دخول من دخل الجنة برحمة الله –جلا وعلا–. كما صح عنه ﷺ أنه قال: ((لن يُدخل أحدكم الجنة عمله)) أو ((لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)). فهذا السبب عام، فكل من خرج هو برحمة الله، حتى فيمن شفع وشُفّع فإن العبد يخرج بعد الشفاعة –شفاعة الشافعين– برحمة الله جل وعلا.وهذا يعني أن قوله (برحمته وشفاعة الشافعين)، أنها نفهم منها أنه أراد شيئاً مستقلاً، وهو أنه محض تفضل منه جل وعلا عذب ثم أخرجهم برحمته. وهذه الرحمة في هذا الموطن لها تفسيران :

الأول : أن جعل الكبير، مع ما فيها من عظم المبارزة لله جل وعلا والتهاون بأمره ومخالفته وارتكاب نهيه، أن هذه الكبيرة لم يحكم الله جل وعلا على من ارتكبها أنه يعذب أبدًا، فكون العذاب إلى أمد رحمة، ثم انقضاء العذاب رحمة، ثم بعثهم إلى الجنة أيضًا رحمة.

الوجه الثاني: أن الله جل وعلا يخرج من النار أيضًا، أقواماً صاروا حمماً، يعني صاروا على لون السواد من شدة العذاب –والعياذ بالله– ثم يأتون أو يلقون في نهر الحياة، فينبتون فيه من جديد، كما تنبت الحبة في جانب الوادي وحميل السيل. وهذا أيضاً رحمة الله جل وعلا في حق من ارتكب الكبير. هذا السبب الأول الذي ذكره، والسبب الثاني في خروج أهل الكبائر شفاعة الشافعين من أهل طاعته. وشفاعة الشافعين أعلاها شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، أن يخرجوا من النار. ثم شفاعة الملائكة بالمؤمنين الذين

ارتكبوا الكبائر أن يخرجوا من النار. ثم شفاعة الوالد، الوالدين لمن لأولادهما وهكذا، شفاعة المحب لحبيبه من أهل الإيمان، فيمن شاء الله جل وعلا أن يشفعه. وهذان الأمران، الرحمة على ما ذكرت، وشفاعة الشافعين أيضًا على هذا الوصف، قد تقدم أظن بحث الشفاعة مطولاً، هذان خالف فيها أهل الفرق خاصة الخرواج والمعتزلة ومن شابههم.

قال بعدها وهي: المسألة التاسعة (ذلك بأن الله -تعالى- تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته). هذه الجملة يذكر بها الطحاوي -رحمه الله تعالى- كل من أنعم الله جل وعلا عليه بنعمة أن يتذكر بأنه أنعم عليه وتفضل عليه وأحسن إليه، ومنّ الله جل وعلا عليه بهذه النعمة. فالذي عصا الله جل وعلا وعفا الله عنه، أو عذبه ثم أنجاه، هذا كله من آثار تولي الله جل وعلا لأهل الإيمان. وهذا يدل على أن ولاية الله جل وعلا لعباده المؤمنين تتبعض ليست كاملة فإن ولاية الله جل وعلا وهي محبته لعبده ومودته له، ونصرته له وتوفيقه ونحو ذلك، لا يكون جملة واحدة إما أن يأتي في المعين، وإما أن يزول كقول الوعيدية، بل يجتمع في حق المعين في الدنيا والآخرة أنه محبوب من جهة، ومُبغض من جهة، متولي من جهة، ومخذول من جهة أخرى. وهذا هو الذي أراده في أن أهل الكبائر -باعتقاد أهل السنة والجماعة- لا يخلون من نوع ولاية لله جل وعلا لهم. فالله جل وعلا تولى أهل معرفته -يعني أهل توحيده- ولم يجعلهم في الدارين، في الدنيا والآخرة، كأهل نكرته -يعني أهل الكفر- الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، بل لهم نصيب من ولاية الله جل وعلا فولاية الله وهي محبته ونصرته، في حق المعين من أهل القبلة تتبعض -يعني تكون في فلان أعظم منها في فلان- فالمؤمن المسدد الذي كمل إيمانه بحسب استطاعته، له من ولاية الله جل وعلا الولاية الكاملة، التي تناسب

مقامه، في الإيمان والذي يخلط عملاً صالحًا وآخراً سيئًا له نصيب من محبة الله جل وعلا وولايته ونصرته بحسب ما عنده من الإيمان. فإذاً في حق المعين حتى من أهل الكبائر يجتمع فيه ولاية من جهة، وخذلان من جهة أجرى، وهذا هو معتقد السلف وأهل السنة والجماعة في هذه المسألة العظيمة. ثم دعا آخراً بقوله اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به. وهذه الجملة رويت في حديث، لكن لا يصح وهي دعاء طيب. ومعنى ولي الإسلام، يعني ناصر الإسلام؛ لأن الولي هو الناصر. والله جل وعلا وعد بنصر دينه -سبحانه وتعالى-، قال جل وعلا : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾ وقال -أيضاً- جل وعلا: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ امَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ ونحو ذلك كقوله في آخر الصافات: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ فقوله : اللهم يا ولي الإسلام -يعني اللهم يا ناصر الإسلام وأهله- الله جل وعلا وعد بنصرة دينه، ونصرة أهل الإسلام ووعده حق. فنسأل الله جل وعلا الذي وعد بنصر الإسلام ونصر أهل الإسلام، أن يثبتنا على هذا الدين حتى نلقاه، وأن يُرينا نصر دينه وإعزاز كلمته وإعلاء رايته إنه -سبحانه- على كل شي قدير.

المتن :

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيءٌ من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله -تعالى .

الشرح :

قال -رحمه الله تعالى-: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم) هذه الجملة يريد بها تقرير ما دلت عليه الأدلة

العامة، والخاصة في أن الصلاة عند أهل الأثر، أتباع الصحابة –رضوان الله عليهم– تقام خلف كل إمام، إمام عام وهو ولي الأمر، أو إمام خاص وهو إمام المسجد، سواء أكان براً أو كان فاجرًا. إذا كان من أهل التوحيد –يعني من أهل القبلة–. وهذا يريد به مخالفة من ضلوا عن سبيل السلف، فيمن لم يصلوا إلا خلف من يماثلهم في العقيدة أو يماثلهم في العمل، أو يكون سليمًا من الفجور –يعني، لا يصلون إلا خلف من يعلمون بره وتقواه ونحو ذلك–. وهذا صنيع الخوارج وكل أنواع المتعصبة من الضّلاّل من أهل الفرق جميعاً، وكل فرقة من الفرق، تكفر الفرقة الأخرى أو تضللها ولا يرون الصلاة خلف الآخرين، ولو كانوا مبتدعة أو كانوا فجارًا فإنهم يقولون لا نصلي إلا خلف من نعلم دينه أو خلف من هو مثلنا في الاعتقاد. بل زاد الأمر حتى صار أصحاب المذاهب المتبوعة، الشافعية، الحنفية، والمالكية، لا يصلي أحدًا منهم إلا خلف من كان على مثل مذهبه الفقهي. وهذا مخالف لهدي السلف الصالح، في أعظم مخالفة في مسائل البدع والاعتقاد، ومسائل الفقه كذلك مخالفتها شنيعة جداً. وكذلك يرون الصلاة على كل ميت من أهل القبلة ما دام أنه مات على التوحيد، ولم يعرف بكفر أو نفاق. الإمام الأعظم، أو الأمير الخاص، هذه سنة ماضية دلّ عليها كتاب الله –جل وعلا .

الشريط الثامن والثلاثون وجه (ب)

دل عليها سنة النبي ﷺ ودل عليها عمل السلف الصالح. أما السنة فقد صح عنه –عليه الصلاة والسلام– كما في البخاري وغيره، أنه ذكر الأئمة والأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فقال: ((يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم)) وكان السلف، إذا صلوا خلف من يعلمون فجوره فإنهم لا يفارقونه لأجل فجوره، كما صح عن ابن مسعود –رضي الله عنه–

أنه صلى خلف أمير الكوفة الفجر وصلاها أربع، فقال ذلك الأمير، أزيدكم – يعني هل أنا نقصت من الصلاة– وكان في سكره، فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة، فلم يحمله فعل الكبيرة شرب الخمر وما ظهر من إمارتها من تضييع عدد الركعات، من ألا يصلي خلفه ؛ لأن مصلحة الاجتماع وعدم التفرق عن الأمير، أعظم من هذه المصلحة الخاصة. كذلك لما أُمِّر الحجاج ابن يوسف الثقفي على الحج، في سنة من السنوات من قبل خلفاء بني أمية. وحج بالناس، فجاء يوم عرفة وكان ابن عمر، هو مفتي الحج بأمر الأمير – بأمر ولي الأمر– فجاءه ابن عمر جاء للحجاج وقال له: أخرج إلى الصلاة، لما قرب الزوال؛ لأن هذه السنة أن يصلي الظهر والعصر جمعاً وقصراً في أول وقت الظهر، فقال: اخرج إلى الصلاة، فقال: أفي هذه الساعة يا أبا عبدالرحمن؟ يقوله الحجاج ابن أبي يوسف الثقفي، لعبدالله ابن عمر، قال: نعم. أترغب عن السنة؟ فخرج فصلى الحجاج، وصلى خلفه ابن عمر، وصلى وراءه المسلمون. هذه أيضًا ثبتت عن أنس بصلاته خلف الحجاج وعدد من الصحابة –رضوان الله عليهم– وجمع كثير من التابعين صلوا خلف من يعلمون فجوره، ويعلمون إسرافه بقتل أو معاصٍ كبائر، ونحو ذلك. فالصلاة خلف هؤلاء سنة ماضية وعمل للسلف، لذلك صار من المتقرر في قواعد أهل السنة والجماعة أن يصلي المرء خلف الإمام، على أي حالٍ كان ما دام أنه مسلم، ويصلي خلف الأمير –الأمير العام، أمير البلد– ويصلي خلف الأمير المقيد أيضاً –أمير السفر– أو أمير الحج، أو المسؤول، أو نحو ذلك؛ لأن مصلحة الاجتماع مطلوبة والخلاف شر. وهذه صارت سنة ماضية لأهل السنة والجماعة.

المسألة الثانية: مما نص عليه السلف أيضًا، في هذا الأصل أن الصلاة نراها ونفعلها خلف كل إمام بر أو فاجر أو أيضًا ممن نجهل عقيدته.

قد بدع الأئمة الأربعة وأئمة السلف، من قال لا أصلي خلف أحد إلا بعد أن أعلم عقيدته، بل يصلي خلف مستور الحال، ومن لا نعلم حاله ولا نبحث، ولا نمتحن الناس في عقيدتهم قبل الصلاة، ونرى هل هو موافق أم ليس بموافق؟ هل هو مبتدع أم ليس بمبتدع؟ نرى ظاهر الأمر، وظاهر الأمر ما دام أنه السلامة فإننا نصلي خلفه دون بحث. فإذًا على هذا الأصل لا يجوز امتحان الناس في عقيدتهم، عند إرادة الصلاة ولا بحث أمر الباطن وإثارة الباطن؛ لأن الأصل الظاهر –وهذا هو الذي نص عليه الأئمة الأربعة وجماعة كثيرون من أئمة السلف وقرره المحققون شيخ الإسلام ابن تيمية وجمع–

المسألة الثالثة: قوله: (خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة) هذا إذا كان إماماً مرتباً، ولم يكن بوسع المرء أن يختار الأمثل أما إذا كان في سعة، في أن يختار من هو أمثل لصلاته وإمامته، فإنه يتعين عليه أن يصلي خلف الأقرأ ((يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله)). فهذا في حال الاختيار، يعني جماعة موجودون من يقدموا ؟ تقدم رجل يعرف عنه فجور فيقال له: تأخر؛ لأنه ليس بإمام للمسلمين، وليس أميرًا وليس إماماً راتباً في هذا المسجد أو هذا المكان، فلم يتقدم؟ فتقديمه والرضا بذلك نوع قصور، بل مخالفة لأمر النبي ﷺ، وهذه المسائل ما فيها حياء، ولا فيها مجاملات –يعني إذا كان الأمر في الاختيار ما تجعل أحدًا يتقدم، ممن هو معروف بفجور أو بدعة أو مخالفات أو كبائر أو نحو ذلك من المسائل–؛ لأن هذه الإمام هو بين يدي الله جل وعلا وهو مقدم الوفد بين يدي الله –سبحانه وتعالى–. وهو الذي يدعوا لهم، ويؤمهم فلا يجامل في هذه المسائل. مما يتصل بذلك أيضًا، إذا كان، إذا كانت صلاة الجماعة وإذا ترك هذا المسجد، فإنه يجد مسجداً آخر فيه إمام أسلم له في دينه واتبع فإنه يذهب يصلي خلف الأسلم؛ لأن هذا مما فيه السعة –يعني لم يتعين عليه أو ليس ثم مفسدة، أن يصلي خلف هذا–. بخلاف ما إذا كان، هذا الإمام، أمير

البلد أو ولي الأمر أو نحو ذلك، فإن التخلف عنه يثير مفسدة والأصل الجواز.

المسألة الرابعة : على قوله : (نرى الصلاة على من مات منهم) يعني من مات من أهل القبلة، أهل القبلة هم من يوصفوا بالإسلام، والذين يوصفون بالإسلام أنواع: الأول: المؤمنون الصالحون. والثاني : مسلم له فجور بمعاصٍ مختلفة. والثالث: مسلم له فجور بمعاصٍ خاصة –يأتي بيانها– . والرابع: المنافق.

أما القسم الأول فالصلاة على من مات منهم قربة وحق، في أنه إذا مات المسلم المسدد أن يصلي عليه وأن تشهد الصلاة عليه وأن تشهد جنازته؛ لأن هذا من حق المسلم على المسلم.

والقسم الثاني: أن تكون الصلاة على من له فجور عام –يعني المعاصي المختلفة–، هو ممن خلط عملاً صالحًا، وآخر سيئاً وعرف بذلك في معاصٍ مشهورة عنه. فهذا يصلي أيضًا عليه بإطلاق ولا يشرع التخلف عن الصلاة عليه إذا كان غير داع ومعلنٍ لهذا الفجور بدعوة غيره إليه.

والحالة الثالثة : أو القسم الثالث من أهل الإسلام، هو من له فجور بكبائر خاصة، وهي التي جاء الدليل بأن يترك طائفة الصلاة عليه، مثل الغال ومثل من قتل نفسه، وأشباه هذه الذنوب ومن أقيم عليه الحد حد القتل وأشباه ذلك. هذا يصلي عليه بعض المسلمين ويترك الصلاة عليه أهل الشارة والعلم، كما جاءت بذلك السنة عن النبي ﷺ.

القسم الرابع: أهل النفاق، والنفاق قسمان، نفاق يعلمه كل أحد، وهذا لا يكون في المسلمين؛ لأنه يكون زنديقًا يعني معلن بالاستهزاء بالله جل وعلا بكتبه أو في قصائده أو نحو ذلك، معلن عدم الإيمان بالقرآن ولا بالمعاد، وأشباه ذلك، فهذه زندقة ظاهرة.

والقسم الثاني : نفاق خفي، يعلمه البعض ولا يعلمه البعض. أما القسم الأول وهو الظاهر فإنه لا يجوز الصلاة على من كان زنديقاً، أو منافقاً وذلك لقول الله جل وعلا: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ** – في المنافقين– **أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ...** ﴾ إلى آخر الآية. وقال جل وعلا أيضاً لنبيه: ﴿ **وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ** ﴾. ومن كان معلوماً، ظاهر النفاق منه الزندقة محاربة الدين، والزندقة الظاهرة، الكفر الظاهر، مما يكون معه المرء منافقاً خالص النفاق، فهذا لا يصلي عليه، ويجب على المسلمين أن لا يصلوا عليه؛ لأنه حينئذ لا يكون من أهل القبلة في الوصف العام. والقسم الثاني من نفاقه ملتبس، هل هو منافق، أم ليس بمنافق؟ فهذا من علم نفاقه بيقين، له ألا يصلي عليه. إذا حضر في المسجد أو نحو ذلك، فإنه إذا علم النفاق، نفاقه بيقين فإنه لا يصلي عليه. ويترك البقية، يصلون لأن الصلاة عليه هي باعتبار الإسلام الظاهر ولم يظهر منه ما يخالف هذا الأصل. ويدل على ذلك أن عمر – ﷺ– كان لا يصلي على من لا يعلم حاله إلا إذا صلى عليه حذيفة؛ لأن حذيفة ابن اليمان –ﷺ– أخبره النبي ﷺ بأسماء المنافقين، فكان عمر ابن الخطاب الخليفة الراشد ينظر هل يصلي عليه حذيفة، أم لا يصلي عليه؟ فإن صلى عليه حذيفة، أو توجه للصلاة عليه أو لم يحكم عليه، فإنه يصلي عليه، وهذا يدل على التفريق في هذه المسائل ما بين ما يعلم، وما لا يعلم، ما يعلم من حال المنافق وما لا يعلم. فمن علم حاله لم يصلي عليه، ومن لم يعلم فإنه يصلي عليه، ولا يلزم من علم أن يعلن وينهى الآخرين عن الصلاة عليه؛ لأن الأصل هو ظاهر الإسلام. قد قرر الأئمة من أهل السنة، أن المنافق له أحكام المسلمين؛ لأن له حكم الإسلام الظاهر، فيرث ويورث ويصلي عليه من

لا يعلم حاله، ونحو ذلك مما هو من آثار الإسلام الظاهر. نقف عند هذا ونكمل إن شاء الله تعالى الأسبوع القادم، وفقكم الله لما فيه رضاه.

الشريط التاسع والثلاثين وجه (أ) ١٤١٩/١١/١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فهذه بعض الأسئلة بين يدي الدرس؟

سؤال : قال: كيف نجيب على الإشكال في الأحاديث النبوية، التي تذكر دخول الجنة والنار بالفعل الماضي. مثل حديث: ((عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت بها النار)). هل المقصود عذاب القبر أم ماذا؟

الجواب : ما ذكر من العذاب لمن أخبر الله جل وعلا أنه يعذب في النار، أو يعذب مطلقاً، أو أنه عذب، هذا محمول عند أهل السنة والجماعة على حقيقته. فإن الجنة والنار مخلوقتان الآن، لا تفنيان ولا تبيدان. فمن شاء الله جل وعلا أن يعذبه في النار، من أهل القبلة، أو من استحق النار، من أهل الشرك والضلال، فهو إذا مات في النار. وهو في قبره يكون معذباً في النار. والقبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، وقد قال جل وعلا في سورة غافر، لما ذكر عذاب آل فرعون قال: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُواْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾. فدلت الآية على أن عذاب أولئك في النار، حاصل في زمنين، الآن وبعد قيام الساعة. وكلها على حقيقتها يعذبون في النار؛ لأن الواجب الأخذ بالظاهر، وهذه أمور غيبية، والنار مخلوقة والجنة مخلوقة، والنعيم في الجنة حاصل الآن، والعذاب في النار حاصل الآن. لكن ينبغي أن يُفهم أن العذاب في البرزخ يختلف عن العذاب في الآخرة. وهو أن العذاب في البرزخ يقع على الروح، والبدن تبع. كما أن النعيم في البرزخ للروح، والبدن تبع. وأما بعد قيام

الساعة، فإن النعيم والعذاب للإنسان بروحة وبدنه جميعًا في أكمل تعلق بينهما. ويوضح ذلك أن الأحاديث جاء فيها ذكر نسمة المؤمن، وروح المؤمن أنها في الجنة. وأن روح الكافر يؤخذ بها في النار. فالعذاب والنعيم في البرزخ يقع على الروح، ليس الروح فقط، ولكن الروح والبدن تبع. بعكس الحياة الدنيا. حياة الدنيا التنعم، أو التعذب يكون على البدن، والروح أيضاً تتنعم وتتعذب لكن بالتبع. وبعد الموت عكس حالة الحياة الدنيا، هي على الروح والبدن تبع لها. وهذا هو ما قررة أئمة أهل الإسلام. وهذا خلاف قول من يقول إن العذاب أو النعيم يكون للروح، النعيم للروح والعذاب على الروح فقط، وأن البدن في البرزخ لا يعذب، هذا غلط كبير، ولا ينبغي أن ينسب هذا إلى أحد من أئمة الإسلام. بل هو على الروح والبدن جميع. وذلك أن الأدلة جاءت فيها أن الميت يعذب، وان الإنسان يعذب، والميت والإنسان اسم لبدنه وروحه معًا. فمن ادعى الانفصال فلابد له من إقامة دليل على ذلك. هذا من جهة في جواب السؤال. والجهة الأخرى وأن ما جاء في الكتاب أو السنة من التعبير عن الشيء بالفعل الماضي له أنحاء، الأولى أن يعبّر أو يوصف الشيء الذي لم يتحقق، لم يأتي بعد، بالفعل الماضي. أو الذي يكون دائم التحقق بالفعل الماضي.

المثال الأول: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ أتى، هذا فعل أتى فعل ماضي. ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ** ﴾ يعني بقيام الساعة. ﴿ **فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ يعني كأنه من شدة التأكيد على حصوله، وأنه يقيناً حاصل لا محالة، ووقوعه لا شك فيه ولا ريب، كأنه قد وقع وانقضى. والناس يرون ما وقع وانقضى يقيناً؛ لأنهم شاهدوا –جاء حصل الشيء، حصل أمس وشاهده الناس وانتهى–، فيعبر عما يستقبل بالماضي إذا كان وجوده وتحصيله يقيناً بلا ريب ولا شك. وكأنه قد وقع وانقضى في حصول اليقين لمن علم به.

والوجهة الثانية أو الحالة الثاني: أن يكون الشيء منه ما وقع، ومنه ما يقع الآن، ومنه ما يقع في المستقبل. وهذا وصفه بالفعل الماضي والتعبير عنه بالفعل الماضي، لتحقق الاتصاف به، وللتأكيد على الاتصاف به. وهذا ما يحمل عليه، مثل قول الله جل وعلا : ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾ ﴿**وَكَانَ اللَّهُ** ﴾ هذا فعل ماضي، الله جل وعلا سميع بصير صفة ذاتية في الماضي، والحال والاستقبال هذا للتأكيد على تحقق هذا الاتصاف، وتحقق آثاره. ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً** ﴾ ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾ وهكذا في أمثالها مما يدل على هذا المعنى.

سؤال : هل الكتب السماوية التي نزلت قبل القرآن، جميعها من كلام الله وكتبت مثل ما كتب القرآن الكريم، أم أنها لم تكتب حتى توفي الرسل الذين نزلت عليهم وكتبها من بعدهم؟

الجواب : لا أعلم شيئاً يدل على تعميم أن الكتب السماوية جميعاً كتبت، أو أنها نقلت بعد ذلك، لكن الكتب السماوية بمعنى الكتب التي أنزلها الله جل وعلا هي كلام الرب- -ﷻ- أوحاه إلى الرسول البشري بواسطة جبريل -عليه السلام-. ومنها ما اختصه الله جل وعلا بأن كتبه بيده، كصحف موسى -عليه السلام-، قال جل وعلا : ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ والله جل وعلا كتبها بيده الكريمة العظيمة تبارك ربنا وتعالى وتقدس-. فالأصل أن الكتب السماوية كلام الله جل وعلا ، وأنها كتبت.

سؤال : وهل هذا يعمُ كل كتاب؟ أم يستثنى منه بعضها؟

الجواب : تحتاج المسألة إلى بث وتحقيق. والله أعلم. اقرأ:

المتن :

ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ، قبلها، ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم. ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيءٌ من ذلك. ونذر سرائرهم إلى الله تعالى.

الشرح :

قال –رحمه الله تعالى– : (ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا. ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيءٌ من ذلك. ونذر سرائرهم إلى الله تعالى). يريد العلامة الطحاوي –رحمه الله– أن أهل السنة والجماعة يتبعون في الأمور الغيبية ما دل عليه الدليل من كتاب الله –جل وعلا ، ومن سنة رسوله ﷺ. فلا يقفون ما ليس لهم به علم، ولا يقولون على الله جل وعلا ما لا يعلمون. امتثالاً لقوله –سبحانه: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ وامتثالاً لقوله –سبحانه–: ﴿ **وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّـهِ مَـا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ فحرم الله جل وعلا القول عليه بلا علم. ومن القول عليه بلا علم، أن يُشْهَدَ في أمر الغيب أن الله جل وعلا لا يغفر لفلان. أو أن فلاناً من أهل الجنة –يعني قد غفر له– أو أنه من أهل النار المعين، بأنه لم يشأ الله أن يغفر له. فأصل هذه المسألة وهي: ما قرره من أننا لا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا نارًا، هذه لأجل أن هذا الأمر غيبي. والله جل وعلا حكمه في أهل القبلة قد يُعذب وقد يغفر: ﴿ **فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ** ﴾ فمن نزل جنة أو نارً أحدًا من أهل القبلة، ممن لم يدل الدليل على أنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، فقد قال على الله بلا علم. وتجرأ على الرب –ﷻ– فالواجب إذًا اتباع النص، وتقديس الرب جل وعلا ، وتعظيم صفات الرب –ﷻ– . وألا يشهد على معين من أهل القبلة بأنه من

أهل الجنة جزمًا، أو من أهل النار جزمًا، إلا من أخبر الوحي بأنه في هذا الفريق أو في هذا الفريق. وهذا نص عليه خلافًا لأهل الضلال في مسائل الأسماء والأحكام، من المعتزلة والخوارج قبلهم، ومن يرون السيف ونحو ذلك ممن يشهدون لمن شاءوا بالجنة، ولمن شاءوا بالنار. بل قد شهدوا على بعض الصحابة بأنهم من أهل النار، وعلى بعضهم بأنهم من أهل الجنة بمحض أهوائهم وآرائهم. فأهل السنة يخالفون الفرق الضالة في هذا الباب، ويتبعون ما دل عليه الدليل، ويعظمون الله جل وعلا ولا يتجاسرون على الغيب، ويعظمون صفة الرب -سبحانه- بأنه يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء. وتحت هذه الجملة مباحث:

الأول : أن هذا الحكم ذكر أنه مختص بأهل القبلة. فقال: ولا ننزل أحدًا منهم -يعني من أهل القبلة- جنة ولا نارًا؛ لأن أهل القبلة ظاهرهم الإسلام، والله جل وعلا قد وعد المسلم بالجنة، وقد توعد من عصاه من أهل الإسلام بالنار. فهذا الحكم مختص بأهل القبلة، فمن مات من أهل الإسلام لا يشهد عليه بأنه من أهل النار، ولا يشهد له بالجنة إلا من شهد له رسول الله ﷺ كما سيأتي. وإذا تبين هذا فلا يدخل في كلامه من مات على الكفر، وقد كان في حياته كافرًا. كان طول حياته نصرانياً أو كان طول حياته يهودياً أو كان طول حياته وثنيًا أو مشركًا -الشرك الأكبر المعروف يعني من أهل عبادة الأوثان- أو ممن لا دين له. فهؤلاء لا يدخلون في هذه العقيدة. بل يشهد على من مات منهم بأنه من أهل النار؛ لأنه مات على الكفر وهو الأصل. وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((حيث ما مررت بقبر كافر، فبشره بالنار)) يعني في الحديث الصحيح. حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)) وهذا عموم وهو الموافق للأصل. وهو أن من مات على الكفر نحكم عليه بالظاهر. ولا نقول قد يكون مات على الإسلام؛ لأن هذا خلاف الأصل.

والقواعد المقررة تقضي باتباع واستصحاب الأصل لهذا المسلم نستصحب أصله –كما سيأتي– فلا نشهد عليه بشرك ولا كفر ولا نفاق إذا مات، كذلك نستصحب الأصل فيمن مات على الكفر من النصارى واليهود والوثنيين وأشباه هؤلاء. ومن أهل العلم من أدخل الحكم على المعين –الذي ورد في هذه الجملة–، أدخل الحكم على المعين، أدخل الكفار بأنواعهم. فقال: حتى الكافر لا نشهد عليه إذا مات، لأننا لا ندري لعله أسلم قبل ذلك. وهذا خلاف الصواب، وخلاف ما قرره أهل التوحيد وأئمة الإسلام، في عقائدهم. فإن كلامهم كان مقيدًا بمن مات من أهل القبلة. أما من لم يكن من أهل القبلة، فلا يدخل في هذا الكلام.

المسألة الثانية أو المبحث الثاني: ذكرنا لك أن أصل هذا، هذه العقيدة تعظيم صفات الله –جلا وعلا–، وعدم الخوض في الأمور الغيبية. والعلماء في هذا الأصل، في إعمال هذا الأصل، في هذه المسألة لهم أقوال:

القول الأول: من قال: لا أشهد لأحد، ولا على أحد مطلقًا. وإنما نشهد للوصف للجنس دون المعين. فنقول المؤمن في الجنة، والظالم في النار. والمؤمن المسدد في الجنة، ومرتكب الكبيرة متوعد في النار، ونحو ذلك من ذكر الجنس والنوع دون ذكر المعين. إعمالاً منهم للأصل الذي ذكرنا، أن الحكم بالخاتمة أمر غيبي، لا ندري هل حصل الختام بالتوحيد، أم لا ؟.

القول الثاني: وهو قول جمهور أهل العلم، وأئمة أهل الحديث والسنة والأثر، أن هذه المسألة غيبية، فمجالها ومدارها على قاعدة الأمور الغيبية، أنه يقتفى فيها الدليل، دون التجاوز للقرآن والحديث. فلا ينزل أحد جنة ولا نار، إلا من أنزله الله جل وعلا الجنة، أو أنزله النار بدليل من الكتاب أو من السنة، وسواء في هذا النوع الوصف، الجنس، أو المعين. فجاء، فجاءت الشهادة لأبي بكر –رضي الله عنه– بأنه من أهل الجنة في القرآن. وجاءت الشهادة لأهل

البيت بأنهم مطهرون، وأنهم بالقرآن منهم علي -رضي الله عنه-، وفاطمة، وزوجات النبي ﷺ، والذين قال الله جل وعلا فيهم: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾، ونحو ذلك. وجاء في السنة الشهادة على معينين من الصحابة، بأنهم في الجنة، كما في العشرة المبشرين بالجنة، الخلفاء الأربعة، وطلحة بن عبيدالله، وأبوعبيدة عامر بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد... إلى آخره. وكذلك الشهادة لبلال -رضي الله عنه-، ونحو ذلك ممن جاء في الحديث أنه من أهل الجنة، وكذلك من شهد عليه بالنار ممن هو منتسب إلى القبلة، ما جاء في السنة، فإننا نشهد عليه بالنار. وهذا القول هو المراد بكلام الطحاوي هذا، وهو قول جمهور أهل الحديث والسنة.

أما القول الثالث: فهو مثل القول الثاني، لكنه زاد عليه، بأن الشهادة المستفيضة للإنسان، من أهل القبلة بأنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل الوعيد، فإنه يُشْهَد للمعين، أو يُشهد عليه بالشهادة المستفيضة، وهذا جاء رواية عن الإمام أحمد وعن غيره من الأئمة، واختاراها الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية -رحمهم الله تعالى-. وقال: دلت السنة على هذا الأصل، فإن النبي ﷺ مرّ عليه بجنازة، فأثنى عليها خيرًا، فقال: ((وجبت)). ثم مرّ بجنازة أخرى فأثنى الصحابة عليها شرًا، فقال: ((وجبت)). قالوا: يا رسول الله ما وجبت؟ قال: (تلك أثنيتم عليها خيرًا فوجبت لها الجنة وهذه أثنيتم عليها شرًا فوجبت لها النار. أنتم شهداء الله في أرضه)). وأيضاً جاء عنه ﷺ أنه قال: ((يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار)) قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: ((بالثناء الحسن، وبالثناء السيئ)). فيدخل في هذا القول المعرفون الذين شهد لهم بقدم الصدق، من صحابة رسول الله ﷺ، وكذلك من شهد له من أئمة الإسلام بهذا المقام، كالإمام مالك مثلاً، والشافعي، وأحمد، والبخاري، ومسلم، ونحوهم من أئمة الإسلام والأظهر هو القول الثاني، وهو

قول الجمهور، بأن الشهادة بالاستفاضة هذه الدليل يتقاصر على أن يشهد له مطلقاً. ولكن يكون الرجاء فيه أعظم، ولهذا في الحديث الأول قال: ((وجبت)) فدل على أن شهادتهم له في مقام الشفاعة له؛ لأنه قال: ((أثنيتم عليها خيرًا فوجبت))، فدل على أن الوجوب له بالجنة، مترتب على الثناء عليه بالخير. وليس الثناء عليه بالخير نتيجة، وإنما سبب لوجوب الجنة، فكأنه في مقام الشفاعة له، والدعاء له. وليس هذا مطلقاً. والحديث الثاني أيضاً يحمل على هذا، بأنه في مقام الشفاعة، والدعاء له. بالإضافة إلى أن القول الأول هو قول الأكثر من أئمة أهل الإسلام.

المبحث الثالث: أننا إذا لم نشهد لأحد، أو على أحد فإن المقصود المعين. أما الجنس والنوع فنشهد بالجنس والنوع. فنشهد على الظالم بالنار دون تنزيله على معين. ونشهد للمطيع بالجنة دون تنزيله على معين. والمقصود إذا مات على ذلك. إذا مات المطيع على الطاعة، وإذا مات الظالم على الظلم؛ لأن المسألة مبنية على ما يختم للعبد. وقد صح عنه ﷺ في الصحيح، أنه قال: ((إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها)). وهذا يدل على أن الأعمال بالسوابق –سوابق الكتاب– وبالخواتيم. وهذا يمنع من الشهادة المعينة؛ لأن الأعمال بالسوابق والخواتيم. والله جل وعلا خلق الجنة، وخلق لها أهلها –وهذا غيبي–، وخلق النار وخلق لها أهلاً –وهذا أمر غيبي– فإذًا الشهادة على الجنس، أو للجنس، بالجنة أو على نوع بالنار، هذا المقصود من مات على ذلك. من مات على الطاعة فإننا نشهد لجنس الميتين على الطاعة بالجنة

ولجنس من مات على الكبيرة بأنه متوعد بالعذاب. قد يغفر الله –جل وعلا–، وقد يؤاخذه بذنوبه.

المبحث الرابع والأخير: أننا مع ذلك كله، فإننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء أهل السنة أهل رحمة؛ لأن النبي ﷺ كان رحيماً بهذه الأمة. فيرث أهل السنة الرحمة من صفاته ﷺ فيرحمون هذه الأمة، ومن رحمتهم لها أنهم يرجون لأهل الإحسان، ويخافون على أهل الإساءة، ورجاؤهم لأهل الإحسان يحملهم على أن يدعوا لهم، وأن يصلوا عليهم إذا ماتوا؛ لأن حق المسلم على المسلم ست ومنها أنه إذا مات يصلي عليه ويدعو له. وتحملهم الرحمة –على المسيء– الرحمة للمسيء أنه إذا مات على الإساءة، أنه يخاف عليه الإساءة. فيسأل الرب جل وعلا أن يغفر له ذنبه، وأن يتجاوز عن خطيئته، وأن يبارك له في قليل عمله ونحو ذلك من آثار الرحمة. ولهذا يدعو المسلم لجميع المسلمين، لمن كان منهم صالحاً، ومن كان منهم غير صالح بل من الدعاء الذي تداوله أهل السنة والعلماء، أن يسأل الرب جل وعلا أن يشفع المحسن في المسيء، وأن يوهب المسيء للمحسن. مثل ما في دعاء القنوت الذي يتداوله الأكثرون ((وهب المسيئين منا للمحسنين))، هب المسيئين، يعني من كان مسيئاً عاصيًا، عنده ذنوب هبة للمحسن فشفع المحسن فيه في هذا المقام بالدعاء، وهذا كله من آثار الرحمة التي كان عليها ﷺ فإنه كان بهذه الأمة كان رحيمًا، بل كان رحمة للعالمين ﷺ. فإذًا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء ولرجائنا للمحسن آثار، ولخوفنا على المسيء آثار. فرجاؤنا للمحسن يحملنا على توليه، وكثرة الدعاء له ونصرته واقتفاء أثره، وخوفنا على المسيء يحملنا على الدعاء له والاستغفار ونحو ذلك. فكان أسيراً للشيطان ونسأل الله جل وعلا له المغفرة والرضوان. نسأل الله –سبحانه– لنا جميعاً، أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يجزل لنا الأجر على

قليل عملنا، وأن يغفر لنا كثرة الذنب والخطايا. فإنه سبحانه جواد كريم. اللهم فأجب واغفر جمّا، إنك على كل شيء قدير.

الجملة الثانية: قال –رحمه الله–: (ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله –تعالى). هذه الجملة مثل الأولى في تقرير هذه العقيدة –المباركة– وهي أن الأمر ما دام تبع للخاتمة، والخاتمة مغيبة، وهذا أمر غيبي، فلا نقف ما ليس لنا به علم. ولا نتجرأ على الله جل وعلا في وصف شيء، والحكم يتعلق به، والحكم على عباده بدون دليل. لهذا نعتبر الظاهر من كل أحد، فمن كان ظاهره السلامة في الدنيا، ومات على ذلك، فإننا نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر. ومن كان ظاهره الكفر أو ظاهره الشرك أو ظاهره النفاق، فإننا نحكم بالظاهر، ولأنه ظهر منه ذلك، وأمره إلى الله جل وعلا وفيه بعض المسائل الأولى قوله: (ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق) يعني على المعين من أهل القبلة–، وهذا يدل على أن المعين من أهل القبلة، قد يجتمع فيه إيمان وكفر. ويجتمع فيه إسلام وشرك. ويجتمع فيه طاعة وإسلام وإيمان ونفاق. وهذا هو المتقرر عند الأئمة، تبعاً لما دل عليه الدليل. فإن المعين قد يجتمع فيه الإيمان، فيكون مؤمناً ويكون عنده بعض خصال الكفر –يعني من الكبائر مما لا يخرجه من الإيمان فمثلاً قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق كما ثبت في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)). فسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر. فيجتمع في المسلم فسوق وطاعة. وكفر وإيمان. كذلك قال ﷺ: ((ثنتان في الناس من أمر الجاهلية، أو ثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت)) ونحو ذلك من خصال الكافرين. فلا يعني وجود بعض خصال الكفر –في المعين– أن يحكم عليه بالكفر. الحكم بغير ما أنزل الله، في حق القاضي أو في حق المعين، إذا حكم

بغير ما أنزل الله، وهو لا يعتقد جواز ذلك، أو يعلم أنه بحكمه عاصٍ، يعني حكم وهو يعلم أنه بحكمه عاصٍ، يعني حكم وهو يعلم أنه بحكمه عاص، ومخطئ، فإنه اجتمع فيه كفر وطاعة. فلا يخرج أحد من الإيمان بخصلة من خصال الكفر، وجدت فيه، أو خصلة من خصال الشرك، وجدت فيه أو خصلة من خصال النفاق، وجدت فيه، فإن المؤمن يجتمع فيه هذا وهذا. ولهذا قال: (لا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق). إذا كان مستسر بذلك، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك. فإن ظهر تشهد عليه بقدر ما ظهر. والشهادة عليه جوازًا ، لا وجوبًا. كما سيأتي في المسألة التي بعدها. كذلك الشرك، يكون مؤمن. ويكون عنده شرك أصغر. يكون عنده حلف بغير الله –مما هو من الشرك الأصغر–، أو تعليق التمائم، واعتقاد أنها أسباب أو نسبة النعم إلى غير الله –جلا وعلا–، أو نحو ذلك من أمور الشرك الأصغر، أو الشرك الخفي من يسير الرياء ونحوه، فيجتمع في المؤمن هذا وهذا. وكذلك بعض خصال النفاق، يكون المؤمن مطيعاً مسلماً، لكن عنده خصال النفاق. إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ونحو ذلك من خصال النفاق.

المبحث الثاني: أن قوله: (لا نشهد عليهم ما لم يظهر منهم) –يعني أنه إذا ظهر منهم– فإننا قد نشهد عليهم يعني يجوز لنا الشهادة إذا ظهر منهم شيء من ذلك. وجواز الشهادة عليهم منوط بالمصلحة لأنها من باب التعزير. فقد يجوز أن يشهد على معين ببعض خصاله، خال الكبائر التي فيه، أو الشرك الأصغر الذي فيه، أو بعض خصال النفاق الذي فيه، إذا كانت الشهادة عليه بذلك علنًا، فيها مصلحة متعدية. أما إذا لم يكن فيها مصلحة، فإن الأصل على المسلم أنه لا يشهد عليه، بل يستر عليه. وهذا يدل على أن الأصل في المسلم، في المؤمن ما دام اسم الإيمان باقيً عليه،

الأصل فيه أن يكون على اسم الإسلام، وعلى اسم الإيمان، وعلى اسم الطاعة، فلا ينتقل عن الأصل بالثناء عليه، وفي الشهادة له بالإسلام، والإيمان، والتسديد، إلا إذا كانت فيها مصلحة. فإذًا ليس الأصل الشهادة على المخالف، أو على من فيه كفر، خصلة من كفر أو شرك، نشهد عليه بهذه الأشياء، بل هذه منوطة بالمصلحة المتوخاة؛ لأنها من باب التعزير. ويدل على ذلك أن النبي ﷺ ما شهد على هؤلاء، اللي فعلوا هذه الأشياء، إلا على معينين قلة. وأما الأكثر فإنه ﷺ حملهم على الظاهر. وأهل النفاق، الذين باطنهم نفاق، ما أعلن أسمائهم ﷺ ولا شهد عليهم لكل أحد؛ لأن المصلحة بخلاف ذلك.

المبحث الثالث والأخير: هذا كله في أهل القبلة أما من خرج من الإسلام، بكفر أكبر أو بشرك أكبر، أو بردة قامت عليه الحجة في ذلك، فإنه يشهد عليه بعينه؛ لأنه ظهر منه ذلك واستبان. نقرأ الذي بعدها:

المتن :

ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ، إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا. ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم. ونرى طاعتهم من طاعة الله -ﷻ- فريضة ما لم يؤمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.

الشرح :

قال: -رحمه الله – أيضاً: (ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ، إلا من وجب عليه السيف). يريد بهذه الجملة أن أهل الحديث والأثر والسنة والجماعة، لا يعتقدون جواز الخروج على هذه الأمة. وتفريق الجماعة بالسيف. وأيضًا لا يرون جواز قتل أحد من هذه الأمة لغير الإمام، الذي بيده الأمر، وهذا منهم تباعًا لما دلت عليه الأدلة من حفظ دم المسلم وعدم جواز

إراقته، وأن كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه. ونحو ذلك من الأصول والأدلة التي سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله. وأرادوا بذلك أيضاً مخالفة الطوائف التي استباحت دم المسلمين. ورأت الخروج على جماعة المسلمين، بعامة بالخروج على الأمام –ولي الأمر– أو بجواز قتل من حكموا هم بردته أو بكفره. وهم طوائف الخوارج والمعتزلة وطائفة ممن ينسبوا إلى الفقه من اتباع المذاهب، فإن طائفة من اتباع المذاهب أيضًا، وهم في الجملة ينسبون إلى السنة، تأثروا بمذهب الخوارج في هذا والمعتزلة، ونحو ذلك، فرأوا جواز الخروج كما سيأتي. ورأوا جواز قتل المعين لمن للعامة ولا يخص ذلك بولي الأمر، فيريد من ذلك تقرير القول الحق، والمنهج العام لأهل السنة الذي صاحوا به، وعلنوه وصاحوا بالمخالف فيه، من أنه لا يجوز لأحدٍ أن يخرج على أحد من هذه الأمة بالسيف. ولا على أن تستباح الدماء، ولا دم أحد إلا ببرهان من الله جل وعلا وفيها مسائل:

الشريط التاسع والثلاثين الوجه (ب)

المسألة الأولى: قوله: (لا نرى السيف) هذه الكلمة .

الثاني والثالث والرابع فكان يميز من يحبذ الخروج، ولو لم يدخل فيه بفعله، وإنما يستحسنه لفظًا ويؤيد من يفعله، كان يوصم عند الأئمة بأنه كان يرى السيف. ويوصف من خالفهم –ثناءً عليه– بأنه كان لا يرى السيف. وقد ضعف الأئمة جمعًا من الرواة وقد حوا فيهم، بقولهم: كان يرى السيف والإمام أحمد حذر من عدد وكذلك سفيان وغيرهما. ووكيع وجماعة كانوا يحذرون من فلان؛ لأنه كان يرى السيف. فإذًا مصطلح لا نرى السيف، هذا يراد به أحد فئتين، الفئة الأولى من يرى الخروج على الولاة، بعامة سواء أدخل في الخروج بلسانه ويده، أم كان يراه عقيدةً. والثاني: من رأى جواز قتل المعين، إذا ثبت عنده كفر منة، أو رده. ولا يكل ذلك إلى الإمام. السلف يسمون من كان على

أحد هذين الوصفين، يقولون: كان يرى السيف. وفي تهذيب التهذيب عدة تراجم، كثير من التراجم ممن طعن فيهم، طعن فيهم الأئمة بهذا القول، كان يرى السيف. ونحو ذلك.

المسألة الثانية: هذه الجملة دل عليها القرآن والسنة في مواضع كثيرة. منها قوله جل وعلا : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾، وقوله: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ ومنها قوله جل وعلا : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً ﴾، يعني لا يكون لمؤمن أن يتجرأ ويسفك دم مؤمن واحد إلا خطئاً. أما يتعمد فهذا معه لا يستحق وصف الإيمان؛ لأنه ارتكب هذه الكبيرة العظيمة. التي قال الله جل وعلا فيها بعد ذلك: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾. ودل عليها أيضًا قول الله جل وعلا: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى -يعني القتل- فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾، فدل على أن من تجرأ على المقاتلة أنه ليس من أمر الله في شيء، بل خرج عن أمر الله وهو شريعته ودينه الذي جاء به محمد ﷺ. ومنها أيضًا في السنة قول النبي ﷺ: ((لا يحل دم امرئ مسلم، إلا بإحدى ثلاث)) وفي اللفظ الآخر: ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة))، فهذا يدل على أن الأصل ما أحد يتجرأ أو يسفك الدم، أو يراه. فلا يحل ذلك فعلاً، وكذلك لا يحل أن يعتقد جواز قتل مسلم باقٍ على اسم الإسلام، وهو ليس من هذه الأصناف الثلاث.

المسألة الثالثة: قوله: (إلا من وجب عليه السيف) يعني من الأمة- ووجوب السيف، وجب عليه السيف هذا لمن بيده السيف. وهو ولي الأمر المسلم. فولي الأمر هو الذي بيده أن يسفك الدم، تحقيقًا للشرع لا بمحض

الهوى. فيقتل تحقيقاً للشرع، لا بمحض الهوى، ويحكم ويأمر بالقتال، أو يأمر بقتل معين، أو بقتال طائفة، ونحو ذلك. فهو الذي بيده السيف، وهو الذي له هذا الحكم. وليس لآحاد الناس من العلماء أو من العامة، ليس لهم هذا الأمر –يعني أن يقتلوا؛ لأن السيف ليس بيدهم –وإنما السيف بيدي ولي الأمر الذي بيده الحل والأمر والنهي، وبيده الأمور في القتال وفي إقامة الحدود وأشباه ذلك. وهذا يبين أن المسألة التي تظهر في بعض الأمكنة، وهي مسألة الاغتيالات. أن يغتال من ظاهره الإسلام، أو من لم يحكم عليه ولاة الأمر من العلماء والأمر الديني والحكام والأمراء في الأمر العام، من لم يحكموا عليه بأنه يقتل، فلا يحل لأحد أن تجرأ على قتله. أو على اغتياله. والنبي ﷺ إنما أباح اغتيال كعب ابن الأشرف في القصة المعروفة، لمصلحة عامة، ولأنه هو الإمام. وإلا فالأصل، الأصل العام بالشريعة أن هذا الأمر للإمام أولاً، ثم أنه لا يؤاخذ أحد إلا بظهور ذلك منه، وحكم شرعي عليه، فمن ظهرت منه زندقة، أو كفر أو ردة ولم يحكم عليه ولي الأمر بذلك، فلا يحل لأحد أن ينتهك دمه، وأن يسفك دمه؛ لأنه حينئذٍ له حكم الزنادقة وله حكم المنافقين. والنبي ﷺ سيرته مع المنافقين ظاهرة. والصحابة ربما علموا أن فلاناً منافق ولم يتجرءوا على قتله حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ. واستأذنوه بقتل عدد، فلم يأذن لهم قال لهم مرة: ((لا، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه)) وأولئك النفر الذين استهزءوا ونزل فيهم قول الله جل وعلا في المستهزئين: ﴿ **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾، والقصة المعروفة في سبب نزولها. ولم يرد أن محمداً ﷺ قتلهم. ولما حصلت القصة المعروفة قالوا له: يا رسول الله، أنقتل هؤلاء؟ قال: ((لا، لا يُتحدث أن محمداً يقتل أصحابه)). وكانوا يستأذنون، فقال عمر، لما حصل من خاطب –رضي الله عنه– ما حصل. قال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. وهذا استئذان

من النبي ﷺ. فإذًا القاعدة الماضية والتي دلت عليها الأدلة، وسيرة النبي ﷺ، وسيرة الصحابة، وكذلك ما قرره الأئمة، من أن الحكم بقتل أحد، أو تنفيذ ذلك، ليس إلا لولي الأمر. وهذا فيه من المصالح العظيمة، وتحقيق المقاصد الشرعية، ما يجب معه الاعتناء بهذا الأصل، وأن لا يدخل أحد من المسلمين في هذه التبعة العظيمة بقولٍ أو بفعل. ولهذا جاء في الحديث، وفي إسناده بحث، لكن حسنه عدد من أهل العلم –رواه ابن ماجة وغيره: ((من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة، لم يرح رائحة الجنة، أو كان من أهل النار)). وهذا فيه الإعانة على قتل مسلم بشطر كلمة. فكيف من يتكلم بلسانه، ويعين على قتل مسلم، أو يفتي بذلك، وهو ليس من ولاة الأمر؟ من العلماء أو القضاة، أو ممن جعل لهم ذلك. فالواجب في هذا الأمر رعاية هذا الأصل العظيم، والسلامة في هذا الأصل، ولا يتجرأ أحد على هذا المقام؛ لأن الأصل حرمة دم من أظهر الإسلام. ومن حصل منه ردة، أو علمت منه زندقة، أو نفاق. فيوكل إلى ولي الأمر. ولا يجوز للناس بآحاد منهم أن يفتئتوا على ولي الأمر، وأن يقتلوا، ولو جاز ذلك لتسابق الصحابة –رضوان الله عليهم– على قتل المنافقين، الذين علموا نفاقهم، بل لقتلهم الرسول ﷺ والمسألة منوطة بالمصلحة، وبإذن الإمام، سواء القتل الابتدائي ممن علم نفاقه، أو ردته أو زندقته، أو في الاغتيال الذي فيه قتل دون رجوع إلى الإمام. نكتفي بهذا القدر، ونقف عند قوله: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا) نجيب على سؤالين، ثم ننتهي إن شاء الله تعالى.

سؤال : يقول، إذا مات رجل في أرض المعركة، هل نشهد له بأنه شهيد؟ ومن أهل الجنة؟ أم لا يجوز؟ وهناك طائفة من الناس يقولون: إن من مات في المعركة شهيد، ويختلفون بذلك ويعمل عرس للشهيد الذي مات في المعركة، ويزفون الشهيد للحور العين في الجنة، ويوزعون المشروبات

البادرة في ذلك. ويهنئون أهل الميت بدخول ابنهم في لجنة. ما هو الحكم الشرعي في ذلك؟

الجواب : هذا مما يدخل في هذا الأصل، الذي ذكرنا. وهو أن من مات من أهل القبلة على إحسان نرجو له وعلى إساءة نخاف عليه. ولا نشهد لأحد بجنة نصًا، ولا بأسبابها وهذه كان ينبغي أن نذكرها في الشرح فتضاف عليه وهي مسألة الشهادة بما يدل على الشهادة بالجنة. مثل أن يقال: فلان شهيد. إذا كان شهيدًا فالله جل وعلا ذكر ونص على أن الشهداء في الجنة. وكذلك الشهادة له بالمغفرة المغفور له، المرحوم، النفس المطمئنة، ونحو ذلك مما هو من أسباب دخول الجنة. فإذا شهد له بهذه الأوصاف، بأنه غفر له، فقد شهد له بأمر غيبي إذا شهد له بأنه مرحوم، فقد شهد له بأمر غيبي. إذا شهد له بأن نفسه مطمئنة ﴿ **ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾، فقد شهد له بالجنة. فإذًا الشهادة للمعين بالجنة ممنوعة، وكذلك بما يدل على أنه يشهد له بالجنة، مثل الأسباب هذه ونحوها. من ذلك الشهادة له بأنه شهيد. وقد جاء في البخاري –في صحيح البخاري– بحث هذه المسألة، وبوب عليها، هل يقال فلان شهيد ؟ وذكر أثر عمر: إنكم تقولون لمن مات في معاركم فلان شهيد، فلان شهيد، والله أعلم. بمن يُكلم في سبيله والله أعلم بمن يُقتل في سبيله؛ لأنه هل كان يقاتل، يريد أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى؟ هذا أمر غيبي فلذلك لا تجوز الشهادة لمعين، لكن نرجو له من مات في أرض المعركة نرجو له الشهادة. نقول: نرجو له أن يكون شهيداً، وهذا تبع للأصل من أننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

سؤال : تكلمتم أن النصارى كفار، يجوز الجزم بدخولهم النار. فما موقفنا أمام الآيات التي تستثنى بعضهم.؟

الجواب : ما جاء من استثناء بعضهم هو استثناء لمن مات مؤمناً، لمن أسلم، من أسلم منهم فله حكم أهل الإسلام، هذا ما مات على الكفر. كقوله جل وعلا: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾، هذا في فئة آمنوا، أسلمت لهذا قال جل وعلا بعدها: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ** ﴾ ونحو ذلك. فهؤلاء فيمن اسلم، وأما من لم يسلم فإنه باقٍ على كفره.

سؤال : إذا لم يكن للمسلمين إمام مسلم يقيم الشرع، مثل الأقليات المسلمة، فهل لرئيسهم المسلم، أو لإمام المسجد أن يقيم الحدود عليهم؟

الجواب : هذه المسألة تحتاج إلى تفصيل، وبحث وهذه كل صورة لها حكمها، وكل بلد لها حكمها، فيلزم أولئك أن يستفتوا أهل العلم ويأخذوا الفتوى، ليس ثم قاعدة؛ لأن كل بلد لها حكمها، وكل أقلية لها حكمها، وقد يدخلون في أشياء بمحض اجتهادهم تكون عليهم ضررًا، تكون تلك الأشياء عليهم ضررًا في عاقبة أمرهم. فلابد من استفتاء أهل العلم الراسخين فيه، وتنزل كل مسألة منزلتها.

سؤال : كيف قتلت حفصة أم المؤمنين الساحرة التي سحرتها؟ وكيف قتل جندب الساحر الذي عند الوليد بن عبدالملك؟ وليس لهما من الأمر شيء ؟

الجواب : هذا يحتاج إلى دليل. يعني فيه نوع تأصيل وهو ليس بظاهر. الظاهر العلماء لما ذكروا هاتين الصورتين وأمثالها، قالوا: إنه مخول

لهما ذلك. وما جاء في الأحاديث، قد يكون فيه ثم اختصار، ففي أحاديث النبي ﷺ يكون اختصار. فكيف أفعال الصحابة –رضوان اللهم عليهم–. والأصل أنه لا تعارض الأصول الشرعية والأدلة من الكتاب والسنة، بفعل بعض الصحابة. فإذا فعل أحد من الصحابة، فعلاً يخالف الأصول فإننا نرجعه إلى الأصول ونحمله على المحكمات. بل بعض أفعال النبي ﷺ، بل بعض آيات القرآن إذا كان فيها اشتباه ، ولم يتضح لنا وجهها، وكونها مخالفة للقواعد أو الأصول أو للآيات الأخرى، فنرجعها إليه. فيكون من باب حمل المتشابه على المحكم، وفهم المتشابه بالمحكم أفعال الصحابة –رضوان الله عليهم– ليست حجة بمجردها، فنفهمها على وفق الأدلة. فالعبرة دليل الكتاب والسنة. فعل النبي ﷺ سنته. أما فعل الصحابة، الصحابة حصل منهم يعني بعض أو بعض التابعين، حصل منهم خروج أصلاً على الأئمة، وهذا اجتهاد اجتهدوه في بعض المسائل، لكن لا يوافق الأدلة من الكتاب والسنة، ولا يوافق ما قرره الأئمة من الصحابة وأئمة الإسلام في الاعتقاد والاتباع. بهذا كتأصيل لا تعارض الأدلة، بفعل قد يكون لم ينقل جميع أسبابه، قد يكون اختصر إلى آخره. فإذًا ليس لهما من الأمر شيء، هذه محل نظر، وتحتاج إلى تأمل، يعني في وجه هذه المقولة. وهذا ذكرته لكم مرة في أظن محاضرة بعنوان "قواعد القواعد" في كيف تفهم الأدلة، كيف تفهم أفعال السلف؟ لأن كل واحد يجيء يقول: السلف فعلوا كذا. لكن فعل السلف أقل درجة من نص القرآن. والله جل وعلا جعل نصوص الوحي منها محكم، ومنها متشابه. وما ضلت الفرق إلا بأخذ المتشابه من كلام الله بأخذ المتشابه من كلام النبي ﷺ وعدم الرجوع فيه إلى العلماء من الصحابة، والرجوع فيه إلى المحكم. فكيف بمن نزل مراحل واستدل بالمتشابه من أفعال السلف؟ هذا لابد أن يكون عندك فهم كيف تعامل الأئمة والسلف في هذا؟ يكون قاعدة لك في حمل المتشابه من

أفعالهم على المحكم من النصوص؛ لأن الأصل أنهم لا يخالفون. وإذا لم يكن ثم مجال للحمل فيكون اجتهاد منهم خالفوا فيه الدليل، وأمرهم إلى الله جل وعلا ولهذا جاء في كلام علي -رضي الله عنه- في مقابلته لبعض الفرق، قال: إذا سمعتم بالحديث عن النبي ﷺ فظنوا به الذي هو أهناه، وأتقاه، الحديث عن النبي ﷺ قد يكون فيه أيضًا مجال شبه، مثلاً الحديث المشهور، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال له: يا رسول الله إن امرأتي لا ترد يد لامس، فقال له النبي ﷺ: ((غربها)) في رواية ((فارقها)) قال: يا رسول الله أخاف أن تتبعها نفسي، وفي رواية أخرى قال: يا رسول الله إني أحبها، قال: ((فاستمتع بها))، قال الإمام أحمد: لم يكن النبي ﷺ ليأمره أن يبقيها مع فجورها، ولهذا صار تفسير، إن امرأتي لا ترد يد لامس، ليس معناه إنها تمشي في الفاحشة، كل من جاها يريدها في نفسها وافقت، وإنما معناه القول الثاني، إللي هو قول جمهور العلماء: أنها تتصرف في مالي ومن أراد من قرابتها، ومن أراد أنها تأخذ من مالي في البيت، تأخذ تعطيه، اللي يبي شيء تعطيه. فما أفعل؟ يعني تصرفت وأرهقتني في التصرفات المالية إلى آخره. هذه لا ترد يد لامس، يد لا مس لها أو يد لامس لمالي، هذا ما ذكر، فهنا نظن بالنبي ﷺ مثل ما قال علي، الذي هو أهناه وأتقاه. وهكذا فعل السلف الصالح، نظن بها الذي هو موافق للدليل، هذا الأصل أن تحملها على موافقة أهل السنة، أفعالهم للدليل. إذا خالفوا الأدلة، فإنها اجتهاد من بشر يجتهدون ويؤجرون على اجتهادهم، وقد يصيبون وقد يخطئون.

أسأل الله جل وعلا أن يبارك لي ولكم في العلم والعمل، وأن يقينا العثار، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

سؤال : ما هي علامة الطهر لامرأة حائضة؟

الجواب : المرأة الحائض، أكثر النساء تكون علامة الطهر بخروج سائل أبيض يسمى عند العلماء والفقهاء القصة البيضاء. وجاءت في الحديث أن النبي ﷺ سُئل عن هذا، فقال: ((لا تعجلي حتى تري القصة البيضاء)) هي السائل الأبيض، الذي يخرج تنظيفاً لمجرى الرحم من آثار الحيض. هذا في غالب النساء، ومن النساء من لا ترى هذه القصة البيضاء، السائل الأبيض، وإنما ترى الجفاف. تعرف طهرها بالجفاف. فالمرأة الحائض –بحسب ما تراه من نفسها إذا كانت تعرف أنه في آخر الأمر يخرج منها البياض، فطهرها بخروج البياض–، قبل البياض قد يكون فيه أخلاط. يعني بياض وحمرة، بياض وخيوط من دم، ونحو ذلك. هذا لا تعجل حتى ترى البياض صافياً. ومنهن –وهن قليل– من لا يكون عندها خروج البياض هذا وإنما يكون عندها جفاف. سواء بعد النفاس أو بعد الحيض، تجف فقط لا ترى من نفسها البياض.

سؤال : تقول وإذا رأت الصفرة، وإذا رأت الصفرة في آخر أيام الحيض، هل يعتبر هذا طهارة أم لابد من البياض؟

الجواب : الصفرة إذا كانت قبل رؤية الطهر في أثناء الحيض، فهي حيض لها حكمه. وإما إذا كانت بعد رؤية الطهر –رأت البياض ثم بعد يومين رأت صفرة– رأت كدرة هذه لا اعتبار لها. قالت أم عطية –رضي الله عنها– " كنا لا نرى الصفرة والكدرة شيئاً". رواه البخاري ، وفي رواية أبي داود : " كنا لا نرى الصفرة والكدرة بعد الحيض شيئاً أو بعد الطهر شيئاً " فإذا كانت الصفرة والكدرة في زمن الحيض فهي حيض، حتى ترى البياض، وإذا رأت البياض والطهر تاماً ثم –بعد يومين ثلاث– رأت صفرة أو كدرة فلا تلفت لها حتى ترى الدم الواضح. بارك الله في الجميع، نلتقي إن شاء الله في الأسبوع القادم.

الشريط الأربعون الوجه (أ) ١٤١٩/١١/١٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا. نعوذ بك اللهم من فتنة القول، كما نعوذ بك اللهم من فتنة العمل. ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

سؤال : ورد في فتح المجيد، حديث زينب زوج عبدالله بن مسعود، أنها كانت تختلف إلى يهودي، فيرقي لها عينها فتهدأ، إلى آخره.. ما صحة الحديث؟ وما توجيهه؟.

الجواب : الحديث هذا معروف، وهو سبب قول ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: رسول الله ﷺ: ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك))، وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد وأبوداود وجماعة. أما قراءة اليهودي وكون اليهودي يرقي، حمله العلماء على أحد وجهين:

الأول: أنه كان يرقيها بذكر الله، بالدعاء العام والرقية تكون بكتاب الله جل وعلا وبسنة رسوله ﷺ، وبالدعاء الذي ينفع المشتمل على خير، واستعانة واستغاثة وتوسل إلى الله جل وعلا ونحو ذلك. فيحمل على أنه كان يدعو، ورقيته كانت دعاء.

والثاني: حمله طائفة من أهل العلم على أنه كان يرقي بالتوراة بما يعلمه من التوراة مناسباً للرقية. وهذا الوجه رُجَّح بقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: "إنما ذلك الشيطان كان ينخسها بيده" فإذا رقي اليهودي سكنت وهذا يدل على أن الرقية عنده لم تكن مشروعة على هذا النحو، ولا تحمل على أنها رقية بذكر الله جل وعلا مطلقاً.

سؤال : يقول: أنا ممن يعتنون بالتوحيد والعقيدة السلفية، ولكن أنا مبتدئ في الحقيقة، لا أدري كيف أبدأ؟ وبأي كتاب ابدأ؟ لذا أرجو التوجيه والإرشاد في ذلك.

الجواب : ذكرنا لكم عدة مرات، أن طلب العلم يكون بالتؤدة، ويكون شيئاً فشيئاً. ويعتني المرء بمراحل طلب العلم ويأخذ الأول فالأول، لا يرهق نفسه بأشياء لا يستوعبها، أو تكون من المطولات التي ربما يأخذ ويفهم بعضها، ولا يفهم بعضًا آخر ونحو ذلك. فليبتدئ بالكتب التي اعتنى بها العلماء. وعلم التوحيد والعقيدة على قسمين، التوحيد ويعنى به: توحيد العبادة، وهذا يبدأ فيه برسالة ثلاثة الأصول لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله–. ثم بالنبذ المعروفة، كالقواعد الأربع، وكشف الشبهات، ونحو ذلك. ثم يقرأ كتاب التوحيد مع شرحه يعني على أحد العلماء، فإنه مرتبة وسطى في معرفة توحيد العبادة، وأدلته ثم إذا أراد أن يتوسع، فيقرأ الشروح المطولة له، كتيسير العزيز الحميد، ونحو ذلك من الحواشي والشروح. ثم بعد ذلك في الأخير، يعتني بكشف الشبهات مرة أخرى، وبفتاوى أهل العلم في مسائل التوحيد، توحيد العبادة لأنها تنزل ما درس على الواقع فيستفيد من ذلك.

القسم الثاني: العقيدة السلفية وهي المعروفة بكتب العقيدة التي فيها بيان أركان الإيمان، وما يتصل بذلك من منهج السلف –رحمهم الله تعالى–. وهذه يبدأ فيها فيما ينفع بكتاب لمعة الاعتقاد لابن قدامة صاحب المغني عبدالله بن أحمد ابن قدامة المقدسي –رحمه الله–، ثم ينتقل بعدها إلى الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، مع أحد شروحها. ثم مع العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي، وثم كتب كثيرة في العقيدة، في شرح لمعة

الاعتقاد، أو شرح الواسطية، أو شرح الطحاوية، أو غير ذلك، وكلها نافعة لكن كمراتب يعتني بهذه الثلاث مراتب وسيحصل شيئاً كثيراً بإذن الله تعالى .

سؤال : هل الجماعة الواجبة، هي جماعة المسجد أو أنه يجوز أن أقيم الجماعة في المنزل ولا أذهب إلى المسجد وليس عليّ إثم في ذلك.

الجواب : هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم، والخلاف فيها قديم. وأشهر الأقوال فيها ثلاثة:

القول الأول: أن الجماعة سنة، وليست بواجبة. فله أن يصلي منفرداً، ولو من غير عذر، وهذا مذهب عدد من أهل العلم. ويقولون: الجماعة في المساجد فرض على الكفاية.

والقول الثاني: يقول الجماعة واجبة ولا تتعين أن تكون في المسجد. فلا يحل له أن يصلي منفردًا وذلك للأدلة التي دلت على هذا مما هي مشهورة ومعروفة لديكم.

القول الثالث: هو أن الجماعة واجبة في المسجد لمن سمع النداء، وكل من سمع النداء فليس له أن يتخلف عن الصلاة في المسجد بغير عذر. وهذا القول يدل عليه، كثير من الأدلة من القرآن ومن السنة، من أن الجماعة فرض عين، وإذا كانت فرض عين فإنها تؤدى في المكان الذي ينادى فيها. ومن الأدلة لهذا القول من السنة قول النبي ﷺ للرجل الأعمى الذي قال له: يا رسول الله إن داري بعيدة، وإن بيني وبين المسجد كذا وكذا، وليس لي قائد يلائمني –يعني يسير بي إلى المسجد– فهل تجد لي رخصة ألا أصلي في المسجد؟ فرخص له رسول الله ﷺ ثم لما انصرف الرجل، ناداه وقال: ((هل تسمع النداء)) قال: نعم. قال: ((فأجب)). ويدل عليه أيضاً الحديث الذي في السنن، عن ابن عباس –رضي الله عنه– بل –عنهما– أن النبي ﷺ قال: ((من سمع النداء ثم لم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر))، فدل هذا على أن الصلاة في

المسجد واجبة، بل ذهب الإمام أحمد في رواية، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وينسب إلى ابن حزم وإلى جماعة. أن الصلاة –صلاة الجماعة– في المسجد شرط لصحة الصلاة، وليس فقط أنها واجب عيني، بل أنها شرط لصحة الصلاة. ويستدلون بهذا الحديث ((فلا صلاة له إلا من عذر)) وكونها شرط لصحة الصلاة فيه نظر؛ لأن النفي قد يتوجه إلى نفي الصحة، وقد يتوجه إلى ما دون ذلك، وهذا الحديث نفهمه مع الأحاديث الأخرى في أنها واجبة ولكنها ليست بشرط، والمسألة بحثها في جميع كتب الفقه والحديث.

سؤال : ما جواب: من قال: بكفر تارك الصلاة تهاونًا عن حديث: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) وما أشبهه من الأدلة؟

الجواب : مثقال الذرة من الإيمان لا يعني أنه أقل من أداء الصلاة، والإيمان إذا وجد فلابد معه من إسلام يصححه. فمن قال: إن تارك الصلاة تهاونًا أو كسلاً يكفر، فإن الأحاديث التي فيها خروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان خروجه من النار، هذا واضح التوجيه من أن الذرة من الإيمان فيها صحة إيمان. ولا يصح إيمانه حتى يكون معه قدر من الإسلام. وهذا القدر من الإسلام هو أداء الصلاة. فالإيمان باطن، والإسلام ظاهر. والحديث إذا ذكر فيه الإيمان فلا يدل على انعدام اسم الاستسلام بالعمل.

سؤال : هل هناك شيء اسمه علم الظاهر والباطن؟ وهل للنصوص الشرعية ظاهر وباطن؟

الجواب :علم الظاهر والباطن هذا ليس من علوم أهل السنة وإنما هو علم يعتني به طائفتان. الباطنية، وهم الإسماعيلية ومن شابههم. والطائفة الثانية غلاة الصوفية. فهم الذين يعتنون بعلم الظاهر والباطن، ولهم فيه تعريفات وتفصيلات. أما النصوص الشرعية فلها ظاهر ولها باطن باعتبار أن

الظاهر ما دل عليه منطوق اللفظ. وأن الباطن ما دل عليه المفهوم، وهذا ربما استعملها بعض الأصوليين وربما استعمل هذه اللفظة بعض أهل العلم. وربما جاءت في بعض كتب التفسير عن بعض السلف. فيعنون بها الظاهر ما يفهمه الإنسان من ظاهر الألفاظ. والباطن ما يقتضي التركيب والفهم –يعني المفهوم– وما يكون مع نوع تأمل وتدبر.

سؤال : من هم الأقارب الذين يأثم العبد إذا لم يصلهم؟ وهل الأخت من الرضاعة يأثم العبد إذا لم يصلها؟

الجواب : الواجب هو صلة الرحم، واسم الرحم –الذي تجب صلته وتحرم قطيعته– يشمل كل من بينك وبينه نسب. من جهة الأب –يعني الأب الجد الأعمام الأبناء الإخوان ونحو ذلك–، وكذلك من جهة الأم أيضًا، وذلك مثل الخالات –لأن الخالة في منزلة الأم. ومثل أقارب الأم– خال الأم أو عم الأم ونحو ذلك– هذا من صلة الرحم. وكذلك من الجهة الثالث، جهة الرضاع فإن الأب من الرضاع والأم من الرضا توصل. كذلك الأخت من الرضاع توصل، وهكذا... لكن الصلة تختلف بحسب مرتبة الموصول. فليست كلها في مرتبة واحدة. فصلة الوالدين من أي جهة كان –يعني الوالد القريب والوالدة القريبة– هذا أعظم من له الحق. جعل الله جل وعلا حقهما قريناً بحقه، ثم الجد والجدة وهم في مرتبة بعد الوالد والوالدة قريبين–، ثم جهة الأب، ثم جهة الأم، ثم عد ذلك تأتي الأب من الرضاع، أو الأم من الرضاع، ونحو ذلك. كذلك الإخوان والأخوات القريبين ثم الأبعد. وكذلك كان بمنزلة الأم وهي الخالة. المقصود أنهم مراتب، فالمرء يؤدي الصلة الواجبة بما يناسب هذه المراتب، حسب الوسع والطاقة. والصلة الواجبة لا يعني أنها الزيارة بالذات – يعني بالنفس، تروح له بنفسك ونحو ذلك– فيكفي في الصلة الواجبة ما عدّه الناس وصلاً؛ لأن الحق لهم، هذه حقوق مشتركة فما عدة الناس صلة للرحم،

صار صلةً. فالأب مثلاً، بعض الآباء لو ما آتيته إلا كل أسبوع، أو كل أسبوعين عدك واصلاً. أو إذا احتاجك في شيء، أنت مترضٍ عنك، هذه صلة كافية شرعاً. فالمقصود أنه لا يصبح هناك قطعية؛ لأن الله جل وعلا حرم القطيعة بقوله -ﷻ-: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ * أَوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّـهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ﴾ وثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ حث على صلة الأرحام وقال: ((صلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام))، وأيضًا صح عنه ﷺ أنه قال: ((قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمي. فمن وصلها وصلته. ومن قطعها قطعته)). وأيضًا ثبت عنه ﷺ أن رجلاً سأله فقال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني. وأحسن إليهم ويسيئون إليّ. قال: ((إن كنت كما تقول، فكأنما تسفهم الملّ سفًا)). وأيضاً صح عنه ﷺ أنه قال: ((ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها))؛ لأنه يعمل الصلة لله جل وعلا أما المكافئ عمل معي إحسان بعمل معه، سأل عني اسأله عنه، وفزع لي أفزع له، عمل معي معروف أعمل معه، هذه مكافأة. هذه تعملها مع القريب وتعملها مع البعيد. مع ذي الرحم ومع الآخرين. وأما الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها -يعني لو فرض إنه قطعت الرحم، وصار بينه وبينهم كراهة، أو ما يريدونه فهذا يسعى للصلة لله جل وعلا . المقصود من هذا -يعني تلخيص الجواب-:

أولاً: أن الأقارب مراتب. أن ذوي الرحم مراتب وكل يعطى ما يستحق من الصلة، من صلة الرحم. وليسوا سواء في استحقاق هذه الصلة، ولا في مقدارها.

الثاني: أن هذه الصلة، ضابطها العرف. فما عده الناس صلة صار صلة. وهذا راجع إلى الحقوق التي يتبادلها الناس، فالمقصود أن يكون المرء واصلاً بما عُهِد. بالهاتف يتصل، يسأل. إذا احتيج إليه قام بالواجب، يتفقد أحوالهم المادية بين الحين والآخر. يزورهم بنفسه إذا أمكن. هذا يختلف باختلاف البلاد، باختلاف الزمان والمكان إلى آخره..

المسألة الثالثة والأخيرة: أن الصلة ليست بالمكافأة، بل الصلة لله جل وعلا يصل لله ولو كان فيها غضاضة عليه، ولكن تكون صلته لطالب امتثال الأمر والواجب الشرعي. نعم، اقرأ:

المتن :

ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا. ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعة ولا ننزع يدًا من طاعتهم. ونرى طاعتهم من طاعة الله -ﷻ- فريضة ما لم يأمروا بمعصية. وندعو لهم بالصلاح والمعافاة. ونتبع السنة والجماعة. ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة. ونحب أهل العدل والأمانة. ونبغض أهل الجور والخيانة ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه.

الشرح :

قال الطحاوي -رحمه الله-: (ولا نرى الخروج عن أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا). هذه الجملة يذكر فيها العقيدة التي أجمع عليها أئمة السلف الصالح، ودونوها في عقائدهم، وجعلوا من خالفها مخالفاً للسنة وللجماعة. بأنا لا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا. يعني الخروج بالسيف بالبغي عليهم، أو بتشتيت الاجتماع، وتفريق الكلمة، أو باعتقاد -كما سيأتي- باعتقاد الخروج، أو باعتقاد جوازه، أو الذهاب مذهب من أجازه. فقوله: (ولا نرى الخروج) لا نرى يعني أهل السنة والجماعة المتبعين للأثر، ولهدي

السلف، ولما كان عليه الصحابة ولما دلت عليه الأدلة. هؤلاء لا يرون الخروج على الأئمة وولاة الأمر، حتى ولو كان عندهم جور وطغيان وظلم. فإنه يجب أن يُطاعوا ؛ لأن طاعتهم فريضة. وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: الخروج –بل قبل ذلك– لفظ الأئمة وولاة الأمور. مما جاء به الكتاب والسنة، فولي الأمر العام –يعني ولي الأمر للأمة، للناس– يطلق عليه ولي أمر، ويطلق عليه إمام. أما ولي الأمر، فقد جاء في الكتاب قال الله جل وعلا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّـهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ وسموا ولاة الأمر؛ لأن ما ينفذ من الأمور الشرعية، والأمور الاجتهادية في الناس، إنما يكون عن أمرهم، فالأمر راجع إليهم، فإذاً ولي الأمر هو من بيده الأمر والنهي، أو بالعرف المعاصر القرار الذي ينفذ في الناس. كما قال جل وعلا:﴿ **وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾. وهذا جاء في السنة في عدد من الأحاديث، كما جاء في الآية من تسمية الحكام بولاة الأمور. أما لفظ الأئمة، فولي الأمر هو الإمام، ومن ولاّه الله أمر الناس، وابتلاه بذلك، فيسمى إمامًا؛ لأنه يؤتم بأمره ونهيه وقراره وما يختاره اجتهادًا للأمة، ولفظ الإمام لولي الأمر، جاء في السنة في قول النبي ﷺ: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتعلنونهم ويلعنونكم)) الحديث. وهذا ظاهر في تسمية ولي الأمر إمامًا.

المسألة الثانية: الأصل أن ولي الأمر يجمع ما بين حسن التدبير في أمور الناس العامة، في أمور دنياهم وما يصلحهم، وما يحفظ بيضتهم، ويدفع عنهم الأعداء، وأيضًا يجمع إلى ذلك العلم بأحكام الشريعة بما يناسب. ولا يشترط فيه أن يكون الأعلم كما هو مبسوط في مكانه في كتب الفقه. واجتمعت الصفتان في الخلفاء الراشدين الأربعة، وفي معاوية –رضي الله عنه–، وفي

عدد من الأئمة وولاة الأمور في التاريخ إلى الآن، ولكن ربما لم يجتمع في ولي الأمر الصفتان. فحينئذ يكون ما يشكل على الناس في أمر دينهم، فمرجعهم فيه إلى أهل العلم بالدين، وما يكون من قبيل الأمر العام للناس، فإنه يكون لولي الأمر العام، ولي الأمر العام يستشير، ويأخذ بقول أهل العلم فيما يرى أن يستشيرهم فيه وهذا المأخذ، هو وجه قول من قال: عن ولاة الأمر، هم الأمراء والعلماء يعني كلاً فيما يخصه، الأمراء في الأمر العام، الأمر الدنيوي ما يصلح الناس وما به تكون حياتهم. والعلماء فيما يكون من أمر الدين، فيما يأتون وما يذرون، وهذا ليس هو الأصل وإنما الأصل، إن ولي الأمر هو من يعلم. وهو الذي جاءت فيه الآيات ﴿ **وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ وكذلك: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾؛ لأن الأصل اجتماع الصفتين في ولي الأمر. فإذا لم تجتمع الصفتان أعطي ولي الأمر الذي بيده الأمر والنهي حق الإمام، وفي المسائل الدينية يستفتى ويسأل أهل العلم، ولهذا اجتنب كثير من العلماء، بل أكثر العلماء والأئمة أن يطلقوا على العالم ولي الأمر، لأجل أن لا يكون هناك افتئات وخروج، ولأجل أن لا يكون هناك مأخذ لمن يريد الخروج على الإمام أو ولي الأمر. ومنهم من استعمل هذا وهذا –يعني أن الأمور الدينية يرجع فيها إلى من يلي الأمر الديني وهم العلماء في أمور الفتوى وفيما يأتي المرء ويذر فيما بينه وبين ربه جل وعلا، وفي الأمور العامة فتكون لولاة الأمور.

المسألة الثالثة: الخروج على ولاة الأمور، وعلى من انعقدت له بيعة هو مذهب طوائف من المنتسبين إلى القبلة. منهم الخوارج والمعتزلة وبعض أفذاذ –يعني وبعض شواذ قليلين من التابعين وتبع التابعين وبعض الفقهاء المتأخرين ممن تأثروا بمذهب المعتزلة في الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر-، والذي عليه الصحابة جميعاً وعامة التابعين وهكذا أئمة الإسلام، من أن الخروج على ولي الأمر محرم وكبيرة من الكبائر ومن خرج على ولي الأمر فليس من الله في شيء. والأدلة على هذا الأصل من الكتاب والسنة متعددة. احتج بها الأئمة ورأوا أن من خالفها ممن تأوّل من السلف، أنهم خالفوا فيه الدليل الواضح البيّن المتواتر تواترًا معنويًا. كما سيأتي ذكر بعض الأدلة إن شاء الله. فإذًا أهل السنة والجماعة لما رأوا ما أحدثته اجتهادات بعض الناس ممن اتبعوا فخرجوا على ولاة الأمر من بني أمية، أو خرجوا على ولي الأمر، على بعض ولاة الأمر من بني العباس، أو قبل ذلك ممن خرجوا على علي -رضي الله عنه-، بل قبل ذلك على عثمان، وإن لم يكونوا من المنتسبين للسنة في الجملة. ذكروا هذا في عقائدهم ودونوه. وجعلوا أن الخروج بدعة لمخالفته للأدلة. وتلخيص ذلك أن اجتهاد من اجتهد في مسألة الخروج على ولي الأمر المسلم، كان اجتهادًا في مقابلة الأدلة الكثيرة المتواترة تواترًا معنويًا. من أن ولي الأمر والأمير تجب طاعته وتحرم مخالفته إلا إذا أمر بمعصية، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله. ومن أهل العلم من قال توسعًا في اللفظ -كما قال الحافظ ابن حجر-: الخروج على الولاة كان مذهبًا لبعض السلف قديم، ثم لما رُوئي أنه ما أتى للأمة إلا بالشر والفساد، فاجتمعت أئمة الإسلام على تحريمه وعلى الإنكار على من فعله. وهذا فيه توسع؛ لأنه لا يقال في مثل هذا الأمر: أنه مذهب لبعض السلف. وإنما يقال: إن بعض السلف اجتهدوا، في هذه المسائل من التابعين، كما أنه يوجد من التابعين من ذهب إلى القدر. والقول المنافي للسنة في القدر. ومن ذهب إلى الإرجاء. ومن ذهب إلى إثبات أشياء لم تثبت في النصوص. فكذلك في مسألة طاعة ولاة الأمور، وربما وجد منهم الشيء الذي الدليل بخلافه. والعبرة بما دلت عليه الأدلة، لا باجتهاد من اجتهد وأخطأ في ذلك.

المسألة الرابعة: هذا الأصل الذي قرره الطحاوي –رحمه الله – دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة. أما القرآن فمنه قول الله جل وعلا : ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ ، ووجه الدلالة منه أن النبي ﷺ قال: ((من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني))، وقال الله جل وعلا أيضًا في سورة النساء: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ قال ابن القيم –رحمه الله–، وقاله غيره أيضًا: لفظ أطيعوا جاء في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، يعني الأمر بالفعل أطيعوا، ثم في لما ذكر ولاة الأمور لم يكرر الفعل أطيعوا. فقال: ﴿ **أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ قالوا: وفي هذا مناسبة، أن طاعة ولي الأمر المسلم لا تكون إلا في غير مخالفة طاعة الله وطاعة رسوله. أما إذا كانت طاعته فيها مخالفة لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، يعني أمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فلم يكرر الفعل لأن طاعة الله تجب استقلالاً، ولأن طاعة رسوله ﷺ تجب استقلالاً، وأما طاعة ولي الأمر فإنها تجب تبعاً، لا استقلالاً، ولهذا الرجل الذي أمره النبي ﷺ على سرية، وقال لهم: ((أطيعوه)) فأجج ناراً وأمر الناس أن يقتحموها، فأبوا وقالوا: إنما فررنا من النار، –يعني بالإيمان والإسلام– فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: ((أما لو أنهم أطاعوه لم يخرجوا منها)) لأنهم أطاعوه في معصية الله جل وعلا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ومن الأدلة قول الله جل وعلا : ﴿ **يا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ الآية. ووجه الدلالة من الآية أن الله جل وعلا أمر داود وفي أمره، أمر للأنبياء، وأمر لمن ولي الأمر أن يحكم بين الناس بالحق وأن لا يتبع الهوى. وهذا مقصد والوسائل لها أحكام المقاصد. فطاعة ولي الأمر فيما فيه تحقيق

الحق وتكثير الخير وتقليل الشر وإبعاد الهوى، هذه لها حكم المقصد. فتكون واجبة وجوب المقاصد، لأنها وسيلة والوسائل لها أحكام المقاصد. ومن السنة قول النبي ﷺ: ((من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني)) وأيضًا ثبت عنه ﷺ أنه قال: ((على المرء السمع والطاعة فيما أحب وفيما كره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) وصح عنه ﷺ أيضًا أنه قال: ((إنما الطاعة في المعروف)) -يعني طاعة ولي الأمر في المعروف-. وأيضًا ثبت عنه ﷺ أنه قال: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة))، وأيضًا صح عنه ﷺ أنه قال: ((من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) وأيضًا في الباب الحديث الذي ذكرت لكم أنه ﷺ قال: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم. وشرار أئمتكم الذي تبغضونهم ويبغضونكم، وتعلنونهم ويلعنونكم)). ثم سئل ﷺ فقيل له: أفلا نقاتلهم؟ -يعني هؤلاء الذي نبغضهم ويبغضوننا ونلعنهم ويلعنونا- قال: ((لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة)) وأيضًا صح عنه ﷺ أنه قال: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر)). والأدلة على هذا الأصل في السنة كثيرة جدًا وأفردت بالتأليف وحري بطالب العلم أن يتتبعها في هذا الموضوع المهم الذي تكثر فيه الأهواء. وأصل الاتباع أن يتخلص المرء من هواه. وقد كثر التأويل من القديم من عهد الصحابة، التأويل والتبرير في هذه المسائل والواجب على المرء أن يموت على الطريقة الأولى بغير تغير ولا تبديل. وهذه المسائل من المسائل التي كثر فيها التغير والتبديل، إما عملاً وإما اعتقادًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. والسنة عزيزة واتباع طريقة السلف مطلوبة والواجب على المرء أن خلص نفسه من هواها. وأن يمتثل ما دلت عليه السنة دون مخالفة.

المسألة الخامسة: الخروج على ولي الأمر يكون بشيئين:

الأول: عدم البيعة واعتقاد وجوب الخروج عليه أو تسويغ الخروج عليه. وهذا هو الذي كان السلف يطعنون فيمن ذهب إليه بقولهم: كان يرى السيف. يعني اعتقادًا ولم يبايع.

الصورة الثانية: وهي المقصودة بالأصالة أنهم الذين يخرجون على الإمام بسيوفهم، أن يخرج على الإمام، يجتمعون في مكان ويريدون خلع الإمام وتبديله، أو إحداث فتنة بها يقتل ولي الأمر أو يزال أو نحو ذلك. يعني الخروج بالعمل عليه سعيًا في قتله أو إزالته. فهاتان الصورتان للخروج، والخروج على هذا يكون بالاعتقاد ويكون بالعمل

أما الصورة الثالثة: التي أدخلها بعض أهل العلم فيها: وهي الخروج بالقول لأن ولي الأمر يكون الخروج عليه بالقول، فهذه لا تنضبط؛ لأن الخروج بالقول قد يكون خروجاً، وقد لا يكون خروجاً. يعني أنه قد يقول كلامًا يؤدي إلى الخروج، فيكون سعيًا في الخروج. وقد يقول كلاماً هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يوصل إلى الخروج ولا يحدث فتنة في الناس، وهذا لا يدخل فيه ولهذا من أدخل من أهل العلم الخروج بالقول، في صور الخروج فإن الخروج بالقول فيه تفصيل، لا يطلق القول بأنه ليس بخروج، ولا أنه خروج. ومعاوية -رضي الله عنه- قتل بعض الصحابة لما خرجوا على أميرهم بالقول.

الشريط الأربعين وجه (ب)

أن يقول للناس شيئاً أو أن الناس كرهوه، فاجتمع حجر بن عدي، أو عدي بن حجر مع بعض أصحابه فحصبوه حصبوا الأمير وقالوا: لا نسمع ما تقول. فأرسل إلى معاوية فأمر معاوية بأن يؤخذوا وأن يسيروا إليه وكانوا سبعة عشر رجلاً. منهم الصحابي هذا. فقبل أن يصلوا إلى دمشق أمر بهم، فقتلوا.

هذا استدل به على أن فعل معاوية -رضي الله عنه- مصيرٌ من إلى أن الخروج بالقول، إلى أن الخروج يكون بالقول، وتنزل على هذا الأحاديث. وهذا الاستدلال محل نظر وليس بجيد، بل معاوية -رضي الله عنه- فعل ذلك تعزيراً وله اجتهاده في هذا الأمر. فإذا نقول: الذي عليه أهل العلم في تقرير العقائد، أن الخروج يكون في صورتين:

الصورة الأولى: عدم البيعة، واعتقاد جواز الخروج أو تسويغه، أو وجوبه يعني على ولي الأمر المسلم.

الصورة الثانية: السعي باليد، بالسيف، بالسلاح على ولي الأمر. أما بالقول فهذه فيها تفصيل، فقد تكون وقد لا تكون.

المسألة السادسة: الخروج على الولاة والأئمة له أسباب، ولم يخرج أحد إلا وله فيه في خروجه تأويل، فالخروج على عثمان -رضي الله عنه- الذي أدى إلى مقتله -رضي الله عنه- وأرضاه كان بسبب التصرفات المالية لعثمان -رضي الله عنه- وتوليته قرابته. فتجمع الخوارج، ممن يدينون بالخروج منكرين هذا الأمر -متأولين-، فخرجوا عليه حتى قتلوه -رضي الله عنه- وأرضاه، في قصة مبكية حتى إنه -رضي الله عنه- لم يدفن إلا ليلاً. وتبعه ثلاثة أو أربعة صلي عليه سرًا، ثم أخذ ليلاً على النعش بسرعة. ولم يدفن في البقيع وإنما في حائط -يعني في بستان قريب من البقيع- حتى لا يعرف أنه دفن. حتى جاء في الرواية أنهم كانوا من سرعة مسيرهم به، قال: نسمع رأسه يضرب في النعش من شدة السير بخشية أن تصل أيدي الخوارج إليه. وهذا بسبب التأويل، التأويل في المال عندهم -يعني تأولوا خروجهم في الرغبة في الصلاح في الأمور المالية- وكذلك في مسائل التولية، ونحو ذلك. وأجمع الصحابة -رضوان الله عليهم- على تصويب عثمان وعلى معاداة هؤلاء -رضي الله عن الصحابة أجمعين- وخذل من خالف سبيلهم إلى يوم الدين.

والسبب الثاني: رؤية المرء ما يكره في نفسه أو في بلده أو في مجتمعه بعامة. ما يكرهه دينًا أو ما يكرهه دنيًا. وهذا السبب –في رؤية المرء ما يكرهه—قد يكون معه عدم صبر. فيؤديه إلى الانتصار متأولاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكون آخذًا في الخروج، أو خارجاً فعلاً. وهذه المسألة –وهي مسألة رؤية ما يكره المرء في الدين أو في الدنيا– أعظمها ما حصل في عهد الإمام أحمد –رضي الله عنه– حيث رأى ورأى أئمة الحديث ما يكرهون في أعظم مسألة وهي مسألة خلق القرآن. حيث دعي الناس إلى القول بخلق القرآن الذي هو الكفر وألزموا بذلك. حتى وقع بعض الأئمة الكبار في الإجابة، خشية من بعض مسائل الدنيا. والإمام أحمد لما قيل له: في الخروج. نفض يديه وقال: إياكم والدماء. وأخذ بقول النبي ﷺ: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر)). شيئًا يكرهه هذه عامة. لأنها جاءت في سياق الشرط، وهذه تعم الكراهة الدينية، والكراهة الدنيوية. فأمر بالصبر. والصبر معناه: لزوم الطاعة وعدم الخروج وكذلك ما دل عليه الحديث الآخر: ((ألا من رأى أميره يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله. ولا ينزعن يدًا من طاعة)). وعلى هذا كان هدي الصحابة فابن مسعود –رضي الله عنه– صلى خلف أمير الكوفة. من قبل عثمان –رضي الله عنه– وصلى وهو يشرب الخمر، فصلوا معه. حتى صلى بهم الفجر أربعًا. ثم لما سلم، قال: أزيدكم؟ –يعني هل أنا نقصت من الصلاة؟– قالوا: لا زلنا معك اليوم في زيادة والنصوص الدالة على وجوب الطاعة في المعروف، تحريم نكث البيعة ونحو ذلك. تدل على عدم اعتبار هذا السبب، سببًا للخروج، وهو أن يرى ما يكرهه دينًا، أو ما يكرهه دنيا. إلا أن يرى كفرًا بواحًا عندنا فيه من الله برهان. كما جاء في الحديث، قال: أفلا ننابذهم؟ أو قال: افلا نخرج عليهم؟ قال: "لا.إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان)). والعلماء في هذا الحديث لهم قولان:

القول الأول: أنه عند رؤية الكفر البواح، فإنه يجب الخروج. وإذا قالوا: يجب. فمعناه أن أخذ العدة والوسيلة، فإنها تجب وجوب وسائل للمقاصد. وهذا قول طائفة من أهل العلم، متفرقون في شرح كتب الحديث. وهذا قول طائفة من أهل العلم متفرقين في شروحهم للأحاديث.

القول الثاني: أن هذا يجوز، ولا يجب. بل الصبر أولى إلا إذا كان تغيير هذا الولي الأمر الذي كفر ليس فيه مفسدة من سفك الدماء.

المسألة السابعة: الأئمة وولاة الأمور، طاعتهم من طاعة الله جل وعلا ومن طاعة رسول الله ﷺ. فطاعة المؤمن لهم في المعروف عبادة وقربة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل طاعتهم من طاعته. حفظًا لبيضة هذه الأمة، وجمعًا للكلمة وقوة لها على أعدائها. والعلماء ذكروا أن ولي الأمر له أن تصرفات ولاة الأمور –يعني من حيث التنظير– تكون على أحد أنحاء.

الأول: أن يأمروا بالطاعة. أن يأمروا بشيء فيه طاعة. يأمروا الناس بإقامة الصلاة ، يأمر الناس بإيتاء الزكاة، يأمر الناس بأداء الحق الشرعي بعامة، ينهون الناس عن المحرمات، يقيمون الحدود، يأمرون بالمعروف بنهون عن المنكر ونحو ذلك. مما هو معلوم الأمر به، أمر إيجاب أو استحباب أو معلوم النهي عنه، نهي تحريم أو كراهة في الشريعة.

والحالة الثانية: أن يأمروا بأمر اجتهادي، لهم فيه اجتهاد. وهذا الاجتهاد إما أن يكون عن خلاف شرعي واختاروا أحد الأقوال، أو أحد الرأيين، أو أحد الوجهتين، أو اجتهادهم كان مبنيًا في مسائل حادثة لا يعلم الناس لها الحكم، أو لم يُراد أن تبحث. مثل المسائل الدنيوية والمسائل العامة التي تجري في النفس.

الحالة الثالثة: أن يأمروا بمعصية الله جل وعلا. وأما الأول فإن طاعتهم في ذلك واجبة بالإجماع، وطاعتهم في ذلك من طاعة الله جل وعلا

وطاعة رسوله ﷺ. وأما الثانية وهي المسائل الاجتهادية فإن ولي الأمر إذا ذهب إلى أحد الأقوال في المسألة واجتهد، أو اجتهد في المسألة اجتهادًا له، لا يخالف مجمعًا عليه، فإن طاعته في ذلك متعينة أيضًا إذا كان متعلقًا بالأمة بعامة. فالمسائل الاجتهادية داخلة في عموم الأحاديث التي فيها الطاعة في المعروف؛ لأن طاعة الأمير في المعروف –التي جاء فيها الدليل– ((إنما الطاعة في المعروف)) تشمل الصورتين في الصورة الأولى والصورة الثانية بأن الاجتهاد معتبر شرعًا. والثالثة: هي أن يأمر بمعصية الله جل وعلا . الأمر بالمعصية قد يكون عامًا، وقد يكون خاصًا. وعلى كلٍ فلا تجوز طاعته فيما فيه معصية لله جل وعلا ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. لقوله ﷺ: ((على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية)) فإذًا الأدلة التي فيها الأمر بطاعة ولي الأمر، أو التي فيها بيان الطاعة ((إنما الطاعة في المعروف))، تفهم معاً ولا يضرب بعضها في بعض. يعني أن ولي الأمر يطاع إلا في المعصية. يطاع فيما فيه طاعة ويطاع في المسائل الاجتهادية، ولا يطاع فيما فيه معصية لله جل وعلا .

المسألة الثامنة والأخيرة: قوله في آخر الكلام: (وإن جاروا) هذا فيه تبين لأصل المسألة أن الطاعة لا تتقيد بأنها لولي الأمر العدل. يعني للعادل من الأئمة، أو للتقي من الأئمة، أو لمن يسير بكل الشرع من ولاة الأمر، بل وإن كان منه جور فإنه يطاع. والجور يكون في صورتين:

الصورة الأولى: جور في الدين، والثانية جور في الدنيا. والجور في الدين ضابطه ألا يصل فيه إلى الكفر. والجور في الدنيا يطاع فيه حتى ولو أخذ مالك وضرب ظهرك كما صح عنه ﷺ قال: ((أطع، وإن أخذ مالك وضرب ظهرك)). ومن أهل العلم من فرق بين ولاة العدل وولاة الجور في

الطاعة: فقال: ولي الأمر ذو العدل يطاع مطلقًا إلا في المعصية. وأما ولي الأمر ذي الجور فإنه لا يطاع إلا فيما يعلم أنه طاعة. أما إذ لم نعلم أنه طاعة قال: فلا يطاع. وهذا الكلام وإن كان منسوبًا إلى بعض كبار أهل العلم، المتقدمين لكنه في مقابلة النصوص، ومخالفٌ لإطلاق الأئمة في هذه المسائل. والتفريق في ما بين إمام العدل وإمام الجور، له أصل من كلام الأئمة لكن في غير هذه الصورة. فهم فرقوا ما بين إمام العدل وإمام الجور في صورة الأمر بالقتل أو بالاعتداء. فإنه إذا كان يعلم أن جوره في قتل من لا يستحق القتل، فإنه إذا أمر أحدًا أن يقتل فلانًا، قالوا: لا يتعين عليه الطاعة؛ لأنه قد يكون قتله ظلمًا، إذا لم يستبن له أنه مستحق للقتل. وهذا يكون في أزمنة الفتن ونحو ذلك، والعداءات ويقول: أقتل فلانًا ولا يسأل. فهنا فرق طائفة من الأئمة المتقدمين ما بين إمام العدل وإمام الجور. قال: إمام العدل لا يسأل. وأما إمام الجور فيتحرى، يتحرى حتى لا يكون إذا كان يعرف أنه يسفك الدماء، فإنه لا يقتل أحدًا إلا إذا استبان له أنه مستحق للقتل. والذي يظهر في هذه المسألة ويتعين الأخذ به، أن يعمل بمطلقات الأدلة؛ لأن المسائل إذا اشتبهت وجب الرجوع –خاصة في مسائل العقيدة– وجب الرجوع إلى ظاهر الدليل. ولا يسوغ لأحد مخالفة ظاهر الدليل فيما أجمع العلماء على جعله عقيدة. وهي مسألة الخروج على الولاة وطاعة ولاة الأمر. فحينئذ دلت الأدلة على ما ذكرنا من أن ولي الأمر يُطاع في الطاعة ويطاع في المسائل الاجتهادية ولا يطاع في صورة واحدة وهي أن يأمر بمعصية الله جل وعلا فلا سمع ولا طاعة.ويكون إذًا الجور ليس سببًا في الخروج سواء كان جورًا في الدين، أو كان جورًا في الدنيا. بل أكثر ما يكون الخروج بسبب الجور في الدنيا. كما ذكر ذلك ابن تيمية في منهاج أهل السنة، قال: أكثر تأويل من خرج بسبب جور بعض الولاة في أمور الدنيا. فإذًا قوله هنا: (ولا نرى الخروج

علـى أئمتنـا وولاة أمورنـا وإن جـاروا) يعنـي بـه أن عقيـدة السـلف الصـالح أن يسمع ويطاع لولي الأمر، ويحافظ على البيعة، ولا يخرج المرء ولا يلقى وليس له حجة في نزع طاعة، في نزع اليد من الطاعة ومهما كان الذي رآه إذا لم يرَ الكفر البواح الذي فيه من الله برهان. قال الطحاوي بعدها –رحمه الله–: (ولا ندعو عليهم) يريد أن هدي السلف الصالح وأئمة الإسلام، أنهم لا يدعون على ولي الأمر، والأئمة لأن الدعاء عليهم من سيما أهل الخروج وسيما الذين يرون السيف. إما اعتقادًا أو عملاً. وهدي السلف الصالح هو أنهم يدعون لهم، ولا يدعون عليهم؛ لأن في الدعاء لهم الصلاح والمعافاة، كما سيأتي، وفي الدعاء عليهم توطين القلوب على بغضهم وهو سبب من أسباب اعتقاد الخروج عليهم والوسائل لها أحكام المقاصد. كما أن المقصد وهو الخروج واعتقاد الخروج ممنوع عند الأئمة في عقائدهم، وكذلك وسيلته في القلوب هي الدعاء عليهم لأنه يحدث البغض لهم، والبغض يؤدي إلى الخروج عليهم. وهذه تضمها إلى قوله في آخره الجملة. وندعو لهم بالصلاح والمعافاة. يعني أن الهدي، هدي السلف وأئمة الإسلام في عقيدتهم، أنه كما أنا لا ندعو عليهم، فإننا لا نسكت بل ندعو لهم بالصلاح والمعافاة. والدعاء لولي الأمر بالصلاح، دعاء للأمة في الواقع؛ لأن صلاحه صلاح للناس. والمعافاة يعني أن يعافيه الله جل وعلا مما ابتلاه به أو مما أجراه في رعيته من الأمور المخالفة للدين. قد كان بعض الصحابة –رضوان الله عليهم–، أظنه أبا ذر، كانت يتكلم في معاوية –ﷺ– في بعض تصرفاته السلوكية، أو المالية أو التولية. فأتى به وقال له: يا فلان، أليس لك ذنوب؟ قال: بلى. قال: فما ترجوا في ذنوبك؟ قال: أرجو العفو والمعافاة من الله جل وعلا . قال: أفلا رجوت لي– يقوله معاوية –ﷺ– أفلا رجوت لي ما رجوت لنفسك؟ قال: فسكت ، وهذا يدل على أن الدعاء بالصلاح والمعافاة والتوفيق لولاة الأمر أنه هو

الهدي الماضي، وهو الذي يوافق الأصول الشرعية. قد قال جمع من الأئمة منهم الفضيل بن عياض ومنهم الإمام أحمد وجماعة: لو كان لنا دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان وقد نص البربهاري –رحمه الله– في كتابه شرح أصول السنة، على أن من سيما أهل البدع الدعاء على ولاة الأمور. ومن سيما أهل السنة الدعاء لولاة الأمور. فهذه المسألة التي ذكرها الطحاوي هنا مقررة في كتب الأئمة تقريرًا مستفيضًا. قال –رحمه الله–: (ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله –ﷻ– فريضة). يريد أن أهل السنة لا ينزعون اليد من طاعة ولي الأمر. وذكر اليد لأنها وسيلة البيعة؛ لأن البيعة تكون بصفقة اليد. وهذه هي بيعة أهل الحل والعقد. بأن يبايع يدًا بيد. وبيعة الناس تكون بمبايعة أهل الحل والعقد أو بمبايعة بعض المؤمنين لولي الأمر. فلا ننزع يدًا من الطاعة –يعني بعد البيعة باليد، لأن هذا سيما الخوارج– ونرى طاعتهم –طاعة ولي الأمر في غير المعصية– من طاعة الله –ﷻ– فريضة، واجب ما لم يأمروا بمعصية. وهذه الجملة مقررة فيما سلف وواضحة في دلالتها. نقف عند قوله: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرق).

جعلنا الله وإياكم من المتبعين للسنة والجماعة، المهيئين لذلك، إنه سبحانه جواد كريم. ونلتقي بكم إن شاء الله تعالى بخير حال على سنة ورضوان بعد الحج إن شاء الله تعالى ، وفقكم الله لما فيه رضاه .

الشريط الواحد والأربعين وجه (أ) ١٤١٩/١٢/٢٤هـ .

المتن :

ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة. ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة. ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه. ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في

الأثر. والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما.

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. اللهم نسألك علماً نافعًا، وعملاً صالحاً، نسألك اللهم العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، اللهم هيأ لنا من أمرنا رشدا، واكتب لنا الخير ومنّ علينا بالتوفيق في أمرنا كله، إنك على كل شيء قدير. أما بعد:

وقد قال الطحاوي –رحمه الله تعالى– هنا: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة) وهذه الجملة ذكرها بعد الكلام على الخروج على الولاة، أو قتل أحد من أمة محمد ﷺ لظهور معنى الجماعة في ذلك. وكل ما ذكره من أول العقيدة، إلى آخرها داخل –يعني فيما أجمع عليه أهل السنة والجماعة– داخل في هذه الجملة، فكل مسائل العقائد التي قررها أئمة الإسلام فإنها اتباع للسنة وللجماعة، وكل مخالفة لهذه العقائد التي دل عليها الكتاب والسنة وقررها الأئمة، فهي شذوذٌ وخلافٌ وفرقة. ولهذا هذه الجملة، قاعدة عظيمة من قواعد العقائد بجميع تفاصيلها، كما سيأتي في بيان السنة والجماعة وبيان ما يضاد ذلك إن شاء الله. وهذا الاتباع الذي ذكره –اتباع السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والخلاف والفرق– هو منشأ السير على ما كانت عليه الجماعة الأولى؛ لأن النبي ﷺ أورث الجماعة الأولى وهي جماعة الصحابة –رضوان الله عليهم–، أورثهم العلم النافع والعمل والهدى في أمور الدين كله، في الأمور العلمية، والأمور العملية، فأجمعوا على مسائل العلم والعقيدة والتوحيد، وعلى كثيرٍ من مسائل العمل، واختلفوا في بعض مسائل

العمليات والفروع. ثم صار سبيل المؤمنين–الذي هو سبيل الجماعة الأولى– صار علمًا على اتباع النبي ﷺ، وترك الأهواء. ثم تبعهم التابعون، ثم هكذا إلى زماننا، بل إلى أن يموت آخر المؤمنين. وهذا الأصل من أهم الأصول التي يقررها أئمة الإسلام؛ لأنه أصلٌ وما بعده فرع. فالخلاف في توحيد العبادة، أو في طريقة إثبات الربوبية، أو في الأسماء والصفات، أو في الإيمان، أو في القدر، أو في الصحابة، أوفي التعامل مع ولاة الأمور، أو في أي مسألة من المسائل التي تذكر، الخلاف في ذلك خلاف للجماعة الأولى. ولهذا قال من قال من أئمة الصحابة: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد. ويعني بقوله: (إذا فسدت الجماعة) يعني إذا صارت الجماعة في اختلاف، فإن المصيب منهم من وافق الجماعة التي كانت مجتمعة، غير مختلفة. ولهذا صار هذا الأصل علمًا على أهل السنة والجماعة أتباع الصحابة والسلف الصالح. فسموا أهل السنة والجماعة – لهذا الأصل–لأنهم يتبعون السنة والجماعة، ويأتي تفسير السنة، وتفسير الجماعة. وهذا الذي ذكروه هنا، أخذوه من النصوص التي لا تحصى في الكتاب والسنة، في الأمر بالإجماع نصًا أو معنى، وفي النهي عن الفرقة نصًا أو معنى. فمن ذلك قول الله –جل وعلا– ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾، ومنه قوله –ﷻ–: ﴿ **أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ** ﴾ ومنه أيضًا قول الله –جل وعلا–: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً** ﴾، ومنه قوله أيضًا –ﷻ–: ﴿ * **قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ** ﴾، يعني على الرسول ما حمّل من بيان السنة، وبيان الشريعة وتبليغ ذلك، وعليكم ما حملتم من اتباع السنة والجماعة، واتباع هدي النبي ﷺ فحمّل الرسول ﷺ البلاغ، وحمّلت الأمة الاتباع

والمتابعة. ومنه أيضًا قول الله -جل وعلا-: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ ونحو ذلك من الآيات الصريحة في اتباع الجماعة، والنهي عن الافتراق. والسنة فيها من ذلك شيء كثير كقوله ﷺ: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)). قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ((هي الجماعة)) وفي رواية قال: ((هي ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ، ومنه أيضًا الأحاديث التي في خروج الخوارج، وخلاف الخوارج للصحابة، وأمر النبي ﷺ بقتلهم، فقال في وصفهم: ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم))، وذلك لمخالفتهم للسنة والجماعة، وكذلك قوله ﷺ في أهل الأهواء: ((يتجارئ بهم الهوى، كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يبقى منه مفصل أو عرق إلا دخله))، ومنه أيضًا ما صح عنه ﷺ بقوله: ((الجماعة رحمة، والفرقة عذاب))، ومنه أيضًا قوله: ((وما أتاكم وأمركم جميع، يريد أن يشق عصاكم فاقتلوه كائناً من كان))، ومنه أيضًا دعاء النبي ﷺ: ((ألاّ يجعل بأس هذه الأمة بعضها ببعض)) قال: فمنعنيها. ونحو ذلك من الأدلة التي تدل على هذا الأصل العظيم. فإذًا هذا الأصل الأدلة عليه في منزلة التواتر، لكثرة ما دل عليه، بل هو أظهر أصول الشريعة، فإن الخلاف والفرقة عما كان عليه النبي ﷺ، والجماعة الأولى هو حقيقة خلاف لرب العالمين، واتباع غير السبيل الذي يرضى عنه -ﷻ-. فإذًا هذا الأصل -كما ذكرنا في أول الكلام- ذكره الطحاوي؛ لأن كل مسائل العقيدة يتفرع عنه. وإذا تبين ذلك فنقول: إن مسائل الاعتقاد التي يذكرها أهل السنة والجماعة، منها ما هو من سبيل المقاصد، ومنها ما هو من سبيل الوسائل إلى المقاصد، ومنها -وهو القسم الثالث- ما هو من سبيل المحافظة على المقاصد. فأما الأول، وهو المقاصد: هي أركان الإيمان الستة. وأما

الثاني، وهو الوسائل إلى تحقيق المقاصد: فهي القواعد العامة في التلقي والأخذ، لأنها لا يحفظ أصل إلا بدليل، بقاعدة، فلهذا صار هذا الكلام هنا، وهو قوله: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة). هذا له حكم المقاصد من جهة، وله حكم الوسائل من جهة أخرى؛ لأن اتباع السنة والجماعة مقصد تعبدي مطلوب ﴿ **قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ** ﴾.

والثاني: وهو اجتناب الشذوذ والخلاف والفرقة. هذا من وسائل المحافظة على أصول الاعتقاد. وفي هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى : معنى الاتباع في قوله: (ونتبع السنة والجماعة) معنى الاتباع، الاتباع هو: أن تقفوا أثر الشيء . اتبعه أي: قفى أثره. اتباع الحق، أن تقفوا الأثر. والأثر –سواء أكان أثر دليل، أو كان أثر مسير، يعني أثر قول، أو أثر مسير– كل منهما دليل، ولهذا صار الاتباع موسوماً عند أهل العلم بأنه: أخذ القول بدليله. ويقابل هذا التقليد، يقابل الاتباع التقليد، والتقليد، قبول القول والتزامه دون حجة واضحة؛ لأنه إن كان عنده حجة فهو متبع، ولو كان متأولاً أو مخطئً، وإذا كان ليست عنده حجة وإنما يتعصب، أو يقبل قول الغير هكذا؛ لأنه قال: فقط مع ظهور الحجة في خلافه، فهذا يسمى مقلدًا؛ لأنه جعل القول قلادةً له دون بيان. والتقليد في الاعتقاد فيه تفصيل، فما كان مما يشترط لصحة الإسلام والإيمان، فلا ينفع فيه التقليد، بل لابد فيه من أخذ القول بدليله وجوبًا؛ لأن هذا هو العلم الذي أمر الله –جل وعلا– به في قوله: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ** ﴾. أما التقليد في الاستدلال فلا بأس به، يعني أن يعلم وجه الدليل من الحجة، ويقلد العالم في الاقتناع بهذا الدليل، يعني بوجه الاستدلال، فهذا لا بأس به؛ لأن المجتهد في فهم الدليل هذا قليل في الأمة. فإذًا الواجب في الاتباع وما يحرم من التقليد في العقيدة، وما كان من أصول الإسلام، يعني ما لا يصح الإسلام إلا

بـه مثـل العلـم بالشـهادتين، وأركـان الإيمـان السـتة، وفـرض أركـان الإسـلام الخمسة. إذا كان التقليد كذلك، فهل يشترط استدامة العلم، واستصحاب العلم، والاتبـاع؟ أم لا يشـترط؟ الـذي عليـه العلمـاء المحققـون وقـرروه أن: الاسـتدامة ليست شرطًا، وإنما يكفي أن يعلم الحق في هذه المسائل في عمره مرة بدليله، ويأخذ ذلك ويقتنع به، يأخذ ذلك عن دليل وبينة ثم يعمل بما دل عليه. فمن تعلم مسألة، تعلم معنى الشهادتين في عمره، ثم بعد ذلك نسي المعنى، أو تعلم أدلة أركان الإيمان، ثم نسي، أو تعلم فرضية الأركان الخمسة –أركان الإسلام– أو الأربعة العملية، ثم جاءه فترة ونسي فإن هذا لا يؤثر ولا يأثم بذلك، المهم أن يكون أصل استسلامه عن دليل فيما لا يصح الإيمان، والإسلام إلا به. وهذا هو حكم التقليد عند أهل السنة والجماعة، ووجوب الاتباع. وأما المخالفون من أهل الكلام، من المعتزلة والأشاعرة وجماعات، فإنهم جعلوا العلم الواجب، هو النظر، أو القصد إلى النظر، أو.. إلى آخره من أقوالهم، ويعنون بذلك النظر في الكونيات، وأهل السنة يقولون الاتباع: النظر في الأدلة الشرعية يعني النظر في الشرعيات، وأولئك عندهم النظر في الكونيات؛ لأنهم جعلوا أن أصل الإسلام والإيمان، إنما يصح إذا نظر في برهان وجود الله –ﷻ–، وأما أهل السنة والجماعة فقالوا: وجود الله –جل وعلا– مركوز في الفطر، وإنما يتعلم ما يجب عليه أن يعتقده، وما يجب عليه أن يعلمه مما أمر الله – جل وعلا به، وجعله فارقًا بين المؤمن والكافر. وبالمقابل التقليد، التقليد عندهم في الكونيات، وعندنا التقليد في الأقوال والشرعيات. وثم تفاصيل لمسألة الاتباع والتقليد في مناهج التلقي ما بين أهل السنة والمخالفين.

المسألة الثانية: معنى السنة هنا، السنة يراد بها: العلم الموروث عن النبي ﷺ في مسائل الاعتقاد، في المسائل الغيبية وما يتصل بذلك من

الوسائل وما يحافظ به على الأصول. فما دلت عليه الأدلة من كلام النبي ﷺ وكان عليه هديه، فإنه السنة الماضية التي بجب اتباعها، وترك ما خالفها؛ لأن المسائل العلمية في الغيبيات البيان فيها واضح، وليست مجالاً للاختلاف وتنوع الآراء والأقوال. ولهذا سمى طائفة من العلماء، ممن صنفوا في التوحيد، سموا كتبهم: السنة. وهي كثيرة جدًا، كالسنة لعبدالله بن الإمام أحمد، والسنة للخلال، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة للطبراني، وكذلك السنة في كتب الحديث –يعني في أثناء الكتاب قد يبوّب بعضهم بكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، أو السنة، أو ما أشبه ذلك –فإذًا يجمع السنة: أنه هدي النبي ﷺ في العلم في هذا الموطن. في العلميات، يعني فيما يعلم ويعتقد، فإن منهجنا اتباع السنة في ذلك، وألا نخوض فيه بالعقليات.

المسألة الثالثة: الجماعة. الجماعة تطلق إطلاقين تطلق الجماعة ويراد بها: الجماعة في الدين، الجماعة في العلم بما أمر الله –جل وعلا– به أي يعتقد، أو في تصديق الأخبار في الكتاب والسنة. وهذه الجماعة تكون في الدين، الجماعة في الدين يعني الاجتماع على الدين الواحد. والمعنى الثاني للجماعة: الجماعة في الأبدان. أن يجتمعوا في أبدانهم، وألا يكون بأسهم بينهم، وألا يتفرقوا في أبدانهم بأنواع التفرق. ومسائل الاعتقاد تجمع هذين الأصلين، تجمع الاجتماع في الدين، والاجتماع في الأبدان. وكل المسائل التي تذكر في مسائل العقيدة منها ما يرجع إلى هذا، ومنها ما يرجع إلى الثاني. ثم هذا اللفظ السنة والجماعة، صار علمًا على من كان على ما كانت عليه الجماعة الأولى، وهم الصحابة –رضوان الله عليهم–، والذي عليه أئمة أهل الحديث، والمحققون من أهل الإسلام، أن هذا اللفظ أهل السنة والجماعة، إنما يدخل فيه أهل الحديث والأثر، الذين لم ينحرفوا في مسائل الاعتقاد. وقد ذهب بعض الحنابلة من المتأخرين، وبعض الأشاعرة، وجماعات من الفقهاء

إلى أن لفظ أهل السنة والجماعة يشمل ثلاث طوائف، يشمل أهل الحديث والأثر، والأشاعرة، والماتريدية، ومن صرح بذلك السفاريني في كتابه "لوامع الأنوار"، وجماعة آخرون. وهذا ليس بصحيح؛ لأن الأشاعرة والماتريدية خالفوا السنة والجماعة في مسائل كثيرة معلومة، فهم في إثبات وجود الله –جل وعلا– خالفوا طريقة القرآن والسنة، وفي تفسير لا إله إلا الله خالفوا ما دل عليه القرآن والسنة، كان عليه السلف، وفي إثبات الصفات خالفوا وقالوا: نهج السلف، أو طريق السلف أسلم وطريقتنا أعلم وأحكم. وجعلوا الصواب بين التأويل والتفويض:

وكل نصٍ أوهم التشبيه أوّله أو فوّض ورم تنزيهًا

فالتأويل عندهم حق، والتفويض حق، وأما الإثبات فليس بحق. وفي مسائل الإيمان خالفوا وقالوا بالإرجاء، وعندهم الإيمان هو: التصديق فقط دون الإقرار والعمل. وفي مسائل القدر هم جبرية، متوسطة. وفي مسائل أخر خالفوا أيضًا مما يضيق المقام عن ذكره. فإذًا من خالف في هذه الأصول العظيمة في الغيبيات والعقائد، فإن إدراجه في أهل السنة والجماعة وفي الفرقة الناجية، هذا ليس بواضح من جهة الدليل والاتباع. ولهذا يدخلونهم في الفرق المخالفة للسنة والجماعة، لكن ينبغي أن يعلم أن إطلاق السنة قد يراد ما يقابل الرافضة والشيعة والخرواج، فيدخل في إطلاق أهل السنة والأشعرية والماتُريدية والمرجئة وجماعات، لأجل مقابلتهم بالفرق التي ضلالها عظيم. لهذا من الأفضل، بل من المتعين عند الإطلاق أهل السنة والجماعة أن ينتبه ألا يكون شعارًا يدخل فيه من ليس من أهل السنة والجماعة أن ينتبه ألا يكون شعارًا يدخل فيه من ليس من أهل السنة والجماعة، حتى لا يضل الناس، ويكون مقتصرًا على من اعتقد الاعتقاد الحق، والباقون يمكن أن يقال عنهم: أهل السنة، ولكن لا يوصفون بأهل السنة والجماعة؛ لأنهم فرقوا دينهم وكانوا

شيعاً. ولم يقيموا الدين كما أمر الله –جل وعلا–، بل فرقوا في ذلك، وأخذوا ببعض الكتاب وتركوا بعضًا، كما هو معلوم من تفاصيل أقوالهم.

المسألة الرابعة: قوله: (تجتنب الشذوذ) الاجتناب: هو الترك ويريد بالترك أنه يتركه دينًا وتبعدًا، وتقربًا إلى الله –جل وعلا– لملازمته للسنة والجماعة. والشذوذ: هو الانفراد. وقد جاء في حديث وفي إسناده ضعف: ((ومن شذ، شذ في النار))، يعني من انفرد عن الجماعة التي وعدها الله – جل وعلا– بالجنة، فإنه سنفرد عنهم أيضًا في الآخرة في النار، هذا من جهة الوعيد. فمعنى الشذوذ في العلم والعقيدة: الانفراد بأشياء ليس عليها الدليل ولم تكن عليه الجماعة الأولى. ولهذا كان الإمام أحمد –رحمه الله– وجمع من أئمة السلف يقولون في مسائل العقائد: لا نتجاوز القرآن والحديث؛ لأنه إذا تجاوز المرء القرآن والحديث في مسائل الغيبيات والعقائد، فإنه لا يؤمن عليه الخلاف، ولا يؤمن عليه أن ينفرد بآراء ليست مدللاً عليها. الشذوذ قد يكون في أصل من الأصول –يعني الانفراد–، وقد يكون في فرع لأصلٍ من أصول الاعتقاد فالشذوذ مرتبتان.

المرتبة الأولى: أن ينفرد ويشذ في أصل من الأصول –يعني في الصفات– في الإيمان، في القدر، فهذا بانفراده في الأصل يخرج من الاسم العام المطلق لأهل السنة والجماعة.

والمرتبة الثانية: أن يوافق في الأصول لكن يخالف في فرع لأصل، أو في فردٍ من أفراد ذلك الأصل، مثلاً يؤمن بإثبات الصفات، وإثبات استواء الرب –ﷻ– على عرشه، وبعلو الرب –ﷻ– ، وبصفات الرحمن –ﷻ– لكن يقول: بعض الصفات أنا لا أثبتها، لا أثبت صفة الساق لله –جل وعلا–، أولاً أثبت صفة الصورة لله –جل وعلا– أو لم نثبت أن لله جل وعلا أعيناً، أو أثبت أن لله –جل وعلا– كذا وكذا مما خالف به ما عليه الجماعة، فهذا لا

يكون تاركاً لأهل السنة والجماعة، بل يكون غلط في ذلك وأخطأ، ولا يتبع على ما زلّ فيه، بل يعرف أنه أخطأ والغالب أن هؤلاء متأولون في الاتباع. وهذا كثير في المنتسبين للسنة والجماعة كالحافظ بن خزيمة فيما ذكر في حديث الصورة، وكبعض الحنابلة حينما ذكروا أن العرش يخلو من الرحمن – ﷻ– حين النزول، وكمن أثبت صفة الأضراس لله، وأثبت صفة العضد، أو نحو ذلك مما لم يقرره أئمة الإسلام. فإذاً من شذ في ذلك –في هذه المرتبة– يقال: غلط وخالف الصواب، ولكن لم يخالف أهل السنة والجماعة في أصولهم بل في بعض أفراد أصلٍ وهو متأولٍ فيه، وهذا هو الذي عليه أئمة الإسلام فيما عاملوا به من خالف في أَصل من الأصول في هذه المسائل، وكتب ابن تيمية بالذات طافحة بتقرير هذا فيمن خالف في أصل، أو خالف في مسألة فرعية ليست بأصل.

المسألة الخامسة: الخلاف، قال: نجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة والخلاف شر، ومذموم في الشريعة. والخلاف يطلق ويراد به الاختلاف أيضاً، كما قال –جل وعلا–: ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾ ولذلك خلقهم. فمدح من لم يختلف، وذم من كان في اختلاف، وأهل الاصطلاح يفرقون بين الخلاف والاختلاف، وهذا ليس هذا مورده وإنما في هذا الموضع الاختلاف والخلاف بمعنى واحد وهما شر، كما قال ابن مسعود: الخلاف شر –ﷺ– وأرضاه، والخلاف له صورتان، خلاف في العلميات –في العلم– والعقيدة وهذا البحث فيه كالبحث في الشذوذ والفرقة الآتي، والثاني: الخلاف في العمليات يعني فيما يسمى بالفروع، والخلاف هذا الثاني في الفروع، ليس مباحاً، أو مأذوناً به دائماً، بل قد يكون الخلاف مذموماً ولو كان في الفروع، وذلك إذا كان سيترتب عليه مفسدة في الناس، أو افتراق أو إساءة ظن أو مخالفة لأئمة المسلمين. ولهذا ابن مسعود ﷺ– في قصته مع عثمان، كان

يقرر ويذكر أن السنة: أن يصلي أهل منى في منى ركعتين للرباعية وعثمان -رضي الله عنه- صلى الرباعية أربعة، وكان ابن مسعود يصلي معه أربعاً، فقيل له في ذلك، قيل له: تقول: السنة ركعتان، وتصلي مع عثمان أربع، فقال: الخلاف شر، وهذا من عظيم فقهه -رضي الله عنه- مع أنه كان بينه وبين عثمان -رضي الله عنه- خصومة، أو نوع خلاف واختلاف في مسألة عطائه فكان يطلبه وعثمان لم يعطه عطائه الذي كان يرى ابن مسعود أنه له؛ لأن ابن مسعود بدري، وكان له في ذلك قول يجادل به عثمان معروف، لكن مع ذلك تخلص من هوى نفسه وقال: الخلاف شر. فالخلاف إذاً في الفروع، في العمليات، ليس دائماً مأذوناً به أو لا يعاب صاحبه، بل قد يعاب إذا كان في الخلاف مفسدة وفرقة، أو الخلاف يساء به الظن، أو يسد أبواباً من الخير ونحو ذلك، والطحاوي هنا لا يريد تقرير هذا البحث الثاني، وإنما يريد أن الخلاف -الذي هو بمعنى الشذوذ والفرقة- يجتنب ويحذر منه.

المسألة السادسة والأخيرة: الفرقة هنا: بمعنى الافتراق والفرقة أكثر النصوص في النهي عنها، والأمر بالجماعة معه النهي عن الفرقة؛ لأنه لا يجتمع الناس إلا إذا انتهوا عن الافتراق والفرقة. ولهذا كما قدمت لك بعض الآيات، نهى الله -جل وعلا- عن الافتراق فقال: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً** ﴾ دلت هذه الجملة من الآية على أن النهي عن الفرقة هنا، المقصود به الفرقة في الأبدان، ثم قال -جل وعلا- ﴿ **وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا** ﴾ وهذه الفرقة في الدين وهذا كما في قوله مثلاً في سورة الشورى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ** ﴾ يعني في الدين. فتحصل من هذا أن الأدلة دلت على أن الفرقة قسمان،

فرقة في الأبدان، وفرقة في الدين، مقابلة للجماعة التي هي: جماعة في الدين، وجماعة في الأبدان فكذلك الفرقة، فرقة في الدين، وفرقة في الأبدان، أما فرقة الدين فتكون بانتحال الأهواء، والأخذ بطريقة أهل الهوى من الخوارج فمن بعدهم وأعظم أهل الأهواء الخوارج، يعني ممن خرج على الصحابة ثم بعد ذلك، إلى أن أتت الملل، أو إذا أتت الأقوال الكفرية عند الجهمية والحلولية... إلى آخره، وهذا أعظم افتراق في الدين، فإن الله -جل جلاله- جعل الدين واضحاً لا لبس فيه، في أصوله وعقائده وفي قواعده العلمية، لا لبس فيها، ولهذا قال -ﷻ-: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾، فإذاً كل أنواع الافتراق التي حدثت إنما كانت لأجل الهوى، ولذلك سموا أهل الأهواء، هل وجود المتشابه في القرآن والسنة يعتبر سبباً في خروج أهل الأهواء؟ الجواب: ليس كذلك؛ لأن الله -جل وعلا- بيّن أن أهل الأهواء في قلوبهم زيغ قبل أن ينظروا إلى الأدلة، فقال -جل وعلا-: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ قال -ﷻ- في أول الآية: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ فبيّن -جل جلاله- أنه جعل كتابه منه محكم ومنه متشابه، يعني يشتبه على المرء العلم به، ما الذي حصل؟ أن الذين في قلوبهم زيغ اتبعوا، قال: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ** ﴾ فأثبت الزيغ في قلوبهم، ثم وصفهم باتباع المتشابه...، السنة ابتلاء ليظهر أهل الأهواء...، أن يبحث عما يؤيد به هواه، ويؤيد به زيغه وهذا ما نصت عليه الآية، قال: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ** ﴾

الشريط الواحد والأربعين وجه (ب)

بالفاء الترتيبية، ولهذا قال الأئمة: إن أعظم ما أمر الله –جل وعلا– به الاجتماع، وأعظم ما نهى الله –جل وعلا– عنه الافتراق؛ لأن حقيقة الاجتماع: اجتماع في الدين، وفي الأبدان وبهما صلاح العباد، وأعظم المصائب الافتراق، وبهما يحصل البلاء كله. فالشرك فرقة، والتوحيد جماعة، والبدعة فرقة، والسنة جماعة، والعقائد الصحيحة جماعة، والعقائد الفاسدة فرقة، الاستدلال بالكتاب والسنة وصحة منهج التلقي جماعة، والاستدلال بالأهواء والعقول وما ألفى المرء آباءه وأقوامه عليه فرقة؛ لأنه خالف المنهج الصحيح في الاستدلال، الاجتماع مع جماعة المسلمين وأئمتهم جماعة، والافتراق وترك أئمة المسلمين وجماعتهم فرقة، وهكذا فكل خير في الجماعة والسنة، وكل شر في الشذوذ والخلاف والفرقة. قال بعدها –رحمه الله تعالى–: (ونحب أهل العدل والأمانة) ونبغض أهل الجور والخيانة. الحب والبغض من مسائل النفس التي يدخلها الهوى. وقاعدة الشريعة والقرآن والسنة والصحابة: أن العبد لا يكون حقيقة مستسلماً حتى يتخلص من هواه. ومن الهوى الذي يتخلص منه، الهوى في محبته، والهوى في بغضه، ونستغفر الله ونتوب إليه، فمن أحب ما يحب الله –جل وعلا– ورسوله، ومن يحب الله –جل وعلا– ورسوله، فقد تخلص من هواه، ومن أبغض ما يحب الله –جل وعلا– ورسوله من الحق، أو أبغض من يحبه الله ورسول، فلم يتخلص من هواه، بل الهوى هو الذي قاده إلى ذلك. ولهذا كان من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة، أئمة الحديث والأثر، الذين تخلصوا من أهوائهم أنهم أهل عدل في أقوالهم حتى مع مخالفيهم، فيحبون أهل العدل؛ لأن الله يحبهم، وكذلك رسوله ﷺ ويحبون أهل الأمانة؛ لأن الله –جل وعلا– يحبهم، ورسوله ﷺ ويبغضون أهل الجور والخيانة؛ لأن الله –جل وعلا– ورسوله ﷺ يبغضهم؛ لأن الله يبغضهم ورسوله ﷺ يبغضهم فإذاً أصل هذه الجملة أساسها أن محبة المؤمن

المتبع لعقيدة السلف، وبغضه يكون تبعاً لنص الكتاب والسنة فيما يحب وفيما يبغض، كما قال –جل وعلا–: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ وفي الحديث: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))، وهذا الإيمان الكامل هو الذي يتخلص فيه صاحبه من الهوى، وهاهنا مسائل قليلة:

المسألة الأولى: أهل العدل، وأهل الجور متقابلان، كما أن أهل الأمانة، وأهل الخيانة متقابلان –يعني هؤلاء يقابلون هؤلاء، هؤلاء ضد هؤلاء، هذا صنف وهذا صنف– ولا أعني بالتقابل والتضاد المصطلح الكلامي، أو المنطقي فيه. فمن هم أهل العدل؟ ومن هم أهل الجور؟ العدل أمر الله –جل وعلا– به أمراً مطلقاً، فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى** ﴾ وأقام السماوات على الأرض على العدل، ودينه وأحكامه كلها عدل، وخير للعباد في مآلهم وفي حاضرهم، العدل الذي أمر الله –جل وعلا– به، أن يعطى كل ذي حقٍ حقه، أن تعطي الله –جل وعلا– حقه الذي أمرك به وأن تعطي رسوله ﷺ حقه الذي أمرت به، وأن تعطي الصحابة حقهم الذي أمرت به، وأن تعطي المؤمنين حقهم الذي أمرت به، وهكذا في سائر أحكام الشريعة، ولهذا قال بعض التابعين في آلاء هذه الآية ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى** ﴾ قال: أتت هذه الآية على جميع المأمورات، يعني في العلميات، وفي العمليات؛ لأن المأمور إما أن يكون عدلاً في العلم والعمل، وإما أن يكون فضلاً في العمليات والعبادات وأنواع التعامل يقابله أهل الجور، وهم أهل الظلم والجور، هو الحيف، وهو بمعنى الظلم، وأهل الظلم تارةً يكون ظلمهم في حق الله –جل وعلا– وتارة يكون ظلمهم في حق النبي ﷺ، وتارة يكون ظلمهم في حق العباد، أو في حق أنفسهم، فإذاً هذه المحاب، محبة أهل العدل والأمانة وبغض أهل الجور والخيانة، هذه تبع لمحبة الله –

جل وعلا- ولبغضه، وأهل العدل يقابلون أهل الجور بهذا المعنى إذا تبين هذا فإن المتقرر عند أهل السنة: أن الله -جل وعلا- يحب ويبغض وهما صفتان حقيقيتان على ما يليق بجلال الرب -جل وعلا- لا يماثل في محبته وبغضه محبة العباد وبغضهم، تعالى ربنا عن ذلك وتقدس والله -جل وعلا- يحب العبد لما ما فيه من الصفات الحسنة، صفات الإيمان والعدل والطاعة، ويبغض العبد لما ما فيه من صفات الظلم والطغيان، أو المعصية والمخالفة ونحو ذلك. فإذاً قرروا أنه يجتمع في حق المعين في صفات الله -جل وعلا- أن الله يحب العبد من جهة، ويبغضه من جهة، وهذا يخالف قول المبتدعة الذين قالوا: المحبة والبغض، شيء واحد، فالله -جل وعلا- يحب العبد الكافر حال كفره إذا كان سيوافيه على الإيمان، ويبغض العبد المؤمن الصالح حال إيمانه إذا كان سيوافيه على الكفر، وهذا هو المسألة الموسومة بمسألة الموافاة عندهم وهي مسألة المحبة والبغض عندهم أزلي، فالله يحب من يحب مطلقاً، ويبغض من يبغض مطلقاً والمحبة عندهم مأولة بإرادة الخير، والبغض عندهم مأول بإرادة الخذلان إذا تبين ذلك فإن المؤمن فيما يحب من إخوانه المؤمنين، يحبهم بقدر ما معهم من الإيمان، والعدل والأمانة، ويبغض فيهم بقدر ما معهم من الجور والظلم والخيانة، فالمؤمن تبع لمحبة الله -جل وعلا- ليس عنده حب كامل، أو بغض كامل، بل يحب بقدر الطاعة، ويبغض بقدر المعصية، وهذا من العدل حتى في رغبات النفس، وفي نوازع القلب. فإذاً يجتمع في المسلم العاصي الحب من جهة، والبغض من جهة، ترى حسناته فتسرك فتحبه، وترى سيئاته فتسوؤك فتبغضه من هذه الجهة. فإذاً الحب الكامل لأهل الكمال، والبغض الكامل لأهل الكفر، والمؤمن الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإنه يحب من جهة، ويبغض من جهة، وهذا أهل السنة

والجماعة فيه تبع لما دلت عليه النصوص التي أوجبت موالاة المؤمن ما دام اسم الإيمان باقياً عليه، والبراءة من الكافر ما دام اسم الكفر علماً عليه.

المسألة الثانية:الأمانة والخيانة متقابلان أيضاً ويعني بالأمانة هنا: الوفاء بأمانة التكاليف التي أخذ الله –جل وعلا– العهد من آدم عليها في قوله: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ وأصح الأقوال في تفسير الأمانة هنا، أنها: أمانة التكاليف. يعني أن يقبل أنه يخاطب بالأمر، والنهي وبعد ذلك الثواب والعقاب، والخيانة ضد الأمانة، وهي: عدم رعاية التكاليف فرجع الأمر إلى أن حقيقة الأمانة في معناها الواسع، يرجع إلى: التكاليف العقدية، وإل التكاليف العملية، والخيانة إلى: التكاليف العقدية خان فيها، وإلى التكاليف العملية، فالأمر إذاً فيه نوع ترادف في معناه الواسع مع العدل، والجور، فأهل العدل والأمانة بالمعنى الواسع، يقابلون كطائفة أهل الجور والخيانة. فهؤلاء يحبون، وهؤلاء يبغضون، ومن كان فيه عدل وأمانة وفيه جور وخيانة فإنه يحب من جهة ويبغض من جهة.

قال بعد ذلك –رحمه الله تعالى : (ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه) نقول: يريد به اتباع الأئمة الأربعة، واتباع أهل الحديث والأثر، فإنهم يمتثلون ما أمر الله –جل وعلا– به في أنهم لا يقولون على الله مالا يعلمون، وأنهم لا يقفون ما لا يعلمون، امتثالاً لقوله –ﷻ–: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ وقال –جل وعلا– في بيان المحرمات: ﴿ **وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾، فالقول على الله –جل وعلا– بلا علم محرم، وهو قرين للكفر والشرك؛ لأنه ما حصل الشرك والكفر وعبادة غير الله –جل وعلا– إلا بالقول على الله بلا علم، ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ**

اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ فإذاً كل ضلال حصل إنما هو بالقول على الله –جل وعلا– بلا علم. فأهل السنة والجماعة، أتباع الحديث والأثر فيهم تخلي عن أهوائهم، وغلبة لأنفسهم وامتثال لأمر الله –جل وعلا– وأمر رسوله ﷺ فيقولون: الله أعلم، فيما لا يعلمون. ولهذا جبريل –عليه السلام– في القصة، في حديث جبريل، في سؤاله للنبي ﷺ الحديث المعروف، سؤاله عن الإسلام والإيمان... إلى آخره، قال عمر –رضي الله عنه– في آخره، لما سأله النبي ﷺ: ((يا عمر أتدري من السائل؟)) قال: الله ورسوله أعلم، قال: ((هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم))، فالصحابة رضوان الله عليهم استعملوا هذا الأصل في عهده ﷺ واستعمله العلماء والأئمة إلى وقتنا الحاضر، ونذكر مسألتين:

المسألة الأولى: قول: الله أعلم، أفعل التفضيل هنا أعلم، إما أن ترجع إلى المتكلم، يعني نقول: الله أعلم منا، أو مني فيما اشتبه علينا علمه، أو الله أعلم بحكم هذه المسألة من خلقه، فالأولى فيها إرجاع للمتكلم، والثانية فيها إرجاع إلى الجميع وأفعل التفضيل هنا أعلم، ليس معناها: اشتراك الجميع في العلم في هذه المسألة؛ لأن العبد إذا لم يعلم شيئاً قال: الله أعلم، ولو أراد مني فإنه لا يعني أن عنده علم قليل. ولهذا صار معنى الله أعلم: أي الله هو العالم بحكم هذه المسألة، فأنا لا أعلم. وقول: الله ورسوله أعلم لم يذكرها هنا؛ لأنه لا يقال: الله ورسوله أعلم، إلا في حياته ﷺ وأما بعد وفاته فلا يقال إلا: الله أعلم؛ لأن النبي ﷺ انقطع عن دار التكليف ودار الوحي، الذي هو العلم الذي ينزل به جبريل –عليه السلام– عليه .

المسألة الثانية: قوله: فيما اشتبه علينا علم، الاشتباه يعني به: ورود ما لا تعلم مطلقاً، أو فيما تعلم واشتبه عليك، هل هو الصواب، أم لا؟ ولهذا قال العلماء الاشتباه والمتشابهات المراد منها فيما جاء في النصوص ﴿ **مِنْهُ آيَاتٌ**

مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ وهنا قال: فيما اشتبه علينا علمه. المراد بما اشتبه والمتشابهات: المتشابه الإضافي النسبي لمن قال هذه الكلمة، وأما المتشابه المطلق، فيما فيه تكليف علماً أو عملاً،فإنه لا يوجد في الكتاب والسنة، فكل ما فيه تكليف في الكتاب أو السنة تكليف بالأوامر والنواهي في العلم، أو في العمل فلا يكون مشتبهاً على الأمة كلها، بل قد يشتبه على البعض، ويعلمه آخرون؛ لأن الاشتباه الموجود نسبي إضافي، بحسب علم العبد، لهذا قد يرد على العالم، أو على من هو أقل علماً، أو على الإمام مسائل يشتبه عليه فيها العلم، أو لا يعلمها أصلاً، ترد عليه آية لا يعلم معناها، أو مخرجها فيسأل عنها عمر –رضي الله عنه– سأل عن آيات، أبوبكر –رضي الله عنه– جاء عنه، أنه قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله مالا أعلم، وعمر روي عنه نحو هذه الكلمة، وسأل عن تفسير آيات، وسُئل والصحابة لم يزل بينهم إرجاع في المسائل بعضهم بعضاً، بعضهم يرجع إلى بعض المسائل، فإذاً هذا أصل في أن المرء إذا لم يعلم يقول: الله أعلم. ويحيل إلى غيره ممن يعلم. الاشتباه هنا كما ذكرت لك، قد يكون اشتباهاً في الدليل، وقد يكون اشتباهاً في المدلول في الدليل ما عرفت وجه الدليل، أو المسألة لا تعرف دليلها أصلاً، ليس معنى ذلك أنها ليست بحق؛ لأن علماء الأمة يعلمون دليلها، أو يكون الدليل معك لكن وجه الاستدلال يشتبه عليك، فلا تخض في كتاب الله تفسيراً ببيان وجه استدلال وأنت ليس عندك علم به، فتقول: الله أعلم. هذا هو الدليل، لكن إيش وجه الاستدلال؟ الله أعلم. ولهذا الإمام مالك يذكر عنه أنه سئل عن أربعين مسألة، أو عن ثلاث وثلاثين مسألة، فأجاب عن أربع، والبقية قال: الله أعلم، لا أدري وهذا من عظيم، تعظيمهم لله –جل وعلا– وأن يقولوا في دين الله ما لا يعلمون، وهذه الحقيقة القاعدة هذه، أو هذا الأصل تحتاجه كثيراً في النقاش؛ لأن المرء إذا ناقش

غيره قد يأتيه الشيطان ويقول: أنت تعلم كل شيء، فيترك لا أعلم، يترك الله أعلم، يترك لا أدري فيقع ويأثم، وهدي أهل السنة والجماعة التواضع في العلم، كما أنهم التواضع لله –جل وعلا– في العلم والعمل، لهذا قال ابن المبارك –رحمه الله تعالى–: إن للعلم طغياناً كطغيان المال، والله –جل وعلا– وصف أهل المال بقوله: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى** ﴾ كذلك المرء قد يزداد عنده العلم حتى تكسبه تلك الزيادة طغياناً فيتعدى على غيره، ولا يسلك مع الناس سبيل الشرع في العدل في اللفظ وحمل أقوالهم ونحو ذلك مما يجب على المرء أن يعدل فيه؛ لأن من أراد أن يقيم الأقوال، فهو قاضٍ والقاضي يجب عليه أن يحكم بالعدل، لا أن يحكم بالهوى ﴿ **فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ** ﴾ والمرء إذا أخطى الله أعلم، جاءه كل غلط يأتيه الآراء الخطأ، ويقتنع بها ويؤيدها، ثم يتعصب لها، ثم يحصل فساد من أقواله، لكن إذا عود نفسه أن يمتثل هذا الأصل وهو: مالا يعلم، يقول: الله أعلم، فُتح لقلبه أنوار من العلم، ثم إذا علم العلم ثبت عنده بإذن الله تعالى، تواضع لله –جل وعلا– ومن تواضع لله –جل وعلا– رفعه. هذه بعض الكلمات على هذا الأصل، أسأل الله –جل وعلا– أن يوفقني وإياكم لما فيه رضاه، وأن يغفر لأئمتنا الذين ورثونا العلم النافع، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته، وأن يوردنا حوض نبيه، إنه سبحانه أكرم مسؤول جواد غفور رحيم اللهم فجد علينا واغفر جماً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

سؤال : يقول: ذكرت أن لفظ السنة والجماعة صار علماً على من اقتدى بالصحابة، وذكرت أن هذا اللفظ يراد به أهل الحديث والأثر، ألا ترى أن هذه الألفاظ محدثة ليست على نهج الله؟ فقد قال الله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فلماذا لا نلتزم بهذا المصطلح القرآني حتى وإن صار

علماً على طائفة معينة، فلماذا لا نلتزم به ونترك غيرها من المصطلحات الحادثة؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب : أولاً: قبل الدخول في الجواب استعمال لفظ المصطلح القرآني، هذا استعمال حادث، والأخ عنده رغبة في الاتباع، فلفظ المصطلح القرآني، أو المصطلحات القرآنية هذه من الألفاظ الحادثة، التي مرت قرون الإسلام ولا تعرف هذا اللفظ. وهذا لأن كلمة المصطلح، تعني اصطلاح. والاصطلاح هو: أن يكون هناك من اصطلح مع غيره على هذه التسمية. والله –جل وعلا– أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فإذاً العلماء يقولون: دلالات القرآنية، الألفاظ القرآنية المعاني، الآيات ونحو ذلك مما هو مستعمل عند السلف أما ما جرى السؤال عليه فالتأصيل الذي ذكره صحيح، والتطبيق قاصر. أما التأصيل فهو صواب، لأنه لا يحدث ألفاظ وأسماء يجمع الناس عليها، ويتعصبون لها وهي ليست من الألفاظ الشرعية؛ لأن هذا نوع من الفرقة والخلاف والافتراق ولهذا قال العلماء: الله –جل وعلا– سمى أتباع محمد ﷺ مسلمين ومؤمنين، وسمى منهم المهاجرين وسمى منهم الأنصار، وسمى منهم الأعراب، وسمى منهم.. إلى آخره. وهذه التسميات لأجل مجيئها في القرآن فهي شرعية، وهذه التسميات الشرعية إذا تعصب لها مع أنها شرعية، صارت مذمومة حاش اسم الإسلام والإيمان. ولهذا لما قام رجل من المهاجرين لأجل خلاف، وقال: يا للمهاجرين ينتخي بهم. وقام رجل من الأنصار، أو غلام من الأنصار فقال: يا للأنصار ينتخي بهم. فقال النبي ﷺ: ((أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم))، لم؟ لأن النخوة هنا والتعصب صار للفظ لطائفة من المؤمنين، وللفظ ليس هو لفظ الإسلام والإيمان، أو المسلمين والمؤمنين. صار هذا محدثًا للتفرق، ولهذا قال: ((أبدعوى الجاهلية))؛ لأن الجاهلية هم الذين ينتخون ويتعصبون للأسماء دون بينة. فكذلك ألأسماء

المحدثة في الأمة، إذا تعصب لها دون غيرها، فإنه يكون ذلك مردوداً على أصحابه، مثلاً: اسم الحنابلة، اسم الشافعية، اسم المالكية، اسم السعوديين، اسم المصريين، اسم الشرقيين، المغاربة، الشوام.. إلى آخره، هذه أسماء إذا كانت في الأمة لأجل التعريف، فإن هذا الأمر فيه واسع، لكن إن كان ثم تعصب عليها، وذم لما خالفها لأجل الاسم أن يمدح الشافعية، لأجل أنهم شافعية ويذم الحنابلة لأنهم ليسوا بشافعية، أو العكس فإن هذا من التعصب المذموم، وهو من التفرق والأخذ بالشعارات، أو الأسماء التي لم يدل عليها الدليل. إذا تبين هذا الأصل، وهو ما ذكره السائل جزاه الله خيرًا في سؤاله، فإن لفظ السنة والجماعة، لفظان شرعيان قد ثبت عنه ﷺ أنه قال: ((عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي))، وسنته هي سنته، وسنة الخلفاء الراشدين هي ما كان عليه الجماعة في وقت الخلفاء الراشدين. وفي الجماعة قال ﷺ في الفرق: ((كلها في النار إلا واحدة)). قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ((هي الجماعة)). والله -جل وعلا- أمر باتباع نبيه ﷺ فقال: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** ﴾ مطلقًا في كل مسألة، ﴿ **وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ** ﴾، مطلق في كل مسألة، يعني الأخذ بالسنة. فإذًا الأصل باتباع السنة واتباع الجماعة، وتميزوا الثناء على اتباع السنة، والثناء على الالتزام بالجماعة، هذا الأصل موجود في النصوص. جاء في زمن الصحابة، في أواخره، في عهد عثمان، وفي عهد علي -رضي الله عنهما-، بدأ خروج أهل الأهواء، وأهل الأهواء -وهم الخوارج مثلاً في أول الأمر- ثم الشيعة، ثم المرجئة، ثم القدرية، هؤلاء أهل الأهواء صارت لهم هذه الأسماء، وهم مسلمون لا نكفرهم، لكن ليسوا آخذين بكل الحق، فصار الاسم الذي سموا به علمًا لهم على ترك بعض الحق والافتراق فإذًا تبقى الطائفة الأولى التي كانت مواصلة للمأمور به من السنة والجماعة، يبقون يقابلون، إن قلنا: هؤلاء -أعني من مشى على الطريق

ولزم السنة والجماعة- هؤلاء هم المسلمون، فماذا نسمي الآخرين؟ نقول: هؤلاء هم المسلمون أيضًا إذًا لم يصر فرقًا بين السنة والبدعة؟ ما بين الاتباع والمخالفة؟ ولا ما بين الخارجي والصحابي؟ فإذًا لزم الفرق واسم الإسلام من ورع الصحابة -رضوان الله عليهم- وعدلهم أن الذين قاتلوهم، وضللوهم لم يخرجوهم من الإسلام، بل أبقوا عليهم اسم الإسلام، واسم الإيمان لكن من كان على وفق ما كان عليه النبي ﷺ والخلفاء الراشدين تميزوا بالاسم الذي هو الاسم الأصلي، وهو أنهم أهل السنة وأهل الجماعة، ولا يصح أن يقال: أنهم مسلمون فقط؛ لأنهم إن قيل: إنهم مسلمون، فغيرهم أيضًا مسلمون. وهذا التخصيص لهم، هو في الأصل مطابق لقولهم مسلم. ففي عهد النبي ﷺ المسلم يقابل المنافق، المؤمن يقابل المنافق، والمسلم هو من هو ؟ هم أهل السنة والجماعة. فلم يكن ثم فرق في عهده ﷺ ولا في عهد أبي بكر، ولا في عهد عمر، ما بين المسلم وما بين أهل السنة والجماعة، الدلالة واحدة، المسلم مؤمن أهل السنة والجماعة الكل واحد، لا فرق متى ظهر الاعتناء بأهل السنة والجماعة؟ لما ظهر الاختلاف والاعتناء بالاسم تمييزاً ليس ثناءً فقط لمن اتبع السنة والجماعة، ولكن هو أيضاً عدل مع من خالف؛ لأن الذي خالف، لو قلنا: هؤلاء مسلمون، لكان أولئك نقول: كفار. كيف تخصون أنتم بالمسلمين والآخرون؟ فإذاً صار عند السلف من كان على الطريقة الأولى، أهل السنة والجماعة، ومن كان مخالفاً يقال له: أهل الأهواء، المرجئة، الخوارج... إلى آخر ذلك. ولهذا أجمع أئمة الإسلام على صحة هذه التسمية، من أهل الحديث بل ومن غيرهم من الأشاعرة والماتُريدية على أن تسمية أهل السنة والجماعة صحيحة، وهذا اتفاق منهم على ذلك فالتسمية صحيحة مجمع عليها، لكن دلالتها مختلف فيها والاختلاف في الدلالة لم يرد له ذكر في السؤال، وإنما كان السؤال إحداث الاسم، فإيضاحه بما مر والله الموفق.

سؤال : من هم النزاع من القبائل؟ هل الرجل الذي يخرج من قبيلة إلى قبيلة أخرى؟

الجواب : لا يعني القليل، النزاع من القبائل يعني القليل منهم.

سؤال : هل لصلاة المغرب سنة قبلية. ثم وهل تقضى إذا فاتت؟

الجواب :المغرب، صلاة المغرب ليس له سنة قبلية، بمعنى سنة راتبة، لكن من أتى وصلى قبل المغرب، فالصلاة قبل المغرب سنة ومستحب، لكن ليست راتبة. النبي ﷺ لم يكن يلازم ركعتي قبل المغرب، والصحابة رضوان الله عليهم حثهم عليها ﷺ بقوله: ((صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب)) ثم قال في الثالثة: ((لمن شاء)) رواه البخاري وغيره. فالسنة قبل المغرب، الركعتين لمن أتى مبكراً –يعني قبل الإقامة– هذه مستحبة في حقه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يبتدرون السواري قبل الإقامة؛ لأجل ضيق الوقت ما بين الأذان والإقامة في المغرب؛ لأجل صلاة تلك الركعتين لكن ليست راتبة، فالرواتب عشر، أو ثنتا عشرة ركعة.

سؤال : ما يجده المسلم من ميل ومحبة للكافر، إذا أحسن إليه كالطبيب والدكتور، هل يؤثر على الولاء والبراء؟ وكذلك محبة الزوج المسلم لزوجته الكتابية، هل يؤثر على الولاء والبراء؟ علماً بأنه لو أبغضها لما تزوجها؟

الجواب : الحب هنا ليس مطلقاً، ما أحب الكافر مطلقاً، ولا أحب الكتابية مطلقاً، وإنما أحب ذلك لأجل النفع الذي وصل إليه منه، وهذه محبة في الواقع لنفسه، لأمر دنيوي، ولهذا ذكر العلماء: أن محبة الرجل لزوجه الكتابية لا بأس به؛ لأنه كما ذكر لو لم يحبها فإنه، أو يكون لها مودة في قلبه لما أبقاها معه، لكن المحبة التي هي في الولاء والبراء، فحقيقة الولاء والبراء: المحبة والبغض. المحبة لدينه، ومن أحب الكافر لدينه فإنه يكفر، أو

المحبة لدنياه مطلقًا وهذه موادة له، لا تجوز ونوع موالاة، والثالث: محبة مقيدة، لأجل النفع المقيد الحاصل له منه، فهذه فيها سعة لأجل أن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها. والذي ينبغي من جهة الكمال أن يكون تعامل المرء مع الكفار، تعاملاً ظاهريًا بالعدل، ولا يكون في قلبه ميل لهم، ولا مودة لهم، وإنما إذا أحسنوا إليه فإنه يحسن إليهم. استدل أهل العلم على هذه الصورة الثالثة. بحديث –أظنه حديث أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنها– وكانت أمها مشركة، وقدمت عليهم في المدينة، فسألت النبي ﷺ عن أمها قالت: أأصل أمي؟ قال: ((نعم، صلي أمك)). والصلة المراد بها في هذا الحديث: أنها تكرمها، إكرام الولد لوالده، إذا قدم عليه. وهذا الإكرام لا يخلو من، بل لابد فيه من مودة.

والاستدلال الثاني، وهو استدلال ضمني بأن الله جل وعلا نهى عن الإحسان إلى المحاربين، وأذن بالصلة والإحسان لمن لم يحارب من الكفار، فقال جل وعلا : ﴿ **لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ وقوله هنا: ﴿ **أَن تَوَلَّوْهُمْ** ﴾، في وصف المحاربين يدل على أن غير المحاربين له نوع مولاة جائزة، بالإحسان والمودة الجزئية ونحو ذلك. وهذا واضح بالمقابلة، المقصود من ذلك أن يعلم أن الولاء والبراء للكافر –يعني للمعين– ثلاث درجات، الموالاة محبة الكافر لكفره هذا كفر، ومحبته وموادته وإكرامه للدنيا مطلقًا، هذا لا يجوز ومحرم ونوع موالاة مذموم، والثالث: وهو أن يكون في مقابلة نعمة، أو في مقابلة قرابة فإنه نوع المودة الحاصلة أو الإحسان أو نحو ذلك في غير

المحاربين، هذا فيه رخصة. والله جل وعلا أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشريط الثاني والأربعين وجه (أ) ١٤١٩/١٢/٢٥هـ .

المتن :

ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر. والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما. ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين .

ونؤمن بملك الموت الموكّل بقبض أرواح العالمين .

الشرح :

بسم الله ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. اللهم نسألك العلم النافع والعمل الصالح. والمغفرة للذنوب والقبول للعمل. اللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين. ووفقنا إلى ما تحب وترضى إنك جواد كريم... أما بعد.

فيقول العلامة الطحاوي –رحمه الله–: (ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر). يريد بذلك أن أهل السنة والجماعة المتبعين للآثار. لا يعارضون الآثار الثابتة عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الكرام بالأقيسة. أو بالدلالات العقلية. وإنما يجعلونها مقدَّمة على ما هو دونها من القياس والدلالة العقلية ونحو ذلك؛ لأن منهج الاستدلال. عندهم أن يؤخذ بما جاء في الكتاب والحديث عن النبي ﷺ. وما جاء في القرآن حق وما جاءت به السنة حق. والحق يعضد الحق ولا يعارضه أو يناقضه بل هذا يدل على هذا كما أن السنة تدل على القرآن وتبينه، وهذه المسألة كما هو ظاهر. مسألة المسح على الخفين هي من مسائل الفقه لا من مسائل العقيدة ولكن

أدخلت في مسائل الاعتقاد لأجل أن أهل السنة تميزوا عن غيرهم. تميزوا عن عدد من الفرق. بأنهم يرون المسح على الخفين. والمخالف في ذلك هم الخوارج. أعني طائفة منهم. والرافضة وفيئام أو عدد من الناس مختلفون في أماكنهم لا ينسبون إلى فرقة من الفرق. فلأجل مخالفة تلك الفرق صارت المسألة من المسائل العقديّة؛ لأنها تميِّز أهل العقيدة الحقة من الفرق الباطلة. فصارت هذه المسألة وهي المسح على الخفين صارت علمًا يفرق به ما بين السنّي وما بين الرافضي والخارجي ونحوهما. ولهذا فإن مسائل الاعتقاد أعني المسائل التي تذكر في العقيدة. في مصنفات أهل السنة في الماضي وفي الحاضر. على أقسام:

القسم الأول : منها ما هو في بيان أركان الإيمان الستة.

والقسم الثاني: ما تميز به أهل السنة عن غيرهم في مسائل المعاملة معاملة ولاة الأمر. أو معاملة المبتدع. أو معاملة العصاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التعامل مع صحابة رسول الله ﷺ وزوجاته عليه الصلاة والسلام وهكذا.

القسم الثالث: ما هو من المسائل الفروعية لكن القول بها صار علماً لأهل السنة في مقابلة بعض فرق الضلال. فتذكر في العقائد لأنها ميزة لهم في مقابلة الفرق التي خالفت في ذلك.

القسم الرابع: أخلاق أهل السنة وصفاتهم التي تحلّوا بها من العبادة واحتقار النفس والعمل الصالح والأمر والجهاد والدعوة والإحسان إلى الخلق والتواضع ونحو ذلك من المسائل التي ربما ذكرها بعض الأئمة في مصنفات الاعتقاد. وهذه المسألة التي ذكرها الطحاوي هنا من القسم الثالث. وهي المسائل الفروعية التي صارت علماً لأهل السنة في مقابلة بعض فرق الضلال. وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (نرى المسح على الخفين) كلمة أرى ونرى إذا قالها العالم فيعني بها ما رآه علماً وما رآه شرعاً ليست رأيه المجرد عن الدليل بأنواع الأدلة، وهذا هو الموافق لهذه المسألة ولغيرها. فإذا قال الإمام: أرى أن يكون كذا. فيكون معتمداً على أحد الأدلة وأنواع الأدلة عن الأصوليين ثلاثة عشر دليلاً منها، وهو أولها النص من القرآن، ثم النص من السنة ثم الإجماع، ثم القياس إلى آخر الأدلة المعروفة. والذي يرى هنا المقصود بهم أهل السنة. وهؤلاء منهم أهل الأثر ومنهم بعض الفرق التي تخالف في الصفات. فهذه المسألة كما ذكرت لك خالف فيها الروافض والخوارج وأعداد عدد من العلماء أو من الناس مختلفين في فرقهم.

المسألة الثانية: المسح على الخفين جاء في الأثر عن النبي ﷺ وهو متواتر؛ لأنه منقول عن نحو ثمانين من الصحابة رضوان الله عليهم فنقله من حيث الدليل بالسنة متواتر. وكذلك نقله فيئام من الأمة بل نقلته الأمة جيلاً بعد جيل. بالرؤية وبالعمل فهو متواتر نقلاً، ومتواتر عملاً وأما المسح على الجوارب فليس كذلك؛ لأنه نقل عن نحو سبعة أو ثمانية من الصحابة أو أكثر بقليل، ولهذا المسح على الجوربين فيه خلاف عند أهل السنة بالخلاف الفقهي المعروف. أما المسح على الخفين فهو أصل من الأصول العظيمة في العمل؛ لأن النبي ﷺ تواتر عنه المسح وفعله صحابته وتواتر عنهم ونقلوه نقلاً قوليًّا وعمليًّا. والآثار فيها مسحه ﷺ على الخفين في أسفاره وفي الحضر أيضًا. كما قال ﷺ ((يمسح المقيم يوماً وليلة. ويمسح المسافر ثلاثة أيام بلياليهن))، فهذا معنى قوله في السفر والحضر؛ لأن السنة ماضية في هذا وفي هذا.

المسألة الثالثة: مما استدل به على المسح على الخفين من القرآن قوله –جل وعلا– في آية الوضوء: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى**

الْكَعْبَينِ ﴾ استدل به على أن المسح هنا مسح الأرجل يراد به المسح على الخفين. والقراءة هكذا بالجر هي أحد القراءتين السبعيتين فهاهنا قراءتان، القراءة الأولى: "وأرجلَكُم" بنصب الأرجل عطفًا على المغسولات، والثانية "وأرجلِكُم" عطفاً على الرأس عند أصحاب هذا القول يعني فتكون مجرورة، وهذا الاستدلال فيه نظر. وإن كان محله كتب الفقه، لكن من باب الاستطراد نذكره فيه نظر؛ لأن المسح على الخفين لا يكون إلى الكعبين، وإنما يمسح ظاهر الخف على ظاهر القدم. وليست السنة أن تستوعب الرجل مسحًا إلى الكعبين، ولهذا صار القول الظاهر في الآية على قراءة الجر أن لها توجيهين:

الأول: أن يكون هذا الجر لأجل المجاورة. والجر بالمجاورة أسلوب عربي معروف كثير الاستعمال، ومنه قول الله –جل وعلا– ﴿ **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ مع أن الألم هو وصف للعذاب وأما اليوم فهو ظرف. ولا يوصف اليوم بأنه مؤلم أو ليس بمؤلم، ولهذا صار الظاهر هنا في هذه الآية أن معناها ﴿ **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ يعني عذابًا أليمًا في يوم كما هو القول الأظهر من قولي العلماء هنا. وجُرَّ هنا لأجل المجاورة فهي أسهل في اللفظ ولأجل الختام قال: ﴿ **عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ وأما في لغة العرب فهو كثير معروف ومنه قول الشاعر:

فظل طُهاة اللحم ما بين مُنْضِجٍ صَفِيفَ شواءٍ أو قديرٍ مُعجل

ما بين مُنضج صفيف شواء لأنها مفعول لاسم الفاعل. صفيف شواءٍ فجر شواء؛ لأنها مضاف إليه، ثم قال: او قديرٍ مع أن حقها أن يقول: أو قديراً لأنها معطوفة على ما ينضج لكنه جرها بالمجاورة.

الوجه الثاني: أن قراءة الجر إذا كانت معطوفة على الرأس، فإنه يكون المسح هنا لأن العطف في مقام تسليط الفعل الأول على الجملة الثانية أو على الاسم الثاني. فكأنه قال: "واسمحوا برؤوسكم، وامسحوا بأرجلكم إلى

الكعبين" والمسح هنا لمّا جعل له غاية وهي أنه إلى الكعبين دل على دخول الكعبين في المسح وهذا يدل على أن المسح المراد به هنا الغسل الخفيف؛ لأن العرب تطلق على الغسل مسحًا؛ لأنه إمرار خفيف وهو موجود في اللغة ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ**﴾ يعني مرّ عليها قتلاً على خفة. فالمسح يكون بمرور على خفة. في المسح الذي هو من الغسل هو غسل خفيف. وهو مستعمل عندهم حيث يقولون إن المسح، يقولون مثلاً: تمسَّحت للصلاة إذا أراد أن يكون وضوءه خفيفاً.

المسألة الرابعة: قراءة الجر هذه بأبعد من أن تكون دليلاً على المسح على الخفين، قيل إنها دليل على إبطال المسح على الخفين وهذا هو الذي يتوجَّه إليه من يتكلم على الآية. وذكره عندكم الشارح والرد بأوجَه أن يكون بالوجهين السالفين.

قال بعدها: (والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة ما يبطلهما شيء ولا ينقضهما) يريد بذلك رحمة الله تقرير مسألة من المسائل الفقهية التي صار القول بها علمًا على أهل السنة. مخالفة للروافض والخوارج أيضاً. وهي أن الإمارة والولاية يُمضى مع أهلها. يعني مع الأمير أو ولي الأمر في الطاعة والمعروف والحج والجهاد والعبادات جميعاً، سواءً أكان برًّا أو فاجرًا، وسواء أكان مطيعاً أو عاصيًا. وسواء أكان كاملاً كالخلفاء الراشدين، أم كان يخلط عملاً صالحاً وآخر شيئاً كغيرهم، وذلك لأن الحج عبادة عظيمة يجتمع فيها الخلق الكثير فلابد أن تقام عبادة لله –جل وعلا–، ثم لابد أن يكون فيها ولها أمير يسير الناس وإلا لكانوا فوضى فيم يرون؛ لأن أهواء الناس لأحد لها، ولا غاية لها، والجهاد فيه مقابلة الأعداء والنكاية بهم وإذلال العدو وهذا لا يكون إلا بولاية والولاية هي التي تسير هذا الأصل وبِرهُ بِرُّ الولي، ولي الأمر أو عدم بره، صلاحه أم

فساده هذا يرجع إلى نفسه وهذه الأمور أمور العبادات من المعروف الذي يجب على المسلم أن يطيع فيه ومن البر والتقوى التي يجب أن يتعاون مع ولاة الأمر فيه كما قال -جل وعلا- ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ خطاب لجميع المؤمنين بجميع طبقاتهم، ونذكر بعض المسائل:

المسألة الأولى: أن المخالف في هذا الأصل هم الروافض والخوارج. أو من شابه الخوارج. أما الروافض فامتنعوا من الحج والجهاد مطلقاً حتى يخرج المعصوم وهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم وهو المدعو محمد بن عبدالله العسكري. الذي يزعمون أنه دخل السرداب وكان صغيرًا دخلت به أمه وهم ينتظرون خروجه، فلم يحجوا أو رأوا أن الحج غير قائم لا يرونه إلا مع معصوم، وكذلك الجهاد لا يرونه إلا مع معصوم، وليتهم أخذوا بهذا وانتظروا خروجه. ولم يشغلوا المسلمين ببدعهم وفتنتهم، أما الخوارج فعندهم أن هذه الأعمال إنما هي تبع للولاية والولاية عندهم لا تصلح في من لم يكن بَرًّا. فلابد أن يكون الإيمان برًّا صالحاً تقيًا كاملاً حتى يُجاهد معه، وحتى يُحج معه، وإلا نصَّبوا لهم أميراً وصاروا يجاهدون معه ويحجون معه ولا يدينون بدين الجماعة، وهذا ظهر منهم في خلافهم لعثمان -رضي الله عنه-، ثم في خلافهم لعلي -رضي الله عنه-، ثم في قتالهم لخلفاء بني أمية إلى آخره.

وممن يشبه الخوارج في ذلك من لم يرى الطاعة. طاعة في الحج والجهاد وما فيه مصلحة عامة للمسلمين وما هو من البر والتقوى والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا مع الإمام الصالح الذي ليس عنده فساد أو ليس عنده محرمات، وهذا قول يلحق بأقوال الخوارج؛ لأن الحج والجهاد وكل أنواع المعروف أوجب النبي ﷺ الطاعة فيها فقال: ((إنما الطاعة في المعروف))، والمعروف هو ما عرف في الشرع أنه ليس بمعصية، وأعلاه الطاعات التي يتقرب بها إلى الله -جل وعلا-.

المسألة الثانية: قوله: (إلى قيام الساعة) هذا المقصود منه إلى قرب قيام الساعة يعني إذا كان يوجد ولي أمر مسلم وجماعة وإمام وأناس يحجون ويجاهدون والذي دلت عليه الأحاديث أنه يترك ذلك قبل قيام الساعة. ولا يبقى في الأرض من يقول: الله الله. يعني أطع الله أطع الله أو اتق الله اتق الله. وهذا كثير عند أهل العلم حتى في العقائد يذكرون إلى قيام الساعة يريدون به ما يقرب منها مما هو زمن وجود المؤمنين.

المسالة الثالثة والأخيرة: قوله: (لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما) يعني لا يبطل الحج شيء من معصية الولاة، ولا ينقض الحج والجهاد مع ولاة الأمر شيء من فجورهم أو نقصهم؛ لأن هذه من العبادات العظيمة فلا تبطل بمخالفة المرء على نفسه. بل يجب القيام بها، الحج مع المسلمين والجهاد مع المؤمنين. بأمر عام وهذا الأصل الذي ذُكر وهذه تذكرونها في أول الكلام هذا مضى عليه هدي الصحابة رضوان الله عليهم، فقد حج عدد من الصحابة أو حج الصحابة في عهد بعض ولاة بني أمية، وكان فيهم من النقص ما فيهم، بل أُمِّر الحجاج بن يوسف الثقفي على الحجيج من قبل والي بني أميَّة، والحجَاج معروف بسفكه للدماء وظلمه وعدوانه وعدم رعايته للعلماء، ولا لنفوس المؤمنين. مع ذلك أُمِّر على الحج. وكان عالم الحج ابن عمر -رضي الله عنه- لأنه كان هدي السلف أن يكون ثم أمير وثم عالم يفتي الناس، وكان ابن عمر هو الذي يفتي الناس وكان قيل للحجاج لا تعمل شيئاً من أمور الحج إلا بأمر ابن عمر، يعني في مناسك الحج، فحج معه ابن عمر وصلى وراءه في حجة الوداع يوم عرفة أتاه عند زوال الشمس وقال: اخرج. قال: أفي هذه الساعة يا أبا عبدالرحمن. قال: نعم سنة أبي القاسم ﷺ فخرج فخطب الناس ثم صلى بهم الظهر والعصر، وكان ممن صلّى خلفه ابن عمر وطوائف من الصحابة وسادات التابعين. فهذا الأصل كثير من السلف كانوا يفعلونه وتلقوه جيلاً بعد

جيل. في مُضي الحج والجهاد مع ولاة الأمر مهما كانت مرتبهم؛ لأن ذلك فيه إعلان للدين وإعانة على الحق والهدى. قال بعدها: (ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين) نؤمن أي نصدق ونعتقد وجود الكرام الكاتبين كما أخبرنا ربنا –جل وعلا– بذلك وهم الملائكة الذين كرمهم الله – جل وعلا– بأنواع التكريم وجعلهم موكلين بابن آدم يكتبون عمله، ما يصدر منه من قول أو عمل، فهؤلاء الذين يقارنوننا من الكتبة نؤمن بهم؛ لأن الله – جل وعلا– أخبرنا عنهم وأخبرنا عنهم نبينا ﷺ، وهذا فرع للإيمان بوجود الملائكة أصلاً، فهذا تبع لركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة، وقد مر معنا أن الإيمان بالملائكة له درجتان:

الدرجة الأول: إيمان واجب وفرض إجمالي وتفصيلي.

والثانية: إيمان بما أخبر الله –جل وعلا– مطلقاً ما علمنا وما لم نعلم وما جاء في السنة ما علمنا وما لم نعلم. وكل من بلغه شيء وجب عليه الإيمان به. فالإيمان بالكرام الكاتبين ليس شرطاً في صحة الإيمان ليس ركنًا في صحة الإيمان. بحيث إن من قال: ليس ثَم من يكتب من الملائكة فيقال: إنه لم يصح إيمانه بل هو كافر. إلا إذا عُرِّف بالآيات. والأحاديث فأنكر، فهنا له حكم أمثاله من المنكرين ما في الكتاب أو السنة وإنما الإيمان الذي يتحقق به ركن الإيمان بالملائكة كما ذكرنا لكم. هو أن يؤمن بوجودهم وأنهم يعبدون الله لا يُعبدون، ثم الإيمان التفصيلي كل من سمع آية أو حديثاً صحيحاً واضحاً فيه الخبر عن الغيبيات وجب عليه التصديق بذلك واعتقاد ما دل عليه.

والطحاوي فرق الكلام على أركان الإيمان. وكثير من العلماء الذين صنفوا في العقيدة ما رتبوا الكلام على مسائل الاعتقاد بترتيب منهجي يعني ما جعلوا الكلام على الإيمان بالله وما يتصل به أولاً، ثم بالملائكة ثم بالكتب

ثم بالرسل ثم بالقدر، ثم باليوم الآخر ثم بالقدر، ثم انتقلوا إلى القسم الثاني إلى آخره، بل فرقوا ذلك. وهذا راجع إلى ما درجوا عليه من أن المرء يكتب عقيدته بحسب ما يحضره من المسائل ولم يقصدوا فيه الترتيب المنهجي، وإلا فمسائل الكرام الإيمان بالملائكة الكاتبين أو بمَلَك الموت، هذا متصل بالإيمان بالملائكة وهاهنا مسائل:

الأولى: قوله (نؤمن بالكرام الكاتبين) إلى آخره أخذه من قول الله –جل وعلا–: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ *يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ فوصفهم الله –جل وعلا– بأنهم حفظة علينا وبأنهم كرام، وبأنهم كتبة، والآيات التي تدل لهذا الأصل متعددة يأتي بيان بعضها إنشاء الله تعالى، لكن هاهنا على هذه الآية وعلى لفظ الطحاوي –رحمه الله– وصف الله –جل وعلا– الملائكة هؤلاء بأنهم حفظة على ابن آدم، وبأنهم كتبة هذا الوصف الثاني، وبأنهم يعلمون ما تفعلون وهو الوصف الثالث، أما الوصف الأول وهو أنهم حفظة على ابن آدم. ففرق ما بين أن يكون حافظاً على ابن آدم، وما بين أن يكون حافظاً لابن آدم، وسيأتي بيان الفرق في المسائل التي بعدها، ففي هذه الآية أنهم حفظة على ابن آدم، يعني يحفظون على ابن آدم ما يصدر منه، ثم وصفهم بوصف ثانٍ. أنهم إذا حفظوا على ابن آدم ما صدر منه فإنهم يكتبونه وهذه الكتابة يكتبونه في صحف عندهم بأيدي الملائكة، والملك موكل بكتابة الحسنات، والملك الآخر موكل بكتابة السيئات.

فإذاً الكتابة منقسمة إلى كتابة للحسنات في صحف والكتابة للسيئات في صحف، الوصف الثالث: أنه قال: ﴿ **يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ والفعل الذي يفعله ابن آدم يكون بقلبه فيشمل أعمال القلوب، ويكون بلسانه فيشمل ما يحرك به لسانه، ولو لم ينطق به، والثالث: ما يعمله بجوارحه المختلفة من الأيدي والأرجل والفرج واللسان إلى آخره، فكل ما يعمله بجوارحه أيضاً تعلمه

الملائكة، هذه دلالة الآية. هل يُكتب هذا كله ظاهر الآية أن هذا بأجمعه يكتب، وآية سورة (ق) فيها قول الله-جل وعلا-: ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ يعني رقيب يراقبه. عتيد يعني معد للحفظ عليه ولمراقبته، فكل شيء يعمله يُعلم يعني مما يلفظه يُعلم فيكتب. ودلالة آية الانفطار هذه تشمل الأصناف الثلاثة، وهذا هو الصحيح. أن الملائكة تكتب أعمال القلوب؛ لأنها أفعال وتكتب عمل اللسان ونطق اللسان، وتكتب عمل الجوارح، وذلك لأن عمل القلب منه ما هو واجب وهو إخلاصه ونيته وتوكله على الله، وخوفه ورجائه ونحو ذلك من أعمال القلوب، وهي أعظم العبادات التي يتعبد بها المرء ربه، هذه العبادات الجليلة، ثم من أعمال القلوب ما يكون من باب إتيان السيئات من الهم أو إرادة السيئة والعزم عليها، أو من المنهيّات من سوء الظن بالمسلم أو سوء الظن بالله جل وعلا أو نحو ذلك من الكبر إلى آخره من المنهيات، والملائكة يعلمون هذا كله، وعلمهم به هل هو لقدرتهم عليه ذاتاً، أو لأن الله جل وعلا أقدرهم عليه لأنهم موكلون بهذا الأمر الظاهر هو الثاني؛ لأن الملائكة ليس لهم سلطان على ابن آدم ولا علم بالغيب وإنما الله جل وعلا أقدر هذا الصنف من الملائكة بخصوصه على الاطلاع لأنهم موكلون بالكتابة والقلب يحاسب عليه الإنسان، واللسان يحاسب عليه وكذلك الجوارح يحاسب عليها، فإذًا كل هذه تكتب حتى ما يكون من قبيل الهم الذي يهم به الإنسان فإنه يُعلم ويُحفظ، ثم هل يكتب عليه أو يكتب له؟ هذا فيه البحث المعروف لديكم في أن الله تجاوز لهذه الأمة ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم، والمقصود بما حدثت به أنفسها ما هو من قبيل الهم أو من قبيل الوسوسة أو من قبيل حديث النفس، لكن إذا انتقل الهم أو حديث النفس إلى العزم والإرادة على الشر صار مؤاخذًا عليه، إذا انتقل حديث النفس أو

الهم هذا إلى شرف المكان، وهو مكة فإنه يؤاخذ عليه في قول بعض أهل العلم وهكذا.

فإذاً ﴿ **يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ هذه عامة يمكن أن يستثنى منها ما تجاوز الله جل وعلا لهذه الأمة عنه، والباقي على عمومه، وهذا مما يعظم الخوف من حركات العبد، وفي قلبه ولسانه وجوارحه، ويُعظم عند العبد المؤمن شأن الاستغفار، فإذا كان النبي ﷺ يحسب له في المجلس الواحد أنه يستغفر ويتوب إلى الله مائة مرة، لأجل عِظم ما يفعله وما تعلمه الملائكة. فإن أشباهنا أعظم وأعظم وأعظم حاجة إلى كثرة الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله جل وعلا.

المسألة الثانية: كثير من العلماء عند هذه المسألة عند ذكر الكرام الكاتبين وعند الآية يجعلون الكتبة والحفظة شيئاً واحدًا، فيجعلون الجميع أربعة ملائكة ومنهم اثنان للكتابة، واثنان للحفظ، وهذا درج عليه كثير من العلماء في شروحهم حتى شارح الطحاوية عندكم نسج على هذا المنوال، وهذا الأمر يحتاج إلى نظر، وجمع للنصوص والأحاديث حتى تُنظر في دلالتها، والذي يظهر لي بنوع من التأمل وليس ببحث مستفيض أن الملائكة الكتبة غير الحفظة، فالحفظة يحفظون للإنسان، يحفظون الإنسان، وأما الكتبة فإنهم يحفظون عليه، الحفظة هم المعقبات الذين ذكرهم الله –جل وعلا– في قوله في سورة الرعد: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ أوجه التفاسير فيها أن معنى يحفظونه من أمر الله يعني يحفظونه بأمر الله يعني يحفظونه وحفظهم له بأمر الله لهم أن يحفظوه، وفيه يعني في الحفظة قوله ﷺ: ((يتعاقبون فيكم ملائكة أربعة بالليل وأربعة بالنهار، فيجتمعون...)) إلى آخر الحديث، فيقول: ((كيف تركتم عبادي. فيقول: أتيناهم وهو يصلون وتركناهم وهم يصلون)) وهذا الحديث يدل على أن

الحفظة هؤلاء يتعاقبون. منهم من يحفظ بالليل ومنهم من يحفظ بالنهار، وأن هؤلاء يلتقون في وقت الصلاة، يعني في هذا الوقت من اليوم، ثم يفارقون العبد، وهذا خلاف ما دلت عليه الآية الأخرى، والأحاديث في وصف الملائكة الكتبة في أنهم لا يغادرون ابن آدم ولا يفارقونه على أي حال كان فيها حاشا الجنابة.

الشريط الثاني والأربعون وجه (ب)

الذي يظهر من الأدلة التفريق في الحفظ ما بين الحفظ لابن آدم والحفظ عليه فحفظ ابن آدم هذا عمل الملائكة الذين يتعاقبون. المعقبات، وأما الحفظ عليه فهذا عمل الكَتَبَة والكتبة اثنان. أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات، وأما الحفظة فكما قال النبي ﷺ: ((إنهم أربعة يتعاقبون في الليل والنهار)).

المسألة الأخيرة الثالثة: الإيمان بالكتبة يقتضي الإيمان بأنهم يكتبون؛ لأن أصل المسألة الإيمان بالملائكة الكتبة، ويقتضي ذلك الإيمان بأنهم يكتبون في صحف، وقد جاءت الأدلة في السنة أن منهم من يكتب الحسنات ومنهم من يكتب السيئات، ربما تنازعوا في كتابة بعض الأشياء، فيحكم الله – جل وعلا– بينهم، والكتابة هذه في صحف الملائكة، هذه هي التي تجمع على العبد، وهي كتابة الذي يجمع معه في عنقه إذا أُدخل القبر، وهو الذي جاء فيه قول الله –جل وعلا–: ﴿ **اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** ﴾، وهي الصحف التي يحاسب الله –جل وعلا– العبد بها فيقرره على ما فيها من الأعمال، وفيه أنه يسألهم ربنا –جل وعلا– هل ظلمكم ملائكتي؟ فيقولون: لا يارب. يعني بعد أن يحاسبهم الرب –ﷻ–، وإذا كان كذلك فإن مقتضى الإيمان بالكتابة وأن الإنسان على ما في قلبه يكتب له أو عليه وحركة لسانه يكتب له أو عليه وحركة جوارحه يكتب له أو عليه، فإن عِظم الإيمان بهذا

الأصل يطلب العبد إلى أن يجعل صحائفه ليس فيها إلا الخير. وإذا عمل شيئاً من السوء فليعظم الحسنات الماحية وليعظم الاستغفار الذي يمحوا الله جل وعلا به السيئات. ولهذا صار من نتائج الاعتقاد الصحيح أن العبد يكون أذل ما يكون لله –جل وعلا– فأصحاب العقيدة الحقة يذلّون لله –جل وعلا– حتى ولو عصوا أو صار عندهم ما صار فإنهم أكثر ذلاً لله –جل وعلا–؛ لأن عندهم من الإيمان بالغيبيات واليوم الآخر وبالكتابة وبمعرفة الله جل وعلا والعلم به وصفاته وما هو عليه –ﷻ– من نعوت الجلال والكمال ما يوجب عليهم قسراً أن لا يكون في قلوبهم إعراض أو كبر أو طاعة للشيطان في البعد عند ربهم –ﷻ–. ولهذا الوصية للجميع أنهم إذا علَّموا العقيدة فإنهم يعلمونها لأن صلاح القلب به تصلح الأعمال. وهذا واقع وأما أهل الكلام وأهل البدع فإنهم يعلمون مسائل الاعتقاد كمسائل عقلية، مسائل عقلية ينظرون إليها نظرًا عقليًا برهانيًّا عقليّاً أو نقليًّا دون نظر في آثار ذلك وهذا تجد لأجله فيهم من قسوة القلوب ومن قلة العبادة وترك التواضع والكبر إلى آخره من الصفات المذمومة ما فيهم، بخلاف أهل الحق من أهل السنة والحديث والعبادة فإنهم ألين قلوبًا لأجل ما معهم من العلم بالله جل وعلا وأكثر تواضعًا للخلق ونفع للعباد وخوف من الله –جل وعلا– لأنهم لأجل صحة العقيدة أثمرت في قلوبهم وفي أعمالهم. زادني الله –جل وعلا– وإياكم من الهدى وغفر لنا ما كان منا من نقص أو ضعف أو ذنب أو خطيئة إنه سبحانه غفور رحيم. اللهم فاغفر وارحم وتجاوز أنت أكرم الأكرمين.

قال بعدها: (ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العلامين) ملك الموت الذي يقبض الأرواح ذكره الله –جل وعلا– في القرآن، في قوله: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** ﴾، فالإيمان به إيمان بالملائكة وإيمان بما ذكر الله –جل وعلا– وأخبر به من ملك الموت

بخصوصه ومن الرسل التي تتوفى نفس المؤمن، فالإيمان بذلك فرض والذين ينكرون الغيبيات. ربما أنكروا حقيقة الملك الذي يقبض الأرواح، ومنهم من يقول الروح إذا ذهبت فإنها تذهب إلى جسد آخر فتحل فيه، ونحو ذلك من أقوال الحلولية أو التناسخية، أو ما أشبه ذلك ممن يرون التجسد. يعني العودة إلى التجسد كما يزعمون من أهل القديم والحديث من المنتسبين للإسلام أو من ملل الكفر والضلال. يريد الطحاوي -رحمه الله- بهذه الكلمة أن يقول: إن أهل السنة والجماعة مُسَّلمون للنص فيؤمنون بملك الموت. وأنه يقبض الأرواح وأنه موكل بها. مفوَّض أمر الأرواح لقبضها إليه، وهذا ظاهر في دلالة الآية على ما ذكرنا. ونذكر عدة مباحث ومسائل.

المسألة الأولى: ملك الموت جاء ذكره مرة مفردًا، وجاء ذكره في موضع آخر في القرآن مجموعًا بأنهم رسل في سورة الأنعام في قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ** ﴾ وهؤلاء الرسل هم أعوان ملك الموت وجنود ملك الموت. فهو لهم كالملك أو كالأمير الذي يأمرهم ويطيعونه. وهذا منهم من يقبض نفس فلان ومنهم من يقبض نفس فلان إلى آخره، فقوله -جل وعلا- ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ** ﴾ هو بمعنى قوله: ﴿ **تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا** ﴾ لأن ملك الموت ومن معه يمتثلون أمر الله -ﷻ-.

المسألة الثانية: متى يقبضون الروح هل هو بأمر مجدد من الله جل وعلا أو إذا انتهى الأجل بما معهم من صحف بأن أجل فلان ينتهي في الوقت الفلاني. خلاف بين أهل العلم في هذه المسألة، والذي يظهر هو الأول؛ بأنهم وُكِّلوا، والموَكَّل يقبض الروح بأمر الموكِّل. وهو الله -ﷻ-.

المسألة الثالثة: قوله : (الموكَّل بقبض أرواح العالمين) جاء في الآية نصاً أنهم موكلون. موكلون وهذا لا يعني أن الموكل غائب أو أن الموكل قاصر، ولكن الله -جل وعلا- خلق الملائكة وجعل لهم هذه المهمة

وغيرها من المهام للتعبد لا لنقص في ملكوت الله جل وعلا أو في صفاته – ﷻ– بل هو الكامل ذو الصفات الكاملة سبحانه، ولكن لأجل التعبد بذلك، وهذا فيه من الاعتقاد بتصرف الله جل وعلا في ملكوته في جميع الخلائق ما يطول وصفه إذا نُظر إلى سعة ملك الله وسعة التصرفات في الملكوت. وكثرة الملائكة وانهم موكلون هذا بكذا وهذا بكذا وهذا بكذا إلى آخره. التي بعدها وهي الرابعة.

المسألة الرابعة: ذكر لك الشارح هنا الطحاوي كلاماً طويلاً في الكلام على الأرواح والروح وحقيقتها والنفس والفرق بينها وبين الروح وهل الروح مخلوقة الآن. الأرواح مخلوقة أو غير ذلك من البحوث التي هي استطراد لأجل ذكر الطحاوي لفظ أرواح العالمين. وتبع في ذلك بل نقل نصاً ما في فتاوى ابن تيمية في الجزء الرابع من البحث في مسألة الروح والنفس والبحث في الآية: ﴿ **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ بم يُطالع ويستفاد من كلامه إنشاء الله تعالى. يعني مباحث الروح ليست يعني من المباحث المهمة في فهم كلام الطحاوي في هذا الموطن.

المسألة الأخيرة: قوله: (أرواح العالمين) لفظ العالمين يريد به هنا من له روح من المكلفين بقبض أرواح العالمين. يعني من له روح من المكلفين دون غيرهم، وذلك لدلالة ظاهر الآية على ذلك في قوله: ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ** ﴾ يتوفاكم الخطاب للمكلفين من الجن والإنس. ولفظ العالمين المعروف أنه اسم لكل ما سوى الله جل وعلا، فهذا هو الذي يذكر عند قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ يقول العلماء العالمون اسم لكل ما سوى الله جل وعلا، فكل ما سوى الله عَالَم وأنا واحد من هذا العالم. لكن هذا الاستدلال أو هذا التفسير ليس تفسيراً وحيداً. يعني ليس إطلاق لفظ العالمين على هذا المعنى فقط. فإن العالمين كلفظ في الكتاب والسنة يطلق

على هذا المعنى ويطلق إطلاقات أُخر. فالإطلاق الثاني له في القرآن أنه يراد بالعالمين الناس الذين تشاهدهم. كما في قوله –جل وعلا–: ﴿ **أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ ومعلوم أن الذكران من العالمين لا يشمل الملائكة؛ لأنهم ليسوا بإناث ولا يشمل الجن لأنهم لا يدخلون في هذا اللفظ. وقوله: ﴿ **أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ يعني به جل وعلا أو معنى الآية: يعني الناس الذين يأتونهم ويرونهم.

الإطلاق الثالث: يأتي لفظ العالمين ويُراد به أهل الزمان الواحد. من الإنس والجن. أهل الزمان الواحد يقال لهم عالَمون. وهذا يستدل عليه بقول الله –جل وعلا– ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ يعني بهم بني إسرائيل اختيروا على العالمين والمراد بهم أهل الأرض في ذلك الوقت. أهل ذلك الزمان من الجن والإنس، وقد اختار الله –جل وعلا– بني إسرائيل على علم لأنهم أصلح ذلك الزمان وهذه الإطلاقات الثلاث موجودة أيضاً في السنة: ومن أهل العلم من يقسم هذا التقسيم ، ومنهم من يقول أن المراد هو الأول فقط. وهذا العام الأول وهو أنه كل ما سوى الله –جل وعلا– عَالَم وأنا واحد من هذا العالم. عام يراد به الخصوص في مواضع، وهذا وجه وهو قوي وواضح يعني أن السياق يدل على إخراج بعض ما دل عليه العموم. فقول الله –جل وعلا– ﴿ **أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ معلوم أنه لا يدخل فيهم الجن ولا يدخل فيهم من ليس مشاهدًا لهم إلى آخره. فلم يأتوا كل ذكر وإنما أتوا بعض الذكور الذين رأوهم فيكون هذا من العام الذي أريد به الخصوص. وكذلك قوله: ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ يراد به العَالَمون الذين في زمانهم فهذا من العام المخصوص؛ لأنهم لم يفضلوا على أمة محمد ﷺ ولم يُفَضَّلوا على الملائكة فيكون هذا من العام المراد به الخصوص.

المقصود من ذلك أن قوله هنا الموكل بقبض أرواح العالمين يراد به العالمون الذين لهم روح ومن المكلفين. نقف عند هذا إن شاء الله تعالى.

سؤال : إذا أراد الشخص أن يبحث في مسألة أصولية إذا لم يذكر أقوال الأصوليين من المعتزلة أو من الأشاعرة أو من بعض الذين كفرهم أهل السنة وغيره. يكون البحث ناقص لكن إذا أردت أن تبحث مسألة فقهية. وتعتد قول الخوارج أو قول بعض المبتدعة يكون البحث فيه خلل إنك تذكر هذه الأقوال ما أدري يا شيخ ما توجيهك ؟

الجواب : أصلاً هذه واضحة ، الذي أعطاك تبحث البحوث الفقهية معدها علماء السنة ، أما الأصول أصول العلم فيه مآخذ كثيرة من جهة الأقوال. لهذا توسع علم الأصول ليس بأقوال أئمة الفقه هو بأقوال العقلانيين ليس بأقوال أئمة الفقه. لهذا متى بدا الخلل في الأصول. حينما تناوله من لا يحسن الفقه. فجعلوه صنعة مجردة. مثل النحو أخذوه كقواعد أشياء في القرآن يقول لك للضرورة أو يوجهونها إلى آخره.. عندك البلاغة قننوها مثل ما بحثنا مرة. قننوها تقنين وانحرفت عن أصلها. البلاغة أصلها ذوق. علم المعاني هذا البلاغة. علم المعاني والتشبيه والكناية إلى آخره. والبديع، ثم دخلوا في البلاغة المجازات بأنواعها ودخلوا أنواع البديع بإطلاق.. إلخ.

ثم وضعوا لها قوانين ذهب الذوق إلى آخره بقيت أصول الفقه أصله هو استنباط لغوي. أن أصول الفقه أصل مأخذها إيش؟ لغوي.. شرعي.. اللغة قبل ثم شرعي يعني الدلالات المختلفة ثم عقلي.. هنا اللي حصل من الأصوليين أنهم الدلالة اللغوية والشرعية وهذه يعلمها أئمة العلم. الفقهاء أئمة الحديث. أئمة الفتوى. العلم هؤلاء اللي يعرفونها دخلوا في البحث العقلي فالغوا كثير من الدلالات اللغوية والشرعية لأجل عدم علمهم بها. ولهذا الآن الأصوليون يذكرون أقوال الكفار حتى بعض المرتدين. ويذكرون أقوال أناس

اللي ذكرت وغيرهم من هو أشد منهم. يذكرونها ويقولن لازم تذكرها ويعتبرون خلافهم خلافاً في المسألة. وهذا غير صحيح.

يعني إذا أردت العلم الصحيح أن ليس المقصود الصنعة، يعني إذا تأخذ الصنعة هذا بحث آخر. بعدين أصل العلوم الشرعية المساندة مثل النحو والبلاغة والأصول مصطلح الحديث جاءتها فترات ضعف شديد اللي هي القرون المتأخرة هذه. صارت كلها أقوال وحواشي. وتعريفات واحترازات. راح روح العلم. روح العلم نفسه اللي تستفيد منه ؛ لأن ما المقصود من علوم الآلة هذه فقه الكتاب والسنة فقه الدليل. هذا المقصود منها. فإذا ذهبت عن هذا إلى شيء آخر ليس المقصود منه فقه الدليل. صار عندنا خلل فيه نعم قد يكون واحد اثنين ثلاثة من العلماء. لابد أن يعتنوا بأقوال المخالفين. يتخصصون فيه، لكن كل طالب علم نقول له والله ابحث عن كل الأقوال. ولازم تجيب كل قول واحد بيحضر رسالة في أصول الفقه يقول: فعلاً ليش رحت بالأقوال الثانية رد عليه جبها ورد عليه، لأنك أنت من فرض الكفاية أن تعرف أقوال القوم ثم ترد عليها. لابد يوجد في الأمة من يحسن هذا الرد؛ لأنه موجود أقوال الأصوليين عند الرافضة. موجودة. الرافضة يعتنون بالأصول كثيراً. ولهم مؤلفات فيه يحيون بها أقوال المعتزلة. كذلك الزيدية في اليمن لهم كتب في الأصول من ضمنها نهاية العقول. كتاب ضخم وفيه من التفصيلات ما فيه. مطبوع ما أدري رأيته أو لا. الأجزاء كبيرة جداً. في اليمن مطبوع قديماً، لكن كل هذه يعرفها المتخصص، لكن أنا بأتي لطلاب علم يبغون يفهمون دلالات النصوص لا تعطيهم من الأصول إلا شيء الذي سيطبقونه. أما أجي بقول الأمر اختلف فيه على أحد عشر قولاً. والأولين قالوا كذا والآخرين قالوا كذا إيش دخلهم في هذا. ما لهم علاقة. بل العقل يكسل عن أنه يفهم المقصود العلم المقصود. ولهذا الأصول بالذات أنا عندي أنه ما دُرِّس إلى الآن على ما

ينفع طالب العلم في فهم الكتاب والسنة. نعم ويؤخذ الأشياء. الأشياء الثانية يعني الكلامية هذه ويتوسع فيها وهذه تضعف شوي.

سؤال : نحن الآن ندرس في الكلية يا شيخ مسائل الخلاف .

الجواب : يمكن أنتم عندكم تخصص أو شيء. لكن أنت أنت لخص. يعني لازم تهتم باللي ينفعك المسألة التي فيها تطبيق، وأحياناً تكون المسألة ما تدري تكون فيها تطبيق أو لا. وهي يكون فيها تطبيقات من الذي يعرفها؟ يعرفها المعلم. الذي يعرف خلاف العلماء والاستدلالات والمسائل يعني في بعض مسائل التفسير تجد الخلاف فيها مبني على خلاف أصولي بدلالة الآية.

السائل : يعني يا شيخ ، بعد المباحث التي تدرسها ما لها ولا لها تطبيق واضح.

الجواب : مثل ماذا ؟ ذكرني ولا ما تذكر ؟

السائل : أذكر خاصة في أول قياس ندرسه لا ينطبق عليه قياس .

الجواب : هل ابن حزم ينكر القياس؟

السائل : نعم .

الجواب : لا ما هو بصحيح .

السائل : هو ينكر القول الذي يطبق عملاً .

الجواب : لا هو ينكر بعض القياس. بعض أنواعه. يعني قياس الأولى لا ينكره قياس الأولى يعمل به. قياس الأولى يعمل به. قياس الأولى وقياس المعنى. أما قياس العلة العلة هذا ينفيه؛ لأن عنده أصلاً الشريعة غير معللة، وهذه نص عليها بالإحكام عنده شيء هذا أولى وأحرى هذه يطبقها هذا مثل هذا المثليات الداخلة في القواعد. هذا يطبقها حتى أحياناً يأتي يقول: فإن قلت

هذا من قياس العلة قلنا لا. هذا من باب المثليات، والشريعة جاءت بالمساواة بين المثليات إلى آخره. أما قياس العلةهذا صحيح .

سؤال : هل لكم خدمة في هذا الفن؟

الجواب : ما أحسنه. لا أحسنه إلى الآن يبغي له تفرغ لكي يحسنه الواحد؛ لأن تعرف التعليم، حتى يعلم الواحد فن لابد أنه يمسكه يعني يكون قوي فيه. الأصول له مخارج كثيرة ولابد له من دُربة.

سؤال : يا شيخ سمعنا شرح الورقات في أشرطة أو مختصر التحرير مثلاً ؟

الجواب : هذه فوائد مختصرة. لكن لو الواحد منكم يأخذ هناك عدد من الكتب تأخذ منها فوائدها الأصولية يجتمع عندك معلومات أصولية كافية.

سؤال : يا شيخ ، أحسن الله إليك قول الطحاوي في مسألة المسح على الخفين؛ لأن هذه المسألة مما تواترت أم المقصود هنا المخالفة لهذه الفرق؟ وهل إذا حدثت مسألة في هذا العصر يتخالف بها أهل البدع نذكرها في عقيدتنا؟

الجواب : لا هو المقصود المخالفة فيه مسائل كثيرة ثابتة بالتواتر والإجماع ما دخلوها في العقيدة.

سؤال : هل كل مخالفة نعدها من مسائل العقيدة؟

الجواب : لا: قلت لك التي فيها شعار فيه مسائل صارت شعار: يعني واحد تشوفه ما يمسح على الخفين دائماُ يقول : لا ، أنا لا أمسح على الخفين ، يؤخر الصلاة يجمع الصلاة لكي ما يمسح على الخفين، يؤخر صلاة يوم كامل ؛ لأنه يقول ما أقدر أمسح. فيه شعار يعني المقصود منه الشعار. لا خصوص المسألة. يعني مثل الآن اللي يأتي يصلي وأمامه حصى يسجد عليه. هذا ماذا، هذا شعاره خلاص، فأهل السنة يرون الصلاة على الأرض

أو على ما بُسط عليها. ما هو بشرط أن يأخذون من تراب مكة أو من تراب المدينة، فإذاً المسألة في مسائل الشعار الذي تميزوا به، وطبعاً المراعى فيه ما هو بوقتنا الحاضر المراعى فيه وقت التصنيف الأول. القرون الثلاثة الأولى هي اللي كان فيها تقرير هذه المسائل. الآن يمكن ما تلحظها كثيراً في بعض المسائل.

سؤال : إذا كانت مسألة مستجدة؟.

الجواب : إيه إذا كانت شعار تذكر. إذا كانت شعار وأجمع أهل السنة عليها تذكر تعتبر مما تميزوا به.

سؤال : هل ملك الموت رؤيته قبل البعث ثابتة –قبل الإسلام– رؤيته قبل البعث؟ هو رآه موسى –عليه السلام–. والحديث في الصحيحين "أنه جاءه ملك الموت فقال له أتيت أقبض روحك فلطمه... إلخ" السؤال عن إمكان الرؤيا أو وقوعها؟ السائل عن إمكان الرؤيا؟

الجواب : الرؤيا حصلت لموسى –عليه السلام– وربما يأتي لبعض الناس ويعرف أنه ملك الموت. والنبي ﷺ كان يردد قبل أن تفيض روحه ﷺ يقول: بل الرفيق الأعلى. بل الرفيق الأعلى .

سؤال : ما هي أركان القياس؟

الجواب : ما معنى الأركان؟ يعني الذي ما يوجد الشي إلا بوجوده.

فالآن إذا عرفنا القياس بأنه إلحاق حكم مسكوت عنه بحكم منصوص عليه. لعلة جامعة بينهما. اقتضى أن يكون عندنا علة وأصل وفرع وحكم ، يعني هذا ما يمكن يوجد إلا لابد هذا ، فالأركان هي التي لا يوجد الشيء إلا بها. يعني مثل أنت ما أركانك. أركانك أنت جسد وروح. ممكن روح بلا جسد أو يعني ممكن أتصور واحد مشلول واحد مغمى عليه، واحد في غيبوبة لكن

فيه جسد وروح نقول: أنه إنسان لكن جسد بلا روح. أو روح بلا جسد ما فيه إنسان.

فإذًا الأركان ما تقوم عليه حقيقة الشيء. فالقائلون بالقياس متفقون على الأركان. لكن عادي يأتي عندك ما هو الأصل وما هو الفرق ما هي العلة. يعني تعريفاتها هي. هذه اللي يأتي فيها الخلافات، سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك.

الشريط الثالث والأربعون وجه (أ) ١٤١٩/١٢/٢٦هـ .

المتن :

ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب، وقراءة الكتاب. والثواب والعقاب، والصراط والميزان، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان. وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً. فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرض له وصائرٌ إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد.

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بم علمتنا وزدنا علماً وعملاً،

وصلاحاً وهدى. نعوذ بك اللهم من الضلال بعد الهدى، ومن الحول بعد الكور. إنك على كل شيء قدير.

قال –رحمه الله– هنا: (ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم). هذه الجملة تقرير لما يجب الإيمان به بما دل عليه النص من الكتاب والسنة. من أن القبر يُعذب أهله فيه، ويُنعم أهله فيه. فما بين معذَب ومنعم وما بين معذَّب دائماً. وما بين منعَّم دائماً. وهذا الأصل في الإيمان بعذاب القبر وبسؤال منكر ونكير وفتنة القبر قد دل عليه القرآن والسنة. وتظاهرت الأدلة وتواترت من سنة النبي ﷺ في الدلالة على أن القبر والبرزخ يكون فيه عذاب ويكون فيه نعيم للإنسان المكلف على ما يحكم الله –جل وعلا– به على الميت وأصل هذه المسألة في إيرادها في العقائد لأجل أن طائفة من المعتزلة والجهمية والفلاسفة وأهل الكلام ينكرون عذاب القبر وينكرون السؤال، والفتنة وذلك لعدم إيمانهم بدلالة السنة والحديث على ذلك ويتأولون ما جاء في القرآن مما يدل على عذاب القبر. فمن جنس المسائل السابقة فإن تقرير هذه المسألة في العقائد له أوجه:

الوجه الأول: أن عذاب القبر وفتنه القبر أمر غيبي والأمور الغيبية مجالها الاعتقاد؛ لأنها لا تدرك بالنظائر ولا تدركها العقول. بل تحار فيها العقول. فيجب الإيمان بها والتسليم على نحو ما جاء في الخبر الصادق في الوحي.

الوجه الثاني: أن الأدلة من الكتاب والسنة دلت على حصول العذاب في القبر، والنعيم فيه.. وعلى السؤال والفتنة في القبر وهذه في كثرتها معنىً تدل على تواتر الدليل بثبوت العذاب وأن دار البرزخ محل للنعيم وللعذاب

على الإنسان، وإذا كان كذلك فيجب التسليم لما دل عليه الدليل، فكيف إذا كان متواترًا معنًا أو متواترًا لفظًا وهو أعلاه.

والوجه الثالث: أن المخالفين خالفوا في هذا ممن يحكمون العقل، ويردون عالم الغيب إلى عالم الشهادة ويقيسون الأمور الغيبية على الأمور المشاهدة، ويحكمون العقل فيما جاءت به النصوص في أن هذا يُعقل وهذا لا يُعقل. فيحملونه على العقول، فلأجل مخالفة الضالين ممن ذكرنا من طوائف من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وأهل الكلام، وبعض فقهاء السنة إما في كل المسألة أو في بعضها نص عليها وصارت من مسائل العقائد التي يُعلن أهل السنة الإيمان بها وتقرير ما دلت عليه وكما ذكر لك الطحاوي هنا أن هذا الإيمان سمة لأهل السنة والجماعة المسلِّمين للنصوص وأنه تبع لما جاء في الأخبار عن رسول الله ﷺ، ونص على الأخبار ولم يذكر الآيات لأن الأخبار متواترة معنىً في الدلالة عليه، وأما الآيات فإنها قليلة وهي مجال للأخذ والتأويل عند من تأول، والحجة هنا ظاهرة فيما تواترت به السنة فيجب أن يكون على ما أورده هنا يجب أن يكون الاستدلال قائماً على الكتاب والسنة لكن إن كان المعارض يتأول أحد الأدلة فإنه يستدل عليه بما لا يكون مجالاً لتأوله فيه، وهذا هو الذي صنعه الطحاوي -رحمه الله- هنا، والأدلة التي دلت على هذا الأصل من كتاب الله -جل وعلا- ومن السنة كثيرة يمكن أن تُراجع في كتاب الروح للعلامة ابن القيم أو في شرح ابن أبي العز لهذا المتن، ونذكر منها قول الله -جل وعلا- في ذكر لما ذكر آل فرعون قال: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُواْ الَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ وقال أيضًا جل وعلا: ﴿ **سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾ وقال جل وعلا أيضًا: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ في آية الأنعام.

﴿ **أَخْرِجُواْ أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ فقوله جل علا هنا: ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ** ﴾ هذا متعلق بإخراج الروح من بدن الكافر. واليوم دلالة على بداية العذاب وهو بداية الحياة البرزخية، وكذلك من الأدلة في القرآن قول الله –جل وعلا–: ﴿ **وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ** ﴾ ويعني بالعذاب دون ذلك يعني دون العذاب الأكبر يوم القيامة وهو ما يكون في البرزخ. وهكذا في أنواع من الأدلة، وهذه كما ذكرنا لك ربما تأولها المعارض من الفرق الضالة لكن كثرتها وظهور كلام السلف فيها يدل على أنها في عذاب القبر والبرزخ، وأما السنة فهي كثيرة جدًا. منها قوله ﷺ: ((القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)) ومنها أن المسؤول في القبر إذا أجاب بالإجابة الصائبة فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من نعيمها ونسيمها إلى آخره، وأما الذي لم يحسن الجواب أو الكافر أو الفاجر أو المنافق فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها إلى آخره، ومن ذلك قوله ﷺ لما مر على قبرين: ((إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير ...)) إلى آخره فأثبت أنهما يعذبان وذكر أنه ﷺ أن المسؤول يضرب إذا لم يحسن الجواب يضرب بمطرقة أو مرزبة من حديد يسمعها من يليه إلا الجن والإنس، وكذلك قوله ﷺ: ((لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر)) والأدلة في السنة على هذا كثيرة جدًا كما ذكرنا تبلغ مبلغ التواتر المعنوي المختلف، ومنه أيضًا سؤال النبي ﷺ في صلاة الجنازة بأنواع الأدعية للميت أن يقيه الله –جل وعلا– عذاب القبر. وربما دعى لصغير لم يبلغ الحلم أن يقيه الله عذاب القبر، فإذًا الأدلة على ذلك من الكتاب متنوعة. ومن السنة متواترة. وهذا يثبت هذا الأصل العظيم ويكون فيه أعظم رد على المخالفين

من الفرق الضالة. إذا تبين ما قرره هنا الماتن. نذكر هاهنا عدة مسائل وفوائد.

الأولى: قوله: (نؤمن بعذاب القبر) عذاب القبر اسم لما بعد الموت. وقيل عنه عذاب القبر تغليباً وقد يكون عذاباً في القبر وقد يكون عذابًا في غير القبر. يعني أن من فارقت روحه جسده فإنه إما أن يُنعم وإما أن يُعذب. وغالب الناس من جميع الملل والنِحل والديانات غالب الناس يقبرون، فلذلك صار سمة للمسألة اسم نعيم القبر أو عذاب القبر. وإلا فحقيقتها عذاب البرزخ ونعيم البرزخ؛ لأن الحياة المقصود بالتنعم والعذاب فيها هي الحياة الثانية وهي الحياة البرزخية فالحياة ثلاث:

١: الحياة الدنيا ٢- والحياة البرزخية ٣- والآخرة.

والمقصود هنا الحياة البرزخية، ولذلك من دُفن. أو من لم يُدفن وأحرق وذُرَّ، أو من أُكِل فتفرقت أجزائه، أو من رُمي في البحر ولم يقبر أو إلى آخره، فكل هؤلاء، أو من رُفع في مكان ولم يجعل تحت الأرض يعني في قبر فالجميع صاروا إلى حياة برزخية فإذًا قول العلماء: عذاب القبر أو ما جاء في الدليل في بعض النصوص من تسميته عذاب القبر. هذا من باب التغليب لأن غالب الناس يُدفنون، وقوله هنا: (لمن كان له أهلاً). يعني بحسب علم الله جل وعلا فيه، فمن هو أهل للعذاب عُذب. ومن هو أهل للنعيم صار في نعيم.

المسألة الثانية: عذاب القبر مسلط على الإنسان المكلف ، والإنسان المكلف اسم لروحه وجسده، ولذلك الأدلة التي دلت على حصول عذاب القبر تتناول الروح والجسد معًا، فالعذاب والنعيم يقع على الروح ويقع على الجسد. يقع على الروح متصلة بالجسد بنوع من الاتصال الذي يصلح للحياة البرزخية. ويقع على الروح مجردة وربما على البدن مجردًا. يعني على البدن

وحده ونحو ذلك، ذكر هذا طائفة من العلماء لأجل دلالة النصوص على هذا وهذا، والظاهر أن العذاب والنعيم وما يحصل في البرزخ يقع على الإنسان بروحه وجسده، لكن تعلق الروح بالجسد هنا يختلف لهذا صار قول أهل السنة والجماعة أن العذاب يقع على الروح وعلى الجسد، وأن النعيم أيضًا في المقابل للروح وللجسد.

المسألة الثالثة: المخالفُ في تعلق الروح بالبدن هنا ربما كان من المنتسبين للسنة فمن المنتسبين للسنة من العلماء من يقول: العذاب على الروح والنعيم للروح وأما البدن فإنه لا يعذب ولا ينعم كما ذكرنا، ولهذا صارت الأقوال في هذه المسألة في أهل السنة. يعني في المنتسبين للسنة ثلاثة أقوال:

١. قول أهل السنة الذي دونوه في عقائدهم وقرره أئمتنا. أن العذاب كما ذكرنا والنعيم يقع على الروح والجسد معًا. يعني على هذا وهذا.

٢. القول الثاني: أنه على الروح فقط دون الجسد وهذا قول طائفة منهم ابن حزم وطائفة من المعتزلة والأشاعرة وجماعة ، هذه إضافة المعتزلة والأشاعرة وأقوال أهل السنة يدخل فيها ابن حزم.

٣. القول الثالث: أن العذاب والنعيم يكون للروح والبدن ما دام باقيًا وأما إذا تحلل فإنه يكون العذاب والنعيم للروح فقط. وظاهر الأدلة كما ذكرنا هو الأول. وهو الذي قرره الأئمة وللمسألة تفصيل وردود على ابن حزم وعلى غيره. تُطلب من المُطوّلات.

المسألة الرابعة: الروح والبدن ذكر العلماء أن لها أربعة أنواع من التعلق :

١. وهوأن الروح تتعلق بالبدن قبل الولادة وبعد نفخ الروح، وهذا التعلق ناقص ليس للروح فيه إدراكات ولا إحساس، ولهذا الصبي في بطن أمه، أو الجنين في بطن أمه لا يحصل له بكاء ولا ضحك. ولا... إلى آخره. من

الأشياء التي يستدل بها على حصول الإحساس عنده في روحه حيث تعلقت ببدنه.

٢. والثاني: هو حصول تعلق الروح بالبدن بعد الولادة، والروح تتنمى معلوماتها وإدراكاتها مع الزمن وتوحيدها وضده والشرك مع الزمن، فأبواه يهوِّدانه وينصرانه ويمجسانه. إذا صرف عن الفطرة فإنه يكون بالتعليم يتنمى هذا في الروح والبدن يتبع الروح في ذلك، فعنده من الاستعداد ما عند الروح فهو كالآلة وبينهما تعلق كبير لكن الحياة المحسوسة للبدن من جهة النماء والاستعدادات إلى آخره، والروح هنا تبع له.

٣. الحالة الثالثة: البرزخ: الحياة البرزخية بعكس الحياة الدنيا؛ لأن الروح هنا اكتملت والبدن في انقضاء، البدن في انتهاء وأما الروح فقد اكتملت، فالحياة للروح والبدن تبع. يتبع الروح فيما يختص بالروح، فإذا تنعمت الروح وصل إلى البدن من النعيم، وإذا تنعم البدن يحصل ويصل إلى الروح النعيم أو العذاب. ولك أن تقيس ذلك بالحياة الدنيا فإنه في الدنيا يحصل العذاب والنعيم للروح والبدن لا يصيبه ظاهرًا. عذاب أو نعيم، لكن يصل إليه لأجل تعلق الروح به. والحياة في البرزخ للروح والبدن تبع لأجل أن النماء لا يكون للبدن بل يكون إلى زوال. والروح مستقرها عند رب العالمين.

٤. والرابع: الحياة الأخرى وهي أن الحياة للروح، والبدن جميعًا في أكمل تعلق بحيث إن الروح كاملة للبقاء والبدن كامل للبقاء، لا يعطب البدن بحيث يفنى ولا تعطب الروح أيضًا، فالحياة بينهما كاملة، والتعلق أكمل ما يكون ولهذا في الحياة الآخرة النعيم والعذاب يقع على هذا وهذا في أكمل حال، وقد جاء عن بعض السلف في ذكر العذاب أن الروح والجسد اختصما يوم القيامة عند الحساب فقال الجسد للروح: أنت أمرتني بالشر ونهيتني عن الخير، وقال الروح للجسد: لو لم تفعل لما صار عليك العذاب. فاختصما إلى

ملك، فقال المَلَك: إنما مثلكما مثل رجلين أعمى لا يرى، ومُقعد لا يستطيع القيام. أتيا على بستان فيه من الثمار فقال المقعد إني أرى كذا وكذا من الثمار ولكني لا أستطيع الوصول إليه، وقال الأعمى: إني لا أرى شيئاً ولكن أستطيع الوصول إليه إن أرشدتني. قال له المقعد: احملني وأنا أتناول لي ولك، فالعمل صار بينهما جميعاً، قال الملك: فكذلك أنتما فلوما حالكما، وهذا واقع لأن حقيقة الروح والبدن. في تعلقهما لا يعلم مداه إلا رب العالمين، ولهذا وجب التسليم لما دلت عليه النصوص في حال الروح وفي حال البدن وفي تعلق هذا وهذا دون أخذ بما يدل عليه العقل المخطئ.

المسألة الخامسة: عذاب القبر هل هو عامٌ لجميع فئات الأمة أم هو لبعض الفئات. يعني هل يشمل غير المكلفين أم إن عذاب القبر ونعيم القبر للمكلفين. يعني من مات وهو صغير لم يبلغ سن التكليف أو مات وهو مجنون أو إلى آخره. ممن ليسوا محل التكليف. هل يحصل لهم في القبر نعيم أو عذاب؟ والجواب: أن المتقرر عند أئمة الإسلام أن نعيم هؤلاء إذا لم يجر عليهم التكليف أنهم في ذلك تبع لحال آبائهم. فآبائهم لما كانوا مسلمين فإن هؤلاء من أهل الجنة فأطفال المسلمين الذين يموتون هم من أهل الجنة ومن أهل النعيم لأنهم على الفطرة ولم يجري عليهم التكليف. والصغير تُكتب له الحسنات لأنها فضل من الله –جل وعلا– ونعمة، ولا تكتب عليه السيئات لأنه لم يجري عليه القلم. فإذا عمل بحسنة تكتب له ويثاب عليها، وإذا عمل بسيئة فإنه لا يؤاخذ عليها لأنه لم يجري عليه التكليف، فيكون تنعمه في القبر هو الأصل، لكن قد يُعذب كما ثبت في السنة في الموطأ وغيره أن النبي ﷺ دعى لصغير لصبي أن يقيه الله عذاب القبر. فهل يكون معنى عذاب القبر هنا العذاب الذي يصيب الكبار يصيب المكلفين أو هو معنى آخر. اختلف العلماء في ذلك يعني علماء السنة، فمنهم من قال: إنه يصيبه العذاب كما

يصيبه النعيم والله جل وعلا أعلم بما كان سيعمل لو كبر. وهذا قول طائفة من أهل السنة.

والقول الثاني: وهو الصحيح الذي عليه أهل التحقيق أن العذاب هنا ليس المراد منه العذاب الذي يصيب الكبار، وهو العذاب على السيئات لأن الصغير ومن مات وهو مجنون لم يكلف يعني جُنّ وهو صغير ثم كبر ولم يكلف، وأشباه هؤلاء، فإنهم ليس عليهم سيئات حتى يُعذبوا عليها؛ لأن هذا الأصل واضح أن القلم لا يجرى إلا مع البلوغ. فإذاً تفهم أحاديث الدعاء للصغار بأن يقيهم الله عذاب القبر كما دعى النبي ﷺ لصغير: ((اللهم قه عذاب القبر)) أن العذاب هنا هو الألم الذي يحصل للمدفون والألم ليس دائماً في مقابلة سيئات عملها. وقد يكون من أنواع الآلام التي الله أعلم بها مما يحصل في القبر، كضمته أو أشباه ذلك مما يكون فيه من الموجعات، لكن الألم لا يعني العذاب. والقبر البرزخ عالم الله أعلم به، لذلك نقول الصحيح أن يُحمل قول النبي ﷺ في دعائه لمن لم يجري عليه التكليف. ((اللهم قه عذاب القبر)) على أن المراد الألم والسوء وليس المراد العذاب الذي هو في مقابلة السيئات؛ لأن الصغير لم يجري عليه التكليف.

قال بعدها: (ونؤمن بسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه) منكر ونكير ملكان يأتيان الميت ويسألانه عن ربه وعن دينه ونبيه، وقد جاء في ذكر الملكين عدة أحاديث وهي حسنة أو صحيحة في التنصيص على اسمهما أنهما منكر ونكير. أو الأول المنكَر، والثاني: النَّكير. وقد قال بعض العلماء: إن الأول اسمه: المُنكِر. على اسم الفاعل، والثاني النكير وهذا ليس بصحيح، بل هو منكَر ونكير. يعني أيضًا منكور. منكَر في شكله وهيئته، ونكير أيضًا في شكله وهيئته، وذلك لأنهما من صفتهما كما جاء في الحديث أنهما شديدان أزرقان يأتيان في صورة لم يألفها الميت. الإيمان بسؤال منكر

ونكير جاءت به الأدلة في ذكر هذا السؤال. وفتنة القبر بأنواع من الذكر في الأخبار فالإيمان بذلك فرض. وواجب على ما جاء في السنة، وطوائف من المعتزلة وأهل الكلام والفلاسفة ينكرون فتنة القبر ويقولون : إن هذة ليست بصحيحة، وينفون دلالة الدليل عليها، وربما تأولها بعضهم، وربما ردها بعضهم لأنها أخبار آحاد، وأهل السنة والجماعة قرروا ذلك للأسباب التي ذكرت لك سالفاً في أنها أمور غيبية.

ثم الثاني أنها دلت عليها النصوص، ثم لمخالفة الفرق أو بعض الفرق الضالة في ذلك، والأدلة على مجيء المنكر والنكير والسؤال كثيرة في السنة معلومة لا نطيل الكلام عليهاأو إيرادها، ونذكر بعض المسائل هنا:

المسألة الأولى: أن سؤال الملكين يقع عن ثلاثة أشياء:

١- عن ربه ٢- عن دينه ٣- عن نبيه.

فيقولون: من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك؟ فأما المؤمن المُسدد الصالح يثبته الله جل وعلا بالقول الثابت، ويقول : ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، وأما الفاجر المنافق: فإنه يقول: هاه هاه. هاه هاه يعني لا أعلم أو لا يحسن الجواب: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته يعني لا يلهمه الله –جل وعلا– حسن الجواب، ولا يثبته عند السؤال. والرب المسؤول عنه هنا من ربك. المقصود به المعبود ، من ربك يعني من تعبد؟ فالربوبية هنا بمعنى العبادة؛ لأن الربوبية في النصوص تُطلق ويراد بها الألوهية في مواضع إذا دل عليها السياق وهنا الحال يقتضي أن السؤال. ليس هو عن الخالق الرازق المحيي المميت الذي يجير ولا يجار عليه لأن هذه يقر بها الجميع، والسؤال عن العبادة؛ لأنها هي محل الابتلاء. فمعنى من ربك. يعني من تعبد، ثم السؤال الثاني ما دينك؟ يعني الذي تدين به. فإذا كان يدين بعبادة الله وحده لا

شريك له بالإسلام أخبر بذلك، وإن كان يدين بعبادة الأوثان أخبر عن نفسه، فيكون إقراراً على نفسه بعبادة غير الله جل وعلا، وهكذا في السؤال الثالث.

المسألة الثانية: هذا السؤال هل هو مختص بهذه الأمة. أم هو لجميع الأمم، هذه بحثها العلماء، ولهم أقوال.

والقول الظاهر الصحيح منها. أن هذا السؤال لهذه الأمة ولجميع الأمم، فالجميع يُسأل إذا أدخل القبر، لأجل عدم ورود التخصيص، وأما ما جاء في بعض الأدلة في بعض الأحاديث: ((إنه أوحي إلي أن هذه الأمة تبتلى في قبورها)) هذا لا يقتضي التخصيص لأن هذا ليس له مفهوم مخالفة. فإثباته لهذه الأمة لا يعني أنها مخصوصة بذلك.

المسألة الثالثة: سؤال منكر ونكير.. هل يكون للكافر؟ أم لمن أجاب النبي ﷺ ظاهرًا؟ أيضاً اختلف فيها علماء السنة على أقوال والصحيح منها أن السؤال.. لا نطيل الكلام فيها تجدونها في الكتب المطولة والصحيح أن السؤال يكون لكل مكلف من المسلمين مؤمنين ومن المنافقين ومن الكفار، وهذا يدل له ورود لفظ الكافر في بعض روايات حديث البراء فيقول: "أما الكافر أو الفاجر" وفيها "أما المنافق والفاجر" فذكر في الروايات المنافق والفاجر والكافر، وهذه سواء حملناها على ورودها بالمعنى. أو على أن الجميع محفوظ لكن التخصيص ليس له وجه، فالجميع يسأل عن هذه المسائل؛ لأنها هي فاتحة ما سيكون بعدها في الحياة البرزخية.

قال –رحمه الله– بعد ذلك: (والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران) يريد بذلك التصديق والإيمان بما دلت عليه الآيات بما دلت عليه الأحاديث والآي من أن المقبور يكون في نعيم أو في عذاب وأن قبره إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار كما جاء في الحديث، وسبب إيراده أن العقلانيين في مسائل عذاب البرزخ والفلاسفة

وطائفة من أهل الكلام ينفون أن يكون القبر جنة أو نار ويقولون بعقولهم إننا نفتح القبر فلا نجد فيه أثرًا لخضرة ولا أثرًا لكذا وكذا من النعيم. ونفتح القبر ولا نجد فيه أثراً لنار ونلمس الأرض من الخارج ولا نجد أثر لنار، وهذا من جراء قاعدتهم أن عالم الغيب يقاس على عالم الشهادة. وأن الجميع يمكن إدراك العقول. يقولون: إن خلق الله واحد وهذا وهذا مداره من حيث القياس واحد. وهذا الأصل الذي أصّلوه خلاف ما دلت عليه الأدلة من أن عالم الغيب غير عالم الشهادة. وعالم الملائكة وعالم الجن غير عالم ما نراه، وهكذا في ما لا نراه من المخلوقات. فإن قوانينه وسنة الله –جل وعلا– فيه تختلف عما نراه. والحياة البرزخية والعذاب والنعيم والجنة والنار لا يعرف كيف يكون إيصال ذلك إلى الإنسان وإلى الأرض إلا رب العالمين جل وعلا، ولهذا الواجب أن المسائل الغيبية لا تحكم عليها العقول؛ لأن الله جل وعلا أخبر بها فيؤخذ بها على ظاهرها. وكما ذكر شيخ الإسلام وابن القيم وشارح الطحاوية وجماعة بأن الشريعة تأتي بما تحار فيه العقول، ولأن تأتي بما تحيله العقول. وهذه قاعدة مهمة في نظرك فيما يلتبس عليك. فإن الشريعة تأتي بأخبار غيبية وبأشياء يحار فيها عقل الناظر، لكن العقل الصريح الواضح السليم من الأهواء والآفات، والذي يطبق القواعد تطبيقاً صحيحاً يخرج بأن العقل لا يحيل هذه الأشياء لكن يحار العقل في حقيقتها نعم؛ لأن العقل إنما نمى بما شاهد. العقل تنوعت إدراكاته ونمى فيه أشياء بما شاهد: ﴿ **وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ** ﴾ هذه وسائل الإدراك. فعقل الطفل لم يكن شيئاً. فنمت فيه الإدراكات بما شاهد من القوانين. وأما ما لم يشاهد. فإنه لم يدركه عقله لأنه لم يشاهده ولم يعرف حقيقته. فلهذا لا يسوغ له أن يحكم على ما لم يرى. بما رأى وبما حصله من معلومات نشأت معه من صغره إلى أن وصل إلى ما وصل إليه، فعالم الغيب

ليست قوانينه كعالم الشهادة خذ مثلاً السماوات وما فيها، وبُعدها، وخذ مثلاً الشمس وبُعدها، وكيف تتير الأرض إلى آخره، والقمر وحاله والخسوف والكسوف وأنواع ما يحصل فإن هذه عند من لا يعرف فإنه لا يدرك حقيقتها، وربما أدرك بعض الناس حقيقتها فأدركوا قوانين الرب –جل وعلا– وسنة الرب جل وعلا في بعض خلقه .

الشريط الثالث والأربعون وجه (ب)

فإذًا نقول: لهذا بنى ابن تيمية كتابه العقل والنقل الذي هو موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول أو درء تعارض العقل والنقل على هذه المسألة، وهي المسألة التي خالف فيها العقلانيون من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة إلى آخره، وهذه من المسائل التي يذكرونها ويشنّعون أو يؤكدون عليها، ولا شك أن كون القبر روضة أو حفرة هذا من عالم الغيب الذي لا يدرك والإنسان تراه نائماً بجنبك وهو إما في نعيم أو في تألم، وأنت لا تدري، بل ربما استغاث وهو نائم بالذي حوله ويسمع كلامه لكنه لا يجاب؛ لأن عالمه ليس فيه إيصال الصوت إلى الآخر. وهكذا في أنواع مما يدل على هذا الأصل. فإذًا الواجب في هذه المسائل التسليم في الغيبيات لما دلت عليه الأدلة وأن لا يُقاس عالم الغيب على عالم الشهادة، وأن لا يعترض المرء بعقلياته على الشريعة. بل يعلم ويسلم بأن العجز عن الإدراك. إدراك لأن الله –جل وعلا– على كل شيء قدير . قال –رحمه الله– بعدها: (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان) قوله نؤمن بالبعث: هذا ركن من أركان الإيمان، فرضٌ الإيمان به ولا يصح إيمان أحد ولا إسلامه حتى يؤمن بالله باليوم الآخر، فمن أنكر الإيمان فمن أنكر البعث أو اليوم الآخر فإنه كافر بالله –ﷻ–، فالإيمان بالبعث ركن من الأركان، وهو أن الناس لهم يوم يعودون فيه إلى الله –ﷻ–،

وهذا الإيمان باليوم الآخر له تفاصيل هي التي ذكر بعضها هنا في أنه إيمان ببعث الناس يعني بقيامهم من قبورهم، وإرجاع أرواحهم إليهم. وإيمان بجزاء الأعمال وإيمان بالعرض وإيمان بالحساب وإيمان بقراءة الكتاب، وإيمان بالثواب. وإيمان بالعقاب وإيمان بالصراط، وإيمان بالميزان، وإيمان بالجنة وإيمان بالنار إلى آخره.

فحقيقة الإيمان باليوم الآخر أنه إيمان بحصول ذلك اليوم ورجوع الناس إلى ربهم ثم إيمان تفصيلي بكل ما يجري في ذلك اليوم. وهذا واجبٌ الإيمان به لمن سمع النص والدليل في كل مسألة من مسائل ذلك اليوم. وهذه التي ذكر كلها دلت عليه الأدلة، فجزاء الأعمال يوم القيامة الأدلة كثيرة فيه في القرآن ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ ﴿ **هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ والآيات تعلمونها كثيرة جدًا في هذا الباب بل بعد ذكر توحيد الله جل وعلا والإيمان برسوله ﷺ أكثر ما في القرآن من التقرير. تقرير الإيمان بالبعث ورجوع الأجساد؛ لأن أكثر مخالفة المخالفين في هذا الأصل العظيم. يعني من المشركين يخالفون في البعث وما يجري مجراه. ونذكر هنا مسائل فيها تفصيل لهذه الجمل:

المسألة الأولى: قوله: (نؤمن بالبعث وجزاء الأعمال) لما عطف دل على أنه يريد بالبعث بعض ما يكون في اليوم الآخر، وهو بعث الناس من قبورهم، والذي دلت عليه الأدلة أن الله جل وعلا يأمر الملك فينفخ في الصور نفخة الصعق فيصعق الناس وتموت الخلائق ثم تمضي أربعون بعد النفخة الأولى ثم يأمر الملك فينفخ نفخة ثانية. وقبلها يأمر الله –جل وعلا– الأرواح فتجتمع في الصور الذي ينفخ فيه الملك. فينفخ فتذهب الأرواح جميعاً من هذا القرن العظيم والذي ينفخ فيه إسرافيل فتذهب الأرواح إلى الأجساد. روح كل

إنسان إلى جسده. قبل هذا فيما بين النفخة الأولى والنفخة الثاني. تحصل أشياء حتى تحصل حياة الإنسان من جديد، وهي أن الله –جل وعلا– يغير الأرض ويغير معالمها وتُسيَّر الجبال وتدك، والأرض تكون مستوية وتعد لمسير الناس إلى أرض محشرهم. ويمطر الله جل وعلا مطرًا تنبت منه الأجساد شيئًا فشيئًا حتى تتكامل، وتُخرج الأرض أثقالها من المدفونين، ثم بعد ذلك تكون الأجسام كالأشجار بلا أرواح فينفخ إسرافيل فتعود الأرواح فتهتز تلك الأجسام ﴿ **فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ هنا يعني هو الظاهر من مراده بالبعث يعني قيام الأجساد. قيام الأجساد من القبور، وهذا الأدلة عليه في الكتاب والسنة كثيرة كقوله –جل وعلا– مثلاً في القرآن: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** ﴾ وكقوله –جل وعلا–: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُواْ يَوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ...** إلى آخره﴾ وكقوله: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً** ﴾ ونحو ذلك من الأدلة. ثم بعد البعث يسير الناس إلى محشرهم.

المسألة الثانية: جزاء الأعمال يوم القيامة. الجزاء المراد به المُجازات يعني أنهم يُجزون على أعمالهم الصالحة ويجزون على أعمالهم السيئة. على هذا وهذا. والجزاء لا يكون بعد البعث مباشرة بل يكون متأخرًا. لهذا الطحاوي هنا لم يرتب ما يحصل يوم القيامة. الشيء بعد الشيء مما يكون في ذلك اليوم العظيم، وإنما قدم وأخر بحسب أغراض له في ذلك. الجزاء يأتينا الترتيب إن شاء الله في مسألة لاحقة. الجزاء بمعنى المُجازات ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُواْ**

يَعْمَلُونَ ﴾ يعني بعد أن يقرر على أعماله ويحاسب ويكون الوزن إلى آخره يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

المسالة الثالثة: (العرض) والعرض جاء في الأدلة ذكره نصًا ومعنىً كقوله –جل وعلا–: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ...** الآيات﴾ "يومئذ تعرضون" هذا هو العرض. كذلك ما جاء في السنة من قوله ﷺ: ((عرضتان جدال ومعاذير)) فالعرض على الرب –جل وعلا– كثير في القرآن وفي السنة: ﴿ **وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفًّا** ﴾ ونحو ذلك. العرض معناه: أن يعرض المكلف وأن يعرض عمل المكلف. فهناك عرض للمكلفين على رب العالمين ثم رب العالمين يعرض الأعمال أعمال كل مكلف عليه. ومعنى العرض أنه يقال له: عملت كذا وكذا في يوم كذا، يعني يعرض عليه أنه عملت وعملت وعملت إلى آخره.

فيعرض الإنسان ويعرض عمله بحيث يراه. وقد يُجادل وقد يعتذر إلى آخره. ثم يكون بعد ذلك الكتاب والحساب إلى آخره.

المسألة الرابعة: (الحساب) والحساب المقصود منه المحاسبة يعني بعد أن يقرأ الكتاب فإنه يحاسب هذا خير ستجزى عليه وهذا شر ستجزى عليه. يحاسب الله جل وعلا المؤمن حسابًا يسيرًا، ويحاسب الكافر والمنافق حسابًا عسيرًا، والحساب من حيث هو تقرير للعمل مع الجزاء والعقاب هذا يكون بعد أخذ الكتاب وقبل أخذ الكتاب؛ لأن حقيقة المحاسبة أن الله –جل وعلا– يحاسبهم على ما عملوا بعرض ما عملوا من خير أو شر، وهذا يكون بالشهادة عليه من جسده ومن الكتاب، ويكون قبل ذلك بذكر الله –جل وعلا– له وهذا كله يحصل في سرعة خاطفة كما قال –جل وعلا–: ﴿ **وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴾ قال علماء التفسير يحاسب الخلائق في ساعة جميع الخلائق في

ساعة ﴿ **وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴾ يعني المحاسبة تكون بسرعة لهذا وهذا وهذا وجميع الخلائق.

المسألة الخامسة: قال: (وقراءة الكتاب) ويعني بالكتاب الصحف التي كتبت فيها أعماله، وهو الكتاب الذي يلقاه العبد يوم القيامة منشوراً: ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ وهذا الكتاب الصحف هو الصحف هذه تنشر للإنسان وتوزع على الناس في الموقف يعني أن الناس في ذلك الموقف تنشر لهم السجلات والكتب. ويؤمرون بأخذها. وتتطاير أيضًا إليهم. يعني على اختلاف الصفات. فمن أخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله وراء ظهره، فقراءة الكتاب العبد يقرأ والله جل وعلا يقرر العبد على ما عمل حتى يكون عليه شاهداً.

المسألة السادسة: الثواب والعقاب يعني بعد الوزن، لكن هنا أراد الإيمان بأن هذه الأشياء حاصلة لأجل ورود الدليل بها، بل معنى البعث إنما هو حصول الثواب والعقاب، حقيقة معنى البعث واليوم الآخر أن يُثاب المطيع وأن يعاقب الكافر. والصراط اجعلوها مسائل كل جملة مسألة يعني السابعة.

المسألة السابعة: الصراط هو الطريق، والصراط طريق موضوع على ظهر جهنم يعني فوقها فوق جهنم، وهو طريق يوصل من العرصات من دار المحشر من أرض المحشر إلى ساحات الجنة، يعني ما قبل دخول الجنة، وهذا العبور على الصراط، هو المذكور في قوله: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً** ﴾ والصراط جاءت صفته في السنة وجاء ذكره مجملاً في القرآن. أما صفته في السنة فإنه دقيق جدًا وطويل وأن على جنباته كلاليب تخطف من قضى الله – جل وعلا– أن يكون من أهل النار، وأن الناس في العبور عليه يخافون خوفاً

شديداً فالأنبياء يقولون قبل العبور اللهم سلّم سلّم، ودون هذا الصراط ظلمة لا يتبين أحد ممن يريد أن يعبر طريق الصراط إلا المؤمنين بما فيهم العصاة، وأما الكافرون والمنافقون فإنهم يجتمعون في الظلمة ويسيرون ويتهافتون في النار تهافت الجراد، وغير ذلك مما جاء في وصفه وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف إلى آخره، وهذه الصفات أنكرها المعتزلة وأنكرها العقلانيون والفلاسفة وقالوا: هذه لا يُعقل أن يكون الطريق من صفته كذا وكذا وإذا كان هذا الأمر قد جاء عن المصطفى ﷺ وثبتت به السنة، فالإيمان به واجب على نحو ما ورد، على ما ذكرنا لكم من أن عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة.

المسألة الثامنة: يعني في ذكر هذه الجمل. الميزان الثامنة؟ والميزان ذكره الله –جل وعلا– في كتابه وجاء في السنة وصفه، وذكره فالإيمان به واجب، والميزان حقيقة ليس هو العدل كما تقوله المعتزلة. إن المعتزلة أنكروا حقيقة الميزان. كما سيأتي، وقالوا: الميزان هو العدل مطلقًا. الله يحاسبهم بالعدل، والله –جل وعلا– بين أن الميزان يوزن فيه العمل ولو كان مثقال ذرة قال: –جل وعلا–: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ ...** ﴾ الآية وقال –جل وعلا–: ﴿ **وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ...** ﴾ الآية التي ذكرت لكم في الأعراف، ونحو ذلك من الآيات التي فيها ذكر الوزن والموازين، والميزان هنا أفرده. قال: والميزان وهو قول لكثير من العلماء بأنه يوم القيامة ليس ثم إلا ميزان واحد وأن الجمع هنا في بعض الآيات في قوله: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ أن هذا على تعدد الموزونات وليس على تعدد الموازين. والصحيح

أن الموازين متعددة؛ لأن الله –جل وعلا– جمعها فقال: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ** ﴾ وهذا ظاهر في إرادة الموازين حقيقة وليست الموزونات لأن الموزونات لا يقال عنها أنها توضع قال: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ والموزونات لا توصف بأنها توضع ولا توصف بأنها قسط أيضًا. فإذًا القسط يعني العادلة التي لا تَظلم في الوزن هذه متعددة على ظاهر الآية، وجاء في السنة أن الميزان له كفتان كفة توضع فيها السيئات، وكفة توضع فيها الحسنات، فمن ثقلت كفة حسناته أفلح وأنجح، ودخل الجنة ومن ثقلت كفة سيئاته فهو معرض لوعيد الله –جل وعلا– قال بعض العلماء: من السنة في عقائدهم إن الميزان له كفتان وله لسان، وكون الميزان له لسان كما ذكر ابن قدامة في اللمعة وذكره غيره هذا لا أحفظ فيه دليلاً واضحًا، أو ما اطلعت فيه على دليل واضح، لكن أخذوه من أن ظاهر الوزن في الرجحان يتبين باللسان. فاعملوا ظاهر اللفظ وجعلوا ذلك مثبتًا لوجود اللسان فينبغي أن تكون محل بحث. الذي يوزن في الميزان ثلاثة أشياء، يوزن الإنسان نفسه كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: لما ضحكوا من دقة ساقي عبدالله بن مسعود قال: ((أتضحكون من دقة ساقية والذي نفسي بيده لهما في الميزان يوم القيامة أثقل من أحد)) ويوزن أيضًا العمل، فالعمل الصالح يوضع في كفة، والعمل السيء يوضع في كفة، ويوزن أيضًا صحائف العمل. الصحائف التي تكتب فيها الأعمال توزن، وهذا من عظم عدل الله –جل وعلا– وعظم إرادته أن يقطع عن العبد العذر وأن يكون حجة العبد عليه من نفسه وعمله وصحائف علمه.

المسألة الأخيرة: لأن الوقت ضاق. في ترتيب هذه الأشياء، يوم القيامة وهي مسألة مهمة فإن ما يحصل يوم القيامة وما يكون فيه الذي جاء في الكتاب والسنة أشياء كثيرة. مثل ما ذكر قيام الناس الحوض الميزان. الصحف الحساب، العرض القراءة تطاير الصحف، الكتاب، وهذه أشياء

متنوعة الصراط الظلمة، أشياء متنوعة فكيف ترتيبها، الظاهر والذي قرره المحققون من أهل العلم أن ترتيبها كالتالي: إذا بُعث الناس وقاموا من قبورهم ذهبوا إلى أرض المحشر، ثم يقومون في أرض المحشر قياماً طويلاً. تشتد معه حالهم وظمأهم ويخافون في ذلك خوفًا شديداً، لأجل طول المقام ويقينهم بالحساب، وما سيُجري الله –جل وعلا– عليهم، فإذا طال المقام رفع الله جل وعلا لنبيه ﷺ أولاً حوضه المورود، فيكون حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة، إذا اشتد قيامهم لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فمن مات على سنته غير مغيِّر ولا محدث ولا مبدل، ورد عليه الحوض وسُقي منه فيكون أول الأمان له أن يكون مسقيًا من حوض نبينا ﷺ ثم بعدها يُرفع لكل نبي حوضه فيُسقى منه صالح أمته، ثم يقوم الناس مقاماً طويلاً، ثم تكون الشفاعة العظمى شفاعة النبي ﷺ في أن يعجل الله –جل وعلا– حساب الخلائق. في الحديث الطويل المعروف أنهم يسألونها آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم إلى آخره، ثم يأتون إلى النبي ﷺ ويقولون له يا محمد، ويصفون له الحال، وأن يقي الناس الشدة بسرعة الحساب، فيقول ﷺ بعد طلبهم اشفع لنا عند ربك يقول: ((أنا لها أنا لها)) فيأتي عند العرش فيخر فيحمد الله –جل وعلا– بمحامد يفتحها الله –جل وعلا– عليه، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع فتكون شفاعته العظمى في تعجيل الحساب، بعد ذلك يكون العرض. عرض الأعمال، ثم بعد العرض يكون الحساب، وبعد الحساب الأول تتطاير الصحف يعني في الحساب الأول من ضمن العرض لأنه جدال فيه جدال ومعاذير، ثم بعد ذلك تتطاير الصحف ويؤتى أهل اليمين كتابهم باليمين، وأهل الشمال كتابهم بشمالهم، فيكون قراءة الكتاب ثم بعد قراءة الكتاب يكون هناك حساب أيضًا لقطع المعذرة وقيام الحجة بقراءة ما في الكتب، ثم بعدها يكون الوزن الميزان فتوزن الأشياء التي ذكرنا ثم بعد الميزان

ينقسم الناس إلى طوائف وأزواج يعني بمعنى الأزواج بمعنى كل شكل إلى شكله، وتقام الألوية ألوية الأنبياء لواء محمد ﷺ، ولواء إبراهيم ولواء موسى إلى آخره، ويتنوع الناس تحت اللواء بحسب أصنافهم كل شكل إلى شكله والظالمون والكفرة أيضًا يحشرون أزواجًا يعني متشابهين كما قال: ﴿ **احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ يعني بأزواجهم يعني أشكالهم ونظراءهم فيحشر علماء المشركين مع علماء المشركين، ويحشر الظَلَمة مع الظَلَمة ويحشر منكري البعث مع منكري البعث، ويحشر منكري الرسالة وهكذا في أصناف ثم بعد هذا يضرب الله –جل علا– الظلمة قبل جهنم والعياذ بالله فيسير الناس بما يعطون من الأنوار، فتسير هذه الأمة وفيهم المنافقون ثم إذا ساروا على أنوارهم. ضرب السور المعروف ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَى...** ﴾ الآيات، فيعطي الله جل وعلا المؤمنين النور فيبصرون طريق الصراط، وأما المنافقون فلا يعطون النور فيكونون مع الكافرين، يتهافتون في النار، يمشون وأمامهم جهنم والعياذ بالله، ثم يأتي النبي ﷺ أولاً ويكون على الصراط، ويسأل الله –جل وعلا– له ولأمته. فيقول: ((اللهم سلّم سلّم. اللهم سلّم سلّم)) فيمُر ﷺ وتمر أمته على الصراط كل يمر بقدر عمله، ومعه نوراً أيضاً بقدر عمله، فيمضي من غفر الله –جل وعلا– له ويبقى في النار يسقط في النار طبقة الموحدين من شاء الله –جل وعلا– أن يعذبه، ثم إذا انتهوا من النار اجتمعوا في عرصات الجنة. يعني في الساحات التي أعدها الله –جل وعلا– لأن يقتص أهل الإيمان بعضهم من بعض، وينفى الغل، حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل، فيدخل الجنة أول الأمر بعد النبي ﷺ فقراء المهاجرين ثم فقراء الأمة، فقراء المهاجرين فقراء الأنصار إلى آخره، ثم فقراء الأمة ويؤخر الأغنياء لأجل الحساب الذي بينهم

وبين الخلق ولأجل محاسبتهم على ذلك.. إلى آخر ما يحصل في ذلك مما جاء في القرآن العظيم. أسأل الله -جل وعلا- أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة وأن يعيذنا من سخطه والنار. اللهم لقنا حجتنا في القبور واجعلنا ممن يأخذ كتابه باليمين، وتحاسبه حسابًا يسيرًا يا أكرم الأكرمين، أسأل الله -جل جلاله- لي ولكم ولأحبابنا جميعاً ولمن له حق علينا المغفرة والرضوان، وأن لا يؤاخذنا بسيئات أعمالنا، وأن يغفر لنا ذنوبنا فإنه سبحانه أهل للجود والكرم والمغفرة والرحمة سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الشريط الرابع والأربعون وجه (أ) ١٤١٩/١٢/٢٧هـ .

المتن :

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان وإن الله -تعالى- خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكلٌ يعمل لما قد فرغ له، وصائرٌ إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد، والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به، فهي مع الفعل وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات، فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال -تعالى-: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد.

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم نسألك العلم النافع والعمل الصالح، اللهم هيأ لنا من أمرنا رشداً، ومنّ علينا بحسن الختام، وقنا الشر وأسبابه، إنك على كل شيء

قدير، قال –رحمه الله تعالى– هنا: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان) يريد بذلك أن يقرر ما دل عليه كتاب الله جل وعلا ، وسنة رسوله ﷺ من أن الجنة موجودة اليوم، وأن النار موجودة، وأن الجنة مخلوقة قبل خلق آدم، والنار موجودة خلقها الله –جل وعلا– كما خلق الجنة، وخلق لها أهلاً كما قال: (وخلق لهما أهلاً) وهذا الأصل قرر في العقائد لأجل ما ذكرت لكم من الأسباب فيما قبله، من أن هذه المسألة غيبية، والدليل جاء بإثباتها، وطائفة من الفرق الضالة خالفت في هذا الأصل، وأهل السنة يذكرون في عقائدهم –كما سبق أن بينت لكم– الأمور الغيبية وما يجب أن يعتقد فيها، ويذكرون ما دلت عليه النصوص، مما يجب التسليم له، ويذكرون أيضاً في عقائدهم ما يتميزون به عن الفرق الضالة، أو عن بعض تلك الفرق، وهذه المسألة –وهي مسألة خلق الجنة والنار– وأن الجنة باقية أبداً، والنار باقية أبداً لا تفنى الجنة والنار، ولا تبيدان، كانت من المسائل التي جرى فيها الكلام بعد ظهور الجهمية، وأصل هذه المسألة كما سيأتي مرتبط بأصلين كلامين زعمهما الجهمية ومن وافقهم في القدر وفي تسلسل الأفعال والمخلوقات والمؤثرات. والله –ﷻ– لم يجري عالم الغيب على قياس عالم الشهادة، هذا أصل مهم في بيان ضلال من ضل في المسائل الغيبية،حيث جعلوا عالم الغيب مقيساً على عالم الشهادة، ما يصلح لعالم الشهادة يصلح لعالم الغيب، والقوانين والسنن التي تحكم عالم الشهادة يجعلونها صالحة لعالم الغيب، والله –جل وعلا– خلق كل شيء فقدره تقديراً، كل له تقديره الخاص. ووجود الجنة والنار عقيدة ماضية دل عليها القرآن والسنة، والأدلة في ذلك كثيرة جداً، نذكر منها قول الله –جل وعلا–: ﴿ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ والجنة هذه هي جنة الخلد التي فيها الخلود، الذي لا يزول عنه المرء ولا يحول. ووصف الله –جل وعلا– حين عرج بنبيه أن عنده جنة المأوى، فقال –جل

جلاله-: ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ حيث قال -جل وعلا-: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى** ﴾ فأثبت -جل وعلا- أنه حين عرج برسول الله ﷺ كانت الجنة هناك، والنبي ﷺ أُريَ في ذلك المقام الشجرة الملعونة، قال -جل وعلا-: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً** ﴾ لهذا لما وصف لهم حال النار وحال تلك الشجرة، قالوا ما قالوا في أن "الزقوم والتزقم إنما هو خلط التمر بالزبد ونحو ذلك. فقال -جل وعلا-: ﴿ **إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ** ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة، وفي السنة أيضاً هذا الأصل، وأن نسمة المؤمن في الجنة، كقوله: ((نسمة المؤمن طائر يعلق من ثمار الجنة))، وكقوله في أرواح الشهداء: ((أرواح الشهداء في جوف طير خضر تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش في الجنة))، وكذلك قوله -جل وعلا- في الشهداء: ﴿ **بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ ونحو ذلك مما فيه التقرير على أن الجنة موجودة والنار موجودة، وأن هذه سيدخلها من يدخلها، وهذه سيدخلها من شاء الله أن يدخلها، فإذاً أهل السنة قرروا هذا في العقائد تبعاً للدليل، هذا أمر واضح بيّن فيما دل عليه القرآن والسنة، ونذكر المسائل المتعلقة بهذا:

المسألة الأولى: قوله: (الجنة والنار مخلوقتان) يعني به: أن خلقهما قد تم، ليس موقوفاً على قيام الساعة، وليس حال الجنة والنار كحال السماوات والأرض ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ** ﴾ فذاك شأن، والجنة والنار شأنهما آخر، هما مخلوقتان -يعني الآن- حين قال، وحين بعث الله

نبيه، وقبل ذلك، فهما مخلوقتان لا يعلم متى خلقهما الله -ﷻ-، وإنما خلقهما الله -جل وعلا- قبل خلق الخلق يعني قبل خلق آدم قبل خلق المكلفين، وهذا يدل عليه قوله: ﴿ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ والألف واللام في الجنة للعهد، يعني الجنة المعهودة التي هي دار النعيم.

المسألة الثانية: قوله: (لا تفنيان أبداً، ولا تبيدان) يعني أن الجنة خلقت للبقاء، والنار خلقت للبقاء. وهذا هو الذي دل عليه القرآن والسنة؛ لأن أهل الجنة خالدين فيها أبداً، وأن أهل النار خالدين فيها أبداً، قال -جل وعلا- في ذكر النار: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لاَّ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً** ﴾ وفي الجنة آيات كثيرة جداً فيها ذكر الأبدية، وأن من دخلها فهو خالد فيها أبداً، وهذه الأبدية في الجنة والنار معاً مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة؛ لأن الجنة والنار مخلوقتان للبقاء أبداً. والمقصود بالنار هنا في الإجماع جنس النار، فإن الإجماع منعقد على أن جنس النار باق أبداً. والفرق المخالفة لهم عدة أقوال في هذه المسألة تبلغ ستة أقوال أو أكثر، وأهمها قول من يقول: إن الجنة والنار تفنيان في وقت، ويبقى نعيم أهلها -نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار- بالاستصحاب، لا بتجدد النعيم، يعني يحصل لهم نعيم تتنعم به أبدانهم ثم يقف وتفنى الجنة، وذلك الأصل أصلوه وهو: أن العقل اقتضى أن الحركة التي تبدأ فإنها ستنتهي، وكل متحرك بدأ بحركة فلا بد أن ينتهي بلا حركة. لهذا قالوا: أهل النار أيضاً لا يستمرون في العذاب، بل تفنى النار، ويبقى ؟أهل النار ليسوا في نعيم ولذلك يصح أن يقال عنهم: إنهم في عذاب دائم، وهذا منسوب إلى الفرق الضالة الكافرة كالجهمية، وطائفة أيضاً من غيرهم.

والقول الثاني من الأقوال الضالة من يقول: إن الجنة تبقى والنار تبقى لكن النعيم ينقطع، والعذاب ينقطع ويكون الجنة يفعل الله –جل وعلا– بها ما يشاء، والنار يفعل الله ما يشاء. وهذا لأجل الأصل السابق، ولأجل النظر في القدر حيث إن استدامة النعيم عندهم على عملٍ صالح قليل لا يوافق العدل، واستدامة العذاب على عملٍ سيء قليل الزمن لا يوافق العدل، ولهذا نفوا هذا الأصل وثم أقوال أخر ليس مناسباً أن تذكر في مثل هذا المكان أما قول أهل السنة المعروف هو ما ذكرته لك من أن الجنة والنار مخلوقتان لا تبيدان ولا تفنيان أبد الآبدين، ينعم أهل الجنة في الجنة أبد الآبدين، ويعذب الكفار في النار أبد الآبدين. قد صح عنه ﷺ أنه قال: ((يؤتى يوم القيامة بالموت على هيئة كبش، فيذبح بين الجنة والنار، ثم ينادي المنادي: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت)). والتنصيص على الأبدية في نعيم أهل الجنة وخلودهم فيها، يدل على أن المكان الذي يخلدون فيه يبقى، حيث قال – جل وعلا– في الجنة: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾، وقال في النار: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾ فهم خالدون في المكان، فيقتضي أن المكان أيضاً يبقى أبد الآبدين. ومن أهل السنة من قال: إن النار منها ما يفنى، وينتهي بإنهاء رب العالمين له، وهو طبقة، أو درك الموحدين من النار، وهي الطبقة العليا من النار؛ لأن الموحدين موعودون بأن يخرجوا من النار، فلا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، لا بد له من يوم يخرجون منها؛ لأن معهم التوحيد ولو طالت مدتهم، ثم تبقى تلك الطبقة لا أحد فيها فيفنيها الله –جل وعلا– وهذا منسوب إلى بعض السلف، وجاء في الأثر عن عمر، وفي إسناده مقال وضعف: أن أهل النار لو لبثوا فيها كقدر رمل عالج –موضع فيه رمل كثير– لكان لهم يوم يخرجون منها، وليأتين عليها يوم تصطفق أبوابها ليس فيها أحد، ومما ينسب أيضاً إلى بعض أهل السنة من أئمة أهل السنة، أن فناء النار

ممكن، وأن فناءها لا يمتنع، وهو القول المشهور عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية –رحمه الله تعالى– وعن غيره كابن القيم وجماعة من المتقدمين أيضاً ومن الحاضرين، وهذا القول منشأه مع علم هؤلاء بالدليل وبالنصوص، منشأه على وجه الاختصار: النظر في صفات الله –جل وعلا– وذلك أن من المتقرر في النصوص أن صفة الرحمة ذاتية ملازمة للرب –جل وعلا–، والجنة من آثار رحمة الله –جل وعلا– ((أنت رحمتي أرحم بك من أشاء))، والنار أثر غضب الله –جل وعلا–، والغضب صفة فعلية اختيارية، لا تنقلب إلى أن تكون صفة ذاتية، كالرحمة، ولو بقي أثر الغضب لبقي الأصل وهو الغضب، لو بقيت النار هو أثر الغضب، لبقي الغضب أبد الآبدين، وهذا يعني أنه أَصبح صفة ملازمة، وهذا هو مأخذ هؤلاء الأئمة في هذه المسألة، وهذا فيه بحث ونظر معروف في تقرير هذه المسألة، لكن من بحثها، وكثير من الناس كتبوا فيها؟ لم يتوسعوا أو لم يلحظوا علاقة المسألة في قول هؤلاء بصفات الله –جل وعلا– وهي أصل منشأ هذه المسألة، قد قال ابن القيم: سألت ابن تيمية عنها فقال: هذه مسألة عظيمة، وذكر في موضع بعد أن ذكر أدلة الجمهور أهل السنة، وأدلة هؤلاء فقال في آخره: فإن قلت: إلى شيء انتهت أقدامكم في هذه المسألة العظيمة؟ قلنا: انتهت أقدامنا إلى قول الله –جل وعلا–: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ ومما لا ينبغي أن يخاض في هذه المسألة، لكن لما أوردها الشارح، وهي مسألة مشهورة عند طلبة العلم، أورد عليها هذا التقرير الموجز وهي معروفة بتفاصيل من التعليل لقول ابن تيمية، وابن القيم ولم يصب من زعم أنه لا يصح نسبة هذا القول إلى الشيخين ابن تيمية وابن القيم.

المسألة الثالثة: قال في ذكر خلق الجنة: (خلق الجنة والنار قبل الخلق) وهذا مأخذه قول الله –جل وعلا–: ﴿ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ**

الْجَنَّةَ ﴾ وهذه الجنة معناه: أنها موجودة، بعد أن نفخت الروح في آدم، وهذا يعني أنها تقدمت قبل خلق آدم، وهذه الجنة التي سكنها آدم للعلماء فيها أقوال، أشهرها: أنها جنة مخلوقة في الأرض وليست بجنة الخلد. والثاني: أنها الجنة المعروفة دار الكرامة عند رب العالمين، ويرجح جماعة منهم ابن القيم، وكثير من المفسرين من المعتزلة ومن أهل السنة، أن الجنة هذه ليست هي جنة الخلد.. ولهم في ذلك أدلة طول عليها ابن القيم في أول مفتاح دار السعادة بأكثر من أربعين صحيفة في ذكر هذه المسألة. والصحيح أن الجنة، هي الجنة المعهودة لأسباب كثيرة، وأدلة من القرآن ومن السنة، من أعظمها قوله –جل وعلا– في وصف الجنة: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى** ﴾ إلى آخر الآيات، وهذه الصفات ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا ...**﴾ إلى آخر هذه ليست مناسبة للأرض، فالأرض –وإن كان فيها مكان مرتفع جنة.. إلى آخره مختلف عن بقية الأرض– فلا يوصف من فيه بهذه الصفات، أنه لا يظمأ ولا يضحى –يعني ما يأتيه شمس فيها– ولا يجوع ولا يعرى، ونحو ذلك من الصفات. فهذه صفات تدل على أن المكان مغاير للأرض. ومن الأدلة أن الله –جل وعلا– قال في ذكرها لما عصى آدم: ﴿ اهبط منها﴾ وهذا الإهباط والخروج يقتضي أن يكون من جهة عالية، والمكان الذي هو من جنسه فإنه وإن هبط منه، فإنه ليس خارجاً إلى غيره، بل هو منه إلى جنسه، ولا تحصل العقوبة بالإهباط، وإنما العقوبة بالإخراج والله –جل وعلا– جعل في القرآن هذا وهذا، الإخراج والإهباط، إلى أدلة أخرى معروفة. المقصود أن قوله: (خلق الجنة والنار قبل الخلق) الجنة واحدة هي المعروفة، وكل الأدلة التي فيها ذكر الجنة الغيبية، فهي دار الكرامة التي أعدها الله لعباده. قال: (وخلق لهما أهلاً) خلق لهما أهلاً يعني به قبل خلق السماوات

والأرض، فإن الله –جل وعلا– كتب أنه سيخلق هؤلاء وهؤلاء، وأن الجنة لها أهلها، وأن النار لها أهلها. ولما خلق آدم أيضاً نشر ذريته من ظهره، ثم قبض قبضة فقال: هؤلاء إلى الجنة، وقبض أخرى فقال: هؤلاء إلى النار، فالله –جل وعلا– خلق الجنة وجعل لها أهلاً، سيدخلونها فضلاً منه وتكرماً، وخلق النار وجعل لها من يملؤها عدلاً منه وحكمة. ولهذا قال بعدها: فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وهنا مسألتان:

الأولى: الفضل هو: الإكرام والله –جل وعلا– علق دخول الجنة بالعمل الصالح ﴿**ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾. وعلق دخول النار بالعمل السيء، وبالكسب السيء ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُون** ﴾ ونحو ذلك من الآيات. وهذه الباء في المقامين، هي باء السبب، فإن الله –جل وعلا– جعل الأعمال الصالحة وأعظمها التوحيد، سبباً في دخول الجنة، وجعل الأعمال السيئة وأعظمها الشرك بالله، سبباً لدخول النار، ولكن هذا السبب ليس كافياً في تحقيق المراد، بل لا أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله –جل وعلا– لهذا صح عنه– ﷺ أنه قال: ((لن يدخل أحدكم عمله الجنة))، قالوا: ((ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل))، فدل على أن أصل دخول الجنة برحمة الله وفضله، وذلك لأن الفضل هنا، هو الامتنان، الفضل هنا، هو الإعطاء والإكرام، والأعمال –وإن كان للعبد فيها أجور– فلو قوبلت بالنعم، لصارت القسمة، أو لصار الشأن واضحاً، في أن العبد قوبلت أعماله بالنعم التي كرمه الله –جل وعلا– بها، وأيضاً لو نظرت إلى أن العمل الصالح أصلاً، ما كان من العبد إلا بإعانة وتوفيق من الله –جل وعلا– فأصلاً نشوء العمل الصالح هو بفضل من الله، وهد من الله، وإعانة وتوفيق فما يكون ناشئاً عنه، ما يكون نتيجة فلا بد أنه فضل أيضاً من الله –جل وعلا–.

والمسألة الثانية: العدل معناه:أن يُعامل المرء بما يستحقه دون تفضل عليه. يعني أن يُنظر ويناقش الحساب، ويعطى ما يستحق، وأهل النار دخلوا النار بما يستحقون، عدلاً من الله –جل وعلا–؛ لأنه –سبحانه– لما علم بما في صدورهم لم يعنهم إعانة خاصة، ولم يوفقهم للعمل الصالح، بل خذلهم، يعني لم يوفقهم، ترك إعانتهم على أنفسهم فوكلوا إلى أنفسهم، وهذا عدل أن تعمل بما لديك، وبما عندك من الاستعدادات والآلات... إلى آخره. ولهذا قال الله –جل وعلا– في بيان منته على أهل الإيمان: ﴿ **وَلَـكِنَّ اللَّـهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ فدل على أن الله –جل وعلا– منّ على هؤلاء بشيء ولم يتفضل على أولئك، بل عاملهم بالعدل، وذلك بسبب أن هؤلاء في قلوبهم الخير وهم يريدونه وأقبلوا عليه، وأولئك لا يريدون الخير، ولا يحبون سماعه ولم يريدوا الاهتداء أصلاً، فعاملهم الله –جل وعلا– بعدله، قال –جل وعلا–: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّـهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ** ﴾ الآية. وقوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ يعني أن الكفر وجد منهم، الكفر أصلاً في قلوبهم، ولهذا قال في آية النساء: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ الآية، فدل هذا على أن المعاملة بالعدل أن يوكل إلى نفسه، وهو أَلاَّ لم يعن ويتفضل عليه؛ لأنه لم يسعى إلى الخير، لم يوفق ؛ لأنه لم يسعى، وفي قلبه حب للشر ونوع بغض للخير، فلذلك لم يعنه الله –جل وعلا– على نفسه.

قال بعدها: (وكل يعمل لما قد فُرِغَ له، وصائر إلى ما خلق له) يعني أن من خلقهم الله –جل وعلا– كل يعمل لما كتب في الكتاب أنه سيؤول إليه، فإن الله –جل وعلا– عالم بما العباد يفعلون، إذا خلقهم فهذا سيفعل الخير على تفاصيله، فكتب عليه ذلك، وسيعمل الشر على تفاصيله، فكتب عليه

ذلك. وقد قال نبينا ﷺ: ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له))، يعني أن الله –جل وعلا– خلق الجنة، وخلق لها أهلاً، وهذا سيعمل حتى يصل إلى ما خلقه الله –جل وعلا– له، وخلق النار... إلى آخره، وهذا سيأتي مزيد بيان له في القدر في المسائل القريبة –إن شاء الله تعالى.

قال: (والخير والشر مقدران على العباد) يعني أن ما يفعله العبد من الخير، أو يفعله من السوء فهو لم يحصل ابتداءً منه دون قدر سابق، بل الله –جل وعلا– قدر عليه ذلك، ومعنى قدر عليه ذلك أي أنه –سبحانه– علم ذلك منه وكتبه عليه، وأنه أعانه بالأدوات والقدرة والإرادة، بحيث فعل الخير، وفعل الشر ما شاء الله كان، وقع الخير ووقع الشر بمشيئته، وهو –سبحانه– خالق كل شيء، وذكره هنا بأن الخير والشر مقدران؛ لأجل قوله ﷺ في جواب جبريل: ((وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)). والثاني: لأن الفرق في مسألة القدر والخير والشر، وأفعال العباد ونحو ذلك، طرفان. الفرق المخالفة، الطرف الأول: الجبرية. والطرف الثاني: القدرية، والجبرية يقولون: العبد مجبر على كل شيء فهو كالريشة في مهب الريح، وكحركة الأمعاء في داخل البطن ليس له فيها اختيار، بل هو يجري كما يشاء الله –جل وعلا– دون أن يكون العبد مختاراً للخير، أو مختاراً للشر، ويقابلهم القدرية بقوله: الخير والشر ليس مقدرين بل العبد يعملهما، وهما عمل العبد وخلق العبد لفعله، والله –جل وعلا– يحاسب الناس على ما فعلوا ليس الخير خلقاً له في فعل العبد، وليس الشر خلقاً له في فعل العبد، ولم يقدرهما على العباد فعلاً، وتركاً. وذلك لأنه عندهم ينافي العدل، الواجب فيما قاسوا فيه أفعال العباد على أفعال الله –جل وعلا– نذكر عدة مسائل هنا:

الأولى: أن الخير والشر المقدرين على العباد يعني بهما: ما يصيب العبد من خير له ومن شر عليه. أما في فعل الله –جل وعلا– فليس في

أفعاله –سبحانه– إلا الخير، كما قال ﷺ في دعائه في صلاته: ((والشر ليس إليك)) يعني أن أفعال الله –جل وعلا– لا توصف بالشر، بل كلها عدل، أو فضل وخير بما فيها من الغايات المحمودة. لكن ما يضاف للعبد يكون شراً بالنسبة له، لكن بالنسبة للقدر هو خير، يعني مثلاً مصيبة أصيب فلان بفقد والده، أصيب بفقد ماله، هو بالنسبة له سوء وشر، لكن بالنسبة إلى القدر وفعل الله –جل وعلا– هو خير؛ لأنه لا ينظر إلى المسألة بمجردها، بل إلى الغاية المحمودة من ورائها، والغاية المحمودة من ورائها هي أن يبتلي العباد بذلك، يبتلي الحي ويبتلي الميت ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ فإذاً أفعال الله –جل وعلا– كلها خير، وأما ما يضاف إلى العبد فينقسم إلى الخير والشر، فقوله: (والخير والشر مقدران على العباد) يعني الخير والشر الذي يحصل للعبد، مقدر.

المسألة الثانية: القدرهنا في قوله: (مقدران على العباد) يعني أنهما لم يقعا استئنافاً، بل الله –جل وعلا– يعلم ما سيحصل على العبد وكتب ذلك. وذكرت لك أن الفرق المخالفة في هذه المسألة، في القدر ترى أنها طرفان، الجبرية، والجبرية صنفان، جبرية غلاة. وهم الجهمية الذين يقولون: الله –جل وعلا– يجبر العبد على كل شيء، على الخير وعلى الشر، وإنما هو كالريشة في مهب الريح... إلى آخره، ويستدلون على ذلك بقوله –جل وعلا–: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّـهَ رَمَى** ﴾ يقولون: إن الذي رمى في الحقيقة هو الله –جل وعلا– ولكن النبي ﷺ ما رمى، وهذا قول الغلاة منهم غلاة الجبرية ويرد عليهم في هذا الاستدلال على وجه الاختصار بجوابين:

الأولى : أن الله –جل وعلا– قال : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللَّـهَ رَمَى** ﴾ يعني حين رميت فإن الله –جل وعلا– هو الذي رمى وظاهر الآية كما هو واضح أنه أثبت للنبي ﷺ رمياً، فقال: ﴿ **إِذْ رَمَيْتَ** ﴾ ونفى عنه رمياً،

بقوله: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ** ﴾ والنظر الصحيح يدل على أنه لا بد من الجمع ما بين الرمي المنفي والرمي المثبت، وهذا يتضح بأن العبد إذا فعل الفعل فإن الفعل الذي يفعله سبب في حدوث المسبب، ولا يحصل المسبب، لا تحصل النتيجة بفعل العبد وحده في أكثر، أو في جلّ المسائل، بل لا بد من إعانة من الله – جل وعلا– وهذا ظاهر في الرمي بخصوصه؛ لأن الرمي عن بعد له ابتداء وله انتهاء، فابتداء الرمي من النبي ﷺ ، لكن الانتهاء، بأن يصيب رمي النبل، أو رمي الحصاة أن يصيب فلاناً المشرك ويموت منه، هذا من الله – جل وعلا–؛ لأن العبد لا يملك أن تكون رميته ماضية فتصيب، ولهذا فيكون العبد هنا متخلصاً من رؤيته لنفسه ومن حوله وقوته مع فعله فأراد –جل وعلا– أن يعلم نبيه والمؤمنين، أن يتخلصوا من إعجابهم ورؤيتهم لأفعالهم وأنفسهم ، فقال: ((افعلوا ولكن الذي يمن عليكم ويسدد رميكم هو الله –ﷻ–)) فيكن إذاً معنى أصاب بما أعان على التسديد.

الشريط الرابع والأربعون وجه (ب)

الجواب الثاني: أنه لو قيل –على قول الجبرية–: إن الله هو الذي يفعل الأشياء، لكان تقدير الآية كما قاله جماعة: أن يقال: في كل فعل فعله العبد ما فعله، ولكن الله فعله. كأن تقول: ما صليت إذ صليت ولكن الله صلى، وما زكيت إذ زكيت ولكن الله زكى، وما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى، وهكذا في الأفعال القبيحة المشينة التي ينزه الله –جل وعلا– عنها بالإجماع، كقول القائل . أعوذ بالله . : وما سرقت إذ سرقت ولكن الله سرق، وما زنيت إذ زنيت ولكن الله... إلى آخره، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والقول: إذا كان يلزم منه اللازم الباطل يدل على فساده، وعدم اعتباره؛ لأن القول الصحيح، قول الحق: لا يلزم منه لوازم باطلة. والقول الباطل هو الذي ينشأ عنه لوازم باطلة، ما الفرق بين هذه وهذه؟ الفرقة الثانية من الجبرية: هم الجبرية المتوسطة.

والجبرية المتوسطة، أو يعني الذين هم ليسوا بالغلاة، هم الذين يتوسطون فيقولون: العبد مجبور باطناً، لكنه في الظاهر مختار يعني ظاهراً هو يختار، يمشي ويروح ويأتي المسجد ويذهب إلى المكان الثاني باختياره، لكنه في الباطن مجبر، وهذا قول كثير من أهل الكلام، والأشاعرة والماتُريدية وجماعة ممن ينحون هذا المنحى؛ لأن الإنسان مجبور لكنه في الظاهر ليس بمجبور. وإذا كان كذلك فإنهم يجعلون أفعال الإنسان له، ولكنها عديمة الفائدة لا معنى لها، هؤلاء هم الذين يقال عنهم نفاة الأسباب. يعني يقولون إن الإنسان جامع زوجته فحملت يقولون: لم يحدث الحمل بالجماع. إذاً كيف حدث الحمل؟ يقولون: أحدث الله الحمل عند التقاء الرجل بالمرأة، لكن ماء الرجل يلتقي بماء المرأة، أو بويضة المرأة ويحدث منهما حمل بما أجرى الله الأسباب عليه فينفون ذلك. ويطردون هذا في يكل شيء فيقولون: إن فعل الإنسان فيما يفعله كحركة السكين في قطعها للورق أو قطعها للخبر. أو قطعها لما تقطع فيقولون بالتمثيل: إن الله هو الذي كأنه يحمل السكين، والسكين تتحرك هي التي تقطع، لكن في الواقع هي مجبورة على القطع وإن كانت ظاهراً تتحرك وقطعت.وهذا القول وهو قول هؤلاء مع زعمهم أنهم عقلاء، وأنهم متكلمون، وأنهم فلاسفة... إلى آخره، هؤلاء قولهم هذا ينفيه العقل البسيط، فضلاً عن العقل الرصين. وأحدثوا قولاً على هذا يسمى الكسب، سيأتي بيانه في موضعه. فالماء عندهم لم ينبت الأرض الله –جل وعلا– يقول: ﴿ **فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ** ﴾ يعني أنبتنا بإيش؟ بالماء ﴿ **فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ** ﴾ يعني أن النبات خرج بإيش؟ بالماء، الماء سبب والتراب سبب، لكن هل هذا يعني أن الله لم يفعل، لم يخلق، لم ينمي؟ لا، الجماع سبب، معناه أن الله لم يفعل لا، فإذاً إثبات الأسباب هو سبيل العقلاء، في أن السبب ينتج عنه المسبب، وأن الشيء تنتج عنه نتيجته الفعل ينتج عنه نتيجته، الأثر

يقتضي أن يوجد مؤثر، وهكذا فإذا صار هنا هواء بارد، لا بد أن فيه مصدر لهذا الهواء البارد الذي يأتينا، يقول هؤلاء –من الأشاعرة ونحوهم من نفاة الأسباب– يقولون: لا، الهواء أرسله الله –جل وعلا– عند تشغيل الجهاز، وهذا مما يقتضي العقل أن ينفيه؛ لأنه غير مطابق للعقل أصلاً. وهؤلاء تجد ذكرهم في كثير من كتب أهل العلم بعنوان "نفاة الأسباب" إذا قيل لك نفاة الأسباب، يعني الجبرية، المتوسطة من الأشاعرة ونحوهم. عمل العبد بين فعل الله –جل وعلا– لأنهم يقولون بخلق الله للأفعال، وبين فعل العبد، الحاصل يسمونه كسباً. ويأتي عند قوله: وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد. الفرقة الثانية: هم القدرية. والقدرية أيضاً صنفان، قدرية غلاة وهم الذين ينكرون علم الله السابق. ويقولون: الأمر مستأنف جديد. الخير والشر مقدر؟ لا، إنما هو مستأنف جديد، لا يعلم الله الخير حتى يقع، ولا يعلم الشر حتى يقع، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ –ﷻ– هؤلاء هم الذين صاح بهم السلف وكفروهم، وقال فيهم الشافعي: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروا العلم –يعني علم الله –جل وعلا– أيش؟ كفروا. هؤلاء فرقة كانت موجودة وانتهت الفرقة الثانية: المعتزلة، وأشباه المعتزلة. وهم الذين يسمون القدرية. وهم الذين يقولون: إن الإنسان يخلق فعل نفسه، وأن الله –جل وعلا– لا يضاف إليه خلقاً كل ما هو سيء، لا يضاف إليه خلقاً الشر، ولا القتل، ولا ... إلى آخره. ويقولون أيضاً: إن فعل العبد واستطاعة العبد وقدرة العبد، هذه ليس لله –جل وعلا– فيها مأخذ، بل قدرة المطيع وقدرة العاصي قدرة المؤمن وقدرة الكافر إرادة المؤمن إرادة الكافر، للعمل واحد. وهذا الأصل الذي قالوه وذهبوا إليه؛ لأجل شبهة عندهم وضلال عندهم، وهو أنه قالوا: إن العدل يوجب على الله –جل وعلا– أن يساوي بين العباد، والظلم بالتفريق ما بين هذا وهذا، ما بين المؤمن والكافر،

والمطيع والعاصي، هذا ظلم، فحكموا عقولهم وآراءهم في فعل الله –جل وعلا– وفي تصرفه وصفاته –جل وعلا– والله –ﷻ– يقول: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ويقول –جل وعلا– ﴿ **لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ وقوله: ﴿**لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** ﴾ لجهتين، الأولى: أن الله –جل وعلا– له التصرف في ملكه كيف يشاء، والجهة الثانية: أن الله –جل وعلا– له الحكمة البالغة فيما يفعله وفيما يجريه في ملكوته ويشاؤه، والعباد قاصرون عن معرفة الحكم في أنفسهم فكيف بالحكم في أفعال الله –جل وعلا– وصفاته وتصرفه في ملكوته. وهؤلاء المعتزلة هم الذين يكثر رد الأشاعرة عليهم في مسائل القدر، وهم كالأشاعرة في مخالفة لما دلت عليه الأدلة.

الخلاصة : أن هؤلاء وهؤلاء كل نزع بأدلة مختلفة، فهدى الله –جل وعلا– أهل السنة ومنّ عليهم بأنهم لم يفرقوا بين الكلم، ولم يفرقوا بين الكتاب، بل أخذوا بكل الأدلة فقالوا: بخلق الله –جل وعلا– فعل العبد، وأن العبد يفعل حقيقة. قولوا أيضاً: بأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فأعلموا كل النصوص والأدلة وقالوا: إن ربك فعال لما يريد –ﷻ– لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. جرى الأمر على ما يريده الرب –ﷻ– وتقدست أسماؤه، ثم أعملوا العقل الصحيح،في أن الإنسان يحس من نفسه أنه مختار، يحس من نفسه أنه يذهب إلى الخير ويذهب إلى الشر، ويذهب إلى الخير فينشرح صدره له، ويذهب إلى الشر فيقتل ثم يندم وتعاقبه نفسه، ونؤنبه نفسه على ذلك. ففي الإنسان ما يحس به، أنه يختار ويختار، يختار الشر ويختار الخير، وهذه ضرورة في قلب كل أحد لا مفر منها. فالإنسان مختار لهذا ومختار لهذا، ثم ثالثاً يقال: أن أهل السنة نظروا إلى المسألة في قولهم في القدر؛ لأن الخير والشر مقدران على العباد بأن من احتج على القدر، فإنه يناقض نفسه، لماذا؟ لأنه كل من قال في القدر قولاً،

يقول مثلاً: إن الله –جل وعلا– كتب عليّ السيئات وجعلني أفعل الشر وكذا، ثم يعذبني بالنار، لكنهم لا يتجاسرون أن يحكموا القضية المقابلة لذلك، وهي أن يقول القائل كذلك: إذا جعلني أصلي، جعلني أطيع الله –جل وعلا– ،وجعلني أفعل من الخيرات، فلماذا يثيبني؟ والمسألة هذه بمقابل هذه فإذا كان قال القائل: كتب عليّ السيئات فلماذا يُعذب؟ فكذلك لا بد أن يقول: وكتب عليّ الخير، فلماذا يثيب؟ والإنسان بطبيعته يهرب مما هو عليه، فلا يقر على نفسه بما فيه مصلحته، بأن الخير الذي هو مصلحة له فيذهب ويسكت عنه؛ لأنه فيه مصلحة له، لكن يأتي بما فيه مضرة عليه، أو بما فيه تبرير لفعله ليهرب من الواقع، والحقيقة أن العقل الصحيح، وإدراك الإنسان لنفسه وفطرته وضرورياته، يجد أنه يفعل الخير اختياراً ويفعل الشر اختياراً، يفعل الخير فتنشرح نفسه له، ويفعل الشر فتنكره نفسه عليه؛ لأنه مفطور على حب الخير وكراهة الشر، فإذاً اختياره دليل فطري في كل إنسان، مثل إحساس الإنسان تحس بالشيء، الأعمى يحس ويقول: هذا كذا ويستدل به ويكون متيقناً؛ لأن دليله صار ضرورياً، وكذلك يحس بالأمر الآخر فيكرهه لنفسه؛ لأن دليله صار ضرورياً. نكتفي بهذا القدر ونلتقي إن شاء الله يوم السبت غداً ما فيه جلسة، يوم السبت بعد صلاة العشاء كالعادة إن شاء الله تعالى. والخميس على وقته، الخميس الفجر على وقته إن شاء الله وفقكم الله لما فيه رضاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

سؤال : ما فهمت هذه المسألة يا شيخ ، سألت شيخ الإسلام يوماً فقلت له : إذا كان الرب سبحانه يرضى بطاعته ويفرح بتوبته ، ويغضب بمخالفته ، فهل يؤثر المحدث في القديم ، ....فذهبت إلى أنه سبحانه هو الذي خلق أسباب الرضا والغضب ، .....، بل من نفسه

لنفسه ، ولا لا يمكن أن يؤثر غيره فيه ، .....وأما أن يخلق هو أسباباً تقضي رضاه .....فإن ذلك منه بدأ وإليه يعود .

الجواب : كلام جيد ، يعني أصل هذه عند المتكلمين أصل وهو : أن الحادث لا يؤثر في القديم ، هذا أصل عند المتكلمين ، وهو ليس من أصول أهل السنة ، وأهل السنة ما ينطقون بمثل هذه الأشياء المخالفة لا يتجاوزونه ، بل هو جرى سؤال ابن القيم على ما عند أولئك ، يمكن لأنهم احتجوا به على ابن القيم وأراد جواب السؤال ، فيقول : إذا كان الرب سبحانه يرضى بطاعته ويفرح بتوبته ، ويغضب بمخالفته ، فهل يجوز أن يؤثر المحدث في القديم ؟ يعني معناه أن العبد أثر في الله جل وعلا ، واضح لك ، هذا خلاف الأصل ، خلاف القاعدة التي قعدها المتكلمون ، فيأتي من شيخ أفسلام الجواب ، فقال : إن أصلاً فعل العبد هذا الذي فرح الله جل وعلا به هو أصلاً سبب ، من الذي جعله يفعل ذلك وأعانه عليه ؟ هو الله ، ومن الذي شاء الفعل السيء ؟ هو الله ، فإذاً أسباب حدوث هذه الأشياء هي من الله جل وعلا قدرة العبد من الله ، قدرة العبد من الله ، أن الله جل وعلا هو الذي خلق فعل العبد فإذاً هذا الفعل الذي رضي به ، وهذا الفعل الذي غضب منه ليس بتأثير العبد ، ولكن هو منه بدأ جل وعلا وإليه يعود ، واضح .

سؤال : يا شيخ ، هل مراده بالقديم الله سبحانه وتعالى ، والحادث العبد؟

الجواب : إي نعم ، الحادث المخلوق ، يعني عموم المخلوقات .

الشريط الخامس والربعون وجه (أ) ١٤٢٠/١/١هـ .

المتن :

والخير والشر مقدران على العباد. والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما

الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد، ولم يكلفهم الله -تعالى- إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوى لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله -تعالى- وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وهو غلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا. تقدس عن كل سوء وحين، وتنزه عن كل عيب وشين، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حق حمده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. أما بعد:

مضى معنا طائفة من الكلام على الإيمان بقدرة الله -جل وعلا- خيره وشره. وأن الخير والشر مقدران من الله -جل وعلا-، فما يصيب العبد من خير فهو من الله -جل وعلا- تقديراً وتدبيراً، وما يصيب العبد من شر وسوء فإنه من الله -جل وعلا- تقديراً وتدبيرًا، ومر معنا مراتب الإيمان بالقدر، وما يتصل بهذا المبحث، مما فيه تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة العظيمة التي أمر الله -جل وعلا- بالإيمان بها والتسليم لما جاء به رسوله ﷺ فيها. ومر معنا أيضًا أن القدر سر الله -جل وعلا- في خلقه، لم يعطي حقيقته لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، وإنما هو -ﷻ- الذي يعلم كل شيء وهو -جل وعلا- الخالق لكل شيء، وهو -سبحانه- ذو الحكمة

البالغة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ونحو ذلك من المباحث والموضوعات التي سبق الحديث عنها، وسبق تقريرها على ما جاء في كتاب الله –جل وعلا– وفي سنة نبيه ﷺ، ومبحث القدر من المباحث العظيمة في الملة، ولأجل كونه سرًا من أسرار الله –جل وعلا–، وإدراك كنهه وحكمة الله – جل وعلا– في عباده غير متحققة من كل وجه، فلذلك صار الخائض في القدر بلا دليل عرضة لمزلة القدم، بل لم يخض في القدر أحد بغير حجة وبرهان إلا وزلت قدمه وتنكب سواء الصراط. ولهذا ينبغي أن يتكلم في القدر بما جاء في النص دون زيادة؛ لأنه أمر غيبي ولا يمكن للعبد أن يخوض في الأمور الغيبية إلا مع الدليل، ودون الدليل فهو كالذي يسير في الظلمات ليس بخارج منها. والمخالفون في القدر كثيرون، ولهذا الطحاوي –رحمه الله– لم يرتب الكلام على مسائل القدر في موضع واحد، حتى يمكن الناظر أن يبسط الكلام فيه بتقرير قول أهل السنة وقول المخالفين، وما يترتب على ذلك. بل فرقه فأتى في آخر رسالته هذه بشيء من الكلام على القدر. لكن من جهة النظر إلى خلاف المخالفين، ولهذا هذه الجمل التي معنا من قوله: (والخير والشر مقدران على العباد) إلى قوله: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات) هذه كلها لأجل خلاف المخالفين من الجبرية والقدرية. وقيل أن نخوض في بيان كلامه وما فيه من المسائل، نلخص شيئًا من أسباب الضلال في القدر، والذي به خرج القدرية سواء الغلاة، أم المعتزلة، أما الجبرية، أو من ضل في مسألة أو في مسائل في هذا الباب.

السبب الأول: هو عدم الاقتصار، أو ترك الاقتصار على ما جاء في الكتاب والسنة، من الواضحات المحكمات، التي تبين حقيقة القدر، والأخذ بما فيهما من المتشابهات وجعل ذلك أصلاً، ومعلوم أن الواجب على العبد، أن يأخذ بالمحكم وأن يرد المتشابه إلى المحكم، قد أمر الله –جل وعلا– بذلك،

وقد خرج النبي ﷺ مرة على الصحابة وهم يتنازعون في القدر، كل ينزع إلى قوله بآية، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان ﷺ يعني احمر وجهه ﷺ. وهذا لأجل أن الواجب على العباد أن يسلموا للمحكمات والأصول العامة، وأن يردوا المتشابه إلى المحكم على ما كان عليه الصحابة -رضوان الله عليهم-، وبالتالي فإن كل تفسير لآيات القدر لم يكن معروفاً في زمن الصحابة -رضوان الله عليهم-، فإنه باطل وضلال؛ لأنه من الأخذ بالمتشابه، وترك المحكم.

السبب الثاني:، والمنشأ الثاني للضلال في القدر: أن العباد لم يعرفوا حكمة الله -جل وعلا- في الأشياء، ولا حكمته فيما يقدر ويخلق من الخير ومن الشر، أو من المخلوقات بعامة. ولما لم يدركوا الحكمة فعارضوا فعل الله -جل وعلا- في ملكوته بما يرون من ظاهر رأيهم، فعارض الجاهل العالم، واقتنع بجهله فصار على شعبة ضلال. ومعلوم أن حكمة الله -جل وعلا- في خلقه منها ما هو مدلل عليه، ومنها ما ليس بمعروف. ولذلك إذا جهلت الحكمة فإن المرء يسلم ولا يعترض. وقد ذكر جماعة من أهل العلم، أن سبب الضلال في القدر هو الجهل بحكمة الله فيما يخلق ويقدر، ثم الخوض في ذلك. وقد لخصها شيخ الإسلام بقوله فيما ذكرته لكم مرارًا في تائيته حيث يقول:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهموا حكمة له ... فصاروا على نوع من الجاهلية

هذا حق لأن حكمة الله غير معلومة، بل جعل الله -جل وعلا- مثالاً لمن جهل حكمته، في أنه حرم العلم في قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام-، وهذا ظاهر بين لمن يتأمل سورة الكهف، فإن موسى -عليه السلام- عارض الخضر بظاهر رأيه، والخضر يعمل على ما أمر الله -جل وعلا- بما يوافق حكمته،

وهي الغاية المحمودة من وراء الأفعال. فلما عارض كان ممن لم يستطيع صبرًا، فحرم العلم: ﴿ **قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾.

والسبب الثالث: للضلال في القدر: هو قياس أفعال الله –جل وعلا– على أفعال العباد فيما هو من قبيل العدل والظلم. فنظروا إلى أفعال الرب –جل وعلا–، فجعلوا ما هو عدل في تصرفات البشر واجبًا وعدلاً في تصرفات الرب –ﷻ–. وجعلوا ما هو ظلم من تصرفات البشر، محرماً أو منفيًا وظلمًا في تصرف الرب –ﷻ–. وهذا هو ضلال القدرية المعروف، حيث جعلوا العدل والظلم في تفسيرها في حق الله –جل وعلا– كتفسيرها في حق المخلوق، فقاسوا هذا على هذا، وضلوا في هذا الباب؛ لأن الخالق –جل وعلا– لا يقاس على المخلوق، في أفعاله وفي تدبيراته في ملكوته.

والسبب الرابع: إحداث ألفاظ ومصطلحات جعلت أصلاً في هذا الباب، ثم حمل الكتاب والسنة عليها. مثل لفظ الاستطاعة بتفسيرهم، والطاقة وما لا يطاق، والتكاليف وأشباه ذلك. ومنها أيضاً –عند الجبرية– الكسب ونحوه. ومن المعلوم أن هذه الأمور الغيبية كالقدر، الاصطلاح عليها بألفاظ وأسماء لمسميات لم يأتي عليها برهان، أنه يجعل المرء يؤصل ويقعد بشيء لا أساس له. ولهذا لما فهموا وظنوا من الشريعة أنه يقال: كذا مثلاً، الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، أو قالوا: الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل –كما سيأتي– أو قالوا: الكسب هو الاقتران. أو قالوا: كذا وكذا في تكليف ما لا يطاق –كما سيأتي الآن في هذه المواضع–، فسروها بتفسيرات تخصهم، ولهذا ضلوا في أصل يجب الرجوع فيه إلى الدليل؛ لأن إحداث لفظ وإحداث مصطلح، لا شك أنه سيترتب عليه أشياء كثيرة –وسيأتي الكلام على الكسب مثلاً–، وهو أن الكسب مع وروده في الدليل في قوله مثلاً: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ** ﴾، ﴿ **جَزَاءً بِمَا**

كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾، ونحو ذلك مع ورود لفظ كسب، يكسب، والكسب فإن التفسيرات تنوعت فيه، وأحدثوا له فهماً جديداً غير المراد في الكتاب والسنة. فصار ثم كسب عند الجبرية، وصار ثم كسب عند القدرية، وصار ثم كسب عند أهل السنة، ولأجل أن هذا اللفظ في أصله وإن كان واردًا، لكن جعل مصطلحاً على فكرة جديدة، توافق ما هم عليه. فإذًا مسائل القدر المصطلحات الجديدة فيها، هي سبب الافتراق فيه والضلال فيه، ولو ألغيت هذه المصطلحات، وبقي الناس على ما دل عليه الدليل، فإنه كثير من الخلاف فيه سيذهب. ولهذا عند النقاش والحوار مع المخالف في هذه المسائل، فيبحث معه أصلاً في اللفظ وفي نشأته، ومن أين أتوا بهذه الألفاظ والتعريفات. لهذا العلم بالقرآن والسنة حجة على كل مخالف أحدث المصطلحات لأن إحداث المصطلحات عقلي، واتباع الكتاب والسنة نقلي. ولهذا يغلب النقل العقل الحادث والمصطلح عليه في هذه المسائل.

السبب الخامس : من الأسباب التي أنشأت الخلاف والفرقة في أبواب القدر، ما يصلح أن يقرر بأن نقول: إن التساوي بين العباد في فعل الله –جل وعلا–، وادعاء انهم سواء في كل شيء –يعني فيما يفعل الله –جل وعلا– بهم–، هذا مع كونه مخالفة للدليل، لكنه نشأ عنه تعريفات وأقوال جعلت الأقوال المخالفة في القدر كثيرة أو أعيد صياغة هذا السبب، بأن نقول: من أسباب ومنشأ الضلال في القدر الحكم على أفعال الله –جل وعلا= بأحكام من جهة النظر إلى الخلق، فجعلوا فعلاً لله –جل وعلا– واجبًا عليه بالنسبة للجميع، وجعلوا فعلاً لله –جل وعلا– ممتنعاً عليه بالنسبة للجميع –وسيأتي فيما سنذكر اليوم إن شاء الله– أن خلاف القدرية في مسألة الاستطاعة، ناشئٌ عن أنهم قالوا: الواجب على الله –جل وعلا– أن يجعل الناس سواسية فيما يطيعهم. فكون هذا يوفق وهذا يخذل، هذا غير سائغ؛ لأنه تفريق. فإذا جعلنا

الأصل هو أن يكون الناس سواسية فإن هذا قاعدة نبني عليها غيرها من مسائل القدر. وهذه المقدمة نشأ عنها كثير من الخلاف، وخاصة عند المعتزلة. وبهذا نشأت أقوال كثيرة محدثة في القدر، وخلاف متنوع في المسائل العقلية، وما يجب على الرب –جل وعلا–، وما لا يجوز عليه. وهذه تتضح أكثر ببحثنا في الاستطاعة إن شاء الله. إذا تبين هذا فالواجب إذًا في مسائل الغيب بعامة، أن لا يتجاوز القرآن والحديث، وأن يسلم للدلالة وإذا أشكل على المرء شيء، فواجب عليه أن يقول: أمنا به كل من عند ربنا. كما يقول الراسخون في العلم، مع أنهم يعلمون التأويل في كثير، لكن قد لا يعلمون التأويل في بعض، يعني طائفة من الراسخين قد لا يعلمون، ويعلمه غيرهم فيقولون: أمنا به كل من عند ربنا. أما ضرب النصوص بعضها ببعض، أو الأخذ بالمتشابه وترك المحكمات أو قياس أفعال الله –جل وعلا– على أفعال خلقه ونحو ذلك من المسائل التي ذكرنا، أو الخوض في الحكم، والمصطلحات فإن هذا ينشئ الافتراق والضلال في هذا الباب؛ لأنه أمر غيبي بحت. لهذا ما أحسن القول من قال: القدر قول علي –رضي الله عنه– –وقول غيره– : (القدر سر الله، فلا تكشفه) يعني لا تحاول كشفه فإن من حاول كشفه، لا شك أن سيضل؛ لأنه سر من الأسرار اختص الله –جل وعلا– به. هذه مقدمة للمسائل التي سيأتي بيانها إن شاء الله.

قال الطحاوي –رحمه الله–: (والاستطاعة التي بجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به، فهي –يعني الاستطاعة مع الفعل–، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات، فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب، كما قال الله –تعالى–: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾. يريد –رحمه الله– أن يقرر: أن مسألة الاستطاعة، وهي القدرة والطاقة، اختلف فيها الناس ما بين الجبرية إلى

القدرية، والقول الوسط فيها هو قول أهل السنة التابعين لظاهر القرآن والحديث في أن الاستطاعة منقسمة إلى قسمين، استطاعة قبل الفعل، واستطاعة مع الفعل. يعني استطاعة يتكلم عنها قدرة وطاقة، يوصف العبد بها قبل أن يفعل الفعل، وتستمر معه إلى أن يفعل، وقدره أخرى، استطاعة أخرى هذه تكون مع الفعل، ولا يجوز أن ينفك الفعل عنها، أو الفاعل عنها. وهذا الذي ذكرت هو الذي دلت عليه الآيات ودلت عليه السنة، من أن الإنسان المكلف يوصف بأنه مستطيع، ويوصف بأنه غير مستطيع، فقال –جل وعلا– في الوصف بالاستطاعة: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ وقال –جل وعلا–: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾، يعني ما تستطيع، الوسع، الاستطاعة: هي الوسع والطاقة والقدرة. وقال –جل وعلا– فيما أيضًا في هذا الباب: ﴿ **فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ** ﴾. وفيما يقابل في الاستطاعة المنفية، قال –جل وعلا– في سورة هود: ﴿ **مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ** ﴾، وقال –جل وعلا–: ﴿ **وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً** ﴾. وقال ﷺ: ((صلي قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب))، ونحو ذلك. فإذًا الشريعة فيها استطاعة مثبتة، وفيها استطاعة منفية. وواجب إذًا أن ينظر إلى هذه النصوص بالفهم، وهي أن المثبت غير المنفي. فإذًا لا بد أن تكون الاستطاعة على قسمين، وهذا هو الذي أراده هنا، وهو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة، وسيأتي مزيد تقرير لها إن شاء الله في المسائل. وقوله هنا: (والاستطاعة التي يجب بها الفعل) يعني يجب بها حصول الفعل، وإيقاع الفعل، ووجود الفعل –يعني العمل–، فيه استطاعة، قدرة إذا وجدت، وجد الفعل، بهذا قال هنا: (من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به) وذلك أن الله –جل وعلا– هو

الخالق لأفعال العباد، فقوله هنا: (من نحو التوفيق) هذه جملة اعتراضية، وسبك الكلام، والاستطاعة التي يجب بها الفعل فهي مع الفعل، وقوله: (من نحو التوفيق) هذا ليدلل على أن الاستطاعة هذه التي يجب معها حصول الفعل، هذه فيها أمر غيبي زائد، فيها إعانة ثانية، فيها شيء زائد عن الظاهر. ولهذا قال: (الاستطاعة التي يجب معها الفعل)، هي مع الفعل؛ لأنه لا يمكن أن يحدث الفعل إلا بقدرة، وهذه القدرة لا يمكن أن تكون قبله، ثم تنعدم وقت الفعل، فكيف يمكن أن يحصل فعل بلا قدرة للفاعل على فعله، لكن هل يستقل بهذه القدرة، أم ثم أمر زائد؟ لابد هناك أمر زائد يأتي بيانه إن شاء الله تعالى وقوله: في (الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات) فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب. وهذه الاستطاعة، هي الاستطاعة المثبتة وهي التي يتعلق بها الحساب والعقاب والخطاب والأمر والنهي؛ لأن الله –جل وعلا– جعل للمكلفين من المشركين، جعل لهم أسماع وأبصار وأفئدة، وجعل لهم قدرة على أن يصلوا، قدرة على أن يتأملوا، قدرة على تبين ما أيد به ﷺ من المعجزات والآيات والبراهين، لكنهم لم يريدون أن يسمعوا مع وجود الآلات، ووجود الصحة، ووجود القدرة. إذًا فالمنفي ليس هو الآلة المنفي في عدم الاستطاعة، هو ما يكون مع الفعل من التوجه إلى الخير والهدى والسماع النافع لما معهم مما يصده وينفيه من الهوى واتباع الشهوات. إذا تبين هذا فإيضاح هذه الجمل في مسائل:

المسألة الأولى: هذه المسألة متصلة بالقدر، والإيمان به. وأصل بحثها من المعتزلة، وذلك أنهم قعدوا قاعدة وهي: أن الناس في فعل الله –جل وعلا– سواء. وهو أن العاصي والمطيع، المؤمن والكافر كلهم أعطوا شيئًا واحداً، فهذا فعل هذا، فعل الخير وهذا فعل الشر بمحض قدرته. فهذه التسوية بين الجميع جعلتهم ينفون أن يكون هناك أمرًا زائدًا خص به هذا أو منع ذاك،

فجعلوها جميعًا قبل الفعل، وأما مع الفعل –في أثناء الفعل– فعندهم العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، وبالتالي فلو جعل هذا مستطيعًا للفعل، وهذا غير مستطيع للفعل، لكان الناس ليسوا سواسية فيما أعطاهم الله –جل وعلا–، وبالتالي يترتب على هذا أن هذا ظلم، وهذا أعطي ما لم يعط غيره. فإذًا أصل بحث المسألة هي عند المعتزلة، ولماذا بحثوها؟ للقاعدة التي قعدوها، وهي: أن الجميع يجب أن يكونوا في فعل الله واحدًا، حتى لا يظلم هذا ويترك ذاك. إذا فهمت هذا الأساس، تفهم لماذا افترق الناس في هذه المسألة. فلما قالوا: الاستطاعة لا تكون إلا على هذا النحو. وهي أن تكون قبل. أما المقارنة: فالعبد الذي يخلق فعل نفسه، هو اللي يقدر، هو اللي يفعل، الله –جل وعلا– لا يجعل هذا مستطيعًا، وذاك غير مستطيع؛ لأن هذا ظلم. وإذا كانوا كذلك فقابلهم من يثبت الاستطاعة المقارنة وهم الجبرية، ونفوا أصلاً: أن يكون للإنسان قدرة على فعل أي شيء. ولهذا قالوا: ليس هناك استطاعة سابقة، وإنما الاستطاعة هي: أنه يقدر على الفعل، وهذه القدرة في الواقع من الله – جل وعلا–. لهذا الإنسان أصلاً لا يستطيع؛ لأن الله نفى وقال: ﴿ **وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً** ﴾ وقال: ﴿ **مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ** ﴾. ونفى أيضًا عنهم الرمي، قال: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ** ﴾ إذًا لا يمكن أن يفعلوا شيئًا، فقابلوا القدرية في مسألة الاستطاعة لا في مسألة القدر والجبر، في القدر والجبر أصلاً الجبرية سبقوا القدرية في مسألة الجبر المعين، أما القدر اللي هو: نفي العلم. فهو الذي كان أولاً. يعني الجهمية –اللي هم الجبرية– سابقين المعتزلة –اللي هم القدرية–، يعني كفرقة. الجهمية هم اللي أظهروا الجبر ونصروه، من جهة وجود الجهمية قبل وجود المعتزلة، الذي هم القدرية. فإذًا الجهمية، نقول إن الجبرية: قبل؛ لأن اللي مثلهم الجهمية، وأولئك مثلهم المعتزلة وهم متأخرون عنها. أما من جهة القدر والجبر كقول، القدرية

سابقون لأن نفاة العلم ظهروا في زمن الصحابة، وأما الجبرية فجاءوا بعد ذلك. لكن تفاصيل أقوال الجبرية والقدرية، ما نشأت إلا مع ترسخ المذهبين في الجهمية وفي القدرية، المعتزلة.

المسألة الثانية: قرر الطحاوي هنا: أن الاستطاعة على قسمين، استطاعة مقارنة يجب بها الفعل. يعني إذا وجدت الاستطاعة حصل الفعل دون تأخر. واستطاعة متقدمة. وهذه لا يجب أن تكون مع الفعل، بل تتقدم وهي المتعلق بها الأمر والنهي. ((صلي قائماً فإن لم تستطع فقاعدًا))، عدم الاستطاعة هنا، هل هي خاضعة لأن يجرب إذا أراد أن يصلي؟ أو هي عدم تمكن آلته من القيام معروف قبل: أن يدخل أصلاً في الصلاة؟ ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾، يبدأ يحج وبعدين يشوف هو مستطيع أو لا؟ وإلا الاستطاعة التي هي الزاد والراحلة وغير هذين أيضًا؟ هذه تكون قبله. إذًا هذه معلومة قبل، فإذًا التكليف الأمر والنهي والعذر... إلى آخره، هذه متقدمة استطاعة قدرة وسع آلات سلامة صحة.. إلى آخره، متقدمة. أيضًا –وهذا أوضحت لكن أن الدليل دل عليه أيضًا ليست الاستطاعة المراد بها، المرادة في الشرع: هي الاستطاعة الكونية بل المراد الاستطاعة الشرعية والاستطاعة الكونية هذه أخص من الاستطاعة الشرعية، فإنه قد يكون مستطيع كونًا، قد يكون المرء مستطيعًا كونًا، ولكنه ليس بمستطيع شرعًا. مثاله يمكن له أن يسيل الماء على جرحه الذي لم يندمل، يمكن أن يغتسل ويسيل الماء عليه، هذا يمكنه كونًا ويستطيع، يمد يده ويصب الماء عليه.. إلى آخره، يمكن أن يصلي الصلوات قائماً؛ لأنه غير مشلول، لكنه شرعًا لا يسمى مستطيعاً؛ لأن الأول: يورثه زيادة في المرض، والشريعة متشوفة للتيسير، والثاني: يورثه أيضًا عدم الخشوع في الصلاة، والتعب.. إلى آخره، ومجاهدة النفس، وربما أورثه زيادة المرض، والشريعة متشوفة في

الصلاة إلى خشوعه وحضور قلبه، وإلى ألا يزيد مرضه.. إلى آخره. فإذًا مما لم ينظر إليه في البحث أيضًا أن الاستطاعة التي هي سلامة الآلات، المرادة في القدر، والمرادة في تحقيق المسألة هي الاستطاعة الشرعية لا الاستطاعة الكونية. أما كونه يقدر سليم الآلات.. إلى آخره، هذا قد يدخلنا في تكليفه ما هو فوق طاقته، أو فوق ما فيه مصلحته شرعًا. ولهذا نقول: الاستطاعة التي هي قبل الفعل نقسمها إلى قسمين، استطاعة كونية، واستطاعة شرعية. والاستطاعة الشرعية هي: المرادة، لأنها هي التي تعلق بها التكليف والأمر والنهي. فحصل إذًا من هذه المسألة، أن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل، والتي قبل الفعل تنقسم إلى قسمين. واضح يعني من حيث النظر إليها. أما الاستطاعة التي مع الفعل وهي المهمة في هذا الباب، فالفعل لا يكون ولا يحصل لأي إنسان إلا –ما يمكن أن يفعل الشيء ولا أن يحدث هذا الشيء–، إلا بوجود ثلاثة أشياء، إذا تخلف واحد منها ما حصل هذا الشيء أبدًا.

الأول: القدرة التامة على إيجاد الفعل. يعني هذا من غير النظر إلى مسألة القدر، وجود الشيء مطلقاً يأتينا بعد ذلك بحث القدر، هذه مسألة عرضها في الكتب غير واضح، ويدخلون بعض البحث في بعض، أنا أرتبها لك وكن حاضر القلب معي، حتى تستوعب الخطوات. لا يكون إلا بثلاثة أشياء، القدرة التامة، ما القدرة التامة معناها ؟ معناها: أن إذا لم يكن عنده القدرة على الفعل، فإنه لا يمكن أن يحصل الفعل. الأعمى إذا أراد أن يقرأ كتابًا، فهل يمكنه يأخذ الكتاب هذا الذي معي ويقرأه؟، والحروف هي التي يقرأها المبصر، غير الحروف الثانية التي يستدل بها باللمس، لو وضعه أمام عينيه فإنه لا يمكنه، لو أخذ المصحف ووضعه أما عينيه، فإنه لا يمكن أن يقرأ شيئًا. واضح؟ لماذا؟ لأنه ليس عنده القدرة الذي لم يتعلم الكتابة، لو أخذ القلم بيده بين أنامله، وأراد أن يخط جملة لم يستطيع، لماذا؟ لأنه لم يتعلم.

المتعلم للكتابة في لغة، اللغة العربية، لا يمكن أن يكتب باللغة الصينية؛ لأنه وإن كان يعرف الحروف باللغة العربية يعرف كيف يخطط، ويعرف.. لكن لا يمكن؛ لأنه لا يقدر على هذا بخصوصه. فإذًا القدرة التامة هي التي يحصل بها الفعل.

الثاني الإرادة الجازمة: ونعني بالجازمة غير المترددة، فإذا وجدت الإرادة الجازمة مع بقية الشروط، وجد الفعل. لكن لو وجدت الإرادة فقط ولم توجد بقية الشروط، ونذكر مثالاً الآن اللي ذكرناه القدرة، فهل يمكن أن يحصل الفعل؟ لا يمكن أن يحصل الفعل. مريد أن يذهب إلى مكة، لكن ما عنده قدرة مالية، يمكن يذهب؟ ما يمكن. يريد أن يكون حافظًا لكتاب الله، لكن ليس عنده القدرة على الحفظ، هل يمكن؟ ولو كانت إرادته جازمة، ويتمنى و.. و.. إلى آخره، لا يمكن. فإذًا الإرادة الجازمة غير المترددة شرط في حصول الفعل، لا يمكن أن يحصل الفعل بإرادة مترددة.

الشريط الخامس والأربعون وجه (ب)

الثالث: وهو أن يشاء الله –جل وعلا– حصول هذا الفعل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ومشيئته الكونية في هذا إذا شاء أن يكون الفعل ممن عنده قدرة وإرادة، فإنه يعين العبد على حصول هذا الفعل. كيف يعين العبد؟ يعينه بأشياء:

الأول: التوفيق. الثاني: أن يعدم المعارض. مثل، هو يريد أن يذهب إلى مكة، وعنده القدرة المالية وعنده الإرادة الجازمة، ماشي، يريد أن يحج هذا العام، المعارض الذي يعارض أن يكون هذا من حصول خللٍ له في بدنه، من حصول خللٍ في الطائرة، من عدم تمكنه من سرقة المال من أسباب كثيرة لا تحصى من المعارضات، هذه هل هي في قدرة العبد؟ ليست في قدرة العبد، إذًا هذا يدخل في الأمر الغيبي الذي لا يدخل العبد فيه. إذا اجتمعت هذه

الثلاثة حصل الفعل، إذا تخلف واحد منها لم يحصل الفعل. فإذاً الاستطاعة التي يجب بها الفعل، وهي القدرة التي يجب بها الفعل -يعني يحصل معها الفعل-، المراد بوجوب حصول الفعل مع وجود الإرادة الجازمة، ووجود إعانة الله -جل وعلا- ومشيئته وتوفيقه، ودفع المعارض.. إلى آخر ذلك من الأسباب، اللي هو الأمر الغيبي المختص بالرب -ﷻ-. القدرة في نفسها، قدرة العبد على الفعل هل هو الذي أوجدها في نفسه، أم الله الذي خلقها فيه؟ الله -جل وعلا- الذي خلقها فيه. الإرادة الجازمة للفعل توجه العبد للفعل، هذا اختيار منه أم هو مفروض عليه؟ هو اختيار منه، وذلك جاءت الجبرية، وقالت: القدرة منفية، لا قدرة له، والإرادة هو مرغم على أن يريد، والمشيئة، العبد خاضع للمشيئة، فعمل ما يريده الرب فإذًا الفعل كله فعل الرب -جل وعلا- بلا اختيار، فصار فعل العبد بعد أن حدث، كحركات الأشجار والورقة في الماء والريشة في مهب الريح... إلى آخره. جاءت القدرية في المقابل وقالت: القدرة بيد العبد، والإرادة عنده هو ولا علاقة لفعل الله -جل وعلا- به، بل العبد هو الذي يقدر، فالقدرة خلقه. هو الذي خلق الفعل بقدرته، والإرادة توجهت إليه، والقدرة والإرادة يستوي الناس فيها، فهذا خلق أفعال الطاعات، وهذا خلق أفعال المعاصي. فنفوا الجزء الثالث. أما أهل السنة والجماعة فنظروا إلى الأدلة فوجدوا فيها الثلاثة جميعًا فأثبتوها. فإذاً حقيقة بحث القدر، وبحث الاستطاعة، وبحث تكليف ما لا يطاق.. وإلى آخره من المباحث، مبنية على الفعل إذا وجد، كيف وجد. فبحثوا الفعل إذا وجد، كيف وجد. منهم من بحث في أوائله فتكلم في الاستطاعة المقارنة، والاستطاعة السابقة.. إلى آخره في الذي بحثنا، ومنهم من نظر إلى نتائجه، وأن هذا فيه فعل طاعة سينتج عنه الجنة، وهذا فيه فعل كفر سينتج عنه النار، فلما نظر إلى نتائجه والظلم والعدل.. إلى آخره، حكم على المسألة بالنتائج. والذي ذهب إليه أهل

الوسط ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ وسط في الملل ووسط في المذاهب، وهم أهل السنة والجماعة قالوا: الفعل لا يوجد إلا بهذه الثلاثة أشياء. ولهذا الطحاوي هنا أشار إلى هذا بإدخال التوفيق، بقوله: من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به. وهذه الجملة في الواقع ليس لها علاقة بالكلام، والشارح عندكم –شارح الطحاوية– ما تكلم على هذه الجملة لماذا أدخلها الطحاوي؟ وإلا الكلام يستقيم بدونها؟ أن يقول: والاستطاعة التي يجب بها الفعل فهي مع الفعل. هو يريد الطحاوي أن يقول لك: إن الفعل لا يمكن أن يكون إلا بالقدرة، والإرادة وفعل الله –جل وعلا– الذي فيه المشيئة وفيه التوفيق والإعانة وفيه دفع المعارض.. إلى آخره من المسائل.

المسألة الثالثة: لا هذا أمر خارج، هذا فعل الله –جل وعلا–، فتنظر الآن فيه شيء ظاهر إن العبد يملكه وهو قدرته وإرادته، لكن فيه شيء ما يملكه، شيء ما يملكه وهو دفع المعارض، واحد أخذ ركن طائرة جديدة من أحسن الطائرات، جديدة سليمة ما طار عليها وكل أجهزتها جديدة.. إلى آخره، وهي طائرة جاءتها زوبعة، واحترقت أو ضربت في الأرض أو.. إلى آخره، تحطمت. أو جاءتها طائرة ثانية وهو ما يدري جاءته طائرة وضربته، هذا من جهة من؟ ليس من جهة العبد. الآن سيارة استعملتها جديدة.. إلى آخره، من جميع الآلات سليمة، احتط بجميع الاحتياطات، وجاء في الطريق، أخذت بوسائل السلامة، هل ستنتج السلامة بهذه الأشياء التي عملتها؟ لا، الآن يأتي جمل في الطريق تصدمه وأنت ما تدري، أيضًا سيارة وأنت ماشي ما دريت إلا هالتريلا جاءت أمامك وضربتك.. إلى آخره، ولهذا من أعظم النظر في الأسباب، أن تنظر في هجرة النبي ﷺ، النظر في الهجرة يعطيك ما يجب على العبد أن يفعله، وما ليس للعبد أن يحققه من أسباب السلامة، النبي ﷺ لما هاجر أراد الهجرة إلى المدينة، استأجر، عمل جميع الاحتياطات، شاف

الطريق البعيد اللي لا يمكن أن يظن المشركون أن النبي ﷺ يسير فيه، شاف الطريق البعيد، واستأجر رجلاً هادياً خريتاً يقال له ابن أرقط ليدله على هذا الطريق البعيد، ثم بعد ذلك أيضًا مع هذا الطريق أمر راعي الغنم أن يمشي على أثره هو وأبوبكر واللي معهم، حتى لا ينظرون الأقدام، واختبأوا في غار، الغار يختبأ فيه لا يمكن أحد ينظر إليه، العادة اللي يمشي بينتقل من بلد إلى بلد يمشي في الطريق السهل يمشي أما يختبأ في غار.. إلى آخره، هذه الأشياء التي فعلها النبي ﷺ وواجب عليه أن يفعلها؛ لأن الله أمر باتخاذ الأسباب، وقف المشركون على رأس الغار، ما فيه، يقول أبوبكر -رضي الله عنه-: لو أبصر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا. هذا الآن إبصار الأشياء التي فعلها النبي ﷺ ويتحقق بها قدر السلامة، فعلها أو لم يفعلها؟ فعل. لكنها نفعت؟ ما نفعت. وقفوا على رأس الغار، أقرب شيء ليس تحت الجيل، لكن بقي لو أبصر أحدهم موضع قدمه لرآنا، ما فيه أحد قدر أنه ينزل عينيه إلى أسفل، هذا ليس من جهة فعل العبد، ولهذا المعتزلة في ضلالهم لما جعلوا العبد يخلق فعل نفس فقط، وهو الذي يتصرف في نفسه، في مثل هذا لا يستطيعون تفسيره، كيف أنه هو لم يستطع أن ينزل رقبته تحت؟ كأنه في رقبته غلاً يمنعه من أنه، أنهم ينظرون وهم عدد، ما فيه أحد ينظر تحت؟ ولو بالغلط؟ إذًا هنا فعل، هذا شيء لا يملكه العبد. ولهذا المؤمن ينظر في باب الاستطاعة وباب الأفعال، إلى ما يفعله هو وما يكرمه الله -جل وعلا- به. ولهذا: ﴿ **مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً** ﴾. المسائل هذه، البحوث يعني تطول، لكن أذكر هذه المسألة وننتقل للتي بعدها؛ لأن نريد نخلص من مسائل القدر الليلة، تصبرون معنا إن شاء الله.

المسألة الثالثة والأخيرة: أهم المسائل هنا. الاستطاعة التي هي قبل الفعل كما ذكر، هي مناط التكليف. الأمر والنهي، والاستطاعة التي مع الفعل ولم

يذكر، هي مناط الثواب والعقاب. والاستطاعة التي قبل الفعل –من جهة السلام ومن جهة البلوغ مثلاً واليقظة.. إلى آخره من جميع الأسباب– هذه اللي تتعلق بها الأوامر والنواهي، وهي التي يتكلم عنها الفقهاء، أما التي مع الفعل وهي المنوط بها الثواب والعقاب فمعلوم أن فعل العبد كما ذكرنا، لم يستقل بتحصيل النتيجة، وبالتالي فالثواب إذًا لم يستقل العبد بتحصيل أسبابه، ولهذا فنقول إذًا. أن إثابة الله –جل وعلا– لعبده، هو منّةٌ من الله على عبده. لم؟ لأن أصل تحقيق الفعل لم يكن مجردًا باختيار العبد، بل هناك أمر زائد وهو منّة الله وفضله على العبد وإعانته عليه. ولهذا سألني أحد الإخوان الأسبوع الماضي سؤالاً متعلقًا بهذا المبحث، وهو أن رضا الله –جل وعلا– على العبد، وإثابته للعبد هو نتيجة لشيء فعله الله –جل وعلا– وهو هداية العبد؛ لأن يفعل. ولهذا المؤمن الصالح كلما زاد علماً علم أنه ليس منه شيء، وليس إليه شيء، مثل ما كان يقول ابن تيمية: اللهم ليس مني شيء، ولا فيّ شيء، ولا إليّ شيء. لكن مع ذلك ليس مجبورًا، وينظر إلى أنه يختار، وعنده قدرة، ويعرف أنه محاسب، لكن إن إعانة الله –جل وعلا– ووفقه إلى الفعل وصار من أهل الطاعة، فإنه يعلم أنه بسبب أحدثه الله –جل وعلا– له، وهداه إليه. وهذا معنى نصوص الهداية في القرآن، ليس معنى نصوص الهداية ونصوص القدر السابق، أنها إجبار على العبد، وإنما معناها أن الله هيأ لهذا العبد الأسباب التي تعينه على تحصيل المراد، وأعانه عليها وهذا هو تفسير أهل السنة للتوفيق. في المقابل من جهة العاصي، فإن الله –جل وعلا– منعه أسباب الهدى، لماذا منعه؟ لأمر يرجع إلى نفسه وفعله؛ لأنه كما أعطى ذاك بسبب، فإنه منع هذا بسبب، وهو أنه رغب في هواه وترك التخلي من هواه ومن شهوته. ولهذا قال –جل وعلا– في وصف الكفار: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً** ﴾، وقال –جل وعلا– في الآية الأخرى

في سورة الجاثية: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّـهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِـهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيـهِ مِن بَعْدِ اللَّـهِ** ﴾، أضله الله، إذًا فالذي أعطي أعين، والذي حرم عومل بسبب فعله هو: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾. فإذًا نظر المعتزلة في المسألة وهي أن الذي أعطي، والذي منع إنما هم من أنفسهم، لم يعطي الله هذا ولم يمنع هذا، هذا في الواقع نظر منهم إلى الظلم والعدل بما يحكمون فيه فعل العبد، مثل أن هذا يعطي ولده هذا، ويمنع هذا، ويقول: هذا تزوج، وهذا ما تزوج. هذا فيه تفريق لأن أعطي هذا ومنع هذا، لكن هنا الإعطاء صار للجميع، أين الإعطاء الذي صار للجميع؟ هو ما قبل الفعل، وهو الاستطاعة المثبتة، لم يكلف الله –جل وعلا– المجنون، الكافر، ورفع التكليف عن المجنون المؤمن، الجميع سواء؛ لأن هذا تكليف واستطاعة قبل الفعل، لكن الاستطاعة التي مع الفعل، ينتج عنها الفعل فأعين هذا بسبب، وحرم ذاك بسبب، ولو أن الكافر أو الذي ضل، لو أنه سلك سبيل الهدى ورغب بإرادته، لأعانه الله –جل وعلا– ووفقه، لكن كما قال –جل وعلا– في وصفهم: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْـهِ وَكِيلاً** ﴾. ويمثل هذا قول أبي جهل، قال: حتى إذا تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، وكنا كفرسي رهان. قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء وليس منكم نبي، والله لا نؤمن به أبدًا. هنا دخل الهوى، دخل الشهوة، ودخلت الدنيا فصدت. فإذًا تحقيق القول في المسألة هنا، أن سبب ضلال المعتزلة في باب الاستطاعة، وباب القدر في هذه أنهم جعلوا الظلم واحد. واضح جعلوا هذا وهذا متساويين في القدرة وفي الآلات، فلهذا نفوا خلق الله –جل وعلا– للأفعال، وقالوا: العبد يخلق فعل نفسه. لأجل ألا ينتج عنها أن الله ظلم، أدخل الجنة هذا وأدخل النار ذاك. ونظر أهل السنة أن الله –جل وعلا – ساوى بين الناس في التكليف، في الآلات في

الاستطاعة التي هي قبل الفعل، أما الاستطاعة التي مع الفعل فلا يحدث الفعل إلا بأشياء، الله -ﷻ- أعان هذا بأسباب، ومع هذا بأسباب وهو -ﷻ- الحكم العدل في هذا كله. الجملة التي بعدها، قال -رحمه الله-: (وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد). يريد أن فعل العبد ليس مخلوقًا له، بل الله -جل وعلا- هو الذي خلق فعل العبد. وهذا يعني أن العبد يفعل، ولا ينفى عنه الفعل، بل هو يفعل ويعمل، وأفعاله منه صدرت وهو الذي فعلها، وهو الذي اختارها، وهو الذي أنتجها بإرادته وقدرته، وأما نتيجة الفعل -يعني مع اجتماع الأسباب القدرة والإرادة.. إلى آخره فالله -جل وعلا- هو الذي خلق الفعل. وهذا يخالف مذهب القدرية الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه. وقوله: (وكسب من العباد، خلق الله وكسب من العباد) يعني فعل وعمل من العباد، فالعبد ينسب إليه الفعل ولا ينسب إليه خلق الفعل. فهو يفعل حقيقة والله -جل وعلا-هو الخالق لفعله. ودليل ذلك لأهل السنة والجماعة قول الله -جل وعلا-: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ وقال أيضاً -جل وعلا-: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾. وقال -جل وعلا-: ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾. إذًا فإثبات عمل العبد وكسب العبد، وأنه هو الذي حَصَّل الفعل، هذا واضح، وكذلك إثبات الله -جل وعلا- خلق كل شيء. هذا دليل هذه المسألة. ونذكر عدة مسائل تفصيلية:

المسألة الأولى: خلق الله -جل وعلا- لأفعال العباد اختلف الناس فيه على أقوال ثلاثة.

القول الأول: هو قول أهل الحق والسنة والهدى: أن الله -جل وعلا- خلق العبد وخلق عمله أيضًا. أعمال العبد من الخير والشر، من الحسنات

والسيئات هي خلق من الله –جل وعلا–؛ لأنه لا يحدث في ملك الله شيء إلا وهو خالق –ﷻ–.

القول الثاني: قول المعتزلة: بأن الله –جل وعلا– لا يخلق فعل المكلفين، أما غير المكلف فهو خالق كل شيء، أما فعل المكلف فلا يخلقه –ﷻ–، بل العبد هو الذي يخلق فعل نفسه. ويستدلون لذلك بأدلة عقلية واضحة على مذهبهم، وأدلة نقلية محتملة. أما الأدلة العقلية فهم يقولون: إن الله لا يوصف بأنه يخلق فعل العبد لسببين،

السبب الأول: أن فعل العبد فيه الأشياء المشينة، فيه الكفر، وفيه الزنا، وفيه السرقة، وفيه القتل.. إلى آخره، ولو قيل: أن الله هو الذي يخلق هذه الأشياء، لصار نسبة للأشياء السيئة إلى الله وهو منزه عنه.

والسبب الثاني: أن خلق الفعل من الله يقتضي التفريق بين المكلفين، هذا خلق فعل طاعته فأدخله الجنة، وهذا خلق فعل معصية فأدخله النار. وهذا ظلم لأنه لم يساوي بينهم في خلقه وفعله.

المذهب الثالث: قول الجبرية: بأن العبد لا يخلق فعل نفسه، بل الله يخلق فعله، وهو ليس له فعل حقيقة، وليس له تصرف حقيقة، ولا كسب حقيقة، وإنما هذه أمور مجازية. وهو فعل العبد هو في الحقيقة فعل الله –جل وعلا–، لكن أضيف للعبد اقتراناً ولم يضف إليه حقيقة. وأخرجوا لفظ الكسب كما سيأتي وعللوا به.

المسألة الثانية: قول أهل السنة: إن العبد فعله مخلوق لله –جل وعلا– استدلوا له بأدلة نقلية وأدلة عقلية. أما الأدلة النقلية فقوله –تعالى–: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾، وهذا عموم؛ لأن كلمة كل في الأصول، من الألفاظ الظاهرة في العموم، وهي في عموم كل شيء بحسبه. فهنا لم يدخل في ذلك وصف الله –جل وعلا–، صفات الرب –ﷻ–، يعني الله –جل وعلا– وذاته

وصفاته لم تدخل؛ لأنه -سبحانه- ليس بمخلوق بذاته وصفاته وأفعاله -ﷻ- ؛ لأن المخلوق حادث، والله -جل وعلا- متنزه عن أن يكون حادثًا، بل هو -جل وعلا- الأول والآخر، والظاهر والباطن. ويستدل أيضًا لهم بقوله -تعالى- في قصة إبراهيم: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾، والعلماء يبحثون كلمة ما هنا: ﴿ **مَا تَعْمَلُونَ** ﴾، هل ما هنا مصدرية؟ أو بمعنى ما الموصولة بمعنى الذي؟ فقالت طائفة: ما هنا مصدرية. فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، فعند هؤلاء واضح الاستدلال، بأن العمل مخلوق لله -جل وعلا-. وقال آخرون وهم أحضلى بالتحقيق: أن ما هنا ليست مصدرية، بل بمعنى الذي. فتقدير الآية: والله خلقكم والذين تعملون. ومن قال إنها مصدرية، وليس موصولة. ففيه ضعف من جهة أنه احتج عليهم في عبادتهم لما نحت، فقال -جل وعلا- في قول إبراهيم في سورة الصافات: ﴿ **أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾، فإذا كانت مصدرية صار المعنى. والله خلقكم وعملكم. وعملهم أيش. النحت، فيصير معنى الكلام. والله خلقكم ونحتكم. وهم لم يعبدوا النحت، وإنما عبدوا المنحوت.

والقول الثاني: إنها موصولة. أوضح في الاستدلال وموافق لقصة إبراهيم الخليل -عليه السلام-، ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾، يعني: والذي تعملون. والاستدلال على هذا واضح، وهو موافق للسياق. وتقدير ما بمعنى الذي أفاد فائدتين:

الفائدة الأولى: أنه موافق لقوله: ﴿ **أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ** ﴾. والذي يعملون هو ما ينحتون، وهي الأصنام، يعني يقول: أن الله خلقكم وخلق الأصنام الذين تعملونها، واضح.

الثاني: أنه في إثبات هذا، إثبات أن الأصنام هذه التي عملوها، أنها مخلوقة أيضاً؛ لأنهم مخلوقون، قال: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ** ﴾ وخلقهم يشمل خلق

ذواتهم، وخلق تصرفاتهم، فرجع الأمر إلى أن هذه الأصنام التي تعملونها مخلوقة لله، وأيضًا هي عملكم الذي هو مخلوق، لأنكم مخلوقون. فتحصل من هذا القول، أنه مناسب للسياق ويشمل خلق الأصنام والاحتجاج عليهم بعبادتها، يعني في عدم عبادتها، وكذلك فعلهم لذلك. أما الدليل العقلي فهو، أن الفعل لا يكون –مثل ما ذكرنا– إلا بقدرة وإرادة. وقدرة العبد لم يخلقها هو، وإنما خلقها الله والإرادة اختياره هو الإرادة نفسها، وجودها في العبد لم يخلقها هو، وإنما خلقها الله.

ثم الثالث: وهو مشيئة الله. هذه الثلاث كلها يحصل بها الفعل، والأول والثاني مخلوقة لله –جل وعلا–، والثالث هو فعل الله –جل وعلا– مشيئته صفته –ﷻ–. فإذًا ما ينتج عنها فإذًا يكون مخلوقًا، فإذا كان عمل حصل بقدرة وإرادة، القدرة مخلوقة، الإرادة مخلوقة، إذًا العمل مخلوق. وهذا استدلال عقلي صحيح، وهو موافق للأدلة. أما كلام المعتزلة والرد عليهم، فله مكان آخر؛ لأن المقام يضيق عن بسطه. آخر جملة هو: كسب من العباد. قوله: (وكسب من العباد). الكسب هذا.

الثالثة: قوله: (كسب من العباد). الكسب من الألفاظ التي جاءت في الكتاب والسنة، فأضيف الكسب إلى القلب، فقال –جل وعلا–: ﴿ **وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾. وأضيف الكسب إلى العبد، فقال –جل وعلا–: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ** ﴾. وأضيف في التكليف أيضًا في قوله: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾، ﴿ **جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾، ونحو ذلك. وتفسيره في الآيات أن يقال: كسب القلب، هو عمله. وهو قصده وإرادته، يعني عمل القلب هو قصده وإرادته وتوجهه وعزمه.. إلى آخره، يعني في اليمين ﴿ **وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾، يعني بما قصدتم أن توقعوه يميناً، ولهذا في الآية الأخرى

في المائدة: ﴿ **وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ..** ﴾ الآية. أما كسب العمل ﴿ **مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ** ﴾، يعني من طيبات ما تمولتم من الأموال، ومن التجارات، ومما أخرج لكم من الأرض نتيجة لعملكم. أما الكسب اللي هو نتيجة التكليف: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ فالكسب هنا بمعنى العمل. ﴿ **ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ** ﴾، وفي الآية الأخرى سورة آل عمران قال: ﴿ **ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾. فإذًا كسبت وعملت تتناوع في القرآن. فالكسب الذي هو مناط، اللي هو نتيجة التكليف هو العمل. لكن قيل عنه: كسب تفريقًا ما بينه وما بين الاكتساب؛ لأن الله –جل وعلا– لما ذكر التكليف في آية البقرة قال: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾، ليبين –جل وعلا– أن عمل العمل الصالح، كسب سهل يمكن أن يعمله بدون كُلفة منه و–يعني ومشقة عليه–. أما عمل السيئات التي عليها فيعملها بكُلفة منه ومخالفة وزيادة اعتمال وتصرف في مخالفة ما تأمره به فطرته لهذا قالوا: زاد المبنى في اكتسبت؛ لأنه يحتاج إلى جهد منه ومشقة، بخلاف العمل الصالح فإنه يقبل عليه بنفسه. فإذًا العمل هو الكسب. وهذا هو تفسير أهل السنة والجماعة للكسب على ما دلت عليه الآيات. وأما الآخرون من الفرق الجبرية والقدرية، ففسروا الكسب بتفسيرات أخر، أما القدرية فإنهم قالوا: الكسب هو خلق العبد لفعله؛ لأنه يوافق لمعتقدهم في ذلك. والجبرية الذي هم الأشاعرة في هذا الباب، فأخرجوا الكسب مصطلحاً جديداً غير ما دل عليه الكتاب والسنة، وقد ذكرته لكم عدة مرات، في أن الكسب عندهم هو: اقتران الفعل بفعل الله –جل وعلا–. اقتران ما يحدثه العبد بفعل الله –جل وعلا–. فعندهم إن الفعل حقيقة هو: فعل الله والعبد حصل له العمل، لكن النتيجة هي الكسب، فالعبد في الظاهر مفعول به، فالعبد في الظاهر مختار، العبد في الظاهر يعمل، العبد في الظاهر

يحصل ما يريد، لكنه في الباطن مفعول به. والكسب هذا عندهم مما اختلفوا فيه على أقوال كثيرة جدًا، وليس تحتها حاصل. المقصود من الكلام أن الكسب عندهم عند الجبرية عند الأشاعرة ما يفسر بتفسير صحيح وهو من الألفاظ المبتدعة التي ضلوا بسببها في باب القدر، أحدثها الأشعري ولم يفسره بتفسير صحيح، وأصحابه ايضًا لم يفسروه بتفسير صحيح إلا بدعوى الاقتران. إذا تبين هذا، فإذًا حقيقة الكسب الذي أثبته الطحاوي هنا بقوله: (خلق الله وكسب من العباد). نحمله على قول أهل السنة والجماعة، مع أنه يمكن أن يحمل على قول الأشاعرة والماتريدية في ذلك، والأولى أن يحمل على الأصل وهو ما يوافق السنة، ما يوافق القرآن والسنة؛ لأنه هو في جل عقيدته يوافق طريقة أهل السنة والحديث. كان بودي أن أذكر تفصيل أكثر، لكن على كل حال لها إن شاء الله موضع آخر أو مناسبة أخرى. نكتفي بهذا القدر، الجملة هذه ما عطيناها حقها اللي هي: (خلق الله). المفروض أن نتكلم عن ردود على المعتزلة في قولهم: بأن العبد يخلق فعل نفسه. ونبطل مسألة الظلم والعدل والقياس في الأفعال، ونتكلم عن الكسب عند الأشعرية بتفصيل أكثر، لأني سبق أن أوضحته لكم أكثر من هذا في "الواسطية" صحيح؟ لكن على كل حال بعض العلم يخدم بعضًا. نكتفي بهذا القدر، وهذا الدرس يكون آخر الدروس في هذا الفصل. ونلتقي بكم إن شاء في ما نستقبل من الأيام، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الشريط السادس والأربعون (أ) ٨/٦/١٤٢٠هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أسأل الله –جل وعلا– لي ولكم العلم النافع والعمل

الصالح، وأن يجعلنا ممن اختارهم لطاعته، وثبتهم على ذلك إنه جواد كريم. اللهم إنا نعوذ بك أن نَضِل أو نُضَل، أو نزِل أو نُزَل، أو نَجهل أو يُجهل علينا، أو نَظلم أو نُظلم، اللهم فأجب يا كريم. ثم إننا سبق الكلام فيما مضى على مسائل جليلة من مسائل الإيمان بقضاء الله –جل وعلا– وبقدره؛ لأن الإيمان بالقدر خيره وشره من الله –تعالى– ركن من أركان الإيمان، وقد جاء في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، ما يبين هذا الأصل العظيم، وهذا الركن الجليل في ما يجب الإيمان به، ويكون حداً لركن الإيمان، وفيما يجب الإيمان به لمن بلغه الحجة في ذلك. وأما ما جاء عن رسول الله ﷺ في قوله: ((وإذا ذكر القدر فأمسكوا)) فمعناه أمسكوا عما لم توقفوا وتوقفوا فيه على علم. يعني يخوض المرء بعقله أو باستحسانه أو باستنتاجه، أما إذا بحث المسائل الشرعية، والتي من أجلها القدر على نحو ما جاء في النصوص دون اعتراض، ودون خوضٍ في العقليات؛ لأنه أمر غيبي وهو سر الله –جل وعلا– في خلقه، فإن هذا من العلم الواجب أو المستحب. ولهذا يذكر أكثر العلماء في كتبهم في السنة والعقيدة، يذكرون تفاصيل تتعلق بالإيمان بقدر الله –جل وعلا–، وهذه التفاصيل التي يذكرونها على قسمين:

القسم الأول: ما يتصل بما جاء في النصوص الشرعية من ذكر معنى الإيمان بالقدر والقضاء من الله –جل وعلا–، وفي مراتب القدر ومعنى الهداية ومعنى التوفيق ونحو ذلك مما جاءت به النصوص.

والقسم الثاني: أنهم يذكرون مسائل خالفت فيها الفرق الضالة من الخوارج والمرجئة والجبرية والقدرية، سواء كانوا القدرية النفاة أو القدرية المعتزلة، أو الجبرية الأوائل أو الجبرية المتوسطة، ونحو ذلك من المسائل يذكرون بعض المباحث المتعلقة بالأصول التي خالفوا فيها، وأيضًا الألفاظ الشرعية التي تناولوها على غير ما هو معلوم من معناها في نصوص الكتاب

والسنة. وذلك أن القدر مسلك شائك، فواجبٌ على من تكلم فيه أو درسه أن يستحضر جميع ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وأن يلتزم بما جاء فيها وأن يرد المتشابه إلى المحكم من ذلك، بأنه أمر غيبي عظيم ومسلكه وعرٌ شديد، إلا لمن وفقه الله –جل وعلا– ولا غرابة أن النبي ﷺ خرج مرة على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان ﷺ ، لأن وجهه كان أبيضًا مشرباً بحمرة وزادت هذه الحمرة وعلت من الفزع والغضب ﷺ، وذلك لأن هذه المسائل لا يخاض فيها إلا بعلم، وقد مر معنا في الدروس السابقة مسائل جليلة من مسائل القدر شرحاً لما أورده العلامة أبوجعفر الطحاوي في عقيدته المختصرة التي نشرحها، وبقي بعض المسائل نعرضها هذه الليلة إن شاء الله تعالى. لكن تنتبهون إلى أن الأصل في هذا هو متابعة النصوص أولاً، والفقه فيما دل عليه الكتاب والسنة مما ذكره الله – جل وعلا أو ذكره رسوله ﷺ في مسائل

القدر، ثم معرفة ما قرره أئمة الإسلام الذين استقرءوا النصوص من أولها إلى آخرها، وقرروا ما جاء في الكتاب والسنة ملتزمين في ذلك بهدي الصحابة في هذه المسائل العظيمة التي يجب فيها الاقتصاد وعدم التجاوز لما دل عليه الدليل، لا بخوضٍ في العقليات، ولا بتجاوز للنقليات.

المتن :

ولم يكلفهم الله –تعالى– إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله. نقول: لا حيلة لأحدٍ، ولا حركة لأحدٍ ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله. وكل شيء يجري بمشيئة الله –تعالى– وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا، تقدس عن كل سوء وحيف، وتنزه عن كل عيب وشين (لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) .

الشرح :

بارك الله فيك قال –رحمه الله تعالى–: (ولم يكلفهم الله –تعالى– إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم) يعني العباد المكلفين؛ لأنه لما ذكر أفعال العباد، وأنها خلق الله وكسب من العباد، ذكر هذه المسألة وهي، أنه –جل وعلا– لم يكلفهم إلا ما يطيقون قال: (ولا يطيقون إلا ما كلفهم. وهو تفسير لا حول ولا قوى إلا بالله...) إلى آخره. يريد بهذا الكلام أن يرد على طائفة ممن يقولون: إن الله –جل وعلا– كلف العباد بما فوق طاقتهم، وأن بعض الأوامر أو النواهي فوق طاقة العبد. ويرد على طائفة أخرى يقولون: إن العباد لم يكونوا ليقدروا على أكثر مما أمرهم الله –جل وعلا– به. وهذا معنى كلامه هنا، وسيأتي ما فيه من الصواب والخلل في المسائل إن شاء الله تعالى. والذي دلت عليه النصوص أن الرب –ﷻ– رحيم بعباده يسر لهم، وما

جعل عليهم في الدين من حرج، ولم يكلفهم فوق ما يستطيعون، والآيات في هذا الباب كثيرة، كقوله –جل وعلا– ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ وكقوله –جل وعلا–: ﴿ **رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ﴾ وكقوله: ﴿ **فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ ، وكقوله: –جل وعلا–: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ وكقوله –جل وعلا–: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ . وكقوله ﷺ: ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة))، وكقوله: ((لن يشاد الدين أحد إلا غلبه)) وكقوله في الحديث الحسن: ((إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرض انقطع ولا ظهراً أبقى))، ونحو ذلك من الأحاديث التي فيها صفة الله –جل وعلا– في تحريمه الظلم على نفسه، وإقامته للعدل في ملكوته وفي أمره ونهيه. وفي هذه الجملة مسائل:

المسألة الأول: قوله: (لم يكلفهم) ، التكليف جاء في نصوص الكتاب والسنة، كقوله: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ ويصح أن يقال على هذا عن العبادات الشرعية: أنها تكليف. لأجل هذه الآية فالأوامر والنواحي فيما يجب الإيمان به، وفيما يجب عمله ويجب تركه، ونحو ذلك هذا تكليف، ومعنى التكليف: أن الامتثال له يحتاج إلى كلفة لمضادته أصل الطبع في استرسال النفس مع هواها. ولهذا كان المؤمنون قليلين ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ فالتكليف سائغٌ أن يقال عنه:: التكاليف الشرعية. يعني عن الأوامر الشرعية أنها تكاليف، لا بمعنى أنها فوق الطاقة، أو أنها غير مرغوب فيها، لكن تمشيًا مع قول الله –جل وعلا–: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ يعني أن ما تسعه النفوس، وما يمكنها أن تعمله فإن الله –جل وعلا– كلفها به.

المسألة الثانية: قوله: (إلا ما يطيقون) الطاقة هنا بمعنى الوسع والتمكن. يعني ما يمكن أن يفعله وما يسعه أن يفعله من جهة قدرته على

ذلك. فيكون معنى الكلام أن الرب –جل وعلا–لا يطلب من الإنسان لا يطلب من الناس، بل من الجن والإنس، من المكلفين لا يطلب منهم شيئاً فوق وسعهم، بل إن بعض الأوامر والنواهي قد تكون في حق البعض خارجاً عن الوسع فتسقط في حقهم لقوله: ﴿ **فَاتَّقُواْ اللَّـهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ ، وقوله: ﴿ **لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ** ﴾ فبعض التكاليف، بعض الأوامر تكون في حق بعضٍ في الوسع والطاقة، وفي حق بعض خارج عن الوسع والطاقة فتسقط عن بعض، وتجب على بعضٍ، فيكون إذًا عدم تكليف ما لا يطاق فيه التفصيل، بأنه جل وعلا لا يكلف الفرد المؤمن فوق طاقته، وهذا يعني أن إطلاق الكلمة، لا يكلف الله جل وعلا بما لا يطاق، يعني في جهتين، الجهة الأولى في أصل التشريع، فهو جل وعلا الأعلم بخلقه، والجهة الثانية في التشريع المتوجه إلى الفرد بعينه، فإنه جل وعلا لا يكلف المسلم المعين بما لا يطيق، وقد يكون ما لا يطيقه فلان يطيقه الآخر.

المسألة الثالثة: قوله (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) هذه العبارة أدخلها هنا؛ لأجل تتمة الكلام السابق، في أن العبد لا يطيق أكثر مما أمر به، وهو أراد بذلك أن الأصل في الإنسان التعبد، وأنه عَبَد الله جل وعلا وأن الملائكة لما كانت تطيق كذا وكذا من الأعمال والعبادات، جعلهم الله جل وعلا يقومون بذلك أمراً لا اختياراً والإنسان بحكم أنه عبد لله جل وعلا ومربوب ومكلف، فإنه يجب عليه أن يمضي عمره وجميع وقته في طاعة الله جل وعلا فنظر إلى هذا وقال يعني نظر إلى جانب العبودية وقال: إن العباد لا يطيقون إلا ما كلفهم ويعني به التشريع وجملة الشريعة في أن الناس لا يطيقون أكثر من هذا في التعبد، وكأنه نظر إلى قصة فرض الصلاة أيضاً، وما جاء من التردد، أو الحديث بين موسى –عليه السلام– وبين النبي ﷺ حتى خففت إلى خمس صلوات،

وكأنه نظر أيضاً إلى جهة ثالثة، وهي أن لا يطيقون هنا بمعنى أنه -ﷻ- لم يجعل عليهم شيئاً في فعله بالنسبة لهم تكليف فوق ما كلفوا، يعني أن نفس التشريع هو موافق لما كلفوا به، من جهة الأصل العام فيتسق جهة الفرد مع جهة التشريع، ويدخل في ذلك حينئذٍ معنى التوفيق، وهذا التوجيه الذي ذكرته لك من باب حمل كلام الطحاوي -رحمه الله- على موافقة كلام أهل السنة والقرب من كلامهم، وإلا ففي الحقيقة فإن الكلام هذا مشكل، وقد رد عليه جمع من العلماء ومن الشراح، ولهذا نقول: إن هذا التخريج الذي ذكرناه وهذا التوجيه من باب إحسان الظن وتوجيه كلام العلماء بما يتفق مع الأصول، لا بما يخالفها، ما وجد إلى ذلك سبيل، وإلا فإن العبارة ليست بصحيحة، وهي موافقة لبعض كلام أهل البدع من القدرية، ونحوهم في أن العبد لا يسعه ولا يقدر إلا على ما كلف به، وأكثر من ذلك لا يستطيع، وأنه لا يطيق إلا ما كلف ولو كلف بأكثر لما استطاع، وهذا بالنظر منهم إلى أن الاستطاعة تكون مع الفعل ولا يدخلون سلامة الآلات وما يكون قبل الفعل في ذلك كما فصلنا لكم فيما سبق ولهذا نقول: إن الأولى، بل الصواب أن لا تستعمل هذه الكلمة؛ لأنها مخالفة لما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، في أن الله جل وعلا خفف عن العباد، فانظر مثلاً إلى الصيام في السفر فإنه لو كلف به العباد لأطاقوه، ولكن فيه مشقة شديدة، يسر الله جل وعلا وخفف فقال جل وعلا : ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ وكذلك مسألة التيمم، والتخفيفات الشرعية من قصر الصلاة ونحو ذلك قد قال جل وعلا : ﴿ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ والنبي ﷺ قصر في الخوف وقصر في الأمن، معلوم أن قصر الصلاة في الأمن، كونه يصلي ركعتين لو كلف فرضاً بأن يصلي أربع ركعات، كل صلاة في وقتها كما في الحضر لكان في وسعه أن يعمل، وفي

طاقته أن يعمل، لكنه فيه مشقة عليه، لهذا خفف عنه وهو يطيق أكثر من قصر الصلاة، يطيق لو صلى كل صلاة في وقتها أربع ركعات، لكن فيه مشقة، ولهذا النصوص الكثيرة التي في تخفيف العبادة، وفي الرخص وفي التيسير كلها ترد هذه الجملة من كلامه، بل العبد في بعض الأحكام يطيق أكثر مما كلفه ((صلي قائماً فإن لم تستطع فقاعداً)) عدم الاستطاعة هنا لا تعني أنه إذا قام يسقط، وإلا يكون مستطيعاً بل إذا كان يخشى عليه أن يزداد في مرضه أو يتعب أو قيامه يذهب بخشوعه، فإنه لأجل ما معه من المرض وعدم الاستطاعة النسبية فإنه يجلس، وهكذا فإذاً هذه الجملة، ولا يطيقون إلا ما كلفهم ظاهرها غير صحيح، وإن كان إحسان الظن بالمؤلف –رحمه الله– يمكن معه أن تحمل بتكلف على محملٍ صحيح. قال بعدها: وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي هذه الجملة إلى آخرها، يعني في تفسير الكلمة، مسائل:

المسألة الأولى: كلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) من أعظم الأذكار التي فيها الإقرار بربوبية الله جل وعلا وبألوهيته وبأسمائه وصفاته، وفيها الإقرار بتخلي العبد عن كل حول له وقوة ورؤية لما عنده من الآلات والقُدر إلى ما عند الله جل وعلا وحده، ففيها الفرار من الله –جل وعلا– إليه وحده – ﷻ– وفيها التخلي من رؤية النفس التي أوجبت الهلكة في الدنيا والآخرة على طائفة من الخلق، فمعنى لا حول ولا قوة، لا: نافية للجنس، يعني جنس الحول وهو إمكان التحول من حال إلى حال حتى رفع الكأس إلى فيك، وحتى حركة ثوبك، وحركة عمامتك، وحتى حركة عينيك فإن هذا التحول من حال إلى حال في أي شيء تفعله، فإنك تنفي جنسه وتنفي القدرة على هذا التحول إلا أن يكون بالله جل جلاله، وهذا فيه التبرؤ من الحول والقوة، وأنه لا يمكنك أن تتخلى عن الله –جل وعلا– طرفة عين، حتى في طرف عينك وفي حركة

لسانك وفي حركة أنفاسك، فإنه لا تغير من حال إلى حال ولا قدرة لك على تحول شأن من شؤونك مهما قلّ إلا بالله –جل وعلا– ولا قوة يعني أيضاً لا نافية للجنس، يعني أنك تنفي جنس القوة التي بها توجد الأشياء، والتي بها تحصل الأمور تنفي جنسها أن تكون حاصلة لك، استقلالاً أو حاصلة لك في إحداث الأشياء، وهذا منفي إلا أن تكون بالله –جل وعلا– وهذا حقيقة توحيد الربوبية لله –جل وعلا–، فإن الإيقان بأن الله –جل وعلا– هو المدبر للأمر ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ** ﴾ وأنه –جل وعلا– عنده مفاتح الغيب﴿ **وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ وأنه –جل وعلا– الذي يجير ولا يجار عليه، وأنه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وأنه ما تسقط من ورقة، وأنه ما من شجرة ولا هبوب ريح ولا تحرك في وليد، ولا في جنين ولا في دم في العروق، ولا في حركة حيوان صغر أم كبر، وأن ذلك كله بتدبير الله –جل وعلا–، وأن كلماته الكونية –جل وعلا– وسعت كل شيء كما قال –جل وعلا– في آخر سورة الكهف:﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾ يعني الكلمات الكونية لكثرة أوامره –جل وعلا– الكونية فيما يحدث في أحوال العباد، فتنظر إلى توحيد الربوبية وتعلم أنك لا فعل لك ولا حول في أي شيء، ولا قوة إلا بالكريم جل جلاله، ومن أعظم ذلك الذي تتبرأ فيه من الحول والقوة الهداية وصلاح النفس وصلاح الظاهر وصلاح الباطن، فإنه لا يمكن لعبدٍ يرى نفسه أنه يفعل ويفعل، وأنه يقدر أن يوفق أبداً، بل لا يوفق إلا من تبرأ من الحول والقوة في شأن التكليف وفي شأن الهداية، ومن يهدي الله فهو المهتدي، –ﷻ– وفيها توحيد الألوهية، أيضاً في أنه إذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن المرء والمخلوق لا يمكن له أن يفعل إلا بالله وحده دونما

سواه، فلماذا يتعلق إذاً بغير الله من الآلهة والأنداد والأموات والأولياء، والقوى المختلفة في حال البشرية، القوى المادية أو غيرها، لماذا يتعلق قلبه بهذه الأشياء؟ فإنما يكون إذاً تعلق القلب بمن يملك الانتقال والنقلة من حال إلى حال، ومن يملك القوة، فإذاً تتوجه القلوب في الدعاء ويتوجه المرء في عباداته إلى الله –جل وعلا– وحده، ويعلم أن من توجه إليه الخلق بالعبادة، وألّهوه من دون الله –جل وعلا– هم كما وصفهم الله –جل وعلا– بقوله:﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ *وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنصُرُونَ**﴾ وقال –جل وعلا– في وصفهم يعني في وصف الآلهة:﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾ وفي قوله –جل وعلا– : ﴿**قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**﴾ فالآلهة المختلفة محتاجة ذليلة إلى الرب جل جلاله، لا تملك لأنفسها شيئاً من الضر ولا النفع فإذاً وجب التوجه إلى الله –جل وعلا– الثالث في هذه الكلمة العظيمة فيها توحيد الأسماء والصفات عن طريق التضمن واللزوم؛ لأن وصف الله –جل وعلا– هنا بأنه القوي القدير جل جلاله، يتضمن إثبات صفات الكمال التي تقتضي أنه لا انتقال من حال إلى حال إلا به، فهل ينتقل المرء من حال إلى حال إلا برحمته؟ هل يستقيم في حياته إلا بهدايته؟ هل يستقيم في أموره إلا بقدرته –جل وعلا– وبرحمته وبعفوه وبمغفرته وبعدله... إلى آخر الصفات؟ فإذاً هذه الكلمة متضمنة ويلزم أيضاً من إثباتها إثبات أنواع من الأسماء والصفات، للرب جل جلاله، فهي كلمة عظيمة جليلة، لذلك كانت من أعظم الكلمات التي هي غراس الجنة، ووسيلة إلى الرب جل جلاله،

قال المؤلف –رحمه الله– في تفسيرها، نقول: لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله، إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها، إلا بتوفيق الله، فتلحظ هنا من هذا التفسير أنه خص من معنى هذه الكلمة خص الانتقال من المعصية إلى الطاعة والتوفيق للطاعات، وهذا هو الذي يناسب المقام في ذكر القدر؛ لأن المخالفين في القدر، –أعني القدرية– ظنوا أن المرء هو الذي يحصل الطاعة بنفسه، وأن الله –جل وعلا– أعطاه الأسباب إلى آخره، فهو القادر على تحصيل الطاعة والهداية، لكنه لم يفعل ذلك، وهذا خلاف ما دلت عليه هذه الكلمة، فضلاً عن مخالفته لأصولٍ كثيرة. وتحت هذا التفسير مسائل:

المسألة الأولى: أن تحول المرء عن المعصية إلى الطاعة، والقوة على الطاعة لا يكون إلا بتوفيق الله –جل وعلا–، والتوفيق لفظ شرعي جاء في النصوص كما في قوله –جل وعلا–: ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ ويقابله الخذلان، والتوفيق والخذلان متصلان بالقدر اتصالاً وثيقاً، ولأجل ذلك فسرت كل فرقة من الفرق الضالة التوفيق والخذلان بما عندها من الاعتقاد في القدر، فالمعتزلة والقدرية يفسرون التوفيق والخذلان بما يوافق عقيدتهم، والجبرية والأشاعرة والماتريدية ومن شابههم يفسرون التوفيق والخذلان بما يناسب عقيدتهم، وأهل السنة يفسرونه بما يوافق ما دل عليه القرآن والسنة ويوافق العقيدة السلفية التي كان عليها هدي السلف الصالح.

المسألة الثانية: معنى التوفيق والخذلان عند أهل السنة، التوفيق الذي ذكره هنا يقول: لا تحول لأحد إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على طاعة الله إلا بتوفيق الله، التوفيق هو: إعانة خاصة من الله –جل وعلا– للعبد بها يضعف أثر النفس والشيطان وتقوى الرغبة في الطاعة، وإلا فالعبد لو وكل إلى نفسه لغلبته نفسه الأمارة بالسوء والشيطان، وهذا يحس به المرء من نفسه، فإنه يرى

أن هناك قدراً زائداً من الإعانة على الخير زائد على اختياره، فهو يختار ويتوجه، لكن يحس أن هناك مدداً مده الله -جل وعلا- به يقويه على الخير فيما يتجه إليه من الخير، وهذا ليس لنفسه وليس من قدرته وقوته، ولكن هذه إعانة خاصة، ولهذا إن العبد المؤمن يرى أنه لا شيء من الطاعات حصلها إلا والله -جل وعلا- وفقه إليها يعني منحه إعانة على تحصيلها وعدم الاستسلام للنفس وللشيطان، فالتوفيق فيه معنى الهداية والإعانة الخاصة ويقابله الخذلان وهو: سلب العبد الإعانة التي تقويه على نفسه والشيطان، نعوذ بالله من الخذلان، يعني نعوذ بالله من أن نسلب الإعانة على أنفسنا وعلى كيد الشيطان، وأما تفسير التوفيق والخذلان عند الأشاعرة ويحسن التنبيه عليه؛ لأن أكثر ما تجد في كتب التفسير وكتب شروح الأحاديث وخاصة تفسير "القرطبي" وتفسير "أبي السعود" و "الرازي" وأشباه هذه التفاسير وشروح الأحاديث كشروح "النووي" و "القاضي عياض" و "ابن العربي" ونحو ذلك من شروح الأحاديث فإن أكثر ما تجد تفسير التوفيق والخذلان، هو تفسيره عند الأشاعرة. لهذا ينبغي العناية بهذا الموطن لصلته بالقدر، عندهم التوفيق: خلق القدرة على الطاعة يعني جعلوا التوفيق هو القدرة، والخذلان هو: عدم خلق القدرة على الطاعة يعني إقدار الله -جل وعلا- العبد على الطاعة، هذا توفيق وعدم إقدار الله -جل وعلا- العبد على الطاعة، هذا خذلان وهذا كما هو ظاهر لك فيه خلل كبير؛ لأنه جعل التوفيق إقداراً، وجعل الخذلان سلباً للقدرة، وهذا فيه نوع قوة لاحتجاج المعتزلة على الجبرية في معنى التوفيق والخذلان، تفسير أهل السنة وسط في أن التوفيق زائد على الإقدار، فالله -جل وعلا- أقدر العبد على الطاعة، بمعنى جعل له سبيلاً إلى فعلها وأعطاه الآلات وأعطاه القوى ليفعل، ولكن لن يفعل هو إلا بإعانة خاصة؛ لأن نفسه الأمارة بالسوء تحضه على عدم الفعل، وعدم العبادة وهذا يلحظه كل مسلم

من نفسه، فإنه يريد أن يتوجه إلى الصلاة ويأتيه نوع تثاقل، يريد أن يقوم بنوع من العلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويصيب نفسه نوع من التثاقل، وهذا من الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء، فإذا منحه الله التوفيق وإعانة على أن يتعبد، أعانه على أن يقول ما يقول بموافقة للشرع، فهذا توفيق وإعانة خاصة يمنحها الله -جل وعلا- من يشاء من عباده.

المسألة الثالثة والأخيرة: أن معرفة العبد المؤمن بحقيقة هذه الكلمة ومعنى توفيق الله -جل وعلا- ومعنى الخذلان يوجب له أن ينطرح دائماً بين يدي ربه -جل وعلا-، متبرئ من نفسه ومن حولها وقوتها، ومن أن لا يكله الله إلى نفسه طرفة عين، ولهذا قال ﷺ ((ربي لا تكلني لنفسي طرفة عين)) يعني حتى في تحريك العين وفي طرفها لا تكلني إلى نفسي، وهذا من عظم معرفته ﷺ بربه فهو أعلم الخلق بالرب جل جلاله وأخشاهم له -جل وعلا- وأتقاهم ﷺ إلى يوم الدين، فلهذا إذا علمت معنى لا حول ولا قوة إلا بالله، ومعنى التوفيق ومعنى الخذلان، فإنه يجب عليك أن تستحضر ذلك في كل حال، واستحضارك ذلك ومجاهدة نفسك على طلب التوفيق من الله -جل وعلا- وعدم رؤية النفس وقوة النفس والرأي وما عندك من الأدوات والمال، وما عندك من الأسباب، فإن هذا من أسباب التوفيق، فلا يطلب التوفيق من الله -جل وعلا- بمثل الانطراح بين يدي الله -جل وعلا- في الحاجة إلى توفيقه -جل جلاله-، وإذا ظهر في العبد استغناء عن توفيق الله -جل وعلا- ورؤية ما عنده فإنه يخذل، ألم ترى إلى يوسف -عليه السلام- وهو الكريم ابن الكريم، وهو نبي الله -جل وعلا- ورسوله -عليه الصلاة والسلام- حين كان في السجن، وظهر له من السبب ما ظهر في تفسيره للرؤية ونجاة السجين من السجن بسبب تفسيره للرؤية ﴿ **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ** ﴾ قال -جل وعلا- ﴿ **فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ** ﴾

وهذا على أحد التفسيرين أن الشيطان أنسى يوسف -عليه السلام- ذكر الله -جل وعلا- في هذا الموطن والتعلق به -جل وعلا- وحده، لا نقصاً في مقام يوسف -عليه السلام-، ولكنه بيان لنوع من الرسالة التي تؤدى بأقوال الأنبياء وبأفعالهم -عليهم الصلاة والسلام- فالعبد إذا التفت إلى غير الله -جل وعلا- طرفة عين فإنه يوكل إلى نفسه ويخرج متضرراً، وهذا نبي الله -جل وعلا- محمد ﷺ لما أراد الهجرة أخذ بالأسباب التي تعين على تحقيق المراد، الأسباب المشروعة التي تعين على تحقيق المراد، ولم يرى ﷺ تلك الأسباب ولم تقم في قلبه بأنه يتكل عليها ﷺ ، وإنما فعلها لأنها مقتضية لحدوث مسبباتها في العادة، فأتي برجل من المشركين هادي خريت يعرف الطرق ليسير به ﷺ بطريقٍ آخر في الهجرة حتى لا يعلم المشركون طريقه، وأيضاً أمر أسماء وأمر راعي الغنم أن يمر بالغنم على مسيرهم حتى لا يروا الأقدام، فكل الأسباب بذلت ولكنها لم تنفع حتى قام المشركون على رأس الغار على ظهر الجبل، والنبي ﷺ في الغار وأبوبكر -رضي الله عنه- يقول لنبيه ﷺ : "يا رسول الله لو أبصر أحدهم موقع قدمه لرآنا، فقال له ﷺ: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟

الشريط السادس والأربعون وجه (ب)

حركة عين المشرك من أن يرى،كانوا يرون ما أمامهم جهة الساحل، حركة العين إلى أن ترى الأسفل ترى موضع القدم فيبصرون الغار ويبصرون النبي ﷺ وصاحبه، هذه لا حيلة للنبي ﷺ بها ولا حيلة لأبي بكر بها، ولا تنفع فيها الأسباب التي فعلت، لكن بقي توفيق الله -جل وعلا- وعونه وحقيقة التوكل عليه -جل وعلا- لهذا أعظم في كل شأن من شؤونك وخاصة الهداية والتوفيق للصالحات وطلب العلم النافع، والتوفيق للسنة والالتزام بها وملازمة هدي السلف الصالح، ومجانبة طريق المخالفين للسنة، والمخالفين لهدي

السلف وهدي العلماء دائماً الجأ إلى ربك في تحصيله فما طلب من الله –جل وعلا– شيء بوسيلة أعظم من وسيلة التبرؤ من الحول والقوة، أسأل الله –جل وعلا– أن يفيض علينا من معرفته والعلم به وما به تزدلف إلى رضاه، ونبتعد عما يسخط ويأبى إنه سبحانه جواد كريم. قال بعد ذلك: (وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً، تقدس عن كل سوء وحين، وتنزه عن كل عيب وشين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) يريد – رحمه الله– بهذا أن يقرر معتقد أهل السنة والجماعة، أنه ما من شيء يحدث إلا وهو بمشيئة الله وعلمه وقضائه –جل وعلا– وقدره، وأن الأمور لا تستأنف، لا يعلمها الله –جل وعلا– إلا بعد وقوعها ـ كلا وحاشا ـ وإنما تقع على وفق تقدير الله –جل وعلا– لها في الأزل، يعني علمه –جل وعلا– بها وكتابته –جل وعلا– لها في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وأنه –سبحانه– ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وفي هذه الجملة فيها ذكر مراتب الإيمان بالقدر المعروفة: المرتبة الأولى: ذكرها في قوله: العلم، والمرتبة الثانية: ذكرها في قوله: القدر، وهو الكتابة، والمرتبة الثالثة: ذكرها في قوله: بمشيئة الله تعالى، غلبت مشيئته المشيئات كلها، والمرتبة الأخيرة ذكرها في قوله فيما سبق: وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد، فهو لم ينص على مراتب القدر المعروفة وهي مفرقة في هذا الكلام وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: تفصيل الكلام على مراتب القدر، هنا لم ينص عليه والشارح أيضاً لم يتعرض له في هذا الموطن، وتفصيله أن القدر، والإيمان بالقدر يشمل الإيمان بمرتبتين :

المرتبة الأولى : سابقة لوقوع الواقعة، أو لوقوع المقدر وهذا الإيمان السابق يشمل الإيمان بعلم الله -جل وعلا- بالأشياء قبل وقوعها علماً كلياً، وعلماً جزئياً -يعني علماً منه -جل وعلا- بالكليات وبالجزئيات وعلمه -ﷻ- بهذه الأشياء أول، كصفاته -جل وعلا- ويشمل أيضاً الدرجة الثانية وهو الإيمان بكتابة الله -جل وعلا- للأشياء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما جاء في الحديث الذي في الصحيح ((قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)) قدر الله مقادير الخلائق يعني كتبها في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، أما مرتبة العلم فهي سابقة، فعلمه -جل وعلا- بالأشياء أول لا حدود له.

المرتبة الثانية: إيمان بالقدر إذا وقع المقدر، وهذا يشمل درجتين أيضاً، الأولى أن يعلم العبد، أن مشيئته في إحداث الأشياء هي تبع لمشيئة الله -جل وعلا- وأن مشيئة الله نافذة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال -جل وعلا- ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ وقال -جل وعلا-: ﴿ **مَن يَشَإِ اللَّـهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ وقال -جل وعلا-: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾ ووقوع المقدر أيضاً، ثم فيه درجة ثانية وهو أنه لا يقع شيء مما يقع إلا والله -جل وعلا- هو الذي قضاه، وهو الذي خلق هذا الفعل فالله -جل وعلا- هو الخالق لكل شيء، وفي ضمن ذلك حركات العبد وأفعال العباد، كما قال سبحانه: ﴿ **وَاللَّـهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ على نحو ما فصلنا في دلالة الآية، والقضاء والقدر لفظان أتيا في الكتاب والسنة، والعلماء تكلموا في معنى القضاء والقدر والصلة بين هذا وهذا، والتحقيق في ذلك أن القدر هو ما يسبق وقوع المقدر، فإذا وقع

المقدر صار قضاءً، قُضِيَ يعني انتهى، ومادة قضى في اللغة تدور حول هذا، فيقال: قضى القاضي بكذا، إذا أنفذ حكمه وانتهى وقال –جل وعلا– : ﴿ **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**﴾ يعني أنهاهن بخلقهن سبع سماوات. وقال –جل وعلا–:﴿ **فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ**﴾ يعني احكم بما تحكم به حتى يكون قضاء، وقال:﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ**﴾ فالقضاء يطلق بمعنى إنفاذ المقدر ، فإذا وقع المقدر سمي قضاءً، وهذا نعني به القضاء الكوني؛ لأن القضاء في النصوص يكون قضاءً كونيًا، ويكون قضاءً شرعيًا. أما القضاء الكوني فهو على نحو ما مر، وأما القضاء الشرعي فمعناه أَمرَ الله ووصى كقوله:﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ يعني أمر ربك ووصى أن لا تعبدوا إلا إياه. ويأتي القضاء في معنى ثالث، إذا عدي بحرف إلى، بمعنى أوحينا وأعلمنا، تقول: قضيت إليه أن يفعل كذا يعني أخبرته، أعلمته ولا يعني معنى الإنفاذ كما قال –جل وعلا–: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾ وكما في قوله –جل وعلا– في آخر سورة الحجر:﴿ **وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ**﴾ ﴿**وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ** ﴾ يعني أوحينا إليه ذلك الأمر، فهذا باب آخر غير الباب الذي نتكلم عنه.

المسألة الثانية: ذكر هنا الظلم، فقال: (يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا) . ولفظ الظلم من الألفاظ التي أدخلها هنا؛ لأن الفرق الضالة تكلمت فيها، فالمعتزلة لهم كلام في الظلم والجبرية لهم كلام في الظلم، وأهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح وسط بين الفئتين. فالظلم عند المعتزلة في حق الله –جل وعلا– هو الظلم في حق الإنسان، فما يفعله الإنسان ويكون ظلمًا منه إذا نسب إلى الله –جل وعلا– فإنه ظلم، فقاسوا الظلم الذي يضاف إلى الله –جل وعلا– بالظلم الذي يقع من الإنسان، فعندهم الظلم واحد سواء أكان

في المخلوق، أم في الخالق ضابطه واحد وتعريفه واحد، وما ينزه الله –جل وعلا– عنه من الظلم هو ما لا يليق بالإنسان أن يفعله. وأما المتكلمون والأشاعرة ونحو هؤلاء، فإن الظلم عندهم هو الامتناع عن القدرة، وعندهم قدرة الرب –جل الله –متعلقة بما لا يشاؤه –سبحانه– في تعلقها الأزلي وفي تعلقها الصلوحي على حد كلماتهم، لا ينشغل ذهنك بها، فعندهم القدرة متعلقة بما يشاؤه –سبحانه–، فما لا يشاؤه غير مقدور، فمعنى ذلك الممتنع عن القدرة في تفسير الظلم هو الممتنع في حق الله –جل وعلا– عما لم يشأه –جل وعلا– فعند المتكلمين، أو الأحسن طائفة من المتكلمين؛ لأنها ليست موضع اتفاق عند المتكلمين، والأشاعرة ثم خلاف بينهم وإن كان قليلاً، عندهم الظلم أو الامتناع أو ما يمتنع أو ما هو ممتنع من القدرة، فما هو ممنوع ممتنع في قدرة الرب –جل وعلا– هو الذي لو فعله لكان ظلماً، لكن هذا كما ترى تحصيل حاصل، فإنه –جل وعلا– إذا كان لم يفعل فيكون عدم ظلمه في أنه –جل وعلا– لا يفعل الأشياء؛ لأنه لا يظلم أحدًا، فلو فعل شيئًا لا يدخل في قدرته بحسب كلامهم يكون ظلمًا وهذا تفسير لا حاصل تحته؛ لأن القدرة شيء والظلم شيء آخر. فالظلم إذًا في تفسيرهم –في تفسير طائفة من المتكلمين والأشاعرة ومن نحى نحوهم– يرجع إلى الممتنع في صفة القدرة لله –جل وعلا–، فرجع إلى أن الممتنع في مشيئة الله –جل وعلا– لو فعله لكان ظلمًا؛ لأن عندهم الأفعال أيضًا غير معللة وحكمة الله –جل وعلا– غير مرتبطة بالعلل والأسباب في بحث يطول ذكره هنا. وأما تفسير أهل السنة والجماعة والأئمة الذي دلت عليه النصوص، فهو أن الظلم هو وضع الأشياء في غير موضعها اللائق بها الموافق للحكمة منه –جل وعلا–. والظلم بالتالي يكون غير مرتبط بالقدرة وغير مقيس على أفعال الإنسان، بل هو –سبحانه– متنزه عن الظلم وقد حرمه على نفسه، وخذ مثالاً على ذلك يوضح المقام، مما

يتصل أيضًا بكلام المتكلمين والأشاعرة أن الظلم عندهم لا يكون، بل عند المعتزلة لا يكون إلا من مأمور ومنهي، يعني أن حقيقة الظلم تكون فقط ممن يؤمر وينهى ويريدون الآيات في ذلك، يقولون: الآيات كلها دالة على أن الظلم إنما يكون في حق من أمر فلم يفعل، ونهي ففعل، وهم المكلفون ولذلك ينفون عن الله –جل وعلا– حقيقة الظلم، لأجل أنه غير مأمور وغير منهي، ويردون الأحاديث التي فيها تحريم الظلم على الله –جل وعلا– ونحو ذلك. نقول نضرب مثالاً: على ذلك بحديثين.

أما الحديث الأول فقوله ﷺ فيما رواه مسلم في الصحيح حديث أبي ذر المعروف: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا))، وهذا يدل على أن الله حرم الظلم على نفسه، فلو كان الظلم على تفسير أولئك لا يقع إلا من مأمور ومنهي، فكيف يكون تحريمه على الله –جل وعلا– يكون تحريمه تحصيل حاصل، لا معنى له، ولو كان الظلم هو الامتناع عن القدرة لكان أيضًا إضافته إلى الله –جل وعلا– تحريم الظلم، ليس له معنى فإذًا تحريم الظلم، ((حرمت الظلم على نفسي))، يعني جعلت وضع الأشياء في غير موضعها الموافق للحكمة، جعلته محرمًا على نفسي، وحرمت عليكم أن تظالموا.

والحديث الثاني: وقوله ﷺ فيما رواه أبو داود وغيره وصححه بعض العلماء، قال ﷺ: ((لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالمٍ لهم))، الحديث. يعني أن أهل السماوات والأرض لو عذبهم الله – جل وعلا– لعذبهم وهو غير ظالم لهم. المعتزلة يردون هذه الأحاديث أصلاً، والأشاعرة يجوزون أن يعذب الله –جل وعلا– الناس من غير سبب؛ لأنهم لا حكمة عندهم ولا تعليلاً لأفعال الله يفعل ما يشار بدون علة وبدون سبب، ومنها أخذ صاحب السفارينية في قوله في منظومة السَفَّاريني أيش يقول:

وجائزٌ أن يعذب الورى من غير ما ظلمٍ ولا ذنبٍ جرى

يعني البيت، المهم يقول: جائز أن يعذب الورى، يعني الله –جل وعلا– من غير ما ذنبٍ ولا جرمٍ جرى. هذا الحديث أهل السنة لا يفسرونه بهذا ولا بهذا، بل يفسرونه بعظم معرفتهم لربهم –ﷻ– وخشيتهم له ومعرفتهم بحقوقه، فيقول أئمة أهل السنة: بأن العبد، بل أهل السماوات وأهل الأرض إنما قاموا برحمة الله –جل وعلا–، فما فيهم حركة ولا حياة ولا شأن إلا وفي كلٍّ منها فضل من الله –جل وعلا– ورحمة ونعمة أفاضها عليهم بها قامت حياتهم وبها استقاموا كما قال –جل وعلا– ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ فمن حقه –جل وعلا على هذا العبد المكلف الذي لا ترمش عينه إلا بنعمه ولا يأكل إلا بنعمه ولا يتعلم إلا بنعمه ولا يخطو خطوة إلا بنعمة ولا ينظر إلا بنعمة، ولا يسمع إلا بنعمة ولا يتكلم إلا بنعمة، ولا يفرح إلا بنعمة.. إلى آخر نعم الله –جل وعلا– التي لا تحصى ولا تعد، من حقه –جل وعلا– أن يقابل مع كل نعمة بشكر يقابل تلك النعمة، فإذًا سيمضي حياته في شكر الله –جل وعلا– على الصغير والكبير، فهل تسع حياته ذلك؟ بل هل تسع حياة المكلفين ذلك؟ لا تسع ذلك. ولهذا تأمل مع هذا قول الله –جل وعلا– لنبيه:﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ وتأمل قول النبي ﷺ لعائشة لما قام حتى ورمت قدماه ﷺ: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا))؟. ولن يبلغ جميع ما يستحق الله –جل وعلا– من الشكر بالعمل، بل لابد من الاستغفار والإنابة حتى يكمل شكر العبد لربه –جل وعلا–، وتأمل أيضًا ما علمه النبي ﷺ الصديق الذي هو أفضل هذه الأمة أن يقول في آخر صلاته: ((اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك)) كيف عبّر هنا بالظلم ((ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا))، لم؟ هل ظلم أبوبكر بارتكاب الكبائر؟ حاشا وكلا، هل ظلم بظلم العباد؟ حشا

وكلا، هل ظلم أبوبكر -رضي الله عنه- بالتقصير في حق رسول الله ﷺ، وفي الاستجابة لله ولرسوله؟ هذا الظلم الكثير؟ حاشا وكلا، ولكن ينظر العبد إلى ما يفاض عليه من النعم في كل لحظة، فيشعر بأنه مقصر، والله -جل وعلا- وصف القليل من الإعراض في حق العبد بأنه من الظلم، ووصف الكثير بأنه من الظلم، فلهذا يشعر المؤمن بأنه ظلم نفسه ظلماً كثيراً؛ لأنه لا يمكن أن يشكر حقيقة الشكر، فلو -جل وعلا- حاسب العباد حاسب أهل السماوات وأهل الأرض على حقيقة شكر ما أنعم الله به عليهم وأعظم ذلك أن جعلهم متصلين منه بسبب ومرفوعين إليه -جل وعلا- وأنهم من المنيبين وأنهم من المهتدين، لما قامت حيلة العبد، ولما قام إيمانه، ولما قام له شيء، ولكن ما ثم إلا رحمة الله -جل وعلا-، ((لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة))، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)). فإذًا ننظر إلى قوله: ((لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم لأن الشكر لن يكون في تمامه، فإذن هم لم يعدموا بل لن يكونوا إلا مقصرين، لن يكونوا إلا لم يوفوا مقام الشكر حقه، بل حتى التوبة والإنابة إذا العبد كمّل الشكر بتوبته وإنابته دائمًا واستغفاره، فإن قبول التوبة وحصول المغفرة وقبول الإنابة من العبد أليست هذه نعمة تستحق شكرًا مجددًا؟ فإذًا لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، فلا يبرح العبد أن يرى نعمة الله تفيض عليه في أمر دينه وفي أمر دنياه وليس ثم أمامه سبيل إلا أن يشعر بالتقصير، وهذا المؤمن الحق دائماً يقول محقرًا نفسه: عسى الله أن يتغمدنا برحمة منه وفضل. ولو كان يصوم النهار ويقوم الليل، وانظر إلى كلام أبي بكر -رضي الله عنه- في دعاءه فكيف حال المغرورين الجهلة والمذنبين من هذه الأمة الذين لا يرون أثرًا لذنوبهم ولا لإعراضهم، بل إذا فعلوا القليل منوا وأدلوا على الله -جل وعلا- به؟ وهذه

حال من لم يوفق. أسأل الله –جل وعلا– أن يوفقنا لما يحب ويرضى. هذا تفسير الظلم عند الطوائف المشهورة ، القدرية وهم المعتزلة والجبرية، وهم أصناف والمتكلمين وقول أهل السنة فيما بين هؤلاء وهؤلاء. نختم بهذا وهذه المسائل التي ذكرت مختصرة جدًا، وإلا فبحوث القدر كثيرة ولا نريد منكم أن تتوسعوا أكثر، إلا فيما شملته العقيدة الواسطية، وشملته العقيدة الطحاوية ففيهما بركة؛ لأن كثرة الخوض في القدر مُلْبِسَة، إلا بعلم راسخٍ في الكتاب والسنة في الختام أسأل الله –جل وعلا– لي ولكم التوفيق للصالحات، وأن يرحمنا برحمته وأن يوفقنا إلى طاعته، اللهم وفقنا إلى دعاءٍ تستجيبه لنا، وتقبل دعوة من دعا لنا بظهر الغيب، إنك جواد كريم، اللهم اشرح صدورنا لتمام الإيمان ولكمال الإسلام والإيمان إنك على كل شيء قدير، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد. وفي هذا القدر كفاية ونؤجل الأسئلة إن شاء الله إلى أول الدرس القادم بإذنه –تعالى– وفقكم الله دائماً.

الشريط السابع والأربعون وجه (أ) ١٥/٦/١٤٢٠هـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنعم بالصالحات، ويسر لسبل الخيرات، هو المحمود على كل حال، وهو المحمود على نعمه التي لا ينفك منها العبد في صباح ولا مساء، له الحمد كله كثيرًا كما ينعم كثيرًا، وله الشكر –جل وعلا– كثيرًا كما أنه يسدي ويتفضل كثيرًا، اللهم عاملنا بعفوك إنك سميع قريب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا، أما بعد فنذكر بعض الأسئلة مع الجواب عنها في فاتحة هذا الدرس. وأنبه على أن حسن السؤال سبب من أسباب حسن

الجواب، فإن من المسائل التي ترد والأسئلة ما يكون قد كتب على عجل وبعبارة غير جيدة، فيتعامل معه المجيب على ظاهره، أو على مقصد السائل. وهذا يفوت الجواب المرجو، فلهذا كلما كان السؤال جيدًا ومتأنًا فيه، وسؤال عما يهم العبد وما يهم طالب العلم، أو يهم المسلم بعامة وحرر السؤال وأجاد السؤال كان ذلك من أنفع الأسباب في إحسان الجواب. قد مرت علينا أسئلة كثيرة وأسمع أيضاً من الأسئلة التي ترد على العلماء والمشايخ ما لا يكون محرراً، أو واضحًا. وهذا مما يفوت نشاط المجيب للجواب على السؤال بتفصيل أو بما ينفع النفع الأكبر.

سؤال : قال السائل: منّ الله عليّ بالهداية –أسأل الله المزيد، آمين– كما منّ عليّ بحب العلم وأهله، وبدأت أطلب العلم منذ ثلاث سنوات تقريبًا وحفظت قرابة خمسة وعشرين جزءًا من القرآن وبعضاً من المتون، ولكني سريع الحفظ سريع النسيان، فأرجو منكم إرشادي إلى طريق يساعدني على رسوخ الحفظ وتثبيت العلم، وما هي أفضل طريقة لطلب العلم؟ وهل العبرة بكثرة حضور الدروس العلمية أم بقلتها؟ مع التفرغ للحفظ والقراءة... إلى آخره؟

الجواب : أولاً: أحمد الله –جل وعلا– على ما منّ به من هدايتنا جميعًا إلى صراطه المستقيم وسبيله القويم، فهذه نعمة عظيمة جلّ، تحتاج إلى حمد وسؤال للثبات دائمًا. قد كان نبينا ﷺ، وهو أعظم الخلق معرفة بربه وأتقاهم به –ﷻ–، كان كثيراً ما يدعو ((اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلوبنا إلى طاعتك)) ونحو ذلك من الأدعية. وأعظم النعم بعد الهداية، أن يمن على العبد بأن يتهم نفسه دائماً بالتقصير، وأنه محتاج أكمل حاجة إلى ربه –جل وعلا– وإلى هدايته، فهذا من أعظم النعم الدينية التي يمن بها الله –جل وعلا– على عبده. من

أعظم الأسباب في الثبات على الطاعة والثبات على الهداية، العناية بالعلم النافع من كتاب الله –جل وعلا– وسنة رسوله ﷺ. وأعظم العلوم علم التوحيد والعقيدة، ثم علم الفقه بالحلال والحرام، والجميع العقيدة والفقه يستقى من النصوص التي يحتج بها، وهي كتاب الله –ﷻ– وما ثبت من سنة النبي ﷺ، أو الإجماع الثابت المنقول عن الصحابة –رضوان الله عليهم–، أو نحو ذلك من الحجج المعروفة في بابها. فطلب العلم من أنفع الوسائل وهو من المجاهدة، فيدخل في عموم قوله: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ والله –جل وعلا– قرن شهادة أولى العلم بشهادته –جل وعلا– وشهادة ملائكته، له بالوحدانية في قوله:﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ فهذه تبين لك عظم معرفة أهل العلم بربهم –جل وعلا– وشهادتهم له بالوحدانية كذلك أهل العلم مرفوعون درجات﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ وإذا ارتفع أهل العلم درجات هذا أعظم من الثبات على الهداية. فهذا ثبات وزيادة، بفتح أبوابٍ متنوعة من أنواع الطاعة والهداية إلى ما يحب الله –جل وعلا– ورضا أيضًا ما طلب النبي ﷺ أن يزداد من شيء إلا مما أمره ربه –جل وعلا– وهو أن يزداد من العلم، فقال:﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ وازدياد العلم هو زيادة الإيمان، هو زيادة حب الله –جل وعلا– ورسوله هكذا. فإذًا العلم النافع هو هذا الذي ذكرنا وهو الذي يندرج تحت كل ما بعث الله –جل وعلا– به رسوله ﷺ، كما جاء في حديث أبي الدرداء ((مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا...)) إلى آخره. فإذا تحصل العبد على هذا وأقبل على العلم، فإن الناس في استعداداتهم للعلم مختلفون، منهم من استعداده قوي في الحفظ والمدارسة والرغبة، منهم من عنده الوقت لكي يطلب العلم، ومنهم من هو مشغول لكن ينبغي للجميع أن يعتنوا بالعلم الذي لا يسعهم جهله؛ لأن

العلم درجات العلم أبوابه واسعة كثيرة، لا يمكن لأحد أن يحصل جميع أطراف العلم، ولكن يدخل فيه برفق ويأخذ ما يحتاجه في دينه، فمن الناس من يحتاج إلى الأصول العظيمة في التوحيد، وهذا هو عامة كل الناس؛ لأن هذا واجب وهو مما لا يسعه جهله بتوحيد الله –جل وعلا– ومعنى الشهادتين، وتحقيق أنواع التوحيد له –ﷻ–، ومعرفة معنى السنة والبدعة ونحو ذلك، من الأصول العامة، وهي المبنية في مثل كتاب ثلاثة الأصول لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– ونحو هذه الرسالة من الرسائل المشابهة. ثم يأخذ من الفقه ما لا يسعه جهله، مثل كيف يتطهر، كيف يصلي، كيف يتوضأ، كيف يمسح للصلاة، صلاة الحضر، صلاة السفر، يعرف ذلك بما يفتح الله – جل وعلا– عليه من معرفة أدلة ذلك، وهذا من أنفع ما ييسر له العبد، كذلك في أحكام الزكاة والصيام ونحو ذلك. فإذا هدي إلى ذلك فقد أتى بالعلم الذي يجب على كل مسلم أن يتعلمه لمعرفة دينه فيما يحتاجه في صحة قلبه بالعقيدة الصحيحة، وفي صحة عباداته فيما يتعلق، وإذا أشكل عليه شيء من ذلك فإنه يسأل أهل العلم كما قال –سبحانه–: ﴿ **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ . ثم الناس بعد ذلك درجات، إذا فتح له أن يحفظ القرآن كاملاً أو يحفظ أكثر القرآن –كما ذكر السائل– ويحضر دروس أهل العلم، ويحفظ المتون، فهذه الناس فيها درجات، لكن الحفظ من المهمات، حفظ القرآن ثم يليه حفظ المتون التي تثبت؛ لأن الفهم عرض يطرأ أو يزول، الفهم يأتي ويذهب، لكن إذا حفظ وصاحب الحفظ فهم لما حفظ، فإن هذا من أسباب ثبات الفهم؛ لأنه يبقى معك المحفوظ ولو ذهب بعضه مع مرور الزمن، لكن يبقى كثير منه، أو يبقى أكثره بحسب استعدادات الناس. وقد جرّب طائفة ذلك في حفظ القرآن، حفظوه وأنعم الله –جل وعلا– به عليهم، لكنهم أساءوا فنسوا كثيرًا من القرآن، لكن بقيت معهم الأدلة وبقيت معهم الاستدلالات. ثم فيما

دون ذلك، منهم من حفظ الأربعين نووية، وحفظ البلوغ في عمره، وحفظ كتاب التوحيد، وحفظ ما حفظ ثم مع الزمن أتته المشاغل فربما نسي، لكن يبقى معه من ذلك ما يكون حجة له، وحجة معه فيما يحتاج إليه من المسائل. فلا يشترط في طالب العلم أنه إذا حفظ، لا ينسى هذا لا يمكن، والناس في الحفظ استعدادات ومواهب، منهم من يحفظ سريعًا ويثبت حفظه-وهم الندرة من الناس- ومنهم من يحفظ سريعًا وينسى سريعًا، ومنهم من يعسر عليه الحفظ ولكنه في المراجعة والتثبيت يسهل عليه حتى يكون قويًا في ذلك وهكذا. فإذًا المهم أن طالب العلم لا ييأس، فإذا كانت عنده موهبة في الحفظ، فيحفظ ويكرر ولو كان ينسى بادئ ذي بدء. والحفظ السريع -إذا لم يكن مع التكرار، تكرار كثير- فإنه ربما يكون مذهبًا لما حفظ، لهذا نقول إجابة على آخر ما جاء في السؤال: أن من أعظم الوسائل لتثبيت المحفوظ،

أولاً: أن يكون متقيًا لله -جل وعلا- غير مفرط في أوامره ونواهيه؛ لأن العلم نور والمحفوظ في القلب من النصوص، من الكتاب أو السنة، هذا من النور لأن الرسول نور والكتاب نور. فلهذا نور الله -جل وعلا- لا يثبت مع غفلة القلب، لا يثبت مع انشغال القلب بمعصية الله -جل وعلا- وعدم تعظيمه لأوامره، لهذا أعظم وسائل الحفظ أن يتقي الله -جل وعلا- بفعل أوامره، واجتناب نواهيه حسب الاستطاعة، وأن يكثر المرء فيما فرط من الاستغفار. قال -جل وعلا-:﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً** ﴾ قال بعض العلماء هنا: وأشد تثبيتًا، تثبيتًا لهم في العلم، وتثبيتًا لهم في العمل. في العلم يثبت بفعل ما توعظ به، والاستجابة لله -جل وعلا- ولرسوله ﷺ، وكذلك العمل يؤتاه العبد إذا عمل، وقد قال بعض أهل العلم: من عمل بالسنة أورثه الله عملاً بسنة أخرى، وكذلك من عمل سوءً فإنه يحجب عنه، أو قد يحجب عنه بعض العلم. والسنة في القلب والبدعة والشهوة،

والعمل الصالح يتدافعان، كما هو معلوم. وفي ذلك يقول وكيع للشافعي، وللشافعي –رحمه الله– هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي المعروف المولود سنة خمسين ومائة، والمتوفى سنة أربع ومائتين للهجرة –رحمه الله– رحمة واسعة، من الأئمة المشهورين، كان يعالج نفسه بالحفظ كثيرًا، فشكا إلى شيخه وكيع بن الجراح الرؤاسي العالم والإمام المعروف سوء حفظه، فأرشده إلى ترك الذنوب، وقال في ذلك الشافعي شعرًا:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: اعلم بأن العلم نورٌ ونور الله لا يؤتاه عاصي

لذلك كلما زاد النور في القلب، كلما ذهبت الظلمة، والمعصية ظلمة فإذا استقبل العبد الظلمة ورضي بها فإنه يذهب من النور بقدر ذلك، وهكذا حتى تتنوع القلوب في هذا.

الأمر الثاني: من أسباب الثبات على الحفظ وتيسير سبيل الحفظ، أن لا يقتصر المرء على الحفظ الأول، بل يجعل له في كل ما يحفظ ختمة، القرآن يجعل له ختمة، إذا حفظ عشرة أجزاء يبدأ من أوله، من أول ما حفظ إلى نهاية العشرة أجزاء، فإذا انتهى منها بدا من جديد، إذا حفظ الأربعين النووية، يبدأ من أولها إلى أن يختم ثم يعيد من جيد، حفظ كتاب التوحيد يبدأ، تكون ختمته في شهر في شهرين لكن لابد أن يتعاهد ما حفظ، حفظ ألفية ابن مالك، حفظ ألفية العراقي، حفظ لابد أن يكرر في الزمن، حفظ أي متن من المتون لابد أن يكون له قراءة فيه وختمة بين الحين والآخر؛ لأن هذا به المذاكرة.

الأمر الثالث: أن طالب العلم إذا كان مع نفسه لا يستطيع، فإنه يتخذ صاحبًا له يعينه على ذلك، ممن يشركه ويشترك معه في الرغبة في الحفظ

والرغبة في المدارسة. فهذا من أنفع الأسباب، وهناك مسائل أخرى تتعلق بذلك، تراجع في كتب آداب طلب العلم.

سؤال : هل الملائكة الموكلة بالإنسان سواء الكتبة، أو الحافظون تكون ملازمة الإنسان؟ أم أنهم ينفكون عنه عند دخوله الخلاء. وما معنى قوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ؟

الجواب : أما معنى الآية، قوله:﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ ، هذا قرب الملائكة، لا قرب الرب -جل وعلا- بذاته -ﷻ-؛ لأن القرب كما هو معلوم نوعان، قرب عام وقرب خاص. والقرب العام لا يثبت لله -جل وعلا-، قرب عام من جميع خلقه وإنما يثبت القرب الخاص، وما جاء في النصوص من ذكر القرب العام كهذه الآية ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ فإنما هو قرب الملائكة كما حققه ابن تيمية وابن القيم وجماعة آخرون. والملائكة أنواع منها ملائكة ملازمة للعبد لا تنفك عنه البتة، ومنها ملائكة تنفك عنه وتفارقه في بعض المواضع، أو لبعض الأسباب. كدخول الخلاء، وجماع الإنسان لأهله وكون الإنسان يكون جنبًا، وأشباه ذلك مما جاء في الأحاديث، هذا من أسباب أن بعض الملائكة لا يرافقونه، ينفكون عنه. ثم هل الملائكة هذه هي ملائكة الرحمة؟ أم ملائكة الرحمة والكتبة التي تلازم الإنسان؟ خلاف بين أهل العلم، والصحيح أنهم الحفظة، هل هم الحفظة أم الكتبة؟ أم هما معًا؟ والصحيح أن الحفظة بخصوصهم هؤلاء ينفكون عن ملازمته، وأما الكتبة فإنهم لا ينفكون. والحفظة يحفظ الله -جل وعلا- العبد بهم كما قال: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ يعني يحفظونه بأمر الله. فإذا جاء قدر الله خلوا عنه، فالله -جل وعلا- ييسر

له من أسباب الحفظ ما ييسر. هذا وجه في الجمع بين الأحاديث وثم تفصيل آخر. نكتفي بهذا، نعم:

المتن :

وكل شيء يجري بمشيئة الله –تعالى– وعلمه وقضائه وقدره، وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات والله –تعالى– يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ولا غنًا عن الله – تعالى– طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين، والله يغضب ويرضى .

الشرح :

قال: –رحمه الله تعالى–: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات) يقرر العلامة الطحاوي –رحمه الله– مذهب أهل السنة والجماعة، بأن الميت ينتفع بعملٍ يعمله الحي، وأما الميت إذا مات لا ينقطع من الانتفاع البتة، بل ربما انتفع ببعض الأعمال فذكر أن الدعاء من الحي إلى الميت ينفع، وأن الصدقة تنفع بمعناها العام وبمعناها الخاص أيضًا. وهذا يريد منه تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في مضادة مذاهب المعتزلة ونحوهم من العقلانيين الذين يردون النصوص، أو يتأولونها على غير وجهها. وهذه المسألة كانت شائعة في ذلك الزمان، وأن الحي لا ينفع الميت وإنما الميت إذا مات انتهى وانقطع من أن ينفعه الحي، وإنما الحي ينفع نفسه. وثم مجادلات في هذا و أهل السنة والجماعة صاحوا على من خالف النصوص في ذلك من كل جانب، وقرروا ما جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح في هذه المسألة. وفي الظاهر أن هذه المسألة لا علاقة لها بالعقيدة،

لأنها في الدعاء والانتفاع، وهذه المسألة يبحثها الفقهاء في آخر كتاب الجنائز كما هو معروف. وأما وجودها في كتب الاعتقاد فليست لأنها مسألة عقدية داخلة في أحد أركان الإيمان الستة، ولكن لأجل أن المبتدعة ضلوا فيها عن تحكيم القرآن والسنة، وأهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح لهم فيها إجماع واتفاق، فصارت من جملة مسائل الاعتقاد لمخالفتها، أو لمخالفة أهل السنة فيها لأهل البدع، ثم تقريرًا لما جاء فيها من النصوص والأدلة. ثم ها هنا مسائل الأولى أن الانتفاع –انتفاع الميت– بسعي الحي، هذا اتفق عليه. انتفاع الميت بسعي من الحي اتفق عليه علماء أهل السنة من الأئمة، من أهل الحديث ومن الفقهاء ومن أهل التفسير اتفقوا فيه على نوعين دون خلاف بينهما، الأول، الدعاء. وهو أن الدعاء نافع الدعاء يجيبه الله –جل وعلا– من الحي للحي، ومن الحي للميت. ولهذا شرعت صلاة الجنازة وهي صلاة بلا ركوع ولا سجود، وإنما هي ثناء على الله –جل وعلا– وحمد له –سبحانه– وصلاة على نبيه ﷺ، ثم دعاء للميت. فهي كلها دعاء وأدبها أدب الدعاء. ولذلك هي تفتتح بالفاتحة ﴿**الْحَمْدُ للَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾قال العلماء: ولا يسن هنا أن يستفتح بقوله: سبحانك اللهم وبحمدك؛ لأنه داعٍ وليست من جنس الصلاة الأخرى، ولم يأتي في السنة ما يدل على الاستفتاح. ثم بعد الفاتحة وهي حمد لله –جل وعلا– وثناء تأتي الصلاة على النبي ﷺ بعد التكبير الثاني. ثم إذا صلى فإنه يدعو، وهذا هو أدب الدعاء فإن العبد إذا دعا ربه –جل وعلا– في أي دعاء فإنه يحمد الله –جل وعلا–، ثم يصلي على نبيه ﷺ، ثم يدعو الله بما شاء من المسائل. وصلاة الجنازة دعاء، وهي بالاتفاق مشروعة وبالإجماع مشروعة، فدعاء الحي للميت هذا جارٍ عليه الاتفاق. وكذلك مما جرى عليه الاتفاق أيضًا، أن الحي يتصدق عن الميت بصدقة مالية يبذلها لأجل الميت، يعني لينفع الميت بها تبرع منه، هذا اتفق عليه

علماء السنة من علماء الحديث والتفسير والفقه، كما هو معلوم، على خلافٍ بينهم في بعض تفصيلات ذلك.

النوع الثاني: مما أجمع عليه العلماء –علماء السنة– أن كل عمل صالح تسبب فيه الميت في حياته، فإنه ينفعه ذلك بعد وفاته، وذلك لقوله ﷺ: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجور مثل أجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا))، وكما جاء في الحديث الثاني أيضًا في صحيح مسلم: ((من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)). وهذا يعني أن ما تسبب فيه في حياته، فإنه ينفعه بعد وفاته. وكذلك الولد، الولد الصالح فإنه تسبب فيه العبد فإنه إذا دعا لأبيه فهو يدخل فيما أجمع عليه أولاً، وما يدخل في السبب ثانيًا. فإذًا ثم صورة أجمع عليها، والأدلة على ما أُجمع عليه كثيرة متنوعة من الكتاب والسنة، يأتي بعضها إن شاء الله تعالى.

المسألة الثانية: اختلف العلماء في مسائل العبادات التي لا تدخل في معنى الصدقة المالية وهي العبادات البدنية مثل تلاوة القرآن، ومثل الصلاة ومثل الصيام والحج فيما فيه من البدن ونحو ذلك، يعني فيما يصل فيه من الثواب، هل هو الكل أو البعض؟ وإن كان الخلاف فيه –يعني في الحج– ضعيف. هذه المسائل التي اختلف فيها وهي العبادات البدنية، من أهل العلم من قال: تصل ومنهم من قال: لا تصل. فذهب جمهور السلف كما عزاه إليهم ابن تيمية وابن القيم وغير ذلك، وعبروا بالجمهور، وذهب الإمام أبوحنيفة والإمام أحمد وجماعات من أهل الحديث والأثر بعدهم، ذهبوا إلى أن الميت ينتفع بما تقرب الحي به إلى ربه، وأهدى ثوابه إلى الميت، يعني أهدى الحي الثواب إلى الميت. ويقول في هذا طائفة من العلماء: وأي قربة فعلها المسلم وأهدى ثوابها لمسلم حيٍ أو ميتٍ، نفعه ذلك.

والقول الثاني: أن –وهو ما ذهب إليه مالك والشافعي وطائفة من العلماء– أن الميت لا ينتفع من سعي الحي بالعبادات البدنية المحضة، العبادات التي فيها الصلاة مثلاً، قراءة القرآن الصيام وأشباه ذلك، وإنما ينتفع بما كانت عبادة مالية أو دخل فيها المال كالحج وأما غير ذلك فإنه لم تدل الأدلة على انتفاعه، فيبقى الباب على عدم الانتفاع وسيأتي الترجيح.

المسألة الثالثة: في دليل أهل السنة والجماعة على أصل الانتفاع، من أدلتهم في ذلك قول الله –جل وعلا–:﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ امَنُواْ** ﴾ فأثنى عليهم بالدعاء وهذا يقتضي الانتفاع. ومن قوله ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولدٍ صالح يدعو له))، وفي الصحيح أيضًا أن النبي ﷺ جاءه رجل فقال: إن أمي افتلتت نفسها –يعني ماتت فجأة– وإنها لو تكلمت لأوصت، أو لتصدقت أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: ((نعم)) وجاء أيضاً في صدقات الصحابة عن الأموات الشيء الكثير. وكذلك جاء رجل إلى النبي ﷺ، وطلب منه أن يحج عن ميت له، فأذن له بالحج، وفيه أيضًا أن امرأة قالت: إن أمي ماتت ولم تحج، أفأحج عنها؟ قال: ((أرأيت إن كان على أمك دين أكنتِ قاضيته؟)) قالت: نعم. قال: ((فاقضوا الله، فإن الله أحق بالقضاء))، ونحو ذلك في هذا الباب. أيضاً مما يدخل في –مع تنوع الأعمال– أصل الوقوف يعني أصل الأوقاف فإن الصحابة ما كان منهم أحد له فضل مال، إلا وحبّس يعني أوقف، أوقف على نفسه. وهذا مما ينفعه ويدخل في قوله: ((صدقة جارية)). وأما الذين قالوا: إنه لا ينتفع إلا بالعبادة المالية، قالوا: إن هذه المسائل منها ما هو مجمع عليه، وهذه اتفقنا عليها وهي الصورتان الأوليان، ومنها ما هو مختلف فيه وهي العبادات البدنية، فهذه لم يأتي الدليل فيها، بل جاء الأثر

عن ابن عباس بأنه قال: "لا يصلي أحدٌ عن أحد، ولا يصوم أحدٌ عن أحد". وهذا يدل على امتناع عن أن يكون أحد يصلي عن أحد، أو يصوم أحد عن أحد. وأجاب الأولون عن ذلك بأن الصيام جاء فيه أن الحي يصوم عن الميت إذا كان عليه صيام، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره: ((من مات وعليه صوم، صام عنه وليه))، يعني صوم واجب. وهل الصوم الواجب هذا، صوم النذر كما جاء في الرواية الأخرى، أو كل صيام واجب، سواء أكان صيام رمضان الواجب الذي لم يقضه مع إمكانه القضاء، أو صيام الكفارات أو نحو ذلك؟ خلاف بين أهل العلم، ولكنهم قالوا: إن الحي يصوم عن الميت الصيام الواجب، بدلالة السنة على ذلك. وأيضًا قالوا: إن ما جاء في السنة من الأحوال هذه جاءت جوابًا عن أسئلة. فالنبي ﷺ سئل عن الصدقة، فأوصى بها، سئل عن الحج فقال: ((حج)) أو قال: ((حجي))، ونحو ذلك. وهذه الأسئلة لا تفيد العموم، فلا يفهم من جواب السؤال أنه لا يجوز إلا فيما جاء السؤال والجواب عنه؛ لأن السائل ليس هو المشرع وإنما جواب النبي ﷺ كان بقدر السؤال. ولهذا كان الأقرب أن يعمل ذلك، وأن يقال: إنما جاء الإذن فيه دل على وصول جنس الثواب دون تفريق؛ لأن التفريق ما بين نوع ونوع يحتاج إلى دليل، وهذه المسائل لم يبتدئها الشارع وأذن بكذا وكذا أصلاً -يعني ابتداءً- وإنما كانت إجابة لأسئلة وبين هذا الاستدلال وهذا الاستدلال ذهب المفتون من العلماء إلى أحد هذين القولين من المتقدمين والمتأخرين، فمنهم من يقول بالتعميم كما قال ابن القيم كجمهور السلف والإمام أحمد وأصحابه ابن تيمية، وابن القيم وطائفة من أئمة الدعوة -رحمهم الله تعالى-، ومنهم من يقول بقول مالك والشافعي بأنه يقتصر على ما ورد دون غيره، وهذا تجد من يفتي به، وهذا تجد من يفتي به. والأقرب في ذلك هو التفصيل وهو أن إهداء الثواب غير ابتداء العبادة، ابتداء العبادة هذا عبادة

فيحتاج إلى دليل يدل على أن المرء ينوي عن غيره عن حي أو ميت في العبادة، فيبتدئ العبادة عن فلان، وهذا لابد فيه من التوقيف؛ لأن الأصل عدمه وجاء الإذن في العبادات المالية فينبغي أن يكون أن يقتصر عليه، بل يجب أن يقتصر عليه كما جاء في الأدلة؛ لأنها ابتداء عبادة وابتداء العبادة هذا لابد فيه من دليل؛ لأن الأصل أن أحدًا لا يعمل عن أحد، لا ينوب أحد عن أحد فكل إنسان يعمل، لهذا الصحابة سألوا؛ لأن الأصل متقرر عندهم سألوا، أأحج؟ أتصدق عنها؟ وهذا يدل على أن الأصل المستقر، هو أن لا ينوب أحد عن أحد في ذلك. هذه صورة وهو أن يبدأ العبادة، يحج لبيك حجًا عن فلان عن فلانة، هذا ابتدأ العبادة عن فلان أو فلانة، أو اللهم إن هذه الصدقة عن فلان، أو عن والدي أو عن والدتي فلانة، فهذا ابتدأ العبادة لفلان، فهذه جاءت الأدلة بجوازها. لكن ابتداء الصلاة يقول: اللهم إن هذه الصلاة عن والدي، أو عن والدتي. اللهم إن هذا الصيام عن والدي أو عن والدتي. فهذا لم يأتِ به دليل؛ لأنه ابتداء عبادة، وهذا يدل عليه أثر ابن عباس قال: "لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، إلا ما مات وعليه صيام صام عنه وليه". فدّل على أن الأصل عدم النيابة في هذه العبادات، بمعنى أن لا يبتدئها فيجعل العبادة من أولها معمولة لفلان، أو فلانة. أما الصورة الثاني: وهي مختلفة عن الصورة الأولى، هي أن يبتدأ العبادة لنفسه، أن يعمل العمل لنفسه، العمل يصلي لنفسه، يقرأ القرآن لنفسه، يعتبر لنفسه، يصوم عن نفسه، وهكذا في أي عمل يذكر الله –جل وعلا– عن نفسه، ثم إذا فرغ من العبادة قال: اللهم اجعل ثواب قراءتي هذه لوالدي، لوالدتي لمن له حقٌ عليّ، لفلان... إلى آخره. فهذا ليس الأصل المنع؛ لأن العبادة وقعت صحيحة وهو يقول: أن الأجر إن تقبله الله وثبت الأجر، فإن هذا الثواب إذا استقر لي فإنه مهدًا إلى غيري. يعني دعا الله –جل وعلا– أن

يتقبل منه وأن يجعل فلانًا، أو فلانة شريكين في الثواب. وهذا التفريق لا رد له، لا من جهة السنة ولا من جهة كلام السلف الصالح، فإنهم إنما نهوا عن الابتداء، ولم ينهوا أو لم ينهى الأئمة ولا المعروفين من السلف، لم ينهوا عن إهداء الثواب للميت. وهذا يقتضي أن التفريق ما بين الابتداء وإهداء الثواب متعين في هذه المسألة، وأن إهداء الثواب بعد الفراغ من العبادة ليست تعبدًا، وإنما هو محض تفضل وإحسان، ولهذا أئمة السنة المتحققون بالسنة ورد البدعة ذهبوا إلى جواز إهداء الثواب، كالإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم وطائفة من أئمة الدعوة، كالشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعات. ومن نهى من أئمة الدعوة فإنه لم يلحظ هذا التفريق في كلام الأئمة؛ لأنهم رعوا إهداء الثواب ولم يرعوا النيابة في أصل العبادة، فقالوا: وأي قربة فعلها المسلم وأهدى ثوابها، فالقربى فعلت وانتهت، وأهدى ثوابها لمسلم حيٍ أو ميت ، والأجر يتصرف فيه من حازه على ما يرغب، فإذا أعطى بعض أجره غيره فإن هذا له، ولا أصل يدل على المنع من ذلك.

الشريط السبع والأربعون وجه (ب)

المسألة الرابعة: المبتدعة احتجوا –أعني المعتزلة ومن شابههم–، احتجوا بحجتين، أما الأولى فقالوا: يقول الله –جل وعلا–: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ وهذا يدل على أن سعي الإنسان لنفسه. وهذا الاحتجاج، كذلك بعض أهل السنة احتج به على هذا، كالشوكاني وبعض المعاصرين، في أنه لا ينتفع البتة إلا بما سعاه، فالولد من سعيه، والصدقة الجارية من سعيه، والعمل الصالح من سعيه، والعلم النافع من سعيه. أما غير ذلك فلا يعد من سعيه فلا ينتفع إلا بما سعى. فإذًا احتج المبتدعة وطائفة من أهل السنة على مذهبهم بقوله –تعالى–:﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ قالوا: فلو كان ينتفع لكان سعيه لغيره. وهذا يخالف ظاهر الآية. والجواب عن

ذلك أن الله –جل وعلا– في الآية قال:﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ**﴾ ، واللام هنا – كما هو معروف– لام الملك يعني الإنسان لا يملك إلا سعيه، أما غيره فلا يملك سعي فلان، أحمد لا يملك سعي خالد، بل إذا تقرب خالد إلى ربه بقربة، فإن سعيه له وثواب السعي له هو، وليس للآخر. فاللام هذه لام الملك. والمسألة التي ذكروا أن الآية رد عليها أو حجة فيها، هي أن الآخر ينتفع من سعي الأول، وهذا لا تناقض بينها وبين هذه؛ لأن اللام إذا كانت للملك فالأجر للأول، ولكن هو ينفع الثاني بما يتصدق به عليه، أو ما ينفعه به. الثاني، أن قوله:﴿ **إِلاَّ مَا سَعَى** ﴾ السعي هنا لابد أن ينظر فيه إلى مفهوم واسع، وهو أن أعظم الأسباب في السعي –في أن ينتفع الميت من سعي الحي– أعظم الأسباب هي دخوله في الإيمان، فإن الإيمان والإسلام إذا تحقق به العبد، يوجب ولاية بين المسلم والمسلم، ويوجب محبة بين المؤمن والمؤمن، وهذا أعظم أسباب العلاقة بين الناس، فجميع العلائق تقطعت إلا الإيمان، سبب الإيمان والإسلام، قال –جل وعلا–:﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ فإذا دخل في اسم الإيمان، فقد أتى بأعظم سبب من أجله ينفع إخوانه وأيضًا من أجله ينفعه إخوانه، فإذا كانت الولادة سبب، في أن ينتفع الأب بسعي ولده، والعلم سبب، فإن أعظم الأسباب هو ماله من الإيمان بالرب –ﷻ–، فبالله –جل وعلا– انعقدت الأواصر وبالله –جل وعلا– قامت الوثائق والوشائج، وبالله –جل وعلا– تقاربت القلوب. هذا يعني أن أعظم الأسباب في الانتفاع لسعي ما سعاه المرء في نفسه ولنفسه، وهو سبب الإيمان فإذن الإيمان سعي له فقوله:﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى** ﴾ إذا قلنا: إن العمل له لا لغيره –كما قلنا سابقًا– ويكون سعيه إذًا لغيره سعيٌ في شيء تسبب ذلك الغير فيه. وانعقاد السبب في شيء تسبب فيه هذا شيء عمله العبد وتسبب فيه وهو الإيمان. ولهذا صلاة الجنازة نفسها، والدعاء

للميت وإذا أتى العبد المقابر دعا للأموات واستغفر لهم، هذا سببه الإيمان. فالمؤمن يصلي على المؤمن لأجل ما بينهما من وثيقة الإيمان ومن الحب في الله وما بينهما من الحقوق. إذًا فالاحتجاج بالآية ليس بظاهر كما هو بيّن فيما ذكرنا. أما ما احتجوا به من السنة، فقالوا: النبي ﷺ قال: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث))، فدل على أن العمل ينقطع، وإذا انقطع العمل فهذا يعني إنه لا ينتفع بشيء. والجواب عن ذلك أن النبي ﷺ قال: ((انقطع عمله))، ولم يقل: انقطع انتفاعه. كما هي صورة المسألة التي نبحثها. ولم يقل أيضًا: انقطع عمل غيره له. وإنما قال: ((انقطع عمله)). فعمل الإنسان بالوفاة دار التكليف انتهت، فعمله انقطع كما جاء في الحديث. أما عمل غيره وانتفاع هذا بعمل غيره، فإنه لم ينقطع، ويدل على ذلك أن الثلاثة التي ذكرت وهي الصدقة الجارية، والعلم، والولد الصالح لم يذكر فيها الدعاء، دعاء الحي للميت في صلاة الجنازة، وهي بالاتفاق نافعة للميت وهي لم تدخل في هذه الثلاث؛ لأنها ليست بعمل للميت، ولكنها عمل للحي وهو ينفع الميت.

المسألة الخامسة: هاهنا مسائل تكلم العلماء في هذا الموضع فيها، وهي المتعلقة بقراءة القرآن وإهداء الثواب، أو استئجار من يقرأ القرآن على الأموات في المقابر ونحو ذلك. وهذه المسائل واضح أن التقرب فيها إلى الله –جل وعلا– ونفع الميت بالاستئجار أن هذا بدعة، ولم يأتي دليل من السنة ولا من فعل السلف على عمله، ثم الاستئجار وهو دفع المال لفلانٍ ليتعبد لفلان، هذا مبطل للعمل في أصله، لم؟ لأن العمل لا يصلح ولا يتقبله الله – جل وعلا– إلا بالإخلاص، والإخلاص شرط في قبول العمل. فإذا لم يعمل العمل الصالح، لم يصلي إلا بمال ولم يصم إلا بمال، ولم يقرأ القرآن إلا بأجرة يستأجر عليه، أنا أقرأ لكم السورة بمائة ريال، اقرأ الجزء بألف ريال ونحو ذلك، فهذا لاشك أنه لم يخلص لله –جل وعلا– في هذه العبادة، فكيف ينتفع الميت

من عبادة لم يخلص لله –جل وعلا– فيها، وإنما عملت لأجل عرض من الدنيا؟ ولهذا من البدع الوخيمة استئجار قوم عند المقابر يتلون، أو في المآتم يعقد سرادق كبير ويأتون بمن يقرأ القرآن، ويقولون: ننفع الميت. وهم يستأجرون هذا التالي للقرآن بأموال باهظة وعظيمة، وهذا فيه هلكة للفاعل – يعني للقارئ– لأنه عمل عملاً لغير الله وفيه أيضًا إفساد للمال لغير طاعة الله –جل وعلا–، وهذا لا ينفع الميت؛ لأنه عمل لم يخلص فيه لله –جل وعلا–. أما لو تبرع أحد فقرأ القرآن لنفسه، وبعد القراءة قال: اللهم اجعل ثواب قراءتي لفلان. فإن هذا جائز على الصحيح، كما ذكرنا لك. وقد ذكر الجد الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– رحمة واسعة في تقرير له موجود في الفتاوى، ذكر أن رجلاً لما عرض لهذه المسألة ذكر أن –يعني نسيت هو رجل أو امرأة– لكنه توفي، نعم أن امرأة توفيت وكان أحد قرابتها –أظنه زوجها– كان يقرأ القرآن، وبعد أن فرغ من الختمة أهدى ثوابها لنفسه ولزوجته، فلما فرغ وجاء وقت الصلاة أقبل رجل وقال: أنا رأيت فلانة في المنام وقالت لي: أنا الآن ختمت القرآن. وهذه وإن لم تكن حجة، لكن هي للاستئناس ونقلها ثقات وذكرها علماء وأئمة، فهي ماشية مع الأصل وليس فيها ما يعارض ذلك. فإذًا الانتفاع في إهداء الثواب، لا يكون بالطرق البدعية التي يعملها أصحاب المآتم، والذين يستأجرون للقراءة على القبور.

المسألة السادسة والأخيرة: قوله: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم) . الصدقات هنا يعني بها الصدقات المالية خاصةً وعلى القول الصحيح الذي ذكرنا أنها كل شيء فيه صدقة في المفهوم العام للصدقة، فأمر الإنسان بالمعروف ونهيه عن المنكر، والعلم والذكر وتلاوة القرآن ونحو ذلك مما يدخل في اسم الصدقة العام، وهي النوافل والطاعات التطوعية العامة، فإنها تنفع الميت إذا أهدى الثواب لا إذا ابتدأ العبادة، كما ذكرنا. فإذًا نقول: إن

الصحيح، إن قوله: وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم هذا يشمل جميع أنواع العبادات، كما ذكرنا.

نكتفي بهذا القدر، المسألة التي بعدها تحتاج إلى تفصيل نجيب عن سؤالين فقط.

سؤال : يقول: إذا حج رجل عن رجل ميت، هل الرجل الحي يأخذ أجر على هذا الحج؟ علمًا أن هذه الحجة للميت؟

الجواب : -يعني قصده إذا أخذ مال، هذا الميت إذا مات وعليه حج واجب فإن أولى الناس بالحج عنه ولده، أو أقربائه أو وليه، هذا هو أولى الناس بالحج عنه؛ لأنه نوع بر له وبراءة لذمته، وقضاء للدين الذي عليه. أما إذا لم يوجد، أو كان فيه كلفة أو نحو ذلك أو كان يريدون السرعة بالحج عن الميت، فجاء من يرغب في الحج، ولكنه ليس عنده من النفقة ما يكفيه لأداء الحج، فإنه لا بأس أن يعطى ليحج عن الميت لما قام في قلبه من الرغبة في شهود المشاعر ورؤية الكعبة والذكر هناك، وشهود دعوة المسلمين في ذلك. فإذا كان الرجل يريد الحج، أو كان المسلم يريد الحج لكن لم يجد نفقة فإنه لا بأس أن يأخذ نفقة ليحج عن غيره، ولكن لا يجوز أن يحج ليأخذ، يعني لا يقوم في قلبه محبة الحج ولا الرغبة في الآخرة، وإنما إذا أتاه مال حج وإذا ما أتاه مال يقول: وش تعبني، وش أروح أتعب. هذا لا يجوز؛ لأنه استئجار على عبادة وكما قال ابن تيمية: إنما يجوز أن يأخذ ليحج، لا أن يحج ليأخذ، فالأشبه أن هذا ليس له في الآخرة من خلاق. وهو كما قال -رحمه الله تعالى-: فإذا أتى من يريد الحج، وهذا الحي يريد أن يدفع من مال أبيه، يعني من التركة مال يحج به عنه من مكانه، فهذا لا بأس به.

سؤال : يقول: كيف يجاب عن الحصر في قوله ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث))؟

الجواب : الحصر على بابه، لكن عمل غيره لا يدخل في كلمة عمل، فعمله ينقطع، عباداته تنقطع إلا هذه الثلاث وهي الصدقة الجارية، علم ينتفع به وولد صالح يدعو له. الصدقة الجارية هي الوقف المحبس اللي يبقى، كبناء المسجد وحفر الآبار، تيسير سبل الماء أو طباعة كتب أهل العلم النافعة، أو المصحف توريث المصحف، كتابة المصاحف أو طباعة المصاحف ونحو ذلك، هذا من الصدقات الجارية الباقية. والولد الصالح معروف، ولد يدعو له ويستغفر لأبيه، والعلم الذي ينتفع به هذا يشمل العلم الذي علمه، أو ما أمر به بالمعروف ونهى عن المنكر، وسنّ سنة حسنة، ودعا إلى هدى دعوة بأنواعها، هذه تدخل في العلم الذي ينتفع به، لأن الأنبياء دعاة والنبي ﷺ داعية ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ** ﴾ وإنما ورّث العلم، فإذًا العلم يدخل فيه كل أبواب الدعوة، وتوريث العلم والتأليف وأشباه ذلك. فإذن الحصر على بابه، والحصر في هذه الأنواع، في العمل عمل الميت. أما عمل غيره فلا يدخل في ذلك كما ذكرنا. نكتفي بهذا القدر. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الشريط الثامن والأربعون وجه (أ) ٢٩/ ٦/ ١٤٢٠هـ .

سؤال : اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيرًا، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة –رحمهم الله–، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين، إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان) . قال المحشي: "وهو قول المعتزلة أيضًا، فإنهم قالوا: الإيمان هو العمل والنطق والاعتقاد. والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطًا في صحته، والسلف جعلوها شرطًا في كماله، وانظر شرح السنة إلى هنا".

الجواب : هذا غلط، التعليق هذا غلط أولاً ليس هو قول المعتزلة، ثم أيضًا ليس الفرق بين أهل السنة والمعتزلة، أهل السنة لا يرون العمل شرط، يرونه ركن؛ لأنه ما أدخل في المسمى فهو ركن، هذا تعليق شعيب، أي هذا ما هو بسليم، هذا كلام غلط، هذا أي طبعة ؟ رقم كم ؟ الطبعة رقم كم؟ ١٤١٣هـ، لا هذا ما هو بصحيح، تعليقه غلط. كله تعليقه غلط، هو جعل أن قول أهل السنة إن الإيمان، قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، جعله قولٌ للمعتزلة، هذا ليس بصحيح، ثم جعل أيضًا قول، جعل الأعمال عند السلف شرطًا في الكمال، وجعله عند المعتزلة شرطًا في صحة الإيمان، وهذا أيضًا ليس بصحيح، كل تعليقه مبني على فهم، مبني على كلام الماتريدية، يعني في الغالب، يعني ينحو منحى الماتريدية في ها المسألة.

سؤال : فيه أسئلة فقهية يقول: امرأة ذهبت إلى المستشفى لأجل تركيب لولب مانع للحمل، وعندما ذهبت قال لها الأطباء: لابد من إعطائها حبوب لأجل إخراج الدم من الرحم، ومن ثم تركيب اللولب، السؤال: ما هو حكم هذا الدم؟ هل يعتبر دم حيض؟ أم يعتبر استحاضة؟

الجواب : هذا يسأل عنه الطبيب، هل هذا الدم دم حيض، أم دم استحاضة؟ فالطبيب يفرق بين هذا وهذا، والأصل أن دم الحيض دم طبيعة وجبلة، يخرج في وقت معين، وما يخرج بالأدوية وما أشبه ذلك، هذا يعتبر دم استحاضة، وهذا ييسر العمل بأشياء كثيرة وفي أحكام للنساء. لهذا فالأقرب أنه هنا أن يسأل الطبيب، والطبيب إذا كان ثقة هو يحدد نوع الخارج، ثم يفهم أن الأصل أنه دم استحاضة إذا لم يكن عند الطبيب يقين، أو قال: أنا ما أعرف هذا دم، أو ما أشبه ذلك فيعتبر دم استحاضة لأنه يعني لساعات وينتهي.

سؤال : هل لشارب خمرٍ أن يقيم على نفسه الحد في السر، خوفًا من الفضيحة؟ أم تكفيه التوبة؟

الجواب : لا، تكفيه التوبة، لم يقل أحد من أهل العلم إن المذنب الذي ارتكب حدًا ارتكب ما يوجب حدًا أن عليه أن يسلم نفسه، أو أن يقيم الحد على نفسه، أو أن يذهب إلى من يقيم عليه الحد، بل الصحيح هنا أن الطهارة الكاملة له تكون بالتوبة لأن هذا ليس فيه تعدٍ، أما ما كان فيه تعدٍ على غيره، من مثل القتل أو السرقة أو القذف أو ما أشبه ذلك، هذا له بحثٌ آخر، أما شرب الخمر في نفسه، فيما فعله وأوجب حدًا، فإنه تكفيه التوبة ومن تاب تاب الله عليه، التوبة تَجُبُ ما قبلها والله –جل وعلا– يقول:﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ وقال –جل وعلا– أيضًا:﴿**قُلْ يعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً** ﴾ أجمع أهل العلم من المفسرين والمحدثين وغيرهم، على أن هذه الآية نزلت في التائبين، فمن تاب تاب الله عليه.

سؤال : يقول: ما يقول الأئمة الأعلام في مخالفي أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، من المعطلة والمشبهة وغيرهم. هل هم كفار أم لا؟ وأي نوعي الكفر وقعوا فيه؟ وما سبب ذلك؟ هل لقولهم على الله بغير علم؟ أم لإنكارهم بعض نصوص الوحي؟ أم ماذا؟ وما تأويل الإمام أحمد –رحمه الله– عندنا قال: الواقفة أو المفوضة أشد ضلالاً من غيرهم أو كما قال؟

الجواب : الضالون في باب الأسماء والصفات، درجات وأقسام، منهم الجهمية ومن شابههم ممن ينفون جميع الأسماء والصفات، إلا صفة الوجود المطلق، وهؤلاء هم الذين اشتد عليهم صوت السلف والأئمة، بأنهم ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة، وإنما هم خارجون أصلاً، فجهم ومن معه لا يعتبرون

أصلاً في الإسلام، يعني الجهمية الأصليين الذين ينفون جميع صفات الرحمن –جل وعلا– وجميع أسماء الرحمن –جل وعلا– إلا صفة الوجود المطلق، وهؤلاء لا وجود لهم اليوم بادوا في ذلك الوقت هؤلاء ليسوا من المسلمين، والفئة الثانية التي أيضًا يحكم بكفرهم المشبهة، الذين يقولون: وجه الله كوجه الإنسان، أو يده كأيدينا، أو عيناه –جل وعلا= كأعيننا، أو سمعه كسمعنا يجعل المماثلة في ذلك في تمام الاتصاف بالصفة، هؤلاء أيضًا المجسمة على هذا النحو والممثلة فإنهم أيضًا ليسوا من أهل الإسلام، لأنهم شبهوا الخالق بالمخلوق، أو شبهوا المخلوق بالخالق –جل وعلا– أما من ليسوا كذلك، وإنما هم مبتدعة على درجات فيهم في الصفات، منهم المعتزلة ومنهم الأشاعرة والكلابية والماتريدية ومن على هذا النحو، فإن هؤلاء منهم من يثبت بعض الصفات، منهم من يثبت سبع صفات أو ثمان أو أكثر أو اقل على خلافٍ بينهم. فلا يطلق القول بتكفير الطائفة ولا يطلق القول بعدم التكفير أيضًا، وإنما يقال: هؤلاء أهل بدع. وبحسب ما نفى يكون الحكم عليه ليسوا على بابٍ واحد، لكن الأصل أن من أثبت بعض الصفات وتأوّل في الباقي ونفاه ، أو أوَّل فإنه لا يحكم بكفره، وإنما يقال: هذا من أهل البدع. ولهذا أهل السنة والجماعة لما تكلموا في المعتزلة وحكموا بكفرهم، يعني بكفر أهل الاعتزال، ذكروا أن ذلك متعلقٌ بالقول بخلق القرآن، أو ببعض المسائل الأخرى، أما نفي الصفات أصلاً فهو مردود وكفر، كما هو عليه الجهمية. أما تأويل الصفات بإثبات بعضٍ أو نفي بعض فلا يطلق القول بتكفير هذه الفئة، ومن أهل العلم من أهل السنة والجماعة من خصّ مسألة علوّ الرحمن –جل وعلا–، لأجل ظهور دليلها، علو الذات للرب –جل وعلا–، لأجل ظهور دليلها وقوة برهانها، وعدم وجود مجال للتأويل فيها خصها بأن من أنكر علو الذات للرب –جل وعلا– فإنه يكفر، لكن الأصل الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة أنهم

يستعملون في هذا الباب عبارات الابتداع، البدعة، الضلالة، والمخالفة، وطريقة الخلف، وأشباه ذلك، وليس كل من نفى صفة أو تأولها يعتبر كافرًا خارجًا من الدين، وإنما ذاك باتفاق مخصوص بالجهمية والمجسمة، وأما المعتزلة ففيهم تفصيل بحسب المسألة التي تتناول. أما الأشاعرة والماتريدية والكلابية، فلا أعلم أحدًا من أهل السنة أطلق عليهم الكفر.

سؤال : هل الصحيح أن إزار المسلم إلى نصف الساق، أم إلى الكعبين؟ لأني سمعت من يقول: إلى نصف الساق. لكن أيش الرياء؟ هل هذا صحيح.

الجواب : ما فهمت الكلام الخط غير جيد. المقصود أن النبي ﷺ صح عنه أنه قال: ((إزرة المسلم إلى نصف ساقه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين)). أيضًا في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين ((ما تحت الكعبين من الإزار في النار)) وصح عنه ﷺ أيضًا أنه قال: ((من جر إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة)). وهذا يدل على أن المسلم ليس له أن يجعل ثوبه أو إزاره أو ما يلبس أدنى من الرداء ونحوه أن يجعله تحت الكعبين، يعني أن يكون مستديماً تحت الكعبين، أما إذا كان في حالة يكون تحت الكعبين، ثم إذا لبسه مستويًا لا يكون تحت الكعبين فهذا لا حرج عليه فيه كما هو ظاهر من حديث أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله إن إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهده. قال: ((يا أبا بكر لست ممن يفعله خيلاء)). فدل هذا على أن الاستدامة هي المنهي عنها، وأن اشد الأمر في ذلك أن يكون جره لإزاره، أو إسباله لثوبه، أو ردائه أو نحو ذلك على جهة الخيلاء، فهذا أشد. وإذا جعل إزاره إلى ما فوق الكعبين بقليل ولم يجعله تحت الكعبين فلا حرج عليه؛ لأن هذا مأذون فيه، وفيه سعة لقول النبي ﷺ أما جعل الإزار إلى أنصاف الساقين، فهل هو عام في الإزار وفي غيره من

الثياب؟ أم هو خاص بالإزار؟ اختلف أهل العلم في ذلك، فمنهم من خصه بالإزار لظاهر قوله ﷺ في الحديث الذي في السنن: ((إزرة المسلم إلى نصف ساقه)). وأما الثوب يعني القميص وأشباه ذلك فإنه لا تكون السنة فيه كذلك، وهذا وجه لطائفة من أهل العلم. وآخرون قالوا: إن الأصل يعم الجميع فالإزار ليس له مزية على غيره في هذا الحكم، بل الثوب والإزار على هذا الباب، في أن يكون له أن يجعله إلى نصف الساق، بل يكون هذا الأفضل في حقه، إلا إذا كان يرجو مصلحة شرعية في عدم فعله هذا، فإنه لا حرج عليه، كمثلاً أن يكون رياءً، أو أن لا يكون، أو أن يكون فعله ذاك لا يسهل له أمر الدعوة والإرشاد وينفر الناس منه ونحو ذلك، فإن هذا أذن فيه طائفة من العلماء بهذا المعنى، وهو في المرخص فيه، فيما بينه وبين الكعبين. المهم أن الواجب على كل مسلم أن لا يسبل إزاره فيما تحت الكعبين ولا ثوبه ولا رداءه، بل هذا يحرم عليه، وهو من كبائر الذنوب إذا استدام، وأعظم منه أن يفعل ذلك خيلاء، يعني تكبراً وطبًا للرفعة، فإن هذا أعظم. وأهل العلم اختلفوا، هل يحمل حديث ما تحت الإزار، ما تحت الكعبين من الإزار في النار، على حديث: ((من جر إزاره خيلاء))؟ أم أن يكون هذا له باب وهذا له باب؟ على قولين، والمعروف عند جمهور العلماء أن حديث ((من جر إزاره خيلاء))، هو الأصل وما تحت الكعبين من الإزار ففي النار، محمولٌ على من فعله خيلاء ليجمع بين الحديثين. وهذا قول الجمهور ومنهم الحنابلة. وقد كان أيوب السختياني فيما رواه عنه عبدالرزاق بإسنادٍ صحيح كان يسبل إزاره، والإمام مالك أيضًا ربما فعله، وقد قيل لأيوب: أليس هذا من الخيلاء؟ فقال: كانت الخيلاء في جرِّ الإزار، والخيلاء اليوم في التشمير. وهذا ليس بصحيح، لكنه فعلٌ لبعضهم. لهذا كان الإمام أحمد وعدد من الأئمة وهو الذي عليه أصحاب المذاهب، أن الجر لغير خيلاء، أو إسبال الإزار أو الرداء لغير خيلاء مكروه،

الأفضل تركه. وأما جره للخيلاء فهو المحرم حملاً للحديثين بعضهما على الآخر؛ لأن الأحاديث يفسر بعضها بعضًا.

والقول الثاني: أن الإزار أو الرداء الإسبال أو الجر، محرم مطلقًا، فإن كان لغير خيلاء فهو في النار، وإذا كان لخيلاء فالإثم أعظم بما رتب عليه في قوله: ((من جر إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة)). وهذا له باب، يعني هذا له باب والحديث الآخر له باب فلا يندرج عليه حمل المطلق هنا على المقيد، لعدم اتحاد الأثر فيهما، أو السبب فيهما. المقصود من هذا أنه يجب على المسلم أن يتعاهد ذلك فيخشى عليه أن يكون مرتكبًا للكبيرة، وإذا كان مرتكبًا لكبيرة جر الإزار، أو الإسبال فإنه لا يرجى له تكفير الصغائر، ولا ترجى له أن تكون الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهما؛ لأن فيه ما اجتنبت الكبائر، فينبغي بل يجب عليه أن يحذر أشد الحذر من هذا. أعان الله الجميع على ترك ما يغضب الرب –جل وعلا–. نكتفي بهذا .

المتن :

والله –تعالى– يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنىً عن الله –تعالى– طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين. والله يغضب ويرضى، لا كأحدٍ من الورى .

الشرح :

بسم الله ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فيقول الطحاوي –رحمه الله–: (والله – تعالى– يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات) . يريد بذلك بيان بعض آثار ربوبية الله –جل وعلا– على خلقه، وأنه –ﷻ– خلق الخلق وهو ربهم مالكهم وسيدهم والمتصرف فيهم، وهو الذي يفيض عليهم من خيراته –جل وعلا–

وينزل عليهم من رحماته، فإذا احتاجوا فإليه الملجأ، فكما أنه –جل وعلا– يبتدئهم بالعطايا وينعم عليهم بأنواع النعم، فإنهم إذا سألوه ودعوه فإنه –ﷻ– يجيبهم؛ لأن ربوبيته لهم وخلقه لهم يقتضي أن ييسر ما يحتاجون إليه. وخصّ هنا إجابة الدعوات وقضاء الحاجات، لأجل خلاف طائفة من الفلاسفة وغلاة الصوفية ومن شابههم، لأجل خلافهم في هذا الأصل، وهو أنه لا حاجة للدعاء ولا حاجة للسؤال ولا طلب الحاجات؛ لأن كل شيء إما أن يكون مقدرًا من عند الله كقول الصوفية، فلا يؤثر فيه شيء، وإما أن يكون أثرًا لمؤثرٍ ومنفعلاً لفعلٍ كقول الفلاسفة أو غلاة الفلاسفة. وها هنا مسائل :

المسألة الأولى : الله –جل وعلا– في القرآن ذكر كثيرًا إجابته للدعاء وللسؤال وإعطاءه، كقوله –جل وعلا–:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وأثنى الله –جل وعلا على الأنبياء بأنهم يدعون الله –جل وعلا– خوفًا وطمعًا، وبيّن –جل وعلا– أنه يجيب دعوة المضطر فقال –سبحانه–:﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾ بل بيّن –جل وعلا– أنه أجاب دعاء إبليس إذ قال –سبحانه–:﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ وبيّن –جل وعلا– أنه ربما أجاب دعاء أولياء الشيطان، والكفرة فقال –سبحانه–:﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ له الدين فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ونحو ذلك من الآيات كقوله:﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ وهذا منوع في القرآن كثيرًا، في أن الله –سبحانه– خلق الخلق جميعًا فهو رب المؤمن ورب الكافر، وربوبيته للكافر تقتضي إعطاءه، وربوبيته للمؤمن تقتضي إعطاءه، وهكذا. ربما أعطى المؤمن فكان في حقه نعمة، وربما أعطى الكافر فكان في حقه عذابًا ونقمه، فهم يسألون والله –جل

وعلا- يجيب الداعي، ويجيب المضطر إذا دعاه. وقضاء الحاجات أيضًا يبتدئه الرب -جل وعلا- ويعطي عبده إذا سأله قضاء حاجة، قال -سبحانه-: ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ وصح عنه ﷺ أنه قال من حديث سلمان: ((إن الله حيي ستير، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين)) رواه أبوداود والإمام أحمد وجماعة بإسناد صحيح، وأيضًا جاء في سنن ابن ماجه وعنده غيره أنه ﷺ قال: ((من لم يسأل الله يغضب عليه)) وفي إسناده نظر، وأيضًا صح عنه ﷺ أنه قال: ((إن الله ينزل آخر كل ليلة إلى السماء الدنيا فينادي: هل من داعي فاستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟)). وهذا يدل على أن الرب -جل جلاله- يقضي حاجات العباد، ويفيض عليهم من الخيرات، وهو -سبحانه- الذي دعا إلى دعائه وهو الذي يجيب، وهذا يدل -كما سيأتي- على أن الدعاء سبب من الأسباب العظيمة النافعة، التي جعلها الله -جل وعلا- سببًا.

المسألة الثانية: مخالفة من خالف، ولأجلها أورد الطحاوي هذه الجملة من غلاة المتصوفة، وطائفة من الفلاسفة، هؤلاء يقولون: الدعاء لا حاجة إليه وسؤال الرب -جل وعلا- قضاء حاجة العبد، لا حاجة إليه. وعللو ذلك بأمرين:

الأول: أنه -سبحانه- قدر الأشياء وجعل لكل أمرٍ سيحصل قدرًا مقدورًا، فإذا كان مقدرًا فسيقع، وإن لم يكن مقدرًا، قالوا: فلن يقع، فإذًا لا حاجة إلى الدعاء، ولا فائدة منه.

والثاني: أنهم قالوا: إن الله -جل وعلا- عوّد خلقه وسنة الله فيهم، أنه يعطيهم ما يحتاجون، ولم يجعل قلوبهم معلقة بهل يأتي الأمر أم لا يأتي؟ فتمام إخلاص القلوب عندهم أن ترضى بما هي عليه من الحال، وأن تنتظر

إفاضة الله –جل وعلا– لما يريده، ولما يعطيه. وهذا عندهم هو مقام الصديقين والعارفين والأولياء. وهذا الذي ذكروه لاشك أن باطل وأن أهله انقرضوا، إلا ما ندر بحيث إنه لا يوجد الآن فئة تنسب إليهم هذه المقالة، وسبب ذلك أن الرد عليهم وبيان بطلان ما قالوا واضح بيّن، في أن التعليل الأول الذي ذكروه، وهو أنه لا حاجة إلى الدعاء؛ لأنه إما أن يكون مقدرًا أو لا يكون مقدرًا. فيجاب عليهم ويرد على ما قالوا بأن الله –جل وعلا– أناط أشياء كثيرة جداً، بل أناط أكثر ما يوجده في خلقه بالأسباب المقتضية لمسبباتها، فأناط إخراج الولد وانعقاد الحمل بأن يتزوج الرجل على المرأة: ﴿**يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾ لكن لا يهب إلا بسبب، وكذلك قدر جل وعلا أن فلاناً يمرض لكنه لم يقدر هذا المرض إلا غالباً بسبب، وكذلك هو –جل وعلا– جعل فلانًا عالمًا وقدّر ذلك، لكن لا يكون إلا بسبب هو أن يتعلم، كما قال ﷺ: ((إنما العلم بالتعلم)). فإذًا قول غلاة الصوفية هو مصير منهم إلى نفي الأسباب ونفي النظر إليها، وأن الأمور بجبر وليست منوطة بأسباب، بل الله –جل وعلا– يُجبر الأشياء على أن تكون على وفق ما يراد دون أن يرتبط شيء بسببه. وهذا لا شك قدح في العقل؛ لأنه إلغاء لما يدركه كل عقل من أن الشيء منوط بسببه من جملة الأسباب التي أناط الله –جل وعلا– بها إيقاع ما قدّر الدعاء، وكون العبد يدعوا الله –جل وعلا– يكون الدعاء سببًا في حصول ما قدّر الله –جل وعلا– ، فيكون ما قدر الله –جل وعلا– لا يقع إلا بعد وجود السبب، كما أن الحمل لا ينعقد إلا بعد وجود السبب، بل الدعاء في الحقيقة أعظم أنواع الأسباب؛ لأن به يحصل إمداد الله –جل وعلا– في كل شيء ونفع الرب –جل وعلا– بكل سبب يعمله العبد. فالدعاء أعظم أنواع الأسباب.

أما الثاني : فإن قولهم ذلك مبني على أن حالة النبي ﷺ وحالة الصحابة –رضوان الله عليهم– ليست هي الحالة الكاملة، بل كيف ينظرون إلى فعل النبي ﷺ في أحواله كلها، وأنه ﷺ لم يكن يترك الدعاء لنفسه ولأهله ولأمته ﷺ، بل أرشد الصديق وعمر إلى أن يعظموا الرجاء والدعاء، وهذا يدل على أن حال الكاملين، بأن يتعرضوا لدعاء الله –جل وعلا–. فكم دعا النبي ﷺ من دعاء في صلاته في آخر الليل، وفي أوقات الإجابة ﷺ. وهذا لأنه أعرف الناس وأعلم الناس بربه –جَلَّ جَلَالُهُ– وتقدست أسماؤه. أما قول الفلاسفة، فالفلاسفة أنواع، منهم من يوقن بنفع الدعاء، لكنهم يقولون: إن الدعاء ينفع؛ لأنه يؤثر فيما عقدته الأفلاك؛ لأن عندهم أن الأثر للفلك الثامن الذي يؤثر في مجموعة الأفلاك، فينقل فيها التأثيرات التي تؤثر على سلوك أهل الأرض وما يكون في الأرض. ومنهم من يقول الدعاء أصلاً لا ينفع؛ لأن الأمور بنظام وكل شيء يقع على مقتضى الطبيعة، والدعاء ليس سببًا طبيعيًا. هذا قول الملاحدة منهم، وظاهر فيه أنهم لا يؤمنون بحال الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–.

المسألة الثالثة: دعاء العبد لله –جل وعلا– وتضرع العبد عند الله –جل وعلا– فيه أمور، الأول أنه تعرض لرحمة الله –جل وعلا– ولآثار ربوبيته، فهو –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– يعطي من سأله ويجيب من دعاه –جل وعلا–؛ لأنه هو الرب ولهذا قد يعطي الله –جل وعلا– الكافر، كما أجاب دعاء إبليس، قد يمرض الكافر فيسأل الله –جل وعلا– فيشفى، وقد يتعرض الكافر لمصيبة فيسأل الله –جل وعلا– أن يكفيه شرها، فيجاب، بل يأتي المشرك والخرافي والمشرك المتعلق بالأموات، فيأتي عند القبر بقلبٍ مضطر فيسأل الله –جل وعلا– بصاحب هذا القبر، أو يسأل الله –جل وعلا– ثم يسأل صاحب القبر، فيجاب الدعاء لما قام في قلبه من الاضطرار لله –جل وعلا– ويكون في حقه

ابتلاء ويكون أيضًا فتنة للآخرين. فإذًا العطاء لا يقتضي الرضا عن المُعْطَى، وإجابة الدعاء لا تقتضي الرضا عمن أجيب دعاه، فهذا إبليس أجيب دعاه وقد دعا بأعظم دعوة عنده، وهي أن يطول عمره حتى يكون إلى يوم القيامة:﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي** ﴾ يعني أمد في عمري ﴿**إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ إلى أن ينتهي تكليف ابن آدم وأبناءه، فأعطاه الله –جل وعلا– هذا السؤال الذي لم يعطه نبيًا من الأنبياء في إطالة العمر إلى هذا الحد. وهذا كما أعطى الكفار بعض ما سألوا، كما يعطي من يعبدون المسيح، أو يعبدون عزيراً، أو يعبدون غير الله فيعطيهم لأمر لا لأجل كفرهم، ولكن لحكمة يعلمها الله، أو لأجل اضطرارهم أو لأن هذا الإعطاء أصلاً من مقتضيات ربوبيته –جل وعلا– لهم، وهم بحاجة إليه والله هو الذي خلقهم وجعل لهم قدرًا مقدورًا.

الأمر الثاني: أن الدعاء فيه إثبات لصفات كثيرة من صفات الرب –جل وعلا–، فمن دعا الله –جل وعلا– بحق فإنه يستحضر إذ دعا، ولو لم يستحضر فإن هذا متضمن لدعائه فإنه موقن بوجود الرب –جل وعلا– وموقن هذه صفة، والثانية بأنه –ﷻ– يسمع دعاءه مع أنه في عليائه –جل وعلا–، وهو يهمس همسًا لا يجهر وهو يعتقد أن الرب –جل وعلا– سميع لدعائه، ويوقن أنه –جل وعلا– وهي الصفة الثالث–أنه قدير على إجابة دعائه، ويوقن أيضًا– وهي الصفة الرابعة أنه –ﷻ– غني يعطي بغير حساب، ويوقن أيضًا –وهي الصفة الخامسة – أنه –جل وعلا– رحيم بعباده فإن سؤال الرب –جل وعلا– تعرض لآثار رحمته –ﷻ–، وكذلك يوقن –وهي الصفة التي بعدها– أنه –ﷻ– حي، وهكذا فمن تأمل دعاء العبد نظر في أن في دعاء العبد أنواعًا من إثبات الكمالات للرب –جل وعلا–، ولذلك يضعف التوحيد إذا ترك العبد دعاء ربه –جل علا–، فكلما قلّ الدعاء قلّ تعلق العبد

بالله –جل وعلا–؛ لأن آثار التوحيد على النفس والنور الذي يقذف في القلب من آثار التعلق بالله –جل وعلا– يضعف شيئًا فشيئًا.

الثالث: مما يتعلق بالدعاء، الله –جل وعلا– في إجابة الدعاء، وفي إعطاء الحاجة التي سُئلت جعل لذلك شروطًا وجعل لذلك موانع، فإن العبد قد يسأل ولا يُعطى، وقد يدعو دعاء السؤال ولا يُستجاب له في عين ما سأل؛ لأنه لم تكتمل الشروط في حقه أو قام مانع من الموانع، وهذا يتضح بمسألةٍ تأتي.

الرابع من المسألة الثالثة: أن إجابة الدعوات وقضاء الحاجات ليس دليلاً على شيء، وإنما هو من جنس مطلق الإعطاء، فكما أن الله –جل وعلا– جعل هذا على صفة، وهذا على صفة، وهذا على صفة، فإنه –سبحانه– يعطي هذا ويعطي هذا ويعطي هذا، فقد –كما ذكرت لك– يعطي الكافر ويعطي المبتدع ويعطي الفاسق ويجيب دعاء هذا وهذا، وربما هذا بأكثر وهذا بأكثر لكن يمتاز المؤمن والعبد الصالح وولي الله –جل وعلا– أن يكون جواب الله–جل وعلا– له وإعطاؤه لسؤاله، يعني إعطائه لما سأل، عن محبة ورضا، فيكون في حقه نعمة ولا يكون في حقه نقمة أو ابتلاء، وهذا هو الذي جاء في حديث الولي .

الشريط الثمن والأربعون وجه (ب)

حيث قال النبي ﷺ: ((قال الله –تعالى–: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضه عليه)) إلى أن قال: ((ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه))، هذا عطاء محبة ((ولئن استعاذني لأعيذنه)) هذه إعاذة محبة ورضى.

المسألة الرابعة: قال بعضهم: إن الله –جل وعلا– ربما لم يعطي العبد سؤاله فيدعو العبد ولا يُعطى. وهذا الكلام صحيح، لكن له أسباب، الأول أن الله –سبحانه وتعالى– قال:﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ وقال: ((من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له))، وإجابة الدعاء عام يشمل إجابة دعاء العبادة وإجابة دعاء المسألة، أما إجابة دعاء العبادة فهو بالإثابة، وأما إجابة دعاء المسألة فهو بالإعطاء. ولهذا في آية سورة غافر قال –جل وعلا–:﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ ورجح طائفة من أهل العلم أنها في الدعاء الذي هو العبادة ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ يعني اعبدوني أثبكم﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾

والنوع الثاني : الذي هو دعاء المسألة ويكون استجابة دعاء المسألة بإعطاء العبد ما سأل. وهذا يعم إجابة الدعاء، يعم إعطاء العبد ما سأل أو ما هو في مقام إعطائه ما سأل من صرف السوء عنه. ولهذا قال العلماء: إن العبد إذا دعا الله –جل علا–ولم يُعطي ما سأل فإن لهذا عدة تعليلات.

الأول: منها أنه يُصرف عنه من الشر بمثل ما سأل، فإن النبي ﷺ كما روى مسلم في الصحيح قال: ((ما من عبد مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال، إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها، وإما أن تدخر له يوم القيامة))، وهذا يعني أن دعاء العبد المؤمن لا يضيع، بل يستجاب، لكن ربما استجيب بثوابٍ يوم القيامة، وربما استجيب بعطاء، وربما استجيب بصرف الشر عنه. والله –جل وعلا– أعلم بما يصلح العبد في دنياه وفي آخرته. قد يكون حاجته، حاجة العبد المؤمن للحسنات في الآخرة أعظم من حاجته لما سأل في هذه الدنيا، فيدخر له ما سأل يوم القيامة، وهذا من أعظم لطف الله –جل وعلا–

ورحمته بعبده، وعنايته بعبده –ﷻ– وتقدست أسماؤه سبحانه ربنا لا نحصي ثناءً عليه.

التعليل الثاني: أنه كما ذكرنا أن الدعاء يكون له شروط وله موانع، فقد يكون العبد في دعائه أتى بمانع من الموانع من إجابة الدعاء، كما قال ﷺ: ((ما من عبدٍ مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم)) قطيعة الرحم معروفة، والإثم قد يكون منه الاعتداء في الدعاء؛ لأن الله –جل وعلا– نهى عن الاعتداء في الدعاء فقال –سبحانه–:﴿ **ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ يعني المعتدين في الدعاء وأيضًا المعتدين في غيره. فالاعتداء لا يحبه الله –جل وعلا–، فالاعتداء في الدعاء إثم وله صور كثيرة، فقد يدعو ويعتدي في الدعاء ويزيد في أدعيته أو يأتي بأشياء ليست من الأدب مع الرب –ﷻ–، فيكون مانعًا من إجابة الدعاء لإثم وقع فيه، في الدعاء أو لإثمٍ وقع فيه في سلوكه، فإنه صح عنه ﷺ أنه قال: ((إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه))، وهذا يكون مانع، أيضًا هناك شروط للدعاء من الآداب فيه فلابد من توفرها.

التعليل الثالث: أن حديث النبي ﷺ في نزول الرب –جل وعلا– آخر الليل، أو في النصف الأخير من الليل، أو في الثلث الأخير من الليل على اختلاف الروايات، رتب مسألة الدعاء على ثلاث درجات، فقال ﷺ: ((إن الله ينادي، هي من داعٍ فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مُستغفرٍ فأغفر له؟)). ومغفرة الذنب أخص من إعطاء السؤال، وإعطاء السؤال أخص من إجابة الدعاء. ولهذا رتبها ﷺ على هذه الثلاث درجات، يعني في الحديث، فالله –جل وعلا– جعلها ثلاث مراتب، ينادي من يدعو، والدعاء يعم السؤال ويعم غيره كما أوضحت لك، أو من يسأل ثم من يستغفر، فهذه مراتب ثلاث. فإذًا ليس كل سؤال استغفار، وليس كل دعاء سؤال، وهذا يعني أن

إجابة الدعاء التي وعد الله –جل وعلا– بها عباده﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ هذا يعم كل ما يحتاجه العبد في عبادته وفي دنياه وأيضًا ما يحتاجه ثوابًا على العبادة، وإعطاءً للسؤال.

المسألة الخامسة والأخيرة: إذا كان الله –جل وعلا– يستجيب الدعاء ويقضي الحاجة ويعطي السائل، فإن مما ينبغي على العبد أن يتأدب به أن يعد للدعاء عدته، وأن يجتهد في حسن المسألة. ولهذا أحسن أمير المؤمنين عمر –رضي الله عنه– أيما إحسان إذا أرشد الأمة إلى قوله: "إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإن وفقتّ للدعاء جاءت الإجابة". هذا من أعظم الكلام الذي قاله عمر –رضي الله عنه–، ومن أحسنه لأنه لا يدل عليه في بيانه ولا في تصويره لهذه المسالة من كلام الصحابة بمثله. لهذا ينبغي على العبد إذا أراد أن يدعو أن يعلم أنه إنما يدعو مالك الملك الذي خلقه، الذي هذه الأرض قبضته يوم القيامة﴿ **وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ الذي عنده مفاتح الغيب لا يعلمها، إلا هو فيعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبين، الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، الذي يعلم السر وأخفى، الذي يطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لهذا ينبغي على العبد المؤمن أن يعد للدعاء عدته كما قال عمر رضي الله عنه-–: "إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء فإذا وفقت للدعاء جاءت الإجابة". لهذا يحسن بالداعي أن يجتهد في دعائه وأن يُحَضِّرَ له، أن يستعد في تحسينه؛ لأنه سيدعو ويرفع يديه لله – جل وعلا– وخاصة إذا كان الدعاء في موقعٍ من مواقع العبادة العظيمة، كحال السجود إذا لم يدعو بما أثر عن النبي ﷺ الذي هو جوامع الكلم في الدعاء، فإنه لابد أن يستعد ولا يدعو بإثم، أو يجتهد فيتساهل في هذا الأمر،

كذلك في موقع خطبة الجمعة، فإنه ينبغي له أن يعد العدة فيما يدعو به، إذا دعا بشيء لم يؤثر وكذلك في قنوته كل ليلة، أو في سجوده، أو في صلاة التراويح من الأئمة الذين يقنتون بالناس، فإنهم ينبغي لهم أن يعلموا أن إجابة الدعاء منوطة بحسن الدعاء، فمن أحسن الدعاء رجي له الإجابة، أما أنه يدعو بما خطر على باله ويتعدى في ذلك وهو ليس بمحسن ويأتي بكلامٍ كثير، ربما يكون فيه اعتداء في الدعاء وهو لا يشعر فيأثم، ويأثم من خلفه وربما لم تستجب دعواتهم بعموم أنواع الاستجابة التي ذكرنا، فهذا مما ينبغي التنكب عنه والبعد عنه. لهذا هذه المسالة عظيمة فالدعاء أثر من آثار الإيمان وبه تستمطر الرحمات من الرب -ﷻ- ولهذا أعدوا له عدته، ولا يكن المرء متسغنيًا عن فضل الله -جل وعلا-، لابد من الإلحاح في الدعاء، الاضطرار في أوقات الإجابة، كل أحد له حاجة فإذا أحسن السؤال جاءت الإجابة. أسأل الله -جل وعلا- أن يجعلني وإياكم ممن تجاب دعواتهم وتغفر زلاتهم، إنه -سبحانه- جواد كريم.

قال بعد ذلك: (ويملك كل شيء ولا يملكه شيء) . يريد بذلك أنه -ﷻ- هو المتفرد بأنه يملك كل شيء، فما من شيء إلا والله -جل وعلا- ربه وهو مالكه وهو سيده المتصرف في شؤونه، وكذلك هو -ﷻ- لا يملكه شيء ولا يؤثر في ملكه شيء -ﷻ- إلا بإذنه، فهو الواحد الأحد في ملكه الرب وحده والعباد محتاجون إليه في ذلك. وهذه الجملة واضحة في تقرير بعض أفراد الربوبية التي تجعل العبد يقبل على ربه في الدعاء، فهو -سبحانه- يقضي الحاجات؛ لأنه يملك كل شيء ولا يملكه شيء -ﷻ-، والعبد يدعو ربه؛ لأنه يعلم أن الله يملك كل شيء ولا يملكه شيء ﷻ-، وهذا يدلك على عظم شأن الرب -ﷻ- وعلى أنه هو المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال قال بعدها: (ولا غنى عن الله -تعالى- طرفة عين، ومن استغنى

عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين) لا غنى عن الله –تعالى طرفة عين: يعني أن العبد في طرف عينه وحركة عينه لا يستغني فيها عن الله –جل وعلا–؛ لأنه إنما حرك عينه برحمة الله وبفضله وبإمداده وبإعطائه –ﷻ–، فلا يستغني عن الله طرفة عين، هذا مأخوذ من قول النبي ﷺ: ((اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين))، وهذا إذا وكله إلى نفسه طرفة عين فمعناه أنه استغنى. قال: ومن استغنى –هذا حكم– عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين؛ لأنه استغنى عن الله –جل وعلا– ورأى أنه يقتدر وأنه ليس بحاجة إلى الله –جل وعلا–. وهذا كما صنع إبليس اللعين، فإنه استغنى فكفر وتكبر، فاستحق الكفر والخلود في النار. استغنى عن الله. استغنى معناها كان في غنى، وليس معنى استغنى طلب الغنى، فاستغنى يعني ومن كان في غنى عن الله طرفة عين فقد كفر؛ لأن كلمة استغنى ليس فيها الطلب، فالأصل في السين والتاء الطلب، إلا في مسائل، ومن أهل العلم من يقول: إنه لا قاعدة في السين والتاء أنها للطلب، لكن يقال: الأكثر في مجيئها أنها للطلب. وقد تأتي لبيان تمكن الصفة من الموصوف، وقول الله – جل وعلا– في سورة التغابن:﴿ **وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾استغنى الله، يعني غِني الله فصارت صفة الغنى له صفة كمال له الغنى الكامل الذي لا نقص فيه من وجه من الوجوه؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. وهنا في قوله: (ومن استغنى) يعني ليس معناه من طلب الغنى، معناه كان في غنى من استغنى عن الله، يعني كان في غنى عن الله طرفة عين، فقد كفر وصار من أهل الحين. والحين هنا بمعنى الهلاك بل صار متوعدًا، بل صار من أهل العذاب؛ لأنه كفر –والعياذ بالله–. هذه كلها يريد منها الطحاوي – رحمه الله– بيان آثار ربوبية الله –جل وعلا– وتعلق القلب بالله –ﷻ–. نقف عند هذا، والجملة القادمة تحتاج إلى تفصيل طويل، فالله يغضب ويرضى لا

كأحدٍ من الورى؛ لأن لها تعلق بالصفات الاختيارية وبمسائل كثيرة فيما ذهب إليه أهل البدع، في الصفات الاختيارية وصفات الأفعال، يأتي بيانها إن شاء الله تعالى نجيب على بعض الأسئلة، سؤالين أو ثلاثة.

سؤال : يقول ما الفرق بين قيام الحجة وبين فهم الحجة؟ وهل من لم يفهم الحجة يؤاخذ على ما لم يفهمه؟ أفدني؟

الجواب : ذكرنا الفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة في أجوبة أسئلة، وكذلك فصلناه في كشف الشبهات، فأنا أريد الأخ السائل أنه يرجع إلى شرح "كشف الشبهات"، ليستفيد أولاً، ثم ينظر إلى هذا الموضع. وخلاصة الكلام أن فهم الحجة ليس بشرط، وأما قيام الحجة فهو شرط في التكفير ووقوع العذاب. وفهم الحجة يراد منها –يعني الذي ليس بشرط– يراد منه أن يفهم أن هذه الحجة أرجح مما عنده من الحجج، المهم أن يفهم الحجة ودلالة الحجة من كلام الله –جل وعلا– وكلام رسوله ﷺ، وأن يبيّن له بطلان الشبهة التي عنده، وليس من شرط قيام الحجة أن يفهم فهم الحجة، أن يفهم الحجة كفهم أبي بكر وعمر والصحابة الذين نور الله قلوبهم، ولا من نور الله قلبه ممن تبعهم بإحسان؛ لأنه لو قيل بفهم الحجة هنا صار لا يكفر إلا من عاند، يعلم أن هذه الحجة ويفهم الحجة ويفهم أنها صحيحة ويفهم أنها راجحة، ومع ذلك لا يستجيب فهذا يعني أنه معاند، والله –جل وعلا– بيّن في القرآن أن منهم من لم يفقه أصلاً، كقوله –جل وعلا–: ﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ** ﴾، يعني أن يفهموه، فهم الحجة كما فهمها من أراد الله –جل وعلا– هدايته. وهناك قسم آخر من فهم الحجة اللي هو فهم اللسان، فهم اللسان هذا لابد منه ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾، فلابد أن يفهم وجه الحجة باللسان الذي يتكلم به، لكن يفهم أنه حجته هذه أرجح من الحجة هذه أرجح من الحجة التي عنده، أو أنها أقوى من الشبهة التي عنده

ونحو ذلك، هذا ليس بلازم، المهم أن توضح بشروطها الكاملة. وهذا يقوم به العلماء وتختلف مسألة قيام الحجة وفهم الحجة بحسب نوع الشبهة التي تعرض، فمثلاً مسألة الاستغاثة بالله –جل وعلا– وحده، وأن الاستغاثة بغيره شرك أكبر ليست في قيام الحجة وفي مسألة فهمها مثل مسألة طلب الشفاعة من النبي ﷺ، هذه مسألة ربما حصل فيها نوع اشتباه عند من لم يعلم، وتلك واضحة بيّنة. فإذًا مسألة قيام الحجة تختلف باختلاف نوع قيام الحجة وكيف تقام الحجة؟ وبما تقام. تختلف بما يبيّن المسألة إلى آخره.

سؤال : هل يستدل بفعل العالم لفعلٍ معين في مسألة ما على أن ذلك الفعل هو مذهبه الذي يقول به؟

الجواب : لا يدل على ذلك، فالفعل له احتمالات كثيرة وأيضًا الفعل قد يكون عن غفلة، لكن إذا لازم الفعل فإن هذا يدل على أنه مذهب له، لكنه إذا فعله أحيانًا فربما العالم بشر، ربما يأتيه من الشواغل ما يجعله لا يلتزم بالسنة في بعض المواضع، أو يعمل شيئًا وهو لا يستحضر الحكم فيه تمامًا، يعني وهو يفعل ذاهل ونحو ذلك، فهذا يعرض لكل أحد، فالعالم فعله ليس بحجة إلا إذا التزمه، إذا التزمه يدل –يعني لا نقول ليس بحجة لكن ليس بمذهبٍ له، إلا إذا التزمه– فإذا التزمه دل على أنه يذهب إلى هذا القول.

سؤال : هل يجوز أن يدعى بقول قائل: يا مجيب دعوة نوح أجب دعائي؟

الجواب : هو سأل الله –جل وعلا– وتعرض لذلك، فلا بأس.

سؤال : وهل يجوز نحو ذلك بقول القائل: يا مجيب دعوى إبليس أجب دعائي؟

الجواب : هذا خلاف الأدب، فكونه ما يدعو إلا بهذا يدل على سوء أو على جهل أنه يتعرض بما يناسب أن يجيب الدعاء، ودعوة إبليس أجيبت

ابتلاء وامتحان وضلال له، ليعظم إثمه وإضلاله للخلق ليكون أعظم لعذابه، وهذا من الاعتداء في الدعاء ومن عدم الأدب مع الله –جل وعلا–.

سؤال : هل القول: إن العمل شرط في صحة الإيمان صحيح؟ وإذا كان غير صحيح نرجو ذكر السبب. وكذلك قول: إن العمل شرط في كمال الإيمان؟

الجواب : ينبغي إيضاح مسألة، وأنا أوضحتها لكم عدة مرات وفي شرح الطحاوية أيضًا فصلنا الكلام فيها، وفي الواسطية. كلمة شرط لا يدخلها أهل السنة في الكلام على مسمى الإيمان، الإيمان له حقيقة، وحقيقته التي يقوم عليها هي أركانه، وليست شروطًا، الشرط يسبق المشروط، الشرط يسبق أما الأركان فهي ما تقوم عليه حقيقة الشيء، إذا ما قامت الأركان ما قامت حقيقة الإيمان، فالإيمان قول وعمل، قول اللسان، تصديق الجنان، عمل الأركان، هذه أركان للإيمان القول والعمل والاعتقاد، وليست شروطًا؛ لأن الشروط خارجة عن المسمى، والسلف أجمعوا على أن مسمى الإيمان الاعتقاد والقول والعمل، وبه تميزوا عن باقي الفرق الأخرى لهذا إدخال كلمة شرط تدل على عدم فهم حقيقة معنى الركن وحقيقة معنى الشرط قبل أن يبحث هل هو شرط كمال أو شرط صحة؟ هذا ليس بحثًا صحيحاً؛ لأنه عندنا أن الإيمان، العمل ركن الإيمان، عند الخوارج العمل شرط في صحة الإيمان، عند المعتزلة أنه شرط في الصحة، عندنا ليست كذلك، بل العمل ركن من الأركان إذا نظرت إلى أنواع الحكم التكليفي والحكم الوضعي، وماهية الأسماء، ماهية المسميات التي تدل على الأسماء، بان لك أن الركن هو ما يقوم عليه الشيء، يعني لا يمكن أن يتصور الشيء إلا به، والشرط هو مصححٌ للأركان، كيف؟ الآن خذ مثلاً البيع، البيع ما أركان البيع؟ هل تحفظها؟ أركانه كذا وكذا حفظًا، لا هي متصورة؛ لأن الركن هو ما تقوم عليه حقيقة الشيء بدونه لا

يمكن أن يقوم هذا الشيء، يعني يقوم مسماه، فالبيع مثلاً إذا قيل لك: ما أركان البيع؟ ماذا نقول؟ نقول: أركان البيع أيش؟ لابد من بائع وإلا كيف من اللي يبيع؟ ولا بد من مشتري، صحيح! ولابد من مثمن، شيء يقع عليه البيع، ولا بد من صيغة تبادل، بعتك، شريت... إلى آخره، لكن الأخ قال: ثمن، هل الثمن من الأركان؟ ممكن أن يقع البيع، يعني صورة البيع تقع بلا ثمنٍ موجود، يكون الثمن غير موجود، أو يكون... إلى آخره، فالثمن من مقتضيات البيع، لكن ليس ركناً، المهم المثمن الذي يقع عليه البيع السلعة التي تبايعوها إذا أتينا للشرط شروط البيع، شروط البيع إيش؟ هي مصححات هذه الأركان، يعني مثلاً البائع، إذا قلنا الشرط، الشرط ما معناه عند أهل العلم؟ شرط يصحح أن يكون هذا الركن شرعياً. فالبائع ما شرطه ليكون تصرفه شرعياً؟ أن يكون أهل التصرف إلى آخره.طيب المثمن، السلعة ما شرط هذا الركن ليكون هذا مالاً يقع عليه المعاملة، يقول اشترطوا إيش له؟ أن يكون إيش؟ معلوماً أن يكون له مالية ما يكون محرم... إلى آخره، أن يكون مباح النفع من غير حاجة... إلى آخره. إذاً فالشروط خارجة عن حقيقة الشيء وإنما هي لتصحيح الشيء، خذ مثالاً آخر، الصلاة الآن حقيقة الصلاة تقع بالأركان، أركان الصلاة هل هي خارجة عنها أو فيها. هل فيه ركن للصلاة خارج عنها؟ كل الأركان في داخلها ابتداءً من تكبيرة الإحرام وانتهاءً بالتسليمة، كلها في داخل مسمى الصلاة لكن الشروط؟ نأتي لاستقبال القبلة قبل نأتي للطهارة، قبل نأتي للبقعة، يعني فيه أشياء قبل، وهناك النية تكون مستصحبة... إلى آخره، فإذاً في مسألة الإيمان وأنا أوضحت لكم هذه فيما سبق، لكن تأكيداً عليه، الذي يتكلم في الإيمان وإذا تكلم عن العمل أتى بكلمة شرط، فإنه لم يفهم منهج السلف؛ لأن الشرط لا يمكن أن تقول: الإيمان قول وعمل، وتقول: العمل شرط، كيف يكون الإيمان قول وعمل، ويكون العمل شرط؟ الشرط خارج عن

الحقيقة فإذا كانت حقيقة الإيمان قول وعمل باتفاق السلف بالإجماع، بإجماع السلف، حتى أن البخاري –رحمه الله– ذكروا عنه أنه لم يروي في كتابه لمن لم يقل: الإيمان قول وعمل، إذا كان الإيمان قول وعمل، معنى هذه حقيقة الإيمان، فكيف يجعل العمل شرط؟ فإذا جعلنا العمل شرطاً معناه، أخرجناه من كونه ركناً وجعلناه شرطاً للقول، أو شرطاً للاعتقاد فإما أن ندخل في مذهب المرجئة، أو ندخل في مذهب الخوارج والمعتزلة. وهذه مسائل مهمة وتبين لك ضرورة الاتصال بعلم الأصول، أصول الفقه وتعريفات الأشياء حتى يفهم معنى اللفظ ودلالته، وهذا كتفصيل الإجمال الذي به غلَّطنا محش الطحاوية على حاشيته.

سؤال : بينوا لنا الفرق بين المشيئة والإرادة وهل تعلقهما واحد؟ أم ثم تفريق بين الكوني والشرعي؟

الجواب : هذا سؤال جيد، ويدل على إدراك في العلم إن شاء الله تعالى المشيئة مشيئة الله –جل وعلا– غير الإرادة من جهة أن الإرادة تنقسم إلى قسمين والمشيئة نوع واحد فمشيئة الله –جل وعلا– في النصوص واحدة ، وتفسر بما يشاؤه كوناً، يعني بما يريده كوناً، بما يأذن به –جل وعلا– أن يحدث في ملكوته كوناً، أما الإرادة فلها قسمان في ألفاظ أخر جاءت في الشريعة مثل الإذن والكتابة والقضاء والأمر... إلى آخره، فالإرادة منها إرادة كونية، ومنها إرادة شرعية، الإرادة الكونية لا تعلق لها –وهي المشيئة– بمحبة الله –جل وعلا– وبرضاه، يعني يريد كوناً ويشاء كوناً مما شاءه أشياء يحبها –جل وعلا– ويرضاها، ومما شاءه أيضاً وأراده كوناً أشياء يكرهها الله –جل وعلا– لكن أذن بها في ملكه لحكمة، أما الإرادة الشرعية فهو –جل وعلا– لا يريد شرعاً، لا يأذن شرعاً، إلا بما يحبه ويرضاه، فالله –ﷻ– لا يرضى لعباده الكفر، ولذلك لا يريد الكفر شرعاً، وإن أراده وشاءه كوناً وهكذا.

سؤال : يقول: هل تعلقهما واحد؟ أم ثم تفريق بين الكوني والشرعي؟

الجواب : التعلق مختلف؛ لأن الإرادة الكونية تعلقها بما يكون، يعني تعلقها بالحكم، بالخلق والإرادة الشرعية تعلقها بالأمر وبما شرع، والله -ﷻ- فرق ما بين الخلق والأمر، فقال: ﴿ **أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ فالخلق، هذا تعلق المشيئة والإرادة الكونية به والأمر تعلق الإرادة الشرعية به، لهذا يختلف هذا عن ذاك. نكتفي بهذا القدر وأسأل الله -جل وعلا- لكم العلم والعمل والتوفيق لكل خير، ولأحبابنا جميعاً إنه جواد كريم.

س:ما الفرق بين الدعاء والمسألة؟

الجواب : الدعاء أعم؛ لأن الدعاء قسمان : دعاء عبادة ودعاء مسألة، معنى دعاء العبادة أنه يتعبد الله -جل وعلا- ليرجو ثوابه، سميت العبادة دعاءً؛ لأن كل متعبدٍ يطلب بعبادته الثواب فهو طالبٌ ضمناً، من صلى فهو في عبادة،كل مصلٍ سائل؛ لأنه يسأل الثواب ورضا الله -جل وعلا- عنه... إلى آخره، وإن لم يقل: اللهم ارض عني، اللهم أثبني... إلى آخره أما دعاء المسألة، وهو السؤال فهو أن يرفع يديه ويقول: اللهم أعطني كذا، اللهم أسألك كذا، هذا يسمى دعاء المسألة، والدعاء في القرآن فيما ورد في النصوص في القرآن والسنة تارةً يأتي بمعنى دعاء العبادة، وتارة يأتي بمعنى دعاء المسألة، وتارة يكون بما يحتمل هذا وذاك ، فمما يحتمل هذا وهذا، أو يشمل الأمرين معاً كقوله في الآية التي ذكرتها لكم: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾، وكذلك قوله: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ ودعاء المسألة كقوله: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ دعوا هنا يعني إيش؟ ما هي عبدوا، معنى سألوا الله مخلصين في سؤاله، والسؤال من الدين وما خص به العبادة كقوله -جل وعلا- ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً** *

﴿ **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ** ﴾ فقوله هنا في الأولى "يدعو" وفي الثانية: "يعبدون" دل على أن معنى الدعاء هنا هو العبادة، فإذاً في النصوص الدعاء ينقسم إلى قسمين، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ومعنى دعاء العبادة، يعني العبادات بأنواعها، ودعاء المسألة، يعني السؤال، ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً** ﴾ هذا يشمل دعاء العبادة، ودعاء المسألة، وهكذا. وفقكم الله.

الشريط التاسع والأربعون وجه (أ) ١٤٢٠/٧/٧هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه نجيب عن بعض الأسئلة التي تأتي.

سؤال : يقول: سمعت حديثاً "أنه لا يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة لم يذكروا الله تعالى فيها" فهل هذا التحسر مما ينافي النعيم؟ أو غير ذلك.

الجواب : لا يحضرني الحديث في تخريجه، وعلى القول أو على فرض ثبوته فإن التحسر في فوات المراتب العالية نقص، ولكنه ليس عذاباً؛ لأن الذي مُنع أهل الجنة من أن يكون عليهم هو العذاب أما النقص في النعيم بأنواعه هذا حاصل، فإن نعيم أهل الجنة ليس بمرتبة واحدة ولا بمنزلة واحدة، يتفاوتون في النعيم البدني وفي النعيم البصري والسمعي، وكذلك في النعيم النفسي يتفاوتون في ذلك بحسب مراتبهم، فإذا وجد التحسر فهذا نقص، يعني بمعنى فوت بعض النعيم، يعني يقولون: ليتنا عملنا، ذكرنا الله –جل وعلا– في كل ساعة حتى تزيد أو ترتفع درجاتنا.

سؤال : يقول: عندما يتكلم العلماء على مسألة الزيادة والنقص في الإيمان يأتون بعبارات مثل أنه متبعض وأنه متفاضل، وأنه يذهب بعضه ولا

يذهب أصله، وأنه يذهب بعضه ولا يذهب كله، فهل هذه العبارات مقصودة؟ أم أنها تدل على مسألة الزيادة والنقص؟ أم أنها تدل على معنى زائد على الزيادة والنقص؟

الجواب : الذي ينبغي على طالب العلم، إذا درس مسألة من مسائل العلم أن يبتدئ بأصول المسألة، ويستوعبها جيداً؛ لأن الأصول والمسائل الأولى في العلم أو في أي مسألة من المسائل، قبل الدخول في التفصيلات هي التي عليها بناء هذا الباب، أو بناء هذه المسألة ولذلك قد يكثر طالب العلم من القراءة، فتدخل عليه مسائل في مسائل خاصة في العقيدة، ويشتبه عليه التأصيل بالتفريع ويشتبه عليه المسائل التي هي عُقد، ويبنى عليها العلم من المسائل التي هي من الإيضاح، أو من اللوازم أو من الاستطرادات وأشباه ذلك، الإيمان عند جمهور أهل السنة والجماعة يزيد وينقص، وزيادته دل عليها القرآن كما هو معلوم في قوله: ﴿ **زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ وفي قوله: ﴿ **زَادَهُمْ إِيمَاناً** ﴾ وفي قوله: ﴿ **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً** ﴾ ونحو ذلك. وهذه الزيادة قال بها جميع أهل السنة: بأن الإيمان يزيد –هذا إجماع من أهل السنة–، لكن هل ينقص؟ أم أنه يزيد ويقف ثم يزيد مرة أخرى؟ عامة أهل السنة، جمهور أهل السنة إلا ما ندر، يقولون ما زاد فإنه ينقص. وذلك لأن سبب الزيادة وعلة الزيادة هي الإيمان، فدل على أن النقص علته وسببه هو ضد شعب الإيمان التي هي المعاصي، فإذا عصى الله –جل وعلا– نقص إيمانه، وإذا عبد الله –جل وعلا– وتقرب إليه زاد إيمانه، وهذا يدل عليه أيضاً جمع من الأحاديث الصحيحة، منها قوله ﷺ ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) وفي لفظٍ عند الإمام أحمد ((إذا زنى الزاني خرج منه الإيمان، فكان على رأسه كالظلة، فإذا ترك ونزع عاد إليه))،وهذا يدل على أن فعل المعاصي سبب في زوال بعض الإيمان، وهذا هو معناه النقص، فإذن الإيمان

يزيد وينقص، هذا هو قول أهل السنة، يعني عامة أهل السنة، أكثر أهل السنة، أو تقول: كل أهل السنة، إلا من ندر. أما مسألة التبعض فهذه متصلة، كون الإيمان متبعض هذه متصلة بمسائل الزيادة والنقصان ومسائل الأسماء والأحكام، يعني أن الإيمان ليس شيئاً واحداً إما أن يأتي ويثبت كله، وإما أن يذهب ويزول كله؛ لأن هذا هو قول الخوارج ومن شابههم، في أن الإيمان شيء واحد، إما أن يوجد وإما أن يزول، هو شيء واحد لا يقبل التفاضل، وكذلك المعين –هذا من جهة الحكم–، ومن جهة الأسماء فإن من ارتكب المعصية فليس بمؤمن عندهم؛ لأنه ارتكب ما يذهب معه أصل الإيمان فليس بمؤمن، فإذاً مسألة التبعض وأن الإيمان يزيد وينقص، يتبعض يذهب بعضه لا يذهب أصله، هذه مسائل متعلقة بمذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان، ثم التبعض له علاقة بالأحكام والتكفير والأسماء التي تطلق على مرتكب المعصية والكبيرة فإذاً قولك في الأخير: هل تدل على مسألة الزيادة والنقص، أم تدل على معنى زائد على الزيادة والنقص؟ لا هي تدل على معنى زائد، على الزيادة، والنقص، لكن لها صلة بالزيادة والنقص؛ لأن منبع الزيادة والنقص ومنبع التبعض واحد، وهو أن الإيمان ليس شيئاً واحداً، وإنما الإيمان قد يأتي وقد يذهب، قد يزيد وقد ينقص بحسب الحال.

سؤال : يقول: قرأت كتاباً لأحد العلماء المعاصرين، يقول فيه: إن الوجه –وجه الرحمن– صفة ذاتية زائدة فما المقصود بقوله: زائدة؟

الجواب : لا أعلم، لكن أحياناً تستعمل مقصود به زائدة على الذات، يعني للذهاب عن قول من يقول: الوجه هو الذات: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾ يعني وتبقى ذات ربك، فقد يكون مراده أنه زائدة، يعني عن الذات ليست هي الذات، صفة زائدة يوجد ذات ويوجد وجه للرب –ﷻ–، لكنها ليست من العبارات المستعملة عند السلف.

سؤال : لِمَ ميّزت نصوص الوعيد بميزة أنها تمر كما جاءت؟ وهل تلحق بها نصوص الرحمة في هذا الوصف؟

الجـواب : الوعيد الذي هو توعد من الله –جل وعلا– للكافر، أو للفاسق بالعذاب، هذا حق والله –جل وعلا– خبره صدق، لكن وعيده –جل وعلا– مع كونه حقاً وصدقاً كما أخبر –ﷻ– فإنه في حق المسلم الموحد على رجاء الغفران، وعلى رجاء العفو ولذلك أن لا يطبق الوعيد في حق المعين، بل نقول: هذا الوعيد يمر كما جاء، ولا ندخل في تفصيلاته من حيث أن هذا الوعيد لمن فعل كذا بالنار في تفصيلات هذا الوعيد، أو في تفصيلات المعين الذي ارتكب شيئاً مما ينطق عليه هذا الوعيد، الأصل أن نُمرّ ذلك كما جاء ونبقيه وعيداً للتخويف والجزاء عند رب العالمين، ولهذا يقول العلماء: إخلاف الوعيد فضل وكرم وأما إخلاف الوعد فكذب، ولهذا الله –جل وعلا– لا يخلف وعده، لا يخلف الله وعده وعد الله مفعول لا بد منه، ما وعد به عباده فلا بد منه، أما وعيده –ﷻ– فإنه قد يتخلف في حق المعين لفضلٍ منه وكرم، وكما جاء في الحديث الذي في الصحيحين أنه يوم القيامة يكون آخر من يُخرج من النار أقوام، يخرجون من النار وقد امتحشوا فيلقون في نهر يقال له نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّة أو الحبة في جانب السيل. وهذا بفضله –جل وعلا– فيخرج من النار أقوام لم يعملوا خيراً قط، ويغفر الله –جل وعلا– لمن يشاء –ﷻ– فإذاً الوعيد يبقى كما هو بدون تفصيل يمر كما جاء من جهة معناه ومن جهة من يتعلق به، ثم وعيد الله –جل وعلا– بالعذاب ووعيده –جل وعلا– في الكتاب والسنة للعذاب في الدنيا، أو العقوبة في الدنيا، هذا متعلق بحكمته –ﷻ– وحكمة الله –جل وعلا– غالبة. لهذا يثبت الوعيد في حق الكافر من جهة الجنس لا من جهة المعين، حتى يموت على الكفر، فإذا مات على الكفر فإنه يقال فيه ما أوعده الله –جل وعلا؛ لأنه قد جاء في

الحديث الصحيح ((حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)) وهو في بعض السنن بإسناد جيد، وهناك قسم ثاني من الوعيد، وهو وعيد الحكم، وليس وعيد العذاب وهو مثل من أتى كاهناً لم تقبل له صلاة ((من أتى كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد))، ((ومن أتى حائضاً أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد)) ((ولا يدخل الجنة قاطع رحم)) ((لا يدخل الجنة قتات)) ونحو ذلك. هذا وعيد في الاسم، في الحكم وليس وعيداً في نوع العذاب وأشباه ذك، وهذا الوعيد هو الذي يكثر كلام السلف فيه، بأنه يُمَر كما جاء، لماذا؟ لأن الدخول في نوعية حكمه، يعني هل هو كافر كفر أكبر أو كفر أصغر؟ هل هو لا يدخل الجنة؟ يعني نقول له: لأن الغرض من الوعيد هو التخويف من هذه الأفعال حتى يرتدع العباد، فإذا دخل الناس في تفصيلاتها ولم يمروها كما جاءت كأنه يضعف جانب الوعيد فيها، لكن لها تفصيل مع كونه يمر كما جاء فإنه له تفصيل بحسب، ما عند أهل العلم من الأدلة فمثلاً نقول في لا يدخل الجنة قتات. نفرق بين الدخول الأول والدخول المتأخر مثلاً ((من أتى كاهناً فصدقه كفر)) نقول: هذا مثلاً كفر أصغر، وليس بالكفر الأكبر، وأشباه ذلك من الأدلة التي فيها الوعيد بالحكم وهذا يحتاج إلى أدلة أخرى لبيان معنى هذا الحديث، أو معنى هذه الآية وإلا فالأصل أن يمر، بمعنى لا يدخل العالم أو طالب العلم في تفصيله أو في تفسيره؛ لأن الغرض منه التخويف لهذا مثلاً في حديث ((من أتى كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد))، سئل عنه الإمام أحمد: هل هو كفر أكبر أو أصغر فتوقف عن ذلك وقال –كما هي الرواية الثالثة أو القول الثالث– توقف وقال: أقول كفر وبس، يعني وسكت وهذا لأجل أن النص أطلق والمقصود منه التخويف، وفي القول الأول أنه كفر أكبر كما ينحو إليه قلة من أهل العلم، والقول الثاني أنه كفر أصغر مع أن النص نص وعيد، لكن دخل العلماء في تفسيره لأجل ورود

الأدلة الأخرى كما جاء في مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح ثابت، أنه ﷺ قال: ((من أتى كاهناً أو عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)) وهذا من رواية الإمام أحمد وهي زيادة مقبولة قوية زائدة عما على ما في صحيح مسلم ((من أتى كاهناً أو عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة)) بدون زيادة فصدقه فقد جاءت بإسناد ثابت صحيح، بل هي أرجح في الزيادة من رواية مسلم ولذلك اعتمدها إمام الدعوة –رحمه الله تعالى– في كتاب التوحيد، المقصود أنه قال: ((فصدقه لم تقبل له صلاة))، فكونه ﷺ حدّ عدم قبول الصلاة بأربعين ليلة دلّ على بقاء الإسلام؛ لأن الكافر إذا كفر من بعد إيمانه فإنه لا تقبل له صلاة مطلقاً، أما عدم قبول الصلاة أربعين ليلة فهذا يدل على أنه مسلم، لكن عدم القبول لأجل عظم ما فعل، ثم لأجل الشبهة في حقه، الشبهة في حق من يسأل الكاهن فإنه قد يقول: أنا لا أقول: أنه يعلم الغيب ولا أعتقد أنه يعلم، ولكن قد يخبر بالشيء الذي تخبره به الشياطين، أو من يسترق السمع، فتوجد شبهة تمنع من مأخذ التكفير، أما الساحر فيختلف عن الكاهن، الساحر هذا شيء آخر؛ لأنه لا يسحر إلا بالاستعاذة والاستغاثة بشياطين الجن.

سؤال : هل دعاء الله "اللهم انصر جميع المستضعفين من المسلمين" أو دعاء "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا" من باب التعدي على الدعاء التعدي في الدعاء؟ بحيث أن الأول قد كتبه الله في الأرض والثاني قال الله –سبحانه– كما في الحديث: ((قد فعلت))، السؤال الثاني: هل اعتقاد القبورية أو الصوفية في الأولياء، وأنهم يملكون الشفاعة ونحوه ناشئ من الغلو في الدعاء؟ أم ما هو سبب هذا الاعتقاد لديهم؟

الجواب : مسألة الاعتداء في الدعاء بحثنا فيها باختصار في الدرس الماضي، وهي مسألة مهمة جداً، ينبغي لطلاب العلم أن يعتنوا بها؛ لأن

الداعي إذا اعتدى في الدعاء فإنه يأثم، والاعتداء في الدعاء سبب لرده، بل من أعظم أسباب رد الدعاء أن يدعو العبد ربه –الجليل العظيم– ويعتدي ولا يتأدب وهو يدعو، وبعض البشر وهم من هم في ضعف في شأنهم وقلة حيلتهم، لكنهم إذا رأوا من يسألهم ويعتدي في السؤال فإنهم لا يصبرون، وربما عاقبوا وربما نفروا؛ لأن من حسن أو من أسباب الإجابة حسن السؤال، حتى في حق المخلوق والله –جل وعلا– هو المستحق لكل أدب من عبده، وتذلل من عبده وحسن سؤال وحسن الدعاء.ولهذا نبحث الاعتداء في الدعاء مما ينبغي على كل طالب علم أن يعتني به، وخاصة خطباء المساجد والأئمة الذين يدعون لأنفسهم وللمسلمين في القنوت وفي غيره. لهذا جاء مثل هذا السؤال لأجل الاهتمام بهذا الموضوع قول القائل: اللهم انصر جميع المستضعفين من المسلمين هل هذا فيه اعتداء في الدعاء أم لا؟ هذا فيه حسن رجاء وظن بالله –جل وعلا– وليس فيه اعتداء، والنبي ﷺ دعا بنجاة المستضعفين فقال: ((اللهم أنجي المستضعفين، اللهم أنجي فلان وفلان)) والدعاء بنجاة جميع المستضعفين من المسلمين، أو بنصر المسمين جميعاً، هذا طلب والطلب قد يجاب بنحوه، يعني قد يجاب بنفس المطلوب، وقد يجاب بصورة أخرى، كما أوضحنا في الدرس الماضي ((ما من عبدٍ يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال، إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يختبأها له يوم القيامة وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها)). وهذا يدل على أن العبد إذا أعظم في الطلب، فإنه هذا مع عظم الرجاء الاعتداء في الدعاء لا يدخل في هذه اللفظة؛ لأنه لم يسأل سؤال فيه إثم، ولم يسأل سؤالاً ويدعو بدعاء فيه قطيعة رحم، ولا بشيء مضادٍ لأمر الله –جل وعلا– في القرآن والسنة، ولم يدعو بدعاءٍ فيه مناقضة لحكمة الله –جل وعلا– مثاله، مثال ما يناقض الحكمة مثلاً يقول القائل: اللهم دمّر اليهود

والنصارى أجمعين، اللهم اجعلهم كذا واجعلهم كذا... إلى آخره وهذا تدميرهم بأجمعهم هذا ينافي الحكمة التي أخبرنا الله -جل وعلا- بها أنه يؤخر هؤلاء حتى ينزل المسيح -عليه السلام- فيسلم النصارى ويقتُل اليهود، فمثل هذا الدعاء العام، هذا فيه مناقضة لما أُخبرنا من الحكمة،وفيه -مثل ما ذكرت- اعتداء في الدعاء، ولهذا كان من دعاء عمر -رضي الله عنه- وهو الخليفة الراشد، والفقيه الأعلم في دعائه، أنه لم يكن يدعو على جميع الكفار، على جميع الكفار بأصنافهم من اليهود والنصارى وغيرهم، وإنما كان يدعو دعاءً مقيداً في القنوت، فيقول: -رضي الله عنه- في دعاء القنوت: "اللهم عليك بكفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن دينك ويقاتلون أوليائك". وهذا مما يوافق قول الله -جل وعلا- في سورة الممتحنة: ﴿ **لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ ومن البر في حقهم عدم الدعاء عليهم، ومن البر في حقهم الدعاء لهم بالهداية ونحو ذلك، ثم قال -جل وعلا-: ﴿**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾ هؤلاء هم الذين يدعى عليهم، وهم الذين ينتصر عليهم... إلى آخره. أما الشق الثاني في ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. هل هو من باب الاعتداء في الدعاء؟ عدّه بعض العلماء من الاعتداء في الدعاء كالقرافي في الفروق وغيره، وسبب ذلك أن -الله جل وعلا- قال: قد فعلت. فالله -جل وعلا- أجرى في هذا حكماً في أن من نسي أو أخطأ، فأنه لا يؤاخذه ولا يجعل عليه وزراً -جل جلاله- فإذا دعوت وأنت عالم بأن الله أعطى هذا فيقول: هذا اعتداء؛ لأنه أنت تدعو بشيء قد تكفل الله به، فكأنك تقول: إن الله لم يتكفل به، أو تشك في تكفل الله به، هذه وجهة القرافي ومن معه، وربما مال إليه بعض أهل العلم الآخرين، والقول الثاني وهو الصحيح، أن هذا ليس من الاعتداء في الدعاء؛ لأن الذي عفا الله -جل وعلا- عنه أن يؤاخذه

بالنسيان والخطأ هو المؤمن الموحد، فهذا السائل لا يسأل بما يتعلق بإعطاء الله –جل وعلا– ولا بفعل الله –جل وعلا–، وإنما يسأل أن يكون هو ممن أكرمه الله –جل وعلا– بالدخول في زمرة المؤمنين الذين أعطاهم هذا الفضل والإحسان، فكأنه قال: اللهم ثبتني على الإيمان، اللهم لا تزغ قلبي حتى لا يؤاخذ بنسيانه أو بخطأه، وهذا هو المعتمد في مثل هذه المسألة. اقرأ.

المتن :

والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرق في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

الشرح :

الحمد لله وبعد، قال –رحمه الله تعالى– وأجزل له المثوبة على ما قرب لنا من عقيدة السلف –رضوان الله عليهم– قال: (والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى) يريد الطحاوي –رحمه الله– بهذه الكلمة إثبات صفات الله –جل وعلا– الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئته وقدرته –ﷻ–، وهذا هو الذي تميز به أهل الحديث والأثر مخالفين في ذلك كل الفرق الأخرى التي لم تثبت صفات الذات، أو لم تثبت صفات الأفعال الاختيارية التي تقوم بذات الرب – جل وعلا– إذا شاء الله –جل وعلا– ذلك، يعني منوطة بإرادته وقدرته كما سيأتي. وذلك أن الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشعرية والماتريدية كل هؤلاء ينفون الصفات الفعلية الاختيارية على اختلاف بينهم في هذا النفي فأراد الطحاوي –رحمه الله– أن يقرر أن منهج السلف الصالح، وأن عقيدة الصحابة وأئمة الإسلام أنهم يثبتون صفة الغضب والرضا على حد قوله –جل وعلا–: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ فكما أنه –جل وعلا–

يتكلم لا كأحدٍ من الورى، ويسمع لا كأحد من الورى، ويبصر لا كأحدٍ من الورى وهو -جل وعلا- له الحياة كاملة لا كأحدٍ من الورى، وله الإرادة -جل وعلا- وله القدرة لا كأحدٍ من الورى، فكذلك هو -جل وعلا- يوصف بأن له وجهاً لا كأحدٍ من الورى، وأن له يدين لا كأحدٍ من الورى، وأنه -ﷻ- مستوٍ على عرشه لا كأحدٍ من الورى، وأنه -جل وعلا- يغضب لا كأحدٍ من الورى، ويُريد لا كأحدٍ من الورى، ويرضا لا كأحدٍ من الورى، ويحب لا كأحدٍ من الورى، ويسخط لا كأحدٍ من الورى، وهكذا في كل الصفات فباب الصفات باب واحد، كما سيأتي بيانه إذاً، فالطحاوي -رحمه الله- يريد بذلك أن يقرر هذه العقيدة، وأن منهج السلف فيها كقولهم في غيرها من الصفات، لا يفرقون بين صفة وصفة، ثم هاهنا مسائل:

المسألة الأولى: أن صفة الغضب وصفة الرضا من الصفات التي ذكرت في القرآن والسنة، في آيٍ وفي أحاديث كثيرة، أما القرآن فكقوله -جل وعلا- في الرضا: ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾، وقال -جل وعلا- أيضاً في الرضا: ﴿ **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ** ﴾ في غير ما آية، وقال -جل وعلا- في الغضب: ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾ وقال -جل وعلا-: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ** ﴾، وقال -جل وعلا-: ﴿ **وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** ﴾ وقال: ﴿ **فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ** ﴾، ونحو ذلك من الآيات. أما السنة فقد قال ﷺ في الرضا، في الحديث الذي فيه ذكر نعيم أهل الجنة، قال في آخره لما سألهم قال: ((هل أعطيتكم؟)) قالوا: نعم؟ قال: ((فإني أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا)) إحلال الرضوان،

إحلال الرضا من الله –جل وعلا–. ونحوه في قوله: ((من لم يسأل الله يغضب عليه))، والأحاديث في هذا الباب معروفة.

المسألة الثانية: في قوله: (يغضب ويرضا لا كأحدٍ من الورى) . الغضب والرضا من الصفات التي يتصف بها الرب –جل وعلا– إذا شاء، فغضبه –سبحانه– ورضاه متعلق بمشيئته وقدرته، الغضب يحل ثم يزول والرضا يحل ثم يزول، وهكذا يعني أن الغضب ليس دائمًا، والرضا ليس دائمًا، وإنما هذا مرتبط كجنسه في الصفات الفعلية بمشيئة الله وبقدرته. وهذا هو الذي قرره أهل الحديث والأثر وأئمة أهل السنة، واستدلوا لذلك بقول الله –جل وعلا–: ﴿ **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴾، في سورة طه ﴿ **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴾ فدل على أن الغضب يحل بعد أن لم يكن حالاً، وحلوله يدل على أنه متعلق بمشيئة الله –جل وعلا– لأنه ما شاء الله –جل وعلا– كان، فإذا شاء الله أن يغضب فإنه –سبحانه– يغضب وإذا شاء أن يرضى فإنه –جل وعلا– يرضا. وكذلك قوله ﷺ في الحديث: ((أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده أبدًا)) دل على أن أهل الجنة منّ عليهم –جل وعلا– بأنه أحل عليهم رضاه، فلا يسخط بعده عليهم أبدًا، وهذا يدل على أن الرضا متعلق بالمشيئة، بمشيئة الله –جل وعلا– وإرادته وقدرته –ﷻ– هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ لأن الغضب والرضا صفات فعلية اختياريه للرب –جل وعلا–، ومن جنسها صفة المحبة والسخط والولاية والعداوة، وأشباه ذلك. فإنها تختلف ومتعلقة بمشيئة الله وقدرته. أما مذاهب المخالفين في هاتين الصفتين بخصوصهما فإن الجهمية ومن شابههم ممن ينفون الصفات أصلاً، يجعلون الآيات والأحاديث التي فيها ذكر الغضب، أو فيها ذكر الرضا، أنها أسماء للشيء الذي سمي غضبًا، يعني العقوبة هي الغضب، والنعيم هو الرضا، فعندهم أن هذه الأشياء مخلوقات منفصلة متعلقة بمن قيل عنه: إنه

غضب عليه، أو رضي الله عنه. فإذا نَعَّم فهذا رضاه، يعني نفس النعيم هو رضا الله –جل وعلا–، ونفس العقوبة هي الغضب. هذا مذهب الجهمية ومن شابههم. أما الكُلاَّبية وهم أول من نفى هذه الصفات لأجل نفي تعلقها بمشيئة الله وقدرته، وتعليلهم لذلك بأن إثباتها يقتضي أنه –جل وعلا– محل للحوادث. ولهذا ذهبوا إلى أن غضب الله –جل وعلا– واحد، وأن رضاه واحد، فغضبه عندهم قديم، من غضب عليه فإنه لا يرضا عليه أبدًا، ومن رضي عنه فإنه لا يغضب عليه أبدًا، فعندهم أن غضب الله –جل وعلا– ليس له تعلق بعمل العبد أو بعمل العبيد، وأن رضاه ليس متعلقًا بعمل العبد أو بعمل العباد، وإنما هو شيء واحد. ولهذا يقولون: إنه من كان من أهل الجنة في العاقبة فإنه مرضي عنه ولو كان حال عبادته للوثن، ولو كان حال زناه، وشربه للخمر، –يعني قبل أن يسلم–، ومن غضب الله عليه وكانت خاتمته النار والعذاب، فإنه مغضوب عليه ولو في حال صلاته وخشوعه وبكائه بين يدي الله في حال إسلامه. وهذا يعني أنه إبطال للصفة أولاً، ثم أنه لا معنى حينئذ عندهم لكتابة الحسنات للمسلم، ولكتابة السيئات على الكافر في حال إيمان الأول، وكفر الثاني؛ لأن الإنسان إذا أسلم فإن الإسلام يَجُبُ ما قبله، فكيف يكون مرضي عنه والملائكة تكتب عليه السيئات. ثم هذا المسلم يكون خاشعًا يكتب له الحسنات ثم تأتي الردة فيحبط عمله، فيكون عندهم دائمًا في حال الغضب وأشباه ذلك. وهذا خلاف ما دلت عليه الأدلة كما ذكرت لك في قوله: ﴿ **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴾، ((أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا))، وأشباه هذه الأدلة. إذًا فعندهم –عند الكلابية– وهو الذي ذهب إليه الأشعرية والماتريدية، أن صفة الغضب والرضا ونحوها من الصفات أنها صفات قديمة ذاتية، يعني أنها لا تتعلق بمشيئة ولا إرادة ولا قدرة، بل هي قديمة غضب وانتهى، ورضي وانتهى وليس ثم شيء يتجدد بتعلقه بالآحاد.

المسألة الثالثة: الذين نفوا هذه الصفات، الصفات الفعلية بعامة، بل قبل ذلك نقول: الذين تأولوا ابن كُلاَّب ومن معه، على النحو الذي ذكرنا لك سالفًا، هم أول من أحدث هذا المصطلح وهو الصفات الذاتية والصفات الفعلية، وجعلوا الباب عندهم إن إثبات صفات الفعل، يعني حلول الحوادث بالرب -ﷻ-، وأهل السنة والجماعة استعملوا هذا التقسيم، الصفات الذاتية والصفات الفعلية على ما دلت عليه النصوص، فَعُرف الصفات الذاتية بأكثر من تعريف، وهو اجتهاد من العلماء، لكن لعلة يكون من أقربها، أن الصفات الذاتية هي الملازمة للموصوف، والصفات الفعلية هي الصفات غير الملازمة للمتصف بها، غير الملازمة للذات. ويُعنى بالملازمة التي لا تنفك عن الذات الموصوفة بهذه الصفة، ففي حق الله -جل وعلا- نقول: الوجه صفة ذات؛ لأنه لا ينفك والله -جل وعلا- متصف بهذه الصفة دائمًا وأبدًا، وأنه -سبحانه- متصف بالعظمة والكبرياء والجلال والنور، وأشباه ذلك. هذه صفات ذاتية. والقسم الثاني: الصفات الفعلية وهذه الصفات الفعلية هي غير الملازمة يعني التي تتعلق بمشيئة الله -جل وعلا- وقدرته واختياره -ﷻ-، فليست ملازمة فإنها تكون في حال دون حال، وهذه منها ما يكون دائماً صفة فعلية ومنها ما يكون آحاده صفة فعلٍ واختيار وأصله صفة ذات ملازمة، مثال الثاني الكلام لله -جل وعلا-، فإنه -سبحانه- كلامه كما أنه قديم، فإنه متجدد الآحاد، ومثال الأول، مثل صفة الغضب والرضا، فإنها متعلقة بما يغضب عليه، بمن يغضب عليه، وبمن يرضا عنه. والشبهة التي أوقعت الكُلاَّبية.

الشريط التاسع والأربعون وجه (ب)

أن الأشعري لما ترك الاعتزال وقد نشأ عليه في أول أمره، ذهب يبحث عن جواب الأسئلة عنده قبل تركه للاعتزال، فوجد في جامعٍ في بغداد

أصحاب ابن كُلاَّب يتباحثون ومنهم من يُعَّلم، فجلس فأعجبه كلامهم، لأنهم كانوا يردون على المعتزلة، فأخذ مذهب الكُلاَّبية وهو المذهب الذي درج عليه أصحابه، أصحاب الأشعري. ثم مر عليه زمن في ذلك وصنف في مذهبهم مصنفات، ثم نظر في قول أهل الحديث فرجع إليه فصار آخر أمره، على أنه من أهل الحديث كما هو مقرر في كتبه، كالإبانة ومقالات الإسلاميين، ورسالة أهل الثغر، أو رسائل أهل الثغر، وغيرها. المقصود من هذا أن هذه المدرسة الكُلاَّبية والأشعرية والماتريدية في هذه المباحث مباحث الصفات، كلامهم واحد وشبهتهم في نفي الغضب والرضا والحب والبغض والعداوة وأشباه ذلك، والولاية أنه إذا أثبتت متعلقة بالمعين فإنه يعني ذلك أن يكون الله -جل وعلا- محلاً للحوادث، محلاً للمتغيرات، كيف؟ قال ابن كُلاَّب ومن معه: إنه إذا قلنا: إنها متغيرة، متجددة. يغضب ثم يتغير، فيرضى على هذا ثم يغضب على هذا، ثم... إلى آخره، فمعناه أن ذاته -جل وعلا- تتغير. وهذا منهم؛ لأنهم قعدوا قاعدة هذا الكلام بناءً على تلك القاعدة لا يستقيم. ولهذا وجب مناقشتهم في الأصل الذي بنوا عليه هذا النفي هل الله محل الحوادث؟ فيقال لهم: أولاً هذه الكلمة محل الحوادث أو غير محل الحوادث، هذه لماذا أتيتم بها؟ ولماذا قلتم هذا الكلام؟ فيقولون: إنا قلناه، لأننا أثبتنا وجود الرب -جل وعلا- وأنه -سبحانه- موجود ورب وخالق للأشياء عن طريق ما أسموه حلول الأعراض، أو نظرية أو قاعدة حلول الأعراض في الأجسام. ما معنى هذه النظرية؟ نظر -وهي التي أتى بها جهم ابن صفوان رأس الجهمية الضالة- لما تفكر -وقد سبق أن أوضحتها لكم مفصلاً سوف اختصرها في هذا المقام- لما تفكر في الدليل على وجود الله -جل وعلا-، وعلى أن هذه الأجسام مخلوقة قال: الجسم المعين فيه صفات تتغير، والجسم لم يختر هذه التغيرات. ما هذه الصفات التي تتغير؟ قال: الصفة صفة

البرودة، الحرارة صفة كثافة الجسم، امتداده، ضئالته، نوعية الجسم، ارتفاعه، انخفاضه.. إلى آخره، فهذه أشياء لا يختارها الجسم لنفسه، بل هي حالة فيه فكونها حلت فيه، دل على أن هناك مؤثر جعلها تحل في هذا الجسم، وهذا يعني أن الجسم محتاج إلى غيره، لأجل حلول هذه الأشياء فيه. فإذا كان محتاجًا فإنه إنما احتاج لمن لا يحتاج وهو الرب -ﷻ- فثبت عندهم أن الجسم مخلوق من جهة هذه الأشياء التي أسموها حلول الأعراض في الأجسام، أو حلول الحوادث في الأجسام. فثبت عندهم وجود الله -جل وعلا- وأنه خالق الأجسام وأنه هو المستغني وأن هذه الأجسام محتاجة محدثة، بهذا الدليل الذي في أصله غلط ومخالف للكتاب والسنة والتفكير فيه وأنه هو دليل وجود الله -جل وعلا-، تفكير فيما لم يدل عليه نص لا من القرآن ولا من السنة وإثبات وجود الله -جل وعلا- موجود في القرآن والسنة فهم ذهبوا عن الكتاب والسنة إلى العقل، فهداهم عقلهم الخاطئ إلى برهان غلط من أصله، وأن ثبتت به نتيجة مؤقتة، لكنها فيما يترتب عليها غلط فادح. لهذا في القرآن الدليل على وجود الله مختلف عن هذا ﴿ **أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُواْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ** ﴾. ما في عندنا احتمالات، هل خلقت من غير شيء؟ هذا احتمال، هل أنت الخالق لنفسك؟ هذا احتمال، هل الإنسان هو الذي خلق السماوات والأرض؟ أو يكون أن هذه الأشياء كلها مخلوقة، والسبر والتقسيم يعطيك نتيجة صحيحة؛ لأنه برهان عقلي، كذلك التفكير في الآحاد ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تُمْنُونَ** ﴾، هذه أدلة خلق الله -جل وعلا- الذي خلق، وهو القادر على البعث: ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ**﴾، ما دليل الصدق أن الله -جل وعلا- هو الذي خلق؟ ﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَم نَحْنُ الْخَالِقُونَ** ﴾، ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾، ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ**

﴿ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾، ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾. إذن فتفكير الإنسان في ضعفه وإن الأشياء مسخرة له، وأنه لم يخلق نفسه ولم يخلق ولده، وإنما جعل الله –جل وعلا– الخلق في أتفه الأسباب، وهو هذه النطفة المحتقرة التي تماط كالأذى، ولكن جعل الله –جل وعلا– فيها سر الخلق لبيّن للإنسان أنه أعجز ما يكون عن الخلق؛ لأن الله أودع في هذا الشيء المحتقر، أو في هذا الشيء الذي هو كالأذى أودع فيه أسرار الخلق فإذن البرهان على وجود الله –جل وعلا– في كل شيء.

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدل على أنه الواحد

أولئك الجهمية ذهبوا إلى برهان آخر، فأصلوا ذلك، لما أتوا إلى إثبات الصفات وافق جهم المعتزلة ووافقه على هذا البرهان الكُلاَّبية ووافقه عليه الأشاعرة والماتريدية، فجاءوا في الصفات مثلاً الكُلاَّبية في صفة الغضب والرضا –ولا نطيل في البحث– لما أتوا إليها قالوا: لو أثبتا صفة الغضب والرضا، لكان محلاً للحوادث. طيب إذا كان محلاً للحوادث هذه اللفظة لم تأتي في الكتاب ولا السنة إذا كان محلاً للحوادث فما النتيجة؟ النتيجة أنه يبطل الدليل على وجود الله –جل وعلا–، والدليل العقلي على وجود الله –جل وعلا– هو الأصل الأصيل الذي لا يجوز أن يُتعرض له بشيء، وإذا كان شيء يضعف أو يبطل ذاك الدليل، الذي هو دليل الأعراض، فإنه يجب إبطال ما يضعفه أو ما يُضاده، لا أن يُبطل أصل الدليل. لهذا أتوا إلى هذه المسألة في الغضب والرضا وقالوا: هذا معناه أنه محل للحوادث، إذا كانت الأشياء بمشيئته واختياره. فنفوا هذه الصفة. طيب أنتم أثبتم صفة الحياة وصفة القدرة وصفة الإرادة وصفة السمع وصفة البصر.. إلى آخره، فكيف أثبتموها؟ قالوا: تثبت بالدليل العقلي، إما بمطابقته أو بلزومه. كما هو معروف

في أدلتهم للصفات التي أثبتوها. إذًا في الحقيقة أن الذين عناهم الطحاوي – رحمه الله– بقوله: (والله يغضب ويرضا لا كأحدٍ من الورى) أننا نثبت الصفة وننفي مماثلة الرب –جل وعلا– لأحدٍ من خلقه في اتصافه بهذه الصفة، ففيها رد على الكُلاَّبية والأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم من الفرق المختلفة.

قوله –رحمه الله–: (لا كأحدٍ من الورى) . أنا اختصرت لكم الكلام السابق، لكن تفصيله في عدد من الشروح التي شرحتها لكم ما أدري في الحموية يمكن والواسطية وفي عدد فصلنا هذه المسألة؛ لأنها مهمة في مسألة نفي الصفات.

المسألة الرابعة: أن الذي لا يثبتون صفة الغضب والرضا، كصفة فعلية اختيارية يتأولونها بإرادة الانتقام والعذاب في الغضب. وإرادة الإنعام والإحسان في الرضى فيقولون الغضب هو إرادة الانتقام والعذاب فجعلوها صفة الإرادة، الرضا هو إرادة الإحسان والإنعام. لماذا أولتموها إلى صفة الإرادة؟ قالوا: لأن صفة الإرادة صفة ثابتة بالعقل. فوجب رد هذه الصفة التي لا يصلح أن يوصف الله –جل وعلا– بها إلى ما دل عليه الدليل العقلي، وصفة الإرادة، نعم دل عليها الدليل العقلي، هذا صحيح، كما دل عليها الدليل السمعي، ولكن تسميتكم لهذا تأويلاً هو في الحقيقة نفي للصفة؛ لأن صفة الإرادة دل عليها العقل ودل عليها السمع كما عندهم، فكونكم تقولون: لا يتصف بالغضب، لا يتصف بالرضا وإنما يتصف بالإرادة. الإرادة أقسام، إرادة غضب، إرادة انتقام إرادة إحسان إرادة خلق... إلى آخره، لكن هي تبقى صفة إرادة. فإذًا لما أوّلوا الغضب والرضا بالإرادة فإنهم يعني ينفون صفة الغضب والرضا، ولهذا في الحقيقة الذي يتأوّل الصفة بصفةٍ أخرى فإنه ينفي الصفة، فكل متأوّل نافٍ للصفة التي يقول: إنها لا تصلح في حق الله –جل وعلا–.

ولهذا يدخل في نفاة الصفات عند السلف مسمى نفاة الصفات، يدخل فيه الجهمية الذين ينفون جميع الصفات، والمعتزلة الذين ينفون جميع الصفات إلا ثلاث صفات، ويدخل فيه الكُلاَّبية الذين ينفون جميع الصفات إلا صفات سبع ومعهم الأشاعرة ويدخل فيه الماتريدية الذين ينفون جميع الصفات إلا صفات ثمان، وهكذا فمسمى نفاة الصفات يدخل فيه كل هذه الفرق في بعض الأحيان. وهذا في الحقيقة تعدٍ على الشريعة وعلى النص؛ لأنهم ينفون – وحشانا من ذلك– ينفون ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، فهل يتجاسر مسلم على أن ينفي شيئًا وصفه الله –جل وعلا–وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ؟ فنقول لهم: الله يغضب؟ يقولون: لا يغضب: ﴿ **وَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْـهِ** ﴾ يقولون: لم يغضب عليه، وإنما أراد به الانتقام. وهكذا، لكن لأجل الشبهة عندهم، فإنهم يكونون من أهل البدع لعدم متابعتهم للسلف في هذه المسائل، وإحداثهم لبدعة التأويل في هذه النصوص الغيبية ولا يُكفرون في تأويلهم لأجل الشبهة التي عندهم.

المسألة الخامسة والأخيرة: قوله هنا: (لا كأحدٍ من الورى) . يعني لا كأحدٍ من الخلق، فإن غضب الإنسان يناسبه ورضا الإنسان يناسبه، وغضب الرب –جل وعلا– ورضاه ومحبة الرب –جل وعلا– وبغضبه –ﷻ– ، وهكذا جميع الصفات، هذا بما يليق بجلاله –جل وعلا– وعظمته فالصفات تناسب الذات، صفات الإنسان تناسب ذاته الحقيرة الوضيعة، الحقيرة يعني، لا باعتبار أنه مكرم، حقيرة باعتبار ضألته وضعفه وحاجته، وإلا فهو مكرم. صفة الإنسان تناسب ذاته الضعيفة الفقيرة المحتاجة، وصفة الرب –جل وعلا– تناسب ذاته الكاملة العلية الجليلة الجميلة –-ﷻ– وتقدست أسماؤه. فإذًا بين الصفة والصفة كما بين الذات والذات، فذات الرب –جل وعلا– لا يمكن أن تقارن ذات المخلوق بها بأي شكل من الأشكال، فكذلك صفات –جل

وعلا- لا يمكن أن تقارن صفات المخلوق بها. إذا تبين ذلك فإنه إذا أطلق اللفظ -لفظ الصفة- غضب رضا محبة... إلى آخره، فإن بعض الناس يأتي في ذهنه معنى للغضب، يأتي في ذهنه معنى للرضا، وذلك لأن الإنسان لم يستقبل المعاني إلا لما رأى المسميات، يعني لم يفهم الشيء إلا لمار أي صورة أمامه جعلت المعنى يرتبط في ذهنه بهذه الصورة، وإلا في الحقيقة فإن هناك ثلاثة أشياء في أبواب الصفات، الشيء الأول المعنى الكلي للصفة. ما معنى المعنى الكلي؟ يعني غير المتعلق لا بالرب -جل وعلا- وغير المتعلق بالإنسان المخلوق، معنى كلي، هل في الحقيقة، في الحياة، هل في الوجود هناك معنى كلي تراه يمشي أمامك؟ إنما المعاني الكلية للغة ودلالات الألفاظ من حيث المعنى، هذه إنما موجودة في الذهن للتصور، هذا التصور لا يدركه كل أحد؛ لأن جمهور الخلق إنما يتصورون من المعاني بعد رؤية الصور التي تدلهم عليها، فلا يتصور شيئًا لم يره، لا يتصور شيئًا؛ لأنه لا يمكن يتصور شيء، وقدرته لا تستوعبه. فلهذا نأتي هنا إلى الشيء الثاني، وهو الصفة، أو هذا المعنى الكلي المضاف إلى الرب -ﷻ-.

الحالة الثالثة: المعنى الكلي المضاف إلى المخلوق المعين، فإذا أضيف المعنى الكلي إلى المخلوق فإنه في الحقيقة لا يبقى كليًا، وإنما لابد أن يتخصص بشيء يدل عليه أنك ترى في السمع مثلاً، فإن البعوضة لها سمع وبصر، والإنسان له سمع وبصر، هل نقول هنا: السمع والبصر هو كلي في الإنسان وفي البعوضة؟ لا، وإنما هو كلي من جهة فهمك، ما معنى السمع؟ ما معنى البصر؟ فإذا كان عندك قدرة لاستيعاب المعاني الكلية دون تأثيرٍ لما ترى وما تسمع للمعاني والقواعد التي في ذهنك، فإنه يمكن أن تتصور المعاني الكلية، وإلا فإنه في الخارج في الواقع في الحياة لا يوجد إلا مخصص تقول: سمع الإنسان، وبصر الإنسان سمع البعوض، وبصر

البعوض. سمع الفيل، وبصر الفيل. سمع الوطواط وبصر الوطواط. وهكذا، الغضب والرضا، المولود الذي ولد أليس عنده أساس من الرضا والغضب؟ يرضا عن والديه فيفرح ويبتسم، ويغضب فيعبر بطريقةٍ أخرى، هل تعبير الطفل في غضبه ورضاه هو كتعبير أبيه في غضبه ورضاه؟ لا، بل الإنسان في نفسه لما كان طفلاً فإنه يعبر عن غضبه ورضاه بشيء، وإذا صار شابًا يعبر عن غضبه ورضاه بشيء، وإذا صار كهلاً وشيخًا فإنه يعبر عن رضاه وغضبه بشيء. وهذا يدلك على أن هذه المعاني لا يمكن أن تنفى عن الله – جل وعلا– وهذه الصفات باعتبار النظر للمخلوق لأن أصل المخلوقات تختلف في حياتها وتختلف في آثارها للغضب والرضا، وكيف يغضب ومتى يغضب.. إلى آخره، فإذا كان المخلوق يختلف فالله –جل وعلا– له المثل الأعلى والصفات العليا. وهذه قاعدة مهمة تستمسك بها في الرد على المتأولين للصفات، والخائضين في عموم الغيبيات، فاستمسك بها وادرسها شيئًا فشيئًا فإنها مهمة. لهذا نقول: إن الذين يقولون: الغضب والرضا هو الإرادة. نفوا الصفة، ونفيهم لهذه الصفة لأجل اتصاف المخلوق بها، فإن هذا تعدٍ على النص، وأيضًا جهل بالعقليات على الحقيقة.

سؤال : هل المعتزلة والكُلاَّبية في تأويل تلك الصفات مجتهدين عند تأويلها. وإذا كانوا مجتهدين فهل ينكر عليهم؟ وهل يحصل لهم ثواب على اجتهادهم لقوله ﷺ: ((من اجتهد فأصاب الله فله أجران، من أخطأ فله أجر))؟

الجواب : أولاً، هم مجتهدون نعم، لكن لم يؤذن لهم في الاجتهاد، لأنهم اجتهدوا بدون أن يأذن لهم الشرع في الاجتهاد. الاجتهاد يكون في المسائل التي له فيها أن يجتهد، أما مسائل الغيب والصفات والجنة والنار، والشيء الذي لا يدركه الإنسان باجتهاده، فإنه إذا اجتهد فيه، فيكون قد تعدى ما أذن

له فيه، والمتعدي مؤاخذ. ولهذا هم لا شك أنهم ما بين مبتدع، بدعته كفرية، وما بين مبتدع، بدعته صغرى، يعني بدعة معصية. والواجب على كل أحد أن يعلم أن اجتهاده، إنما يكون فيما له الاجتهاد فيه، هذا يختلف باختلاف الناس. العلماء –علماء الشريعة– يجتهدون في الأحكام الشرعية، الأحكام الدنيوية التي فيها مجال للاجتهاد، أما الغيب فلا مجال فيه للاجتهاد، ولم يؤذن لأحد أن يجتهد فيه بعقله لكن إن اجتهد في فهم النصوص في حمل بعض النصوص على بعض، هذا في ترجيح بعض الدلالات على بعض هذا من الاجتهاد المأذون به، سواءً في الأمور الغيبية أم في غيرها، لكن أن يجتهد بنفي شيء لدلالة أخرى ليست دلالة مصدر التشريع الذي هو الوحي، من الكتاب والسنة في الأمور الغيبية مصدر التشريع الكتاب والسنة، فإنه ليس له ذلك. فلذلك لا يدخل هؤلاء من المعتزلة والكُلاَّبية ونفاة الصفات، أو الذين يخالفون في الأمور الغيبية لا يدخلون في مسألة الاجتهاد، وأنه إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر، وإنما هم مزورون؛ لأنهم اجتهدوا في غير ما لهم الاجتهاد فيه والواجب عليهم أن يسلموا لطريقة السلف وأن يمروا نصوص الغيب كما جاءت، وأن يؤمنوا بما دلت عليه. لهذا نقول: قد يكون لهذا المبتدع، أو لهذا الموافق للمبتدعة، أو لهذا المتأول، أو لهذا المتكلم في الغيب برأيه وعقله مع وزره وإثمه وبدعته، قد يكون له من الحسنات ما يمحو تلك السيئات؛ لأن البدعة والتأويل وأشباه ذلك معصية، بدعة صغرى معصية وكبيرة من جنس غيرها من الذنوب، ولكنها هي يعني من جنس غيرها بأنه يأثم فيها، لكنها هي أعظم؛ لأن جنس البدع أعظم من جنس الكبائر والذنوب. قد يكون له حسنات عظيمة مثل مقام عظيم من الجهاد في سبيل الله، أو نصرة للشريعة في مسائل كثيرة ونحو ذلك، ما يكفر الله –جل وعلا– به خطيئة، أو تكون حسناته راجحة على سيئاته، ولكن من

حيث الأصل ليس له أن يجتهد وهو آثم بذلك، لكن ربما يكون عفو الله –جل وعلا– يدركه. ولهذا لما ذكر ابن تيمية في أول الواسطية وهذه مهمة، لما ذكر قال: هذا اعتقاد الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة، وعقدوا له المحاكمة على هذه العقيدة وقالوا ماذا تعني بقولك الفرقة الناجية قال يعني الناجية من النار قالوا هل يعني هذا أنك تقول أن من لم يؤمن بهذه العقيدة ويقول بها أنه من أهل النار؟ قال لم أقل هذا ولا يلزم من كلامي لأن هذه العقيدة من اعتقدها فهو موعود بالنجاة وبالنصر. موعود بالنجاة من النار ((كلها في النار إلا واحدة)) قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي))، ومعلوم بالقطع أن النبي ﷺ والصحابة لم يكن عندهم تأويل ولا خوض في الغيبيات باجتهاد ورأي، وأن من لم يعتقد هذا الاعتقاد فهو على ذنب وقد يغفر الله له فلا يدخله النار لا يعذبه بالنار ابتداءً يغفر له؛ لأن هذا دون الشرك، وقد يغفر الله –جل وعلا– له بحسنات ماحية، وقد يغفر الله –جل وعلا– له بمقام صدقٍ في الإسلام كجهاده ونحوه... إلى آخره لكنه متوعد؛ لأنه أتى أو قال بغير دليل. لهذا ليس لأحدٍ أن يجتهد في الغيبيات بما لم يوقف فيه على دليل.

سؤال : أليس الغضب والرضا متعلق حصوله بمسببات؟ ليس كما قررنا أنه متعلق بالمشيئة والقدرة، فإذا حصل سبب الرضا حصل رضا الله –ﷻ– ومثله يقال في الغضب فيقال: رضا الله أو غضبه متعلق بمشيئته إذا حصلت. وضح لي ما اشتبه عليّ؟

الجواب : هذا غير خاص الذي تفضل به أو ذكره السائل، غير خاص في الغضب والرضا، يعني المغفرة متعلقة بسبب، الرحمة متعلقة بسبب، إجابة الدعاء متعلقة بسبب كلام الله –جل وعلا– تنزيله للقرآن متعلق بسبب، يعني ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾، هذا متى صار؟ بعد أن

تكلمت وجادلت، ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا** ﴾، هذا بعد سبب إذاً فتعليقه بالسبب الذي من العبد ليس هو بحث في الصفات البحث المراد، إنما المراد أنه يتصف الله –جل وعلا– بهذه الصفة إذا شاء –ﷻ–، إذا شاء –ﷻ– فإنه يتصف بها، يعني إذا أراد –جل وعلا– أن يغضب غضب، وقد لا يغضب فلا يلزم من وقوع الشيء الذي يغضب عليه الرب –جل وعلا– أن يغضب –ﷻ–، بل قد يغضب وقد لا يغضب وإذا وقع ما يرضا عنه الله –جل وعلا– فإن رضاه –ﷻ– متعلق بمشيئته وقدرته أما الأسباب اللي من العبد فهذه في الجميع.

سؤال : هذا يقول: صفة الغضب والرضا كصفة الكلام، قديمة الأصل متجددة الآحاد. هل يُقال بهذا؟

الجواب : الكلام يختلف عن صفة الغضب والرضا، كلام الله –جل وعلا– منه الكلام الكوني الذي به تكون المخلوقات، والله –جل وعلا– خلق الماء بكلامه الكوني، وخلق العرش بكلامه الكوني –جل وعلا–، وخلق الهواء بكلامه الكوني، وخلق القلم بكلامه الكوني، وخلق اللوح المحفوظ بكلامه الكوني، وخلق السماوات والأرض ومن فيها من المكلفين وما فيها من المخلوقات ومن يغضب عليه ويرضا عليه بكلامه الكوني. الغضب والرضا صفة فعلية تقوم بمشيئته –جل وعلا– وبقدرته، أما أنها كالكلام في هذا، فلا أعلم هذا مما قرره أهل العلم، في أنها قديمة النوع حادثة الآحاد، أنا لا أعلمه ممكن أننا نبحثها زيادة أو يبحثها أحد الأخوان ويفيدنا فيها. شيخ الإسلام له رسالة مستقلة ترى في المسألة ما أمكني أراجعها، اللي هي رسالة في الصفات الاختيارية، يمكن رأيتموها. هي ليست في الفتاوى هي مستقلة في مجموعة الرسائل التي طبعها الدكتور محمد رشاد سالم –رحمه الله– أول رسالة فيه في الصفات الاختيارية بحث فيها كل هذا.

سؤال : هل لكم دروس غير درس السبت والخميس؟ وهل سيكون درس بعد الطحاوية؟

الجواب : إن شاء نتفاءل بالخير إن شاء الله، يعني خلاص الطحاوية ثم نقف لأن عندي في الغالب السبت والخميس هذه ثابتة وفي داخل الأسبوع يكون عندي يوم الثلاثاء والخميس، أو الثلاثاء أو الخميس والجمعة، إما محاضرات أو يعني أشياء تتعلق بمدارس تحفيظ القرآن، أو زيارات فيها إرشاد، ونحو ذلك.

سؤال : هل دعاء الأئمة في قنوت الوتر بالميكروفون الخارجي على المنابر يعتبر من الاعتداء في الدعاء؟

الجواب : هذه وسيلة ما لها علاقة، الاعتداء في نفس الكلام، أما كونه يطلع برّه أو ما يطلع، يعني هو نظر إلى أنه جهر، يعني فيه رفع الصوت، قالوا: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه قال: ((إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته))، هذا كونه يدعو بصوت خاشع ويسمع في الخارج، ليس هذا من الاعتداء في الدعاء.

سؤال : نرجو من فضيلتكم تقرأه على ما هو عليه، التعليق على هذه الكلمة... إلى آخره.

الجواب : الكلمة أعرفها وأعرف من قالها، وهذه طريقة في الأسئلة أنا ما أحبها من قديم يعني، الواحد ما يأتي، يأخذ المتكلم أو يأخذ الشيخ أو يأخذ المعلم، يسأله عن كلمة لا يعرف، ربما هو من يعرف ما قالها، ثم يقال: إنه فلان يقول في الشيخ الفلاني كذا وكذا. هذه كلمة معروفة، يعني أثيرت هذه الأيام. لهذا ينبغي السؤال يكون واضحًا، لكي يكون الجواب واضحًا. المقصود أن كون الأشاعرة من أهل السنة والجماعة أم لا؟ فبعض علماء الحنابلة المتأخرين، أو أكثر المتأخرين ممن صنفوا في عقيدة السلف وهم لم يحققوا

هذا الأمر عدو الفرق، أهل السنة والجماعة عدوها ثلاث فئات أهل الحديث والأثر والأشاعرة والماتريدية. هذا كما فعله السفاريني وفعله أيضًا غيره، وهذه مشت على كثيرين وتبناها أخيرًا، تبناها بعض الجماعات الإسلامية ووسعوا الكلام فيها كما هو معلوم. لكن في الحقيقة كلمة أهل السنة، نعم الجميع من أهل السنة ولا شك؛ لأن السنة لأنهم جميعًا يحتجون بالسنة ويؤمنون بها... إلى آخره، لكن الجماعة، كلمة الجماعة طبعًا كلٌ يدعيها، الأشاعرة يقول: نحن أهل السنة والجماعة والماتريدية يقولون: نحن أهل السنة والجماعة. وربما لا يفرق بينهم، يعني فالجميع يقولون: أهل السنة والجماعة يعنون الأشاعرة والماتريدية، وأهل الحديث والأثر يقولون: نحن أهل السنة والجماعة... إلى آخره. لكن إذا نظرت للحقيقة كلٌ يدعي وصلاً بالجماعة، لكن هل يصح ادعاؤه أم لا يصح؟ كلمة الجماعة هنا معناه، الذي لم يفرق في الدين، ما كانت عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة والتابعون. فهل أقوال هؤلاء فرقت في الدين؟ وهل هي على ما كان عليه الأوائل، أم لا؟ إذا أتى الجواب جاءت النتيجة، فإذا كان فعلاً هم على ما كان عليه الأوائل، يعني الأشاعرة ونحوهم وبعض الفرق الموجودة الآن والجماعات الإسلامية وغيرها، إذا كانوا على ما كانوا عليه السلف الصحابة، على الجماعة الأولى لم يفرقوا بين دليل ودليل خاصةً في الأمور الغيبية في مسائل العقيدة، ولم ينفوا شيئًا بل أثبتوا كما أثبت الله –جل وعلا–، فإن هؤلاء من الجماعة، لكن إذا كانوا يفرقون ويتأولون ويتعرضون للغيبيات بما يتعرضون به، بل يخالفون في معنى كلمة التوحيد في أول واجب وفي الإيمان يخالفون وفي القدر يخالفون وفي الصفات يخالفون وفي مسائل أخر أيضًا في العقيدة يخالفون ما كان عليه السلف، فكيف نقول: إنهم متمسكون بالجماعة!! التمسك بأهل السنة والجماعة ليست دعوة وليست منحة يُمنحها الإنسان باختياره، نقول: فلان من أهل السنة

والجماعة وإلا.. ليست مزاجًا وليست عقلاً وليست معنى هبات توزع على الناس هذا وصف جاء في الكتاب والسنة؛ لأن الذي فرق دينه ليس من الجماعة: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ** ﴾، يقول: الله –جل وعلا– نوصفه بالسمع والبصر ما نتأوله، لكن الغضب والرضا نتأولها نقول: هي الإرادة. معناه أنه ما يغضب، نقول: نعم ما يغضب. طيب اللي يعبد الصنم، نقول مثلاً: خالد بن الوليد لما علا جبل أحد وأصبح يرمي النبل على النبي ﷺ والسهام على النبي ﷺ وعلى الصحابة وقتل من قتل من شهداء أحد، في تلك الحال كان مغضوبًا عليه أم مرضيًا عنه؟ عندهم أنه مرضي عنه؛ لأنه أسلم عقب خمس سنين، ست سنين. هل هذا، إذًا فثم مخالفة ودخول في صفات الله –جل وعلا– بالعقليات، هذا خطأ كبير. الأصل الأصيل عندهم أن الشرع تبع للعقل. ولهذا يقول قائلهم: العقل هو القاضي والشرع هو الشاهد. يعني القاضي الذي يقضي في الخصومات العقل، لكن الشرع شاهد يأتي بدليل من الكتاب والسنة يقول: هذا شاهد. لكن يرجع إلى عقله صح مشاه، ما صح ما احتج به قال: لا لازم نشوف له طريقة. هذه لا شك أنها ليست طريقة الجماعة، الجماعة هم الذين لم يفرقوا في الدين، أخذوا ما جاء عن الله –جل وعلا– ما جاء من الله –جل وعلا–، ما جاء عن رسول الله ﷺ أخذًا واحدًا، نفرق نأخذ بآية نقول: هذه نسلم نمرها نثبتها وآية أخرى لا ما نثبتها ليش نفرق بين هذا وهذا؟ ما الفرق بين مسائل الصفات بعضها مع بعض؟ ليش تثبت وتنفي؟ ليش تقول: هذا يرى الله –جل وعلا– في الآخرة، ثم تقول: لكن إلى غير جهة ترد على المعتزلة بخلق القرآن وأنت تقول: أنه مخلوق، اللي بين أيدينا مخلوق، لكن القديم غير مخلوق. يعني إذًا فيه أشياء كثيرة عند الأشاعرة والماتريدية وأشباههم، خالفوا فيها

الجماعة قبل أن تتغير الجماعة، الجماعة ما هي؟ قبل أن تحدث هذه الأقوال نرى، يعني قبل أن يحدث القول في الصفات، ما الذي كان عليه المسلمون قبل ذلك؟ مائة سنة الناس ما يعرفون التأويل يكونون على ضلال، وإلا يكون غيرهم أدركوا الصواب وهم لم يدركوه، وفيهم الصحابة، هذا ما يمكن. حدث الخوارج قول الخوارج، بعده ننظر إلى ما كان عليه الناس قبل ظهور الخوارج، قبل الصحابة ما الذي كانوا عليه في مسائل الإيمان ومسائل الأسماء والأحكام والتكفير.. إلى غير ذلك، ما الذي كانوا عليه؟ لا شك أن هذا هو الجماعة، الجماعة في مسألة الإيمان، ومسألة الأحكام والأسماء، ما قبل ظهور الخوارج ظهر بعد ذلك القدرية غيلان الدمشقي، تعرفون معبد الجهني... إلى آخره، في مسائل القدر الجماعة ما قبل خروجه، يعني تبحث عما قبل، هل ما قبل فيه شيء يدل على؟ ما في شك أنه لا يوجد ولهذا عندك الذين ذكروا أنهم من الأشاعرة.. إلى آخره، أن الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، نقول: أهل السنة نعم، لكن الجماعة نحن نود نرغب ونتمنى أنهم من أهل السنة والجماعة حقيقة، وليست منحة ولا هوى، لكنهم هل كانوا على الجماعة؟ لا شك أن أهل العلم أمناء في الأوصاف التي علقها الله -جل وعلا- بمن وعده بالنجاة، أمناء على الأوصاف لا يجوز لهم أن يوزعوا الأوصاف بمحض اجتهادهم، هذا كذا وهذا كذا، لا هم أمناء على الشريعة، فلابد أن يؤدوا الشريعة على ما أُئتمنوا عليه، يطاعون ما يطاعون لكن لا بد يقول ما عنده، نعم يأتي أسلوب ما يقول به أن يقول بالتي هي أحسن هذا رعاية مصالح ومفاسد، لكن الكلمة في نفسها لابد أن تكون حقًا واضحًة لا مداهنة فيها ولا مجاملة. الجماعة وصف شرعيي من تحقق به وصف به، ومن لم يتحقق به فإنه لا يوصف به ولا شك أن هذا مما الناس فيه خاصة المنتسبين للعلم والبحث، الناس فيه متنوعون فممن يغلو في أحد الطرفين وممن يتساهل فيجعل الأمور تمشي

ودون أمانة في الحكم، ومنهم من توسط وهم الذين تمسكوا بهدي السلف الصالح وبطريقة الجماعة في أنهم لم يقولوا على الله –جل وعلا– بلا علم. أسأل الله –جل وعلا– أن يوفقكم جميعًا إلى ما فيه صلاحكم في دنياكم وفي آخرتكم، وأن يقينا وإياكم العثار وأن يبارك لنا في الأعمار إنه –سبحانه– رحيم جواد. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشريط الخمسون وجه (أ) ١٤٢٠/٧/١٤هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فبين يدي الدرس نجيب عن بعض الأسئلة.

سؤال : أليس البحث والتدقيق في بعض الأمور الغيبية والمستقبلية وكثرة المباحثات والمطارحات فيها يعتبر من فضول العلم وإشغال النفس فيه إشغال بالمفضول على الفاضل؟ وذلك كبحث هل الخوض قبل الصراط أو بعده؟ وكبحث كفتي الميزان وهل هما حقيقتان أم لا؟ ونحو ذلك من المسائل؟

الجواب : هذا السؤال مفيد؛ لأنه ينبأ عن رغبة في طريقة السلف، في بحث المسائل العلمية العقدية سواءً أكانت من مسائل الغيب خالصة أم من مسائل التي جرى فيها البحث. والأصل لكل مؤمن أن يكون طالبًا للحق الذي ذكره الله –جل وعلا– في كتابه أو ذكره النبي ﷺ في حديثه. وطلب الحق في هذه المسائل أو طلب العلم في معنى أي القرآن أو حديث النبي ﷺ هذا هو طلب العلم النافع، والآية والأحاديث التي فيها ذكر المسائل الغيبية تارةً يكون

بحث أهل العلم فيها فيما دل عليه النص، وتارة يكون البحث فيها من جهة الرد على الذي خالف النص.

أما الأول: فكقوله هنا، أو كبحث الميزان مثلاً: هل له كفتان أم لا؟ فإنه جاء في القرآن أن الميزان يوضع ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً** ﴾ وقال أيضًا: ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُم** ﴾، الآية كذلك قوله: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾. وهذا فيه إثبات الميزان والموازين، وأنها توزن بها الأعمال وأنه يعلم الناس، يعلم المؤمن إذا ثقل الميزان وإذا خف. وهذه الإيمان بها واجب؛ لأن الله –جل وعلا– أخبر بها، هذه مسائل غيبية. والسنة دلت على أن الميزان له كفتان كما في أحاديث كثيرة، وأن مقتضى الوزن أن يكون له كفتان. لهذا من دار حول دلالة الكتاب والسنة، فهذا عقيدة وليس من فضول العلم، بل إن هذا من العلم النافع الذي يؤمر طالب العلم بتتبعه والإيمان به؛ لأنه ما أخبر الله –جل وعلا– به إلا ليؤمن به ويعتقد، وما أخبر النبي ﷺ بذلك إلا لأنه من العلم النافع.

أما المسألة الثانية، أو الشق الثاني فإنهم يبحثون في مسائل لم يدل الدليل على عين المسألة، ولكن لابد من الخوض فيها ردًا على المخالفين. فالأصل في هدي الصحابة –رضوان الله عليهم– هو إمرار النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة والإيمان بها والعلم بذلك والحرص عليه، وتتبع العلم في هذه المسائل. هذا ظاهر، لكن تفصيل الكلام في مسائل لم يأتي الدليل بها من جهة التعريفات ومن جهة الدلائل وزيادة بعض الألفاظ الإيضاحية، أو ذكر بعض المسائل الخلافية، مثل هل الحوض قبل أو الصراط قبل؟ وهذه المسائل ليس فيها نص عن الصحابة، ليس فيها قول واضح عنهم ونشأ كثير

من المسائل، نشأ القول فيها لأجل المخالفين فكثير من مسائل الأسماء والأحكام التي يتكلم فيها الخوارج والمعتزلة، لم يتكلم فيها الصحابة بالتفصيل تكلم فيها من بعدهم ردًا على هذه الفئات لما قويت ولم يندحر شرها، كذلك في مسائل القدر فإن الصحابة تكلموا في الرد على القدرية النفاة الذين أنكروا العلم، واشتد إنكارهم لذلك وأتوا بالأدلة التي فيها إثبات أن من قدر الله –جل وعلا– علمه –ﷻ– بالأشياء قبل حدوثها، العلم السابق الأزلي، وأن الأمر ليس بمستأنف بل كل شيء يجري بقدر. ثم بعد ذلك أتى الذين ضلوا في هذا الباب فأتوا بمسائل جديدة، فإذًا بحث أهل السنة والجماعة في المسائل ليس بحثًا فضوليًا، وإنما هو بحث لتثبيت دلالة الكتاب والسنة، وأن لا يتسلط الضالون على دلائل الكتاب والسنة بنفيه؛ لأن الواجب الدفاع عن القرآن والسنة وإبقاء دلالة القرآن والسنة وتوجيه الناس إلى الإيمان بهما وعدم البعد عنهما، فإذا جاء من يشكك في الدلالة، دلالة الآية على العقيدة أو دلالة السنة على العقيدة بأقوال وتعريفات وجب الدخول معه بقدر ما يدفع به شره، والصائل يجب دفعه بحسب القدرة، والصيال العلمي على أصول الشريعة على الكتاب والسنة، هذا أعظم من الصيال على الأبدان؛ لأن الصيال على الأبدان مؤقت ويذهب بذهاب بعض الأبدان، لكن الصيال على الشريعة به تحريف الشرع. ولهذا صار أعظم الجهاد، الجهاد في العلم، أعظم من جهاد العدو الذي هو الجهاد غير المتعين، الجهاد العلمي أعظم؛ لأنه به الحفظ حفظ الشريعة وليس حفظ الثغور، أو حفظ بيضة أهل الإسلام، بها حفظ الشريعة وبقاء هذه الشريعة للناس حتى يتحقق قول الله –جل وعلا–: ﴿ **فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً** ﴾. وأعظم ما يوغر العدو المحافظة على العلم والبقاء عليه والآن، بل قبل ذلك بأزمان إلى الآن الشهوات والحروب على الأبدان هذه الناس فيها مد وجزر، يعني تارة يقوى أمر المؤمنين وتارة

يضعف والله –جل وعلا– يقول: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾. لكن الصيال على العلم وعلى الكتاب والسنة وعلى دلائل ذلك، وإيقاع الناس في الشبة وبعدهم عن دلائل الشرع، هذا هو الذي يزيل الإيمان والذي به تحصل الشبه، ويقوى جانب الشيطان في البعد عن الديانة. لهذا ما يتكلم فيه أهل العلم، خاصة المحققين ليس من فضول العلم في مسائل الاعتقاد؛ لأن هذا بحسب الحال، نعم قد يأتي زمان يكون فيه بحث بعض المسائل من الفضول؛ لأنه ليس ثم حاجة إليها في ذلك الزمن، فيكون بقاؤها عند طائفة قليلة من أهل العلم كفرض كفاية، لكن بحثها وليس ثم حاجة إليها ليس هذا من صنيع أهل العلم. لذلك العلماء يذكرون للناس في كل زمان ما يحتاجون إليه، وليس كل ما يعلمون، أو ليس كل ما في الكتب ينقلونه إليهم، لا ما يحتاجون إليه بحسب ما يعلمون من الزمن وما فيه من مضادة للأدلة ونحو ذلك. لهذا مثلاً تجد أنه عندنا في الدروس نفصل في أقوال الأشاعرة والماتريدية والرد عليها وكيف ترد عليها، أكثر من أقوال المعتزلة؛ لأن المعتزلة أقوالهم الباقية الآن أقوال قليلة، مثل يعني بعض المسائل المشهورة. أما الآن أكثر التأليف وأكثر الآن المضادة والذين ينسبون إلى السلف التأويل ، إنما هي من جهة الأشعرية والماتريدية ونحو ذلك. ففهم مذهبهم الآن لطلاب العلم لأجل كثرة الاختلاط وكثرة الكتب المؤلفة في التشكيك في حقيقة مذهب السلف، هذا هو المتعين. لهذا يختلف هذا باختلاف البلد واختلاف الزمان والمكان، قد يذهب ذاهب من طلاب العلم إلى بلد فيرى الحاجة فيها إلى تفصيل أقوال لا يحتاجها بلد آخر في بعض المسائل، تكون في بلد الناس لا يعلمون فذكرها والتفصيل فيها ليس من المناسب، فطالب العلم يكون ربانيًا يعلم الناس ما يحتاجون إليه في جهاده، في فهمهم للشريعة وفي جهادهم ضد الذين عقدوا ألوية البدعة.

سؤال : من قسم الدعاء إلى دعاء عبادة ودعاء مسألة؟ أين دعاء الثناء؟

الجواب : هو دعاء الثناء هو دعاء العبادة؛ لأن الثناء على الله –جل وعلا– عبادة، فإذا أثنى على الله –جل وعلا– في دعائه فدعا دعاء عبادة. يعني من أثنى على الله –جل وعلا– في دعائه فقد دعا دعاء العبادة.

سؤال : يقول: ذكرتم في كتابكم "المنظار" أن الخوف من الجن يدخل في خوف السر الذي عدّه العلماء من الشرك الأكبر. فهل هذا على إطلاق؟ وهل ينطبق ذلك على من يخاف إيذاء الجن في الأماكن الموحشة كالصحاري والبيوت المهجورة؟

الجواب : لا هو معنى خوف السر، خوف السر ضبطه العلماء في شرح كتاب التوحيد، في مسألة الخوف، خوف السر أن يخاف المرء من غير الله –جل وعلا– في إيصال الأذى إليه بدون سبب. هذا هو الذي يختص الله –جل وعلا– به، والله –جل وعلا– يقدر على العبد مرض بدون سبب يعلمه، يقدر الموت بدون سبب يؤذيه بدون ما يعلم، أما إذا كان الشيء له سبب ظاهر، أو كان له سبب لكنه يخشى أن يكون الجن يتسبب فيه فيما، ويكون سبب طبيعي مثل الخوف في من الدخول في الأماكن المهجورة، أو في الظلام أو نحو ذلك، يخاف من الشياطين ومن الجن، فهذه أسباب. لكن خوف السر أن يخاف أن ينالـه الولي، أو أن ينالـه الجني أو نحو ذلك بغير سبب، يعني أن يعتقد أن عنده قوة وتصرف حيث يؤذيه بدون سبب، هذا ليس بحاصل، ما مُكن الجن من أن يؤذي العباد بدون سبب الجني مثل الإنسي ما يؤذي بدون سبب، فإذا خاف من أن يوصله إلى الإيذاء بدون أسباب يعني لا اعتداء من الإنس ولا فعل، يعني شيء يدل عليه من الجني فهذا لا يجوز. وإذا كان الخوف خوف طبيعي ناتج، ليس خوف اعتقاد وإنما هو ناتج عن

ضعف الإنسان، وليس خوف اعتقاد في الجن، وإنما يخاف من إيذائهم واعتدائهم في مثل البيوت، فهذا قد يدخل في الخوف الطبيعي الذي يخشاه الإنسان، ولا يدخل في الخوف المحرم ولا في الخوف الشركي. فإذن المسألة ليس على إطلاق، ولكن يوضحها لك ضابط خوف السر الذي وصفته لك. لا بدون سبب يُمْكنهم أن يعملوه، ما هو بدون سبب ظاهر، قد يقول: هو سبب خفي. قد يعمله ويقول الجني: بسبب خفي، ما أدري عنه. لكن هو بدون سبب يمكنهم أن يعملوه، يعني مثلاً أنه يتسلط الجني، يخاف من الجني أن يؤذيه دائمًا، يخاف من الجني أن يتسلط على أولاده، ليش؟ لماذا يخاف؟ يخاف اعتقاد، ليس خوفًا طبيعيًا، خوف اعتقاد يعتقد أن الجن يتسلطون، مثل ما كان الكفار إذا نزلوا واديًا قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. يظنون كل وادي له جن يمسكونه وأنهم يعتدون على الناس، وهذا هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادوهُمْ رَهَقاً** ﴾؛ لأن سبب الخوف. الخوف من شيء لا يملكونه، فهذا خوف اعتقاد، خوف السر خوف اعتقاد، يعني يعتقدون أن هذا الذي خاف منه يوصل الأذى إليه بدون سبب، بدون سببه يعلمه، بدون سبب معقول، ولكن هو عنده القدرة هذه، فإذا اعتقد هذا الاعتقاد في ولي أو في جني أو نحو ذلك، فهذا هو خوف السر. أما خوف من مكان مظلم، خاف أن الجن...، هذا قد يدخل في الخوف الطبيعي في بعض الحالات ليس خوف اعتقاد.

سؤال : هل يقام على ساب الصحابة شيء من العقاب؟

الجواب : اليوم عندنا بحث عن الصحابة.

سؤال : هل يجوز قراءة الأخبار الموجودة في كتب الأدب عن الصحابة وما جرى بينهم من ردود؟

الجواب : يجوز لمن يقوى على فهم العقيدة، أو عنده أصل شرعي يرجع إليه.

سؤال : ما يحل بالمسلمين هذه الأيام في الشيشان، فهل يجوز القنوت لهم في الفرائض؟

الجواب : القنوت، قنوت النوازل هذا مربوط بإذن الإمام، بإذن ولي الأمر، ليس الآحاد الناس أن يقنتوا لمن شاءوا، ونزلت بالصحابة –رضوان الله عليهم– نوازل كثيرة فما قنتوا إلا إذا أذن ولي الأمر فإنه يقنت. واللي جرى عليه الأمر في هذه البلاد أنه إذا جرت الفتوى على القنوت، فإنه يرفع بذلك إلى ولي الأمر فيأذن بالقنوت، إذا جاءت الفتوى، فهنا لابد من فتوى ليس لأحد من الناس في مسجده أن يقنت دون إذن، فالناس في هذا تبع للإمام. مع أن القول الصحيح في هذا أنه لا تقنت كل المساجد؛ لأنه لما حصل القنوت في عهد النبي ﷺ إنما قنت هو في مسجده ﷺ، أما المساجد الأخرى، مسجد قباء ومسجد، ومساجد أخرى، مساجد العالية ومسجد بني زريق، المساجد الأخرى لم تقنت في المدينة، وإنما قنت المسجد الأعظم. ولهذا الرواية الثالثة عن الإمام أحمد في المسألة، أن الناس تبع للإمام إذا قنت، ما هو إذا أذن، إذا قنت يعني يقصدون بالإمام يعني في المسجد الأعظم، فليس كل مسجد يقنت، وهذا في الحقيقة هو أولى الأقوال وأحظاها بالدليل؛ لأنه ليس كل المساجد تقنت؛ لأن هذا دعاء وإذا قام به بعض المؤمنين كفى عن الآخرين. كذلك إذا جاء الإذن بوقتٍ ليس له أن يجعله في وقت آخر، يعني جاء الإذن مثلاً أن يقنت في الفجر فيقتصر على الفجر، ليس له أن يقنت في المغرب أو يقنت في العشاء؛ لأن هذا تبع الفتوى وليس لآحاد الناس في المساجد أن يجتهدوا. نكتفي بهذا القدر. اقرأ:

المتن :

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نُفرِطُ في حب أحدٍ منهم ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

الشرح :

الحمد لله وبعد، قال الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نُفرِطُ في حب أحدٍ منهم ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخبر، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) . هذه الجملة من المسائل العظيمة لتعلقها بخير الخلق من هذه الأمة وهم صحابة رسول الله ﷺ، والكلام في الصحابة صار عقيدة في حبهم وبغض من يبغضهم لقيام طوائف من أهل البدع والضلال في شأن الصحابة بما يخالف الدلائل من القرآن والسنة التي أوجبت حبهم ونصرتهم والذب عنهم –رضي الله عنهم– أجمعين. وذكرت عدالتهم وفضلهم وسابقتهم، فخالف في ذلك من خالف من الخوارج والناصبة، والرافضة وطوائف في شأن الصحابة جميعًا، أو في شأن بعض الصحابة، فكان منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم أن يثني على جميع الصحابة وأن نحب أصحاب رسول الله ﷺ جميعًا، الحب الشرعي الذي ليس فيه إفراط بالتجاوز عن الحد المأذون به والغلو، أو ليس فيه تفريط بذم بعضهم أو سب بعضهم أو أن يكون ثم تبرأ من بعضهم أو أن لا تثبت العدالة لهم، فلابد في حبهم من الاعتدال، فلا غلو ولا تفريط في الحب بسلب بعض ما يجب لهم. مما يحبون فيه، إذ الواجب أن يُحب جميع الصحابة على مجموع أعمالهم فهو خيرة هذه الأمة، وهم خير الناس بعد رسول الله ﷺ. وفي الأصل كما هو معلوم أن هذا ليس من مسائل الاعتقاد؛ لأن مسائل الاعتقاد هو ما يجب على المرء أن يعتقده في أمور الغيب، وصارت من مسائل الاعتقاد؛ لأنها مما

تميز به أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية بما خالفوا فيه الفرق الأخرى، فكان المسلمون على جماعة في اعتقادهم وفي ما يقولون به، ثم خالفت الفرق المختلفة كالخوارج والرافضة والناصبة وأشباه هؤلاء في مسائل، فصار أهل السنة في هذه المسائل التي خالفت فيها أهل البدع والضلال والفرق التي خالفت الجماعة، صار القول فيها من الاعتقاد لأنهم خالفوا الفرق التي خالفت في الاعتقاد. وهذا من جنس مسائل أخرى في مسائل التعامل والحب، أو في مسائل المنهج والسلوك، وأشباه ذلك مما سبق أن مر معنا. وقد مر معنا مثلاً مسألة المسح على الخفين، المسح على الخفين مسألة لا شك أنها مسألة من الفقه ولا تدخل في الاعتقاد دخولاً واضحًا، لكن لما خالف فيها من خالف دخلت في مسائل الاعتقاد، وحب الصحابة –رضوان الله عليهم– والموقف من الصحابة وعقيدة المسلم في صحابة رسول الله ﷺ، صارت عقيدة لمخالفتها اعتقاد الضالين في هذا الباب. ويمكن أن نفرع الكلام في مسائل:

أما المسألة الأولى: فالصحابة، صحابة رسول الله ﷺ هم من صحب رسول الله ﷺ بلقيه ولو ساعةً مؤمنًا به ومات على ذلك. أو يقال الصاحب، أو الصحابي: من لقي النبي ﷺ ولو ساعةً مؤمنًا به ومات على ذلك. الصحابة هم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وهذا اللقي الذي سمعته في التعريف يختلف، منهم من صحبه والتقى به مدة طويلة، ومنهم من قلّ ذلك، ومنهم من تقدم ومنهم من تأخر، وهذا يبين لك أن نوع الصحبة وقدر الصحبة ويختلفوا فيه الناس يختلفوا فيه الصحابة، فليسوا على مرتبة واحدة كما سيأتي. والصحابة كلهم أثنى الله –جل وعلا– عليهم بدون استثناء، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ فقال: –جل وعلا–: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّـهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً** ﴾ إلى أن قال ﴿**وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ وقال –جل وعلا– ﴿

وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ ﴾ وكذلك قوله -جل وعلا-: ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ حتى سميت هذه البيعة بيعة الرضوان؛ لأن الله رضي عما عملوه، رضي بيعتهم فسميت بيعة الرضوان، ومنها أيضاً قول النبي ﷺ ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))، كذلك قوله ﷺ كما في الصحيحين: ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))، وقال أيضاً -جل وعلا-: ﴿ **لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى** ﴾ والآيات في فضل الصحابة بمجملهم في أنواع من الدلالات والأحاديث كثيرة جداً، وصنفت مصنفات في ذلك. وهذه الآيات والأحاديث تفيد في شأن الصحابة أموراً :

الأول : أن الصحابي إذا مات على الإيمان فإنه موعود بالمغفرة والرضوان،

والثاني : أن الصحابة كلهم عدول لتعديل الله -جل وعلا- لهم، وثنائه عليهم، ومعنى العدالة هنا: أنهم عدول في دينهم وفيما يرون وينقلون من الشريعة وأن ما حصل منهم من اجتهاد، ما حصل من بعضهم من اجتهاد فإنه لا يقدح عدالتهم ولا ينقصها لمضي ثناء الله -جل وعلا- عليهم مطلقاً.

الثالث: أن سب الصحابة ينافي ما دلت عليه الأدلة من الثناء عليهم وهو منهي عنه بالنص، فلذلك أفادت هذه الآيات حرمة سب الصحابة كما سيأتي تفصيل الكلام على ذلك إن شاء الله.

الرابع: أن الآيات دلت على أن الصحابة يتفاوتون في المنزلة وفي المرتبة، وأنهم ليسوا على درجة واحدة.

المسألة الثانية: قال الطحاوي: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نُفرِطُ في حب أحدٍ منهم ولا نتبرأ من أحدٍ منهم) حب الصحابة فرض وواجب، وهو من الموالاة الواجبة للصحابة وهذا الحب يقتضي أشياء،

الأول : قيام المودة في القلب لهم .

والثاني : الثناء عليهم في كل موضع يذكرون فيه والترضي عنهم،

والثالث : أن لا يحمل أفعالهم إلا على الخير، فكلهم يريد وجه الله – جل وعلا– .

والرابع : أن يذب عنهم؛ لأن من مقتضى المحبة والولاية، بل من معنى المحبة والولاية النصرة، أن ينصرهم إذا ذكروا بغير الخير أو انتقص منهم منتقص أو شكك في صدقهم أو عدالتهم أحد، فإنه واجب أن يُنتصر لهم –ﷺ– وهذا الحب توسط فيه أهل السنة والجماعة بين طرفين، بين طرف المفرطين، وطرف المتبرئين. أما الغلاة والمفرطون في الحب فهم الذين جعلوا بعض الصحابة لهم خصائص الإلهية، كما فعل طائفة مع علي –ﷺ–، وكما فعل طائفة مع أبي بكر، أو غلو بما هو دون الإلهية بأن يجعلون هذا الحب يقتضي انتقاص غيرهم، فيحبوا أبا بكر وينتقصوا علياً، أو يحبوا علياً –ﷺ– وينتقصون أبا بكر، فهذا إفراط وغلو، فالوسط هو طريقة الصحابة وأهل السنة، فإن الحب يقتضي موالاة الجميع وأن لا يغلو المسلم في أي صحابي، بل يحبهم ويودهم ويذكرهم بالخير ولا يجعل لهم شيئاً من خصائص الإله، بل أجمع أهل العلم أن من ادّعى في صحابي أنه، أن له شيئاً من خصائص الإله أو أنه يُدعى ويُسأل كما يعتقد في علي –ﷺ– ونحوه، أنه كافر بالله العظيم، وهذا الغلو وقع فيه كثير في الأمة بعد ذلك فأقيمت المزارات والمشاهد والقبور والقباب على قبور الصحابة، كقبر أبي أيوب الأنصاري في قرب إسطنبول، وكقبر أبي عبيدة بن الجراح في الأردن، وكقبر عدد من الصحابة

كالحسين والحسن وعلي... إلى آخره في أمصار مختلفة فجعلوا قبورهم –من فرط المحبة– أوثاناً، يأتون فيسألون ويدعون ويستغيثون ويتقربون للصحابة، وهذا إفراط وليس هو الحب المأذون به، بل هذا حب معه الشرك المحقق إذا وصل إلى سؤال الميت ودعائه والتقرب إليه. وفي المقابل يكون فعل طائفة ضالة أخرى، تتبرأ من الصحابة جميعاً كفعل الزنادقة، أو تتبرأ من أكثر الصحابة كفعل الرافضة والخوارج، أو تتبرأ من طائفة من الصحابة كفعل النواصب ومن شابههم، فهؤلاء تبرؤا ومنهم من يعتقد أنه لا حب ولا ولاء إلا ببراء، يعني لا يصلح حب صحابي ولا صحابي إلا بالتبرؤ ممن ضاده، فيجعلون في ذلك أن حب علي –رضي الله عنه– والولاء لعلي والحسن والحسين يقتضي بغض أبي بكر وبغض عمر بغض عثمان ومن سلب هؤلاء حقهم كفعل الرافضة، عليهم من الله ما يستحقون. لهذا كان معتقد أهل السنة والجماعة في هذا أن التبرؤ من الصحابة واعتقاد أنه لا موالاة إلا بالبراءة أن هذا ضلال وقد يوصل إلى الكفر، كما سيأتي في بابه، في المسألة إن شاء الله.

قال بعدها: (ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم) وهذا من مقتضى المحبة الوسط، ودين الله وسط بين الغالي والجافي، فإننا من ذكرهم بخير أحببناه، ومن ذكرهم بغير الخير أبغضناه؛ لأن من مقتضى المحبة والولاية أن يُحَب من يحبهم وأن يُبْغَض من يبغضهم.

المسألة الثالثة: أصحاب رسول الله ﷺ على مراتب يختلفون في منزلتهم، فأعظم الصحابة وأرفع الصحابة العشرة الذين بشروا بالجنة في مكان واحد، وهم الذين يشتهر عند الناس أنهم العشرة المبشرون بالجنة، والذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة أكثر من عشرة، عددهم كثير من الصحابة، ولكن خص هؤلاء بفضلٍ؛ لأنه بشرهم ﷺ بالجنة في مكان واحد، وفي حديث واحد ساقهم ﷺ أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في

الجنة، وطلحة في الجنة، وسعد في الجنة، إلى آخر العشرة. فهؤلاء هم أفضل الصحابة، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الذكر؛ لأن النبي ﷺ رتبهم كترتيبهم في الفضل، فأبوبكر أفضل ويليه عمر ثم عثمان ثم علي إلى آخره، يلي هؤلاء المهاجرون أعني جنس المهاجرين الذين أسلموا في مكة وتقدم إسلامهم، فصبروا مع رسول الله ﷺ وصابروا حتى هاجروا ثم الذين شهدوا بدراً من المهاجرين والأنصار فهم يلونهم في الفضل، ثم جنس الأنصار الذين سبقوا وأثنى عليهم بقوله: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ** ﴾ والمراد بالسبق هنا السبق إلى الإيمان به ﷺ وتصديق رسالته والجهاد معه، فهذا هو السبق الذي له الفضل العظيم. ثم بعد ذلك يليهم من أسلم قبل الفتح، ويقصد بالفتح هنا الصلح، صلح الحديبية أو فتح مكة وهو الذي جاء فيه قول الله –جل وعلا– ﴿ **لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَـئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى** ﴾. فالذي أسلم وآمن وأنفق وجاهد من قبل الصلح، صلح الحديبية أو من قبل فتح مكة فإنه أفضل ممن بعده. ولذلك يقال لكثير من الصحابة: مُسلِمة الفتح يعني الذين أسلموا بعد فتح مكة. –وهؤلاء هم الفئة الأخيرة– من أسلم من بعد الفتح إلى عام الوفود، ثم بعد ذلك دخل الناس في دين الله أفواجاً، يعني السنة التاسعة والعاشرة، حتى حج النبي ﷺ وهؤلاء هم أقل الصحابة منزلة. وهذا الترتيب لما دلت عليه الأدلة من التفضيل.

المسألة الرابعة: بل قبلها تضيفون على التفضيل السابق، الأقسام، أن المراد بهذا التفضيل الجنس، يعني جنس هذه الطائفة على جنس هذه الطائفة، يعني التفضيل في الظاهر باعتبار الجنس، فقد يكون في بعض الطبقات من هو أفضل ممن قبله. وهذا من حيث التنظير، لا من حيث التطبيق؛ لأننا لا نعلم دليلاً يدل على أن فلاناً من المتأخرين أفضل من فلان من المتقدمين، أو

أن فلاناً من الأنصار أفضل من فلان من المهاجرين، لكنه من حيث الجنس فضل ما فضلته الأدلة وما دلت الأدلة على تفضيله جنساً، لكن حديث النبي ﷺ في المفاضلة بين عبدالرحمن بن عوف وخالد بن الوليد ظاهر، وعبدالرحمن بن عوف من العشرة المبشرين بالجنة فهؤلاء هم أفضل الصحابة، هؤلاء فضلهم بأعيانهم ظاهر وأهل بدر أيضاً قد يدخلون في أن فضلهم بأعيانهم، لكن الكلام على الجنس مع الجنس. ولما وقع خالد في مسبة عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنهما- قال النبي ﷺ ((لا تسبوا أصحابي...)) إلى آخر الحديث، فخص المتقدم باسم الصحبة، فكأن الذي أسلم من بعد الفتح وقاتل لقصر إسلامه وقصر صحبته للنبي ﷺ وقلة نصرته بالنسبة إلى من قبله، كأنه صار تحقيق اسم الصحبة عليه ليس كتحقيق من قبله، بل هذا هو الواقع. ولهذا خص النبي ﷺ السابقين باسم الأصحاب دون غيرهم مع اشتراك من أسلم بعد ذلك في اسم الأصحاب، ولكن لأجل طول الصحبة صار عبدالرحمن بن عوف صحابياً وسلب الاسم عن خالد بن الوليد؛ لأجل هذه الحيثية وإلا فالكل صاحب النبي ﷺ وهذا فيه تخصيص بالاسم؛ لأجل مزيد الفضل وتحقق الصفة اللازمة في مقتضى الصحبة.

المسألة الرابعة: الصحابة -رضوان الله عليهم- بشر يصيبون ويخطئون، ويجتهدون فيما يجتهدون فيه وربما وافق بعضهم الصواب، وربما لم يوافق الصواب. لهذا الواجب على المؤمن من مقتضى المحبة والنصرة، أن يحمل جميع أعمال الصحابة على إرادة الخير والدين وحب الله -جل وعلا- وحب رسوله ﷺ، وأن ما اجتهدوا فيه إما أن يكون لهم فيه الأجران إذ أصابوا، وإما أن يكون لهم فيه الأجر الواحد إذ أخطئوا وكل عملٍ لهم مما اجتهدوا فيه حتى القتال، فإنه معفوٌ عنهم فيه؛ لأنهم مجتهدون فلا نحمل أحداً من الصحابة على إرادة الدنيا المحضة، وإنما -يعني فيما اجتهدوا فيه مثل

القتال- وإنما نحملهم على أنهم أرادوا الحق واجتهدوا فيه فمن مصيب ومن مخطئ. ولهذا كان الصحابة وهم يتقاتلون يحب بعضهم بعضاً ولا يتباغضون كما أبغض طائفة منهم من جاء بعد ذلك من أهل البدع، فلم يكن أحدهم يذم الآخر ذماً يقدح في دينه أو يقدح في عدالته، وإنما بين من يصوب نفسه ويُخطيُّ غيره وبين من يعتزل أو يثني على الجميع وأشباه ذلك. وهذا هو الواجب، في أننا نحمل أفعالهم على الحق والهدى، وإن كان بعضهم يكون أصوب من بعض أو بعضهم يكون مصيباً والآخر مخطئاً. وما جرى من الصحابة من الشجار فيما اجتهدوا فيه والقتال، أو ما اجتهد فيه الصحابة في المسائل العملية في علاقتهم مع بعض الصحابة الآخرين، فهذا لا يبحث فيه وإنما يذكرون بالخير ونعتمد على الأصل الأصيل وهو أن الله -جل وعلا- أثنى عليهم، وخاصة أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله -جل وعلا- فيهم قوله: ﴿ **لَّقَدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ وكانوا إذ ذاك ما بين ألفٍ وأربعمائة، وألف وخمسمائة قد رضي الله عنهم وأرضاهم.

المسألة الخامسة: سبُ الصحابة تبرؤٌ منهم، وإذا سب بعضاً فهو تبرؤٌ منهم، تبرؤ ممن سب، أو بعض تبرُئٍ ممن سب؛ لأن حقيقة السب عدم الرضا عمن سب وكره ما فعل، وإلا فإن الراضي يحمد ويثني، والمبغض هو الذي يسب ويتبرأ. لهذا نهى النبي ﷺ عن سب الصحابة فقال ((لا تسبوا أصحابي)) وهذا يقتضي التحريم، فكل سبٍ للصحابة محرم وأكد ذلك ﷺ بقوله: ((من سب أصحابي فقد آذاني)) وأذيته ﷺ محرمة كبيرة، وكذلك إيذاء الصحابة فقد قال -جل وعلا-: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً** ﴾ وإيذاء الصحابي احتمال للإثم المبين، وهذا دخول في المحرمات الشديدة، ومعنى السب: أن يشتم بلعنٍ أو ينتقص أو يطعن في عدالتهم أو في دينهم أو أن ينتقصهم بنوعٍ من أنواع

التنقص عما وصفهم الله –جل وعلا– به وهذا يختلف بأنواعه، قد يشتم بعض الصحابة هذا سب، قد يتنقص من جهة دينية، وقد يتنقص من جهة دنيوية أو لا ينتقص من عدالته، مثلاً في الجهة الدينية أن يقول: إنه لم يكن مؤمناً مصدقاً، كان فيه نفاق، أو أن يقول عن الصحابة: كان فيهم قلة علم، أو بعضهم فيه قلة ديانة، أو كان فيهم شره على المال، أو حب للمناصب، أو كان في بعضهم رغبة في النساء، جاهدوا لأجل النساء، أكثروا من النساء تلذذاً في الدنيا، هم طلاب دنيا. إما في وصفهم جميعاً أو في وصف بعضهم، هذه أمثلة لأنواع السب والقدح، الذي قد يرجع إلى قدح في دينهم وقد يرجع إلى تنقص لهم في عدالتهم وما أشبه ذلك. وسب الصحابة –رضي الله عنهم– كما أنه محرم، قد اختلف العلماء فيه، هل يكون كفراً، أم لا يصل إلى الكفر؟ وكما ذكرت لك فإن السب مورده البغض؛ لأنه إذا أبغض مطلقاً أو أبغض في جزئية فإنه يسب، فإن السب مورده البغض ينشأ البغض والكراهة، ثم ينطلق اللسان –والعياذ بالله–بالسب. لهذا الطحاوي هنا قال في آخر الكلام: (وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) ويقصد بالكفر هنا الكفر الأصغر، ليس الكفر الأكبر أو ما يشمل وهو الذي حمله عليه شارح الطحاوية، أو ما يشمل القسمين قد يكون كفر أكبر أو قد يكون أصغر، والنفاق قد يكون نفاقاً أكبر وقد يكون نفاقاً أصغر بحسب الحال، ويأتي تفصيل الكلام في ذلك. والإمام أحمد –رحمه الله تعالى– وعلماء السلف لهم في تكفير من سب الصحابة روايتان، الرواية الأولى يكفر وسبب تكفيره أن سبه طعن في دينه وفي عدالة الصحابي، وهذا رد لثناء الله –جل وعلا– عليهم في القرآن، فرجع إذاً تكفير الساب إلى أنه رد ثناء الله –جل وعلا– عليه في القرآن والثناء من النبي ﷺ عليهم في السنة. والرواية الثانية أنه لا يكفر الكفر الأكبر، وذلك لأن مسبة من سب الصحابة من الفرق دخله التأويل ودخله أمر الدنيا والاعتقادات

المختلفة. والقول الأول، هو المنقول عن السلف بكثرة، فإن جمعاً من السلف من الأئمة نصوا على أن من سب وشتم أبا بكر وعمر فهو كافر، وعلى أن من شتم الصحابة وسبهم فهو زنديق. بل قيل للإمام أحمد كما في رواية أبي طالب قيل له فلان يشتم عثمان قال هذا زنديق وأشباه هذا، وهذا هو الأكثر عن السلف؛ لأن شتم الصاحب تكذيب للثناء، أو رد للثناء سواء كان شتمه لأجل تأويل عقدي، أو لأجل دنيا وقد فصل في بحث السب ابن تيمية في آخر كتابه "الصارم المسلول على شاتم الرسول"، وذكر الروايات والأقوال في ذلك، ثم عقد فصلاً في تفصيل القول في الساب، وما فصل به حسن وما يدور كلامه عليه –رحمه الله– وأجزل له المثوبة، أنه يرجع السب إلى أحوال، فتارة يكون كفراً أكبر، وتارة يكون محرماً ونفاقاً، ولا يتفق الحال، يعني ليس السب على حال واحد. فيكون للساب مراتب، أو أحوال :

الحالة الأولى : أن يسب جميع الصحابة بدون استثناء ولا يتولى أحداً منهم، وهذا كفر بالإجماع، يسب جميع الصحابة هذا فعل الزنادقة والماديين والملاحدة الذين يقدحون في كل الصحابة، يقولون: أبد هؤلاء الصحابة جميعاً لا يفهمون، هؤلاء طلاب دنيا بدون تفصيل كل الصحابة ولا يستثني أحداً، فمن سب جميع الصحابة أو تنقص جميع الصحابة بدون استثناء تقول له: تستثني أحداً؟ فلا يستثني أحداً، فلا شك أن هذه زندقة ولا تصدر من قلب يحب الله –جل وعلا– ويحب رسوله ويحب الكتاب والسنة من نقل السنة وجاهد في الله حق الجهاد.

الحالة الثانية: أن يسب أكثر الصحابة تغيظاً من فعلهم، كالغيظ الذي أصاب من عدّ نفسه من الشيعة وهو من الرافضة، أو نحوهم ممن سبوا أكثر الصحابة الذين خالفوا –كما يزعمون– خالفوا علياً أو لم ينتصروا لعلي وأثبتوا الولاية لأبي بكر وعمر ثم عثمان، وأشباه ذلك فيسبونهم تغيظاً وحنقاً عليهم

واعتقاداً فيهم، فهؤلاء أكثر السلف على تكفيرهم ونص الإمام مالك على أن من سب طائفة من الصحابة تغيظاً يعني غيظاً من موقفهم في الدين –فإنهم كفار لقول الله– –جل وعلا– في آية سورة الفتح: ﴿ **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ** ﴾ فالذي يكون في قلبه غيظ، ويغتاظ من الصحابة ألحقه الله –جل وعلا– بالكفار، واستدل بها مالك –رحمه الله تعالى– إمام دار الهجرة على أن من سبهم أو من سب طائفة منهم تغيظاً، فهو كافر. وهذا صحيح ظاهر.

الحالة الثالثة: أن يسب بعض الصحابة لا تغيظاً، ولكن لأجل عدم ظهور حسن أفعالهم، مثلاً يقول: هؤلاء بعض الصحابة فيهم قلة علم، أو فيهم جشع، أو هذا ما يفهم، أو فيه حب للدنيا، أو نحو ذلك فهذا ليس بكفر وإنما هذا محرم؛ لأنه مسبة وهو مخالف لمقتضى الولاية، وهذا هو الذي يحمل عليه كلام من قال من السلف: إن ساب الصحابة، أو من سب بعض الصحابة لا يكفر. فيحمل على أن نوع السب هو أنه انتقص في مالا يظهر له وجه، أما في –مثل ما ذكرت– بعض نقص علم أوفي رغبة في دنيا، أو نحو ذلك، ولا يعمم وإنما قد يتناول واحد أو اثنين أو أكثر بمثل هذا. وهذه المسائل كونها يقل علمه أو يقول: يحب الدنيا. هذا ليس طعناً في عدالته؛ لأن قلة العلم ليس طعناً في العدالة، وحب الدنيا بما لا يؤثر على الدين، ليس طعناً في العدالة، فالعدالة –يعني الثقة والدين والأمانة– وإنما هذا انتقاص وتجرؤ عليهم بما لا يجوز فعله ويخالف مقتضى المحبة، فهذا هو الذي يصدق عليه أنه لا يدخل في الكفر فهو محرم؛ لأنه ليس فيه رد لقول الله – جل وعلا–، ولكن فيه سوء أدب وانتقاص ودخول في المسبة، والواجب في

أمثال هؤلاء أن يعزروا وذلك لدرء شرهم، والمحافظة على مقتضى الثناء من الله –جل وعلا– على صحابة نبيه ﷺ.

والحالة الرابعة: أن ينتقص الصحابي، أو أن يسبه لاعتقادٍ يعتقده في أن فعله الذي فعل ليس بصواب. وهذا في مثل ما وقع في مقتل عثمان وفعل علي –رضي الله عنه–، وفعل معاوية ونحو ذلك، فقد يأتي وينتقص البعض لعدم؛ لأنه يرى أنه في هذا الموقف بذاته أنه كان يجب عليه أن يفعل كذا، لماذا لم يفعل كذا؟ وهذا يدل على أنه فعل كذا. وهذا أيضاً هو أخص من الذي قبله؛ لأنه متعلق بفردٍ وبحالة؟ وهذا محرم أيضاً وهل يُعزر في مثل هذه الحال؟ أو لا يعزر؟ هذا فيه اختلاف. ولا شك أن قوله وفعله فيما فعل دخول في المسبة والانتقاص، وهذا محرم ودون الدخول في رد ثناء الله –جل وعلا– أو في انتقاص عام، إنما هذا يجب في شأنه يجب في حقه التوبة إلى الله –جل وعلا– والإنكار عليه، وهل يعزر أو لا؟ اختلف العلماء في مقتضى التعزير. التعزير المقصود به التعزير بالجلد أو بالقتل، أما التعزير بالقول فهذا، والرد عليه وانتقاصه هذا واجب. الخامسة والأخيرة، نتركها راجعوها أنتم.

المسألة السادسة: قوله –رحمه الله– قول الطحاوي: (وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) حب الصحابة دين؛ لأن الله –جل وعلا– أثنى عليهم، وتصديق خبر الله –جل وعلا– وانعقاد الولاية لا شك أن هذا دين، بل من أعظم الدين، والصحابة اجتمع في حقهم في ذلك نوعان، الأول أن الله عقد الولاية بين المؤمنين فقال: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ ومعنى الولاية المحبة والنصرة. وأعظم المؤمنين إيماناً هم صحابة رسول الله ﷺ فلهم من الولاية والمحبة والنصرة أعلاها، كذلك قال الله –جل وعلا– ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ**

رَّحِيمٌ ﴾ فأثنى على هؤلاء؛ لأجل اتصافهم بالدين ولا شك أن حب الصحابة من هذه الجهة دين. الناحية الثانية أو الجهة الثانية: أن تصديق خبر الله – جل وعلا– فيما أثنى الله به عليهم في آيات كثيرة، سواءٌ ما أثنى به على المهاجرين والأنصار كجنس أو ما أثنى به على أهل بيعة الرضوان، أو ما أثنى به على السابقين، أو ما أثنى به على جميع من مع النبي ﷺ ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ –هذا يشمل الجميع– ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ هؤلاء حبهم لثناء الله –جل وعلا– وتصديق خبر الله. هذا لا شك أنه دين. وقال الله –جل وعلا– في آخر سورة الفتح: ﴿ **وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ وحرف الجر هنا "منهم" من هذه أهل السنة والجماعة، بل أهل السنة الذين يخالفون الرافضة والخوارج يجعلون من هنا بيانية، لبيان الجنس والآخرون من الرافضة يجعلونها تبعيضية، وهي لبيان الجنس، يعني وعد الله الذين آمنوا وعلموا الصالحات، لو لم يقل: "منهم" لصارت تشمل كل مؤمن عمل الصالحات. وهذا يدخل فيه أجناس التابعين وتبع التابعين ومن وليهم إلى يوم القيامة، فأراد تخصيص جنس الصحابة بهذا الفضل وهو الوعد بالمغفرة والأجر العظيم، فقال: ﴿ **وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ** ﴾ –ليس على الإطلاق منهم يعني من الصحابة، الذين مع محمد– ﴿ **مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ وليس مِنْ هاهنا تبعيضية؛ لأنها لا تنطبق عليها شروط التبعيض في هذا الموطن، وإنما فسرها بأنها تبعيضية الرافضة ومن شابههم وهو الموجود في تفاسيرهم يريدون أن يكون هذا الوعد ببعض الصحابة لا لكل الصحابة. ومن هنا لبيان الجنس وليست للتبعيض كقولك: الكتاب –مثلاً– من وراء. يعني هذا لبيان جنسه أو ما شابه ذلك. أما التبعيض فهذا لا يكون في الوصف، يكون أن يكون الثاني بعض الأول، وهنا جاء وعداً في الوصف فقال: ﴿ **وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُواْ**

وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ فلا يكون التبعيض في مثل هذا السياق. ولهذا كان عامة، بل كان كل مفسري السلف والأئمة على أن من هنا لبيان الجنس لاتفاق آخر الآية مع أول الآية. الثانية أن حبهم إيمان؛ لأنه واجب أوجبه الله –جل وعلا– وما أوجبه الله –جل وعلا– فهو من شعب الإيمان، فحب الصحابة إيمان والنبي ﷺ نص في بعض الصحابة على أنه إيمان بقوله: ((آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)) ثم قال: وإحسان؛ لأنه يدل على أن المحب لهم محسن في دينه وأتى بما يجب عليه وما يتقرب به إلى ربه من أنواع إحسانه وصدقه في دينه. أما البغض فقال: (بغضهم كفر ونفاق وطغيان) طبعاً حبهم دين وإيمان وإحسان، كل هذه تتبعض ليست شيئاً واحداً، فالناس في حب الصحابة يختلفون وأجرهم على قدر كثرة محبتهم ونصرتهم وفقههم لفضائلهم، كذلك قال: (وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) والبغض، بغض الصحابة كفر، فإذا كان البغض للدين أو للغيظ كما فصلنا، فيكون الكفر هنا كفراً أكبر، وإذا كان البغض لأجل الدنيا كما قد تتناول النفوس الكراهة والبغض لأجل الدنيا، فهذا كفر أصغر ولا يصل إلى الكفر الأكبر، ولهذا قال النبي ﷺ: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض)). وكون بعض الصحابة قاتل بعضاً آخر هذا فيه دخول في خصال الكفار، لهذا قال: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً)). ولا شك أنه قد يكون الباعث على ذلك البغض والكره؛ لأن القتال يكون معه ما في النفس، لكن مع تقاتل الصحابة فإن بعضهم لم يسب بعضاً، يعني بلسانه والنفس قد يوجد فيها ما لم يسلم منه البشر. فإذاً الكفر هنا قد يكون كفراً أصغر وقد يكون كفراً أكبر بحسب نوع البغض، ونفاق؛ لأن آية النفاق أن يبغض من نقل هذا الدين وحفظ الإسلام في الناس وجاهد في الله حق الجهاد وهم صحابة رسول الله ﷺ، والمنافقون في عهده ﷺ كانوا يبغضون الصحابة ويتولون الكفار ووصفهم

الله –جل وعلا– في ذلك بقوله: ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ** ﴾ والنفاق هنا قد يكون نفاق أكبر اعتقادي بحسب حال البغض وقد يكون نفاق عملي بحسب نوع السب، أو نوع البغض وعدم المحبة. وطغيان يعني أن بغضهم طغيان طغى فيه صاحبه وجاوز الأمر فالله –جل وعلا– أمر بحبهم أو أمر بموالاتهم وهذا معناه أنه أمر بحبهم وأثنى على من ترضى عنهم واستغفر لهم ولم يكن في قلبه غلٌ لهم، وهذا معناه أن الذي خالف ذلك فهو قد طغى وتجاوز الحد في ذلك.

المسألة الأخيرة وهي السابعة : العلماء صنفوا في الصحابة مصنفات في بيان ما يجب لهم وفي الثناء عليهم وذكر أخبارهم وسيرتهم، ولا شك أن الدفاع عن الصحابة والتأليف في ذلك من الجهاد، وخاصة في الأزمنة التي يكثر فيها، أو يوجد فيها من يقع في الصحابة أو في بعضهم، فإن من مقتضى الولاية أن ينصر الصحابة بالتآليف وبالرد وبالذب عنهم، وببغض من يبغضهم. وهذا يقتضي أن من الجهاد في سبيل الله ومن المحافظة على الدين أن ينال وأن يرد وأن يجاهد ممن يقدح في الصحابة، أو يطعن في عدالتهم أو يشكك في صدق بعضهم وفي حفظه ونحو ذلك. وهذا هو الذي صنع أئمة الحديث، فإنهم –رحمهم الله تعالى– لم يصنفوا المصنفات لحب التصنيف في الغالب، ولكن لأجل نصرة الدين وأفراد ما أوجب الله –جل وعلا– البيان فيه. التأليف في الصحابة، إما التآليف المستقلة أو فيما في كتب أهل الحديث "مناقب الصحابة"، "مناقب المهاجرين"، "مناقب أبي بكر"، "مناقب عمر"... إلى آخره، كما في كتاب "المناقب" في البخاري، أو كتاب: "فضائل الصحابة" في مسلم، أو غير ذلك كما هو معروف، فهذا من الجهاد في سبيل الله ومن البيان للأمة. فالذي ينبغي لطلاب العلم خاصة في هذا الزمن أن ينتبهوا لهذه الأصول وأن يعلموا ما فيها وأن تكون عدتهم دائمة في بحث، في هذا البحث

للجهاد إذا جاء ما يستوجبه في المواطن التي تنتقص فيها مكانة الصحابة من المبغضين لهم، أو لبعضهم قبحهم الله. نكتفي بهذا القدر نجيب عن سؤالين.

سؤال : يقول: ذكرتم أن مسائل الصحابة ليست في الأصل من مسائل الاعتقاد، ولحديث ((حب الأنصار إيمان، وبغضهم نفاق)) فهل ثم فرق بين كونه من الإيمان وكونه من مسائل الاعتقاد؟

الجواب : نعم الإيمان شعبه كثيرة ((الإيمان بضع وستون شعبة، أو بضع وسبعون شعبة)) فمنها ما يدخل في مسائل الاعتقاد، ومنها لا يدخل. فأصل حب الصحابة هي حب موالاة، وهذه ليست من العقيدة؛ لأن أصل العقيدة ما يتعلق بمسائل الغيب، ثم دخل فيها ما يتميز به أهل السنة والجماعة من غيرهم. فأصل العقيدة اللي يدخل في أركان الإيمان الستة، الاعتقاد في الله ربوبيته ألوهيته الأسماء والصفات، في الملائكة في الكتب في الرسل اليوم الآخر والقدر، هذه هي العقيدة مسائل الإيمان في نفسها. أما المسائل الأخرى الملحقة هذه لأجل المخالفة وصارت من العقيدة، كونها من الإيمان هذا حق الإيمان ليست كل مسائله مسائل اعتقاد.

سؤال : أراني أجد في نفسي شيئًا على معاوية -رضي الله عنه- من حيث موقفه، لاسيما ورسول الله ﷺ يقول لعمار: ((تقتلك الفئة الباغية)). فهل عليّ في هذا إثم؟ مع العلم أني لا أتكلم بذلك ولا أتحدث به؟

الجواب : نعم عليك إثم في ذلك إذا كان العلم سهلاً عليك أن تتحصل عليه وأن تجلو هذه الشبهة وتبقى وأنت لا تجلو هذه الشبهة عندك. كون الشيء يكون في نفس الإنسان وليس عنده وسيلة لكشفه ولا وسيلة لتعلم ما يدفع عنه هذه الشبهة وتسويل الشيطان هذا قد يعذر معه، لكن إذا كان العلم قريبًا والكتب موجودة وأهل العلم الذين يكشفون الشبهة موجودون فهذا يأثم الإنسان بالتقصير ويأثم على بقاء هذا الشيء في نفسه ومعاوية -رضي الله عنه- فيما

فعل أداءً لواجب شرعي يراه هو أنه متقدم على مسألة البيعة، وهو أن دم عثمان سفك -رضي الله عنه- وهو وليه، هو ولي الدم هو ذو القرابة من عثمان، وولي الدم لابد أن يُسَلم من قتل تحقيقًا لقول الله -جل وعلا-: ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً** ﴾، وكذلك يعني الآيات التي فيها القصاص وأن الولي ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ..** ﴾ إلى آخره. فمعاوية -رضي الله عنه- أراد أخذ الحق الذي جعله الله له، والانتصار من قتلة عثمان وسفك دم عثمان لا شك أن دم عثمان إذ ذاك هو أطهر دمٍ لإنسان سفك، فالانتصار لعثمان -رضي الله عنه- واجب، وعلي -رضي الله عنه- أخر بحث دم عثمان حتى لا تذهب بيضة الإسلام، وبيضة أهل الإسلام لأن هؤلاء الخوارج الذين جاءوا أرادوا الفتنة العظيمة، فأراد أن يستقر الأمر ثم يسلم القتلة لمعاوية، لكن لم يفهم، يعني اختلف الاجتهاد فلم يفهم هذا مع سعي الخوارج في الإعلام الفاسد، سعوا في التفريق ما بين هؤلاء ينقلون لهؤلاء أخبار، لمعاوية أخبار عن علي، ولعلي أخبار عن معاوية، وفي الحقيقة الصحابة كلهم هدفهم واحد في ذلك وهو حفظ بيضة الإسلام والانتصار من قتلة عثمان. لكن حصل ما حصل، فمعاوية -رضي الله عنه- مجتهد يريد أن يأخذ بحقه الشرعي، لكن الصواب مع علي؛ لأن بيعة علي واستقامة أمر الناس في الخلافة وعدم حصول القتال، هذا هو الواجب والحق مع علي في ذلك، معاوية -رضي الله عنه- مجتهد مأجور على اجتهاده، ولكنه مخطئ فيما اجتهد فيه في ذلك، ولكن هو مأجور والواجب، والإنسان لا يبغض من اجتهد، أو يجد في نفسه شيئًا على من اجتهد في الحق وإن كان أخطئ، فإنه إذا اجتهد في الحق وتحرى، فإن هذا هو الذي يجب عليه ومعاوية -رضي الله عنه- به استقام المسلمون وحفظت البيضة بعد علي -رضي الله عنه-، فالناس في زمن علي كانوا متفرقين ولم يستقم الأمر لعلي في الخلافة ولم يجتمع الناس عليه، ثم لما حصل تنازل الحسن ابن علي بالولاية لمعاوية -رضي الله عنه-

أجمعين، وحصل هذا الاجتماع العظيم في سنة إحدى وأربعين في العام الذي سمي عام الجماعة، لعام اجتماع الناس حصل غيظ العدو، حتى الخوارج هربوا بعد أن كانت لهم الصولة وكانوا يفرقون، وسفكت من دماء الصحابة ودماء التابعين ما سفك، لكنهم لما اجتمع الناس كان أول من اندحر هؤلاء الخوارج أخزاهم الله. فمعاوية -رضي الله عنه- له من الفضائل ماله وهو كاتب الوحي للنبي ﷺ وهو من الصحابة الذين كانت لهم مواقف عظيمة في الجهاد، وجهاد الروم وجهاد الأعداء كما هو معلوم، وولي الشام وكان في سيرته في عهد عثمان كان طيب السيرة، والاجتهاد في المال أو الاجتهاد في بعض الأمور، هذا إنما لا يمشي على وفق منهج الخوارج، أما الصحابة فكانوا يرون فيما اجتهد فيه أنه ما بين مصيب وما بين مخطئ، والمخطئ لا يعادى على ما اجتهد فيه إذا لم يكن مخالفًا للأصول. ومعاوية -رضي الله عنه- مكانته وحبه من الإيمان، ولا يجوز لمسلم أن يُبقي في نفسه شيئًا على صحابيٍ من صحابة رسول الله ﷺ.

سؤال : هل يفرق بين سب الصحابة بعضهم لبعض وسب غيرهم لهم؟

الجواب : ما سب صحابي صحابيًا مطلقًا، وإنما قد يتسابون يعني مثل ما يحصل بين البشر، يترادون في موقف، لكن لا يسبه مطلقًا أو يذم صحابيًا مطلقًا، لكن يكون بينهم تراد في مجلس لأجل ما يحصل بين البشر مقاتلة، يحصل بينهم مؤقتًا، لكن سب الساب المطلق وانتقاص قدر فلان من الصحابة مطلقًا، هذا لم يحصل عند الصحابة.

سؤال : ما حكم تقديم بعض الصحابة على البعض، مثل تقديم علي على أبي بكر وعمر وعثمان؟

الجـواب : الصـحابة أفضـلهم كمـا ذكـرت لكـم العشـرة، وتـرتيبهم فـي الفضـل كترتيبهم فـي الـذكر، ومعتقد أهل السنة والجماعـة والـذي دلـت عليـه النصوص ولا يجوز خلافه، أن أفضل هذه الأمة أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علـي، هـؤلاء هـم أفضـل الصـحابة وتـرتيبهم فـي الفضـل كتـرتيبهم فـي الـذكر وكتـرتيبهم فـي الخـلاف. أمـا تقـديم علـي علـى أبـي بكـر وعمـر فكمـا قـال السـختياني: مـن فضـل عليًـا علـى أبـي بكـر وعمـر فقـد أزرى بالمهـاجرين والأنصار. كيف يكون أفضل ويقدمون غيره عليه؟ معناه أنهم خونة كما يدعي الرافضـة، أو أن لهم كذا وكذا. والصحابة من المهاجرين والأنصار قدموا من هو الأفضل لهم في دينهم وفي أيضًا في الولاية، تقديم علي على جملة الثلاثة هذا صنيع الرافضة.

سؤال : ما المقصود بالفطرة الواردة في الآيات والأحاديث؟

الجـواب : الفطـرة المقصـود بهـا التوحيـد. وفـي تفصـيلها بحـث آخـر. نكتفي بهذا، وفقكم الله لما فيه رضاه، وبارك فيكم.

الشريط الواحد والخمسون وجه (أ) ١٤٢٠/٧/٢١هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فهذه بعض الأسئلة.

سؤال : هل المضمضة والاستنشاق واجبان في الغسل المجزئ من الجنابة؟

الجـواب : المضمضـة والاستنشـاق فـي الصـحيح أنهـا واجبـة فـي كـل طهارة سواء كانت الطهارة الصغرى، أو كانت الطهارة الكبرى، وسواء أكانت الطهـارة مسـتحبة، أم كـان الطهـارة واجبـة. ففـي الغسـل يجـب علـى الصـحيح المضمضة والاستنشاق.

سؤال : وهل يرفع غسل الجمعة الحدث الأصغر؟ ولو رفع هل لابد من المضمضة والاستنشاق؟

الجواب : هذا التعبير غير صحيح، السؤال هل يرفع غسل الجمعة الحدث الأصغر؟ يقصد هل يجزئ؟ كيف، هل يرفع غسل الجمعة الحدث الأصغر؟ ما أدري وش يعني. يعني إنه الغسل المستحب، غسل الجمعة المستحب الذي لا يكون واجبًا، يعني عن حدثٍ أكبر، إذا اغتسل هل يكفي عن الوضوء؟ هذا السؤال طبعًا الذي يجزئ عن الوضوء هو الغسل الواجب؛ لأن الحدث الأكبر يرفعه الغسل، والغسل يرفع الحدث الأكبر ويرفع أيضًا الحدث الأصغر معه بالنية، والنبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيتوضأ ثم يفيض الماء على رأسه وبدنه، دل هذا على أن غسل الجنابة يرفع الحدث الأكبر والأصغر. وغسل الجمعة تارة يكون عن حدثٍ أكبر وتارةً يكون لاعن حدث، وإنما هو لأجل غسل الجمعة المتأكد ولم يكن معه حدث أكبر، وهذا الغسل لابد بعده من الوضوء، أو قبله ولم يحدث، يعني أنه إذا أراد أن يغتسل للجمعة ما يكفي الغسل عن الوضوء. لابد أن يتوضأ وهكذا في كل غسل مستحب، أو في كل غسل تنظيف أو تبرد، فلابد في الوضوء من الترتيب والموالاة ولابد من النية فيه. فإذًا الغسل إذا كان غسلاً واجبًا بالنسبة للرجل الجنابة، بالنسبة للمرأة من حيض، أو نفاس فإن حينئذ يدخل الحدث الأصغر في الأكبر، وإذا رفع الحدث الأكبر بالغسل الواجب أجزأ عن الحدث، أجزأ عن الوضوء بالنية. أما إذا كان غسلاً مستحبًا، أو كان غسل الجمعة ولم يكن هو محدث حدث أكبر، فإنه لا يكفي عن الوضوء، بل لابد من الوضوء وغسل الجمعة اختلف العلماء فيه هل هو واجب أم مستحب؟ والصحيح فيه أنه سنة مؤكدة، وأنه ليس بواجب والأحاديث التي فيها لفظ الوجوب وحق ونحو ذلك، لا تدل على الوجوب الذي يأثم من تركه، لأدلة معروفة في بابه.

سؤال : هل يجوز للمرأة أن تلبس القصير والعاري أمام زوجها؟ خصوصًا وأن مثل هذه الألبسة مما تحبب الزوج لزوجته؟

الجواب : المرأة بالنسبة لزوجها يجوز لها أن تلبس ما شاءت وما شاء زوجها، والنبي ﷺ صح عنه أنه قال: ((احفظ عورتك إلا عن زوجك أو ما ملكت يمينك)). الرجل أيضًا يلبس ما شاء أمام زوجته، ولكن لا، أو يكره ولا يستحب أن يكونوا عراةً؛ لأن ذلك من قبيل الحياء والله أحق أن يستحيا منه، لكن من قبيل الألبسة التي تحبب المرأة إلى زوجها، أو تحبب الزوج إلى زوجه -يعني إلى زوجته-، هذا لا بأس به. وابن عباس -رضي الله عنهما- كان يقول: إني لأتزين لامرأتي، كما أحب أن تتزين لي. وهذا ذكره عند قوله -تعالى-: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ وهذا من أداء الحقوق العامة. نعم هذا لا يجب، لكن إذا فعلته المرأة فإن هذا من العشرة الحسنة.

سؤال : هل شخصية عبدالله بن سبأ، شخصية وهمية؟

الجواب : هذا قيل: إن عبدالله بن سبأ، شخصية وهمية. والشيعة يؤكدون على هذا، ولهم في ذلك عدة مؤلفات، ويؤكدون على أن عبدالله بن سبأ شخصية متوهمة وليس بالحقيقة، والذي عليه أهل السنة والجماعة ممن ألف في العقائد أو في التاريخ أو الفرق، أن عبدالله بن سبأ شخصية حقيقية، وأنه كان باليمن، ثم أتى إلى المدينة ثم ذهب إلى مصر والشام، وأنه هو سبب التفرقة بين المؤمنين في عهد عثمان، فكان يكتب كما روي ذلك بأسانيد مختلفة، وشهرة اسمه عند أهل السنة وتناقل ما ذكر عنه في تفصيل معروف في موضعه، هذا يغني عن تتبع الأسانيد في هذا الباب. فشخصيته مشهورة وهو سبب إحداث الفرقة في عهد عثمان -رضي الله عنه-، حيث كان يكتب لكل والٍ في مصر من الأمصار بما أخذه هو على الوالي الآخر، ويكتب للناس بذلك، لإيغار الصدور بعضها على بعض. ومن الفرق المشهورة المعروفة المدونة

في كتب التاريخ، وكتب العقائد والفرق، الفرق السبئية الذين كانوا يقولون بألوهية علي -رضي الله عنه-، وهم الذين يتبعون عبدالله بن سبأ، الذي نفي إلى فارس، وبسبب نفيه هناك، ظهرت هناك فرقة الشيعة الرافضة أكثر من غيرها.

سؤال : كثيرًا من الإخوان -جزاهم الله خيرًا- إذا ما وقع بينهم خلاف في مسألة ما، إما فقهية أو غيرها وأنكر عليهم شدة الخلاف بينهم قالوا: الصحابة اختلفوا، فما بالك بحالنا؟

الجواب : أولاً: هذا ليس مما يسوغ أن يذكر هذا عن الصحابة، ويجعل اختلاف الصحابة حجة مطلقًا، في اختلاف غيرهم. الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يختلفوا -ولله الحمد- في بابٍ من أبواب العقيدة والتوحيد والأصول، وإنما اختلفوا في بعض المسائل الاجتهادية كالمسائل الفقهية، وكمسائل بعض مسائل الإمامة التي كانت في زمنهم لها تأويلها، ثم إن من القواعد المقررة عند أهل السنة كما كتبوا في عقائدهم، أننا نحمل جميع أعمال الصحابة وأقوال الصحابة وأفعال الصحابة على إرادة الخير، وعلى أنهم لم يقصدوا إحداث الخلاف، ولا الانتصار للنفس، ولم يذهبوا إلى النزعة القبلية، أو نزعة علو الشأن، أو نزعات الدنيا، وإنما كان لهم في ذلك تأويلات، وربما دخل بعض هذه المطالب كشيء من الدنيا، دخل في تأويل الدين، ولم يكن يقصد أساسًا، فلم يكن في الصحابة -ولله الحمد- ممن يشار إليهم وحصل منهم الخلاف، لم يكن منهم من يقصد الدنيا فقط محضة، وإنما يريدون الدين وربما يدخل في شيء من ذلك بعض استمساك بأمور الدنيا التي لهم فيها تأويل سائغ. لهذا لا يسوغ أن يحتج أحد إذا اختلف مع غيره أن يحتج باختلاف الصحابة مطلقًا، وإنما في بعض المسائل إذا اختلف فيها الصحابة فالخلاف يسع من بعدهم إذا كانت من المسائل التي ليس فيها دليل واضح، أما إذا كانت المسألة فيها نص، أو فيها دليل ظاهر من الكتاب أو من السنة، فأقوال

الصحابة بين راجحٍ ومرجوح إذا اختلفوا، فالله –جل وعلا– أمرنا أننا عند التنازع والاختلاف أن نرد إلى الله –جل وعلا– وإلى الرسول: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾، وهذا هو الذي يجب أنه يرد إلى الدليل. فإذا لم تظهر دلالة الدليل في المسائل، فإن في اختلاف الصحابة سعة إذا اختلفوا، وهم لم يختلفوا –ولله الحمد– في التوحيد ولم يختلفوا في العقيدة ولم يختلفوا في أصول الدين، وإنما اختلفوا في بعض المسائل اجتهادية معروفة، ولهم فيها تأويل وكل يقوم بحجته، وأقوالهم ما بين راجحٍ ومرجوح –رضي الله عنهم– وأرضاهم .

المتن :

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ، أولاً لأبي بكر الصديق –رضي الله عنه– تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، ثم لعثمان بن عفان –رضي الله عنه–، ثم لعلي ابن أبي طالب –رضي الله عنه–، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون. وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق وهم: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبوعبيدة بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة –رضي الله عنهم– أجمعين. ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق .

الشرح :

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. قال الطحاوي –رحمه الله تعالى–: (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ، أولاً لأبي بكر الصديق –رضي الله عنه– تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة) . بعد أن ذكر محبة أصحاب رسول الله ﷺ، وأننا نتولاهم جميعًا، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، أتى إلى مسألة

عظيمة فارق فيها جمع أهل السنة من عداهم من الخوارج والرافضة وأشباههم في مسألة الخلافة ومن الأحق بالخلافة ومن الأفضل وترتيب هؤلاء على ما جاء في النصوص، وعلى ما قرره الصحابة والأئمة من بعدهم. فقال: نثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ ويعنون بذلك، ويعني بذلك أن الخلافة يثبتها أهل السنة لأبي بكر دون غيره استحقاقًا للخلافة، أو تقديمًا له أو تفضيله، كما عليه الرافضة وبعض الفئات الأخرى. وهذا في الأصل كما ذكرت لكم قبل ذلك، هذا صار من العقيدة لأنه في أمر الخلافة التي بسببها وبسبب البحث في الخلافة افترقت الأمة إلى فرق كثيرة، فأول خلاف وقع في الأمة بعد رسول الله ﷺ هو من الذي يلي المسلمين بعده ﷺ؟ ووقع الخلاف بين المهاجرين والأنصار ولم يطل، وأجمع المسلمين في وقتٍ قصير على استحقاق أبي بكر للخلافة، كما سيأتي بيانه. ويمكن أن أتحدث عن هذا في عدة مسائل :

المسألة الأولى : أن خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أجمع عليها أهل السنة والجماعة، بل وغيرهم من الخوارج والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والمتكلمين، وسائر الفرق عدا الرافضة ومن نحا نحوهم. فخلافة أبي بكر الصديق وأنه هو المستحق للخلافة بعد رسول الله ﷺ أمر أجمع عليه هؤلاء، واختلفوا في مأخذ الخلافة، وأحقية أبي بكر بالخلافة، هل لأن خلافته ثبتت بالنص الجلي؟ أو أنها ثبتت بالنص الخفي؟ أو أنها ثبتت بالاختيار واتفاق اختيار الصحابة؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- ثبتت خلافته بالنص الجلي، ويعنون بالنص الجلي أن النبي ﷺ أرشد إلى خلافته، وأوضح أنه الأحق بعبارات مختلفة وأدلة متنوعة بدلالات قولية وفعلية يحصل من مجموعها التنصيص على أن الذي يلي الناس بعده ﷺ هو أبوبكر. وهذا القول هو الذي

عليه جماعة كثيرة من أهل الحديث وهو قول الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل وأصحابه الحنابلة وطائفة كبيرة من الشافعية، وهذا اختيار أيضًا ابن حزم وجماعة من الظاهرية، وهو الذي حرره المحققون أيضاً كشيخ الإسلام ابن تيمية، وكغيره فإنه قال: والتحقيق أن النبي ﷺ دل على خلافة أبي بكر الصديق بدلالات كثيرة، من قوله وفعله ﷺ وسيأتي ذكر بعضها إن شاء الله.

القول الثاني: أن خلافة أبي بكر ثبتت بالنص الخفي، يعني بالدليل الخفي والإشارة. فهذا هو الذي ذهب إليه الحسن البصري فقال حينما سئل: هل كانت ولاية أبي بكر بالنص عليه؟ فقال: لقد كان أبوبكر الصديق أتقى لله من أن يتوثب عليها. يعني الخلافة، وذهب إلى هذا أيضًا جماعة أيضًا من أهل الحديث؛ لأنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة والدليل، ويعنون بذلك ما أرشد إليه ﷺ من تقديم أبي بكر في أمر الدين في الصلاة وفي صحبته له وفي بيان فضله وعدم تقديم غيره عليه، يعني في الفرض.

القول الثالث: أنها ثبتت بالاختيار، ويعني بذلك اختيار المسلمين له –رضي الله عنه– في سقيفة بني ساعدة، وإلا عند هؤلاء لم يكن ثم نص وإلا لاحتجوا به عند الخلاف. وهذا ذهب إليه أيضًا كثير من أهل الحديث وطائفة من الحنابلة وهو رواية عن الإمام أحمد، وهو مذهب المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وأهل الكلام، فإنهم يرون أنها ثبتت بالاختيار. والصحيح من هذه الأقوال هو القول الأول، وهو أنها ثبتت بالنص الجلي الذي لا يحتمل غيره، ويدل على هذا عدد من الأدلة:

الأول: هو أن أبا بكر –رضي الله عنه– هو أفضل الأمة حين مات رسول الله ﷺ والصحابة جميعًا لم يكن أحد منهم يقدم أحدًا من الصحابة على أبي بكر في الفضل، معلوم أن فضله –رضي الله عنه– كان بنص القرآن ونص السنة على تقديمه على غيره في الفضل، وأنه اختص بالنبي ﷺ في القرآن في قوله: ﴿ **إِذْ يَقُولُ**

لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾، وفي قوله: ((هل أنتم تاركو لي صاحبي))، وفي قوله: ((لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً))، وفي قوله: ((اقتدوا بالذين من بعدي))، -هذا دليل في مسألة تأتي- "أبي بكر وعمر"، ونحو ذلك من الأدلة التي فيها بيان فضله. والمسلمون لما مات النبي ﷺ لم يكن أحدٌ منهم يقدم أحدًا في الفضل على أبي بكر، ومعلوم أن الإمامة تكون للأفضل، والفضل له شعب منها الفضل في الدين، والفضل في العلم، والفضل في التقوى، ونحو ذلك وكذلك أن يكون قرشيًا في إمامة الاختيار، وهذه كلها كانت موجودة في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فالتنصيص على أن أبا بكر هو أفضل هذه الأمة من مجموع أدلة كثيرة في التنصيص على فضله، وأنه أفضل، وعلى اختصاصه بالنبي ﷺ، يدل على أن الأفضل هو الأحق بالخلافة، وهذا تنصيص على أن أبا بكر هو الذي توجد فيه شروط الخلافة.

الثاني: أن النبي ﷺ لما مرض مرضه الأخير أمر الناس أن يقدموا أبا بكر، فقال: ((مروا أبا بكر فليصل بالناس))، قد قال بعض الصحابة: إذا ارتضاه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرتضيه لدنيانا؟ يعني أن تقديمه في الإمامة الصغرى -وهي إمامة الصلاة- دليل، بل هي نص على أنه هو الأحق بالتقدم في الإمامة العظمى.

الثالث: أن النبي ﷺ أمر الصحابة أن يأتوا بكتاب ليكتب لهم فقال: ((يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر))، ثم إنه لما دعا بذلك الكتاب قال: ((آتوني بكتاب أعهد إليكن عهداً لا تختلفوا بعده))، قال عمر -رضي الله عنه- عندنا كتاب ربنا، وما أظن رسول الله ﷺ إلا غلب عليه الوجع. وهذا اجتهاد منه -رضي الله عنه- يعني من عمر حمله عليه، أنه ظن أن النبي ﷺ سيذكر غير أمر الخلافة، غير أمر الولاية؛ لأن أمر الولاية الدليل عليه قائم بأدلة كثيرة أخرى، فلا تحتاج إلى

عهد مكتوب خاص يعهد إليهم به، فخشي أن يقول شيئًا آخر ويكون ذلك فتنة للناس؛ لأنه ﷺ في تلك الحال بشر والناس قد لا يدركون كل شيء. ولهذا عمر -رضي الله عنه-، النبي ﷺ أراد الكتابة بالعهد لأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- منع، أو رأى -كما قال بعض أهل العلم- أنه لا يجلب الكتاب؛ لأنه إن كان تنصيصًا بالولاية فهذا مدلول عليه بغيره. قال بعض العلماء: ولا يحمل قول عمر -رضي الله عنه- على أنه ظن أن النبي ﷺ سيكتب شيئًا آخر، ولكن نظر في أن الأمر لم يكن على الإيجاب وإنما كان على باب الشفقة والرحمة لهم، وباب الشفقة والرحمة لهم قال هؤلاء: لا تلزم فيه الاستجابة وخاصة في مثل مرضه ﷺ. والأول هو الأظهر في تحليل قول عمر -رضي الله عنه-. ومما يدل أيضًا على تنصيصه ﷺ أنه قال: ((اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكرٍ وعمر))، ومما يدل أيضًا عليه أن امرأة أتت إلى النبي ﷺ في حاجةٍ لها، فوعدها موعدةً أخرى فقالت كأنها تشير: إن لم أجدك -يعني بالموت-؟ قال: ((إن لم تجديني فأتي أبا بكر)). والأدلة على هذا كثيرة متنوعة في أن أبا بكر -رضي الله عنه- كان منصوصًا على استحقاقه للخلافة بعده أدلة يؤخذ منها أنه نص جلي لا يحتمل التأويل.

أما القول الثاني، وهو من قال: أنها ثبتت بالإشارة. فهذا فيه نظر؛ لأن الإشارة هي الشيء الخفي، وهذه الأدلة ظاهرة في الدلالة. وأما من قال: بالاختيار. فلا شك أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- اختاره المسلمون، لا شك بل أجمع عليه المسلمون وقد نقل الحاكم في المستدرك وصححه، أن علي بن أبي طالب ذكر إجماع المسلمين على خلافة وولاية أبي بكر، ونقل ذلك أيضًا عن طلحة بن عبيدالله، وعن الشافعي وعن جماعة حكوا الإجماع على اختيار المسلمين لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وثبوتها بالاختيار هذا لا شك فيه، لكنه ليس ثبوتًا مستقلاً، بل هو تبعٌ لتنصيص النبي ﷺ على أبي بكر في بيان فضله ومنزلته وأنه هو الأحق بالتقدم في أمر الدين وفي الإمامة العظمة.

المسألة الثانية: خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وبيعة أبي بكرٍ الصديق تمت في سقيفة بني ساعدة، في القصة المعروفة حيث اختلف المهاجرون والأنصار ثم آل الأمر إلى أن يكون الخليفة من قريش لقوله ﷺ: ((الأئمة من قريش، الخلافة فيكم))، يعني في قريش، ثم قدم أبي بكر للأدلة التي ذكرنا. واجتمع المسلمون على بيعة أبي بكر، ومنهم -من المسلمين- من الصحابة من حصلت منه البيعة التي هي التزام لهذا الإمام، ولهذا الخليفة بالمبايعة اللفظية دون المبايعة بصفقة اليد. وهذا كما حصل من علي -رضي الله عنه- ومن طلحة بن عبيدالله، فإنهما وهناك معهم آخرون لم يباعوا مباشرة بصفقة اليد، وإنما بايعوا لما بايع أهل الحِل والعقد، ومعلوم أن البيعة قسمان، بيعة لأهل الحل والعقد ومن استطاع من المسلمين أن يبايع بصفقة اليد والعهد، والبقية يبايعون بيعة شرعية باللسان، أو باعتقاد القلب بالتزام طاعة هذا الخليفة وهذا الإمام. وعلي -رضي الله عنه- ومن معه قال طائفة: إنهم لم يبايعوا، إلا بعد ستة أشهر، أو بعد بضعة أشهر، أو ثلاثة أشهر، أو أكثر أو اقل، وأنهم لم يكونوا يرتضوا ذلك تلك البيعة الأولى. وهذا غلط كبير، بل علي -رضي الله عنه- قد بايع، ولكنه لم يَقْدَم على أبي بكر حتى توفيت فاطمة وكذلك طلحة بن عبيدالله تأخر في إعطاء أبي بكر الصديق ثمرة القلب، وصفقة اليد في البيعة. وهذا التأخر له أسباب، من أهمها:

السبب الأول : أن عليًا وطلحة من العشرة ومن المقدمين، وقد أخروا أو لم يدعوا أو لم يأتوا إلى الشورى في السقيفة وفي اجتماع الأمر، فرأوا أنهم لمَّا لم يكن لهم الأمر في الشورى أنهم حينئذ ليسوا من أهل الحل والعقد، فلا يلزم أن يستعجلوا في إعطاء البيعة بصفقة اليد.

والسبب الثاني: أن عليًا -رضي الله عنه- راعى فاطمة فيما كان في شأنها إن صحت الحكاية، في تأخير فيما كان في نفسها في تأخير بعض الميراث،

وأبوبكر -رضي الله عنه- أخذ بقول النبي ﷺ: ((إنا لا نُرث ما تركناه صدقة))، وكان علي -رضي الله عنه- يراعي حال فاطمة؛ لأنها بنتُ رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يقول في شأنها: ((إنما أنتِ بَضعةٌ مني، يؤذيني ما يؤذيكِ))، فتأخر علي لسببٍ ليس براجعٍ إلى أحقية أبي بكر في الخلافة، ولا إلى أحقيته في البيعة، بل إلى مسألة يرى أنها الأفضل في مراعاته لفاطمة، أو لأنه لم يكن من أهل الشورى فلا تلزمه المبادرة، مع حصول البيعة له، حصول بيعته لأبي بكر حيث ذكر هو: أن المسلمين والصحابة أجمعوا على خلافة أبي بكر.

السبب الثالث: أن التأخر قد يحصل والتأخر، أو التقدم ليس أمرًا قادحًا في استحقاق أبي بكر للخلافة ولا إلى إجماع الناس عليه؛ لأن التأخر كما ذكرت لك مرده إلى ترك الأفضل من البيعتين، وهو بيعة اليد. فإذا حصلت البيعة الواجبة وهي بيعة الاعتقاد، بيعة الالتزام بمبايعة المسلمين وارتضائهم، حصل القصد الشرعي.

والأمر الثاني: يمكن أن يكون له أكثر من سبب، فلا يجعل قادحاً لا من جهة عملية ، ولا من جهةٍ أيضًا عملية لهذا من نقل أن عليًا -رضي الله عنه- أو طلحة، أو نحو ذلك لم يكونوا يرتضون خلافة أبي بكر، أو أنهم جاملوا لمَّا رأوا الأمر استقر وأن عليًا كان الأحق، ونحو ذلك. هذه كلها أقوالٌ هي من أقوال أهل الروافض والبدع الوخيمة، ولا يصح في هذا شيء عن صحابي أصلاً، في أنه يقدم نفسه لا في الفضل ولا في الخلافة على أبي بكر -رضي الله عنه-، بل المسلمون تبع لأبي بكر -رضي الله عنه- وأرضاه.

المسألة الثالثة: خلافة أبي بكر الصديق طعن فيها الرافضة، ولم يقتصروا على ذلك بل طعنوا في أبي بكر الصديق، وطعنهم في الخلافة يريدون منها أن أبا بكر وعمر اغتصبا الخلافة، واغتصبا الولاية وكان الأحق بها علي -رضي الله عنه-. ويستدلون لذلك بقول النبي ﷺ لعلي في حديث غدير خم

المعروف، أنه ﷺ قال لعلي: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)). ومنزلة هارون من موسى أنه قال له: ﴿ **اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾. وهذا الحديث قد رواه مسلم في الصحيح، حديث غدير خم المعروف حديث صحيح: ((وأنت مني بمنزلة هارون من موسى))، لا تدل على استحقاقه للخلافة مطلقًا، وإنما على استحقاقه للولاية في تلك السفرة التي سافرها النبي ﷺ، وهو لما ذهب فإن عليًا صار منه بتلك المثابة وطمّن خاطره وشرح صدره بهذه المنزلة، إذ لم يرافقه ﷺ. وهذا شيء مؤقت لا يدل على التقديم في كل حال.

الشريط الواحد والخمسون وجه (ب)

لما حجّ أبوبكر بالناس عام تسعٍ من الهجرة كان هو الأمير، أمير الحج وعلي -رضي الله عنه- كان معه ليقرأ على الناس أول سورة براءة، ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾، الآيات. وسبب إرسال علي -رضي الله عنه- مع أبي بكر، أنه كان من عادة العرب أنها لا تقبل الأمر الجلل إلا من الرجل نفسه، أو من ذي قرابةٍ منه، يقول بقوله، فرغب ﷺ في أن لا يحدث اختلاف في هذا الأمر، وأن يعلن البراءة من المشركين في أن لا يحج بعد العام مشرك، أن يعلنها أقرب الناس من رسول الله ﷺ وهو علي بن أبي طالب ابن عمه وزوج بنته -رضي الله عنه-. وهذا يدل على أنه كان مع أبي بكر تابعًا وكان أبوبكر -رضي الله عنه- هو الأمير، وما ذكروه من قوله: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى))، إنما هذا في شيء مؤقت لا يدل على منزلةٍ عامة. ولهذا علي -رضي الله عنه- كان في الستة نفر، ولذلك علي كان في الستة نفر الذين عهد إليهم عمر -رضي الله عنه- في اختيار الخليفة فكان من اختيارهم من اختاروا عثمان -رضي الله عنه- خليفةً

بالمسلمين. ولهم في ذلك -يعني للرافضة- في ذلك أقوال وآراء في القدح، قدح أبي بكر وفي القدح من عمر وعثمان معروفة، عاملهم الله بما يستحقون.

المسألة الرابعة والأخيرة: قال: تفضيل له وتقديمًا على جميع الأمة. هذا هو الذي ذكرت لك في أول الكلام، من أن تقديم أبي بكر لأجل تفضيله، فهو الأفضل وهو المقدم، كذلك عمر هو الأفضل وهو المقدم، كذلك عثمان هو الأفضل وهو المقدم، ثم علي هو الأفضل وهو المقدم -رضي الله عنهم- أجمعين فإثبات الخلافة فيها إثبات الفضيلة، وأيضًا المسألة تنعكس، إثبات فضل أبي بكر على جميع الأمة فيه إثبات الخلافة له -رضي الله عنه-. وتقديم أبي بكر على جميع الأمة في الفضل هو تقديم لأبي بكر على جميع الأمة في استحقاقه الولاية والخلافة. قال بعدها: ثم لعمرٍ بن الخطاب -رضي الله عنه- عمر بن الخطاب هو في الفضل في هذه الأمة بعد أبي بكر الصديق، وهو في الخلافة أيضًا هو الخليفة الثاني بعد رسول الله ﷺ، وخلافته بالإجماع ثبتت بالعهد من أبي بكر حيث إن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- نص على عمر بالخلافة بعده. لهذا لم يختلف المسلمون في أن يكون بعد أبي بكر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-. وفضائل عمر أكثر من أن تحصر ومناقبه كثيرة مبثوثة، وفي عهده -رضي الله عنه-، عهد عمر اتسعت بلاد الإسلام وانتشر لواءه وكثر الداخلون في الدين وأرغمت أنوف الكفرة والمشركين، وسار الصحابة والمسلمون إلى أمكنة بعيدة، وكان في عهده يأخذ نفسه بالحزم والشدة على نفسه، وعلى قرابته حتى إنه قيل له في آخر أمره: ألا تعهد لعبدالله بن عمر بن الخطاب؟ فقال: يكفي أن يشقى بهذا الأمر واحدٌ من آل الخطاب. وكان -رضي الله عنه- وهو عمر كان من أحزم الناس في أمر الولاية، بل كان أحزم هذه الأمة بعد أبي بكر الصديق في أمر الولاية، ومع أنه كان متصفًا بالقوة والبأس والهيبة، وكان أبو بكر -رضي الله عنه- متصفًا بالرقة والرحمة والسعي في الحاجات عن قلب رحيم وإنِّ أبا بكر كان

في الولاية أفضل منه، وفي مقامه -مقام أبي بكر- في الولاية كان أفضل وأرفع من عمر -رضي الله عنه- في مقامه. فأبوبكر الصديق -رضي الله عنه- هو الذي وقف في الردة ذلك الموقف العظيم، الذي لم يثبت له عمر ولم يثبت له كثير من الصحابة -رضي الله عنهم- أجمعين. فولاية عمر بالاتفاق وبالإجماع من أهل السنة، أنها ثبتت بالعهد، العهد من أبي بكر، وأنه هو المستحق لها إلا خلاف الرافضة المعروف. قال بعدها: (ثم لعثمان -رضي الله عنه-) وعثمان -رضي الله عنه- ولي الخلافة بالاختيار، فعمر لما ولي الخلافة وليها بعهد، ثم استمر فلما قربت وفاته، وشهادته -رضي الله عنه- قال: إن أعهد فقد عهد أبوبكر، وإن أترك فقد ترك النبي ﷺ وجعل الأمر شورى في الستة نفر، فآلى إليهم الأمر فاختاروا أفضلهم وأعظمهم صحبة للنبي ﷺ ومقام صدقٍ في الإسلام، وهو عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وأرضاه. فخلافة عثمان ثبتت بالاتفاق، ثبتت بالاختيار اختيار أهل الشورى الخاصين وهم الستة من العشر -رضي الله عنهم-. قال: (ثم لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه) وتثبت الخلافة بعد عثمان لعلي -رضي الله عنه-، وعلي بن أبي طالب لم يجمع عليه المسلمون في عهده؛ لأنه مع أنه الأحق من كل وجه من غيره؛ لأنه كان بعد مقتل عثمان، ومقتل عثمان سعى فيه المفسدون من الخوارج ونحوهم وأوغروا الصدور لهذا الشأن، حتى وقع قتل عثمان، ثم وقع الخلاف بين الصحابة بسبب ذلك، فمعاوية -رضي الله عنه- في جهة وعلي -رضي الله عنه- في جهة، وطلحة والزبير وعائشة في جهة، وحدث من ذلك ما حدث. فعلي -رضي الله عنه- خلافته ثابتة باختيار أهل الحل والعقد له في المدينة، فخلافته بالاختيار، ولأنه هو الأفضل من هذه الأمة بعد عثمان، وإذا كان هو الأفضل فهو الأحق بالولاية، وهو الأحق بالخلافة. لهذا كان الواجب على جميع المسلمين في وقته -يعني من الصحابة والتابعين- أن يعقدوا البيعة لعلي -رضي الله عنه-، لكن لم يجتمع الناس عليه، وقضى في الخلافة -رضي الله عنه- سنين لم يكن السلك فيها منتظمًا ولا حبل

الولاية فيها مستقيمًا، بل كان زمن قتال وخلاف، وعلي -رضي الله عنه- لقي من الناس فيها الأمرَّين. لهذا خلافة علي، وإن لم تكن مجمعًا عليها، فهي ثابتة ببيعة أهل الحل والعقد له في المدينة، وأهل الحل والعقد هم الذين يُصار إليهم في مسائل البيعة وبعدهم لا يجوز لأحد أن يتخلف؛ لأن انتظام السلك واجتماع الأمة هذا فرض من الفرائض، إضافة إلى أن عليًا هو الأفضل، وهو -رضي الله عنه- في مكانته من رسول الله ﷺ بالمكان الذي لا يخفى.

قال بعدها: (وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديين) هم الخلفاء الراشدون، كلمة الخلفاء الراشدون مأخوذة من حديث النبي ﷺ بوصفهم بالراشدين في قوله مثلاً، في حديث العرباض بن سارية: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)). ووصف الخلافة ووصف الرشد ليس مختصًا بهؤلاء، فقد يكون بعدهم من يكون خليفة ويكون بعدهم من يكون راشدًا، لكنهم اتصفوا بوصفٍ زائدٍ على الخلافة الراشدة، بأنهم على خلافة راشدة على منهاج النبوة كما صح عنه ﷺ أنه قال: ((الخلافة ثلاثون سنة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكًا..)) إلى آخره. فهم الأربعة، الخلفاء الأربعة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخلافة وبالرشد، وهاهنا مسائل:

المسالة الأولى:أن وصف الخليفة استمر بعدهم في ولاة بني أمية لكنه مع تغير الاسم إلى أمير المؤمنين، وهذا ابتدأ من عهد عمر -رضي الله عنه- لما قيل له: أنت خليفةُ خليفةَ رسول الله ﷺ فقال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم. أو كما جاء عنه -رضي الله عنه-. وإلا فهم خلفاء يصح أن يقال: الخليفة عمر الخليفة عثمان، والخليفة الراشد علي، وهكذا لكنه اقتُصر على أمير المؤمنين عمر، وأمير المؤمنين عثمان، وأمير المؤمنين علي، ثم بعده أمير المؤمنين معاوية.. إلى آخره. وهؤلاء خلفاء لقول النبي ﷺ: ((لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر

خليفة))، وهذا يدل على دخول ملوك بني أمية مع اتصافهم بالملك في اسم الخليفة؛ لأن لفظ الخليفة ليس فيه مزيد فضل، ولكن معناه أنه الذي يخلف من قبله، وقد يكون يخلف بحسن وقد يكون يخلف بغير ذلك، لكن قال ﷺ: ((لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة))، هذا يدل أيضًا على أن ما بعد الاثنا عشر خليفة يصح أن يكونوا، أن يسموا خلفاء، لكن لم يختصوا بهذا الاسم، بل ذكرت، أو اختصوا بألقاب أخرى وربما أطلق هذا اللقب.

المسالة الثانية: لو كان ثم خليفة خامس بعد الخلفاء الأربعة الذين اختصوا باسم الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، لو كان من يستحق الخليفة الخامس فالذي يستحقه الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– وهذا هو الذي عليه أهل السنة بخلاف قول طائفة من أهل البدع في عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله تعالى– إنه خامس الخلفاء الراشدين، أو الخليفة الخامس، أو الخليفة الراشد الخامس، ونحو ذلك، هذا ليس من أقوال أهل السنة، أو من أقوال أئمة أهل السنة، بل أن لو كان ثم خامس فالأحق به معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه–، فهو أفضل من عمر بن عبدالعزيز بلا شك؛ لأنه اجتمع عليه الناس وصار في مدته إغاظة للكافرين؛ ولأنه هو صاحب رسول الله ﷺ، وكاتب الوحي وقد قال ابن مسعود: لمقام أحدهم ساعة مع رسول الله ﷺ خير من عبادة أحدكم كذا وكذا سنة، والنبي ﷺ قال: ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))، قد قال –جل وعلا– أيضاً: ﴿ **لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَـئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى** ﴾ وعمر بن عبدالعزيز لا شك أنه دون معاوية، ولم يحصل له في ولايته الانتشار، وإنما أراد أشياء في نشر السنة وفي الجهاد وفي إحقاق الحق والعدل بين الناس، وإزالة المظالم، لكن لم يستقم له الأمر فما عاش في

ولايته إلا أقل من سنتين، أو نحو السنتين ثم بعدها قبض. لهذا فلا يقدم أحد من التابعين على أحدٍ من الصحابة -رضي الله عنهم-.

المسألة الثالثة: الحسن بن علي -رضي الله عنه- ابن بنت رسول الله ﷺ ريحانة النبي ﷺ، لما قتل علي بايعوه بالخلافة، فما استقام الأمر له، فأراد -رضي الله عنه وأرضاه- أن يحقن الدماء وأن يجمع كلمة المسلمين فتنازل بالخلافة والولاية إلى معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- وسمي عام تنازله بعام الجماعة حيث اتفق المسلمون واجتمعوا، وهذا لشدة ورعه وتقواه، أعني الحسن فإنه هو الأحق بالأمر، لكن رأى أن المصلحة العظمى للإسلام والمسلمين تقضي بأن يترك الأمر لمعاوية الصحابي، وفي اختيار الحسن الخير والبركة وهكذا كان فعاش المسلمون نحواً من عشرين سنة وهم في أمن وأمان، وقوة على الأعداء ومكنة في أمر دينهم وفي أمر دنياهم قال -رحمه الله تعالى- بعدها: (وإن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ) وقوله الحق، هذا فيه تخصيص هؤلاء العشرة بالفضل وبالشهادة لهم بالجنة، ودخل هذا في العقائد مخالفة للرافضة وبعض الخوارج الذين يتبرؤون من أكثر هؤلاء العشرة، ويرون أن لفظ العشرة لفظ مشئوم، وأنه لا يصح الشهادة لهؤلاء بالجنة، ولا أن يتولوا فصار من عقيدة أهل السنة مع توليهم لجميع الصحابة أن يشهد لهؤلاء العشرة بالجنة، وأن يتولوا بخصوصهم بمزيد فضلهم وسابقتهم، وحبهم لرسول الله ﷺ وجهادهم معه فأدخلت في العقيدة لأجل خلاف الرافضة في هذه المسألة وتبرئهم من أكثر العشرة، ومن لفظ العشرة. وهؤلاء العشرة سماهم هنا: أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنهم- وذكرت لكم مسألة قبل ذلك، وهي أن هؤلاء

العشرة قيل عنهم: إنهم المبشرون بالجنة لا لأجل اختصاصهم بهذه الشهادة والبشارة، بل النبي ﷺ بشر عدداً كثيراً من الصحابة بالجنة، فبشر بلال بالجنة، وبشر خديجة بالجنة، وبشر عائشة بالجنة وبشر عكاشة بن محصن بالجنة، وبشر آخرين بالجنة، وإنما خص هؤلاء؛ لأنهم أفضل هذه الأمة، ولأنهم بشروا بالجنة في مكان واحد، في حديث واحد، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: ((أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبوعبيدة في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة)) أو كما جاء عنه ﷺ وجاء أيضاً في حديث آخر أنه بشرهم واحد تلو الآخر في دخلوهم عليه في بستان، فقال: ((أدخله وبشره بالجنة)) لما أدخل أبا بكر، ثم دخل عمر فقال: ((أدخله وبشره بالجنة)) ثم أتى عثمان فقال: ((أدخله وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)) ثم هكذا فالمقصود من ذلك أن هؤلاء نص عليهم بمزيد فضلهم، ولاختصاصهم بالنبي ﷺ، وكلهم من المهاجرين، ممكن تجعل هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية: الرافضة –خذلهم الله– ومن شابههم يتبرأون من أفضل هذه الأمة، وهم هؤلاء العشرة ما عدا بعض المذكورين، ويرون أن لفظ العشرة من الألفاظ المنكرة التي ينبغي التبرؤ منها، فيكرهون لفظ العشرة؛ لأجل وروده في العشرة المبشرين، ولأجل مقتل الحسين في اليوم العاشر من محرم، ونحو ذلك مما يعتقدونه،والواجب أن المسلم يتولى من تولاه النبي ﷺ فإذا كان النبي ﷺ هو الذي تولى هؤلاء، وهو الذي أشار إلى فضلهم وهو الذي بشرهم بالجنة، فأي خيبة بعد ذلك على من عاداهم ولم يتولاهم؟ فبحب رسول الله ﷺ ونصرتهم له، أحببناهم ونصرناهم ودافعنا عنهم، فالذين يبغضون من أحب النبي ﷺ ومن شهد له بالجنة، هم الحقيقون بأن يبغضوا، وأهل السنة لكمال

عدلهم وأنهم هم الوسط الذين شُهد لهم بذلك في قوله: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ وأهل السنة هم الوسط، فهم يتولون من تولاه النبي ﷺ والفرق على اختلافها الخوارج والنواصب والشيعة والرافضة يتولون بعضاً ويكرهون بعضاً، بل ربما كفروا بعضاً وحكموا بالإيمان على بعض وهذا كله من الاعتداء، والحكم على ما ليس لهم الحكم فيه. لهذا الواجب على كل مسلم في أي مكانٍ كان من الأرض أن يعلن موالاته لهؤلاء العشرة، لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبوعبيدة، يعلن موالاته لهؤلاء؛ لأن موالاتهم من الدين، ومن موالاتهم أيضاً الشهادة لهم بالجنة، ومن موالاتهم أن ينصروا في موضع ينال منهم، ومن موالاتهم ومحبتهم أن يجاهد المسلم في سبيل دفع الشبه عنهم الشبه التي ربما يكون مردها إلى الإثارات العلمية، فطالب العلم يحسن به، بل هذا من الجهاد أن يكون عالماً بما أثير على أبي بكر الصديق وكيف أجاب أهل العلم عن ذلك، لأنه قد يحتاجه، ثم على عمر، ثم على عثمان، ثم على البقية كأبي عبيدة بن الجراح الذي يزعم الرافضة أنه كان متفقاً مع أبي بكر وعمر أن يلي بعدهما، ولكنه مات قبل ذلك، وهذه دعوى يكذبون بها، فالواجب إذاً أن يكون مقتضى المحبة والولاية،أن يكون المؤمن عالماً بفضائلهم وأن يكون مدافعاً عنهم؛ لأن هؤلاء هم الصفوة، والله –جل وعلا– يقول: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾، وقال ﷺ ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) وقال: ((المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يحقره)) يخذله متى؟ في موضع يحتاج فيه إلى نصرته، فإذا وقع الناس في عرض خير الناس بعد رسول الله ﷺ،أو في عرض عائشة بنت الصديق، الصديقة بنت الصديق، أو في عرض عمر، أو في عثمان، أو أبي عبيدة أو نحوهم، فإن الواجب أن ينتصر لهم،

والانتصار لهم من الانتصار للدين؛ لأنه انتصار لمن شهد الله –جل وعلا– له وشهد له رسول الله ﷺ.

المسألة الثالثة والأخيرة: حول هذا أن قوله: (نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ) وقوله الحق فيه إشارة إلى المسألة التي مرت معنا سالفاً، وهي أننا أهل السنة والجماعة لا نشهد لمعينٍ من أهل القبلة لا بجنة ولا بنار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ فنشهد لهم بالجنة لا لأجل أن لهم الفضائل السائرة وأن لهم المنزلة، بل لأن النبي ﷺ شهد لهم بالجنة، فنشهد لشهادة رسول الله ﷺ وقد ذكرت لكم أن أهل العلم في الشهادة بالجنة للمعين اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال، ذكرتها لكم سالفاً، ومنها أن يشهد لمن استفاض عند الأمة الشهادة له بالخير والصلاح والتقوى؛ لأن الله –جل وعلا– وعد أهل الصلاح والخير والتقوى وعدهم بالجنة، ووعده الحق والأمة شهود الله – جل وعلا– في الأرض، كما جاء في الحديث الصحيح أنه لما مُرَّ بجنازة شهدوا لها بالخير قال: ((وجبت)) ثم مُرَّ بأخرى، فأثنوا عليها شراً، قال: ((وجبت)) قالوا: يا رسول الله ما وجبت؟ قال: ((تلك أثنيتم عليها خيراً فوجبت لها الجنة، وهذه أثنيتم عليها شراً فوجبت لها النار، أنتم شهداء الله في الأرض)) لهذا كان رواية عن الإمام أحمد، واختيار ابن تيمية وجماعة أنه بالاستفاضة يُشهد، وهؤلاء العشرة مع شهادة رسول الله ﷺ لهم بالجنة، فإن الأمة أجمعت عليهم، فليس ثم في الأمة إلى وقت خروج الخوارج، ليس ثم في الأمة إلا من يحب هؤلاء العشرة، ويتولاهم وينصرهم؛ لأنهم الذين نصروا الدين وكلهم ماتوا والأمة تشهد لهم بالخير والحق والصلاح ونصرة النبي ﷺ والجهاد معه. قال بعدها: ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس فقد بريء من النفاق. يريد بذلك أيضاً الرد على الروافض والزيدية والخوارج ومن شابههم، في عدم

توليهم لجميع الصحابة ولجميع أزواج النبي ﷺ وإن من علامات الإيمان محبة الصحابة وزوجات النبي ﷺ جميعاً ومن علامات النفاق بغض بعض الصحابة، وبغض بعض زوجات النبي ﷺ، أو الوقيعة في بعض زوجاته ﷺ تميز أهل السنة وفارقوا طوائف من أهل الفرق الضالة، بأنهم يحسنون القول في الصحابة وفي الزوجات الطاهرات، وفي ذرية النبي ﷺ أعني ذرية الحسن والحسين وبقية أولاد علي –رضي الله عنهم وأرضاهم– ويندرج الكلام في مسائل:

المسألة الأولى: قوله: من أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ يعني بإحسان القول هنا، ما يشمل إحسان القول القلبي بما يُحدِّث به المرء نفسه، وإحسان القول الكلامي وهو ما يتكلم به المرء فمن لم يكن في نفسه شيء على الصحابة والزوجات الطاهرات فقد بريء من النفاق، ويفهم من ذلك أن من كان في نفسه شيء على بعض الصحابة، أو لم يحسن الظن، أو لم يحسن القول فيهم ظاهراً أو باطناً فإنه يُخشى عليه من النفاق بقدر ما فيه من الإساءة.وهذا يدل على أن الواجب على كل مسلم ومسلمة، أن يكون اعتقادهم في صحابة رسول الله ﷺ أحسن الاعتقاد وأن يثنوا عليهم بالجميل، وأن يكلوا أمرهم إلى الله فيما اختلفوا فيه، وأن يعلموا أنهم إنما اختلفوا في أمر لهم فيه اجتهاد وتأويل لأجل الدين.

المسألة الثانية: أزواج النبي ﷺ الطاهرات تسع، ووصفهم هنا (بأنهن طاهرات) ويعني بطاهرات ما وعد الله –جل وعلا– به، أو ما وصفهم الله – جل وعلا– به في قوله: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ والتطهير هنا وإذهاب الرجس يعني أنهن مع بقية أهل البيت، أنهن طاهرات مطهرات فمن وصفهن بغير الطهر وقذف بعض نساء النبي ﷺ فإنه منافق وربما يكفر بقذفه، أو بعدم تطهيره لهن، والله –جل وعلا– يقول: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ** ﴾ وهذا في التفسير معناه،

أنهن –رضي الله عنهن– لسن مثل بقية نساء المؤمنين؛ لأنهن زوجات النبي ﷺ في الدنيا وزوجاته في الآخرة، ولأنهم أيضاً أمهات المؤمنين كما قال: ﴿ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ فأزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، وهذا يدل على فضلهن على كل مؤمن، وعلى تطهيرهن كما في آية الأحزاب السابقة، وعلى أن الواجب نحوهن الموالاة التامة، وأنه لا يجوز أن يعتقد في واحدةٍ منهن بغير الكمال في أمر دينها بحسب ما وسعها، ومعنى أزواج النبي ﷺ ومعنى كون أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين أنهن بمنزلة الأمهات كما جاء في القراءة الأخرى، أو في الحرف الآخر: ﴿ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وهو أبٌ لهم** ﴾ يعني هو ﷺ، فهن أمهات المؤمنين في المنزلة، وفي واجب المحبة التقدير، وفي واجب النصرة وما يجب من الموالاة ونحو ذلك، أما في المحرمية فلسن، فليس أفراد المؤمنين محارم لزوجات النبي ﷺ بل كان زوجات النبي ﷺ يحتجبن عن بقية المؤمنين، فهن أمهات للمؤمنين في المكانة والمنزلة والفضل، وليسوا أمهات في المحرمية؛ لأن المحرمية أقسام ثلاثة، أو هذا القسم أحدها.

المسألة الثالثة: قوله: (وذرياته المقدسين من كل رجس) يعني بها يعني بكلمة المقدسين المطهرين؛ لأن التقديس معناه التطهير، والأرض المقدسة، يعني الأرض المطهرة. وهنا نوَّع العبارة مع أنه لم يأتي في الكتاب ولا في السنة وصف ذرية النبي ﷺ بالقدسية، أو أنهم مقدسون، وإنما استعمل ذلك بالمعنى، لثبوت المعنى وهو التطهير في قوله: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ لهذا قال بعدها: المقدسين من كل رجس، إلماحاً للآية، وأنه يريد بالتقديس هنا التطهير من كل رجس الذي هو الإثم والعيب. وذريات النبي ﷺ منهم من انقطع، انقطع النسل، وهم أولاده ﷺ وأولاد بناته الذين انقطع نسلهم، ومنهم من بقي إلى اليوم، وهم الذين يسمون بآل البيت، وآل البيت في الغالب الآن الموجود، من ذرية الحسن بن

علي بن أبي طالب، ومنهم القليل من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن ينتسب إلى الحسين أو إلى الحسن فإنه في الغالب عندهم صكوك نسبة يسردون فيها النسب إلى الحسن أو الحسين، يعني إلى علي بن أبي طالب إلى فاطمة الزهراء. وهذه النسب سواء اطلع عليها المسلم أو لم يطلع عليها، فإن اعتقاده في جنس الذرية الذين طهرهم الله –جل وعلا– من الرجس، ولا ينسب لمعين من الذرية بأنه مطهر من كل رجس، يعني أن المسلم يحسن القول في ذرية النبي ﷺ الذين شُهد لهم بالتطهير من الأرجاس في الآية وهي شهادة عامة وهي خاصة بأهل ذاك الزمان وما تسلسل الزمان ما بقوا على سنة النبي ﷺ، وإلا فإن من المعلوم أن القرابة وحدها ليست بسببٍ كافٍ في نزع الآثام أو حدوث التولي. فقد يرتد القريب وقد يفسق وقد يكون كذا وكذا ، لكن من كان منهم صالحاً فله حق التقديم وله حق التبجيل وله حق الاحترام، –يعني أعظم من غيره– لمكانه من رسول الله ﷺ ولا يبحث في مثل هذه المسائل في الأنساب؛ لأنه كما قال الإمام مالك –رحمه الله تعالى–: الناس مؤتمنون على أنسابهم فلا يبحث عن النسب، وإنما من كان صالحاً فيصدق بظاهره، ومعيار صدقه المحافظة على سنة النبي ﷺ في أصل الأصول وهو التوحيد والعقيدة، ثم في البراءة من البدع ونحو ذلك. وقد صح عنه ﷺ أيضاً أنه قال: ((ثنتان في أمتي من أمر الجاهلية لا يدعونهن، الطعن في الأنساب والنياحة على الميت)) وهذا يحصل كثير في الحقيقة من، في اختلاط بمن ينتسب إلى آل البيت؛ لأنه قد يأتي آتٍ ويطعن في النسب، وهذا لا يجوز شرعاً أن يخاض في مسألة النسب، إلا من شاع وانتشر وظهر أنه مقدوح في نسبه، هذا أمر آخر، لكن يشكك في النسب هذا أمر لا يعني، المقصود الاستقامة والناس مؤتمنون على أنسابهم، ومن لم يكن مستقيماً منهم فيدعى له

الحق أكثر من غيره، في أن يدعى له بالاستقامة والهداية ومغفرة الذنب ونحو ذلك؛ لأجل منزلته من رسول الله ﷺ.

المسألة الرابعة: قوله في آخر الجملة : (فقد بريء من النفاق) يعني به ما يشمل النفاق العملي والنفاق الاعتقادي؛ لأن ضد إحسان القول في الصحابة والزوجات والذرية هو الإساءة في القول ظاهراً أو باطناً، وهذه الإساءة قد تكون من النفاق العملي وقد تكون من النفاق الاعتقادي، بحسبها بحسب الحال. فمن طعن مثلاً في عائشة –رضي الله عنها– بما برأها الله منه، فإنه نفاقه حينئذٍ نفاق اعتقادي كما قال –جل وعلا– في وصف المنافق: ﴿ **وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾. وقد يكون نفاقاً عملياً بحسب إساءة الظن؛ لأن آية الإيمان حب الصحابة، وآية النفاق بغض الصحابة، وإذا قال النبي ﷺ في الأنصار: ((آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)) فإن المهاجرين أفضل من حيث الجنس من الأنصار، فلهم الحق الأعظم، كذلك زوجات النبي ﷺ وعامة الصحابة لهم في ذلك المقام الأعظم. لهذا نقول: إن النفاق العملي قد يدخل إلى القلب في الإساءة في القول، أو في الظن في صحابة رسول الله ﷺ أو زوجاته أو ذرياته. نجيب عن سؤالين أو ثلاثة.

سؤال : يقول بعض أهل العلم يذكر في تعريف الصحابي: من آمن بالرسول ورآه ومات على ذلك وإن تخللته ردة. فذكروا وإن تخللت في صحبته ردة.

الجواب : هذه المسألة معروفة في تعريف الصحابي، في مصطلح الحديث، ويعني هذا القيد وإن تخللته ردة لا داعي له؛ لأنه آمن بالرسول ﷺ ورآه ومات على ذلك، قوله وإن تخللته ردة، هذا لأجل خلاف من خالف في

هذه المسألة، لكن قوله: ومات على ذلك، يكفي وإن تخللته ردة لا تصلح للتعاريف على ما هو معروف في موطنه.

سؤال : هل يصح أن يقال: إن حسان بن ثابت -رضي الله عنه- جبان؟ أو نحو ذلك كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة، علماً أن وصف الجبان وصفٌ ليس عام، وإنما هو لحادثة أو نحوه؟

الجواب : ليس كذلك، بل حسان بن ثابت -رضي الله عنه- من الشجعان، لأنه كان يهجو المشركين، وقد قال ﷺ لحسان ((اهجهم حسان وروح القدس معك)) وقال أيضاً له في وصف هجائه للمشركين: ((لهو أشد عليهم من وقع النبل)) والعرب كانت تثار ممن يهجو وتكيد له بالسوء، فحسان -رضي الله عنه- كان مقداماً، لكنه كان كبير السن، كان كبير السن جداً فكان تقدم قبل النبوة قبل أن يسلم عليه ستون سنة، فأسلم وهو ابن ستين سنة، ولما جاءت المغازي كان كبيراً، فربما تأخر لضعفه لا لأجل شيء في نفسه -رضي الله عنه- فوصفه بهذا أولاً لا يجوز؛ لأنه تأخره في بعض الوقعات لا لأجل ما ذكره هنا ولكن لأسباب أخر. وله في ذلك مقام الصدق -رضي الله عنه وأرضاه.

سؤال : ما رأيك ، المهم يقول أنه في الرد على أهل الرفض ودحض ما يثبتونه على جهاز الإنترنت من تشكيك في القرآن وأنه ناقص، وغير ذلك من الشبه.

الجواب : أنا ما وقفت أنهم يعلنون نقص القرآن؛ لأنهم الآن يقولون: لا نقول نحن بنقص القرآن، ولا يصح وإنما هذا قول شُذَّاذ منا ولا يجوز أن يُنسب إلينا. ويتبرءون من هذه المقالة، فإذا كان أنهم نشروه على صفحات الإنترنت، فهذه تحتاج إلى تثبت، ولا بد من الرد عليهم؛ لأن هذا من أعظم الجهاد العلمي.

سؤال : لم تشيروا –حفظكم الله– إلى خلافة الحسن بن علي؟

الجواب : أنا ما أشرت إليها؟ أشرت يعني هو قال: أشرت يعني صحيح ما فصلت، لكن هو يقول: لم تشيروا الإشارة أشرت،أنا سلِمت الحمد لله.

سؤال : ما رأيكم في ولاية عبدالله بن الزبير؟ وهل هي الولاية الشرعية؟ وفي عام ألفين... إلى آخره.

الجواب : الحين القرن يبدأ من سنة الصفر وإلا من سنة الواحد؟ القرن من وين؟ وهم الآن يجعلونها الصفر؟ أنا ما فهمت، ليش هو يبدأ من الواحد، بداية القرن من سنة واحد، وإلا من سنة الصفر؟ كيف يعني؟ يعني الآن إذا ما قلنا عشرة هذه تتمة إيش؟ تتمة العشرة، ثم يبدأ من إحد عشر تبدأ في السنين، وإلا لا؟ وإلا إذا بدأت السنة يعني تبدأ تتناقص شيئاً فشيئاً؟ على كل حال هذا هروب من السؤال. فيه شيء إن شاء الله يصدر قريباً عن هذه الاحتفالات، أو تنبيه عام إن شاء الله يصدر قريباً.

سؤال : هل لمن يدعي أنه من الأشراف حقٌ علي، وإذا كان من الفسقة هل يلزمني شيء تجاهه؟

الجواب : لا، له حق المحبة؛ لأنه من الأشراف، أما من جهة الحقوق الأخرى فهي متبادلة كغيره من المسلمين، لكن له حق المحبة، له حق التقديم، له حق مزيد من النصيحة والأشراف الشرف المقصود به شرف النسبة، وشرف النسبة يعني أنه منتسب إلى الآل، وفيه اصطلاح خاص، يعني كل واحد منتسب إلى علي بن أبي طالب –ﷺ– يقال: من الأشراف لكن فيه اصطلاح خاص آخر، وهو أن يفرق بين الأشراف والسادة، يقال: هذا من الأشراف وهذا من السادة يعني بالسادة من لم يكن من بيت الأشراف الذين ولوا الإمارة في وقتٍ من الأوقات ولو الحكم في مكة، ونحوها في وقت، يقال

لهؤلاء: السادة، وسلسلة النسب الأخرى يقال: هؤلاء الأشراف، الذين ولوا الولاية والإمارة والملك، هذا اصطلاح خاص، يقال: هذا سيد، وهذا شريف، لكنهم المقصود أنه إذا كان لفظ الشرف، الأشراف المقصود به أنه من الآل ولا يعنى به هذا المعنى الخاص، أنه من أهل بيت الحكم السابق، فهذا لا يخصون بشيء إنما هم مثل كل من انتسب إلى النبي ﷺ يعني إلى علي – رضي الله عنه– لهم الحق الذي لهم، ويقدمون إذا كان لهم فضل وعلم ومزية وصلاح، أما إذا لم يكن لهم ذلك فلهم حقوق أخرى تؤدى ويدعى لهم وينصحون، ولهم في ذلك أكثر من غيرهم.

سؤال : يقولون في الأذان: وأشهد أن علياً ولي الله، ما المقصود بهذه العبارة؟ وهل من سمع هذا الأذان يردد ما يقول؟

الجواب : هذه العبارة عند الشيعة والزيدية ونحوهم، هذه باطلة؛ لأن الأحاديث التي فيها تعليم النبي ﷺ للأذان لبلال في قصة الرؤيا ولابن أم مكتوم، ولغيرهما ليس فيه هذه اللفظة، ومضى المسلمون في عهد أبي بكر وهم مجمعون على أنه ليس في ألفاظ الأذان، وأشهد أن علياً ولي الله، ثم في عهد أبي بكر، وعمر وعثمان وعلي، وفي عهد الصحابة، حتى حدثت بعد ذلك من الشيعة والزيدية مراغمةً في ظنهم لبعض النواصب وأهل البدع، وهذا باطل؛ لأن الأذان عبادة ولا يجوز أن يضاف إليه ما لم يأتي دليل عليه، وهذه العبارة حتى بعض الشيعة والزيدية أنكرها والشوكاني له بحث فيها أيضاً طويل، والصنعاني وهما كانا من الزيدية، وكذلك لبعض الشيعة والرافضة أيضاً لهم بحوث مثل الموسوي في رد هذه الكلمة، وأنها زائدة وأدخلت لغرض سياسي، ثم بقيت في ذلك. فهذه العبارة بدعة والذي يسمع هذه العبارة يجب عليه، لا أن يرد ويتابع بل يجب عليه أن يكره في قلبه، وأن ينكر البدع وأن

يرد على من قالها. وإذا استطاع أن يؤذن هو بالأذان الشرعي الذي في السنة فهذا هو الذي يجب عليه.

سؤال : ما رأيكم فيمن يقول: لو كانت خلافة أبي بكر منصوصاً عليها، لا ما اختلف الصحابة -ﷺ- في سقيفة بني ساعدة؟

الجواب : أولاً دائماً في الأسئلة لا تقول: بمن يقول لا رأيك فيمن قل: رأيك في قول كذا، أحسن. يكون السؤال عن القول لا عن القائل، هذا أمر، الأمر الآخر، العلم يختلف الناس فيه، يختلف الناس في استحضاره ويختلف الناس أيضاً في العلم به، وقد يكون عند فلان من الناس علماً، لكنه في الموضع الفلاني ما استحضره، ثم بعد ساعة قد يستحضر أكثر مما قال في الوقت ذلك، ثم قد يكون في وقت الخصومة ما فيه من ذهاب لبعض ما يُستحضِر، لكن الأمر صار إليهم وأجمعوا لما ذكرهم بقوله: ((الأئمة من قريش)). وهذا من حسن سياسة أبي بكر -رضي الله عنه- ومن حسن معالجته للأمور؛ لأنه لم يذكر هو ولا من معه من المهاجرين، لم يذكرون التنصيص على أبكر وإنما ذكروا التنصيص على قريش ليقطعوا بذلك دابر تمسك الأنصار بالخلافة. وقال فهيم أبوبكر الكلمة الشهيرة: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. وساق فيه ثم لم يختلفوا طويلاً وإنما كانت بعض الأيام.

سؤال : يدعي بعض الشباب أن الجهاد في الشيشان فرض عين على كل مسلم قادر فما القول الصحيح؟

الجواب : ما أحد قال من أهل العلم حتى يكون هناك قول صحيح وقول ضعيف. ما في أحد يقول إنه، إن الجهاد في الشيشان فرض واجب على كل مسلم قادر، ما في أحد يقول بل الجهاد يجب على من في البلد، ممن دهموا وجب عليهم الجهاد... بحسب القدرة، فإذا لم يستطيعوا أو لم يكفوا فإنه يجب على من يقربهم من البلدان، البلدان المسلمين يعني الأقرب

فالأقرب؛ لأن الله –جل وعلا– يقول: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً** ﴾ فقال: ﴿ **قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ** ﴾ لهذا أهل العلم متفقون على أنه إذا دهم عدو بلداً فإن الجهاد يجب على الجميع في رد هذا العدو ممن هم في البلد فإذا لم يستطيعوا الكفاية فإنه يجب على من قرب منهم، وهكذا في تدرجهم. مثل ما حصل من قبل في أمثلتها، الشباب نوصيهم دائماً بأن لا يذهبوا إلى الجهاد في أي بلد من تلك البلاد، بل إن كان لهم رغبة فيمدونهم بالمال، يدعون لهم بظهر الغيب ونحو ذلك، وجهادهم في بلدهم بالعلم والعمل الصالح، والاستعداد للدعوة ونشر العلم في المستقبل، هذا أولى. ويذهب أناس هناك ولا يعلمون حال تلك البلاد، ولا ما فيها من العقائد ولا ما فيها من الأفكار ولا الاتجاهات المختلفة فيذهب من رغبته في الجهاد، ورغبته في الشهادة –جعلنا الله جل وعلا– جميعاً ممن يطلبها بحق، يرغب في ذلك، ثم هناك يصطاد وهو عنده نية طيبة وحسنة، ثم يصطاد ممن يُغرونه بأفكار وآراء، وربما لم تكن موافقةً لطريقة أهل السنة ولا لمنهج السلف. لهذا لا يوصى أحد، بل من استطاع أن يمنع أحداً أن يذهب فهو الأولى إذا كان له رغبة في الجهاد، يجاهد بالمال والجهاد العيني لا يجب، والجهاد الكفائي عليهم هم هناك، على من يقرب منهم، وأما الناس هنا فيرشدون إلى الجهاد بالمال، إذا رغبوا أن يتبرعون إليهم، والجهاد بالعلم يلازمون العلم؛ لأن هذا فيه النفع العظيم المستقبلي. جعلنا الله وإياكم ممن وفق للحق. نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الشريط الثاني والخمسون وجه (أ) ١٤٢٠/٧/٢٨هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد: فأسأل الله –جلا وعلا– أن يجعلني وإياكم ممن صلحت

أقوالهم وصلحت أعمالهم ومنّ عليهم ربهم بالفقه في الدين، وبالعلم بالتأويل، كما نسأله لنا ولإخواننا ولأحبابنا الثبات على دينه وقول كلمة الحق في الغضب وفي الرضا إنه سبحانه يمنّ على من يشاء وهو الغفور الرحيم، نجيب عن بعض الأسئلة بين يدي هذا الدرس.

سؤال : يقول: لقد أشكل عليّ السؤال الذي طرح في الدرس السابق، وهو إذا اغتسل للجمعة هل يجزئ عن الوضوء؟ فأجبتم بعدم الجواز، فهل المنع إذا لم ينوي الوضوء وهو تحت الدش، أم حتى ولو نوى الوضوء مع الاغتسال للجمعة؟ إلى آخر الكلام.

الجواب : هو الكلام كان واضحاً، لكن يمكن أن يختصر في نقطتين، النقطة الأولى أن الحدث الأصغر لا يرفعه الغسل إلا إذا كان الغسل عن حدثٍ أكبر، الحدث الأصغر لا يرفعه الغسل، يعني ليس كل غسلٍ يرفع الحدث الأصغر، ومعنى قولنا: كل غسل يعني غسل العبادة مثل الجمعة، أو غسل التبرد، واحد يسبح أو يستحم للتبرد أو للتنظف، هذا ليس الغسل رافعً للحدث الأكبر، وبالتالي فلا يرفع الحدث الأصغر، بل يلزم المغتسل غسل استحباب أو غسل نظافة و تبرد، أو غسل لا يرفع الحدث الأكبر مثل غسل الجمعة يلزمه أن يتوضأ؛ لأن هذا الغسل لا يرفع الحدث، وإنما الذي يرفع الحدث بالنية إذا اغتسل لرفع الحدث الأكبر، الرجل إذا كان عليه جنابة فاغتسل من الجنابة وهو ينوي رفع الحدث الأكبر، والحدث الأصغر، أو ينوي رفع الحدث مطلقاً فإنه يرتفع ويكون هذا من الصور التي تدخل فيها الطهارة الصغرى في الكبرى أو يدخل فيها الأصغر في الأكبر، أما إذا لم يكن يرفع الحدث أكبر فإنه لا يدخل في ذلك بل يجب عليه الوضوء؛ لأن حدثه باقٍ والغسل لا يرفع الحدث الأصغر إلا إذا كان الغسل لرفع الحدث الأكبر، والنقطة الثانية التي توضح المقام أن قول بعض أهل العلم: أن غسل الجمعة

واجب على ما جاء في بعض الأحاديث ((غسل الجمعة واجب على كل محتلم))، ونحو ذلك، كون الغسل واجباً هذا وجوبه للتعبد لا لرفع الحدث. ولهذا لا يدخل في الصورة الأولى ولو كان الغسل واجباً عند من قال به، فتعليق رفع الحدث الأصغر إنما هو بالغسل الذي يرفع الحدث الأكبر وليس بالغسل الواجب؛ لأن هناك صور فيها غسل واجب أيضاً، مثلاً عند من قال: إن غسل الإسلام واجب هذا لا يرفع الحدث الأصغر، إلا إذا كان عن حدثٍ أكبر، وهكذا في غيره، كذلك المرأة، إذا اغتسلت عن الحيض، يعني اغتسلت بعد الحيض إذا رأت الطهر، و اغتسلت بعد النفاس، فإن هذا الغسل بالنية يرفع الحدث الأصغر؛ لأنه غسل لرفع الحدث الأكبر، أما إذا كان غسلاً غير ذلك، فإنه لا يرفع الحدث. هذا إيضاح المقام حتى لا يكون ثم إشكال.

سؤال : يقول: كيف يُناظر ويجادل الروافض وهم لا يؤمنون بكتاب، إلا بتحريف ولا بسنة إلا بتصحيف، فعلى أي شيء نجادلهم؟ وبأي شيء نفحمهم؟

الجواب : ينبغي للمجادل أن ينظر في الكتب، يعني طالب العلم ينظر في الكتب التي صنفت في الرد على الشيعة والزيدية والروافض؛ لأن فيها من العلم ما يهيأ لطالب العلم تصور المسائل التي يختلف فيها أهل السنة مع تلك الطوائف وكيفية الرد، وخلاصة الخلاف مع الشيعة أو مع الرافضة بالخصوص يرجع إلا خلافٍ في توحيد العبادة؛ لأنهم يرون أن لأئمتهم مقاماً يصلح معه أن يسألوا وأن يدعوا وأن يستغاث بهم، بل بناء القباب على القبور والحج إلى المشاهد التي يسمونها مشاهد، يعني قبور الأولياء وما أشبه ذلك، هذا راجع إلى الشيعة والرافضة فإنهم هم أول من أحدث فتنة البناء على القبور وتعظيم ذلك وشد الرحال إليها، توحيد العبادة ثم فرق بيننا وبينهم كبير، بل هم لا يقرون بتوحيد العبادة إلا على طريقتهم، فعندهم دعوة الأولياء

ودعوة الأئمة الإثنى عشر أو دعوة النبي ﷺ وتعظيم القبور والمقابر وشد الرحال إليها والتوسل بها والاستغاثة بأصحابها في تفريج الكرب وفي طلب الخيرات، هذا كله عندهم مشروع ومطلوب، بل هو الحج أو من الحج عندهم، وأئمتهم سيأتي بيان في هذا الدرس إن شاء الله أئمتهم عندهم أنهم أبلغ وارفع من الأنبياء، مثل ما قال الخميني في كتابه "الدولة الإسلامية" يقول: (ومن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل وأنهم كانوا قبل خلق هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والقربى ما لم يجعله لأحدٍ من العالمين) وهذا يعني أن فيهم من صفة الملائكة ومن نور الله، أو ما أشبه ذلك وأنهم أرفع من الأنبياء، فإذاً دعوة أولئك والاستغاثة بهم هذه مطلوبة، هذا في توحيد العبادة، كذلك في النبوة والولاية –فيه فرق– كذلك في مصدر التلقي الكتاب والسنة وما هو الكتاب وما هو السنة في ذلك، أيضاً هناك فرق كذلك في مسائل العقيدة بعامة، في الغيبيات والأسماء والصفات والقدر والإيمان، ثم فروق كثيرة بين أهل السنة وبينهم، وهذه تتطلبها من كتب أهل العلم التي صنفوها في بيان هذه المسائل، مثل كتاب ابن تيمية "منهاج السنة" ومثل "المنتقى" للذهبي، ومثل "جواب أهل السنة" للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، وثم كتب كثيرة في هذا الباب.

سؤال : من الذين يمثلون النواصب؟ وهل هم فقط الخوارج؟

الجواب : النواصب هم الذين يناصبون العداء للصحابة عقيدة، وهؤلاء هم ضد الشيعة، يعني من مدحه الشيعة هم يناصبونه، تجد أنهم مدحوا علياً هم يناصبون علياً العداء ويتولون معاوية، ويتولون يزيد بن معاوية ضد الحسين، وهكذا وهؤلاء ثم فرق ينتسبون إلى هذه المقالة مثل فرقة اليزيدية في العراق وفي سوريا، ونحو ذلك من الفرق.

سؤال : يدعوا بعض الأئمة هذه الأيام، يقول: يا غياث المستغيثين، فهل اسم غياث من أسماء الله تعالى؟

الجواب : هذا الدعاء صححه الإمام أحمد -رحمه الله- وصوبه ابن تيمية في الفتاوى أيضاً، وذلك لأن الله جل وعلا هو الذي يغيث ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾ فمن استغاث بالله أغاثه، والاستغاثة نوع من الدعاء؛ لأنها طلب الغوث الذي هو دعاء خاص ونداء خاص، والله جل وعلا يجيب المضطر إذا دعاه، كما قال في سورة النمل: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ** ﴾، فهذا الدعاء مما صحح، ومسألة النداء فيه، يا غياث المستغيثين، لا يلزم منه أن يكون اسم غياث من الأسماء الحسنى؛ لأن معناه ثابت بطريقة أخرى، وهذه يمكن الرجوع فيها إلى كلام ابن تيمية.

سؤال : من المعلوم أن الاجتماع ونبذ الفرقة من أهم المقاصد الشرعية، فما صفة الذين يجب علينا مراعاة هذا المقصد معهم؟ وذلك أن كثيراً من المبتدعة كالأشاعرة والرافضة و غيرهم لو أنكر، عليهم مذهبهم حصلت الفرقة، فهل يسكت عليهم مراعاة لذلك المقصد الكبير؟

الجواب : هذه مسألة كبيرة يضيق عنها المقام، لكن المقصود أن الاجتماع، الاجتماع على الدين والدعوة تكون إلى الدين الذي أمرنا الله جل وعلا بالاجتماع عليه وهو ما نزل به القرآن وصح عن النبي ﷺ وكان عليه السلف الصالح، هذا هو الدين كما قال جل وعلا ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ** ﴾ الآية، وكذلك قوله جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ وهكذا ﴿ **وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ**

الْبَيِّنَاتُ ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة، وأوضحت لكم هذا مراراً، فالدين الذي يجب الاجتماع عليه هو الدين الذي كان عليه النبي ﷺ، وكان عليه صحابته وكان عليه السلف الصالح، وأما ما أحدثته الأمة من البدع في الاعتقاد ، أو البدع في العمليات والعبادات، فهذا لا شك أنه ليس الدين الأول هو شيء جديد، ولذلك صار فرقة وافتراقاً عما كانت عليه الجماعة الأولى، لهذا يجب أن يحافظ على ما كانت عليه الجماعة الأولى قبل أن تفسد وتحدث الفرقة والاختلاف. وهذا مما يجب الدعوة إليه وتثبيته، بتثبيت العقيدة في النفوس والدعوة إلى التوحيد والالتزام بالعمل الصالح، ونبذ الخلاف في هذه المسائل بتأصيل الأصول الشرعية في ملازمة الدليل وعدم الذهاب إلى العقليات، من جهة ثانية الاجتماع والائتلاف يكون بالاجتماع على من ولاه الله –جلا وعلا– أمر المسلمين، فهذا الاجتماع مقصود في الشريعة، أمر به الله –جلا وعلا– وأمر به النبي ﷺ وحض عليه وأبدى فيه وأعاد، كما يقول إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مسائل الجاهلية، حتى غدا عند كثيرين هذا الأصل كأنه لم يكن فيه شيء من حديث النبي ﷺ فالاجتماع نوعان، اجتماع في الدين، واجتماع على ولي الأمر وعدم مخالفته ولزوم طاعته في المعروف، فإذا أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

سؤال : ما حكم أكل التمساح؟

الجواب : التمساح من ذوات الناب فلا يؤكل، وإن كان بحرياً فهو أيضاً بري.

سؤال : هل المذهب الظاهري من المذاهب المعتبرة؟ ولماذا يندر ذكر أقوالهم في المسائل الفقهية؟

الجواب : المذهب الظاهري، مذهب موسوم بالقول بالظاهر، لكنه لم يتأصل في متون للكتب وفي قول إمام منهم يمكن أن يصار إليه، في أن هذا المذهب أهل الظاهر، ولهذا في كتب الخلاف العالي يختلف القول، هل هذا فعلاً مذهب الظاهرية، أو ليس بمذهب الظاهرية؟ والظاهرية نسبوا إلى قولهم: بالظاهر ونفي القياس، وعدم الدخول في التعليلات ولهم قواعد في الأصول مثل أن يكون كل أمر للوجوب، ونفي التعليل وعدم الأخذ بخلاف ما دل عليه الظاهر، حتى ولو فارق المعنى الذي يراد من الدليل تارة ينسب إلى داوود الظاهري في مسائل، وتارة ينسب إلى أبي محمد بن حزم الأندلسي في مسائل، وتارة ينسب إلى غيرهما، وأكثر ما يقال الآن، مذهب الظاهرية، يعني به مذهب ابن حزم، وهو الذي قعد القول بالظاهر، لهذا ابن حزم إنما ينسب القول إليه ولا يعدى إلى قول فرقة بأن هذا قول الظاهرية بعامة، وقد يتجاوز ويقال: إن الظاهرية قالوا: كذا لكن الظاهرية كمذهب لا يوجد له تأصيل من حيث المتون ومن حيث المسائل التي قالوا بها، مثل مذهب الحنابلة الشافعية المالكية الحنفية، هذه يعرف المذهب ولم يخدم أيضاً بعد ابن حزم ما خدم، وإن كان جاء بعض العلماء يصيرون إلى قول أهل الظاهر، مثل ابن عربي الصوفي ومثل ابن سيد الناس ونحوهما، ومثل أبي حيان صاحب البحر المحيط، وجماعة مما كانوا يميلون إلى هذا، لكن ليسوا مترسخين في الفقه ولا ألفوا لهذا لا تجد أن أقوالهم تذكر في باب الخلاف دائماً.

سؤال : يوجد على كثير من السيارات تعليقات وخرق في مقدمتها ومؤخرتها، وأكثر هذه السيارات تخص، إما هنود أو باكستانيين أو أفغان وتوضع هذه الخرق لدفع العين، أو لدفع الحوادث. فما توجيهكم للعمل على إزالته؟ وبالأخص أنها في بلد التوحيد.

الجواب : هذه الأشياء التي تعلق ربما تكون من التمائم، وربما لا تكون ولهذا ينبغي أن يتثبت من ذلك. فإذا ثبت أنها تميمة عُلِقت، مثل خيوط حمر أو أرنب على الزجاجة، أو على يعني خلف المقعد الخلفي، أو يوضع رأس حيوان أو شيء من هذا القبيل، أو وضع مصحف في الخلف، خلف الناس قد أكلته الشمس من كثرة ما أصابه منها، وأشباه ذلك، هذه ظاهر أنها من التمائم، فإذا كانت من التمائم وجب مناصحة من هي معه، وإزالتها إن أمكن إزالتها بدون مفسدة. ووجب أيضاً أن يقوم أهل الحسبة –الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– في هذه المسائل؛ لأن الشرك هو أخبث ما يكون والتعلق بغير الله واعتقاد النفع والضر في هذه الخرق والأشرطة والحيوانات وأنها تدفع العين، أو تجلب الخير أو نحو ذلك، هذه من الاعتقادات الفاسدة، والنبي ﷺ صح عنه أنه قال: ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك))، وقال أيضاً: ((من تعلق تميمة فقد أشرك))، وتعلق تشمل شيئين تشمل التعليق وتعلق القلب، تشمل التعليق في نفسه وتعلق القلب. فمن علق شيئاً وتعلق قلبه به فقد أشرك، والقرآن على الصحيح، لا يجوز أن يستخدم تميمة، لا من جهة وضعه في السيارات للحفظ أو لدفع العين، ولا أيضاً من جهة لبسه كسلسال مثل ما يباع أحياناً على بعض النساء لبعض النساء، ويلبس هذا لكه من جهة التمائم، أو أن يجعل القرآن في خرقة وتربط أو يعلق، هذا كله من جهة التمائم ويجب النهي عن ذلك، وأن لا يتخذ القرآن تميمة؛ لأنه داخل في العموم وصيانة له من استعماله في غير ما شرع الله جل وعلا نكتفي بهذا وسم الله.

المتن :

وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء –

عليهم السلام- ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم .

الشرح :

الحمد لله، وبعد قال العلامة الطحاوي الحنفي -رحمه الله تعالى- (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل) هذه الجملة من هذه العقيدة المباركة قرر فيها الطحاوي منهج أهل السنة والجماعة، في التعامل مع أهل العلم من أهل الأثر وأهل الفقه، فإنهم كما قال: لا يذكرون إلا بالجميل. لأنهم نقلة الشريعة، ولأنهم المفتون في مسائل الشرعية، ولأنهم المبينون للناس معنى كلام الله -جلا وعلا- في كتابه، ومعنى حديث النبي ﷺ، وهم الذين يدفعون عن الدين ويذبون عنه في تثبيت العقيدة الصحيحة وتثبيت سنة النبي ﷺ، ورد الموضوعات والأحاديث المنكر، والباطلة التي أضيفت للنبي ﷺ، فهم إذًا حماة الشريعة الحماية العلمية. ولهذا كان العلماء ورثة الأنبياء؛ لأن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، والذين حمى العلم هم الصحابة -رضوان الله عليهم- وهم التابعون من علماء السلف وعلماء تابعي التابعين من أهل الحديث ومن أهل الفقه، فهؤلاء منهج أهل السنة والجماعة أن يذكر الجميع بالجميل، وأن لا نقع في عالم من العلماء، لا من هؤلاء، لا من أهل الحديث ولا من أهل الفقه. بل يذكرون بالجميل ولا يذكرون بسوء وإنما يرجى لهم فيما أخطأوا فيه، أنهم إنما اجتهدوا ورجوا الأجر والثواب، والخطأ لا يتابع عليه صاحبه. وهذا الأصل ذكره الطحاوي في هذا المقام، لأجل أن طائفة من غلاة أهل الحديث في ذاك الزمن كانوا يقعون في أهل الفقه، وطائفة من غلاة أهل الفقه كانوا يقعون في أهل الحديث ويصفونهم بالجمود، وأهل السنة الذين تحققوا بالكتاب

وبسنة النبي ﷺ وبهدي الصحابة، يعلمون أن الجميع محسن وأن هؤلاء وهؤلاء ما أرادوا إلا نصرة الشريعة والحفاظ على العلم والفقه، نعم هم درجات في مقامهم وفي علمهم، لكنهم لا يذكرون إلا بالجميل والله جل وعلا سخر هؤلاء لشيء وسخر هؤلاء لشيء، والوسط هو سمة أهل الاعتدال وسمة أهل السنة والجماعة كما كان عليه الإمام أحمد والبخاري ومسلم، والشافعي ومالك وأبي حنيفة وجماعات أهل العلم فإنهم كانوا على هذا السبيل. ونذكر هاهنا مسائل:

المسألة الأولى: أن ذكر العلماء بالجميل وعدم ذكرهم بأي سوء أو قدح، هذا امتثال لشيئين:

الأول: امتثال لقول الله -جلا وعلا-: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾، ولقوله -جلا وعلا-﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ ولقوله -جلا وعلا-﴿ **بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾، فبيّن الله -جلا وعلا- منزلة أهل العلم ، وبيّن فضل العلم وفضل أهله، وأنهم مرفوعون عن سائر المؤمنين درجات. لما عندهم من العلم بالله -جلا وعلا- وبيّن أن المؤمن للمؤمن موالٍ، أن المؤمن يوالي المؤمن ومعنى هذه الموالاة في قوله: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾، هي من الولاية وهي المحبة والنصرة. وهذه المحبة والنصرة عند أهل السنة والجماعة تتفاضل بتفاضل تحقق وصف الإيمان، فالمؤمن يحب ويوالي المؤمن الآخر إذا كان كامل الإيمان أكثر من نصرته ومحبته لمن كان دونه، ومعلوم أن العلماء هم الذين أثنى الله -جلا وعلا- عليهم، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ، فواجب إذًا بنص الآية أن يوالوا، وأن يذكروا بالجميل وأن يحبوا وأن ينصروا وأن لا يذكروا بغير الحسن والجميل.

الأصل الثاني، أو الشيء الثاني لما قاله هنا، أن القدح في أهل العلم فيما أخطأوا فيه –وسيأتي مسألة مستقلة لذلك إن شاء الله––، أن القدح فيهم يرجع في الحقيقة عند العامة إلى قدح في حملة الشريعة ونقلة الشريعة، وبالتالي فيضعف في النفوس محبة الشرع؛ لأن أهل العلم حينئذٍ في النفوس ليسوا على مقام رفيع وليسوا على منزلة رفيعة في النفوس فحينئذٍ يشك في ما ينقلون من الدين وفيما يحفظون به الشريعة فتؤول الأمور حينئذ إلى الأهواء والآراء، فلا يكون ثم مرجعية إلى أهل العلم فيما أشكل على الناس فتتفصم عرى الإيمان وتتناثر نجوم اليقين. لهذا كان ذكر العلماء بسوء هو من جنس ذكر الصحابة بسوء، ولهذا اتبع الطحاوي ذكر العلماء، أتبع ذكر الصحابة بذكر العلماء، يعني لما فرغ من ذكر الصحابة ذكر العلماء؛ لأن القدح في الصحابة والقدح في العلماء منشأه واحد ونهايته واحدة، فإن القدح في الصحابة طعن في الدين، والقدح في العلماء المستقيمين العلماء الربانيين فيما أخطأوا فيه، أو فيما اجتهدوا فيه، هذا أيضاً يرجع إلى القدح في الدين، فالباب واحد.

المسألة الثانية: لا يشترط في العالم أن لا يخطئ، فعلماء الحديث والأثر وأهل الفقه والنظر ربما حصل منهم أغلاط؛ لأنهم غير معصومين، وهذه الأغلاط التي قد تحصل منهم، حصو لها من نعم الله –جلا وعلا–، ولما سئل بعض الأئمة عن غلط العالم، كيف يغلط العالم؟ كيف يخالف السنة؟ كيف يكون في سلوكه مقصر؟ كيف يغيب عن ذهنه في مسألة التدقيق ويتساهل؟ فقال: لئلا يشتبه العلماء، لئلا يشابه العلماء الأنبياء؛ لأن النبي هو الذي لا ينطق عن الهوى، هو الذي يصيب في كل شيء، وهو الذي يُتبع في كل شيء فإذا كان العالم على صوابٍ كثير وربما وقع في اجتهادٍ هو عليه مأجور، ولكنه أخطأ في ذلك لم يكن عند الناس رفع للعالم في منزلة النبي

فيتبع على كل شيء، فيحصل في النفوس التوحيد والبحث عن الحق ، من الكتاب والسنة والنظر فيما يُبرِّئ الذمة في ذلك وهذه عبوديات في القلب يسلكها الناس مع وجود هذا الخلاف بين أهل العلم، ولهذا إذا نظرت في هؤلاء الذين عناهم الطحاوي، أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، هو عنا بهم ، أوليّا عنا بهم الأئمة الأربعة، أبوحنيفة وهو من أهل الفقه والنظر ليس هو من أهل الحديث والأثر، والإمام مالك والشافعي وأحمد وهؤلاء هم أئمة أهل الحديث، كما أنهم أئمة أهل الفقه في المذاهب المتبوعة المعروفة، هؤلاء بينهم خلاف في مذاهبهم، أبوحنيفة يذهب إلى قول، مالك يذهب إلى قول، الشافعي يذهب إلى قول، الإمام أحمد يذهب إلى قول، هؤلاء منهم من يكون قوله هو الصواب ومنهم من يكون قوله خلاف الأولى، أو يكون قول مرجوحًا، وهكذا. فالعالم يدقق ويتحرى من الأقوال ولا يقلد عالمًا في كل ما قاله؛ لأن المسائل كثيرة جدًا وهو بشر فقد يتهيأ له في المسألة أن يدقق، وفي مسألة أخرى لا يدقق، وهكذا. لهذا وجب على أهل الإيمان أن يتولوا جميع العلماء وأن يذكروهم بالخير، وأن لا يذكروا أحدًا منهم بسوء وخلافهم فيما اختلفوا فيه راجع إلى أسباب يأتي ذكرها إن شاء الله. فليس منهم أحد أراد المخالفة وإنما كلهم أراد المتابعة وتحري الحق، ولكن ربما أصاب وربما لم يصب.

المسألة الثالثة: قوله في أول الكلام: (وعلماء السلف من السابقين) الطحاوي –رحمه الله– توفي في أول القرن الرابع الهجري، وعاش أكثر حياته في القرن الثالث ويعني بعلماء السلف السابقين من كان سلفًا له، يعني من سبقه من أهل العلم، وهذا يصح أن يعتبر سلفًا باعتبار، فكلمة السلف أو علماء السلف أو أطلقت وأريد بها من سَلَف العالم ومن سبقه. وهذا الإطلاق فيه سعة، ولهذا استعملها أناس في القرن الرابع وفي القرن الخامس والسادس. إلى آخره، ويعنون بالسلف من سبقهم؛ لأنهم كانوا سَلَفًا لهم، يعني كانوا

سابقين لهم. والاصطلاح الثاني –وهو المعتمد عند المحققين– أن كلمة علماء السلف، يعنى بها علماء القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتبع التابعين، ومن كان من الأئمة على هذا النهج وإن لم يكن من تبع التابعين. فهؤلاء هم الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية: ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))، قال الراوي فلا أدري أذكر بعد قرنه بعده ثلاثة قرون أو أربعة قرون. والقرن هنا المراد به الجيل من الناس، وليس القرن الزمني الذي هو مائة سنة، قرني، يعني الذين اقترن زمانهم بي وهم الجيل من الناس، انقضى الصحابة أتى التابعون، انقضى التابعون أتى تبع التابعين. وهكذا. وهؤلاء هم الذين قلت فيهم البدع وقل فيهم الخلاف للسنة وكثر فيهم الخير بشهادة النبي ﷺ وبشهادة الواقع أيضًا. فإذًا كلمة السلف، علماء السلف يعنى بها هذا، وقد تطلق على من سلف وسبق على ما ذكرت لك من الاصطلاح الخاص.

المسألة الرابعة: الطحاوي في هذه الجملة قسم العلماء إلى قسمين، قال: أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر. فجعل العلماء على فئتين:

الفئة الأولى: أهل الأثر، والفئة الثانية أهل الفقه وانظر. وأهل الأثر هم الذين اعتنوا بالحديث رواية ودراية، ويدخل فيه الدراية، ويعني به الفقه، ويدخل فيهم الإمام مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وابن جرير وجماعات على هذا النحو. ويقصد بأهل الفقه والنظر الذين غلبوا القواعد المستنبطة الكلية على السنن المروية، وهم أصحاب الرأي والنظر في مدرستي الكبيرتين في المدينة التي كان يتزعمها الإمام ربيعة، المشهور بربيعة الرأي، وفي الكوفة التي كان يتزعمها الإمام أبوحنيفة النعمان ابن ثابت –رحمهم الله تعالى أجمعين–. أهل الفقه والنظر يعتنون بالسنة، لكن عنايتهم بالسنة قليلة، وأهل الحديث والأثر يعتنون بالنظر، ولكن عنايتهم بالأقيسة والتقعيد قليلة، ولهذا صار هناك في

الأمة في الاجتهاد، صارت هناك مدرستان، مدرسة أهل الحديث والأثر، ومدرسة أهل النظر. ولا تقابل بأن أهل الحديث وأهل الفقه؛ لأن هذه المقابلة لا حقيقة لها، وإنما المقابلة بين أهل الحديث والأثر وبين أهل الفقه والنظر، وكلمة النظر أرادها الطحاوي؛ لأن الجميع موصوفون بالفقه وبالعناية به، يعني استنباط الأحكام من الأدلة، لكن من جهة النظر والقياس والعقليات والقواعد هذه اعتنى بها الحنفية وأهل الرأي ولم يعتن بها أهل الحديث والأثر، وإنما اعتنوا باستخراج الفقه من الأدلة بدون تحكيم للأقيسة على الدليل، مثاله مثلاً عند الحنفية مثلاً عند أهل النظر، الحديث المرسل أقوى من المسند فإذا اجتمعا حديثان مرسل ومسند حكم في الفقه بالمرسل ولم يحكم بالمسند، لماذا؟ لدليلٍ عقلي عندهم، وهو أن المرسل من أهل الفقه، من علماء التابعين لا ينسب إلى النبي ﷺ شيئًا إلا وهو متحقق به لأن من أهل الفقه، وأما الرواية المجردة فإنها يدخلها الغلط ويدخلها ما يدخله. ولا شك أن هذا تعليل عقلي، لكنه ليس بمنطقي، أيضًا ينظرون إلى القواعد أنها قطعية والأدلة غير المتواترة أنها ظنية، فيقولون: إذا صار هناك قاعدة، أو قياس كلي فإنه يكون قطعيًا في الدلالة على محتواه، وأما الدليل فيكون ظنيًا إما ظني الرواية وإما – يعني إذا كان من السنة– أن يكون ظني الدلالة، أيضًا غير قطعي الدلالة من الكتاب أو من السنة. فيحكم بالقاعدة ويترك ظاهر الدليل، لأجل أنه يحتمل الظن والقاعدة قطعية، ونحو ذلك من الخلاف المؤسس على مشارب شتى. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية وذكر شارح الطحاوية وجماعة: إن العلماء فيما اختلفوا فيه من عدم الأخذ بالدليل من الكتاب والسنة يمكن أن يرجع إلى عدة أسباب. من أهم هذه الأسباب

أولاً: أن لا يثبت عند الإمام صحة الدليل.

الثاني : أن يكون منسوخًا أو مؤولاً.

الثالث: أن يكون معارضًا بما هو أقوى عند الإمام من ذلك الدليل، إما معارض بدليل آخر وإما معارض بقاعدة، كما عند الحنفية.

الرابع: أن يكون للإمام هذا شرط في الرواية ليس هو شرط الإمام الآخر في الحديث، مثلاً عندك الإمام الشافعي يقول: حدثني الثقة –ويعني به إبراهيم بن أبي يحيى– فإذا عرف الإمام أحمد أو غيره إنها الرواية عن إبراهيم بن أبي يحيى هو عندهم ليس بثقة، بل هو ضعيف، بل ربما كان أدنى من ذلك، مما اتهم به بالكذب ونحو ذلك، فهو عند إمام ثقة فيما يرويه يأخذ بروايته. وعند آخر ليس شيء فلا يأخذ بروايته، وهذا يبين لك أن اختلاف الأئمة من أهل الفقه والنظر، وأهل الحديث والفقه والأثر، أن اختلاف الأئمة في ذلك اختلاف ليس راجعًا إلى عدم الأخذ بالدليل، ولكنه راجع إلى فهم الدليل وما هو الدليل الذي يستدل به؟ وكون الدليل راجحاً غير مرجوح. ولهذا لا يوجد في مسألة أن يقال: ليس للعالم هذا دليل أنا لا أعلم مسألة يقال: ليس للإمام أبي حنيفة فيها دليل، أو ليس للإمام أحمد فيها دليل، أو ليس للإمام مالك فيها دليل كل منهم لا يقول قولاً ولا يذهب إلى مذهب إلا بدليل، والأدلة أعم من النصوص، أعم من النص من الكتاب والسنة؛ لأن جماع الأدلة عند أهل الأصول يرجع إلى ثلاثة عشر دليلاً..، وتصير بالتفريع كما ذكره أهل الأصول وذكره القرافي في الفروق إلى عشرين دليلاً، فهذه الأدلة منها ما هو متفق على الاستدلال به ومنها ما هو مختلف في الاستدلال به، فقد يكون الدليل دليلاً عند الإمام مالك وليس دليلاً عند الإمام أحمد، مثل عمل أهل المدينة، وقد يكون الدليل مرعيًا عند الإمام أبي حنيفة وهو القاعدة ولا يكون مرعيًا عند الشافعي لورود دليلٍ من السنة في خلاف ذلك، وهكذا. فإذًا مأخذ العلماء اجتهاد، وواجب حينئذ إذ كانت هذه مآخذهم، واجب حينئذ أن لا يذكروا إلا بالجميل، وأن لا يذكر العالم حتى فيما أخطأ فيه وابتعد في الخطأ

حتى إباحة المالكية لأكل لحم الكلب وحتى في إباحة الحنفية في شرب النبيذ –يعني غير المسكر– ليس عليهم في ذلك؛ لأنها اجتهادات في ما اجتهدوا فيه.

المسألة الخامسة والأخيرة: هنا الواجب على طلبة العلم الذين يريدون أن يسلكوا هذا السبيل، أن يلزموا أنفسهم مع أهل العلم السابقين والأئمة الذين أشادوا للدين بنيانًا وللعلم أركانًا، واجب عليهم أن يدفعوا عنهم وأن ثنوا عليهم وأن ينشروا في الناس سيرتهم، حتى يقتدى بهم، وحتى يقوى ركن علماء الشريعة، وهكذا أيضًا واجب على طلاب العلم أن لا يقعوا في أحدٍ من العلماء بسوء، فمن أصاب من أهل العلم من أهل الحديث والأثر، أو من أهل الفقه والنظر من أصاب فقد أحسن، ويثنى عليه ويتابع فيما أصاب فيه، ومن أخطأ فأيضًا قد أحسن إذا اجتهد، لكن الصواب من الله –تعالى–. وهذا لا يدخل في علماء، العلماء الذين نصروا الشرك والبدع والخرافات، ولم يكن لهم حظ لا من الحديث والأثر ولا من الفقه والنظر، وإنما سخروا جهدهم في مخالفة السنة في البدع، فأرادوا نشر البدعة ونشر الخرافة، ودافعوا عن الشرك وعلقوا الناس بالموتى وعلقوا الناس بالبدع والاحتفالات وأشباه ذلك، فهؤلاء لا يدخلون في هذا الكلام الذي ذكره؛ لأنهم أرادوا ما خالفوا به إجماع الأئمة الأربعة، هؤلاء يرد عليهم وربما يُحتاج من باب التعزير إلى ذكرهم بما فيهم، حتى يحذرهم الناس.

تنبيه أخير إلى أن قول الطحاوي في أول الكلام : (علماء السلف من السابقين) قال بعدها: (ومن بعدهم من التابعين) كلمة (من بعدهم من التابعين) فيما أفهم أنه لا يريد بها التابعين أهل الإصلاح، يعني التابعين الذين صحبوا الصحابة، وإنما يريده من تبع علماء السلف على اصطلاحه؛ لأن التابعين ما فيهم هذا التقسيم أهل الحديث، وأهل النظر، والتابعون

والصحابة ما فيهم هذا التقسيم أهل الحديث وأهل النظر، وإنما هذا التقسيم فيمن بعدهم. قال بعدها –رحمه الله–: (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء –عليهم السلام–، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء) يريد العلامة الطحاوي في هذا أن يقرر عقيدة عظيمة وهي أن أفضل الناس هم الأنبياء، وأن النبي أفضل من جميع الأولياء، وأن أهل السنة والأثر والجماعة هؤلاء لا يفضلون وليًا على نبي، بل كل نبي أفضل من جميع الأولياء. وأدخلها في العقيدة مع أنها مسألة تفضيل لصلتها بالنبوة وبالولاية، ولأنه ظهر في عصره طائفة ممن زعموا أن الولي قد يبلغ مرتبة أعظم من مرتبة النبي، وهذه الطائفة أو هذه الطائفة تشمل فئتين كبيرتين، الفئة الأولى الباطنية في زمنه من إخوان الصفا والإسماعيلية ومن شايعهم، وكذلك ربما دخل فيها طائفة من أهل الرُفض والتشيع، فإنهم يفضلون بعض الأولياء على بعض الأنبياء.

والفئة الثانية من الطائفة التي تفضل الأولياء على الأنبياء، هم غلاة المتصوفة في ذلك الزمن الذين تزعمهم الحكيم الترمذي محمد بن علي بن حسن الترمذي في كتابٍ سماه ختم الولاية، كما سيأتي بيانه. فأراد أن يبين مباينة أهل العقيدة الصحيحة لهذه الطائفة ولهذه الفئات جميعًا، وأننا نعتقد أن الولي مهما بلغ من الصلاح والطاعة فإنه حسنة من حسنات النبي الذي تبعه، فإنما على مقدارُه وظهر شأنه بمتابعته للنبي، لا باستقلاله على الأنبياء جميعًا –صلوات الله وسلامه–. ونذكر هنا مسائل.

المسألة الأولى: التفضيل تفضيل الأولياء على الأنبياء، هذا نشأ مع عقيدة عند المتصوفة ومن شابههم –يعني غلاة المتصوفة–، وهي ما أسموه بختم الولاية، ويعنون بختم الولاية أنه كما أن للأنبياء، نبي خاتمًا لهم فكذلك للأولياء ولى خاتم لهم، وكما أن خاتم الأنبياء أفضل من جميع الأنبياء،

فكذلك خاتم الأولياء هو أفضل من جميع الأولياء، وعقيدة ختم الولاية ذكرها الحكيم الترمذي في كتابٍ سماه "ختم الولاية"، قد طبعت منتخبات منه قديمًا، وأسس فيها القول بأن الأولياء يختمون، وأن الولي في باطنه قد يبلغ مقامًا يتلقَّى فيه من الله –جلا وعلا– مباشرة، وأن الولي قد يكون أفضل من النبي، وهذه لم ينص عليها ولكنها تفهم من فحوى كلامه. ولا شك أنه قد غلط في ذلك غلطًا فاحشًا، وإن كان هو من أهل العناية بالحديث كرواية ومن أهل الخير والصلاح كما وصفه بذلك ابن تيمية، لكنه غلط في هذه البدعة الكبرى التي ابتدعها في الأمة، والشرور التي حدثت من القول بوحدة الوجود وتفضيل الولي على النبي، والاستقاء من الله –جلا وعلا– مباشرة إنما حدثت بعد هذا الكتاب وهذه النظرية الباطلة التي تبطل شريعة محمد ﷺ على الحقيقة. وهذا لم يختص به الحكيم الترمذي، بل تبعه عليه أناس منهم ابن عربي في كتابه ""الفصوص"، وفي كتابة "الفتوحات المكية"، ومنهم محمد بن عثمان المرغني السوداني الذي له طريقة معروفة عند أهل السودان، الطريقة الختمية، ومنهم التيجاني هؤلاء كانوا في القرن الثالث عشر، وهو صرح ، المرغني صرح في كتابه "تاج التفاسير"، صرح بهذا، بهذه العقيدة ومنهم التيجاني عند أهل المغرب فيما يعتقدون فيه ووصف به، هؤلاء يعتقدون أن الولاية تختم، لكن ادعى ابن عربي أنه هو الذي ختم الأولياء، وادعى المرغني أنه هو الذي ختم الأولياء وادعى أيضًا التيجاني أنه هو الذي ختم الأولياء.

المسألة الثانية: عقيدة ختم الولاية، أو ختم الأولياء مبنية على ثلاثة أشياء:

الأول: أن النبي إنما أتى بشريعة ظاهره والولي جاء خاتم الأولياء، جاء بشريعة باطنة، فخاتم الأولياء في الظاهر مع النبي وفي الباطن مستقل عن النبي، لهذا يقولون: إن الأنبياء راعوا الظاهر واهتموا بالعبادات الظاهرة،

وخاتم الأولياء وصفوة الأولياء اهتموا بالأخذ عن الله –جلا وعلا–. لهذا ذكر ابن عربي في كتابه "الفصوص" لما جاء إلى حديث النبي ﷺ الذي في الصحيح، أن بنيان الأنبياء تم، ولم يبق فيه إلا موضع لبنة، قال ﷺ: ((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل من بنى بنيانًا فكمله وأحسنه، حتى لم يبق منه إلا موضع لنية فجعل الناس يطوفون به فيقولون: لو كملت هذه اللبنة. قال: فكنت أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)). قال ابن عربي –قبحه الله في هذا الموطن–، قال: وخاتم الأولياء يرى نفسه في قصر الولاية في موضع لبنتي، لبنة فضة في الظاهر، ولبنة ذهب في الباطن، فهو يفضل النبي في الحاجة إليه؛ لأن البنيان احتاج إلى لبنتين وذاك احتاج إلى لبنة واحدة، ولبنته الظاهرة من الفضة في متابعة النبي ظاهرًا ولبنته الذهبية في الباطن بها يأخذ من المشكاة التي تنزل الوحي على خاتم الأنبياء. يعني يأخذ عن الله مباشرة، أو كما جاء في كلامه، وقد كرر هذا في مواضع في "الفصوص"، وخاصة في فص واحد، يعني كرر الكلام وعبر عنه وهذا ليس خاصًا بهذا الرجل، بل كذلك من بعده ممن شرحوا أو المرغني أو التيجاني أو من شابههم، كان كلٌ منهم يعتقد في نفسه أنه خاتم الأولياء.

الثاني: الثاني الآن من الثلاث نقاط اللي بنوا عليها مذهبهم –أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء؛ لأن خاتم الأنبياء يأخذ عن الله بواسطة وخاتم الأولياء يأخذ مباشرة، ولأن خاتم الأنبياء يأخذ الناس بما يصلح ظاهرهم، وخاتم الأولياء يصلح باطنهم. ولهذا يقول مثلاً، المرغني في بعض كلامه، يقول: من رآني ومن رأى من رآني إلى خمسة أجيال فإنهم محرمون عن النار. لما في خاتم الأولياء من النور الذي قذفه الله جل وعلا فيه، فينبعث هذا النور فيمن رآه ورأى من رآه... إلى آخره، أو كما قال. وهذه العقيدة بها جعلوا أن للولي ما يفضل به النبي –والعياذ بالله–.

الثالثة: -في كلامهم- أن الولي والنبي بينهما فرق من جهة أن النبي جاءهُ الوحي اختيارًا من الله -جلا وعلا-، وأما الولي -خاتم الأولياء- ففاض عليه الوحي؛ لأنه استعد لذلك بتصفية باطنة، فعنده القبول والاستعداد لأن يفاض عليه، وبهذا صار خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء. هذه ثلاث مجملات في تلخيص كلامه.

المسألة الثالثة: عند كثيرين من الفئات التي تعتقد في الأولياء، أهل السنة يعتقدون في كرامات الأولياء كما سيأتي، لكن بالاعتقاد الصحيح لكن في فئات كثيرة، مثل الباطنية والرافضة وغلاة الصوفية يعتقدون أن أفضل المقامات مقام الولي ويليه -الدرجة الثانية- مقام النبي، ويليه مقام الرسول، وفيها يقول قائلهم:

مقام النبوة في برزخٍ فويق الرسول ودون الولي

مقام النبوة في برزخ، يعني هو في الوسط، فويق الرسول، الرسول تحت النبي -مع أن الرسول هو أفضل من النبي-، النبي تحته بقليل، يقول: فويق . يعني بينهما شيء يسير، فويق الرسول، ثم ما قال، يعني قال: ودون الولي. يعني بينه وبين الولي مراتب. فالأعلى عندهم الولي، ثم بعده النبي، ثم الرسول. وهذا القول في الترتيب قال بن غلاة الصوفية، وكما ذكرت لك النقل عنهم-، وقال به أيضًا أئمة مذهب الإثنا عشرية، مثل ما ذكرت لك في أول الكلام عن قول الخميني، حيث قال : (من ضروريات مذهبنا. الضروريات) معناها الشيء الذي لا يحتاج إلى استدلال، الذي يحس بأحد الحواس الخمس، يعني ما يحتاج إلى دليل ولا برهان الشيء الضروري لا يحتاج إلى دليل وبرهان؛ لأنه محسوس، قال: (من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل) يعني أن مقام أولياءهم الأئمة الأثني عشر، أنهم أعلى من مقام الأنبياء. وهذا بلا شك طعن في القرآن وطعن في السنة

وطعن في الصحابة، وهكذا يبلغ الأمر عند من قاله؛ لأن أفضل هذه الأمة وأحق الناس بأن يكون من الأولياء أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- وأرضاه، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم العشرة المبشرون بالجنة، وهكذا فهؤلاء هم الأولياء، وهم سادة الأولياء والأصفياء وخير الصحابة -رضوان الله عليهم-، وإذا كان النبي ﷺ فضل قرنه، فقد فضل أبا بكر، وقد فضل عمر، فكيف يكون واحد من هذه الأمة يأتي ويزعم أنه أفضل من الصحابة؟ من يزعم أنه أفضل الأولياء وخاتم الأولياء، ثم يزعم أنه أفضل من الأنبياء. لا شك أن هذا القول من صاحبه قد يحكم بكفر صاحبه، بل حكم كثير من العلماء بكفر من قال هذه المقالة؛ لأنها قدح في القرآن وقدح في السنة، ورفع لمقام الولي وتهجين مقام النبي والرسول، ورفع خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء. لهذا مع اختصارٍ في المقام، لهذا ذكر الطحاوي -رحمه الله- هذه الجملة وركز عليها، يعني في هذه العقيدة؛ لأنها بدأت في زمانه وهي سبب الشر في افتراق الناس مع الطرق الصوفية إلى هذا الزمان، وقال: (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء -عليهم السلام-) ما فيه ولي يمكن أن يكون أفضل من نبي، بل أفضل الناس هم الأنبياء، ثم يليهم الأولياء -صحابة رسول الله ﷺ وصحابة كل نبي.. إلى آخره- قال: (ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء) الله أعلم حيث يجعل رسالته -سبحانه وتعالى-. قال بعدها: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم) هذا نتكلم عنه نقسم الكلام عليه في الدرس هذا -إن شاء الله- والدرس القادم؛ لأنه يطول الكلام على كرامات الأولياء. قال: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم) يريد -رحمه الله- أن أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والأثر والمتابعين للسلف الصالح يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة، وما صحت به الرواية من كرامات الأولياء وهم يصدقون بكرامات الأولياء ولا ينفونها، وما صح عن

الثقات من الروايات في بيان كراماتهم فإنهم يصدقون بذلك ويعتقدونه ويؤمنون به؛ لأن هذا من فضل الله جل وعلا عليهم، ولأن في التصديق به تصديقًا لما أخبر الله جل وعلا به في القرآن، وأخبر به النبي ﷺ في السنة. ويريد بذلك مخالفة طوائف ممن، من العقلانيين الذين أنكروا الكرامات، كرامات الأولياء ويخص بالذكر منهم المعتزلة فإنهم أنكروا كرامة الأولياء، وقالوا: ليس لولي كرامة؛ لأنه لو صح أن يكون لولي كرامة لاشتبهت كرامات الأولياء بمعجزات الأنبياء، وحينئذ تشتبه الكرامة بالنبوة، ويشتبه الولي بالنبي، وهذا قدح في النبوة وقدح في الشريعة. ونذكر هنا مسائل:

المسألة الأولى: كرامات الأولياء، جمع كرامة، والكرامة في اللغة إكرام، من الإكرام وهو ما يؤتى المكرم من هبة وعطية وهي في باب الكرامة من الله –جلا وعلا–. وفي الاصطلاح عرفت الكرامة، كرامة الولي بأنها أمر خارق للعادة جرى على يدي ولي وكونه خارقًا للعادة يخرج به، ما ينعم الله – جلا وعلا– به من النعم على عباده مما لا يدخل في كونه خارقًا للعادة، فأهل الإيمان يُنعم عليهم بنعم كثيرة، وهي إكرام من الله –جلا وعلا– لكن لا تدخل في حد الكرامة، فالكرامة ضابطها أنها أمر خارق للعادة والعادة هنا، خارق للعادة، أي عادة؟ عادة أهل ذلك الزمان، فقد يكون خارق لعادة أناس في القرن الثاني وهو ليس خارقٍ لعادتنا في هذا الزمن، فمثلاً أن ينتقل من بلد إلى بلد في ساعة، من الشام إلى مكة، أو إلى القدس في ساعة، ويصلي هنا... إلى آخره، أو أن يُحجب عن بعض المكروه أو أن يكون عنده علم بحال أناس بالتفصيل يسمع كلامهم ويرى صورتهم في بلدٍ بعيدٍ عنه، هو في الجزيرة ويرى حالهم في الشام، أو في مصر أو في خراسان، أو ما أشبه ذلك. هذه في زمن مضى كانت خوارق لعادة أهل ذلك الزمان، لكنها بالنسبة لأهل هذا الزمان ليست بخارقٍ مطلقًا. لهذا تضبط العادة في تعريف الكرامة، خارق

للعادة، بأنها عادة أهل ذلك الزمان. والمعجزة أيضًا أو الآية والبرهان للنبي وخوارق السحرة والكهنة -كما سيأتي- فيها خرق للعادة، لكن مع اختلاف الخارق واختلاف العادة كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- يعني جرى على يدي ولي، وقوله: جرى يعني أنه أُكرم به الولي فجرى على يديه، وقد يكون أعطي القدرة وقد يكون الولي أحس بالشيء وجرى على يديه دون قدرة منه، إما من الملائكة أو بسببٍ شاءه الله -جلا وعلا-. وآخر جملة على يدي ولي، يخرج منها ما جرى على يدي الأنبياء فهي أمر خارق للعادة، لكنه ليس على يدي ولي، وإنما على يدي نبي، وكذلك خوارق السحرة والكهنة والمشعوذين فهي شيطانية، ليست إيمانية، ولذلك لا تدخل في التعريف.

المسألة الثانية: الأصل في كرامات الأولياء من القرآن قول الله -جلا وعلا-: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّـهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّـهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾، وقوله -جلا وعلا-: أيضًا: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾، وقوله ﷺ: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)). ومن الواقع فإنه تواتر النقل عن الصحابة وعن التابعين ومن تبعهم، وعن الأمم السالفة تواتر النقل بما لا يكون معه مجال للتكذيب ولا للرد بنقل عدد كبير يختلفون في أماكنهم ويختلفون في لغاتهم بحصول هذه الكرامات، فيكون معه النقل متواترًا ويكون دليلاً من الأدلة في هذه المسألة. فإذًا حصول الكرامات دل عليه القرآن والسنة، ودل عليه التواتر في النقل عن الأمم السالفة، وعن هذه الأمة.

المسألة الثالثة: الكرامة تبع للولاية، والأولياء جعلهم الله –جلا وعلا– هم أهل الإيمان والتقوى، قال: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾، الولي الذي يعطي الكرامة هو الموصوف بهذين الوصفين، الإيمان والتقوى. فلو جرى الخارق على يدي من لم يوصف بالإيمان والتقوى فليس هو من الكرامة؛ لأن الله جل وعلا جعل الولاية في أهل الإيمان والتقوى وهم الذين يُعطَون الكرامة. وهاهنا سؤال هل المبتدع أو الضال أو العاصي يعطي كرامة؟ والجواب عن ذلك، أن الأولياء – كما قرر أهل العلم– على فئتين، الفئة الأولى السابقون، والفئة الثانية المقتصدون. فليس الظالم لنفسه المقيم على المعصية حظ في الكرامة، لكن قد تجري الكرامة على يدي من عنده بدعة أو معصية أو ظلم، وذلك راجع لأسباب:

السبب الأول : أن يكون ليس هو المراد بها وإنما يكون هذا المبتدع أو الظالم لنفسه في جهاد مع الكافر، في جهاد مع العدو الكافر، فيعطيه الله جل وعلا الكرامة لا لذاته، ولكن لما يجاهد عليه وهو الإسلام والإيمان ورد الكفر ، فيكون إعطاؤه الكرامة لا يغتر بها؛ لأنها ليست لشخصه، وإنما هي للدليل على ظهور الإيمان والإسلام على الكفر والإلحاد والشرك ونحو ذلك.

السبب الثاني: أن يكون في إعطائه الكرامة، أو أن يكون إعطاؤه الكرامة لحاجته إليها في إيمانه، أو في دنياه فتكون سببًا له في استقامة أو في خير. فلهذا من جرى على يديه شيء من ذلك فينظر في نفسه إن كان من أهل الإيمان والتقوى فيحمد الله –جلا وعلا– ويثني عليه ويلازم الاستقامة على ما أكرمه الله –جلا وعلا– به، وإن كان من أهل البدعة أو المعصية أو الظلم للنفس، فيعلم أن في ذلك إشارة له أن يلازم سنة النبي ﷺ والإيمان

والتقوى، حتى تكون البشرى له في الدنيا والأخرى، وإلا يكون قد قامت عليه حجة ونعمة من الله رعاها ثم أنكرها.

المسألة الرابعة والأخيرة: في هذا الدرس الكرامة، كرامة الأولياء، هي أمر خارق للعادة، وتشترك مع مخاريق السحرة والكهنة في أنها أمر خارق للعادة، وكذلك معجزات الأنبياء والآيات والبراهين هي أمر خارق للعادة، فخرق العادة في نفسه ليس مُثْنَياً عليه، فقد تخرق العادة لمبطل، وقد تخرق العادة لصالح، يعني لرجل صالح، وقد تخرق العادة لكاهن، ساحر، وقد تخرق العادة لولي صالح. ولهذا وجب أن يكون ثم فرقان في خرق العادة عند من حصلت له، وعند الناس، هل خرقت العادة لمؤمن تقي، أو لمبطل غير متابع للسنة؟ من السحرة والكهنة وأشباههم. فنعلم حينئذ الفرقان البين، بين كرامة الولي، وخرق العادة له وأنها خرق إيماني، خرق من الله جل وعلا لإكرامه وكرامته، وبين خرق العادة للساحر والكاهن والمشعوذ، وأنها خارق شيطاني؛ لأن الشياطين لها قدرة في خرق عادة، لكن ثم فرق بين خارق العادة للشياطين، وخرق العادة للأولياء، والفارق بينهما أن خارق العادة للأولياء هذا من الله جل وعلا أولاً، واثر متابعة الرسول ﷺ ثانيًا، والثالث أنه خرق لعادة أهل الزمان، فهو في جنسه أعظم وأرفع من جنس خوارق السحرة، وأما خوارق السحرة فهي أولاً من الشيطان –مخاريق شيطانية–، والثاني هي نتجت من التقرب للشياطين، والتعاون معهم حتى خدمتهم الشياطين، كما قال جل وعلا في سورة الأنعام لما ذكر حشر الجن والإنس يوم القيامة، قال: ﴿ **وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ** ﴾ فاستمتع الإنسي بالشيطان الجني، واستمتع الشيطان الجني بالإنسي، فهذا تقرب وهذا خَدَم. لهذا منشؤها من جهة

الشيطان. الثاني أنها متابعة للمعصية والبدعة والشرك... إلى آخره، التي هي مخاريق السحرة.

الثالث: أنها محدودة، وفي الغالب أنها تخيل وليست حقيقة، والشيطان هو الذي يتمثل وليس من أعطي الخارق أو من جرى الخارق على يديه في ظاهر حال الناس، أنه هو الذي انتقل، مثلاً وجد في الشام ووجد في مكة في نفس الوقت وجد في مصر –في القرية الفلانية ووجد في القرية الفلانية، هذا لا يمكن أن يكون، فهو إذًا من الشيطان، قال بعضهم مثلاً: مثل ما قال عبد الوهاب الشعراني في ترجمة أحد من ادّعى أنهم مجاذيب ومجانين وأولياء، قال في ترجمته: وكان –رحمه الله–، يعني في الثناء عليه، يخطب الجمعة في سبع قرى في مصر. وهذا خارق عند الناس، كيف أهل القرية هذه والقرية هذه والقرية هذه كلهم يخطب فيهم هذا؟ ويكون الشيطان تمثل به وخدمة، حتى يغوي الناس. وبالإضافة لذلك هو مجنون ومجذوب وما شابه ذلك. فإذًا الشياطين تخدم الساحر والكاهن، لكن أكثر ذلك تخيل، كما قال –جلا وعلا–: ﴿ **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى** ﴾ فثم تفصيل للكلام على هذه المسائل المهمة في مسائل –نأتي إليها إن شاء الله تعالى– في الدرس القادم. نكتفي بهذا القدر.

سؤال : هذا سؤال عن الهاتف الجوال والرد عليه في أثناء الدرس، وترك الهاتف الجوال على النغمة المزعجة، وكذا النداء الآلي؟

الجواب : أولاً: الذي ينبغي يعني في الدروس أن يترك هذا، إلا لمن كان ينتظر شيئًا مهمًا وليس فيه إزعاج، يمكن يرتب نفسه، لكن الأصل هو إعانة نفسه والآخرين على الإنصات. ولا شك أن تمام الأدب في عدم إشغال الآخرين بذلك.

سؤال : يقول: ألا يقصد المؤلف -رحمه الله- بقوله: أهل الخير والأثر. من ذكروا في حديث ((خير القرون قرني))؟

الجواب : هذا قد يرد، لكن لا يسمى الصحابة أهل الأثر؛ لأن التقسيم بين أهل الأثر وأهل النظر، هذا إنما أتى بعد ذلك، فلا نقول: إن في الصحابة أهل أثر وأهل نظر. وإنما هذا نشأ في القرن الثاني، في أوائل القرن الثاني في مدرسة المدينة أهل الرأي، والكوفة الرأي.. إلى آخره، فانقسم أهل العلم إلى مدرستين، مدرسة النظر والفقه، ومدرسة الفقه والأثر.

سؤال : تكثر المراثي والأشعار فيمن يموت من العلماء، ويحصل من المبالغة في ذكر المحاسن والتباكي عليه، فثم سؤالين -يعني سؤالان-، الأول هل هذا من النياحة؟ الثاني: يرد في كثير منها بعض الألفاظ الشركية أو قريب منها والمبالغة الشديدة... إلى آخره، وذكر أمثلة من ذلك. وأظنه يقول: والقصائد كانت في رثاء الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-، وثم مدخل لأهل البدع؟

الجواب : لا شك أن ما رُثي به سماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى- فيه قسم من حق هو طيب، وجزى الله الراثين خيرًا. والعلماء يرثون العلماء والشعراء يرثون العلماء ومن في فقدهم على الإسلام والمسلمين الأثر. لكن القسم الثاني من تلك المراثي كما ذكر من الأمثلة، فيها من الغلو ووسائل الشرك ونداء الميت ما فيها، وهذا مما يبين لك غربة التوحيد، وأن الناس لا يصح أن يقولون: التوحيد علمناه، والحمد لله الناس على الفطرة ولا يحتاجون للعقيدة، والتوحيد. هذا في موت سماحة الشيخ لما سير بجنازته من الناس من تمسح به، وألقى عليه غترة، وسمح من الجهلة، ولما جاءت القصائد فيه من يشار إليهم من ناداه في قصيدته: يا أبا عبدالله.؟ وأيش، غوث الملاهيف ويعني ونحوه من المبالغات، وهذا يدلك على أن رسالة الشيخ -رحمه الله- في

حياته والدعوة التي أقامها في ملازمة السنة وترك البدع، ورد وسائل الشرك ووسائل البدع فيمن هو أفضل من الشيخ –رحمه الله–، هو النبي ﷺ وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي... إلى آخره. الشيخ أقام حياته لتقرير السنة والرد على البدع ووسائل الشرك، فيأت من يجعل، يغلو فيه إما لغرض صالح أو لغرض غير صالح أيضًا، لا شك أن هذا ذنب وإثم على من قاله، ويجب عليه التوبة وسحب هذه القصائد، وأن يراجعها أهل العلم إذا كان فيها شيء منكر وجب عليه أن، وهذه نتبرأ منها نحن نتبرأ ممن غلا في مدح الأولياء، الصحابة، في مدح النبي ﷺ، غلا فيه الغلو الذي أوصله إلى مقام لم يجعله الله جل وعلا له، فكيف بمن هو دون النبي ﷺ ودون الصحابة من العلماء والأولياء، ومثل سماحة الشيخ –رحمه الله تعالى– لا شك أن الواجب الإنكار، ولا نقر شيئًا من ذلك ونبرأ منه، وليس لأهل البدع حجة في ذلك؛ لأن أهل التوحيد فيهم جهلة أيضًا، مثل ما في أهل البدع جهلة فمن أهل البدع جهلة يبالغون في المدح.. إلى آخره، ويطرون، كذلك في المنتسبين إلى التوحيد إلى أهل التوحيد وإلى أهل العقيدة فيهم من يجهل كثيرًا، فيخطئ ويتجاوز وذكرني هذا حينما رأيت بعض الأشياء، ذكرني هذا بحياة شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عاش حياته للعقيدة وللتوحيد ولنصرة السنة، ولرد البدع ووسائل الشرك والغلو في الأموات، ثم بعد ذلك جنازته صلي عليها الظهر وظلت تمشي إلى المقبرة والناس يلقون عمائمهم ويلقون أرديتهم على جثمان شيخ الإسلام تبركًا به، فما حياته إذًا؟ هؤلاء الجهلة الكثيرون حتى ولو انتسبوا إلى الثقافة وإلى العلم، هؤلاء الجهلة. بحاجة إلى أن يدرسوا العقيدة ويعلمون ما يحل وما يحرم، هو يريد أن يرثي إماما وعالمًا، مثل سماحة الشيخ ويقع في الإثم ويجعل الإثم أيضًا ينتشر في الأمة والبدعة ووسائل الشرك، وبدل أن نسير بدعوته وما عاش في حياته له نخالفه بعد وفاته؟ وهذا لا شك أنه مما يُسرُّ الشيطان ويأنس له. والغلو شر،

الغلو شر، وهدي الصحابة في ذلك هو الهدي الكامل، فكم المراثي في أبي بكر، وكم المراثي في عمر، وفي عثمان، وكم المراثي في ابن عمر وابن عباس، اجمعوها أليس في زمانهم من الشعراء والعلماء من فيه، لكنها قليلة ، محفوظة ؟ لا ، لا لأنهم لا يستحقون، لكن خشية من الغلو، وأحيانًا بعض المسائل يعامل فيها الإنسان الناس بنقيض القصد حتى لا يتوسعوا في الشرك والبدع. ولهذا ينبغي عليكم جميعاً أن تستدلوا بما حصل من هذه التجاوزات على غربة التوحيد، ويعطيكم دليلاً على أنه في هذا البلد والذين هم قريبون من الشيخ ويعلمون دعوته ويعلمون الكتب التي شرحها ودرسها، وفتاويه التي يرد فيها على أقل البدع وعلى اقل وسائل الشرك كيف أن الناس يخالفونه وهم عاشوا معه سنين عددًا؟ فما أشد الغربة وما أشد حاجة الناس إلى التوحيد والعقيدة والعلم الصحيح، والالتزام بالسنة أسأل الله جل وعلا أن يرفع درجة شيخنا في عليين، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يجعله مع الأئمة السابقين ممن أحبهم واقتفى أثرهم، أنه –سبحانه– على كل شيء قدير.

سؤال : يقول: ما رأيكم فيما جاء في كتاب عبدالله بن الإمام أحمد في اتهامه لأبي حنيفة وبالقول عليه بخلق القرآن... إلى آخره؟

الجواب : هذا سؤال جيد، وهذا موجود في كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، وعبدالله بن الإمام أحمد في وقته كانت الفتنة في خلق القرآن كبيرة، وكانوا يستدلون فيها بأشياء تنسب لأبي حنيفة وهو منها براء في خلق القرآن، وكانت تنسب إليه أشياء ينقلها المعتزلة من تأويل الصفات.. إلى آخره، مما هو منها براء، وبعضها انتشر في الناس ونقل لبعض العلماء، فحكموا بظاهر القول، وهذا قبل أن يكون لأبي حنيفة مدرسة ومذهب؛ لأنه كان العهد قريبًا من عهد أبي حنيفة، وكانت الأقوال تنقل قول سفيان، قول وكيع، قول سفيان الثوري، قول سفيان بن عيينة، قول فلان وفلان من أهل

العلم في الإمام أبي حنيفة. فكانت الحاجة في ذلك الوقت باجتهاد عبدالله بن الإمام أحمد، كانت الحاجة قائمة في أن ينقل أقوال العلماء فيما نقل، ولكن بعد ذلك الزمان –كما ذكر الطحاوي– أجمع أهل العلم على أن لا ينقلوا ذلك، وعلى أن لا يذكروا الإمام أبا حنيفة إلا بالخير والجميل، وهذا فيما بعد زمن الخطيب البغدادي، يعني في عهد بعض أصحاب الإمام أحمد ربما تكلموا، وفي عهد الخطيب البغدادي نقل نقولات في تاريخه معروفة، وحصل ردود عليه بعد، حتى وصلنا إلى استقرار منهج السلف في القرن السادس والسابع الهجري، وكتب في ذلك رسالة ابن تيمية الرسالة المشهورة "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، وفي كتبه جميعًا يذكر الإمام أبا حنيفة بالخير وبالجميل ويترحم عليه، وينسبه إلى شيء واحد، وهو القول بالإرجاء، إرجاء الفقهاء، دون سلسلة الأقوال التي نسبت إليه؛ لأنه يوجد كتاب أبي حنيفة "الفقه الأكبر" وتوجد رسائل له تدل على أنه كان في الجملة يتابع السلف الصالح إلا في هذه المسألة، في مسألة دخول الأعمال في مسمى الأعمال. وهكذا درج العلماء على ذلك، كما قال الإمام الطحاوي، إلا –كما ذكرت لك– بعض من زاد، غلا في الجانبين، إما غلا من أهل النظر في الوقيعة في أهل الحديث وسماهم حشوية وسماهم جهلة، ومن غلا أيضًا، من المنتسبين للحديث والأثر فوقع في أبي حنيفة –رحمه الله– أو وقع في الحنفية كمدرسة فقهية أو بالعلماء. والمنهج الوسط الذي هو الذي ذكره الطحاوي وهو الذي عليه أئمة السلف، لما جاء الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– أصّل هذا المنهج في الناس، وأن لا يذكر أحد من أهل العلم إلا بالجميل وأن ينظر في أقوالهم وما رجحه الدليل فيؤخذ به وأن لا يتابع عالم فيما أخطأ فيه وفيما زل، بل نقول: هذا كلام العالم وهذا اجتهاده، والقول الثاني هو الراجح ولهذا ظهر بكثرة في مدرسة الدعوة ظهر. القول الراجح والمرجوح، والراجح

والمرجوح، وربّي عليه أهل العلم في هذه المسائل تحقيقًا لهذا الأصل، حتى أتينا إلى أول عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- لما دخل مكة وأراد العلماء طباعة كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، وكان المشرف على ذلك والمراجع له الشيخ العلامة الجليل عبدالله بن حسن آل الشيخ -رحمه الله تعالى- رئيس القضاة إذ ذاك في مكة فنزع هذا الفصل بكامله من الطباعة، فلم يطبع؛ لأنه من جهة الحكمة الشرعية كان له وقته وانتهى، ثم هو اجتهاد، سياسة شرعية ورعاية مصالح الناس أن ينزع وأن لا يبقى، وليس هذا فيه خيانة للأمانة، بل الأمانة أن لا نجعل الناس يصدون عما ذكره عبدالله بن الإمام أحمد في كتابه من السنة والعقيدة الصحيحة، لأجل نقول نقلت في ذلك وطبع الكتاب بدون هذا الفصل وانتشر في الناس والعلماء على أن هذا كتاب السنة لعبدالله بن الإمام أحمد، حتى طبع مؤخرًا في رسالة علمة أو في بحث علمي وأدخل هذا الفصل -وهو موجود في المخطوطات معروف-، أدخل هذا الفصل من جديد، يعني ارجع إليه قالوا: إن الأمانة تقتضي إثباته.. إلى آخره. وهذا لا شك أنه ليس بصحيح، بل صنيع العلماء -علماء الدعوة فيما سبق- من السياسة الشرعية ومن معرفة مقاصد العلماء في تأليفهم واختلاف الزمان والمكان والحال، وما استقرت عليه العقيدة وكلام أهل العلم في ذلك، ولما طبع كنا في دعوة عند فضيلة الشيخ الجليل، الشيخ صالح الفوزان في بيته، كان داعيًا لسماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله تعالى-، وطرحت عليه أول ما طبع الكتاب، طبعة كتاب السنة الطبعة الأخيرة هذه اللي في مجلدين، إدخال هذا الفصل، أو هذا الباب فيما ذكر في أبي حنيفة في الكتاب، وأن الطبعة الأولى كانت خالية من هذا وصنيع المشايخ، فقال -رحمه الله تعالى- في مجلس الشيخ صالح، قال لي: اللي صنعه المشايخ هو المتعين، ومن السياسة الشرعية أن يحذف، وإيراده ليس مناسب. وهذا هو الذي عليه منهج العلماء،

زاد الأمر حتى صار هناك تأليف يطعن في أبي حنيفة وبعضهم يقول: أبوحنيفة، ونحو ذلك. وهذا لا شك أنه ليس من منهجنا وليس من طريقة علماء الدعوة ولا علماء السلف، لأننا لا نذكر العلماء إلا بالجميل، إذا أخطأوا فلا نتابعهم في أخطائهم وخاصة الأئمة هؤلاء الأربعة؛ لأن لهم شأنًا ومقامًا لا ينكر. نكتفي بهذا القدر، أسأل الله لكم التوفيق والسداد، وصلى الله وبارك على نبينا محمد.

سؤال : بالنسبة للصلاة خلف الصوفي الذي يعتقد في الأولياء وكراماتهم ما حكمها ؟

الجواب : إذا كان شُهد عليه بالكفر أو بالشرك إذا كان يعتقد شهدت عليه بالكفر ليس بالبدعة لا تصلي خلفه ، أما إذا كان بدع ونحو ذلك لا تترك الجماعة .

الشريط الثالث والخمسون وجه (أ) ٥/٨/١٤٢٠هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: ثم بعض الأسئلة بين يدينا.

سؤال : أحيانًا يكون الشخص على طريقٍ طويل وتكون الأرض يابسة، فإذا بال الشخص تطاير الرزاز إلى أسفل ملابسة، فهل ها يعفى عنه؟ لأنه يشق التحرز منه؟

الجواب : لا، لا يعفى عن ذلك؛ لأن الأرض إذا كانت يابسة، يعني صلبة، فإنه يسن أن يحركها حتى تكون رخوة. ولهذا يقول الفقهاء في آداب التخلي، يقولون ويرتاد لبوله مكانًا رخوة. يعني من أراد البول فلابد أن يبحث عما يأمن معه تطاير الرشاش، والنبي ﷺ مرةً أتى سباطة قومٍ فبال قائماً، قال العلماء: لأنها تكون تشرب البول ومعها يؤمن تطاير الرشاش. ومن الكبائر أن

لا يستبرئ المرء من البول، كما جاء في الحديث المتفق على صحته، مر النبي ﷺ بقبرين فقال: ((إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول))، وفي اللفظ الآخر ((كان لا يستبرئ من البول))، وهذا يعني أنه كان يتساهل، فإذا كانت الأرض يابسة، طينية يابسة فإذا بال عليها واندفع البول بقوة فتطاير الرشاش عليه، وهو يمكن أن يحركها وحتى تصير تشرب البول، أو تصير رخوة فهو مقصر لا شك، مقصر في ذلك. وهذا يظهر إذا كان يستديم هذا الأمر، يعني دائماً يفعل ذلك ولا يبالي فهذا –أو العياذ بالله– من الكبائر، فواجب التنبه لهذا ومثل هذه المسألة ليست مما يشق التحرز فيه، ولا تدخل في القاعدة مما يشق التحرز منه أبدًا.

سؤال : البنت الصغيرة أو الولد الصغير –الشباب– إذا خرج فيهم الشيب وولدوا هكذا فهل يجوز تغيير هذا الشيب بالسواد؟

الجواب : تغيير الشيب بالسواد في الصحيح من أقوال أهل العلم: أنه لا يجوز، سواء أكان المغير شابًا أم كهلاً –يعني المغير شعره شابًا أم كهلاً–، أم كان طاعنًا في السن. كحال والد أبي بكر فإنه كان طاعنًا في السن وقال النبي ﷺ في حقه: ((غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد)). من أهل العلم من قال: هذا يحمل على من لا يناسبه التغيير بالسواد وهو الشخص الذي طعن في السن وتجعد جلده بحيث لا يناسبه السواد فيكون مثله. والقول الصحيح – كما ذكرنا– أنه لا يجوز التغيير بالسواد لآحاد الناس. لعامة الناس لا يجوز التغيير بالسواد، سواء أكانوا شبابًا أم غير ذلك، لما روى الإمام أحمد ومالك في الموطأ وجماعة، أن النبي ﷺ قال: ((يكون من أمتي أقوام يصبغون بالسواد كحواصل الطير لا يريحون ريح الجنة)) أو كما جاء عنه ﷺ. والحديث اختلف في صحته والصواب أنه صحيح، والمقصود من ذلك أن

تغيير الشيب بسوادٍ خالص لا يكون، بعض أهل العلم استثنى حالتين في جواز التغيير بالسواد وهذا القول قريب وله ما يدل له من الأصول، الحال الأولى للإمام لولي الأمر.

والثانية في الحرب، حتى يكون أهيب للعدو. وإلا فالقاعدة والأصل اللي دلت عليه الأدلة أن التغيير بالسواد لا يجوز. فإذا كان كذلك في هذه الحالة الشاب والنبت اللي فيهم شيب يغيرونه بغير السواد، بما هو دون السواد، أخف من السواد بلون الحناء بلون يناسب حناء خفيف، أو الحناء الكثيف أو يخلط الحناء بالكتم ليكون قريب من السواد، لكن ليس سوادًا خالصًا.

سؤال : يقول هل في هذه الكلمة محذور شرعي وهو سورة لقطع من الذُرة ومكتوب عليها، هذه من خيرات الطبيعة. حيث إنها تنتشر دعاية لمثل هذا في الشوارع.

الجواب : هذا صحيح رأيناه في الشوارع، هذه الكلمة كلمة فيها سوء؛ لأن الخير من الله جل وعلا والطبيعة مطبوعة، ليست طابعة للأشياء، فعيلة بمعنى مفعولة، هي مطبوعة طبعها الله جل وعلا وجعلها على هذا النحو من سننه فالله جل وعلا هو الذي جعل سنته أن الماء ينزل وأن الأرض تنبت وأن الأرض تتنوع ما ينتج منها. ولهذا هذه الكلمة فيها مخالفة فينبغي، بل يجب تجنبها حفظًا لنعم الله جل وعلا على عباده.

سؤال : يقول: استمعنا إلى شرح فضيلتكم على بلوغ المرام في باب الغسل وأشكل علينا في عدم الموالاة، قولكم: إنه يجوز غسل الرأس ثم يجوز له النوم ثم بعد الاستيقاظ يجوز له أن يغسل بقية البدن. نرجو تفصيل ذلك.

الجواب : الموالاة هذه في الوضوء، الموالاة واجبة في الوضوء، أما في الترتيب والموالاة هذا في الوضوء لدلالة الدليل عليه، أما الغسل فلا يجب فيه ترتيب ولا يجب فيه موالاة، ومعنى الموالاة، أن لا يؤخر غسل عضوٍ حتى ينشف الذي قبله، بل يوالي بين هذا وهذا. والغسل إذ لم تجب فيه الموالاة ولم يجب فيه التتابع فله أن يفرقه، فإذا –مثل ما ذكر السائل– إذا كان عليه مشقة أن يغتسل مثلاً في الفجر أن يغسل رأسه إما لبرد أو لعارض أو لما يختار هو فله أن يغسل رأسه قبل أن ينام وإذا قام غسل بقية البدن واستدفى، وهذا نص عليه أهل العلم وموجود في كتبهم كما هو معروف. المقصود أن الأصل أن الله –جلا وعلا–، أو أن الأدلة دلت على أن الموالاة واجبة، وأنه لا يجوز تأخير غسل عضوٍ حتى ينشف الذي قبله، بل يجب عليه أن يوالي بين الأعضاء في الوضوء، أما الغسل فهو باقٍ على الأصل وهو أنه يجوز فيه التفريق ولا تجب فيه الموالاة.

سؤال : في قوله –تعالى–: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ هل إذا غلب على الظن عدم الانتفاع يجوز السكوت عن المنكر؟

الجواب : هذه المسألة اختلف فيها العلماء، قد ذكرت لكم الخلاف في –أظن– شرح الواسطية أو في بعض المواضع والآية استدل بها جماعة من العلماء منهم الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ، ومنهم ابن عبد السلام وفي القواعد وجماعة وذكر هذا أيضًا ابن رجب عن بعض أهل العلم في شرحه على الأربعين، والآية فيها دليل على أن الذكرى مأمور بها إذا كانت ستنفع؛ لأن الله قال: ﴿ **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى** ﴾، أمر بالتذكير إذا كانت الذكرى ستنفع هل يدخل هذا في النهي عن المنكر أم أن هذا في التذكير بما ينفع الناس؟ ظاهر كلمة الذكرى أنها تشمل الأمر بالمعروف وتشمل النهي عن المنكر؛ لأن التذكير يشمل هذا وهذا في القرآن والسنة لهذا قال طائفة من

العلماء ممن سمينا ومن غيرهم: إنه يجوز. أو للمرء أن يترك الإنكار إذا غلب على الظن عدم الانتفاع، كذلك يجوز له أن لا يُذكِّر إذا غلب على الظن عدم الانتفاع، وأما إذا غلب على الظن الانتفاع بالإنكار، أو الانتفاع بالذكرى فهنا يجب عليه أن ينكر ويجب عليه أن يأمر بالمعروف بحسب الحال. هذه مسألة، -أو هذا قول-، الجمهور على خلاف ذلك، وهو أن الأحاديث دلت على أن المنكر إذا رؤي وجب تغييره. لهذا قالوا: سواء غلب على الظن أو لم يغلب على الظن فلابد منه حفاظًا على ما أوجب الله -جلا وعلا-. ولهذا قال -سبحانه وتعالى- لما ذكر حال أهل القرية: ﴿ **وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾، فدل هذا على أن المعذرة مطلوبة وان لا يسكت عن منكر. لكن هذا لا يدل على الوجوب، وحال الصحابة في كثير من أحوالهم، وخاصة لما دخلوا على الولاة ولاة بني أمية، والأمراء فيما سكتوا عنه وفيما لم ينكروه، قال ابن عبدالسلام ويلمح إليه كلام ابن تيمية أيضًا: أنهم أخذوا بأنه غلب على ظنهم أنهم لا ينتفعون بذلك، لعلم المخاطب، لعلم الواقع في المنكر لعلمه، ولأجل أنه يعلم أنه لو أنكر عليه فإنه لن يستجيب. المقصود من ذلك أن العلماء لهم في هذا ثلاثة أقوال:

القول الأول: يجب الإنكار مطلقًا كما أمر النبي ﷺ.

القول الثاني: أنه يجب مع غلبة الظن وإذا لم يغلب على الظن فإنه يجوز له أن ينكر.

القول الثالث: وهو المتوسط بينهما أنه لا يجب، ولكن يستحب إذا غلب إذا غلب على الظن عدم الانتفاع، وهذا معناه أن الإنسان لا يُؤَثِّم نفسه فيما غلب على الظن عدم الانتفاع، وهذا يحصل في المسائل التي يغلب فيها الظن عدم الانتفاع مثل المنكرات المنتشرة، مثل مثلاً حلق اللحى، ومثل

الإسبال، ومثل كشف المرأة لوجهها، ونحو ذلك، ومثل رؤية الصور في المجلات صورة النساء المحرمة في المجلات ونحو ذلك، مثل هذه يغلب على الظن من الناس عدم الانتفاع مطلقًا، أو عدم الانتفاع في وقتها، يعني بحسب الحال، لكن إذا غلب على الظن والله أنه إذا قال إذا وعظه أمره ونهاه أنه ينتهي ولو في الوقت نفسه فهذا يتعين عليه، يعين دخلت المسألة مثل غيرها مع القدرة، لكن إذا كان يظن أنه إذا قال له: لا تحلق لحيتك، أو هذا حرام. أنه لن ينتفع فهو لا يُوجب عليه حينئذ ويسلم من الإثم، المقصود السلامة من الإثم في مثل هذه الحال والله المستعان، كلٌ في هذا الباب مقصر، نسأل الله أن يعفو عنا وعنكم. نكتفي بهذا.

سؤال : يسأل عن نشرة فيها اسم لبعض الشركات، يقول: هل في هذا ما ينكر؟

الجواب : يعني هو أعرف بما كتب، لكن هذا فيه تكلف، يعني الإنكار في مثل هذا فيه تكلف، لأن الكلمة لا تقرأ على النحو الذي ذكر.

المتن :

ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم، ونؤمن بأشراط الساعة.

الشرح :

المسألة الخامسة: كرامات الأولياء ترجع إلى نوعين، ترجع إلى القدرة، وترجع إلى التأثير. والقدرة والتأثير قد يكونان في الأمور الكونية، وقد يكونان في الأمور الشرعية مثال القدرة في الأمور الكونية أن يقدره الله -جلا وعلا- على ما لم يُقدر عليه غيره من الناس، بأن يسمع ما لم يسمعوا، أو أن يَقدِر من حيث المشي أو القدرة البدنية على ما لم يقدروا، أو أنه يغلب بما لم يقدرُ عليه الواحد في العادة، يعني أنه راجع إلى قدرة، يعن الكونيات إلى قدرٍ في

السماع في الآلات، في السمع أو في البصر أو في القوى والأركان، هذا له مثال أوله أمثلة، فمن القدرة في السمعيات سماع سارية كلام عمر -رضي الله عنه- وهو في المدينة حيث كان يخطب فقال: يا سارية الجبل الجبل. يعني الزم الجبل، وسارية كان في بلاد فارس وسمع الكلام، وهذا لا شك قدرة في السماع خارقة للعادة أُتيها، وكذلك هي من جهة عمر -رضي الله عنه- قدرة في الإبصار حث إنه أبصر ما لم يبصره غيره، فقال: يا سارية الجبل الجبل. فنظر إلى سارية ونظر إلى الجبل ونظر إلى العدو وكأن الجميع أمامه، فلهذا قال: الزم الجبل. -جل جلاله- هذه قدرة في الآلات في السمع وفي البصر، كذلك قد تكون القدرة في القوى، يعني هذه في الكونيات، كذلك قد تكون القدرة في القوى بأن يغلب ما لا يغلبه مثله، وبأن يمشي، مثلاً على الماء مثل ما حصل لسعدٍ ومن معه، سعد بن ابي وقاص، ومثل أن ينوم نومة طويلة كأصحاب الكهف لا يتغير فيها البدن ولا يتأثر فيها، أكثر من ثلاثمائة وتسع سنين، وهكذا. ومثل إحياء الفرس ويعطى قوة فيمسح على الفرس أو يأمره بأن يحيى فيحيى له فرسه، ومثل أن يدخل في النار فلا تؤثر فيه، أو فلا تأكله النار، المقصود هذه القدرة راجعة إلى قدر في الكونيات يكرم الله -جلا وعلا- بها العبد بحيث تكون فيما يحصل له في ملكوت الله -جلا وعلا-.

النوع الثاني: من القدرة، قدرة في الشرعيات، ونقصد بالشرعيات المسائل الدينية، فيكون عنده قدرة بأن يستقبل من العلم والدين ما لا يستقبله غيره، إما من جهة الحفظ، حفظ الشريعة، أو الفهم الذي يؤتيه الله -جلا وعلا- من خصه من أوليائه، أو ما شابه ذلك، فعنده قدرة في فهم الشرعيات وفي فهم مراد الله وفي الحفظ وفيما أعطي بمزيد عن عادة أمثاله، هذا يكون بالإكرام إذا خرج عن مقتضى العادة، صار خارقًا للعادة في حال بعض الناس.

أما القسم الثاني فهو في التأثير، التأثير قد يكون أيضًا في الكونيات، وقد يكون التأثير في الشرعيات، يعني تأثير يرجع إلى تأثير في الكون بأن يؤثر في المكان الذي هو فيه أو في أبصار الناس بأن لا يروه مثل ما حصل مثلاً للحسن البصري -رحمه الله تعالى- حيث دخل عليه بعض الشُرط لطلبه فلم يروه، دخلوا وداروا في المكان وهو جالس في وسط الدار فلم يروه، وأشباه ذلك مما فيه تأثير في قدر الآخرين، الأول قدرة في نفسه، والتأثير يكون في قُدَر الآخرين، التأثير في خصائص الأشياء، التأثير في خاصية الهواء في خاصية الماء، ونحو ذلك، فهذا قد يؤتيه الله -جلا وعلا- بعض أوليائه لحاجتهم إليه كما ذكرنا. وفيه تأثير في الشرعيات، يعني أن يؤثر فيما هو مطلوب شرعًا، إذا عَلَّم فإنه يقع تعليمه موقع النفع أكثر من غيره، يعني بشيء لا يستطاع عادة، يكون فيه أمر زائد عن العادة له قبول والكلام يقع موقعه أكثر مما اعتاده الناس في أمثال أهل العلم، كذلك التأثير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أمر ونهى فإنه يؤثر التأثير البالغ بحيث لا يُعَارض، ومثل أن يؤثر في الناس في هدايتهم إذا وعظ إذا قال لفلان من الناس افعل كذا أطاعه، إذا وعظ رق قلب الواعظ، إذا أمر بالتوبة أُطِيع، ونحو ذلك مما هو خارج العادة؛ لأن الناس من عادتهم أن يُطيعوا ولا يُطيعوا. هذا التقسيم ذكره شارح الطحاوية في هذا الموقع، وشيخ الإسلام ابن تيمية قسمه في الواسطية كما تعلمون إلى أن الخوارق التي تجري على يدي الولي تسمى كرامة، تارة تكون في العلوم والمكاشفات، وتارة تكون في القدرة والتأثيرات، فجعل القدرة والتأثير بابًا واحدًا وجعل العلم والمكاشفة، جعله بابًا آخر. وهذا تقسيم أيضًا ظاهر، وهي تقاسيم باعتبارات مختلفة.

المسألة السادسة: ذكرنا لكم أن الخوارق ثلاثة أقسام، خارق للعادة جرى على يدي نبي ورسول وهذا يسمى آية وبرهان ومعجزة خارق للعادة جرى

على يدي ولي وهذا يسمى كرامة، وخارق للعادة جرى على يد شيطان أو عاصي أو مبتدع أو من ليس مطيعًا لله ومتقيًا له، فهذا يسمى حالاً شيطانيًا. فالفرق بينها –بين هذه الثلاثة أشياء– واضح أولاً أن الأمر الخارق للعادة بحسب من يضاف إليه، فإذا أضيف إلى النبي صار اسمه آية وبرهانًا ومعجزة، وإذا أضيف إلى الولي فإنه يسمى كرامة، وإذا أضيف إلى أصحاب الكهانة والسحر والشعوذة يسمى حالاً شيطانيًا.

الثاني: أن خرق العادة الذي يجري للولي لا يكون مصحوبًا بدعوى النبوة، فقد يجري للولي أحوالاً عظيمة للأولياء، لكنها مع عدم دعوى النبوة، فإذا ادعى مع تلك الأحوال النبوة صار شيطانًا، وصار ما يساعد به إنما هو من جهة الشياطين والسحرة وأشباه ذلك.

الثالث: أن ما تخرق به العادة للنبي أوسع بكثير وأعظم مما تخرق به العادة للولي، فخرق العادة للولي محدود بالنسبة لخرق العادة للنبي، وخرق العادة للسحرة والكهنة والشياطين وأهل الشعوذة وأهل العصيان الذين يدعون الأحوال هذه ليست خرقًا للعادة في الحقيقة، ولكنها قدرة مما أعطي الله الشيطان أن يوهم به الناس، وأن يضل الناس به من جهة التخييل تارة ومن جهة تصوره وتشكُلِه في صورة وأشكال تارة أخرى. أما الأول –وهو خرق العادة بالنسبة للأنبياء–، فالأنبياء يخرق الله –جلا وعلا– لهم العادة، أي عادة الجن والإنس في زمانهم، حتى يكون ما يعطوه آية وبرهانًا؛ لأن الساحر والكاهن قد يعارض النبي بما أعطي من خارقٍ للعادة بما يمكن للشياطين أن تمد به هذا الساحر والكاهن.. إلى آخره، لكن جعل الله جل وعلا الخارق للعادة بما لا يمكن للإنس ولا للجن لو اجتمعت أن يعطوا ذلك، كما قال جل وعلا : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ فالقرآن آية وبرهان وهكذا آية

موسى -عليه السلام-، الآيات التي أُتيها موسى لا تستطيعها السحرة ولا الكهنة، وكذلك ما أعطى الله جل وعلا عيسى من الآيات، وكذلك كل نبي ورسول لا يستطيعه أهل زمانه من الإنس والجن لو اجتمعوا، فإنهم لا يستطيعون ذلك. ولهذا صار مثلاً حمل الشيء الكبير العظيم من بلدٍ إلى بلد لا يدخل ضمن معجزات الأنبياء، كما حصل في قصة سليمان -عليه السلام-: ﴿ **قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ** ﴾، هذا حمل لمدة، مدة أن يقوم بالمقام، ﴿ **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَاْ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** ﴾، فصار جلب هذا الشيء من مكان إلى مكان، من اليمن إلى أرض سليمان -عليه السلام- في فلسطين، صار جلبه ليس من آيات الأنبياء ولا من براهين الأنبياء. فصار في حق الذي أوتي علمًا من الكتاب كرامة، وما قالت به الجن هذا مما يقدرون عليه فخرق الجن للعادة بما لا يستطيعه البشر فصار ما عندهم أن يؤتوا به قبل أن يقوم من هذا المقام، يعني ذلك الجني الذي قال تلك الكلمة، وهذا الذي أكرم، أكرم بأن يدعو فيؤتى بالعرش إلى سليمان -عليه السلام-، وهذا من جهة هو كرامة لمن أعطي ومن جهة أخرى هو أيضًا آية لسليمان -عليه السلام- بالنظر إلى تسخير هذا الإنس والجن له مما لا يسخر معه الإنس والجن والطير لغير نبي من الأنبياء. المقصود من ذلك، أن خارق النبي آية وبرهان؛ لأنه يخرق عادة الجن والإنس في ذلك الزمان أما خارق الولي فهو محدود بالنسبة إلى خارق النبي؛ لأنه تخرق له العادة التي لا يستطيعها الإنس ولا بعض الجن؛ لأن اجتماع الجن والإنس هذا خاص – يعني لو أرادوا أن يحدث شيء- هذا لا يمكن؛ لأن معجزة النبي أكبر وأعظم، وأما الولي فإنه بحسب من هو فيهم، لأنها كرامة وليست آية ولا برهانًا على رسالةٍ ولا نبوة بل هو خاص بما يكرم به هو.

أما الثالث: وهو خوارق الشياطين والسحرة بما يولون به أولياء الشياطين من الإنس، فهذه محدودة قد تكون تخييلاً، يعني تصوير للعين، وقد تكون تشكلاً، لكن تشكل من الجني في صورة إنسي، أو في صور حيوان، أو ما أشبه ذلك. لهذا قد يظهر الجني في صورة إنسان، في صورة العبد الصالح ويكون في مكان آخر، مثل ما قال ابن تيمية -رحمه الله- إنه يقول في موضع: كان وقع بأصحابي شدة. قال: فرأوا صورتي عندهم فاستغاثوا بي. ثم أخبروني فأعلمتهم أني لم أبرح مكاني، يعني في دمشق هم كانوا خارج دمشق، وإنما هذا جني تصوّر بصورتي حتى تستغيثوا بي. وهذا مما أقدر الله عليه الجن، لكن لا يقلبون الحال، لكن يتشكلون في صورة ينظر إليها الإنسي أن هذا هو صورة فلان من قبيل التشكل، لكن ليس ثم مادة وقلب حقيقة، لكن قد يدخلون في جسد حيوان، قد يدخلون في جسد إنسان، هذه مسألة التلبس مسألة أخرى، لكن من حيث التشكيل والتصوير هذا من جهة التخييل أو من جهة إظهار الشيء بدون حقيقة مادية؛ لأنهم هم ليس لهم مادة، يعني مثل مادة الإنسان لهذا صار ما يعطاه صاحب الخوارق الشيطانية هذا ليس بكرامة، وإنما هو من جهة الشيطان، ولا يعطيه الله جل وعلا على ذنبه ومعصيته واستعانته بالشياطين، فيستعين بالشياطين على ذلك.

الفرق الرابع : بين هذه الثلاث أن كرامة الولي لا تبلغ جنس آية النبي، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، يعني أهل الحديث فإنها لا تبلغ جنسها، يعني قد يكون يدخل النار فلا يحترق، وإبراهيم -عليه السلام- دخل نارًا، النار فلم تضره أو صارت بردًا وسلامًا عليه، لكن لا يشتركان في الجنس وإن اشتركوا في النوع، يعيني إن اشتركوا في، لكن أن هذه قدرها ليس كقدر هذا، وصفة النار هذه ليست كصفة النار هذه، وصفة ما يحصل للولي ليس كصفة ما يعطاه النبي، وأما الأشاعرة وطائفة فإنهم قالوا: تتساوى الكرامة بآية وبرهان

النبي والمعجزة من حيث الجنس، لكن الفرق بينهما أن النبي يقول: أنا نبي. وأما الولي فيقول: أنا تابع للنبي. والأول –مثل ما ذكرت لك– هو المتعين؛ لأن الله جل وعلا فرق بين ما يعطيه النبي من خرق العادة وما يعطيه غيره فقد قال فيما يعطيه للنبي: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ** ﴾. وأما ما يعطيه الإنسي فإنه قد يكون محدودًا، مثلاً أصحاب الكهف ناموا تلك النومة فلم يتأثروا ثلاثمائة وتسع سنين، في من يعيش أكثر من ذلك، وهذا أقل مما يحصل للأنبياء في جنس ما يعطون.

المسألة السابعة: أنكرت المعتزلة وجماعات كرامات الأولياء وقالوا: إن إثبات كرامات الأولياء يعود على معجزات الأنبياء بالإبطال؛ لأن الجميع خرق للعادة، وما عاد على معجزات الأنبياء بالإبطال فهو باطل. والجواب عن ذلك أن الله جل وعلا أثبت هذه الأنواع الثلاث، اثبت الآيات والبراهين التي يؤتها للأنبياء، وأثبت –ﷻ– كرامات الأولياء، وأثبت جل وعلا مخاريق السحرة، وتخيلات السحرة، فكل هذه في القرآن في السنة، وكلها تشترك في أنها أمور خارقة للعادة، فعدم الإيمان بها هو رد للقرآن فيما دل عليه، وقد لا تكون الدلالة عندهم قطعية ولذلك لا تدخل المسألة في الكفر، لكن ظاهر أن القرآن فيه هذا وهذا، فمثلاً مريم –عليها السلام– أم عيسى أعطيت أشياء وليست بنبية؛ لأنه ليس في النساء نبية كما هو معلوم، وأيضًا امرأة عمران ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يمَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾. وكذلك قصة أصحاب الكهف، هؤلاء جميعًا ليسوا بأنبياء، المقصود من ذلك أن جنس الكرامة هذا ثابت في القرآن وفي السنة وقصه الله –جلا وعلا–، فنفي الكرامة لأنها خارق للعادة هذا رد لما أثبته الله –جلا وعلا–، والله جل وعلا فرق بين

هذا وهذا، وأما أنها تشتبه مع خارق الأنبياء فهذا ليس بصحيح كما ذكرنا لك من الفروق السابقة، في أن ثم فرق؛ لأنه ثمة فروق ما بين كرامات الأولياء وما بين معجزات الأنبياء. وطرد المعتزلة هذا الباب، فقالوا: كل الخوارق الشيطانية وكل الخوارق التي تجري للعقل والسحر، والأشياء كل هذه مما يدخل في باب خرق العادة لا نؤمن به ويرد. وكله جريًا منهم على هذا الأصل وهو أنه يعود على آيات الأنبياء بالإبطال.

المسألة الثامنة: مما يشتبه بالكرامة الإعانة الخاصة من الله –جلا وعلا– لبعض عباده، فقد يعين الله –جلا وعلا– بعض العباد بأشياء يفرج بها عنهم الهم والكرب والضيق، لكن لا تدخل في باب الكرامة؛ لأنها ليست أمورًا خارقة للعادة، فثم فرق بين نعم الله المتجددة مما ينجي الله مثلاً به عبده من حادث، أو من مرض أو نحو ذلك، ولا يكون هذا الإنجاء من الخوارق للعادة.

الشريط الثالث والخمسون وجه (ب)

فلذلك يفرق ما بين جنس النعم التي يعطيها الله جل وعلا خاصة العباد، وما بين الكرامات، فليس كل ما ينعم الله جل وعلا به على العبد من الأمور العظيمة كرامة، بل الكرامة ضابطها أنها أمر خارق للعادة جرى على يدي ولي. ولهذا أصحاب الطرق والذين يريدون صرف وجوه الناس إليهم قد يعظمون ذكر بعض الإنعام حتى يجعلوه كرامةً، فيغرون الناس بأنهم أولياء وأنهم أكرموا بكذا وكذا.. إلى آخره، والله جل وعلا ينعم على عباده بأنواع النعم، الدينية والشرعية الكونية، وهذه الأنواع من الإنعام هذه ليست دائمًا مما تخرق به العادة. لهذا نقول: الكرامة مما تخرق به العادة.

المسألة التاسعة: الكرامة إذا أعطاها الله –جلا وعلا– الولي فإنه ليس معنى ذلك أنه مفضل وأعلى منزلة على من لم يعطى الكرامة، فالكرامة إكرام وإنعام من الله جل وعلا للعبد، لأجل حاجته إليها وقد تكون حاجته إليها دينية

وقد تكون حاجته إليها كونية دنيوية لهذا قلّت الكرامات عند الصحابة، فالمدّون من الكرامات بالأسانيد الثابتة عن الصحابة أقل بكثير مما يروى عن التابعين، وهكذا فيمن بعدهم؛ لأن المرء إذا قوي إيمانه قوي يقينه فإنه قد يترك للابتلاء لا للتفريج، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين ((يبتلى الرجل على قدر دينه، أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه))، وهذا يدل على أن الله جل وعلا قد يختار للولي الصالح وللعبد الصالح الذي تعظم منزلته في ولاية الله جل وعلا وإكرامه ومحبته له، في أن يتركه للابتلاء وأن يتركه لغير هذه الأمور الخارقة للعادة، فتكون إذًا هذه الخوارق للعادة وهذه الكرامات لحاجته إليها، ولأنه قد يصيبه ضعف في الإيمان لو لم يعطها؛ لأن بعض الناس قد يكون عند عبادات عظيمة وقيام من صلاة وصيام ثم إذا أصابته شدة ولم يفرج عنه فإنه قد يعود على قلبه بالضعف في إيمانه، فيكرمه الله جل وعلا لأجل ضعفه لا لأجل كماله. ولهذا فإن باب الكرامة ليس معناه تفضيل من جرت له، فقد يكون مفضلاً وقد لا يكون، ليست الكرامة بمجردها دليلاً عند السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام ، بل الإيمان بالكرامات –كرامات الأولياء– لأجل وجودها، وأن الله جل وعلا يكرم بها عباده وأن الأدلة دلت على ذلك وليست لأجل تفضيل من حصلت له الكرامة، فقد يكون أقل درجة بكثير ممن لم تحصل له الكرامة. إذا كان كذلك فإنه حينئذ من دوّنت عنه الكرامات لا يلزم أن يكون أعلم ولا أفضل ولا أن يُقتدى به ولا أن تؤخذ أقواله، لأجل أنه حصلت منه الكرامة، بل لم يزل الصالحون إذا حصلت لهم مثل هذه الأنواع من الكرامات، لم يزالوا يكتمونها ولا يشيعونها؛ لأنها قد تكون في حقهم من الفتنة وهم لعلمهم بالله جل وعلا وما يستحقه –ﷻ– من الطاعة والإنابة والإقبال عليه، أن لا يفتنوا الناس بذلك، وهذا من أسباب أن المنقول عن

الصحابة من الكرامات قليل جدًا، وعند التابعين أكثر، ثم هكذا كلما ضعف الناس كلما أحبوا إذا حصل لهم أي شيء أن ينشروه وأن لا يكتموه لهذا نقول: الواجب على الناس أن لا يعتقدوا فيمن حصل له إكرام أو كرامة، أن لا يعتقدوا فيه، بل يقولون: هذا دليل على إيمانه وتقواه. إذا كان متحققًا بالإيمان والتقوى وهذا دليل على محبة الله جل وعلا له وهو يسأل لنفسه الثبات ويحرص على ذلك، وهم أيضًا لا يأمن عليه الفتنة، وإذا مات على هذه الحال أيضًا، من الصلاح والطاعة فإنه يرجى له الخير ولا تتعلق القلوب به أو يستغاث به أو يؤتى لقبره ويستنجد به أو يطلب منه تفريج الكربات أو يراعى وهو في غيبته في حال الحياة، ونحو ذلك، كما يفعله ضلال أصحاب الطرق الصوفية ومن يعتقدون فيه ممن ينتسبون للأولياء، وربما لم يكونوا منهم. لهذا فالواجب على المؤمن أن لا يتحدث بهذه، إلا إذا رأى ثم حاجة دينية لذلك، أما إذا كانت لأجل إظهار منزلته أو لإظهار إكرام الله جل وعلا له، ونحو ذلك، فهذا الأفضل كتمانها سيما إذا كان مع إظهارها والتحدث بها فتنة قد تصيب البعض، وإذا كان في مثل هذه الأزمنة التي يظهر فيها الجهل، ويتعلق الناس بمن ظهر عليهم الصلاح، لأجل الاعتقاد فيهم فإنه يجب على المؤمن أن يصد وسائل الشر وأن يسد ذرائع الشرك والغلو التي منها ذكر الكرامات وتداول ذلك.

المسألة العاشرة: مما يتصل بالكرامة من المبحث مبحث الفراسة؛ لأن الفِرَاسة الإيمانية بها يعلم صاحب الفراسة ما في نفس الآخرين، والفراسة لفظ جاء في السنة: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))، والحديث حسنه جماعة من أهل العلم وهو في الترمذي وفي غيره. هذه الفراسة عرفت بأنها شيء من العلم يلقى في روع المؤمن، به يعلم حال من أمامه إما حاله الإيماني، وإما حاله في الصدق والكذب، وإما بمعرفة ما في نفسه ويجول في

خاطره. ولهذا عرفت الفراسة بأنها نور –يعني أيضًا– يقذفه الله في قلب بعض عباده بها يعلم مخبئات ما في صدور بعض الناس. والعلماء قسموا الفراسة إلى أقسام، أشهرها ثلاثة:

الأول : الفراسة الإيمانية وهي التي قد يدخلها بعضهم في باب الكرامة وليست منها.

والقسم الثاني: فراسة رياضية، يعني تحصل بالترويض وبالتعود وبالتخفيف ما في النفس من العلائق، وهي التي يحصل فيها دربة عند بعض أصحاب الطرق.

والثالث: فراسة خَلْقية، وهذه ليست راجعة إلى استبطان ما في النفوس، ولكن باعتبار الظاهر، ينظر إلى الخلق فيستدل بشكل الوجه على الخُلُق، يستدل بشكل العينين على مزاج صاحبها، يستدل بشكل البدن أو شكل اليد أو تقاطيع الوجه على حاله من جهة الأخلاق. وهذه اعتنى بها كثير من الناس، وصنف فيها مصنفات عند جميع الأمم من الأمم السابقة بأمة الإسلام، وفي أمة الإسلام أيضًا؛ لأنها فراسة خلقية ويقولون: إنه ثم ترابط ما بين الخَلْق والخُلق. ومن الأئمة الذين اعتنوا بهذا الباب وتعلموه الشافعي –رحمه الله– وصنف طائفة من أصحاب الشافعي في الفراسة، مصنفات الفراسة الخلقية. المقصود من ذلك أن الفراسة –وهي النوع الأول الفراسة الإيمانية– ليست من الكرامة، لأنها أقرب ما تكون إلى الإلهام، والإلهام قد يكون خارقًا للعادة وقد لا يكون، فجنس الفراسة الإيمانية ليست من جنس الكرامات، وقد يكون من أنواع الفراسة ما يكون فيه خرق للعادة، فيكون كالعلوم والمكاشفات التي يجريها الله جل وعلا على يدي أوليائه.

المسألة الحادية عشر: كرامات الأولياء قد تجري للمجوع لا للأفراد، وهذا في حال الجهاد، سواءٌ أكان جهادًا علميًا، أم كان جهادًا بدنيًا، يعني

بالسنان. فقد يكرم الله جل وعلا الأمة المجاهدة، جماعة المجاهدين من أهل العلم –يعني من الجهاد باللسان– بقوة في التأثيرات الشرعية وبالنصر على من عاداهم بالملكة والحجة وبما يعلمون به مواقع الحجج وما في نفوسهم بما يكون أقوى من قدرهم في العادة، قد يكرمهم الله –جلا وعلا– بذلك، وإن لم يكونوا من الملتزمين بالسنة، وقد يكون كما ذكر بعض أهل البدع يعطى قوى، وينتصر على عدوه من النصارى مثلاً، أو من اليهود، أو من الملاحدة في أبواب المناظرات ويكشف له من مخبئات صدر الآخر ما لا يكون لأفراد الناس، ويكشف له من الحجة والقوة في التأثير على الناس ما يدخل في باب التأثير في الكونيات والشرعيات، كما ذكرت لك سابقًا. وكذلك في أبواب الجهاد بالسيف، جهاد الأعداء، فقد يؤتى طائفة من المسلمين من أهل البدع والذنوب والمعاصي، قد يعطون بعض الكرامات إذا جاهدوا الأعداء، وهذا ينظر فيه إلى المجموع لا إلى الفرد، والمجموع أراد نصرة القرآن والسنة ودين الله جل وعلا ضد من هو كافر بالله –ﷻ– ، وضد من هو معارض لرسالة الرسل، أو من يريد إذلال الإسلام وأهل الإسلام، فيعطى هؤلاء بعض الكرامات وهي لا تدل على أنهم صالحون وعلى أن معتقد الأفراد، أنه معتقد صالح صحيح، بل تدل على أن ما معهم من أصل الدين والاستجابة لله والرسول في الجملة أنهم أحق بنصر الله وبإكرامه في هذا الموطن؛ لأنهم يجاهدون أعداء الله جل وعلا وأعداء رسوله ﷺ. ولهذا لا يغتر بما ذكر عن بعض المجاهدين أنهم حصلت لهم كرامات وكرامات وكرامات، وهذه الناس فيها لهم أنحاء، منهم من يكذب ويقول هؤلاء عندهم وعندهم من البدع والخرافات و.. إلى آخره، وبالتالي الكرامة لا تكون لهم فينفي وجود هذه الكرامات، ومن الناس من يصدق بها ويجعل هذا التصديق دليلاً على أنهم صالحون، وأنه لا أثر للبدعة وأن الناس يتشددون في مسائل السنة والبدعة،

وأما أهل العلم المتبعون للسلف، كما قرر ذلك ابن تيمية بتفصيل في كتاب "النبوات"، فإنهم يعلمون أن المجاهد قد يعطى كرامة ولو كان مبتدعًا، لا لذاته ولكن لما جاهد له، وهو جاهد لرفع راية الله جل وعلا ضد ملاحدة ، ضد كفرة، ضد نصارى، ضد يهود، ضد وثنيين، وهذا يستحق الإكرام؛ لأنه بذل نفسه في سبيل الله –جلا وعلا–، والبدع ذنوب والجهاد طاعة، من أعظم الأعمال قربة ومعلوم أن الحسنات تذهب ما يقابلها من السيئات، فقد تكون في حق البعض حسنة الجهاد أعظم من سيئة بعض البدع والذنوب، بل الجهاد سبب لتكفير الذنوب والآثام كما قال –جلا وعلا–: ﴿ **هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ الآية. فمن أعظم أسباب مغفرة الذنوب الجهاد، ومن أعظم أسباب تحقيق ولاية الله جل وعلا ومحبته أن يجاهد العبد، لكن هذا يكون في موازنة الحسنات والسيئات، والله جل وعلا أعلم بنتيجة هذه الموازنة. المقصود من ذلك أن أهل السنة والجماعة يقررون أن الكرامة هي للولي الصالح، كما قال –تعالى– : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ وقد يعطي الله جل وعلا الكرامة لجمع من المسلمين أو لفردٍ في جمع من المسلمين، لأجل ما ذكرت لك من الحال إذا كان على غير التقوى والإيمان ومتابعة السنة، أو الأخذ ببعض البدع. ولهذا لا يغتر مغتر بما حدث من ذلك ويزن الأمور بموازينها، فمن نفى مطلقًا فهو متجني؛ لأنه لا علم له بذلك، ومن قبل مطلقًا وجعلها دليلاً على صلاح وطاعة وأنه لا أثر للعقائد ولا أثر للسنة في مثل هذه المسائل، هذا أيضًا تجنى على الشرع، وتجنى على نفسه، والعلم يقضي بما ذكرته لك في ذلك.

المسألة الأخيرة : وهي الثانية عشر الواجب على المؤمنين أن يسعوا في الإيمان وفي شعبة امتثالاً للأوامر واجتنابًا للنواهي طلبًا لمرضاة الله –جلا وعلا–، وأن يبذلوا أنفسهم في الجهاد بأنواعه، الجهاد في العلم، والجهاد في العمل، والدعوة أو الجهاد بالسيف والسنان إذا جاء وقته، أو إذا حضره المؤمن أن يسعوا فيه طلبًا لرضا ربهم –جلا وعلا–، وأن لا يلتفت العبد مهما بذل، أن لا يلتفت إلى حصول الكرامة أو عدم حصول الكرامة، فمن الناس من تعلقت قلوبهم بالكرامات، بل بما هو دونها من الرؤى وربما الأحلام ومن القصص والحكايات والأخبار، وأثر ذلك على إيمانهم سلباً أو إيجابًا، ضعفًا أم زيادة، وهذه الأمور نؤمن بها، يعني مسائل الكرامات، نؤمن بها؛ لأنها جاءت في النصوص، لكن العبد لا يتطلبها لا يبحث عنها، كما ذكرت لكم ربما كان الأكمل في حقه أن لا تحصل له الكرامة، وربما كان الأكمل في حقه أن يبتلى، وربما كان الأكمل في حقه أن يذل ولا يعرف ما يقضي الله جل وعلا به في هذه المسائل. ومن نظر في سيره من نعتقد فيهم أنهم من أفضل أهل زمانهم إيمانًا وتقوى ومتابعة للسنة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ومجاهدة لأعداء الله، حصل لهم من الابتداء والفتنة ما حصل،، كما حصل لإمام أهل السنة والجماعة شيخ الإسلام إمام أهل والسنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل، وكلك ما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، فالجميع حصل لهم من البلاء والسجن والفتنة، والصد والإيذاء ما حصل ومع ذلك هم أكمل ممن هم دونهم ممن حصل لبعضهم من الكرامات فيما نقل بأسانيد ثابتة، بل ابن القيم –رحمه الله– طيف به في دمشق وهو العالم الإمام على حمارٍ ظهره إلى السماء ووجهه إلى الأرض تنكيلاً به، ومع ذلك ما ضره لا في وقته ولا فيما بعده فالتراجم، طافحة بالثناء عليه؛ لأن هذه المسائل في الابتلاء التي يبتلي بها الله جل وعلا بعض عباده كيف يشاء، فالمقصود من هذا أن الميزان وهو

متابعة السنة، الإيمان تحقيق الإيمان والتقوى، ومتابعة طريقة السلف الصالح قد يحصل معه إكرام وقد لا يحصل معه، يحصل معه ضد ذلك من الابتلاء، الإيذاء وقد يكون المبتلى أكمل ممن لم يبتلى، فالعبرة بلزوم منهج السلف الصالح وطريقة السلف الصلح، فقد يبتلى من هو من أهل البدع وقد يبتلى من هو من أهل السنة، وقد يبتلى العاصي المذنب، وقد يبتلى التقي الناصح، وهكذا. فإذًا الميزان هو كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ ، وملازمة طريقة السلف الصالح في ذلك. أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أوليائه، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يكفر عنا الخطايا والآثام، وأن يمنّ علينا بالسداد في الأقوال والأعمال، إنه -سبحانه- على كل شيء قدير، وهو بالعفو جدير -جل جلاله- وتقدست أسماؤه، لا إله لنا سواه ولا رب لنا غيره، لا إله إلا الله الحليم العظيم، وصلى الله وسلم بارك على نبينا محمد.

سؤال : يقول: أشكل عند قول الطحاوي: حب الصحابة دين وإيمان. وذلك من جهة تسمية حب الصحابة إيمان، والحب عمل القلب وليس هو التصديق فيكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان؟

الجواب : هذا مشكل، وقد ذكر الشارح أنه مشكل على أصل الشيخ، وهذا ظاهر أنه مشكل، وما من أحد يخالف السنة، إلا ويقع في التناقض؛ لأن الميزان الذي لا يختلف هو الكتاب والسنة، أما الرأي فيختلف من الإنسان يرى رأيًا اليوم وغدًا يبدو له شيء آخر، ما يلتزمه في كل كلمة يلتزمه إذا جاء. في التعريف، يلتزمه إذا جاء في الوصف، ثم يخالفه في سنن كلامه، وهكذا. ولهذا بعض أهل البدع حتى في مسائل الصفات إذا جاءوا يتكلمون مثلاً عن الاستواء على العرش، لو تحقق هو من نفسه لوجد أن نفسه تغلبه إلى أن الله جل وعلا مستوٍ على عرشه بذاته بائن من خلقه حتى وهو يتكلم فعلاً، لكن إذا أراد أن يقرر المسألة ذهب إلى ما تعلمه، فثم فرق ما بين الشيء الفطري

وهو التسليم لكلام الله جل وعلا وكلام رسوله وما يأت في باب التعليم تارة. ولهذا نبهناكم مرارًا إلى غلط قول من يقول: إن أكثر المسلمين أشاعرة، أو أكثر المسلمين ليسوا من أهل السنة والجماعة. يعني إنما أكثر المسلمين أشاعرة أو أكثر المسلمين ماتريدية، أو نحو ذلك، والقليل هم من يتبعون منهج السلف الصالح. هذا غلط، غلط كبير، بل أكثر المسلمين في المسائل الغيبية على الطريقة المرضية، لكن ليس أكثر العلماء؛ لأن العلماء هم الذين عندهم ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة وما يخالف الفطرة، أو ما تسأل أي عامي في البلاد التي هي بلاد لنصرة المذاهب المخالفة لطريقة السلف، إما للأشعرية أو الماتريدية، بحسب اختلاف البلدان، وتأخذ عامي وتسأله عن الاستواء على العرش، ما يستحضر إلا ما يدل عليه الظاهر وما يؤمن به، إلا إذا أتى أحد من العلماء وعلمه أن هذه تأويلها كذا وكذا، فيذهب إلى كلام العالم، والإمام بالظاهر في الصفات ما يستحضر إن الله لا يوصف بالرحمة، ما يستحضر إن الله لا يوصف بالرضا، لو تسأل عامي، الله يرضا؟ فيقول: نعم، يرضا في القرآن. الله يغضب؟ يقول: نعم، يغضب. فلذلك عامة الناس حتى في مسائل الإيمان، العمل وتسأل عامة الناس، هل العمل من الإيمان؟ أكثر المسلمين يقولون لك: نعم، العمل من الإيمان كذلك مسائل القدر ما عندهم مبحث الجبر ولا يعرفون الجبر الداخلي لا الظاهري، الذي هو الكسب عند الأشاعرة، ما يستحضر هذه مسائل مخالفة للفطرة ومخالفة لظاهر النصوص، والناس لا يستوعبونها إلا بالدرس والتعليم. ولهذا ميزة هدي السلف الصالح وميزة طريقة أئمة الحديث أنه على ظاهر القرآن والحديث، وهذا هو الذي يسع الذكي والبليد والعامي وغير العامي والعالم وغير العالم، يسع الجميع؛ لأنها سهلة ميسورة، وإنما فصلنا في المسائل وكثر الكلام، لأجل كثرة المخالفين وحماية للشريعة، مثل الإعداد بالسلاح عندنا مال كثير نحتاج فيه إلى بناء مساجد،

فنذهب نبني المساجد، لكن إن داهمنا عدو وجهناه للعدو، أخرنا بناء المساجد، لئلا يقضي على ما هو موجود من الدين والمساجد. فلهذا النفوس –نفوس المسلمين– هي على ظاهر الكتاب والسنة، ما عندهم التأويل والعقلانيات.. إلى آخره، فأكثر المسلمين على طريقة السلف في الاعتقاد، لكن أما العلماء فهذه هي المصيبة، هم الذين تعلموا منذ نشئوا دخلوا في مدارس تعلمهم الأشعرية بقوانينها، دخلوا في مدارس تعلمهم دين الخوارج، أو دين الرافضة أو.. إلى آخره، فأخذوا منها شيئًا فشيئًا بالتعليم وبالقصد. ولهذا كما جاء في الحديث ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه)). المقصود من ذلك أن المعلم قد يكون أعظم من الأبوين، أعظم في التأثير، أو المربي أو الذي تخالطه. ولهذا احرص تمام الحرص على أن يسلم القلب من مخالفة الكتاب والسنة في الاعتقاد الأعمال، والذنوب فهي على باب الغفران كما قال ابن القيم –رحمه الله– في النونية:

فوالله ما خوِف الذنوب فإنها لعلى سبيل العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب من تحكيم هذا الوحي والقرآن

تحكيم ليس معناه الدولة اللي تحكم فقط، لا أنت أيضًا تحكم الوحي والقرآن في المسائل، فتعتقد ما في القرآن وتعتقد ما في السنة. فالمقصود من ذلك أن الإشكال الذي وقع فيه الطحاوي يبيّن لك أن بعض العلماء حتى من الذين ربما أصّلوا شيئًا مخالفًا للسنة مثل ما أصل في مسألة الإيمان شيئًا بيّنا عدم صحة ذلك، هو يخالفه نحن نقول إشكال لكن هو في الواقع مخالف، وهو الصحيح أن حب الصحابة إيمان وحب الصحابة عمل القلب، وأدخله في الإيمان، حب الصحابة إيمان. خلاص واضح، أن هذا العمل إيمان ولهذا قال الشارح: وهذه الكلمة مشكلة على أصل الشيخ. كما ذكره السائل.

سؤال : هل تُقاس الرؤية الصالحة على الكرامة أم لا؟

الجواب : الرؤية الصالحة ليست أمراً خارقاً للعادة فهي تحصل لآحاد الناس ليست خارقة لعادة البشر ولا لعادة بعض الجن فهي رؤيا يغير بها الملك فهي رؤيا صالحة وليس لها دخل في الكرامات.

سؤال : الرؤية هل هي مما قد يحتاج إليه المؤمن أو....؟

الجواب : لا، المؤمن لا يتعلق قلبه بالرؤيا، إذا رأى رؤيا صالحة أو رُويت له، حمد الله –جلا وعلا–، ولزم الطاعة حتى لا يفتن، وإذا رأى رؤيا هي لا تسره، أو فيها سوء النسبة له فيعمل ما أوصى به النبي ﷺ، أنه ينفث عن يساره ثلاثًا، ويستعيذ بالله جل وعلا من شرها، وينقلب على جنبه الآخر فإنها لا تضره.

سؤال : امرأة عليها قضاء من رمضان الماضي وفرطت، ثم ولدت قبل شهرين وهي الآن لا تستطيع القضاء بسبب خوفها على ولدها الرضيع، فما الواجب عليها؟

الجواب : الواجب عليها أن تصوم، أن تقضي الآن، فإذا كانت لا تستطيع لأجل خوفها فإنه يجب عليها الكفارة، لأجل التأخير، لأنها مفرطة. هي تعرف أنها حامل وتعرف متى تلد، فهي مفرطة في هذا الباب، وعليها الكفارة تطعم عن كل يوم مسكين.

سؤال : هل العاصي يعطي كتابه بيمينه، أم بشماله؟

الجواب : لا، العاصي يعطي كتابه بيمينه، أما الذي يعطى كتابه يوم القيامة بشماله فهو الكافر يعطى كتابه بشماله وراء ظهره، أما المؤمن فيعطى كتابه باليمين، سواء كان من السابقين أم من المقتصدين أم ممن ظلم نفسه، ثم يأتي بعد ذلك الحساب والوزن، ثم تأتي المجازاة.

سؤال : الإمام إذا التفت إلى المصلين، هل يخص جهة اليمين دون جهة الشمال. أم لا؟

الجواب : إذا كان المقصود في السلام، السلام هو إذا سلم في الصلاة فإنه يسلم عن يمينه ثم عن شماله، ويكون تسليمه عن الشمال أبلغ في الالتفاف كما جاء في السنة، عن الشمال يكون أبلغ في الالتفاف، ثم إذا انفتل إليهم فالأفضل أن يقابلهم، يعني يجعل وجهه تلقاء الناس، وإذا جعل الناس عن شماله وقابل من هو على يمين الصف فهذا أيضًا سائغ لورود الأثر به.

سؤال : تريد أحد الأخوات طلب العلم عند أحد المشايخ، لكن ليس عندها محرم، فقيل لها: عليك بالرضاعة من إحدى زوجات الشيخ لتحرمي عليه. مع العلم أن عمرها كان اثنين وعشرين عامًا. أفتونا مأجورين.

الجواب : إن المسائل هنا مسائل بحث، ما هي مسائل فتوى؛ لأن هذه مسائل تعليم، ما نفتي، يعني ما تسمعه مني ليس فتوى، إنما هنا مجالس تعليم للبحث، بحث المسائل وما في المسائل من أقوال.. إلى آخره، لتنمية كيف يبحث طالب العلم؟ ما هو مجال فتوى، ليس هذا الدرس، أو الأسئلة هذه مقام فتوى، إنما هي مقام بحث وتعليم. أما هذه المرأة التي تريد أن ترضع وهي كبيرة، فالرضاع الذي ينشر الحرمة هو ما كان في الحولين، وكان خمس رضعات مشبعات فأكثر، أما رضاع الكبير فإنه لا ينشر الحرمة، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: ((إنما الرضاع ما أنبت اللحم وأنشز العظم)). والرضاع ما كان في الحولين، خمس رضعات محرمات، كان فيما أنزل عشر رضعات محرمات، ثم نسخت إلى خمس رضعات محرمات، وقد قال أيضًا ﷺ كما في الصحيح: ((لا تُحرِّم المصة ولا المصتان ولا الإملاجة ولا الإملاجتان)). فالمقصود أن عامة أهل العلم على أن الرضاع الذي ينشر الحرمة هو ما كان في الحولين ثم أن يكون خمس رضعات فأكثر، والرضعة أن تكون مشبعة

يأخذ ثدي المرأة التي فيها اللبن الذي ثاب عن حمل، يأخذ ويلتقمه فيمتصه حتى يشبع ثم يتركه ثم ثانية حتى يتركه، يعني خمس رضعات مختلفة. أما رضاع الكبير فلا ينشر الحرمة وما جاء في الصحيح من قصة سالم مولى أبي حذيفة فإنها عند جمهور أهل العلم خاصة به، لأجل حاله. وثم رواية عن الإمام أحمد واختارها أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية، أن قصة سالم ليست خاصة به، بل هي خاصة بكل من كانت حاله مثل حال سالم، وحال سالم أنه كان نشأ في ذلك البيت فزوجة الرجل تعتبر أمه، يعني هو يعتبرها أمه؛ لأنها ربته ونشأ فيها ومنذ نشأتها حتى كبر، والبنات أيضًا عنده هو نشأ في البيت كأنهن أخواته، يعني ما يحس هو بالأجنبية، ما يحس بعدم أو بأن النساء أجنبيات عنه، فقال: ((أرضعنه ﷺ تحرمن عليه)) وذلك لأجل طول الملابسة شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أيضًا على ما جاء في الدليل، أظنه أيضًا هو مذهب ابن حزم، أنه إذا كانت في مثل هذه الحال فإن الرضاع الكبير ينشر الحرمة، واحد عاش في بيت من صغره إلى أن كبر، كبر ثم لما كبر احتيج إلى أنه يبقى في البيت، فيكون الرضاع للكبير في هذه الحالة، لكن هذا ليس بالقول الراجح، القول الراجح أنه أن الرضاع المحرم هو ما أنبت اللحم وأنشز العظم، وهو ما كان في السنتين، وأما رضاع الكبير فلا يحرم مطلقًا.

سؤال : يقول: لقد رأيت في محلات بيع أمام المسجد الحرام المسجد النبوي، أناساً يبيعون ما أدري أيش –عطورات، سميت بجنة الفردوس وجنة النعيم، ما حكم هذه التسميات؟

الجواب : على العموم سواء كانت عطورات أم لا، هذه التسميات فيها مغالطة، فيها مغالطة هي ليست بجنة الفردوس وليست جنة النعيم. واستخدام هذه الأسماء الشرعية في مثل الدعايات التجارية أو في البضائع هذا من امتهان الأسماء الشرعية فلا يجوز.

سؤال : صاحب الجمس السوبر ذو اللون الأسود –أنا أقرأ المكتوب– والأزرق أرجو أن يحرك سيارته، لا تمكن الخروج؟

الجواب : هذا ذكرناه لكم عدة مرات، أنه ما يجوز الواحد يسد على غيره. نجيب الهيئة ما هو بأحسن؟ لأنه منكر، ما دام إنه منكر نجيب الهيئة.

س:أنا أنظر إلى النساء في صور ومجلات وغيرها. فما كفارة ذلك؟

الجواب : النظر إلى النساء وإلى الصور المستحسنة من أعظم أسباب قسوة القلب وعدم حصول حلاوة الإيمان ولا لذة الطاعة، بل هو وسيلة وخطوة من خطوات الشيطان، ليضل المسلم حتى يقع في الفاحشة، وهذا مشاهد ومن وقع في بعض الفواحش ممن ينتسب إلى الخير، يعني وقع وزلت به القدم ثم تاب واستغفر وسيلتها التساهل، التساهل في رؤيتها في المجلات، أو في رؤيتها في الأجهزة، والواجب على العبد أن يمتثل قول الله –جلا وعلا–: ﴿ **قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾. فالعبد إذا لم يغض بصره فإنه يسلب حلاوة الإيمان، إذا وقع في النظرة الأولى النظرة الأولى ليس فيها شيء أما إذا تعمد تكرار النظر وتتبع العورات وتعمد التلذذ بالنظر، هذا إذا أصابه في قلبه زيغ، أو أصابه في قلبه قسوة فهو الحسيب على نفسه. لهذا الواجب على كل مؤمن أن يحذر من هذا البلاء وهو تكرار النظر والاسترسال مع ما في المجلات أو ما في التليفزيون أو ما في الأجهزة والفضائيات والفيديو.. إلى آخره، ومن أحسن الكلام الذي يحضرني في هذا الباب ما ذكره ابن القيم في سر قول النبي ﷺ في خطبة الكسوف لما كسفت الشمس، فإنه ﷺ قال: ((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياة فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلوا))، ثم قال ﷺ: ((إن الله يغار أن يزني عبده أو أن تزني أمته...)) إلى آخر خطبته ﷺ. قال: ابن القيم: ذكر موقع الزنا في خطبة كسوف الشمس

لعظم المشابهة بينهما، فكما أن انكساف الشمس سببه ذهاب الضياء، فإن انكساف القلب ، وذهاب الضياء والنور فيه سببه الزنا. وهذه مناسبة صحيحة وعظيمة، فإن وقوع هذه الفواحش كما أنه يؤثر على الفرد بانكساف قلبه والنور الذي فيه، فإنه أيضًا يؤثر على المجتمع بالذنوب والمعاصي التي يكون معها البلاء من الله –جلا وعلا– لهذا الواجب على كل أحد أن يترك النظر طلبًا لمرضاة الله –جلا وعلا–؛ لأن النظر محرم، ومن ترك النظر وجد في قلبه الحلاوة، حلاوة الإيمان، وخاصة أهل العلم وطلبة العلم، فإن أعظم ما يؤثر على فهم الكتاب والسنة وفقه الكتاب والسنة هو أن ينشغل القلب بالصور على أنواعها، وعشق الصور والتطلع إلى الصورة والتساهل في ذلك هذا مرتع وخيم، وقد يكون خطوة من خطوات الشيطان ليوقع العبد في الفاحشة، فالواجب على من وقع في ذلك التوبة إلى الله جل وعلا ، وأن لا يسترسل مع نفسه في هواها، وأن يعلم أن حلاوة الإيمان أعظم من لذة سريعة تذهب، والإيمان إذا ذهبت حلاوته فكيف يبنيها؟ لا الصلاة تكون خاشعة، ولا القلب يكون متلذًا بذكر الله جل وعلا فيعيش بجسده لا بقلبه وبروحه، وكثرة الاستغفار والتوبة والعزم على عدم العود، هذا من الأسباب التي يطهر الله جل وعلا بها القلب مما علق به، والله المستعان.

سؤال : هل تصح هذه العبارة: كرامات الأولياء معجزات الأنبياء، ومعجزات الأنبياء كرامات الأولياء؟

الجواب : –ﷺ– ما أدري من الذي قالها! لكنها عبارة حلوة، وكرامات الأولياء معجزات الأنبياء لو قال: كرامات الأولياء معجزات للأنبياء، أو كرامة الولي معجزة للنبي. يعني من حيث الجنس، فربما صحت، يعني باعتبار جميع الأولياء، كرامات جميع الأولياء ما حصلت لهم إلا باتباعهم لهذا النبي، فكل أنواع الخوارق التي حصلت للولي الأول والولي الثاني والعاشرة والمائة،

كل أنواع هذه الخوارق والكرامات في مجموعها هي معجزة للنبي؛ لأنه ما حصلت لهم إلا بالاتباع، قال: ومعجزات الأنبياء كرامات الأولياء. هذا عكس الكلمة السابقة، فهي إيضاحها على ما ذكرت لك، إذا كان المقصود أن كرامات جميع الأولياء هي معجزة وآية وبرهان للنبي الذي اتبعوه فهذا صحيح.

أنا اقرأ هذا للفائدة لا للإقرار لما فيه.

سؤال : يقول تبيّن في هذه الليلة أن هناك أحد الناس –هداهم الله– يقوم بسرقة اجهزة التسجيل أثناء الصلاة، فنرجوا التنبيه على الأخوة بعدم ترك مسجلاتهم بعد اليوم حتى لا تتعرض للسرقة.

الجواب : هذا له شقان المعلومة جاءت لكم، أنا ما أدري عن صحتها من عدمه لكن –إن شاء الله– إنه هو متنبه، لكن الثانية كفائدة لا يقال: إن هذا سرقة. السرقة لها شروطها الشرعية، ما أخذ من حرز وعلى وجه الخفاء، أما إذا كان الشيء موضوع وأخذ، أمام الناس موضوع وأخذ، فهذا لا يسمى سرقة ولا يسمى من أخذه سارقًا وليس عليه حد السرقة، كما هو معلوم، قد يكون اختلاسًا، قد يكون غصبًا، يعني بحسب الحال، لكنه سرقة لا، هذه يتساهل فيها الناس، يقول: سرق كذا، وسرق كذا. حتى لو أنه في جيبه قال: فلان سرق من جيبي كذا. ما هي بسرقة، السرقة لها حدودها الشرعية ولها شروطها، وليس كل غصب سرقة، وليس كل اختلاس سرقة، وليس كل نهب أيضًا سرقة، فالسرقة شيء والنهب شيء والاختلاس شيء، ويعني فرقوا بين الألفاظ الشرعية.

سؤال : يقول: بأنه يجوز أكل الجزء المقطوع من المصيد الهارب، كالغزال مثلاً وهو هارب لم...، فهل يجوز أن نقيس الضب عليه إذا كان هاربًا ثم دخل جحره فتمكن من قطع عكرة الضب... إلى آخره؟

الجواب : أما المسألة الأولى: فهي مسألة علمية، وهي أن ما أبين من حيٍ فهو، أيش؟ فهو كميتته ما أبين من حي فهو كميتته ، إلا ، إلا أيش؟ إلا الطريدة، ما أبين من حي، يعني واحد بيقطع شيء من خروف وهو قائم، يعني الخروف بيقطع بعضه بيأكله، ما أبين منه فهو كميتة هذا ميتة تحل؟ لا تحل، فإذاً ما أبين منه فلا يحل، قالوا: إلا الطريدة. الطريدة مثل ما ذكر يطرد شيء فلا يتمكن منه إلا بقطع شيء منه، فهذا يستثنى من ذلك، أما مسألة الضب فلا أدري. نكتفي بهذا القدر، ونراكم -إن شاء الله- على خير حال، وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشريط الرابع والخمسون وجه (أ) ١٤٢٠/١٠/١٦هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لمجده، وأشهد أن محمدًا عبدالله ورسوله وصفيه وخليله، ونشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد: فأسأل الله -جل جلاله- أن يجعلنا دائماً وإياكم من وفق في قوله وعمله وزاده العلم بصيرةً في دينه وكان حجة له، لا حجة عليه، كما نسأله -سبحانه- الثبات على الدين وعلى العلم النافع، وأن يوفقنا إلى ما فيه رضاه وأن يجنبنا ما يسخطه ويأباه، أنه -سبحانه- جواد كريم. نجيب عن بعض الأسئلة:

سؤال : قال: شخص انتهت مدة مسحه بعد صلاة العصر، ثم لما جاء المغرب شك، هل خلع خفيه وتوضأ، أم مسح على المسح السابق؟ فماذا يعمل؟

الجواب : من القواعد المقررة أنه عند طروء الشك يبنى على اليقين، والبناء على اليقين أصل من أصول الشريعة فيما اشتبه على الإنسان علمه،

فيرجع إذا شك إلى ما لا شك فيه، وهذا داخل تحت عدة أحاديث عن النبي ﷺ، منها قوله: ((فليطرح الشك في الصلاة وليبني على ما استيقن))، ومنها أيضًا قوله ﷺ: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)). والقاعدة الفقهية اليقين لا يزول بالشك. فهنا إذا تيقن خروج مدة المسح، وشك هل تطهر أم لم يتطهر؟ فالأصل ما تيقن وهو أنه خرجت المدة ولم يتوضأ؛ لأنه على الصحيح إذا انتهت المدة فإن الذي مسح يجب عليه أن يخلع الخفين أو الجوربين وأن يتوضأ من جديد، فإذًا في حالة هذا السائل فإنه يجب عليه أن يعيد، إذا كان صلى المغرب على هذه الحال، فيجب عليه أن يعيد؛ لأنه يبني على اليقين.

سؤال : هل ثبت أن الرسول ﷺ قرأ في صلاة العيد بالجمعة و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾؟

الجواب : لا أعلم هذا أنه جاء في العيد الجمعة و ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾، وإنما سنة النبي ﷺ في صلاة العيد في القراءة والجمعة –يعني في أغلب الأمر– أن يقرأ بسبّح والغاشية، وقرأ بغيرها في صلاة العيد وفي صلاة الجمعة، لكن هذا قراءة الجمعة في الركعة الأولى وقراءة ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ في الركعة الثانية رواه مسلم في الصحيح، في أواخر أحاديث القراءة في الجمعة، وهي سنة في صلاة الجمعة، أما صلاة العيد فلعل من قرأ إن كان أحد قرأ بها بناها على القياس، لكن الذي جاء هو قراءة سبّح والغاشية، وربما اجتمعا –يعني الجمعة والعيد– في يومٍ واحدٍ فقرأ رسول الله ﷺ بهما، يعني بسبّح والغاشية، أما الجمعة في الأولى ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ في الثانية فهذه إنما هي في صلاة الجمعة؛ لأن الذي ثبت عن رسول الله في سنته في القراءة في صلاة الجمعة ثلاث سنن، الأولى سبّح والغاشية، والثانية الجمعة والمنافقون، وهاتان أكثر وسبّح أكثر والغاشية، ثم

يليها الجمعة والمنافقون، ثم أنه قرأ أيضًا الجمعة و ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾. فهذه ثلاث سنن عنه ﷺ في قراءة الجمعة.

سؤال : ما معنا قوله: "منه بدأ وإليه يعود"؟

الجواب : قول طائفة من السلف في القرآن الكريم الذي هو كلام الله –ﷻ– منه بدأ وإليه يعود. يعني منه –ﷻ– بدأ قولاً وكلاماً وتنزيلاً، فلما تكلم به سمعه منه جبريل –عليه السلام–، فبلغه جبريل نبينا محمد ﷺ كما سمع. وقولهم: وإليه يعود. يعني في آخر الزمان حين لا يعمل بالقرآن فيكرم الله –جل وعلا– كلامه أن يبقى في الأرض ولا ثم من يعمل به، فيسري على القرآن في ليلةٍ من الأوراق، من الصحف ومن الصدور، فلا يبقى منه في الأرض آية ، هذا معنى قولهم منه بدأ وإليه يعود.

سؤال : يقول: هل ورد نهي عن حِلَق العلم يوم الجمعة؟

الجواب : نعم، هذا جاء في حديث رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة. وهذا عند أكثر أهل العلم على الكراهة ومحله أن يكون الناس يستعدون لسماع الخطبة قبل الصلاة، ثم هم يتحلقون –وهذا التحلق النهي عنه لعدة تعليلات–:

الأول: أن التحلق والناس ينتظرون الخطيب سبب لقطع الصفوف.

والتعليل الثاني : أن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة سبب للحديث من المتحلقين في غير قراءة القرآن والذكر وتفريغ القلب والنفس لسماع الموعظة، وسماع الخطبة التي هي فرض في صلاة الجمعة. وليس النهي مطلقًا عن التحلق في كل أجزاء يوم الجمعة، فلو كان ثم حلقة علم بعد الفجر فلا بأس، بحيث لا تطول حتى تشغل الناس عن صلاة الجمعة، أو كانت حلقة بعد صلاة الجمعة، أو كانت حلقة بعد العصر، فهذا لا بأس به؛ لأن المقصود من الحديث الحسن الذي رواه أبو داود وغيره –السابق– هو التحلق –كما هو لفظ

الحديث- قبل الصلاة يوم الجمعة. ولهذا كان من عمل شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ذكره عنه من ترجم له، أنه كانت له حلقة عظيمة في التفسير يلقيها بعد صلاة الجمعة، يعني بعد أن يفرغ الناس من راتبة الجمعة وينتهون فيبدأ التدريس في التفسير يوم الجمعة. قالوا: وفسر سورة نوحٍ مدة سنة. يعني كل يوم بعد صلاة الجمعة. المقصود على هذا يحمل النهي، وأن لو كان هناك في مسجد إقبال على الطاعة وناس يأتون إلى المسجد في الصباح الباكر أو من بعد الفجر أو من طلوع الشمس، فهنا يكون النهي واردا يعني عن التحلق؛ لأنه يشغل الناس عما أتوا له.

سؤال : بعضهم يستدل بعمل شيخ الإسلام ابن تيمية فيقوم بعد أن يخطب الخطيب الجمعة ويتحدث؟

الجواب : لا، الموعظة ليست كذلك، العلم غير الموعظة؛ لأن خطبة الجمعة المقصود منها الموعظة كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يخطب الجمعة يعظ الناس ولهذا قال جمع من أهل العلم: إن الموعظة واجبة أو ركن في صلاة الجمعة، في خطبة الجمعة. أنها هي المقصودة، النبي ﷺ كان يعظ الناس، ومثلها الوصية بالتقوى وأشباه ذلك، فإذا كان الحديث بعد الفراغ من الصلاة للموعظة والتذكير فهذا ليس بجيد إذا كان يعتاد، أما إذا كان لمناسبة أو لحضور عالمٍ يستفاد من علمه وكان الأمر لمامًا، فهذا ربما فعله بعض أهل العلم، لكن الأصل أن النبي ﷺ لا يعظ الناس بعد الجمعة ولا صحابته أيضًا لا يعظون، أما العلم فالعلم في كل وقت، والعلم ليس موعظة بالمعنى الخاص، وإن كان موعظةً بالمعنى العام.

يخرج من ذلك مثلاً قراءة بعض الأشياء بعد صلاة الجمعة، في الزمن الأول كان يقرأ أخبار الفتوح، كان يقرأ أخبار، أو أوامر ولي الأمر ونحو ذلك، كان يقرأها الأئمة يعني في القرن الثاني والثالث، يقرؤونها بعد صلاة الجمعة لحضور الناس. نكتفي بهذا القدر سمي الله .

المتن :

ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم – عليه السلام – من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها، ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا، ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

الشرح :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: قال العلامة الطحاوي -رحمه الله تعالى وأجزل له الثواب-: (ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم -عليه السلام- من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها). يريد -رحمه الله تعالى- أن ما جاء في القرآن الكريم وفي سنة النبي ﷺ من ذكر أمورٍ غيبية تكون قريبًا من الساعة، أو تكون من أشراطها فإنها داخلة في الإيمان بأركان الإيمان ويجب الإيمان بها، ودخولها في أركان الإيمان من جهتين:

الجهة الأولى: أنها غيب والإيمان كله إيمان بالغيب الذي أخبر به الله -جل جلاله-، أو أخبر به نبيه ﷺ.

والجهة الثانية: أن من أركان الإيمان الإيمان باليوم الآخر، ومقدمات اليوم الآخر وأشراط الساعة التي ثبتت في كتاب الله وفي سنة محمدٍ ﷺ، فإن الإيمان بها واجب إذا بلغ المسلم الخبر في ذلك، فيجب عليه التصديق بالغيب والإيمان به، وقد خص الله -جل وعلا- أهل الإيمان بصفة الإيمان بالغيب فهي أولى وأُولى صفات المؤمنين، كما قال -جل جلاله-: ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ** ﴾. فالإيمان بالغيب يدخل فيه جميع أركان الإيمان؛ لأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، هذا كله إيمان بالغيب. ويريد أيضًا -رحمه الله- بإيراد هذه الجملة مخالفة عدداً من الطوائف الضالة الذين لا يؤمنون بما يخالفوا ما دلهم عليه عقلهم، فإن طوائف أنكرت وجود الدجال، وطوائف أنكرت نزول عيسى -عليه السلام- وطوائف أنكرت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، ونحو ذلك مما ليس مألوفًا لهم ولا يدخل في السنن، فنفوه لأجل ذلك وأهل السنة باب الغيب عندهم باب واحد، فما صح عن رسول الله ﷺ فإنه يجب الإيمان به. وهذه الجملة تحتها مباحث ومسائل:

المسألة الأولى:

في تعريف الأشراط، الأشراط جمع شرط، والشرط هو العلامة التي تفرق الشيء وتميزه عن غيره، والأشراط –أشراط الساعة– المقصود بها الآيات والعلامات التي تدل على قرب قيام الساعة، إما دنوًا فتكون أشراط كبرى، وإما دلالة على القرب فتكون من جملة الأشراط الصغرى، قد جاء ذكر كلمة الأشراط في القرآن الكريم في سورة محمد، قال –جل وعلا–: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾، وأفاد في الآية فائدتين:

الأولى: أن الساعة لها أشراط وعلامات، والفائدة الثانية أن أشراط الساعة قد وقعت في وقت تنزل القرآن على محمد ﷺ، وهذا يعني أن من الأشراط ما يكون بعيدًا عن وقوع الساعة، ومنها ما يكون قريباً من وقوع الساعة، ومن الأحاديث في ذلك أن النبي ﷺ لما تذاكروا عنده الساعة قال: ((إنها لن تكون حتى تروا قبلها عشر آيات))، فدل ذلك على أن ثمة أشراط قريبة منها، سماها النبي ﷺ آيات، والآيات جمع آية وهي ما يدل دلالةً واضحة ظاهرةً على المراد وعلى الشيء بحيث لا يكون فيه لبس.

المسألة الثانية:

أشراط الساعة قسمها العلماء إلى قسمين: إلى أشراط كبرى وإلى أشراط صغرى. ومن أهل العلم من قسمها إلى ثلاثة أقسام، أشراط صغرى ووسطى وكبرى، والأول هو المعتمد والثاني اصطلاح تفسيري، ولكن ليس ثم ما يدل عليه من وجود الوسطى، وإن كانت موجودة وداخلةً في الصغرى. أما تعريف الأشراط الصغرى فهي ما دل الدليل على أنه من علامات قرب الساعة، وليس من العشر آيات التي جاءت في الحديث أنها تكون بين يدي الساعة. فهي حصلت –الأشراط الصغرى– في زمن النبي ﷺ ولا تزال تحصل وتحصل إلى بدء الأشراط الكبرى، فيأتي تفصيل الأشراط الصغرى والكبرى –إن شاء

الله-، فمن أهل العلم من جعل الأشراط الصغرى -كما ذكرت لك- ما قرب من عهد النبي ﷺ فهي صغرى، وما بعد من عهده فهي وسطى إلى حدوث الأشراط الكبرى، والأول هو المعتمد في بابه.

المسألة الثالثة:

الأشراط الصغرى كثيرة جدًا ومتنوعة ولا يدل كون الحدث من أشراط الساعة على مدحه أو ذمه، بل هي آيات ودلائل على القرب، فتارة تكون ممدوحة غاية المدح منها بعثة محمد ﷺ، وانشقاق القمر باعتباره آية لمحمدٍ ﷺ، ومنها فتح بيت المقدس، وقد تكون مذمومة محرمةً أو مكروهة، أو تكون واقعة كونية فيها ابتلاء أو عقوبة للعباد، والمقصود من ذلك أن ما جاء في الدليل أنه من آيات أو أشراط الساعة فلا يدل كونه من أشراط الساعة على أنه ممدوح أو مذموم إلا بدليلٍ آخر أو بحقيقة الأمر. وأشراط الساعة الصغرى كثيرة جدًا جدًا، فمما يشار إليه فيها ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره، حديث عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال: ((اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأكل فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال...)) إلى آخر الحديث. ومنها مما حدث -هذه حدثت قريبًا من عهده)) ﷺ، ومنها مما حدث بعيدًا عن عهده ﷺ النار التي خرجت من المدينة في القرن السابع الهجري، في نحو سنة أربع وخمسين وستمائة، فقال ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز أو من المدينة تضيء لها أعناق الإبل ببصرى)). ومنها ما يكون قريبًا من الأشراط الكبرى، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى ألفت فيها مؤلفات كثيرة في جمعها وجمع الأحاديث التي جاءت في ذكر أشراط الساعة، وهي من العلم النافع الذي يدل على صدق النبي ﷺ فيما أخبر به؛ لأنه ولا شك أخبر عن أمر غيبي لم يحدث، وكان خبره صدقًا ويقينًا، فهذه الأخبار التي فيها أنه بين يدي الساعة يكون كذا أو

لا تقوم الساعة حتى يكون كذا، أو من أشراط الساعة كذا أو اعدد بين يدي الساعة كذا، هذا كلها تدل على صدقه ﷺ، ثم أيضًا تدل على أن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها؛ لأن النبي ﷺ أخبر بحدوث هذه الأمور وحدوثها حصل، وكان حقًا كما أخبر به ﷺ لهذا كان التحديث بأشراط الساعة الصغرى والكبرى وذكرها مما يقوي اليقين ويقوي الإيمان، وهو من دلائل نبوة محمدٍ ﷺ.

المسألة الرابعة:

الأشراط الكبرى، الأشراط الكبرى يُعنى بها العلامات والآيات التي تكون قريبةً من الساعة بحيث إذا حدثت، فإن يوم القيامة قريب جدًا جداً، وسميت كبرى لأنها آيات عظيمة، تحدث ليس في حسبان العباد أن تحدث، ولم يكن لها دليل قبلها أو لها ما يشابهها. وهذه الأشراط الكبرى عشر كما جاءت في الأحاديث، ولكنها جاءت في عدة أحاديث غير مرتبة، يعني من جهة الوقوع، وهنا ذكر الطحاوي -رحمه الله- في هذه الجملة، ذكر أربعة من أشراط الساعة، ذكر خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم، وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وهذه أربعة من عشرة أشراط، وهو هنا ذكر الأشراط الكبرى؛ لأنها هي العظيمة وهي الآيات الكبيرة التي يجب الإيمان بها. وهذه العشرة هي خروج الدجال -وهي مرتبة الحدوث كما أسوقها-، أول ما يحدث خروج الدجال، ثم نزول عيسى بن مريم -عليه السلام- من السماء، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ثم طلوع الشمس من مغربها، ثم خروج الدابة على الناس ضحى، ثم الدخان، ثم خروج النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر. وفي ترتيب الدخان، هل هو قبل طلوع الشمس من مغربها، أو هو بعد طلوع الشمس. فيه خلاف بين أهل العلم، والأظهر هو ما ذكرت لك من الترتيب.

أما الآية الأولى الكبرى: وهي التي نص عليها هنا وهي خروج الدجال، فالدجال جاءت النصوص الكثيرة بخروجه، وأنه سيخرج من محبس هو فيه إذا أذن الله –جل وعلا– بخروجه، وأنه بشر من جنس البشر، لكنه أعور العين كأن عينه عنبة طافية، أو عنبة طافئة، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) ثلاثة حروف يقرأها كل مؤمن، يعني كافر، يعطيه الله –جل وعلا– من القدرة ما تحار معه الألباب فيقول للناس: إني ربكم. فيكون معه جنة ومعه نار، وتكون فتنته تستمر في الأرض أربعين، وتكون فتنته أعظم فتنة حدثت في الأرض؛ لأنه يدّعي أنه رب العالمين وأن معه جنة وأن معه نار وأنه يحيى الموتى، فيأتي في ذلك وتحرم عليه مكة والمدينة والملائكة تحرسها ويخرج إليه شاب فيقول له: أنا ربك. فيقول له: أنت الدجال الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ. فيقول للناس: أنا أقتل هذا ثم أحييه، فيقتله ثم يحييه فيقول: قد ازددت الآن بك علمًا. يعني أنك الدجال، وهذا من خيرة الناس على وجه الأرض، أو خير الناس على وجه الأرض في زمانه. والدجال لا يخرج حتى لا يذكر في الأرض، وما من نبي إلا حذر أمته فتنة المسيح الدجال، ولهذا كان من المتأكدات على المؤمن في كل صلاة قبل السلام أن يستعيذ بالله من أربع، ومنها فتنة المسيح الدجال. وأخبار المسيح الدجال والأحاديث التي جاءت فيه كثيرة متنوعة معروفة في كتب السنة وفي كتب من ألَّف في أشراط الساعة، لكن ننبه في هذا على عدة أمور:

الأول: أن المسيح الدجال لم يكن حيًا في عهده ﷺ، والأحاديث التي جاء فيها أنه حي وأنه رئي إما في المدينة كقصة ابن صايد وابن صياد، أو في حبسه في جزيرة خرج إليها بعض الصحابة فرأوه فقصوا ذلك على رسول الله ﷺ، كل هذا لا يدل على أنه كان في ذلك الزمن وأنه يبقى إلى وقت خروجه، وإنما في قصة الجزيرة في قصة الرجل المحبوس وسؤاله عن النبي

ﷺ الحديث الذي رواه مسلم المعروف، من العلماء من حكم عليه بالشذوذ ومنهم من قال: خرج آيةً جعله الله آية للدلالة على صدق رسول الله ﷺ، وليس مستمر الحياة.

والمقصود من هذا أن الدجال بشر يخلقه الله –جل وعلا– في وقتٍ من الأوقات، ثم يأذن. بخروجه من مكان هو فيه على ما يشاء ربنا –ﷻ–. وخروج الدجال يكون بعد خروج المهدي، والمهدي ليس من أشراط الساعة الكبرى، وإنما يكون قريبًا من خروج الدجال، والمهدي سمي مهديًا؛ لأن الله –جل وعلا– يهديه ويصلحه في ليلة، كما جاء في الحديث الصحيح أنه يذهب إلى مكة في حين اختلافٍ من الناس يعني الناس لا أمير لهم ولا إمام ولا جماعة فيعوذ بالبيت فيخرج إلى الحرم، يعني إلى مكة فيلوذ بالكعبة، ثم يأتيه الناس فيأمرونه بالخروج ويبايعونه، وقوله ﷺ: ((يصلحه الله في ليلة)) اختلف العلماء في هل معناه يصلحه في أمر دينه، ولم يكن صالحًا؟ أو أنه يصلحه لأمر الولاية وإمارة الناس، والأظهر هو الثاني، أنه يصلحه الله في ليلة لإمارة الناس ولقيادتهم، وهو من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، واسمه كاسم محمدٍ ﷺ، محمد بن عبدالله، وجاء في الأحاديث صفاته وبلغت الأحاديث التي فيها ذكر المهدي بأسانيد صحيحة وحسان وضعاف، أكثر من أربعين حديثًا، ولهذا قال طائفة من أهل العلم: إن أحاديث المهدي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي. يعني الذي في جملته لا في أفراده، يدل على أن المهدي سيكون آخر الزمان قرب خروج الدجال، وفي قصة المهدي أنه حين يصيح صائح: إن الدجال خلفكم في أهليكم وأولادكم أو أموالكم. فينقسم الناس في القصة المعروفة التي لا مجال لسردها لطولها المقصود أنه في أثناء ولاية المهدي وغزوه وجهاده وانتشار الخيرات في وقته، يخرج الدجال فتعظم فتنته، ثم ينزل عيسى –عليه السلام–، وهو حي الآن، ينزل من السماء في دمشق عند المنارة

البيضاء شرقي دمشق، والنبي ﷺ كما روى ابن ماجه وغيره، أنه ينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق، وهذه المنارة، ثم يدرك الدجال في باب لُدٍ فيقتله هناك، وأصله في مسلم، وهذا قبل وجود المنارة، وقبل بناء المسجد الأموي، والمنارة البيضاء الآن معروفة في دمشق، فما أصدق رسول الله ﷺ، وما أعظم ما بينه لأمته ﷺ.

إذا نزل عيسى بن مريم، هذه ثاني الآيات ثاني أشراط الساعة، نزول عيسى بن مريم، والله -جل وعلا- دل على نزوله في القرآن بقوله -جل وعلا-: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** ﴾، وقد جاء في الصحيح أن أبا هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم حكماً عدلاً مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال في عهده -أو في وقته- حتى لا يقبله أحد، ويؤمن به أهل الكتاب))، قال أبوهريرة -رضي الله عنه-: واقرأوا إن شئتم: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** ﴾. وقوله هنا: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾، المقصود به قبل موت الكتابي أو قبل موت عيسى بن مريم من أهل العلم من قال بالأول أنه قبل موت الكتابي سيؤمن بعيسى بن مريم، وأكثر أهل العلم وأهل التفسير على أن المقصود به قبل موته، يعني قبل موت عيسى بن مريم؛ لأن سياق الآية والآيات قبلها يدل على ذلك، وظاهرها أيضًا وهو قوله: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ** ﴾، يعني بعيسى ابن مرين -عليه السلام- ﴿ **قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾، يعني موت عيسى أيضًا بن مريم -عليه السلام-. وهذا في معنى الآية التي في سورة الزخرف وهي قوله -جل جلاله- في ذكر عيسى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾، وفي القراءة الأخرى: "وأنه لعَلَمٌ للساعة"، والعلم هو العلامة والشرط، "عَلَمٌ للساعة"، يعني شرط من أشراط الساعة. وهو

الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة واتفق عليه، حتى إن أبا هريرة -رضي الله عنه- إذا ساق ذلك قال لمن يروي له هذا الحديث: فإذا رأيت عيسى بن مريم فاقرئه مني السلام. ويرويها من بعده لمن بعده يقول: فإذا رأيت عيسى بن مريم فاقرئه مني السلام. وهذا من شدة إيمانهم وتصديقهم بعيسى -عليه السلام- الذي، وبنبينا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. عيسى -عليه السلام- يمكث ما شاء الله في الأرض أن يمكث، ثم يموت ثم يُصلى عليه. ويخرج في عهده -عليه السلام- في عهد عيسى يأجوج ومأجوج، وقد جاء ذكرهم في القرآن في سورتين، في سورة الكهف وفي سورة الأنبياء، قال -جل وعلا-: ﴿ **حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ** ﴾ ، يعني الساعة وفي سورة الكهف: ﴿ **إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً** ﴾ الآية. فدلت الآيتين، فدلت الآيتان على مسألتين:

الأولى: أن يأجوج ومأجوج موجدان اليوم، وموجدان قبل ذلك، فهما قبيلان، أو قبيلتان، أو شعبان كبيران يعظم أمرهما عند قيام الساعة.

والفائدة الثانية: أنهم يأتون من كل حدب، قال في آية الأنبياء: ﴿ **وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ** ﴾، والحدب هو الجهة وينسلون، هذا من النسلان، وهو السير ليلاً، وهم يأتون من كل جهة فربما مروا على البحيرة العظيمة فشربوا ماءها... إلى آخره فخروج يأجوج ومأجود في عهد عيسى -عليه السلام- هذا من آيات الساعة الكبة، ثم يدعو عليهم عيسى -عليه السلام- فيموتون، ثم تنتن الأرض التي هم فيها بنتن أجسادهم، فيأمر الله -جل جلاله- ريحاً، أو طيوراً بحملهم في البحر.

الرابع من الآيات والخامس والسادس : ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وهذه الخسوف الثلاثة، خسوف

عظيمة لم يسبق أن حدث مثلها، الزلازل وخسوف الأرض تحديث في الأرض وهي من آيات الله -ﷻ-، يبتلي بها ويعذب بها، ولكنها آيات عند قرب قيام الساعة، لم يحدث لها مثيل، فهي غير مألوفة، خسوف عظيمة كبيرة تكون في الشرق وفي الغرب وفي جزيرة العرب. والخسف معروف، أنه ذهاب الأرض إلى أسفلها.

الشريط الرابع والخمسون . وجه (ب) :

يعني ذهاب علو الأرض إلى أسفلها..، وطلوع الشمس من مغربها جاء ذكره في القرآن وكذلك في السنة الصحيحة، كما في قوله -جل وعلا-: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً** ﴾. والتوبة لا تزال مقبولة من العبد ما تطلع الشمس من مغربها، وطلوع الشمس من مغربها حق وصدق وهي آية غير مألوفة؛ لأن المألوف أن الشمس تطلع من الشرق، ثم تغرب في الغرب، فكونها تعود من حيث جاءت أو من حيث غربت تعود من الغرب إلى الشرق، هذه آية عظيمة غير مألوفة تجعل الناس جميعًا يؤمنون. ولهذا إذا طلعت الشمس من مغربها فإن الناس يؤمنون لكن لا تنفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً فيبقى بعد طلوع الشمس من مغربها الناس فيهم المؤمنون الذين آمنوا قبل ذلك، قبل طلوع الشمس من مغربها، وفيهم المنافقون والكافرون والمشركون، ثم تخرج الدابة، والدابة حيوان عظيم الخلقة يعطيه الله -جل وعلا- القدرة على وسم الناس، كما قال -جل وعلا- في آخر سورة النمل: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ** ﴾، ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم** ﴾، يعني بقيام الساعة وطلوع الشمس من مغربها ﴿ **أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ** ﴾. قال -جل وعلا-: ﴿ **تُكَلِّمُهُمْ** ﴾، وفي قراءة أخرى: ﴿ **تَكْلِمُهم أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا**

لاَ يُوقِنُونَ ﴾ و ﴿ **إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ** ﴾، يعني بفتح الهمزة من أن، وكسرها. وقوله "تكلمهم" و "تكْلمهم"، قراءتان صحيحتان تدلان على معنيين مختلفين، أما المعنى الأول فإنها تكلم وتحدث الناس وهي آية، وعادة الحيوان أنه لا يكلم الناس فهي تكلم الناس بلغاتهم، وبما يفهمونه عنها، والعلامة الثانية فيها أن تَكْلم الناس بمعنى أنها تسم الناس، والوسم سماه الله – جل وعلا– هنا كلْمًا؛ لأنه يكون معه كلْم الجلد والتأثير في الجلد، كما يحصل في وسم الدواب فإنه لابد فيه من جرحٍ فيها أو من أثرٍ فيها، فتسم الناس هذا مؤمن وهذا كافر، وهذه هي الآية الثامنة، ثم بعد ذلك تأتي –وليست من الآيات–، تأتي ريح، ريح يرسلها الله –جل وعلا– خفيفة في ليلة فتقبض أرواح أهل الإيمان، أو يموت معها أهل الإيمان، فيبقى أهل الكفر والنفاق والشرك يتهارجون في الأرض كتهارج الحمر، فلا يقال في الأرض الله الله كما جاء في الصحيح، يعني لا يقال في الأرض اتق الله اتق الله، أو اذكر الله اذكر الله. ثم يكون الدخان، والدخان حصل مرة، كما في سورة الدخان، ولكنه ليس بالآية العظيمة كالدخان الذي يحصل قرب قيام الساعة، فذاك دخان يغشى الناس من أولهم إلى أخرهم في الأرض كلها، ويشتد معه الخطب والأمر. ومن أهل العلم من قال: إن الآية في سورة الدخان المقصود بها ما هو في قيام الساعة. يعني قرب قيام الساعة، وفي الأحاديث أن –هو السنة– أن الدخان حصل في المسلمين، يعني رآه المسلمون والمشركون في مكة، وهذا غير هذا. وآخرها نار تخرج من جنوب الجزيرة، من قعر عدن، يعني يبدأ خروجها من هذا الموطن، ثم تنتشر في الأرض فتحيط بالناس تحشرهم إلى أرض المحشر، تبيت معهم وتقيل معهم، وهذا أيضًا آية عظيمة أن ناراً تتحرك تمشي تقف مع الناس ومع خوفهم، حتى تحشر الناس إلى أرض المحشر. ثم بعد ذلك يحصل النفخ في الصور النفخة الأولى، نفخة الفزع، ثم

يكون أربعون ثم بعد ذلك تكون نفخة، يعني نفخة الفزع والصعق ثم بعد ذلك أربعون، فتكون نفخة البعث، أعاننا الله –جل وعلا– على كربات يوم القيامة وغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا.

المسألة الخامسة:

الناس في ما كتبوا من أهل العلم في أشراط الساعة ما بين مصيب مدقق، وما بين متساهل، ولهذا المؤلفات في هذا الباب كثيرة جدًا، ويعني ما بين كتب مؤلفة مستقلة، وما بين شروحٍ في كتب مطولة، لكن ينبغي لطالب العلم أن يتحرز في هذا الأمر، وذلك لأن أشراط الساعة أمر غيبي، والأمور الغيبية يجب أن يسلم لها إذا صح فيها الدليل، إذا كان الدليل من كتاب الله – جل وعلا– أو كان الدليل مما صح من كلام النبي ﷺ، وفيها ما في جنس أخبار الغيب؛ لأنه لا يتعرض لها في مجاز ولا في ما ينفي حقيقتها ولا بالتأويل الذي يصرفها عن ظواهرها، فباب التأويل والمجاز مرفوض في مسائل الغيب جميعًا، أو رد هذه الآيات بالعقلانيات، وأن العقل يحيل مثل هذا، هذا كله مردود ولهذا تجد في الكتب المؤلفة والشروح ربما ما يصرف الأحاديث عن ظاهرها، والواجب هو التسليم لها. وهذا يدخل في مقتضى الشهادة للنبي ﷺ؛ لأن من مقتضى الشهادة، ومعناها تصديقه ﷺ فيما أخبر، كل ما أخبر به من أمور الغيب ومن قصص السالفين ومما لم تدركه، فيجب التصديق به والإيمان بذلك؛ لأنه ﷺ يبلغ عن ربه –جل جلاله– وتقدست أسماؤه، والناس في مسائل أشراط الساعة –كما ذكرت لك في أول الكلام– منهم من يتأولها وينفي ما لا يدل عليه العقل، ويأخذ بما يدل عليه العقل، ومنهم من يتأول بعضًا ومنهم من يؤمن بها على ظاهرها كما جاءت؛ لأنها أمور غيبية وهذا هو الذي ينبغي. لهذا تجد مثلاً أن في نزول عيسى –عليه السلام– والمهدي إذا ذهب ويعني جاهد، أنه يكون مثلاً بالسيف وبالخيل، والسيف والخيل قال فيها

ﷺ: ((إني لأعرف أو لأعلم أسماء خيلهم ولون، وألوانها))، أو كما جاء عنه ﷺ. وهذا تأكيد لحقيقة، وكذلك أشراط الساعة الأخرى مثل خروج الدجال وأن يسمع به الناس، فمن الناس من قال: إن الدجال -مثلاً- يركب الطائرة. مما ألف في هذا الباب، يركب الطائرة، وأنه يسمع الناس بخبره عن طريق كذا وكذا من الآلات التي هي موجودة الآن، وهذا مما لا يصلح أن يثبت ولا أن ينفى، بل الواجب في مثل هذا التسليم للخبر؛ لأنه إثباته فيه إثبات أن هذه الأشياء ستبقى إلى خروجه، وهذا ما ليس لنا به علم، والنفي أيضًا نفيٌ بما لم ندرك علمه، والواجب في هذا التسليم، وأن لا يخوض الناس في عقلياتٍ تنفي ظاهر الأدلة، فنؤمن بها كما جاءت ولا ندخل فيها -كما ذكرت- بتأويل أو بمجازٍ يصرفها عن ظواهرها.

المسألة السادسة:

عيسى بن مريم -عليه السلام- إذا نزل فإنه ينزل تابعًا لشريعة محمدٍ ﷺ؛ لأنه ببعثة محمد ﷺ وجب على من يكون حيًا أن يؤمن به، ولهذا عيسى -عليه السلام- إذا نزل وكان الإمام يصلي بالناس، أو يريد الصلاة فيأتي يتأخر ليتقدم عيسى -عليه السلام- فيقول عيسى -عليه السلام-: لا، إمامكم منكم تكرمة الله لهذه الأمة. وهذا فيه الدلالة من أول وهلة، من أول لحظة على أنه تابعٌ لمحمدٍ ﷺ وليس رسولاً متجددًا، يعني كما كان قبل بعثة محمدٍ ﷺ. ولهذا إذا نزل -عليه السلام- فإنه يكون حاكمًا بكتاب الله -جل وعلا- وبسنة رسوله ﷺ. وينطبق في حده -عليه السلام-، ينطبق في حده أنه صحابي أيضًا؛ لأنه رأى النبي ﷺ ليلة المعراج حيًا، وينزل بعد ذلك متبعًا له ويموت على اتباعه لمحمدٍ ﷺ وهذا ينطبق عليه حد الصحابي أنه من لقي النبي ﷺ ساعةً مؤمنًا به ومات على ذلك. ولهذا بعض أهل العلم ربما ألغز فقال: من رجلٌ من أمة محمدٍ ﷺ هو أفضل من أبي بكرٍ بالإجماع؟ ربما ألغز بعض أهل العلم وليس من الألغاز السائرة يعني

المشهورة، من رجلٌ من أمة محمدٍ ﷺ هو أفضل من أبي بكرٍ بالإجماع؟ والجواب أنه عيسى -عليه السلام-؛ لأنه تفضيله؛ لأن رسول ومن أولي العزم من الرسل وهو من أتباع محمدٍ ﷺ بعد نزوله. فبعد أن ينزل هو يخاطب ويحكم في الأرض بشريعة الإسلام؛ لأن شريعة الإسلام ناسخةٌ لما قبلها من الشرائع.

المسألة السابعة:

أشراط الساعة ربما حلا لبعض الناس أن ينزلها على الواقع الذي يعيش فيه دون تحقيق في انطباقها على ما ذكر. لهذا ألف من ألف من المعاصرين في أن هذه العلامة أو هذا الشرط هو كذا بعينه، وهذا مما لا يتجاسر العلماء عليه، بل يتحرون فيه أتم التحري، فإن تطبيق الواقع على أنه هو ما أخبر به النبي ﷺ هذا يحتاج إلى علم؛ لأنه إخبار ربما تؤول إليه أحاديثه وهذا يحتاج إلى علم والله -جل وعلا- يقول: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ** ﴾، يعني ما تؤول إليه حقائق أخباره، وهذا ربما لم يظهر لكل أحد، يعني الآية في يوم القيامة، لكن انتظار التأويل، يعني ما تؤول إليه حقائق الأخبار، بعضها ظاهر مثل بعثة النبي ﷺ انشقاق القمر، موت النبي ﷺ، الموتان -يعني الطاعون الذي حصل في طاعون عمواس في سنة ثمانية عشر من الهجرة-، ونحو ذلك مثل النار التي خرجت من المدينة، لكن في بعضها يكون ثم اشتباه، هل هو منطبق أو ليس بمنطبق؟ هل هو تمت أو -يعني هذه الصفات منطبقة أو ليست كذلك؟ ولهذا كما ذكرت لك في أول الكلام، أن أشراط الساعة إيرادها من الشارع إنما هو لأمرين، لأجل الإيمان بها، ثم لتكون دلالة من دلائل نبوة محمدٍ ﷺ، فوجود الأحاديث أو ذكر الشيء من أشراط الساعة لا يقتضي مدحًا ولا ذمًا، ولا نستفيد منه حكماً شرعيًا، مثلاً حديث ((لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد))، وكما في حديث عمر المشهور في قصة جبريل: ((قال: أخبرني عن الساعة. قال: ما

المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أشراطها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان))، منهم من طبق أن تلد الأمة ربتها على عصرٍ من العصور، أو على وضع من الأوضاع، ومنهم من طبق الحفاة العراة العالة رعاء الشاة على وقتٍ من الأوقات. ومثل ما جاء من نطق الحديد، ((مثل وأن تحدث المرأة عذبة سوطه))، ومثل ((نهى أن يتباهى الناس))، أو من ((لا تقوم –الحديث الذي في السنن–، لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد))، هل هذا يقتضي ذم هذا الفعل؟ أو لا يقتضي –يعني ذماً ولا مدحًا–؟ يعني هل يحكم عليه بالكراهة لأجل هذا الحديث؟ المعتمد عند أهل العلم أن مثل هذه الأحاديث لم ترد للأحكام الشرعية، وإنما وردت للإخبار بها لتكون دليلاً على نبوته ﷺ ولابتلاء الناس بالإيمان بخبره ﷺ فيظهر المسلّم له ﷺ من غير المسلّم. لهذا احذر من التطبيق، تطبيقها وخاصة فيما يشتبه قد مرت أزمات ومرت فتن ومرت أشياء من الناس من طبق، فأخطأ في ذلك، وهو ربما بنى على تطبيق أشياء من التصرفات أو الأحوال، فأخطأ في ذلك خطأً بليغًا وظهر بيان خطئه. لهذا ما المقصود من إيراد أهل السنة والجماعة الإيمان بأشراط الساعة وذكر أشراط الساعة وتقسيمات ذلك؟ ليس المقصود منه التطبيق، وإنما المقصود منه ما ذكرت لك من الأمرين العظيمين:

الأول: دلالة من دلالات نبوة النبي ﷺ فيدخل ذكر أشراط الساعة في دلائل النبوة.

والأمر الثاني: أن يبتلى الناس بالإيمان بها، كما أخبر بذلك النبي ﷺ. نكتفي بهذا القدر، وعلى العموم مباحث أشراط الساعة كثيرة، والفت فيها عدة مؤلفات يمكن أن ترجعوا إليها للمزيد، حتى الشارح ابن أبي العز –رحمه الله– اقتضب جدًا في شرحه فاقتصر على إيراد الأحاديث الواردة في هذا الباب.

نجيب على بعض الأسئلة، من أفضلها كتابة "النهاية" للحافظ ابن كثير، أنه محرر ومن الكتب المعاصرة، كتاب "أشراط الساعة" ليوسف الوابل وكذلك كتاب "أتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة" للشيخ العلامة حمود بن عبدالله التويجري –رحمه الله تعالى–، ونحو هذه الكتب.

سؤال : هل إيمان أهل الكتاب بعيسى –عليه السلام– إيمانٌ ينفعهم، أو إيمان إقرار لا ينفعهم؟

الجواب : إذا نزل فكسر الصليب، وقتل الخنزير ووضع الجزية، فآمن به أهل الكتاب واتبعوه، يعني اتبعوا ما أمر به من شريعة الإسلام، فإنه ينفعهم، أما إذا آمنوا به، يعني إيمانًا بنزوله لا بما جاء به وإلى ما دعى إليه، هذا لا ينفع؛ لأن هذه المسألة ترجع إلى الأصول العامة. هذا مثل، هل هذا في زمن عيسى؟ أم في غيره؟ الحديث هذا صحيح كما هو معلوم، يعني هل هو في زمن عيسى أم غيره؟ لا، ما نحدد، يعني ربما يكون قبل ذلك ثم تحدث فتنة، وربما المقصود منه بعض البيوت، لا كل بيوت الأرض.

سؤال : ما رأيكم في القول، بأن قوله: ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ على نحو قوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾؟

الجواب : إذا كان المراد بقوله: ﴿ **فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾، الأشراط الكبرى فهو على نحو قوله: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾، يعني قرب المجيء ودنا، ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ** ﴾، يعني بقيام الساعة: ﴿ **فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾، يعني قرب جدًا، ﴿ **فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾، إذا كان المقصود الأشراط الكبرى، يعني فسرت الأشراط بالأشراط الكبرى فيكون جاء بمعنى قرب ودنا ميجيؤها مثل ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ** ﴾، هذا صحيح، لكن التخصيص بأن الأشراط هنا هي الأشراط الكبرى دون الصغرى –يحتاج إلى دليل، والنبي ﷺ في حديث جبريل جاء ذكر أشراط الساعة وفسرها بالأشراط الصغرى: ((قال أخبرني عن

الساعة. ثم قال له: أخبرني عن أشراطها. قال: أن تلد الأمة ربتها))، إلى آخره كما ذكرت لك آنفًا هذه من الأشراط الصغرى. إذًا حمل آية سورة محمد -عليه السلام- على الأشراط الصغرى دون الكبرى يحتاج إلى دليل، والأمران وشمول الآية للأمرين أولى.

سؤال : إن المسيح الدجال لم يكن حيًا في زمن النبي ﷺ ألا يعارض هذا شك النبي ﷺ في ابن صياد، هل هو المسيح الدجال أو لا؟ وكذلك أقسام بعض..؟

الجواب : المسألة معروفة من جهة البحث، لكن فيه في قصة ابن صائد أنه لما ذهب إليه عمر، لما ذهب إليه النبي ﷺ ليراه قال: "ما ترى"؟ ثم قال له: "إني أرى الدخ ولم يكمل. فقال له ﷺ: ((إخسأ فلن تعد وقدرك))، لأنه علم أنه كاذب، لهذا الأظهر فيه أنه كاهن صفته كانت مقاربة للصفة، لكن الدجال أمره يختلف. وابن صائد مات، مات ودفن بإجماع الناس في ذلك الزمان.

سؤال : أين يوجد يأجوج ومأجوج؟

الجواب : لا أعلم.

سؤال : ما علاقة ابن الصياد بالدجال؟ وهل رأى الصحابة ابن صائد؟

الجواب : نعم ابن صياد أو ابن صائد كان موجودًا في المدينة، وظهر عليه بعض العلامات وخشي أن يكون الدجال، لكن من المعلوم أن الدجال لا يخرج من المدينة، الدجال يخرج من مكانٍ هو فيها محبوس، وهذا الرجل مات ودفن.. إلى آخره، فالقول: انه هو أن الدجال هو ابن صائد. ليس بصواب، الصحابة شكوا ثم تبيّن، لهم هذا الأمر، ومن اقسم على أن ابن صياد هو الدجال، هذا بحسب ظنه، أو أن المقصود أنه دجال من الدجاجلة.

سؤال : ما رأيكم فيمن قال: إن يأجوج ومأجوج هم شعوب الصين؟

الجواب : هذا محتمل، لكن ما فيه ما يدل على الجزم به؛ لأن بعض الصفات التي وردت منطبقة عليهم، في أشكالهم، لكن بعض الصفات بأنهم قصير القامة جدًا وبعض الصفات، قد ما تنطبق من كل جهة، والتحديد ما الذي يفيد فيه؟ يعني كانوا شعوب الصين أو شعوب أخرى أو ناس يكثرون في قرب زمن خروج عيسى -عليه السلام- يكثرون جدًا ويتناسلون ثم يذهبون للناس، يعني ما الذي يختلف من ذلك؟ ويأجوج ومأجوج مثل ما ذكرنا لك سابقًا موجودون، من زمن الأنبياء قط ﴿ **إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ** ﴾، وأنهم يخرجون في زمن. فهم شَعْبَان، أو قبيلان، أو قبيلتان كبيرتان موجودة، لكن ما المقصود بها، قد يكون الصين وقد يكون غير ذلك، أنا لا أعلم؛ لأن ما عندي ما يحدد ذلك بدليل.

سؤال : ورد حديث فيه التردد بين خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، أيهما أول خروجًا، فما الجواب عنه؟

الجواب : يعني الحديث الذي في صحيح مسلم بأن هذا خرجت إحداهما، كانت الأخرى تليها، وهذا الحديث إذا كان فيه التردد فإن الأحاديث الأخرى دلت على أن خروج الدابة تكون على الناس ضحى، ضحى أما طلوع الشمس طلوع ما يكون بعد الضحى، الطلوع يكون وقت الطلوع يعني في أول إدبار الليل وإقبال الصباح في الصحيح أن طلوع الشمس من مغربها أول ثم بعد ذلك خروج الدابة، وهذا يقتضيه أيضًا المعنى؛ لأن طلوع الشمس من مغربها، هذا خلاص فاصلة الإيمان، يعني من لم يؤمن من قبل لا ينفعه إيمانه، ثم الدابة لتسم الناس وتَكْلِمَهُم.

سؤال : ألا يكون مفرد أشراط هو شَرَط؟ أما شرط فجمعة شروط؟

الجواب : هذا صحيح، لكن هو يصح شرْطٌ وشَرَط، وهذا كثير يعني الشَرْط وشَرَط في المفرد يتبادلان، يعني من حيث القياس ومن حيث النفل، مثل نهْر ونَهَر وسمْع وسَمَع، وفي القرآن في القراءات في كثير تناوب بين فَعْلٌ وفَعَل في المفرد الذي جمعه أفعال، فالنهر "وكان بينهما نَهْرًا" وفي القراءة الأخرى "وكان بينهما نَهَرًا" اللي هو قراءتنا. وجمع النهر أنهار وأنهر، فالمسألة صحيحة، شَرْط وشَرَط ولا يعني استعمال الشرط فيما ذكر أنه، المقصود أنها صحيحة شَرْط وشَرَط كلها... يعني الأسئلة اللي تحتاج إلى، يعني البحث فيها معروف ما لها داعي سؤالها، يعني مسألة عن كفر التكذيب والجحود وأنه نسبت إلى بعض العلماء... إلى آخره، هذا البحث فيها معروف.

سؤال : كيف تكون أطوار حياة الدجال الأولى؟

الجواب : الله أعلم. والله يعيذنا من فتنته. هم حذروا من الفتنة وخوفوا الناس من الفتنة، من فتنة المسيح الدجال. وبالمناسبة ما ذكرت المسيح الدجال والمسيح عيسى بن مريم، اشتركا في اسم المسيح، والمعنى مختلف، المسيح في الدجال فعيل بمعنى مفعول، يعني لأنه ممسوح، ممسوح العين اليسرى وعينه الأخرى كأنها عنبة طافية، يعني بارزة، هذا مسيح بمعنى ممسوح، يعني إحدى العينين غير موجودة أعور والمسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – فهو مسيح بمعنى ماسح فاعل؛ لأنه كان إذا مسح على مريضٍ أو من يشتكي أبرأه الله –جل وعلا– كما جاء في القرآن في سورة آل عمران والمائدة: ﴿ **وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي** ﴾. في بعض الكتب يقولون: المسيخ. وإلا لا؟ ما أدري عنها ما عرفت وش أصلها، المسيخ بمعنى منسوخ؟ هل هو ممسوخ هو؟ هل جاء في الأحاديث ممسوخ أو مسيخ؟ أنا ما أعلم يعني فيها،

لكن الأحاديث كلها إلا في الصحيح والسنن وكلها المسيح المسيح بالحاء لا بالخاء.

سؤال : يقول: حبذا لو بيّنت لي قول بعض العلماء: إن القدرة لا تتعلق بالمستحيل، بل لا تتعلق القدرة إلا بالممكن بخلاف العلم. وهل هذا القول صحيح؟

الجواب : يحتاج تأمل، ما استحضر، لكن كأنها من كلمات الأشاعرة، القدرة لا تتعلق بالمستحيل، بل تتعلق القدرة بالممكن، القدرة قدرة الله –جل وعلا– تتعلق بكل شيء كما هو نص القرآن: ﴿ **وَكَانَ اللَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً** ﴾، ﴿ **واللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ** ﴾، ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾، ﴿ **وَكَانَ اللَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً** ﴾، ونحو ذلك. فالقدرة متعلقة بكل شيء، وكل شيء –هذه– تشمل ما أذن الله –جل وعلا– بوقوعه وما لم يأذن بوقوعه أما تعلقها بالممكن من قال: تتعلق بالممكن. فالممكن وقوعًا أو الممكن إذنًا، فهذا الكلام فيه صلة بكلام الأشاعرة والماتريدية ونحوهم ممن يعلقون القدرة بما بشاؤه الله –جل وعلا– وما يأذن به، والقرآن فيه الرد على هذا القول من جهتين، الأولى في عموم كل شيء في الآيات التي ذكرت لك، والثانية في أية سورة الأنعام في قوله: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً** ﴾، قال –جل وعلا–: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾، هل حصل هذا العذاب من الفوق، من قول؟ قال ﷺ لما قرأها: ((أعوذ بوجهه))، ﴿ **أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ قال: ((أعوذ بوجهه)، ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً** ﴾، قال: ((هذه أهون)) وهذه وقعت كما في الحديث الثاني أن النبي ﷺ سأل ربه ثلاثًا فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة، فهناك أشياء –كما في نص الآية– الله –جل وعلا– قادرٌ عليها ولم يأذن بوقوعها، فهي من جهة الوقوع ما دام لم يأذن الله –جل وعلا– بها ولم تقع،

لكن تعلقت بها قدرته. فإذًا دلت الآية على أن قدرته –جل وعلا– متعلقة بكل شيء بما شاء أن يقع وبما لم يشأ أن يقع، وهذا هو قول أهل السنة خلافً لقول الآخرين، وفقكم الله لما فيه رضاه.

الشريط الخامس والخمسون . وجه (أ) ١٤٢٠/١٠/٢٩ هـ

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فأسأل الله –جل وعلا– أن يصلني وإياكم برحمته وأن يتقبل منا قليل طاعته، وأن يبارك لنا في أعمالنا وأقوالنا وأعمارنا، أنه –جواد كريم–. ثم نجيب عن بعض الأسئلة في فاتحة هذا الدرس.

سؤال : آمل شرح "الواسطية" بعد الانتهاء من الطحاوي؛ لأن غالب الطلبة لم يحضروا شرحكم وكثير من إحالتكم للواسطية، فما رأيكم إعادة الشرح وهو خير؟

الجواب : هذا يحتاج إلى تأمل، لكن ما أظن في النية ذلك؛ لأنه مشينا على عددٍ من الكتب والرغبة أن تبقى مسجلة في الأشرطة، لينتفع منها الناس، فالابتداء بكتبٍ جديدة أولى لتبقى محفوظةً في الأشرطة ويمكن طالب العلم أن يرجع إلى الشرح، موجود ليستفيد مما هو موجود، إن شاء الله؛ لأن فيه كتاب "مسائل الجاهلية"، لإمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ما أكملناه، وعدد من الإخوة اختاروا إكماله ونأخذ عددًا من الكتب اثنين، ثلاثة معه، علشان يصير الدرس متنوع، ما بعد قررنا، إن شاء الله يكون خير.

سؤال : تعلمون كثرة الكلام حول استعمال الرجال للدفوف، وتسرع البعض بالتحريم، نرجو منكم تبيين الحكم؟

الجواب : استعمال الدف للرجال العلماء اختلفوا فيه على عدة أقوال: فمنهم من رأى المنع والنهي عن ذلك؛ لأنه إنما أبيح للنساء في العرس وليالي الفرح، وأما الرجال فهم باقون على أصل المنع، وهذا ذهب إليه جمع من أهل

العلم في ذلك، واستدلوا له؛ بأن امرأة كانت تضرب الدف عند رسول الله ﷺ فلما دخل عمر ألقت الدف تحتها وجلست عليه فقال ﷺ ((لا يا عمر إن الشيطان يفرق منك))، فاستدلوا بقوله: ((إن الشيطان يفرق منك)) بأن هذا من عمل الشيطان والأصل في أعمال الشيطان أنها محرمة. والقول الثاني أنه يباح الدف للرجال ويستدل أهل هذا القول بعدة أدلة منها أن النبي ﷺ أقر الضرب بالدف بين يديه، وأتته امرأة فقالت يا رسول الله: إني نذرت إن رجعت سالماً أن أضرب على رأسك بالدف، فقال: ((أوفي بنذرك)) فدل على أن الضرب بالدف واستماع الرجل له ليس بمحرم؛ لأنه قال: ((أوفي بنذرك)) ولا نذر في معصية الله –جل وعلا–، هذا الحديث رواه أبوداود وغيره بإسناد جيد، واستدل له أيضاً ببعض أعمال السلف والكلام في المسألة راجع إلى بعض الأحوال، كالفرح بعرسٍ أو بعيدٍ أو في حربٍ أو في افتخارٍ ونحوهما، هل يباح مطلقاً أم في هذه الصور التي جاء في الدليل ما هو من جنسها؟ العلماء مختلفون في ذلك، والمسألة تحتاج إلى مزيد تحرير، وكثير من علمائنا يمنعون منها لسد الذريعة في ذلك.

سؤال : يقول صلى الله عليه وسلم لعمار: ((تقتلك الفئة الباغية))، هل هنا معناه أن فرقة معاوية، فرقة باغية؟

الجواب : قول النبي ﷺ لعمار بن ياسر: ((تقتلك الفئة الباغية)) هذا حديث صحيح، وأهل اعلم يستدلون به على أن الحق مع علي –رضي الله عنه– وأصحابه، وأن معاوية –رضي الله عنه– ومن معه، أنهم كانوا متأولون وبغوا، على علي –رضي الله عنه– وإنما فعلوا ذلك باجتهاد وكما هو معلوم. ولهذا لما قيل لمعاوية هذا الحديث إن عماراً تقتله الفئة الباغية، قال: إنما قتله الذين أخرجوه، يعني ما قتلناه، قتله الذين أخرجوه بأمر ليس بحقٍ، فتأول حتى الحديث وجعل علياً –

ﷺ- ومن معه هم الذين بغوا على أولياء دم بني عثمان -ﷺ- والصواب في ذلك هو ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة من الترضي عن الجميع واعتقاد أن الصواب والحق مع علي -ﷺ- وأصحابه، وأن معاوية -ﷺ- بغى على علي فيما ذهب إليه، وأنه لم يكن أيضاً هذا، يعني كل ما حصل باختيار معاوية ﷺ-- بل كان ثم من يفسد بين الفئتين وهم الخوارج قاتلهم الله المقصود من ذلك أن محبة الجميع فرض، ومعاوية -ﷺ- كاتب وحي النبي ﷺ ولا يجوز التنقص منه، وولايته كانت من خير الولايات، يعني هو خير ملكٍ ملك؛ لأنه صحابي وأقام الجهاد واجتمعت عليه الأمة في وقته، وعليٌ -ﷺ- من هذه الجهة لم تجتمع عليه الأمة، ولذلك حصل من الخير ومراغمة الأعداء وقتال أعداء الله وجهاد المشركين، وسعت انتشار الإسلام في وقت معاوية ما لم يحصل في خلافة علي -ﷺ- فلهذا الله أعلم بمواقع حكمته وقدره، ولكن علي -ﷺ- هو المصيب وهو الحق وهو الخليفة الراشد وهو رابع الخلفاء رابع المبشرين بالجنة، وهو أفضل وأعلى مقاماً من معاوية -رضي الله عنهم جميعاً- بلا شك، ولكن معاوية كان في ذلك متأولاً وكان في عهده من الخير ما يحمد له.

سؤال : ما رأيكم بموسى الموسوي، قرأت له ردوداً عن الإمامية، وقيل إنه شيعي؟

الجواب : هذا موسى الموسوي أحد الإمامية الرافضة، نقم على الخميني دعوته في ولاية الفقيه وفي بعض أمور السياسة فرحل إلى أمريكا وأنشأ له هناك داراً ومركزاً وألف بعض الكتب باللغة الإنجليزية والبعض باللغة العربية، وبعض كتبه "كالشيعة والتصحيح" ، "الشيعة والتشيع"، "يا شيعة العالم استيقظوا" ونحو هذه الكتب مفيدة في الرد على الشيعة وبيان أن منهم من يرد عليهم من كتبهم وأنهم متناقضون وأن الحق ليس معهم وأن عندهم من

التناقض وعندهم من مخالفة ما عليه أكابرهم المتقدمون، ما يدل على فساد ما ذهبوا إليه، فكتبه مفيدة في باب، لكن هو يذهب إلى شيء يجب أن تنتبه إليه وهو أن الشيعة حق وأن التشيع حق وأن الجعفرية حق، وأنه لا يجوز أن يتعدى على التشيع من حيث هو وأن السنة والشيعة فرقتان من فرق الإسلام لا ينبغي أن يكون بينهما كبير فرق، ومع هذا رد على الشيعة في مواضع كثيرة مثلاً أذكر له في كتابه "الشيعة والتصحيح" ذكر عدة مسائل منها مسألة العصمة، مسألة ترك صلاة الجمعة، زواج المتعة، وأيضاً ذكر في مسألة مهمة عقد لها باباً سماه "الشيعة ومراقد الأئمة" وذكر في هذا نقداً واضحاً وتضليلاً للذين يقدسون الأئمة ويتجهون إلى مراقدهم بالحج، يعني إلى قبورهم، وقال حتى في صدر هذا الباب، إن صح حفظي، يقول: يحلو –في أول أسطر منه– يحلو لبعض الفئات أن تجعل معظمهم مقدساً ويجعلون عليه خلعاً من صفات الإله، كما فعل الناس من المسلمين بمعظميهم، فلدى السنة معظمون خلعوا عليهم من صفات الإله وجعلوا يذهبون إليهم بالذبائح والنذور والطلبات والاستغاثات، وللشيعة أيضاً مقدسون ومعظمون خلعوا عليهم من صفات الإله، ولم ينجو –هذه عبارته– من هذا التخريف إلى الطائفة الموسومة بالسلفية، فعلى العموم عنده ما عنده، وكتبه تستفيد منها، يستفيد منها طالب العلم في بعض الأمور وخاصة في مسألة متى بدأ القول بالعصمة؟ متى بدأ الانحراف، انحراف الشيعة عن أقوال الأوائل؟ أرخها في كتبه تأريخاً جيداً، وبيّن أن بداية الانحراف كانت في أوائل المائة الرابعة، بدأ القول بالعصمة وبدأ الانحراف عن طريقة أئمتهم الأولين فيرد عليهم من كلام بعضهم.

سؤال : اختلف العلماء والمفسرون في القول عن حقيقة تأويل كذبات إبراهيم –عليه السلام– فما الأقوال المرجحة في ذلك؟

الجـواب : مـا أدري وش معنـى تأويـل كـذبات إبـراهيم، يعنـي اختلـف المفسـرون فـي تأويـل الكـذبات فـي الحـديث، مـاذا يعنـي بهـا؟ علـى كـل حـال الكذبات التـي ذكرت فـي الحديث هـي معروفـة ((ثـلاث كذبات كلهـا فـي ذات الله، قولـه: إنـي سقيم.وقولـه هذا ربـي، وقولـه لزوجـه سارة: هذه أختـي)) وكـان متـأولاً فـي ذلـك وصـادقاً وإذ فيهـا مصـلحة، فهـو خشـي أن تجعـل مـن الكـذب باعتبار الظاهر لا باعتبار الباطن.

سؤال : الأرض متـى تزكـى؟ هـل يكـون ذلـك إذا عرضـها للبيـع كلفـظ الحديث؟ أم إذا نوى أن تكون هذه الأرض مثلاً استثماراً تجارياً؟

الجواب : الأرض إذا ملكها المسلم بفعله بنية التجارة، ثم أعدها للبيع فإنه حينئذٍ فيها الزكاة، فتزكى زكاة عروض تجارة، تقوم بعد حولٍ من ملكها، ملك تجارة، وإعدادها للبيع تقوم وتزكى قيمتها إذا كانت عنده، وإذا لم تكن القيمة –يعني الزكاة– عنده، يعني يمكنه أن يخرج مما عنده فإنه ينتظر حتى يبيعها، ثم يخرج زكاتها، والأصل في ذلك عند العلماء حديث سمرة الذي رواه أبوداود وغيره قال:كنا نؤمر أن نخرج الصدقة مما نعده للبيع، وهذا الحديث رواه أبـوداود وإسناده فيـه مجاهيـل، ولكـن قـال بعـض أهـل العلـم: إن إسـناده مقارَب أو مقارِب، بفتح الراء أو كسرها. وهذا لأجل أنها نسخة رويت بها، روي بهـا عـدد مـن الأحاديـث ولـيس حـديثاً واحـداً، والنسـخ ربمـا اغتفـر فيهـا العلمـاء علـى اعتبـار أنهـا وجـادة تتناقـل بالإسـناد مـالا يغتفـر فـي التحـديث، والصحيح أن إسناده ضعيف، ولكنه مأخوذ به لدلالة عددٍ من الأحاديث على زكـاة عـروض التجـارة منهـا، مـا رواه الحـاكم بإسـناد جيـد أن النبـي ﷺ قـال: ((وفـي البـز صـدقته)) والبـز هـو القمـاش الـذي يبيعـه التـاجر، ومنهـا مـا رواه البخاري في صحيحه وغيره لما منع ابن جميل وخالد الزكاة، والعباس قال ﷺ ((أما ابن جميل فما نقم إلا أن كان فقيراً ثم أغناه الله من فضله، وأما خالد

فإنكم تظلمون خالداً فإنه احتبس أسيافه وأدرعه في سبيل الله، وأما العباس فهي علي ومثلها))؛ لأنه تقدم بصدقة سنتين. والشاهد منه على زكاة عروض التجارة قوله في شأن خالد -رضي الله عنه- ((إنه احتبس أسيافه وأدرعه)) وهم نقموا على خالد أنه لم يخرج الصدقة من الأسياف والأدرع، والنبي ﷺ اعتذر له لا بأن زكاة عروض التجارة ليست بواجبة، ولكن بأنه أوقفها، وإذا كان أوقفها فقد خرجت من ملكه فحينئذٍ تكون ملكاً للمسلمين أو للمجاهدين فحينئذٍ لا زكاة فيها. فالصحيح الذي عليه جمهور العلماء للأدلة التي ذكرت وللأصول العامة أن عروض التجارة فيها الزكاة بشرطين، الشرط الأول: أن يملكها بفعله والثاني: أن ينوي بها التجارة من حين ملكه إياها، ولعلماء الفقه تفاصيل في إذا حوله، يعني من نية التجارة إلى نية السكنى، ثم عاد وما شابه ذلك، لكن فيما ذكرنا ما هو كافٍ في هذا المقصود. أما إذا الأرض ملكها ليبني عليها عمارة، أو مسكناً، عمارة للتأجير أو ليسكن فيها أو بنى له بيتاً ليسكنه أو ليؤجره هذه لا زكاة فيها، الزكاة أن ينوي بها التجارة في نفسها، يعني عروض التجارة، ينوي بها الربح، ما معنى التجارة؟ معناه الربح، يعني أنه يشتريها ليطلب بها الزيادة، هذا داخل في أصل المال أنه مال قابل للنماء... إلى آخره، ومن أهل العلم ممن يقولون: بزكاة عروض التجارة، من يقول: لا تجب زكاة العروض إلا في الأموال المدارة. وهو قول الإمام مالك ابن أنس -رحمه الله تعالى- وهو مذهب المالكية، فيجعلون الأموال الجامدة غير المتحركة لا زكاة فيها، وأما الزكاة في حق من يملك الأموال المدارة، بمعنى تاجر عقار يبيع ويشتري يبيع ويشتري، تاجر أسهم يبيع ويشتري، واحد عنده محل دائماً يغير، يدير المال فهذا هو الذي يقدره في وقت من السنة ويزكيه؛ لأنه مدير وليس كل أحدٍ يعتبر مديراً عندهم، لكن ظاهر الأدلة أن عروض التجارة تجب إذا كانت للتجارة سواءً أكان مديراً أم لم يكن مديراً . وهذا له ارتباط بأساس

المال؛ لأن هذا المال الذي اشترى به هذه الأرض هو قابل للنماء فشراؤه للأرض هذه للتجارة، أو عمارة للتجارة، أو لشيء للتجارة هذه هو يطلب فيها النماء، استمرار النماء، وما كان كذلك فهو داخل تحت الأصل في وجوب الزكاة في الأموال التي تقبل النماء، وخرج من نحو قوله ((ليس على المسلم في فرسه ولا عبده ولا داره صدقة)) لأنه ليس معداً للنماء. والله أعلم.

سؤال : ثبت أن الله تعالى خط التوراة لموسى بيده، فهل ثبت أن الله تعالى ناوله التوراة بيده من يده؟

الجواب : ما أعلم ذلك، وظاهر القرآن لا يدل عليه.

سؤال : يقول: أدرس في إحدى الثانويات، وعندنا مدرس ينصح باستماع أشرطة الدكتور/ طارق السويدان لجميع الطلاب، ويأتي بها إلى المدرسة لبيعها بأسعار مخفضة ما رأيكم في هذا؟ أرجو الإجابة لأهميته والاختلاف فيها.

الجواب : لا يطلق القول في الأشرطة، أشرطة الأخ المذكور، لا يطلق القول بردها جميعاً أو بقبولها جميعاً، منها ما هو حسن ومنها ما عليه فيه ملاحظات وهو ليس بطالب علم يحسن مواضع الخلاف ومواضع العقيدة، وإنما أراد أن يبسط قصص الأنبياء ويبسط السير بأسلوب ينفع الناشئة، فاجتهد في ذلك، فما أخطأ فيه يجب الانتباه لذلك وحذفه من الشريط، أو بيان ذلك له ليصحح ذلك، ولا يطلق القول بأنها كلها نافعة أو كلها غير نافعة، بل ينبغي النظر فيما اشتملت عليه، وبعض الإخوة ذكر لي أنه فيما مضى جاء هنا لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز –رحمه الله– وأنه نبهه على بعض الأشياء وأنه صححها في الأشرطة الجديدة، ما أدري عن صدق هذا الكلام أو يعني عن دقته، المقصود أن بعضها إذا كانت نافعة فيراجع قبل ثم بعد ذلك

لا بأس من نشرها، وإذا كان فيها خطأ، أو غلط في العقيدة أو تساهل مع أهل الفرق الضالة أو نحو ذلك فهذا لا يجوز التساهل فيه. اقرأ.

المتن :

ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

الشرح :

قال –رحمه الله تعالى– في أواخر هذه العقيدة المباركة، العقيدة الطحاوية: (ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.) وهذه الجملة منه في عقيدته يريد بها تقريراً أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو أنهم لا يصدقون من يدعي شيئاً من علم الغيب، أو يدعي حالاً مخالفة لما دل عليه القرآن وسنة النبي ﷺ وما أجمعت عليه الأمة في صدرها الأول، وسبب إيرادها في العقيدة، أن زمنه كثر فيه من ينتسب إلى الأولياء ويكون له أحوال شيطانية، ويكون له هدي يخالف به ما يجب على الأولياء من طاعة الله ورسوله ومعاداة الشياطين وربما كان منهم من يدعي بعض علم الغيب، فيكون كاهنًا أو يخبر ببعض المغيبات فيكون عرافًا أو يكون على حالٍ لم يكن عليها السلف ولا ما أجمعت عليه الأمة فيكون مدعيًا لشيء يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهذا كما أنه كان في الدجالين فكذلك كان في السحرة والكهنة حقيقة وكذلك في بعض من ينتسب إلى الصلاح والطاعة ظاهرًا وهو في الباطن من إخوان الشياطين ومواليهم، وما ذكر ظاهر الدليل من كتاب الله –ﷻ– ومن سنة رسوله ﷺ ونذكر تحت هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

الله –ﷻ– هو المختص بعلم الغيب فلا يعلم أحدٍ الغيب، بل الله –جل وعلا– هو الواحد الأحد وهو العالم بغيب السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن، قال –جل وعلا–: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾، وقال –جل وعلا– في سورة النمل: ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ وقال –جل وعلا–: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ..** ﴾ الآية، وكذلك في قوله –جل وعلا–: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيمٌ خَبِيرٌ** ﴾، فدلت هذه الآيات على أن علم الغيب مختص بالله –جل وعلا–، والمقصود به علم الغيب المستقبل، يعني ما سيكون في الأرض ولا في الماء هذا ما يعلمه على الحقيقة إلا الله، والناس يخرصون في ذلك، فواجب اعتقاد أن الله –جل وعلا– هو الذي يعلم الغيب وحده –ﷻ وتقدست أسماؤه، ومن ادعى شيئًا من علم الغيب فإنما هو من الشياطين أو من إخوان الشياطين، كما قال –جل وعلا–: ﴿ **وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا** ﴾ فذكر أن الجني يستمتع بالإنسي بعبادته له وتقربه له، وأن الإنسي يستمتع بالجني بما يخبره من المغيبات وما يكون، وهذا دلت عليه أيضًا عدد من الأحاديث عن النبي ﷺ، وكانت الكهانة وهي ادعاء ما يستقبل من الأمور، من الغيبيات أو العرافة –وسيأتي تفسيرها– كانت من الأمور الشائعة في زمنه –عليه الصلاة والسلام–، وقبل ذلك من أمور الجاهلية، قد روى مسلم في الصحيح أن معاوية ابن الحكم السلمي أتى النبي ﷺ وقال له: منا رجال يتكهنون. فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، قد جاء أيضًا في الحديث ((ليس منا من تكهن أو تُكهن

له)) وسيأتي باقي الأحاديث في الكهانة. وسبب ادعاء علم الغيب في الناس من قبيل الكهان أو العرافين أو المنجمين أو من شابههم، وأن الشياطين تمدهم بالمعلومات، والشياطين قد تمدهم بمعلومات كاذبة وقد تمدهم بمعلومات فيها صدق، وقد يكذب الكاهن أو العراف أو المنجم مع ما أتاه من المعلومات مائة كذبة أو أكثر، وهذا سببه ما يصدقون فيه من الإخبار بالمعلومات سببه أن الله -ﷻ- إذا أوحى بالأمر في السماء وأمر ملائكته به مما ينفذه في خلقه؛ لأن الملائكة منفذون لأوامر الله -جل وعلا- فإن الشياطين أعطاهم الله -جل وعلا- القدرة على الاستماع وعلى الصعود وأن يعلو بعضهم بعضًا فيما أقدرهم الله عليه، فربما استمعوا إلى بعض ما يوحيه الله -جل وعلا- لملائكته وما يلقيه الملائكة بعضهم إلى بعض، ولأجل هذا ملئت السماء بالشهب وحرست بالنجوم التي تقتل من يسترق السمع كما قال -جل وعلا-: ﴿ * **إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ** *﴾ وقال: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى** ﴾ في بعض التفاسير فجعل الله -جل وعلا- في السماء رجوماً للشياطين وهي هذه الشهب، وإذا كان كذلك فإن ملء السماء بالشهب واسترق السمع له تفصيل، سيأتي إن شاء الله -تعالى- في مسألة لاحقة.

المسألة الثانية:

قال: (ولا نصدق كاهنًا ولا عرافً) العلماء اختلفوا في معنى الكاهن والعراف وتفسير هذا وهذا على عدة أقوال، وظاهر صنيع المؤلف الطحاوي -رحمه الله- أنه يفرق بين العراف وبين الكاهن. وسبب التفريق أن الأحاديث جاء فيها ذكر الكاهن وجاء فيها ذكر العراف، ذكر الكاهن مفردًا والعراف مفردًا وجاء فيها ذكر الكاهن والعراف مجموعتان، مجموعين مما يدل على الفرق بينهما. لهذا إذا نظرت إلى أصل اللغة، فإن كلمة تكهن وكاهن غير كلمة تعرف وعارف وصيغة المبالغة عراف؛ لأن التكهن هو رجم الإنسان

بالغيب فيما لا يعلم، يعني أنه يستقبل ما سيأتي بما لا علم له به، ويدخل في ذلك عموم الظن، لكن الظن ليس معه ادعاء لعلم الغيب وأما التكهن فصار فيه ظنٌ هو في الأصل، يعني في اللغة، وظن فيما سيحصل مستقبلاً، لهذا يجوز لغةً أن يقول القائل: تكهنت أنه سيكون كذا وكذا. على اعتبار، يعني في المستقبل أنه يظن أنه سيكون كذا وكذا، ثم شاع هذا الاسم فيمن يدعون علم الغيب بواسطة الشياطين، فصار لقبًا واسمًا على طائفةٍ مخصوصة وهم الذين يخبرون الناس، يتولون هذه الصنعة ويخبرون الناس عما سيكون من أحوالهم فيما يستقبلون من الزمان، فإذًا صار الكاهن، كما عرفه بعض العلماء على هذا الاعتبار، هو من يقضي ويخبر بالمغيبات، وأما لفظ العراف فهو في اللغة أصله من عرف أو تعرف يتعرف فهو متعرف أو عراف، وهو الذي يُعرف بأمور غيبية يعرفها فيخبر بها، وهذا يشمل الأمور الغيبية في الزمان الماضي، يعني مما حدث أو مما سيكون؛ لأن المعرفة والتعرف تشمل الماضي والمستقبل، لكن خص في بعض الاستعمالات بأنه من يخبر عن الأمور التي حصلت وانتهت مما خفي عن الناس، كالإخبار عن مكان المسروق، أو الضالة، أو عن شيء أضاعه الإنسان، أو عن شيء حصل وخفي عن الناس، ونحو ذلك من المسائل. إذا نظرت إلى هذا الأصل اللغوي وارتباط ذلك بحال أهل الجاهلية، فالعلماء اختلفوا في ذلك على عدة أقوال:

القول الأول: أن الكاهن هو القاضي بالغيب، وهو الذي يخبر عن أمور مستقبلة من الغيب مستعينًا في ذلك بالشياطين. والعراف هو الذي يخبر عما خفي مما حدث وغاب عن الناس بالاستعانة أيضًا بالشياطين.

القول الثاني: أن الكاهن يعم الجميع، فالعراف أخص والكاهن يدخل فيه من يخبر بأمور مستقبلة أو ماضية غائب عن الناس أو التنجيم، أو نحو ذلك فيجعلون الكاهن اسمًا عامًا لكل من يدعي شيئًا من علم الغيب، فيدخل

فيه صور كثيرة من الضرب بالرمل ومن الودع ومن الاستقسام بالأزلام وخشبة أبا جاد والطرق بالحصى ونثر السبح والخط بالرمل ونحو ذلك مما هو شائع عندهم. وأدخل فيها طائفة من المعاصرين -كما سيأتي بيانه- التنويم المغناطيسي وما يجري مجراه، والعراف أخص من هذا، فيكون مخصوصًا باسم، والاسم العام الكاهن.

القول الثالث: هذا القول الثاني هو المشهور عند أهل العلم والأكثر عليه -أن العراف أشمل والكاهن أخص منه؛ لأن الكاهن مخصوص بالعلم المستقبلي على حسب قولهم- والعراف لكل من يدعي شيئًا من علم الغيب. وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقله عنه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتاب "التوحيد". والراجح من هذه الثلاثة أن الكاهن اسم غير اسم العراف، فالكهانة لها صفتها وأحكامها، والعراف له صفته وأحكامه على نحو ما ذكرنا في القول الأول.

المسألة الثالثة:

دلت الأدلة في سنة النبي ﷺ على أن تصديق الكاهن أو العراف، أنه محرم بل كفر، وعلى أن إتيان الكهنة والعرافين فيها إثم كبير، فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث حفصة، ولم يسمها مسلم بل قال عن بعض أزواج النبي ﷺ، وهي حفصة أم المؤمنين أن النبي ﷺ قال: ((من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة))، وجاء في السنن، أو جاء في سنن أبي داود حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((من أتى كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد))، عليه الصلاة والسلام. وفي مسند الإمام أحمد أيضًا من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)) وإسناده صحيح. فدلت هذه الأحاديث على أن إتيان الكاهن أو العراف منهيٌ عنه وأن سؤاله

كبيرة من كبائر الذنوب إثمها عظيم يترتب عليه أن لا تقبل صلاة المرء أربعين ليلة من عظم الإثم، وأنه إن سأل فصدق فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ. إذا تبين ذلك فقوله ﷺ: ((من أتى عرافًا فسأله عن شيء)) هذا فيه عموم، سأله عن شيء يعني عن أي شيء، سواء كان فيما مضى عن الضالة أو عن شيء مفقود، أو عن شيء في المستقبل فإنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة. وسبب ذلك أن العراف لا يستدل على ما غاب بأمور ظاهرة أو بتجربة أو بأسباب معلومة، وإنما يستعين بالجن، والاستعانة بالجن شرك؛ لأن الجن لا يعينون الإنسان إلا إذا تقرب إليهم وأعطى بعض العبادة لهم ومكنهم ليستمتعوا به، كما قال -جل وعلا-: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادوهُمْ رَهَقاً** ﴾، يعني زاد الجني الإنسي رهقًا وإثمًا وبلاءً ((لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)) اختلف العلماء هنا، هل عدم القبول يعني الإجزاء، ولكنه لا يثاب؟ أم أنها لا تقبل بمعنى أنها لا تجزئه لو صلى، ولكن يجب عليه أن يفعلها، يعني أن يقيمها، وأنه لا يثاب عليها؛ لأنها لم تقبل منه؟ وهذا في نظائره في تفسير عدم القبول، هل عدم القبول يعني عدم الإجزاء، أو عدم الثواب؟ والظاهر هنا أن عدم القبول بمعنى عدم الثواب، لكنه إذا أداها سقط عنه الفرض، لإجماع الأمة أنه لا يجب عليه أن يعيدها بعد انقضاء الأربعين ليلة، وأما تصديق الكاهن أو العراف، يعني إذا سأل كاهنًا فصدقه، فما في الحديث ظاهر، وهو أنه قال: ((فقد كفر بما أنزل على محمد))، هذا في حال السائل المصدق، فكيف بحال الكاهن نفسه؟ يعني توعد السائل الذي يأتي يسأل ويصدق أنه قد كفر، فكيف بالكاهن أو بالعراف؟ لهذا هنا مسألتان:

المسألة الأولى:

في حكم الكاهن أو العراف، والصحيح أنهم إذا استعانوا بالشياطين في ذلك، يعني لم يكونوا دجالين وإنما فعلاً يخبرون عن استعانة بالشياطين، فإن هذا كفر ويجب استتابتهم فإن تابوا وإلا قتلوا عند كثير من أهل العلم، على تفصيلٍ مر معنا في حكم الزنديق وأمثاله.

المسألة الثانية:

وفي حال السائل قال ﷺ: ((فقد كفر بما أنزل على محمد))، وهنا الكفر، هل هو كفر أكبر مخرج عن الملة أم كفر أصغر؟ كفر دون كفر؟ أم يتوقف فيه فلا يقال: كفر أكبر ولا كفر أصغر؟ لعدم الدليل على ذلك، ثلاثة أقوال لأهل العلم .

الشريط الخامس والخمسون . وجه (ب)

ومن أهل العلم من المعاصرين وممن قبله من قالوا:

إنه كفر أكبر بظاهر قوله: ((فقد كفر))، ويفتي بها عدد من مشايخنا هنا، ومن أهل العلم من يقول: هو كفر دون كفر. وهذا أظهر من حيث الدليل لأمرين:

الأمر الأول: أن النبي ﷺ كما في رواية أحمد، قال: ((من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)) فرتب عدم قبول الصلاة على السؤال والتصديق معًا، ولو كان السائل الذي صدق كافرًا فإنه لا تقبل له صلاة حتى يتوب دون تحديد. بمدة معلومة.

والسبب الثاني: في ترجيح هذا القول، أن الناس يصدقون العراف والكاهن لا على اعتبار أنهم يدعون علم الغيب وأنهم ينفذون على علم الغيب بأنفسهم، ولكن يقولون هذا –يعني ربما قالوا هذا من استراق مما استرقته الشياطين– فيكون لهم شبهة فيما يصدقون به، وهذه الشبهة تمنع من أن يعتقدوا فيهم أنهم يعلمون علم الغيب مطلقًا. وهذا يكثر في حال من يصدق

من ينتسبون إلى الصلاح ويظهر عليهم الولاية والصلاح، ويخبرون بالمغيبات والناس يصدقونهم على اعتبار أنهم يحدثون بذلك، ولهم في ذلك -كما ذكرت- شبهة وهذه تمنع من إخراجهم من الملة والكفر الأكبر. لهذا صار الصحيح هو القول بأن تصديق الكاهن، يعني في الخبر المغيب بخصوصه، يعني من أتى فسأل فصدق بالخبر بعينه، أنه هذا كفر دون كفر لا يخرج من الملة، لكن يجب معه التعزير البليغ والردع حتى ينتهي عما سماه النبي ﷺ كفرًا.

والقول الثالث: وهو رواية عن الإمام أحمد أنه يتوقف فيه فلا يقال: هو كفر أكبر ولا أصغر؛ لأن الحديث أطلق ثم لبقاء الردع في الناس والتخويف في هذا الباب.

المسألة الرابعة:

الشبهة التي ذكرنا من استراق السمع هي التي جاءت فيها الآيات أن الشهاب يرسل على الشيطان أو على الشياطين الذين يسترقون السمع واستراق السمع له ثلاثة أزمنة:

الزمن الأول: ما كان قبل البعثة قبل أن يوحى إلى محمد ﷺ يعني في حال أهل الجاهلية والناس، وهذا كان كثير لحكمة لله -جل وعلا- في ذلك، كان استراق السمع كثيرًا، ولذلك كان ما يخبر به الكهان ويصدقهم الناس فيه كان كثيرًا،

المرحلة الزمنية الثانية: بعد أن أوحي إلى النبي ﷺ فإن السماء ملأها الله -جل وعلا- حرسًا شديدًا، وشهبًا، كما قال -جل وعلا- في سورة الجن مخبرًا عن قول الجن في صدر السورة: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً** ﴾، إلى أن قال: ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً** ﴾، فدل على أنها ملئت ولم يعهدوا ذلك من

قبل، يعني أن الله –جل وعلا– جعلها محروسةً، لأجل وقت تنزل وحيه على رسوله محمد ﷺ حكمة منه وإلا فالله –سبحانه– قادر على أن لا يأذن بشيء من استراق السمع، لكن لله –جل وعلا– الحكمة والابتلاء لعباده، فمنعوا من الاستماع ومنعوا من استراق السمع، وبقي ما ينفذ القليل جدًا بالنسبة إلى ما سبق.

المرحلة الثالثة: هي ما بعد عهد النبي ﷺ فإن ظاهر الأدلة يدل على أنها لم تخلوا السماء أو لن تخلوا بعد ذلك من الشهب ومن حراستها في ذلك، لئلا يدعي أحد النبوة وتكثر الشبهة معه فيما يخبر بالمغيبات ممن يدعي النبوة، وإذا كان الأمر كذلك في هذه الأحوال الثلاثة فإن ادعاء علم الغيب كفر إذا كان ادعاء علم الغيب كفر إما لتهجمه على ما يختص الله –جل وعلا– به، أو لأنه لا يدعي علم الغيب إلا من يستعين بالجن ويتقرب إليهم، وأما الذي يصدق من يدعي علم الغيب في بعض الأحوال، مثل ما ذكرنا، فهذه له تفاصيل ذلك، والواجب أن يعتقد أن الغيب –كما قدمت لك في أول المسائل– أن الغيب مختص بالله –جل وعلا– ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً** ﴾، وهذا يعم؛ لأن أحدًا نكرة في سياق النفي فتعم كل أحد، ثم استثنى الله –جل وعلا– فقال: ﴿ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً** ﴾ فاستثنى الله –جل وعلا– الرسول الملكي، والرسول البشري فيما يطلعهم عليه من علم الغيب لدليل صدقهم، أو لحكمة الله –جل وعلا– في ذلك.

المسألة الخامسة:

الكهانة والعرافة متنوعة الصور، ففي الزمن الأول كان لها صور متعددة مثل الضرب بالحصى ومثل الخط، هذه لو كان هنا فيه يعني لوحة بينت لكم كيف يضربون بالحصى وكيف يخطون، ويصلون إلى النتيجة

بزعمهم، ويتضح لك أنه دجل؛ لأنه لا دليل منطقي ولا سبب كوني ولا شرعي يدل على النتيجة التي يدعونها، لكن يدجل على الناس بأن يجعل شيئاً لا يفهمه الناس، يدعي الكاهن أو العراف أو الضارب بالحصى والرمل..، إلى آخره يدعي أنها تدله على المعلومة، وهي في الحقيقة لا يستدل عليها بالحظ، لا يستدل عليها بالخشبة التي يكتب عليها، لا يستدل عليها بالحصى وإنما هي من الشياطين، وهذه الأشياء الصورة المختلفة منها ما هو قديم، ومنها ما هو حديث في أنحاء شتى، لكن كلها يظهرون أنها سبب وليست بسبب، وبخصوص الخط فإنهم يدعون دجلاً وكذبًا أن هذا من علم الله لبعض أنبيائه، من علم الله لبعض أنبيائه، وهذا قد يذكر بعضهم عليه قول النبي ﷺ لما سئل عن الخط قال: ((كان نبي يخط)) كما رواه مسلم في الصحيح، ((كان نبي يخط فمن وافق خطه فذاك)) يعني أن أصل الخط أنه آية لنبي من الأنبياء علمه الله –جل وعلا– نبيًا من الأنبياء ليكون دلالةً على ما يعلمه الله –ﷻ–، بقي في الناس لكن لا يوافقون آية النبي؛ لأن آية النبي لا يستطيع أحد أن يفعلها؛ لأنها آية مختصة به ولو كانت آية النبي تكون لكل أحد لما خص النبي بالآية، لهذا قال: ((كان نبي يخط)) ثم قال: ((فمن وافق خطه فذاك)) قوله: ((فمن وافق خطه فذاك)، هذا من الإحالة على مستحيل، يعني أن أحدًا من هؤلاء الذي يخطون والكهنة والعرافين ومن نحا نحوهم لا يمكن لأحدٍ أن يقول: هكذا خط ذاك النبي. أو أن هذه آية من جنس آية ذاك النبي.. الكهنة والذي يخطون ويدعون علم الغيب من أن الخط كان من عند الأنبياء فيرد عليهم بهاتين الجهتين:

الأول: أنه آية، وآية النبي لا يمكن لأحدٍ أن يدركها.

والثاني: أن النبي ﷺ أحال على مستحيل فقال: ((فمن وافق خطه فذاك))، وهذا لا يمكن لأحد أن يدركه. لهذا الخط في الرمل والضرب

بالحصى والخشب وأنواع ذلك هذه من الصور القديمة وهي موجودة الآن في بعض البلاد، وهي كلها من وسائل الكهان ومن نحا نحوهم. ومن الصور الحديثة التي اختلف فيها العلماء هل تدخل من الكهانة أم لا تدخل؟ وهل هي من استخدام الجن وعلم الغيب، أم لا تدخل؟ ما يسمى بالتنويم المغناطيسي، وهذا له صفة وثم كتب كثيرة مؤلفة في ذلك من مختصين في هذا، في أوروبا وفي مصر وفي لبنان، فيه معاهد تعلم هذا الذي يدعون أنه فن أو علم من العلوم، وقد أفتت اللجنة الدائمة عندنا، أفتت اللجنة الدائمة في فتوى مشهورة مطولة بأن التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة واستخدام الجن ليتسلط الجني –حسب ما عبروا– على الإنسي فيحمله ليرتفع عن الأرض ويخبر بأمور مغيبة ويتسلط على نفسه وعلى روحه، فيكون له عليها سلطان. وثم صور كثيرة واليوم في عدد من البلاد –والعياذ بالله– ثم معاهد لتعليم عددٍ من هذه الأمور المنكرة، والواجب على المسلمين جميعًا أن ينكروا هذا أشد الإنكار؛ لأنه تهجم على ما يختص الله –جل وعلا– به أولاً، ثم لأنه لا يكون إلا بالإشراك بالله –جل وعلا– إذا صدق استخدامهم للجن، ثم ثالثاً إنه فتح لباب الدجل وباب الكذب على الناس، وأخذ أموال الناس بالباطل. وما يأخذه المتكهن من المال فهو حرام عليه وخبيث كما جاء في الحديث الصحيح: ((حُلْوان الكاهن خبيث))، يعني أنه كسب محرم خبيث، وقد جاء غلام عند أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– فأعطاه طعامًا فأكله أبوبكر –رضي الله عنه–، ثم قال الغلام: أتدري من أين هذا؟ قال: لا. قال: كنت تكهنت. يقول غلام أبي بكر لأبي بكر –رضي الله عنه–، يقول: كنت تكهنت لرجلٍ في الجاهلية فأعطاني هذا الحلوان. فجعل أبو بكر –رضي الله عنه– يدخل يده، يدخل إصبعه في فيه حتى قاء كل ما في بطنه. فهذا من حيث الكسب حرام، من حيث السؤال حرام، وذلك لعظم هذا الذنب فإنه لا يجوز إقراره، ويجب على من يقدر على إنكاره أن ينكر وعلى

أهل الحسبة ومن يلي هذا الأمر بخصوصه أن لا يتساهلوا في ذلك، وكذلك على الدعاء إلى الله –جل وعلا– وأهل العلم أن يبينوا ذلك؛ لأنه من مسائل التوحيد. نكتفي بهذا القدر، وثم مسائل أخرى متعلقة بالجملة الأخرى وهي قوله: (ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة) نرجئها –إن شاء الله تعالى– إلى الدرس القادم، وأظنه بقي عندنا أربعة دروس –إن شاء الله– وتنتهي من هذا الكتاب العظيم، ألحقني الله وإياكم خيرًا، وجعلنا ممن تعلم العلم له، إنه –سبحانه– جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

سؤال : قال بعض أهل العلم: إنه لا يستعان بالجن لا مسلمهم ولا كافرهم. وذكر أن كون الجن يخبرون أنهم مسلمون فهذا لا يصدق؛ لأنه من علم الغيب، فنؤمن أنه من الجن من هو مسلم وكافر... إلى آخره؟.

الجواب : الاستعانة بالجن حرام، سواء كانت استعانة بالجني الكافر الشيطان أم الجني المسلم، وذلك لعدة أدلة منها أن استمتاع الإنسي بالجني والإنسي بالجني محرم في نصوص الكتاب والسنة، وأنه لا يستثنى من ذلك، لم يرد الدليل بالاستثناء ولا بالتخصيص، فبقاء الأمر على عمومه بما يشمل الجميع، هذا هو الأصل وهو المتعين.

الأمر الثاني: أن الجن لهم قُدر –كما هو معلوم– وأنه في زمن النبي ﷺ كان منهم مسلمون كثيرًا أسلموا قال –جل وعلا–: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْاناً عَجَباً** ﴾ إلى أن قال: ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ** ﴾ إلى ذلك قوله: ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ** ﴾ وكذلك في آخر سورة الأحقاف: ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ فالجن في زمن النبوة كان منهم من صحب النبي ﷺ وأسلم على يديه وعندهم من

القُدَرَ ما ليس عند غيرهم، وقد مضى زمن النبوة بأجمعه ولم يستعن النبي ﷺ بالجن ولم يستعن الصحابة بهم وقد واجهتهم أشياء، فهذا الدليل وهذا الإجماع أعظم وأبلغ فما يستدل به على أن هذا الأمر من البدع؛ لأنه لم يكن في زمن السلف، هذه المسألة أظهر وأبلغ في أنهم لم يستخدموا ذلك ولم يستعينوا بهم لا بمسلمهم ولا بكافرهم، وهذا له سبب وهو أن الجني إذا زعم أن مسلم فإن إثبات إسلامه وإثبات صلاحه متوقف على أمر باطن لا يطلع عليه الإنسان، فأنت بالظاهر تحكم على الرجل إذا قابلك والجن منهم رجال ومنهم نساء، ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ** ﴾ تحكم عليه بالظاهر من هيئته وشكله على أنه مسلم، ونحو ذلك، والجن لا تعلم صدقهم ولا تعلم حقيقة ما ادعوا، فبقي الأمر على الأمر المغيب. ولهذا قال أهل العلم: إن رواية أهل الجن للأحاديث ضعيفة. فلو أتى جني وروي بالإسناد وقال: قال رسول الله ﷺ كذا. وهذا يقول: أنا مسلم، والثاني يقول: أنا مسلم في الإسناد فعند أهل الاصطلاح بحثوا رواية الجن وقالوا: إنها ضعيفة؛ لأن الجن مجاهيل حتى ولو قال: إنه مسلم. فلا يصدق في خبره.

المسألة الثانية:

التي تدل على المنع من الاستعانة بالجن مسلمهم وكافرهم، والمسالة على الاستعانة بالمسلمين أن فتح باب الاستعانة هذا هو فتح لباب الشرك بالله -جل وعلا-، فيجب سده وهو أولى من سد بعض أنواع ذرائع الشرك، فالشريعة حرمت البناء على القبور لئلا يكون وسيلة إلى تعظيم أصحابها وجاء تحريم بعض الوسائل، وسائل الشرك، لئلا يكون وسيلة، وبعض وسائل البيوع المحرمة لئلا يكون وسيلة إلى الربا، وهكذا. والاستعانة بالجن الذي يجهلون ولا يعلم حقيقة الحال الاستعانة بهم، لا شك أنه ذريعة لأن يأمر الجني الإنسي إذا فتح الباب أن يأمره بالتقرب أو ببعض الأشياء. فقد بلغني بيقين عن بعض

من يتعاطى القراءة وهو من الجهلة، ليس من أهل العلم، ولا من طلبة العلم ممن فتح هذا الباب فسيطر عليه الجن وهو لا يعلم في هذا وأصبحوا يأمرونه بأشياء وينهونه عن أشياء وربما أذلوه في بعض الأمور، فسد الذريعة في هذا واجب ولا يجوز التساهل به.

الأمر الثالث والأخير: استدل بعض من قال بجواز ببعض التعبير، بعض العبارات عن شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر كتاب "النبوات" وفي الفتاوى معلومة، كلام ابن تيمية في الموضوع، لكن شيخ الإسلام لا يريد بما قال إباحة الاستعانة، وإنما بحث في حال المسلم مع الجن، فقال في أوله: وأولياء الله لا يعاملون الجن، إلا بأمرهم بالشرع ونهيهم عن ضده، كما كانت حال النبي ﷺ وأصحابه. ثم ذكر الحالة الثالثة أنه قد يعرض الجني للإنسي في أمر يعينه فيه، هذا لا بأس به، فيحمل كلامه على أنه في حالة؛ لأن بعض السلف فعلها، في حالة أنه يعرض له مثلاً يأتيه ويقول له أنا أصحيك لصلاة الفجر. أو يضيع من الطريق كما حصل للإمام أحمد قد يكون من الملائكة وقد يكون من الجن الله أعلم، لكن يقول: الطريق من هاهنا: فيتبعه، هذا ليس استعانة ليس طلبًا للعون، وإنما هو إرشاد وهذا الإرشاد متوقف على صدق المرشد وعلى كذبه، يعني ليس هو استعانة طلب للعون، ويقول له مثلاً: هو كذا. أو الطريق من هنا. أو هذا في الشيء الفلاني من دون أن يطلب وهذا خبر، قد يكون صادقًا وقد يكون كاذبًا، واختبار الخبر لا مانع منه، يختبر هل هو صادق في ذلك أن لا؟ المقصود هذه المسألة لا تتساهلوا فيها، لا في هذا الوقت ولا فيما بعده؛ لأن أخشى أن ينفتح علينا ذرائع الشرك ووسائل البدع من جراء القراء الجهلة الذي فتحوا باب الاستعانة بالجن في هذا الباب، ولأجل طول الجواب نكتفي بهذا القدر. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

سؤال : من وجد في قلبه محبة أبي طالب ومحبه طبيعية لما دافع فيه عن الإسلام ونصر الإسلام والرسول ﷺ ؟

الجواب : لا يجوز هو يثني عليه بفعله لكن لا يحبه.

الشريط السادس والخمسون . وجه (أ) ١٤٢٠/١١/٦ هـ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، اللهم إنا نسألك علما نافعًا وعملاً صالحًا وقلباً خاشعًا ودعاءً مسموعًا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك، أما بعد: فنجيب عن بعض الأسئلة:

سؤال : ما حكم الصلاة مع وجود الدفاية، أو المبخرة أمام المصلي؟

الجواب : الدفاية والمنجرة ونحوهما مما هو نار اختلف أهل العلم في استقبال المصلي للنار ولكل ما كان من جنسها، على قولين أو أكثر، لكن الأشهر أنهما قولان:

الأول: الكراهة وهذا هو الذي ذهب إليه الإمام أحمد –رحمه الله– وأصحابه وهو المدون في كتب فقهاء الحنابلة –رحمهم الله–، وتوجيه ذلك أن جنس النار عُبِد من دون الله –جل وعلا–، فعبد المجوس النار إما لأنها نار، أو لما فيها من النور الذي يقابل الظلمة، والظلمة والنور إلهان عندهما، فالأجل هذا الاشتباه ولأجل أن المشركين ربما عبدوا النار، فإن المشابهة في هذه تكون مكروهة.

والقول الثاني: أنه لا بأس باستقبالها، وهذا هو الذي ذهب إليه جمع من أهل العلم ومنهم البخاري –رحمه الله تعالى–، وكما ألمع إليه في ذكره لحديث صلاة النبي ﷺ واستقباله أو رؤيته بين يديه الجنة ورؤيته بين يديه النار، قال: ((عرضت عليّ الجنة وعرضت عليّ النار في مقامكم هذا))،

فاستدل به على أن الاستقبال لا يكره؛ لأن النبي ﷺ لم يحول وجهته أو لم يشعر بلفظه أو بفعله أن هذا مكروه. وتوسع بعض أهل العلم فأدخل فيه في الكراهة –يعني في القول الأول– كل ما كان فيه النور إذا استقبله المصلي، ولكن هذا توسع ليس بجيد، والصواب أنه لا بأس بذلك لظهور دلالة الحديث عليه. وإذا تركها المسلم من باب الاحتياط فهو أولى. ثم قليل أو نوادر قالوا بالحرمة، لكن لا وجه لهم؛ لأن القياس على العبادة المشركين للنار ليس هذا بمحله.

سؤال : ما حكم قتل الحشرات بالكهرباء؟

الجواب : إذا كان الكهرباء هذه لحقت الحشرة لتقتلها أو الحشرات لتقتلها، فإن هذا منهي عنه؛ لأن قتل أمة من الأمم أو طلب ذلك، يعني في غير مضرة –كما سيأتي– فإنه ليس بمأذون به في الشرع وليس بسائغ، والعلماء يتكلمون في هذه المسألة في موضعين:

الأول: قتل الحشرات من حيث الأصل، والثاني قتل الحشرات بالنار أو بالكهرباء أو بما شابهها من الأجهزة الحديثة.

أما النوع الأول: فقتل الحشرات جائز إذا كانت مضرة بالاتفاق واستدلوا لذلك لقوله ﷺ: ((خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم)) فالحشرة إذا كانت ضارة مضرة للإنسان سواءً أكانت واحدة، أو أكثر فإن قتلها جائز، بل مطلوب؛ لأن هذا يدخل في باب رد المعتدي أو رد الصائل أو رد الأذى عن ما يؤذي الإنسان. وأما ما لا يؤذي مثل أن يأتي الإنسان في البر أو في مكان لا يسكنه ولا يضره وجود الحشرات فيه فيأتيه ويسلط على النمل نارًا أو يسلط على بعض الهوام من المواد الكيميائية ونحو ذلك ولا يستفيد وهي ليست مضرة له، فهذا منهي عنه؛ لأنه من قتل ما لم يؤذن بقتله.

أما المسألة الثانية:

فهي قتلها بالكهرباء أو بالنار أو بنحوها فهذا إذا كانت مضرة دخلت في الباب الأول، وإذا كانت غير مضرة فإنه إذا طلبت فإنه ينهى عنه ويحرم، أما إذا وضعت النار والكهرباء وهي التي جاءت فهذا لا يدخل في ما ينهى عنه؛ لأن الحشرات من طبيعتها خاصة ما يطير منها أنها تطلب النار، وثم تحترق فيها. فالمقصود أنها إذا طلبت النار فلا شيء على الإنسان، وإذا طلبها هو بالنار تتبعها ليحرقها بالنار فهذا منهي عنه.

سؤال : الإخوان في الشيشان يسألون المسلمين الدعاء، فلماذا توقف الأئمة عن الدعاء؟ وهل من الدعاء لهم الآن من دعا لهم الآن يعتبر مخالفًا؟

الجواب : هذه مسألة كثر السؤال عنها وهي تحتاج إلى تفصيل، ذلك أن النوازل التي تنزل بالمسلمين سواءً أكانت نازلة عامة أم نازلة خاصة، فإن الدعاء –دعاء المسلم في النوازل طلبًا من الله –جل وعلا– لكشفها ورفع كربة المسلمين في كل مكان– هذا من ولاية المسلم للمسلم ومن محبة المسلم للمسلم ومن النصرة التي أمر الله –جل وعلا– بها في نحو قوله: ﴿ **إِن تَنصُرُواْ اللَّـهَ يَنصُرْكُمْ** ﴾، وفي نحو قوله –جل وعلا–: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ وفي نحو قوله –ﷻ–: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾ فولاية المسلم للمسلم تقتضي نصرته بما يستطيع ومن ذلك الدعاء له، فالدعاء في أوقات الإجابة وفي خطب الجمعة ودعاء الفرد أو دعاء الخطيب، أو الدعاء في الدرس أو نحو ذلك، هذا من الأمور المطلوبة شرعًا؛ لأنها من مقتضى الولاية.

المسألة الأولى:

إدخال هذا الدعاء في الصلاة، يعني ما يسميه الناس القنوت، قنوت النوازل وهو الذي جاء في الحديث أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو على قبائل

من العرب رعل وذكوان وعصية ونحو ذلك من القبائل لما استحر القتل في القراء بعد ذات الرقاع كما هو معلوم. وسنة النبي ﷺ هي التي يجب اتباعها لا أهواء الناس ولا عواطف الشباب ولا الرغبات المختلفة، والسنة في قنوت النوازل حتى ولو استنكر بعض من لا يعرف ورأيت بعض الأوراق التي كتبت، وهذا مما يؤكد على طلبة العلم حاجة الناس إلى العلم، فإذا كان الناس ألفوا الدعاء في بعض ما حصل للمسلمين في الماضي، فيظنون أن هذا، تغييره تغيرًا للسنة أو ترك للنصرة أو رد على عدم استجابة لحاجة المسلمين ونحو ذلك، هذا يؤكد أنه يجب على طالب العلم وعلى من له ولاية خاصة وعامة أن ينبه الناس، حتى لا يتسارعوا في أمر وتغيير السنة في ذلك وتصبح المسألة بعد ذلك إذا غيرت، قيل غيرت السنة فتصبح محدثة عامة تتكرر، والذي دلت عليه السنة في قنوت النوازل أشياء:

الأول: أن النبي ﷺ قنت مرة ولم يقنت في كل نازلة، قنت بعد ذات الرقاع لما استحرى القتل بالقراء ولم يقنت لما حصل قتل المسلمين في مؤتة وكان ممن قتل فيها جعفر وقتل فيها عدد، ورجع المسلمون بعد أن حصل لهم ما حصل، كذلك لم يقنت الصحابة -رضوان الله عليهم- في كثير مما حصل من النوازل التي مرت بهم، فالنبي ﷺ قنت مرة في نازلةٍ عظيمة استحرّ القتل فيها بالقراء، قتل منهم سبعون وكانوا هم حفظة القرآن وهم الذين يحفظون على الناس كتاب الله -جل وعلا-.

المسألة الثانية:

مما دلت عليه السنة أن النبي ﷺ قنت هو في مسجده ولم يأمر مساجد المدينة أن تقنت، فلم ينقل أحدٌ من أهل الحديث ولا من الرواة ولا في كتابٍ لا سنن ولا صحيح ولا مسند ولا أجزاء حديثية -فما بلغني- أن النبي ﷺ يعني بإسناد صحيح أمر أحدًا من المساجد أن يقنت، فالقنوت ليست السنة فيه أن

يقنت الجميع، وإنما قنت هو ﷺ خاصة. ولهذا أصح أقوال أهل العلم في المسألة أنه لا يقنت إلا الإمام ويقنت المسجد الأعظم في البلد، وليس كل مسجد جماعة وليس كل مسجد جمعة يقنت، وإنما يقنت الإمام في المسجد الأعظم اكتفاءً بالسنة وهكذا كان هدي الصحابة –رضوان الله عليهم– فلم يكن في النوازل التي حصلت في عهد عمر في عهد علي أنه قيل لكل المساجد: اقنتوا للنوازل. إذا كانت المسألة فيها خلاف وجب –كما هو منهج أهل الحديث وهو المنهج الحق–، وجب فيها أن ترد إلى السنة حتى تستبين، والعلماء لهم في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: أنه لا يقنت إلا الإمام فقط.

القول الثاني: أن يقنت الإمام الأعظم أومن ينيبه في المسجد الأعظم.

القول الثالث: أن تقنت كل جماعة، سواءٌ أكانوا في مسجد أن لم يكونوا في مسجد فإنه يقنت كل جماعة

القول الرابع: أنه يقنت حتى المصلي وحده.

الأقوال الثلاثة الأولى مختلفة عن أهل العلم، يعني في المذاهب الأربعة وفي غيرها، وهي ثلاث روايات عن الإمام أحمد، والأخير يقنت كل مصلي –يعني إذا أراد– هذا ذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–، والسنة تدل على القول الثاني وهو أن يقنت الإمام الأعظم أو من ينيبه في المسجد الأعظم في البلد، يعني إمام المسلمين أو من ينيبه في الصلاة بالمسجد الأعظم في البلد فقط دون سائر المساجد، وهذا هو السنة في هذا الأمر فقط دونما سواه.

المسألة الثالثة:

المتعلقة بهذا أن فهم معنى النازلة والفرق بينها وبين المصيبة والقتل، والفرق بين النازلة الخاصة والنازلة العامة، هذا مما يتعين أن يفرق بينها؛ لأن

السنة دلت على أن النبي ﷺ قنت وترك القنوت، قنت بعد ذات الرقاع ولم يقنت فيما نزل من مصائب في غيرها، فدل على التفريق بين هذا وهذا. إذا تبين هذا التفصيل المختصر، فالواجب على طلبة العلم أن يكونوا متنبهين لهذه الأصول، ومن تتبع سيرة أئمة الدعوى فيما مضى وجد أنهم لم يقنتوا على مدى مائتين سنة الماضية إلا فيما ندر جدًا في المصيبة التي يصابون بها هم؛ لأن هذا لا يخاطب به كل المسلمين كما هو معلوم، وهذا هو الأوفق والأقرب إلى السنة في هذا الباب، والمسألة كما ترى فيها خلاف، والعالم إذا اجتهد في ذلك واختار أحد الأقوال فلا يعتب عليه أنه لم يأخذ بالقول الآخر؛ لأن الدليل هو محل الاعتبار في هذه المسائل المهمة. تحصل من ذلك أن الدعاء مطلوب وأن إدخال الدعاء في الصلاة هو محل البحث في القنوت، ثم إذا صار قنوت النازلة الواقع الآن يدل على أن كثير من أئمة المساجد لا يحسنون قنوت النوازل، ويدعو بما خطر له وقد نص الفقهاء في كتبهم قالوا: يدعو بما يناسب النازلة ولا يدعو بما خطر له؛ لأن هذا الدعاء قنوت شرع لأجل النازلة فإذا دعا بما خطر له في غير موضوع النازل فقد أخرج هذا الدعاء عن موضوعه وعما شرع له، فدخل فيما نهي عنه وقد يصل إلى بدعة تبطل الصلاة وهو لا يشعر وفيما حصل من قنوت في النوازل السابقة التي حصلت بها فتوى من الإفتاء وأذن بها ولي الأمر، فيما حصل في الماضي سمعنا وصلينا مع كثير من الأئمة لا يحسنون دعاء النوازل يعني لو قيل حتى إنه كل مسجد جماعة، فإذا رأى رؤية أنهم لا يحسنون دعاء النوازل ولا قنوت النوازل، فينبغي أن لا يؤذن لهم به؛ لأنهم يَحْرِفُون الصلاة عن موضوعها وعما يشرع فيها، ولا يتساهل الناس في بعض المسائل، يحققون مصلحة من جهة، مصلحة الدعاء والقنوت ثم يحدث مفسدة من جهة أخرى في أنهم لا يحسنون الدعاء ويدخلون في مسائل ليست مما يدعى لها، تحصل من هذا

البحث الذي ذكرت لكن على اختصاره أن الصحيح الذي دلت عليه السنة أنه لا يقنت إلا الإمام الأعظم أو من ينيبه، وفي المسجد الأعظم في النازلة التي تؤثر على أهل البلد، أما قنوت المسلمين عامة لنازلة وقعت في بعضهم فهذا لا أصل له في السنة والله أعلم.

سؤال : أيهما أولى التصدق بالملابس أو إهدائها لأحد الوالدين مع عدم حاجتهما؟

الجواب : هذا يرجع إلى حسب أثر إهداء الملابس للوالدين، إذا كان أثر ذلك فيه البر بهما وإدخال السرور عليهما، فبر الوالدين أرفع درجة من التصدق، فهو صدقة وزيادة، أما إذا كان مجرد إهداء لا يشعر الوالدان أنه بر ولا أنه إحسان إليهما، فإن التصدق على المحتاج أولى.

سؤال : إذا تعجل الحاج فهل يرمي في اليوم الثاني عن ذلك اليوم وما بعده؟ أم يكتفي برمي ذلك اليوم؟

الجواب : الله –جل وعلا– يقول: ﴿ **فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى** ﴾، ومعنى الآية أن من اتقى الله – جل وعلا– وعظم حرماته وعظم شعائره فإنه لا إثم عليه إذا تقدم تعجل ولا إثم عليه إذا تأخر. وليس قوله: ﴿ **لِمَنِ اتَّقَى** ﴾، متعلق بالمتأخر دون المتعجل ولكن قوله ﴿ **فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ هذه تمت الجملة وقال ﴿ **لِمَنِ اتَّقَى** ﴾، المتعجل يعني يشمل الحالين، يعني لا إثم على المتعجل ولا إثم على المتأخر إذا كان الجميع قد اتقوا الله في تعجلهم واتقوا الله في تأخرهم. وإذا تعجل الحاج في يومين يعني مكث الحادي عشر والثاني عشر فإنه إذا رمى الجمار، بعد الزوال يعني إلى المغرب وخرج فإن هذا يكفيه ولا يجب عليه رمي اليوم الثالث عشر، إلا إذا بات في منى قاصدًا، يعني إذا أتاه الليل في منى قاصدًا البيتوتة.

سؤال : ذكرت –حفظك الله– كلاماً حول طارق السويدان أشكل على كثيرٍ من أهل كذا ويكرهون أهل البدع، ومن يناصرهم. فنرجوا من الله أن يوفقكم إلى تفصيل الكلام في ذلك .

الجواب : هذا السؤال الأسبوع الماضي كان الكلام في نفس الموضوع، حصل إشكال في الأسبوع الماضي للبعض حول أشرطة طاق السويدان.. إلى آخره . أنا بينت الكلام أن هذا السؤال اللي جاء من أستاذ، مدرس يريد أن يعطي أشرطه طارق السويدان لمن يستفيد منها فإذا كان الذي سيعطي للمحتاج، طالب علم يميز الأشرطة الحسنة من غير الحسنة، يميز الأشرطة النافعة من غير النافعة، فإن له أن ينتقي ويعطي ما لا ضرر فيه، أما من لا يحسن مثل ما ذكرت لكم أشرطته فيها ما هو جيد، يعني لبعض الناس وفيها ما هو غلط سواء أكان في المنهج أو في التساهل مع بعض أهل البدع، ذكرت لكم أن سماحة الشيخ عبدالعزيز –رحمه الله– سبق أن قابله، وأنه رجع في عدد من المسائل وما أشبه ذلك في نقل بعض الثقات لي. فالمقصود من هذا أن أشرطته إذا كان الذي سينتقي ويعطيها من ينتفع بها، طالب علم يحسن الفرق بين السنة والبدعة وبين الصواب والغلط، فلا بأس أن ينتقي ويعطي؛ لأن منها أشياء لا بدعة فيها وأما التزكية المطلقة لأشرطته، فلا لأنها كما ذكرت لكم مشتملة على صواب وعلى خطأ، ومن عثر على ما غلط فيه فالواجب المناصحة؛ لأن المرء لا يكتفي بأن هذا ليس بحسن وهذا فيه أغلاط وهذا عنده كذا، بل ينبغي له أن تجمع ويناصح الذي أخطأ أو الذي توسع وكما هو معلوم المذكور ليس بطالب علم ولا من العلماء، وإنما أراد أن يقرر قصص الأنبياء والسيرة وبعض المسائل فأصاب في كثير وربما غلط في بعض المسائل، فتصحيح ذلك للفائدة العامة ينبغي؛ إذاً فلا ننصح لكل أحدٍ أن يأخذ ما لا يعرف، وإذا كان طالب العلم بيهدي لمن ينتفع بها مستواه، يناسب هذه

الأشرطة فينتقي ما لا غلط فيه ولا بدعة فيعطيها، هذا الذي يظهر لي في ذلك.

سؤال : ما هو الإجماع المعتبر؟

الجواب : الإجماع المعتبر هو إجماع أهل عصرٍ من العصور.

سؤال : لو لبس المحرم وقت البرد مشلح وألقاه على عاتقيه دون أن يدخل يديه فيهما، كذلك إذا لبس الكنادر وهي دون الكعبين دون الجوارب، فما حكم ذلك؟

الجواب : المحرم أوجب عليه النبي ﷺ وأمره أن يلبس، أو أن يحرم في ثوبين وأن لا يلبس السراويل ولا القميص ولا العمامة... إلى آخر ذلك. قال: ((ولا يلبس الخفين إلا أن لا يجد غيرهما فليقطعهما دون الكعبين)). من بعض المصطلحات التي أثرت في مسائل الشرع، مصطلح المخيط، السلف عبروا عن هذا الحديث بأنه ينهى عن لبس المخيط المحرم يتجرد من المخيط ففهم منه أن كل ما فيه خياطة فإنه ينهى عنه، وهذا الفهم ليس بصحيح ولم يريدوه؛ لأن كلمة المخيط عند السلف يعنى بها ما يخاط ليلبس عادة، ما يخاط على قدر البدن من الثوب، قميص، سراويل، ما يخاط على قدر اليد، القفازين، وما يخاط على قدر الرجل وهي الجوارب؛ لأن لكل جزء من البدن له شيء يناسبه يخاط له، إذا كان كذلك فليس المقصود من النهي عن لبس المخيط إلا ما دل عليه الحديث، ما دلت عليه الأدلة فإنه لا يلبس شيئًا من الملابس التي نصنع على قدر البدن أو على قد عضوٍ من أعضائه، فهذا يعني أن المشلح أو الكوت أو ما هو أدفئ منها، أو فروة أو نحو ذلك إذا لم يجعلها كاللباس المعتاد فإنها لا تدخل في النهي؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر بلبس رداءٍ وإزار، هذا إذا أتى البرد كيف يتدفأ الإنسان؟ يأتي ببطانية ويلقيها عليه؟ لا، يستخدم ما يدفيه لكن بشرط أن يترك اللُبَس المعتاد، فإذا كان المشلح هذا

يلبسه بإدخال يديه فإلقاؤه على كتفيه للتدفئة، هذا لا بأس به ولا يدخل في لبس المخيط أو لبس ما نهي عنه. كذلك لبس النعال التي فيها خياطة، مثل النعال القصيمية أو الزبيرية أو نحو ذلك بعض الناس يقولون: لا يلبسها يلبسون البلاستيك هذه ونحوها؛ لأنها ما فيها خياطة. وإذا اعتقد أنه أيضًا يلبس هذه النعال البلاستيك؛ لأنها هي السنة هذا أيضًا يحتاج إلى تنبيه؛ لأن السنة أن لا تلبس ما خيط على البدن، وأن لا تلبس الخفين أما النعال فلم يأتي نهي فيهما. فالإحرام يكون في نعليه، إذا احتاج ليس عنده نعلين أو اشتد عليه البرد فله أن يلبس الكنادر هذه؛ لأنها خف مقطوع، لكن لا يلبسها ابتداءً، وإنما يلبس النعلين، إذا لم يجد إلا الكنادر هذه التي لا تبلغ إلى الكعبين فلا بأس، إذا ما وجد إلا خف، فهل يلزمه قطعه؟ خف طويل، بوت يعني يسمونه، أو اللي يسميه الجنود بصطار أو نحو ذلك، فهل يلزمه قطعه. اختلف العلماء في ذلك، والصحيح أنه لا يلزمه قطعه وأن إلزام القطع منسوخ؛ لأن النبي ﷺ قال ذلك في المدينة، فلما أتى في عرفة لم يأمر بقطعهما إذا احتاج إلى ذلك، ومن المناسب التنبيه على أن طالب العلم دائماً إذا أتت المواسم، رمضان، وقت الحج، جاء وقت عاشوراء، أي موسم فيه تعلق بأحكام شرعية فإنه يراجع كل سنة؛ لأن هذا ادعى إلى تثبيت العلم وادعى إلى أن يكون غير هاجر للحق أو هاجر لما في الكتاب والسنة من الدلائل في ذلك، فإذا أقبل رمضان راجع أحكام الصيام في كتب الفقه والحديث وفتاوى أهل العلم، وأحكام الزكاة وأحكام القيام، وتراجع أحكام العيدين، إذا أقبل الحج قبله بشهر، من الآن تقرأ في أحكام الحج تثبتها سنة سنتين ثلاث، تلحظ أن هذه المسائل تتضح لك شيئًا فشيئًا وتستزيد كل سنة بما لم يكن عندك في السنة الماضية، هذا طبيعي في طالب العلم، طبيعي في الإنسان تقرأ أول مرة يفوتك، تأخذ مثلاً عشرين ثلاثين في المائة، وكثير لأنك مركز على البعض،

كثير منه يفوت تحتاج فيه إلى سؤال، السنة القادمة تنظر تقرأ فتجد أن عددًا من المسائل واضحة، مثلاً تعريف الحج واضح، شروط وجوب الحج واضح، أركان الحج واضح، أنواع الإحرام واضح، تزيد في مسائل لم تكن واضحة، تزيد حصيلتك، ثم بعد ذلك السنة المقبلة وهكذا، طالب العلم لا يمكن أن يتعلم في سنة، العلم جدته طويلة ما ينتهي الإنسان منه إلا بالموت، وتذكرون كلمة الإمام أحمد –رحمه الله– لما قيل له: إنك تكتب وأنت في هذا السن. يعني بعد أن علا شأنه –رحمه الله– قال: مع المحبرة إلى المقبرة. طالب العلم ما ينفك من طلب العلم ومن البحث بحسب ما أعطاه الله –جل وعلا–، وخذ من فراغك لشغلك. يعني استغل وقت الفراغ، استغل وقت الشباب، استغل قبل أن تسود إما بعيال تكون مسؤولاً عنهم، أو بمشاغل، طالب العلم إذا وجد الصحة والفراغ يقبل على طلب العلم ويستفيد؛ لأنه النور في القلوب وفي الصدور والبينة في ما يتعبد به الإنسان ويراه في أحوال الناس. نكتفي بهذا القدر، نعم اقرأ:

المتن :

ونرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا وديـن الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّـهِ الإِسْلاَمُ﴾ وقال –تعالى–: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾.

الشرح :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: قال –رحمه الله تعالى–: (ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة). مرت معنا عدة مسائل تتعلق بالجملة الأولى وهي قوله: (ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا). وفي قوله: (ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة) مسائل أيضًا:

المسألة الأولى:

أن مخالفة الكتاب والسنة وإجماع الأمة، هذه مذمومة وضلال وقد تصل بصاحبها إلى الكفر في باب الاعتقاد، أو في باب العمليات أو في أبواب السلوك، والواقع يدل على أن طائفة ممن ادعوا الصلاح والسلوك والزهد والعبادة، ادعوا أشياء تحصل لهم إما بالإلهام أوبخبر الغيب أو بأحوال لم يدل عليها الكتاب والسنة وأجمعت الأمة على خلافها، وهذا كثير فيمن يدعون التصوف ممن كانوا في زمن الطحاوي وما قبله، فالطحاوي –رحمه الله– قرن فيما ترى ما بين تصديق الكهان والعرافين، وما بين ادعاء أشياء تخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ لأن الناس قد يظهر لهم في موضوع الغيب عدم تصديق الكاهن والعراف؛ لأن الكاهن والعراف حالهما معروف، والناس يحذرون من أهل الكهانة سيما في الأوقات القريبة من السنة أو التي تظهر فيها ألوية السنة، فيكرهون الكهانة والعرافة ويكرهون الكاهن والعراف؛ لأنهم من أولياء وإخوان الشياطين. لكن مسألة الصالحين والأولياء ومن يظهر الصلاح فإن هذه قد تشتبه كما هو الواقع في كثير من أحوال المسلمين الماضية والحاضرة، لهذا قرن بينهما؛ لأن مسألة الكاهن والعراف ظاهرة، لكن أيضًا لا نصدق من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة ممن ظاهره الصلاح ويدعي أحوالاً أو العلم بأمور الغيب.

المسألة الثانية:

الذين نسبوا إلى الوَلاية –بفتح الواو– وعدوا من الأولياء وأهل الزهادة فئات مختلفة متنوعة، منهم الغلاة الذين زعموا أنهم يوحى إليهم ومنهم من هم دونهم ممن يزعمون أنهم يلهمون ويخبرون بالغيب، ومنهم وهم دونهم من يزعمون أنهم على قدرة في تغيير الأحوال والعلم بالضمائر وأنهم يحدثون بما أحدثه الناس بعدهم، يعني فيما مضى واللي قبلهم فيما سيأتي، ولا شك أن

طريقة السلف في الزهد والعبادة هي التي أجمعت عليها أمة وهي أنهم يتعبدون يتزهدون ويرجون الله –جل وعلا– ولا يدعون شيئًا من أحوال الكهان والعرافين ولا الإخبار بالغيب ولا الأحوال الشيطانية المختلفة التي تسمى الكرامات عند بعضهم.

المسألة الثالثة:

الواجب على كل مسلم أن يعتقد أن علم الغيب مختص بالله –جل وعلا– وأنه قد يعطي بعض علم الغيب لرسول، والرسول هو الذي جاء في قوله: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ..** ﴾، فالذي استثني هو الرسول، والرسول نوعان رسول ملكي نسبة للملائكة، ورسول بشري، وهؤلاء يستثنون فيما أراد الله –جل وعلا– أن يعلمهم إياه من أمور الغيب لحكمته –جل وعلا– ولكمال علمه وقدرته. أما من ليس برسول فلا يكشف له الغيب، لكن قد يكون لبعضهم كرامة ليست من باب كشف الغيب المستقبلي، ولكن هي من باب الكشف العلمي الذي سبق أن ذكرناه لكم في نحو قصة عمر –رضي الله عنه– مع سارية حيث قال له: يا سارية الجبل الجبل. يعني الزم الجبل، فصار بالنسبة إلى عمر كشف علمٍ، ليس علمًا للغيب المستقبلي، كشف علمي أو بصري فرأى الجبل ورأى سارية، وبالنسبة إلى السارية أيضًا سمع كلام عمر، فصار بالنسبة له كشف سمعي وهذا من جهة الكرامة. وقد أوضحنا لك ذلك في قوله: (ونؤمن بما جاء في كراماتهم وصح عن الثقات من روايتهم فيما مضى).

المسألة الرابعة:

ذكر لك الشارح هنا ابن أبي العز –رحمه الله– أحوالاً متنوعة فيمن ادعى أشياء مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة، فترجع إليه فيها، وننبه زيادة على ذلك من أن طائفة –أظن ذكرها في هذا الموضع– أسمت نفسها بالطائفة الملامتية، أو الملامية، وهذه الطائفة من الصوفية نشأت في أواخر القرن الثاني الهجري، تزعمها طائفة من الزهاد والعباد الذين أرادوا تصفية النفوس وتحقيق الإخلاص فصاروا يظهرون حالاً خلافًا ما هم عليه، يظهرون المعصية، يظهرون خلاف الطاعة، يظهرون التفريط في الواجبات، لأجل أن يذمهم الناس، وهم في الحقيقة في داخلهم ليسوا على هذا الأمر ويكرهون وهو من أهل العبادة والزهد فأرادوا الإخلاص عن هذا الطريق، وهذه لا شك حال تخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة في أن العبد المكلف يجب عليه أن يستقيم على الطاعة وأن يحقق الإخلاص كما أمره الله –جل وعلا– في حاله ظاهرًا وباطنًا. فإذًا هذه الجملة: ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة. تدل على عدم تصديق كل من ادعى الولاية وهو يدعي شيئًا من علم الغيب أو يدعي شيئًا من المقامات العلية أو من الوحي أو من الإلهام مما يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة. قال –رحمه الله– بعد ذلك: (ونرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا) يريد العلامة الطحاوي –رحمه الله وأجزل له المثوبة– بهذه الجملة من هذه العقيدة النافعة؛ بأن أهل السنة والجماعة، أهل الحديث والأثر أتباع السلف الصالح، يرون الجماعة حقاً أحقه الله –جل وعلا– وأحقه رسوله ﷺ ثابت خلافه الباطل، وأنهم يرون الجماعة صواباً في الالتزام بها وفي التمسك بها وفي الحال والمآل وفي الدنيا الآخرة، وأن خلاف الجماعة والتمسك بها أنه باطل وغلط وضلال، وقابلها بقوله: والفرقة زيغاً وعذاباً، يعني يرى أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر اتباع السلف الصالح، يرون الفرقة بأنواعها زيغاً عن الصراط وزيغاً وبعداً عما أمر

الله –جل وعلا– به من الاعتصام بحبله والاتباع لرسوله ﷺ ويرونها أيضاً عذاباً، يعني عقوبة تعاقب بها الأمة –كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله– .

الشريط السادس والخمسون . وجه (ب)

وسبب إيراد هذه الجملة في العقائد أمران:

الأول أن أعظم ما حصل به الزيغ والذم في الأمة وإضعاف الأمة والبدع والمحدثات والشرك، وجميع الموبقات بأنواعها إنما حصل من جراء ترك ترك الجماعة والأخذ بالفرقة أو استحسان الفرقة، والثاني أن الفرق الضالة رأت الفرقة خيراً وطلبتها، ورأت الجماعة ضعفاً فنبذتها، ومخالفتهم وترك سبيلهم هو سمة الفرقة الناجية الذي قال فيهم نبينا ﷺ في حديث الافتراق: ((كلها في النار إلا واحدة))، قالوا: من هي يا رسول الله قال: ((هي الجماعة)) إذا تبين ذلك فهاهنا مسائل:

المسألة الأولى:

في قوله: (نرى) كلمة نرى في هذا الموطن يراد بها الاعتقاد، يعني ونعتقد وليس مذكورة لأجل أن المسألة اجتهادية، كما يعبر الفقهاء، أرى كذا وأرى أن الأظهر كذا فيما سبيله الاجتهاد، فكلمة نرى في كتب أهل السنة في كتب العقائد إذا جاءت بصيغة الجمع فإنه يراد بها ما قرره أئمة أهل السنة والجماعة في عقائدهم دون خلافٍ بينهم.

المسألة الثانية:

الجماعة جاء ذكرها في حديث الافتراق وفي أحاديث أخر كقوله ﷺ ((الجماعة رحمة والفرقة عذاب)) وكقوله: ((من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاقتلوه كائناً من كان)) وكذلك قوله في حديث الافتراق: ((إن اليهود افترقت على احدى وسبعين فرقة وإن النصارى افترقت على ثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار

إلا واحد))، قالوا: من هي يا رسول الله قال: ((هي الجماعة))، وفي رواية قال: ((هي ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) فكلمة الجماعة جاءت في عدد من الأحاديث نصاً، وجاءت في القرآن معناً في قوله –جل وعلا–: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ وفي قوله: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾، يعني جميعاً دون تفريق، والسلم في الآية، يعني الإسلام ﴿ **ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾ يعني ادخلوا في الإسلام كافة ﴿ **وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** ﴾ بأن تفرقوا بين أمرٍ وأمرٍ من أمور الإسلام، فيجب الدخول فيه كافة وأن لا يقول المسلم إذا أسلم: أنا أدخل في بعض الإسلام ولا أدخل في بعض، أو ألتزم ببعض ولا ألتزم ببعض، أو أقر ببعض ولا أقر ببعض.ونحو ذلك، والجماعة في هذا الموطن اختلف السلف في تفسيرها على عدة أقوال، يعني الآية والحديث وفي غيرهما أيضاً من كلام السلف، والذي يجمع كلام السلف كما أوضحته لكم في غير موضع، أن الجماعة نوعان: جماعة في الدين، وجماعة في الأبدان والدنيا، وان النصوص تشمل هذا وهذا، وأن من فسر من السلف الجماعة بجماعة الدين فإنه يعني من الصحابة والتابعين، فإنه تفسير للشيء ببعض أفراده، كما هو عادة السلف، ومن فسرها بأنها جماعة الأبدان الاجتماع على الإمام وولي الأمر، فإنه يعني بها فرداً أو بعض أفراد الجماعة، فالجماعة نوعان، جماعة في الدين –وهي الأساس الأعظم بما أنزل الله– بما أنزل الله –جل وعلا– به كتبه وأرسل به رسله، فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ لأجل أن يجتمع الناس في دينهم وهو توحيد الله –جل وعلا– عبادته وحده دونما سواه والبراءة من الشرك وأهله وطاعة رسوله الذي أرسله على الرسل صلوات الله وسلامه، وهذا هو الذي جاء في نحو قوله –ﷻ– في سورة الشورى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ**

تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ يعني واجتمعوا عليه وهو المذكور في قوله: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ وهذا الاجتماع في الدين هو أعظم أمرٍ، لأجله بعثت الرسل وأنزلت الكتب وهو الذي من أجله يجاهد المجاهد ويدعو الداعي وهو الذي من أجله آتى الله –جل وعلا– الآيات والبيانات، أن يجتمعوا لأجل تحقيق الدين؛ لأجل أن لا يفترق الناس في الالتزام بما يرضي الله –جل وعلا– فيما يستحقه في العبادة والطاعة له ولرسوله ﷺ فيدخل هنا في الاجتماع، الاجتماع في ملازمة الإسلام والالتزام به وأن لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، وأن يدخل في الإسلام كافة دون تفريق ما بين مسألة ومسألة، يعني من حيث الاعتقاد والإقرار والإذعان والالتزام. والنوع الثاني من الجماعة هو جماعة، الجماعة جماعة الأبدان، يعني اجتماع الأبدان والدنيا بملازمة طاعة من ولاه الله –جل وعلا– الأمر والسمع والطاعة في غير معصية الله – جل وعلا– وهذا النوع وسيلة لتحقيق الأول، فالأمر به والنهي عن الخروج عن الولاة والأمر بالاجتماع فيما أحب الإنسان وكره، كما جاء في الحديث ((على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره))، هذا به يتحقق الاجتماع في الدين والتفريط في الأول أو في بعضه يعاقب الله –جل وعلا– به بالفرقة في الثاني أو في بعضه –كما سيأتي في البحث في الفرقة– وكذلك التفريط في الثاني، وهو السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية والاجتماع وعدم الخروج، التفريط في الثاني ينتج التفريط في الأول أو في بعضه. ولهذا ما من فرقة في الأبدان حصلت في الأمة إلا وكان معها وبعدها من الافتراق في العقائد ونفوذ البدع والمحدثات ما لا يدخل في حسبان، فالأمران مترابطان والجماعة مطلوبة في هذا وهذا ومأمور بها وجماعة الدين واجتماع الناس في دينهم حق وصواب وإحداث المحدثات باطل وغلط وضلال، وكذلك الاجتماع في الأبدان، والدنيا حق وصواب وخلافه بالفرقة والخروج باطل وزيغ وضلال.

المسألة الثالثة:

الجماعة جماعة الدين حصل فيها الافتراق، أو حصل فيها الخلل ووقعت الفرقة قبل الافتراق في الأبدان أو قبل اختلال جماعة الأبدان، وذلك حين نشأت الخوارج في عهد عثمان -رضي الله عنه- وحدث منهم ما حدث حتى آل الأمر إلى قتل عثمان، ثم بعد ذلك وقعت الفرقة واختلت الجماعة وهذا يؤخذ منه أن من دعى إلى الدين والاجتماع عليه وتحقيق التوحيد ونبذ البدع ووسائل الشرك والبدع، وإحلال الحلال وتحريم الحرام والأمر بما أوجب الله – جل وعلا- والنهي عن ضد ذلك، أن هذا في الحقيقة يدعو إلى الاجتماع في الأبدان؛ لأنه إذا اجتمع الناس في دينهم آل الأمر إلى اجتماعهم في أبدانهم، والمسائل مرتبط بعضها ببعض. لهذا كان من اللوازم على كل من يطلب معرفة منهج السلف والأئمة وأهل الحديث أن ينظر إلى التلازم العظيم ما بين الجماعة الأولى والجماعة الثانية أو الاجتماع الأول والاجتماع الثاني، والتوزان فيما بينهما هو سبيل أهل العلم، فإن الناس في هذين الأمرين على ثلاثة أنحاء :

منهم من قَدَّم تحقيق المطالب الدينية ورعاه حتى ولو حصل خلل في الاجتماع في الأبدان، وهذا هو طريقة -يعني بحسب اعتقادهم- من ضل في هذا الباب وغلا من الخوارج والمعتزلة ومن رأى رأياً يشابه ما قال الخوارج والمعتزلة ونحوهما.

والفئة الثانية من تساهلت فرأت المحافظة على الجماعة في الأبدان والدنيا سبيلاً لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة الواجبة وإعلان الحق بضوابطه الشرعية في أمر الجماعة، فتركوا إنكار المنكر من الشرك والبدع تساهلاً وضعفاً.

والفئة الثالثة هم الراسخون في العلم ومن تولاه الله –جل وعلا– بتوفيقه، فإنهم أخذوا بهذا وهذا، فدعوا إلى الاجتماع في الدين وتحقيق ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبنشر العلم النافع والدعوة إلى ذلك، وبالنصيحة بطرقها الشرعية ولم يروا ذلك مخالفاً لما أوجب الله –جل وعلا– من الاجتماع في الأبدان والدنيا، فوازنوا بين هذا وهذا وأجروا الحكمة في هذا وهذا، ولا شك أن أحوال الناس تختلف في مثل هذه المقامات ما بين مقام الأمن ومقام الخوف، ومقام الفتنة ومقام الاستقرار والراسخون في العلم ومن تبعهم يضعون لكل شيء موضعه، فلا يتركون الأمر والنهي والدعوة والنصيحة لأجل توهم أن هذا يُفَرِق ولا يأمرون مع مظنة وجود الفرقة، ولهذا يقول ابن تيمية –رحمه الله– في رسالته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن الآمر والناهي إذا ظنا أنه ستحدث مفسدة لأمره، ونهيه أكبر مما أمر به ونهى، فإنه لا ينكر، وقال: يأثم إذا أنكر؛لأن الشريعة جاءت بتحقيق المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، وهذا بخلاف التوهم ؛ لأن التوهم غير الظن الراجح غير ما يعلمه أهل العلم مما ستحدثه الأمور، فالتوهم هذا راجع للخوف، فيه إنسان يخاف أنه يقول لفلان: اتق الله في كذا وكذا، أو صلي الصلاة، يتوهم أن كل شيء سيؤثر على النفوس وأن كل شيء سيتغير... إلى آخره، وهذه حيلة وطريقة من ترك ما أوجب الله وهي طريقة بني إسرائيل التي ذم الله –جل وعلا– الناس عليها. لهذا يجب في هذه المسائل أن يؤخذ بطريقة أئمة الإسلام والراسخين في العلم ممن رعوا هذا وهذا، وأن الاجتماع في الدين هو الأصل الذي يجب أن يدعى إليه، وأن الاجتماع في الأبدان والدنيا أن هذا أصل عظيم يجب المحافظة عليه والموازنة بين هذا وهذا إنما يدركه أهل العلم الراسخون، وما ضلت الخوارج –يعني في أصلها– إلا لأجل أنهم رأوا أن تحقيق ما يظنون من الشريعة يحصل بقتل عثمان وبجمع الناس على ما يرون

ثم حصل من المعتزلة ما حصل...إلى آخره، فحصل الفساد والشر بسبب التفريط في الموازنة والوسط في هاتين المسألتين العظيمتين.

المسألة الرابعة:

في قوله (ونرى الجماعة حقاً وصواباً) نرى الجماعة حقاً وصواباً معنى حق، يعني أنه واجب وثابت، والحق إما أن ينص الله –جل وعلا– على أنه الحق، أو يعلم بما نص الله –جل وعلا– عليه، والجماعة علمنا ذلك بدلالة ما نص الله –جل وعلا– عليه. وصواباً يعني أن من سلك غير طريقها فهو على غير السبيل، وأن من أراد الصراط المستقيم فهذا هو الصواب وهو ملازمة الجماعة، وقوله: والفرقة زيغاً وعذاباً فيها أيضاً مسائل :

المسألة الأولى : الفرقة تقابل الجماعة، وكما أن الجماعة تكون في شيئين فالفرقة أيضاً تكون في الأمرين نفسهما، الأول الفرقة في الدين، والثاني الفرقة في الأبدان، وعلى هذا تفاسير السلف في آي القرآن في نصوص الافتراق، وما بينوا من دلالة بعض الأحاديث، فقوله –جل وعلا– ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ دلت على الاعتصام بالقرآن جميعاً، يعني بأجمعه، وهو الجماعة في الدين، وقوله: ﴿ **وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ دلت على النهي عن فرقة الأبدان، لهذا قال بعدها: ﴿ **وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً** ﴾ فذكر الاجتماع في الأبدان وأمر، ونهى عن الفرقة في الأبدان، وقوله –جل وعلا– في الآية الأخرى المسألة التي ذكرناها لكم: ﴿ **أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ** ﴾ يعني في الدين، يعني الفرقة في دين الله –جل وعلا– فما ذكر هناك من الاجتماع على الدين والاجتماع في الأبدان يذكر هنا بضده؛ لأن الفرقة تقابل وتضاد الجماعة.

المسألة الثانية الفرقة في الدين التي حصلت في الأمة على مراتب، أعظمها مخالفة أصل الدين، بحدوث البدع المختلفة الشركية الكفرية، كإنكار صفات الله –جل وعلا– وكعبادة غير الله وإقامة المشاهد والحج إليها وتقريب القرابين لها ودعاء الأموات أو التقرب إلى الكواكب أو نحو ذلك، كما حصل من الفرق الباطنية أو الفرق الرافضة ومن شابهها، ويليها الافتراق البدعي غير الكفري الذي حصل من الخوارج والمرجئة والقدرية ومن نحى نحوهم، وهذان النوعان مذمومان متفق على ذمهما. والنوع الثالث: من الافتراق الافتراق في المسائل العملية في مسائل الفقه في أحكام الطهارة والآنية، أحكام الصلاة الصيام... إلى آخره، البيوع الجنايات ما حصل من الاختلاف في هذه المسائل، والاختلاف في هذه المسائل، الاختلاف والفرقة التي حصلت أولاً هي مذمومة من حيث الأصل، وإن كان الذي قال قولاً باجتهاده معذور ويؤجر، لكن في الجملة الافتراق مذموم لقوله –جل وعلا– ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾ الثاني، أن الاختلاف في المسائل الفقهية والاختلاف الذي وقع بين الصحابة وبين أئمة المجتهدين، اختلاف لأصحابه فيه إما أجران وإما أجر واحد، فإذا اجتهد وتحرى الحق وأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وتحرى الحق فأخطأ فله أجر واحد على اجتهاده وتحريه للحق، وأما من قال قولاً ليس فيه بمتحرٍ للحق وإنما هو نتيجة عن هوى ونتيجة عن شهوة، فهذا يأثم ولا يؤجر؛ لأن الذي يؤجر هو المجتهد الذي يبحث عن الحق يجتهد يتحرى الحق، كما هو صنيع السلف، أما إذا كان ميدانه الهوى والشهوة، فإن هذا مذموم على كل حال.

المسألة الثالثة: نفصل الكلام في مسألة الخلاف الفقهي أكثر، وهو أن الاختلاف اختلاف العلماء في المسائل هو اختلاف في مسائل من الدين في الفقهيات، والعلماء إذا اختلفوا في الفقهيات فالواجب أن يرعى معه أن لا يكون

افتراق في الأبدان ولا افتراق في القلوب؛ لأن هذا الخلاف الذي يوجد ابتلاء من الله –جل وعلا– ابتلى به الناس أن يختلف العلماء، وهذا يقول بقول وهذا يقول بقول، ويكون لهم فيه سعة في بعض البلاد ونحو ذلك، لكن هو ابتلاء يبتلى به الناس، فالواجب على أنه إذا وقع هذا الاختلاف في الأقوال الفقهية أن ينظر إليه الناس أن المختلفين إذا اجتهدوا وتحروا الحق وخاصة من الأئمة الذين شهد لهم بتحري الحق وطلبه أنهم ما بين أجر وأجرين، وأن من وثق بإمام فاتبعه على ذلك ولم يستبن له الحق أنه معذور في اتباعه له، وأن الله –جل وعلا– إذا أراد بالعباد عقوبة فإنه يجعل هذا الخلاف سبباً للتفريط في الجماعة الثانية، وهي جماعة الأبدان، إذا وقعت الفرقة، الاختلاف في الفقهيات، فإذا آل الأمر إلى اختلاف القلوب واختلاف الأبدان والفرقة فيها فيكون هذا من العقوبة ومن الزيغ الذي حصل، ولهذا قال هنا: والفرقة زيغاً ،عما يجب– وعذاباً يعاقب الله –جل وعلا– به الناس ودليل ذلك قوله –جل وعلا– لما ذكر أهل الكتاب، قال: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ** ﴾ ﴿ **وَنَسُواْ حَظًّا** ﴾ يعني تركوا نصيباً مما ذكروا به، يعني مما جاءهم في كتاب الله، ما النتيجة قال: ﴿ **فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ** ﴾ ومما أمر الله –جل وعلا– وذكرنا به أن نحرص على الاجتماع، الاجتماع في النفوس والاجتماع أيضاً في الأبدان، فإذا صار اختلاف أهل العلم سبباً لوقوع الفرقة ولوقوع التلاعن ولوقوع التباغض والسب والشتم وطعن كل فئة في اتباع العالم الذي اجتهد وتحرى الحق، فإن هذا لا شك أنه بغي وظلم يعاقب عليه الإنسان وهذا مما نهى الله –جل وعلا– عنه، وهذا هو الذي حصل وهو الذي يحصل عند من لم يعلم حدود ما أنزل الله –جل وعلا– على رسوله، فإنه قل أن يحصل اختلاف إلا ويبغي بعض الناس على بعض، إما بتجهيلٍ أو بسبٍ أو بوقوع

فيه أو نحو ذلك من الأقوال، والواجب أن ينصر الحق وأن يعذر من خالف في الفقهيات ويعلم أنه إذا اجتهد وتحرى الحق فإنه له أجر، لكن لا يتابع على ذلك، ولا شك أن زلة العالِم زلة العَالِم، ولكن هذا قضاء الله –جل وعلا– وحكمته فكم من مسائل من الأئمة المشهورين من خالفوا فيها السنة، خالفوا فيها الدليل لاجتهادهم، فهم معذورون ومن اتبعهم بلا معرفة الحق وإنما ثقة بذلك الإمام معذور، ولكن الواجب هو تحري الحق باتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله أو وافق القواعد والأصول العامة للشريعة التي يعلمها أهل العلم. وهذا في الحقيقة هو أعظم ما حصل في كل زمان إلى زماننا الحاضر بل وإلى يومنا هذا، فقلَّ من يعذر في المسائل المختلف فيها في الفقهيات، يعني التي فيها بحث فيجتهد هذا في كذا وهذا في كذا حتى رمى بعضهم بعضاً بالضلال وبمخالفة ما أمر الله –جل وعلا– بل حكم على بعضهم بالبدع والمحدثات، لأجل بعض المسائل الفقهية التي اختلف فيها الناس وهذا مما ينبغي أن يعلم كعقيدة، أنه إذا كانت الفرقة في الفقهيات والعمليات والاختلاف في ذلك، إذا كانت سبباً للفرقة في الأبدان، فقد بغى العباد بعضهم على بعض، ووقعت الفتنة ووقع البلاء فيهم، والواجب أن لا يقع فيهم البغضاء والشحناء لأجل ذلك، كيف إذا زاد الأمر إذا حصل القتال، وحصل التكفير؟ ونحو ذلك كما حصل من بعض في بعض الأزمان، حيث كفر بعض الشافعية بعض الحنفية في مسائل، وكفر بعضهم بعض الحنابلة في مسائل، ونحو ذلك مما وقع فيه أعلى مما وقع فيه طائفة في أعلى درجات الظلم والبغي والعدوان من الناس بعضهم على بعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا لا يزال يوجد إلى يومنا هذا، فكلما زاد العلم زادت البصيرة بأمور، الأول أن يحرص طالب العالم على تحري الحق، والثاني أن لا يجعل تحريه للحق سبباً في فرقة العباد، ولا سبباً في وقوع البغضاء والشحناء بينهم، بل

يتودد في ذلك كثيراً ولا يجادل مجادلة الذي يريد الانتصار والقوة، بل يتكلم في ذلك بسكينة وهدوء، وما أجمل قول الإمام مالك –رحمه الله– في نحو هذا لما قيل له: الرجل تكون عند السنة أيجادل عنها؟ قال: لا. يعني يرى من يخالف السنة ويذهب إلى قولٍ آخر، تعرفون المدينة كان فيها مدرسة الرأي ربيعة الرأي ومن معه، مدرسة قريبة من مدرسة الكوفة في الأخذ بالرأي وعدم العلم بتفاصيل السنة. فقيل له: الرجل تكون عنده السنة أيجادل عليها، أو عنها؟ قال: لا ، يخبر بالسنة فإن قبلت منه وإلا سكت. لماذا؛ لأن الشيطان يأتي فيجعل الإنسان ينتصر لنفسه لا للسنة، وهذا مسلك شائك في النفوس، وينافي الإخلاص وينافي ما يجب، فيبحث فإذا هو يريد ينتصر للحق ثم تنقلب المسألة في النقاش أو في المجادلة أو في الإخبار بالصواب إلى انتصار للنفس دون انتصار للحق، وهذا مما ينبغي تداركه، ومما يدخل أيضاً في مثل هذا أن اختلاف الفقهاء في المسائل العملية اختلاف كبير جداً، حتى إن المسائل المجمع عليها قليلة، وليس قولٍ من الأقوال المختلفة يصح أن يكون في الخلاف المعتبر، كما قال أحد مشايخ السيوطي:

وليس كل خلافٍ جاء معتبراً إلا خلافٌ له حظٌ من النظر

في قصيدة في بعض علوم القرآن، والخلاف الذي وقع، أو إذا وقع الخلاف فإن الخلاف على نوعين خلاف قوي وخلاف ضعيف، والخلاف القوي ضابطه ما كان الخلاف فيه في فهم الدليل ولا مرجح، والخلاف الضعيف ما كان الخلاف فيه بمخالفة الدليل أو بالغلط في فهم الدليل. والخلاف القوي لا إنكار فيه، إذا كانت المسألة فيها خلاف قوي فلا عتب من الأصل لمن أخذ بأحد القولين، أخذ بهذا وأخذ بهذا هذا يرى كذا وهذا يرى كذا، المسألة فيها سعة، وأما الخلاف الضعيف فإنه فيه الإنكار وقول العلماء: لا إنكار في مسائل الخلاف، يعنون بها الخلاف القوي على الصواب دون الخلاف

الضعيف؛ لأن الخلاف الضعيف خلاف بلا دليل، أو غلط في فهم الدليل، ويشتبه هذا -يعني الخلاف- يشتبه بمسألة مهمة وهي مسائل الاجتهاد، والصواب التفريق ما بين مسائل الخلاف ومسائل الاجتهاد، فمسائل الخلاف التي مرجعها الخلاف في فهم الأدلة وهذه هي التي فيها التفصيل الذي ذكرت لك، في أن الخلاف القوي لا إشكال فيه وأن الخلاف الضعيف يعني يلزم فيه البيان والإيضاح على، بدون أن يحدث الفرقة ولا تنافر القلوب، أما المسألة الثانية وهي مسائل الاجتهاد فهي الاجتهاد في النوازل إذا نزلت نازلة واجتهد العلماء فيها، هل هذه تلحق بكذا وهذه تلحق بكذا؟ فإنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وشيخ الإسلام ابن تيمية قال في بعض كلامه: لا إنكار في مسائل الخلاف، يعني بها مسائل الاجتهاد أو نحو كلامه، أنا أصوغه بفهمي؛ لأن مسائل الاجتهاد ليست هي مسائل الخلاف، ولا إنكار في مسائل الخلاف، يعنون بها لا إنكار في مسائل الاجتهاد وهذا يحتاج إلى زيادة، وهي أنه لا إنكار في مسائل الخلاف، يعنون بها الخلاف القوى، ومسائل الاجتهاد التي تحدث في الناس هذه لا إنكار فيها من باب أولى؛ لأن كل مجتهد له اجتهاده ونصيبه من في إلحاق النازلة ببعض الأصول والقواعد التي تدل عليها، نختم هذا الموضع بوصية في هذا الموطن؛ بأن طالب العلم يتسع صدره للعلم، وهذا إذا حباك الله -جل وعلا- باتساع الصدر في العلم فإنك تؤتى علماً جديداً، وهذا هو الواقع والمشاهد أما من يضيق بالأقوال، أو من يضيق باختلاف العلماء ولا يبحث في مأخذ هذا ومأخذ هذا، وإذا أورد عليه أحد الأقوال نظر في كلامه وتأمل، فإنه يحرم بعض العلم، لهذا كلما اتسع صدر طالب العلم، كلما أوتي الصواب في العلم وأوتي الصواب أيضاً في العمل، في عدم التعدي على المسلمين والتعدي على العلماء، أو على طلبة العلم أو نحو ذلك، والله -جل وعلا- يقول لعباده: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ**

أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ والفرقة والخلاف يحصل فيه تعدى في كثير من الأحيان ولا يقول العبد التي هي أحسن والله –جل وعلا– أمر بأن نقول التي هي أحسن، وأنا ألحظ وربما منكم كثير لحظوا أن أحد منا قد يقول قولاً يكون غير واضح، فيأتي أحد ويعترض عليه فهو يتألم ويتحرج لنفسه أنه أخطأ أو أنه ما أدرك الصواب، فيأتي الشيطان فيصرفه من تقرير المسألة إلى وجود مخرج لنفسه، وهذه من وسائل الحرمان، وإذا قوى الله –جل وعلا– طالب العلم على أن يكون قوياً على نفسه في أنه إذا ما اتضحت له صورة المسألة لا يتكلم فيها ينتظر يسكت يعلم نفسه التؤدة، يعلم نفسه عدم الاستعجال في الكلام، عدم إلقاء الكلام على عواهنه الدقة في الألفاظ كيف يعبر عن المسائل، وإذا غلط يقول غلطت، ما أسهل منها عند من يرى تحقيق الحق، فعلاً أنا ما فهمت أنا ظهر لي كذا، ويبدو أنه انحرف ذهني إلى شيء آخر، يقول: أنا ما فهمت أنا غلطت أنا... ما أسهل منها، وهل من شرط طالب العلم أن لا يخطئ؟ ليس من شرطه، إنما من قلت غلطاته سواء في قوله وفي عمله فهو السعيد، هو الذي يثني عليه، أما أنه يأتي أحد لا يخطئ لا يغلط فيما يتكلم لا يغلط في تعامله، لا هذا لا يمكن النبي ﷺ وهو أكمل الخلق قال: قال: ((اللهم أيما عبدٍ سببته أو شتمته فاجعلها عليه رحمة))؛ لأنه بمقتضى الطبيعة يغلط الإنسان، الإنسان ما يتحمل، لكنه من يتصبر يصبره الله ومن لم يتحلم يعطيه الله –جل وعلا– الحلم. لهذا عوّد نفسك على الحلم، عوّد نفسك على الصبر، عوّد نفسك على أن لا تنتصر لنفسك في المسائل العلمية، حتى لو جاء المقابل وطعن فيك في علمك، طعن في طريقتك في الإيراد، لا تتأثر بهذا واجعل الكلام على العلم؛ لأنك مُبَلِغ للعلم، ولست منتصر لنفسك والمنتصر لنفسه يحرم نفسه انتصار الله –جل وعلا– له أسأل الله –جل وعلا– أن يمنحني وإياكم العلم والحلم والفقه في الدين، وأن يمنّ

علينا بسلوك طريق السلف الصالحين، إنه -سبحانه- جواد كريم، وهو ذو الفضل والإحسان والمنن والعطايا، اللهم فلا تحرمنا فضلك بذنوبنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، إنك على كل شيء قدير.

سؤال : جاء حديث يدل على أن الاختلاف في الأمة رحمة؟

الجواب : هذا الحديث ليس بصحيح وليس اختلاف الأمة رحمة، بل الاختلاف في الأمة أوقعها في بلابل كثيرة.

سؤال : من اجتهد في إباحة نسبة من الربا كخمسة في المئة ونحوه، فهل يؤجر على هذا؟ وهل يشنع عليه؟

الجواب : هذا، الربا نوعان رباً متفق عليه ومجمع عليه فهذا الذي يخالف فيه الإجماع هو صاحب ضلال وهوى وهو ربا الجاهلية الذي فيه القرض الحسن ثم بعد ذلك يقول: إما أن تقضي وإما أن تربي ويجعلون الربا أضعافاً مضاعفة، وهذا هو الذي جاء فيه عدد من الآيات والأحاديث، أما الربا الغير متفق عليه على تحريمه فإن هذا يدخل في باب الخلاف القوي والخلاف الضعيف على نحو ما فصلنا، مثلاً خلاف ابن عباس في ربا الفضل وربا النسيئة كما هو معلوم وأنه لا ربا في الفضل وإنما الربا ربا النسيئة، استدلالاً بالحصر في قوله ﷺ ((إنما الربا في النسيئة)) فهذا اجتهاد وخلاف، لكنه خلاف ضعيف حتى خلاف الصحابة خلاف ضعيف؛ لأن -يعني خلاف ابن عباس في هذه المسألة- كذلك إباحته للمتعة مثلاً في بعض المواطن، أيضاً خلاف ضعيف وما أشبه ذلك من الصور المعاصرة اللي جرى فيها البحث أيضاً الفوائد الربوية ومن أباحها من بعض المنتسبين إلى العلم، فهذه الفوائد الربوية منها ما هو متفق على تحريمه وهو ربا الجاهلية، ومنها ما هو مختلف في تحريمه، وما اختلف في تحريمه يدخل في الخلاف الضعيف أو في الاجتهاد وفيما ليس بصواب، فيدخل في التفصيل الذي ذكرناه وأول من

يعني بحسب علمي، أول من أباح الفوائد الربوية، يعني فوائد البنوك الربوية والقرض، القرض الصناعي ونحوه، -في حسب علمي-الشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار المعروف وهو رجل يميل إلى مذهب السلف ونصر التوحيد والعقيدة في مواطن كثيرة وله إلمام بالحديث والسنة والتخريج، لكنه غلط في مسائل فقهية ولم يكن من صناعته الفتوى، فأباح أشياء تبعه عليها عدد، وله رسالة في هذا الموضوع بخصوصه وهو الربا والمعاملات المالية، أجاز فيها هذه الفوائد لشبه عنده في ذلك، ثم تبعه عليها عدد من المشايخ في مصر، ما بين مقصر وما بين محسر في هذه المسائل، ومعلوم أن الخلاف -كما ذكرت لك- في هذا خلاف شاذ وضعيف وليس له حظ من الدليل، لكنه وجود الخلاف في هذه المسألة يفيد فائدتين، الأولى أن مسألة الفوائد والقرض الصناعي ونحو ذلك ليس من مسائل الربا المجمع عليها، فاعتقاد إباحتها والإفتاء بذلك أو إجازتها لا يدخل في إجازة واستحلال الربا؛ لأن استحلال الربا المجمع عليه كفر، والربا المجمع عليه هو ربا الجاهلية، وأما ربا الفوائد وربا القرض وما أشبه ذلك فهذه محرمة ولا تجوز ويجب إنكارها، لكن لا تدخل في الربا المتفق عليه.

سؤال : أليس ينكر على من خالف في الفروع الفقهية مع ظهور الدليل؟

الجواب : هذا يدخل في التفصيل الذي ذكرت، الخلاف القوي والخلاف الضعيف.

سؤال : سماحة الشيخ، هل الفوائد الربوية من الخلاف الضعيف؟

الجواب : كيف؟ أو أقل من الضعيف بعد، الخلاف الشاذ المنكر، يجب فيه الإنكار؛ لأن ماله، يعني استدلوا بقوله -جل وعلا- ﴿ **لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ** ﴾ وأن الفوائد هذه ليس فيها يعني الربا المحرم، قالوا: هو الذي

فيه ظلم للمسكين، يعني ظلم لصاحب المال، وهذا يقولون، هذا صاحب المال إذا أودع ماله في البنك ولم يأخذ عليه شيئاً والبنك هو الذي استفاد، صار هو الآن المظلوم، فأخذ الفوائد عندهم أنه عدل، وأن ترك الأخذ ظلم له؛ لأن البنك يستفيد وهو لا يعطي شيء، يشغل المال ويستفيد، ومعلوم أن المال يقبل النماء باليوم، يعني كل يوم فيه كسب، يعني على طريقة التجارات العالمية وأشباه ذلك، فعندهم هذه الشبهة، لكن هذا لو أقر لآل الأمر إلى أن البنوك – هذا من غير الأدلة النصية في الموضوع، لكن على حد تعبيرهم بأن فيه ظلم وعدم ظلم–، لو أقر ذلك، والحقيقة هو الذي فيه الظلم؛ لأنه لو أقر ذلك صارت البنوك تأخذ مائة في المائة، وتعطي هذا صاحب الفوائد خمسة في المائة، ستة في المائة، سبعة في المائة، ونحو ذلك. والأصل في ذلك أن صاحب المال إذا أراد أن يعطي من يشتغل له أن يكون شريكاً له، شريكاً له في مكسبه وفي خسارته، فالناس تنموا أموالهم، يعني لو فرضنا أنهم سيودعون وسيأخذون، هذا خمسة في المائة، وهذا ستة في المائة، وهذا سبعة وهذا عشرة في المائة، سيودعون، البنك قد يحصل خمسين في المائة فسيبقى نمو المال عند هذه الفئة قليلاً ونمو المال عند أهل البنوك عظيماً، فتقوى البنوك ويضعف الناس، ظاهر. هذا هو حقيقة الظلم، الظلم الجماعي، وفقكم الله وأعاننا وإياكم على الحق والهدى.

سؤال : إذا الكنادر لبست لبرد، هل يلزمه الفدية؟ دون الكعبين

الجواب : لا، لا يلزمه إذا لم يجد إلا هي ؟ لا، وجد بس برد يا شيخ، ولبس هذه الكنادر بمعرف الجوارب؟ يلزمه دية في هذه الحالة؟ وإن كانت تحت الكعبين؟

أشوفه وأخبرك، ما دام الحج توّه، ما يلزمنا الحين.

سؤال : يا شيخ ما ثبت رجوع ابن عباس عن هذا القول؟ وثبت عن مجموعة من الأئمة؟

الجواب : اللي هو ربا الفضل؟ نعم يذكر عن ابن عباس أنه رجع.

سؤال : إيه نعم، لكن ما ثبت رجوعه يا شيخ؟

الجواب : يذكر أنه رجع، رجوعه عن المتعة ثابت، لكن ربا الفضل أنا ما أحفظ.

سؤال : ولكن الشيخ ابن قاسم..

الجواب : يميل إلى أنه رجع؟

سؤال : إيه والله؟

الجواب : يمكن.

سؤال : طيب يا شيخ سؤال في الحج، هل يجوز يا شيخ للمحرم أن يلبس التساخين للحج؟

الجواب : يفدي إذا لبس، فدى.

سؤال : ولو كان محتاج؟

الجواب : ولو كان محتاجاً.

سؤال : أحسن الله إليك إيش رأيكم في التأمين الصحي؟

الجواب : وما التأمين الصحي؟

السائل : التأمين الصحي مثلاً الجمعية التعاونية الآن تأخذ ألف وخمسمائة على السنة؟ تأخذ ألف وخمسمائة على السنة ويبدأ العمل بعد سنة، تذهب إلى أي مستشفى وتعالج مجاناً.

الجواب : أنا أذكر اللي أقر في مجلس الشورى، وجاءنا في مجلس الوزراء أيضاً وشفناه، وبنوده شرعية، عبروا عنه بالضمان الصحي، ما هو التأمين.

سؤال : أنا أسأل عن التأمين الصحي.

الجواب : التأمين ما أعرفه ما شفته.

سؤال : أنا باشرح لك الآن، الشركة الآن الجمعية التعاونية، أنا آتيها وتقول: تدفع ألف وخمسمائة على السنة، وبعد سنة في عام ألف وأربعمائة وواحد وعشرين يبدأ، يعني إذا دفعت ثلاثة آلاف، الآن أدفع ألف وخمس في السنة، فإذا دفعت ثلاثة آلاف يبدأ الحق، اذهب مثلاً إلى أي مستشفى سواء سووا لي عملية مثلاً أو أي علاج يكون على حساب الجمعية.

الجواب : تأمين يعني، مثل أي تأمين آخر، هذا مثل حكم التأمين، هذا مثل التأمين الآخر، يعني تدفع شيء ولا تدري أنت، ينفذ أو لا، تدفع أنت.

سؤال : لكن واحد مثلاً يقول هذا فيه مصلحة لي؟

الجواب : لا يعني خصم من الراتب؟

الجواب : هذا تأمين له حكم التأمين ويدخل في خلاف التأمين، هذا تأمين مثل التأمين على السيارة وعلى البيت.

سؤال : لو قال واحد مثلاً: أنا بسوي تأمين لزوجتي، وهي مثلاً حامل بعدما تحمل مثلاً تلد في أكبر مستشفى ولو مثلاً حصل قيصرية أو شيء، يعني يدفعه الجمعية.

الجواب : يا الله تفاعل خير وبعدين؟

سؤال : يكلف مثلاً هو دفع ثلاثة آلف قد مثلاً العملية أو الولادة الطبيعية تكلف خمسة آلاف، ستة آلف، عشرة آلاف.

وبعد السنة الثانية...

سؤال : وثم ينسحب.

وهذه صورة زينة إباحتها للحوامل هذا الاجتهاد شوفوها أنتم تبغى لها نظر يعني إذا كان لحاجة معينة ويعلم أنها ستتحقق، يعني هو ما يدري، لكنها غالب ظنه أنه بيصير مثلاً...

سؤال : أحسن الله إليك يا شيخ، ما الفرق بين الاعتقاد والاعتماد الكلي؟ مثلاً في فعل الأسباب ؟ قال: اعتمد كلياً؟.

الجواب : الاعتقاد قلب، والاعتماد فعل.

سؤال : لكن اعتمد –أحسن الله إليك– اعتماداً كلي على هذا الشيء، هل يدخل في الاعتقاد؟

الجواب : ما هو بشرط، قد يعتمد دون اعتقاد.

سؤال : أن مش اعتقاد بسبب الاعتماد.

الجواب : لا، هو الاعتقاد، الاعتقاد هو أنه في قلبه ليس فيه أن الله نافعه ولا، إنما هذا السبب مادي يعتقد في داخله أن المادة هي كل شيء، هذا هو الاعتقاد، لكن الاعتماد غفل قلبه واعتمد ظاهره، ما يسوى هذا بهذا. لهذا صار الاعتماد على الأسباب يعني بالكلية، ما هو بالاعتماد على الأسباب فقط، الاعتماد على الأسباب بالكلية، يعني دون اعتماد القلب على الله –جل وعلا–، هذا محرم، أو نقول: يدخل في نقص التوحيد، شرك أصغر، أو شرك خفي. ظاهر؟ إيه. أما الاعتقاد فهذا كفر. ظاهر؟ إيه. يعتقد أن الأسباب كافية ولا نافع الله –ﷻ–، هذا كفر ظاهر لك؟ أحسن الله إليك. يعني يعتقد أن ما في، مثلاً الطبيب بيعمل لك عملية، يقول: خلاص. ما جاء في قلبه أنه يعظم الاعتماد على الله وكذا، فعله كذا بالطبيعة، هذا عمل يعني فاته الأفضل، لكن في قلبه فيه أصل الاعتماد، لكن فيه من اعتمد على السبب في هذا بالذات، وجاء وقال: أبد، الطبيب أبد يكفي. ما دام في قلبه أي شيء من التوكل على الله، اعتمد على السبب فقط فهذا يدخل في، إما محرم أو شرك

خفي أو اصغر، بحسب الحال، لكن المسألة الثانية اعتقد أن هذا السبب كافٍ دون الله –جل وعلا– ظاهر؟ ما هو التفت ما التفت الآن، جعل السبب كافي، يعني قال: يكفي الطبيب الدكتور كافي، أبد اترك عنك. هذا كفر إذا اعتقد قلبه، ما في أحد يعتقد أن يعتقد الاعتماد على الأسباب فقط، يعتقد الأسباب فقط ويكون عنده إيمان؟ ما يمكن المؤمن لازم يكون عنده اعتماد على الله – جل وعلا–، لكن يعتمد على الأسباب ظاهرًا بحسب الحال.

سؤال : موظف التأمين قصرًا، هل هو أخذ ما يقابله؟

الجواب : إيه، إذا أخذ من راتبه؟ إيه نعم. إيه نعم لا.

سؤال : ولو كان زائدًا على ما أخذ؟

الجواب : ولو، ولو. أنه هو أخذ منه قصراً وهم رضوا به.

سؤال : لكن قالوا علة تحريم التأمين وهي الميسر، فما العلة؟

الجواب : لا، الميسر متى يتحقق؟

سؤال : إذا كان غارمًا أو غانمًا.

الجواب : إذا أنت بتدخل فيه، ظاهر؟ لكن إذا كان، خلاص هم سيأخذون منه. يعني أجبروني على الدخول. هذه هم سيخصمون من الراتب، خلاص هذا، فأنت إذا ما استفدت منه، وش رجعت إليه. رجعت إلى الغرم في الحالين، وهذا أشد مفسدة، يعني كأن المال تركته لهم، لهو أشد مفسدة فهو إذا أخذت أنت، إذا وزنت به أخذت مالك من الحق، ما في بأس.

سؤال : ألف وخمسمائة في السنة؟

الجواب : لا، مالك من الحق ما هو من المال، مالك من الحق إللي لك من الحق في الأخذ، هم أخذوا منك هذا، حتى تتعالج، خلاص تعالج، تعالج هم ألزموك، يأخذون منك خصم علشان مثلاً، في الخارج يكثر، اللي راح للخارج ما فيه لو يشتري دفاية لازم عليها تأمين، لو يشتري أي شيء،

التأمين يضاف، يضاف ماله فيه حيلة، فإذا تركه لهم صار أيش؟ صار معينًا، غرمين يعني، هو أعانهم على الجهتين. فالغرر الدخول فيه منهي عنه، لكن إذا فرض عليك، أيش؟ أن تجعل غرمًا واحدًا أحسن من أن يكون غرمين؛ لأنه أخف الضررين؟

سؤال : الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير الحميد العزيز قال الخوف الذي يحملك على ترك الواجب وفعل المحرم هذا خوف محرم، الشيخ عبدالرحمن في فتح المجيد قال: إنه شرك أصغر؟

الجواب : إيه نعم، وش ظهر لك؟ أنه محرم ، بس محرم ما هو بشرك أصغر، وهو توسع الشرك الأصغر فيه نوع تشريك؛ لأنه هو ما ترك الأمر والنهي خوفًا، يعني ما هو مصلحة، بس مجرد إلا أن أش؟ خاف منهم كخوف، أو قدم، خوفه منهم على خوفه من الله، فيه نوع تشريك، بس الأظهر التعبير بالمحرم.

سؤال : يا شيخ صالح الخوف من غير الله فيمن لا يقدر عليه إلا الله، هذا تعريف الخوف الشركي صح؟

الجواب : لا، لا يصح؛ لأنه الخوف الشركي والخوف السري، يعني يعطي شيء غيبي ما لله -جل وعلا- من الخصائص، يعني يؤذي بدون سبب ظاهر.

سؤال : لو قال واحد: لولاك أو ولولا فلان ما كان كذا، بدون تشريك مع الله – سبحانه وتعالى-؟

الجواب : لولا فلان وكان يرد له أثر في هذا، هل يكون فيه نوع من الشرك الأصغر؟ إيه هذا شرك أصغر، إذا كان أنه في مقابلة نعمة أو اندفاع نقمة، يعني فيه نعمة حصلت له، قال: لولا فلان ما حصلت لي. أو اندفع عنه مصيبة، قال: لولا فلان ما كان أنجاني كذا. هذا هو الشرك الأصغر.

سؤال : واللي ورد في السنة ((لولا أنا لكان أبوطالب في النار الدرك الأسفل من النار))، وقول عمر لحفصة لو لا أنا لطلقك رسول الله؟

الجواب : يعني ما فيه، يعني صارت بدون واو التشريك؟ إيه ما يجوز؟ هل القائل الآن هو المنتفع المتفَضَل عليه، أو المتفَضِل؟ المُتَفَضِل؟ وصورتنا اللي نتكلم فيها، متفضل عليه، متفضل عليه؛ لأن المتفضل عليه بتعلق القلب بمن؟ تفضل عليه، أما المتفضل، مثلاً أنا لو أقول لك أنت: لولا أنا ما كنت من أهل السنة والجماعة. أيش؟ لولا أنا ما صرت من أهل السنة والجماعة، هذا يدخل فيه؛ لأن من المتفضل لكن القلب هنا ما فيه تعلق، هنا يدخل في، بحث آخر، الفخر مثلاً أو يدخل في ضوابط أخرى، لكن الضابط المنهي عنه أن يكون ممن انتفع، ما هو بالنافع؛ لأن هذا قلبه تعلق بمن أحسن إليه، تعلق بالسائق اللي بسببه ما صار له، تعلق بالطبيب، تعلق بمن أحسن إليه، التعلق هذا هو الذي يدخل له التشريك ظاهر؟ أما حديث: ((لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار))، ما دخل من جهتين، الجهة الأولى: أن النبي ﷺ متفضل، والأحاديث اللي فيها النهي إنما هو في المنتفع بالنعمة أو اندفاع النقمة، الأمر الثاني: أن قوله: ((لولا أنا)) يقصد أيش؟ يعني لولا شفاعتي وشفاعته ﷺ تقبل ابتداءً وإلا بفضل الله؟ بفضل الله، فمعلوم أن لو قال: ((لولا أنا)) يعني لولا شفاعتي، شفاعتي له، يعني شفاعته ما تقبل إلا بإذن الله، فرجع الأمر -ولو لم يذكر ظاهر- رجع إلى الله -جل وعلا-.

سؤال : لعلا تعلق قلبه مثل لفظ لولا، لو كان أمر آخر، لولا فلان ما كان فلان وليس له انتفاع له؟ يقول: لولا عمل كذا ما انتفع، فلان آخر ليس له هو تعلق قلبه، هل يدخل في هذا؟

الجواب : إيه، بس هو دخل هنا على حكم أن ينظر إلى ورود الفضل وإلا ينظر إلى أيش؟ إيه يقول: يعني مثلاً أنا أقول لك مثلاً: لولا أنت عبدالله

ما صار لك كذا وكذا، هذا دخل في الشرك؛ لأنه لولا الله ثم عبدالله، ظاهر؟ ليش لأنه الآن دخلنا في الانتفاع، يعني أنه هو المُتفَضِل والمُتفَضَل عليه، أنت الآن داخل، أما الحديث فتوجيهه على الوجهين، وكذلك قول عمر: لولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ؛ لأنه المتفضل عليها، يبين عليها فضله. لو قال إنسان: لو الهوى ما اختلف الناس في هذا. إيه ما فيها شيء، هذا ما فيها شيء، هو أقرب شيء تنضبط به هو ما كان في أمرين، تنضبط بأمرين.

الأمر الأول: أن يكون استعمال لولا في تحصيل نعمة أو اندفاع نقمة بسبب من الأسباب، فيعزوه للسبب، يعزو تحصيل النعمة للسبب ولا يذكر الله، يعزو اندفاع النقمة للسبب ولا يذكر الله، هذا واحد.

الأمر الثاني: أن يكون فيه في ذكره تعلق القلب بهذا السبب إذا حصل تعلق السبب، حصل الشرك قلبًا ولفظًا.

سؤال : بالنسبة للصلاة خلف الكاهن أو العراف، إذا كان هو إمام مسجد، تصلي في بيتك أو تصلي في المسجد معه؟

الجواب : لا تصلي في بيتك تصلي في جماعة أخرى، إلا إذا اضطررت يعني للصلاة وتخشى من التفريط؛ لأن قصارى الأمر الصلاة خلفه باطلة، ظاهر؟ وفي الصلاة خلفه تقوية له وتزكية له، فإذا اضطررت في هذا لو صليت معه تعيد، تعيد الصلاة لأنه كافر. يعني ممكن تصلي معه في المسجد وترجع في البيت تصلي؟ تصلي في المسجد، بس ما هو بدائم يعني إذا اضطررت، **سؤال** : طيب ما في إلا هذا المسجد مثلاً في الحي، ماذا تفعل؟ هذا المسجد الوحيد الذي يصلي فيه الكاهن، وإلا تصلي في بيتك؟ صلي في بيتك ما تصلي وراءه، أو تشوف لك مسجد آخر جماعة ولو بعيد، جاهد، أما الكهان والعرافين ما يصلى وراءهم.

سؤال : معاشات التقاعد تعد من التأمين؟

الجواب : أنت وش عليك من معاشات التقاعد؟ خليك في التأمينات الاجتماعية، هو تأخذ منك تخصم منك؟ في احتمالين تدفعها أنت باختيارك أو تخصم منك. لا تدفع، توكل على الله، وإذا كان أنه أخذوا منك فاستفدت منه.

سؤال : طيب البنوك العمل فيه يا شيخ؟ العمل في البنوك؟ وش عليك منه؟ عندنا والله مشكلة. ما يعمل في البنوك، حتى ولو عمل غير ربوي؟ حتى ولو عمل غير ربوي؛ لأنه يعين على أهليها وتقويتها.

الشريط السابع والخمسون . وجه (أ) ١٤٢٠/١١/١٣ هـ

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم نسألك علمًا نافعًا وعملاً صالحًا وقلبًا خاشعًا، ربنا لا حول لنا ولا قوة إلا بك فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم آمين. نجيب عن بعض الأسئلة.

سؤال : يذكر الرغبة في إخراج بعض الكتب التي شرحت، يعني تفرغ وتطبع مثل كتاب التوحيد، والواسطية والطحاوية؟

الجواب : النية لهذا قائمة وبعضها شرع فيه، نرجو إن شاء الله أن يتم قريبًا.

سؤال : يقول ما رأيك فيمن يحج بدون تصريح علمًا بأنه تمكن من الحج عدم مرات؟

الجواب : أولاً: بالنسبة للسؤال أنا لا أختار أن يسأل أحد بقول السائل: ما رأيك؛ لأن المجيب لا يجيب عن رأيه وهذا هو الأصل، أنه لا يجيب برأي يراه وإنما يجيب بما يعمله هو من دلائل الشرع وقواعد الشريعة والأصول العامة التي لا يسوغ أن يتعدى المعلم أو المفتي أو المجيب، أن يتعداها. الرأي قد يكون ممدوحًا وقد يكون مذمومًا، وعامة كلام السلف –كما تعلمون–

في ذم الرأي وذم أهل الرأي؛ لأنه في الغالب الرأي لا يصدر عن تتبع للدليل وتتبع للقول الصحيح في المسألة، فلو يقال في مثل الأسئلة: ما حكم كذا؟ ما حال كذا؟ ما حكم من حج بدون تصريح؟ ما حال من حج بدون تصرح؟ هل يأثم أو لا يأثم؟ ونحو ذلك. هذا من جهة صياغة السؤال، أما من جهة الجواب فمر معكم مرارًا من أجوبه المشايخ وأهل الإفتاء أن قول ولي الأمر في مسألةٍ يسوغ فيها الاجتهاد ملزم، إذا كانت المسألة فيها اجتهاد ولم يحرم حلالاً أو يحل حراما ولم يأمر بمعصية، فإن قوله ملزم وسيما إذا كان أمره وإلزامه بذلك كان نتيجة لفتوى، ومعلوم أن الحج سواءٌ أكان حج المقيم أم حج المواطن قد صدرت فيه فتوى من هيئة كبار العلماء وإن لم تكن في بعضها بالإجماع، لكن الفتوى معتبرة وهو قرار من هيئة كبار العلماء، ألزم به ولي الأمر، فلا يجوز حينئذ مخالفته، لكن من فعل من خالف وحج، فهل حجه صحيح أو غير صحيح؟ حجه صحيح؛ لأنه لا يبطل حجه بإثم ارتكبه، مثل المرأة لو حجت بدون محرم فإنها تأثم مع صحة الحج، ومما ينبغي على طلاب العلم بعامة أن لا يحتالوا على ما يفتى به، أو على ما يلزم به ولي الأمر فيما له الإلزام به، وأن يستجيبوا لذلك؛ لأن هذا من المصالح المرسلة، تعلمون أن الشريعة جاءت بحفظ المصالح المرسلة كما جاءت بحفظ المصالح المقيدة، والشريعة في أصلها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها. ولهذا فينبغي على المسلم أن يحتسب في طاعة ولاة الأمور وطاعة الفتوى التي صدرت من أهل العلم في ذلك، وأن لا يتحيل السبل لمخالفتها؛ لأن في هذا مصالح كثيرة للمسلمين في الداخل وفي الخارج. وتعلمون قول النبي ﷺ: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)).

سؤال : هل عبارة "الله ما شفناه لكن بالعقل عرفناه" في قول العامة صحيح؟

الجواب : هذا القول في غالب معناه صحيح وهو مأخوذ في الأصل من كلام علي -رضي الله عنه- في خطبة وهو موجود في "نهج البلاغة" نسيت العبارة لكن مؤداها أو حاصلها يقول: والله إن لم تدركه الأبصار بالشهود، لكن عرفته وأذعنت له العقول بالدليل. أو نحو ذلك، هي موجودة يعني أصلها في كلام علي -رضي الله عنه-.

سؤال : كيف انعقد النذر من عمر -رضي الله عنه- وهو في حالة الشرك، مع أن النذر عبادة يحتاج إلى نية، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام؟

الجواب : النذر عبادة ويحتاج إلى نية، لكن ليس من شرط صحته الإسلام، ليس من صحة شرط النذر، من صحة النذر ووقوعه عبادة الإسلام، فقد ينذر نذرًا ويكون نذر طاعة ويقع النذر صحيحاً، لكن إذا وفى به وهو غير مسلم، نذر فوفى به هل يؤجر عليه؟ نقول: لا يؤجر عليه لأن الثواب من شرطه الإسلام. أما أصل عقد النذر -هو مثل اليمين، باب النذور والأيمان مبناهما واحد- فالنذر وهو إلزام المسلم نفسه عبادة لله -تعالى= ليست لازمة له بأصل الشرع، إلزام المسلم نفسه بهذه العبادة، هذا النذر فهو له في الإلزام مقام اليمين. فلهذا إذا نذر وكان مستوفيًا لأنه نذر على ما يستطيعه وفي مستقبل وليس نذر معصية، فإن هذا الوفاء به متعين، فإذا أسلم فإنه يجب عليه أن يفي بهذا النذر؛ لأنه ليس من صحة انعقاده الإسلام.

سؤال : ما حكم نهر الأئمة لمن يقوم باستعطاء الناس؟ وهل هو من المنكر الذي يجب إزالته؟

الجواب : هذه المسألة، هذا السؤال له شقان:

الشق الأول: سؤال المسجد، هل يجوز لأحدٍ أن يقوم في المسجد ويسأل؟.

الشق الثاني: هل الإمام يأذن أو لا يأذن بالسؤال؟.

وأما الشق الأول منها هو أن سؤال المسجد، يعني سؤال المحتاج في المسجد اختلف فيها أهل العلم على عدة أقوال، فمن أهل العلم من ذهب إلى إباحته وأن المحتاج له أن يسأل واستدلوا لذلك بما رواه أبوداود في السنن أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- مر بسائلٍ يسأل في المسجد فأعطاه، ويعني سياق الحديث أن أبا بكر قال: مررت بسائل يسأل في المسجد فأعطيته خبزة أو نحو ذلك.

والقول الثاني: أن هدي النبي ﷺ في سنته لم يكن الإذن بسؤال الفقير أو المحتاج الناس، وإنما كان هديه أنه إذا علم محتاجًا فإنه يطلب من الناس أن يعطوه، وكما حصل في قصة مجتابي النمار وهم قوم قدموا على النبي ﷺ وقد تخرقت نمارهم وكانوا في حالة رثة فعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ، فلما صلى طلب الناس أن يتصدقوا على هؤلاء، فقام رجل فقال: عليّ يا رسول الله درهم. فتتابع الناس بعده، فقال: ﷺ: ((من سن سنة في الإسلام كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة))، فدل هذا على أن أو استدلوا بهذا على أن السائل لا يجوز له السؤال في المسجد وأن الإمام، إمام المسجد، إذا علم من أحد حاجة فإنه -وتأكد وتثبت من ذلك-، فإنه يطلب من الجماعة، يطلب من الناس أن يتصدقوا عليه، أما السائل يقوم ويسأل بعد الصلاة هذا لم يكن في عهده ﷺ وهؤلاء ذهبوا إلى تحريم سؤال المسجد، بعكس الأول، الأولون الإباحة، وهؤلاء قالوا بالتحريم، وممن ذهب إلى ذلك جمع من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وحرم السؤال في المسجد. وهذا اختاره عدد من أئمة الدعوة منهم سماحة الجد الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله تعالى- وعليه

فإن الإمام على هذا القول يعني إذا اختار هذا القول وأنه لا يجوز سؤال المسجد، فإنه يلزمه أن لا يقر السائل على محرم، إذا كان السؤال لا يجوز فإنه يلزمه أن لا يقره، فيكون نهي الإمام للسائل هذا نهي لفعل ما لا يجوز في المسجد، فيدفعه بما يندفع به، إذا اندفع بكلام سهل فإن هذا يكفي، إذا اندفع بما هو أكثر بنهر، يعني لم يندفع بأقل اندفع بالنهر فإنه له ذلك، إذا لم يندفع إلا بإخراجه فإن له ذلك أيضاً على هذا القول. وأدلة هذا القول، يعني من حيث عدم جواز السؤال ظاهرة، من حيث الدليل ووجهوا فعل أبي بكر بأنه لم يسأل بعد الصلاة وإنما وجده في طرف المسجد يعرض حاجته، وهذا غير المسألة التي فيها الخلاف. فإذاً وجه الدليل يدل على عدم جواز السؤال في المساجد على أن السنة أن الإمام إذا علم حاجة محتاج فإنه يشفع في ذلك ويحدث الناس بذلك لقوله ﷺ فيما رواه الشيخان: ((اشفعوا فلتؤجروا وليقضي الله على لسان نبيه ما شاء)) فالشفاعة من شفع شفاعة حسنة أجر عليها، إذا علم وتحقق أن هذا محتاج فكونه يسعى في ذلك ويحدث الناس؛ بأن هنا محتاج موجود من صفته كذا وكذا اعطوه، هذا له أصل في السنة وهو هدي النبي ﷺ أما ما ترونه اليوم من أنه بعد كل صلاة يتحدث اثنين ثلاثة، ويقطعون على الناس تسبيحهم وبعضهم ينمق الخطابة ويتحدث بحديث طويل، أو يظهر عاهة أو نحو ذلك، هذا لا شك أنه ليس مما كان في عهد النبي ﷺ فهو أولى بالمنع من كثير من المسائل التي يمنع منها بعض المأمومين، كالدعاء بعد الصلاة ونحوها؛ لأنها لم تكن من السنة بيقين. وأئمة الدعوة –رحمهم الله– هديهم في المساجد كان على هذا، أنه إذا علموا محتاجاً في البلد أو قدم عليهم من هو محتاج تكلم الإمام، هنا محتاج يحتاج إلى بيت، تصدقوا جزاكم الله خير، يعطون الإمام أو هو يكون موجوداً فيعطونه. وهذا هو التعاون على البر والتقوى، أما الإذن للناس أن كل من أراد قام

ويسأل ويقطع الذكر وربما شوش على المصلين، يوعني هذا فيه نظر ظاهر، إذا أنكر جماعة المسجد على الإمام هو يبين لهم، لكن يدفعه بالتي هي أسهل، يدفعه بالتي هي أحسن، والإمام يكون حكيماً ما يجعل المسألة مرادة صوت، يعني يكون حكيماً يدفعه بالتي هي أسهل ويعلم الناس الحكم، وإن شاء الله يتعلمون في ذلك. أما الإعطاء ما فيها شيء، لكن السؤال، السؤال ما يجوز لكن من سأل واحداً أحب أن يعطيه ما في شيء؛ لأن هذا صدقة.

المتن :

ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّـهِ الإِسْلاَمُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ وهو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر،وبين الأمن واليأس، فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براؤا إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة.

الشرح :

الحمد لله رب العالمين،وبعد: قال العلامة الطحاوي –رحمه الله تعالى– ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام قال تعالى **﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّـهِ الإِسْلاَمُ ﴾** وقال **وقال تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾** هذه الجملة من كلامه –رحمه الله تعالى– يقرر بها أن دين الله –ﷻ– وهو ما يدان الله به ويتقرب إليه به طاعةً تحقيقاً للغرض من الخلق، هو الإسلام فهو الذي تعبدت به الملائكة في السماء، وهو الذي تعبد به الحجر والشجر ممن يعبدون الله –جل وعلا– بمقتضى الخلقة لا بمقتضى الاختيار، وهو الذي لا يرضى الله –جل وعلا– أن يتعبد به من أعطاه الاختيار إلا أن يتعبد بالإسلام. وهذه الجملة يريد بها أن الإسلام الذي هو الدين شيء واحداً

اجتمعت عليه الرسل وهو الدين الذي في السماء وهو الدين الذي في الأرض، وهو الأمور الخبرية أو العقائد الخبرية دون الأوامر والنواهي، وهذا يعني أن كل ملة وكل رسول إنما جاء بالإسلام الذي أذن الله به ورضيه وأمر به؟، وبه تعبد المتعبدون في السماء، وبه أمر أن يتعبد المتعبدون في الأرض. وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى:

الإسلام ينقسم إلى قسمين، وهو الإسلام العام، والإسلام الخاص، وكلام المؤلف هنا يعني به الإسلام العام، وهو الاستسلام لله –جل وعلا– بالتوحيد والانقياد بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، فهذا الإسلام وهو الاستسلام، هو الذي اجتمعت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، فدعوا إلى توحيد الله وإلى الاستسلام له بالتوحيد بعبادته وحده دونما سواه وخلع الآلهة والأنداد، والبراءة من كل معبود سوى الله –جل وعلا– ومن كل عبادة لما سوى الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه والانقياد لله –جل وعلا– ظاهراً بالطاعة، بطاعته –جل وعلا– فيما أمر وبالانتهاء عما نهى عنه –ﷻ– هذا هو الإسلام العام وهو الذي ينطبق على رسالة كل رسول، وهو الذي ينطبق على إسلام كل شيء له كما قال –جل وعلا–: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّـهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ فقوله ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّـهِ يَبْغُونَ** ﴾ يعني أفغير دين الإسلام يبغون فكل من في السماوات والأرض أسلم لله –جل وعلا– طوعاً أو كرهاً، يعني استسلم، إلا المشرك فإن استسلامه كان استسلام انقياد لأمر الله الكوني دون استسلام وانقياد لأمر الله الشرعي. والنوع الثاني الإسلام الخاص وهو شريعة محمد ﷺ دين كل الأنبياء هو الإسلام بمعناه العام، ودين محمد ﷺ هو الإسلام وهو شريعة الإسلام، الإسلام الخاص. وهذا الإسلام الخاص هو الذي جاء تفسيره في قول النبي ﷺ

((بني الإسلام على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)) حديث ابن عمر. وهو الذي جاء في جوابه ﷺ لجبريل -عليه السلام- حينما سأله عن الإسلام فقال ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله))، ثم سأله عن الإيمان، ثم سأله عن الإحسان ثم قال في آخره: ((هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم)) فالإسلام الخاص يشمل هذه المراتب الثلاث، الإسلام والإيمان والإحسان أيضاً، وكل واحدة منها من شريعة محمد ﷺ وطبعاً تفاصيل الشريعة قد تدخل مع العقيدة، يعني فيما دعى إليه جميع الأنبياء في الإسلام العام، يعني مثلاً الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، هذه تدخل في الإسلام العام الذي اشترك فيه جميع الأنبياء، كذلك في شهادة أن لا إله إلا الله، هذه أيضاً لكل المرسلين. فهذا الإسلام الخاص هو الشريعة التي جاءت في قول الله -جل وعلا-: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً** ﴾ فالشرعة هي ما خص الله -جل وعلا- به كل نبي عن النبي الآخر، خصه بهذه الرسالة خصه بهذا الوحي، هذا هو الإسلام.

المسألة الثانية:

دين الله في الأرض والسماء واحد، كما قال الطحاوي هنا فحينئذٍ ليس عندنا أديان سماوية ولا الأديان الثلاثة، ومن عبر عن اليهودية والنصرانية والإسلام أو غيرها أيضاً بأنها أديان سماوية، هذا غلط عقدي وغلط أيضاً على الشريعة وعلى العقيدة؛ لأن الدين واحد كما قال -جل وعلا-: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾ فالدين الذي جاء من السماء من عند الله وارتضاه الله في السماء وارتضاه في الأرض واحد ليس باثنين وليس بثلاثة، فمن الغلط قول القائل الأديان السماوية الثلاثة، اليهودية والنصرانية والإسلام، بل ليس ثم إلا دين سماوي واحد وهو الإسلام فقط على التفصيل الذي ذكرنا في المسألة الأولى. فشريعة عيسى -عليه السلام- تسمى النصرانية، وشريعة موسى تسمى

اليهودية، أو تقول: اليهودية والنصرانية وغير ذلك، لكن لا تنسب هذه الثلاث بقول القائل: الأديان السماوية الثلاثة؛ لأنه كما قال الطحاوي هنا: دين الله واحد، ليس متعدداً، وهذه ذهب إليها جمع من النصارى ومن اليهود في تصحيح كل الديانات، يعني من القرون الأولى في أن النصرانية دين من الله وأن اليهودية دين من الله وإن الإسلام دين من الله، وهذا لا شك أنه باطل ومخالف لنصوص الكتاب والسنة وللإجماع في أن الله –جل وعلا– لا يرضى إلا الإسلام كما قال –جل وعلا–: ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** ﴾ وقال: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ وقال –جل وعلا– ﴿ **هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا** ﴾ يعني من قبل يعني عند الرسل السالفة.

المسألة الثالثة:

الدين أصل اشتقاقه في اللغة من دان يدين إذا التزم أو أُلزم بما يكون ملازماً له ومعتاداً في شأنه، ولذلك قيل أيضاً: الديدن، ديدنه كذا، يعني ما اعتاده كذا فديدني ما اعتدته ومنه أيضاً الدين يقول أنا ديني كذا يعني في أصل اللغة، يعني اعتاد كذا والتزمه، ولهذا صار كل ما يُلْتَزم يقال له: دين. لهذا جاء في القرآن ذكر دين الملك في قصة يوسف في قوله –جل وعلا– ﴿ **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾ فقوله –ﷻ– ﴿ **مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ** ﴾، يعني في شريعة الملك؛ لأنها ملتزمة والالتزام والحكم بها صارت عادة وصارت ديدناً، يعني صارت ديناً يعتاد ويلزم به الناس، لهذا يقال: فلان دينه ضعيف، أو دينه قوي، يعني ما اعتاده من الالتزام بأمر الإسلام، إذاً فقوله هنا: دين الله هنا هذه الإضافة إضافة الدين إلى الرب – جل وعلا– ليست إضافة إلى الفاعل هي إضافة إلى الآمر بها، تقول: دين

فلان لأنه هو يتدين، ودين الله، يعني الدين الذي أمر الله به وألزم به الناس ولم يرض غيره هو الإسلام، وهنا طبعاً فرق بين الدين وبين الشريعة وبين العقيدة، يعني يحتاج إلى وقت أطول لبيانه، يعني تشترك، الدين يمكن أن يطلق على الشريعة والعقيدة جميع، والشريعة يمكن أن تطلق على الدين وعلى العقيدة أيضاً، والعقيدة أيضاً يمكن أن تطلق على الشريعة وعلى الدين، لكن بينها عموم وخصوص فهي تشترك في أشياء وتختلف في أشياء، ويمكن أن يعبر عن كل واحد بالآخر.

المسألة الرابعة والأخيرة:

الإسلام ينقسم إلى -يعني من حيث الاستسلام- إلى ثلاثة أقسام، إسلام الوجه، وإسلام العمل، وإسلام القلب، وإسلام الوجه يُعنى به أن لا يتوجه إلى غير الله -جل وعلا- في عبادته، فيستسلم لربه -ﷻ- ويقبل عليه بوجهه وحده دونما سواه، وهذا جاء في نحو قوله -ﷻ- ﴿ **بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ وقوله -جل وعلا-: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للّه وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ القسم الثاني: إسلام العمل لله -جل وعلا- وهو أن يكون العمل مستسلم فيه لله متخلصاً فيه من الهوى، فيسلم العمل، يعني يستسلم في العمل فلا يسلط داعي الهوى على الأعمال الصالحة والثالث إسلام القلب وهو أصل هذه الأنواع كلها، وهو أنه يخلص في قوله وفي عمله ويستسلم لربه -جل وعلا- في كل أحوال قلبه. وينقسم الإسلام أيضاً باعتبار آخر إلى شرائع ذكرناها لكم، فكل نبي دينه الإسلام لكن شريعته مختلفة، وقد يقال: دين النصرانية، دين اليهودية، باعتبار التدين، كما ذكرنا لك، باعتبار الالتزام، والمقصود الشريعة، لكن لا يقال: الأديان الثلاثة، يعني السماوية كما ذكرنا لك، باعتبار آخر ينقسم إلى ثلاثة أقسام، إلى شرائع ذكرناها، وينقسم باعتبار ثالث وهو

الإسلام الخاص إلى الإسلام والإيمان والإحسان، وينقسم أيضاً باعتبار رابع إلى إسلامٍ كامل وإسلام ناقص، يعني باعتبار الاستسلام، يعني إذا قلنا: باعتبار إسلام كامل. يعني استسلام كامل، إسلام ناقص، يعني استسلام ناقص، وهذا بحثه أهل العلم واختلفوا فيه، هل الإسلام مثل الإيمان؟ يزيد وينقص؟ أم أن الإسلام شيء واحد والإيمان هو الذي يزيد وينقص؟ أم أن كلاً منهما شيء واحد أم العكس؟ على أقوال متنوعة والذي ينطبق على طريقة أهل السنة والجماعة وإن لم يصرح به الأوائل، لكن صرح به المتأخرون مثل ابن تيمية ونحوه من أهل العلم، أن الإسلام يزيد وينقص باعتبار الاستسلام، وأن الإسلام له كمال وله نقص، وهذا ظاهر باعتبار الاستسلام، فإذا نظرنا إلى إسلام الوجه والعمل والقلب أو القصد لله فالناس في ذلك متباينون، تبايناً شديداً وإذا نظرنا إلى التقسيم الثالث وهو أن الإسلام ينقسم إلى إسلام وإيمان وإحسان والناس في الصلاة مختلفو المراتب وفي الصدقة والزكاة، الصدقة الواجبة الزكاة، مختلفو المراتب وأن الناس في الصيام مختلفو المراتب وفي الحج مختلفو المراتب، ثم في الإيمان أيضاً مختلفو المراتب، فلا بد أن يكون ما تكون من هذه أن يكون متفاضلاً أيضاً، ولذلك ليس من كمان وصفه الإسلام على مرتبةٍ واحدةٍ، كذلك ليس كل مؤمنٍ على مرتبة واحدة، فأهل الإيمان في الإيمان متفاوتوا المراتب وكذلك أهل الإسلام في الإسلام متفاوتوا المراتب؛ لأن الإسلام الذي هو الاستسلام يقبل التفاوت ويقبل الزيادة والنقص.

قال -رحمه الله- بعدها: (وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر، وبين الأمن واليأس) هذه أربعة ألفاظ متقابلة نص عليها -رحمه الله- لأجل أن الفرق الضالة أو التي خالفت نحت إلى أحد هذه الثمان صفات، فذكر ثمان صفات، الأولى الغلو، الثانية التقصير، الثالثة التشبيه، الرابعة التعطيل، الخامسة الجبر، السادسة القدر، السابعة الأمن،

والثامنة اليأس. ثم قال بعدها: فهذا ديننا واعتقادنا... إلى آخره. قوله: وهو بين يعني أن هذه الصفات الإسلام لا يرتضيها، ودين الله الحق ليس مع الغلو، كما أنه ليس مع التقصير،ودين الله الحق ليس مع التشبيه، كما أنه ليس مع التعطيل، وكذلك دين الله الحق ليس مع الجبر في –الأفعال– كما أنه ليس مع إثبات الفعل للإنسان خلقاً دون الله –جل وعلا– وهو المسمى بالقدر وكذلك بين الأمن من مكر الله –جل وعلا– وبين اليأس من روح الله –ﷻ– فيريد أن أهل السنة والجماعة اتباع السلف الصالح أخذوا بهذه الوسطية بين هذه المسائل، فهم وسط بين الغلو والتقصير، وهم وسط بين التشبيه والتعطيل، وهم وسط بين الجبر والقدر، وهم وسط بين الأمن واليأس. وإذا تبين لك ذلك، فهذه الجملة يبحث فيها كل العقيدة، كل ما ذكرنا من شرح في هذا الكتاب تدخل في هذه الجمل، فهو بين الغلو والتقصير في العمل والإيمان ومراتبه، بين التشبيه والتعطيل في مسائل الصفات والإثبات... إلى آخره، الغلو ذهب إليه الخوارج، والتقصير ذهب إليه المرجئة وأهل الشهوات، التشبيه ذهب إليه المجسمة، والتعطيل ذهب إليه المعطلة والمؤولة ونفاة الصفات، والجبر ذهب إليه الجبرية الجهمية والأشاعرة وطائفة من الماتريدية، والقدر –يعني القدرية الأوائل نفاة العلم– ثم المعتزلة الذين أثبتوا خلق الإنسان بفعله، والأمن من مكر الله –جل وعلا– ذهب إليه أهل الشهوات فعلوا ما يشاؤون وأمنوا مكر الله، واليأس ذهب إليه طائفة من المتصوفة فيئسوا من روح الله –جل وعلا– وهكذا في أصناف شتى في هذه الأمة. فإذاً هذه الجملة هي في الحقيقة تلخيص لما سبق، وهي عرض لها كما تذكرون شيخ الإسلام ابن تيمية في مبحث الوسطية، وكل من صنف في الاعتقاد يعرض لها لكن بأساليب مختلفة، وهي التي سماها عدد من طلبة العلم في هذا العصر الوسطية، الوسطية في الاعتقاد، في الصفات، الوسطية في الإيمان، الوسطية في القدر،

الوسطية في السلوك، الوسطية في العبادة، الوسطية في الحكم على الناس وعلى الأحوال، وهكذا ولا شك أن دين الإسلام وسط، كما أثنى الله –جل وعلا– على أهله بقوله: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾ وقوله: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ يعني أمة عدلاً خياراً. كما فسرها السلف، لماذا صارت عدلاً؟ لأنها توسطت فيما ذهب إليه الملل من قبل، فعندك اليهود، عندهم التشدد والغلو والأغلال والآصار، والنصارى عندهم التساهل والزيادة والابتداع إلى آخره. فأهل الإسلام وسط في كل الأحوال، وسط في العقيدة ووسط في العبادات في جميع أحوالها وأنواعها، إذا تبين ذلك فنعرض لهذه الجمل سريعاً في مسائل:

المسألة الأولى:

الغلو والتقصير قد يعبر عنه بالغلو والجفاء، والغلو لفظ جاء في الكتاب والسنة كما قال الله –جل وعلا–: ﴿ **يأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ** ﴾ وقال ﷺ في الحديث الذي في بعض السنن: ((بمثل هؤلاء فارموا –لما قبض على حصى الخذف– وإياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو)) فنهى عن الغلو، والغلو كما أنه يكون في الاعتقاد، كذلك يكون في العبادة، وحقيقة الغلو في تعريفه الشرعي: "هو الزيادة عما أذن به شرعاً في السلوك أو في التعبد أو في الاعتقاد" يعني في التدين إذا زاد في الدين عما أذن به فإنه يكون غالياً كما أنه إذا زاد في الإنفاق ، أو في الفعل عما أُذن به صار مسرفاً، أما التقصير فهو ترك ما أمر به العبد بأن يقصر ويجفو ويتبع الشهوات، وهو عكس الغلو، فأولئك يغلون في الاعتقاد أو يغلون في الإثبات أو يغلون في السلوك، مثاله الخوارج غلوا في جانبين بل في عدة جوانب.

الشريط السابع والخمسون ـ وجه (ب)

غلوا في العقيدة فضلوا كفروا وتركوا نهج الصحابة، وغلوا في العبادة حتى إن أحد الصحابة يحقر صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم كما جاء في الحديث، وغلوا أيضاً في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقاتلوا جهاداً من لا يستحق القتال شرعاً، بل من يحرم قتاله، حتى آل الأمر بغلوهم أنهم تعبدوا بقتل خيار الله -ﷻ- مثل الصحابة فأكرم الصحابة وأعلاهم منزلة وأفضلهم في زمنه علي بن أبي طالب -ﷺ- ومع ذلك تقربوا إلى الله بقتله، بل أساس قتل عثمان هو من فعل الخوارج -ﷺ-، قتلوا علياً وهم يتمنون الجنة بقتل عثمان وبقتل علي لشدة غلوهم، كما وصفهم النبي ﷺ ((يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)) يعني أهل الشرك. وأما التقصير فهو حال أهل الشهوات الذين تركوا العبادة وتركوا طاعة الله -جل وعلا- ولم يبلغوا ما أمر الله -جل وعلا- به، بل هم في تقصير وغشيان للشهوات والمحرمات والكبائر ولا يرعون ولا يتوبون ولا يتذكرون، هؤلاء يقابلون المتشددين يقابلهم أهل التساهل والكبائر والذنوب والمعاصي.

الثانية قوله: بين التشبيه والتعطيل. التشبيه هو أن يجعل شيء شبهاً لشيء، فعملية الجعل هذه هي التشبيه، شبه تشبيهاً، والتشبيه قسمان -يعني جعل التشبيه قسمان- جعلوا الشبيه لله -جل وعلا- في صفاته كلها، أو في بعض صفاته أو في تمام معنى الصفة، ممكن أن تقول اختصاراً أن يشبه الله -جل وعلا- بخلقه أو يشبه الخلق بالله -جل وعلا- في الكيفية في كيفية الصفات أو في كيفية الصفة، أو في تمام معنى بعض الصفة، والنوع الثاني من التشبيه أن يشبه الله -جل وعلا- بخلقه أو أن تشبه صفة الله -جل وعلا- ليس أن يشبه الله بخلقه، أن تشبه الصفة من صفات الله -تعالى- بصفة خلقه في أَل المعنى دون تمامه -ارتكبوا الأولى- لا يدخل هنا أن يشبه الله بخلقه هذا في الأول، أما الثاني أن تشبه صفة الخالق -جل وعلا- بصفة

المخلوق في بعض المعنى أو في أصل المعنى. وهذان القسمان هي ينفيان عن الله –جل وعلا–؟جميعاً أم ينفى أحدهما دون الآخر؟ اختلف أهل العلم في ذلك، والذي يوافق طريقة أهل السنة والجماعة أن يُنفى الأول وهو المراد بالتمثيل دون نفي؛ لأن إثبات الصفات إثبات للصفة مع المعنى، والمعنى يشترك المخلوق فيه في أصل الصفة، في أصل المعنى دون كماله، كما أنه المخلوق يوصف بالوجود والله –جل وعلا– يوصف بالوجود، فبينهما اشترك في أصل المعنى دون تمامه ودون حقيقة كذلك يوصف المخلوق بالسمع والله –جل وعلا– يوصف بالسمع، وللمخلوق سمع يناسبه ولله –جل وعلا– سمع كامل متنزه على النقائص وما لا يليق بجلاله وعظمته –جل وعلا– فتحصل من هذا أن الأول متفق على منعه وهو التمثيل، والثاني مختلف في إطلاقه بين أهل العلم، والأولى أن لا يستعمل التشبيه إلا في معنى التمثيل، حتى لا يظن الظان ممن لا يفهم طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يتساهلون في مسألة التشبيه فيصدقون أنهم مشبه أو يؤكدون أنهم مشبهة، فهذا وإن استعمله بعض أهل العلم كابن تيمية وغيره، لكن أرادوا منه حقاً وهو أن لا تنفى الصفات، ولكن من حيث الاستعمال لا تستعمل لا يقال: إنه هناك تشبيه جائز أو أن من التشبيه ما هو حق، فهذا ليس كذلك، لذلك لفظ التشبيه لم يأت في الكتاب والسنة منفياً، وإنما جاء نفي المثيل ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ لكن لا نستعمل لفظ التشبيه فالله –جل وعلا– ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، وكذلك ليس له شبيه –جل وعلا– وأهل التشبيه هم أهل الضلال، لهذا قال هنا: وبين التشبيه والتعطيل، فالمشبهة وهم الذين جعلوا صفات الله –جل وعلا– مشبهة لصفات خلقه إما جميع الصفات كحال أهل التجسيم، أو بعض الصفات، هؤلاء نتبرأ منهم وليس في طريقة أهل السنة لفظ التشبيه مثبتاً، ما نقول: إنه قد يكون مثل ما استعمله بعض

المعاصرين ممن لم يتحقق بطريقة أهل السنة والجماعة وأهل الحديث. القسم الثاني التعطيل، والتعطيل مأخوذ، أو معناه الإخلاء مأخوذ من العطل وهو التخلية، يقال: جيد عاطل، يعني جيد للمرأة عاطل، يعني أنه خال من الحلية، من الحلي، كما قال الشاعر وهو امرؤ القيس:

وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحشٍ إذا هي نصته ولا بمعطل

بمعطل يعني بخالٍ من الحلية، فالتعطيل معناه التخلية، فتعطيل الله، أو التعطيل في حق معناه أن يخلي الله –جل وعلا– من صفاته، فنفاة الصفات معطلة، وكل من نفى صفة أو أكثر فله نصيب من التعطيل بقدر ما نفى؛ لأن التعطيل إخلاء من الصفة، فنفاة الصفات مثل المعتزلة والأشاعرة، أو يعني من نفى كل الصفات أو نفى بعضها فإنه يطلق عليه معطل وبالمناسبة تجد في كتب أهل العلم تارة يقولون عن هؤلاء: نفاة الصفات وتارة يقولون: مثبتة الصفات. ففي موضع يجعلونهم مع النفاة وفي موضع يجعلونهم مع المثبتة بحسب السياق، فإذا نظر لنفيهم للصفات –يعني المعتزلة والأشاعرة– إلى نفيهم للصفات، قيل لهم نفاة للصفات مع الجهمية والجهمية هم نفاة الصفات أصلاً، وإذا نظر إلى ما أثبتوا وأن الجهمية تنفي جميع الصفات قيل عنهم: إنهم مثبتة للصفات، يعني لأصل الصفات وليسوا منكرين لأصل الاتصاف، فالمقصود من ذلك أن التعطيل ينطبق على نفاة الصفات سواءً نفى كل الصفات أو نفى بعض الصفات، إذا كان كذلك فدين الله بين التشبيه والتعطيل يعني ما بين نفي الصفات وما بين أن يجعل الله –جل وعلا– صفات كصفات المخلوق، فنثبت لله –جل وعلا– الصفات لكن على قاعدة ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وعلى قاعدة أهل العلم أن إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، وأن بين الصفة وبين الصفة يعني بين صفة الخالق وصفة المخلوق كما بين الذات والذات، والله –جل وعلا– ضرب

لنا مثلاً في المخلوقات، المخلوقات ليست متساوية في الصفات،الذباب له قوة تناسبه والإنسان له قوة تناسبه، ولكن هنا ثم قوة وثم قوة، البعوض له سمع وله بصر يناسبه، والفيل له قوة وله سمع وله بصر وله قدرة تناسبه فإذاً المخلوقون، الأصناف التي خلقها الله –جل وعلا– جعلها متفاوتة فيما تتصف به، وإذا كان كذلك فإذاً ما بين الخالق وما بين المخلوقين من البون والفرق الكبير في الاتصاف والصفات كما بين ذات الرب –ﷻ– وذوات المخلوقين الوضعية، والناس يدركون هذا تمام الإدراك فيما يزاولونه وينظرون إليه.

الثالثة قال بين الجبر والقدر، والجبر والقدر مر معنا تفصيل ذلك، وأن الجبر يعني به الجبرية وأن الجبرية صنفان، جبرية غالية وجبرية متوسطة، مرت معنا في مبحث القدر، وكذلك القدرية صنفان، قدرية غلاة وهم الذين نفوا العلم، وقدرية ليسوا بغلاة وهم المعتزلة الذين نفوا مرتبة من مراتب القدر، وهي خلق الله –جل وعلا– لأفعال العباد، وعموم مشيئته –ﷻ– قال: وبين الأمن واليأس. والأمن كما ذكرت لك الأمن من مكر الله واليأس هو اليأس من روح الله –جل وعلا– والواجب على المؤمن والمسلم أن يعلم أن الإسلام لا يقر الأمن من مكر الله كما لا يقر اليأس من روح الله، فهو بين هذا وهذا، وهو أن يسير خائفاً راجياً، يخاف من الله –جل وعلا– أن يعاقبه أو أن يستدرجه وأنه إذا فعل ذنباً فإنه لا ييأس من روح الله –جل وعلا– وها هنا مسألة يذكرها أهل العلم، وهي الأمن والإياس والخوف –يعني– والرجاء، أيهما يغلب؟ هل يكون خائفاً أو يكون راجياً؟ وهم متفقون على أن الخوف الذي يبلغ المرء إلى اليأس فإنه مذموم، والرجاء الذي يبلغ المرء إلى الأمن من مكر الله فإنه مذموم، فإذا كان كذلك فهم يبحثون بين الخوف والرجاء ولا يقصدون الخوف الذي يوصل إلى اليأس، ولا الرجاء الذي يوصل إلى الأمن، فاختلف أهل العلم في ذلك كما هو معلوم لديكم، في أي الخوف والرجاء يغلب؟ قال طائفة:

يغلب جانب الخوف، وقال آخرون: يغلب جانب الرجاء، والصحيح في ذلك هو التفصيل، وهو أن الإنسان لا يخلو في حاله من أحد ثلاثة أحوال، إما حال صحة أو حال مرض، أو حال قرب للوفاة، فإذا كان في حال الصحة فيغلب جانب الخوف على الرجاء، حتى ينتهي عن الذنوب ولا تغرنه صحته في الإقدام على الذنوب والمعاصي واقتحام ما لا يرضي الله –جل وعلا– وكذلك يرجو حتى يعمل ويستمر في العمل، الحالة الثانية حال المرض، والحالة الأولى قال فيها طائفة من أهل العلم: إنه يسوي بين الخوف والرجاء، وهذا ليس بموضعه كما سيأتي. الحالة الثانية حال المرض، وحال المرض ينبغي للإنسان أن يغلب جانب الرجاء في الله –جل وعلا– ويكون أعظم من خوفه؛ لأنه في حالٍ الخوف عنده، ولو أمر بتغليب الخوف خشي أن يصل به إلى عدم الرجاء في الله –جل وعلا–، وقد قال نبينا ﷺ: ((قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)) ويناسب المريض أن يكون راجياً مغلباً عل الخوف حتى يلطف الله –جل وعلا– به الحالة الأخيرة، هي حالة الوفاة، حال الوفاة الأفضل للمرء فيها أن يسوي بين الجانبين،أن يكون خائفاً راجياً، وقد جاء رجل النبي ﷺ فقال له، أظنه كان مريضاً فعاده فقال: ((كيف تجدك)) قال: أجدني أخشى ذنوبي وأخشى رحمة ربي فقال ﷺ له: ((لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا إلا أنجاه الله من النار)) أو كما جاء في الحديث. المقصود أنه استدل به على أنه في هذه الحال أن يسوي المرء بين الخوف والرجاء.

قال –رحمه الله– بعدها: (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه) يريد بذلك أن جميع ما ذكره في هذه الرسالة وفي العقيدة المباركة من أوله إلى آخره أنه دينه واعتقاده ظاهراً وباطناً يعني أنه لا ينافق في ذلك ولا يظهر شيئاً ويخفي يخفى شيئاً

كما كان عليه طائفة من أهل زمانه؛ لأنهم يقولون: لا تظهر عقيدتك عند أحد، لأنك بين مخالفين فإما أن يثنوا عليك وإما يذموك بل هذا ديننا وعقيدتنا واعتقادنا ظاهراً وباطناً؛ لأن الاعتقاد والدين الأصل في الإنسان أن يعلنه، وقد يجوز أن يستخفي به إذا كانت المصلحة في ذلك، لكن هذا في حال الفتنة وعدم استطاعة الثبات على البلاء، لكن الأصل أن الإنسان يعلن ما يعتقده ويدين به ظاهراً وباطناً، قال: متبرئاً من كل من خالف طريقة أهل الحديث والسنة والجماعة، ونحن برآؤا إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه. وقد تقدم لك أنه غلط –رحمه الله– في عدد المسائل، فهذه توكل إلى اجتهاده وغلط في ذلك، وفي الجملة كلامه موافق لكلام أهل الحديث وكلام أهل السنة في إثبات الصفات وفي القدر وفي سائر المسائل، لكن في مسألة الإيمان تابع فيها قول أبي حنيفة،ومر معك البحث في ذلك، فنحن برآء إلى الله من كل من خالف أو من كل مخالفة للكتاب والسنة بكل ما أمر الله –جل وعلا– أو أخبر من خالفه، فنحن نتبرأ إلى الله –جل وعلا– منه سواءً علمنا أو لم نعلم، وهذا هو الأصل وهذا هو الاعتقاد أننا ندين إجمالاً بما أمرنا الله –جل وعلا– أن ندين به بالتصديق بالأخبار وباعتقاد وجوب الأوامر والانتهاء عن النواهي وجوب امتثال الأوامر ووجوب الانتهاء عن النواهي، إذا كان أمر إيجاب أو نهي تحريم، وهذا ديننا وهذا اعتقادنا، أما تعليقه بقول فلان أو بما ورد هذا يحتاج إلى تأمل، ونظراً لأن الناس يختلفون في ذلك اختلافاً بيناً، وما من عالم ممن كتب في العقائد إلا وله اجتهاد يكون في مسألة في مسألتين وهذا لا يعني أنه ليس من أهل السنة، أو أنه خالف، أو أن كتابه لا يصلح، فمثلاً تنظر إلى أعظم الكتب التي كتبها السلف تجد فيها مسائل لا يقرها الآخرون لكنها مسائل نادرة في خضم غيرها، إما أن يثبت ما لا يثبت مثلاً في بعض الصفات، أو أنه يتأول واحدة بشيء ظهر له أو أنه يصف شيئاً من

العقيدة يجعله في العقيدة، مثل ما فعل البربهاري مثلاً في بعض المسائل، أو أنه ينسب شيء لأهل السنة وهو ليس من عقيدة أهل السنة فلذلك ما قعدوه وأجمعوا عليه واتفقوا عليه فهذا ما يجب اتباعه، ولا تجوز مخالفته؛ لأنه هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وما اختلفوا فيه فلكل واحدٍ منهم عذره في ذلك، لكن لا يتبع على ما زل فيه، الحافظ بن خزيمة كتب كتاباً عظيماً وهو قطعة من صحيحه سماه التوحيد، ومع ذلك غلط في بعض المسائل، وهي مسألة الصورة كما هو معروف لم يوافق بقية أهل السنة في ذلك، مثلاً عندك البربهاري ذكر مسائل ليست من العقيدة أصلاً وأشياء لم تثبت ومن ألف مثلاً في العرش جاء بأشياء ليس فيها دليل واضح، وهكذا. المقصود من ذلك أنه ليس من شرط أن يكون الكتاب على طريقة أهل السنة والجماعة وأهل الحديث أن يكون سالماً من كل اجتهاد، لكن إذا كانت أصوله التي انطلق منها هي الاستسلام للكتاب والسنة ورد التأويل والتعطيل واتباع الدليل وعدم تسليط العقل على النصوص فهذا من أهل الحديث ومن أهل السنة، فلا بد أن يحصل له من الغلط ما يحصل له، لهذا عظم أهل العلم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه قرر فيها ما اتفقوا عليه وأجمعوا عليه، وترك فيها ما لكل واحدٍ من أهل العلم ممن كتبوا في العقائد اجتهادات، فاعتنى المتأخرون من أئمة أهل السنة بكتب الشيخين، شيخ الإسلام وابن القيم لسلامتها من المذاهب الرديئة، وللاجتهادات التي يوافق عليها. نقف عند هذا، ونبقى عند الجملة الباقية هذه نبقى معها الدرس القادم –إن شاء الله تعالى– ونسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق والسداد وأنيختم لنا برضاه، إنه جواد كريم.

سؤال : قال –ﷻ–: ﴿ **وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً** ﴾.

الجواب : معلوم أن موسى –عليه السلام– جاء بحنيفية مثل دين إبراهيم جاء بالإسلام، وعيسى –عليه السلام– جاء بحنيفية عبادة الله وحده دونما سواه، لكن اليهودية المحرفة والنصرانية المحرفة هذه إبراهيم –عليه السلام– بريء منها، ولهذا قال –جل وعلا–: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ لأن كل طائفة ادعته على ضلالها، فاليهود حرفوا دينهم وأرادوا أن ينسبوا التحريف إلى إبراهيم، وأنهم يدعون إلى الإبراهيمية، وكذلك النصارى وكذلك المشركون ينسبون أنفسهم إلى إبراهيم الخليل وهو بريء من هؤلاء وهؤلاء –عليه السلام–.

سؤال : هل تنصحون بإهداء كتب موسى الموسوي للرافضة؟

الجواب : نعم، كتبه نافعة وتنفع القوم وتقيم الحجة عليهم، أو تهز ثقتهم بأصولهم.

سؤال : المرأة إذا لم تجد محرماً أو لم يوافق محرمها على الذهاب معها وهي مستطيعة الحج ثم ماتت هل يلزم وليها أن يحج عنها؟

الجواب : المحرم بالنسبة للمرأة من الاستطاعة، فالله –جل وعلا– قال: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ فالمرأة التي لا تجد محرماً لا تعتبر مستطيعة فلم يتوفر فيها شرط وجوب السعي إلى الحج، والنبي ﷺ أتاه رجل فقال له: إن امرأتي خرجت حاجة، وإن اكتتبت في غزوة كذا وكذا، فقال: ((فانطلق فحج مع امرأتك)) فالمرأة لا يجوز لها أن تحج إلا مع ذي محرم؛ لأن الحج سفر، تنقل يحتاج إلى رعاية وقد يصيب المرأة ما يصيبها، وهي معرضة فيه لأشياء كثيرة تحتاج معها إلى من يعتني بها، وهو ذو محرم منها، اختلف أهل العلم هل العلة في اشتراط المحرم هو وجود الأمن للمرأة؛ لأن السفر مظنة عدم الأمن؟ الأمن العام،أو الأمن عليها في عرضها، يعني الأمن عليها في بدنها أو في عرضها؟ أو أن المقصود منه التعبد؟ وهو

أنها لا تحج إلا مع المحرم، لحاجتها إليه، ولأن الحج لا يكون إلا كذلك، على عدة أقوال وكثير من أهل العلم يبني على هذا أنه -يعني على الخلاف- هل لها أن تحج مع نسوة مأمونات أو ليس لها أن تحج مع نسوة مأمونات؟ فصار هنا، رجعت المسألة إلى قولين:

الأول أنه لا يجوز للمرأة أن تحج بدون محرم مطلقاً.

والقول الثاني أن لها أن تحج بدون محرم إذا كان الطريق آمناً. وهؤلاء اختلفوا في أمن الطريق فمنهم من قال: أمن الطريق أن يكون معها نسوة مأمونات مع خمس، عشر حريم هي معهم، الكثرة هذه تمنع عدم الأمن، فيترجح أنه، أنها تأمن مع ذلك، وهذا مذهب عدد من الشافعية والمالكية واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

والثاني يعني من هذا القول أنه إذا تحقق الأمن جاز لها السفر ولو سافرت وحدها. إذا كان ظاهر السفر الأمن ويستدلون له بقوله ﷺ ((والله ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من صنعاء إلى مكة)) أو قال ((من الكوفة إلى مكة لا تخشى إلا الله)) قال: علقها بوجود الأمن وتخرج الظعينة واحدة لا تخشى إلا الله.

والصحيح من ذلك هو الأول، وهو أن المرأة لا يجوز لها أن تحج إلا مع ذي محرمٍ منها، ﷺ ((لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم)) وتلك المرأة حجت فقال النبي ﷺ للرجل: ((انطلق فحج مع امرأتك))، مع أنه اكتتب في غزوة كذا وكذا يعني في الوجوب لكن لو حجت صح حجها، لو حجت بدون محرم صح حجها؛ لأنه شرط للوجوب وليس شرط للصحة. طبعاً إذا ماتت وهي لم تحج، ما تمكنت من محرم يحج عنها وليها؛ لأنها بقيت في ذمته؛ لأن هي لا بد أن تحج، فيحج عنها حجة الإسلام من بلدها، لا ما يجب

عليها ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب في حق المكلف، أما فيه إلزام للغير فلا يلزم.

سؤال : ما رأيك في مقولة أحد الشباب ممن ينتسب إلى الدعوة يقول: إن زمن القرآن ولّى بسبب وجود القنوات الفضائية، ولا بد أن نواجه الشباب بغير القرآن، أن نكون عصريين. هذه رسالة في توجيه الشباب؟

الجواب : ما أظن مسلم يقول هذا الكلام، ما أظن أحد الشباب يقول: زمن القرآن ولّى. كذا بهذا النص، لا أظن أحداً -يعني- يصلي يقول هذا الكلام: زمن القرآن ولّى لا يمكن أن يقول هذا، لكن يجب على الإنسان أن يتحرى في ألفاظه، وكما تعلمون الحديث ((وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي في النار سبعين خريفاً)) وقد يقول كلمة ما، يعني يقول: أنا مقصدي زين، وليست المسألة بالمقاصد، أيضاً لازم أن تتقي الله – جل وعلا- في ألفاظك، أن تخاف الله فيما تنطق به، حتى مع أهلك وحتى مع أولادك وحتى في عملك، المسلم وقور يتحرى في لفظه، ويتحرى في تعامله؛ لأن اللسان يحاسب عليه ستحاسب على لسانك في كل ما تقول، حديث معاذ معلوم لديكم وهو قوله ﷺ ((كف عليك هذا)) حديث معاذ الطويل قال: ((وكف عليك هذا((، قال: يا رسول الله أو إنا مؤاخذون بما نقول؟ قال: ((ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم -أو قال- على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)) ألحظ أنا من بعض طلبة العلم أو من بعض الشباب أو بعض أهل الخير، إذا جاؤا يمزحون ما يهمه وش يقول، أي كلام، وهذا سيء سيء للغاية، أحياناً يطلقون كلاماً قبيحاً، مثلاً أنا اضرب لكم مثال، مثلاً يأتي ذكر القبر مثلاً وإنه نور... يجيء واحد يقول: والله كهرباء جيدة، مثل هذا الكلام حرام، وقد يعني يهوي به القائل، أو يقول: إيش كشاف ألف شمعة. وإلا مثل هذا الكلام، يعني هو قد يحصل أنهم يتناقلون مثل هذا

الكلام ويقولنه بينهم، لكن مثل هذا لا يجوز،لا يجوز البتة، الأمور الشرعية وطن نفسك على الهيبة فيها؛ لأن هذا من تعظيم شعائر الله، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، تطلق لفظ لا تلقي له بالاً وآخر لا تلقي له بالاً، وما تدري يعاقبك الله –جل وعلا– بسلب الإيمان منك وأنت لا تشعر، ولذلك يجب على الشباب وعلى طلاب العلم أن يمزحوا بما مزح به النبي ﷺ ما يأتون للأمور الشرعية، ويتعرضون لها بأقوال ليست كالتوقير.

سؤال : ما الكتاب الذي تنصح به لمن يعاني حفظ زاد المستقنع. وما رأيكم في الرجوع في مسائل الزاد إلى الإنصاف؟

الجواب : زاد المستقنع كتاب حسن جامع من مختصرات الحنابلة المتأخرة، واختصره من المقنع لابن قدامة، والمقنع لابن قدامة من الكتب المتوسطة جعل فيه المذهب وربما ذكر في المسألة وجهين أو روايتين أو قولين، ربما يذكر في الباب، مسألة مسألتين فيها وجهان فيها قولان فيها روايتان يعني عن الإمام أحمد، ثم الزاد مختصر، زاد عليه مسائل وحذف منه مسائل واختصره واعتنى العلماء به بشروحٍ وبحواشٍ كثيرة جداً عليه، من شروحه الحسنة "الروض المربع" للشيخ/ منصور –رحمه الله تعالى– البهوتي المصري، وأيضاً ثم حواشي على الروض، حاشية الشيخ العنقري وحاشية الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، وحاشية الشيخ أبا بطين، عدد من الحواشي الأخرى. الزاد نفسه أيضاً عليه حواشي لكن الزاد والروض يعتبر المنتهى وشروح المنتهى شرح أو شروح "للروض المربع" المنتهى منتهى الإيرادات هذا أكبر وأقعد في المذهب من كل، هو أقعد كتاب في مذهب الحنابلة، يعني أفضل كتاب في مذهب الحنابلة "المنتهى" كما هو معروف وله شروح كثيرة، منها شرح المصنف ومنها شرح الشيخ منصور ثم حواشي أيضاً كثيرة طبع بعضها، بعده الإقناع مع شروح الإقناع وحواشيه، كل واحدة من هذه الأكبر شروح لما قبله، مع الحواشي

والشروح مخدوم المذهب من كل جهاته فالذي يريد أن تنمو عنده حاسة الفقه على طريقة الحنابلة عنده هذا التسلسل وكل كتابٍ شرحه والحواشي اللي معه على إثره أعان الله طلبة العلم على التفقه في الدين. وكتاب الزاد من الكتب النافعة جداً ولا يقول القائل يعني فيه مسائل مرجوحة، طلب العلم يكون للتفقه لا للفتوى، تتفقه تعرف المسألة الراجحة والمسألة المرجوحة وصورة هذه وصورة هذه، حتى تنمو عندك الحاسة الفقهية وبعد ذلك يمكن أن تعلم وتعرف الراجح.

سؤال : قال أحمد –رحمه الله– أو ما ينسب إليه الملاحم والمغازي والتفسير ثلاث ليس لها أصول وإذا صحت كيف تفهم على قصده، –رحمه الله–؟

الجواب : هذه كلمة صحيحة عن الإمام أحمد قال: ثلاثة ليس لها أصل التفسير والمغازي والملاحم ويعني بها تفسير بالاجتهاد وليس التفسير بالأثر، والمغازي التي صنف بها مثل الواقدي كتابه فتوح الشام والمغازي... إلى آخره، هذه أسانيدها ليست كذلك، والملاحم التي تذكر أنها ستكون أو كانت مما كان يستعمله أهل القصص في ذلك الوقت وربما ركبوا له أسانيد، فهذه ليس لها أصل ثابتة؛ لأنها لم تكن عنايه السلف من الصحابة بنقل هذه الأشياء، إنما نقلوا التفسير المأثور ونقلوا سيرة النبي ﷺ أما المغازي التفصيلية والملاحم ما كان وما سيكون فهذه لم تكن من العلم النافع الذي كان يعتني به السلف –رحمهم الله.

سؤال : رجل تميم ثم صلى وفي أثناء الصلاة وجد الماء فهل يتم صلاته؟ أم يقطعها ويتوضأ ثم يصلي؟ وما الدليل؟

الجواب : المسألة هذه معروفة مشهورة والأصل فيها قول الله –جل وعلا– ﴿ **فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ**

﴾ هنا لم تجدوا ماءً هل في ابتداء الصلاة يعني قبل الصلاة أو لم تجدوا ماءً مطلقاً؟ من نظر إلى عدم وجود الماء إلى أنه في الابتداء وفي الأثناء قال: إنه إذا وجد الماء في أثناء الصلاة فإنه يعتبر واجداً للماء قبل تمام الصلاة، وفي الوقت فإنه يلزمه أن يقطع، يعني الصلاة يصبح طهارته مع وجود الماء، فإنه يلزمه أن يقطع، يعني الصلاة يصبح طهارته مع وجود الماء، فإنه يلزمه أن يعيد الصلاة، أو أن يقطع الصلاة ويتوضأ ويصلي ومن قال: لم تجدوا ماءً يعني قبل بداية الصلاة فإنه إذا لم يجد الماء وتيمم صار التيمم بدلاً عن طهارة الماء بحكم شرعي، ودخل في الصلاة بحكم شرعي؛ لأن صلاته في أنه تم شروط الصلاة ودخل في الصلاة فإذاً إبطال صلاته يحتاج إلى دليل وهو خلاف الأصل، وهذان القولان معروفان والذي رجحه كثير من المحققين هو الثاني، وأنه لا يعيد الصلاة يستمر فيها؛ لأنه دخل في الصلاة بطهارة صحيحة، والأحوط الحقيقة هو الأول؛ لأنه له شبه بمن وجد الماء، والوقت باقٍ وهذا الماء عنده فالأحوط أن يتوضأ ويعيد الصلاة، أو يصلي.

سؤال : أشكل عليّ قول بعض المؤلفين في كتب القرآن وغيرها: أن ال في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ للاستغراق، عند أهل السنة خلافاً للمعتزلة بناءً على خلافهم في خلق أفعال العباد فلا يقولون بأنها للاستغراق؟

الجواب : تحتاج إلى نظر، يعني معنى الاستغراق هل فعلاً المعتزلة ينكرون الاستغراق هنا، أنا لا أعلم، لكن الحمد الألف واللام هنا استغراق الجنس، يعني جنس أو أجناس الحمد جميعاً لله رب العالمين، يعني مستحقه لله –جل وعلا– وأجناس الحمد خمسة،حمداً لله في ربوبيته وحمد في الألوهية، وحمد في الأسماء والصفات، وحمد في الشرع، وحمد في الكون والقدر، فأجناس الحمد كلها لله، مستحقة لله –جل وعلا– إيش علاقة هذا بخلق أفعال

العباد؟ ما أعلم وأظن إن ما خانتني الحافظة أظن الزمخشري يقول إنها للاستغراق في فاتحة التفسير قال: وال للاستغراق أظنه يقول ذلك، فيحتاج إلى مراجعة.

سؤال : من أراد الإحرام من الميقات هل يلزمه الدخول إلى المغاسل والمسجد أم يحرم من الطريق؟

الجواب : لا، إذا مر بالميقات فإنه السنة في حقه أن يدرك وقت الصلاة، صلاة مفروضة في الميقات أو ينتظر حتى يأتي وقت الصلاة فيصلي الظهر مثلاً أو يصلي العصر، ثم يهل بعدها بالحج أو بالعمرة أو بهما معاً، بحسب ما يختار، ثم بعد ذلك إذا ذهب... طبعاً بعد الاغتسال والطهارة... إلى آخر السنن المعروفة -بعد الصلاة الفرض يهل، وبعد ذلك يركب السيارة،فإذا ركب السيارة سبح وحمد وهلل وكبر، قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثم يلبي مرة أخرى يقول: لبيك اللهم حجاً أو لبيك اللهم عمرة، ثم يكمل التلبية، أما من لم يختر الصلاة أن يصلي صلاة الفرض وهو مار فإنه يلبي إذا حاذى الميقات يلبي دون صلاة؛ لأن الإحرام ليس له صلاة تخصه، يعني صلاة ركعتي الإحرام؛ لأنه لا يحرم إلا بعد ركعتين فإذا حاذى الميقات كفاه.

سؤال : هل يجوز أن نصف القدر بالظلم؟

الجواب : لا يجوز لأن القدر فعل الله -جل وعلا- وتقديره، فلا يوصف بالظلم ﴿ **وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾.

سؤال : يقول: أعرف أناس جل مجالسهم الكلام في أعراض علمائنا الكبار من أنهم لا يفهمون واقع المسلمين وفتاواهم في حيضٍ وغيره، ما أفعل مع هؤلاء؟ كيف التوجيه؟

الجواب : أظن حصل من السنين الماضية ما فيه كفاية في وضوح هذه المسألة، وأن من استعجل فوقع في أعراض العلماء أو استنقص رأيهم بان الأمر على خلافه، وأن مصالح الناس في الحال وفي المآل هي في قول أهل العلم الكبار –فرحم الله– سماحة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن باز –رحمه الله– فقد كان لموقفه في الأزمة من الخير العظيم على الناس في ذلك الوقت، وإلى وقتنا الحاضر، ما لا يدركه إلا العالمون بالشرع وبأحوال ما يصلح الناس. فالواجب علينا جميعاً ونحن طلاب علم وكلكم حريصون على الخير، أن نكون متقين لله –جل وعلا– الكلام، والغيبة محرمة، الكلام في الأعراض والغيبة محرمة، ومن العجب أن يأتي شاب صغير لم يدرك من العلم شيئاً فضلاً عن أنه يدرك الواقع ويقع في حق كبارٍ من أهل العلم الذين عرفوا العلم وعرفوا الواقع، لكن هل الواقع هو الإخبار السياسية؟ هل الواقع هو التفصيلات؟ هل الواقع هو تفصيلات الكيد، أم الواقع هو واقع الأعداء وكيف تطبق حالهم على الشرع؟ أو تطبق حالهم على ما في القرآن والسنة. يعني لا تنفك المسألة من وجود أعداء للإسلام والمسلمين، وهؤلاء الأعداء فصلهم الله –جل وعلا– في القرآن قال سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً** ﴾ بيّن لنا الله –جل وعلا– حال اليهود وتفاصيل عداوة اليهود لنا والنصارى ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ لكن هل من شرط العالم أن يتتبع جميع الجرائد ويقرأها والأخبار والقنوات الفضائية والتحليلات السياسية حتى يكون فقهياً بواقع؟ لا شك أن هذا ليس بمقصود، والأحكام الشرعية لا بد أن تكون عن فهم وفقه، لكن ليس كل ما علمه الناس يكون مؤثراً في الفتوى أو في الحكم أو في التصرفات، فهناك أشياء تعلم لا قيمة لها ولا أثر، وليس أيضاً كل ما يعرض لكم أو تسمعونه أو ينقل يكون صحيحاً؛ لأن الناس الآن يضلون بالأخبار، الأخبار والإعلام يضل وينوع الأقوال

ويجعل الناس يتصرفون تصرفات ويبنون أحكاماً على ما نقل وربما بعضكم ينظر في الأخبار التي تعرض سواءٌ كانت مقروءة أو مسموعة أومرئية أن تفاصيل الخبر واحدة تنقل في جميع الوسائل في جرائد في أمريكا وأوربا وفي الشرق وفي المسموع في الأخبار، الصياغة متقاربة، بل الصورة أحياناً المعروضة في إخبار في قنوات، تجد أن الصورة الواحدة تتردد في الأخبار في جميع القنوات، من الذي صاغ الخبر الأساسي ومن الذي صور ومن الذي فعل ومن الذي ينشر هذه الأخبار في العالم؟ والناس يدرون حول هذه الأخبار، لا شك أنها هناك تسلط إعلامي عالمي على المسلمين وعلى غيرهم، يعني لتكون المواقف السياسية وليكون رغبة الناس ولتكون آراء الناس على نحوٍ ما. لهذا فالذي ينبغي لطلاب العلم أولاً أن ينشغلوا بالعلم عن غيره؛ لأن الأمة بل الدين والجهاد الآن جهاد علم، الناس بحاجة إليكم، بحاجة إلى طلبة علم، إذا ضيعتم الوقت في قيل وقال دون فائدة، لما مرينا قبلكم بمراحل كان بعض الناس يتتبعون المجلات، يشترون مجلة الحوادث ومجلة الوطن العربي، أنا أذكر من ثلاثين سنة ومجلة كذا، وجريدة وجرائد متنوعة يجمعون الأخبار، لا فقهوا في السياسة ولا فقهوا في العلم فضاعوا بين هذا وهذا، الناس بحاجة إليكم، بحاجة إليكم في العلم النافع في توحيد الله –جل وعلا– وفي بيان السنة وفي بيان الأحكام الشرعية، فتعلموا العلم النافع واتركوا المسائل الكبار لأهل العلم، فإن هذا أنفع لكم، طالب العلم ينظر إذا رأى تحليلاً جيداً في مجلة مأمونة أو في خبر يتعلم ويفهم، لكن أن ينقد على أهل العلم إذا لم يتتبعوا مثل تتبعه، هذا ليس بنصفه ولا بعدل، فضلاً على أن يكون مأموراً به في الشرع. فلننقي ألسنتنا من الغيبة، ولنحفظ قليل أعمالنا إن أثابنا الله –جل وعلا– عليها من الضياع، والغيبة كما تعلمون وقوع في العرض ولا بد أن يؤخذ ممن اغتاب، أن تؤخذ منه المظلمة يوم القيامة، والله المستعان. يعني

الواحد اللي يعرف نفسه وحريص على الآخرة وما يقربه إلى الله –جل وعلا– يضيع نفسه بهذا اللسان الذي يقع دون عمل، وكثير من الأعمال النافعة، أنتم انظروا الأعمال النافعة التي بقيت ونفعت الناس في دينهم وفي دنياهم هي أعمال أهل العلم الكبار في الواقع، هي التي هادية ونافعة وما أحسن قول ابن الوردي في لاميته:

وعن البحر اجتزاءٌ بالوشل

البحر كثير لكنه مالح لا تشرب منه والوشل ماءٌ عذب قليل لكنه يطفئ الظمأ ويروي الغلة.

سؤال : ما هو الفرق بين المصلى والمسجد؟

الجواب : المصلى هو المكان –يعني هذا تفريق عند بعض الفقهاء ولكن النصوص فيها المسجد كلفظ المسجد– لكن الفعل المصلى هو مكان تتخذه للصلاة لم تجعل أرضه وقفاً مسجداً، والمسجد هو ما أعد للصلاة وجعل مخصوصاً بذلك، وجعلت أرضه وقفاً على المسجد، وقفاً على الصلاة ومثلاً مكان في مستشفى في الطريق يفرشون السجادات ويصلون هذا مصلى عندك في بيتك خصصت بقعة غرفة وإلا بقعة مصلى، يعني تصلي فيه هذا صار مصلى، أما المسجد فهو الذي خصص ويؤذن ويقام فيه وتصلى فيه الصلوات جميعاً، ما له علاقة، هل هو المسجد أنه يصلى فيه كل الفروض أو ما يصلى؟ لا يشترط ذلك، المسجد هو المكان الذي صارت أرضه وقفاً، مسجداً يعني مثلاً قد يكون مكان يصلى فيه الفروض الخمس، يصلي فيه الناس الفروض الخمس، لكنه ليس مسجداً مثل طريق في مستشفى وإلا بقعة، الناس يصلون كل من أتى صلى وقد يكون مسجداً إذا خصص، هذا مسجد معروف مميز بسوره وبأذانه وبإمامته... إلى آخر ما هنالك. في هذا القدر كفاية، وبارك الله فيكم وعليكم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

سؤال : الاعتقاد بالأسباب أنه مؤثر بذاتها شرك أكبر، شرك أصغر، ألا يلزم من ذلك تكفير غلاة القدرية الذين يقولون: أن العبد يستقل بفعله نفسه؟

الجواب : والله هو يلزم، سؤال جيد، لكن ما التزموه، لأنه يبدوا أنه ليس سبباً عندهم، يعني خلق العبد لفعل نفسه ليس عندهم سبباً وهم ما اعتقدوه سبباً، وإنما هو ما التزمه لو قالوا: إن هذا سبب ونحن بنعتمد عليه أو هو الذي يحصل المراد، خلق الأفعال، وهذه أسباب صحيحة ولكن هي اللي تخلق، صار شرك أكبر، لكن ما التزموه ولذلك ما حُكِموا به.

سؤال : .....

الجواب : الدكة ما خصصت للصلاة، لا، فيه المسجد معروف لكن الدكة هذه أصلاً مخصوصة للجلوس، لجلوس اللي يخدمون في الماضي، وبقيت كذلك أنت ما تصلي فيها، تصلي في المسجد، طيب خلفها يا شيخ؟ ما فيه شيء.

سؤال : والمواجهة للقبر؟

الجواب : أين ؟ بينك وبين القبر أربع جدران، يعني كأنه بينك وبينه جدار وشارع وجدار وشارع، يعني إذا فصل ما بين المصلي والقبر أو المقبرة إذا فصل بينهما طريق جازت الصلاة بالاتفاق، واضح؟ لأن السور الحديدي هذا، السور الحديدي في داخل السور الطويل هذا المرتفع، في داخل الثانية، وفيه الثالث كذا، واحد اثنين ثلاثة..

سؤال : أحسن الله إليك يا شيخ، ضابط مسألة الولاء والبراء، واللي يعذر بالجهل، كيف ضابطه، مسألة الولاء والبراء ضابطها عند من يعذر بالجهل بالتوحيد، كيف ضابطها؟

الجـواب : والله مـا ادري، لكـن العـذر بالجهـل حكـم، والـولاء والبـراء اعتقاد، واضـح؟ الولاء والبراء اعتقاد، يعتقد، يعنـي الولاء محبة للتوحيد وعمل بالتوحيد، والبراء بغض للشرك وللمعبودات ولعبادة غير الله، ظاهر؟ مثلاً سجد لغير الله وعذره بجهله أن مسلم، كيف ضابطه؟ طيب ولو درى معه الشخص؟ ينظر على أنه مسلم، مسلم عاصي، هذا اللي يلزم لكن ما أدري ماذا يرون.

سؤال : من يقول إن المصلى هو المسجد ؟

الجواب : لا .. مصلى العيد مصلى للعيد، ما هو للصلوات.

سؤال : يـا شيخ يعنـي قائل: من لـم يكفر كـافرًا فهـو كـافر. ومـن لـم يبدع المبتدع فهو مبتدع ومن لم يفسق الفاسق فهو فاسق؟ كيف هذه، وهل على إطلاق وهو صحيحة؟

الجواب : صحيحة، من لم يكفر الكافر الذي نص الله –جل وعلا–، أو نص رسوله ﷺ على تكفيره فهو كافر والمبتدع لا، هذه ما هي بقاعدة، أما اللـي نص عليها أهل العلم أن من لم يكفر الكافر فهو كافر، ويقصدون بـه الكافر، ابن تيمية ذكرها في موضع قال: والمقصود الكافر الذي جاء كفره في الكتاب والسنة؛ لأنه تكذيب والسنة. أما لو كل واحد هذا ما يكفر هذا، تكفر، ما يصير، لكن لابد من رجوعه إلى أصل، يعني مثلاً واحد يأتي ويقول والله فرعون مسلم. فيه من يقوله، وفيه من الصوفية من يقولـه الجلال والدواني وش كتب، وابن عربـي، أو يـأتي ويقول: أبولهب أنـا مـا أكفره. أو يقول: أبوطالب عم النبي ﷺ مسلم ما أكفره، واضح؟ ثبت كفره بالكتاب والسنة، وأنكر الكتاب والسنة، إيه يعني كذب، تكفير.

سؤال : كل مؤمن مسلم، ولكن ليس كل مسلم مؤمن، مع السنة؟

الجواب : نعم، كل مؤمن مسلم هو أولاً، السؤال الأول الفلاح نسبي، الفلاح درجات، صحيح، يعني الفلاح أدنى درجاته هو النجاة من النار، ثم

عاد درجات الجنة مختلفة، ولذلك في آخره، قال: ﴿ **أُوْلَـئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ** ﴾ -يعن الجنة- ﴿ **هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾، فالفلاح إذا كان نسبيً فهو درجة الفلاح بحسب درجة الصفة، فالخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وحفظ الفروج، هذا يختلف الناس فيه، ظاهر؟ فالصفات هذه تجمع لك أشياء بقدر حصيلتك منها يكون الفلاح، فهذه متفاضلة، الناس فيها يتفاضلون، فالنتيجة أن الفلاح يتفاضل فيه الناس. بس الله يحفظك يا شيخ نص على الخشوع في الصلاة، الأئمة -جزاهم الله خير- عجلين، سريعين دائمًا، أغلب الأئمة سريعين، ما في وقت من شأن الإنسان يعني يخشع، والوقت دائماً معروف أنه هو اللي فيه خشوع أو أنه...

لا .. الخشوع فيه شيئين في الصلاة فيه الطمأنينة فيه الخشوع، الطمأنينة ركن، وش الطمأنينة؟ أن لا ينتقل من الركن حتى تستوي أعضاءه، يعني بمعنى إذا ركع ما يقول: سمع الله لمن حمده. حتى يطمأن راكعًا كل عضو يأخذ محله، بمعنى انحنى خلاص يثبت كذا ما هو بحركة مستمرة، بل يثبت إذاً قال العلماء قدره قدر تسبيحة. إذا صار مكث قدر سبحان ربي الأعلى، حصل الطمأنينة اللي هي ركن، هنا نجي الخشوع، الخشوع ليس واجبًا، الخشوع مستحب، سنة الناس يتفاضلون فيه مثل ما جاء في السنة: ((إن الرجل لينصرف من الصلاة، وما كتب له إلا نصفها))، بعض الناس ينصرف من الصلاة ما تكتب له كلها تكتب له نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها، إلا خمسها، إلا سدسها، إلا سبعها، إلا ثمنها، إلا تسعها، إلا عشرها، ظاهر؟ النبي ﷺ جعل المصلين حتى خلف الإمام يتفاوتون في الأجر، ليش؟ لتفاوت الخشوع، ظاهر؟ هذا الخشوع ما هو، هل هو خشوع عمل أو خشوع قلب؟ هو خشوعان، خشوع القلب بعدم ذهاب النفس والقلب عن تدبر آي الصلاة وعلى الأذكار والتسبيح... إلى آخره، وخشوع بدن بأن لا تكون متحركًا فالخشوع

خشوعان، خشوع قلب وخشوع جوارح، فإذا كملت خشوع الجوارح، وخشوع القلب كملت لك الصلاة إذا نقصت منها نقصت منك الصلاة، ولما كانت حال أغلب الناس على النقصان، من اللي ما يسهى ومن اللي ما يهوجس؟ شرع الله -جل وعلا- النوافل لتكمل نقص الصلاة، فأنت يكتب لك نصف الصلاة، ثلاثة أرباع الصلاة، عشر الصلاة، تكملها أيش؟. بالنوافل، تكمل الفرائض.

سؤال : الخشوع هو استحضار ما هو شرط يا شيخ، يعني شرط أساسي؟

الجواب : ليس ركنًا ولا شرطًا، هو مستحب بقدر التفاضل فيه يكثر الأجر أو يقل، اللي هو الخشوع وش السكينة، وحضور القلب، أما السرعة ما لها علاقة بالخشوع هذه الطمأنينة، ظاهر؟ يعني السرعة طبعًا لها صلة بالخشوع، بمعنى أنه أيش؟ نقول: لو ركع وسبح مثلاً خمس بيكون هذا ادعى لخشوع قلبه ولخشوع جوارحه، لكن ممكن أن يسبح واحد أو ثلاثًا وهو خاشع، واضح؟ لكن كلما طال كلما كان أكثر خشوعاً.

سؤال : لا يشرع لا يستريح قلبه وبالتالي؟

الجواب : هذا حسب الإمام، صحيح، كلامك صحيح.

سؤال : السؤال الثاني إني أدعو في الركوع بعد سبحان ربي العظيم في صلاة الفريضة بقولي: سبحانك يا نور السماوات والأرض ورب العرش العظيم يا ذا الجلال والإكرام. هل هذا الدعاء جائز؟

الجواب : جائز الدعاء، أنا أقول: جائز، لكن هذا الدعاء ما هو بمأثور، يعني اجتهادي، والأدعية الاجتهادية ما تلزمها، يعني تدعو بها مرة وتتركها، ومرة في الركوع ومرة في السجود ومرة خارج الصلاة، ما تلتزمها لأن الدعاء الذي يلتزم دائمًا تجيبه هو السنة، الأشياء اللي بتجتهد بها في الدعاء

طيب ما في حرج، لو كان زيادة وقت يعني ممكن أدعو. جيد تدعو مرة بهذا ومرة بدعاء ثاني نوع، لا بأس؟

سؤال : في سجودي لصلاة الفريضة أقول بعد سبحان ربي الأعلى: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟

الجواب : هذا جاء في الحديث وحبك وخشيتك وطاعتك هذه زيادة، وحسن عبادتك، وحب عبدك ورسولك محمد ﷺ ربي زدني إيمانًا وتقوى وهدى وصلاحًا وحكمة وبصيرة ولا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحدٍ من خلقك طرفة عين، يا مولاي اجعل خاتمتي جهاد، وشهادة في سبيلك وفي سبيل وجهك الكريم، اللهم يا ربي اصلح لي أموري جميعًا واجعلني أعبدك حق العبادة التي ترضاه واجعلني آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر. هذا دعاء طيب.؟ لكن ما فيه شيء؟ ما فيه شيء، لكن لا يلتزم، يعني ما هو بكل سجود وكل صلاة؛ لأنه إذا التزمت دعاءًا لم يرد في السنة صار بدعة، تلتزمه دائم، إما التزام في سجود أو وصف تجعله أربع مرات دائم وخمس مرات، يعني إما في هيئة أو عدد، يعني ما يصلح التزامه على طول، أما بعض الأحيان أو بعض....

سؤال : التزام الصلاة في يوم معين مثل يوم الأربعاء يصلون القيام؟

الجواب : لا، ما هو يشرع، أما أحياناً يجوز صلاة الجماعة أحياناً النبي ﷺ صلى بهم جماعة أحياناً، أما كل يوم في الأسبوع دائم ما يصلح، يصير مضاهي للمشروع.

سؤال : ولو يوم متنقل مثلاً الأسبوع الأول الأربعاء، الثاني...

الجواب : يعني ما يخصص يعني زمان ولا مكان ولا وقت ولا يوم، ما فيه شيء، يعني نتقابل في يوم كذا لنصلي؟ لا، هذا خلاف السنة، لكن إذا اجتمعوا وأرادوا الصلاة جماعة فلا بأس، لكن يتواعدون يوم للصلاة هذا ليس

بمشروع وإن كان بعض العلماء أجازه، فيه كلام لا بن تيمية، يعني في المسألة ربما يجيزه لكن السنة ظاهرة فيه .

سؤال : يا شيخ ليلة الإثنين الماضية لما اجتمعنا في المسجد جاءنا الخبر بعدما صلينا في ليلة العيد ، فهل فيه بأس ؟

الجواب : لا، ما في بأس، وتر، يعني بس وتر ركعتين والوتر ما في بأس.

الشريط الثامن والخمسون . وجه (أ) ١٤٢٠/١١/٢٠ هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. اللهم نسألك علمًا نافعًا وعملاً صالحًا ودعاءًا مسموعاً. ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك...

نجيب على بعض الأسئلة:

سؤال : هل الميت يعلم عن الأحياء أخبارهم فقد سمعت من بعض أهل العلم من يقول ذلك وآخر ينفيه. وآخر من يقول: هذه المسألة لا أحد يسأل عنها لأنها من علم الغيب؟

الجواب : هذه المسألة من المسائل المهمة جدًا وكما ذكر السائل تنوعت أقوال أهل العلم فيها. ما بين نافٍ مطلقًا. وما بين مثبت مطلقًا وما بين مفصل في المسألة بحسب ما ورد في الدليل. والصواب في ذلك التفصيل.

فمن نفى مطلقًا بأن الأموات لا يسمعون ولا يعلمون. بل انقطع سبيلهم. استدلوا بقول الله -جل وعلا-: ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾ واستدلوا أيضًا بأن الميت انقطع من هذه الدنيا وارتحل إلى الآخرة. فهو مشغول عن هذه الدنيا بالآخرة. وهو في حياة برزخ. وحياة البرزخ مختلفة عن

هذه الحياة. فصلته بهذه الحياة تحتاج إلى دليل. ولا دليل يدل على سماعه مطلقًا. فلذلك وجب نفيه لدلالة قوله: ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ** ﴾ ولم يدل أيضًا الدليل على أن الملائكة تبلغ الأموات الأخبار والأحوال. فبنوا على هذا النفي العام. في أن الميت لا يسمع شيئًا.

والقول الثاني: أن الأموات يسمعون مطلقاً. ويُبلّغون يعني يسمعون ما يحدث عندهم ويُبلَّغون ما يحصل من أهليهم وأقاربهم من خير وشر. فيأنسون للخير ويستاءون للشر. وهؤلاء بنوا كلامهم على أن في الأدلة ما يدل على جنس سماع الميت لكلام الحي. كقوله ﷺ نسيت أول الحديث –المقصود اللي في آخره– ((وإنه ليسمع قرع نعالهم)) واستدلوا بهذا على أنه يسمع. ويستدلون أيضًا ببعض الأحاديث الضعيفة كحديث التلقين حديث أبي أمامة الضعيف في التلقين ونحوه بأنه يسمع بعض السماع ويستدلون أيضًا بما ورد من الأحاديث. بأن الملائكة تُبلّغ الميت بأخبار أهله. من بعده ويعرضون عليه ما فعلوا. فإن وجد خيرًا فرح واستبشر. وإن وجد وبُلّغ غير ذلك استاء من أهله ويستدلون أيضًا بما يحصل للأحياء من رؤية للأموات في المنام لأرواح الأموات في المنام وأنهم ربما قالوا لهم: فعلت كذا وفعلت كذا وأتانا خبرك بكذا ونحو ذلك. وهؤلاء في مسألة خاصة. استدلوا بفعل النبي ﷺ مع صناديد قريش لما دفنهم في القليب. ورماهم فأطل عليهم ﷺ وقال لهم: ((هل وجدتم ما وعد ربكم حقا. فإني وجدت ما وعد ربي حقا)). قالوا له يا رسول الله: أتكلم أمواتًا. قال: ((ما أنتم بأسمع لي منهم)). واستدلوا بهذا اللفظ ((ما أنتم بأسمع لي منهم)) على أنهم يسمعون وإذا كانوا يسمعون فإنهم لهم نوع تعلق بالدنيا. فلا يمنع أن يبلغوا ويقوي ما جاء في هذا الباب من أحاديث.

والثالث: وهو الصواب التفصيل. وهو أن الميت يسمع بعض الأشياء التي ورد الدليل بأن يسمعها. والأصل أن الميت لا يُسَمَع لقوله: ﴿ **وَمَا أَنتَ**

بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ وأنه أيضًا لا يسمع فما خرج عن الأصل احتاج إلى دليل. وكذلك التبليغ. تبليغ الأخبار أيضًا خلاف الأصل ولهذا كان من خصائص النبي ﷺ أن الله جعل له ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغونه من أمته السلام. وهذا هو الأقرب للدليل. وهو الأظهر من حيث أصول الشريعة. وهو أن الميت لا يسمع كل شيء. لا يسمع من ناداه. لا يسمع من أتاه يخبره بأشياء وأنه لا دليل على انه يُبلَّغ ما يحصل لأن هذا من خصائص النبي ﷺ. وأن الأحاديث الواردة في ذلك في أنه يبلّغ ونحو ذلك أنها أحاديث ضعيفة لا تقوم الحجة بها. فينحصر إذًا سماعه فيما دل الدليل عليه. وهو أنه يسمع قرع النّعال. وأن أهل بدر سمعوا. يعني أن المشركين من صناديد قريش سمعوا النبي ﷺ. لهذا في الرواية الثانية الصحيحة أيضًا أنه قال لما قالوا له: أتكلم أمواتًا، قال: ((ما أنتم بأسمع لي منهم الآن)). وهذه الرواية ظاهره الدلالة. في أن إسماعهم وتكليمهم هو نوع تبكيت وتعذيب لهم وزيادة الآن زيادة صحيحة ظاهرة. وبها يجتمع قول من نفى وقول من أثبت. فيكون الإثبات بالسماع فيه تخصيصًا لهم بتلك الحال. لازدياد تبكيتهم وتعذيبهم أحياء وميّتين.

والعلماء ألفوا في هذا أيضًا تواليف. في الثلاث اتجاهات. يعني في القول الأول والثاني والثالث. وابن القيم –رحمه الله– في كتاب الروح. توسع في هذا على القول الثاني. توسع فيه على القول الثاني. لكنه ليس هذا القول أو غيره موافقًا لقول المشركين الذي يجيزون مناداة الميت وسؤال الميت الحاجات وطلب تفريج الكربات وإغاثة اللهفات. ونذر النذور ليخاطبوه وليستغيثوا به أو يستشفعوا به. هذا غير داخل في المسألة لكن هذه المسألة أساس يروّج به من دعا إلى الشرك. لأنهم يعتمدون على مثل هذه الأقوال، صنف ابن القيم كتاب الروح. وبحث فيه هذه المسألة. وتوسع فيها جدًا حتى إنه –رحمه الله تعالى– نقل منامات وحكايات في هذا المقام من قبيل الشواهد

على طريقته لكن العبرة بما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة. ولا متمسك في كلام ابن القيم لمن زعم أن الموتى يغيثون وأنهم يسمعون ويجيبون من سألهم إلى آخره. بل ابن القيم –رحمه الله تعالى– مع ما أورد. رد على المشركين والخرافيين وأهل البدع والضلال الذين يصفون الأموات بأوصاف الإله جل الله عما ادعى المدّعون، وهناك من ذهب إلى المنع مطلقًا، وهم عدد من أهل العلم، ومذهب الحنفية بالخصوص والتواليف طائفة من الحنفية في هذا الباب على هذا الأساس من أن الأموات لا يسمعون. أصلاً. فكيف يُبلّغون وكيف يُجيبون. والصواب اللي عليه الدليل هو التفصيل الذي مرّ ذكره.

أما السلام سلام النبي ﷺ. ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكري قاعدة مهمة في فحوى كلامه. وهو أن الميت على القول بسماعه وسماع النبي ﷺ بخصوصه فإنه لا يسمع بقوة هي أكبر من قوته في الدنيا. لا يسمع البعيد؛ لأن إعطاءه قوة أكبر من قوته في الدنيا على السماع هذا باطل ولم يدل عليه أصل. ولم يقل به أحد. ولهذا جاء في بعض الآثار، جاء في بعض الأحاديث وإن كان فيها مقال. طبعًا وفيها تعليل وبحث معروف ((من سلم عليّ عند قبري أجبته أو رددت عليه، ومن سلّم علي بعيدًا بُلغته)) وهذا الصواب أنه من قول بعض السلف، يعني استظهارًا بأن من سلم قريبًا أجيب ومن سلّم بعيدًا بُلّغ ولا يصح الحديث في ذلك. والمقصود من هذا أن تبليغ سلام من سلم للنبي ﷺ يدل على أنه ليس عنده قوة تحضر في كل مكان، من سلم عليه ﷺ عند قبره فله حكم من سلم عليه عند القبر ير د عليه السلام والآن القبر بعيد، قبر النبي ﷺ بعيد، ليس قريبًا وبينك وبينه أربع جدران، جدران كبيرة، فإذا تكلم المرء خافتا بأدب وسلّم. السلام عليك يا رسول الله بهدوء فإنه لو كان عليه الصلاة والسلام حيًّا في مكانه يعني في غرفته في حجرته التي دفن فيها لما سمع. ولهذا ليس ثم فيه إلا التبليغ. الآن أنه

يبلغ الملائكة تبلغه من سلم عليه؛ لأن الذي يُسلم بعيد، ولا يسمع فذكر ابن تيمية أنه لم يدل دليل على أنه يعطى قوة غير القوة التي كانت معه في الدنيا. فلو قيل إن الميت يسمع الميت عامة يسمع، فإنه لا يسمع من يكلمه من خلف المقبرة، أو بينه وبينه عشرين متر ويتكلم بهدوء، أو نحو ذلك، فإن هذا من وسائل الاعتقادات الباطلة. أو من وسائل الشرك والخرافة، أما النبي ﷺ فحياته حياة كاملة برزخية، ولا شك أكمل من حياة الشهداء. على كل حال.

سؤال : هل يجوز أن يقال لليهودي والنصراني يا أخ فلان وما المراد بقوله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ ﴾؟

الجواب : الأخوة تختلف. فيه أخوة نسب. وثم أخوة دين، وفيه أخوة في صناعة، والأخ يطلق على المصاحب أيضًا والقرين، فما يأت في قصص القرآن من جعل النبي أخًا للمشركين الذين كذبوه. هذا من قبيل أخوة النسب؛ لأنه منهم نسبًا كما نص على ذلك أهل العلم، أما أخوة الدين أو أخوة الملة أو أخوة المحبة فهذه لا شك منفية وباطلة، لهذا من قال لليهود والنصارى إخواننا ويقصد بذلك التودد فهذه تدخل في المولاة المحرمة، وإذا كان له بالنصراني نسب أو صلة، أو كان مشترك معه في صناعة أو في تجارة ويقصد هذا الاشتراك فهذا له باب آخر، وفيه نوع موالاة ومقاربة، فالواجب تجنبها أما أخوة النسب والقبيلة، فهذه أمرها واسع كما في القرآن.

سؤال : ما حكم الرقية على الكافر والحيوان؟

الجواب : الرقية دواء وعلاج فلا يختص بها مسلم أو آدمي فلو رقى كافرًا فلا بأس، وإذا رقى أيضًا حيوانًا فلا بأس؛ لأن هذه دواء وعلاج قصة أبي سعيد الخدري. حديث أبي سعيد الخدري المعروف بأنهم مرّوا بقوم استطعموهم أو استضافوهم فلم يضيفوهم. فلدغ سيد أولئك القوم، فأتوا لهؤلاء.

قالوا: أفيكم راق؟ قالوا: نعم ولكن لا نرقي إلا بجُعل. فجاعلوهم على قطيع من الغنم ثم جعل يرقي بفاتحة الكتاب ويتفل ويقرأ بفاتحة الكتاب ويتفل حتى برئ كأن لم يصبه شيء، فلما أتوا للنبي ﷺ قصوا عليه القصة: فقال: ((وما يدريكم أنها رقية اضربوا لي معكم بسهم)) فالرقية علاج، وقراءة القرآن على الكافر نوع إسماع له أيضًا القرآن، وليست من جنس مس المصحف، والله –جل وعلا– قال: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّـهِ** ﴾ ففيها علاج وفيها إقامة للحجة عليه، وإقامة حجة من الحجج عليه.

سؤال : الأحكام التي وردت في آية الدين، وهي الكتابة، والإشهاد هل هي على الوجوب لظاهر الآية أم لا؟

الجواب : الصحيح أنها على الاستحباب، والظاهرية ذهبوا إلى الوجوب، والآية الأمر فيها للاستحباب، ويتأكد الاستحباب إذا صار الدين أو القرض مما يؤبه له أو مما يخشى معه الاختلاف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبعد: فهذه هي الجمل الأخيرة من هذه العقيدة المباركة. عقيدة أبي جعفر الطحاوي –رحمه الله تعالى– حيث بين فيها أصول الاعتقاد في الله –جل وعلا– وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبين فيها تفاصيل الكلام على مسائل كثيرة تدخل تحت أركان الإيمان الستة، وذكر فيها كعادة من ألف في عقائد السلف. ما يتصل بذلك من الكلام في الصحابة وما وقع من الفتن والكلام في من الأحق بالخلافة، والكلام في العشرة المبشرين بالجنة، وما أشبه ذلك من المسائل المتصلة بمسائل الإيمان وكذلك ذكر عدة مسائل تتعلق بالقول في أهل العلم وأننا لا نذكر أهل العلم سواءً أكانوا من أهل الحديث والأثر. أو من أهل الفقه والنظر إلا بالخير، ومن

ذكرهم بغير الخير فهو على غير السبيل، وما شابه ذلك من المسائل، وهذه المسائل التي ذكرها حق ويقرها عامة الأئمة إلا فيما استثنى مما وافق فيه أبا حنيفة –رحمه الله تعالى– في بعض مسائل الإيمان ونحوه، مما لاحظنا عليه ولاحظ عليه العلماء من قبل، وبعض الألفاظ التي تجنبها أولى، كما مر معنا في مواضعه فلما ذكر ذلك كله، قال هذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطناً، ونحن برآء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ولا شك أن أبواب الاعتقاد متعلقة بالقلب، والقلب أشد ما يكون في التغير، وأشد ما يكون في التقلب ولهذا كان من دعائه ﷺ أنه كان يقول: ((يا مقلب القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)) ونحو ذلك مما ورد في الآثار.

فالقلب يتقلب سريعًا، وأكثر شيء يتقلب فيه القلب قول القلب وعمل القلب والاعتقاد، اعتقاد القلب؛ لأن هذه مبناها على العلم، والعلم يُنسى ويذهب فكلما ترك شيئًا من العلم كلما أثر ذلك على القلب.

فإذا ترك مسائل العقيدة أثر ذلك على عقيدة القلب، إما أثر بنقص العلم وهذا له أثر في اليقين، والاعتقاد الحق، أو أثر بوجود الشبهة مع عدم العلم أو ضعف العلم والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يتغير قلبه؛ لأنه إذا تغير قلبه فإن الجوارح تتغير كما قال ﷺ: ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)).

وفساد القلب يكون بالشبهات وبالشهوات. فإذا عرضت الشبهات وتمكنت وسبب تمكنها نقص العلم، فإن القلب يفسد وأعظم ما تعرض الشبهات في مسائل العقيدة، ولهذا ما زال الأئمة وأهل العلم والنصحة للأمة حق النصيحة لأئمة المسلمين ولعامتهم ما زالوا يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ لأنه أقرب ما يكون تغير القلب في العقيدة؛ لأنها تُنسى وقد تبقى

المجملات لكن التفصيلات تُنسى ثم تأتي ذنوب القلب شيئًا فشيئًا ويقع الشبهة، ويقع المرية ويقع الريب في القلب ثم يضر الإنسان بنفسه شيئًا فشيئًا.

لهذا من أعظم الأدعية التي علمنا إياها ربنا -جل وعلا- الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، في الصلاة ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ والهداية للصراط طلب بأن نُهدى إلى الصراط والصراط هو الإسلام والقرآن والسنة، والإسلام والإيمان والقرآن والسنة له تفاصيل. تفاصيل مختلفة، الإسلام شيء يتعلق بالقلب، وشيء يتعلق بالجوارح والعمل، والإيمان يتعلق بالقلب، والقرآن ثم أشياء كثيرة فيه، فيه آيات في التوحيد وفي الغيبيات، هذه كلها عقائد والسنة كذلك، فإذا طلب الهداية إلى الصراط المستقيم في الحقيقة لمن أحسن هذا الطلب وطلبه بحق وتضرع إلى الله -جل وعلا- به رغبة في تحقيق هذا المراد الأعظم، هو عدم رضا عن النفس؛ لأن النفس لابد أن يكون فيها نقص، عن تمام الهداية للصراط المستقيم، فلا دعاء الإنسان أحوج إليه من هذا الدعاء، ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ ولهذا كان من لطف الله -جل وعلا- بعباده أن جعل هذا الدعاء هو أول دعاء في القرآن، وأول سؤال في القرآن، وهو أول سؤال واجب أيضًا في الصلاة، فإن أول سؤال في الصلاة واجب دعاء الاستفتاح ليس بواجب، هو الهداية للصراط، وهذا من أعظم الأدعية لأن القلب يتقلب والإيمان يتغير والإسلام يتغير في العبد وهذا كله بحكم ضعف العلم وزيادته وضعف التطبيق وزيادته، لهذا أحسن العلامة أبوجعفر الطحاوي -رحمه الله تعالى- حين دعا بهذا الدعاء في خاتمة هذه الرسالة والعقيدة الطيبة: فقال: (نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة) وهذا يبين مقام هذا السؤال عند هؤلاء العلماء الربانيين لأنهم يسألون الله الثبات على الإيمان الذي شرح في هذه العقيدة أركانها وبينهما ومع ذلك هو أشد ما يكون حاجة إلى الثبات على

الإيمان وإلى الختم له في حياته به، لشدة معرفته بأن هذا الإيمان يُسلب، سواء أكان سلبًا كاملاً، أم سلب بعض كماله أو بعض التفاصيل فيه، أو بعض أجزائه، فدعا بهذا الدعاء المتضمن الثبات على الإيمان والذي تضمن أيضًا العصمة من الأهواء المختلفة والآراء المتفوقة، وهل مثل هذا العالم الذي علم أحوال هذه الفرق الضالة. من المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية ومن نحا نحوهم كالمرجئة والخوارج والرافضة وأشباه هؤلاء، هل من علم هذا العلم الواسع يخشى على نفسه؟ نعم من علم خشي، هذا هو الواقع؛ لأن الشيطان حريص ولأن الإنسان ضعيف جدًا، فلما كان الأمر كذلك كان واجبًا على العبد وجوب وسائل أن يحرص على أمرين:

الأول: العلم، العلم النافع بالعقيدة الصحيحة والتوحيد بدلائله من الكتاب والسنة أن يكون ذلك ظاهرًا في قلبه، لا شبهة عنده فيه، مستحضرًا له مراجعًا له في كل حال حتى يسلم قلبه من أن يكون فيه فجوة يدخل منها الشيطان، ثم مع إتيانه بوسيلة العلم فلابد من استغاثته بالله وسؤاله لمولاه أن لا يزيغ قلبه بعد إذ هداه، وهذه مسألة عظيمة وسؤال جليل وإنما يعرف شدة الخطر من علم حق الله -جل وعلا-، وما له من الأسماء والصفات، وعلم أثر هذه الأسماء والصفات في ملكوت الله -جل وعلا-، فكم تقلب قلب أحد. وكم ضل من إنسان، وكم زاغ من قلب إلى آخره، فنسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يثبتنا على الإيمان وأن يختم لنا ولوالدينا ولأحبابنا به وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة والمذاهب الرديئة إنه سبحانه جواد كريم.

والأهواء مختلفة هذه منها ما هو كفري، ومنها ما هو دون ذلك وقبل أو إمام الحنفاء إبراهيم -عليه السلام- دعا بتلك الدعوات الصالحة التي قال فيها: ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ** ﴾ فجعل

الأصنام مضلة لكثير من الناس لما يقع في القلوب منها أو من أولياءها من الشبهة. فسأل ربه أن يجنبه وأن يجنب بنيه عبادة الأصنام، وهذا يدل على عظم خوف الخليل إبراهيم -عليه السلام- من هذا الزيغ وهو الكامل وهو الخليل وهو المجتبى عند ربه -جل وعلا-، ولذلك تحفظون كلمة إبراهيم التيمي من التابعين -رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية كما رواه ابن جرير وغيره حين تلا هذه الآية قال: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم، وهذا يدل على أن الناصح حقًا لنفسه وللأمة ولأئمة المسلمين ولعامتهم حقًا. من نصح حقًا فإنه يوصيهم بالاهتمام بتوحيد الله -جل وعلا- الذي هو حق الله على العبيد وبتصفية القلب من أدران العقائد الفاسدة؛ لأنه بصلاح القلب وبسلامة عقيدته يبارك الله -جل وعلا- في قليل العمل، فإن العمل القليل يُبارك ويزيد ويضاعفه الله -جل وعلا- إذا سلم القلب وسلمت العقيدة فإن الله يبارك أما إذا كان العمل كثيرًا والعقيدة فاسدة فإن هذا ليس بشيء ومن محاسن كلام أبي الدرداء. الذي ذكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتابه فضل الإسلام. أن أبا الدرداء -رضي الله عنه- كان يقول يا حبذا نوم الإكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين بر يعني في الأعمال الظاهرة مع تقوى لله -جل وعلا- وخوف ويقين في اعتقاده ويقين فيما ضمه قلبه. قال: ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين أعظم من أمثال الجبال عبادة من المغترين، وهذا هو الواقع ومن تأمل الكتاب والسنة وجد ذلك صحيحاً.

فنسأل الله -جل وعلا- العصمة من الأهواء المختلفة. وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذا هداها، وهذه الجملة إلى آخره فيها مسائل:

المسألة الأولى:

عِظم شأن الدعاء وخاصة إذا ذكرت المذاهب الردية وذكر الاعتقاد الحق فإن الواجب على المسلم أن لا يأمن بل الواجب عليه أن خاف ويحذر ويعمل بأسباب الحذر، وأن يتقرب إلى الله -جل وعلا- بالدعاء العظيم لأن الله -ﷻ- يجيب من سأله ويعطي من دعاه سبحانه. وهذا أصل يدخل تحت ما مر الكلام عليه من منفعة الدعاء وإجابة الله -جل وعلا- للدعاء وقضاء الحاجات.

المسألة الثانية:

ذكر هنا: الثبات على الإيمان، والثبات على الإيمان نوعان:

١ . ثبات على أصله،

٢ . وثبات على كماله، والعبد محتاج إلى هذا وهذا، وأهل العلم بالله -جل وعلا- يسألون الله سبحانه ويلحون في السؤال أن يُثبتون على كمال الإيمان، وأن يغفر لهم ما فيه من نقص، فقوله هنا: أن يثبتنا على الإيمان يعني على كماله. بكمال الاعتقاد وكمال العمل.

المسألة الثالثة:

قوله هنا: (ويختم لنا به) الخاتمة من أعظم وسائل النجاة إذا أحسنها الله -جل وعلا-، فمن حسنت خاتمته فهو إلى الجنة إن شاء الله، ومن ساءت خاتمته فهو على خطر. ولهذا جاء في الحديث الصحيح ((أن العبد يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار. وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخل الجنة)) فالخاتمة هي المقصود أن يختم للعبد بما يحب الله -جل وعلا- ويرضى، وإذا كان الأمر كذلك فإن حسن الخاتمة منوط بمعرفتها، يعني إحسان العبد خاتمته منوط بمعرفتها. أن يعرف متى تنتهي حياته حتى يستعد،

وإذا كان ذلك محالاً أن يعلم متى سيموت ومتى سينتهي فإن الواجب حينئذ أن يحذر صباح مساء، وليلاً ونهارًا، أن يحذر من سوء الخاتمة، وهذا هو عمل الأكياس وعمل الصالحين. جعلنا الله -جل وعلا- منهم وغفر لنا ذنوبنا، أنهم يستعدون للخاتمة. والاستعداد للخاتمة من وسائل النجاة، وهما استعدادان. استعداد في صلاح القلب. واستعداد في صلاح العمل، والاستعداد في صلاح القلب هو بالعلم النافع الذي ورث في القلب العلم بالله -جل وعلا- ومعرفته وأسمائه وصفاته، واليقين في ذلك، ثم العمل الصالح بأن يمتثل الأمر ويجتنب ما نهى الله -جل وعلا- عنه أو نهى عنه رسوله ﷺ وأن يستغفر من الذنوب والخطايا.

المسألة الرابعة:

عبر هنا بالعصمة في قوله: (ويعصمنا من الأهواء المختلفة) والعصمة كلمة لم يكن لها استعمال شائع عند السلف ولم تأت بهذا المعنى في الكتاب ولا في السنة، لهذا العصمة في الحقيقة تحتاج إلى تفصيل لأنها بهذا المعنى يعني العصمة من الذنوب العصمة من البدع، فيها حق وفيها باطل، وسبب ذلك أن العصمة معناها أن يُعصم من الذنب والذنب قد يكون في العقيدة، فيكون بدعة وقد يكون في العبادة تقصيرًا أو زيادة فيكون ما بين الإثم في البدع أو في ترك الواجبات، ولهذا وجب أن تُفسر العصمة في هذا الموضع وفي كل موضع استعملها فيه أهل العلم. أن تفسر بالمعنى الصحيح؛ لأنها مجملة ولا أحد يُنزه يعني بعد رسول الله ﷺ. يُنزه عن جنس الذنب، فقد يكون الذنب ذنب قلب، وقد يكون الذنب ذنب عمل جوارح، والعصمة توهب. كما قال هنا: (نسأل الله العصمة)؛ لأن العصمة يهبها الله -جل وعلا- وإذا كانت معناها عدم الوقوع في الذنوب المخلَّة فهي إنما وهبها الله -جل وعلا- لرسوله ﷺ، أما الأمة فلم توهب هذا النوع وهو أنه يعصم مطلقًا من كل ذنب. ذنب

اعتقاد، ذنب قلب أو ذنب عمل، وإذا كانت توهب فالعصمة ليست لله -جل وعلا- أو يُقال الله معصوم من كذا، أو كما قال بعضهم العصمة لله ولرسوله ﷺ، فالعصمة لله ملكًا هو الذي يملكها لكنه لا يوصف بها، يملكها ملك كما يملك سائر ما في الملكوت، من أعيان وغيرها، وهو الذي يُعطي العصمة ويهبها لمن شاء من أنبيائه. فإذا كان كذلك، تلخص الأمر في أن العصمة الكاملة: هي للنبي ﷺ وأما من عداه من الأمة. فلم يُعطى العصمة الكاملة، فلابد أن يقع في الذنب يُصيبه، والذنوب كما ذكرنا قسمان:

١- ذنوب اعتقاد

٢-وذنوب عمل.

وذنوب الاعتقاد ليست موجودة في الصحابة، رضوان الله عليهم ولهذا يصح أن تقول: عصم الله الصحابة من الخلل في العقيدة. عصم الله السلف من مجانبة الحق في الاعتقاد، وهذا هو الواقع؛ لأنهم أجمعوا على مسائل التوحيد والعقيدة، والأمة لا تجتمع على ضلال.

أما العمل فلا يعصموا. يعني الذنوب لم يعصموا لهم ذنوب والنبي ﷺ علم أبوبكر أن يدعوا بقوله: ((اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي)).. حتى صغائر الذنوب ربما حصلت من النبي ﷺ مما لا يقدح في الرسالة، ولهذا قال الله -جل وعلا-: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ فإذاً مقصده هنا من الدعاء هذا أن يعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرديئة، يعني أن يسلك الله -جل وعلا- به سبيل السلف؛ لأنهم عُصموا من أن يسلكوا الأهواء المختلفة أو الآراء المتفرقة. أو المذاهب الردية. فمعنى سؤال العصمة هنا أن يلزم طريقة السلف الصالح. الصحابة والتابعين الذين لم تظهر فيهم هذه الأهواء والآراء والمذاهب الردية.

المسألة الخامسة:

مثل بعد ذلك بأمثلة للأهواء والآراء والمذاهب، فقال: مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية إلى آخره، هذه الفئات يُطلق عليها الأهواء، ويطلق عليها فِرق، ويُطلق عليها آراء، ويُطلق عليها مذاهب، فيصح أن تقول: المعتزلة من الأهواء كما يستعملها السلف أو أئمة السنة في القرون الأولى، وقد يقولون الجهمية مذهب رديء. أو إياك وهذه الأهواء، وهو جمعها لاستعمال الأئمة في وقته وما قبله لها، فإذًا المعتزلة أهواء والجهمية أهواء وآراء، ومذاهب إذا تبين ذلك فنفصل الكلام في معنى هذه الفرق، قوله مثل المشبهة وهي طائفة ظهرت.

ظهرت فرق شبهت الله -جل وعلا- في الصفات بخلقه سواء أكانت صفات الذات أو صفات الأفعال، فيحكى هذا عن طائفة كالجواربي ونحوه، ويقال لهم المجسمة كما عند مقاتل بن سليمان ونحوه، والمقصود بها تشبيه الله -جل وعلا- بخلقه ويريدون بالتشبيه التمثيل، فيقولون: وجه الله كوجه الإنسان، كوجه بن آدم، ويده كيده، وعيناه كعينا ابن آدم، وأصابعه كأصابع... إلى آخره. ويقولون إن هذا مقتضى النص المشابهة. مقتضى النص المماثلة. وهؤلاء يقال لهم أيضًا المجسمة، قد ذكرت لكم فيما سبق أن كلمة التشبيه فيها بحث. وأن الذي جاء في النصوص هو التمثيل، فهم مجسمة ممثلة مشبهة تصح هذه الاستعمالات جميعًا، وثم قسم ثاني من التشبيه، لا يدخل فيه هذه الفئة أو الطائفة أو المذهب وهو تشبيه المخلوق بالخالق، وأن يُجعل للإنسان صفات مثل صفات الله -جل وعلا-. مثل عيسى -عليه السلام- جعلوه إلهًا وجعلوا له صفات. تختص به كصفات الله، ومثل الذين عبدوا الأولياء والموتى، جعلوا لهم التصرف في الربوبية وجعلوا لبعضهم ربع العالم، ولبعضهم سُبع العالم، ولبعضهم جزءًا من أربعين جزءًا من العالم.

حتى إن بعضهم ألف في أن في بلدة كذا أربعين من الأولياء الصالحين هم الذين بيدهم تصريف أمورها من الأموات، وثم رسائل كثيرة في ذكر هذا الأمر، وهؤلاء الذين شبهوا المخلوق بالخالق في التصرف في الربوبية يعني في الملك جعلوه بتفويض الله له، نعم لكنهم جعلوا التصرف له، وهم على أربع فئات:

منهم من جعله لواحد، وهو المسمّى عندهم بالغوث الأكبر. أو القطب الأعظم أو نحو ذلك، ومنهم من جعل التصرف في الأرض في هذا الملكوت لأربعة من الأولياء. يختلفون في تحديد الأربعة ومنهم من جعله لسبعة، ومنهم من جعله لأربعين، والصوفية الغلاة الذين يدعون هذه الادعاءات الباطلة، التي خالفوا بها طريقة السلف أصلاً، وفرعًا، وسلوكًا وابتدعوا هذا الضلال والكفر، ألفوا كتبًا كثيرة في هذا الباب في تصرف هؤلاء في الملكوت أو في أرزاق أهل الأرض أو في أحوالهم. الفئة الثانية: الكلام حول الفرق يطول، تأخذونه من المطولات.

الفئة الثانية: المعتزلة هم أتباع عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء الذين كانا من تلامذة الحسن البصر كما هو معلوم ولما دخلوا في البحث في مسائل الإيمان يعني الأسماء والأحكام، الإيمان والحكم على مرتكبي الكبيرة والكلام عن الصحابة الذين تقاتلوا، خالف عمرو بن عبيد الحسن، كذلك واصل بن عطاء فاعتزلا حلقة الحسن البصري فسُئل الحسن عنهم فقال: هؤلاء المعتزلة فبقي الاسم عليهم، وكثر أتباعهم حتى تقعد مذهبهم وسمي بمذهب المعتزلة، وبنوا ذلك بعد الانعزال، وتفصيل المذهب والنقاشات وما حصل من تطور فيه، بنوه على أصول خمسة، عندهم وهي المسماة الأصول الخمسة عند المعتزلة وهي:

التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بيد المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألفت فيها المؤلفات لتقعيدها في القرن الثاني الهجري، وهذه الأصول الخمسة جعلوها أصولاً عقلية، دل عليها العقل، وأما الدليل النقلي أو السمع فهو تابع له، ولهذا جعلوا دليلهم في الغيبيات ودليلهم في الأصول الخمسة، جعلوه دليلاً واحدًا وهو العقل هو الحجة والنقل مفصل له أو تابع أو شاهد كما يزعمون.

وهذه الأصول الخمسة ثم تفاصيل لهم فيها، تأخذونها من مواطنها، والمعتزلة فئات وفرق مختلفة فيه معتزلة البصرة وهم الأوائل وثم معتزلة بغداد، وهؤلاء هم الذين قعدوا مذهب الاعتزال، وألفوا فيه وأجابوا عن الشبهة عليه، وهناك من ألف في طبقات المعتزلة وفرق المعتزلة، والمعتزلة قد يتفقوا في المسألة وقد لا يتفقون، ولذلك تجد في بعض المسائل يقال: مذهب المعتزلة كذا، لكن إذا بحثت وجدت فيه اختلاف، فمن أثبت يكون مصيبًا ومن نفى يكون مصيبًا باعتبار من نقل عنه وباعتبار مدارس المعتزلة وفرق أهل الاعتزال، فليسوا فرقة واحدة لكن في تفسير الأصول الخمسة وفي أصولها. أصول التوحيد عندهم أصول العدل. المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأصول. يتفقون لكن في التفاصيل يختلفون.

الفرقة الثالثة: الجهميّة، والجهمية ينسبون إلى جهم بن صفوان الترمذي، وكان عالماً فقيهًا، وينسب إلى الحنفية في الفقه، ولكنه لشدة اعتناءه بالرأي كان يُناظر ويكثر من المناظرة، حتى ناظر طائفة من دُهرية الهند، الدُهرية بضم الدال ينسبون إلى القول بالدهر ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ** ﴾ ينسبوا إلى الدَهر، دُهري بضم الدال على غير قياس، كما قاله المرتضى الزبيدي في تاج العروس، وقال غيره، المقصود ناظره قوم من الدُهرية يقال لهم السُمنية

في الصفات لأنهم لا يؤمنون بوجود الله أصلاً، ويريد هو أن يقنعهم بوجود الله. فجرى منه معهم مناظرة ذكرتها لكن في مكان آخر، فآل به الأمر نتيجة المناظرة وتوابعها وما حصل، وقد ذكر أصل القصة البخاري في خلق أفعال العباد، نتج عن ذلك أنه نفى الصفات وعطل الرب –جل وعلا– من صفاته وآمن بالوجود المطلق، والجهمية في مسائل العقيدة يذهبون في الصفات إلى النفي، فينفون عن الله –جل وعلا– كل الصفات ويجعلون الصفة الواحدة الموجودة هي صفة الوجود المطلق. ويقولون بشرط الإطلاق وفي الأسماء يثبتون الأسماء كدلالات على الذات. أسماء الأعلام، ويفسرونها بمخلوقات منفصلة فيجعلون الكريم هو الذات التي حصل عنها إكرام فلان، يعني يفسرونها بالكرم الذي خلقه الله، القوي بالقوة التي خلقها الله العزيز بالعزة التي خلقها الله، يعني في الإنسان في المخلوق من حيث هو، فيجعلون تفسير الأسماء في القرآن أو في السنة يفسرونها بمخلوقات منفصلة لأنه لا دلالة للأسماء على صفة؛ لأنهم ينفون الصفات، وإنما يجعلونها دالة على، يعني عَلَم لا تفسير لها من حيث العلمية لكن تفسيرها من حيث الصفة بأنها مخلوقات منفصلة لهذا قال بعض أهل العلم ينفون الأسماء والصفات. جهمية ينفون الأسماء والصفات وهذا صحيح، باعتبار الحقيقة، وطائفة يقولون لا، لا ينكرون الأسماء باعتبار أنهم يثبتون شيئًا من الأسماء على طريقتهم؛ لأنهم الأسماء دلالات على ذات بدون صفة في الاسم، وإنما هو مثل ما تقول مثلاً: ماء سلسبيل، أو تقول في السيف حسام ومهند وسيف إلى آخره الدلالة على شيء واحد بدون صفة أما صفة أنه يحسم فلا، أما صفة أنه صنع في الهند فلا، أما صفة أنه كذا فلا، هم يجعلونها من جهة الدلالة على الذات واحدة. ومن جهة الدلالة على الصفات، أنها لا تدل على صفة، ولهذا في الآيات يفسرون الأسماء في الآيات بالمخلوقات المنفصلة. يعني أثر الصفة في

المخلوق ويجعلونه مخلوقاً، أما في الإيمان، فالجهمية مرجئة وهم أشد فرق الإرجاء؛ لأنهم قالوا: يكفي في الإيمان المعرفة فقط. وفرعون عندهم مؤمن وإبليس عندهم مؤمن ولم يكفر فرعون عندهم بعدم الإيمان، وإنما بمخالفة الأمر، وإبليس لم يكفر بعدم الإيمان، بل بمخالفة الأمر وهكذا، وهذا القول مشهور عنهم في أنه يكفي في الإيمان المعرفة، وفي القدر هم جبرية يرون أن الإنسان في أفعاله هو كالريشة في مهب الريح. لا اختيار له البتة، وهو مجبر على كل شيء، وأنه يُفعل به ولا يفعل شيئًا، وفي الغيبيات ينكرون كل ما لا يوافق العقل من أمور الغيب، وفي الآخرة ينكرون دوام الجنة والنار، ويقولون الجنة لا تدوم والنار لا تدوم لأن دوام الجنة والنار ظلم فتفنى الجنة وتفنى النار معًا، بخلاف المعتزلة فإنهم يقولون: بفناء النار والجنة كدار نعيم وعذاب لكن التلذذ والألم يبقى، فيستمر التلذذ ويستمر الألم ولا تستمر الدار، في أقوال مختلفة، نسأل الله -جل وعلا- السلامة منها وما جر إليها، المقصود فيه مباحث ترجعون إليها في مواطنها.

الفرقة التي بعدها: الجبرية. والجبرية مذهب منسوب إلى القول بالجبر، والجبر هو أن الله أجبر الإنسان المكلف على أفعاله، والجبرية قسمان:

جبرية غلاة، وجبرية متوسطة أو غير غُلاة، أما الجبرية الغلاة فهم الجهمية، وغلاة الصوفية الذين ينفون أصل الاختيار ويقولون: إن الإنسان كالريشة في مهب الريح، وأما الجبرية غير الغلاة فهم الذي يثبتون الجبر باطنًا والاختيار ظاهرًا، يقولون هو مجبور في الباطن ومختار في الظاهر، هؤلاء الأشاعرة ومن نحا نحوهم، وقد مرّ معنا البحث في هذه المسألة، وأنهم اخترعوا لفظ الكسب وجعلوه مخرجًا للعلاقة ما بين جبر الباطن واختيار الظاهر مما ابتدعوه وأحدثوه، وذكرت لكم أن الكسب على ثلاث إطلاقات:

١- كسب عند أهب السنة.

٢- كسب عند الجبرية.

٣- وكسب عند القدرية ترجعون له في مكانه.

الفرقة التي بعدها: القدرية، القدرية ينسبون إلى القدر لا لإثباته ولكن لنفيه، فهي نسبة إلى من لا يُثبت نسبوهم إلى القدر لأنهم لا يثبتونه، والذين ينفون القدر أقسام متنوعة يجمعهم أنهم ينفون مرتبة من مراتب القدر وأشهر المسائل التي نفى فيها القدر مسألتان:

المسألة الأولى:

العلم السابق وقد نفته طائفة.

المسألة الثانية:

عموم خلق الله -جل وعلا- للأشياء. ومشيئته الشاملة لكل شيء، وقد نفته طائفة.

أما الذين نفوا العلم فهي القدرية الغلاة الذين خرجوا في زمن الصحابة رضوان الله عليهم ورد عليهم الصحابة وتبرؤوا منهم وأخبروا بأنهم ليس لهم في الإيمان ولا في الإسلام نصيب وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي -رحمه الله- : ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصموا وإن أنكروه كفروا؛ لأنهم ينكرون علم الله السابق ويقولون إن الأمر أُنَف يعني مستأنف، لا يعلم الله الأشياء عندهم إلا بعد وقوعها، لا يعلم الأشياء قبل أن تقع، أعاذنا الله منهم.

أما القدرية الذين نفوا مرتبة عموم المشيئة وعموم خلق الله للأفعال فهؤلاء طائفة كبيرة أصّل مذهبهم أهل الاعتزال معتزلة حتى صار عند كثيرين أن المراد بالقدرية النفاة، المعتزلة في الحقيقة القدرية لفظ يصح إطلاقه على كل من لم يؤمن بالقدر، على ما جاء في الكتاب والسنة. بنفي لشيء منه،

فلهذا يدخل في القدرية من اعترض على القدر أو على أفعال الله –جل وعلا– أو على الحكمة، فقد قال فيه ابن تيمية في تائيته القدرية:

ويُدعى خصوص الله يوم معادهم إلى النار طُرّاً معشر القدرية

سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به في الشريعة

يعني يا معشر القدرية هلموا إلى النار طرأ معشر القدرية جميعاً، سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به في الشريعة أو كما قال فجعل نفي شيء من القدر يدخل صاحبه في القدرية، وجعل أيضًا المخاصمة والمجادلة كحال المشركين، القدرية الذين قالوا ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا** ﴾ هؤلاء يدخلون في القدرية لأنهم نفوا حكمة الله –جل وعلا– التي هي أساس في القول بالقدر كما جاء في القرآن وسنة النبي العدنان ﷺ.

ثم بحوث أخرى أيضًا تؤخذ من كتبهم، قال: وغيرهم؛ لأن الفرق كثيرة والمذاهب الرديئة والأهواء والآراء مختلفة، وليشمل أيضًا ما ظهر في زمانه وما قبله، وما سيظهر أيضًا في الأزمنة الأخرى، فممن لم يذكرهم الخوارج والشيعة الغلاة، والمرجئة الغلاة، قد يدخلون مع هؤلاء في شيء من الأقوال، ويدخل أيضًا العقلانيون في ذلك الزمان وما بعده، ويدخل غلاة المتصوفة، ويدخل الذين ابتدعوا طرقًا بين هذا وهذا لهذا أوصلهم النبي ﷺ إلى اثنتين وسبعين فرقة.

المسألة السادسة :

قال بعد ذلك : (من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ....إلى آخره) قال: خالفوا السنة والجماعة وهذا مما يؤكد لك أن قصده بالثبات على الإيمان والعصمة من الأهواء هي موافقة الجماعة وهي الجماعة الأولى جماعة الصحابة وجماعة التابعين الذين لم يفرقوا بين ما أنزل الله –

جل وعلا- على رسوله، بل آمنوا به جميعًا وحملوا المتشابه على المحكم ولم يبتدعوا دينًا لم يأذن به الله -جل وعلا-، ومخالفة السنة والجماعة قد تكون مخالفة كبيرة جدًا، توصل صاحبها إلى الكفر، والعياذ بالله كحال الجهمية ومن نحى نحوهم، والمشبهة والمجسمة، وقد تكون المخالفة أقل من ذلك فتوصل صاحبها إلى ما دون الكفر، وقد تكون بدعاً مغلظة وقد تكون بدعًا خفيفة، فكل مخالفة للسنة والجماعة على النحو الذي أوضحنا في معنى السنة والجماعة في مكان سابق، كل مخالفة للسنة والجماعة هذا مذهب رديء ولا شك لكن صاحبه يكون ذنبه بقدر ما خالف، ومن خالف السنة والجماعة فإنه لابد أن يكون حليفًا للضلالة، لهذا قال بعدها: وحالفوا الضلالة، فلا يمكن للإنسان أن يكون مخالفً للجماعة وعلى مذهب رديء في الاعتقاد ولا يُقال: أنه ضال، الله -جل وعلا- وصف المرأة إذا أخطأت أو لم تدرك تمام الحقيقة في الشهادة بأنها تضل قال -جل وعلا-: ﴿ **أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى** ﴾ لأنها لم تصل إلى الحق والصواب الواقع فكيف بحال هؤلاء فلا شك أنهم ضُلاَّل. وأرى أن بعض الناس يستنكف في ذكر بعض مسائل العقائد والتوحيد، أن يصف المخالف للسنة والجماعة بأنه ضال، بل هو ضال؛ لأنه ضل الطريق، وقد يكون ضلاله كبير جدًا، وقد يكون قليلاً، لكنه ضل السبيل لأنه خالف السنة والجماعة، وحالف الضلالة كما ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى-.

المسألة الأخيرة:

أعلن براءته منهم قال : (وهم عندنا ضُلاَّل وأردياء. نحن منهم برءاء أو براء) وهذا هو الواجب على المسلم أن يتبرأ جملة وتفصيلاً، أن يتبرأ من القول، من المذاهب الرديئة ومن أصحابها؛ لأن هذا عقيدة؛ لأن ذلك اهتداء بهدي إبراهيم -عليه السلام- إذ قال الله -جل وعلا- في شأنه: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ**

حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ يعني من المرسلين، إذا قالوا لقومهم: يعني لأقوامهم ﴿ **إِنَّا بُرَءاؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ**﴾ فأعلن البراءة منهم ومما يعبدون يعني من العبادة ومن العابدين، يعني من العبادة، ومن الذين عُبدوا ومن العابدين، وهذا هو الواجب أن المرء يتبرأ، ولا يقول أتبرأ من العمل دون صاحب العمل، فإن هذا لا أصل له، بل نتبرأ من العمل ومن صاحبه الذي عمل بالبدع والضلالات أو بالشركيات فلا مكان للتفريق ما بين تبرأ ما بين العمل وبين صاحب العمل، إذا كان كذلك فهل البراءة من العمل ومن صاحبه هل هي في حكم واحد؟.

الجواب: أنها ليست في حكم واحد. البراءة من العمل واجبٌ، العمل الكفري الشرك في نفسه واجب ومن لم يتبرأ فإنه لم يوحد فهو داخل في معنى الشهادتين، يعني إذا دخلنا في الشرك البراء الولاء والبراء، في نفس العمل هذا داخل في حقيقة التوحيد، ولاء للتوحيد وبراء من الشرك، ولاء للتوحيد كفعل وعقيدة، وبراء من الشرك كفعل وعقيدة، أما مولاة أهل التوحيد والبراءة من أهل الشرك فهي واجب لكن ليس تركها كفرًا إلا بشروط وتفاصيل، ولهذا يذكر العلماء في التوحيد وفي غيره أن البراءة متلازمة، البراءة ملازمة لمعنى التوحيد لمعنى الشهادة لله –جل وعلا– بالوحدانية، فهكذا البراءة من أهل البدع ملازمة للسنة، فكما أن البراءة من الشرك ملازمة لكلمة التوحيد ليست ملازمة يعني هي من معنى كلمة التوحيد فكذلك البراءة من البدع ملازمة للسنة، فلا يتصور من جهة الحق، أن يكون مواليًا للسنة وهو ليس متبرئًا من أهل البدع، إلا إذا كان لم يفهم السنة أو عنده نوع هوى تفريق فمن والى السنة فلابد أنه يتبرأ من البدعة ومن والى أهل السنة فلابد أن يتبرأ من أهل البدع، لكن إذا حصل هذا التبرء عقيدة فهل يلزم منه أن يُظهر في كل حال، لا إظهاره بحسب المصلحة، إظهاره بحسب المصلحة إظهاره بحسب المصلحة

الشرعية، قد يُظهر ويكون إعلان للبراءة ظاهرًا والتبرء من الأشخاص وقد يؤخر بحسب ظهور السنة وخفائها وما يُنظر في ذلك من المصالح.

المسألة الأخيرة:

قال في آخرها: (وبالله العصمة والتوفيق) وذكرنا لكم ما في العصمة من البحث سابقًا، وأن الله –جل وعلا– لم يعط العصمة لأحد بعد الأنبياء، الأنبياء هم المعصومون، وأما سائر البشر فهم على خطر في قلوبهم وفي أعمالهم، وبالله التوفيق، التوفيق هو الهداية لطريق الرشاد والإعانة على سلوك هذا الطريق جملة وتفصيلاً، رحم الله أبا جعفر الطحاوي رحمة واسعة وجزاه خيرًا، فكم انتفع بكتابه هذا وبعقيدته الناس، ونسأل الله –جل وعلا– أن يغفر لنا وله زللنا وخطأنا وجدنا وهزلنا، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونستغفرك مما لا نعلم، ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ واغفر لنا ذنوبنا توفنا وأنت راضٍ عنا، اللهم هيأ لنا من أمرنا رشد، واجعلنا سالكين لسبيل السلف الصالحين، ومستمسكين بطريق السنة والجماعة، ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيأ لنا علمًا نافعًا وعملاً صالحاً، وأعنا على ذلك ووفقنا عليه، وكم استفدنا من هذا الكتاب من فوائد ولا شك أن طالب العلم لا يستغني عن مطالعة المختصرات ومعرفة شروحها مهما ظن أن المسائل واضحة عنده، فثم مسائل في هذا الكتاب كما ترون ما مررنا عليها لا في الواسطية ولا في لمعة الاعتقاد، ثم مسائل جديدة فيه لم تكن في غيره، فطالب العلم في تكراره لقراءة كتب العلم ولشرحها استماعًا أو أداءً فإنه ما بين معلومة يؤكدها ويثبتها، وما بين شيء جديد يستفيده وفي الختام أرجو وآمل لي ولكن أن نصبر على طريق العلم لأنه في الحقيقة من أراد نجاة نفسه فإنه لا نجاة إلا بالعلم والعمل الصالح، وأن أعظم ما تكون به النجاة العلم بالتوحيد وبالعقيدة الصحيحة؛ لأن هذا فيه صفاء القلب وسلامته من الأهواء والشبهات المضلة،

فأنا أوصي نفسي وإياكم التأكيد على ذلك ومطالعة الكتب، ونشر العلم بحسب ما يستطيع في بيته مع زملائه في أي مقام، ينشره بحسب ما يستطيع والناس محتاجون إلى طلبة العلم أعظم حاجة والحمد لله أن هيأ لكم من العلم النافع، وسبل تحصيله ووجود العلماء وسهولة الكتب ووفرة الأمن والصحة وعدم الشواغل التي تشغل الإنسان في أموره العامة، يعني في الأمن وما يشغل القلوب والعقول، ما يهيأ لنا أن نطلب العلم وأن نبذل فيه ، فلا ندري ربما يأتي وقت قد لا يتمكن الإنسان من أن يطلبه على هذا الوجه أو أن يتعلم على هذا الوجه، لهذا احرصوا واغتنموا فراغكم قبل شغلكم وتفقهوا قبل أن تسودوا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

سؤال : لو أن طالب العلم المستجد قرأ آخر هذه العقيدة وشرح آخرها قبل الشروع في طلب العلم؛ لأنها أجملت المعتقد العام؟

الجواب : لا بأس، الواحد يحضر ما استطاع ويكمل، يكمل فيما فاته.

سؤال : هل من صفات الله تعالى: الجنب لقوله تعالى: ﴿ عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ وهل من صفات الله التردد لحديث ((ما ترددت في شيء أنا فاعله))؟

الجواب : هذه مما اختلف فيها أهل السنة هل يطلق القول بإثباتها، أم لا؟ والواجب هو الإيمان بظاهر الكلام، وهل الظاهر هنا في إطلاق صفة الجنب، هل هو الظاهر الصفة أن الظاهر غير ذلك، الراجح أن الظاهر غير ذلك، وأنه ليس المقصود من قوله ﴿ **عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾ أن المقصود الجنب الذي هو الجنب؛ لأن العرب تستعمل هذه الكلمة وتريد بها الجناب، لا الجنب يعني الجهة، إنما تقصد الجناب المعنوي ﴿ **عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾ يعني في حق الله فيما يستحق الله -جل وعلا-، ومن أهل العلم من أثبتها لكن ليس ذلك هو ظاهر الكلام.

أما صفة التردد، فهي تثبت لله -جل وعلا- على ما جاء، لكن تردده بحق، وتردده ليس تعارضًا بين علم وجهل أو بين علم بالعاقبة وعدم علم بالعاقبة، وإنما هو تردد فيما في مصلحة العبد، هل يقبض نفسه العبد أم لا يقبض نفسه. وهذا تردد فيه رحمة للعبد وفيه إحسان إليه، ومحبة لعبده المؤمن، وليس من جهة التردد المذموم الذي هو عدم الحكمة أو عدم العلم بالعواقب.

يعني تردد فلان في كذا صفة مذمومة، أنه يتردد إذا كان تردده أنه ما يعلم تردد والله أفعل كذا أروح ولا ما أروح؛ لأنه إما عنده ضعف في نفسه، أو أنه يجهل العاقبة، أتردد أتزوج ولا ما أتزوج، أشتري أو ما أشتري؛ لأنه ما يدري هل فيه مصلحة، مصلحة له أم ليس فيه مصلحة، هذا هو التردد الذي هو صفة نقص فيمن اتصف بها. تردد ناتج عن عدم العلم بالعاقبة أما التردد الذي ورد في هذا الحديث هو تردد بين إرادتين لأجل محبة العبد. ترددت في شيء أنا فاعله. ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له من ذلك، فهو تردد لا لأجل عدم العلم ولكن لأجل إكرام العبد المؤمن ومحبة الرب -ﷻ- لعبده المؤمن، فهو إذا تردد بحق وصفه كمال لا صفة نقص، فيثبت على ما جاء في هذا الحديث مقيداً لا مطلقًا.

سؤال : يوجد من أعلام أهل السنة قديمًا وحديثًا من خالف عقيدة أهل السنة وطريق السلف في بعض الأقوال وليست كلها فما موقفنا منهم؟

الجواب : ذكرت أنا عدة مرات جوابًا على مثل هذا وهو أن مخالفة من خالف على قسمين:

الأول: مخالفة في الأصول، الأصول العامة ما هي؟ مثلاً الأصل في الغيبيات الإثبات. الأصل في صفات الله -جل وعلا- الإثبات وعدم تجاوز القرآن والحديث. الأصل في الإيمان وأنه قول وعمل، هو قول اللسان واعتقاد

الجنان وعمل الجوارح والأركان وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. في مسائل القدر، إثبات القدر على المراتب التي جاءت وأن الله -جل وعلا- خلق كل شيء بقدر وأنه خالق الأفعال.. إلى آخره.

هذه الأصول العامة التي من خالفها فهو ليس من أهل السنة اللي خالف في أصل من هذه الأصول ليس من أهل السنة والجماعة على التمام.

القسم الثاني: أن يتفق معهم في الأصول لكن يخالف في بعض التفصيلات، يعني يؤمن بان الصفات لا نتجاوز القرآن والحديث، لكن يظهر له في صفة أنها غير مثبتة، أنها منفية، فهذه ننظر في الصفة هل السلف متفقون عليها، أو هل الأئمة نصوا عليها واتفقوا وهذا خالف. أم أنه هو خالف ولم ينص عليها أحد من قبله، تختلف، يعني مثلاً من قال في مسألة الخلو من العرش، المعروفة في النزول، هنا في هذه المسألة من قال يخلو من العرش:

قول، لكنه هو موافق على أن الله -جل وعلا- مستو على العرش كما يليق بجلاله وعظمته، ومثبت للنزول، لنزول الله -جل وعلا- لكن جاء بقول لم يسبق عليه، وهذا يكون مما لا ينفيه من أهل السنة لكن يُغلط في هذا الجهة مثل نفي ابن خزيمة صورة الرب -ﷻ- يعني أنه على صورة آدم، أنها على صورة الرحمن، فيه إثبات الصورة وتفسير الصورة بشيء آخر، مثل ابن قتيبة لما نفى النزول، يعني حقيقة النزول، وفسره بنزول الأمر أو نزول الرحمة، هذه أغلاط لكنهم موافقون في الأصل، تنتبه إلى هذا كذلك في الإيمان في القدر فمن وافق في الأصول فهو من أهل السنة، فإذا غلط في التطبيق فيكون مخطئًا فيه، الصفات أن لا تؤول الصفات إذا قال: أنا لا شك صفات الله -جل وعلا- تثبت على ظاهرها بلا تأويل ويطبق هذه في كل الصفات، جاء في صفة أول، مثل ما فعل مثلاً مثل ما فعل الشوكاني في

بعض المسائل، تجد أنه يثبت يجيء في صفة صفتين يتأول، لماذا تؤولها؟ لأنه لا يعرف حقيقة كلام السلف فيها، أشكلت عليه ظن أن تأويلها هو الموافق لقول السلف، نظر في بعض الكتب وجد كلام بعض أهل التفسير ظنه أنه موافق لقول السلف وهكذا، المقصود من هذا أن الموافقة في الأصول بها يكون المرء من أهل السنة، إذا أخطأ في مسألة في مسألتين من التطبيق لا ينفي أن يكون من أهل السنة فيقال: أخطأ في هذا، ولا حرج يعني لا إخراج له من ذلك، أخطأ ويناصح ويبين له أو يبين ما في كلامه من خطأ.

سؤال : يقول: أنا أعمل مع مجموعة من الأجانب بعمل حكومي، وكثيرًا ما أتعامل معهم، وغالبًا ما أظهر الود لكي أكسبهم للدين أو لإظهار ما رأي الشرع في؟

الجواب : هذا إذا كان يقصد بالأجانب يعني أنهم كفار، فالواجب على المسلم أن يكون في باطنه بغض للكفر ولأهل الكفر، والله -جل جلاله- يقول ﴿ **لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ** ﴾ ... الآية، فوجود المودة في القلب المودة التامة المطلقة هذه لا تكون مع الإيمان فالواجب إذًا أن لا يودهم وأن لا يحبهم وأن يكون في قلبه بغض للكفر والكافرين، ما يظهره المسلم في التعامل، هذا فيه تفصيل إذا كان المتعامل معه ممن لا يُظهر العداوة للمسلم، ولم يقاتل في الدين ولم يستهزئ بالدين ولم يسعى وإنما هو في ظاهره مسالم، فهذا لا بأس من أن يحسن إليه وأن يُقسط إليه، لا بأس من الإحسان إليه ومن البر به على ظاهر قوله تعالى: ﴿ **لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ والنبي ﷺ زار يهوديًا وأسلم كان يهدي لليهود لجيرانه لأجل الجوار من الطعام، وربما ألان لهم الكلام وأحسن، لأجل الدعوة ولأجل تأليف القلوب والمصلحة، أو درء

مفسدة، لكن هذا يختلف باختلاف الأحوال والمرادات، والأشخاص.. أما أن يكون التعامل دائمًا على هذا النحو، هذا ليس جائزًا، يعني مثل بعض الناس يكون دائمًا مبتسم، لسبب أو لغير سبب هذا طبيعة صار، فينبغي له أن ينتبه أما إذا كان لغرض شرعي فهذا طيب، يعني والأعمال بالنيات، لكن دائمًا تعامله يعني مثل ما يقولون هو حبيب مع الجميع مع المسلم ومع غير المسلم، وفي عمله هذا ليس كذلك هذا غير مسلك شرعي، المسلك الشرعي أنه إذا ألان الجانب فليلينه لمسلم وتبسمك في وجه أخيك صدقة، أما غير المسلم فيعامله بالعدل لا يظلمه، لا يكفهر في وجهه، لا يسبب بينه وبينه إذا كان غير مظهر للعداوة لا يسبب بينه وبينه ما فيه ظلم أو اعتداء عليه أو عدم إقساط في حقه؛ لأن الله أمر بالإقساط في حقه وإعطائه حقه، لكن لا يتبسط أو يهدي أو نحو ذلك أو يزور إلا من كان في حقه مصلحة شرعية أو درء مفسدة.

سؤال : يقول: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ قال هل هي هنا باعتبار الإضافة أم هي غير ما يراد فيما نحن بصدده؟

الجواب : يعني يقصد بحث العصمة اللي مر معنا، هذه عصمة مقيدة يعني العصمة من الغرق هي ظاهرة لا عاصم من الغرق هذا اليوم إلا من رحمه الله –جل وعلا– هي غير داخلة في العصمة العامة.

أهل المذاهب الرديئة كالمعتزلة والأشاعرة والجبرية والقدرية أين يوجدون في هذا الزمن؟

في كل مكان يوجدون المعتزلة والأشاعرة والجبرية، يوجدون في كل مكان، في كل مكان وأيضًا كتبهم في كل مكان، ربما يدسُّون يعني واحد ما يفهم، يقرأ كتاب أو تعليق ويجد أنهم أدخلوا فيه بعض هذه الكلمات.

سؤال : ما حال من يقول: عن العلماء لا يفهمون الاقتصاد، وبالتالي لا يستطيعون إيجاد واستنباط الأحكام فيه؟

الجواب : العلماء لا يشترط فيهم أن يفهموا كل ما يجري في العالم من أمور حادثة حالة وجودها أو حصولها، يعني جاءت مسألة في العالم اقتصادية افترض أن العالم فهمها مباشرة، أصلا حتى بعض المتخصصين لا يفهم الشيء في حقيقته بسرعة، يعني مثلاً، الآن عندك مسألة الآن البطاقات هذه بطاقات الخصم أو بطاقات الائتمان، أو أنواع البطاقات هذه الموجودة هذه حقيقتها يأتي واحد يقول: مفهومه. هو طبعًا يفهم استعماله هو لها، لكن هل يفهم حقيقة ما يجري في هذه الشركات، قد ما يفهم الشركات هذه كيف تتكون وكيف تخصم، وفعلاً واش اللي يحصل وهل ما حصل في بلد ما يحصل في كل بلد، وفعل الشركات العظمى، يعني مثلاً إذا أخذت. فيزة في شركة، فيزة تصدر أنواع من الكروت إلى آخره، هل هي تخصم. من البنك أو تخصم من البائع وكيف تسدد وهل تجلس الأموال عندها فترة أو ما تجلس وصفة المشتري، هل هي صفته حين اشترى هل الشركة ضامنة أو فيها حوالة يعني هنا الآن تكيف المسألة، أحيانًا تأتي الصورة تكون واضحة في صورة معينة، لكن تكيف المسألة فقهيًا يشكل تكيف المسألة فقهيا طبعًا العلماء يتباينون في مثل التكييف، لكن شرح الصورة تُفهم الصورة، الآن النقد مثلا، النقد وتغطية النقد، وكيف يُغطى النقد وكيف تصدر العملات. كيف يكون هذا لا شك أنه يختلف، يعني مثلاً بلد اقترضت فيها بلفظ مثلاً مع اعتذاري للإخوة السودانيين، لنفرض السودان اقترضت من واحد عشر آلاف دينار سوداني قبل عشر سنين، وجاء الآن يردها، إذا يردها الآن عشرة آلاف دينار سوداني. قبل عشر سنين، وجاء الآن يردها إذا يردها الآن عشرة آلاف دينار سوداني إيش تمثل ما تمثل قيمة عشرة آلاف دينار سوداني اللي كانت قبل عشر سنين،

يمكن ما تمثل عشرة في المائة منها، الآن هل يرد العدد أو يرد ما يساوي القوة الشرائية، له فيطلب أنه يُعادل هذا بهذا هذه مسائل لها تعلق بفهم حقيقة الأمر.

فيه من يقول: لا يرد العدد، هذا قرض والقرض إحسان والعشرة آلاف هي العشرة آلاف، طيب لما أنا سلّفته عشرة آلاف قبل عشرة سنين، كان راتبه هو خمسمائة دينار، والآن راتبه هو عشرين ألف دينا، كيف يعني يتضاعف راتبه أربعين ضعف، ما يكون الآن الدينار السوداني كم يا أخ.. يعني حوالي إحدى عشر ريال، مائتين يعني كم يطلع؟ الدولار مائتين. يعني أنا بعد مثالي كان متفائل، إذًا المسألة تحتاج إلى المعرفة بحركات كثيرة وأشياء، الآن الأسهم العالمية وما يدخل فيها والبورصة ويعني فيه قضايا كثيرة لا يشترط في العالم أن يفهمها فورًا، ويعطيك تفاصيلها فورًا، وإلا ما يكون عالم، ليس صحيح لأنه أيضًا فهمها على الدِقَّة مشكل والعالِم لا تفترض فيه أنه متجرئ أنه دائماً يبين أحيانًا هو يتورع حفظًا لدينه، ما هو ملزم هذا أمر الله ما هو ملزم بأن يبين للناس ما لم يصل فيه إلى اجتهاد واضح إذا قال أنا والله ما وصلت فيه إلا اجتهاد واضح هل يلزم له أن يُبين ما لم يصل فيه إلى حق علم، ما يلزم، هو يكون فاهم المسألة لكن ما أتحمل ذمة الناس تأتيه أشياء ديانية.. من جهة التدين تمنعه، الأصل طبعًا في هذا هو حسن الظن بالعلماء وأنهم يفهمون لكن يفهمون ما يعرض عليهم لكن يعترض الأمور أشياء قد تسبب تأخير.

سؤال : منذ فترة عملت عمليَّة في القلب. ولم اصل تسعة أيام، وأريد أن أصلي ما علي، وأريد الطريق لقضاء ذلك وهل يجوز لي أن أقصر في الصلاة حين أكون خارج الرياض؟

الجواب : إذا كان أنه أجري له عملية في القلب وأفاق يعني لم يُغمى عليه فترة طويلة أفاق بعد البنج وكذا أفاق فإنه يجب عليه أن يصلي الصلاة في وقتها، وله أن يجمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء إذا كان أرفق به مريض، لكن أنه لا يصلي عدة أيام فإنه غير معذور بذلك ولا يؤذن له بذلك، يصلي بحسب حاله وهو نائم، وهو على جنبه بحسب وضعه ويتطهر الطهور اللي يستطيعه، إما يتيمم أو يُطهر إلى آخره يعني بحسب ما يستطيعه لا يُكلف الله نفسًا إلا وسعها، أما إذا كان أغمي عليه هذه المدة مدة تسعة أيام ثم بعد ذلك أفاق، فإنه ظاهر الفتاوى وعمل بعض الصحابة على أن ما زاد في الإغماء عن ثلاثة أيام فإنه لا يعاد.

سؤال : هل يجوز لي أن أقصر في الصلاة حينما أكون خارج الرياض؟

الجواب : نعم إذا كنت تنوي قطع مسافة تبلغ ثمانين كيلومتر على الاحتياط من أقوال أهل العلم.

نعم وسيقضيها في سفر لا إذا وجبت الصلاة في حَضَر فإنه يقضيها كما كانت تغليباً لجانب الحضر؛ لأنه هو الأصل والقضاء يحاكي الأداء في هذه المسألة. والمسألة فيها خلاف بين أهل العلم لكن هذا هو الأحوط وهو الصحيح.

سؤال : متى يكون الرياء شركًا أكبر؟

الجواب : يكون إذا كان كرياء المنافقين، يبطن الكفر ويظهر الإسلام.

سؤال : ما حكم قول المسلم للكافر كلمة سيد أو السيدة؟

الجواب : كلمة السيد لا يجوز أن تطلق على كافر ولا على منافق؛ لأنه لا سيادة لهما، هذه طبعًا لأن دلالتها بالعربية السيادة لكن أحيانًا تكون بالإنجليزية مثلاً أو بلغة أخرى تترجم بالعربية على أنها سيد، لكن ليست

ترجمتها صحيحة، يعني مثل كلمة مستر، مستر تترجم سيد، وفي الواقع ليس معناه سيد؛ لأن السيادة معناها التصرف والملك إلى آخره، لكن كلمة مستر بالإنجليزي لا تعني السيادة والتصرف ونحو ذلك، هي اقرب ما لها كلمة لورد يعني اللي هو الربوبية أو السيادة، أما كلمة مستر يعني مثل ما تقول: يعني محترم أو وجيه أو يعني كلمة تقدير، لكن هم ترجمت في بعض البلاد المجاورة على أنها كلمة مجاملة فيجعلون بدلها كلمة سيد لأنها مستعملة عندهم فإذًا إطلاقها باللغة العربية، السيد لا يصح، لكن لو قيل مثلاً مستر فلان هذه لا شك أنها لا تدخل في معنى السيادة في اللغة العربية،

نكتفي بهذا القدر ونلتقي نحن وإياكم على خير وهدى وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الخاتمة

انتهى هذا الشرح المبارك بعد صلاة العشاء في يوم السبت الموافق العشرون من شهر ذي القعدة لعام عشرون وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة ، لشيخنا العلامة :

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

حفظه الله ورعاه

نسأل الله أن يجزي شيخنا خيراً عن الموحدين ، وأن يجعله إمام هدى ورشاد ، وأن يصلح ذريته ، وأن يرفع درجاته في عليين ، وأن يجعل لي من الخير نصيباً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عادل مرسي

السبت ١٤٢٠/١١/٢٠ هـ